أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد: (٦١٧) محرم ١٤٣٨ هـ - أكتوبر-نوفمبر- ٢٠١٦ م

الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية 2016

تعليم متصالح مع الهوية

- يسرقون صلاتهم
- حرروها أم نحروها
- شبح التغير المناخي
- الجد والكسل في مرآة السنة النبوية

هدية العدد: التقويم الهجري لعام ١٤٣٨هـ / ذخائر الوعي الإسلامي (١١)

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

info@alwaei.com | www.alwaei.gov.kw | مجلة الوعى الإسلامى

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا

العلم النافع والعمل الصالح

الحمد لله حمدا كثيرا، طيبا مباركا فيه، القائل سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١)، والصلاة والسلام على عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، القائل: «وإنما العلم بالتعلم» (رواه البخاري).

إن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، وأحرى ما يتسابق في حلبته المتسابقون: العلم، فهو الكفيل الضامن بالسعادة الباطنة والظاهرة، والدليل الآمن إلى خيري الدنيا والآخرة.

إنه العلم النافع والعمل الصالح اللذان لا سعادة للعبد إلا بهما، ولا نجاة له إلا بسببهما، فمن رزقهما فقد فاز وغنم، ومن حرمهما فقد خسر وغرم، وهما مورد انقسام العباد إلى مرحوم ومحروم.

ناهيك؛ أن السموات والأرض ما قامتا إلا بالعلم، بل ما بعث الرسل، وما أنزلت الكتب، وما فضل الإسلام على غيره إلا به، وفوق ذلك؛ ما عُبد الله، ولا عرف الإيمان من الكفر إلا به!

فإنه لا يستطاع العلم براحة الجسد، ولا يطلب بالتمني والتحلي، وقد قيل: «من طلب الراحة ترك الراحة».

ومن هنا أدركت الأمم في العصر الحالي أن العلم هو أساس رقي الشعوب وتطورها، وبه تبنى الحضارات والإبداعات، فهو من غير شك أساس التفوق والتقدم والقوة، فالدول المتقدمة هي التي تمتلك عناصره ومفاتيحه وأدواته؛ لذا كان تركيزها على العلم ومصادره وأساليب التعلم والتعليم التي تبني شخصية الإنسان التي تتكون من جانب معرفي عقلي، وجانب وجداني انفعالي، وآخر مهاراتي حركي، ولابد أن تسير عملية بناء الشخصية باتزان بين هذه الجوانب؛ لنصل إلى شخصية علمية متزنة فاعلة في البناء الاجتماعي، تبحث من خلال علمها النافع عن تسهيل طريقها إلى دار الخلود، ليصدق فيها قول الصادق المصدوق: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم).

ولعل هذا البناء هو ما رمى إليه الشافعي رحمه الله بقوله ناصحا:

تعلم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

حاثا الشباب على علو الهمة، ومحذرا إياهم من «الموت الاعتباري المبكر» بقوله:

ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعا لوفاته

ولكن... وللأسف فإن بعض طلاب زماننا قد استطابوا الدعة، واستوطأوا مركب العجز، وأعفوا أنفسهم من كد النظر، وقلوبهم من تعب الفكر... فلعمري أين منال الدرك بغير سبب، وأين نوال البغية بغير آلة!

هذا، ولابد أن ندرك جميعا أنه لا تقدم إلا بالعلم، وأن علينا أن نزرع في نفوس أبنائنا حب العلم وأهمية التعلم من أجل سعادتهم وإعمار الأرض؛ فالله تعالى فرق بين المتعلم وغيره بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:٩).

ورحم الله من قال موصيا في العلم:

فاجعل لنفسك منه حظا وافرا ... واهجر له طيب الرقاد وعبس

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٧ | محرم ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
اكتوبر - نوفمبر ٢٠١٦م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦-٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

- الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- المغرب: ١٠دراهم • الجزائر: ١٠٠ دينار جزائري • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

الطالب القوي

التربية عمل شاق، ولكنها تحصن أبناءنا من الشهوات والشبهات في الدنيا، لأنّها تقوي مراقبة لله، وهي مهمة لتحمل الشدائد والمصائب التي قد يواجهها فلذات الأكباد في مستقبل حياتهم

ولعل معظم أنواع التربية التي عرفتها البشرية عبر العصور لم تستطع أن تحقق التكامل المطلوب، فقد كانت كُل تربية منها تعنى بجانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية على حساب الآخر،

ولكن عندما ننظر إلى التربية الإسلامية نجد أنها جاءت بخلاف ذلك كله؛ حيث تميز منهجها التربوي بشموله لحياة الإنسان كلها، وعنايته بجميع جوانب النفس المتمثلة في «الروح، والعقل، والجسم»؛ دونما إهمال أو مبالغة في حق أحد منها على حساب الآخر.

والمربون والمربيات من معلمين ومعلمات مطالبون بالنظر لشخصية الطالب المسلم من جوانب مختلفة، وعدم التركيز على جانب دون جانب، لأن عقل الطالب في مراحله الأولى كالصفحة البيضاء.. التي تلتقط كل حبر.

ما نريده حقا هو الطالب المتدين، صاحب القوة في نفسه لذاته، والقوة لوطنه، والقوة لأمته، «المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، بحيث يحافظ على الطاعات ويبتعد عن المحرمات، والجد والاجتهاد في طلب العلم.

مدير التحرير
فهد الخزي

خلف أحمد محمود أبوزيد
باحث تربوي

شبكات التواصل الاجتماعي..

تلعب تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات الحديثة دورا كبيرا في جذب قطاعات وشرائح عمرية مختلفة إلى استخدام الإنترنت والشبكات الاجتماعية، التي على رأسها «فيسبوك» و«تويتر» و«يوتيوب» وغيرها في التواصل الاجتماعي، الأمر الذي ما لبث أن تحول من مجرد تواصل بين أفراد العائلة والأقارب والأصدقاء المقربين، إلى المعجبين والمهتمين بصفة عامة، وقد ظهر ذلك جليا مع نجوم المجتمع والشخصيات العامة والبارزة. وكان الأطفال من فئات المجتمع الذين جذبتهم هذه الوسائل الجديدة بإمكاناتها التكنولوجية العالية، التي شكلت أمام الطفل عالما جديدا ممتلئا بالدهشة، حتى أصبح أكثر الأطفال يكونون مجموعات (غروبات)، ويقضون أغلب أوقاتهم على هذه الشبكات! ونحن هنا لا نصادر على هذه الوسيلة التكنولوجية الجديدة، التي أصبحت سمة العصر وأمرا واقعا لا مفر منه، ولكن نريد أن نوضح أنه إذا كانت لهذه الوسيلة إيجابيات، فهي أيضا لا تخلو من السلبيات، التي تتطلب التوعية الجادة والرقابة الصارمة للطفل في هذه المرحلة المهمة من حياته، التي تتشكل فيها بذور ثقافته ومعارفه، وهذا ما سوف نلقي عليه الضوء عبر هذه السطور.

إيجابيات المواقع

وإذا ما حاولنا البحث عن إيجابيات مواقع التواصل الاجتماعي للطفل، فإننا نرصد لها العديد من الإيجابيات، التي تتمثل في:

١. إن شبكات التواصل الاجتماعي تمثل نبعا فياضا يستمد منه الطفل العديد من المعلومات والمعارف التي تسهم في إشباع نهمه المعرفي في هذه المرحلة المهمة من حياته، التي تتشكل فيها ٥٠ في المئة من القوى العقلية والإدراكية للطفل.

٢. إنها تحدث نوعا من التبادل المعرفي بين الأطفال عن طريق تبادل المعلومات والمعارف، الأمر الذي يثري ثقافة الطفل، ويزيد من حصيلته المعرفية، في أوقات قصيرة، وبطريقة سهلة ميسرة.

٣. إنها تحدث نوعا من التواصل بين جميع الأشخاص، من كل الأعمار، على مستوى العالم عامة، والأطفال خاصة، الأمر الذي يفتح المجال أمام الطفل للاستفادة من خبرات الآخرين، والتطلع إلى أفكارهم.

٤. إنها وسيلة مهمة للحوار، الذي يعطي الطفل فرصة حقيقية لمشاركة الآخرين في الرأي، والاستماع إلى الرأي الآخر، الأمر الذي ينمي ملكة الحوار في نفس الطفل، وقدرته على حل المشكلات واتخاذ القرارات في المواقف التي تعترض طريقه، فكل الأمور السابقة محمودة، ولها مردود إيجابي، حتى ولو كان في عالم افتراضي، لو استغلت بصورة صحيحة.

سلبيات المواقع

وإذا كنا أوضحنا أهم الإيجابيات لمواقع التواصل الاجتماعي للطفل، فإن الأمر أيضا لا يخلو من سلبيات، فلا توجد معرفة من دون سلبيات،

ويتمثل أهمها فيما يلي:

١. عزوف الطفل عن تلقي المعلومات من الآباء والأمهات، ما يؤدي إلى افتقاد الحميمية الجميلة في تداول المعرفة والخبرات بين الأجيال كما كان يحدث قديما قبل عصر الإنترنت.

٢. قد يحصل الطفل على معلومات مغلوطة ومشوهة من مواقع غير مدققة علميا، الأمر الذي يسبب للطفل ارتباكا معرفيا، خصوصا أن أكثر الأطفال لديهم يقين تام بأن ما يحصلون عليه من معلومات عبر هذه الشبكات صحيح وسليم بنسبة مئة في المئة.

٣. إصابة الطفل بما يسمى «العزلة الاجتماعية أو الانطواء»، وذلك بسبب الأصدقاء الافتراضيين الذين يكتفي بهم في هذا العالم الخيالي المبهج بعيدا عن الواقع المعاش، الأمر الذي يحولهم في النهاية إلى كائنات افتراضية، تعيش الوحدة، وتميل إلى العزلة، وتنفر من الواقع، وإن ذلك يأتي على حساب أنشطة اجتماعية عديدة يحتاج إليها الطفل لإعداد نفسه اجتماعيا للحياة، مثل التفاعل مع الآخرين، والتواجد معهم، والتأثير فيهم والتأثر بهم، ومحاكاة سلوكهم، وتشرب العادات الاجتماعية، والقيم الأخلاقية من البيئة المحيطة به.

٤. إن الطفل في هذه المرحلة المتقدمة من حياته لا يستطيع أن يميز بين الغث والسمين فيما يعرض عبر هذه الشبكات، الأمر الذي يدعونا إلى الخوف من أن يسرق الطفل في هذه المواقع إلى عمليات غسل دماغ، وخضوع لأفكار متطرفة ومدمرة قد تدفع به إلى الهاوية، لذا يجب الحذر ثم الحذر من هذا الأمر الخطير، فكلمات الحق التي يراد بها باطل منتشرة ومقنعة لهؤلاء الأطفال، كونهم ليسوا بسن تسمح لهم أن يكتشفوا مثل هذه المؤامرات والحيل، وما تهدف إليه من تدمير وتخريب.

٥. إهدار قيمة كبيرة من الوقت بما يشغلهم عن تحصيل دروسهم، والانخراط في أنشطة حياتية ضرورية، يكون لها مردود طيب على صحتهم وتواصلهم الاجتماعي.

الدور الأسري

بداية نؤكد على أن مهمة الأسرة باتت شاقة، فيما يتعلق بتوفير الحماية اللازمة لأطفالهم من هذه الوسائل الحديثة، التي لا يكاد يخلو منها بيت أو مقهى، والتي أصبح العالم عبرها أشبه بالقرية الواحدة، الأمر الذي أدى إلى دمج العديد من الثقافات، فاستحدثت قيم وتوارت أخرى، وطغت ثقافات، وانزوت أخرى، وأدخلت مفاهيم جديدة، وخرجت أخرى، الأمر الذي جعل الأسرة المسلمة في حيرة من أمرها، لا تدري ماذا تفعل بقيمها الأصيلة، التي تطمح في نقلها إلى أبنائها، وبين الجديد الوافد بجبروته وسطوته وإمكاناته التكنولوجية العالية، التي سيطرت على عقول الأبناء، وأصبحت تحت الاستسلام لسطوتها تشكل جوانب ثقافاتهم وأفكارهم، ومع تسليمنا بوجود جوانب إيجابية لهذه الوسائل، طرحنا بعضا منها، إلا أن ذلك أيضا لم يحجب عن أعيننا وجود سلبيات وآثار مدمرة لها أيضا، خصوصا في ظل هذا الانفتاح الكبير على العالم، الأمر الذي يوجب علينا التفكير بجدية في وضع أسس فعالة للتعامل مع هذه الوسائل بحيث يصبح من الممكن حماية الأطفال من آثارها الضارة، وتدريبهم في الوقت نفسه على حسن الاستفادة من الجوانب الإيجابية لها، غير مكتفين ببعض وسائل الحماية، مثل أنظمة التشفير لبعض المواد غير الملائمة للأطفال، باعتبار أن هذا الأمر غير محمود العواقب، لأن المنع مضيعة للوقت، ولأن أيضا التكنولوجيا دائما سباقة، خصوصا إذا أخذنا في الاعتبار حقيقة أن كل ممنوع مرغوب، لذلك لابد من المعالجة الوقائية من جانب الأسرة في هذا الشأن، التي تتطلب من الوالدين متابعة أطفالهما، حال جلوسهم أمام هذه الشبكات، ومساعدتهم في اختيار ما يتناسب معهم، هذا الأمر المهم الذي يتطلب من الوالدين إعداد أنفسهم بشكل كاف للدخول إلى هذه الشبكات ومشاركة أطفالهم في التجوال فيها، والحرص على انتقاء واختيار كل ما هو نافع ومفيد لهم ويتناسب مع أعمارهم، مع توضيح الأخطار التي يمكن أن يتعرضوا لها إذا ما أساءوا استخدامها، هذا إلى جانب التأكيد عليهم عدم بذل أي معلومات شخصية لأي إنسان عبر الشبكة، كالعنوان ورقم الهاتف أو البنك الذي يتعامل معه أحد الوالدين، أو المدرسة التي يدرسون بها، وعدم إرسال الصور الشخصية إلى جهات غير معروفة، مع التأكيد عليهم أيضا عدم الرد على الرسائل الخاصة التي تحمل عبارات تمس الخلق والحياء، أو الأمن العام، أو تشي بانحراف فكري أو جداني، ويفضل في ذلك استخدام برامج خاصة تمنع استقبال مثل هذه العبارات، كما يفضل أيضا في ذلك أن يكون للأسرة بريد إلكتروني واحد، وإذا كان عمل أحد الوالدين يحتم استخدام بريد مستقل، فعندها يفضل أن يكون بريد الوالدين على نحو سري، مع إظهار أن البريد الذي تستخدمه العائلة هو للجميع.

وفي النهاية، نقول مهما حذرنا من أخطار هذه الشبكات، فإننا لا نستطيع أن نلغيها من حياة أطفالنا، ففي حجبها عنهم عزلهم عن مجريات الأمور، وتقليص شديد لثرواتهم المعلوماتية والمعرفية، ولكن يبقى الأمر كذلك في أيدي الآباء لإخضاع ذلك إلى رقابة واعية، تتجه بأطفالهم نحو المفيد والنافع منها، وتجنح بهم عن الضار والسيئ فيها.

د. محمد عطية متولي
باحث إسلامي

الجد والكسل في مرآة السنة النبوية

ينظر الإسلام للإنسان على أنه يحمل طاقات لا حصر لها، لكن هذه الطاقات تحتاج إلى من يكتشفها وينميها ويوجهها الوجهة الصالحة فإن لم يحظ بذلك، اختفت طاقاته تحت الرماد وحرم المجتمع من خيرها.

وقد بين النبي ﷺ - فيما بين - كيف نجعل من الجد منهج حياة؟

الجد: سلوك يسلكه المرء في أمره كله حتى ليبدو في مشيته، فقد كان النبي ﷺ: «إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما انحط من صبب» (سنن الترمذي) والصبب النزول من علو إلى سفل.

ينابيع الطاقة اللازمة للجهد البشري:

١-الذكر

قد يكلف الإنسان بعدة أعمال يعجز عن الوفاء بها ويسعى جاهدا لكي يزيد من قدراته في الوقت الذي لا يمكنه أن يقلل من حجم هذه الأعمال وقد أرشد النبي ﷺ السيدة فاطمة إلى ذكر الله تعالى -وهو معين لا ينضب للجهد البدني والروحي- لتتمكن من أداء ما عليها من واجبات تستهلك طاقتها، روى الإمام أحمد في مسنده عن علي رضي الله عنه، قال: قلت لفاطمة: لو أتيت النبي ﷺ فسألتيه خادما، فقد أجهدك الطحن والعمل؟ قالت: فانطلق معي. قال: فانطلقت معها. فسألناه، فقال النبي ﷺ: «ألا أدلكما على ما هو خير لكما من ذلك؟ إذا أويتما إلى فراشكما فسبحا الله ثلاثا وثلاثين، واحمداه ثلاثا وثلاثين، وكبراه أربعا وثلاثين، فتلك مائة على اللسان، وألف في الميزان» وقد بين الإمام ابن حجر في فتح الباري أثر هذا الذكر على الإنسان فقال: «يحتمل أن يكون من واظب عليه لا يتضرر بكثرة العمل ولا يشق عليه ولو حصل له التعب»

٢-البركة في البكور

روى الإمام ابن ماجه في سننه عن صخر الغامدي، قال: قال

رسـول الـلـه ﷺ: «الـلـهـم بارك لأمتي في بكورها». وكـان صخر رجلا تاجرا، فكان يبعث تجارته في أول النهار فأثرى وكثر ماله (قـال الـشيـخ شعيب الأرنـاؤوط صحيح لغيره).

البكرة: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس والـدعـاء يحتمل أنـه دعـاء بـالـبـركـة لنفس ذلـك الـوقـت حتى ليتسع لما يعمل فيه أو ببركة نفس العمل فيكون العمل فيه مبروكا (التنوير شرح الجامع الصغير).

٣- الـنـشـاط يتطلب قـدرا من الراحة وبلا راحة لا يمكن الجد، روى الإمـام مـالـك فـي الموطأ أن رسـول الـلـه ﷺ سـمـع امــرأة من الليل تصلي، فقال: من هذه؟ فقيل له: هذه الحولاء بنت تويت لا تنام الليل، فكره ذلك رسول الله ﷺ، حتى عرفت الكراهية في وجهه، ثم قال: «إن الله تبارك وتعالى لا يمل حتى تملوا، اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة».

وكل عمل كثير لا يطيقه الإنسان، يسبب له إجهادا ولا يمكن إنجازه.. رجل يشق على نفسه فيعمل أكثر من طاقته وصل إلى منزله بعد يوم مليء بالمتاعب ونام وهو جالس على مقود السيارة في العاشرة مساء ولم يستيقظ إلا في الثالثة فجرا وإذا به جالس على كرسي القيادة لم يتحرك منه.

وإذا كان الله تعالى في مجال العبادة المحضة يأمرنا ألا نعمل عملا فوق طاقتنا فكيف نرهق أنفسنا بأعمال دنيوية تفوق مقدرتنا الجسدية، وهذه الأعمال إن بدأنا في سبيل إنجازها خطوات فلن نستطيع إتمامها وإن انتهينا منها ستكون مفتقدة لكل معايير السلامة والجودة.

٤- ترشيد النشاط

يـجـد الـنـبـي ﷺ شـابـا قـويـا يوجه طاقته نحو الصلاة والصيام فحسب فيوجهه ﷺ إلـى عـدد من المواضع التي تستحق أن يبذل جهدا فيها بل يحاسبه الله تعالى إن لم يبذل هذا الجهد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، قال لي رسول الله ﷺ يا عبدالله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل. صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا وإن لعينك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله. فشددت فشدد علي (صحيح البخاري). هذه الوصية النبوية التي تقضي بأن يبذل المسلم جهده فيما افترضه الله عليه لإيصال الحقوق إلـى أصحابها ولأن مصادر الأجر متنوعة، فلمَ يقف عند مصدر واحد ويترك بقية المصادر معطلة؟!.

ثم إن لكل عمل فترة نشاط يبلغ العامل فيها الذروة وما بعد الذروة إلا الفتور، قال رسول الله ﷺ: «لكل عمل شـرة، ولكل شـرة فـتـرة، فمن كانت فترته إلـى سنتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك» (مسند أحمد). الشرة: الحرص على الشيء والنشاط فيه، والفترة: الوهن والضعف.

فإذا جاء الفتور فهل يتوقف الإنسان عن العمل أو يضيع وقته؟ النبي ﷺ يوجه أمته كيف تقسم وقتها فيقول: «ساعة وساعة» (صحيح البخاري). ففي ساعة الحضور تؤدون حقوق ربكم، وفـي سـاعـة الـفـتـور تقضون حظوظ أنفسكم (تحفة الأحوذي).

وقضاء حظ النفس لا يخرج بالمسلم عما شرعه الله تعالى بل يؤهل المسلم لقضاء حق الله تعالى.

عن وهب بن منبه، قال: «في حكمة آل داود حق على العاقل أن لا يشغل عن أربع ساعات، ساعة يناجي فيها ربـه، وسـاعـة يحاسب فيها نفسه، وسـاعـة يقضي فيها إلـى إخوانه الـذيـن يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل، فـإن هـذه الـسـاعـة عـون عـلـى هذه الساعات، وإجمام للقلوب، وفضل بلقاء. (شعب الإيمان).

٥- الكلمات التي تحمل روحا تسري من فرد لفرد فتبعث في نفوس من يسمعها الـرجـاء وتحثهم على بذل المزيد من الجهد ومقاومة الفتور أو الإحـبـاط، فمع قسوة الظروف التي لاقاها المسلمون أثناء حفرهم للخندق ومع ما يحتاج له هذا العمل من جد وجهد ومع حرص الصحابة رضوان الله عليهم على إتمام هذا العمل على أكمل الـوجـوه وبأقصى سرعة.. مع كل هذه الملابسات كان الـنـبـي ﷺ يـرتـجـز بـكـلـمـات تجدد نشاطهم وتطرد الفتور عنهم: «كان النبي ﷺ يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا، ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا
وإن أرادوا فتنة أبينا

قال ثم يمد صوته بآخرها» (صحيح البخاري).

أوجه صرف النشاط:

فإذا توافر الجد والنشاط لشخص فما هي أوجه إنفاق هذا النشاط؟

رجل تبدو عليه مخايل القوة والجد لما رآه الصحابة رضي الله عنهم تمنوا أن يكون جد الرجل وقوته في سبيل الله فبين النبي ﷺ أن الجد والنشاط الذي يتجه إلى السعي لتوفير القوت لمن يرعاهم من الصغار أو الوالدين الكبيرين أو لنفسه كل ذلك سعي مشكور عند الله تعالى وصاحبه مأجور؛ إن اجتمع له مع حسن العمل ابتغاء وجه الله تعالى.. مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله؟، فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان» (المعجم الكبير للطبراني). وإذا لم تتيسر المشروعات التي توفر لأولي الجد ما ينفقون فيه طاقتهم ويبذلون فيه جهدهم من كل نافع لهم ولأمتهم، انقلبت هذه الطاقة وقودا للشيطان تحرق الأخضر واليابس وتتجه للتخريب بدل التعمير.

هناك من يبذل جهدا لكنه قصير النفس ما إن يمشي خطوات حتى يقف مكانه أو يتراجع ومثل هؤلاء ينبغي أن يبحثوا عن من يشد أزرهم بالمعاونة أو ببث الحماس وبيان الطريق الصحيح.

وإذا كان بين الناس من هو قصير النفس فمنهم عالي الهمة لا تثنيه المعوقات عن فعل ما يريد ومنهم عبدالله بن الزبير، فعن مجاهد قال: «كان كل شيء لا يطيقه الناس من العبادة يتكلفه ابن الزبير، فجاء سيل فطبق البيت، فامتنع الناس من الطواف، فوقع ابن الزبير رضي الله عنهما يطوف سباحة» (أخبار مكة للفاكهي).

كل جهد وإن كان قليلا يؤجر صاحبه عند الله تعالى، والعجيب أن الذين يلومون أصحاب الجهود الصغيرة لا يبذلون شيئا بل يتندرون ويحتقرون فحسب، وحسبهم ما وصفهم الله به ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة:٧٩).

يبين النبي ﷺ أن كل عمل جاد مخلص مقدر عند الله تعالى مهما كان حجمه، عندما سئل: أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل (سنن أبي داود). وهو مقدار ما يستطيع أن ينفقه صاحب المال القليل.

كما أن الله عزوجل يبارك في الجهود القليلة إذا اجتمعت وقام أصحابها بالتنسيق فيما بينهم، مدح النبي ﷺ الأشعريين وكيفية مواجهتهم للأزمات بالجهود المشتركة، قال النبي ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم» (صحيح البخاري) فهم عند فناء الطعام خارج الديار أو قلته داخل الديار يبذل كل منهم ما يستطيع لكي تمر هذه الأزمة، وليس هناك شرف يمكن أن يناله المسلم أعظم من قوله ﷺ في حق من يجمعون جهودهم: «فهم مني وأنا منهم».

كما اعتبر النبي ﷺ العجز والكسل شرا يستعاذ منه، فكان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل» (صحيح البخاري).

مسببات الكسل:

وبالنظر إلى ما يسبب الكسل نجد أنه قد يكون صحيا أو نفسيا أو بيئيا فبعض الأمراض تسبب الفتور وبعض النفوس إذا أصابها الإخفاق مرة أو مرات أصيبت بالإحباط. وبعض البيئات تنتقل فيها عدوى الكسل نتيجة لغياب المشاريع التي تستوعب الطاقات ونتيجة لغياب القدوات.

والعلاج بذل الجهود من المجتمع والمثقفين ومنظمات المجتمع المدني والإعلام والدولة لإيجاد مؤسسات تتبنى التخطيط لما تحتاجه الأمة ومشاركة أصحاب الكفاءات والخبرات في وضع خريطة تبين ما تحتاجه الأمة ومن ثم توجيه أولي الحزم والعزم إلى ما يناسبهم وتدريب من يفتقد إلى التدريب.

ومن بين العلاج الذي يقدم لمن يكون تكاسلهم بسبب نفسي، أن يوطن الإنسان نفسه على أن الدنيا فيها نجاح وفشل ويراجع طريقته في إدارة الأمور ويوقن أن الله تعالى قد يصرف عنه ما يحب، رحمة به. ويعلم أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا.

الكسل يؤدي إلى المرض ويوصل إلى الفقر كما أن له ضررا آخر إذ ينتج عنه التسويف ومن ثم تراكم الأعمال وعدم القدرة على إنجازها وفي النهاية يصل الكسول إلى الإحباط ومن ثم تتوقف الحياة العامة والخاصة.

التحرير

الشيخ محمد البري في ذمة اللّه

فقدت الأمة الإسلامية والعربية الداعية الشيخ محمد عبدالمنعم البري، رئيس جبهة علماء الأزهر، عن عمر ناهز ٨٦ عاما في مسقط رأسه في مصر. والبري رمز من رموز الأزهر الشريف، وأستاذ بكلية الدعوة بجامعة الأزهر، وشغل منصب رئيس مركز الدراسات الإسلامية بالجامعة نفسها.

وقد سافر الشيخ البري إلى العديد من الدول العربية والأوروبية والآسيوية خلال نشاطه الأكاديمي الشرعي والدعوي الاجتماعي، وللشيخ العديد من المؤلفات المطبوعة في الجامعات أو في دور النشر المختلفة، كما أن له العديد من المقالات والكتابات التي أثرت القارئ الشرعي والطالب الأزهري.

حياته

هو محمد عبدالمنعم محمد محمد البري جبر، وشهرته محمد البري، ولد عام ١٩٣٢م في مدينة الخانكة بمحافظة القليوبية شمال العاصمة المصرية القاهرة، ترعرع في بيئة صافية لأسرة محافظة، اكتسب التقاليد العربية والإسلامية من أسرته من خلال التربية، ومن خلال اندماجه في المناسبات الاجتماعية المختلفة في أحضان عائلة جبر بمدينة الخانكة، التحق بالأزهر الشريف وأتم حفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة من عمره، ومن خلال المعهد الأزهري نمت بلاغته وقدراته الإلقائية والخطابية، وبدأ الخطابة في المرحلة الإعدادية في مسجد بالخانكة.

مسيرته العلمية

التحق بكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الشريف، وعين بها معيدا، ثم حصل على درجة الماجستير، ثم درجة العالمية (الدكتوراه)، ثم ارتقى أستاذا مساعدا ثم أستاذا بالجامعة.

أ. د. وليد خالد الربيع
أستاذ الشريعة
جامعة الكويت

الطيب في القرآن الكريم

الطيب من المعاني الجميلة، والصفات الجليلة، وقد كثر في القرآن الكريم ذكر الطيب والطيبين والطيبات، مما يلفت الأنظار للتأمل، ويدعو للوقوف مع هذا الوصف الجميل، والتفكر في مواضع وروده في القرآن، والنظر في المقاصد الدقيقة، والمعاني العميقة التي اشتملت عليها تلك الآيات الكريمة ليتحقق بعض التدبر الذي أمرنا الله تعالى به في قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص:٢٩).

وفي هذا البحث الموجز وقفات مختصرة مع بعض الآيات الكريمة التي تناولت هذا المعنى الجليل لتقريب الفوائد التي استنبطها العلماء بين يدي القارئ الكريم.

الوقفة الأولى: تعريف الطيب

الطيب مصدر الفعل طاب الشيء طيبا وطيبة، أي: زكا وطهر (١).

قال ابن فارس: «الطاء والياء والباء أصل واحد صحيح يدل على خلاف الخبيث، من ذلك الطيب: ضد الخبيث. والطيب: الحلال» (٢).

وذكر في «لسان العرب» أن كلمة الطيب لها إطلاقات متعددة تختلف بحسب السياق، فيقال: أرض طيبة للتي تصلح للنبات؛ وريح طيبة إذا كانت لينة ليست بشديدة؛ وطعمة طيبة إذا كانت حلالا؛ وامرأة طيبة إذا كانت حصانا عفيفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ (النور:٢٦)؛ وكلمة طيبة إذا لم يكن فيها مكروه؛ وبلدة طيبة أي آمنة كثيرة الخير. والكلمة الطيبة: شهادة أن لا إله إلا الله.

قال ابن الأثير: «وقد تكرر في الحديث ذكر الطيب والطيبات، وأكثر ما يرد بمعنى الحلال، كما أن الخبيث كناية عن الحرام» (٣).

فالطيب في اللغة هو كل ما تستلذه الحواس أو النفس، كما يطلق الطيب على ما خلا من الأذى والخبث، ويوصف بالطيب من تخلى عن الرذائل وتحلى بالفضائل، ويطلق الطيب في الشرع على الحلال المستلذ من الأطعمة.

الوقفة الثانية: الطيب ما أحله الله تعالى

ينبغي العلم أن الطيب ما أحله الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ

﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ (المائدة:٤)، فليس كل ما تستلذه الأنفس وتقبله العقول يكون طيبا في الشرع، فالطيب ما أحله الله تعالى، والخبيث ما حرمه سبحانه، ومن مهام النبي ﷺ بيان الحلال والحرام والتمييز بين الطيب والخبيث كما قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ (الأعراف:١٥٧)

قال ابن كثير: أي يحل لهم ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر، والسوائب، والوصائل، والحام ونحو ذلك مما كانوا ضيقوا به على أنفسهم، ويحرم عليهم الخبائث، قال ابن عباس: كلحم الخنزير والربا، وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله تعالى.

وقال بعض العلماء: كل ما أحل الله تعالى، فهو طيب نافع في البدن والدين، وكل ما حرمه، فهو خبيث ضار في البدن والدين (٤).

قال الشيخ ابن عثيمين: إن الإحلال والتحريم ليس للعباد، بل هو إلى الله عز وجل، وقد حذرنا الله عز وجل من أن نحلل أو نحرم بأهوائنا فقال: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ (النحل:١١٦).

ورسول الله ﷺ لا يستقل بالتحليل أو التحريم، وقد صرح النبي ﷺ بذلك حيث قال للصحابة: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مساجدنا»، فذهب الصحابة يقولون: حرمت حرمت، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم: «إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها» (٥).

ولهذا نهى الله تعالى عن تحريم الطيبات فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (المائدة:٨٧).

قال الشوكاني: الطيبات هي المستلذات مما أحله الله لعباده، نهى الذين آمنوا عن أن يحرموا على أنفسهم شيئا منها، إما لظنهم أن في ذلك طاعة لله وتقربا إليه، وأنه من الزهد في الدنيا لرفع النفس عن شهواتها، أو لقصد أن يحرموا على أنفسهم شيئا مما أحله لهم كما يقع من كثير من العوام من قولهم: حرام علي، وحرمته على نفسي ونحو ذلك من الألفاظ التي تدخل تحت هذا النهي القرآني.

قال ابن جرير الطبري: لا يجوز لأحد من المسلمين تحريم شيء مما أحل الله لعباده المؤمنين على نفسه من طيبات المطاعم والملابس والمناكح، ولذلك رد النبي ﷺ التبتل على عثمان بن مظعون.

فثبت أنه لا فضل في ترك شيء مما أحله الله لعباده، وأن الفضل والبر إنما هو في فعل ما ندب الله عباده إليه، وعمل به رسول الله ﷺ، وسنه لأمته، واتبعه على منهاجه الأئمة الراشدون (٦).

قال الطاهر بن عاشور: «وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ تنبيه لفقهاء الأمة على الاحتراز في القول بتحريم شيء لم يقم الدليل على تحريمه، أو كان دليله غير بالغ قوة دليل النهي الوارد في هذه الآية» (٧).

الوقفة الثالثة: الطيبات من نعمة الله تعالى على عباده

امتن الله تعالى في آيات كثيرة على عباده بأنه رزقهم من الطيبات منها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء:٧٠).

قال ابن سعدي: وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره؛ حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة.

﴿وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ﴾ على الركاب من الإبل والبغال والحمير والمراكب البرية، وفي ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾ في السفن والمراكب، ﴿وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من المآكل والمشارب والملابس والمناكح. فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير (٨).

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (غافر:٦٤).

قال ابن كثير: «أي: فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم، ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أي: من المآكل والمشارب في الدنيا. فذكر أنه خلق الدار، والسكان، والأرزاق، فهو الخالق الرازق» (٩).

بل إن الهداية إلى القول الطيب بالمعنى العام هي توفيق من الله تعالى، كما قال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ (الحج:٢٤).

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾
يقول جل ثناؤه: وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد، وطريقه: دينه دين الإسلام الذي شرعه لخلقه وأمرهم أن يسلكوه» (١٠).

الوقفة الرابعة: أمر الله سبحانه بتحري الطيب كسبا وتصرفا

فأمر سبحانه بالأكل من الحلال الطيب فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ (البقرة:١٦٨).

قال الطبري: «يعني تعالى ذكره بذلك: يا أيها الناس كلوا مما أحللت لكم من الأطعمة على لسان رسولي محمد ﷺ فطيبته لكم» (١١).

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ (البقرة:١٧٢).

قال القرطبي: «هذا تأكيد للأمر الأول يعني قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾، وخص المؤمنين هنا بالذكر تفضيلا. والمراد بالأكل الانتفاع من جميع الوجوه» (١٢).

وأمر سبحانه بالإنفاق من الطيب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٢٦٧).

قال ابن عباس: «أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيه، وهو خبيثه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» (١٣).

الوقفة الخامسة: عاقبة الطيب الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة

بين القرآن الكريم أن جزاء طيب الاعتقاد والعمل هو الحياة الطيبة كما قال تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

قال ابن كثير: «هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا - وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت» (١٤).

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾ (إبراهيم:٢٤ و٢٥).

قال الشيخ ابن سعدي: هي شهادة أن لا إله إلا الله، وفروعها كشجرة طيبة، وهي النخلة، أصلها ثابت في الأرض وفرعها منتشر في السماء وهي كثيرة النفع دائما.

﴿تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا﴾ أي: ثمرتها كل حين ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ﴾ فكذلك شجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علما واعتقادا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائما، يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينتفع غيره (١٥).

وبين سبحانه عاقبة الطيبين فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٣٢).

قال ابن عاشور: «والطيب: بزنة فيعل، مثل قيم وميت، وهو مبالغة في الاتصاف بالطيب، وهو حسن الرائحة، ويطلق على محاسن الأخلاق وكمال النفس، فقوله تعالى هنا: ﴿طَيِّبِينَ﴾ يجمع كل هذه المعاني» (١٦).

وقال القرطبي: و﴿طَيِّبِينَ﴾ فيه ستة أقوال: الأول: طيبون طاهرون من الشرك، الثاني: صالحون، الثالث: زاكية أفعالهم وأقوالهم، الرابع: طيبو الأنفس ثقة بما يلقونه من ثواب الله تعالى، الخامس: طيبة نفوسهم بالرجوع إلى الله. السادس: طيبون أن تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة فيها ولا ألم؛ بخلاف ما تقبض به روح الكافر والمخلط» (١٧).

فنسأل الله تعالى أن يطيب قلوبنا وأعمالنا وعاقبتنا إنه سميع مجيب.

الهوامش

١- المعجم الوسيط، مادة (طاب)،٢/٥٩٣.
٢- معجم مقاييس اللغة، مادة (طيب)، ٣/٤٣٥، ابن فارس، ط٢، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٩م.
٣- لسان العرب، مادة (طيب)، ١/٥٦٢، ابن منظور، إيران: نشر أدب الحوزة. ١٤٠٥هـ.
٤- تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٥١، ابن كثير، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٢م.
٥- تفسير سورة المائدة، ١/٥٩، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ، والحديث أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب نهي من أكل ثوما أو بصلا، حديث ٥٦٥.
٦- فتح القدير، ٢/٦٩.
٧- التحرير والتنوير، ٧/١٦، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر.
٨- تيسير الكريم الرحمن، ص٤٦٣، ط٥، الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي، ٢٠٠٠م.
٩- تفسير القرآن العظيم، ٤/٨٦.
١٠- جامع البيان، ١٨/٥٩٤، الطبري، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.
١١- جامع البيان، ٣/٣٠٠.
١٢- الجامع لأحكام القرآن، ٢/٢١٥، القرطبي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، سنة١٩٦٧م.
١٣- تفسير القرآن العظيم، ١/٣٢٠.
١٤- تفسير القرآن العظيم، ٢/٥٨٥.
١٥- تيسير الكريم الرحمن، ص٤٢٥.
١٦- التحرير والتنوير، ١٥/١٤٤.
١٧- الجامع لأحكام القرآن، ١٠/١٠١.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

حوار: محمد عويس
القاهرة

فهم التراث وتقويمه يحتاجان إلى ثقافة واسعة ومتنوعة وعميقة

شخصية العام التراثية: بشار عواد معروف

ولد الدكتور بشار عواد معروف ببلدة الأعظمية ببغداد في الأول من شعبان ١٣٥٩هـ، الموافق الرابع من سبتمبر ١٩٤٠م، نال درجة الماجستير من جامعة بغداد ١٩٦٤م، والدكتوراه ١٩٧٦م، وهو عضو مجامع اللغة العربية في العراق، والأردن ودمشق، وتولى رئاسة قسم التاريخ بآداب بغداد (١٩٨٠- ١٩٨١م)، وجامعة العلوم الإسلامية (١٩٨٩- ١٩٩٢م)، وأشرف على مشروع التفسير الكبير (واحد من مشروعات مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي).
له العديد من المؤلفات والبحوث في شتى حقول المعرفة التراثية، ومئات النشرات النقدية للنصوص التراثية، منها: أهل المئة فصاعدا للذهبي (١٩٧٣م)، وتهذيب الكمال للمزي (١٩٨٠م)، والجامع الكبير للترمذي (١٩٩٦م)، وسنن ابن ماجه (١٩٩٨م)، وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزي (١٩٩٩م)، وتاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي (٢٠٠١م)، وذيله كاملا (٢٠٠٧م)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٢٠٠٣م). وقد اختير معروف شخصية العام التراثية ضمن احتفالية يوم المخطوط العربي للعام ٢٠١٦م، وكان لـ «الوعي الإسلامي» معه هذا الحوار:

● اختياركم شخصية العام التراثية ماذا يمثل لكم؟

- اختيارنا شخصية عام ٢٠١٦م التراثية هو تتويج للجهود المستدامة في خدمة التراث امتدت لأكثر من نصف قرن، حيث كان أول كتاب حققته قد مضى على صدوره نصف قرن، سنة ١٩٦٦م، ولم أنقطع عن هذه الخدمة في سنوات حياتي كلها، فكان من نتيجة ذلك أنني أصدرت أكثر من ثلاث مئة مجلد بين تأليف وتحقيق، وآمل أن أستمر على هذا النهج بقية عمري، وأسأل الله جل في علاه أن يمن علي بشيء من الصحة تعينني على إنجاز ما في ذهني من مشاريع.

● لماذا يرى كثير من المثقفين أن التراث يعد هو السؤال الصعب في الثقافة؟

- إن فهم التراث وتقويمه يحتاج إلى ثقافة واسعة ومتنوعة وعميقة؛ فيصعب على أحادي الثقافة إدراك

مضامينه وأهميته، وآية ذلك أن هذا التراث هو تجربة الأمة على أنحاء شتى من المعارف الإنسانية، حديثية، وفقهية، وتاريخية، وأدبية، وعلمية، وفكرية في اتجاهات متنوعة، تنتظمه وحدة في الأصول وتنوع في الاتجاهات والأفكار، ومن ثم فإن من لا يتمتع بتنوع الثقافة وتعمق فيها يجد صعوبة بالغة في تقويم هذا التراث وفهمه، فضلا عن أننا يتعين أن نفصل بين ما هو مقدس، وما هو غير مقدس، فالشريعة بمكونيها: القرآن والسنة الثابتة عن المصطفى ﷺ مقدسة وهي ليست تراثا كما يظن بعض الناس، فهي لا تقبل الطعن، فالكتاب العزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من العزيز الحميد، وقد تولى الله حفظه بنفسه، ولم يَكِل ذلك إلى أحد من خلقه، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(الحجر:٩)، فظهر مصداق ذلك مع طول المدة وامتداد الأيام وتوالي الشهور وتعاقب السنين، وانتشار أهل الإسلام واتساع رقعته. وأما السنة، فإن الله تعالى وفق لها جهابذة عارفين وصيارفة ناقدين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتفننوا في تصنيفها ونفوا عنها كل دخيل، ووضعوا المناهج النقدية التي لم تعرضها أمة من الأمم.

أما التراث فهو نتاج العقل المسلم، ومنه فهم هذه الشريعة بشقيها واستنباط الفوائد والعوائد منها، مما يحتاجه الإنسان في دنياه وآخرته، وهو الفقه والفكر، وفيهما تتنوع المناظير والرؤى وتتباين الأنظار والأفكار بما رزق الله كل عالم ومفكر من علم وقدرة على الإدراك.

ومنه ما انتجته قرائح العلماء والأدباء والمفكرين والشعراء من بنات الأفكار، مما نجد فيه الأصيل المبتكر والمعاد المكرور، الغث والسمين، وكله يمثل تجربة الأمة وخزين فكرها.

ولعل من أكثر الأمور أهمية هو الفصل ما بين المقدس وغير المقدس، ما هو قابل للنقد والرفض، وما هو غير قابل لذلك. ومما يؤسف عليه أننا نجد في أيامنا هذه خلفا بين الاثنين، وسببه ضحالة الثقافة عند هؤلاء الخالطين، لا سيما الثقافة الشرعية والتاريخية.

● هل تعد قضية أو مسألة تحديد هوية التراث من ضمن الصعوبات التي تواجهنا في التعامل مع التراث؟

- أبرز الصعوبات التي تواجهنا في العناية بالتراث هو انتشار دور النشر التجارية التي طبعت الكثير من المخطوطات من غير تحقيق، أو عهدت بتحقيقها على أغمار لا ناقة لهم ولا بيضة في هذا العلم، فظهرت مئات الكتب محرفة مشوهة عن مخطوطاتها لم تقرأ نصوصها قراءة سليمة ولا فهمت فهما قويما.

ثم وجدنا عشرات النصوص بالغ القائمون على نشرها بالتعليق عليها بما لا حاجة إليه ولا مسوغ له، فإنهم يريدون تفخيم النص الذي ينشرونه أو توبلته ليظهر وكأنه قد بذل فيه من الجهد ما ينبغي أن يقدر ويحترم فيشترى، مع أن متونها مليئة بالتصحيف والتحريف الذي لا يمكن إحالته على سبب من الأسباب.

ومعلوم أن الهدف من تحقيق النصوص هو تقديم نص صحيح مطابق لما كتبه مؤلفه وارتضاه في آخر حياته وتوثيقه نسبة ومادة، والعناية بضبطه وتوضيح دلالاته التي قصدها مؤلفه.

إن هذا الأمر يتطلب جمع النسخ الخطية لما يراد تحقيقه من خزائن الكتب بالخافقين، ودراستها، واختيار المناسب منها للتحقيق، ثم المقابلة بينها، وترجيح الصواب الذي كتبه مؤلف النص بعد تعليل هذا الترجيح، وتوحيد الانتساخ، وتنظيم مادة النص من حيث بداية الفقرات، وإظهار مناجم النص والإشارة إليها والإحالة عليها، فضلا عن تتبع المقتبسين منه، لأن كل مقتبس كان يملك نسخة أو اطلع على نسخة خطية من هذا النص، ثم ضبط النص بالحركات مما يدفع اللبس عنه ويظهر معانيه المقصودة.

● ما أبرز الصعوبات التي تواجه الباحث في مجال تحقيق المخطوطات؟

- أرى أن الصعوبات التي تواجه تحقيق النصوص هو عدم توفر المختصين بها، وآية ذلك أن كل نص لابد له من متخصص فيه، عالم بموضوعه، واقف على إشاراته وإثاراته، يمكنه تمييز مصطلحاته وأساليبه النابعة من عمق المعرفة بالعلم الذي يتناوله. ولذلك طالما دعونا إلى أن التحقيق ينبغي أن يقوم به صفوة العلماء كل في موضوع اختصاصه، فيقوم علماء الحديث مثلا بتحقيق الكتب الحديثية، وعلماء الفقه بتحقيق الكتب الفقهية، وعلماء الجغرافية بتحقيق الكتب الجغرافية، وهلم جرا في كل علم من العلوم، بعد أن يتقنوا فن التحقيق وأصوله في دراسة علمية يشرف عليها أساتذة متخصصون قضوا جل أعمارهم في خدمة هذا الميدان، يملكون من التجربة والخبرة والكفاية ما يؤهلهم لذلك، إذ ليس كل أحد في مكنة تدريب من يرغب في ولوج هذا الميدان.

● يرى البعض أن مخطوطات التراث الفكري العربي حظيت بالاهتمام والعناية دون مخطوطات التراث العلمي، ما تعليقكم على ذلك؟

- إن مخطوطات التراث العلمي بطبيعتها قليلة قياسا بمخطوطات التراث الفكري، ولذلك يبدو أن العناية بها قليلة، وليس الأمر كذلك، فقد اعتنى بعض المحققين المختصين بهذا الجانب عناية متميزة في مثل هذه المخطوطات. إن الأعمال التي قام بها الأستاذ الدكتور رشدي راشد، والأستاذ الدكتور فؤاد سزكين، وغيرهما لتشهد بعناية متميزة بهذا التراث، وما أظن أن الكثير من المخطوطات العلمية لم يحقق ويعتنى به، ومن ثم فإن هذه المقالة غير دقيقة.

د. مجدي محمد حسن
إمام وخطيب في وزارة
الأوقاف الكويتية

المسلم بين متعة الثقافة وثقافة المتعة!

«من جهل شيئًا عاداه».. «ما لا يدرك كله لا يترك جله».. «العلم بالشيء فرع عن تصوره».. «العلم بالشيء ولا الجهل به».

كلمات كانت دائما تنطلق من أفواه مشايخنا وعلمائنا في قاعات الدرس لتحفيز الطلاب على الحرص على الإمساك بأي معلومة في شتى التخصصات؛ فحيازة المعلومات نماء وزيادة وبناء للعقل والفكر، واقتناء المعارف أمر يسر ويبهج ويجد العقل فيه ضالته التي ينشدها، وهو أمر تهش له النفس وتأنس به. وروي: «الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها».

وقد ألمح النبي ﷺ إلى هذه المعاني الجميلة في كلمة واحدة، عندما سأل أحد أصحابه عن أعظم آية في كتاب الله.

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري

أي آية من كتاب الله معك أعظم؟».
قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾. فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر».
ليهنك: أي هنيئا لك، ونافعا لك، ورافعا لذكرك.
فبين النبي ﷺ أن العلم والمعرفة يثمران، ويؤديان إلى الأنس والسعادة والسكينة وراحة البال.
من ثم نستطيع القول إن الثقافة متعة، من حيث إنها تدخل بنا إلى سوق المعلومات وبورصة المعارف، فتأنس الأرواح، ويجد العقل بغيته.
وأرى أن الدراسات التي أحاطت بالقرآن فتحت مجالات علمية وثقافية، وأتاحت معارف شيقة ممتعة تجذب العقول وتشغلها، وتأخذ بأيديها إلى معارف ومعلومات لا تتناهى، وهي في حقيقة الأمر كالبحر الذي لا ساحل له.
ومن عشق وأدمن قراءة التفسير بأنواعه، وعلوم القرآن، والتفسير الموضوعي، وتفسير آيات الأحكام، ورأى مدارس التفسير عبر التاريخ والعصور المختلفة، يدرك ذلك تمام الإدراك.
وكذلك ما أحاط بالسنة الشريفة من دراسات متنوعة في تصنيفها وتفسيرها وشرحها، وعلوم الحديث، ليدرك تماما مقدار ما سطرته الأقلام في مجال الحديث الشريف، وما جمع حوله من معان وشروح وحكم وأحكام.
وقل مثل ذلك في علم الفقه وأصوله، وعلم العقيدة، والسيرة، والتاريخ، والأدب، واللغة، والفلسفة الإسلامية، إن جاز هذا التعبير.. إنها بحار زاخرة بكائنات علمية حية في ذاكرتنا وعقولنا وجوارحنا، إنه تراث ضخم حوى شتى العلوم والمعارف والمعلومات.
وعندما أنظر إلى هذا التراث العظيم وقد اكتظت به أرفف المكتبات العامة والخاصة، أكاد أجزم أن هذا التراث العظيم آية من آيات الله على صدق رسالة الإسلام، فلا أرى ملة أو نحلة أحاطت بها مثل هذه المصنفات والمؤلفات، كثرة ودقة وعمقا.
بل إن كتائب المستشرقين في الغرب لم تجد تراثا عظيما تجري الأرزاق لهم من خلاله إلا في تراثنا الإسلامي!
إن انتباه المستشرقين إلى تراثنا الإسلامي والتفاتهم إليه لأكبر دليل على قدره ومكانته وعظيم ما حوى من علوم ومعارف، وإن خانت بعض أقلامهم بإثارة الشبهات حوله، فلأنه لا يقذف بالحجارة إلا الشجرة المثمرة!

كيف نصل إلى متعة الثقافة؟

كل كلمة في الوحيين وفي تراث الإسلام تدعو إلى جعل المسلم يتمتع بالعلوم والثقافة والمعلومات، تدعوه أن ينشدها كلذة وشهوة حتى تصل به إلى الحال إلى درجة العشق والهيام.
إن رسالة الإسلام حولت العلم والثقافة إلى ممارسة ممتعة، وينتقل بها من حيز المعرفة المجردة إلى حيز المعرفة المدعمة بالعمل، ولكي نصل بالمسلم إلى الاستمتاع بالثقافة كان لزاما علينا أن نحسن عرض بضاعتنا، وأن نطور ونجدد ونبتكر في عرض ثقافتنا بطريقة مشوقة تناسب الأعمار المختلفة، وعرض الفكر، مراعين فيه مقتضى الحال.
لابد أن تقتحم ثقافتنا كل بيت، وكل عقل، وكل جيل، لا عن طريق القراءة فحسب، بل بكل سبيل يوصل المعلومات؛ بالتمثيل.. بالبرامج الحوارية.. بالرسوم المتحركة.. بالألعاب. إن المعارف القيمة ذات القدر عندما تلتقي بتكنولوجيا العرض والتسويق لابد أن تجد رواجا وانتشارا وقبولا وإقبالا من الناس.

ثقافة المتعة

ثقافة المتعة: المراد بها الثقافة الماجنة، الثقافة التي ترتكز على إشباع جوانب المتعة الحسية.
إنها ثقافة تعمل جاهدة على تحويل العقول والجهود والأوقات إلى طاقات مهدرة، فتخلق وتنشئ حالة من الدعة والكسل والتراخي، ومن ثم ترك الواجبات الدينية والحياتية فتندثر حقائق الحياة وسط هذه الترهات.
إن ثقافة المتعة تروج للإلحاد، وجحود الأديان، والتحلل منها، وتروج للإفساد في الأرض، والتحلل من الأخلاق بشتى السبل في محاولة مستميتة للوصول إلى هدفين: الصد عن سبيل الله، والتفسخ الأخلاقي وضرب الأمة في مواطن عفتها، مستغلة الفراغ الذي يحيط ويغشى عقول البعض.
إن ثقافة المتعة تهدف إلى إهدار الأوقات والأعمار، للكبار والصغار على حد سواء، فتصبح البنية الفكرية عندهم خاوية على عروشها، فتتقبل الغث والسمين، والضار وغير المفيد من علوم لا تعود عليهم بالنفع.
إن ثقافة المتعة أحرزت تقدما ملموسا في جانب الترويج للإلحاد، والعلمانية، والانحلال، والتفسخ الأخلاقي، والإباحية للمتعة الجنسية بغير قيود ولا شروط.
حتى وصل الحال في أدبيات ثقافة المتعة إلى عدم التورع عن وصف تفصيلي لأحد الأنبياء يصورونه بعمل الفاحشة! ضاربة بعصمة الأنبياء عرض الحائط!
إن ثقافة المتعة تأخذ بأيدي مريديها إلى الانغماس في الوحل، والطين، والحمأ المسنون، والبعد عن هدايات السماء.
أما متعة الثقافة فتأخذ بأيدي أصحابها إلى العلو، والارتقاء إلى عالم النور، والعلم، والإشراق، والإبداع، وهذا سبيل للمؤمنين.

د. آندي حجازي
تخصص علم النفس التعليمي

لماذا تهتم الدول المتقدمة بالتعليم؟

لقد أدركت الدول المتقدمة في العصر الحالي أن العلم هو أساس رقي الشعوب وتطورها، وأن به تبنى الحضارات والإبداعات والتطور، فهو أساس التفوق والتقدم والقوة والرقي، فالدول المتقدمة هي التي تمتلك زمام القوة وتمتلك عناصره ومفاتيحه وأدواته، ولذا كان تركيزها على العلم ومصادر وأساليب التعلم والتعليم، فخذ مثلا أثناء الحرب الباردة (حرب النجوم) بين دولتي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وعند إعلان الأخيرة إطلاق القمر الصناعي «سبوتنك ١»، أثارت دافعية الولايات المتحدة للتحدي والإبداع، فاتجهت للتركيز على التعليم، خصوصا للمواد العلمية كالرياضيات والفيزياء والعلوم بأنواعها، وصبت جل اهتمامها على أبنائها المتفوقين ودعمتهم حتى أعلنت في نهاية الستينيات من القرن الماضي هبوط أول صاروخ لها على سطح القمر.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل استمر التركيز على هذه المقررات الدراسية في مدارس الولايات المتحدة، وأصبحت تهتم بتنمية قدرات التفكير الإبداعي، والتفكير الناقد، وتفكير حل المشكلات، والتفكير العلمي، والتفكير المتشعب؛ رغبة في التوصل إلى نواتج جديدة ومثيرة تحل العديد من المشكلات، فتطورت مثلا صناعة السيارات والقطارات والطائرات والحاسبات والبنى التحتية والبنيان، وانتقلت عدوى الاهتمام بالمدارس والجامعات

والتعليم إلى الدول الأخرى، خصوصا بعد أن تخلصت الشعوب من براثن الحروب العالمية وويلاتها في القرن الماضي، وأضحت تبحث عن التقدم والإصلاح والإنتاج بدلا من الدمار والانهيار والتخلف!
فبعد أن عانت الكثير من الدول من كوارث الحربين العالميتين الأولى والثانية، كألمانيا واليابان وفرنسا وبريطانيا وألبانيا وتركيا وغيرها، ووصلت إلى حد الدمار لكثير من مناطقها ومدنها، أدركت أن عليها إعادة البناء والإعمار بأسرع وقت وعلى أفضل حال، وإلا فإنها ستكون عرضة للانهزام والزوال والاحتلال، ولكي يتم هذا البناء في أقصر زمن لابد من تركيز الاهتمام على العقول وبناء الأدمغة، وبناء شخصية الإنسان السوية من أجل رفع شأن الوطن، ولكن الغريب أن هذا التحول والتقدم وإعادة الإعمار لبلدانهم المدمرة تم بسرعة هائلة، حيث إن استجماع قواهم لم يأخذ زمنا طويلا، بل تجد جميع تلك الدول اليوم في تصنيف الدول المتقدمة والجميلة والمنظمة والمخططة بشكل عصري وحضاري، فمن أين بدأت، وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم؟!

بناء شخصية الإنسان في الدول المتقدمة

إن بناء شخصية الإنسان بشكل متوازن يتطلب التركيز على العلم والتعلم والتربية لتنمية جميع جوانب النمو لدى الإنسان، فالشخصية الإنسانية تتكون من جانب معرفي (عقلي)، وجانب وجداني (انفعالي)، وجانب مهاراتي (حركي)، ولابد أن تسير عملية البناء للفرد بصورة متوازية جنبا إلى جنب، ومستمرة، ومتكاملة بعضها مع بعض؛ لأن أي خلل في أي واحد من هذه الجوانب سوف يخلق شخصية إنسانية غير سوية وغير مكتملة النضج، وبالتالي لن تكون فاعلة ومؤثرة في البناء الاجتماعي.
ولذا صبت تلك الدول جام اهتمامها على التعليم المتميز لأبنائها، ولم تدخر وسعا في ذلك، فبنت المدارس والجامعات والمعاهد، وعملت على تسهيل العملية التعليمية وتوفير أدواتها ولوازمها، وتدريب المعلمين تدريبا جيدا وتعليمهم استراتيجيات جديدة في التدريس أكثر فاعلية وجاذبية، مع إعطائهم الرواتب المجزية والاحترام اللازم في المجتمع، فلا فرق بين راتب الطبيب والمعلم. ومن هنا أصبح المعلم يدرس بارتياح وبإخلاص متناه، وأصبح يعكف على التعليم بكل ما أوتي من قدرات لينقل خبراته ومعارفه بكل إخلاص ومحبة للطالب وللمهنة. ومن هنا بدأ دور المدارس، حيث عكفت على تطوير المناهج واستراتيجيات التعليم وطرق التفكير، وأصبحت توفر كل السبل التي تجعل الطالب يشعر بالمتعة والراحة والأمن، وتساعده على التحصيل وتنمية مواهبه وقدراته، وبالفعل نجحت في ذلك، فظهر الكثير من العلماء والمفكرين والمخترعين.
والتعليم الحقيقي الفاعل اليوم لم يعد مقتصرا على الجانب المعرفي وتنمية القدرات العقلية فحسب، كصب المعلومات في عقول الطلبة كما يحدث في بلداننا العربية، بل يهتم بالجانب الوجداني الانفعالي الذي يتضمن الاهتمام بالعواطف والمشاعر والانفعالات والقيم والجوانب السلوكية للطالب، ومن هنا تميزت تلك الدول المتقدمة في تعليم أبنائها بالانضباط واحترام الذات واحترام شخصية الآخر، وتقدير قيمة الوقت، ورفع شأن العلم، وأهمية الإنتاج وقيمة النواتج، واستغلال الدقائق والساعات فيما يفيد، والتشجيع على القراءة والخوض في غمار الكتب، لأن أي إبداع جديد يحتاج إلى المعرفة، ففاقد الشيء لا يعطيه، ولن تقوم قائمة أي شعب لا يؤمن بأهمية القراءة، لأنه لابد من البناء على ما توصل إليه السابقون حتى لا نعود لنقطة الصفر في كل عصر، فهذا ليس من المنطق أو الحكمة.
والجانب الآخر المهم الذي أولت الدول المتقدمة اهتمامها به في مدارسها هو الجانب المهاراتي للإنسان، ومن هنا رصدت أموالا طائلة من أجل تدريب الجوانب الفنية والحركية والمهاراتية لدى الإنسان، فخصصت حصصا كثيرة للرياضة والفن والجانب المهني والصناعي والحركي والإيقاعي.. من أجل تنمية تلك المهارات، بل وظهرت نظريات كثيرة في علم النفس التعليمي، تبين أهمية التركيز على جوانب النجاح والقوة لدى الفرد، فمثلا ظهرت نظرية الذكاء الناجح للعالم ستيرنبيرغ، الذي بين في نظريته أن الذكاء الناجح يتكون من ثلاثة أنواع من الذكاء: الذكاء الأكاديمي، والذكاء التحليلي، والذكاء الميكانيكي (المهاراتي)، والتي من خلالها يتم الاهتمام بجوانب القوة لدى الفرد، فقد يكون متميزا في واحد فقط

من هذه الثلاثة أو في اثنين منها، ونادرا ما يكون إنسانا متميزا بكل أنواع الذكاء على حد سواء.

وظهرت نظرية الذكاء المتعدد للعالم جاردنر الذي اقترح أن الذكاء يتكون من عشرة أنواع، منها اللغوي والرياضي والحركي والموسيقي والروحي.. وعلى المعلمين في المدارس إدراك ما لدى الطالب من قدرات وذكاء متميز من أجل التركيز عليها وتنميتها وتدريبها لتوظيفها والوصول بها لأقصى إمكاناتها، ومن هنا ظهر الكثير من المنتجين والمبدعين وأصحاب براءات الاختراع.

المدارس وبناء شخصية الطالب

الأطفال لا يتعلمون بأسلوب واحد أو طريقة واحدة، وهذا الفرق بين التعليم في دولنا العربية والتعليم في الدول المتقدمة، حيث أدركوا في الأخيرة أن لكل طفل أسلوبه في التعلم، وأن لكل طفل مهارات ومواهب وميولا ورغبات تختلف عن الآخر، فقاموا بتنويع أساليب تعليمهم وطرقه، فاستخدموا، على سبيل المثال، في التعليم اللعب والمسرح والدراما والمسابقات والمناظرات والحوارات والتجارب المختبرية والزيارات الميدانية والرحلات الاستكشافية... ليصبح التعليم ممتعا مشوقا لديهم ومثمرا.

ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى مناهج جديدة تلبي حاجات أبنائنا وثقافتهم وشخصيتهم وتراعي التغيرات المتسارعة في هذا العصر، وتهتم بجوانب القوة لدى أبنائنا الطلبة وتهتم بميولهم ورغباتهم، وتعطي الطالب مساحة من الحرية والتعبير عن الذات والتفكير بطلاقة ومرونة،

ونحن بحاجة إلى إعادة تأهيل مدارسنا وتسهيلاتها، وتأهيل معلمينا وتدريبهم على أساليب جديدة غير بيروقراطية في التعليم، أساليب تشجع المعلم قبل الطالب على الإبداع والتفهم لحاجات الآخر وقدراته، لأن الطلبة لن يتذكروا في المستقبل الكثير من المعلومات التي صبها المعلم في عقولهم صبا؛ بل سيتذكرون المعلومات التي تفاعلوا بها وكانوا جزءا من إنتاجها والحصول عليها والتفاعل المهاراتي والوجداني معها.

ولذا التعليم في مدارسنا مازال أصم بعيدا عن حاجات أبنائنا وتوقعاتهم وبناء شخصياتهم، ولذا سبقتنا الدول المتقدمة في هذا العصر كسنغافورة وماليزيا وكندا وأوروبا وأميركا واليابان وكوريا. فعلينا أن نتعلم من تجاربها، فكثير منها بدأت من الصفر فقامت باستغلال المورد الأول لديها وهو الإنسان، فعمدت إلى التركيز على التعليم وعقول أبنائها حتى تميزوا وأبدعوا كما في كوريا الجنوبية وسنغافورة وفنلندا وكندا.

الإسلام طريق العلم

علينا كأمهات وآباء ومعلمين أن نزرع في نفوس أبنائنا حب العلم وأهمية التعلم من أجل الإنتاج وإعمار الأرض، فالله تعالى فرق بين المتعلم وغير المتعلم في الدرجات فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر:٩). والجواب أنهم بالتأكيد لا يستوون، فهناك فرق كبير بين المتعلم والجاهل في كل النواحي، كطرق تفكيره ومواهبه وإنتاجاته ومكانته وتقديره في المجتمع.

ومن عظمة الإسلام أنه حث على العلم والتعلم، فقال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم). وقال ﷺ: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» (رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني). فهل من حث أفضل من ذلك على أن يكون طريق العلم طريقا وبابا إلى الجنة؟ أي دين أعظم من هذا الدين الذي شجع على العلم والعمل واستغلال الوقت وعدم الجلوس في المسجد انتظارا للمعونة؟

والمسلمون القدماء فهموا الدين الإسلامي ومتطلباته وتعاليمه بشكل سليم صحيح، فأدركوا أن الإسلام الحقيقي يتضمن التشجيع على السعي في إصلاح الأرض وتوظيف مواردها، وعلى التعلم لعلوم الدين والدنيا معا، فانكب الكثير منهم على دراسة العلوم الدينية، كعلوم التفسير للقرآن الكريم والحديث النبوي والفقه واللغة العربية وقواعدها، وألفوا مؤلفات في تلك العلوم، وكذا أبدعوا في علوم الدنيا، كالطب والصيدلة والفلك والرياضيات والكيمياء والبصريات والجغرافيا والجيولوجيا والتاريخ... فظهر علماء أفاضل كانوا سببا في الرقي والتقدم البشري، وأخذت أوروبا في عصور النهضة مؤلفاتهم لتدرسها لأبنائها، كالكتاب الشامل في الطب لابن النفيس، وكتاب القانون في الطب لابن سينا، وكتاب الحاوي في الطب للرازي، ومؤلفات ابن البيطار وجابر بن حيان في الصيدلة والكيمياء، والإدريسي في الجغرافيا، والخوارزمي في الرياضيات وعلم الفلك، وهذا لم يعن قصورهم في علوم الدين بل كانت لهم مؤلفات ورسائل في ذلك.

وكذلك لا ننسى فضل علمائنا الأجلاء الذين جمعوا الأحاديث النبوية من مصادرها ومن أفواه الصحابة أنفسهم، كما فعل البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه... الذين لولا جهودهم لضاعت الكثير من الأحاديث ولضعفت السنة النبوية، وكذا جهود علماء تفسير القرآن الكريم كابن كثير، وعلماء السيرة كابن هشام، وعلماء اللغة كسيبويه والأصمعي، وعلماء التاريخ والفتوحات وسير الصحابة وطبقاتهم... وكذلك لا ننسى كيف ظهرت المدارس في كل العصور الإسلامية وفي المدن المتطورة الإسلامية، كالقدس ودمشق وبغداد وتونس والمغرب التي كانت تخرج طلبة العلم وترفدهم لمجتمعاتهم.

وما أمس حاجتنا اليوم إلى أن نقتدي بهؤلاء العظماء، فهم أسوة لنا، وأن ننهل من نهجهم، وأن نعيد الثقة بنفوسنا ونفوس أبناء أمتنا، وفي أمتنا وقدرات أبنائها ومواهبهم فالله تعالى اختار الأمة العربية من بين جميع الشعوب لأنها أمة وسط، متزنة في أفعالها وأقوالها وسلوكياتها، فقبل الإسلام كانت جميع الشعوب والأمم غير العربية تتطاحن وتتصارع على السلطة، وكانت أخلاقيات الإنسانية ضعيفة، بينما كان العرب هم الأقل صراعا وتناحرا، واشتهروا بالكرم العربي والجود والشجاعة والنخوة والتعاون والتضحية والمرونة في التغيير، وقد جاء الإسلام ليتمم مكارم الأخلاق ويحث على العلم والتعلم والإنجاز وعدم الوقوف عالة على المجتمع.

فالعلم يبني بيوتا لا عماد لها
والجهل يهدم بيت العز والكرم

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

العلم وبناء الشخصية المسلمة

حين يرى المرء شهادات المستشرقين المنصفين للإسلام وحضارته، وقد تنوعت هذه الشهادات لتشمل كافة المظاهر والنظم المتعلقة بهذه الحضارة الخالدة، ومنها الجانب العلمي؛ فإن إحساسا من الاعتزاز والفخر يملك عليه نفسه.

فالمستشرق البريطاني الأشهر توماس أرنولد (ت ١٩٣٠م) يقول: «كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوربا في القرون الوسطى». أما مؤرخ العلم الأمريكي من أصل بلجيكي«جورج سارتون» (ت ١٩٥٦م) فيقول في كتابه «مقدمة في تاريخ العلم»: «إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فـ«الفارابي»أعظم الفلاسفة، و«المسعودي» أعظم الجغرافيين، و«الطبري» أعظم المؤرخين». (١)

ولم يكن اعتراف هؤلاء بأسبقية الجانب العلمي وإبداع المسلمين من فراغ، فإن مجرد النظر في أصول الإسلام وتجربته التاريخية تكشف لنا الأسباب التي جعلت المسلمين يبزغون في سماء العلم لقرون متطاولة!

أمة العلم.. «اقرأ»!

إن أول آية نزلت على نبينا قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، والقراءة أنجع الوسائل في تحصيل المعرفة، لكن القراءة في الإسلام انضبطت في هذه الآية بضوابط العقيدة والتوحيد بالإله الخالق وانطلقت منها، وإن الآيات البينات التي تبين آليات تحصيل العلم كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨)؛ فهذه الآية توضح النعمة التي يتنعم بها الناس؛ فكل إنسان يملك سمعا وبصرا وفؤادا قادر بلا شك على تحصيل العلم ونيله «والقرآن يعبر بالقلب ويعبر بالفؤاد عن مجموع مدارك الإنسان الواعية، وهي تشمل ما اصطلح على أنه العقل، وتشمل كذلك قوى الإلهام الكامنة المجهولة الكنه والعمل. جعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ حين تدركون قيمة النعمة في هذه وفي سواها من آلاء الله عليكم» (٢). فالله تعالى في هذه الآيات يبلغنا أن العلم نعمة، وإن أدوات تحصيل هذا العلم نعمة أخرى تستحق الشكر لكل متأمل.

وإن أحاديث النبي لا تخرج عن إطار آيات الله في كتابه المجيد، غير أنها تعطي لنا مزيدا من التبيان والتوضيح، فالعلم بدين الله أساس النهضة في التصور الإسلامي، وهو ما يكشفه لنا حديثه الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به، فعلم وعلم،

ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» (٣).

ولذلك أفنى عدد من الصحابة حياتهم في طلب العلم، وكانوا الأسوة للأجيال التالية من التابعين وغيرهم، فقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب العلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي يوما: «لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا». فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي مقالته ثم جمعتها إلى صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا، والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئا أبدا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠)﴾ (البقرة: ١٥٩-١٦٠) (٤).

وعن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: «خرجت أنا وأبي نطلب العلم في هذا الحي من الأنصار قبل أن يهلكوا» (٥)، وكان الوليد ابن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت من صغار الصحابة أيضا، إلا أن هذا المثال يبين لنا حرص هؤلاء الكبار على تعلم العلم وجمعه من مظانه، حتى إن الوالد والولد كانوا يخرجون سويا لطلب العلم!

ولقد أحصيت في كتابي «كيف ربى المسلمون أبناءهم، رحلة في تاريخ التربية الإسلامية» أمثلة كثيرة لجيل الصحابة كباره وصغاره، والآليات المتنوعة والفذة التي اتخذوها في ذلك العصر المبكر من تاريخ الإسلام لترسيخ العلم ونشره بينهم، حتى إن بعضهم كان يقدم من السفر الطويل المرهق لطلب حديث واحد من أحاديث رسول الله ﷺ (٦)، فقد «قدم رجل من المدينة النبوية على أبي الدرداء وهو بدمشق، فقال ما أقدمك يا أخي؟ فقال: حديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله. قال: أما جئت لحاجة؟ قال: لا. قال: أما قدمت لتجارة؟ قال: لا. قال ما جئت إلا في طلب هذا الحديث؟!» (٧).

طلاب العلم في حضارة الإسلام

وتبدو معاناة طلبة العلم في حضارة الإسلام ظاهرة فريدة متواترة، لكنها ظاهرة بذل هؤلاء الأعلام في سبيلها كل راحة ودعة حتى ينالوا العلم ولذته، وبهذا العلم نهضوا وبذوا وارتقوا.

والأمثلة على ذلك لا تحصى لكن حسبنا منها ما يفيد المقام، فقد ذكر الإمام الذهبي في ترجمة الإمام ابن المقرئ محمد بن إبراهيم الأصفهاني (ت٣٨٥هـ) قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ ابن حيان (أثناء طلبهم لعلم الحديث) بالمدينة، فضاق بنا الوقت – يعني فراغ أيديهم من النفقة، فواصلنا ذلك اليوم، أي صاموا ذلك اليوم إلى صيام اليوم الذي قبله، فلما كان وقت العشاء، حضرت القبر وقلت: يا رسول الله الجوع! فقال الطبراني: اجلس، فإما يكون الرزق أو الموت! فقمت أنا وأبو الشيخ – أي قاما يصليان لله تعالى – فحضر الباب علوي ففتحنا له الباب، فإذا معه غلام بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتموني إلى النبي : رأيته في النوم فأمرني بحمل شيء إليكم! (٨)

أما الإمام العلامة ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) فيروي عن نفسه بعض الشدائد التي نالته في بدء طلبه للعلم، وعن محامد صبره في تلك الشدائد، قائلا: لقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمن الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث وأقعد على نهر عيسى في بغداد، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم» (٩).

هذا النشاط من طلبة العلم في حضارتنا في طلب العلم الشرعي الشريف، لم يكن لينفك عن طلب العلوم الدنيوية بكافة مجالاتها؛ إذ كان المنهج العلمي يزداد رسوخا في الجانبين على السواء.

إن ذلك المنهج أشاد به المستشرقون، وعدوه ابتكارا لا يزال يثير الإعجاب والتقدير، وفيه تعترف المستشرقة الألمانية الشهيرة زيجرد هونكة فتقول: «لم يبدأ البحث العلمي الحق القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب. فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئيات إلى الكليات، وأصبح منهج الاستنتاج هو الطريقة العلمية السليمة للباحثين، وبرزت الحقائق العلمية كثمرة للمجهودات المضنية في القياس والملاحظة بصبر لا يعرف الملل، وبالتجارب العلمية الدقيقة التي لا تحصى اختبر العرب النظريات والقواعد والآراء العلمية مرارا وتكرارا؛ فأثبتوا صحة الصحيح منها، وعدلوا عن الخطأ في بعضها، ووضعوا بديلا للخاطئ منها متمتعين في ذلك بحرية كاملة في الفكر والبحث، وكان شعارهم في أبحاثهم: الشك أول شروط المعرفة. تلك الكلمات التي عرفها الغرب بعدهم بثمانية قرون» (١٠). وبهذه الشهادة الثمينة نختم حديثا عن بعض صور النشاط العلمي في حضارتنا، لعله يكون دافعا لأبناء جيلنا وعصرنا للانطلاق والنجاح.

الهوامش

١- عماد عجوة: شهادات استشراقية أنصفت الحضارة الإسلامية، على الرابط: http://www.hiramagazine.com

٢- سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر – القاهرة، ٤/٢١٨٦.

٣- البخاري، تحقيق مصطفى البُغا (ح٧٩)، ومسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (ح٢٢٨٢).

٤- البخاري (ح ٢٢٢٣).

٥- مسلم (ح ٣٠٠٦).

٦- محمد شعبان أيوب: كيف ربى المسلمون أبناءهم، رحلة في تاريخ التربية الإسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع – القاهرة، ٢٠١١م، ص١٣- ٤٨.

٧- سنن أبي داود، تحقيق محمد محي عبد الحميد (ح ٣٦٤١)، وسنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين (ح ٢٦٨٢).

٨- الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/٩٧٣، ٩٧٤.

٩- عبد الفتاح أبو غدة: صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، مكتب المطبوعات الإسلامية، الطبعة الثانية – حلب، ١٩٧٤م، ص٧٠- ٧٢.

١٠- زيجرد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، الطبعة الثامنة – بيروت، ١٩٩٣م، ص٤٠١.

القاهرة- عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

تمزج بين قيم الإسلام وإيجابيات العصر..

أبجديات شخصية الطالب المسلم

أد فروضك، اقرأ كل يوم كتابا، تعلم لغة جديدة، مارس هواية، التحق بدورة تعليمية، رتب غرفتك بطريقة جيدة، تغلب على مخاوفك، استيقظ مبكرا، اكتب رسائل بما تريد أن تصبح عليه في المستقبل، استشر الآخرين، سجل قائمة مهامك، تعلم ممن حولك، أقلع عن عاداتك السيئة، تجنب أصحاب الأفكار السلبية، اكتب يومياتك، ابدأ بتعلم لعبة استراتيجية، اترك الماضي للماضي، بادر إلى تحقيق طموحاتك؛ هذه مجموعة من النصائح التي يوجهها خبراء التنمية البشرية لمن يريدون أن يحصلوا على شخصية تتسم بالقوة والتوازن والإنجاز.

فماذا عن بناء شخصية الطالب المسلم؟ ما الذي ينبغي أن يكون عليه؟ وما أهم الأسس التي ينبغي أن تتوفر لديه لتمكنه من تحقيق ما يصبو إليه وما تأمله منه أمته؟ هذا ما نتعرف إليه في سياق التحقيق التالي:

«شخصية الطالب تتكون من تراكمات هرمية تزرعها البيئة التي يعيش فيها»، بهذه العبارة بدأ حديثه د. أحمد السمان، أستاذ أصول التربية في جامعة أسيوط، موضحا أن الأسرة والمدرسة لهما الجزء الأكبر في بناء شخصية الطالب؛ إذ يتلقى منهما الأساسيات التي ينطلق منها في حياته المستقبلية، ويتعرض لشتى المواقف التي تكون شخصيته.

انعكاس لقيم الإسلام

وأضاف د. السمان أن أغلب القيم والعادات العربية مأخوذة من الإسلام وتعاليمه، لاسيما انطلاق رسالته للعالم من أرض العرب، ومن ثم ترسخت في الشخصية العربية المسلمة سمات تميزهم عن غيرهم؛ كالكرم والشرف والإقدام.

وأشار إلى أن ضوابط وأحكام الشريعة تهتم بعقل الطالب وجسده وروحه، فأمرت بتعلم الرياضة والمشاركة في النشاط وإعداد الطلاب لكل ما يواجه الأمم، وإعلاء قيم الدين، حتى ولّى النبي ﷺ الصحابي الجليل أسامة بن زيد قيادة جيش المسلمين المتوجه إلى غزو الروم في الشام سنة ١١ هجرية وكان صغيرا لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.

وتابع مشددا على أن الإسلام يزرع في الطالب خصالا لا تكون إلا بالالتزام به، فلا خوف إلا من الله؛ فيتعلم الطالب القوة في الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم، بالإضافة إلى قول الحق وعدم الغش والاهتمام بالنظافة الشخصية والاهتمام بالوقت؛ فالإسلام يجعل شخصية الطالب ثابتة مهتمة بالمعرفة في إطار يحمي ويؤهل ويشجع على الثقافة القيمة المفيدة. وفي هذا الصدد، لابد من تفعيل الأسوة الحسنة والالتزام بالعبادات وتنمية روح العمل بإتقان، وكذا العزة من غير تكبر والثبات في العسر وفي اليسر والشجاعة الأدبية؛ فيعترف بخطئه إن أخطأ ويثبت على موقفه إن كان على الصواب.

د. السمان: يجب أن يكون انعكاسا لقيم الإسلام.. فلا غش أو إهمال أو تخاذل

وطالب د. السمان وزارات ومؤسسات التعليم والتربية في العالم العربي بأن يكون جل اهتمامها دمج تعاليم الإسلام في مناهج الأطفال وأن يكون لها تأثير كبير في التحصيل، بحيث يهتم بها الطلاب وأن لا تكون مجرد معلومات عامة كما هو حاصل الآن.

وأشار إلى ضرورة أن تكون هناك عقيدة في التعليم أساسها قوي، فنتعلم لخدمة الدين ونحفظ ونفهم لتعليم الأجيال.

وتابع: «هناك علاقة متبادلة بين التحصيل وبناء الشخصية؛ فالطالب الذي تربى على أهمية العلم لبناء الأوطان وإعمار الأرض تجده مقبلا على التفكير والإبداع والتحصيل، فيزيد من المعرفة التي تؤهله للنجاح، والشخصية التي نشأت في مجتمع هامشي مليء بالفساد قد يضع الله في طريقه معلما يساعده على التحصيل العلمي النافع فينمي شخصيته ويزيد من تأثيره في المجتمع.

إدراك وفهم وإبداع

بدوره، يؤكد د. حسن الشافعي، عضو هيئة كبار علماء الأزهر الشريف، أن الإسلام حث على العلم من خلال آيات كثيرة في القرآن الكريم وأحاديث عدة لرسول الله ﷺ؛ فقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١)، وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:٩)، وروى البخاري ومسلم عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»، وما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة».

وروى الترمذي في السنن عن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»، وورد عن النبي ﷺ أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وأضاف د. الشافعي في تصريح خاص: «علينا أن نفرق في هذا الموضوع بين العلم الشرعي وغيره من العلوم، فلكل ضوابطه، وبينهما ضوابط مشتركة، فالعلم الشرعي والعمل به هو الأصل، ويشترط في من اختار هذا الطريق الإخلاص والصبر والتدرج في أخذ العلوم وعدم العشوائية، واحترام من سبق والاستماع والأخذ بالنصيحة والتواضع والحذر من التعصب، ودراسة كل الفروق والاختلافات، وكذا التخصص والرفقة الحسنة المعينة الدالة على الخير».

وقال: «كل شيء في الدنيا يمكن فقده؛ لكن لا يملك أحد أن يخرج من صدرك وقلبك العلم، إذ يرفع الله به الناس، فكم من أناس لم نعرفهم إلا من خلال العلم، وهو السبيل إلى الدنيا والآخر.

وتابع: أما بالنسبة إلى العلوم الأخرى فيجب أن تكون على أساس مع العلم الأصل، وهو الشرعي، وضوابطه؛ فيستهدف منه نهضة الأمة والبعد عن الفساد والإفساد واستخدامها في نشر الدين».

وحث الشافعي الطلاب على البحث والقراءة في أمور الدين أولا ثم في علوم الدنيا ثانيا، مشيرا إلى أن تنشئة الطلاب تحتاج إلى ما هو أكثر من الحفظ، ويجب عليهم الإدراك والفهم والإبداع؛ من خلال تعلم وسائل البحث الجديدة ووسائل التطور الحديثة.

وشدد على ضرورة البدء في تعليم الطلاب اللغة العربية، وهي «الشخصية» التي هي أصل كل العلوم الشرعية وغيرها؛ حتى يكونوا ذوي هوية رصينة وشخصية قوية، مشيرا إلى أن وضع الطلاب في العربية سيئ ويؤثر على تحصيلهم العلمي في كل شيء.

وأشار إلى أن المبدأ الذي ينبغي أن يسري في عقول الطلاب وأساتذتهم هو خدمة الخلق والتواضع عند تقديم العلم وأخذه.

تغيير جذري

ويوضح د. إبراهيم أبوطاحون، رئيس قسم الآثار والحضارة بكلية الآداب جامعة حلوان، أن «الفروق الحضارية بين الشرق والغرب كثيرة، ونحن كعرب

د. الشافعي: التنشئة لا تقتصر على الحفظ.. بل تحتاج أيضا إلى إدراك وفهم وإبداع

نحتاج إلى سنوات طويلة حتى نصل إلى ما وصلوا إليه في العلوم والتكنولوجيا والتعليم والصحة والطرق والمواصلات والإعمار والتنظيم».

وأضاف بأن العرب القدماء أسسوا كثيرا من العلوم؛ لكن الأجيال التي تلتهم تأثرت بالغزو الثقافي وأصبحوا تابعين لا يأكلون مما يزرعون ولم يطوروا ففشلوا.

وأضاف أنه عندما نفرق بين الشرق والغرب في التعليم ونضع أسبابا لرقيهم في النظم التعليمية ينبغي أن نضع في حسباننا أمورا عدة؛ منها كفاءة ومسؤولية من علموهم، وهم المعلمون وتربيتهم وظروفهم، كذلك اقتصاد الدول ومخصصات التعليم وقدرتها على إحداث هذا التوازن.

وأكد أن العرب قديما اعتمدوا على التفكير والتأمل والجد والاجتهاد والحفظ والقراءة؛ فنجد نابغين مثل ابن سينا وابن الهيثم وابن فرناس، لكن في الوقت الحالي سقطت الأجيال في فخ الحفظ فقط وعدم التنفيذ وعدم مجاراة التطور الحديث، على عكس الغرب الذي اعتمد على الإبداع وعدم التلقين والخوض في كل المجالات والاستفادة مما سبق.

وتابع أبوطاحون: علينا أن نذكر إيجابيات أيضا للطلاب العرب، ففي ظل الغزو والفساد والتهميش يكسر طلاب عرب هذه الوحوش ويخترقون العالم ويصبحون نجوما متألقة في سماء العلم، كما يخدمون دينهم وأوطانهم وهم كثير، مضيفا: «علينا أن نأخذ في الاعتبار أيضا الشخصية العربية الإيجابية البعيدة عن الانحلال، الملتزمة بالأخلاق، بعكس الغرب تماما الذي اهتم بالعلم المادي فقط بلا روح أو أخلاق».

كما طالب بضرورة الحفاظ على الأجيال

المقبلة من خلال البدء في تغيير جذري في الأساليب التعليمية في المرحلة الابتدائية على مستوى العالم العربي ككل؛ تبدأ بأسلوب المعلم الحواري غير الملقن وغير الباحث عن المال، فضلا عن استخدام التكنولوجيا الحديثة في طرح الأفكار الإبداعية، بحيث يتعود الطفل على طرح الأفكار يوميا، وعلى العمل الجماعي وليس الفردي؛ ومن ثم خلق ثقافة القراءة داخلهم.

ثورة تعليمية

في السياق ذاته، أكد د. خالد حسني، الأستاذ في كلية الحاسبات والمعلومات جامعة الزقازيق، أن وسائل الاتصال الحديثة أحدثت ثورة في التعليم، ولكن هذا لا يعني الاستغناء عن الكتاب المدرسي؛ بل الاستفادة من الوسائل الأخرى بما فيها من إبداع، فالكتب التقليدية لا تجعل الطالب يتخيل التفاعل الكيميائي بين مادة وأخرى، بينما يمكن أن يشاهده عبر الوسائط المتعددة (فيديو أو صور)، فنجد أن هذه الوسائل تساعد الطالب على التحصيل والتفكير وثبات المعلومة.

وأضاف أن وسائل الاتصال الحديثة ساعدت في عملية الوصول إلى المعلومة وعدم الاعتماد على كل ما يكتب في الكتب المدرسية، التي قد تكون فيها أخطاء، مشيرا إلى أن هذه الوسائل قدمت خدمات هائلة لذوي القدرات الخاصة وإمكانية إعداد خرائط وتوضيح أماكن وإجراء تعديلات عدة على التمارين.

وأشار إلى تحليل إحصائي أجرته جامعة «جيمس كوليج» لـ٥٠٠ دراسة فردية متعلقة بالتعليم القائم على الحاسوب، ومن نتائجها الإيجابية: «في المتوسط، حقق الطلاب الذين استخدموا التعليم القائم على الحاسوب علامات أعلى في اختبار التحصيل، مقارنة بطلاب العينة الضابطة الذين تعلموا دون حواسيب. ويتعلم الطلاب أكثر في وقت أقل عندما يتلقون التعليم القائم على الحاسوب، كما أن الطلاب يحبون صفوفهم أكثر، ويظهرون مواقف أكثر إيجابية عندما تشمل صفوفهم التعليم القائم على الحاسوب».

د. أبوطاحون: أسلافنا اعتمدوا على التأمل والجد والاجتهاد والحفظ والقراءة فنبغوا

وأوضح أن إحدى المؤسسات الدولية المتخصصة في التعليم أصدرت في نهاية ٢٠١٥م تصنيفا أكد تصدر ٥ دول آسيوية العالم في أساليب التعليم وتحصيله، لم يكن بينها أي دولة عربية؛ حيث جاءت في المرتبة الأولى سنغافورة وبعدها هونغ كونغ ثم كوريا الجنوبية، وتتشارك اليابان وتايوان في المستوى الرابع.

وتابع: «تتصدر الإمارات الدول العربية، وحصلت على الرقم ٤٥، ثم البحرين ٥٧ ولبنان ٥٨ والأردن ٦١ وتونس ٦٤ والسعودية ٦٦ وقطر ٦٨ وعمان ٧٢ والمغرب ٧٣ والهندوراس ٧٤ وجنوب إفريقيا ٧٥، وفي النهاية غانا ٧٦.

أسلاف الأمة خير قدوة

أما د. طارق منصور محمد، أستاذ التاريخ في جامعة عين شمس، فيؤكد أن علماء العرب والمسلمين ساهموا في وضع أسس علوم كثيرة، منهم ابن بطوطة الذي ساعد في وضع أسس علم الجغرافيا منذ كان عمره ٢١ عاما؛ حيث قام برحلة زار فيها الجزائر وتونس ومصر والسودان وفلسطين وسوريا وصولا إلى مكة المكرمة، قاطعا ٧٥ ألف ميل، وألّف كتاب «تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، قدم فيه وصفا دقيقا لكل ما شاهده في رحلته وترجم الكتاب إلى جميع لغات العالم.

وأضاف: «من النماذج العربية أبوعلي الحسن بن الهيثم الذي قدم إسهامات كبيرة في الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم الفلك والهندسة وطب العيون والفلسفة العلمية والإدراك البصري، والعلوم بصفة عامة بتجاربه التي أجراها مستخدما المنهج العلمي، وكذا أبوبكر الخوارزمي الذي وضع أسس علم الجبر والمقابلة وشرح نظام الأعداد والأرقام الهندية مع الصفر ووضع قاعدة حسابية مازالت تحمل اسمه في أوروبا (الخوارزمية)».

وتابع د. طارق: «لا ننسى أيضا الملك المظفر سيف الدين قطز محمود ابن ممدود بن خوارزم شاه، الطفل الأمير الذي تحول إلى عبد بعد أن خطفه الأعداء؛ إلا أن طموحه جعله من عظماء القادة في تاريخ الإسلام رغم أنه توفي قبل أن يبلغ الأربعين، نجح في إعادة تعبئة وتجميع الجيش المصري واستطاع إيقاف زحف التتار الذي كاد أن يقضي على الدولة الإسلامية. أيضا أبوعبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي القرشي، الطفل الذي أصبح مفتيا في عمر ١٢ عاما، وانكب على العلم وجاور العلماء وكتب على ألواح الخشب كل ما يسمعه من علم، وحفظ الموطأ في سن العاشرة، ووضع أصلا للفقه».

وأشار إلى أن العرب إذا وضعوا هذه النماذج أمام أعينهم فستصير للشباب قدوة تنير الظلام الذي يعيشون فيه ولن يبحثوا عن فنان أو نجم ماجن ليكون بطلهم أو قدوتهم.

وأضاف: «أعلم أطفالا تأثروا بحياة النجوم ولجأوا إلى أفعال محرمة وسلكوا طرقا مقطوعة لتحقيق حلمهم، ألا وهو أن يكونوا أمثالهم».

وطالب بأن تكون النماذج الإيجابية من أسلاف أمة الإسلام من أول ما يتعلمه الأطفال في المدارس؛ حتى يستفيدوا منها ويشبوا أجيالا مفكرين مبدعين.

سالم بن عميران
كاتب يمني

المعلم في أدب المحدثين

المعلم صانع العقول ومهذب النفوس وذخر الأمم والأجيال وموصلها إلى سبيل التطور والرقي، إنه الشمعة التي تحترق لتضيء لغيرها الطريق حتى تصل إلى ذرى المجد، قد أعطي من الأوصاف أجلّها، ونال من الشرف أعظمه؛ فاستحق بذلك أن يكون خليفة المعلم الأول حيث قال: «إنما بعثت معلما» (١).

نظم فيه الشعراء أروع قصائدهم، ونعتوه بأعظم الأوصاف وألبسوه أجمل الحلل، حتى كاد أمير الشعراء في لاميته المشهورة (٢) أن يضعه مع ذوي الدرجات العلى؛ فقال:

قمْ للمعلم وفِّه التبجيلا
كاد المعلمُ أن يكونَ رسولا
أعلمتَ أشرفَ أو أجلَّ من الذي
يبني وينشئ أنفسا وعقولا
سبحانَكَ اللّهمّ خيرَ معلم
علمتَ بالقلم القرونَ الأولى
أخرجتَ هذا العقلَ مَن ظلماته
وهديتَهُ النورَ المبَيَّن سبيلا
وطبعتَهُ بيد المعلم تارة
صدئَ الحديد وتَارة مصقولا

يا له من شرف عظيم نلته أيها المعلم! فمن مثلك يستحق كل هذا التكريم والإجلال؟!

إن التكريم الحقيقي للمرء لا يكون بنيل الأوسمة والشهادات؛ بل أن يعرف الناس قدره ودوره النبيل في بناء الأجيال.

أيها المعلم؛ كن معلما بخلقك وحسن تعاملك مع تلاميذك؛ لتكون وريثا لحبيبك المصطفى ﷺ في نيل هذا الشرف؛ فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم! فقلت: واثكل أمياه؛ ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم! فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت! فلما صلى

رسـول الله ﷺ؛ فبأبي هـو وأمـي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه؛ فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني؛ قال:

«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» (٣).

أيها المعلم؛ هل تخلقت بهذه الأخلاق النبيلة في أداء رسالتك؟!

فمن أين يلتمس المتعلم النور ممن أظلم قلبه؟! وكيف يرتجي التهذيب والرشاد ممن ساء خلقه؟! وكيف يحصل النبوغ والتميز ممن فرغ عقله إلا من التوافه والترهات، يقول شوقي (٤):

وإِذا المعلمُ لم يكن عدلا مشى
روحُ العدالة في الشباب ضئيلا
وإِذا المعلمُ ساءَ لحظَ بصيرةٍ
جاءتْ على يدهِ البصائرُ حُولا
وإِذا أتى الإرشادُ من سببِ الهوى
ومِنَ الغُرور فَسمِّه التضليلا

أيها المعلم؛ كتب الكثير عن فضلك وصفاتك الشخصية، ولكن لم يكتب إلا القليل عن معاناتك! ولعل السبب هو ما سطره الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان في قصيدته الرائعة التي يعارض فيها أمير الشعراء (٥):

شوقي يقولُ وما درى بمصيبتي
«قـم للمعلم وفّـه التبجيلا»
اقعدْ فديتُكَ هل يكونُ مبجلا
من كان للنشءِ الصغارِ خليلا
ويكادُ يقلقني الأميرُ بقوله:
«كـادَ المعلـمُ أن يكـونَ رسـولا»
لو جربَ التعليمَ شوقي ساعة
لقضى الحياةَ شقاوة وخُمولا

كم هي المعاناة التي يعانيها ذلك القلب الصبور.. منذ أن تلوح في الأفق خيوط الصباح يغدو إلى المدرسة فيقتل عقله ويحرق مهجة قلبه لتنوير صبية صغار حتى يكاد ينزل منزلتهم؛ فيفكر فيما يفكرون، ويلعب فيما يلعبون؛ كي يبلغ الرسالة التي أوكلت إليه فاستحق بذلك أن يكون هو الشخص الوحيد الجدير بالرثاء الذي عناه الشاعر محمود غنيم في ميميته المشهورة:

حنانيك إني قد بليت بصبية
أروح وأغـدو كل يـوم عليهمُ
صغار نربيهم بملء عقولهم
ونـبـنـيـهـم.. لـكـنـنـا نتهدم
وأوشك أن أرتد طفلا لطول ما
أمـثـل دور الطفل بـين يديهمُ
فصول بدأناها وسوف نعيدها
دواليـك واللحـن المكرر يسأمُ
فـمن كـان يـرثـي قلبـه لمعذب
فأجدر شخص بالرثاء المعلم
على كتفيه يبلغ المجدَ غيرُه
فـمـا هـو إلا لـلـتـسلـق سلمُ

وتستمر معاناة المعلم -كما يصفها طوقان- خارج الصف من إهدار حقوقه، وسلب وقت راحته حتى ينتهي به المطاف إلى إتلاف جسمه فيقول:

حسبُ المعلم غُـمَّـةً وكآبة
مـرأى الدفاتر بكرة وأصيلا
مائةٌ على مائة إذا هي صُلّحَتْ
وجدَ العمى نحو العيونِ سبيلا
لا تعجَبوا إن صحتُ يوما صيحة
ووقعتُ ما بين البنوك قتيلا
يـا مـن يـريدُ الانتحارَ وجدْتَهُ
إن المعلـمَ لا يـعيشُ طويلا

وقد نقل إلينا الأديب الكبير الشيخ علي الطنطاوي صورة واضحة لما يعانيه المعلم في ميدان التعليم؛ فيقول: أغدو إلى المدرسة فأدخل على تلاميذي.. فلا أنفك أقطع من عقلي لأكمل عقولهم وأمزق نفسي لأرقع نفوسهم ثم لا أفلح في تعليمهم ولا أنجح في تفهيمهم ولا أدري من أين السبيل إلى مداركهم، فأنفق ساعة كاملة أقلب أوجه القول وأستقري عبارات اللغة، لأفهمهم كيف يكون (الاسم هو الكلمة التي تدل على معنى مستقل في الفهم وليس الزمن جزءا منه) فلا يفهمون من ذلك شيئا، ولا أقدر أن أطرح هذا التعريف السخيف أو أستبدل به، فأهذي ساعة ثم أقول: من فهم؟ فيرفع ولد أصبعه. فأحمد الله على أن واحدا قد فهم وأقول: قم يا بني فأخبرني عن معنى هذا التعريف فيقول يا أستاذ هذا داس على قدمي فأصيح به ويحك.. إني أسألك عن تعريف الاسم فلماذا تضع فيه قدمك؟ ألم أقل لكم إن هذه الشكاوى ممنوعة أثناء الدرس؟ فيقول: ولماذا هو يدوس على رجلي؟ فأصيح بالآخر لم دست على رجله.. فيقول: والله لقد كذب ما دست على رجله، ولكن هو الذي عضني في أذني فأغضب وأصرخ في وجهه وكيف يعضك، وأنا قاعد هنا، فيقول ليس الآن ولكنه عضني أمس! ويتطوع العفاريت الصغار للشهادة للمدعي والمدعى عليه، ويزلزل الفصل فأضرب المنصة بالعصا وأسكتهم جميعا مهددا من يتكلم بأقسى العقوبات، ولا أدري ما أقسى العقوبات هذه؟! فيخنسون؛ فأعود إلى الدرس فإذا هو قد طار من رؤوسهم على أنه ما استقر قط، وينفخ في الصور فتقوم القيامة ويخرج الأولاد إلى الفرصة (٦).

حقا إنها معاناة حقيقية يعيشها المعلم فاستحق بذلك أن يقلد وسام التضحية والفداء؛ للدور العظيم الذي يقوم به في صنع جيل قوي محب لوطنه معتز بعروبته وإسلامه.

الهوامش:

١- سنن ابن ماجه، من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، دار الفكر، بيروت، ج ١ ص ٨٣.

٢ - ديوان الشوقيات، أحمد شوقي، بيروت: دار الكتاب العربي بيروت، ١٩٨٤م ص ١٨٠.

٣ - صحيح مسلم، باب تحريم الكلام في الصلاة، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ١ ص ٣٨٠.

٤ - الشوقيات، المرجع السابق، ص ١٨٣.

٥ - إبراهيم طوقان: دراسة تحليلية، عبداللطيف شرارة، بيروت: دار صادر، ١٩٦٤م، ص ١١٨- ١٢٠.

٦- من مقال: «قصة معلم» للشيخ علي الطنطاوي، مجلة الرسالة، العدد (١٢٤) تاريخ ١٨/١١/١٩٣٥م.

السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

نحو تعليم متصالح مع الهوية

أصبح دور التعليم في إحداث أي نقلة نوعية، وفي بناء أي تراكم حضاري؛ دورا راسخا، من الحقائق والمسلمات.. فالتعليم هو «البوابة الكبرى» التي يعبر منها الشباب إلى فضاء الحياة الرحيب، ومجالاتها المتعددة. وكلما أحسنا صناعة التعليم، كانت الفرصة أكبر في مستقبل أكثر إشراقا.

ولاشك أن منظومة التعليم في بلادنا العربية والإسلامية تواجه تحديات متنوعة؛ تشمل الإمكانات المادية والمناهج والأفكار، بجانب تطوير العنصر البشري؛ سواء أكان مرسلا (المدرس) أم مستقبلا (الطالب).

وأهم هذه التحديات ما يتعلق بتشكيل وعي الطلاب، وبناء منظومتهم المعرفية والوجدانية، خاصة فيما يتصل بالهوية؛ فقد عملت القوى الأجنبية، التي سيطرت على بلادنا لعقود، على الإخلال بهويتنا في النظام التعليمي؛ بحيث جاءت الصلة بينهما مهزوزة أو مقطوعة!

كان نظام التعليم في بلادنا بصفة عامة يعتمد بالأساس على التعليم الديني؛ الذي يتخذ من الثقافة الإسلامية وعلومها المتشعبة مادة أساسية له، مع تدريس بعض المناهج عن العلوم الطبيعية والرياضية.. ثم جاءت الدولة الحديثة بأنظمتها المستمدة من الغرب لتقيم لها نظاما تعليميا منفصلا عن هذا الشكل التقليدي من التعليم؛ فأنشأت لها مدارس، وجامعات بعد ذلك، تستمد مناهجها من المناهج الغربية، لتخرج كوادر يقومون بسلك الدولة، ووظائفها المتعددة.

وصارت عندنا «ازدواجية» في نظام التعليم، أي وجود نوعين من التعليم يختلفان في الأسس والركائز والمفاهيم والأهداف؛ وبالتالي في النتائج، وفي نوع تأثيرهما في حركة الحياة؛ التي تستمد وقودها من مخرجات نظام التعليم (١).

وفيما يتصل بمناهج الثقافة

والاجتماع والتاريخ، بل وفلسفات العلوم الطبيعية؛ كانت الرؤية الغربية هي السائدة. وتم تقليص مساحة مادة الدين، أو مادة الثقافة الإسلامية، وعدم احتساب درجاتها ضمن المجموع الكلي، بل يتجدد الجدل، بين حين وآخر، لحذفها نهائيا من المقررات، في عدد من الدول العربية. إضافة إلى تهميش اللغة العربية، التي أريد لها أن تكون لغة جامدة راكدة محصورة بين أوراق الكتب.

كل ذلك وغيره، عمل على نشوء نظام تعليمي غير متصالح مع الهوية، بل بعضه يرسخ لذهنيةٍ مخاصمة لهويتها ولغتها، ذهنية تتصل بالثقافة الغربية اتصالا وثيقًا، وتتيه باللغة الأجنبية وتفخر بالرطن بها..!

والسؤال: كيف يمكن أن نبني نظاما تعليميا يتصالح مع الهوية، ويرسخ القيم الإسلامية، ويقيم وعيا صحيحا لدى الشباب؟ وكيف يمكن للتعليم أن يسهم في بناء الشخصية، وفي الخروج من «التبعية الثقافية»، التي يراد بها إشاعة النموذج الفكري الغربي، وإضعاف هويتنا؟

إنني أتصور أن الانشغال بهذا السؤال أصبح أمرا ملحا؛ لاسيما ونحن نعاني تلك الموجات التي تتنازع شبابنا، وتلقي بهم في مهاوي الشك، والذوبان، وفقدان الثقة، وعدم القدرة على الإسهام في صناعة الحاضر والمستقبل..

وحتى ننتج تعليما متصالحا مع الهوية، فعلينا اتخاذ عدة خطوات، أهمها:

– أن ننطلق من الإسلام باعتباره دينا وثقافة:

إن تعليما ينتظر منه أن يؤدي دورا مهما في نهضة أي أمة من الأمم، لابد له أن ينطلق من ثقافتها الذاتية؛ وإلا ذابت بين الأمم، وصارت مسخا مشوها من الآخرين.

ونحن لسنا بدعا من الأمم في هذا، بل نحن أولى بذلك منهم؛ لأننا قد

شرفنا الله تعالى بكلمته الأخيرة للبشرية (القرآن الكريم)، التي تكفل بحفظها وصيانتها من التحريف والتبديل.

وإذا كانت خطط التغريب تفصل التعليم الدنيوي (المدني) عن الديني، وتهدف لتخريج عقول فارغة من ثقافتها الذاتية الإسلامية؛ فإن إعادة دمج هذين النوعين من التعليم، بأي صورة من الصور، يجب أن تكون «فريضة الوقت»، والخطوة الأولى لكي يؤدي التعليم دورا في الخروج من التبعية الثقافية، وفي غرس القيم والمبادئ الإسلامية عند الشباب.

ولـذا، فمن المهم الإبقاء على مادة الثقافة الإسلامية، بالنسبة للتخصصات غير الدينية، وتطويرها بما يزود الطلاب بجرعة مناسبة لما يواجههم من إشكاليات معاصرة.

– أن نمزج التربية الروحية والنفسية بالتربية العقلية والمحتوى العلمي:

فالحضارات التي تقوم على العقل وحده حضارات غير إنسانية، يمكن أن تحرق غابة لتصطاد ثعلبا، ويمكن أن تلوث الأرض والسماء لأجيال ستأتي مادامت ترضي شهواتها. إننا ندعو إلى حضارة الحكمة والعقل، لا حضارة العقل وحده؛ ولذلك فإن التربية الروحية تتوازى في مناهجنا مع التربية العقلية، يتداخلان معا وينسابان في كيان المؤمن كله، حتى يخرج إلينا المؤمن رباني الفكرة والهدف (٢).

ومن المهم أن نعمل على امتزاج العمران المادي والعمران الروحي؛ فالعمران الروحي يعطي الحكمة للعمران المادي حتى لا يصبح عبثا في الأرض، ويوجهه إلى خير الجماعة الإنسانية كلها، لا إلى فريق من البشر؛ غاياتهم عبثية، يريدون خلودا في الأرض وبطشا جبارا بالمستضعفين (٣).

– أن نخرج من فلسفات النظريات الغربية، الطبيعية والاجتماعية:

للغرب ثقافته وأفكاره التي تشكل نموذجه المعرفي، حتى فيما يتصل بالعلوم الطبيعية؛ التي تبدو لكثيرين محايدة، ذات قواعد عامة. ولسنا دعاة انغلاق وجمود، لكننا في الوقت نفسه نرفض الذوبان والانحلال.

وفيما يتصل بالنظريات الغربية الطبيعية، يجب أن نفرق بين هذه النظريات وبين فلسفتها التي تقوم على الإلحاد وعلى فكرة قهر الطبيعة، لا على الإيمان والتسخير. فالعلوم التجريبية ثابتة محايدة، بينما فلسفاتها وتطبيقاتها تتغير وتتبع عقائد كل أمة وثقافتها.

وعن هذه التفرقة المهمة يقول محمد أسد: «فالمعرفة نفسها (أي العلم التجريبي) ليست غربية ولا شرقية، إنها عامة بالمعنى الذي يجعل الحقائق الطبيعية عامة؛ إلا أن وجهة النظر التي ترى منها هذه الحقائق وتعرض، تختلف باختلاف المزاج الثقافي في الشعوب... (فهذه العلوم) تتعلق بملاحظة الحقائق وبجمعها وتحديدها ثم استخراج القواعد المعقولة منها.. فليست العلوم الحديثة التجريبية هي المضرة بالحقيقة الثقافية في الإسلام، وإنما المضر هو روح المدنية الغربية التي يقترب المسلم بها إلى تلك العلوم (٤).

إن الغرب بينما ينظر للعلوم الكونية كغريم ينبغي قهره والسيطرة عليه، ننظر نحن إليها كعوالم صديقة، تسبح لله وتكبره، ولا نتفاعل معها إلا بحق؛ تتمثل معالمه في: ابتغاء وجه الله/ الرحمة/ القصد والاقتصاد/ النفع العام/ العلم بسنن الله في الوجود (٥).

ولذلك يطالب مفكرون بإعادة كتابة العلوم من وجهة نظر إسلامية (٦).

أما فيما يتصل بالنظريات الغربية الاجتماعية، فيعترف المفكر الجزائري د. عمار الطالبي بأننا «لم نهتم بالدراسات في المجال الاجتماعي والمجال النفسي بما هو واقع في مجتمعاتنا، وإنما اكتفينا بدراسات الغربيين وبما كتبوه عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ونقلناه بحروف عربية. إن استخلاص نتائج أبحاث الغربيين وتطبيقها على المجتمعات الإسلامية لهو من أكبر الأخطاء التي نرتكبها، وإن النظريات الاجتماعية والنفسية الغربية نظريات نبتت في مجتمعات تختلف عن مجتمعاتنا.

نحن مطالبون بأن نعرف حقيقة

أنفسنا، وأن نرى أنفسنا بمنظارنا لا بمناظير غيرنا؛ ولكن هذا لا يعني ألا نهتم بمعرفة غيرنا في هذا العصر، الذي تقارب فيه الزمان والمكان» (٧).

- أن نعمل على ترسيخ اللغة العربية:

إذا كان سؤال الانعتاق من التبعية هو، كما يصوغه د. الدجاني: كيف نصل بمجتمعاتنا إلى نظرةٍ موضوعية للغرب، بعيدة عن انفعالات المنغمسين والمنكمشين وردود أفعالهم؛ نظرةٍ تنطلق من الثقة بالنفس، والانتساب إلى الذات، والشعور بالندية؟

فإن الجواب سيتضمن -كما يضيف الدجاني- أن للتربية دورا خاصا، وللسان بمعنى اللغة أهمية خاصة في الوصول إلى هذه النظرة الموضوعية (٨). وهذا هو باختصار عين ما يرمي إليه التعليم المنتظر منه أن يمارس دورا في الخروج من التبعية الثقافية، وأن يتصالح مع هويته.

ويتصل بهذه النقطة ما يثار حول قضية تعريب العلوم الطبيعية، أي تدريسها باللغة العربية.

ونحن إذ نسعى إلى جعل الذات الإسلامية هي الموجه الفكري والأساسي العقيدي للتعليم، لابد وأن نحدد اللغة التي يتم بها التعليم؛ ذلك أن اللغة تحيا بأهلها قبل أن تحيا بتركيبها، وتحظى بالصدارة عندما يكون أهلها قد سبقوا العالم في التطور الحضاري؛ ولعل مؤلفات ابن سينا والفارابي وابن يونس وابن الهيثم وجابر والخوارزمي وابن النفيس والزهراوي، وغيرهم.. لتدل أعظم دلالة على صدق ما نقول؛ فالمطلع على هذا الإرث الحضاري الرائع يدهش لأسلوبهم العلمي الأخاذ، ولغتهم العربية الرصينة التي كتبوا بها الرسائل والموسوعات، وسطروا بها التجارب والبحوث في الفلك والجبر والهندسة والطب والجيولوجيا والجغرافيا وعلوم الحياة والكيمياء.. لقد طوع هؤلاء العباقرة لغتهم العربية لمصطلحات العلوم الكونية والطبيعية والإحيائية، فأنتجوا حضارة عالمية هي بحق «حضارة القمة» (٩).

ولاشك في أن هناك ضرورة للتعريب؛ حيث ثبت بالدليل -كما يقول د. محمود حافظ، رئيس مجمع اللغة العربية السابق- أن الطلاب الذين يدرسون العلوم العلمية باللغة القومية يستوعبون بدرجة كبيرة تفوق نظائرهم في الجامعات التي يتلقون فيها هذه العلوم باللغة الأجنبية.. وقد أكد هذا اتحاد الجامعات العربية، كما نادى اليونسكو بضرورة تعريب العلوم والتدريس باللغة القومية وخاصة اللغة العربية. وأغلب دول العالم تدرس فيها العلوم والطب والهندسة بلغاتها القومية (١٠).

بهذه الرباعية نكون قد وضعنا أيدينا على الطريق الصحيح؛ نحو تعليم متصالح مع الهوية، وذي دور فاعل في بناء الشخصية المسلمة، وفي تحقيق «الاستقلال الحضاري»؛ الذي يشكل التعليم الجيد أحد أركانه وشروطه الأساسية.

الهوامش

١- راجع المزيد في: «في فكرنا الحديث والمعاصر»، د. حسن الشافعي، ص ٥٣ وما بعدها، مكتبة ذخائر الوراقين، ط ١، ٢٠١٦م.

٢- مقدمات جديدة في مشاريع البعث الحضاري، د. سيد دسوقي حسن، ص ٧٥، طبعة خاصة بنقابة المهندسين، ١٩٩١م.

٣- المصدر نفسه، ص ٦٧.

٤- الإسلام على مفترق الطرق، ص ٧١، ٧٢، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٤م.

٥- مقدمات جديدة، د. سيد دسوقي حسن، ص ١٠٧، بتصرف.

٦- مثل د. زغلول النجار في حوار له مع مجلة «الأمة» القطرية، منشور في فبراير ١٩٨٤م.

٧- من حوار له مع مجلة «الأمة» القطرية، منشور في يونيو ١٩٨٥م.

٨- فكر وفعل، د. أحمد صدقي الدجاني، ص ١٩٨، دار المستقبل العربي، ط ١، ١٩٨٥م. بتصرف يسير.

٩- اختراق العقل الإسلامي، د. سعيد إسماعيل علي، ص ٤٨، ٤٩، عالم الكتب، ط ١، ٢٠٠٧م. وهو ينقل عن د. كارم السيد غنيم: اللغة العربية والنهضة العربية المنشودة في عالمنا الإسلامي، مجلة عالم الفكر، العدد ٤، يناير/ مارس ١٩٨٩م، ص ٣٨، الكويت.

١٠- من حوار له مع جريدة «العربي»، ١/ ١١/ ٢٠١١م.

عبد الله محمد الدرويش
ناقد وخبير بالتراث العربي

في كتابه نوادر الأصول:

رحلة مع الحكيم الترمذي

لا يستغني علماء الحديث عن مراجعة ما يكتبه الحكيم الترمذي، لما يرون من حكمته وعقله في بيان ما يشكل من المعاني.. ذلك أن:

الحكيم الترمذي مدرسة من مدارس العقل، أسست للفكر الإسلامي منذ القرن الثالث الهجري.. واستطاعت أن تثبت وجودها في ساحة المناهج الفلسفية والروحية.. وأعانت على بناء العقل المسلم خلال أزمان متطاولة.

إمام هذه المدرسة: شخصية متميزة، لم يرضخ لضغوطات الحياة من حوله، بل سعى لأن يكون نافذ البصر والبصيرة..

فاتخذ من الهدي النبوي مشاعل وضاءة رأى فيها المنار الذي سار خلفه، واقتبس من نوره..

لم يقف عند ظواهر النصوص، وإنما غاص في أعماقها، وفتش عن معادنها، فاستخرج منها الجواهر الثمينة..

جعل من نظرته العامة والشاملة للعقل والمعرفة قنطرة يعبر عليها ليوصلنا إلى المداخل الصحيحة للفهم.

من هو الحكيم

يقول الحكيم الترمذي:

الحكيم من انكشف له الغطاء، فرأى عواقب الأمور، زينها وشينها... (١).

فبعد التجارب تستكمل الحكمة... ولهذا قيل: إن العقل بالتجارب (٢).

ومن شأن العقل: الدلالة على الرشد والنهي عن الغي (٣).

فالعقل هو الكاشف عن مقادير العبودة، ومحبوب الله تعالى ومكروهه.

فعلامة العقل أن يتورع عن مساخط الله تعالى (٤).

فالحكمة: أصول العلم (٥)، وباطن الأمور، وأسرار العلم (٦).

والحكماء: ميزوا رواية الرواة صحيحها من سقيمها (٧).

فالحكمة من نور الجلال، فإذا أعطي العبد انفجرت ينابيع الحكمة على قلبه... (٨).

فالعقل للقلب، والتجارب للنفس (٩).

هل يمكن اعتبار لقب الحكيم قد استمد من تعريف الحكيم الترمذي؟

أي: إن قارئ كتبه وقف على عنايته بالحكمة وما يتعلق بها، فقال: إن قائلها هو الحكيم.

أم أن هذا اللقب كان يطلق على المعتنين بتمييز الصحيح من الضعيف فعرِف به، لعنايته ببواطن الأمور، والنظر إلى ما وراء الكلمات؟!.

لا جواب واضح حول هذه الأمور، إلا أن عنايته بأصول العلم، وأسرار العلم، ووقوفه عند محبوبات الله ومكروهاته، وتورعه عن مساخط الله عز وجل، انعكس كل ذلك عليه من نور الجلال، فتفجرت ينابيع الحكمة على قلبه، فعقل، ومن ثم ميز بانكشاف الغطاء له، فرأى عواقب الأمور، فكان أهلا للقب الحكيم.

ثقافة الحكيم الترمذي

تظهر مقومات ثقافة الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول.. فهو:

محدث يستخدم طريقة المحدثين في نقل النصوص بأسانيدها، ويتعدى ذلك ليكون مؤصلا للقواعد المطلوبة من النقاد في دراسة الأحاديث، وإن لم يكن ممن يقف عند الأسانيد، وإنما يتجاوزها إلى المعاني، وكأنه يقول: إنني من مدرسة الفكر العقلاني الذي لا يرضى بالظاهر، وإنما يبحث فيما وراء النصوص وبين الأسطر. فهو:

- ممن يستجيز رواية الحديث بالمعنى.
- ولا يرى فارقا بين أخبرني وحدثني.
- ويرى الكتابة من بلدة لأخرى تجيز أن يقول: أخبرني، وحدثني.
- وكذلك المناولة (١٠).

وربما كان سببا من الأسباب التي أدت لفلسفة وضع الحديث على رسول الله ﷺ، من خلال حديثه عن

قوله ﷺ: «إذا حدثتم عنِي بِحدِيث تعرِفونه ولا تنكِرونه» (١١).
لاعتباره أن كل شيء من الحق وسبيل الهدى هو في حديث رسول الله ﷺ: إما أن يكون واضحا جليا، أو مجملا يحتاج لتفسير، فمن جاء بفروع المجمل، كان قوله هو قول رسول الله ﷺ.
في حين نجده يؤكد على البصائر التي تكشف حقائق النصوص، وأن البصيرة هي الكاشفة لصحة النصوص أو كذبها.. وقد أتى بأمثلة تعبر عن هذه القاعدة التي اتبعها (١٢).
وهنا تبرز مقدرته العقلية البينة التي لا يقبل فيها من النصوص إلا ما توافق مع الصحيح الثابت عن الله ورسوله بعد مناقشة تكشف عن عمِيق فهمه، وغوصه على جواهر النصوص...
ولكننا لا نعدم مخالفته لهذه القاعدة ووقوعه في شرك المخالفة لما صح عن الله ورسوله.. وخاصة عند نقله عن أهل الكتاب مما لا تصح نسبته لأنبياء الله ورسله مما أدى إلى تأسيس قاعدة عامة في الطعن بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهو الذي يقول: وقد جعل الله الرسل عليهم السلام أحباءه وأصفياءه، ومن قال لرسول مثل هذا فقد عابه، ومن عابه فقد كفر بالله عز وجل (١٣).
ومع أنه يحث على التفكر والتدبر في أمر حديث رسول الله ﷺ إلا أنه يمر على بعض القصص والحكايات من غير تثبت ودراسة، وكأنه لم يدقق فيها، أو ظنها مما لا يحتاج إلى بحث وتفتيش. انظر مثلا قصة خلق الفأر والخنزير (١٤)..

معرفته بعلوم العربية

تظهر عناية الحكيم في هذا الكتاب باللغة ألفاظا وصرفا ونحوا..

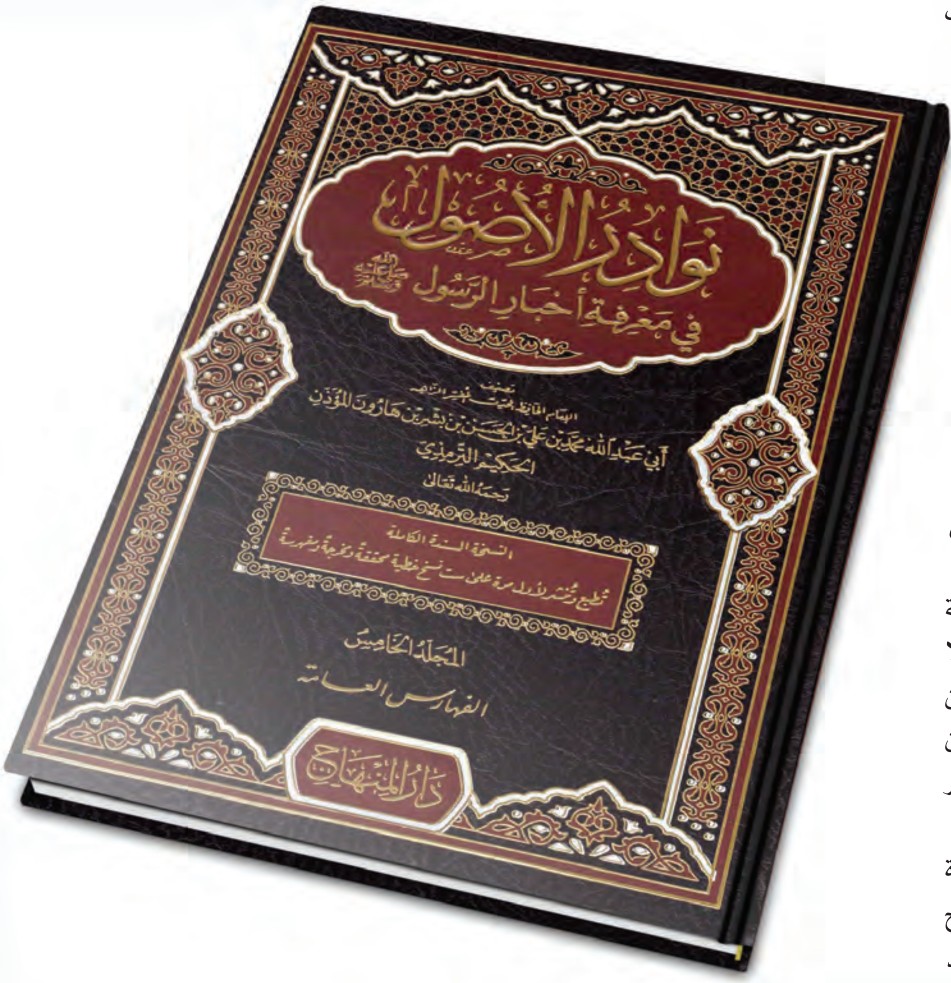

وقد برز ذلك في حديثه عن معنى «الكلمة» والتام منها والناقص، وأقل الكلام عند أهل اللغة، وأن الحروف منها للبداية وأخرى للنهاية وما بينهما.. (١٥).
. محاولته لفلسفة اللغة. وانظر ما قاله عن المدن (١٦).
. يميز بين الألفاظ وما وضعت له، فالهدية والطرفة (١٧) بينهما فرق لطيف، يكشفه لك، فيضعك أمام معنى يستهوي النفس ويساعدها على تنمية الوعي اللغوي للألفاظ.
. يحاول إرجاع المعاني الآتية من أحرف متشابهة إلى بعضها بتغيير مواقعها، فالحلم من الملح (١٨).
. محاولته استخراج معاني الكلمات من عكسها:
عطس = سطع (١٩).
أعطى = أطاع (٢٠).
قنت = نتق (٢١).
حرص = ص رح (٢٢).
. يقرن بين الصرف والنحو في دراسة الكلمة، فتظنه إماما في ذلك الفن، انظر دراسته للسفرة (٢٣)، حيث يذكر قواعد استعمال الفاعل والمفعول مقام بعضهما.. وكيف تحولت الدال إلى ياء..
. ولا يخلو كتابه من ضبط ألفاظ يظن أنها غير مميزة أو تحتاج إلى بيان، كضبط كلمة مطيطاء: بضم الميم محدودا (٢٤).
. يؤلف من الكلمات المتشابهة في المعنى منظومة لغوية، ينبه بها على التقارب اللغوي بين المفردات وإمكان الترادف والاستبدال، انظر حديثه عن: عسى وعتا وقسا (٢٥).
. التفاته إلى الأحرف التي تنوب عن بعضها فيما يعرف بالقلب والإبدال:

ز= س = ص .
هـ = أ = و (١٦).
. الاهتمام بالصرف، وتكراره لقواعد في ذاكرته، من أمثال:
أ = هـ (٢٧).
س = ص (٢٨).
. وربما تكون هذه العناية بالحروف ناشئة عن البيئة التي عاش فيها، وكانت ذات اهتمام بالعلوم المتعلقة بالروحانيات، وخاصة ما يسمى بعلم الحروف.
. تمييزه للهجات العرب.. (٢٩).
. ينظر إلى العربية أنها أوسع اللغات (٣٠).
. وينظر إلى تشكيل الكلمات من الفتح أو الضم نظرة من يعطي لكل حرف وشكل قيمة تميزه عن غيره، فيقرن السعادة والشقاوة بذلك.. انظر الفرق بين عمرو وعمر (٣١).
. رجوعه لأصل الكلمات صرفا . انظر شرحه لكلمة «الشح» (٣٢). وشرحه لكلمة: «فقيه» (٣٣).
وهو ممن له عناية باللغات الأخرى غير العربية، فيظهر بعض ذلك، كقوله: «وهو الذي يسمى بالعجمية» (٣٤).

المؤلف وعلاقاته مع مجتمعه

نلمس من متابعة الكتاب أشياء كاشفة عن حقيقة المؤلف وعلاقاته مع مجتمعه... ونظرته إليهم، وضمنًا ما يظنونه فيه..
فمن ذلك:
. ذكره لوقائع حياتية لمسها بيده، كتوبة بعض العصاة، وما عبروا به عن واقع القانطين من رحمة الله عز وجل (٣٥).
. كشفه عن الزهادة الزائفة في عصره وعلاماتها.. ومقارنتهم بحال القسيسين والرهبان (٣٦).. وربما كان هذا سبب محنته في تعامله مع أهل عصره الذين لم يقبلوا منه التنقيب عن أحوالهم، وإظهار قبائحهم.. وتحذيره من أدعياء الزهد الذين يبحثون عن الثناء من الخلق، ووقوفه من الغنى موقف من يضع الأمور في نصابها الصحيح (٣٧).
ومن يقرأ الأصل (١٩٦) يظهر له أنه كان يكتبه وقد تأذى من مجموعة من الناس فأفرغ من صدره ما كان يجيش فيه مما أوقعوه به.

موقفه السياسي

الملاحظ عليه: أنه يقف في الأمور السياسية موقفا غير واضح المعالم، ففي حين نراه يحث على الاقتراب من السلطان ولو كان ظالما جائرا (٣٨)، نجده ينظر إلى ابن الزبير بمنظار آخر، فهو في منهجه يعتبره معتديا على الحرم.. لا أنه المعتدى عليه في سلبه رئاسة الأمر... (٣٩). فهل هو ممن يقف في صف أعداء ابن الزبير، أم أنه ينافح عن بيت الله، ويعد من التجأ إليه وانطلق منه مخالفا لحرمة البيت؟!.
وهذا من الأسباب التي أوجبت عدم الثقة به، ومحاربته من قبل جهات متعددة: كالصوفية والفقهاء وغيرهم، ما ذهب إليه من ضرورة القرب من السلطان، لأن في ذلك مطالعة لما خولهم الله سبحانه من النعم، إذ هم ظل الله في أرضه، ولو كانوا أهل جور وظلم، لأن المطلوب هو تلك المشاهدة، ومن ابتعد عنهم، فهو ممن لم تمت شهوات نفسه؟! (٤٠).
وكأنه بذلك يبرر الظلم والجور، مما لا تقبله الفِطر السليمة، ولو أن مقصد المؤلف يذهب إلى غور أبعد مما هو في الظاهر.. إذ إن الحاكم هو إفراز المجتمع بصلاحه وطلاحه، وبذلك: تظهر المطالعة الحقيقية لبواطن المجتمع من خلال الظاهر وهو الحاكم.. وإن كان يرى أن أولياء الأمر هم أولياء الدين، ممن جمعوا بين الهداية والعدل (٤١).
وإن كان السلف الصالح سابقا يفِرون من أبواب السلطان ولا يقبلون العمل عنده أو له، رغم شهادتهم لكثير منهم بالصلاح، إلا أنهم يهربون من الفتنة، وهم في داخلهم يطلبون من الله عز وجل، أن يسدِد خطى السلطان، وأن يأخذ بيده إلى جادة الصواب.. أملا منهم أن يعافوا في الدنيا والآخرة...
وكأن المصنف يميل إلى أن الله يتحمل تبعة الظلم من العباد لبعضهم، وكأنه يفتح الباب للظلم (٤٢)..
ويمكن أن نجد عكس هذا الفهم عند الحكيم فيما بعد في مؤلفاته الأخرى، فلعله أُسيء فهمه أو تغيرت نظرته..

موقفه من الفقهاء

وهو ممن يحترم الفقهاء، ويرى لهم المنزلة الرفيعة من أمثال: إبراهيم النخعي والشعبي والحسن وابن سيرين كطبقة، وأبي حنيفة وسفيان والأوزاعي ومالك كطبقة أخرى.. وأبي جعفر محمد بن علي من أهل البيت أهل الذكر كطبقة أخرى لها مكانتها الخاصة عند الحكيم (٤٣).
فلا مشكلة بينه وبين هؤلاء الأئمة إلا أنه لا يحترم من انتحل مذاهبهم ممن لم يعرفوا فقه إمامهم، ورغبته في النجاة مما قدم.. رغم تحريمهم وضبطهم، ورغبتهم فيما عند الله عز وجل، في حين جاء أتباع لهم ليضعوا قوالب مغايرة لحقيقة العلم الذي هو المطلوب، واكتفوا بقولهم: يجوز ولا يجوز.. وكل عملهم فتنة، وكل أعمالهم تحتاج إلى تقويم وإصلاح، يتظاهرون بشيء وداخلتهم كلها عوج (٤٤).
فهو يبحث عن فقه متكامل، لا يقتصر على جانب واحد من الإسلام، وإنما

يحقق الوحدة التامة بين أجزاء الشريعة.

خطته ومنهجه

تدور أفكاره حول مخطط واضح، فهو باحث عن نموذج، مثالي، عبر عنه بالكبراء (٤٥). ولذلك: كان صدامه مع الآخرين الذين اعتبرهم دون تلك المنزلة.. وهذا متفرع عن نظرية يميل إليها ويدفع عنها، وهي: «ختم الولاية» و«صاحب لواء الأولياء» ولا أدري إن كان يرى نفسه كذلك (٤٦)؟.

وقد اتخذ لنفسه خطة عامة في كتابه يمكن الانتباه إلى أشياء منها:

. تأسيسه الكتاب على أصول مسندة إلى أحاديث نبوية، مع عدم انتباهه إلى وضعها وأنها لا أصل لها.

. اعتماده أحاديث رسول الله ﷺ مسندة.

. ذكره لما يعرض له من آثار في معرض التدليل لكلامه.

. استفادته من الموروث في عرض تفسير آية أو حديث.

. يضع التساؤل مفترضا من يدفع ما يقوله، ليوصل المعلومة إلى موقعها الصحيح (٤٧) (قال له قائل).

. يحاول إيجاد المبررات لكلام المعترض على حديث من أحاديث رسول الله ﷺ بما لا يخالف النصوص (٤٨).

. دفعه عن الأحاديث المشكلة، وأن رافضها أتي من سوء الفهم، كحديث: فقَأ موسى عليه السلام عين ملك الموت (٤٩).

. يدل القارئ على أماكن دراسته لحديث أو أثر.. فلا يكرر معلوماته إلا في بعض الأبحاث كما مر كقوله: «ذكرنا ذلك في الأصل الخامس..» (٥٠).

. إلقاؤه الأضواء على معان طريفة لآيات شريفة تشعر فيها بنفس الواصل إلى الله عز وجل، المتعمق في فهم آيات الله سبحانه وتعالى.

. استرشاده بما روي عن السلف الصالح من معان في فهمه لحديث نبوي شريف (٥١)..

. التفاته إلى معان فرعية خلال مناقشة الأثر، فهو يذكر القزع وأنه كان فعل القسس، فيتحول ليشرح لنا معنى ذلك ومن أين جاء.. (الأصل الخامس) من باب الاستطراد.. حيث لا تلحظ قوة الارتباط بين الاستطراد وما يراد منه.

. إعادة مناقشته لبعض أفكار لم يتطرق إليها، كما ذكر مع تحديد الأصل الذي تم فيه الذكر (٥٢).

. تصريحه بالمعنى الدقيق من غير مواربة، وحتى يتيح للآخرين رفض تلك الصفات الذميمة، مما قد يفهم عكسيا عند الآخرين.. إذ يقول: إن الأخلاق الذميمة وتوابعها من المزابل (٥٣).

. قسوته في حواره مع خصومه في العقيدة من المعطلة للصفات، حيث يقول: «كفى.. بهذا خزيا» (٥٤).

مختتم

نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول روضة غناء، فيها من أطايب الثمار، وأحلى الكلام.

وإن وجد فيها ما يكدر تلك اللوحة، فربما يكون للمؤلف عذره الذي شمل أهل عصره ومن تبعهم.

ومن يعيش مع هذا الكتاب تزداد ثقافته المعرفية في شتى مناحيها، وتتوسع مداركه، ويكتسب خبرات لغوية، وعقلية، ترقى به وتأخذ بيده ليعيش في عالم أمثل مع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

ومن استطاع استيعاب هذا الكتاب وأمسك بمفاتحه، ملك الجوانب المعرفية التي اعتمدها الحكيم، وأسس من خلالها مدرسته العلمية ذات الطابع الخاص.

هوامش:

١ - نوادر الأصول ص ٤٠٩. ط عالم التراث، دمشق ٢٠٠٣م.
٢ - ص ٤٠٩.
٣ - ص ٤٣٦.
٤ - ص ٤٣٦.
٥ - ص ٦٥٥.
٦ - ص ٦٩٤.
٧ - ص ٦٥٥.
٨ - ص ٦٩٤.
٩ - ص ٦٩٤.
١٠ - ص ٦٥٦.
١١ - ص ١٥٣.
١٢ - ص ١٥٦-٦٥٩.
١٣ - ص ١٥٩.
١٤ - ص ٢٦٤.
١٥ - ص ٥٥٤.
١٦ - ص ٦٢.
١٧ - ص ١٨٢.
١٨ - ص ١١٢ و٤٠٩.
١٩ - ص ٦٨٦.
٢٠ - ص ٦٩٢.
٢١ - ص ٦٩٢.
٢٢ - ص ٧٠٥.
٢٣ - ص ١١٣.
٢٤ - ص ١١٩.
٢٥ - ص ١٤٤.
٢٦ - ص ٦٥.
٢٧ - ص ١٠٣ و٤١٧.
٢٨ - ص ٥٥٤.
٢٩ - ص ٤٣٢.
٣٠ - ص ٥٠٦.
٣١ - ص ٥٠٧.
٣٢ - ص ٦٠٣.
٣٣ - ص ٦٢١.
٣٤ - ص ٣٥٧.
٣٥ - ص ٨٠.
٣٦ - ص ٧٤.
٣٧ - ص ٤٢٤-٤٢٥.
٣٨ - ص ٢٥٢.
٣٩ - ص ٢٦٧.
٤٠ - ص ٢٥٢.
٤١ - ص ٦٦٦.
٤٢ - ص ٣٧٧-٣٧٨.
٤٣ - ص ٥٧٧.
٤٤ - ص ٦٢١.
٤٥ - ص ٣٠٣ وكرر.
٤٦ - ص ٣٠٧.
٤٧ - ص ١٥٦.
٤٨ - ص ٨٢.
٤٩ - ص ١٢٦.
٥٠ - ص ٩٣.
٥١ - ص ٦٧.
٥٢ - ص ٦٧٦.
٥٣ - ص ٤٦٤.
٥٤ - ص ٥٤٩.

مصطفى يعقوب عبد النبي
كبير باحثين بهيئة المساحة
(سابقا)

رجع الصدى لآراء المستشرقين

قد يبدو لأول وهلة أن الإساءة للإسلام كعقيدة وللمسلمين كأمة وللرسول ﷺ كنبي مرسل من عند الله تعالى، وجميعها تكاد تكون قاسما مشتركا في أدبيات الخطاب الإعلامي الغربي، هي من تأثير هجمات سبتمبر الشهيرة والتي عززتها بعض التفجيرات في لندن ومدريد على نحو معروف ومشهور ومؤخرا هجمات باريس. ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا أن هذه الهجمات وتلك التفجيرات، إنما هي من العوارض الطارئة في الخطاب الإعلامي الغربي، بمعنى أن لغة هذا الخطاب الذي يسيء للإسلام والمسلمين كانت ستبقى على حالها من الإساءة سواء حدثت هذه الحوادث أم لم تحدث. غير أن كل ما هنالك أن حدوثها قد استعاد في ذاكرة الخطاب الإعلامي الغربي أجيالا من العداء للإسلام والمسلمين ظل قرونا عديدة يخبو حينا ويظهر على السطح حينا آخر.. ولم يكن هذا العداء سوى محصلة ما كتبه المستشرقون على اختلاف أجناسهم وتنوع مذاهبهم وتعاقب أجيالهم، ولم يشذ منهم سوى نفر قليل قد ضاعت أصواتهم وسط هذا الخضم العاتي من الأكاذيب والأضاليل حول الإسلام والمسلمين.

إذن فلم تكن تلك الحوادث رغم بشاعتها ورغم أنها تنافي تعاليم الإسلام السمحة هي السبب فيما وصل إليه الغرب من الإسفاف في أدبيات الخطاب الإعلامي الغربي، وإنما هو عود على بدء، ورجع الصدى، ووصل ما انقطع من كتابات المستشرقين الذين أرسوا منهج الإساءة للمسلمين فتغلغلت في نفوس الأوروبيين ورسخت في أذهانهم دون أن يكلف أحد من مثقفي أوروبا نفسه تحري الدقة في صحة تلك الكتابات.

من حصاد الاستشراق

تمخضت أهداف المستشرقين عن كم هائل لا سبيل إلى حصره من المؤلفات والدراسات التي تضمنت آراءهم وأفكارهم وتصوراتهم على اختلاف مذاهبهم وأزمانهم وجنسياتهم حيال العرب كتاريخ وتراث، وحيال الإسلام كعقيدة، واتفقوا فيما بينهم، رغم تباين واختلاف أفكارهم الذي يصل إلى حد التناقض أحيانا، على شيء واحد هو؛ الإساءة للإسلام كعقيدة وفقه وشريعة، وللعرب كأمة وتاريخ وتراث.

ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا أنه من الصعب، إن لم يكن من المستحيل أن نجد مستشرقا قد أفلت من أسر التعصب والهوى، عدا قلة محدودة قد اتسمت بقدر من الإنصاف والحيدة غير أن صوتها قد ضاع وسط هذا الخضم العاتي من التعصب وكراهية كل ما يمت إلى الإسلام بصلة. ولقد توزعت أدوار هؤلاء المستشرقين؛ فمنهم من أساء للإسلام كعقيدة، ومنهم من أساء للرسول ﷺ ومنهم من حط من شأن تراث العرب، ومنهم كذلك من حقر من شأن المسلمين كأمة... وهكذا. حتى التراث العلمي العربي لم يسلم هو الآخر من الحقد والتعصب، فقد وصف بعضهم الإنتاج العلمي العربي بالبربرية والجهالة (١)، لأن العرب في زعمهم لم يخلقوا للتفكير الأصيل المبتكر (٢)، ولعل الدليل على أن الحملة ضد الإسلام ذات جذور بعيدة في الفكر الأوروبي ما أورده محمد كرد علي في كتابه «الإسلام والحضارة العربية» والصادر في سنة ١٩٣٣م إذ يقول: «اختلفت مناحي الطاعنين على الإسلام في الغرب منذ نحو مائتي سنة، فكان فيهم المخلص في نقده، بيد أنه لم يرزق من نزع ربقة الهوى ما يؤهله لإصدار أحكام على العرب ومدنيتهم خالصة من العيوب والنزغات. ومنهم الذي لم يصل إلى درجة من التحقيق، فأرسل كلامه إرسالا، ظانا أنه أصاب شاكلة الصواب وما هو منه بقريب. ومنهم من أعمى التعصب المذهبي بصره وبصيرته، فكال الباطل كيلا، وخلط وخبط تحت ستار العلم والبحث».

فمن سخافات المؤلفين الذين ألقوا الكلام على عواهنه في الإسلام قول «كوفين» من جامعة واشنطن: «إن الشريعة الإسلامية التي دان بها وقدسها، مئتان وثلاثون مليونا من الناس قد حفظت في تضاعيفها شرورا اجتماعية تئن منها الإنسانية، ومع هذا قدست الشريعة هذه الشرور باسم الدين» (٣).

أما «رينان» وهو مستشرق ومؤرخ فرنسي شهير فقد كرس كل جهده طيلة حياته في الإساءة إلى الإسلام كعقيدة والطعن على العرب كأمة، ومن آرائه التي لم يحد عنها قوله: «إن الإسلام دائما اضطهد العلم والفلسفة، وإن ما يميز المسلم تمييزا جوهريا هو كراهية العلم والاقتناع أن البحث لا فائدة منه وأنه عبث، وشبه كفر، وقوله أيضا: إن الإسلام هو التوحيد غير المميِّز بين ما هو روحي وما هو دنيوي، إنه سيطرة عقيدة، وهو أثقل قيد حملته الإنسانية» (٤).. وقوله كذلك: «إن المسلمين هم أول ضحايا الإسلام وتحرير المسلم من دينه هو أكبر خدمة يمكن أن تُسدى له» (٥).

وأغلب الظن أن المقصود بمثل هذه الكتابات التي يشيع فيها العداء والإساءة للإسلام كعقيدة وللمسلمين كأمة هم أبناء الغرب أنفسهم خشية أن يدركوا حقيقة الإسلام ويدخلوا فيه أفواجا مثلما سبقتهم أمم وشعوب قد دخلوا في دين الله أفواجا. وفي هذا يقول الأستاذ محمود شاكر: «إن كتب الاستشراق ومقالاته ودراساته كلها مكتوبة أصلا للمثقف الأوروبي وحده لا لغيره، وإنها

كتبت له لهدف معين لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المحررة، بل الوصول إلى حماية عقل هذا المثقف الأوروبي من أن يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في الجنوب» (٦).

وعلى الرغم من هذه الحقيقة، فإننا نعتقد كذلك أن كتب الاستشراق ودراساته مكتوبة - أيضا - لأبناء العرب المسلمين، لأهداف شتى أهمها ما يتعلق بالتبشير، إذ إن الاستشراق والتبشير كانا مختلطين أو متكاملين، وأن هذا الاختلاط أو التكامل قد أوقعهما في البعد عن موضوعية العلم ونزاهته، وفتح الباب لهذا السيل المتدفق من الطعن والافتراء على كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين (٧).

ولاشك أن مثل هذه الآراء هي التي رسخت في عقول أبناء الغرب جيلا بعد جيل حتى وصل الأمر إلى ما هو عليه الآن، وفيما يلي بعض تلك الآراء التي لا نظن أنها قد تغيرت بعد بدليل أننا الآن، وبعد هذا الزمن الطويل، نجد أصداءها في الخطاب الإعلامي الغربي:

١- إذا كنا لا نتوقع أي قدر ولو ضئيل للغاية من الموضوعية والتجرد في كتابات المستشرقين، فهذا دأبهم منذ ظهر الاستشراق، إلا أننا لم نتخيل أن «هانوتو» وهو سياسي ومؤرخ شهير قد شغل منصب وزير خارجية فرنسا، وهو منصب يفرض عليه قيودا دبلوماسية ويحسب للألفاظ ألف حساب، أن يتورط بأكثر ما تورط فيه المستشرقون من الغلو والأكاذيب، فقد أيد فكرة مجنونة لباحث فرنسي يدعى «كيمون».. حيث يقول الإمام محمد عبده نقلا عن «هانوتو»: «قال المسيو «كيمون» في كتابه «باثولوجيا الإسلام»: «إن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكا سريعا، بل هي مرض مريع وشلل عام يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن على معاقرة الخمور ويجمح في القبائح...الخ» أمثال هذا الكاتب يعتقدون أن المسلمين وحوش ضارية وحيوانات مفترسة، وأن الواجب إبادة خُمسهم (كما يقول المسيو كيمون) والحكم على الباقي بالأشغال الشاقة... وهو حل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشري... أليس كذلك؟.. ولكن قد برح عن خاطر الكاتب أنه يوجد نحو ١٣٠ مليون مسلم في ذلك الوقت وأن من الجائز أن يهب هؤلاء المجانين للدفاع عن أنفسهم والذود عن دينهم» (٨).

وإذا كان لنا من تساؤل حول تلك الفكرة المجنونة التي أيدها سياسي في حجم «هانوتو» وزير خارجية فرنسا آنذاك، فإننا نتساءل فنقول: هل ما جرى في الجزائر على يد فرنسا من قتل ما يزيد على مليون شهيد، كان تطبيقا فعليا لفكرة إبادة خُمس المسلمين؟

ومن الجدير بالذكر أن هذه الآراء وغيرها قد رد عليها في وقتها الشيخ محمد عبده في كتابه الشهير «الإسلام دين العلم والمدنية» ردا مفحما أثار إعجاب الغيورين على الإسلام. وفي هذا يقول حافظ إبراهيم في معرض رثائه للشيخ في بيته المشهور:

وقفت لـ «هانوتو» و«رينان» وقفة

أمدك فيها الروح بالنفحات (٩)

٢- لعل دائرة المعارف الإسلامية هي المثل الحي والواضح على نزعات ودوافع الاستشراق فالنزعة العلمية المجردة قليلة للغاية بالقياس إلى نزعات الهوى والتعصب العرقي والديني، وإن كان الجميع قد اتخذوا من المنهج العلمي ستارا لهذه النزعات. ومن المعروف أنه قد عكف على ترجمتها نفر من شباب خريجي الجامعة المصرية وقتها وهم الأساتذة إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتناوي وعبدالحميد يونس، فأصدروا أول أجزائها سنة ١٩٣٣م. ولم يكتف هؤلاء الثلاثة بمجرد الترجمة، فلاشك أنه قد آلمهم ما في بعض مواد الدائرة من ظلم بين وإساءة واضحة، وطعن صريح في كل ما يمت إلى العرب والإسلام بصلة. لذا فقد تناولت هذه المواد جمهرة من علماء المسلمين بالرد والتصحيح وبيان فساد المنطق وبطلان النتائج. وإذا رجعنا إلى مواضع الاستشهاد فيما يمتّ إلى الإساءة إلى الإسلام بصلة في الدائرة فسوف نجدها أكثر من أن تعد وأن تحصى. غير أن القراءة العابرة لمواد الدائرة سوف تأسف على أن مواضع التعليق والتعقيب أكثر ما تسود في تلك المواد التي تتعلق بكل ما يمت إلى الإسلام كشريعة وعقيدة (١٠).

وعن هذه الدائرة يقول الدكتور إبراهيم عوض: «هالني ما يسود من انحراف عن المنهج العلمي وعداء بارز للإسلام ورسوله وكتابه وعقائده وشرائعه ورغبة حارقة في تلطيخ كل شيء فيه. وقد دفعني هذا كله إلى الكتابة عن هذه الموسوعة وتبيين

ما فيها من انحراف وإلقاء الضوء على الأخطاء الرهيبة، والتناقضات الخطيرة التي تطفح بها وتنبيه القارئ إلى النوايا البشعة التي تكمن خلف ذلك» (١١).

٣- قد ظهرت لنا - من واقع ترجمة مؤلفات المستشرقين - قضية على جانب كبير من الخطورة والأهمية، وهي العلاقة بين المترجم العربي المسلم وبين الكاتب الأجنبي غير المسلم. ووجه الخطورة هنا أن المترجم ينقل عن هذا المستشرق أفكاره عن الإسلام التي سوف يراها المترجم خاطئة أحيانا، أو لا صلة بينها وبين تعاليم الإسلام وحقائقه المستقرة أحيانا أخرى، ويغلب عليها الهوى والتعصب في جميع الأحيان. ولقد تتبعنا جملة من مؤلفات المستشرقين المترجمة إلى العربية التي حاول المترجمون جهدهم أن يردوا على ما في تلك المؤلفات من آراء تجافي الحقيقة وتذهب إلى مرمى أبعد من هذا، وأقرب إلى الغزو الفكري.

ومن الأمثلة على هذا ما جاء في «تاريخ العرب العام» وهو كتاب شهير لمستشرق شهير أيضا هو سيديو Sedillot والذي قام بترجمته إلى العربية واحد من أبرز المترجمين العرب وهو عادل زعيتر.

وعلى الرغم من أن سيديو قد أنصف الحضارة العربية، ولاسيما فيما يتعلق بالتراث العلمي فإنه قد تجنى كثيرا على الإسلام كشريعة. وقد حرص ناشر الكتاب أن يقوم بالتعقيب على بعض ما جاء فيه عبر جهة مختصة بهذا الأمر. يقول الناشر: لما كنا حريصين على الأمانة العلمية وحتى لا ندع وجهة نظر خاصة تفرض نفسها على القارئ - يقصد آراء سيديو - فقد رأينا أن نتصل بمجمع البحوث الإسلامية ليبدي رأيه فيها (١٢).

وقد أحسن المجمع التعقيب على آراء المؤلف «الذي يؤخذ عليه عدة مآخذ حين عرض لسيرة محمد ﷺ والتشريع الذي أتت به رسالته والقرآن الذي أوحي إليه، فقد زل قلمه، ولسنا ندري أعن تعصب ضد الإسلام أم عدم معرفة صحيحة به» (١٣).

ومثال آخر وهو المستشرق الألماني الشهير كارل بروكلمان K. Brockelmann الذي يعد في الطليعة من المستشرقين المشهورين، ولاسيما أنه ألف كتابا موسوعيا ضخما هو «تاريخ الأدب العربي» غير أن له كتابا آخر هو «تاريخ الشعوب الإسلامية» ضمنه كثيرا من الآراء الجائرة بحق الإسلام والعرب حتى يخيل لقارئه أن كل صفحة من صفحاته بحاجة إلى المراجعة والتعقيب مما حدا بالأستاذين نبيه فارس ومنير البعلبكي اللذين قاما بالترجمة أن يقولا في مقدمة الكتاب: «وإذا كان في الكتاب بضعة آراء خاصة بالمؤلف تتنافى أحيانا مع وجهة النظر الإسلامية فقد عهدنا بالتعليق عليها إلى زميلنا الدكتور عمر فروخ» (١٤).

وعلى الرغم من أن الدكتور عمر فروخ قد بذل جهدا محمودا في الرد على ما جاء في الكتاب من آراء بعدت عن جادة الصواب فإنه يبدو لنا أن الدكتور فروخ قد هاله كثرة آراء بروكلمان التي هي بحاجة إلى التعقيب عليها فآثر بعضها بالتعليق دون البعض الآخر وقد نبه إلى ذلك صراحة بقوله: «يبدو أن معلومات بروكلمان ضعيفة في الفقه والعبادات، من أجل ذلك أحب أن أسترعي نظر القارئ إلى التفطن لذلك من غير أن أعلق على كل شيء، وإلا اضطررت إلى أن أبسط حقائق الدين الإسلامي من جديد» (١٥).

ومن أعجب الأمور التي صادفتنا أثناء البحث في مؤلفات المستشرقين المترجمة إلى العربية وجود بعض المؤلفات قد خرج فيها المترجم عن النطاق المألوف في الترجمة حيث امتنع عن ترجمة نصوص بعينها فلم يثبتها ضمن ما ترجم من نصوص. ومن أمثلة ذلك ما جاء في الفصل الثاني من كتاب «الحضارة العربية» للمستشرق الألماني يوسف هل J. Hell وهو الفصل الخاص بالرسول ﷺ. فقد وجدنا أن الدكتور إبراهيم العدوي مترجم الكتاب يقول

في بعض هوامشه: «اقتضى هذا الفصل تعديلا في الأسلوب ولاسيما في بعض الفقرات التي عالج فيها المؤلف شخصية الرسول ﷺ ودعوته إلى الإسلام إذ يحمل تجنيا يكشف عن تعصب المؤلف، ووقوعه في الخطأ الذي تردى فيه كثير من غلاة المستشرقين» (١٦). وأغلب الظن أن المترجم قد تحرج من ترجمة آراء هذا المستشرق الذي يبدو أنه أساء الأدب أكثر مما أساء العلم.

وقد دأب المترجمون العرب على تنبيه القارئ العربي المسلم إلى ما في الكتاب من أخطاء علمية أحيانا وضلالات في أغلب الأحيان، مثال ذلك ما جاء في تقديم الدكتور شاكر مصطفى المشرف على ترجمة كتاب «تراث الإسلام» لشاخت وبوزورث Sachat لله Posourth. إذ قال: «يجب أن نعلم أن هذا الكتاب، كتاب غربي وليس بإسلامي، ويجب ألا نفتش فيه عن وجهة النظر الإسلامية، ولا عن إنصاف الإسلام وتقديره، إنه ليس منا ولم يكتب لنا، هو غربي صرف في محرريه ومضمونه ومغزاه. وقد وفقوا حينا، وأخفقوا أحيانا، وكانوا في الغالب إلى غمط الحق أقرب، وإلى السلبية والهوى أدنى» (١٧).

وشهد شاهد من أهلها

وعلى الرغم من تلك الأكاذيب التي أشاعها المستشرقون والتي وجدت صداها في نفوس الغرب، مما نلاحظه جليا وواضحا في لغة الخطاب الإعلامي في سائر الدول الغربية، فإننا لا نعدم

فريقا، وإن كانوا من القلة بمكان، قد هاله تلك الأكاذيب فحاولوا جهدهم أن يبينوا لبني قومهم من أبناء الغرب مدى ما وقعوا فيه من أمور جانبها الصواب جملة وتفصيلا. ومن هؤلاء كتب المؤرخ الإنجليزي «سانت موس» St. Moss يقول: «ولايزال أتباع محمد يتهمون بالكثير من التهم الباطلة. ويعانون إلى اليوم مما أذاعه عنهم خصومهم في العصور الوسطى من تخرصات أساءت إلى سمعتهم، كما أن أوروبا تنظر إليهم اليوم بالعين التي كانت تنظر بها إليهم أيام الحروب الصليبية.

وقد اعتقد كثير من المؤرخين أن الفتح الإسلامي مظهر لحرب صليبية أو دينية عامة يشنها مقاتلة متعصبون حالمون، يشهرون السيف في يمينهم ويحملون القرآن في شمالهم وهو قول لا ينطبق إلا على موقف الإسلام حيال المشركين من أهل الجزيرة، والواقع أن الإسلام كان شديد التسامح مع غير أبناء دينه» (١٨).

وحول هذا المعنى يقول أيضا «كويلر ينج» Cuyler Young: «والحروب الصليبية لم تكن حروبا دينية بالمعنى الدقيق. فلم يكن الغرض منها نشر المسيحية بين غير المسيحيين، بل كان الغرض في الواقع غزو الأراضي التي يحكمها المسلمون، ووضعها تحت حكم حكام من المسيحيين».

وبطبيعة الحال استعملت الدعاية ضد الإسلام كل أنواع الكذب وإشعال شعور الشعوب المسيحية ضده، حتى يبذل المسيحيون في حربه النفس والمال. ولاشك أن القرون التي اشتعلت فيها الحروب الصليبية تعتبر أعظم فترة يندى لها جبين المسيحية في كل عصورها. وقد مر على نهاية هذه الحروب خمس مئة سنة من الزمان. ولكن هذا العهد الطويل لم يمح الخزي والأكاذيب التي خلفها الصليبيون.

استمر تيار الدعاية يتدفق ضد المسلمين بالأكاذيب إلى جميع أنحاء أوروبا قرونا عديدة ومن أجل ذلك فقد امتلأت عقلية السواد الأعظم من أبناء أوروبا، بكثير من المعلومات المكذوبة عن الإسلام والمسلمين. ولم تتمكن حركة تثقيف الشعوب في العصر الحديث من إزالة هذه الأفكار بعد، ويكفي للدلالة على ذلك أن نرجع إلى الأدب الشعبي في أوروبا من إيطاليا إلى إنجلترا، لنجد عددا لا يحصى من الأحكام غير الصحيحة على عقيدة المسلمين، وعلى محمد نبي المسلمين بصفة خاصة. والمسلمون اليوم على حق، حين يغضبون لما يتردد من أنباء غير صحيحة عنهم وعن ديانتهم، في صحفنا اليومية والشهرية، بل وفي عظات القساوسة، وفي أقاصيصنا، بل وكتبنا المدرسية (١٩).

إذن فهجمات سبتمبر أو التفجيرات التي حدثت في بعض العواصم الأوروبية، لم تكن هي السبب الرئيسي في تلك الهجمة الشرسة من الإساءة على الإسلام والمسلمين، وإنما الإساءة كامنة في العقل الأوروبي بفعل آراء وكتابات المستشرقين ومن ذهب مذهبهم عبر أجيال طويلة من التشويه المتعمد للإسلام وللمسلمين.

وأغلب الظن أن مفهوم الإسلام في العقل الأوروبي، لا يمت بصلة إلى الإسلام الحقيقي الذي يعرفه المسلمون أصلا، سواء فيما يتعلق بالرسول ﷺ أو تعاليم الإسلام وشريعته ومقاصده... الخ، الأمر الذي يستوجب على جميع مؤسسات ومنظمات الدول الإسلامية الرسمية منها والأهلية من جمعيات وجامعات ومعاهد بحث، التصدي لهذا التشويه المتعمد الذي لحق بالإسلام.

وإذا كان العالم كله يتشدق بأنه يعيش في عصر المعلومات عبر الفضائيات تارة وشبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) تارة أخرى، فإننا مطالبون، أقصد الدول الإسلامية، أن توجه بعض جهودها، من خلال معطيات هذا العصر المختلفة، ووسائله المتنوعة، وتقنياته المستحدثة، لبيان وجه الإسلام الصحيح إلى دول الغرب، كل بلغته، وشرح حقيقة الإسلام وسماحته لمن لا يعلم ومن ثم إيضاح وجه الخطأ في كتابات المستشرقين، وأنها ليست بالأساس الذي ينبغي فهم حقيقة الإسلام اعتمادا عليه.

إنها دعوة لعلها تلقى مجيبا.

الهوامش:

١- تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه، عبدالحليم منتصر، ص ١٢٨.
٢- في تراثنا العربي الإسلامي، د. توفيق الطويل، ص ٥٨.
٣- الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، ج ١ ص ١٣.
٤- موسوعة المستشرقين، د. عبدالرحمن بدوي، ص ٣١٤.
٥- المصدر السابق، ص ٣١٧.
٦- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص٦١.
٧- نظرات في حركة الاستشراق، د. عبدالحميد مدكور، ص ٢٣.
٨- الإسلام دين العلم والمدنية، محمد عبده، تحقيق د. عاطف العراقي، ص ٦٥.
٩- ديوان حافظ إبراهيم، جمع وتحقيق أحمد أمين وآخرين، ج ٢ ص ١٤٥.
١٠- دائرة المعارف الإسلامية، مقدمة الطبعة الثانية، ج ١ص ٨.
١١- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية... أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض، ص ٥.
١٢- تاريخ العرب العام، سيديو، ترجمة عادل زعيتر، ص ٧.
١٣- المصدر السابق، ص ٤١٧.
١٤- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه فارس ومنير البعلبكي، ص ٧.
١٥- المصدر السابق، ص ١٩.
١٦- الحضارة العربية، يوسف هل، ترجمة د. إبراهيم العدوي، ص ٣٣.
١٧- تراث الإسلام، شاخت وبوزورث، ترجمة د. حسين سلمان مؤنس وآخرين، ج ١ ص ٢١٩.
١٨- ميلاد العصور الوسطى، هـ. سانت موس، ترجمة عبدالعزيز جاويد، ص ٢٣٩.
١٩- الشرق الأدنى... مجتمعه وثقافته، ت. كويلرينج، ترجمة د. عبدالرحمن أيوب، ص ١٤٤.

حجازي عبدالنبي
كاتب وباحث في الشؤون الإسلامية

الزواج وروح الإسلام

القرآن والزواج

يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١)، هذه آية من كتاب الله تعالى فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام، وهو نظام الازدواج، وكينونة العائلة، وأساس التناسل. وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشذاذ.

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين؛ وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة، ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا، وأودعت في نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارا للحياة والمعاش، وأنسا للأرواح والضمائر، واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾.. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾.. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.. فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر، ملبيا لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية، بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد.

ومع مستجدات الحياة والقوى المضادة، التي من أهدافها المحورية إعاقة هذه العلاقة بين الزوج وزوجه عن التواصل والاستمرارية للجنس البشري المسلم، وبذلت في سبيل ذلك جهودا ضخمة مضنية، تحطمت كلها على صخرة الصمود الإنساني المسلم المؤمن، حيث كانت كل هذه القوى تفاجأ كل مرة تظن فيها أن جهدها سيؤتي ثماره في إيقاف العلاقة بين الزوجين أو تحريفها عن مسارها الصحيح، أو تجميد حركتها، بأنها كانت واهمة، وأما ما أقدمت عليه من مواقف ومبادرات فقد استطاع القرآن والسنة أن يعالجاه ويستثمراه في مصلحة بناء الأسرة المسلمة المؤمنة.

المودة والرحمة في الزواج

إن الزواج حرث للنسل، سكن للنفس، متاع للحياة، طمأنينة للقلب، إحصان للجوارح، كما أنه نعمة وراحة وسنة وستر وصيانة، وسبب لحصول الذرية الصالحة التي تنفع الإنسان في الحياة وبعد الممات. والزواج في الإسلام عقد لازم وميثاق غليظ، وواجب اجتماعي وسكن نفسي فيه سبيل مودة ورحمة بين الرجال والنساء يزول به أعظم اضطراب فطري في القلب والعقل ولا ترتاح النفس ولا تطمئن من دونه.

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.. إن المودة والرحمة من أجمل المشاعر التي خلقها الله تعالى، وهي في الوقت نفسه متعة وسكن في الدنيا، فإذا اجتمعت معها تلبية احتياجات الجسد الذي يساعد عليه الغريزة المركبة في الناس كملت هذه المتعة، وعندما يؤوي كل من الزوجين إلى شريكه، ويأنس به، ويتلذذ بقربه، ويعف نفسه معه، فإن في الآخرة لذة أبقى أعدها الله للمؤمنين.

إن من أهداف ومقاصد الزواج: السكن، الراحة، المودة بينهما؛ فالزواج قرة للعين، فرحة للقلب، مسرة للنفس، انشراح للصدر، سعادة للروح، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان:٧٤)، إن عباد الله الصالحين يرجون ربهم سبحانه أن يقر أعينهم بأزواج من ذات الجنس البشري المخلصين الصالحين، تسكن إليهن النفوس، وتأوي إليهن الأفئدة، يشعرون معهن بالسكن والألفة، كذلك أيضا يرجون الله سبحانه أن يقر أعينهم بذرية صالحة تعقبهم وتخلفهم.

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة تبين منهج العدل والنجاح في الحياة الزوجية، ومن ذلك أن ينظر الزوج إلى إيجابيات زوجته قبل النظر في سلبياتها، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر».

قال الإمام النووي رحمه الله في

شرحه لصحيح مسلم: «أي ينبغي أن لا يبغضها، لأنه إن وجد فيها خلقا يكرهه وجد فيها خلقا مرضيا؛ بأن تكون شرسة الخلق لكنها دينة أو جميلة أو عفيفة أو رفيقة به أو نحو ذلك».

وما أجمل أن يتأسى المرء بالنبي الكريم ﷺ في ذلك، فلم يسمع عنه أنه أهان زوجاته، حتى ولو بإشارة، ومن عظيم محبته لهن -رضي الله عنهن- أنه كان يشاركهن المأكل والمشرب من نفس الإناء، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت: «كنت أشرب فأناوله النبي، فيضع فاه على موضع في، وأتعرق العرق فيضع فاه على موضع في» (العرق: العظم. وعرقت العظم وتعرقته: أخذت اللحم عنه بأسناني نهشا. (١)

إن رسول الله ﷺ كان يقدر أزواجه حق التقدير، ويوليهم عناية فائقة ومحبة لائقة، فكان نعم الزوج. وخلاصة القول، إن المودة والرحمة والعدل والنجاح في الحياة الزوجية تتطلب أن يعامل الزوج زوجته حسب ما يمليه المنهج الأخلاقي القرآني، وأن ينظر إلى إيجابياتها قبل التأثر بسلبياتها، وله عبرة في قصص تعامل النبي عليه الصلاة والسلام والسلف الصالح مع زوجاتهم.

الزواج والحياة

إن الحياة بكل ما فيها لا تخلو من السعادة والفرح والحزن وغير ذلك من الأمور الحياتية الزوجية، وانطلاقا من عنوان مقالنا أقول: إن الدعوة إلى تبني منهج الوسطية في الحياة الزوجية بعيدا عن الإفراط والتفريط والتسيب والمغالاة والآلام والجراح التي يمر بها كلا الزوجين من أعباء الحياة وتكاليفها، ما هي إلا لتوعية الزوج وزوجه على تحمل أعباء الحياة الأسرية.

إن الناظر والقارئ في التاريخ الفكري والأخلاقي ليرى أسماء عظاما خلد التاريخ ذكرهم فلم يبحثوا يوما عن شهرة في الأرض أو هرولة وراء مغانم الدنيا وبهجتها.. ومن هنا أدعو كلا الزوجين للصبر والمجاهدة والتعايش مع سير حياة من باعوا أنفسهم لله وحده، فالزوجة في عهد سلفنا الصالح -رضي الله عنهم- كانت نعم العون، بعد الله تعالى، لزوجها، وكانت توصيه عندما يريد أن يخرج في الصباح إلى عمله وإلى قضاء مصالحه تقول له: «يا أبا فلان، اتق الله ولا تأكل حراما، فإنا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على عذاب الله يوم القيامة»، وقد لامست ذلك من نساء ونماذج مشرفة للمرأة في العصر الحاضر، بينما البعض الآخر اليوم، إلا من رحم الله، تريد كل جديد، ولا تراعي أحوال زوجها، بل كثيرهن لا يساعدنه على أمر دينه ودنياه؛ يقول عبدالله بن جعفر -رحمة الله تعالى عليه- موصيا ابنته قائلا: «يا بنيه إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق. وإياك والمعاتبة؛ فإنها تورث الضغينة. وعليك بالزينة، واعلمي أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء».

فالزواج ليس كما تصوره الحضارات الغربية الداعية لجعل المرأة سلعة للتجارة بمفاتنها، وليس نظاما فاشلا كما يتصور البعض، ولكن بعض الأزواج والزوجات هم الفاشلون والفاشلات، لكونهم لم يتفقهوا في أمور دينهم قدر المعرفة، لذلك يفشل زواجهم، وإن جئنا لتشبيه أكثر واقعية لهذا الأمر نقول: إن الزواج كشريط سينمائي يتحمل فيه الزوج مسؤولية السيناريو والإخراج، وتتحمل فيه المرأة الحوار والمؤثرات الصوتية. ومن هنا يقف الزوج مع زوجه وقفة ليراعي أحوالها، وليكون رفيقا ورحيما بها.

وأذكركم بما قاله أحد الصالحين؛ وهو عبدالله بن عون، رحمه الله، هذا الرجل الصالح قال كلمة رائعة فيها خلاص الناس من همومهم ومتاعبهم ومشاكلهم ومما يعانون منه في شؤون الحياة جميعها، يقول: «ذكر الناس داء وذكر الله دواء». فكيف ندع الدواء، وهو ذكر الله تعالى، والتماس ذلك في حياتنا، فاذكروه سبحانه دائما تحلو لكم الحياة وتصفو.

الزواج سنة من سنن الله في خلقة بقوانين وضوابط

إن الزواج مشروع للإنسان كنوع من التكريم، حيث يأنس كل زوج بصاحبه ويسكن إليه، فلم يترك الله تعالى العلاقة بين الزوجين على الشيوع دون أن تتقيد بقيود تضبطها وتسمو بها فتجعلها على الجهة اللائقة بكرامة الإنسان، سواء كان رجلا أو امرأة.

فلو لم يكن نظام الزواج لسادت الحياة البهيمية ولضاع النسل، لذلك فقد شرع الله الزواج الذي يوافق فطرة الإنسان ويلاحظ ميل كل من الجنسين إلى الآخر.

يقول صاحب «تحفة العروس» د. حامد أحمد الطاهر (ص ١٠): «إن الغاية من الزواج ألا يتحول الإشباع الجنسي إلى حالة من فوضى الغرائز التي لا تعبأ بالعواقب أو مسؤوليات الأعمال، فالعقد في الزواج لا يعني أن المرأة شريكا شرعيا أمام الناس وفقط، بل أمام الله سبحانه وتعالى، ليطوق بذلك

حيوانية الرغبة التي يشترك فيها الإنسان مع الحيوان، فيصبح السلوك الإنساني هنا ما أراده الله ثم ما أراده الشرع لا ما أرادته الغريزة فقط».

«إن الزواج ميثاق شرعي يقوم على أسس المودة والرحمة والسكينة، تحتل به العلاقة بين رجل وامرأة ليس أحدهما محرما على الآخر». (٢)

الزواج سنة من سنن الله في خلقه، وسبب في التكاثر والتكوين والازدياد، لا يشذ عنه عالم الإنسان والحيوان والنبات، تدفعهم في ذلك الغريزة والفطرة التي جبلهم الله عليها، جاعلا بذلك هذه الفطرة سنة تسير عليها جميع مخلوقاته.

ومن سنن الله الكونية أن جعل من كلِّ زوجين اثنين يكمل أحدهما الآخر ويسكن إليه، ومما يؤكد هذه السنة قول الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات:٤٩). «ولقد ثبت بالإجماع أن النكاح مشروع للناس؛ لما فيه من تحصين للنفس، وإعفاف لها، وهذا ما ذهب إليه عامة الفقهاء». (٣)

النصح والإرشاد في الأسرة المسلمة

إن المتأمل في قصة لقمان الحكيم –عليه السلام– من الدعوة الحكيمة والنصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يحب المرء لغيره ما يحبه لنفسه، يدرك قيمة نصح الوالدين لأبنائهما. ثم إنه ذكر التواصي: أولا الدعوة إلى الله تعالى، وثانيا: الثبات عليها بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومنه قوله تعالى (كما قال بذلك الرازي في تفسيره ٢٠١/١٧): ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧).

يقول الإمام أبو زهرة – رحمه الله – في كتابه الأحوال الشخصية (ص ١٩): «فالوحدة الأولى لهذا المجتمع هي الأسرة، فهي الخلية التي تتربى فيها أنواع النزوع الاجتماعي في الإنسان عند أول استقباله للدنيا، ففيها يعرف ما له من حقوق، وما عليه من واجبات، وفيها تتكون مشاعر الألفة والأخوة الإنسانية وتبذر بذرة الإيثار».

وقد أخبر الرسول الكريم ﷺ عن عظم مقام النصح في دين الله تعالى، وعن شرف منزلته في حديث عظيم هو من جوامع كلمه الذي رواه الإمام مسلم في الصحيح من حديث تميم الداري وله شواهد عند غير مسلم، يقول: «الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم». وقيام الإنسان، بما توجبه عليه هذه النعمة وتلك الأمانة، يعني، بالضرورة، أن يهتم بأبنائه، عقلا، وجسدا على السواء؛ إذ إن بعض الآباء يظن، خطأ، أنه بمجرد توفير حاجيات أبنائه المادية، فإنه يكون قد برهم، وأحسن واجبه تجاههم. والبعض يظن أن انشغاله معظم الوقت بمتطلبات أبنائه المعيشية، يمثل ذريعة له عن تقصيره في حسن رعايتهم وتفقد أحوالهم وأحوال زوجه. والأولى بهؤلاء الآباء أن يفرغوا أنفسهم قدر المستطاع لتقديم النصح والإرشاد لمن يرعونهم ويزرعون في قلوبهم الخير وحب الخير والكلام الطيب، يقول البيهقي في كتابه «مناقب الإمام الشافعي (٧٦/٢)» رضي الله عنهما: «إن الأفئدة مزارع الألسن، فازرع الكلمة الكريمة فيها؛ فإنها إن لم تنبت كلها نبت بعضها». فهناك أناس من نعمة الله تعالى عليهم أن يقيض له الناصحين الذين يرشدونه إلى الخير، ويأمرونه بالمعروف، وينهونه عن المنكر، ويسعون في سعادته وفلاحه، ومن تمام هذه النعمة أن يوفق لطاعتهم واستجابة نصحهم وإرشادهم.

يقول صاحب «الكشكول» فضيلة العلامة ابن عقيل النجدي عليه رحمة الله تعالى (ص ٢٦٧): «إن تربية المعلم أهم من تربية الأب؛ لأن تربية الأب سبب لوجوده في الحياة الفانية، والمعلم سبب في الحياة الباقية! فكن أيها الأب أبا لأولادك ومعلما لهم، ولذا أنصح بها إخواني من المعلمين والمعلمات. ولهذا كان الاعتناء بأمر الأسرة والعائلة من مقاصد الشريعة الإسلامية للبشرية كلها». ومن هنا أقول، إن ما تقدم بشأن النصح والإرشاد داخل الأسرة، وبخصوص اعتبارات جعل مؤسسة الأسرة حافظة للكيان الاجتماعي، أنه لما كان لهذه المؤسسة شأنها العظيم، من حيث البناء والاقتداء، فإن مقاصد أحكامها جديرة بالتفعيل ومخاطبة الدعاة للأسر في وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة.

الهوامش

١- النووي: المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٢١١/٣، وابن منظور: لسان العرب، مادة عرق ٢٤٠/١٠.

٢- المدخل إلى علم النفس الاجتماعي، د. باسم محمد ولي و محمد جاسم ص ٤٨٩.

٣- المغني والشرح الكبير: موفق الدين وشمس الدين ابنا قدامة، ج٧، ص٣٣٤.

د. رضا إسماعيل رضوان
باحث دواسات إسلامية

شبح التغير المناخي

الأصل في الطبيعة - كما خلقها الله - أنها مسيرة بكافة عناصرها وفق مقاييس منزلة من عنده سبحانه وتعالى، قال بحكمته ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر:٢١) أي . وبحسب هذه الآية الكريمة . وجدت الجبال في مواضعها المحددة والبحار والأنهار تجري مجراها الموصوف والرياح تنطلق حسب الآليات والتوجهات المقررة، وفي الشمال والجنوب المتطرفين من الكرة الأرضية الجليد وجباله وأنهاره وفي المدارات الشمالية والجنوبية مناخها الذاتي المختلف عن مدار خط الاستواء، وحركة الشتاء والصيف قائمتين بطولهما وقصرهما بحسب حركة الأرض ومداراتها في الكون.. وهكذا... يمكن القول كذلك أن المناخ وعناصره محكومة بضوابط؛ بردا أو دفئا حسب النظام الزمني المعروف في علم الله.

وقد أسرف البشر في معاملاتهم مع الموارد الطبيعية مما أسفر عن زيادة انبعاث غازات الدفيئة، وقد صح أن ينسب إليهم الفساد في الأرض، والذي من مظاهره بل من نتائجه، التغير المناخي على غير المسار الطبيعي، وهذا يمثل أهم المشكلات الحالية التي يلقي المجتمع العلمي المعاصر الضوء عليها.

لقد ارتفعت حرارة الكوكب منذ أواخر القرن ١٩ بمعدل ٠,٨٥ درجة مئوية. وسجل معظم هذا الارتفاع منذ عام ١٩٦٠م. فلقد زادت درجات الحرارة في بعض أجزاء القطب الشمالي بتسع درجات مئوية. وتفسر دورات المناخ الطبيعية، الأسباب الكامنة وراء ارتفاع درجات الحرارة بصورة متفاوتة. ومما ساعد على هذا الارتفاع في الحرارة ارتفاع نسبة انبعاثات الكربون بسبب تسارع التصنيع العالمي. وسيظل إيجاد وسيلة لوقف تلك الانبعاثات - ومن ثم وقف التغيرات المناخية . التحدي القائم خلال القرن المقبل.

أنشطة البشر خلف معضلة التغير المناخي

يذكر أنه في العام ١٩٩٢م اتفقت دول العالم في ريودي جانيرو على تلافي «التدخل البشري الخطير في النظام المناخي». وقد اجتمعت تلك الدول في ٢٠ مناسبة دون تحقيق تغيير يذكر فيما يتعلق بانبعاثات الكربون. في غضون ذلك أضاف البشر من الكربون في الجو ما يعادل الكميات التي أطلقت خلال القرن الماضي كاملا.

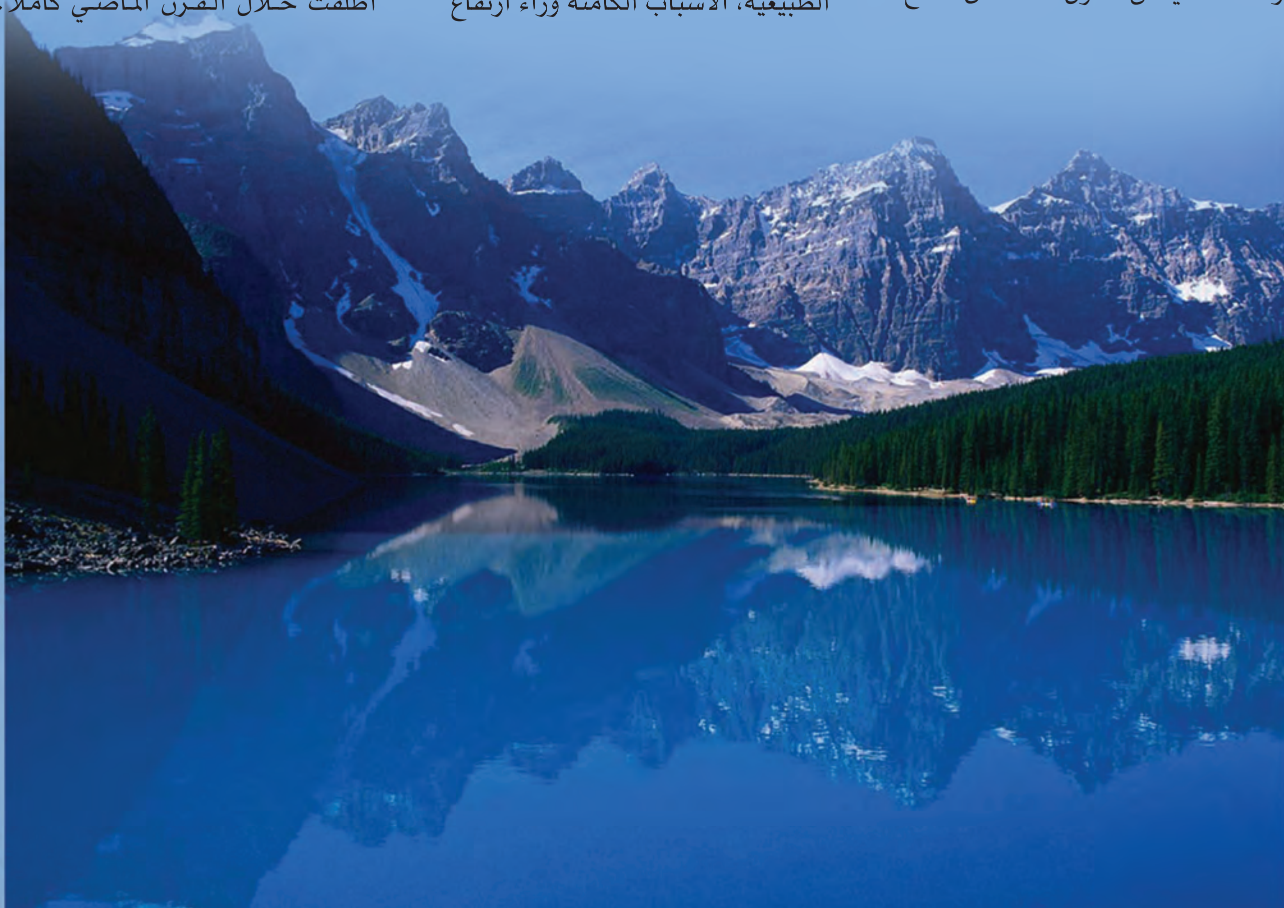

وقد كان العام الماضي والعقد المنصرم الأدفأ على الإطلاق منذ الشروع في تسجيل درجات الحرارة في العالم. وصار احتمال موجات الحر القياسية أكبر خمس مرات مما كان عليه من قبل. وقال العلماء في العام الماضي إن جزءا كبيرا من الصفيحة الجليدية الغربية للقطب الجنوبي سينهار لا محالة، ودلالة ذلك أن القرون المقبلة ستشهد ارتفاع منسوب مياه البحر؛ بما لا يقل عن ٢ و١ متر، بما في ذلك من انعكاسات في الحياة البرية والبيئية.

جزاء الإسراف واستنزاف موارد البيئة ومكوناتها

لقد أكدت البحوث والدراسات إسهام البشر بأنشطتهم الصناعية والتكنولوجية في زيادة معدل دفيئة أرض الله، ولذلك انعكاساته في تغيير الطقس والمناخ وما يترتب عليه من مساس بمعايير الطبيعة في مناطق الجليد الشمالي أو الجنوبي، وفي منسوب مياه المحيطات والبحار، وفي حركة الرياح والأعاصير.

إن التغير المناخي نشأ بفعل الجنوح البشري في استنزاف ثروات الأرض دون مراعاة المعايير التي أكد عليها الحق في محكم تنزيله، يقول ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴿١٩﴾ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسۡتُمۡ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢١﴾ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (الحجر:١٩-٢٢).

والخروج على المعايير الإلهية في تنظيم بنية الأرض ومناخها، حذرنا منه الحق جل وعلا منذ أربعة عشر قرنا من الزمان، قال بعزته ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ (الروم:٤١).

انعكاسات التغير المناخي في بيئتنا

أولا- مياه متزايدة الحرارة

وهذا يعني امتصاص البحار والمحيطات الكثير مما يطلقه البشر من ثاني أوكسيد الكربون والكثير من طاقة الشمس والحال كذلك تتغير الطبيعة الكيميائية لمياه البحار وتغير حرارتها، وهذا هدد العديد من الكائنات ويؤثر على الاقتصاد المبني على البيئة البحرية. كذلك يحتفظ الهواء الساخن بكمية أكبر من بخار الماء فترتفع نسبة الرطوبة ودرجة الحرارة وهذا يعيق البشر عن الخروج إلى أعمالهم.

يؤدي تزايد معدلات تبخر الماء وذوبان الجليد إلى تغير ملوحة المحيطات مما يؤثر في كيفية دوران المياه في بحار الأرض، وفي النظم البيئية البحرية، مما يصعب من تأقلم البشر مع هذا الوضع. إن تزايد ثاني أوكسيد الكربون يزيد من حموضة البحار، مما ينقص من سماكة أصداف المخلوقات مثل المحار والأسقلوب فتزداد معدلات نفوقها.

كما أن الاحترار يصيب مصادر المياه العذبة على اليابسة، وذلك بفعل التفاعلات الديناميكية القائمة بين التغير المناخي ومصادر هذه المياه، كما أن الاحترار يصيب الجليد في القطب الشمالي وجزيرة غرينلاند وقارة انتار كتيكا والجبال، وبالتالي ينتج الذوبان وتنطلق السيول إلى محيطات العالم وجداوله وتربته. وبذوبان مزيد من الجليد سيرتفع مستوى سطح المياه ما ينذر باجتياح المعمورة ومدنها وتظهر مشكلة اللاجئين البيئيين.

ثانيا- المحاصيل الزراعية والحياة الغابية والنباتية

تقلص الدفيئة إنتاج الذرة في مناطق عدة، وتقلل إنتاج الأرز، وتسبب هبوطا في محاصيل القمح ويرجح أن يؤدي ارتفاع حرارة الجو عالميا إلى ظهور أمراض زراعية أكثر فتكا بالمحاصيل. بازدياد كمية ثاني أوكسيد الكربون تتأثر محاصيل كثيرة بسبب الجفاف والظواهر المناخية الشديدة. زيادة فرص اشتعال الحرائق في الغابات وقتل النباتات المتنوعة في البرية والتأثير على الأشجار دائمة الاخضرار.

ثالثا- أحوال جوية متطرفة

الأعاصير الموسمية، وحالات الجفاف المدمرة، والعواصف الثلجية الشديدة الضرر، وأمواج الحر الهائجة . كلها ظواهر مناخية شديدة قادرة على قتل الأرواح والتسبب بأضرار جسيمة، ويقول الخبراء إن التغير المناخي يؤثر في الأحوال الجوية الشديدة وذلك بالتسبب بحالات جفاف طويلة الأمد ورفع درجات الحرارة في بعض المناطق، في حين أنه يتسبب بفيضانات أقوى في مناطق أخرى.. ومن أكثر سكان العالم عرضة لهذه الظواهر المجتمعات غير المحمية في الجبال والمناطق الساحلية.

رابعا- المخاطر الصحية

التغير المناخي لا يضر بصحة الكوكب فحسب.. بل بصحة الناس أيضا. وستتفاوت آثاره وفقا للأعمار والجنس والجغرافيا والمكانة الاجتماعية والاقتصادية. وكذلك ستتفاوت سبل العلاج. وتفيد دراسة طبية حديثة أن عدد الناس الذين سيتعرضون للأحداث المرتبطة بالظروف المناخية الشديدة على مدى القرن المقبل، سيكون أكبر بكثير مما كان يعتقد سابقا.. وهو ما قد يتسبب بخطر على صحة البشر؛ ربما يكون كارثيا. وبصرف النظر عن الآثار المباشرة للظروف المناخية الشديدة، فإن التغير المناخي يحتمل أن يؤثر في عافية المرء بطرق أخرى أقل مباشرة، وذلك بالتعرض لتلوث الهواء والأمراض المحمولة بالهواء والمجاعة وسوء التغذية.

عبء إدارة الأزمة ومواجهة آثارها

وهو يقع على الجميع بداية من الأفراد إلى الشركات والمؤسسات والمدن

الحضارية والدول والمجتمع الدولي. وذلك لسبب بسيط وهو مسؤولية الجميع عما وصلت إليه حالة الدفيئة العالمية وتبعاتها الكارثية إذا ما استمرت الآليات البشرية والمجتمعية فيما هي عليه دون ترسيم تخطيط مستقبلي.

في الصين والولايات المتحدة وهما أكبر منتجين للكربون، أعلنا عن تقليص الانبعاثات، وتوقفت شركات عالمية عظمى عن الاستثمار في الفحم. وأعلنت دول عن زيادة لجوئها إلى الطاقة المتجددة: ريحية وشمسية ومائية. وقامت بعض دولنا العربية مثل الكويت والمملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج رغم المنتج البترولي بالتوجه لاستخدام الطاقة الشمسية.

إن الوقود الأحفوري هو المستخدم على نطاق واسع في العالم، أي إنه هو مصدر الكارثة المناخية، لذا نبه المجتمع العلمي إلى التخلي عن استخدامه في أقرب وقت.

إن الحاجة ملحة إلى معاهدة دولية تلزم كل الدول بنسبة محدودة لتقليص الانبعاثات لتلافي السخونة وما يترتب عليها من آثار ضارة.

من المقرر أن هناك دورا للمؤسسات التجارية في كبح جماح التغير المناخي، من خلال عدة مبادرات، وهو ما اتبعته شركات التقنية العملاقة مثل جوجل ومايكروسوفت وأمازون، فيما أطلق عليه «مبادرة البيانات المناخية» أي توفير قدرات حاسوبية لمعالجة البيانات المناخية، بما لذلك من انعكاساته في تقليص استهلاك الطاقة والكهرباء. كما يمكن للشركات تحديث محطات توليد الطاقة لتعزيز كفاءتها والتحول إلى استعمال أنواع أخرى من الوقود، كذلك الاستعانة بتركيب محولات كهربائية بشاحنات النقل للالتزام بالحد الأدنى من تلوث الهواء بالعادم. كما اتبعت بعض المؤسسات استراتيجيات اقتصادية تتيح للمستثمرين ربط أموالهم بمشروعات بيئية، فيما يسمى «السندات الخضراء» وهذا خفف من آثار التغير المناخي وقد يساعد الناس على التكيف معها. إن توظيف أموال المستثمرين يجب أن ينصب في المشروعات المؤهلة للتمويل بالسندات الخضراء، كمشروعات الطاقة النظيفة وكذلك المبتكرات ذات الصلة بإدارة النفايات والكفاءة الزراعية، وهذه المشروعات تمثلها محطات الطاقة الشمسية وتوربينات الرياح وغيرها.

ترفع المدن الحضارية المعاصرة شعارات الشوارع الذكية والمباني الخضراء والتدابير المستدامة للمياه ودعم البنى التحتية وتدوير النفايات بما يصب في صالح الوقاية من آثار التغير المناخي.

وعلى صعيد الدول تجد مشروعات كبرى اتبعتها بعض دول الغرب مثل التقاط الكربون وتخزينه، والاستعانة بشكل مكثف بالطاقة الشمسية التي تجنب إطلاق غاز ثاني أوكسيد الكربون، كما تلجأ بعض الدول إلى إعادة تشجير الغابات والتي تتيح حبس مليارات الأطنان من الكربون.

إن المجتمع الدولي يهتم بهذه المشكلة في محاولة لابتداع مشروعات عالمية في مجال تكنولوجيا التحكم البيئي مثل إزالة ثاني أوكسيد الكربون من الغلاف الجوي. ومشروع مثل حقن جزيئات الكبريت في الطبقات العليا للغلاف الجوي لعلاج الأهباء الجوية. ومشروع إطلاق مظلات فضائية عليا لتقذف ضوء وأشعة الشمس بعيدا عن الأرض. ومشروع حقن السحب البحرية

على مستوى الفرد.. تقول التقارير إن التغير المناخي هو مشكلة وثيقة الصلة بالاستهلاك الشخصي. ويقول العلماء إن البشرية تستطيع الحد من الآثار السيئة لهذا التغير إن اكتفى كل شخص بكمية محدودة من الطاقة سنويا، أي التقليص الواعي لاستهلاك الطاقة، إذ يلعب في هذا خيارات أسلوب الحياة، كالتقليل من عدد الرحلات واعتماد أحكام وقواعد وتقنيات أفضل.

بدلا من المساحات الواسعة للمنزل، يرجح الخبراء انتقال الفرد إلى مساحة أصغر وهذا يجلب منافع نفسية ومادية. منافع تبدأ بالتخلص من الأمتعة الزائدة التي تسبب ازدحاما في المنزل وتنتهي بفواتير منزلية أخفض ومساحة أقل للتنظيف والاستمتاع بتمضية أوقات أطول خارج البيت في الهواء الطلق. ويسمي الخبراء اتباع السلوك السابق بـ«الحياة الاقتصادية»، فالمنزل الصغير هو منزل ذكي يساعد الأجهزة المنزلية على توفير الماء والطاقة. كما تتجلى فوائد مساحات السكن الدقيقة أكثر في البيئات الحضرية بفضل شبكات مرافقها القائمة. هذا وتمكن الكفاءة الاقتصادية من تقليص تكاليف العيش.. هذا في جانب، وعلى صعيد آخر استخدام وسائل المواصلات الأنظف كما في السير مشيا أو ركوب الدراجات، وحيث ينعدم إنتاج غازات الدفيئة. وتقول التقارير إن وسائل النقل الجماعي تسهم في تقليص انبعاث غاز الدفيئة، كما أن لجوء أساطيل النقل البري والبحري والجوي إلى الكهرباء، يعد أفضل من استهلاك وقود البنزين والديزل ويمكن تصور بيئة نظيفة باستخدام الطاقة الحرارية الجوفية.

وفي الخاتمة لعل أزمة التغير المناخي تذكرنا بقوة الطبيعة وقسوتها المخيفة، تذكرة بقدرة الخالق، قال بعزته ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ (الإسراء:٦٨-٦٩)، ولعل تجربة التغير المناخي تذكرنا بقول الحق ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الانفال:٥١).

د. خالد سعد النجار
طبيب مصري

الشخصية الحدية.. أجواء غير مستقرة

اندفاع وتقلبات مزاجية تشوبها أحيانا نوبات اكتئاب، أو قلق، أو تهيج، لا يمكن معها السيطرة عليه، مع اهتزاز الصورة الذاتية، واضطراب العلاقات الشخصية، وملل مزمن، وأهداف طويلة الأجل.. إنهم أصحاب «الشخصية الحدية»، أو «اضطراب الشخصية غير المستقرة انفعاليا»، تلك الشخصية التي تعاني يوميا من فرط انفعاليتها، لدرجة تجعل من الصعب التنبؤ بردود أفعال أصحابها. ويشعر المريض دوما بعدم الأمان الداخلي، ويضع محيطه دائما في موضع اختبار، ومن بين وسائل دفاعه التصرف باندفاعية كوسيلة لتفريغ المشاعر والضغط العاطفي.

واضطراب الشخصية الحدية مرض أنثوي بالدرجة الأولى، حيث يصاب ثلاث نساء من بين كل أربع حالات مرضية، التي تقدر نسبتها الإجمالية بـ٢ في المئة من سكان العالم.

أسباب غامضة

لا يوجد سبب معين لاضطراب الشخصية الحدية، خلاف باقي الاضطرابات النفسية الأخرى، لكن الأشخاص الذين يعانون من أحداث حياة مؤلمة أثناء مرحلة الطفولة من أكثر الفئات عرضة للإصابة باضطراب الشخصية الحدية، وكذلك أصحاب الأمراض المزمنة في مرحلة الطفولة. وقد يكون السبب عضويا نتيجة خلل في إنتاج هرمون السيروتونين أو عوامل وراثية.

من الأعراض

من الصعب جدا توقع رد فعل مريض الشخصية الحدية، فهو يتأرجح بين الهدوء والانفعال، والتأني والتهور، لذلك يقول الخبير النفسي ألانتو جتوزا: «إن المصابين بهذا المرض أشبه بطنجرة ضغط مستعدة للانفجار في أي لحظة».

- عدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية، وتأرجحها بين المثالية المطلقة إلى التحقير المسرف للشخص نفسه.
- المريض الذي يعاني من اضطراب الشخصية الحدية دائم الشعور بأنه شخص مهدد من قبل الآخرين بالانتقاص وسوء المعاملة، فيكفي أن يقابل ببعض الرفض أو عدم الاهتمام من الطرف الآخر حتى يتحول من شخص مثالي رائع في نظره إلى عدو بشع يسعى للانتقام منه، في حين أنه عندما يرى في الآخر شخصا مثاليا فإنه يلزم مرافقته دوما ويجعل منه محور حياته، حيث يتصل به عشرات المرات يوميا، الأمر الذي قد يسبب ضجر الآخرين منه بسبب كثرة ملاحقتهم.
- غالبية الناس الذين يعانون من اضطراب الشخصية الحدية صعب جدا أن يكونوا بعيدين عن أحبائهم، وهم في محاولة يائسة لتجنب الشعور بالوحدة.
- شخصية عنيدة، وغير قابلة للتكيف الاجتماعي الجماعي، وترى نفسها الأقدر والأفضل.
- يطلب الاهتمام من الجميع من دون أن يهتم بهم.
- الشعور المستمر بالفراغ ونوبات غضب شديدة واستياء متكرر.
- تراوده أفكار العظمة عند التعرض لظروف ضاغطة.
- سلوكيات متهورة قد تؤدي إلى نتائج سلبية وضيق نفسي، مثل: التبذير في الإنفاق، الشراهة في تناول الطعام، التدخين المفرط، تناول المخدرات، السرقة، القيادة المتهورة.
- التهديدات المتكررة بالانتحار أو السلوك المضر بالنفس كجرح أو حرق الجسد.

ويدور العلاج الدوائي حول استخدام الطبيب لمضادات الذهان للتحكم في غضب المصاب وعدوانيته وفي نوبات الذهان القصيرة. كذلك تستخدم مضادات الاكتئاب في نوبات الاكتئاب التي تنتاب المصاب، وتستخدم المهدئات في علاج نوبات القلق والتوتر، وتساعد في علاج نوبات الاكتئاب أيضا.

أما العلاج السلوكي والتثقيف النفسي الإرشادي فهو حجر الزاوية، ومن أكثر الطرق فاعلية في مثل هذه الحالات، حيث يركز على تعليم مهارات التأقلم، وتنشيط مهارات التأمل والتنفس والاسترخاء. ويستغرق وقتا غير قصير لتحقيق نتائج ملموسة.

ويستند هذا العلاج إلى فرضية أن المرضى باضطراب الشخصية الحدية يعانون من صعوبات في قدراتهم على «ممارسة التفكير العقلي» الضروري عند تقييم أنفسهم أو الآخرين، انطلاقا من عواطفهم أو معالجتهم الفكرية الذاتية (الأحاسيس والمعتقدات والرغبات). وقد يكون هؤلاء المرضى في وضع تقل فيه قدراتهم على «ممارسة التفكير العقلي» عند تعاملهم مع الأشخاص الآخرين، خصوصا أولئك الأقرب إليهم. وبالتالي فإنهم قد يسيئون فهم كلمات الآخرين أو أفعالهم ويجابهونها بردات فعل قوية.

يقوم الطبيب المختص بمخاطبة المريض، ويطور التصور الذي يبنيه عن نفسه، ويدربه على كيفية حل المشكلات المتعلقة بالآخرين من حوله، ويقوم بتوعيته وتنظيم مشاعره وعواطفه، ويزرع بداخله المهارات الشخصية التي تساعده على أن يكون إيجابيا ليتعلم مدى الأضرار التي تقع عليه من تصرفاته.

إسلام لطفي
مصعب ناصر
تصوير: رمضان إبراهيم
دار الإعلام العربية

في ندوة عقدها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

مصلوح يتحدث عن رؤية مغايرة للعربية تميزها على كل اللغات

كثيرا ما شغلت قضية «التفاضل بين اللغات» الباحثين والمهتمين بعلوم اللغة ووصلت حد التفاخر بمزية لغة على أخرى والاستعلاء بها، ودفعت آخرين إلى تجنب الخوض في بحورها وكنوزها والهروب إلى أنماط مستحدثة لضيق لغتهم؛ إلا أنه بالتحليل العلمي والبحث تتكشف الحقائق والمزايا والفضائل، وكذلك المتشابهات والنقائض. وفي ندوة بعنوان «العربية بين اللغات.. رؤية مغايرة» عقدها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، ضمن منتداه التراثي الثاني لعام ٢٠١٦م، تحدث أستاذ اللسانيات والنقد في الوطن العربي الدكتور سعد مصلوح عن قضية التفاضل بين اللغات وموقع العربية بينها، من منظور علمي معاصر.

في البداية، أوضح د. فيصل الحفيان، مدير معهد المخطوطات، أن اهتمام المعهد بلغة الضاد لا يعني الخروج عن الخط أو أنه يضطلع بدور مجمع اللغة أو المؤسسات المعنية باللغة عناية مباشرة، لكن التراث الذي نحن مشغولون به إنما جاء على جسر اللغة؛ فاللغة حاملة هذا التراث، ولولاها ما وصل إلينا؛ فنحن نهتم باللغة لذاتها ولأنها حاملة للتراث، وقضية اليوم فكرية عالية: قضية اللغة ومكانتها.

> **استشراف مستقبل بحثي تتضافر فيه الجهود لمقاربة خصائص العربية من منظور تقابلي**

وأوضح الحفيان أن اختيار العنوان «العربية بين اللغات.. رؤية مغايرة» جاء ليتكلم عن مكانة العربية دون أن نحاور أنفسنا؛ فمكانتها في القلوب ثابتة، لكن ينبغي نقل الكلام في اللغة من الخاص إلى العام، متسائلا: «أين تقع اللغة بين اللغات؟»؛ لذلك حذفنا كلمة «مكانة» وقلنا: «العربية بين اللغات» لنكون متجردين وبعيدين عن

الانحياز، ليفسرها الدكتور مصلوح من منظور علمي بأنها رؤية مغايرة، ليست للغويين فقط؛ وإنما رؤية مغايرة لمصلوح نفسه الذي اعتد فيما مضى بما قاله اللغويون بأن اللغات جميعا على سوية واحدة وكلها تؤدي وظيفة التواصل وليس بينها أي فروق، فإذا وضعت اللغة في أي مجتمع ستقوم بهذه الوظيفة، لكن رأي مصلوح تغير ولديه أطروحة جديدة تقول إن اللغة العربية تملك من القدرات اللفظية والدلالية والتركيبية ما يجعلها أقدر من اللغات الأخرى.

بين الثعالبي وابن حزم

أما د. سعد مصلوح فابتدر حديثه بتوجيه سؤال عام للمحاضرة وسؤال خاص؛ فالعام: هل تتساوى الأنحاء -جمع نحو- أو أجهزة القواعد بين اللغات في الإمكانات من جهة تحقيق الوظائف التواصلية تساويا مطلقا أم أن في الأمر تفصيلا؟ ما موقع العربية بين اللغات من هذه الوجهة؟ وإذا انتصرنا لفكرة التمايز على ما نزعمه، فما الدليل والبرهان العلمي الذي يجيز لنا أن نقول بذلك؟

وأوضح أن للمحاضرة أربعة محاور: رؤية المتقدمين في قضية تفاضل اللغات، الرؤية المعاصرة التي تعتنقها الاتجاهات اللسانية المعاصرة، كلام في الرؤية المغايرة التي يزعمها مصلوح، شيء من تحصيل الفوائد التي يزعمها من هذا القول.

وأشار إلى أن المحور الأول يلخصه نصان، أحدهما لابن حزم والآخر للثعالبي؛ فيقول أبومنصور الثعالبي في كتابه «فقه اللغة وأسرار العربية»: «من أحب الله تعالى أحب رسوله محمدا ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها وثابر عليها وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمدا ﷺ خير الرسل والإسلام خير الملل والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة».

أما ابن حزم فقال: «وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات، وهذا لا معنى له؛ لأن وجوه الفضل معروفة، وإنما هي بعمل أو اختصاص، ولا عمل للغة، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴾؛ فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه عليه السلام.. وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية، وأنزل الصحف على إبراهيم عليه السلام بالسريانية؛ فتساوت اللغات في هذا تساويا واحدا».

د. فيصل الحفيان: الدكتور مصلوح تراجع عن رؤيته السابقة بأن كل اللغات على سوية واحدة

وتابع استعراض رأي ابن حزم موضحا: «أما لغة أهل الجنة وأهل النار فلا علم عندنا إلا ما جاء في النص والإجماع، ولا نص ولا إجماع في ذلك؛ إلا أنه لا بد لهم من لغة يتكلمون بها ضرورة، ولا يخلو ذلك من ثلاثة أوجه لا رابع لها: إما أن تكون لهم لغة واحدة من اللغات القائمة بيننا الآن، وإما أن تكون لهم لغة غير جميع هذا اللغات، وإما أن تكون لهم لغات شتى؛ لكن هذه المحاورة التي وصفها الله تعالى توجب القطع بأنهم يتفاهمون بلغة، فصح أن الله تعالى إنما يحكي لنا معاني كلام كل قائل في لغته باللغة التي يتفاهم بها؛ ليبين لنا عزوجل. هذا لأن قوما احتجوا بأن العربية لسان أهل الجنة لقوله تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾».

وعلق مصلوح قائلا: نقض ابن حزم كل هذه الأدلة وقال: «فلم لا يقولون إنها لغة أهل النار؛ لقوله تعالى عنهم: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾؟».

وأضاف: الرؤية المعاصرة انحياز لرؤية ابن حزم «لا تفاضل بين اللغات»، لكن الأدلة غير الأدلة؛ فقد كان جهد ابن حزم نقض الرأي الآخر بأدلة من جنس التي يسوقها أصحاب الرأي، ومن المعروف أن معظم علماء العربية على رأي الثعالبي، وأن ابن حزم يكاد يكون متفردا في هذا الرأي، أو يكاد يكون قليل الأنصار فيه.

هل كل اللغات متساوية الأفضلية؟

وأشار مصلوح إلى أن معظم الاتجاهات اللسانية تجمع على أن «كل لسان كاف في العبارات عن أغراض أهله، وبذلك

لا تفاضل بين لغة ولغة. ويقولون إن هناك ما يسمى «كليات لسانية» تشتبك فيها جميع اللغات؛ فما من لغة إلا وفيها مقولة «الإسناد» وكذلك مقولات «الإضافة» و«التبعية» و«النعتية»، وهذا ما ييسر النقل من لغة إلى أخرى؛ لأن المقولة الأساسية موجودة وظاهر التعبير عنها هو الذي يختلف من لسان إلى آخر، والمعجم المستخدم عنها هو ما يختلف من لسان إلى آخر، وبذلك كل لغة مكتفية بذاتها لتحقيق أغراض التواصل بين المتكلمين بها، وبالتالي النتيجة: لا أفضلية للغة على أخرى، والتساوي أمر مجمع عليه؛ وهنا تكمن حقيقة الرؤية المعاصرة، وهي «إقرار التكافؤ في الأصول والتمايز في الفروع».

وفي معرض نقده لرؤية المتقدمين والمعاصرين، أوضح مصلوح أن رؤية الثعالبي ملزمة لأهل اللغة ولمعتنقي عقيدة الإسلام ولا تلزم غيرهم، أما رؤية المعاصرين ففيها تقصير، وجوهر الرؤية المغايرة تقوم على فكرة أن القيادة بالوظيفة المنوطة باللغات، وهي التواصل، ليس وحده معيار التفاضل بيننا وأن اختلاف المباني الصرفية والنحوية والمخزون الدلالي موجب لاختلاف مظاهر أداء هذه الوظائف، وإذا ضربنا مثلا فسنجد أن سد الجوع ممكن أن يكون بلقيمات ويمكن بمائدة عامرة، وستر العورة يكون بأي شيء وليس بالموضة والأزياء، فهذا تحقيق للوظيفة الأساسية، ولكن كيف تتحقق الوظيفة الأساسية والأدوار التي تقوم بها؟!

وتابع أن علماء اللغة يقسمون اللغات إلى نسقين: النسق الحر والنسق الثابت، حيث تنتمي العربية إلى النسق الحر، وتعد من أغنى اللغات التي تستخدم النسق التركيبي لها، وكذلك اللغة الروسية تنتمي إلى النسق الحر، لكن حرية النسق في العربية تتجاوز بكثير نظيرتها في الروسية، وكذلك بقية اللغات.

د. مصلوح: حرية النسق السبب المباشر في ما تتمتع به العربية من ثراء

وأشار مصلوح إلى أنه من خلال علمه وتفتيشه في عديد من الترجمات فقد تميزت اللغة العربية بوجود «المفعول المطلق المؤكد»، كما في قوله تعالى ﴿أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ (الأحزاب:٦١) و﴿فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾ (الإسراء:١٢). ولا يوجد في نحو الإنجليزية ما يؤكد المفعول المطلق، ولا حتى في ترجمات أخرى.

وتابع قائلا: عندما نتحدث عن «العربية» بين اللغات نقول: نحن مع اللسانيين المحدثين في أن كل لغة كافية لأهلها في توصيل مقاصدهم، وهذا لاشك فيه؛ لكن أدوات التوصيف من حيث البنية -سواء على مستوى الصرف أو التركيب النحوي- ومن حيث المعجم، وكون اللغة العربية تنتمي إلى نموذج «النسق الحر» الذي يفض الاشتباك بين الموقع والموضع؛ فهذا يعطي اللغة العربية ميزة كبيرة في عملية التوصيل.

مزايا العربية

وخلص د. مصلوح في نهاية المحاضرة إلى عدة أمور: أولها: أن اللغة العربية استوعبت تقريبا كل التراكيب الجملية في جميع اللغات، بشهادة علماء الكليات اللسانية أنفسهم، ثانيها: انتماء العربية إلى النسق الحر أتاح لها من الجوائز ما لم يتوافر للغات عالمية (كالإنجليزية مثلا)، ثالثها: عجز البنى الصرفية والنحوية في تلك اللغات عن نقل المقاصد زاد من اعتمادها على المفردات المعجمية التي يحاولون بها سد النقص في عجز البنية عن التوصيل إلى ما تريد، رابعا: اتسعت اللغة العربية لاستيعاب المقصد البلاغي داخل البنية النحوية، وهذا أيضا ما لم يكن متاحا للغات النسق الثابت، خامسا: الاشتقاق صرفا وحرية النسق نحوا هو الذي أعطى للعربية ميزة تَتَمَزّى بها على سائر اللغات في هذا الباب.

وأضاف أن هناك نتائج أخرى تحتاج إلى جهد كبير من الباحثين، فحرية النسق هي السبب المباشر في ما تتمتع به العربية من ثراء «العروض»؛ لأن حرية التقديم والتأخير أنتجت أنماطا من الأوزان ما كان لها أن تتمتع بهذا الثراء إلا لأنها لغة نسق حر، ولضيق اللغة عند المعترضين هربوا إلى الشعر الحر والمرسل.

وأضاف: لن تجد لغة -فيما وصل إليه علمي- تتمتع بالقدرة على صياغة «البسيط» في القافية الموحدة، التي قد تتجاوز عند بعض الشعراء ١٠٠ بيت، وهذا نتاج حرية أسماها فقيه اللغة ابن جني «شجاعة العربية»؛ فلولا هذه الشجاعة ما سمعنا بيتا للمتنبي يقول:

«حملت إليه من لساني حديقة
سقاها الحجا سقي الرياض السحائب»

وهذا الأمر جدير وحده بكثير من الأبحاث والدراسات.

استشراف بحثي

وتساءل في نهاية الحديث: هل لنا أن نستشرف مستقبلا بحثيا تتضافر فيه جهود الباحثين من أبناء العربية لمقاربة خصائصها البلاغية من منظور تقابلي، أي يقابل بنفس المنظور في لغات أخرى، مستوعب لمسائل الصرف والنحو ومباحث علم المعاني والبيان؛ تعيينا للجوامع والكليات بين اللغات، واستظهارا للجوائز والفروق على نحو يزيدنا علما بفقه العربية وخصائصها، ويقنعنا على أساس من التحليل العلمي المنضبط بما لهذا اللسان من طاقات وإمكانات يمتاز بها من سائر الألسنة؟!

عبد العزيز العسكر
شاعر سعودي

يسرقون صلاتهم

هانت على بعض الأنام صلاتهم ... وتشاغلوا باللهو والشهوات

منحوا الصلاة النزر من أوقاتهم ... وتباعدوا عن أنفس الروضات

قالوا بأن إمامنا متأخر ... والناس قد سبقوا إلى اللذات

إنا مللنا من إمام متعب ... يتلو علينا أطول الآيات

إنا تعبنا من إمام «حابس» ... لجموعنا عن أجود الصفقات

الناس في كل المساجد أسرعوا ... لبيوتهم، للحفل و«الشيلات»!

وإمامنا مازال في ترتيله ... يبكي اشتياقا للنعيم الآتي

قد هزه وعد الإله لحزبه ... بمنازل في أرفع الجنات

ومرامنا فوز لأفضل فرقة ... ومشاهد في أسعد الأوقات

إني أقول وفي الحوادث عبرة ... والذكر للأحياء لا الأموات

إن النداء إلى الفلاح يشدنا ... لمنازل الغفران والرحمات

قم يا بلال إلى الصلاة لراحة ... تعلو بنا عن مجلس السوءات

قم يا بلال إلى الصلاة فإننا ... غرقى ببحر الضعف والزلات

قم يا بلال إلى الفلاح بسورة ... نحيا بها في لذة الإخبات

غرقت نفوس الناس في لذاتهم ... ونسوا الحساب وشدة السكرات

د. أحمد عبدالكريم
باحث لغوي

أخطاء شائعة في الكتابة

أخطاء كثيرة يقع فيها الكتاب والصحفيون، وجهابذة الفكر ورجالاته، حتى لا نجد مطبوعة تخلو من خطأ، في كتابة الكلمات ورسمها، وليس هذا بالأمر الهين فقد يصير الخطأ في الكتابة مشكلة تؤرق أسرة أو مجتمعا، حين يصدم أحد الأبناء بوجود خطأ في اسمه، وفي هذه الأسطر سنلقي الضوء على بعض الأخطاء في الكتابة يقع فيها بعض الكتاب من أبناء العربية.

الهمزة

من الأخطاء المتكررة الخلط بين همزتي الوصل والقطع، ومن أمثلة ذلك كتابتهم: «أستخدمت، وإستغلت، وإتقوا، وإقتحموا، وأنظروا،...» فإقحام الهمزة في هذه الكلمات خطأ واضح، والصواب بدون الهمزة؛ لأنها همزة وصل، لكن ما الفرق بين الهمزتين، وماذا تعني همزة الوصل؟

همزة الوصل همزة يتوصل بها إلى النطق بالحرف الساكن، وهي تظهر في النطق حين نبدأ بنطق الكلمة التي وقعت الهمزة في أولها، وتختفي من النطق حين تقع هذه الكلمة في وسط الكلام، فتظهر حين تقول: «امرأة»، ولا تظهر حين تقول: «هذه امرأة» بوصل الكلمتين في النطق، ولها مواضع حددها اللغويون هي:

أ- في أمر الثلاثي، وهي تكون مضمومة، إذا كانت عين الفعل مضمومة، وتكون مكسورة في غير ذلك مثل: اكتب، اخرج، ادخل، انصر، ومن المكسورة: انزل، امنح، اذهب، افهم، امنع، اركع، انصح.

ب- في أول الخماسي ماضيا، وأمرا، ومصدرا، وتكون دائما مكسورة مثل: اعترف، انكسر، انفطر، اخضر، احترم، اتحد، اشترك، انتظر، احترس، افترض، اقترض، اشترط.

ج- في أول السداسي ماضيا، وأمرا، ومصدرا، وتكون دائما مكسورة مثل: استكبر، اخشوشن، استنكر، استخدم، استخرج، واستقلال، استقبال، استدلال، استحسان، استيعاب...

د- وفي عشرة أسماء مسموعة هي: اسم، است، ابن، ابنم، ابنة، امرؤ، امرأة، اثنان، اثنتان، وايم، وايمن المختصة بالقسم.

كما يخطئ بعضهم في كتابة الهمزة المتوسطة فيكتب: «وهذا الصرح تم إنشائه في...» فكيف جر ما حقه الرفع، حيث يجب رفع اللفظة «إنشاء» وكتابة همزتها على الواو لأنها متبوعة بضمير الغائب «هـ» وفي موقع الفاعل، وذلك لأن الهمزة المتوسطة لها مواضع ثلاثة، والحكم في تحديدها يعود إلى البنية أو التركيب، فمن حيث الموقعية، فإن اتصال الكلمة المنتهية بالهمزة المتطرفة بضمير، فإنها تختلف من حيث الرفع والنصب والجر، فحين الرفع تصير: إنشاؤه، وحين النصب: إنشاءه، وحين الجر: إنشائه. وهكذا تختلف مواضع الهمزات حسب تركيبها في بنية الجملة نحويا، أما من حيث البنية فقد حدد العلماء القواعد التي تحكم ذلك:

أ- فإذا سبقت الهمزة المتوسطة بحرف لين، ولو كانت الواو مشددة كما في بوءهم، فإنها تكتب على السطر، نحو: «تساءل، تفاءل، تضاءل، تواءم، سموءل»، ويستثنى ثلاثة مواضع؛ نذكرها.

فإذا خالفت «الياء» والهمزة المكسورة هذه القاعدة، فإنها تكتب على ياء، نحو: «هيئة»، و«مسيئون»، و«في وضوئه»، فالهمزة المكسورة تكتب على ياء بكل حال، وكذلك المسبوقة بالياء، فإذا خالفت الياء والهمزة المكسورة القاعدة السابقة «حروف اللين»، فأتت بمثل الياء أو الكسرة، فتكتب على ياء هكذا «ئ».

ب- كذلك إذا جاءت الهمزة المضمومة بعد ألف كتبت على الواو، نحو: التفاؤل، التشاؤم، التضاؤل، التساؤل، وغيرها، والخلاصة: إذا سبقت الهمزة بحرف لين تكتب على السطر إلا في ثلاثة مواضع هي:

- إذا سبقت بياء فتكتب على ياء - إذا كانت الهمزة مكسورة فتكتب على ياء
- إذا كانت الهمزة مضمومة وسبقت بألف فتكتب على واو.

ج- إذا لزم من كتابة الهمزة على الواو

أو الألف توالي ثلاثة حروف من جنس واحد، كتبت على السطر كراهية التوالي، نحو: تبوءوا، ماءان، ياءان، واستثنيت الياء من القاعدة الماضية، فيجوز توالي الياءات مثل «شيئين».

د- إذا تطرفت الهمزة نظر إلى حركة ما قبلها لا إلى حركتها، فإن كان ما قبلها مضموما كتبت على واو نحو: التهيؤ. وقد جرى الخلف في مثل: «مسؤولة»، فأكثر المتقدمين يكتبها هكذا: «مسئولة»، ومثله: «مرءوس»، و«شئون»، وقد أقر مجمع اللغة العربية كتابتها على الواو هكذا «شؤون»، لأنها مضمومة وما قبلها مضموم، والمتقدمون كرهوا توالي الأمثال، وقد رخص أبوحيان النحوي باجتماع الواوين في غير رسم القرآن. وإن كان ما قبلها مفتوحا كتبت على ألف ك: «نبأ، بدأ، لجأ، رفأ، وإن كان ما قبلها مكسورا كتبت على ياء نحو: شواطئ، مدافئ، مبادئ، ملاجئ» وإن كان ما قبلها ساكنا كتبت على السطر نحو «جزء، كفء، ضوء، رزء، فإن نصبت فضعها على ياء إن أمكن الاتصال بما قبلها ك: «شيئا، خطِئا».

التنوين

كما يخطئ بعضهم في وضع تنوين النصب على ما آخره همزة بهذا الشكل «جزاءًا، مساءًا، سواءًا» من دون نظر إلى ما قبلها من حروف، ضاربين عرض الحائط بالقاعدة التي تحكم ذلك، فمن المعروف أن التنوين بالنصب يجلب ألفا فيكتب هكذا «ـًا» ويشذ عن هذه القاعدة ورود كلمة آخرها همزة مسبوقة بألف مثل «جزاءً، وعاءً، رداءً، لواءً، سماءً، عواءً، هواءً، وتوضع علامة التنوين على الهمزة فقط ولا يصحب هذا التنوينُ ألفًا، وذلك كراهية توالي ألفين. أما إن كانت الهمزة مسبوقة بأي حرف آخر غير الألف فيوضع تنوين النصب على الألف مثل: جزءًا، سوءًا، لجوءًا، نشوءًا، هدوءًا.

ولنا أن نذكر المواضع التي يأتي فيها التنوين بالفتح ولا تخلفه الألف، منها أن يكون آخر الكلمة ألفا، مثل: ملجأ، وهنا يكتب التنوين على الألف نحو: ملجأً، مخبأً، مرفأً، نبأً، وغيرها. كما يكتب التنوين على التاء المربوطة مثل: مدرسةً، جامعةً، حديقةً، مكتبةً، مسابقةً، ثقافةً، دولةً، وكذلك الأمر في الكلمات المنتهية بألف لينة، أو الاسم المقصور مثل: هدًى، سدًى، ضحًى، تقًى، رؤًى، صدًى، مستشفًى، وغيرها فإنه يكتب التنوين على ما قبل الألف اللينة «ـًى» ولا يستلزم كتابة ألف أخرى.

التاء المربوطة والمفتوحة

يخطئ من لا يفرقون بين «التاء» المربوطة والمفتوحة، وإن كنا نعرف أن «التاء» المربوطة من الخصائص المرتبطة بالأسماء، على حين تختص «التاء» المفتوحة بالأفعال، وتأخذ عدة صيغ «تاء» الفاعل «تُ»، و«تاء» المخاطب المذكر «تَ» و«تاء» المخاطبة المؤنثة «تِ» و«تاء» التأنيث «تْ» نحو الفعل: كتب+ تُ، تَ، تِ، تْ، ولا يترك الأمر هنا مفتوحا فنجعل كل اسم آخره «تاء» مربوطة، فبالإضافة إلى كتابة «التاء» المفتوحة في الأفعال تكتب في الحروف مثل: ليت، وفي الأسماء بعد الحرف الساكن مثل: بنت، بيت، زيت، صوت، موت، وقد وضع علماء العربية الحلول لهذه المعضلة التي تصادف طلبة العلم، فهناك قاعدة لفظية مفيدة، تحدد كتابة تاء التأنيث، فإذا نطقت تاء التأنيث هاء في الوقف كتبت مربوطة، وإذا نطقت في الوقف تاء كتبت مفتوحة، -وتسمى مبسوطة- نحو «أبياتْ، أبياتٌ»، وإن كانت في الحالتين هاء فتكتب هاء نحو «فوهْ، فوهُ»، وإن كانت هاء في حالة الوقف؛ وتاء في حالة التحريك فتكتب تاء مربوطة نحو «ثمرةْ، ثمرةٌ».

ويتهاون بعضهم في وضع نقطتي التاء المربوطة، فتلتبس بـ «هاء» الضمير فيكتب مثلا: منه، وهبه، ونعمه، يريد: «منة، وهبة، ونعمة»، وقد يقع أحدهم في العكس، فيضع نقطتين على كل «هاء» فيلتبس الأمر أيضا بين دلالة الهاء والتاء، فيختل المعنى، فيكتب: علية، وإلية، وبلدة، يريد: عليه، وإليه، وبلده، وهكذا يبدو الفرق واضحا بين «الهاء» والتاء المربوطة، حيث تكون النقطتان قيمة خلافية بينهما، كالفرق بين «ابنه وابنة، وحديثه وحديثة، وتلميذه وتلميذة، وابنيه وأبنية».

الواو في آخر الكلمة

ومن الأخطاء التي يكثر ورودها حين يتبعون كل «واو» وردت في آخر الكلمة ألفا، فتكتب «يرجوا، ويهجوا» بهذا الشكل، من دون أن يكون لها هذا الموضع، فالألف تأتى إذا اتصلت واو الجماعة بالفعل كتبت بعده ألف، نحو: قالوا، يفعلوا، جاءوا، تسابقوا، تنافسوا، وتسمى «الألف الفارقة»؛ لأنها تفرق بين واو الجماعة وغيرها من الواوات التي إما أن تكون من أصل الكلمة ك: «يدعو، يرجو، يسمو، يرنو، يعلو، يمحو، يربو، يزهو، يغدو، يشكو، يتلو، يجفو» أو علامة للرفع في جمع المذكر السالم والأسماء الستة حال الإضافة، حيث تحذف «النون» في جمع المذكر السالم، نحو: مشركو قريش، مهندسو البترول، معلمو الصبيان، محترفو الصيد، قصاصو الأثر، وكذا في الأسماء الستة ك: أخو محمد، أبو علي، فو حسن، حمو أحمد...

كما يخطئ بعضهم حين يحتفظ بألف «ما» الاستفهامية المسبوقة بحرف من حروف الجر، كأن يكتب: لما، فيما، بما، علاما، إلاما، مما، عما» والصواب: «لم، فيم، بم، علام، إلام، مم، عم»؛ إذ إن القاعدة أنه عندما تسبق «ما» الاستفهامية بحرف جر يجب حذف الألف منها.

تلكم بعض النماذج التي عنت للباحث من مظاهر الخروج عن الصواب اللغوي من حيث كتابة بعض الكلمات ورسمها، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

كبرياء زائف

منذ أن توفي والده تاركا على عاتقه الاعتناء بأم وأربعة إخوة وأخوات -أصغرهم فتى لا يتجاوز العاشرة من عمره- شمر أحمد عن ساعديه واضطلع بالمسؤولية الثقيلة التي ألقيت عليه وهو لا يزال طالبا في الثانوية العامة، ولرحمة الله به أن والده ترك له محلا لبيع الأدوات الكهربائية يساعده العائد على الاضطلاع بمصاريف البيت وتعليم إخوته، ورغم ثقل العبء عليه؛ فإنه تشبث أكثر بالدراسة قاضيا ما تبقى من النهار في محل والده.

«رحمة الله عليك يا والدي»، قالها وهو يستعد لفتح المحل كما يفعل كل يوم منذ ثلاثة عشر عاما. لم ينس يوما أن يترحم على روح والده كلما بادر بفتح المحل.. ١٣ عاما قضاها وهو مغيب نفسه تماما لا يحمل هما سوى أن يفي بوعده لوالده وهو يحتضر بأن يعتني بأمه وإخوته. لكن، وبعد هذه السنوات من الكد والعمل والتضحية، قالها هذه المرة وهو يكابد غصة تأبى أن تغادر حلقه، بعد شجار حدث بينه وبين أخيه الأصغر، الذي اعتبره بمثابة ولده منذ أن ذاق اليتم صغيرا، وما زاد من ألمه أن الجميع وقف مع أخيه الأصغر ضده.

تحمل الكثير وكابد على مر سنوات لأجلهم ورفض الكثير من الفرص التي واتته ليكبر في مجال دراسته (هندسة الحاسوب) فقط ليضمن أن يعيشوا حياة كريمة، لكنه عجز اليوم عن تحمل الطريقة غير اللائقة التي خاطبه بها أخوه ضاربا بعرض الحائط فارق العمر بينهما وسنوات الكفاح التي قضاها لأجله ولأجل البقية.

هل يلزم عليه أن يكون والدهم الذي أنجبهم ليعطوه حقه من الاحترام؟! لم يطلب منهم شيئا يوما ما؛ لكنه تمنى الاحترام له كأخ أكبر ومعيل ومسؤول عليهم أمام الله وأمام الناس، لكن أن يتنكروا له أو يتنكر له أحدهم فهذا ما عجز عن تقبله.

أنهى يومه كغير كل الأيام، فكر في كثير من السيناريوهات، فكر في أن يرمي لإخوته بمفتاح المحل ويطلب منهم أن يتدبروا أمرهم ليذهب هو ويحقق ذاته ومستقبله كما تمناه يوما، فكر في أن يقاطع الجميع، يقوم بما ينبغي عليه القيام به معرضا عن الحديث مع أي منهم.

مضت أسابيع يعود بعد عمله إلى المنزل ويدخل غرفته ويغلق على نفسه الباب، توقع أن يطرق بابه أحدهم ليعتذر له، لكن لم يحدث. أشد ما آلمه أن ينتهي كل شيء بلمح البصر، عاش مع إخوته سنوات تحملوا فيها بعضهم بعضا، وفي لحظة تتحول المحبة إلى جفاء والوصال إلى قطيعة. فكّرَ في مصالحتهم؛ لكن سريعا ألغى هذه الفكرة، فهو يرى نفسه على صواب فلماذا يتنازل، وإن كانوا قد استغنوا عنه بعد أن كبروا فليعملوا ما يشاؤون!

عانقت عيناه صورة والده على الجدار فهمس له: «سامحني، لكن لا أستطيع، لا يستطيع قلبي أن يغفر لهم، فأنا من لحم ودم، سامحني يا الله».

دقت عليه أمه باب غرفته، جلست إلى جانبه وهي تقول له بصوت هامس: «ألن تصالح أخاك؟».

«هو يريدني أن أتركه وشأنه».

«غير صحيح، أقسم أنه يتألم ويعاني».

«أمي أرجوك».

«أرجوكَ أنتَ، أخوك سيسافر بعد غد ليعود إلى جامعته، آمل ألا تفترقا وأنتما على هذه الحالة.. هذا كل رجائي منك».

تركته والدته، حاول النوم لكنه لم يستطع.

في الصباح الباكر، وقبل أن يتوجه إلى المحل، دخل غرفة أخيه الذي كان نائما، وضع على طرف السرير مظروفا وغادر.

ترك له مبلغا من المال ورسالة كتب فيها:

«أخي الحبيب

يسهل علينا أن ننسى شخصا عرفناه يوما ما، ومهما كانت المعرفة قوية لكن قد ننساه، أما أخي من أبي وأمي فمستحيل، فكيف إذا كان هذا الأخ بمثابة الابن.. أدْرِكُ أنني فقدتُ أعصابي، وأعتذرُ عن ذلك؛ لكن حين تكبر وتتزوج ويكون لديك أطفال ستدرك مقدار الألم الذي يعتري قلبك حين تتلقى كلمات قاسية من ابنك ككلماتك لي ذلك اليوم.. اعتن بنفسك وتأكد أنني لن أتخلى يوما عنك أو عن أحد من إخوتك».

لم يكن سهلا عليه أن يتنازل عن كبريائه ويبادر بالاعتذار، لكن أياما من القطيعة والجفاء أنهكت روحه، هل يعقل أن ينسى الإنسان أناسا من لحمه ودمه فقط لأن الكبرياء لا يسمح ببعض التنازل؟! بغض النظر، قَبلَ أخوه اعتذاره أم رفضه، لكن شعورا لذيذا بالراحة تلامس شغاف قلبه لمجرد أن غسل قلبه من الحقد والكراهية وسامح بصدق؛ هذه الراحة التي حرم منها أياما طويلة، وكلما عمقها أكثر في قلبه زادت حدة كراهيته لكل من حوله.

مضت ساعات العمل الأولى وهو يتخيل حال أخيه وهو يقرأ الرسالة: «متأكدٌ أنه سيمزقها ويعيد لي المال، لكن يبقى عذري أني حاولت»، رددها في أعماقه مستشعرا سعادته أنه استطاع أن يسامح، وموطنا العزم لإعادة المحاولة.

وقبل أن ينتصف النهار وجد أخاه واقفا أمامه يحمل بيد الرسالة وباليد الأخرى المال، مد له المال وقال بصوت باك: «لا أريد المال، أريد أخي فحسب، أقسم أني أحبك، ظننت أنك لن تسامحني يوما وخشيت إنْ تقدمت لك بالاعتذار أن تصدني عنك، أرجوك سامحني، خذ أموال الدنيا لكن لا تقْسُ علي».

احتضن أخاه شاعرا بمدى سخافته أن تركه طوال تلك الأسابيع، واستسلم كلاهما لهذا الشعور المقيت: بمن سيعتذر الأول أو بأن الآخر لن يسامح؛ لتُسحق القلوب تحت وطأة الكبرياء الزائف.

سلمان الكندري
كاتب كويتي

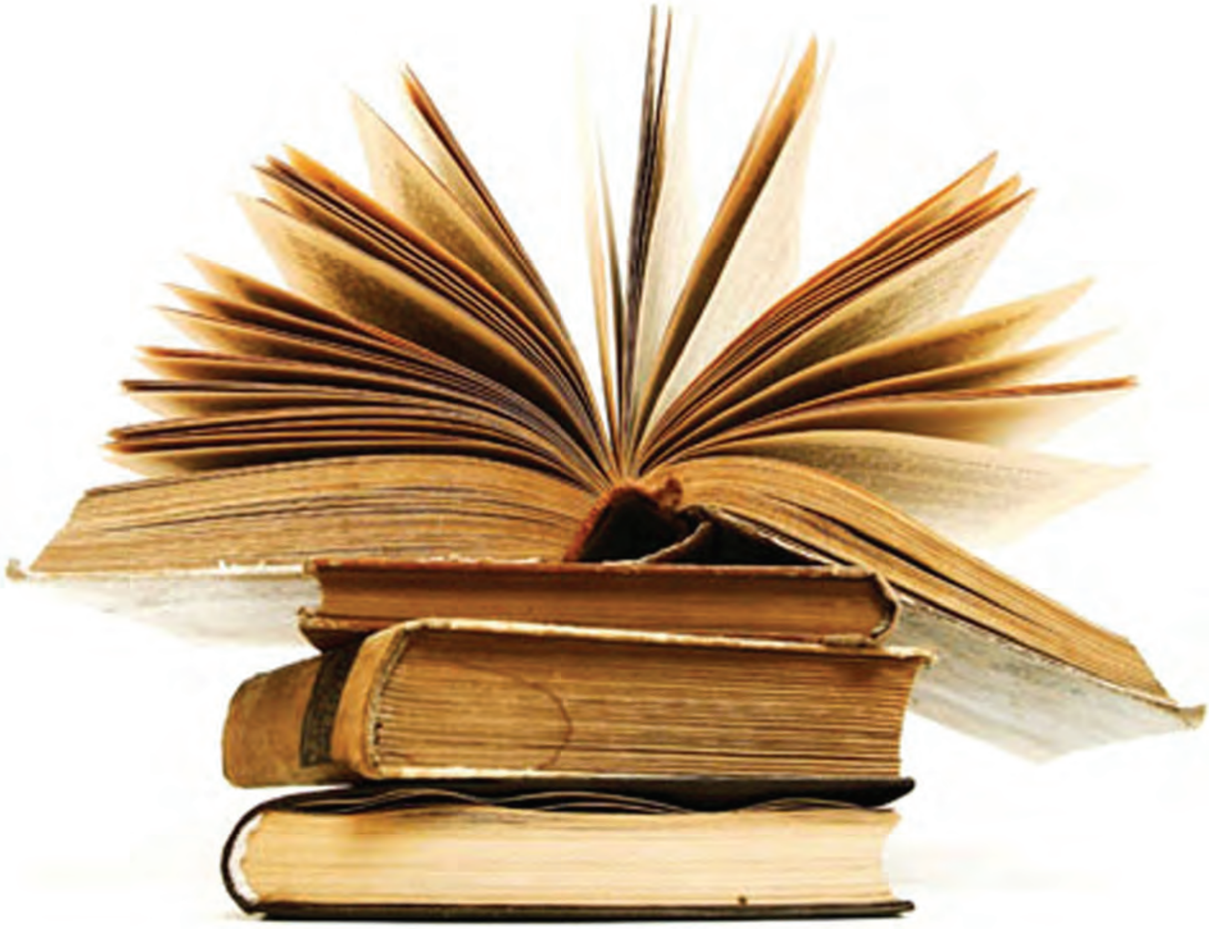

أمــــة تقــــرأ

المبادرة لاقتناء الكتب والإبحار في عالمها لها لذة خاصة لا يعرفها إلا الذي تذوق حلاوتها فقم بتقليب صفحات الكتب حتى توسع دائرة خبرتك ونطاق تفكيرك وتفتح لك آفاقا رحبة وتحل مشكلاتك وتتزن شخصيتك وتمتلك أدوات التواصل مع الآخرين وتضبط لمسات الذوق لديك وتنهل من المتعة والفائدة معا.

سأل أحدُ أبناء الفيلسوف الأميركي وليم جيمس أباه قائلا «إذا سألني الناس عن مهنتك فماذا أقول لهم؟» فقال يا بني: قل لهم إن أبي دائم التجوال ليلقى الأدباء والمفكرين من كل عصر وجنس ودين، يصغى إلى الأموات منهم كما يصغى إلى الأحياء ويصافحهم على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصله عنهم... إنه لا يعبأ بحدود جغرافية ولا فترات زمنية.

– أما بالنسبة للأهداف التي تدفع الناس للقراءة فهي كالآتي:

– خضوعا للعادة.
– لملء وقت الفراغ.
– للمتعة والفائدة الشخصية.
– استجابة لحاجات علمية.
– للتطور الشخصي.
– للحاجة للتسلية.
– تلبية لحاجات نفسية، فكرية، سياسية، اجتماعية... الخ.

«جيم جون أول فلاسفة أميركا التحفيزيين يقترح استثمار

ساعة في اليوم بالقراءة فعند قراءة كتاب في الأسبوع فستقرأ في ١٠ أعوام أكثر من ١٠٠٠ كتاب وهذا ما سيجعلك ضمن ١٪ من الخبراء في مجالك».

- يروى أن أحد العلماء جاءه رسول الخليفة يقول له: «أمير المؤمنين يستدعيك» فقال له: «عندي قوم من الحكماء أحادثهم فإذا فرغت منهم حضرت» فلما عاد إلى الخليفة وأخبره الخبر سأله: ويحك! من هؤلاء القوم الذين كانوا عنده؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما رأيت عنده أحدا! قال: اذهب فأحضره الساعة فلما حضر سأله أمير المؤمنين من هؤلاء الذين كانوا عندك؟ فقال: يا أمير المؤمنين:

لنا جلساء لا نمل حديثهم
أمينون مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى
ورأيا وتأديبا ومجدا وسؤددا
فإن قلت أموات فلم تعد أمرهم
وإن قلت أحياء فلست مفندا

- فلابد أن تشعر بأن القراءة حاجة ملحة في حياتك اليومية وتجعلها أولوية في حياتك، لذلك يقول الحكيم الصيني كونفوشيوس «مهما بلغت درجة انشغالك فلابد أن تجد وقتا للقراءة وإن لم تفعل فقد أسلمت نفسك للجهل بمحض إرادتك!».

أوقات الفراغ

- هنالك أوقات من حياتنا تضيع هدرا سواء في انتظار معاملة حكومية أو عند الطبيب أو ساعات الازدحام فأقترح عليك عزيزي القارئ أن تصطحب معك كتيبا تقرأه في هذه الأوقات الضائعة والتي تصل شهريا إلى ١٥٠ دقيقة أي بمعدل كتاب تقريبا!!

- يذكر أن الرئيس الأميركي تيودور روزفلت كان يقرأ يوميا كتابا قبل وجبة الإفطار!!

خير جليس

- الجاحظ لقب بشهيد القراءة لأنه مات تحت ركام الكتب.. فقد كان قارئا نهما عالميا في قراءته وقد كان يوصي بالقراءة والمطالعة فيقول «الكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك والمستمع الذي لا يستريثك والجار الذي لا يستبطيك والصاحب الذي لا يريد استخراج ما عندك بالملق ولا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ويحتال عليك بالكذب» أليس فعلا يستحق أن يكون خير صديق!!

- وما أروع ما قاله د. عائض القرني في كتابه لا تحزن: «والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك وبجح نفسك وعمر صدرك ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر».

من الروائع

- قال الرئيس الأميركي الثالث جيفرسون «إن الذين يقرأون فقط هم الأحرار، ذلك لأن القراءة تطرد الجهل والخرافة وهما ألد أعداء الحرية».

- سئل الفيلسوف الفرنسي فولتير عمن سيقود الجنس البشري؟ فقال «هم الذين يعرفون كيف يقرأون».

- يقول عباس العقاد «إن القراءة لم تزل سخرة يساق إليها الأكثرون طلبا لوظيفة أو منفعة ولم تزل عند أمم الحضارة حركة نفسية كحركة العضو الذي لا يطيق الجمود».

فكرة مجموعات القراءة

اختر لك مجموعة من الأصدقاء وحددوا كتابا معينا في الشهر ثم حددوا اجتماعات دورية لمناقشة ما في الكتاب، فهذه الطريقة فعالة جدا للتنافس والاطلاع وتثبيت المعلومة وتلاقح الأفكار، وتدفعك إلى تخصيص جدول يومي للقراءة بحيث تجعلها على قمة أولوياتك اليومية بالإضافة إلى أنها تكسبك مهارة الاستماع للرأي الآخر، وتعلم مهارة التعامل مع الآخرين واكتساب مهارات النقاش والتعبير عن الأفكار.

- قد يتعذر العديد من الناس بعدم لجوئهم للقراءة إلى قلة الوقت وهو أمر غريب لأنهم يجدون أوقاتا للطعام

والشراب والسينما ومشاهدة التلفاز والجلوس في المقاهي، فمن كان حريصا فعلا على القراءة فسيجد وقتا كافيا لها. وعليه فجعل القراءة جزءا من الجدول اليومي بحيث تصبح هذه الملكة عادة يومية كالطعام والشراب يمكن أن يتحقق وسأسوق بعض الأفكار والتقنيات لكيفية القراءة والاستفادة القصوى مما تقرأ:

١- خصص وقتا للقراءة: يروى أن العالم إسحق نيوتن كان ينام بشكل متقطع ينام الساعتين ثم يستيقظ ليقرأ ويعمل وإذا ما أحس بالملل نام ساعتين أخريين وقام مجددا ليقرأ فتخصيص وقت للقراءة أمر مهم جدا.

٢- استغل أوقات الانتظار: هنالك أوقات كثيرة تضيع هدرا أثناء الانتظار في السيارة مثلا أو في الدوائر الحكومية أو في الطيارة أثناء السفر فحاول أن تصطحب معك كتيبا صغيرا تقرأ منه في هذه الأوقات الضائعة بدلا من القلق والتفكير في الانتظار، فكم من أناس ألفوا كتبا وصنعوا مشاريع من هذه الأوقات البسيطة التي قد نحتقرها.

٣- خصص لك مكانا جيدا للقراءة: اجلس في مكان مريح وتحت إضاءة مريحة للعين بعيدا عن الإزعاج حتى تتعود وتعيش أجواء القراءة السليمة بدون مقاطعات وأنا شخصيا أفضل القراءة في المسجد أو على البحر أو الحديقة أو أحد المقاهي الهادئة.

٤- الساعة البيولوجية: كل إنسان فينا لديه ساعة معينة من اليوم يبلغ فيها نشاطه العقلي ذروته وينصح العلماء والباحثون وبشدة باستغلال هذا الوقت بأعمال تحتاج لتركيز عال كالقراءة مثلا حتى تستفيد أقصى درجة ممكنة مما تقرأه.

كيف تختار الكتاب الجيد

١- اختر كتابا نافعا: كثير من الناس يشترون الكتب بناء على أغلفتها الجذابة وهذا أمر غير صحيح فحاول أن تختار كتابا مفيدا.

٢- نظرة متفحصة على الكتاب: طالع الكتاب واقرأ المقدمة والمحتويات ودار النشر والفصول وحجم الخط المناسب بسرعة وبدقائق معدودة وكذلك اقرأ قليلا لتتعرف على أسلوب الكتاب وطريقته.

٣- استخدام أسلوب التلخيص: لتحقيق أقصى درجة من الاستفادة من الكتاب لخص كل فصل قمت بقراءته على ورقة ملصقة داخل الكتاب بحيث إذا أردت أن ترجع للكتاب فترجع للملخصات فقط دون الحاجة إلى قراءة الفصل بأكمله وهذه الطريقة التي أتبعها في قراءة الكتب.

٤- استخدام البطاقات: اجعل بجانبك أثناء القراءة بطاقات صغيرة دون فيها الأفكار الجيدة والأقوال والحكم والتمارين التي تفيدك لمشروع قادم كتأليف كتاب أو إعداد صفحة مثلا أو لإلقاء كلمة جماهيرية واستخدامها أثناء حديثك.

القراءة والحضارات

١- الحضارة اليونانية:

- رغم قدم الحضارة اليونانية كونها ترجع إلى ما قبل الميلاد فإن آثار هذه الحضارة وإنتاجها الفكري والأدبي الغزير لا تزال مؤثرة في العديد من الناس اليوم والذين عرف عنهم حب القراءة بشكل كبير جدا كأفلاطون وأرسطو وسقراط.

٢- الحضارة الإسلامية:

- عندما نتحدث عن الحضارة الإسلامية العريقة أقف إجلالا لهذه الحضارة العظيمة التي انطلقت من دستور رباني ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ حيث بلغت هذه الحضارة من الرقي والعمران الشيء العجيب ما أذهل كل الحضارات، كالقصور الأندلسية وهندستها الإسلامية التي لا تزال آثارها شاهدة اليوم في غرناطة وإشبيلية وقرطبة فعلماء المسلمين الذين انكبوا على القراءة والمطالعة في العلوم المختلفة استفاد منهم الأوروبيون اليوم في بناء جامعاتهم وحضارتهم الراهنة.

وشهد شاهد من أهلها

يقول المستشرقان هارولد جولد وأيت وكاتي كوب في كتابهما إبداعات الفكر «كان المسلمون مفعمين بالحياة أنقياء وكانوا أناسا تواقين متحمسين للفكر، فالديانة الإسلامية تتطلب من الأشخاص أن يفهموا القرآن من أجل أنفسهم... وقد ترجم هذا التشديد على القراءة والكتابة إلى الاهتمام بكل الحرف الفكرية».

٣- الحضارة اليابانية:

- اليابان هذا البلد الصغير جغرافيا الذي يعاني من شح موارده الطبيعية الغني بعناصره البشرية يعد نموذجا في أثر القراءة الإيجابي.. فبعد الدمار الذي حل باليابان بعد الحرب العالمية الثانية بإلقاء القنبلة الذرية قامت اليابان من الصفر وأخرجوا من ركام الحرب حضارة راقية أصبحت من القوى الصناعية الضاربة في العالم.

د. مصطفى أحمد قنبر
باحث في علوم اللغة قطر

عبدالقاهر الجرجاني
الإعجاز في العربية ونحوها

«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة» مصنفان من أشهر ما يزخر به التراث العربي، لايزالان إلى اليوم تخصص لهما حلق البحث والدرس، وتعقد لمناقشتهما الندوات والمؤتمرات؛ إذ شغلت قضاياهما المعنيين، قديما وحديثا، خصوصا «نظرية النظم». وظل اسم مبدعهما (عبدالقاهر الجرجاني) يتردد بين دفتي مؤلفات متنوعة حاولت قراءة هذا الإرث الفريد. مبدع العربية وشيخها «علم من أعلام الفكر الإسلامي أثرى الدراسات العربية بما كتب من مباحث في النحو والصرف والبلاغة والنقد، وأرسى نظرية النظم التي أدار عليها مباحث اللفظ والمعنى والصور البيانية وإعجاز القرآن» (١).

وقد حاولت سهام التجريح النيل من هذا العلامة في عقيدته، وصرف الناس عنه، كشأن كثيرين ممن شيدوا ووضعوا لبنات أساسية في صرح المنجز الحضاري العربي الإسلامي، ولكن منجزات الرجل وإسهاماته المتفردة طاشت أمامها كل السهام، وتصاغرت أمامها كل المزاعم.

نسبه ومولده وبيئته

هو عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني أبو بكر النحوي، فارسي الأصل، جرجاني الدار (٢). ولد ونشأ في جرجان. وكان شافعي المذهب، متكلما، على طريقة الأشعري (٣). وموطن الشيخ بيئة زاخرة بالنشاط العلمي، خصوصا في القرنين الرابع والخامس الهجريين؛ إذ خرج منها كثير من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء، ويكفي أنها أنجبت أديبين كبيرين هما: القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، والإمام عبدالقاهر الجرجاني.

ولم يذكر أي من المصادر التي ترجمت للشيخ شيئا عن سنة مولده، ولم تتحدث عن أسرته. وأغلب الظن أن الجرجاني ولد في آخر القرن الرابع أو مطلع القرن الخامس، ولم يبرح بلده. وقد نشأ كما ينشأ غيره من الصبيان، ودرس علوم الدين والعربية كما درسها الآخرون (٤).

أساتذته

حظي الجرجاني بالتعلم على أيدي بعض علماء عصره، فقد أخذ النحو عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبدالوارث الفارسي، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي علي الفارسي، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدر بجرجان، وحثت إليه الرحال، ولم يزل مقيما بجرجان يفيد الراحلين إليه، والوافدين عليه إلى أن توفي (٥). ومن أساتذته كذلك القاضي الجرجاني، فقد ذكر صاحب معجم الأدباء أنه «قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء إليه» (٦).

ولم يصرح الجرجاني بأسماء شيوخه في مؤلفاته، بل كان يقول: «يقول شيخنا رحمه الله»، أو «أنشدنا شيخنا رحمه الله». ويرى الدكتور أحمد مطلوب أن شيخه هذا هو ابن أخت أبي علي الفارسي، وأن عبدالقاهر لم يقف عند أخذه من شيخه، وإنما قرأ الكتب بعقل واع، ونقل عن الكثيرين ممن اشتهروا باللغة والنحو والبلاغة والأدب كسيبويه والجاحظ والمبرد وابن دريد.

وكان ثمرة ذلك الاطلاع والثقافة الواسعة أن تصدر بجرجان وذاع

صيته وشدت إليه الرحال وقصده الطلاب (٧).

مكانته ومنزلته العلمية

تبوأ الشيخ مكانة علمية مرموقة في عصره، وإلى اليوم لايزال يشار إليه بالبنان؛ لما أحدثه في الفكر اللغوي والبلاغي والنقدي من نقلات، وما قدمه من شروح تنبئ عن وعي وفكر ونظر وقراءة متأنية كثيرا ما نحتاج إليها في الدرس اللغوي والبلاغي والنقدي حتى نستعيد شيئا من ريادتنا في المنجز الحضاري الراهن.

فهو نحوي، بياني، متكلم، فقيه، مفسر. وهو أول من دوّن علم المعاني، وهو واضع أصول البلاغة، وهو من كبار أئمة العربية والبيان، عالم بالنحو والبلاغة، وهو شيخ العربية في زمانه، وله فضيلة تامة في النحو. كان إماما بارعا مفتنا. انتهت إليه رياسة النحاة في زمانه، وما ذلك إلا لتبحره وكثرة اطلاعه. قال صاحب طبقات المفسرين: سمعت أبا محمد الأبيوردي يقول: ما مقلت عيني لغويا مثله. وصار الإمام المشهور، المقصود من جميع الجهات، مع الدين المتين والورع والسكون. قال السلفي كان ورعا قانعا دخل عليه لص وهو في الصلاة فأخذ ما وجد وعبدالقاهر ينظر ولم يقطع صلاته (٨).

وقال صاحب دمية القصر: «اتفقت على إمامته الألسنة، وتجملت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة. وأثنى عليه طيب العناصر، وثنيت به عقود الخناصر. فهو فرد في علمه الغزير، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير. وقد أفادني الشيخ أبو عامر مما ألقاه بحر الفضل على لسانه، ما نطق لسان الدهر باستحسانه. ولست فيما فاتني من كريم مشاهدته، واشتيار لذيذ الشهد من مذاكرته أيام أسعدتني الأيام منه بدنو الدار، ولف أطناب الخيمتين قرب الجوار، إلا كمن ودع الماء والخضرة، وتدرع الشعثة والغبرة، وواصل الغربة، وفارق الوطن» (٩).

آثاره العلمية

ترك الرجل، يرحمه الله، ميراثا ضخما من المؤلفات، بعضها وصلنا والآخر لم تقع عليه عيون الباحثين

إلى اليوم، وقد تنوعت آثار الشيخ بين الدراسات القرآنية وعلوم اللغة، والنحو والصرف والبلاغة والنقد. وتلك بعض آثاره: كتاب شرح الفاتحة، درج الدرر في تفسير الآي والسور، المعتضد، الشرح الصغير، الرسالة الشافية، دلائل الإعجاز، أسرار البلاغة، المدخل في دلائل الإعجاز، آراء الجرجاني، الإيجاز، المغني، المقتصد، التكملة، العوامل المئة، الجمل، التلخيص، العمدة في التصريف، كتاب في العروض، المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام، مختار الاختيار، التذكرة، المفتاح (١٠).

تلاميذه

من أبرز من تتلمذ على أيادي الشيخ الجرجاني بعض أئمة النحو واللغة والأدب، وكان الخطيب التبريزي (يحيى بن علي بن محمد بن موسى ابن بسطام الشيباني أبو زكريا) أحدهم، قيل عنه «وكان أحد الأئمة في النحو، واللغة، والأدب، حجة صدوقا ثبتا» (١١).

ومنهم الأستراباذي (علي بن محمد بن علي أبو الحسن بن أبي زيد) المشهور بالفصيحي؛ لتكراره على فصيح ثعلب. قرأ النحو على عبدالقاهر الجرجاني، وقرأ عليه ملك النحاة، ودرس النحو بالنظامية بعد الخطيب التبريزي (١٢). ومن هؤلاء أحمد ابن عبدالله المهاباذي الضرير، له شرح اللمع لابن جني في النحو (١٣).

ومنهم الإمام أبو المظفر الأبيوردي، كان فاضلا في العربية والعلوم الأدبية، نسابة ليس مثله، وله في العربية مصنفات ما سبق إليها (١٤).

دراسات حول الجرجاني

شغلت آثار الشيخ الباحثين، خصوصا كتابيه: الدلائل والأسرار. وهذه بعض ما دار حول مؤلفاته:

١- د. أحمد مطلوب: عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده.

٢- د. البدراوي زهران: عبدالقاهر الجرجاني لغويا (رسالة ماجستير)، القاهرة ١٩٧٤م.

٣- د. محمد أبو موسى: مدخل إلى كتابي عبدالقاهر الجرجاني، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة.

٤- د. سعيد بحيري: دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة.

٥- وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني (١٥).

٦- أحمد عاطف محمد كلاب: منهج الإمام عبدالقاهر الجرجاني في عرضه المسائل النحوية دراسة تحليلية.

٧- د. فاتح حمبلي: ملامح التجديد في منهج البحث البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني.

٨- محمد عباس: الأبعاد الإبداعية في منهج عبدالقاهر الجرجاني، دار الفكر.

٩- طاهر القحطاني: المعاني الثواني عند عبدالقاهر الجرجاني من خلال: الكناية والاستعارة والتمثيل

١٠- د. علاء الدين رمضان: ظاهرة التناص بين الإمام عبدالقاهر الجرجاني وجوليا كريستيفا.

١١- مؤتمر: الإمام عبدالقاهر الجرجاني وجهوده في إثراء البلاغة العربية، كلية اللغة العربية بأسيوط ٢٠١٤م.

وفاته

توفي الشيخ سنة إحدى وسبعين وأربعمئة، رحمه الله وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش

هذا العنوان ليس مني، بل هو عنوان للدراسة التي نشرها أستاذنا المرحوم د. البدراوي زهران في «دار المعارف» بطبعات مختلفة، وهي في الأصل رسالة ماجستير تقدم بها لكلية دار العلوم عام ١٩٧٤م.

١- د. أحمد مطلوب: عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده، وكالة المطبوعات، الكويت، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص٥.

٢- إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨٨/٢).

٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٣٠٨/٥).

٤- د. أحمد مطلوب: عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص١٢.

٥- إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨٨/٢).

٦- معجم الأدباء (١٧٩٧/٤).

٧- د. أحمد مطلوب: عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص١٦.

٨- ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة /١٨٦؛ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١٠٦/٢)؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣٠٨/٥)؛ إنباه الرواة على أنباه النحاة (١٨٨/٢)؛ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٤٩/٥)؛ طبقات المفسرين للداوودي (٣٣٦/١)؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (١٠٨/٥)؛ الأعلام للزركلي (٤٨/٤)؛ معجم المؤلفين (٣١٠/٥).

٩- الباخرزي، (ت:٤٦٧هـ): دمية القصر وعصرة أهل العصر، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ٥٧٨/١.

١٠- انظر : د. أحمد مطلوب: عبدالقاهر الجرجاني بلاغته ونقده، ص٢٥ وما بعدها.

١١- طبقات المفسرين للداوودي (٣٧٢/٢).

١٢- بغية الوعاة (١٩٧/٢).

١٣- ينظر: معجم الأدباء ٣٥٧/١؛ الوافي بالوفيات ٧٥/٧؛ نكث الهميان في نكت العميان٨٦/١؛ بغية الوعاة ٣٢٠/١، معجم المؤلفين٣٠١/١.

١٤- معجم الأدباء ٢٣٦١/٥؛ وفيات الأعيان ٤٤٤/٤؛ تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير والأعلام ٩٩/١١.

١٥- أحمد محمود سعيد أبو دنيا: الفكر اللغوي عند عبدالقاهر الجرجاني، في:

د. محمد رشيد العويد
استشاري تربوي

سهر الأبناء وقلق الآباء

ما أكثر الآباء الذين يشتكون سهر أبنائهم في الليل ونومهم في النهار، وهم يعلنون عجزهم عن صرف أبنائهم عن هذه العادة التي يرونها ضارة بصحتهم، ومعطلة لنجاحهم في عملهم ودراستهم وحياتهم.

وهؤلاء الآباء على حق، فهذا السهر مخالف لفطرة الله التي فطر الناس عليها، وضار بأبدانهم، ومفسد لحياتهم، ومؤذ لعقولهم ونفوسهم.

قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾. (يونس:٦٧).

وقال عزوجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾. (الفرقان:٤٧).

والسهر، وهو تأخير النوم إلى ساعات متأخرة من الليل، بات عادة سيئة منتشرة في العالم كله، بسبب رئيس هو التقدم التكنولوجي الذي أسهم في جعل معظم محطات البث الفضائية تتواصل في الليل كما في النهار، والهواتف الذكية، وسواها، وسواها..

ولنبدأ ببيان بعض أضرار السهر:

- تكرار السهر يضعف البدن ويوهنه، ويصيب جهاز المناعة بالخلل، فيصبح البدن أعجز في مقاومة الأمراض.
- تتراجع قدرة العقل على الإبداع، واتخاذ القرار الصحيح، والانتباه في السياقة، وتشغيل الأجهزة، وتضعف الذاكرة، والقدرة على التركيز.
- يزيد في الإصابة بالأمراض، وظهور وتقوية أعراضها إذا كان الإنسان مصابا بها، مثل ارتفاع ضغط الدم، الصداع، الإغماء، رجفة اليد، الغثيان، الدوار، الشحوب.
- المداومون على السهر ينخفض لديهم إفراز هرمون الكورتيزول في الليل، وهذا يؤثر سلبا في الجزء من الدماغ الذي ينظم الهضم والمزاج والنمو وسواها.
- يصيب السهر بتسمم يشبه التسمم الكحولي؛ فمن تستمر يقظته ١٨ ساعة متواصلة أو أكثر ترتفع في دمه نسبة الكحول إلى ٥٠٪.
- يزيد السهر المشاعر السلبية مثل

القلق والتوتر والاكتئاب والتشاؤم.
وأكدت تجارب الدراسات العلمية أن ٦٠٪ من الذين يعانون الاكتئاب تحسنت أحوالهم وتراجع اكتئابهم بعد حصولهم على قسط وافر من النوم المبكر كانوا محرومين منه.
- نقص النوم يجعل الطلاب أقل تركيزا، وأضعف فهما، وأدنى استيعابا للدروس التي يحضرونها، والتحصيل الذي يقومون به.
وأحسب أن أضرار السهر على الإنتاج في المصانع والمؤسسات والشركات لا تقل حجما وخطرا عن أضراره على الأفراد، وكذلك ضرره في وقوع الحوادث المرورية وسواها.
والسؤال الذي لابد منه هو ماذا نفعل من أجل صرف الأبناء وغير الأبناء عن السهر؟
يحسن أولا أن نعرض عليهم الأضرار السابقة للسهر، ونشرحها لهم، ونتحاور حولها معهم، حتى يدركوا ما يسببونه لأنفسهم من أذى، وما يلحقونه بها من ضرر وخطر.
ثم نساعدهم في البدء بالتبكير في النوم ولو بالتدريج؛ فإذا كانوا يسهرون حتى الثانية بعد منتصف الليل، نوجههم لتقديم النوم إلى الواحدة، وبعد عدة أيام نقدمه إلى الثانية عشرة، ثم إلى الحادية عشرة...
ولابد أيضا من معالجة الأسباب المعينة على السهر، مثل شرب المنبهات -كالقهوة والكولا وسواهما- بعد العصر؛ لأن المواد المنبهة التي تحتويها هذه المشروبات من كافيين وغيره يستمر مفعولها عدة ساعات.
كذلك نشجعهم على تناول الحليب واللبن اللذين يعتبران من الأشربة والأطعمة التي تساعد على النوم، فقد ذكرت عدة دراسات أن تناول الحليب الدافئ يحرر الميلاتونين (هرمون النوم)، وكذلك الأندروفين الهرمون المسكن الطبيعي للألم والمساعد على الاسترخاء والنوم.
كذلك فإن تناول الحبوب الكاملة والتي تدخل في صناعة بعض الأطعمة والمخبوزات، مثل رقائق الذرة والتوست الأسمر، يملأ المعدة ويسكن الجوع الذي قد يوقظ النائم. كذلك تساعد الحبوب الكاملة في تحرير مادة السيراتونين في الدماغ فتمنح الجسم الاسترخاء.
ولا ننسى العسل الذي يسهم في علاج الارتجاع الحمضي بسبب غناه بالبوتاسيوم ومواد غذائية أخرى.
وينبغي أن نمنع أبناءنا من النوم بعد العصر، بل حتى القيلولة التي تكون بعد الضحى إلى ما قبل العصر يجب ألا تطول كثيرا كي لا تحول دون إعانتهم على النوم المبكر.
بعد قراءتنا هذا البيان العلمي سنجد أن الإسلام قد سبق إليه، كما نجد في سيرة النبي ﷺ، وفي توجيهاته ووصاياه فقد صح عنه ﷺ أنه كان يكره النوم قبل العشاء والكلام بعدها، كما روى البخاري ومسلم عن أبي برزة رضي الله عنه أنه ﷺ «كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها» (متفق عليه).
قال النووي: «واتفق العلماء على كراهة الحديث بعدها إلا ما كان في خير». شرح صحيح مسلم (١٤٦/٥).
وقال الحافظ ابن رجب: «ومتى كان السهر بلغو ورفث وهجاء فإنه مكروه بغير شك». فتح الباري (٣٧٧/٣).
ويذكر النووي الحكمة في ذلك فيقول: «وسبب كراهة الحديث بعدها أنه يؤدي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز، أو في وقتها المختار أو الأفضل. ولأن السهر في الليل سبب للكسل في النهار عما يتوجب من حقوق الدين والطاعات، ومصالح الدنيا». ٤٦/٥
وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب الناس على ذلك ويقول: «أسمرا أول الليل ونوما آخره؟!»
قال القرطبي: إن الحكمة في كراهية الحديث بعدها أن الله تعالى جعل الليل سكنا، أي يسكن فيه، فإذا تحدث الإنسان فيه فقد جعله كالنهار الذي هو متصرف المعاش، فكأنه قصد إلى مخالفة حكمة الله تعالى التي أجرى عليها وجوده.
ولقد نقلت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عمل النبي ﷺ بذلك، وحرصه عليه، فقالت: «ما نام رسول الله ﷺ قبل العشاء ولا سمر بعدها» (صحيح الجامع).
لكن هذا، من جانب آخر، لا يعني أن نمضي الليل غافلين، فهناك سهر آخر مباح، ونسميه سهرا تجاوزا لأن حديثنا عن السهر فاسمه الأجمل الذي سماه به النبي ﷺ هو القيام: قيام الليل.
قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ (الإسراء:٧٩).
وقال تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا ﴾ (الزمر:٩).
وفي حديثه ﷺ الذي أخرجه مسلم في صحيحه يجعله ﷺ أفضل الصلاة بعد الفريضة: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل».
ويوصي ﷺ بقيام الليل فهو عادة الصالحين: «عليكم بقيام الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد» (صحيح الجامع).
هكذا هو التوازن الجميل الرائع في الإسلام، نوم مبكر في الساعات الأولى من الليل، الساعات التي أكد العلماء أن نوم ساعة منها خير من نوم ثلاث ساعات بعد منتصف الليل الذي هو أقرب إلى السحر، وأفضل في القيام.

د. عبد الفتاح محمد العيسوي
باحث تربوي

سبل تنمية المهارات اللغوية لدى الطفل

مقدمة

لاشك أن تنمية اللغة Language لها أهميتها البالغة في حياتنا حيث تؤدي اللغة وظيفة اجتماعية باعتبارها من العوامل الحيوية لعملية التفاعل والتواصل بين بني الإنسان، كما تؤدي وظيفة عقلية لأنها أداة لتكوين المفاهيم والاتجاهات Attitudes ليس ذلك وحسب، بل إن لها وظيفة نفسية أيضا فهي وسيلة للتعبير عن الأحاسيس والمشاعر والميول والرغبات والانفعالات والخواطر، فعن طريقها نستطيع أن ننقل للآخرين أدق المعاني الوجدانية Affectivity والعواطف الإنسانية، وتعرُّف ما لديهم من أفكار ومعلومات وآراء، وبها ننقل أفكارنا ومعارفنا وخبراتنا للأجيال اللاحقة، وخاصة في ضوء تلك الدعوات المباركة التي تستهدف إعادة بناء الإنسان على الأرض العربية ليكون قادرا على التصدي لتحديات العصر وحمل راية التقدم ورفع مشعل التنوير والتثقيف Enculturation ونشر العلم والمعرفة والوعي، ونحن حين نتصدى لتربية الأجيال الصاعدة تربية سوية وسليمة، وحين نستهدف تكوين المواطن الصالح، إنما نقوم بعملية استثمار لأنه على قدر ما ينفق المجتمع من ماله وجهده في سبيل تربية النشء والحفاظ على صحته الجسمية والعقلية والنفسية وقيمه الروحية والوطنية.. يرتد عائد هذا الاستثمار في شكل خبرات نافعة، وأيد وسواعد وعقول تبني المجتمع وتبذُل له العطاء، ويتطلب ذلك أن نتولى الطفل منذ نعومة أظفاره، أي منذ الطفولة الباكرة بالرعاية الصحية والجسمية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية العملية تلك التي تبدأ باكتساب اللغة، لأن مرحلة الطفولة لها أهمية كبيرة حيث توضع فيها البذور أو الأصول الأولى لشخصية الإنسان وتحكم ما تمتاز به شخصية الطفل من المرونة، فإن ما يلقاه من خبرات تترك بصماتها قوية في المراحل اللاحقة، لأن حياة الإنسان سلسلة متصلة من الحلقات يؤثر فيها السابق في اللاحق ومن هنا يجدر بنا عرض مراحل النمو اللفظي:

مرحلة الرضاعة

تبدأ مظاهر الحياة لدى الطفل بصيحة الميلاد نتيجة لاندفاع الهواء بقوة عبر حنجرته إلى رئتيه فتهتز الثنايا الصوتية أو الأوتار الصوتية وتصدر عن الطفل صيحة الميلاد المألوفة، وتختلف هذه الصيحة من طفل إلى آخر تبعا لاختلاف طريقة الولادة والحالة الصحية للطفل، فصيحة الطفل القوي حادة وصيحة الطفل الضعيف خافتة.

مرحلة الأصوات الوجدانية

تنمو صيحة الميلاد حتى تصبح معبرة عن حالات الطفل الانفعالية ورغباته

النفسية، فمثلا الصرخة الحادة تدل على الألم، أما الصرخة الرتيبة المتقطعة فتدل على الضيق، والأصوات التي تصدر عنه في حالة الجوع أو الفرح أو الغضب هي ما يطلق عليها بالأصوات الوجدانية، وهي مؤسسة على الروابط بين الجسم والنفس ربطا يجعلها تتحرك بشكل آلي عند وجود هذه الحالات، وهذه الأصوات لها دلالتها وتفهمها الأم المحنكة.

مرحلة المناغاة

في هذه المرحلة يصدر الطفل مجموعة من الأصوات وهو في حالة الارتياح والتمتع بالدفء والشبع والطمأنينة ثم يستطرد في نموه اللغوي حتى يكتشف لنفسه جميع الدعائم الصوتية لأية لغة يتحدث بها.

مرحلة التقليد والمحاكاة

وفي هذه المرحلة يستجيب الطفل لحالاته النفسية والانفعالية الداخلية وللأصوات المحيطة به، ثم يتطور فيقلد الأصوات التي يسمعها إذا لم يكن هناك عائق في جهازه السمعي، ذلك لأن وضوح الإحساسات السمعية وقوتها ينمي الذاكرة السمعية وبالتالي تنمو معها ظاهرة التقليد اللغوي وهي قدرة على حفظ الأصوات ثم يزداد نموها وتظهر الذاكرة النظرية أي ذكر الأشياء المنظورة وبذلك تزداد عملية التقليد والمحاكاة Imitation.

نمو الرصيد اللفظي

تعد السنة الأولى مرحلة الكلمة الواحدة حيث ينطق الطفل كلمة واحدة للدلالة على ما يريد التعبير عنه، أما مرحلة الكلمتين فتأتي في السنة الثانية وخاصة في النصف الأخير منها وتكون معظم الكلمات عبارة عن الأسماء الجامدة التي تدل على أمور حسية ثم يظهر بعدها الأفعال ثم الصفات ثم الضمائر ثم الحروف، ويصاحب ذلك قدرته على الفهم، إلا أن الطفل لا يدرك المعاني المجردة إلا إذا ارتبطت بأشياء مادية مثل الكرم المصاحب لكثرة الطعام كما يتأثر نمو اللغة لدى الطفل بالأب والأم أو الأخ الأكبر أو المربية أو ممن يعجب بهم. فإذا سئل أين أنفك أو فمك؟ أجاب بحركات يده وجسمه إجابات تدل على فهمه معاني الكلمات. فالرصيد اللغوي من الكلمات التي يفهمها الطفل أكبر بكثير من الكلمات التي ينطق بها ولا ينطبق ذلك على جميع الأطفال، فهناك ما يعرف في علم النفس الحديث بالفروق الفردية Individual Differences والفروق بين الذكور والإناث حيث تتفوق البنات على البنين في كل جوانب اللغة وعدد المفردات، كما يرتبط النمو اللغوي بنسبة الذكاء Intelligence وذلك لأن نمو اللغة مظهر من مظاهر نمو القدرة العقلية العامة، ومعنى ذلك أن ظهور اللغة في سن مبكر مَحَكٌّ جيد لارتفاع نسبة الذكاء، وتأخيرها ليس دليلا على انخفاض نسبة الذكاء وكذلك سلامة الجهاز العصبي، وثراء البيئة الاجتماعية والحضارية والثقافية والخبرات وكمية ونوعية المثيرات الاجتماعية، كل ذلك يؤثر في نمو اللغة.

مرحلة الروضة

تتميز هذه المرحلة بزيادة الميل إلى الحركة ومحاولة التعرف على البيئة ونمو اللغة وتكوين المفاهيم الاجتماعية، وإدراك الصواب من الخطأ، والتمييز بين الخير والشر وتكوين الضمير conscience وبداية نمو الذات ووضوح الفروق الفردية بين الأطفال حتى تصبح واضحة المعالم في نهاية هذه المرحلة، وتتطلب هذه المرحلة تحصيل عدد كبير من المفردات وفهمها واستيعابها وربط بعضها ببعض في جملة ذات معنى، ومن مظاهر هذه المرحلة الوضوح ودقة التعبير والفهم وتحسين النطق، واختفاء النطق الطفلي أو الجمل الناقصة أو الإبدال أو اللثغة...إلخ، كما يمر التعبير اللغوي بمرحلتين؛ مرحلة الجمل القصيرة والبسيطة والمفيدة حيث تتكون الجملة من ٣-٤ كلمات سليمة من الناحية الوظيفية أي تؤدي المعنى بالرغم من أنها غير صحيحة من الناحية التركيبية، وعلى ذلك ينبغي أن نقدم للأطفال أسماء الأشياء التي يشاهدونها في البيئة المحيطة بهم ثم تقديم صفاتها وأحجامها والأماكن والجهات والخصائص الفيزيقية والأشكال الهندسية والقيم الاجتماعية البسيطة، والقواعد اللغوية السهلة كالمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع، والضمائر مثل هو وهي ونحن... ثم يتبع ذلك تركيب الجمل البسيطة مثل هذا قلمي وهذه كراستي...إلخ.

مرحلة الجملة الكاملة

تتميز هذه المرحلة بأن الجملة تكون مفيدة وكاملة الأجزاء والكلام يكون فكريا أكثر من كونه حركيا وتزداد فيه صفة التجريد Abstraction كما يظهر التعميم Generalization القائم على التوسط، كما يتضح معنى الحسن والقبيح والبنات أكثر وأسرع كلاما وتساؤلا، وأحسن نطقا وأفصح إبانة وأكثر غنى في المفردات من البنين.

وعلى كل حال فإن عملية تعليم اللغة مهمة، تلك التي تقوم على المفاهيم الأساسية لنظريات التعلم مثل الارتباط والممارسة أو التكرار ورفع دافع التحصيل الدراسي Motive Achievement والإثابة أو التعزيز الإيجابي.. وإذا كان الاهتمام والتعامل والعلاقات الاجتماعية السوية بين الطفل ومربيته يسهم في نمو اللغة

بالإضافة إلى الجو الأسري المستقر، فإن اضطراب الجو العائلي يسبب للطفل البكم النفسي، كما تؤثر العوامل الجسمية كسلامة جهاز النطق وكفاية الحواس في النمو اللغوي. ولاشك أن رواية الحكايات والقصص لها دورها في اكتساب الطفل للمفردات اللغوية حيث ينصب كلام الطفل على الحاضر وقليل منه عن الماضي والمستقبل ويكون متمركزا حول الذات ثم حول الجماعة، ويستطيع الطفل أن يتخلص من تكرار الكلمات أو الترديد.. ومن الجدير بالذكر أن الثراء اللغوي عند الأطفال لا يقاس بعدد المفردات فحسب، بل بخصوبة الألفاظ وصدق دلالتها وبما يتمتع به من طلاقة لفظية ومرونة وأصالة.

سبل تنمية اللغة لدى الطفل:

- تدريب الطفل على النطق السليم والصحيح والواضح، ومعلوم أن الطفل تغلب عليه لهجات الملازمين له والمشرفين على تربيته فيتعين على رياض الأطفال في الوطن العربي أن يعنوا بانتقاء الحاضنات فيختاروهن ممن حسن نطقهن ورقت أساليبهن وسلمن من العيوب اللفظية كالعي والفأفأة واللجلجة واللثغة حتى تكون مدلولات الألفاظ والجمل التي يحاكيها الطفل واضحة تمام الوضوح في ذهنه وبعيدة عن الغموض أو اللبس Ambiguity فإذا نجح الطفل في نطقه مثلا بالألفاظ والكلمات نطقا سليما فمن واجب المستمعين أن يتقبلوا ذلك بالتعزيز وإظهار السرور والتشجيع والاستحسان والإثابة والتدعيم الذي يدفع الطفل إلى تكرار الألفاظ المعززة وبالتالي يتعلمها بفضل التكرار والتقليد، على أن يكون ذلك بالتدريج شيئا فشيئا بما يتوافق مع مستوى نضجه واستعداده وقدراته، وينبغي أن تكون التمرينات ذات صبغة إيقاعية، وتبدأ بالكلمات السهلة إلى الصعبة مع مراعاة تدريب اللسان والشفاه والحلق، كما يجب مراعاة تنظيم سرعة الكلام والتدريب على نطق الحروف الساكنة والمتحركة، واستخدام الطريقة الموسيقية أي الألحان والنغمات على أن يكون المدرب من الشخصيات الجذابة حيث أثبتت الدراسات أن الفرد يسهل تعلمه عن طريق الشخص الذي يحبه ويثير إعجابه وتقديره وينجذب إليه.
- وعلى كل من الأسرة والمربية وقاية حاسة السمع من كل ما يعوقها عن أداء وظائفها أداء كاملا وعلاجها مما عسى أن يكون بها من خلل طبيعي أو مكتسب، وكذلك تربية قوى الحفظ والذاكرة والإرادة والتصميم الواعي على أداء الأفعال وتحقيق الأهداف النافعة.
- عدم إجابة مطالب الطفل بمجرد الإشارة إليها مما يحمله على محاولة الكلام.
- تقديم لغة عربية تناسب مراحل نموه مع اختيار الكلمات العربية التي تقتضيها الحياة الحضارية، وحمله على حبها والإقبال عليها.
- إيجاد طرائق لإنماء لغة الأطفال، وتيسير سبل الاتصال اللغوي لديهم.
- الزيارات لحدائق الحيوان والمتنزهات والمحلات والأسواق والرحلات والاشتراك في الأندية الرياضية، وتكليف الطفل بوصف هذه الزيارات وتلقي الإجابة عليها.
- توفير جو أسري مستقر يسوده الحب والدفء والحنان والسكينة والاطمئنان والأمن والأمان زد على ذلك وجود جو في الروضة مشوق وجذاب تتوافر فيه بعض الألعاب المناسبة لعمره والزهور وأحواض الأسماك وتبديل دائم للصور الملونة والرسومات المبهجة.
- توفير الكتب والقصص والمجلات المصورة، وأفلام الكرتون بالتلفاز والمسرحيات الهادفة وتنويع الموضوعات، فالقصة مثلا تعد وسيلة لتعلم اللغة وتنمية مفردات الطفل زد على ذلك أنها تشبع العواطف كالحب والخير والبر والإحسان واللطف والرقة والجمال واحترام الكبار فضلا عن تقديم الألعاب الجذابة كالهاتف، ذلك لأن الأطفال مولعون بالتحدث مع آبائهم وأمهاتهم وزملائهم في الهاتف، فالأطفال الذين يملكون الكثير من الألعاب يكتسبون مفردات أكثر من أولئك الذين يعيشون في بيئات ضيقة أو مغلقة.
- توفير مسارح للأطفال يتحدثون فيها بشكل طبيعي أثناء اللعب والتقليد بل يستطيع الطفل أن يخترع قصصا، وأن يمثل بعض الأدوار بطريقة تلقائية، كما أن مسرح الدمى يجذب الطفل الخجول ويدفعه إلى التحدث عن الدمى أو معها، والمربية الناجحة تستطيع إفهام الأطفال أهمية العلاقة بين الحركة والكلمة وإقامة حوار بين الطفل ومربيته وأقرانه وحول ما يوجد في البيئة المحيطة بهم.
- تسجيل حديث الطفل يساهم في توسيع لغته وتنميتها وخاصة عندما يسمع صوته، ويمكن أن تقوم المعلمة بتصحيح ما قد يوجد من الخطأ.
- تشجيع الطفل على وصف الأشياء من حيث لونها وملمسها فإن ذلك يثري مفردات الطفل كما يربط ذلك بين اللغة والفكر.
- كما يجب تنمية شعور الطفل بالثقة في نفسه وإشباع حاجاته النفسية وتحقيق أمنه وعدم معاقبته أو معايرته أو لومه أو معاملته معاملة خاصة، أو جعل كلامه مادة للسخرية والتندر أو التهكم والاستهزاء.

استخدام العلاجات الطبية والنفسية عند ظهور اضطراب في الكلام عند بعض الأطفال وخاصة تلك التي لا تختفي مع النمو أو النضج.

محمد عرابي
كاتب وناقد

أهدافها ووظائفها

مكتبة الأسرة

للقراءة فوائد كثيرة من أبرزها أنها تزودنا بالثقافة العامة، وتنمي الخبرات، وتعمق الفهم، وتزيد حب الاستطلاع، ومعرفة الحياة من حولنا، وتمدنا بالمعلومات الضرورية لحل المشكلات، وتسهم في الإعداد العلمي، وتساعد في الإعداد الشخصي، وتحقق التسلية والمتعة؛ لذا كان من الأهمية أن يقبل جميع أفراد الأسرة على القراءة، وأن تكون مكتبة الأسرة من أساسيات المنزل، فهي ليست مرفق عادي من مرافق الأسرة، بل مرفق أساسي وضروري وحيوي لا يمكن أن تستغني عنه الأسرة؛ لدورها البالغ الأهمية في التكوين الثقافي والتعليمي والترفيهي والتنموي لأفراد الأسرة من خلال قراءة الكتب التي تمتاز بالصحة العلمية والدقة والوضوح والنفع والفائدة، وانطلاقا من أهمية مكتبة الأسرة كان هذا المقال الذي يتناول مكتبة الأسرة (أهدافها - وظائفها).

أولا: أهداف مكتبة الأسرة

تهدف مكتبة الأسرة إلى:

- العمل على إثراء ثقافة جميع أفراد الأسرة بكل جديد في العلم والمعرفة والخبرة والثقافة العامة وعلوم العصر، والإقبال على القراءة كل بحسب ميوله ومطالب عمله، أو مهنته.
- توفير الكتب التي تحتاج إليها الأسرة، وخاصة المعاجم ودوائر المعارف، وكتب التقنية وعلوم العصر التي ترجع بالنفع على جميع أفراد الأسرة.
- تحفيز وتنمية دافعية جميع أفراد الأسرة للقراءة والاطلاع وتحقيق أسلوب التعلم الذاتي والتعليم المستمر، وتنمية القراءة الإبداعية والناقدة لدى أفراد الأسرة.
- استثمار أوقات فراغ أفراد الأسرة في القراءة الهادفة المفيدة، والتي تحقق التسلية والترفيه والاستمتاع.
- علاج ظاهرة النفور من القراءة لدى الأطفال والشباب، حيث يصبح السلوك العملي المتمثل في قراءات الأبوين أقوى من الدعوة النظرية للقراءة، فيقبل الطالب على القراءة بالقدوة والأسوة.
- تطوير الفكر والسلوك للأفضل لدى جميع أفراد الأسرة، والتعود على الحوار البناء والمناقشة الهادفة وحل المشكلات بطرق إبداعية.
- التعود على القراءة التحليلية من خلال رؤية نقدية فيها إبداء الرأي والآراء الأخرى، مع الحرص على توجيه الأطفال للكتب والقصص والقصص المصورة وأناشيد الأطفال المليئة بالقيم التربوية المفيدة والنافعة.

ثانيا: وظائف مكتبة الأسرة

إن تخطيط برنامج لمكتبة الأسرة، وحسن إعدادها، وسلامة تنظيمها، واستخدامها؛ لهو أمر مهم في تكوين الفرد الثقافي عبر مراحل حياته المختلفة؛ فمكتبة الأسرة لها دور كبير في التربية المنزلية الشاملة؛ فوجود مكتبة حديثة ثرية للأسرة في المنزل أمر ضروري وعامل أساسي في نفع الفرد والمجتمع؛ نفع الفرد بحسن تنشئته، فمكتبة الأسرة بمثابة مركز توجيه وإرشاد لبناء الجوانب الخلقية والنفسية والجمالية والاجتماعية لدى الأبناء، وهي بذلك تعدهم لتنمية الشخصية، والاعتماد على الذات، وتحمل المسؤولية.

ومن أهم وظائف مكتبة الأسرة؛ ممارسة أفراد الأسرة لأنواع متعددة من القراءة التحليلية، والقراءة للتذوق الأدبي، والقراءة التحصيلية، أو القراءة للدراسة، والقراءة لتجميع المعلومات لغرض من الأغراض، والقراءة للمتعة الذهنية، واستثمار وقت الفراغ في تسلية مفيدة.

والرؤية المستقبلية لأهم وظائف مكتبة الأسرة تتحقق من خلال استخدام التقنيات الحديثة، وتقنيات الإعلام الجديد، بهدف تخزين المعلومات واسترجاعها؛ لذا تركز الاتجاهات التربوية الحديثة على ضرورة اكتساب أفراد الأسرة مهارات تناول المعلومات التي تبنى عليها مهارات التعلم الذاتي، والتعلم المستمر، وضرورة تزويد أفراد الأسرة بالمهارات التي تمكنهم من توظيف مصادر المعلومات العامة والمتخصصة، والبحث في المراجع، وطرق الحصول على المعلومات وطرق إعداد البحوث والمقالات بغية الحصول على مزيد من الخبرات.

تكوين المثقف الذي يلم بأطراف المعرفة الإنسانية، وتزويده بقدر ملائم من المعارف والمعلومات العامة، والتعرف على الأحداث الجارية.

تنمية حب القراءة لدى أفراد الأسرة، وانتقاء ما يوافق ميولهم مما يزودهم بالمتعة الذهنية، وتنمية الإحساس بالجمال والتذوق الأدبي والفني لديهم.

تنمية قدرات الأطفال على استخدام المكتبات ومصادر المعلومات المتوفرة، وهذا يفيدهم في مستقبل حياتهم العلمية والتعليمية.

محمد حسن بدرالدين
باحث تربوي

ملامح إسلامية في رعاية الطفولة

قد يتراءى للباحث في مجال الدراسات الاجتماعية والتربوية، أن منهج التربية الإسلامية في إعداد الطفولة للحياة، وتوجيهها وترشيدها في المجتمع، لا يختلف عن معالم التربية الخلقية والجمالية السائدة في كل ثقافة أو مجتمع. ولكن الإلمام والتمحيص الكاملين يكشفان عن منظومة مختلفة في ثرائها واتساعها، ومتفردة في بنائها.

فهو منهج لا يبدأ في المدرسة أصلا، بل يسبق التربية النظامية في تكوين شخصية الطفل، وتحديد ملامحها، وتركيب خصائصها، في البيت أولا، ثم في المسجد وملحقاته ودائرة المجتمع، ثم تستمر من المهد إلى اللحد، وهو مظهر عام من مظاهر رعاية الإسلام للطفولة، يبدأ في وقت مبكر جدا، بتوفير المناخ الإيماني؛ عن أبي رافع رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ أذن في أذن الحسن بن علي، رضي الله عنهما، حين ولدته فاطمة، رضي الله عنها، بالصلاة، أي أذانا كأذان الصلاة في الأذن اليمنى وإقامة الصلاة في الأذن اليسرى» (١).

والمقصود من ذلك أن تستعد الحواس للتسبيح بحمد الله عبر السماع الأول، وأن يتشرف جهاز الاستقبال الأول بتكبير الله وشهادة التوحيد. وقد تكشف علميا أن المولود يتفاعل مع الأصوات ويميز بينها منذ اليوم الأول من حياته. ومن وجوه الثراء في معالجة الإسلام لهذه الرعاية المبكرة للطفولة، أنه مهد لها بسلسلة متكاملة من أنساق الضمانات، تشي بضرب من الاستبصار الشمولي، يحفظ كيانها مدى الحياة، والتي تمتد من مرحلة ما قبل النطفة، حيث اختيار الزوجة الصالحة أو المحضن الأمين: «تخيروا لنطفكم» (٢)، وحتى هذا الاختيار له أسبقيات وتفضيلات تنبغي مراعاتها: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك» (٣)، تلي ذلك مرحلة آداب الزواج، ثم الحمل، والمحافظة على الأم، بالترخيص لها في الإفطار، ثم مرحلة الوضع، وأحكام المولود من عقيقة وتشريف، ثم تشريع نظام غذائي وصحي يتعلق بالرضاعة والحضانة إلى أن تبدأ مرحلة الطفولة الحقيقية وإعدادها للمجتمع.

إن هذا المنهج المتسلسل الذي نجد تفاصيله في مباحث الفقه الإسلامي، يقرر حكمتين بالغتين: الأولى أن الإسلام قنن مبادئ لرعاية الطفولة، صنفها ضمن مراحل منهجية منظمة، لأنه يمتلك نظرية وفلسفة متكاملة حول الطفولة. الثانية أنه أسس مبادئ حقوق الطفل وجعلها تبدأ قبل الولادة، وهذا لا نظير له، فهو يمتلك قانونا وتشريعا حول الطفولة منذ زمن مديد.

متى تبدأ رعاية الطفولة؟

إنها تبدأ قبل الولادة، فتتعلق بحقوق الطفل: بحسن اختيار الأب للأم، ورعاية الأم الحامل، ورعاية الجنين في بطنها. ومن شدة اهتمام الإسلام بالطفولة، أنه اعتبر هذا الجنين صاحب حق في الميراث قبل أن يولد، فلا يقسم حتى ينزل ويستهل صارخا، بل تمتد هذه المرحلة إلى ما قبل اجتماع الأب مع الأم، وتتركز حول إيجاد أبوين مسلمين. وكلمة مسلمين هنا واسعة الدلالة، فهي تقتضي أن يمرا بالتربية التي سيمر بها الطفل نفسه؛ فهي دورة متكاملة في الإسلام: أبوان مسلمان، بيئة مسلمة، أطفال مسلمون، فالأبوان يكفلان تحقيق أفضل ظروف للتربية الإسلامية، لأنهما اختبراها وتعودا عليها، فينقلان الخبرة والمبادئ والأحكام الإسلامية للجيل الجديد، وهو ميراث الإسلام من السابق إلى اللاحق، أو هي الوصية الخالدة بتعبير القرآن الكريم:

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (البقرة:١٣٢).

ومن تشريعات الإسلام السابقة لمرحلة الولادة، التي تضمنت سلامة هذا الميراث، نظام الخطبة وآدابها وعدم الاختلاط، والاختيار على أساس الدين، حتى يجنب الوقوع في الصفات المذمومة التي يرثها الطفل ويتعلمها عن طريق أمه، عبر الموروث والمكتسب، ولذلك حرص الرسول ﷺ أن يختم وصية اختيار الزوجة بتوجيه دقيق: «فاظفر بذات الدين، تربت يداك».

معالم التنشئة الاجتماعية

إن الحرص البالغ على إعداد أسرة صالحة في ظل الشرعية والقوانين، ضمانات معتبرة في إرساء مبادئ ثابتة لحماية الطفولة. ومع ذلك، فإنها تتحول في مرحلة ثانية إلى حرص آخر مواز، يتعلق بالجوانب المادية: الأمن الغذائي والصحي، فهناك انتقال من المعنوي إلى المادي. ثم سنجد أن هذا المنهج يتحول في مرحلة ثالثة من المادي إلى المعنوي، تأكيدا لمذهبية الإسلام في الربط بين وحدتي المادة والروح، فمادام الأمر يتعلق بتكوين أسرة سليمة،

فهو يقدم الدعم المعنوي اللازم، وحين يتعلق الأمر بالأطفال يتحول إلى رعاية مادية بالضرورة، تكفل حقوق الحياة والنمو والصحة.

ولكن المرحلة الموالية تتحول فيها العملية بالكامل إلى تهذيب أخلاقي وسلوكي وتربية روحية، تماشيا مع منهجه في التكامل والمزج بين الغريزي والسامي، كما سنجد وحدة ثالثة تربط بين العلم والعمل، والقول والفعل في صلب النظرية التربوية الإسلامية.

تبدأ مرحلة الطفولة الأولى في الإسلام بالرضاعة وتنتهي بالفطام، أي إنها تتعلق أساسا بالنظام الغذائي، حيث يحرص فيها على رضاعة تامة وسليمة، وقد أشارت آية الرضاع: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ (البقرة:٢٣٣)، إلى أنه حق مشترك بين الرضيع وأمه، بحيث لا تمتنع عن القيام بهذا الحق من دون عذر. وقد توسع الفقهاء في تجلية آداب هذه المرحلة وشروطها. فالإمام الغزالي، مثلا، اشترط أن تكون المرضع صالحة تأكل من الحلال، لأن الحاصل من الحرام لا بركة فيه. ومن هنا تبدأ التربية الإسلامية في الحرص على تأسيس المنبت الصالح وتزكية النفوس بالتقوى في وقت مبكر.

وبعد الفطام يدخل الطفل مرحلة الحضانة، وفيها آداب إسلامية تفصيلية، مثل الحرص على تقديم الأم على الأب في القيام بمهمة الحضانة تأكيدا على سلامة الطفولة، استنادا إلى أن المرأة أقدر على الوفاء بها، وأصبر على تحمل ما تستوجبه من نظافة وعناء، فضلا عن كونها أكثر شفقة. ومنها اشتراط الكفاءة في الحضانة، والقدرة على النهوض بمتطلبات الطفولة، لأن في هذه المرحلة سيتأكد نظام الطهارة بعد النظام الغذائي، والذي يتطلب فهما لرسالة الإسلام، من أجل تعويد الطفل على فضائل الأعمال، والطاعات وسائر القربات.

تمتد الحضانة الأساسية إلى سن سبع سنوات، استرشادا بالأدب الإسلامي في تقسيم مراحل الطفولة وخروجها من طور اللعب إلى طور الأدب إلى طور المصاحبة: «لاعبه سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا» (٤)، حيث قسمت المراحل بالسبع، فإذا أنفك الطور الأول بدأ سن التمييز المبكر، ليتعود الطفل على الطهارة، بوصفها مقدمة لأداء الصلاة، والتمرن عليها، وعدم التسامح في تركها بعد ذلك، للانضباط على الحزم والنشاط: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (٥).

إن منهج التكامل والشمول في ربط المبادئ والأسس مع الفروع والآداب، يتضح في مبحث الطهارة، فقد كانت واجبة على الغير في الطور الأول، فأصبحت واجبة على الطفل نفسه في الطور الثاني، ولأن الطهور شطر الإيمان، اعتبرت نظافة الثوب والمكان والبدن شروطا في صحة الصلاة، لتلتقي جميعها في حفظ طفولة سليمة وتنشئة قويمة.

ولتأكيد هذه التنشئة، وتثبيت دعائمها العامة، استكمل المنهج الإسلامي مرحلة الآداب هذه بجماليات الأكل والشرب والذوق، ثم ربطها بآداب الفطرة الطبيعية، مما يؤكد منزع الواقعية ومراعاة الأحوال البشرية. ففي آداب الغذاء وقع التركيز على عدم الإسراف: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ (الأعراف:٣١). في مقابل تحليل الطيبات، وتحريم بعض الأطعمة والأشربة الضارة: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾(الأعراف:١٥٧)، ثم ممارسة آداب الفطرة الشاملة للطورين معا، فيأخذ الطفل منها ما يناسب أطوار تدرجه في النمو والوعي والتكليف، مثل الختان ونتف الإبط وتقليم الأظافر.

ولما كان إعداد الطفولة سبيل تربية شاملة قوامها الوفاء بتنمية القوى المودعة في الطفل ومساعدة تدريجية لبناء شخصيته، كانت الرياضة والعناية بالتكوين الجسمي تكملة جامعة للمسالك الصحية والغذائية، وإعدادا لتهيئة تلك الشخصية، فيما بعد، في جوانبها العقلية والنفسية. وهكذا نرى أن المنهج الإسلامي بدأ رعايته للطفولة بالجوانب المادية، باعتبارها مقدمة تأسيسية وضرورية للعناية بالجوانب الروحية الراقية، بوصفها هذه المرة مطلبا نهائيا في بناء الذات المسلمة المتكاملة، التي تعبد الله حق عبادته على أسس متينة من القوة والمران والاستعداد.

ولأن النظام الإسلامي في تنشئة الأطفال بناء تام الصنعة، فقد أولى جميع الجوانب ما تستحق من دون إهمال أو إفراط، وجعل لجهود الآباء والمربين مسؤولية واجبة في تحقيق التوازن بين هذه الجوانب ونموها، لأن إهمال ناحية منها يعتبر تربية ناقصة واعتداء على حقوق الطفولة، كما هو حاصل في التربية الحديثة، التي أعلت

جوانب التربية الفنية والعلمية وأهملت جوانب التربية الروحية والأخلاقية.

على أن الميزة الكبرى للتنشئة الإسلامية للطفولة أنها تأهيل للحياة مع الجماعة: ينتفع بها وينفعها، أي إنها ذات أبعاد نفعية إلى جانب كونها عملية، فقوة البدن مقترنة بسلامة الروح، وعمق التدين مع سعة العلم: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ (البقرة:٢٤٧)، وفي الحديث الشريف التفات بديع إلى ضرورة الجمع بين الإيمان والقوة: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، فاحرص على ما تنتفع به، واستعن بالله ولا تعجز» (٦).

والدعوة إلى تعليم الأطفال السباحة والرماية وركوب الخيل، لا تعني التضحية بمرحلة الطفولة الأولى من أجل مرحلة لاحقة، أو إرغامهم على التصرف مثل الكبار، فليس من منهج الإسلام أن يكون الطفل جديا في كل شيء، بل يجعل له نصيبا معتبرا من اللعب واللهو، وهو يتعامل مع الطفولة بوصفها مرحلة قائمة بذاتها وحاجتها وحقوقها الخاصة: عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له أبو عمير وهو فطيم، كان إذا جاءنا قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ (لنغر كان يلعب به وهو طائر صغير أحمر المنقار ويجمع على نغران)، وربما حضرت الصلاة وهو في بيتنا فيأمرنا بالبساط الذي تحته فيكنس ثم ينفخ، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا» (٧).

في هذا الحديث عدة فوائد جمعها الفقيه الشافعي بن القاص (ت:٣٣٥هـ) في جزء مفرد واستخرج من قصة الصغير أبي عمير مئات العبر والأحكام، ذكر منها على سبيل المثال جواز المازحة وتكرير المزح، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة ومفيدة له، وفيها ترك التكبر والترفع، وفيها التلطف بالصغير، والسؤال عن حاله، وجواز لعب الصغير بالطير، وجواز ترك الأبوين ولدهما الصغير يلعب بما أبيح اللعب به، وجواز إنفاق المال فيما يتلهى به الصغير من المباحات (٨).

إن هذا التأصيل للفضاءات الأسرية أو البيئة الأساسية للطفل، يعتمد فلسفة واقعية تجمع بين مراعاة أحوال الطفولة وتحقيق الأرضية الصلبة في رعاية التكامل والوحدة بين أفراد الأسرة من خلال ممارسة الشعائر الدينية بطريقة جماعية، لرفع المستويات المعنوية والأخلاقية، ومنع الانحراف والتصدع الذي يمكن أن يصيب الأسرة ويؤدي إلى انحراف الصغار.

كما أن هذا التأصيل، فضلا عن مراعاة أحوال الطفل، يرفع مستواه ويزكي مظاهر الالتزام والاحترام في قلبه، ويشيع أجواء الحرية في تنشئته الاجتماعية، بعيدا عن صور الإكراه، ليحقق ما يجلب له السعادة والطمأنينة.

إن تدرج ملكات الطفل في النمو والوعي، يقتضي حكمة تعميق أثر الفطرة في تأسيس قواعد الإيمان والعقيدة، عملا بالحديث الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (٩). وكذلك ربط السلوك الفردي بروابط الإيمان بالله والتقوى، لتنشئة الطفل على المراقبة الذاتية من الداخل، وعدم مجاراة المجتمع في كل الأحوال من خلال بناء العقل الناقد، والشخصية المتميزة القادرة على الحكم والمقارنة تماشيا مع قوله ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة» (١٠).

الهوامش

١ - مسند أبي داود، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٢٧٣/٢.

٢- مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٠٩هـ، ٢٥/٤.

٣ - صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي)، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤٢٢هـ، ٧/٧.

٤ - هو قول تربوي نسب إلى علي بن أبي طالب، وهناك من نسبه إلى سفيان الثوري، وله تنويعات عديدة منها: لاعب ابنك سبعا، وأدبه سبعا، وآخه سبعا، ثم ألق حبله على غاربه. والمهم استثمار ما فيه من معان تربوية ثرية بقطع النظر عن قائله.

٥ - شرح السنة للبغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦ - صحيح ابن حبان. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ٢٩/١٣.

٧ - ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، مكتبة الحلواني، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ٢٥٧/١١، رقم:٨٨٣٤.

٨ - فوائد حديث أبي عمير لابن القاص، تحقيق: صابر أحمد البطاوي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٢٨.

٩ - ابن عبدالبر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، ٦٢/١٨.

١٠ - ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ٦٩٩/١١، سبق ذكره.

د. محمد رشيد العويد
استشاري تربوي

حرروها أم نحروها

يزعمون أنهم أعطوا المرأة حريتها! وهو زعم تنفيه الوقائع الكثيرة في مختلف أنحاء العالم.
وسأضرب مثلا بما ترتديه النساء، فهم يمنعون المرأة أن تلبس ما تشاء.
ولعل بعض الإخوة القراء يحسب أنني سأتحدث عن الحجاب، ومنع المسلمة من ارتدائه في غير قليل من بلدان العالم.
إنهم يمنعونها من انتعال الحذاء الذي تشاء، ويرغمونها على انتعال حذاء يؤذيها ويعرضها للخطر، فأين الحرية في ذلك؟!
امرأة بريطانية طردت منذ اليوم الأول لتوليها وظيفة عاملة لدى وكالة تابعة لمجموعة «برايس ووتر هاوس كوبرز» في لندن لأنها انتعلت حذاء من دون كعب!
وقالت نيكولا تورب (٢٧ عاما) لصحيفة إيفننج ستاندر: عندما وصلت إلى الشركة منعت من العمل، لأني لم أكن أنتعل حذاء بكعب عال، أعربت عن استغرابي فأوضحوا لي أن الأحذية مسطحة النعل غير مسموح بها عندهم.
وأضافت: قال لي المشرف على العمل أني سأطرد إلى منزلي من دون أن يدفع لي أجري في حال لم أتوجه إلى متجر لشراء حذاء يتراوح ارتفاعه بين ٥ و١٠ سنتيمترات. رفضت فطردني.
لم تستسلم؛ فقد أعدت عريضة على موقع البرلمان البريطاني، طالبت فيها بإلغاء فرض الأحذية ذات الكعوب العالية في أماكن العمل، وجمعت أكثر من ١٠٦ آلاف توقيع، متجاوزة عتبة مئة ألف توقيع التي تسمح بفتح نقاش برلماني في أي مسألة.
هذه إدانة واضحة لتشريعاتهم، وشهادة دامغة تؤكد قهرهم المرأة، وسلبهم حريتها، وإجبارها على فعل ما يضرها ويؤذيها.
إن الأذى الذي يلحق بالمرأة نتيجة ارتدائها حذاء ذا كعب عال كثير وخطير، ولقد عرضت له في كتيب صغير أصدرته بعنوان: «كعوب عالية تجعل الصحة بالية».
ومما ذكرته فيه أن الحذاء ذا الكعب العالي يسبب عشرين مرضا على الأقل، وأنه كلما زاد ارتفاع الكعب زاد الضرر.
من هذه الأمراض: التهاب مزمن في مفصل الفخذ يسبب تصلبا وتورما وآلاما- روماتيزم عظام الركبة- تشوهات في أصابع القدمين، وتقرنات ومسامير جلدية- تأخير النمو الطبيعي للقدم- بسبب الكعب العالي كانت نسبة من يحتاج لإجراء جراحة في القدم ٩٠٪ من النساء بينما هي ١٠٪ فقط من الرجال.
أما كونه سببا للحوادث فإن الكعوب العالية كانت وراء حوادث مرورية قاتلة بسبب عدم تمكن المرأة من استخدام كابح السيارة (الفرامل) بشكل صحيح. كما أن آلاف حالات الإجهاض وقعت بسبب ارتداء الحوامل كعوبا عالية. بل إن إدراك كثيرين لأضرارها الخطيرة جعل بيوت الأزياء توقع عقود تأمين لسلامة العارضات مما يمكن أن يلحق بهن من أذى بلغ بعضها مليون جنيه إسترليني تعويضا لهن.
ولهذا وجدنا كثيرا من علمائنا الأفاضل يحذرون النساء من ارتدائه، وبعضهم رأى تحريمه، وبعضهم كرهه.
قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: لبس الحذاء ذي الكعب العالي أقل أحواله الكراهة. وأضاف: إن في لبسه تلبيسا؛ إذ تبدو المرأة طويلة وهي ليست كذلك... وفيه خطر على المرأة من السقوط... وهو ضار صحيا كما قرر الأطباء.
وقال المستشار حسن الحفناوي: إن للمرأة أن تتخذ ما تستطيع من الزينة الجائزة شرعا من أجل زوجها، أما أمام الأجانب فزينتها تتحول أسلوبا لإثارة الغرائز وهذا حرام.
وأضاف: لما كان حذاء المرأة الذي يستطيل كعبه يجعلها في مشيتها تتثنى وتتمايل بطريقة تثير غرائز الشباب، فضلا عن أن كثيرين من الأطباء قالوا بضرره على صحتها، بل قد يتسبب في عدم إنجابها نتيجة ما يسمى انقلاب الرحم، فلا نعتقد أن هذا الملبس يصح أن تظهر به المرأة المسلمة أمام الأجانب.
وقال الحفناوي: إن هذا الملبس إنما أتى إلينا من بيئات غير إسلامية، بل من بيئات استغلت المرأة وجعلتها سلعة فأهدروا كرامتها من حيث زعموا أنهم يعطونها حقوقها.
وبعد، فإذا كان أملنا في منع بيع الأحذية ذات الكعوب العالية لن يتحقق؛ كما لم يتحقق أملنا في منع بيع التبغ ومنتجاته، فلنطالب بوضع تحذير على علب الأحذية ذات الكعوب العالية كما نضع تحذيرا على علب السجائر.
ولقد دعا إلى هذا المحامي مارك ليندير من جماعة أيوا الأميركية؛ فقد أكد أن وضع بطاقات تحذير على علب الأحذية تذكرهن بخطر الكعوب العالية على صحتهن، بات ضروريا، بعد أن انتشر عدم الاكتراث في لبسها.
هكذا يتأكد أنهم لم يحرروها، بل قيدوها ونحروها، وما عرضته ليس إلا واحدا من عشرات الجوانب التي تظهر مأساة المرأة في المجتمعات التي تحكمها قوانين وضعية.

د. يونس عبد الله ما تشنغ
باحث إسلامي صيني

«الأمين الحيوية» في تبصرة المسلمين في الصين

إن فهم المجتمع الصيني المسلم المعاصر للإسلام يتطلب منا أن نرجع بأذهاننا إلى فترة الثورة الثقافية (١٩٦٦- ١٩٧٦م) وما قبلها وما بعدها. والمعلوم أن الثورة الثقافية ممثلة في الحزب الشيوعي برئاسة الرئيس الصيني الأسبق ماو تسي تونغ (١٨٩٣-١٩٧٦م)، قد وقفت موقف المعارضة والمعاداة والإنكار للدين والنظام الرأسمالي. والحزب الحاكم لم يكتف بفرض سيطرته على الجانب الاقتصادي فقط؛ بل بدأ تغيير هيكل المجتمع الصيني ثقافيا وعلميا واجتماعيا، كما فرض تطبيق الفكر الماركسي في الاقتصاد. ونتيجة هذا الحكم الشيوعي والثورة الثقافية أصبح المسلمون كالأيتام حيث أجبروا على الابتعاد عن مطالعة كتبهم الدينية كما حرموا من أداء شعائر الإسلام؛ بل أجبر أبناء المسلمين على دراسة الفكر الشيوعي تحت رعاية الدولة في المدارس الحكومية القائمة على الإلحاد، وإنكار الدين والغيبيات.

وبالرغم من انتهاء الحكم الشيوعي والثورة الثقافية مع مجيء عصر «دنغ شياو بينغ» (الزعيم الصيني الأسبق ١٩٠٤- ١٩٩٧م)، فمازالت آثارهما الإلحادية والعداء للدين مستمرة بسبب عدم تغير هيكل التعليم والتربية.

وبعد بدء عصر الانفتاح والاقتصاد (١٩٧٩م) وسيولة الحركة المالية في المجتمع الصيني لم تختف آثار الثورة الثقافية، وخاصة فيما يتعلق بأمة الإسلام في الصين؛ لأن معظم المسلمين وخاصة أولئك الذين تجاوز عمرهم فوق أربعين مازالوا يعيشون بنفس المبادئ والأصول التي تعلموها في المدارس والجامعات.

إن التغيرات التي حدثت بعد الانفتاح الاقتصادي لم تغير حياة المسلمين الإيمانية أو السلوكية، كل ما في الأمر أنهم بدأوا يعلنون إسلامهم كما كان يعلن أهل الديانات الأخرى بانتماءاتهم الدينية.

والمعلوم أن المسلمين في الصين وصل عددهم إلى ثلاثة وعشرين مليون نسمة (١)، ومعظمهم من الشباب، وهؤلاء الشباب المسلمون لم يذوقوا مرارة الثورة الثقافية كما ذاق أجدادهم، ولم يتذوقوا جمال الإسلام وفضائله أيضا بسبب البيئة العلمية، والثقافية، والاجتماعية التي تحيط بهم.. والمؤسف أن فهم هؤلاء الشباب للإسلام صار ضيقا جدا بحيث انحصر في الامتناع عن أكل لحم الخنزير.. حتى توهم البعض أن المسلم معناه «أني لا آكل لحم الخنزير» وحسب، أما عن أركان الإيمان الستة، وأركان الإسلام الخمسة، وما يتعلق بالحلال والحرام في الكسب والإنفاق، وفي الزواج والطلاق، وفي فعل الخير وترك الشر، فقد أصبحت كل هذه الأمور بعيدة عن تفكيرهم، وسلوكهم، وحياتهم الفردية والجماعية. ومعظم هؤلاء الشباب يذوبون في بقية شرائح المجتمع الصيني كالقطرات في البحر، بحيث يعيشون مع غير المسلمين سواء في الجامعات أو في مراكز العمل، ويتعاملون مع هؤلاء دون أي ضابط ديني، سوى الابتعاد عن مشاركتهم في أكل لحم الخنزير. وهذه ظاهرة خطيرة تهدد مستقبل الإسلام والمسلمين في الصين، فتعريف هؤلاء الشباب بحقيقة الإسلام، وتربيتهم على مبادئ الإسلام، وأخلاقه، وترغيبهم في المحافظة على هويتهم الدينية في هذه الظروف التي يعيش فيها هؤلاء الشباب مهمة شاقة ليس من السهل التغلب عليها.

جهود «مؤسسة الأمين الحيوية» في تبصرة المسلمين بكيفية تنقية

الحلال من الحرام في الصين
إن فهم كثير من الشباب المسلمين في الصين بأن الإسلام معناه دين يحرم أكل لحم الخنزير، والمسلم من واجبه أن يمتنع عن أكل لحم الخنزير، وإن كان هذا جزئية صغيرة في الإسلام؛ إلا أن الكاتب يرى استغلال هذه الجزئية الصغيرة كمنفذ للاقتراب من الشباب، وكوسيلة للتعريف بالإسلام بصورته الكاملة.

تبصرة المسلمين

الشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) أحد أئمة المسلمين ممن يتصف بالفكر الثاقب، وعمق الفهم للإسلام، والخبرة الواسعة في حقل الدعوة، وله خدمة جليلة ومؤثرة ومفيدة في تبصرة الشباب المسلمين بكيفية تنقية الحلال من الحرام، وهو صاحب فكرة تأسيس «شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي» للمنتجات الغذائية المتصفة بالحلال الصافي.. وقبل أن نتكلم عن هذه الشركة وما تقوم به من خدمات في استخراج المواد الكيميائية الحلال بطريقة الحلال بالتفصيل يود الكاتب التعريف بالشيخ الإمام حسن باي، ورأيه، والعوامل التي دفعت لإنشاء هذه الشركة الإسلامية.

وقد ولد الشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) عام ١٩٦٤م في أسرة مسلمة مخلصة متدينة بمقاطعة خه نان (He Nan). وقد تربى على يد والده المخلص تربية إسلامية أصيلة منذ نعومة أظفاره، فأصبح شابا مسلما ذا طموح في سبيل نشر الدعوة الإسلامية في الصين قبل التحاقه بالمعهد الصيني للعلوم الإسلامية ببكين عام ١٩٨١م. وقد تخرج في المعهد الصيني للعلوم الإسلامية ببكين عام ١٩٨٦م، ثم عين

د. يونس مع الشيخ تشنغ

إماما راتبا رسميا في مسجد هوشي (Hu Xi) بشنغهاي (Shang Hai) بعد التخرج إلى الآن، وحضر إلى الأزهر الشريف للمشاركة في دورة تدريب الأئمة عام ١٩٩١م، وهو عضو بارز من أعضاء المؤتمر الاستشاري السياسي بشنغهاي، ومستشار لـ «شركة الأمين الحيوية» بشنغهاي.

وقد اتخذ الشيخ الإمام حسن باي المسجد مركزا لنشر الدعوة الإسلامية في شنغهاي التي تعد من عواصم الاقتصاد والمال الدولية، ويلتقي بها كبار رجال الأعمال العالميين، ويصعب على المسلمين العوام بقاؤهم في هذه المدينة الاقتصادية والمالية الدولية. وقد استطاع الشيخ الإمام حسن باي أن يتخذ منبر هذا المسجد وسيلة لجلب الطلاب المسلمين الجامعيين، ورجال الفكر والسياسة والمال من المسلمين الصينيين والوافدين إليها من الإخوة العرب والمسلمين. وقد استطاع بمركز وظيفته، ومكانته العلمية، وثاقب فكره، وسعة خبرته أن يوطد علاقة قوية ومتينة مع رجال الأعمال، ورجال الدين غير المسلمين. وكان من أهم آرائه لإعادة نهضة الأمة الإسلامية دعوته إلى الجمع بين التراث والمعاصرة؛ إنه يرى تأخر أمة الإسلام، في العالم سببه عدم وجود هذا التلقيح؛ لأنه يقول: إن التراث المتمثل فيما أنتجه علماؤنا السلف، وأئمتنا الأجلاء في ضوء القرآن

خط إنتاج

والسنة لابد أن نفهمه ونتمسك به، ونستفيد منه؛ لكن الأمور المتجددة، وخاصة فيما يتعلق بالتقنية الحديثة، والتكنولوجيا المتنوعة؛ فلابد من معرفتها، وإتقانها، والاستفادة منها لخدمة الإسلام والمسلمين من خلال الضوابط التي وضعها أئمتنا من السلف الصالح؛ لكن للأسف الشديد نحن إلى وقت قريب حصرنا فهم الإسلام والتعامل معه في دائرة التراث فقط، ولذلك أصبحنا خارج دائرة صناع القرار، وقادة العصر الحديث، وبالتالي أصبحنا معزولين عن العالم الحديث، وصرنا من التابعين لغير المسلمين، والمستهلكين لما ينتجون (٢). وهذا الجانب السلبي هو الذي أدى بالشيخ الإمام حسن باي للتفكير في تأسيس شركة لتنقية الحلال من المستخرجات الحيوانية مما أحله الله، وبما أحله الله، ومن هنا تولدت «شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي».

نشأتها

يقول الشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) عند ذكر سبب نشأة هذه الشركة: لقد آلمني كثيرا ما رأيت من غزو المنتجات الغذائية التي تتكون من مواد مستخرجة من الخنزير، فمعظم المواد الغذائية الموجودة في الأسواق الصينية والمصدرة منها إلى الأسواق العالمية كانت مختلطة من مادة الجلاتين (gelatin) المستخرج من الخنزير. والخنزير بالنسبة للصين والصينيين يعتبر عنصرا مهما لا يمكن الاستغناء عنه في أي حال من الأحوال، والصينيون يفتخرون بهذا الحيوان للانتفاع منه من رأسه إلى قدمه، وجلده إلى دمه، ولحمه وعظمه. والمسلمون الصينيون ربطوا الإسلام فقط بالامتناع عن أكل لحم الخنزير كما أشار الكاتب سابقا، وهم لا يعرفون دخول هذا الخنزير بأشكال مختلفة، وبألوان مختلفة في المواد الغذائية والتجميلية والطبية وغيرها من المواد المستهلكة، يقول الشيخ الإمام حسن باي: إن تحذير المسلمين من استخدام هذه المواد الغذائية وغيرها ليس أمرا سهلا، فإن طلب مقاطعة هذه المنتجات بحجة وجود المواد المحرمة قد يصبح تحديا للحكومة وللشركات المنتجة لها، وأيضا حصر هذه المنتجات ليس أمرا سهلا. فإقناع المسلمين بوجود المواد المحرمة في داخل المنتجات أيضا ليس أمرا سهلا، ففكرت في إيجاد بديل يغزو أسواق المواد الغذائية، ومنتجات التجميل، والمواد الأخرى، وقد أكرمني الله بالتعرف على بعض الشباب المسلمين المتخرجين في الجامعات في تخصص العلوم الكيميائية والبيولوجية على مستوى الماجستير والدكتوراه، وبعد توطيد العلاقة بهؤلاء، وإقناعهم بضرورة إنشاء معمل خاص لاستخراج مادة الجلاتين (gelatin) من الأبقار والأغنام بطريقة الحلال، وبفضل من الله رضي هؤلاء الشباب بهذه الفكرة، ووافقوا على التعاون معي لتأسيس هذا المعمل بعد أن استقالوا من وظائفهم المرموقة في الشركات مضحين برواتبهم العالية حبا للإسلام وخدمة للمسلمين، وقد تحقق قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ

أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف:٣٠)، ولأهمية هذا المشروع وخطورته فقد احتاج إلى رأس مال كبير، وحكمة وسياسة رشيدة لإقناع المسؤولين المعنيين في الحكومة لفتح هذا المعمل، فالله سبحانه وتعالى كلل جهودنا بالنجاح، حيث انضم إلينا مسلمان بمالهما الخاص لفتح المشروع دون أن يفكرا في أي ربح مادي سوى رضا الله وخدمة المسلمين، ومن هنا تم فتح المعمل الكيميائي باسم «شركة الأمين للتكنولوجيا الحيوية المحدودة بشنغهاي» عام ٢٠٠٣م.

وقد أصبحت الآن هذه الشركة تنافس الشركات الصينية الأخرى في هذا المجال. وهذه الشركة عالية في التقنية لتطوير، وإنتاج، وبيع سلسلة من المنتجات البيولوجية الحلال في الصين بعد ما يقرب من عشر سنوات من الدراسة والتطوير في مجال المنتجات البيولوجية. وتركز الشركة على الاهتمام بالدراسة، وصناعة المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية، وقد تراكمت لديها ثروة من الخبرة في إنتاج كميات كبيرة من المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية.

منتجات أساسية

المنتجات الأساسية لـ «شركة الأمين الحيوية» هي سلسلة من المنتجات البيولوجية الحلال، والمنتج البيولوجي الذي يدعى حلالا يجب أن يستوفي شرطين: الشرط الأول هو أن المواد الخام يجب أن تتوافق مع متطلبات الشريعة الإسلامية، حيث إن المواد الخام التي أخذت من الخنازير ممنوعة منعا باتا.

كذلك فإن المواد الخام التي أخذت من الأبقار والأغنام إذا لم يتم ذبح الحيوان بطريقة إسلامية تمنع منعا باتا.

الشرط الثاني هو أنه لا يمكن أن يضاف المنتج غير الحلال أثناء عملية الصناعة. لذا حققت سلسلة «الأمين» للمنتجات البيولوجية الحلال نجاحا كبيرا في المناطق الإسلامية التقليدية مثل: جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط. نظرا لوجود ٥٦ دولة ومنطقة منتمية إلى منظمة المؤتمر الإسلامي (OIC)، ولكثرة المسلمين في العالم حيث يصل تعدادهم إلى ١,٥ مليار.. وهو ما يهيئ للمنتجات الحلال سوقا عالمية كبيرة.. ومنتجات الشركة المتميزة بحلالها مثل: الهيبارين من الأبقار والأغنام (heparin) قد وجدت رواجا كبيرا في أسواق مصر، وماليزيا، وهلم جرا..

المنتجات الأساسية الكولاجين الحلال (collagen) وشوندروتن كبريتات (chondroitin sulphate) الحلال والجلوكوزامين (glucosamine) قد احتلت المنتجات الحلال نصف سوق جنوب شرق آسيا، والمنفحة الحلال من العجل (cattle rennin) قد وصل بنجاح إلى أسواق إيران وتركيا. فنظرا لرغبة كثير من المسلمين وغير المسلمين لمعرفة المنتجات الحلال، وجودتها العالية، تحاول «شركة الأمين» أن تكثر من سلسلة المنتجات الاستهلاكية الحلال في أسواق العالم على نطاق أوسع.

إن صناعة المنتجات البيولوجية الحلال هي صناعة التكنولوجيا الفائقة الخاصة، التي تعتمد ليس فقط على قدرة قوية للحصول على المواد الخام حلالا؛ ولكن أيضا على قدرة إنتاج كميات كبيرة من المنتجات الكيميائية الحيوية الحيوانية.

«التركيز على التكنولوجيا الأساسية، وتعزيز صناعة المنتجات البيولوجية الحلال» يعتبران من شعار «شركة الأمين الحيوية». إن الصين دولة مهيمنة على صناعة المنتجات الحيوانية والكيميائية الحيوية؛ ولكن معظم المصانع في الصين تستخدم المواد الخام التي أخذت من الخنازير. وكانت «شركة الأمين الحيوية» منذ تأسيسها تسعى إلى التحسين التكنولوجي والابتكاري في استبدال المواد الخام حلالا وكذلك عملية الصناعة. وإلى الآن حصلت الأمين الحيوية على ٧ «براءات اختراع وطنية» بحيث لا أحد يقدر أن يزورها أو التلاعب بها بعد أن صارت هذه المنتجات خاصة بهذه الشركة، هذا في حد ذاته انتصار لرفع شعار الحلال على المنتجات غير الحلال في الأسواق الكبيرة.

الكاتب يتمنى مزيدا من الازدهار والانتشار لجميع الشركات التي تعتني بالحلال وتعمل على توعية المسلمين بضرورة التأكد من الحلال عند شراء ما يستهلكون، أينما كانوا لتبرئة أنفسهم من الوقوع في الحرام والشبهات. والشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) يتخذ منبره وينتهز الفرصة أينما ذهب داخل الصين وخارجها للحديث عن الحلال؛ بدءا من المنتجات الحلال إلى التعريف بالحلال والحرام في الإسلام، حيث جعل قضية الحلال في التغذية فرصة للتحدث عن الإسلام أمام الآخرين: مسلمين وغير مسلمين؛ لأن الحرام والحلال ليس محصورا في الأكل والشرب فقط.

الهوامش

١- الجدول يبين عدد المسلمين في العالم حسب كل بلد كما نشر عام ٢٠١١م من قبل إدارة منتدى بيو للدين والحياة العامة، ويكيبيديا العربية، https://ar.wikipedia.org/wiki/.

٢- مقابلة الكاتب الشخصية مع الشيخ الإمام حسن باي رون تشنغ (Bai Runsheng) ٢٠١٦/٣/١٠م في كوالالمبور- ماليزيا.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

الجزء الأول السنة الأولى في ٣١ يناير سنة ١٨٩٨

أنيس الجليس

مجلة

نسائية علمية أدبية فكاهية

تصدر في آخر كل شهر

لمنشئتها

الكسندرا ملتيا دي أفيرينو

كريمة المرحوم قسطنطين خوري

إذا ما مللتم من جليس ورمتم … سماع جليس لا يمل لغوبا

فدونكم هذه المجلة إنها … يكون لكم منها الأنيس جليسا

قيمة الاشتراك

ثمانون غرشا صاغا في القطر و ٢٥ فرنكا في الخارج

(إدارة المجلة في شارع افيروف في الاسكندرية)

تعد مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي مجلة «أنيس الجليس» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

هي مجلة نسائية علمية أدبية، تصدر في آخر كل شهر، أنشأتها ألكسندرة ملتيادي أفيرينوه، بنت قسطنطين خوري، بالإسكندرية في مصر حفظها الله، وكانت مجلة واسعة الانتشار. وقد كتب على غلاف عددها الأول بيتان من الشعر للتدليل على هويتها، وهما:

إذا ما مللتم من جليس ورمتم
سماع جليس لا يمل نفوسا
فدونكم هذه المجلة أنها
يكون لكم منها الأنيس جليسا

تاريخ النشأة

صدر الجزء الأول من هذه المجلة يوم ٨ من رمضان ١٣١٥هـ، الموافق ٣١ يناير سنة ١٨٩٨م، وقد استمرت في الصدور ١٠ سنوات حتى توقفت نهائيا عام ١٩٠٨م.

دواعي إنشاء المجلة

إذا قرأنا بعض ما كتبته صاحبة المجلة ورئيسة تحريرها في افتتاحية العدد الأول الصادر في ٣١ يناير ١٨٩٨م، واتبعت فيها موضة السجع الدارجة آنذاك: «لما رأيت أن السيدات الفاضلات في هذا القطر تعوزهن مجلة مخصوصة بهن، مقصورة على النصح لهن وبيان فضلهن وأدبهن، استخرت الله في معاناة هذا العمل الجليل، على ما أعلمه من عجزي عن القيام بعبئه الثقيل، رجاء أن أنفع به محبات المطالعة وربات الآداب، مهما عدا دون ذلك من العوادي الصعاب، وقد سميت مجلتي هذه أنيس الجليس إرادة أن يدل عنوانها على ما تتضمنه من الأبحاث المستطرفة واللطائف المستظرفة التي تلذ الجنان وتبعد الملل عن الأذهان.. والله أسأل أن يأخذ بيدي، ويكون مرشدي وعضدي».

تعريف صاحب المجلة

ألكسندرة أفيرينوه بنت قسطنطين ابن نعمة الله الخوري: (١٢٨٩-١٣٤٦هـ = ١٨٧٢-١٩٢٧م): أديبة كان لها في أيامها شأن. ولدت ونشأت في بيروت، وانتقلت إلى الإسكندرية مع أبيها، فتزوجت بإيطالي يدعى ملتيادي دي أفيرينوه، وأصدرت مجلة «أنيس الجليس» الشهرية، كما أنشأت مع مجلتها العربية (أنيس الجليس) مجلة «اللوتس» (Lotus بالفرنسية)، وترجمت عن الفرنسية قصة «شقاء الأمهات». ثم تبناها أمير إيطالي من أسرة فيزينوسكا فأصبحت تدعى «البرنسيس ألكسندرة دي أفيرينوه فيزينوسكا»، وقد منحت أوسمة كثيرة من حكومات وجمعيات مختلفة. وبعد مدة من الزمن أمرت بالخروج من مصر فرحلت إلى إنجلترا وتوفيت في لندن.

بعض محتوى المجلة في عددها الأول

من بعض المواضيع التي نشرت في عددها الأول نذكر على سبيل المثال: المرأة في الشرق، نساؤنا والقراءة، ضحايا النساء، واجبات الزوجة، نصيحة للسيدات..

وهي عبارة عن مواضيع تخص المرأة في شتى المجالات، وتعالج وتناقش بعض القضايا التي كانت في تلك الفترة الزمنية.

وقد جمعت أعداد المجلة في عشرة مجلدات، يحتوي كل مجلد منها على ١٢ عددا من المجلة.

نسخة مجلة الوعي: تحتوي مكتبة مجلة الوعي على نسخة كاملة من هذه الدرة الأدبية الممتعة، وهي متوافرة للمهتمين بهذا اللون من ألوان الثقافة والأدب.

المصادر

- مجلة أنيس الجليس
- الأعلام للزركلي
- الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)

موضوع العدد

سؤال المرأة

د. عمرو عبدالكريم

«قضية المرأة» قضية ملأت الدنيا وشغلت الناس، وربما لم نجد في تاريخنا المعاصر قضية أسالت من المداد مثلما أسالت تلك القضية، مما جعلها على رأس أولويات الوعي الحضاري، فلا يمكن فهم كثير من التطورات المعاصرة على الصعيد الاجتماعي من دون فهم «قضية المرأة» وتطوراتها وكيفية انتقالها إلى عالمنا الإسلامي ومراحله.

ولربما شكلت «قضية المرأة» أهم التحديات الحضارية التي واجهت عالم المسلمين، بل كانت أهم ثغرات الأمة الإسلامية انكشافا على مدار ما يقرب من قرنين من الزمان، وإذا كان هذا هو التحدي فلابد له من استجابة، وأتصور أن الاستجابة تكون على مستويين:

المستوى الأول: المواجهة؛ وتكون بأمرين متكاملين:

الأول: تحصين الذات الحضارية؛ بمعنى تحويل متطلبات ومقومات منظومة الحضارة الإسلامية النظرية والعملية إلى منظومة متطورة قادرة على البقاء نافعة للناس، وملبية لطموحاتهم وتطلعاتهم وأشواقهم، لأنهم إن يئسوا من الإصلاح والتطور داخلها فسيتحولون تلقائيا إلى المنظومة المغايرة، وهي المنظومة الغربية الغازية، ومن ثم نرى أن ثمة قيما حاكمة وثوابت لمجتمعاتنا تشكل جوهرها وهويتها لا ينبغي التفريط فيها، وفي تصورنا، فإن هذا الأمر، يمثل العبء الذي يقع على كاهل الطبقات الواعية في بلداننا، وتحويله إلى استراتيجيات وخطط وسياسات فعلية وعملية بصدد بناء مجتمعاتنا الإسلامية وتنميتها بحيث تكون قادرة على مواجهة النماذج الحضارية الغازية إن على سبيل المثال أو الحقيقة.

الثاني: الانفتاح على الآخر أخذا وعطاء من دون الذوبان والاحتواء أو قبول منطق التبعية، حيث يجب أن يكون هذا الانفتاح مصحوبا بتقدير جم لذاتنا الحضارية، وأن لدينا من قيمنا الثقافية وزادنا الروحي ما يمكننا تقديمه والمشاركة به في عملية التفاعل الخلاق لبناء ثقافة عالمية تعددية حقيقية لا تعكس هيمنة الحضارة الغربية.

المستوى الثاني: إخراج نموذج «الشهادة على العالمين»، ذلك أن المرأة في أغلب بلدان العالم الإسلامي تتعرض لمظالم كثيرة، سواء من جانب التقاليد الجائرة أو من جانب التفسيرات التي تنطلق من مواقف موغلة في التشدد تروج لمقولات مغلوطة تصب في خانة الحط من كرامة المرأة وإلغاء دورها في المجتمع، حتى يمكن القول بكثير من الاطمئنان إن التقاليد الاجتماعية -في أغلب بلدان العالم الإسلامي- هزمت التعاليم النبوية في مجال المرأة.

إن «قضية المرأة» قد أثيرت طوال القرن المنصرم باعتبارها قضية تحرر من التقاليد والقيود الاجتماعية والدينية، وباعتبارها تحريرا لنصف المجتمع الذي يعتبر مشلولا بسبب ما تعانيه المرأة من عزلة وإقصاء، وقد صحب هذين الاعتبارين المناداة بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وكان النموذج الغربي للأسف هو النموذج القياسي الذي نسجت على منواله حركة تحرير المرأة في عالمنا الإسلامي ومساواتها بالرجل، رغم الفروق الهائلة بينهما مما يجعل من مطلب المساواة تسوية جائرة وليست مساواة عادلة، ذلك أن التسوية بين غير المتماثلين ظلم بين.

ثم دخل موضوع المرأة وقضيتها في المرحلة الراهنة، بعد انتهاء الحرب الباردة، ومحاولة العالم الغربي فرض رؤيته على الشعوب والدول جميعا، مرحلة جديدة، تتمثل في فرض مقاييس وقوانين متعلقة

بالمرأة على العالم كله وبالقدر نفسه، دون مراعاة الخصوصيات أو الإمكانات أو الثقافات أو المصالح العليا للشعوب.
يقول الأستاذ منير شفيق: «إنك عندما تنزع نموذجا من واقعه التاريخي الاجتماعي الاقتصادي الثقافي لتعممه على العالم ككل، أو على آخر بعينه، فقد حولته إلى مقولة إيديولوجية تصارع واقعا آخر ومصالح أخرى وشعبا مغايرا وإيديولوجية أخرى، أي تحاول فرض صورة ذهنية على واقع وتاريخ مغايرين (...)، كما أن قضية المرأة في بلادنا قضية الأمة كلها، ومن هنا يجب أن نبدأ، ولكن هذا لا ينفي ولا ينبغي له أن ينفي وجود قضية خاصة للمرأة ضمنه وتحت جناحه حتى لو بدا وضعها أشد قساوة أو كثافة من جهة الانحراف أو التخلف أو الصعوبات. إن مشكلات المرأة لا تعالج بالقوانين، فالقوانين لا تجدي نفعا إلا في المحاكم، أي في حسم الخلافات القانونية.
فالعلاقة السليمة بين الرجل والمرأة، في المجتمع وداخل الأسرة الشرعية لا تقوم على أساس تطبيق قواعد المساواة المطلقة، فهذه المساواة قد تظلم المرأة بدورها ولا تقوم على حق المرأة في فعل كل ما يفعله الرجل، لاسيما من ناحية المفاسد، وإنما تقوم على أساس المساواة حيثما توجب أن تكون هناك مساواة، وتقوم على حقوق وواجبات قد تزيد أعباء على الرجل حيثما توجب ذلك، كما تقوم على بناء عدالة تزيل كل تعسف، ثم الأهم، يجب أن تقوم الحياة الزوجية والعائلية على أساس من السكنى والحب والمرحمة والتعاون والمشورة والسماحة والوفاء والتضحية المتبادلة، لا نجده في القوانين، وإنما نجده في روح الإسلام». (منير شفيق، مداخل لفهم موضوع المرأة، ندوة: المرأة بين سلطة الواقع وسلطة الإيديولوجيا، مجلة الكلمة، السنة ٧، العدد ٢٦، شتاء ٢٠٠٠م، ص١٤٢).
كما أنه لا يمكن لمنصف أن ينكر تلك المظالم الاجتماعية الجمة الواقعة على النساء باعتبارهن نساء، لكن أيضا لا يمكن إنكار أن تلك المظالم بمجملها تقع على عاتق أغلب الفئات الاجتماعية (رجالا ونساء)، ويزيد من نصيب النساء من تلك المظالم تقاليد بعيدة عن صحيح الإسلام والثابت من سيرة الرسول، غير أن مقاربة القضية فكريا لا يجب أن تنطلق من سحب نموذج المرأة الغربية على مجتمعات أخرى لم تشهد ما مر به المجتمع الغربي من ملابسات وظروف أوصلته إلى تلك النتائج، فمنهج «التمرد» الذي سارت به «قضية المرأة» في الغرب لا يعكس إلا نوعا من الانفعال والافتعال في آن واحد؛ أما الانفعال فهو ناجم عن استغلال المرأة لفترات طويلة في النموذج الحضاري الغربي خلال القرن التاسع عشر والعشرين، خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية. ولعل هذا كله في أصله يستند إلى ميراث تاريخي في الحضارة الإغريقية والرومانية، حيث لم تكن «المرأة» تمتلك أي حق طبيعي تجاه الرجل.
وبالإضافة إلى ذلك القدر من الانفعال -الناتج عن خصوصية حضارية معينة- هناك قدر من الافتعال الناجم عن مسألة الإسقاط (وسحب النماذج الحضارية على نماذج أخرى للخروج بالنتيجة نفسها حتى وإن لم تكن تحمل مقدماتها الأسباب نفسها).
فمصطلح «قضية المرأة» يعكس خصوصية حضارية غربية مرتبطة، كما مر، باستغلال المرأة والتعسف معها، خصوصا خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها، وبجعل العلاقة مع «الرجل» هي علاقة استقطابية صراعية ترى فيها «المرأة» الغربية ثورتها ثورة على الرمز الأبوي في الكنيسة، ذلك الرمز الذي لا يمكن أن تخرج عنه، بالإضافة إلى ذلك الزواج الذي لا طلاق معه، حتى إن استحالت المعيشة بين زوجين لا يمكن أن يجتمعا تحت سقف واحد.
لقد طرحت «قضية المرأة» في مجتمعاتنا العربية والإسلامية طرحا مغلوطا منذ البداية، فكانت الأسئلة «الخطأ» هي التي ولدت حتما إجابات أكثر خطأ؛ لأن الأسئلة كانت مجردة من أي سياقات تاريخية. (لمزيد من البيان حول قضية المرأة من المنظور الإسلامي، راجع بحث: د. عمرو عبدالكريم سعداوي، العولمة وقضايا المرأة، المؤتمر الدولي: قضايا المرأة المعاصرة من منظور إسلامي، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة ٦ – ٨ المحرم ١٤٢٢هـ ٣١ مارس- ٢ أبريل ٢٠٠١م).

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

في مفهوم الحرية

«والدين حرية القيد، لا حرية الحرية؛ فأنت بعد أن تقيد رذائلك وضراوتك وشرك وحيوانيتك، أنت من بعد هذا حر ما وسعتك الأرض والسماء والفكر؛ لأنك من بعد هذا مكمل للإنسانية، مستقيم على طريقتها».

(مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم).

مقولات

يقول الإمام ابن حزم الأندلسي:

«لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، ولكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة، والشفاعة وبذل المعروف».

(الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ص ٤).

يقول مصطفى صادق الرافعي:

«فأكبر الشأن هو للمرأة التي تجعل الإنسان كبيرا في إنسانيته، لا التي تجعله كبيرا في حيوانيته، فلو كانت هذه الثانية هي التي يصطلح الناس على وصفها بالجمال فهي القبيحة لا الجميلة، إذ يجب على المؤمن الصحيح الإيمان أن يعيش فيما يصلح به الناس، لا فيما يصطلح عليه الناس؛ فإن الخروج من الحدود الضيقة للألفاظ إلى الحقائق الشاملة، هو الاستقامة بالحياة على طريقها المؤدي إلى نعيم الآخرة وثوابها».

(وحي القلم).

مكانة المرأة في القرآن والسنة الصحيحة

القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٠م، ٤٤٨ صفحة.

مؤلف هذا السفر النفيس هو الدكتور محمد بلتاجي أستاذ الشريعة الإسلامية وأحد أعلام الحركة الفقهية في مصر والعالم العربي (١٩٣٩ - ٢٠٠٤م) شغل عدة مناصب أكاديمية، منها رئاسة قسم الشريعة وعمادة كلية دار العلوم، وعضوية مجمع البحوث الإسلامية، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة.

ينطلق الكتاب من دراسة لأحكام النساء في الإسلام إلى الإثبات بالمقارنة والتحليل والاستدلال العقلي أن ما وصلت إليه البشرية من مكاسب حقيقية للمرأة، وما يمكن أن تصل إليه مستقبلا من هذه المكاسب، قد تضمنه الإسلام في نصوصه ومقرراته منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، وأن الذي رفضه الإسلام للمرأة ليس في حقيقته مما يرفع لها شأنا أو مكانة، إنما هو (إذا أزلنا منه الزيف والبريق الكاذب والخداع) لا يعدو أن يكون من الأمور التي ارتكست فيها البشرية في عصور ظلامها وجاهليتها، وأن الداعين له إنما يريدون للمرأة انتكاسا بها إلى أوضاع تزري بها، وإن بدت حضارة وتقدما وتحريرا.

ويعتبر الكتاب تجلية لحقيقة الموضع الذي وضع الإسلام المرأة فيه، والمكانة التي خصها بها وأنزلها فيها، مقارنا ذلك بغيره من النظم والعقائد والتصورات والأوهام، وقد تعرض لكل النصوص التي انطلق منها مهاجمو الإسلام في قضية المرأة، ولم يغفل منها شيئا، وتبين أن الصحيح منها ما تتبدى فيه بوضوح معاني إكرام الإسلام للمرأة ورعايتها والحرص على مصلحتها وإبعادها عن مواطن الهون والابتذال، فيعرض لآيات القوامة، وتعدد الزوجات، واللباس والزواج والطلاق، والفرقة والشهادة، كما يتعرض لأحاديث خلق المرأة من ضلع أعوج ونقصان عقلها ودينها، وعدم فلاح من يولها، وكل ما روي واتخذ سبيلا لتحقيرها وإهانتها.

والكتاب دراسة فقهية موسعة مؤصلة، قرر فيها حقيقة مكانة المرأة من نصوص القرآن والسنة الصحيحة وأقوال الفقهاء والمحققين، وشكل مجموع ذلك بناء عقليا محكما تجلت فيه حقيقة هذه المكانة في إطارها العقلي الصحيح ولم يغفل أي رأي أو وجهة نظر مخالفة، وإنما تناولها كلها بالدرس في حوار فقهي منهجي.

ولقد حاول المؤلف من خلال دراسته إلقاء الضوء على المكانة الصحيحة للمرأة، كما ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بعدما استفزته المغالطات الواضحة والصور المشوهة التي ينقلها بعض الأفراد عن المرأة المسلمة ومكانتها المنقوصة ووضعها المتدني في الإسلام.

وقد قسم هذه الدراسة إلى قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول: الأمور التي سوى الإسلام فيها بين المرأة والرجل تسوية كاملة.

القسم الثاني: قضايا التمايز بين الرجل والمرأة.

وقد عرض المؤلف القسم الأول في ٨ مباحث هي:

١- الأصل العام في القضية.
٢- التساوي في أصل الخلق.
٣- تبرئة المرأة من اختصاصها بالمسؤولية الأصلية للمعصية.
٤- الأنثى بين النجاسة ومنتهى التكريم.
٥- تساوي الذكور والإناث في حق الحياة.
٦- تساوي الرجال والنساء أمام التكليف والجزاء.
٧- تساوي الرجل والمرأة في الحدود والعقوبات الشرعية.
٨- التسوية بين الرجل والمرأة في أهلية التصرفات والتعاقدات المالية.

أما القسم الثاني فقد تحدث من خلاله عن قضية القوامة بأبعادها المختلفة، الطلاق بين الزوج والزوجة والقاضي، الميراث بين الأنثى والذكر وارتباطه بالنفقات، وتعدد الزوجات وقد أفرد له في الحديث من خلال عدة نقاط:

- هل انفرد التشريع الإسلامي بإباحة تعدد الزوجات؟
- وعلى أي نحو أباح التشريع للمسلمين تعدد الزوجات؟
- هل في إباحة التشريع الإسلامي تعدد الزوجات ظلم للنساء ووضعهن موضع المهانة؟
- الأضرار التي نشأت عن أخذ بعض المسلمين بالتعدد، والطريق إلى إصلاحها.

أما باقي فصول الكتاب فقد تحدثت عن:

المرأة وتولي الوظائف والولايات والنيابات العامة، وما حكم تولي المرأة هذه الوظائف؛ هل للمرأة أن تتولى الولايات العامة مثل الوزارة ونحوها؛ هل للمرأة أن تولى وظائف القضاء؟ هل للمرأة أن تكون نائبة في المجالس النيابية؟ هل لها حق انتخاب من ينوب عنها فيها؟

كما تحدث عن اللباس والزينة، وحق التربية والتعليم، وولي المرأة في عقد زواجها، وأيمان المرأة وشهادتها.

وفي ختام الدراسة تناول الدكتور محمد بلتاجي قضايا مختلفة كانت بطلاتها من النساء ومواقف أخرى تبرز أهمية المرأة ومكانتها في الإسلام، وكيف كرم الإسلام المرأة وأعلى من شأنها على عكس المغرضين الذين أرادوا ضرب الإسلام بالمرأة، ومع الأسف أنهم مسلمون.

الداعية الطرفاوي: حماية الشباب تكون بالابتعاد عن الـ

حوار – مصعب ناصر

أكد الداعية الإسلامي أبو حسام الدين الطرفاوي أن الشباب هم عصب المجتمع وعليهم تدور حركة التغيير. وشدد على ضرورة أن يتعامل الشباب مع حياتهم بجدية واهتمام؛ فالتعليم يؤخذ على أساس أنه سبيل إلى تقدم المجتمع وليس مجرد وظيفة ينال من ورائها المال. وحول قضايا الشباب كان لنا هذا الحوار:

■ **هل يمكن للشباب أن يسهم في التغيير الإيجابي في المجتمعات المسلمة المعاصرة؟**

– الشباب هم عصب المجتمع، وعليهم تدور حركة التغيير؛ فبهم يحفظ أمن البلاد داخليا وخارجيا، وبهم تقام المشاريع الضخمة التي تعود على المجتمع بالرقي، وبهم تتقدم الدولة في الرياضة والزراعة، وهم نبتة العلماء. ومجتمع من دون شباب مجتمع ينحدر إلى الهاوية.

■ **لكن، متى يسهم الشباب في التغيير الإيجابي في مجتمعه؟**

– أولا: لابد أن يفهم الشباب أولا أن في دينه كل مظاهر الرقي والتحضر في المعاملات والتفاعلات المختلفة؛ فيستقي من دينه ومن سيرة نبيه ﷺ كيفية التعامل مع المجتمع، أو بمعنى أوضح كيف يصبح صاحب خلق. فالله سبحانه وتعالى حين وصف نبيه محمدا ﷺ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤). وبعظمة خلق النبي ﷺ انتقل المجتمع البدائي المتناحر المتنافر إلى مجتمع متحضر، مجتمع متحاب متعاون على الخير؛ وهنا بداية

شباب الجامعة

شـاب يـحـول معـاناتـه مع «التصلب» إلى قصة نجاح بدراسة الطب

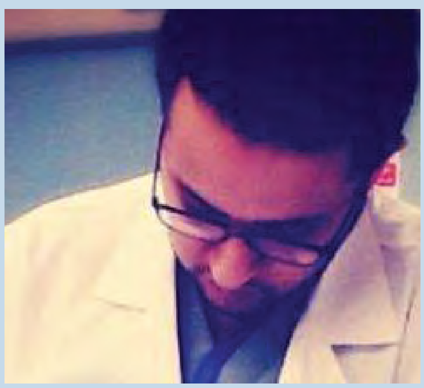

الشاب السعودي عبدالله المقبل استطاع تحويل معاناته إلى قصة نجاح، فبعدما اكتشف إصابته بمرض التصلب المتعدد ذي الأعراض المزعجة، قرر تحدي المرض واقتحام عالم الطب.

يقول عبدالله عن حبه لدراسة الطب: «الطب طموح زرعته في عقلي والدتي منذ الصغر، وازداد إصراري بعد تعايش بسيط مع المرض».

وقالت صحيفة هافينغتون بوست عن المقبل: «دخل الطالب المريض بداء عضال كلية الطب في عام ٢٠٠٨م، التي تحتاج إلى جهد دراسي كبير، فيما يحتاج مريض التصلب المتعدد إلى الكثير من الراحة. ودراسة الطب ليست هينة على الأشخاص الأصحاء، فكيف بالمصابين بمرض قد يتفاقم مع أي مجهود بدني أو ذهني أعلى من طاقة الجسم». وعن ذلك يقول المقبل: «كنت بحاجة إلى إيجاد توازن بين حاجة الجسم للراحة والتحصيل الدراسي. معادلة صعبة، وفي بعض الأحيان غير قابلة للتطبيق».

وفي عام ٢٠١٤م، تخرج عبدالله المقبل من كلية الطب، وهو حاليا يعمل طبيبا مقيما في طب الأسرة بوزارة الصحة.

١٠ طرق لتكـ

القاهرة – الوعي الشبابي

يحب معظمنا –إن لم يكن جميعنا– أن يبدو جذابا يحبه الجميع، يستمعون إليه باحترام وتقدير، ويمتلك القدرة على التأثير في الآخرين، وكم يتمنى أن يكون مصدر إلهام لغيره.

إليك بعض الأمور التي تجعلك جذابا في نظر الآخرين:

١– البسمة والضحك يأسران قلوب الآخرين

البسمة جميلة بالفعل وتأسر القلوب وتحسن المزاج، والضحك أيضا وسيلة رائعة لتجذب الناس إليك، لكن لا تبالغ في ذلك حتى لا يظن فيك البعض أنك شخص هزلي غير جدي.

٢– كن كريما

الكرم والسخاء وتجنب البخل مع الناس تجعلهم يقدرونك كثيرا. والكرم هنا لا يتعلق بالأمور المادية

حوارات

تيارات التي لا تسير على منهج الإسلام

تقدم أي مجتمع، فلا يمكن أن يتقدم مجتمع إلا بالتعاون وصفاء القلوب، وهذا الشيء لا يكون إلا إذا حسنت أخلاق المجتمع.

ثانيا: يتعامل الشباب مع حياتهم بجدية واهتمام؛ فالتعليم يؤخذ على أساس أنه سبيل إلى تقدم المجتمع وليس وظيفة من الوظائف ينال من ورائها بضع جنيهات.

ثالثا: يخرج الشباب من «الأنا» إلى الفضاء الواسع، وهو صلاح المجتمع؛ لأنه بصلاح المجتمع يعود الخير على الجميع، لكن صلاح فرد لا يعود إلا على نفسه وبعض ممن حوله.

رابعا: عامل الزمن له أهمية عظيمة؛ فلا يهمل الشباب هذا العامل، وعليه تقدير قيمة الوقت؛ فلا يضيعه في ما لا يفيد ولا يعود عليه وعلى المجتمع بفائدة.

خامسا: إتقان ما يقوم به من عمل؛ لأن هذا يشجع غيره على إتقان عمله، وهذا لا يستغني عنه أحد. فمثلا المدرس يحتاج إلى إتقان عمله؛ لأنه يشجع زميله على ذلك فيعود على أولاده هو بالنفع، وهو يحتاج من السباك والبناء والمهندس والميكانيكي والسائق والفلاح والموظف إلى إتقان عمله، وإلا تعطلت مصالحه؛ فإذا نظر إلى نفسه فقط فلن يستفيد بشيء، وكذلك كل صاحب عمل في عمله.

■ ما سبل حماية الشباب المسلم من التيارات الهدامة المعاصرة؟

- حماية الشباب تكون بالابتعاد عن التيارات والتنظيمات التي لا تسير على منهج الإسلام القويم، فلا تجد منحرفا إلا ويعادي أهل السنة.. وكما قال أحد السلف: من علامة أهل البدعة معاداة أهل السنة. وأهل السنة هم كل من سار على منهج النبي ﷺ وأصحابه، فلا تجد شخصا يبغض مثلا علماء الأمة الثقات إلا أهل الضلال.

طور نفسك

ون محبوبا

فقط، فيمكن أن تكون كريما مع الآخرين بوقتك.

٣- المظهر المنمق يجذب أيضا

لمظهر جذاب يجب أن تتمتع بصحة جيدة، لذا يمكن أن تمارس التمارين الرياضية من ٣ - ٥ أيام في الأسبوع على الأقل، وذلك لمدة ٣٠ - ٤٥ دقيقة فقط، إذ يساعدك هذا في الحفاظ على وزن مناسب، كما أن له فوائد على المدى الطويل.

٤- وسع مداركك وثقافتك

الأشخاص الذين يتمتعون بدرجة ثقافة ومعارف وخبرات كبيرة يجذبون الآخرين إليهم.

٥- كيف تجذب ثقة الآخرين دون أن تثق بنفسك؟!

الثقة من السمات التي تجذب الآخرين إليك، وأيضا تمكنك من التواصل مع الآخرين بسهولة، ويمكن إظهار أنك شخص واثق بنفسه بعدة طرق بسيطة، مثل أن تنظر إلى عيون الآخرين عند الحديث معهم، كما أنها تزيد مشاعر الألفة بينكم، فهذا يعطي انطباعا إيجابيا عنك، وحافظ على إشارات متزنة لليد.

٦- لك قناعاتك.. وللآخرين قناعاتهم

احترامك لقناعات الآخرين، حتى وإن كانت مخالفة لقناعاتك، يجعلهم ينجذبون إليك ويقدرونك.

٧- كن مستمعا جيدا.. وجديرا بالثقة

عندما يتحدث الناس عن أنفسهم، فإنهم يريدون من الآخرين أن يهتموا لحديثهم وينصتوا إليه بشكل جيد، فاستماعك للآخرين بشكل جيد، وترك فرصة مناسبة لهم لكي يتحدثوا ويفصحوا عما يريدون، يجعلانهم يفضلونك، وهذا أيضا يشمل الاهتمام لأمرهم، ولعواطفهم.

٨- كن هادئا ومتواضعا

غالبا ما ننجذب إلى الأشخاص الهادئين غير المزعجين، فنشعر براحة بقربهم، لذا عليك أن تحاول الحفاظ على الهدوء والاسترخاء، والتواضع أيضا من أبرز الأسباب التي تجعل الشخص جذابا.

٩- لا تظهر المشاعر السلبية

لن ينجذب أحد إلى شخص سلبي يشعر باليأس، دائم التذمر، والنظر إلى كل قبيح في من حوله، ونقد كل شيء وشخص تراه عينه، تلك الصفات منفرة ولن تجعلك جذابا أبدا لذا ابتعد عنها.

١٠- احترم الآخرين

الاحترام من أهم الصفات التي تجعل الآخرين يقدرونك، قدر كل ما يفعلونه ولا تقلل منهم ومما يفعلونه، عاملهم بلطف، وناديهم بالأسماء المفضلة إليهم.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

الحقوق المعنوية؛ كحق التأليف، والابتكار، والعلامات التجارية

- الخلاصة الحكميّة:

- يجب أن يعتبر للمؤلف والمخترع حق فيما ألف أو ابتكر، وهذا الحق هو ملك له شرعا، لا يجوز لأحد أن يسطو عليه دون إذنه، وذلك بشرط أن يكون الكتاب أو البحث ليس فيه دعوة إلى منكر شرعا.

- المؤلف أو المخترع الذي يكون مستأجرا من إحدى دور النشر ليؤلف لها كتابا، أو من إحدى المؤسسات ليخترع لها شيئا لغاية ما، فإن ما ينتجه يكون من حق الجهة المستأجرة له، ويتبع في حقه الشروط المتفق عليها بينهما مما تقبله قواعد التعاقد.

- العلامة التجارية نوع من أنواع الحقوق المعنوية.

- الاسم التجاري، والعنوان التجاري، والعلامة التجارية؛ هي حقوق خاصة لأصحابها، أصبح لها في العرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتمول الناس لها. وهذه الحقوق يعتد بها شرعا، فلا يجوز الاعتداء عليها.

- لا يجوز طبع كتاب ولو للدعوة الإسلامية ما لم يأذن صاحب الحق بذلك؛ سواء كان الإذن خاصا أو عاما.

●القرارات، والتّوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

■ أولا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته التاسعة المنعقدة بمبنى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ١٢ رجب ١٤٠٦هـ إلى يوم السبت ١٩ رجب ١٤٠٦هـ. قد نظر في موضوع حقوق التأليف لمؤلفي الكتب والبحوث والرسائل العلمية:

هل هي حقوق ثابتة مملوكة لأصحابها؟ وهل يجوز شرعا الاعتياض عنها والتعاقد مع الناشرين عليها؟ وهل يجوز لأحد غير المؤلف أن ينشر كتبه وبحوثه ويبيعها دون إذنه على أنها مباحة لكل أحد، أو لا يجوز؟

وعرض على المجلس التقارير والدراسات التي هيأها في هذا الشأن بعض أعضاء المجلس، وناقش المجلس أيضا رأي بعض الباحثين المعاصرين من أن المؤلف ليس له حق مالي مشروع فيما يؤلفه أو ينشره من كتب علمية بحجة أن العلم لا يجوز شرعا حجره عن الناس، بل يجب على العلماء بذله، ومن كتم علما ألجمه الله تعالى يوم القيامة بلجام من نار، فلكل من وصل إلى يده بطريق مشروع نسخة من كتاب لأحد المؤلفين، أن ينسخه كتابة، وأن ينشره ويتاجر بتمويل نشره وبيع نسخه كما يشاء وليس للمؤلف حق في منعه.

ونظر المجلس في الرأي المقابل، وما نشر فيه عن حقوق الابتكار، وما يسمى الملكية الأدبية والملكية الصناعية، من أن كل مؤلف لكتاب، أو بحث، أو عمل فني، أو مخترع لآلة نافعة له الحق وحده في استثمار مؤلفه، أو اختراعه نشرا، وإنتاجا، وبيعا، وأن يتنازل عنه لمن يشاء بعوض أو غيره وبالشروط التي يوافق عليها، وليس لأحد أن ينشر الكتاب المؤلف، أو البحث المكتوب بدون إذن صاحبه، ولا أن يقلد الاختراع ويتاجر به دون رضى مخترعه.

وانتهى المجلس بعد المناقشة المستفيضة إلى القرار التالي:

١- أن الكتب، والبحوث، قبل ابتكار طرق النشر بالمطابع التي تخرج منه الآلاف المؤلفة من النسخ، حين لم يكن في الماضي وسيلة لنشر الكتاب إلا الاستنساخ باليد، وقد يقضي الناسخ سنوات في استنساخ كتاب كبير ليخرج منه نسخة واحدة كان الناسخ إذ ذاك يخدم العالم المؤلف، حينما ينسخ بقلمه نسخة، أو عدة نسخ، لولاها لبقي الكتاب على نسخة المؤلف الأصلية معرضا للضياع الأبدي إذا تلفت النسخة الأصلية، فلم يكن نسخ الكتاب عدوانا على المؤلف واستثمارا من الناسخ لجهود غيره وعلمه، بل بالعكس كان خدمة له وشهرة لعلمه وجهوده.

٢- أما بعد ظهور المطابع، فقد أصبح الأمر معكوسا تماما، فقد يقضي المؤلف معظم عمره في تأليف كتاب نافع، وينشره ليبيعه، فيأخذ شخص آخر نسخة منه فينشرها بالوسائل الحديثة طبعا أو تصويرا، ويبيعه مزاحما مؤلفه ومنافسا له، أو يوزعه مجانا ليكسب بتوزيعه شهرة، فيضيع تعب المؤلف وجهوده، ومثل ذلك يقال

في المخترع.
وهذا مما يثبط همم ذوي العلم والذكاء في التأليف والاختراع حيث يرون أن جهودهم سينهبها سواهم متى ظهرت ونزلت الميدان، ويتاجر بها منافسا لهم من لم يبذل شيئا مما بذلوه هم في التأليف أو الابتكار.
فقد تغير الوضع بتغير الزمن وظهور المستجدات فيه، مما له التأثير الأساسي بين ما كان وما صار، مما يوجب نظرا جديدا يحفظ لكل ذي جهد جهده وحقه.
فيجب أن يعتبر للمؤلف والمخترع حق فيما ألف أو ابتكر، وهذا الحق هو ملك له شرعا، لا يجوز لأحد أن يسطو عليه دون إذنه، وذلك بشرط أن يكون الكتاب أو البحث ليس فيه دعوة إلى منكر شرعا، أو بدعة أو أي ضلالة تنافي شريعة الإسلام، وإلا فإنه حينئذ يجب إتلافه ولا يجوز نشره.
وكذلك ليس للناشر الذي يتفق معه المؤلف ولا لغيره تعديل شيء من مضمون الكتاب أو تغيير شيء دون موافقة المؤلف، وهذا الحق يورث عن صاحبه، ويتقيد بما تقيده به المعاهدات الدولية والنظم والأعراف التي لا تخالف الشريعة، والتي تنظم هذا الحق وتحدده بعد وفاة صاحبه تنظيما وجمعا بين حقه الخاص والحق العام؛ لأن كل مؤلف أو مخترع يستعين بأفكار ونتاج من سبقوه، ولو في المعلومات العامة، والوسائل القائمة قبله.
أما المؤلف أو المخترع الذي يكون مستأجرا من إحدى دور النشر ليؤلف لها كتابا، أو من إحدى المؤسسات ليخترع لها شيئا لغاية ما، فإن ما ينتجه يكون من حق الجهة المستأجرة له، ويتبع في حقه الشروط المتفق عليها بينهما مما تقبله قواعد التعاقد.
والله ولي التوفيق. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.
انتهى القرار.

ثانيا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم: ٤٣ (٥/٥) (١)، المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من ١-٦ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ الموافق ١٠-١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨م،
بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع الحقوق المعنوية، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:
أولا: الاسم التجاري، والعنوان التجاري، والعلامة التجارية، والتأليف والاختراع أو الابتكار، هي حقوق خاصة لأصحابها، أصبح لها في العرف المعاصر قيمة مالية معتبرة لتمول الناس لها. وهذه الحقوق يعتد بها شرعا، فلا يجوز الاعتداء عليها.
ثانيا: يجوز التصرف في الاسم التجاري أو العنوان التجاري أو العلامة التجارية ونقل أي منها بعوض مالي، إذا انتفى الغرر والتدليس والغش، باعتبار أن ذلك أصبح حقا ماليا.
ثالثا: حقوق التأليف والاختراع أو الابتكار مصونة شرعا، ولأصحابها حق التصرف فيها، ولا يجوز الاعتداء عليها.
انتهى القرار.

ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٦/ص١١٩/ف١٨٠١)؛ في موضوع «حق الكاتب في كتابه» ما نصّه: هل يجوز إعادة طباعة كتاب إسلامي بغرض توزيعه مجانا لصالح الدعوة الإسلامية بدون أخذ إذن من صاحبه؟
أجابت اللجنة بما يلي:
لا يجوز طبع كتاب ولو للدعوة الإسلامية ما لم يأذن صاحب الحق بذلك؛ سواء كان الإذن خاصا أو عاما، وينبغي مراعاة الأعراف والقوانين السائدة في المواطن المختلفة فيما يتعلق بهذا الأمر، ولا يسري هذا على كتب التراث الإسلامي التي ألفت قبل حدوث التعارف على الصفة المالية لحقوق التأليف، والله أعلم.
انتهت الفتوى.
ومثلُها في: (ج١٦/ص٤٢٣/ف٥١٧٤).

رابعا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٩/ص١٥٨/ف٥٩٦٧)؛ في موضوع «بيع العلامة التجارية وتأجيرها» ما معناه: هل يجوز بيع العلامة التجارية؟
فأجابت اللجنة بما يلي:
العلامة التجارية نوع من أنواع الحقوق المعنوية.
وقد اختلف الفقهاء في ماليتها على مذهبين:
- فذهب الأكثرون منهم إلى أنها نوع من المال؛ فيجوز بيعها وشراؤها وإيجارها، ولا يجوز للغير الانتفاع بها بدون إذن مالكها.
- وذهب البعض إلى أنها من الحقوق المجردة، فلا تكون مالا، ولا يجوز بيعها وشراؤها وإيجارها، ولا يمنع الغير من الاستفادة منها من غير إذن صاحبها.
واللجنة ترجح القول الأول، وعليه فإذا كان المستفتي يملك العلامة التجارية المستفتى عنها ملكا مستوفيا لشروطه الشرعية، فله أن يمنع غيره من الاستفادة منها إلا بإذنه، وبالشروط التي يضعها هو لذلك. والله أعلم.
انتهت الفتوى.

إعداد: تركي محمد النصر

جامع محمد بن إسماعيل البخاري

قال الإمام الفقيه أبو زيد المروزي (ت: ٣٧١): «كنت نائما بين الركن والمقام، فرأيت النبي ﷺ فقال: يا أبا زيد، إلى متى تدرس كتاب البخاري ولا تدرس كتابي؟! فقلت: يا رسول الله، وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل البخاري»

(سير أعلام النبلاء، ٣١٤/١٦)

حكم ومواعظ

- حسبك من الشر سماعه.
- السؤدد كرم الأخلاق، وحسن الفعل.
- من اتكل على زاد غيره؛ طال جوعه.
- اجعل الصبر زادك، والرضا مطيتك، والحق مقصدك ووجهتك.
- من تعلق بوعد الأماني؛ لم يفارق التواني.
- لا تعمَ عن نقصان نفسك فتطغى.
- مَن تزين بزائل فهو مغرور.
- مَن عرف نفسه؛ لم يغتر بثناء الناس عليه.
- المرء مخبوء تحت لسانه.
- هلك امرؤ لم يعرف قدره.
- مَنْ استشار الرجال شاركها في عقولها.
- مَنْ كتم سره كانت الخيرة بيده.
- الطمع رقٌّ مؤبد.
- ثلاثة تدل على عقول أربابها: الهدية، والكتاب، والرسول.
- الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.

(الحديقة لمحب الدين الخطيب، ١٧٩/٣)

الحكمة عشرة أجزاء

قال وهيب بن الورد رحمه الله تعالى: «كان يُقال: الحكمة عشرة أجزاء، فتسعة منها في الصمت، والعاشرة عزلة الناس. قال: فعالجت نفسي على الصمت، فلم أجدني أضبط كل ما أريد، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة؛ عزلة الناس».

(صفة الصفوة، ٥٣٢/٢)

الوصية المباركة

أوصى ابن قدامة الحنبلي رحمه الله تعالى إخوانه قائلا: «واعلم أن من هو في البحر على اللوح، ليس بأحوج إلى الله وإلى لطفه، ممن هو في بيته بين أهله وماله. فإذا حققت هذا في قلبك؛ فاعتمد على الله اعتماد الغريق الذي لا يعلم له سبب نجاة غير الله».

(الوصية المباركة، ص:٧٧)

الدنيا

قال عامر بن عبد قيس رحمه الله تعالى: «الدنيا كل ما فيها يجري على ما لا يريد، وكل مستقر فيها غير راض بها، وذلك شهيد على أنها ليست بدار قرار».

(حياة السلف بين القول والعمل، ص:٤٣٦)

الغفلة في الشبع

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولو لم يكن في الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ومناه وشهاه وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبعت تحركت وجالت وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت».

(بدائع الفوائد، ٨٢١/٢)

عاشوراء.. ولاء لا ينقطع

لما رأى رسول الله ﷺ اليهود يصومون يوم عاشوراء أمر بصيامه؛ لأن أولى الناس بموسى فرحا بنجاته هم المسلمون، قال الحافظ في الفتح: «وحديث ابن عباس يدل على أن الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى».
وقد ورد أن في هذا اليوم كان نجاة نوح عليه السلام من الطوفان أيضا، وأن موسى عليه السلام نفسه كان يصومه شكرا لله على نجاة نوح وقومه. قال الحافظ ابن حجر: «وقد أخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عباس زيادة في سبب صيام اليهود له وحاصلها أن السفينة استوت على الجودي فيه؛ فصامه نوح وموسى شكرا، وكأن ذكر موسى دون غيره هنا لمشاركته لنوح في النجاة وغرق أعدائهما».
(فتح الباري، ٢٤٨/٤ بتصرف)

أربعة أشياء

كتب قيصر إلى كسرى: «أخبرني بأربعة أشياء لم أجد من يعرفها وأخالها عندك، أخبرني: ما عدو الشدة، ومدرك الأمل، وصديق الظفر، ومفتاح الفقر؟».
فكتب إليه كسرى: «الحيلة عدو الشدة، والصبر صديق الظفر، والتأني مدرك الأمل، والجود مفتاح الفقر».
(سراج الملوك، ص:١٩٠)

ما رأيت رجلا أكرم من الشافعي

قال المزني رحمه الله تعالى: «ما رأيت رجلا أكرم من الشافعي رحمه الله، خرجت معه ليلة عيد من المسجد وأنا أذاكره مسألة، حتى أتيت باب داره، فأتاه غلام بكيس، فقال: مولاي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس، فأخذه منه وأدخله في كمه، فأتاه رجل من الحلقة فقال: يا أبا عبدالله، ولدت امرأتي الساعة، ولا شيء عندي، فدفع الكيس وصعد وليس معه شيء».
(الحلية، ١٣١/٣)

خطر المخالطة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «وكلما طالت المخالطة؛ ازدادت أسباب الشر والعداوة وقويت، وبهذا السبب كان الشر الحاصل من الأقارب والعُشراء: أضعاف الشر الحاصل من الأجانب والبُعداء».
(مفتاح دار السعادة، ٤٢٧/١)
وقال أيضا: «فكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، ودفعت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت من بلية؟ وهل آفة الناس إلا الناس!».
(مدارج السالكين، ٩٣/٢).

طلب العلم

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يوصي قائلا: «اطلبوا العلم، فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبوهم فلا تبغضوهم».
(طبقات ابن سعد، ٣٥٧/٢)
وقال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «ولقد كنت في حلاوة طلبي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل؛ لأجل ما أطلب وما أرجو»
(صيد الخاطر، ص:١١).

كرامة من الله

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كل يوم وليلة تمر بك معافى في نفسك وأهلك ومالك؛ كرامة من الله».
(موسوعة ابن أبي الدنيا، ٥٣٩/٧)

الكاتب

- قال الجاحظ: «من أبين فضل الكتابة أن جُعلتَ في علية الناس».
- قال الزبير بن بكار: «الكُتّاب ملوك، وسائر الناس سُوقة».
- قال المؤيد: «كُتّاب الملوك: عيونهم المبصرة، وآذانهم الواعية، وألسنتهم الناطقة».

(الحديقة لمحب الدين الخطيب، ١٧٣/٣)

إعداد: علاء عبدالفتاح

نحن والغرب والصورة المتبادلة

يحظى موضوع التنوع الثقافي باهتمام عالمي كبير، وذلك للتطور المعرفي والتكنولوجي الذي جعل العالم قرية صغيرة متشابكة المصير، تتعاون مجتمعاته مع بعضها البعض، ويعتمد كل مجتمع منها على إنجازات الآخرين في تحقيق تطوره وتقدمه.

وقد انعكس ذلك الاهتمام في المبادرات التي دعت إليها المنظمات المهتمة بالثقافة والتربية والعلوم من أجل احترام وتقدير تنوع الثقافات في العالم، مثل إعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة حول التنوع الثقافي عام ٢٠٠٢م، وإعلان المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الإسلامي حول التنوع الثقافي عام ٢٠٠٤م، وكذلك عقد كثير من المؤتمرات التي تعمل على نشر المفاهيم والقيم الثقافية المرتبطة بثقافات الآخرين وتنوعها، وتوضيح أهميتها، ومنها: المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات والذي عقدته الايسيسكو بعنوان: مرتكزات التعرف على الآخر من أجل العيش معا عام ٢٠٠٢م، والمؤتمر الدولي حول «تعزيز الحوار بين الثقافات والحضارات»، الذي عقدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالمغرب عام ٢٠٠٥م، والمؤتمر الدولي حوار الحضارات والتنوع الثقافي الذي عقدته المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة عام ٢٠٠٩م.

وقد أكدت كل تلك الجهود على أهمية التنوع الثقافي وضرورة احترامه وتقديره، وذلك باعتبار التنوع الثقافي تراثا مشتركا للإنسانية، ولا يخص ثقافة بعينها، وأنه عامل من عوامل التنمية، ومصدر أساسي للإبداع البشري في العالم.

● د. إدريس صالح

صياغة العقل العربي المسلم

كثير من الأسئلة شغلت بال المفكرين. منها هل حقا لم يعد التكامل الذاتي قائما بين العلوم؟ وهل أصبح منهج الثقافة معطلا؟ وهل تمزقت الشخصية العربية؟ وهل فقد المسلم العربي وعيه الحضاري؟ وهل لدينا رؤية لحل إشكالية تكوين العقل العربي المسلم؟

لاشك أن الاعتماد على العلوم الغربية أدى إلى الابتعاد عن المنهج العقدي الذي كان يمثل واحة الإيمان، مما أثر على العقل العربي بسبب عدم التوافق بين العلوم الدينية والعلوم الإنسانية، ومن ثم انعدام تأثير العلوم الدينية في مجالي الفكر والسلوك، هذا إلى جانب اختفاء منهج الثقافة الإسلامية من الساحة، وليس أدل على ذلك مما أشار إليه المفكر الجزائري «مالك ابن نبي» أن العربي المسلم فقد وعيه الحضاري فأصبح قابلا للاستعمار ثقافيا. الأمر الذي يفرض ضرورة مراجعة الإطار الاجتماعي التربوي من خلال تنظيم الفكر الفلسفي النقدي ضمانا لتنمية الإبداع الفكري، مما يعد خطوة حضارية تصل بالعقل العربي المسلم إلى مرحلة الاستقلال الفكري. ولأن المسألة مرتبطة أيضا بقضية تكوين العقل العربي فمن الضرورة بمكان إنهاء حالة الاغتراب وذلك من خلال الحوار الحضاري النقدي للتراث وهو ما يتطلب طرح كافة المفاهيم بشكل جديد.

وفي هذا السياق أكد د. محمد عمارة أن احتلال العقل وتغريب الفكر والثقافة والقيم والأخلاق كان بمثابة منظومة متكاملة قام بها المستعمر بعد احتلاله الأرض وفرض السيادة، مما جعل الشعوب المستعمرة تتصرف عن كيانها الحضاري.

● فوزي تاج الدين محمد

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

كتاب مسطور وكتاب منظور

تعددت تفسيرات العلماء في بيان المقصود بكتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور، ومن ضمن التفسيرات المتعددة أن كتاب الله المسطور هو القرآن الكريم، وكتاب الله المنظور هو الكون وما فيه من آيات تشهد بعظمة الخالق جل وعلا.

وعلى الرغم من أن كلا من الإلحاد والتطرف يمثلان طرفي نقيض، فإنهما يعكسان صفات كثيرة مشتركة فيما بينهما، ولاعجب من أن تجد أن كلا من الملحد والمتطرف يجتمعان على سمات موحدة، فما من شخص ملحد وما من آخر متطرف إلا وقد افتقد السمع والبصر والعقل لكل ما جاء في كتاب الله المسطور وكتاب الله المنظور.

وقد يغيب البصر والسمع والعقل بمحض الإرادة الحرة، وبفعل اختيار الإنسان -لا عن إجبار ولا عن إرغام- مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد:١٠)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان:٣).

إن آيات الكتاب المسطور وآيات الكتاب المنظور تشهد لله بالوحدانية وللنبي المصطفى الأمين بالرسالة التي هي النور المبين.. إنه دين الرحمة في دنيا مزدحمة بالشرور والآثام.. الإسلام دين السلام ولا عدوان فيه إلا على الذين يبدأون بالقتال، يقول تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة:١٩٠)

ولكل من أراد الوصول للحقيقة فالحقيقة واضحة وضوح الشمس في نورها الذي لا تخطئه عين، أما من ارتضى العيش في ظلام فذاك شأنه هو، فليتحمل وزره ووزر من أضله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (النحل:٢٥).

● **علياء ناصف**

في رحاب الهدي النبوي

التي مر بها النبي ﷺ، ومع كثرة الأحداث تتعدد صور هذه المواقف ومن ثم تعامل الرسول معها، فهي مع تنوعها منها ما كان يسري عن رسول الله ويفرحه، ومنها ما كان يحزنه..

لقد حفلت حياته ﷺ بالمآسي والأحزان التي رافقته في سبيل دعوته إلى الله.. وهي مواقف تفت عضد الأقوياء، لكن تحملها رسول الله وتجاوزتها نفسيته الكريمة بقدر عال من التوفيق والرشاد ليؤصل لمن بعده مبادئ الإسلام الراقية وكيف يكون التعامل الراقي في المواقف الحرجة، بل وكيف يكون الفصل بين الأشخاص والأحداث، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

● **محمد جمال حليم**

الجديد عن السمنة

تعد السمنة من أخطر أمراض العصر الحديث ولا تكمن خطورتها في ذاتها لكن يعدها البعض مجموعة من الأمراض الناتجة عن زيادة الوزن مثل ارتفاع ضغط الدم والسكر والكوليسترول والعديد من التغيرات الأيضية والمناعية بالجسم ورغم أن هذه الأمراض خطيرة في ذاتها فإنها تستقطب أمراضا أخرى أكثر خطورة كأمراض القلب والأوعية الدموية والعديد من أنواع السرطان وفي الولايات المتحدة الأميركية العام السابق ٢٠١٥م سجلت حالات الوفاة بسبب السرطان الناتج عن البدانة نسبة أكثر من الحالات الناتجة عن التدخين بعدما كان التدخين السبب الأول للوفاة بالسرطان هناك لسنوات وهو مؤشر مرعب.

في الولايات المتحدة الأميركية ٦٩ في المئة من السكان يعانون من زيادة الوزن وحوالي نصف هذا العدد مصابون بالسمنة أما حول العالم فيوجد أكثر من ٢،٢ مليار شخص يعاني زيادة الوزن منهم ٧٠٠ مليون يصنفون من البدناء ومعرضون لأمراض السمنة ومضاعفاتها الخطيرة أما في وطننا العربي ووفقا لإحصاءات منظمة الصحة العالمية لعام ٢٠١٠م سجلت زيادة ملحوظة في معدلات السمنة خلال العقود الثلاثة السابقة.

وتمت دراسة جديدة توضح لماذا تزيد معدلات الإصابة بسرطان الثدي لدى الأشخاص المصابين بالسمنة وكذلك تزيد خطورته ومعدل انتشاره والله خير حافظ.

● **منة الله عبدالمنعم**

الدعاء عند الخليل أبي الأنبياء

اعتنى الكتاب العزيز في مواضع كثيرة منه بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فتناول جوانب مهمة من شخصيته العظيمة التي أمرنا بالتأسي بها واقتداء هديها: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (الممتحنة:٤). ومن أعظم تلك الجوانب: جانب الدعاء والتضرع إلى الله، جل جلاله، مما يدل على قرب الخليل من خالقه، ومبالغته في الضراعة اليه، في انطراح كامل بين يديه وتسليم تام إليه. وما من شك في أن الدعاء باب من أبواب العبادة عظيم؛ بل «هو التعبير الجامع عن حقيقة الإخلاص، بما هو توجه إلى الله بالافتقار الصادق، رغبا ورهبا، توحيدا وتفريدا. وما من عبادة إلا وتؤول إلى هذا المعنى العظيم، الذي هو مخ الدين، والله عزوجل، يحب أن يدعى ويتوجه إليه بالرغائب، فأمر بذلك فقال، سبحانه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (الأعراف:٥٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة:١٨٦). بل توعد من يترفع عن دعائه بالعذاب والصغار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (غافر:٦٠)، وقال ﷺ: «من لم يدع الله يغضب عليه»، فإذا كان ترك الدعاء مغضبة للرب، فإن الدعاء نفسه يكون مرضاة له، جل في علاه.

● **محمد ناصر الدين لحمادي**

تأملات في آية الهجرة

من القواعد التي لا اختلاف عليها ولا مشاحة حولها بين أهل العلم والدراية مهما تعددت مشاربهم وتنوعت ثقافتهم ومعارفهم، قاعدة مؤداها: أن عطاء النص القرآني لا ينفد مهما تقادم الزمن ومرت السنوات والأعوام، ومحصول التأمل في آياته غير محدود وغير مجذوذ؛ لأن معين القرآن لا ينضب، وعطاؤه لمن يخلص النية غير محظور: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف:١٠٩). ولنا أن نعيش في سطورنا هذه مع كلمات الله تبارك وتعالى التامات المباركات التي وردت في سورة «التوبة» حول واقعة هجرة النبي محمد ﷺ وصديقه وصِدِّيقه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، لنرتوي من رحيقها ونغذي أرواحنا من زادها المعنوي الذي يثلج الصدور ويشرح الأفئدة والضمائر.

يقول الله تعالى في مطلع آية الهجرة: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة:٤٠)، وفي هذا القول الكريم إشارة إلى أن نصرة المسلمين لنبيهم ودينهم واجب لا يجوز التقصير فيه أو الانشغال عنه بأي حال من الأحوال أو لأي سبب من الأسباب، لأن هذا التقصير -إذا حدث- يجلب عتاب الله عزوجل على النحو الذي يتضح لنا من سياق هذه الآية الكريمة.

● أمان محمد قحيف

الحياة المعوجة

الإنسان مطالب بإصلاح كل نواحي حياته، عليه أن يصلح ما بينه وبين نفسه تزكية، وما بينه وبين ربه عبادة، وما بينه وبين الناس إحسانا، وما بينه وبين الكون عمارة.

لكن هناك فئة كثيرة من الناس يتلمسون الاعوجاج عن دين الله، ويتبعون غير سبيل المؤمنين، يبغون حياة معوجة لا استقامة فيها، فذلك يساعدهم على تحقيق مآربهم وغاياتهم، ويرضي رغباتهم ونزواتهم.

هؤلاء لا يحققون غاية في النور الكاشف، ولا يستطيعون نشر تصوراتهم الجوفاء في ظل الإيمان الراسخ والاعتقاد الصادق، كما أنهم لا يقدرون على ترويج بضائعهم المعطوبة في حال تربع الحقائق الجلية على ما سواها، فلا يقدم الواحد منهم على استئثار المنافع والاستيلاء على المكاسب إلا من خلال الغش والخداع والتآمر فوجب علينا الحذر منهم.

● مصطفى القلاوي

مسك الختام

نصيحة أستاذ لطلابه

كان أستاذنا (أجزل الله مثوبته) رجلا شغوفا بالعلم شغفا لا مزيد عليه، فكان بذلك بحرا زاخرا بالدرر العلمية، والجواهر الحكمية، ولا تلفي محاضرة من محاضراته إلا مفعمة بنفائس الحكم، وروائع ما يفصح عنه بأجمل الكلم؛ ولم يكن في ذلك بدعا من زملائه الأساتذة الذين شرفنا بأن ضمتنا مقاعد الدروس الأكاديمية التي يتألقون فيها.

ولا يعزب عن ذاكرتي أنه في إحدى محاضراته -إبان الدراسات العليا- التي يسمو بعقولنا فيها إلى عالم من الفكر المتضوع بعبق إشراق الروح، أهدى إلينا أسمى نصائحه فيما يخص البحث العلمي، فاتحا عيوننا على أهمية ربطه بالحياة، نافخا في أوارنا غاية الغايات، ألا وهي: إجلال العلي الكبير، وعدم الركون إلى حياة عمرها قصير.

وقد ساق على مسامعنا -على سبيل العظة والعبرة- قصة مؤثرة، سرت في قلوبنا سريان الماء في العود الأخضر، فاعتبر منا من اعتبر؛ ومفادها أن رجلا اشترى بيتا بجوار مسكنه، بيد أنه لم يتخذه ليقطن فيه -فلقد كان يعمل في مدينة أخرى وفيها محل سكناه- وإنما كان مقصده من وراء شراء ذلك المسكن هو أن يأتي إليه في إجازة كل أسبوع، بمعية زوجه وأبنائه الصغار، لينفض عن كاهله وطأة أيام العمل، وينال أريحية من عنائه، ويزيل من غلوائه.

وفي يوم من أيام إجازة الأسبوع، أتى الرجل كعادته إلى بيته الذي اشتراه حديثا بمعية أسرته، ولكنه ما إن وصل من سفره، حتى كان لروحه موعد مع سفر آخر؛ إنه سفر بياغت الخلق حيث تذعن له الأعناق، فيطيح بها على الإحقاق، فاعجب معي لمن لا يجدي معه الترياق.

لقد أراد الله تعالى بقدرته القادرة، وآياته الدالة الباهرة، أن يرسل إلى ذاك الرجل ملك الموت ليأخذه على حين غرة؛ فما أكمل في الدرج الصعود، وصولا إلى بيته المنشود، حتى صعدت روحه إلى الواحد المعبود؛ وقد اضطرم شعور الأستاذ المحاضر حينئذ، فحفزه التساؤل قائلا: ليت شعري ماذا كان أمل هذا الرجل وهو في الدرج سوى أن يصل إلى بيته ويموت فيه، والمرء يفضل أن يأتيه الموت وهو بين عشيرته...

إنها قصة رجل مع الموت، ساقها على مسامعنا الأستاذ الذي محضنا النصح -والنصح أغلى ما يباع ويوهب- وقد كان قصده من إيرادها هو أن يقذف في قلوبنا أهمية ربط البحث العلمي بتقوى الله جل في علاه، لنيل رضاه، والتأهب لنداء الموت -الذي ينبغي أن يحرص المرء على أن يصادفه وهو على عمل الخير- فلا ينبغي التطاول على اختلاس بحث علمي، وسرقة بنات أفكار صاحبه، دون عزوه إليه، فمن فعل ذلك فقد تردى من حالق، وهوى إلى سوءة المزالق، فيغض المجتمع العلمي من قدره، ويطأطئ من شرفه؛ وقد يباغت الموت من ينسب بحوث غيره إلى نفسه، فلا هو -إذ ذاك- قد ظفر بدنياه، ولا فاز بأخراه؛ وهذا هو الغبن الحقيقي، حيث أقبرت قلوب من لا يصون للبحث العلمي حرمته، من التطلع إلى ما عند الله تعالى، والتقرب إليه ببحوثهم، ولو أنهم فعلوا ذلك لنالهم ما يناله أصحاب الدنيا من شهادات ومناصب، فضلا عن عطاء الله الجزيل وهو أسمى المطالب ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس:٢٦)؛ فينبغي استحضار مراقبة الله تعالى في الحياة، وما البحث العلمي إلا جزء من الحياة.

وإنا لنعد تلك النصيحة من لدن الأستاذ نصيحة غالية، وقد دبجتها بقلمي لتلين لسماعها القلوب القاسية، ولا أخالها إلا منقذة لمن على شفا الهاوية، إن كان ذا أذن واعية.

خالد برادة
باحث في الدراسات الإسلامية

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا

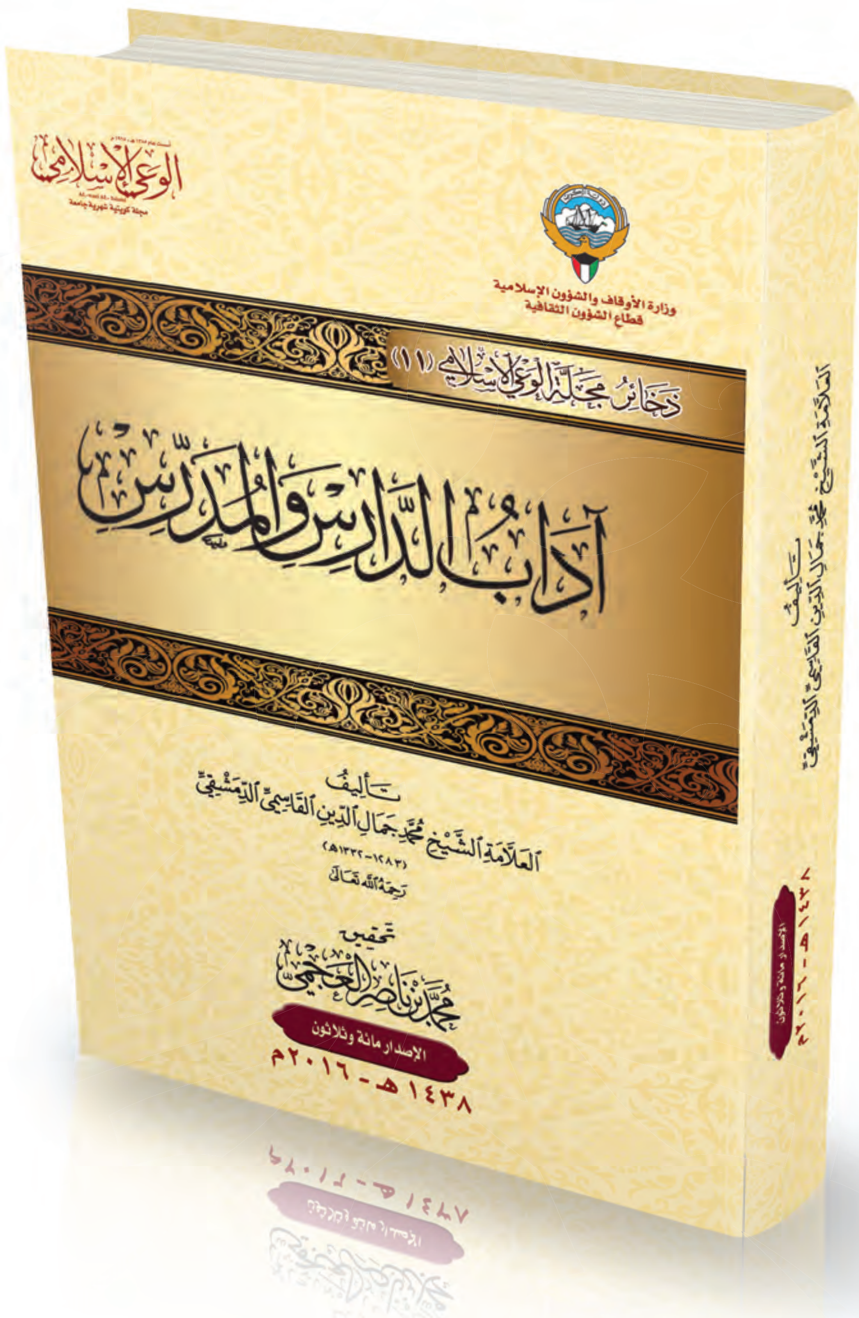

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

الصحة نعمة ..
تستاهل الشكر

"صلاتك ... شكر"

نفائس

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا

www.nafaess.com

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

إدارة الإعلام الديني

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد: (٦١٨) صفر ١٤٣٨ هـ / نوفمبر- ديسمبر - ٢٠١٦ م

السياحة العلمية.. دعوة للتفكر وإنارة العقل!

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

توحيد تقويم المسلمين

خصوصية الثقافة العربية

الدورة البارالمبية ومفهوم جديد للإعاقة

دور القصة في تنمية اللغة لدى الأطفال

info@alwaei.com www.alwaei.gov.kw مجلة الوعي الإسلامي

الوعي الشبابي
www.alwaeialshababy.com
مواضيع حيوية ومعاصرة
حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
مقالات لأبرز الكتاب الشباب
« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
Shabab alwaei
@alwaeialshababy

الرحلة في طلب العلم

الحمد لله ذي الفضل والإنعام، الذي قدر فحكم، ورزق فأنعم، سبحانه دبر فأتقن، وذرأ وبرأ فأحسن؛ فاتصلت بالعقول معرفته، وقامت في النفوس حجته؛ جعل الأسفار سبيلا إلى معرفته، وسلما إلى علمه، أمر عباده بالسير في الأرض؛ فبسط لهم مهادها، وأرسى أطوادها، وبوأهم أملاكها، كل ذلك منه . جلت قدرته . بحكمة وتدبير، ومشيئة وتقدير، حيث أرسل إلى عباده البشير النذير، القائل في لطيف الكلم: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة» (رواه مسلم).

أما بعد، فإن الرحلة في طلب العلم سمة العلماء، وطريق النجباء، والإنسان مهما بلغ من سيادة أو مكانة؛ لا يمنعه ذلك من طلب العلم، واحتمال المشاق في سبيل تحصيله؛ لأن تنقيح العلوم، وتصحيح المفاهيم غالبا ما يكون عن طريق تلاقح العقول، وهذا لا يتأتى إلا بالرحلة إلى العلماء ومظان العلوم.

هذا، وقد ارتحل الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، إلى نبينا ﷺ قاطعين الصحاري والقفار ليلتقوه وينهلوا من علمه، ومنهم من سافر إليه من البلاد البعيدة ليسأله عن مسألة وقعت له.

لقد ارتقى الإسلام بمفهوم الارتحال، وربطه بالمقاصد العظيمة، والغايات الشريفة، حيث سيرت أعظم الرحلات في صدر الإسلام لغرض طلب العلم ونشره، حتى ألف الخطيب البغدادي كتابه المشهور: «الرحلة في طلب الحديث»، وقد جمع فيه من رحل من أجل حديث واحد فقط!

ومن ذلك ما قاله بعض التابعين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ (التوبة:١١٢). قال عكرمة رحمه الله: «السائحون» هم طلبة العلم. (انظر: فتح القدير، ٤٠٨/٢).

وقال العلامة القاسمي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ (النمل:٦٩): «هم السائرون الذاهبون في الديار لأجل الوقوف على الآثار، توصلا للعظة بها والاعتبار، ولغيرها من الفوائد». (محاسن التأويل، ٢٢٥/١٦).

وإذا تمعن الباحث في رحلات بعض العلماء، أمثال الإمام الشافعي، والإمام أحمد، والإمام البخاري، والإمام أبي داود، - الذي قال عنه الحافظ ابن كثير: «أحد أئمة الحديث الرحالين الجوالين في الآفاق والأقاليم»؛ يجدها مليئة بالمصاعب والمتاعب، هذا على ما بهم من فاقة وشظف العيش، ومع ذلك صبروا وتعلموا وأنتجوا .. قال ابن الجوزي واصفا ترحال الإمام أحمد في طلب العلم: «وكتب عن علماء كل بلد» (التهذيب، ص ٢٢).

وأخيرا: فإن شأن الرحلة في طلب العلم قديم تليد، بداية من رحلة نبي الله موسى الكليم، عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم، وقد قص الله خبر رحلته في القرآن الكريم مع الخضر، وما كان فيها من العوائق والغرائب؛ فبقيت الرحلة سنة نبوية وشعار طلبة العلم إلى يوم الدين.

ورحم الله الإمام الشافعي إذ قال:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى	وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفـريج هـم واكتسـاب مـعيشة	وعـلـم وآداب وصحـبة مـاجـد

رئيس التحرير

د. صالح سالم النهام

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٨ | صفر ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
نوفمبر - ديسمبر ٢٠١٦م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس : ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المحتويات

كلمة العدد

وقتنا السياحي

يقتضي التعامل الذكي مع الوقت؛ الاستفادة القصوى منه في حلنا وترحالنا.

فإن كانت السياحة -كما هي معروفة- زيارة أماكن وترفيها واستمتاعا بمذاق مختلف المطعم والمشرب، وجلب تذكارات وملابس، أو كانت استراحة وترويحا ومتعة محدودة الوقت؛ فإن سياحة العلوم تجعل للسفر قيمة أكبر حيث لا نضيع الوقت فيما لا ينفع، بل نعود من رحلاتنا وقد ازددنا علما وراحة. بل سنحاسب على أعمارنا فيما أنفقناه.. حيث روى ابن حبان والترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيمًا أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه».

ومن هنا نتبين أهمية الاستفادة من وقتنا السياحي في التعرف على العلوم والثقافات المختلفة، لاسيما أن لدينا أنواعا من العلوم التي يمكن السياحة من أجلها كالعلوم الإنسانية والدينية والطبيعية.

وقد دعا الإسلام إلى السير في الأرض، لذا وجب علينا تربية النشء على الاهتمام بالعلوم وعدم قصر السفر على الترفيه فقط حتى ينضبط أداؤهم كبارا.

وما أجمل ما قال سفيان الثوري حاثا على طلب العلم! «اطلبوا العلم؛ فإنه شرف في الدنيا، وشرف في الآخرة».

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا • الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). • للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. محمد بلاسي
عضو اتحاد كتاب مصر

توحيد تقويم المسلمين

لاشك أن التقويم مظهر من مظاهر حضارة الأمة وسمة من سمات وحدتها؛ لاسيما وهو يتعلق بأخص شؤونها، ألا وهو التعامل فيما بينها أو مع غيرها.

ومما هو بين في أقطار المسلمين، أننا نجد تباينا في تقويمها قل أن نجده عند غيرها. فمن الدول من يستخدم التقويم الميلادي مع الهجري، ومنها من يقتصر على التقويم الميلادي، وعجيب أن إحداها ينفرد بتقويم يؤرخ من وفاة الرسول محمد ﷺ!

التقويم والإنسان

في العصور القديمة كان الإنسان يعتمد في حساباته الحياتية والوقتية على ضياء الشمس؛ لما يحدثه هذا الضياء من ظلال تتغير بين فترة وأخرى. كذلك كان يعتمد على نور القمر من خلال هلاله وأدواره المختلفة، إلى جانب اعتماده على حركة النجوم المتحركة في حسابه الزمني والوقتي. ولكن تعذر في بعض الأحيان الاعتماد عليها؛ وذلك لكثرة الغبار والغيوم التي تكثر في فصل الشتاء وقبل وبعد هذا الفصل، أي ما يقارب ثلث السنة؛ لذا فقد اتخذ الإنسان ومنذ القدم مقاييس طبيعية مستندا على ما يلي:

حركة الأرض حول نفسها.
حركة الأرض حول الشمس.
حركة القمر حول الأرض.

ومن دراسة هذه المقاييس وضع الإنسان التقاويم (١).

التقويم الميلادي

وفي سنة (٤٦) قبل الميلاد استدعى الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر من الإسكندرية الفلكي المصري «سوسيجينيس» طالبا منه وضع تقويم حسابي. وضع الفلكي المصري التقويم معتمدا على السنة الشمسية وبعد إعداد هذا التقويم سمي بالتقويم اليولياني نسبة إلى الإمبراطور يوليوس قيصر، وقد اعتمدت بعض الدول والشعوب هذا التقويم.

وبأمر من الإمبراطور قسطنطين انعقد

المجمع الكنسي العام (المسكوني) في سنة (٣٢٥م)، وأقر المجمع الاعتماد على التقويم اليولياني المستعمل وقتذاك. وأن يبدأ من السنة الميلادية نسبة إلى ميلاد السيد المسيح عليه السلام، وأن تكون بداية هذا التاريخ من ١/١/١م، وهو يوم ختان السيد المسيح عليه السلام.

وبعد إقرار التقويم من قبل المجمع اعتمدت عليه كافة دول أوروبا وغالبية الشعوب والأمم الأخرى، ويمثل هذا التقويم أن كل ثلاث سنوات بسيطة بمعدل (٣٦٥) يوما، والسنة الرابعة تكون كبيسة بمعدل (٣٦٦) يوما.

واستمر هذا التقويم إلى سنة (١٥٨٢م)، وبالضبط في تاريخ ٤/١٠/١٥٨٢م، حيث لاحظ الفلكيون في هذه السنة في عهد البابا الثالث عشر جوريجوري أن دوران الأرض حول الشمس في السنة الواحدة ليس (٣٦٥,٢٥) يوما، إنما أقل بقليل من ذلك. حيث حسبت أن دوران الأرض حول الشمس في السنة الشمسية الواحدة تساوي (٣٦٥,٢٤٢٢) يوما. وأن هذه الفترة الزمنية التي هي بمقدار (٠,٠٠٧٨) من اليوم في السنة الواحدة قد غيرت فصول السنة على مدى السنين المنصرمة؛ لذا أمر البابا جوريجوري بإجراء إصلاح على التقويم المقدم من الفلكيين حول هذا الفرق، فتقرر إصلاح التقويم كالآتي:

١- لتلافي الفرق الحاصل للفصل عبر السنين المنصرمة زيد التاريخ (١٠) أيام، وجعل التاريخ بعد يوم ٤/١٠/١٥٨٢م - ١٥/١٠/١٥٨٢م بدل ٥/١٠/١٥٨٢م.

٢- تبقى السنوات الكبيسة كما هي حسب التقويم (اليولياني)، أي أن أي سنة تقبل القسمة على رقم (٤) بدون باق فهي كبيسة، وما عداها يكون سنة بسيطة، باستثناء (رؤوس القرون) السنوت التي يكون آحادها وعشراتها (٠٠) لا تكون كبيسة إلا إذا قبلت القسمة على رقم (٤٠٠) بدون باق، أو إذا كانت السنة واقعة في رأس قرن تحذف الصفران في آحادها وعشراتها وباقي رقم السنة إذا قبل القسمة على رقم (٤) من دون باق تكون كبيسة، وعلى هذا يكون في كل (٤٠٠) سنة شمسية (٩٧) سنة كبيسة. في حين كان في التقويم اليولياني (١٠٠) سنة كبيسة في كل (٤٠٠) سنة شمسية.

وقد أقر هذا الإصلاح، وسمي التقويم بعد إصلاحه بالتقويم الجوريجوري، نسبة إلى عهد البابا جوريجوري.

واستعمل هذا التقويم من الدول بالتعاقب، ومازال يستعمل حتى الآن وهو المعروف بالتقويم الشمسي أو التاريخ الميلادي (٢).

التقويم العربي

لم يكن لجميع العرب قبل الإسلام تقويم واحد لتدوين تواريخهم وتثبيت حوادثهم، بل استعملوا عدة تقاويم، فقد كانت كل قبيلة تستعمل تقويما خاصا بها، وأحيانا كانت تستعمل قبيلة تقويم قبيلة أخرى.

وكانت هذه القبائل العربية في الجاهلية تؤرخ وتقوم عدة تقاويم بفترات متباينة مبتدئة بالسنين بما يحصل فيها من أحداث جسام.

فقد أرخ قسم من القبائل من بناء النبي إبراهيم وابنه إسماعيل (عليهما السلام) الكعبة. وآخرون أرخوا بانهيار سد مأرب أو حرب الفجار. وقسم آخر يؤرخ بموت رئيس القبيلة. وآخرون يؤرخون بتولي رئيس جديد للقبيلة.

ومن أشهر تلك التقاويم التي أرخ بها أهل مكة وتبعتهم معظم القبائل العربية هي تقويم «عام الفيل» وسمي بذلك نسبة إلى هجوم الملك الحبشي «أبرهة» على الكعبة يريد هدمها بجيش يتقدمه فيل. وفي ذلك العام ولد خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ﷺ وكان ذلك في سنة (٥٣) قبل الهجرة، الموافق سنة (٥٧١) ميلادية.

بقي تقويم عام الفيل تؤرخ به العرب قبل الإسلام وحتى في زمن الإسلام، وانتهى بعد الاعتماد على التقويم الإسلامي (الهجري).

أما عن كيفية تأريخ العرب لتقاويمهم: فقد كانت هناك عدة تقاويم تؤرخ من قبل القبائل العربية قبل الإسلام وكانت تقاويمهم تعتمد على مبدأ الشهر القمري. ومن جملة تقاويمهم قمري شمسي أي جعل السنة القمرية متصلة بالسنة الشمسية، حيث كانت تحسب كل (١٩) سنة قمرية منها (١٢) سنة بسيطة ذات (١٢) شهرا والسنوات السبع الباقية سنين كبيسة يلحق بكل سنة شهرا قمريا إضافيا أي (١٣) شهرا. ومن جملة ما أرخوا بالتقويم العربي هو إلحاق شهر إضافي كل ثلاث سنوات قمرية (٣).

ولقد كان من بين العادات الكريمة التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام العرب، تحريم أربعة أشهر لا قتال فيها ولا جدال، وهي: ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب. وقد كان العرب يسافرون في هذه الأشهر بكل حرية وبخاصة لأداء فريضة الحج. وحين دب الفساد في بعض القبائل، اخترعوا بدعة «النسيء» (٤).

والنسيء: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر، وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وعادات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم، فكانوا يحرمون من شق شهور العام أربعة أشهر (٥)، فأنزل المولى عز وجل في ذلك قرآنا يتلى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ (التوبة:٣٧)، أي ليوافقوا

العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها، وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين، وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت، وكذلك قال عزوعلا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ (التوبة:٣٦)، يعني من غير زيادة زادوها (٦).

وفي حجة الوداع يقول الرسول المصطفى ﷺ في خطبته الجامعة: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».

يقول العلامة الزمخشري معلقا: والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية، وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة، وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة (٧).

التقويم الإسلامي (الهجري)

بعد وفاة الرسول ﷺ في سنة (١١) هجرية، واستلام الخلفاء الراشدين زمام أمور المسلمين، بدأت الفتوحات الإسلامية واتسع مداها، عندئذ التبس الأمر على المسلمين في الإشارة إلى السنة؛ نظرا لكثرة الحوادث الإسلامية المهمة واختلاف مواقع حدوثها، وكثرة أموال الجزية التي كانت تدفع إلى المسلمين ونظرا لأنهم كانوا يؤرخون بالتقويم الميلادي لبعض الحوادث التي تطرأ في فتوحاتهم؛ لذا بدأ المسلمون في التفكير لحل الالتباس المذكور.

ففي سنة (١٧) هجرية، جمع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وجوه الصحابة للبحث في أمور التقويم الإسلامي، بحيث تكون بدايته من حدث إسلامي عظيم الشأن.

فمنهم من اقترح أن يبدأ من يوم ولادة الرسول ﷺ وآخرون قالوا: نؤرخ من بعد وفاة الرسول ﷺ واقترح علي ابن أبي طالب ﷺ بجعل التقويم الإسلامي بدايته من سنة هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة.

واتفق الخليفة والصحابة على رأي الإمام علي ﷺ؛ لما لهذا الحدث من معان سامية وانتصار للإسلام، ومن هنا؛ سمي التقويم الإسلامي (التقويم الهجري)؛ نسبة إلى هجرة الرسول محمد ﷺ من مكة ليستوطن في المدينة المنورة (٨).

دعوة التوحيد

لم أكن أدري سر اعتماد الجماهيرية العربية الليبية على التقويم بوفاة الرسول ﷺ حتى طالعت بحثا للكاتب الليبي المعروف الأستاذ إبراهيم بشير الغويل، والذي قدمه للندوة الفكرية العالمية حول مرور أربعة عشر قرنا على اختتام النبوة واكتمال الدين (٩)، تحت عنوان: (الدورة أو «الاستدارة» الكبرى للزمان)، وفيه يوضح هذا السر إذ يقول: «ولقد بلغت الإنسانية وبما أثرتها به التنوعات القومية وتجاربها وتراثها الغاية في الارتقاء يوم أن اكتمل الدين وختمت النبوة والرسالة..

يوم أن أعلن الرسول ﷺ في خطبة حجة الوداع أن الزمان قد استدار كهيئته يوم أن خلق الله السموات والأرض فقد بدأ بعد حجة الوداع، إذن، الحساب الدقيق الذي تفرد بالصحة... كما أن مرحلة جديدة من الزمان قد بدأت. ونحن في الجماهيرية نتمسك بهذا التاريخ الصحيح.. ونتخذ منه علامة فارقة

في تاريخ الإنسان، ففي ذلك اليوم اكتمل الدين وأعلن انتهاء نظام النبوة والرسالة... وبهذه المفاهيم يؤرخ بالتاريخ الذي تفرد بالصحة وبدأ بحجة الوداع» (١٠).

ولو نظرنا بعين ثاقبة إلى ما قاله الأستاذ الغويل، وناقشناه مناقشة موضوعية بعيدة عن منطق الهوى المتجرد، لقلنا:

أولا: لماذا جزمت بأن التاريخ الذي عليه أنتم هو الذي تفرد بالصحة دون غيره؟!

مع أن التاريخ الهجري كان يعتمد على حساب في غاية الدقة من بدايته؛ حيث ارتباطه بشعائر إسلامية كالصوم مثلا والذي فرض في السنة الثانية من الهجرة (١١).

وفي الحديث «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غُبِّي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين» (متفق عليه). فأوجب الرسول ﷺ تثبيت يوم بدء الشهر القمري برؤية هلاله.

ثانيا: لم انفردتم بالتأريخ من وفاة الرسول ﷺ مع أن هذا التقويم كما تذكر كتب السير والتاريخ، كان مجرد اقتراح من بعض الصحابة، لم يدخل بعد حيز التنفيذ؛ إذ أجمع الصحابة والخليفة ساعتئذ على التقويم الهجري، وعملوا ولايزال يعمل به حتى الآن ولم يعترض عليهم أحد؟!! وفي إجماع الصحابة والخلفاء، وجوب للاتباع، كما ورد في الأثر الشريف.

ثالثا: لم تذكر كتب السير والتاريخ على حد علمنا أن حدث نسيء أو كبس للأشهر بعد الهجرة في المجتمع المدني، وما خطبة الرسول ﷺ الجامعة في حجة الوداع وقوله: «وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» إلا لمحة جليلة فيما نرى إلى وضع تقويم موحد للمسلمين جميعا؛ حيث حدد الرسول الكريم مواقع الشهور كما أرادها الله، وأشار إلى موقع شهر رجب وأنه بين جمادى وشعبان حسب ما عليه قبيلة مضر، هذا بخلاف قبيلة ربيعة فكان عندها الشهر السابع رمضان والشهر التاسع رجب! وفي هذا مخاطبة للقبائل العربية بأن يحرم النسيء، ويجب الوقوف على ترتيب موحد للشهور، ينبني عليه تقويم موحد للأمة الإسلامية.

رابعا: لو كان هناك عدم انضباط في التقويم الهجري في زمن الرسول ﷺ فلماذا انتظر الرسول ﷺ عودة ذي الحجة إلى موضعه فحج حجة الوداع وأعلن استدارة الزمان وعودته كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وزوال النسيء وإلى قيام الساعة على حد تعبيرك يا أستاذ غويل (١٢)؟!!

الأمر إذن متعلق بالنسيء عند العرب وليس بالتقويم الهجري، وما انتظار الرسول ﷺ إلا لكي يوافق التقويم الهجري التقويم العربي، وعند عودة التقويم العربي إلى وضعه الطبيعي، حيث انقضاء دورة نسئه، سوف يتفق هذا التقويم مع التقويم الهجري في سيره.

من هنا يتضح أن التقويم الهجري من بداية تاريخه كان محكوما بضوابط في غاية الدقة؛ ولذا فإنني أناشد الأزهر الشريف ورابطة العالم الإسلامي والمجامع الفقهية المتخصصة للتنسيق فيما بينها لاتخاذ قرار بشأن هذا الموضوع الجلل، والعمل على تجميع الدول الإسلامية والمجتمع المسلم على تقويم موحد هو التقويم الهجري ونبذ ما عداه.. فالتقويم مظهر من مظاهر وحدة الأمم، وحري بأمتنا أن تتحد على تقويم واحد؛ حتى تعود للإسلام هيبته من جديد؛ لاسيما وإذا تأملنا ماضينا وحاضرنا علمنا أن عزنا وجاهنا هو في التضامن والتوحد والاعتصام بحبل الله المتين، وصدق الله إذ يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢)، ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴾ (المؤمنون:٥٢).

والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق

الهوامش

١- تاريخ التقويمين الميلادي والهجري ومبادئهما: سليمان إبراهيم الجبوري، ص ١١ بتصرف، مطبعة الانتصار ببغداد سنة ١٤٠٧هـ.

٢- المرجع السابق: ص ١٣-١٩، بتصرف.

٣- نفس المرجع: ص ٣٩-٤٠، بتصرف.

٤- انظر: الإسلام يتحدى، للأستاذ وحيد الدين خان، ص ٣٤ وما بعدها.

٥- كان يقوم بمهمة النسيء رجل ذو شأن بين القبيلة، ملم بعلم المواقيت وكان من يقوم بهذه الوظيفة يلقب بـ: «القلمس»، وهي وظيفة لها وزنها ومقامها، وكانت محصورة بأسرة واحدة من القبيلة.

يقول ابن إسحاق: وكان أول من نسأ الشهور على العرب، فأحلت منها ما أحل، وحرمت منها ما حرم: القلمس، وهو حذيفة ابن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة ابن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة، ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة، ثم قام بعد عباد: قلع بن عباد، ثم قام بعد قلع: أمية بن قلع، ثم قام بعد أمية: عوف بن أمية، ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة ابن عوف، وكان آخرهم، وعليه قام الإسلام.

راجع السيرة النبوية: لابن هشام، ٢٨/١، ٢٩، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، ط. دار التراث العربي سنة ١٣٩٩ هـ.

٦- تفسير الكشاف: للزمخشري، ١٨٩/٢، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، الطبعة الأخيرة، مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٢ هـ.

٧- المصدر السابق: ١٨٨/٢.

٨- تاريخ التقويمين الميلادي والهجري ومبادئهما: ص ٤٤ بتصرف.

٩- عقدت هذه الندوة بطرابلس في الفترة ١-٢ محرم ١٤١٢ هـ، تحت رعاية «جمعية الدعوة الإسلامية العالمية».

١٠- انظر: البحث المذكور: ص ٣، ٤.

١١- راجع: نيل الأوطار، للشوكاني، ١٨٦/٤، ط. المكتبة التوفيقية، د.ت.

١٢- انظر بحثه: (الدورة «أو الاستدارة» الكبرى للزمان) هامش ص١.

محيي الدين صالح
كاتب صحفي

بمناسبة اختيار درة الخليج عاصمة للثقافة الإسلامية

إصدارات الكويت .. منارة معرفية

من الملامح المميزة للقرن العشرين وما بعده، سهولة الاتصال بين مختلف المجتمعات في كل بقاع العالم، في ظل ثورة التقنية، مما سهل على المسلمين تفعيل التواصل متكئين على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وهذا التعارف الذي وصى به العزيز الحكيم ليس مقصورا على مجال بعينه، ولكنه من الأمور المطلقة التي تشمل كل مناحي الحياة بلا استثناء، سواء في الجوانب الاجتماعية أو العلمية أو الثقافية، وقس على ذلك كل الجوانب الأخرى.

وهناك آيات أخرى تعضد هذا التوجه المطلوب، منها قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العصر: ٣)، وكذلك قوله: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ (البلد: ١٧)، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل على أهمية هذا التعارف والتواصي بقوله: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (رواه البخاري).

وقد اجتهد أهل المعرفة للوصول إلى الأسلوب الأفضل لاستغلال معطيات العصر من تقنية ومعلومات في تقوية العلاقات الثقافية بين الناس، وكان للمسلمين قصب السبق عندما توسعوا في نشر العلوم الإسلامية بالاهتمام بالمطبوعات ودعمها، وتوثيقها عبر الشبكة العنكبوتية والحاسوب، وإتاحتها لكل الناس، وكانت نتائج هذه الجهود طيبة ومشجعة، وهنا يجب الإشادة بجهود الكويت وبعض دول الجزيرة العربية والشام في هذا المضمار، ولم يكن ينقص هؤلاء الذين بدأوا يتعارفون عن بعد، إلا التعارف عن قرب بالتواصل المباشر الذي يقوي الألفة والمحبة بين المسلمين.

ثم كانت الخطوة التالية التي واكبت هذه الجهود، أن تصدى للأمر بعض الغيورين على الثقافة الإسلامية من الذين يقفون على ثغور الإسلام، حيث فتحوا بابا جديدا لهذا التعارف الذي وصى به المولى عز وجل، وذلك باختيار إحدى الدول المهتمة بالشأن الإسلامي كعاصمة للثقافة الإسلامية لمدة عام، على أن تتنقل هذه الاحتفالية بين مختلف البلاد الإسلامية تباعا .

واختيار الكويت كعاصمة للثقافة الإسلامية لعام (٢٠١٦م) له مذاق خاص، ونكهة مميزة، ودلالة معبرة، لأن من يتتبع تاريخ الكويت في كل مجالات التعارف من خلال المطبوع أو الإعلام عموما، سيلاحظ بوضوح دورها المقدر والمؤثر، وجهود أبناء الكويت، إضافة إلى جهود الدولة في نشر هذه الثقافة، وتوظيف كل الإمكانات لهذا الغرض النبيل، وكثرة الإصدارات الثقافية الإسلامية خير دليل على ذلك، إضافة إلى الدعم المادي القوي، لتصل هذه المطبوعات إلى أكبر فئة من الناس بأسعار زهيدة، لا

تقصد الربحية، ولكنها ابتغاء مرضاة الله، ولا نزكي أحدا على الله، وتنوع الاهتمامات الثقافية ومخاطبة كل الفئات المعنية بما يناسبهم من أسلوب، يعد من السمات المميزة للحركة الثقافية الإسلامية بالكويت، وإن كان هذا هو شأن كثير من البلاد الإسلامية، خاصة في الجزيرة العربية، إلا أنها في الكويت أوضح وأشمل، ولا أريد أن أعدد هذه الجهود والقائمين عليها تحسبا وتحرزا.

والثقافة أيا كان تعريفها، سواء كان بمعنى التقييم أو التقويم أو الاثنين معا، فإنها الركن الشديد الذي ينبغي أن يأوى إليه الناس حين يسعون في دروب الحياة، والثقافة الإسلامية هي أولى الثقافات وأقواها وأجدرها بالاتباع، لأنها ذات مرجعية سماوية، ومرجعية نبوية، وتنتمي إلى حضارة متوازنة، نابعة من أعماق النفس المطمئنة التي استلهمت تقواها، وتجنبت فجورها، وحيث إن الثقافة تشمل كل ما يتعلق بحياة الإنسان تقريبا، بدءا من العادات والتقاليد، وانتهاء بالعقائد والمعتقدات، مرورا بالعلاقات الاجتماعية وأساليب السكن والملبس والمأكل، فقد اهتم الإسلام بتنسيق كل هذه الأمور وتهذيبها وتقييمها وتقويمها من منظور إسلامي، ليؤهل الأمة الإسلامية لتكون خير أمة أخرجت للناس في الحياة الدنيا، وشهداء على الناس في الآخرة.

وانتقال عاصمة الثقافة الإسلامية من بلد إلى بلد كل عام، فكرة جيدة وموفقة، تصب في صالح الأمة الإسلامية، وهي تستعد لاقتحام فضاءات حوار الثقافات، التي صار التنافس فيه على قدم وساق، بل على قدمين وساقين والسواعد والأكف إن لزم الأمر، وربما يفسر هذا التنافس لجوء الأقوياء إلى فرض ثقافاتهم على الضعفاء، تحت دعاوى العولمة، ومحاولة حصار الأمة الإسلامية بين أقواس صراع الحضارات، مكرهين لا مخيرين.

وما كان لهذا الصراع أن يتفاقم لولا شعور خصوم الثقافة الإسلامية بالدونية الثقافية، بسبب تميز هذه الثقافة رغم ضعف قوة أصحابها، وقلة حيلتهم، وهوانهم على الناس، في الوقت الذي نجد فيه التقنية العالية التي يرفل فيها الخصوم بغرور ملحوظ، أقوى من مثيلتها عند أصحاب الثقافة الإسلامية، ومما زاد الطين بلة في حوار الثقافات أننا نجحنا إلى حد ما في الاستفادة من ثقافة الآخرين المبنية على التقنية المجردة، وهم فشلوا في الاستفادة من ثقافتنا الإسلامية المبنية على الأخلاقيات والمثل العليا المؤيدة من السماء، وسبب آخر على درجة من الأهمية وهو أن ثقافة الآخرين أنتجت الدمار والانحلال، في الوقت الذي أنتجت فيه الثقافة الإسلامية الاعتدال والوسطية والنظافة ومكارم الأخلاق كقاعدة عريضة، رغم أن سلوكيات أصحابها لا تخلو من بعض الاستثناءات وبعض السلبيات عند التفاعل معها، وليس هذا عيبا في الثقافة الإسلامية، ولكنها في المثقفين أو المتثاقفين.

وبشيء من التفصيل وعلى سبيل المثال فيما يتعلق بالتكافل بين الناس، نجد بعض الثقافات تتعامل مع الآخر من منظور قولهم: (اعط الفقير سنارة، ولا تعطه سمكة) وبالتالي فإن من لا يعمل لا يأكل، حسب المقولة المتبعة عندهم، والثقافة الغربية تتعامل مع الآخر من خلال فلسفتهم: (اعط الفقير سمكة، وإياك أن تعطيه سنارة) حتى لا يستغني ويستقل بذاته، وبذلك يزداد الفقير فقرا والغني غنى، أما في الثقافة الإسلامية التي وضع الله لها إطارها الصحيح، فإنها في هذا الجانب مبنية على دعامات متينة في عمومها، أسسها قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ (البقرة: ٢٧٥)، وكذلك فتح مجال الكفارات بالعتق وإطعام المساكين ودفع الصدقات والزكاة، ففي مجال مساعدة الفقراء والمحتاجين فإن النصح النبوي يوضح ذلك بجلاء، فعندما أتاه سائل سأله الرسول ﷺ: «أما في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلسٌ نلبس بعضه، ونبسط بعضه، وقعبٌ نشرب فيه من الماء. قال: ائتني بهما، فعقد الرسول ﷺ مزادا لهذين» (رواه أبو داود) وتفاصيل القصة معروفة، وهي تعني ضمنيا أن الثقافة الإسلامية توصي بأن نعطي الفقير سمكة يطعمها ويسد بها جوعه، ونعطيه سنارة يرتزق بواسطتها وتكفيه المسألة في مستقبل أيامه، ولا مانع من أن نعلمه الصيد ونصحبه إلى النهر إن لزم الأمر، وهذا هو التكافل في أبهى صوره.

ومثال آخر يوضح لنا معطيات الثقافة غير الإسلامية التي تنشر العنف والضلال والقتل والمكائد، كما نرى في مجال الإعلام وبرامجه الهدامة، أو في مجال الرياضة خاصة فيما يسمونها (مصارعة المحترفين) الدموية، والتي تذكرنا بما كانوا يفعلونه من قبل، حين يلقون الخارجين عن طوعهم إلى الأسود الجائعة، في حلبات معدة لذلك، وكيف أن الجمهور كان يتزاحم في المدرجات ليروا الأسد وهو يلتهم ذلك الإنسان البئيس، وهذه بتلك.

أما الثقافة الإسلامية فلا تسمح بمجاوزة الحد تحت أي مسمى، وفي مثل هذه المسائل نجد الأمر النبوي الذي يقول فيه: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلما» (رواه

مسلم)، والتنافس الرياضي لها حدود وأصول وضوابط، وإن كانت نتائج الغزو الثقافي قد هزت عروش بعض المثقفين المسلمين وبعض القائمين على رعاية الشئون الثقافية، إلا من رحم ربي، فإن الأمر ما زال في نطاق الاستدراك، كما أن تلك الثقافات المتحللة قد نالت بعض الشيء من الثقافة الإسلامية ذاتها ببث الانهزامية في النفوس الضعيفة والمريضة والمسلوبة والمنبهرة، وكذلك من هواة التقليد الأعمى، إلا أن كل ذلك لم ينجح في إقصاء الثقافة الإسلامية عن الساحة بفضل الله سبحانه وبجهود أهل الغيرة.

ومما لا شك فيه أن حوار الثقافات، نشأت في الجزيرة العربية منذ حوالي ثلاثة آلاف عام في عهد الملكة بلقيس، بين العرب العاربة وبين الشام، والثقافة الإسلامية هي الوريث الشرعي لكل المنتوج الثقافي في هذه المنطقة، ولذلك فهي صاحبة خبرة تراكمية محلية، بالإضافة إلى كونها رسالة عالمية مستقبلية.

وجدير بالذكر أن الثقافة الإسلامية تمثل الجليس الصالح بما تحمله من مفاهيم بناءة ومثل عليا، وينطبق عليها الحديث النبوي: «إنما مثل الجليس الصالح...» (رواه البخاري ومسلم)، الذي يشبه حامل المسك، وهي دعامة قوية للثقافة العربية في عمومها حفظتها من عوامل التعرية التي أطاحت بكثير من الثقافات في العالم، حيث ثبتت أركانها ووحدت أشتاتها وحفظت لغتها، وعملت على تقوية التواصل بين أبنائها، وشدت أزرهم في صراع الحضارات الذي يتبناه الخصوم ويمهدون له بكل الوسائل غير الأخلاقية، وبالقوة الجبرية وشراء ذمم السماعين لهم، وبالرغم من كل ذلك ينكره بعضنا طوعا أو كرها، رغم أنه أصبح أمرا واقعا يؤججه الأعداء، ويشهرونه في وجوهنا بمناسبة وبدون مناسبة، ونحن في صمت مطبق، ولسان حالنا يقول: نخشى أن تصيبنا دائرة.

وفي هذا يقول الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي :

لا تقولوا إنا قليل ولا وسع ... فعزم الرجال وسع وطاقة

وكفانا بالدين عروتنا الوثقى ... وبالضاد لحمة وصداقة

والأديب الأريب قبل رضاء ... الخلق يرضي بشعره خلاقه

كما يقول الشاعر السوداني عبد الله الأمين :

والعلم يدعو للتآخي والتعاون والتدان

وكذا الثقافة ينبغي أن لا يكون لها مكان

إن الحياة تداول وكما تدين بها تدان

ولا شك أيضا في أن الثقافة الإسلامية هي التي حفظت الثقافة العربية من خلال القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وما كان أحسن القصص في سورة يوسف، والنبأ الحق في سورة الكهف، والأمثال التي ضربها الله في مواضع كثيرة إلا نماذج من وسائل الدعم الإلهي للثقافة الإسلامية والثقافة العربية التي تسير جنبا إلى جنب في حماية الثقافة الإسلامية.

وإن كانت الثقافة عموما تهتم بالماضي والحاضر والمستقبل والشئون المتعلقة بالحياة الدنيا في هذا الصدد، فإن الثقافة الإسلامية تناولت أيضا هذه الأمور الثلاثة بكثير من التفصيل والتحليل والسرد بالحق الذي لا تشوبه شائبة، وأضافت إلى كل ذلك أخبار ما قبل الماضي عن خلق السموات والأرض والملأ الأعلى، وكذلك أنباء ما بعد المستقبل من غيب يتعلق بما بعد الموت والأعراف والحساب والجنة والنار، ولقد تناولت بعض الكتب السماوية قليلا من هذه الأمور، إلا أن التحريف الذي أصاب الكتب المقدسة السابقة بدلت هذه الأخبار والأنباء، وحشرتها بما ليس بحق، وجعلتها أقرب إلى الأساطير.

وقد تدخلت الثقافة الإسلامية لتصويب كثير من المفاهيم في العبادات والمعاملات والأخبار والأنباء، فكانت بمثابة إعادة ترتيب للداخل الإنساني في فكره ووجدانه، إلا أن كثيرا من الناس تخلوا أو زهدوا أو اتبعوا خطوات الشيطان، ولذلك فإن الاهتمام الحالي بهذه الثقافة ومداولتها عبر إقامة المهرجانات في مختلف البلاد الإسلامية، وانتقال عاصمة الثقافة من بلد إلى بلد، لا بد أن تؤتي ثمارها في يوم ما، كما يقول الشاعر العربي:

ولا بد للساري وإن كان وانيا ... إذا صح عزما أنه يتقدم

والكلام عن الثقافة الإسلامية كثير جدا، وهو حديث ذو شجون في بعض جوانبه، ومبعث سعادة وبهجة أحيانا، ومدعاة للحيرة عندما تحوم حولها علامات الاستفهام، إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وينبغي علينا جميعا بذل الجهد والمال، كل حسب ما يستطيع، وحسب إمكانياته، إحقاقا للحق ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال: ٤٢)

عبد العظيم إبراهيم
كاتب صحفي

في ذمة الله..

العلامة عبد الحكيم عبد اللطيف شيخ المقارئ المصرية

بقلوب حزينة، ودموع مسكوبة، ودّعت الأمة الإسلامية علامة القراءات والتجويد في الديار المصرية الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف الحنبلي الأزهري، حيث وافته المنية في ظهر يوم التروية، يوم الجمعة، الثامن من ذي الحجة لعام (١٤٣٧هـ) الموافق (٢٠١٦/٩/٩م) سائلين المولى القدير أن يرفع مقامه في عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

مازال للديار المصرية في القراءة والإقراء تاريخ عريض وأيام زاهية ومجد تليد لم يكن لغيرها من بلاد الإسلام وديار المسلمين، فتربع نخبة من قرائها على عرش القراءة والإقراء، رواية ودراية وحسن صوت، حتى صارت الديار المصرية - بتوفيق الله تعالى - ثم بسببهم محط الأنظار، ومقصدا لرحلات طلاب العلم والطالبين، يأتي على رأس هؤلاء السادة والنخب الشيخ الجليل والعلامة الكبير، والحجة المعتبر، ركن القراءات الباذخ، وعلمها الشامخ، أعني به شيخي وأستاذي محقق العصر وتاج أهل القرآن بمصر فضيلة شيخ القراء والإقراء والمقارئ بالديار المصرية: عبدالحكيم عبداللطيف الحنبلي الأزهري رحمه الله المولى الكريم، وجعل الجنة داره، والفردوس الأعلى قراره، وقد يسر الله أن يكون الفقير - كاتب هذه السطور - في عداد تلاميذه، وممّن الكريم تعالى ليحظى المقصر ببعض من بحر علمه وتفهمه؛ فكان أن حاز الشرف، وانضوى في سلك من غرف، من معارف الشيخ وعلومه، وكانت الملازمة له تسع سنين من آخر عمره المبارك، حتى توفاه الملك وأتاه داعي الحق، غفر الله له وأثابه رضاه.

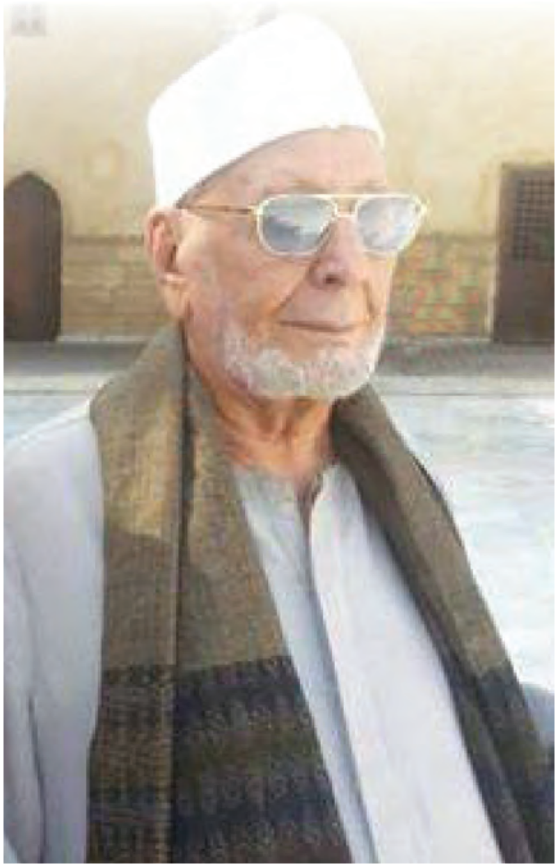

اسمه ونسبه

عبدالحكيم بن عبداللطيف بن عبدالله بن سليمان الطويري ثم القاهري الحنبلي الأزهري المصري، علامة كبير، وإمام مقدم في علم التجويد، والقراءات والرسم وضبط المصاحف وعد الآي وغيرها.

مولده ونشأته وطلبه للعلم

ولد الشيخ عبدالحكيم (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) بمدينة القاهرة بمنطقة الدمرداش، ونشأ منذ نعومة أظفاره في جو علمي، فأتم حفظ القرآن الكريم وأتقن أحكامه الأدائية وجود تلاوته مع حفظ جملة من المتون والمنظومات في شتى الفنون وهو صغير، وظهرت نجابته ونبوغه أثناء حفظه.

ثم التحق بالمعهد الديني الابتدائي بالأزهر، وبعد أن انتظم في الدراسة أصر والده على أن ينتقل إلى معهد القراءات بالأزهر، فاندرج في سلك

طلابه، واجتهد في الطلب والتحصيل وواصل ليله بنهاره، فحصل علوم المعقول والمنقول، حتى استتمت ملكاته العلمية، وتميز في علوم القرآن ثم تخصص في دراسة القراءات والرسم العثماني وعد الآي ولم يعرف له مثيل في عصره في القراءات ومعرفة رسم وضبط المصحف الشريف، فقد أبدى في ذلك نبوغا عجيبا ولم يكن أحد من أهل زمانه يدانيه في المعرفة في القراءات ونقط المصاحف والبصر برسمها مع خالص التحقيق والتدقيق، فكان من كبار العلماء المبرزين عن جدارة، ولم يكن نبوغه مقصورا على علم القرآن، بل نبغ في العلوم الشرعية العقلية والنقلية والعربية والأدبية.

شيوخه

تتلمذ العلامة الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف على غير واحد من ثقات الجهابذة الأثبات من علماء عصره في مختلف العلوم الشرعية واللُّغوية، وقد كان لهذه المشيخة الأثرُ الكبير في نبوغه فيها، وبالخصوص في علوم القرآن والقراءات والرسم العثماني والضبط والفواصل، وسوف نذكر فيما يلي أشهر من تلقى عنهم من العلماء والشيوخ في ذلك العصر:

١- الشيخ إمام عبده حلاوة، أخذ القرآن عن حسن الجريسي، وكان شيخ المكتب الذي حفظ فيه الشيخ عبدالحكيم القرآن وتلقى فيه تعليمه الأولي.

٢- الشيخ عبدالله عبده حلاوة، وقد أخذ عن حسن الجريسي المذكور أيضا.

٣- الشيخ مصطفى عرفة.

ومن المشايخ الذين حضر لهم واستفاد منهم في مرحلة إجازة حفص:

٤- العلامة الشيخ محمود علي بِسّة، قرأ عليه الشيخ عدة ختمات وحضر له شرح التحفة والجزرية وكان حنبليًا، قال الشيخ عبدالحكيم: «وهو الذي حنبلني، وحببني في هذا المذهب، وأرشدني إلى كتب الحنابلة كالمقنع».

عالية القراءات

وفي هذه المرحلة حضر شرح متني الشاطبية والدرة على الشيخ محمد عيد عابدين. وحضر على الشيخ أحمد مصطفى أبوالحسن في العرض والتطبيق للشاطبية والدرة فكان لهم شيخ يشرح ويُعرض عليه المتن، وشيخ يقرأ عليه للتطبيق. وحضر أيضا على الشيخ أحمد علي مرعي، والشيخ متولي الفقاعي، والشيخ أحمد الأشموني الحنفي بمعهد القراءات، وبالمعهد الديني حين كان فيه.

تخصص القراءات

ثم انتقل إلى المرحلة الثالثة، وهي مرحلة التخصص، وحضر فيها على: المشايخ الفضلاء: الشيخ عامر السيد عثمان شيخ عموم المقارئ المصرية، والشيخ حسن المري، والشيخ أحمد عيطة، والشيخ العلامة أحمد عبدالعزيز الزيات، قرأ عليه في المعهد في بيته ختمة كاملة من الطيبة، والشيخ خميس نصار، والشيخ عبدالمنعم السيد، والشيخ محمود بكر.

شيوخه خارج المعهد

وقد اتجهت عناية الشيخ عبدالحكيم إلى تلقي القراءات بالسند على المشايخ خارج المعهد:

فأول من تتلمذ على يديه في الشاطبية والدرة: الشيخ العلامة المقرئ محمد مصطفى الملّواني، ثم على الشيخ مصطفى منصور الباجوري شيخ مقرأة الحسين، حيث قرأ عليه ختمة لحفص مع التحفة والجزرية شرحا وتطبيقا ثم قرأ عليه بالشاطبية والدرة إفرادا وجمعا من أول القرآن الكريم إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص:٨٨).

قراءته على العلامة الزيات

قرأ الشيخ عبدالحكيم على الشيخ الزيات وكان آنذاك في المعهد لإكمال العالية استعدادا لدخول التخصص، ثم ذكر لشيخه الشاطبية والدرة، فقال له: أسند القراءات العشر من الشاطبية والدرة من طريقي، وبقي مع الشيخ يذهب إليه ثلاثة أيام في الأسبوع إلى أن ختم القراءات العشر من طريق الطيبة، وكان يحاوره في الشاطبية والدرة، وختم عليه في سنة وستة أشهر.

بقية شيوخ الشيخ عبدالحكيم

قرأ أيضا على العلامة الشيخ إبراهيم علي شحاتة السمنودي، والشيخ محمد إسماعيل الهمداني شيخ مقرأة الجامع الأزهر، والشيخ عثمان سليمان مراد ثلاثة أجزاء لورش، والشيخ خليل الباسوسي ثلاثة أجزاء، الشيخ أحمد هاني شيخ مقرأة السيدة نفيسة مرارا بالقراءات وكان يطوف على المقارئ يقرأ على المشايخ.

وتواصل أيضا رحمه الله مع الشيخ عبدالفتاح القاضي بتزكية من الشيخ رزق خليل حبة، فسمعه، وسر به جدا، وأجاز قراءته.

سنده في القرأءات

قرأ الشيخ عبدالحكيم على الشيخ مصطفى منصور الباجوري، وهو عن

محمد مكي نصر الجريسي -صاحب كتاب «نهاية القول المفيد»- وهو على أحمد بن محمد الدري التهامي، وهو على أحمد بن محمد المعروف بسلمونة، وهو على إبراهيم العبيدي. فبين الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف وبين العبيدي أربعة رجال فقط، وهو نفس عدد رجال سند الشيخ أحمد الزيات وغيره، وبالتالي هو من نفس طبقة الشيخ الزيات في القراءات العشر الصغرى -من الشاطبية والدرة- من طريق قراءته على مصطفى الباجوري والله أعلم.

تلاميذه

وأما تلاميذه ومن قرأ عليه فلا يأتي عليهم حصر ولا يعدهم عدد، لقد ترك فيهم الشيخ أثرا كبيرا لايزال مع تقادم العهد ومرور السنين، ومنهم:

الأستاذ الدكتور أحمد عيسى المعصراوي شيخ عموم المقارئ المصرية سابقا، والشيخ حسن عيسى المعصراوي، والشيخ صالح أحمد الشيمي، والشيخ علي علي سيد شرف، والشيخ محمد متولي مسلم، والشيخ سيد علي عبدالمجيد، والأستاذ الدكتور مصطفى محمد محمود أبوطالب، والأستاذ الدكتور جمال فاروق الدقاق، والشيخ محمد فؤاد عبدالمجيد، والشيخ محمود أحمد عكاوي البيروتي، والشيخ الدكتور ياسر إبراهيم المزروعي الكويتي، والشيخ محمد خليل الزروق الليبي... وغيرهم كثير.

صفاته وأخلاقه

١- من مناقبه، صفاء القلب، ونظافة الظاهر والباطن، لقد كان يحمل بين جنباته قلب طفل في براءته وصفائه وحب الخير لعباد الله وحرصه على نفع الناس.

٢- ومن مناقبه طول صلاته وعبادته فمما اشتهر عنه -حتى صارت علامة عليه- كثرة صلاته وتنفله وعبادته.

٣- ومن مناقبه محبته الصادقة وتعظيمه لرسول الله ﷺ وآله ومدينته المنورة.

٤- ومن أبرز صفاته التواضع واتهام النفس بالعجز والتقصير، مع عدم التعالي وحب الظهور.

٥- ومن مناقبه ورعه وزهده في هذه الدنيا فلم تكن الدنيا تعني له شيئا.

٦- ومن مناقبه شدته في قول الحق، وتمسكه به، فلا يواري أو يداهن بل يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم خصوصا إذا تعلق الأمر بكتاب الله عزوجل.

آثاره العلمية

كان غالب هم الشيخ تخريج ثلة من القراء وطلبة العلم وبالتالي لا نجد له في مجال التأليف والتصنيف إلا مصنفا واحدا وهو: «إكمال كتاب الكوكب الدري الذي لم يكمله الشيخ محمد صادق قمحاوي»، وشرح منظومة قراءة الكسائي للشيخ الضباع سماها: «حديقة الرائي».

تسجيلاته

- سجل ختمتين لحفص إحداهما بقصر المنفصل.
- وختمة لشعبة.
- وشرع في ختمة مصورة لأبي جعفر في قناة الفجر بلغ فيها إلى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ﴾، في مريم.
- وله في إذاعة القرآن الكريم برامج عدة.

وظائفه ومناصبه التي تقلدها

١- عضوية لجنة اختبار القراء في الإذاعتين المرئية والمسموعة بجمهورية مصر العربية.

٢- مشيخة مقرأة الجامع الأزهر.

٣- التفتيش بمشيخة عموم المقارئ المصرية.

وعرضت عليه مشيخة المقارئ أيام الشيخ رزق خليل حبة، فقال: لا أكون شيخا لها والشيخ رزق حبة موجود، وبعد وفاة الشيخ رزق نزل عنها رسميا فتقلدها تلميذه الدكتور أحمد عيسى المعصراوي.

٤- وكالة لجنة تصحيح المصاحف بالأزهر الشريف ثم رئيس اللجنة.

٥- مشيخة عموم المقارئ المصرية.

٦- عضوية لجان التحكيم في المسابقات المحلية والدولية.

٧- التدريس في معهد القراءات، ثم موجه أول لعلوم القرآن والقراءات بالإدارة المركزية لشؤون القرآن الكريم بالأزهر.

٨- الإشراف على تسجيل المصاحف المرتلة والمجودة في الإذاعة لكبار القراء.

وفاته

في ظهر يوم التروية، يوم الجمعة، الثامن من ذي الحجة لعام (١٤٣٧هـ) الموافق (٢٠١٦/٩/٩م) توفي العلامة الشيخ عبدالحكيم عبداللطيف عن عمر ناهز ثمانين عاما، قضاها في رحاب القرآن وإقرائه، وارتجت قلوب الناس لنبأ وفاته رجا، وحضر جنازته خلق عظيم وحملت جنازته على رؤوس الناس ثم ذهبوا به على الجامع الأزهر للصلاة عليه، فصلى عليه الشيخ عبد عبدالحميد يوسف إمام وخطيب الجامع الأزهر السابق بناء على وصية من الفقيد وقال الشيخ عيد: أشهد الله أن فضيلة الشيخ عبدالحكيم أوصاني أن أصلي عليه الجنازة، ودفن في مقابر الغفير في الدراسة بطريق صلاح سالم. جزى الله شيخنا عبدالحكيم كل خير عن القرآن وأهله والله ذو الفضل العظيم.

د. مجدي حسن
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

الدورة البارالمبية ومفهوم جديد للإعاقة!

تابعت وكثير من الناس دورة الألعاب البارالمبية، وهي مسابقات رياضية خاصة بأصحاب الإعاقات الذهنية والبدنية على اختلاف درجاتها، والتي تقام مباشرة عقب الدورة الأوليمبية منذ عدة عقود.

وراعني أن أجد جمعا كبيرا من المتسابقين يلفت الانتباه، يخوض هذه المسابقات الرياضية بأطراف صناعية أو نقص في نمو بعض العضلات، وهذه المسابقات تتطلب ولاشك لياقة بدنية عالية، فكانوا على هذا القدر من اللياقة برغم إعاقتهم. فتراهم كادوا يمشون على الماء! ويطيرون في الهواء! ويتسابقون في نشاط عجيب.. مما يثير المشاعر والوجدان، وبرغم ضعفهم الظاهر فإنهم حققوا بطولات رياضية عالمية، ورفعوا أعلام بلدانهم في هذه التظاهرة الرياضية.

لم يقعدهم ما بهم من بلاء عن الحركة والسعي والاجتهاد، كما أنهم لم يجلسوا ليندبوا سوء حظهم، أو يتسولوا بما فيهم من إعاقات، بل كانوا أندادا ذوي إرادة وإصرار كمل ما بهم من نقص، فحققوا نتائج رياضية يعجز كثير من الأصحاء عن تحقيقها.

مفاهيم يجب أن تصحح

هذا المشهد الرياضي الذي أثار الجميع جعلني أجزم أن أمثال هؤلاء ليسوا بمعاقين، ولابد من استبعاد بعض المصطلحات التي تدعو إلى الإحباط والاستكانة، مثل: مقعد - مشلول - عاجز - معاق، وغير ذلك من الألفاظ التي تدل على العجز والضعف.

إن هذه الطائفة الناشطة أبرزت مفهوما آخر جديدا لذوي الاحتياجات الخاصة.. إنهم الذين يملكون المواهب الربانية في البدن والعقل كاملة غير منقوصة، لكنهم لم يستخدموها الاستخدام الأمثل، ولم يحرك أي عضو من مكانه بسبب ضعف العزائم، والاعتماد على التقنيات الحديثة كالريموت، وأجهزة التلفونات الذكية التي أضافت معنى جديدا للمسكين -وهو من أسكنته الحاجة- أما الآن

فيضاف إليه هذا المعنى: هو من أسكنته الأجهزة الذكية، وأوقفته عن الحركة، وعن تلبية النداء للصلاة... وأسكنته عن تلبية نداء الوالدين، فأضحى في حالة سكون دائم!!

ذكرني ذلك بمصطلح كان يطلقه جدي - عليه رحمه الله تعالى - على أحد أبنائه فرط في دراسته، وفرط في عمله، وتوقف عن الحركة في الحياة: «خليك نايم في العسل!»

أي عسل يقصد؟!: الكسل والتراخي حتى ترك واجبات الحياة اليومية، إنه النوم في العسل الذي تنهار أمامه المبادئ والقيم، وتتبدل المفاهيم، ويكون الإنسان في كامل سلبيته مع الحياة.

لقد استطاع أصحاب الاحتياجات الخاصة أن يقتحموا المسابقات الرياضية العالمية ويحققوا لبلدانهم إنجازات تعلي شأنهم وتغير مفاهيما ثابتة في الفكر المعاصر، بينما مليارات من البشر لا يحركون ساكنا، السمة الغالبة لحياة كثير منهم السلبية، وعدم تحمل المسؤولية، والاعتماد على الغير. فهناك شعوب تزرع وتصنع وتنتج، وشعوب أخرى تقعد عن العمل وتتلقى مساعدات ومنح لا ترد!

إن النبي ﷺ كان يستعيذ بالله من العجز والكسل، فعن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال» (البخاري - كتاب الدعوات، باب التعوذ من غلبة الرجال/ ٣٦٣٦).

القرآن والمفهوم الحقيقي للإعاقة

إن القرآن الكريم بين لنا أن الأحكام الشرعية مبناها على التيسير، من هنا رفع الحرج عن أصحاب الاحتياجات الخاصة، وخفف عنهم التكاليف الشرعية، لكنه لم يسقط عنهم التكاليف الشرعية.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ (الفتح:١٧).

ومع ذلك رأينا عبدالله بن أم مكتوم يؤذن للصلاة في عهد رسول الله ﷺ، ففي الحديث عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم أن بلالا كان يؤذن بليل، فقال ﷺ: «كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر» (رواه البخاري ١٩١٩/ ومسلم /١٠٩٢).

كما أنه خرج يجاهد في سبيل الله، فعن أنس رضي الله عنه قال: رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم.

إن المفهوم الحقيقي للإعاقة قد بينه القرآن الكريم، إنهم الذين سلمت أبدانهم من الآفات وصحت أجسامهم.. لكنهم لم يستخدموها ويستعملوها فيما خلقت له من النظر والاعتبار والسعي والضرب في الأرض للكسب والاعتبار.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:١٠).

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ (الأعراف:١٧٩).

هذه هي الإعاقة الحقيقية، تعطيل مواهب الله عن العمل، وعدم الاستفادة من السلامة الحسية، وعدم استخدامها الاستخدام الأمثل في العلم والمعرفة والاهتداء والاعتبار والنظر في آيات الله الكونية.

إن القعود عن الحركة والعمل داء عضال يدمر الأفراد والأمم، ومجرد الإحساس بالعجز والشعور الدائم بالكسل يحطم الإنسان، ويعطل مواهبه، ويدمر إرادته، ويعصف بعلو همته، وهي القوة الدافعة والمحفزة على العمل.

والقرآن الكريم دائما يأمر بالحركة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة:١٠).

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣).

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الحديد:٢١).

لو كانت هذه الإرادات والعزائم الصلبة التي رأيناها في هذه الدورة تباع وتشترى لحرصنا على استيرادها، وإذن لتغير وجه العالم!.

القاهرة - نهلة عبدالرحمن
دار الإعلام العربية

يرى أن سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي أعراض جانبية لا مفر منها:

د. أحمد خيري العمري: أمتنا بحاجة إلى فكر مختلف

تخرج من كلية طب الأسنان، لكنه عرف ككاتب إسلامي عبر مؤلفات جمعت بين منحى تجديدي في طرح الموضوعات وأسلوب أدبي مميز. اختير عام ٢٠١٠ ليكون الشخصية الفكرية التي تكرمها دار الفكر في تقليدها السنوي، توصف مؤلفاته بأنها إضافة كمية وكيفية لفكر النهضة الذي يعتبر مالك بن نبي من أهم رواده.. إنه د. أحمد خيري العمري، الذي ينفي في حواره مع «الوعي الإسلامي» ما يروج له كثيرون من وجود حالة عداء بين الإسلام من جهة والثقافة والعلم والحداثة من الجهة الأخرى. ويؤكد العمري أن نزوع البعض إلى الإلحاد يستوجب تعاملا فكريا جادا؛ وذلك بأخذ حججهم وشبهاتهم على نحو جدي. كما حذر من اندفاع الشباب الغيورين إلى مناقشة الملحدين دون امتلاك حجج قوية. إلى التفاصيل:

تخرجت من كلية «طب الأسنان» ومع ذلك عرفت ككاتب ومهتم بالنهضة الإسلامية.. كيف تغير المسار؟

لم يتغير مساري البتة، كنت ولاأزال طبيبا للأسنان وكاتبا في الوقت نفسه، ولا تعارض بين الأمرين؛ لأني أكتب وأنتج في مجال فكري عام يفترض أن يمس حياة كل شخص.

لقد نشأنا على قصص السلف الذين تعددت مناحي نتاجهم واهتماماتهم، لكن عندما يصل الأمر إلى أي معاصر فيستكثر ذلك ويعامل كما لو أنه خرق القوانين. وعلى العكس، الدراسة العلمية تمنح الكاتب في الفكر الإسلامي خلفية مختلفة يمكن أن يرى الأشياء من خلالها بزاوية مختلفة، كما أن العمل في طب الأسنان يجعل الكاتب في احتكاك يومي مع أناس من مختلف الفئات والطبقات، وهذا قد لا يكون متاحا لكاتب أكاديمي يدرس في الجامعة.

نشر العلم والمعرفة

ما أهم كتبك التي تشعر أنها أحدثت فارقا مع القارئ وحققت أهدافها؟

يعتمد الأمر على القارئ؛ فالذي يتفاعل مع وجبة فكرية دسمة سيتفاعل أكثر مع «البوصلة القرآنية» أو «الفردوس المستعار والفردوس المستعاد» أو «سيرة خليفة قادم»، القارئ الذي يحب الروايات سيتفاعل أكثر مع «ألواح ودسر»، القارئ الذي يحب قصص السير سيتفاعل مع «استرداد عمر»، وهذه تصنيفات عامة ربما يندرج ضمنها تصنيفات جانبية؛ ولذا أرغب دوما في التأكيد بأنه لا يمكن تصور وجود ما يرضي كل القراء؛ لأن القراء أنفسهم ليسوا صنفا واحدا ولا يجب أن يكونوا كذلك.

قدمت في رمضان سلسلة فيديوهات موجزة بعنوان «لا نأسف على الإزعاج» وأخرى بعنوان «سبع دقائق لتغيير العالم».. فما فكرة هاتين السلسلتين وموضوعهما؟

سلسلتا «لا نأسف على الإزعاج» و«سبع دقائق لتغيير العالم»، محاولتان مرئيتان للتركيز على قيم سلبية في ثقافتنا وموروثنا «تستند غالبا على فهم خاطئ لنص ديني أو على نص ديني ضعيف أصلا» ومحاولة إحلال قيم مضادة بدلا منها تستمد إيجابيتها من النصوص الدينية.

كيف ترى أهمية وسائل التواصل الاجتماعي في نشر العلم والمعرفة من خلال تجربتك الشخصية؟

أعتقد أن وسائل التواصل الاجتماعي مثل أي وسيلة، يمكن أن تستخدم باتجاهين: سلبي وإيجابي، ويمكن لوسائل التواصل الاجتماعي أن تساهم في نشر العلم والمعرفة، ويمكنها أن تساهم - على العكس - في نشر الجهل والخرافات؛ الأمر يعتمد على مادة التواصل وكيف يتم استخدام الوسيلة، مثلما كان الأمر دوما مع أي وسيلة.

لكن، من المؤكد أن ثمة أشياء كثيرة تغيرت في طريقة التفاعل بين «المصدر» و«المتلقي» عبر هذه الوسائل، وليس كل ما تغير إيجابيا؛ لكن يمكن اعتبار بعض السلبيات أعراضا جانبية لا مفر منها.

الإلحاد.. مواجهة فكرية

تزايدت في الآونة الأخيرة موجات الإلحاد في وطننا العربي.. إذا أردنا أن نعطي معنى أو مفهوما للإلحاد فماذا تقول؟

الإلحاد المعاصر له تعريفان في رأيي: الأول هو الإلحاد بوجود الخالق وعدم

الدراسة العلمية تجعل الكاتب الإسلامي يرى الأشياء من زاوية مختلفة

الإيمان بوجود قوة عاقلة خلقت هذا الكون، والآخر هو الإقرار بوجود الخالق لكن بنفي وجود رسالات سماوية منه؛ وبالتالي هو إلحاد بوجود أي دين حقيقي. وكل إنكار لما دون ذلك لا يمكن أن يعد إلحادا من وجهة نظري.

وهل الإلحاد في حد ذاته ظاهرة أم نتيجة لظواهر مجتمعية أخرى؟

الإلحاد مبدأ فكري، ومثل أي مبدأ فكري آخر لا يمكن إلا أن يكون نتيجة لعوامل متعددة؛ إذ لا مبدأ فكري ينتج من فراغ، ولا توجد وصفة واحدة للوصول إليه، ومن الخطأ افتراض وجود وصفة يمكن أن تنطبق على الجميع. كل ملحد هو حالة خاصة يجب ألا يعامل إلا بصفته الشخصية. هناك عوامل متعددة يمكن أن تؤدي - مجتمعة أو متفرقة - إلى الوصول إلى الإلحاد؛ من ضمنها العوامل الاجتماعية المحيطة، وتتضمن ما ذكرت وأشياء أخرى كثيرة «مثل حالة الإحباط وخيبة الأمل التي أصيب بها الشباب مؤخرًا»؛ لكن العوامل الاجتماعية في رأيي تعمل كخلفية مساعدة للتفاعل المؤدي إلى الإلحاد، من أهم هذه العوامل عجز الأجوبة الرائجة عن الرد على شبهات كثيرة على مستويات مختلفة؛ خاصة على نطاق العلم الحديث.

هل البطالة والفشل في استثمار طاقات الشباب دفع ببعضهم إلى التمرد على واقعهم برفض الثوابت الدينية؟

لا أعتقد أن التوصيف السابق يناسب حالات الحادية كثيرة؛ فهناك ملحدون شباب لا يعانون من بطالة على أي مستوى، وهناك مؤمنون يعانون منها؛ فهل يكون الإيمان هنا مرتبطا بالبطالة؟ بعبارة أخرى: إذا كنا سنختزل الأمر في قصة البطالة وملء وقت الشباب فسنجد من يربط الإيمان نفسه بذلك وسيقول إنه وسيلة لتقضية الوقت أو للتخدير عن واقع سيئ. والواقع في أغلب الدول والمجتمعات العربية والإسلامية سيئ فعلا، وسيكون من الصعب إنكار ذلك؛ ومن الطبيعي، بل ومن الضروري والصحي؛ أن يرفض الشباب هذا الواقع. المسألة هنا هل الثوابت الدينية مسؤولة عن سوء هذا الواقع!

الملحدون نوعان: نوع باحث بشغف عن إجابات لأسئلة لم يجبه عنها أحد ونوع رافض لقيم مجتمع أو فكر، ويرى في الإلحاد سبيلا للتمرد على الواقع. هل توافق على هذا التصنيف أم لديك تصنيف آخر؟

الملحد، في التعريف، أكمل بحثه وأعلن ما توصل إليه؛ لذا فهو ليس باحثا

بشغف، ربما «اللا أدري» ينطبق عليه صفة البحث، علما بأن المؤمن نفسه يجب أن يستمر أيضا في البحث.

بشكل عام، هناك نوعان من الملحدين: الأول الملحد «العقلي/ الفكري» المجرد، الذي ألحد لأسباب عقلية تجريدية (فلسفية) أو لأسباب علمية. والآخر الملحد النفسي، الذي ألحد كرد فعل أو كنتيجة لإحباط أو نتيجة لنشأته في ظروف معينة بالغة التطرف (دينيا أو لا دينيا تماما).

هناك أشياء كالموت والمرض وبعض الأحداث القدرية تجري تبعا لمشيئة الله، ألا يفكر الملحد في حاجته إلى قوى أعظم منه يلجأ إليها؟

يصعب علينا تخيل الأمر، لكن يبدو أن الأمر لا يصعب عليهم. سيكون سهلا أن ندعي أنهم يكابرون، ينكرون، وأنهم في لحظة ما سيشعرون بالحاجة إلى الله؛ لكن - ببساطة - لا يمكن لنا أن نجزم بذلك، لا يمكن لنا أن نعرف ماذا في قلوبهم، كل ما يبدو لنا هو أن الأمر أقل أهمية بالنسبة إليهم.

الإلحاد ليس شيئا جديدا لكي نستغرب هذا، دوما كان هناك من لا يؤمن بالله أو بالحساب؛ لذا علينا أن لا نستهول الأمر. مادام هناك إيمان فسيكون هناك إلحاد؛ المهم أن نتخذ (نحن) الموقف الصواب.

من يتصدى للملحدين؟

هل هناك موقف من خلال تجربتك الحوارية مع الملحدين تريد أن تشاركنا به؟

هناك موقف متكرر جدا، كلما كنت في نقاش مع ملحد على «الفيسبوك» وكان الحوار يسير على نحو جيد دخل بعض المؤمنين ليخربوا النقاش... يحدث أغلب الأوقات؛ فبعض الشباب تأخذهم الغيرة على دينهم فيندفعون لمجادلة الملحدين بغير علم فيقعون في الشكوك.

إذن، ما السمات التي يجب توافرها في من يتصدى للحوار مع الملحدين؟ وكيف يؤهل نفسه علميا وروحيا؟

«النقاش من دون علم»، وأحيانا «الإفتاء من دون علم»، ظاهرة منتشرة جدا بين الشباب وعواقبها وخيمة؛ سواء كان موضوع النقاش عن الإلحاد أو المجموعة الشمسية أو السياسة الدولية.

من يرغب في التصدي للحوار مع الملحدين عليه أن يتخلص أولا من نفسية «التصدي»؛ لأن الحوار ليس مبارزة، بل هو محاورة وفهم وتحديث مستمر لوجهات النظر. بعد ذلك عليه أن يكون جادا جدا في الأمر، حتى لو كان الملحد أمامه غير جاد. عليه أن يكون مطلعا على الحجج السائدة والخلفيات الثقافية التي تصدر عنها وأن لا يستسهل الاستهزاء والتسخيف، وأن يقرأ عن النظريات المضادة من مصدر محايد على الأقل.

عليه كذلك أن يفهم «المغالطات المنطقية» السائدة في الكثير من النقاشات، سواء في موضوع الإلحاد أو سواه، لكن الانتباه إليها هنا وتخليص الحوار منها له أثر إيجابي حاسم ملحوظ.

أحب أن أنوه هنا إلى شيء مهم: لا فائدة كبيرة في جدال الملحد المقتنع الذي ارتاح لما توصل إليه والذي لم يطلب المساعدة من أحد، التدخل هنا يوحي بدور الوصاية الفكرية الذي ربما هرب منه أصلا. الفئة المستهدفة من الأفضل أن تكون الفئة التي لم تجد الراحة تماما في إلحادها، أو المترددة بين الإلحاد أو الإيمان.

هل من كتب أو مواد فيلمية تنصح بها في هذا الشأن؟

للأسف المادة السائدة حاليا غير مفيدة كثيرا، بعضها يناقش قضايا فلسفية لا يستخدمها الملحدون الجدد، وبعضها يسطح ويتفه قضايا الإلحاد على نحو مخل، ولا يمنع هذا من وجود كتب مهمة.

من جانبي، أعمل حاليا على إنجاز كتاب عن الأمر، آمل أن يساهم - مع كتب أخرى - في سد الشاغر الموجود حاليا.

إذن.. ما السبيل إلى حل «مشكلة الإلحاد»؟

علينا أن نتخلص أولا من تسطيح أسباب الإلحاد والتعامل مع الملحدين على أنهم مشكلة، هذا لا يزيد الأمور إلا سوءا. الإلحاد موقف فكري، علينا أن نتعامل معه فكريا وبجدية، علينا أن نأخذ حججهم وشبهاتهم على نحو جدي.

بعض الملحدين غير جادين في إلحادهم، وربما يتبعون الإلحاد كتمرد مراهق عبثي؛ لكن لا يمكننا الحكم على ذلك ماداموا لا يصرحون به. علينا أن نستمر في أخذ الإلحاد بجدية وتقديم أجوبة جادة ورصينة تحترم عقل المتلقي.

فكر مختلف

تعالت في الآونة الأخيرة أصوات منادية بتجديد الخطاب الديني.. من وجهة نظرك، ما الذي تحتاجه أمتنا للنهوض من سباتها؟ وكيف يلامس هذا الخطاب أرض الواقع التي يصطدم بها شباب الأمة؟

لا أؤمن بجدوى تجديد الخطاب، بل أؤمن بضرورة تجديد الفكر، والفرق كبير.

وما الذي تحتاجه أمتنا للنهوض؟

تحتاج أن تتبنى فكرا مختلفا تماما عن فكر القعود السائد حاليا، رغم صعوبة هذا!

أخيرا، هل الإسلام والثقافة والعلم في حالة عداء؟ وهل علينا أن ننحي الدين جانبا ونؤمن فقط بالعلم والثقافة كما فعلت أوروبا لتحقيق نهضتها؟!

الإسلام ليس في حالة عداء مطلقا مع العلم والثقافة والحداثة.. لكن يمكن القول إن هناك فهما معينا من جانب البعض هو الذي يعزز هذا العداء.

الوعي الإسلامي

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

السنوسي محمد السنوسي
كاتب وباحث إسلامي

السياحة في الأرض والكون.. دعوة قرآنية

يتعامل الإسلام مع بني الإنسان على أنهم كيان واحد، وتاريخ متصل، وحلقات مترابطة، يتبع بعضها بعضا، لا انفصال ولا انقطاع؛ ولهذا فقد أمرنا القرآن الكريم بالسير في الأرض للنظر في أحوال السابقين؛ لأخذ العبرة والدرس، ومشاهدة كيف تكون المصائر، الحسنة والقبيحة.

قبل أن نتطرق إلى دلالة الأمر القرآني بالسير والاعتبار، نشير إلى أن هذا المنهج في النظر للمسيرة البشرية – من حيث كونها متصلة مترابطة – يخالف ما اعتادت عليه مذاهب وفلسفات وضعية ترى في بني البشر حلقات غير متصلة، وطبقات غير متساوية؛ فهي – أي المذاهب والفلسفات الوضعية – لا تعترف إلا بذواتها ومن يدور في فلكها، وتحسب نفسها مركز الكون ومدار الأحداث!

وهذه النظرة العنصرية؛ المنحازة لجنس دون جنس، والمعترفة بالحقوق المعنوية والمادية لفئة دون أخرى؛ هي النظرة التي تحكمت في الحضارة الغربية منذ عقود، ومازالت آثارها ممتدة في واقعنا المعاصر، وتحول دون قيام حوار جاد متكافئ بين عالمي الشرق والغرب، أو الشمال والجنوب، أو الإسلام والغرب.

الاعتبار بتجارب السابقين

نعود إلى حديث الإسلام المستفيض عن السياحة في الأرض، فنقول: إن الدعوة إلى السير في كون الله الفسيح، ومطالعة أحوال من سبق، صالحين كانوا أم فاسدين؛ هي دعوة قرآنية بامتياز، تكررت في آيات القرآن الكريم بسياقات متعددة، تخلص جميعها لتأكيد حاجة الإنسان الماسة لأخذ العبرة ممن سبقه؛ فتاريخ البشرية سلسلة متصلة، ومشكلات الإنسانية – على مستوى الأفراد والجماعات – تتشابه في الكثير منها لدرجة التطابق.

ومادام الأمر هكذا، فمن العبث وإهدار الطاقات أن يغفل الإنسان عن تحصيل عبرة مبذولة دون مشقة – إن هو تأمل تجارب السابقين – ثم يصر على أن يبدأ الطريق من أوله، كأن أحدا لم يسر عليه من قبل!

ففي أعقاب غزوة أحد، التي كانت درسا قاسيا، يتنزل القرآن الكريم آمرا بالسير في الأرض، والنظر في سنن الله وقوانينه، التي تحكم مسيرة البشرية، في النصر والهزيمة؛ فقال:

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾

(آل عمران:١٣٧-١٣٨). أي «قد مضت من قبلكم أحوال للأمم، جارية على طريقة واحدة، هي عادة الله في الخلق.. وأريد النظر في آثارهم؛ ليحصل منه تحقق ما بلغ من أخبارهم، أو السؤال عن أسباب هلاكهم، وكيف كانوا أولي قوة، وكيف طغوا على المستضعفين، فاستأصلهم الله؛ لتطمئن نفوس المؤمنين بمشاهدة المخبر عنهم مشاهدة عيان، فإن للعيان بديع معنى؛ لأن المؤمنين بلغتهم أخبار المكذبين، ومن المكذبين عاد وثمود وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس؛ وكلهم في بلاد العرب يستطيعون مشاهدة آثارهم، وقد شهدها كثير منهم في أسفارهم» (١).

وفي الآية أيضا – كما يقول ابن عاشور – دلالة على أهمية علم التاريخ؛ لأن فيه فائدة السير في الأرض، وهي معرفة أخبار الأوائل، وأسباب صلاح الأمم وفسادها. وهذا السير ينقسم – كما قال ابن عرفة – إلى حسي ومعنوي؛ والمعنوي هو النظر في كتب التاريخ بحيث يحصل للناظر العلم بأحوال الأمم (٢).

ويرى الإمام محمد عبده أن المعرفة التي يحصلها الإنسان من السياحة في الأرض ومن مشاهدة آثار السابقين، هي أعلى في الدلالة على السنن الإلهية من نظيرتها التي يحصلها من المطالعة النظرية؛ فيقول كما ينقل عنه صاحب «تفسير المنار»: «نعم، إن النظر في التاريخ – الذي يشرح ما عرفه الذين

ساروا في الأرض، ورأوا آثار الذين خلوا - يعطي الإنسان من المعرفة ما يهديه إلى تلك السنن، ويفيده عظة واعتبارا؛ ولكن دون اعتبار الذي يسير في الأرض بنفسه، ويرى الآثار بعينه؛ ولذلك أمر بالسير والنظر» (٣).

ولاشك أن المرء حين يطالع آثار السابقين، أو حين يرى منجزات الآخرين المعاصرين له - مما هو لازم من لوازم السير في الأرض، بمعنييه الحسي والمعنوي - فإنه سيجد نفسه أمام أفكار وأعراف وقيم وتقاليد وتجارب تتفق مع ما يعرف ويألف من جهة، وتختلف من جهة أخرى.

وهنا، نشير إلى أن المسلم ليست لديه ابتداء أي حساسية تجاه الآخرين؛ فالإسلام دعوة عالمية للناس جميعا، وهو يقرر المساواة والندية بين بني آدم، ويهدف لتعارفهم والتقائهم على كلمة سواء؛ وبالإضافة لهذا، فإنه يحض أتباعه على نشدان الحكمة أيا كان قائلها (٤).

الاعتبار ببدائع الكون

كما أن المسلم بحاجة للسير في الأرض لينظر في أحوال من سبقه، ويقف على ما بها من عبر وعظات ودروس؛ فإنه أيضا بحاجة لسير آخر، وهو السير في الأرض ليتأملَ بدائع صنع الله في الكون، وليرى دلالة هذه البدائع والتجليات - لقدرة الله وقيوميته - على إمكانية إعادة الخلق مرة أخرى؛ فمن خلق من عدم قادر على الإعادة، كما أن بدء الخلق وإعادته سواء عند الله جلت قدرته، لا يعجزه خلق ولا إعادة.

وقد أمر القرآن الكريم بهذا النوع الثاني من السير في الأرض، بقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:٢٠).

إن من يقدر على خلق هذا الكون من عدم، وعلى إنشائه وإبداعه على هذا النحو من النظام والانتظام، بحيث لا ينبغي لشيء أن يخرج عما حدد له؛ لهو قادر على إعادته كما بدأه.. هكذا يخلص العقل المتدبر، الذي لم تحجبه شوائب الفكر المعوج عن رؤية الآيات الباهرات المبثوثة في الكون، الدالة على طلاقة قدرة الله سبحانه، وعلى صنعه المتقن غاية الإتقان.

ومن نافلة القول أن نلفت النظر إلى أن المسلم يرتبط مع الكون بعلاقة متميزة ومتمايزة عن علاقة الآخرين به؛ فبينما تقوم علاقة الفلسفات والمذاهب المادية بالكون على مفاهيم الصراع والقهر، ومن ثم الاستنزاف والاحتكار؛ فإن علاقة المسلم به تقوم على مفاهيم التسخير والانتفاع والرعاية؛ فالكون مسخر من الله سبحانه للإنسان؛ الذي بدوره يحافظ عليه، ويراه نعمة من الخالق سبحانه، تستوجب الشكر للمنعم، والعناية بالنعمة وبذل ثمراتها للآخرين.

كما أن تدبر جمال صنعة الله، ومشاهدة التناسق البديع في الكون؛ بما فيه من أنهار ومحيطات ونباتات وحيوانات وجمادات، وعوالم متناهية الصغر، وأخرى ضخمة الأحجام، وملاحظة كل ذلك بعين الدقة؛ هو الخطوة الأولى في سلم المنهج التجريبي؛ الذي يتأسس على المشاهدة والملاحظة والتجربة والاستقراء والاستنتاج.. ذلك المنهج الذي أبدعه العلماء المسلمون أمثال جابر بن حيان والحسن بن الهيثم، وشادوا به حضارة زاهرة في مختلف العلوم والفنون؛ ثم ورثه منهم الغرب فأقام عليه حضارته المعاصرة، بعد أن كان أسلافهم من اليونانيين وغيرهم يعتمدون بصورة أساسية على المنهج النظري والعقلي.

إن الإسلام لأنه دين عالمي لا يعرف التقوقع في بيئة معينة، ولا الانحصار في جنس دون آخر؛ فإن الدعوة للسياحة في الأرض تجد لها سندا قويا من آياته ومقاصده.

بجانب ذلك، فإن أية وسيلة من شأنها أن تقوي صلة المسلم بربه سبحانه، وأن تزيد من وعيه بأغوار التاريخ وآفاق المستقبل؛ هي وسيلة مهمة وضرورية، تكتسب أهميتها وضروريتها من نبل الغاية التي تسعى إليها، ومن شرف المقصد الذي تنشده؛ وأي غاية أسمى وأي مقصد أجل من مطالعة آثار الله المبثوثة في الأرض، ومن إدراك سننه وقوانينه التي لا تتبدل، في خلقه وكونه على حد سواء.

الهوامش

١- تفسير «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، سورة آل عمران، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٢- المصدر نفسه، بتصرف يسير.

٣- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، سورة آل عمران، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٤- جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الفتوى رقم (٢١٠١٠)، بشأن حديث: «الحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها يأخذها»: «هذا الحديث روي بألفاظ متقاربة؛ منها: ما خرجه الترمذي في (جامعه) من طريق إبراهيم بن الفضل المدني عن المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها». ورواه أيضا ابن ماجه في «سننه»، والعقيلي في «الضعفاء»، وابن عدي في «الكامل»، وابن حبان في «المجروحين».

والحديث ضعيف جدا، لا تصح نسبته للرسول ﷺ؛ لأن في إسناده إبراهيم بن الفضل المدني، وقد أجمع علماء الحديث على تضعيفه...

وأما معنى الحديث فتشهد له عمومات النصوص، وهو أن الكلمة المفيدة التي لا تنافي نصوص الشريعة ربما تفوه بها من ليس لها بأهل، ثم وقعت إلى أهلها؛ فلا ينبغي للمؤمن أن ينصرف عنها، بل الأولى الاستفادة منها والعمل بها من غير التفات إلى قائلها». أ.هـ. (نقلا عن موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء).

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

سياحة العلوم .. واجب شرعي

اشتهر العرب قبل الإسلام بحب السفر والترحال إلي خارج شبه الجزيرة العربية لأغراض مختلفة، ولعل في مقدمتها السفر والترحال من أجل التجارة، ولذلك كانت أشهر رحلاتهم التي جاء ذكرها في القرآن الكريم رحلتي الشتاء إلى اليمن والصيف إلى الشام، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢﴾ (قريش:١-٢).

وعندما جاء الإسلام أمر المسلمين بالسعي والتنقل بين أرجاء المعمورة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥)

يقول صاحب أضواء البيان في تفسير القرآن في تفسيره لهذه الآية: «والأمر في قوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ للإباحة ولكن التقديم لهذا الأمر بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا﴾ فيه امتنان من الله تعالى على خلقه مما يشعر أن في هذا الأمر مع الإباحة توجيها وحثا للأمة على السعي والعمل والجد، والمشي في مناكب الأرض من كل جانب لتسخيرها وتذليلها، مما يجعل الأمة أحق بها من غيرها» (١).

ولا خلاف في أن السعي في طلب العلم على تعدد فروعه ومجالاته الشرعية والإنسانية والطبيعية، في مقدمة أسباب تسخير الأرض وتذليلها، وبالتالي تمكين وسيادة الأمة التي ينجح أبناؤها في ذلك على الأمم الأخرى.

فضل السياحة في طلب العلم

حث الإسلام على طلب العلم وبذل الجهد وقتا ومالا في تحصيله، وقد ربى النبي ﷺ صحابته الكرام رضوان الله عليهم على ذلك الخلق، وتبعهم التابعون على ذلك، وسار على نهجهم سلف الأمة. فالسعي في طلب العلم من أجل القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه، ولذلك أعلى الله سبحانه مكانة العلماء في آيات الذكر الحكيم، منها قوله تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ (المجادلة:١١)، وفي فضل العلم وشرف السعي في تحصيله أحاديث نبوية كثيرة، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» (مسلم).

فالسياحة في طلب العلم جعلت من العالم قرية صغيرة، سقطت معها كل الحدود، وقصرت في سبيله المسافات في نظر طالب العلم، يجوبها شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، من أجل تحصيل العلم، وفي مقدمتها جهود طلاب العلم الشرعي الذين أفنوا أعمارهم وأنفقوا أموالهم من أجله، فصاروا علماء حفظوا للأمة عقيدتها صافية نقية، كما وقفوا سدا منيعا في وجه أصحاب الفتن والأهواء، فردوا عليهم شبهاتهم وفندوا أباطيلهم، ومازال أهل العلم وطلابه حتى وقتنا هذا عيالا عليهم، يدورون في فلك ما خلفوه وورثوه من علم، تعلما وتعليما وشرحا وتأليفا.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم مولعين بالرحلات في طلب العلم بما يفوق الوصف والتقدير، فقد كان أحدهم يتجشم مشقة سفر يستمر شهرا لأجل طلب حديث واحد فقط، أو لمجرد التثبت منه، وما كان يقر لهم القرار حتى يحفظوه بعد ما سمعوه أو يتثبتوا منه (٢).

وما زالت كتب التاريخ وسير الأعلام تحفظ لنا تراجم لهؤلاء العظام من أهل العلم وكيف حصلوه، فمن يطالع سير البخاري ومسلم والترمذي على سبيل المثال، يعرف كيف كان دأب وجد هؤلاء العظام وترحالهم من أجل طلب العلم، أو التأكد من صحة حديث، أو سماعه من أحد رواته.

ولك أن تعمم نفس الوصف من الدأب والجد والترحال على كل علماء الأمة ومن سار على نهجهم واقتفى آثارهم في عصرنا الحالي، فالسياحة بين البلدان معلم مميز ومشترك بين أهل العلم في كل عصر من العصور.

مطلب حضاري

رغم ما تتمتع به الأمة الإسلامية من ثروات كثيرة ومتنوعة حباها الله إياها، وما تتمتع به من ثروة بشرية، لعل في مقدمتها ثروة العقول الذكية والنابهة التي يتمتع بها الكثيرون من أبناء الأمة الإسلامية، إلا أن الأمة مازالت تقبع في ذيل الأمم، متخلفة عن ركب الحضارة والتقدم العلمي، عالة عليهم، تتسول منتجاتهم وإبداعاتهم في مختلف مجالات العلوم والتكنولوجيا، وأصبحت بلادنا سوقا لمنتجاتهم، بل بلغ الضعف بالأمة مداه عندما تستعين بأبناء الأمم الأخرى ليقودوها في عقر دارها مديرين ومسيرين لشؤونها، مقررين لها تعليمها وثقافتها وسياستها واقتصادها، وما يجب وما لا يجب أن تفعله.

والحالة التي عليها الأمة الآن تجعل من طلب العلم في البلاد المتقدمة علميا وحضاريا سبيلا من أهم سبل إفاقة الأمة من غفوتها ونهوضها من كبوتها، فيجب توجيه بوصلة طلاب العلم من المسلمين نحو دراسة وإتقان العلوم الطبيعية بكافة أنواعها وتطبيقاتها في مجالات الفيزياء والكيمياء والأحياء، والجيولوجيا، وعلوم الفضاء، وكذلك العلوم الطبية، والتكنولوجيا بكافة تطبيقاتها ومجالاتها، وعلوم الذرة، والعلوم العسكرية فكرا وصناعة، وغير ذلك من العلوم التي تفوق فيها الآخرون، وما زالت الأمة في حاجة إليها.

دراسة لأحوال المجتمعات

يعتبر السفر والابتعاث من أجل الدراسة وطلب العلم في البلاد المتقدمة نوعا من أنواع الاتصال الاجتماعي المباشر بهذه المجتمعات ومعايشتها عن قرب، مما يتيح الفرصة لدراسة أحوالها، وتحليل وتصنيف مكونات بنائها الاجتماعي والثقافي والتعليمي والسياسي والاقتصادي، وبيان عوامل القوة والضعف فيها وأسبابها، مما يجعلنا نحصل على معلومات ودراسات تفصيلية موثقة، عن نوعية وأشكال العلاقات بين أفرادها وجماعاتها، كيف يتشكل الرأي العام؟ وطرق مخاطبته، العادات والتقاليد، والأنماط الثقافية السائدة، ونظام الحكم، ومن يحكم وكيف؟ وعلى جانب آخر يتم توصيف كامل لما تمتع به هذه المجتمعات، من ثروات طبيعية وبشرية، وكيفية إدارتها وتنميتها.

أهم مشكلات السائحين

تنفق الحكومات والأفراد الكثير على البعثات الدراسية إلى الدول

المتقدمة، ولا يكاد يخلو بلد من بلدان الأمة الإسلامية من طلاب ابتعثتهم حكومات بلادهم، أو سافروا على نفقتهم الشخصية من أجل الدراسة واكتساب الخبرات والمهارات العلمية والتطبيقية في جامعات ومعاهد الدول المتقدمة، ويقع أمر الابتعاث والسفر إلى الدول المتقدمة في طلب العلم من الأهمية بمكان، مما يتوجب معه وضع ضوابط وشروط لابد من تطبيقها والتزام المبتعثين بها.

فأمر الابتعاث والسفر لطلب العلم ليس بالسهولة التي نتصورها، ولكنه أمر معقد ومتشابك لتداخل الكثير من الأمور والاعتبارات فيه، مما يجعل طالب العلم المسلم يتعرض لكثير من الضغوط والمشكلات، نجملها في عدة أمور كلية هي:

أولا: طلب العلم يمثل في البداية العيش في ظل حضارة تختلف عقديا وفكريا وأخلاقيا واجتماعيا في المقام الأول عن روافده الحضارية عقديا وفكريا وأخلاقيا واجتماعيا، فضلا عن تقدم حضارة الغرب علميا وتقنيا، مما قد يحدث صدمة حضارية للطالب المسلم، تجعله يفكر ويقارن بين أحول بلاده وماهي عليه، وما يراه ويعيشه من واقع البلاد المتقدمة، فيرى فيها أن كل شيء مباح، فرغم ما يشاهده من مظاهر لانحلال أخلاقي، وتفكك اجتماعي، وفساد عقدي وفكري، إلا أن هذه المجتمعات متقدمة وسائدة، ونلهث للحاق بها، وندور في فلكها، ونحن رغم عقيدتنا وقيمنا إلا أننا ما زلنا في حالة بائسة من التخلف والضعف، وهذه الحالة قد تجعله يعتقد أن سبب تخلفنا وضعفنا يرجع إلى الدين وما به من ضوابط واحكام شرعية.

ثانيا: تعرضه لضغوط نتيجة لرغبة وطمع الدولة التي يدرس فيها في تملك نتائج أبحاثه ومخترعاته، ولاسيما إذا كانت في المجالات التي تتحكم في ميزان القوى بين الدول، مثل علوم الذرة والفيزياء والكيمياء والفضاء وتكنولوجيا الاتصالات، وغيرها من العلوم التي لها تطبيقات عسكرية.

ثالثا: الوقوع في شراك الشبهات العقدية والفكرية، التي تثار في وجه الطلاب المسلمين، ولا سيما دارسي العلوم الإنسانية.

فالسفر على أهميته ودوره المنتظر في تقدم الأمة، إلا أنه قد ينتج أجيالا صنعهم الغرب على عينه، ليكونوا عونا لهم على أمتهم وبني جلدتهم، ولا غرو فقد حدث ذلك منذ أن بدئ بابتعاث أبنائنا للدراسة في أوروبا، فعادوا محملين بأفكار وأحقاد تشكك في أمور الإسلام، وتثير الصراعات بين أبناء الأمة، ويحمل لنا التاريخ أسماء الكثيرين من أمثال هؤلاء، تسموا بأسماء المسلمين، وحوت صدورهم قلوبا تنبض كفرا، وعقولا تنتج الشبهات والبدع والمذاهب الفكرية الهدامة، والتي تتعارض مع عقيدة المسلمين وثوابتهم، وما زالت أصداء هذه الأفكار يتردد صداها إلى الآن.

واجب الحكومات

يقع على عاتق حكومات الدول الإسلامية التي يخرج أبناؤها للدراسة وطلب العلم في الدول المتقدمة أن تولي رعاية خاصة بهذه الفئة، نظرا لما يمكن أن تتعرض له من مواقف ومشكلات على نحو ما بينا، قد تؤثر في عقيدتهم وهويتهم واتجاهاتهم تجاه قضايا بلادهم وأمتهم، ولذلك يجب اتخاذ مجموعة من التدابير الوقائية لحمياتهم ونجاح مهمتهم الدراسية، منها:

أولا: عقد دورات تثقفية شرعية على يد مجموعة من أهل العلم المعتبرين، الذين لهم باع في دحض ورد الشبهات التي قد يتعرض لها أبناؤنا أثناء دراستهم في الدول المتقدمة، وبيان فضل الدين الإسلامي في بناء الحضارة الإسلامية، والتأكيد على أن ما يعيشه المسلمون اليوم من ضعف وانكسار إنما هو محصلة للتفريط في أمر دينهم، وأن ما به الغرب اليوم من حضارة إنما هو بفضل تحررهم من هرطقات دينهم وتحررهم من سلطة رجال الدين والكنيسة.

ثانيا: بيان فضل السفر في طلب العلم، وأنه في مهمة شرعية، ممثلا لدينه وأمته.

ثالثا: بيان فضل الحضارة الإسلامية وما قدمه علماؤها على الغرب وحضارته، مع بيان الفروق بين الحضارتين عقديا وأخلاقيا في المقام الأول.

رابعا: توضيح المشكلات الاجتماعية والقانونية والأمنية التي يمكن أن يتعرضوا لها، وكيفية التعامل معها بصور صحيحة، والخروج منها.

خامسا: أن تتابع سفارات الدول الإسلامية في الخارج أبنائها الدارسين، بالاتصال الدائم معهم، وعقد الاجتماعات الدورية، للاطلاع على أحوالهم وما وصلوا إليه من تقدم في دراستهم، والعمل على تذليل ما يعترضهم من صعاب ومشكلات، وتقديم الدعم اللازم لهم.

سادسا: أن تعمل الدول الإسلامية على حماية النابهين من أبنائها والذين لهم باع في مجال المخترعات والاكتشافات التي يحتكرها الغرب، ولها تأثير في تغيير ميزان القوى لصالح المسلمين، وتبني الدول الإسلامية لهذه المخترعات وتنفيذها.

سابعا: أن يقتصر السفر في طلب العلم بالخارج على دراسة العلوم الطبيعة الطبية والتقنية بكافة تخصصاتها، ووضع ضوابط لدراسة العلوم الأخرى، ولا سيما ما يرتبط منها بأمور الدين والعقيدة.

الهامش

(١) سيرة الإمام البخاري، سيد الفقهاء وإمام المحدثين لعبد السلام المباركفوري، ترجمة عبد العليم بن عبد العظيم البتوي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المرمة، (١٤٢٢هـ) (ص ٧٨)

د. مسعود صبري
دكتوراه في الفقه

فقه السفر لطلب العلم

الرحلة في طلب العلم قديمة قبل الإسلام، فقد عرف عن كثير من العلماء في الحضارات السابقة أنهم سافروا لطلب العلم، غير أنه ما اشتهرت أمة من الأمم، ولا عرف عن حضارة من الحضارات أن علماءها رحلوا في طلب العلم وتغربوا عن الأوطان مثلما عرف عن حضارة الإسلام وأمته، بل إن المتصفح لتاريخ الإسلام قلما يجد عالما من العلماء لم يرحل من بلده إلى بلاد أخرى لطلب العلم.

فكان من عادة من يطلب العلم أن يطلبه من علماء بلده أولا، ثم لا يكتفي بذلك، بل يرحل إلى بلاد أخرى حتى يأخذ العلم على أيدي هؤلاء العلماء في تلك البلاد، لينهلوا من معين علمهم، وليطلعوا على معارف أكثر، ويقفوا على مناهج أخرى في طلب العلوم.

أول من رحل للعلم في الإسلام

كان الصحابة، رضوان الله عليهم، أول من رحل لطلب العلم، فقد كانوا يسافرون من مدنهم إلى رسول الله ﷺ، فربما مكثوا معه فترة طويلة في طلب العلم، ثم يرجعون إلى أوطانهم.

وتعد أكثر الرحلات العلمية في تاريخ الإسلام ما كان في السنة التاسعة والعاشرة من الهجرة، حيث كانت الوفود تجيء إلى النبي ﷺ تعلن إسلامها ثم تتزود بالعلم من النبي ﷺ.

ومن أقدم الرحلات في طلب العلم في السنة التاسعة من الهجرة رحلة بعض الصحابة من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فقد قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، ومكثوا عنده عشرين يوما ثم أمرهم الرسول ﷺ بالرجوع إلى أهليهم ليعلموهم، ويروي أحدهم وهو مالك بن الحويرث رضي الله عنه فيما أخرجه البخاري ومسلم، قال: أتينا النبي ﷺ، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه - وكان رقيقا رحيما - فقال: «ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم».

بل إن النبي ﷺ تنبأ بكثرة الرحلات العلمية، فوصى الصحابة بطلاب العلم الذين سيأتون إليهم من بقاع الأرض، فكانت رحلات التابعين إلى الصحابة رضوان الله عليهم، الذين حفظوا وصية رسول الله ﷺ بمن رحل في طلب العلم، فقد أخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هارون العبدي قال: كنا نأتي أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فيقول: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس لكم تبع، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم، فاستوصوا بهم خيرا».

ويتعلق بالرحلة في طلب العلم عدة أحكام، من أهمها:

المسألة الأولى: حكم السفر في طلب العلم

السفر في طلب العلم قد يكون فرض كفاية، وقد يكون مندوبا إليه.

الحالة الأولى: أن يكون السفر في طلب العلم من فروض الكفاية:

وذلك إذا كان العلم المطلوب لا يوجد في البلد الذي يسكن فيه طالب العلم، وأن المسلمين بحاجة إليه، أيا كان هذا العلم، سواء تعلق بأمور الدين أم بأمور الدنيا. قال القرطبي في تفسيره: ٨/٢٩٣-٢٩٥: في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢):

«أصل في وجوب طلب العلم، وقول مجاهد وقتادة يقتضي ندب طلب العلم والحث عليه، دون الوجوب والإلزام، وإنما لزم طلب العلم بأدلته».

والأمر كما قال الإمام الشاطبي في مقدماته في الموافقات إلى من تتوجه فرض الكفاية؟ فقال: إنه يتوجه إلى الأمة من حيث الطلب الكلي، لكنه يتوجه إلى من عنده القدرة على تحصيله، فيكون فرض عين في حقهم.

الحالة الثانية: أن يكون طلب العلم مندوبا، وذلك إذا كان في البلد من تحصل العلم، فيزيد المسافر في طلب ذلك العلم عدد المسلمين فيه، أو يكون من العلوم غير اللازمة، فيكون السفر والرحلة في طلب ذلك العلم مما هو مندوب إليه.

هذا في حق الرجل.

المسألة الثانية: سفر المرأة لطلب العلم

أما سفر المرأة لسفر العلم فله حالات، منها:

الحالة الأولى: أن تسافر مع محرمها لطلب العلم، فيكون حكمها في هذا حكم الرجل، وهو سفر مشروع.

الحالة الثانية: سفر المرأة لطلب العلم بدون محرم:

وهو مما اشتهر في أيامنا، وكثر، حتى أضحى الإنكار عليه واضحا، وكأن الأصل عند الناس جواز السفر بلا نكير من أحد.

وقد ذهب الفقهاء إلى أنه ليس للمرأة أن تسافر لغير الفرض كحج التطوع والزيارة والتجارة والسياحة وطلب العلم، ونحو هذا من الأسفار التي ليست واجبة إلا مع زوج أو محرم.

قال النووي في شرح النووي على مسلم ٩ / ١٠٤: «اتفق العلماء على أنه ليس لها أن تخرج في غير الحج والعمرة إلا مع ذي محرم، إلا الهجرة من دار الحرب، فاتفقوا على أن عليها أن تهاجر منها إلى دار الإسلام وإن لم يكن معها محرم، والفرق بينهما أن إقامتها في دار الكفر حرام إذا لم تستطع إظهار الدين وتخشى على دينها ونفسها، وليس كذلك التأخر عن الحج فإنهم اختلفوا في الحج هل هو على الفور أم على التراخي».

لكن إن كان سفر المرأة في صحبة مأمونة ولم تخش على نفسها الأذى في نفسها أو عرضها، جاز لها السفر مع تحقق الأمن لها، فقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/١٧٨): «إذا كانت إقامتها بدون محرم مع جماعة مأمونة من النساء من أجل تعلم الطب أو تعليمه، أو مباشرة علاج النساء جاز، وإن خشيت الفتنة من عدم وجود زوج أو محرم معها في غربتها لم يجز. وإن كانت تباشر علاج رجال لم يجز إلا لضرورة مع عدم الخلوة».

وهذا ربط للحكم بعلته ومراعاة لمقصده، فإن الأحكام على نوعين، أحكام مقصودة لذاتها، وأحكام مقصودة لغيرها، فأما المقصود لنفسه فلا يتغير حكمه في الغالب؛ لأنه مقصود وقوعه وإتيانه، وأما المقصود لغيره فيتغير حسب علته، فإن منع المرأة من السفر ليس منعا لذاته، وإنما هو من باب المحافظة عليها، وذلك مراعاة لضعفها، وعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها

في الغالب، فإن خشيت المرأة على نفسها الأذى في جسدها أو عرضها؛ حرم عليها السفر وحدها، لأن وجود المحرم مظنة الحفاظ عليها، فإن زالت علة المنع؛ عاد الحكم للإباحة، وهو الجواز، وعليه اعتمدت فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء.

المسألة الثالثة: نوع العلم الذي يسافر إليه

قسم الشاطبي العلم إلى ثلاثة أقسام:
الأول: صلب العلم، والثاني: ملح العلم، والثالث: ما ليس صلبا ولا ملحا.
فالنوع الأول: قد يكون السفر إليه واجبا، لأنه - كما قال الشاطبي - ما كان قطعيا أو راجعا إلى القطعي، لأن تلك العلوم ترجع إلى حفظ المقاصد التي بها يكون صلاح الدارين، وهو من كان راجعا إلى الضروري أو الحاجي أو التحسيني.
النوع الثاني: وهو ملح العلم، وهو مالم يكن قطعيا أو راجعا إلى أصل قطعي، بل إلى ظني، فهذا يستحب السفر إليه.
النوع الثالث: ما ليس صلبا ولا ملحا، فهذا يحرم السفر إليه، وهو مما يعود على أصله بالبطلان، ويناهض الحق، مثل كون القرآن له ظاهر وباطن، والسفسطة وكل علم لا فائدة منه.

المسألة الرابعة: إذن الوالدين في سفر العلم

اختلفت نظرة الفقهاء في اشتراط إذن الوالدين للسفر في طلب العلم، ففرق الحنفية بين السفر الذي يخشى على نفسه الهلاك فيجب إذنهما، وما لا يخشى عليه الهلاك لا يجب استئذانهما.
أما المالكية ففرقوا بين نوع العلم الذي يسافر لأجله، والشافعية على جواز السفر لتعلم الفرض، والحنابلة مثلهم، وقد جاء بيان ذلك في الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٩/ ٨٣- ٨٤) ما نصه:
أجاز الفقهاء الخروج لطلب العلم بغير إذن الوالدين من حيث الجملة.
ولهم في ذلك تفصيلات نذكرها فيما يلي:
فرق الحنفية في الخروج لطلب العلم والتفقه بين خوف الهلاك بسبب هذا الخروج، وعدم خوف الهلاك.
فإن كان لا يخاف عليه الهلاك كان خروجه لطلب العلم بمنزلة السفر للتجارة، ويختلف حكم السفر للتجارة بين الخوف من الضيعة على الأبوين وعدمه، فإن كان يخاف الضيعة على أبويه بأن كانا معسرين، ونفقتهما عليه، وماله لا يفي بالزاد والراحلة ونفقتهما، فإنه لا يخرج بغير إذنهما، وإن كان لا يخاف الضيعة عليهما بأن كانا موسرين ولم تكن نفقتهما عليه كان له أن يخرج بغير إذنهما.
وإن كان يخاف عليه الهلاك بسبب خروجه لطلب العلم كان بمنزلة خروجه للجهاد، فلا يباح له الخروج إن كره الوالدان أو أحدهما خروجه، سواء كان يخاف عليهما الضيعة أو لا يخاف عليهما الضيعة.
ولو كان عنده أولاد فإن قدر على التعلم وحفظ العيال فالجمع بينهما أفضل.
وذهب المالكية إلى أن للأبوين منع ولدهما من الخروج لطلب العلم إن كان في سفره خطر.
قال الدسوقي: فروض الكفاية كالعلم الزائد على الحاجة، كالتجارة، فلهما منعه من السفر لتحصيله إذا كان ليس في بلدهما من يفيده حيث كان السفر في البحر أو البر خطرا وإلا فلا منع.
وصرح العدوي: بأن للولد أن يخرج بغير إذن والديه لطلب العلم الكفائي إن لم يكن في بلده من يفيده إياه بشرط أن يرجى أن يكون أهلا، فإن كان في بلده من يفيده إياه فلا يخرج إلا بإذنهما.
وأجاز الشافعية السفر لتعلم الفرض وكل واجب عيني، ولو كان وقته متسعا وإن لم يأذن الأبوان، كما أجازوا السفر لطلب الفرض الكفائي، كدرجة الفتوى، وإن لم يأذن أبواه، على أن يكون السفر آمنا أو قليل الخطر، ولم يجد ببلده من يصلح لكمال ما يريده، أو رجا بغربته زيادة فراغ، أو إرشاد أستاذ، ويشترط لخروجه لفرض الكفاية أن يكون رشيدا، ولو لزمته كفاية أصله احتاج لإذنه، إن لم ينب من يمونه من مال حاضر، ومثله الفرع لو لزمت أصله مؤنته امتنع سفر الأصل إلا بإذن فرعه إن لم ينب.
ومذهب الحنابلة في ذلك كمذهب الشافعية حيث صرحوا بأنه لا طاعة للوالدين في ترك تعلم علم واجب يقوم به دينه من طهارة وصلاة وصيام، وإن لم يحصل ما وجب عليه من العلم ببلده فله السفر لطلبه بلا إذن أبويه .

المسألة الخامسة: سفر الزوج لطلب العلم

لا خلاف بين الفقهاء في جواز سفر الرجل مع زوجته لطلب العلم، لكن إن تزوجها في بلد وأراد بها السفر إلى بلد آخر، فمحل خلاف بين الفقهاء إن كانت مسافة السفر هي مسافة القصر، أما إن كانت دون مسافة القصر، فقد ذهب الحنفية إلى أنه إن أراد بالسفر بها الإضرار بها وامتنعت، لم تكن ناشزا، أما إن كان أراد السفر لأجل مصلحة، كأن يكون يريد السفر لطلب العلم، وامتنعت المرأة؛ كانت ناشزا وسقطت نفقتها إن كان مأمونا عليها ولا تخاف على نفسها، كأن تكون مع أهلها.
والخلاصة..
أن الإنسان تعود على السفر من أجل التجارة أو الترفيه أو غيرها مما قد يكون مباحا، لكن يبقى السفر لأجل طلب العلم من المحاسن الإنسانية، والهدايات الربانية، والسنن الكونية، ومن أجل أسباب قيام الدول والحضارات، فلشرف العلم يبذل الغالي والنفيس، ويبقى العلم ويزول ما سواه.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ

سياحة العلوم في حضارة الإسلام!

امتازت الحضارة الإسلامية بظاهرة فريدة من نوعها وهي الرحلة في طلب العلم، وغالبا ما كانت تتعدد مقاصد طالب العلم من هذه الرحلة، ما بين السياحة الدينية كطلاب العلم الذين كانوا يقطعون الأشهر والمراحل للحج وكان يستثمرون هذه الرحلة للقاء مشاهير العلماء في كل بلد ينزلون به، وغيرهم ممن كانوا يقصدون السياحة الطبيعية ويتعلمون في آن معا؛ لذا تعد الرحلة في طلب العلم المدخل الأكبر لفهم طبيعة السياحة العلمية في ظل حضارتنا السامقة.

جاء في القرآن الكريم أن طلب العلم ضرورة من الضرورات الأساسية لمجتمع المسلمين، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

وقد ساق الإمام الرازي عدة تأويلات على هذه الآية الكريمة كان منها قوله: «فإن قيل: أفتدل الآية على وجوب الخروج للتفقه في كل زمان؟ قلنا: متى عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر ... فإذا أمكنه تحصيل العلم في الوطن لم يكن السفر واجبا؛ إلا أنه لما كان لفظ الآية دليلا على السفر لا جرم؛ رأينا أن العلم المبارك المنتفع به لا يحصل إلا في السفر» (١).

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة، تؤكد أن لطلب العلم قيمة عظيمة في الإسلام، وأجر أعظم؛ فعن زر بن حبيش قال: جئت صفوان بن عسال المرادي فقال ما جاء بك؟ فقلت: جئت أطلب العلم. قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ وسلم يقول: ما من خارج يخرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاء بما يصنع (٢).

ولدينا من الآثار الصحيحة عن الصحابة والسلف الصالح ما يؤيد ذلك؛ فعن يزيد بن عميرة : أن معاذ ابن جبل رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قلنا له: أوصنا. قال: اجلسوني ثم قال: «إن العلم والإيمان مكانهما من التمسهما وجدهما قال ذلك ثلاث مرات، واطلبوا العلم عند أربعة عويمر أبي الدرداء وسلمان الفارسي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام» (٣).

بل رأينا الحض على العلم وطلبه، وأنه أحد أسباب رفعة الأمم وتقدمها ونهضتها ثقافة سرعان ما انتشرت في ربوع الحضر والمدر في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، فعن عبد الرزاق، قال: سمعت سفيان يقول لرجل من العرب: «ويحكم اطلبوا العلم؛ فإني أخاف أن يخرج العلم من عندكم فيصير إلى غيركم فتذلوا، اطلبوا العلم؛ فإنه شرف في الدنيا وشرف في الآخرة» (٤).

إن قضية توقير العلم، والسعي إليه كانت راسخة في نفوس علماء وأئمة الإسلام منذ القدم، فقد قال الخليفة العباسي الشهير هارون الرشيد للإمام مالك إمام أهل المدينة: يا أبا عبد الله أريد أن أسمع منك الموطأ، قال: فقال مالك: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فقال: متى؟ قال مالك: غدا. قال: فجلس هارون ينتظره، وجلس مالك في بيته ينتظره، قال: فلما أبطأ عليه أرسل إليه هارون فدعاه، قال: فقال له: يا أبا عبد الله ما زلت أنتظرك منذ اليوم فقال مالك: وأنا أيضا يا أمير المؤمنين لم أزل أنتظرك منذ اليوم، إن العلم يؤتى ولا يأتي، وإن ابن عمك هو الذي جاء بالعلم؛ فإن رفعتموه ارتفع، وإن وضعتموه اتضع» (٥).

وقد جعل الإمام النسائي بابا في كتاب العلم من سننه أسماه «الرحلة في طلب العلم» وساق الأحاديث النبوية التي تدلل على أهمية هذه السياحة العلمية، والرحلة إليها، وكان أول حديث في هذا الباب عن رحلة موسى عليه السلام إلى الخضر وهو الذي رواه البخاري في صحيحه، قال: «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل، جاءه رجل فقال: هل تعلم أحد أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إلى موسى: بلى: عبدنا خضر ، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع، فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: أرأيت إذ

أوينا إلى الصخرة ؟ فإني نسيت الحوت، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. قال: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصا، فوجدا خضرا، فكان من شأنهما الذي قص الله عز وجل في كتابه» (البخاري، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (ح٣٢١٩).

ومن أجل هذا المقصد الجلي الدال على أهمية السفر والطلب للعلم في أي مكان كان، علق الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله على حديث موسى والخضر عليهما السلام الآنف قائلا: «هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم؛ لأن ما يغتبط به تحتمل المشقة فيه؛ ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله» (٦).

رحالة في طلب العلم!

إن نظرة في مصادر التاريخ والتراجم لتؤكد على أن السياحة العلمية كانت أصلا من أصول التفكير والمعرفة والثقافة التي انتشرت في الحضارة الإسلامية لمدة اثنتي عشرة قرنا، كان طالب العلم لا يأبه لأي البلدان سيرحل، ولأي المفاوز سيقطع، ولأي الأوعار والمخاطر سيواجه طالما سينال ما يتعب لأجله وهو العلم؛ إنك ترى شبكة معقدة من طرق السفر بين شرق العالم الإسلامي في بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وبلاد خراسان مرورا بالعراق والجزيرة العربية واليمن والشام ومصر ثم إلى غرب العالم الإسلامي في المغرب والأندلس وغرب أفريقيا، كل تلك البلدان وغيرها كانت مفتوحة يسير طالب العلم فيها بالشهور والأيام، وكثيرون منهم ظلوا أعواما لا لشيء إلا لطلب العلم ونيله!

ومنهم من كان يتحسر على فوات طلب العلم في البلدان البعيدة التي كان بها علماء أعلام في تخصصاتهم، فقد كان الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) يتحسر على الرحلة إلى تلك البلدان؛ لما لذلك من أهمية بالغة في تحصيل علو الإسناد، وقدم السماع، ولقاء الحفاظ، والمذاكرة لهم، والاستفادة عنهم، إلا أن والده لم يشجعه على الرحلة، بل منعه في بعض الأحيان لصغر سنه، قال في ترجمة أبي الفرج عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن وريدة البغدادي الحنبلي شيخ المدرسة المستنصرية في بغداد (ت٦٩٧هـ): «وقد هممت بالرحلة إليه، ثم تركته لمكان الوالد» (٧).

وقال في ترجمته من «معرفة القراء الكبار»: «وانفرد عن أقرانه، وكنت أتحسر على الرحلة إليه، وما أتجسر خوفا من الوالد، فإنه كان يمنعني» (٨).

لكن سرعان ما سمح والد الذهبي لابنه بالرحلة وقطع المفاوز طلبا للعلوم والمعارف حين شب عن الطوق قليلا.

وفي الجانب الآخر رأى المغاربة والأندلسيون أن المشرق مهبط الوحي، ومنزل العلم، وموطن السادات من العلماء، فهذا العلامة الأندلسي أبو بكر الطرطوشي (ت٥٢٥هـ) يترك بلاده في الأندلس ليستقر به المقام في المشرق، خاصة مدينة الإسكندرية المصرية؛ لأنه رأى أن العلم في المشرق أعظم وأرقى في زمنه، ويحكي عنه الحافظ أبوبكر بن العربي (ت٥٤٣هـ) أنه سمعه يقول: «لم أرحل من الأندلس حتى تفقهت ولزمت الباجي مدة فلما وصلت إلى بغداد دخلت المدرسة العادلية، فسمعت المدرس يقول: مسألة إذا تعارض أصل وظاهر فأيها يحكم؟ فما علمت ما يقول، ولا دريت إلى ما يشير حتى فتح الله وبلغ بي ما بلغ» (٩).

ولم يكن هذا الأمر ليفوت على العلامة والفيلسوف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)؛ فقد دون الأهمية البالغة للسياحة العلمية، وهو ما نختم به حديثنا، قائلا: «إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم؛ والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها» (١٠).

الهوامش

١- الرازي: مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة – بيروت، ١٤٢٠هـ، (١٧١/١٦).

٢- سنن البيهقي الكبرى (٢٨١/١) (ح ١٢٥٢).

٣- الطبراني: المعجم الكبير (٩٤/٩) (٨٥٣٣).

٤- القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى – السعودية، ١٤١٤هـ، (٢٤٤/١).

٥- البيهقي: المدخل إلى السنن الكبرى، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء الراشدين – الكويت، (ص٣٩٠).

٦- ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، (١٦٨/١).

٧- الذهبي: معجم الشيوخ الكبار، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق – الطائف، (٣٦٦/١).

٨- الذهبي: معرفة القراء الكبار، دار الكتب العلمية – بيروت، (ص٣٧٣).

٩- الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكاتب العربي – بيروت، (ص١٣٥).

١٠- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، الطبعة الثانية – بيروت، ص٧٤٤.

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية تربوية

السياحة العلمية... مفهوم ونماذج

العالم كتاب مفتوح، ومن لم يسافر لم يقرأ منه سوى صفحة واحدة. فكلما سافرت إلى بلد فإنك ستقرأ صفحة جديدة من هذا الكتاب، وتضيف علما جديدا لمعلوماتك.

السياحة في الماضي كان ينظر إليها على أنها السفر إلى أماكن وبلاد معينة من أجل الراحة والاستجمام والمتعة، أي كسياحة ترفيهية، أو من أجل أداء الفرائض والنوافل الدينية، وهي ما قد تسمى بالسياحة الدينية، ومع أن السفر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة والأقصى الشريف قد لا يعتبره البعض سياحة، لأن الغاية منه ليست السياحة، وإنما الغاية منه العبادة وطاعة الله تعالى كخالق وواهب للحياة ومن أجل كسب الثواب.

إلا أن التطورات في الحياة اليوم أدت إلى إحداث تغيرات في مفهوم السياحة في العصر الحالي، فشملت السياحة الترفيهية بهدف الترفيه والمتعة والخروج عن المعتاد والتسوق واكتشاف البلدان والثقافات الأخرى، والسياحة الدينية بهدف زيارة الأماكن المقدسة أو نشر الدين وإلقاء المحاضرات التوعوية وعقد الندوات التعريفية بالأديان، والسياحة العلاجية بهدف العلاج من بعض الأمراض في مستشفيات متطورة ومراكز علاج متخصصة ومياه معدنية، والسياحة الرياضية بهدف حضور ألعاب ومباريات معينة وأولمبياد.

لماذا السياحة؟

السياحة لها فوائد كثيرة؛ فحتى السياحة الرياضية ينظر إليها اليوم على أنها تؤثر في التقدم والتنمية الاجتماعية ورفع مستوى معيشة المجتمعات وتحسين معيشتهم، فعندما تقام المباريات كالأولمبياد في بلد معين يتم اختياره، فإن الاتحاد العالمي للرياضة ومؤسسات الفيفا وغيرها سوف تدعم هذا البلد المستضيف للدورة الرياضية، لأجل بناء الملاعب والمتنزهات والفنادق والمطاعم وأماكن الترفيه وتوفير وسائل النقل وشبكاته والخدمات العامة وذلك لخدمة الزائرين والمواطنين، ما يعني فرص عمل أكثر وتطور عمراني واقتصادي، وتحسن في مستوى الدخل القومي، ورفع شعور المواطن بمواطنته، وتبادل الخبرات الثقافية.

فالسياحة بأنواعها لها فائدة ليست فقط في الترفيه والتسوق، بل في التعلم ونقل الخبرات وتعرف ثقافات الشعوب الأخرى ولغاتهم والتحدث مع الآخر، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)

والسياحة فرصة عظيمة للتفكر والتأمل في الكون وفي جمال الطبيعة وتنوعها في البلدان المختلفة، وليس فقط التركيز على الملاهي والتسوق وزيارة المطاعم والمسابح، وهناك آيات كثيرة تحث على التفكر في الكون: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١)، والتفكر في أنواع الطعام: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ (سورة عبس:٢٤)، والتفكر في المخلوقات : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠).

السياحة من أجل العلم

أعتقد أن المفهوم قد لا يكون جديدا بالكلية، فعلماؤنا المسلمون في السابق كانوا يسافرون ويرتحلون من أجل طلب العلم كالفقه الشرعي، أو تعلم الحديث النبوي وأصول علم الحديث، أو من أجل التأكد من صحة الأحاديث النبوية، تلك السياحة التي تميز بها علماؤنا الأجلاء في عصر الصحابة

والتابعين الذين ارتحلوا كثيرا من بلد لآخر من أجل التأكد من مصداقية حديث واحد أو أكثر! وهي الطريقة التي انتجت علم الجرح والتعديل، ونتج عنها كتب الصحاح الستة للأحاديث النبوية، والتي من خلالها تم تنقيح الأحاديث النبوية، ومدى صحتها ودقة متنها وسندها، وصولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن جانب آخر؛ تنقل ابن بطوطة وابن خلدون والإدريسي والبيروني وغيرهم من علمائنا المسلمين وساحوا في الأرض وجابوا العالم وكتبوا المصنفات والكتب التاريخية والجغرافية والأدبية والأشعار نتيجة للسياحة والتنقل بين البلدان.

فهذه السياحة العلمية أو السياحة لأجل العلم أصبحت مفهوما عالميا وإن لم نسمع به كمصطلح متداول إلا أنه واقع، وأيضا في الدول العربية، لأنها لا تنفصل عن العالم، وهي تهدف إلى استقصاء العلم والاطلاع على أحدث الإنجازات او المعلومات ووسائل التكنولوجيا، وتبادل الخبرات والمعلومات وجلب الاختراعات والأفكار والبناء عليها، فلا يمكن لكل أحد ان يبدأ من الصفر دائما، بل لابد من البدء حيث انتهى الآخرون من أجل سرعة التطور والإنجاز، بدلا من العودة إلى نقطة البداية في كل مرة.

فالإنسان حينما يسافر هو لا ينفق ماله وجهده ووقته لهدف واحد فقط، وإنما لتحقيق غايات أخرى، كالوقوف على أسرار الكون وجمال الطبيعة والتفكر فيمن خلقها، والتأمل فيما أبدعه الخالق من لوحات فنية جمالية رائعة، والتعرف على الثقافات للشعوب والاطلاع على الكنوز الثقافية الحالية والسابقة، وإدراك عادات الشعوب وكيفية تفكيرهم وفيما يتميزون أو يفترقون عن الآخرين، وإدراك لغات الشعب ومدى ترابط مجتمعه، والاطلاع على سلوكياته وفنونه وأسواقه ومنتجاته.

صور السياحة العلمية

• المشاركة في المؤتمرات والاطلاع على أحدث الأبحاث العلمية ونتائجها.

• المشاركة في البحث العلمي ومراكز الأبحاث وأكاديميات البحث العلمي والجامعات، وإجراء التجارب وتبادل الخبرات والمعلومات.

• زيارة المعارض والمتاحف العلمية والطبيعية والثقافية والحضارية والتاريخية.

• حضور المعارض التكنولوجية للاطلاع على أحدث الاختراعات والنتاجات من الشعوب الأخرى، كمعارض اكسبو.

• خوض عالم الأدغال والغابات والجبال والصحاري والبحار من أجل دراسة المناخ وعالم النباتات والحيوانات والكائنات البحرية وكل ما يتعلق بها.

• التبادل الثقافي، وهذا المفهوم بدأ يتوسع كثيرا في الآونة الأخيرة، حيث تمتلك الكثير من الجامعات المعروفة عالميا وبعض المدارس العالمية؛ برامج وخططا فصلية ودورية ومدعومة من أجل التبادل الثقافي، والذي يتضمن إرسال مجموعة من الطلبة يتم انتقاؤهم بشروط معينة إلى جامعة مستضيفة في بلد آخر من العالم، وفي المقابل تقوم الجامعة المستضيفة بإرسال نفس العدد من طلبتها لتستضيفه الجامعة الأخرى استضافة تامة، وقد تكون لفترة قصيرة كأسبوعين مثلا، وقد تصل إلى فصل دراسي أو عام أو لحين انتهاء الشهادة الجامعية.

ومثل هذه البرامج للتبادل الثقافي تهدف إلى الاطلاع على الثقافة للبلد المضيف ونقل الخبرات وتبادل المعارف والعلوم ومشاركة الأفكار، وتغيير الصور النمطية عن الجانب الآخر، وتوسيع الجوانب الإدراكية لدى الأفراد، والتعاون المشترك في الأبحاث والدراسات لدى الطرفين.

ولن تقوم قائمة لأي بلد في العالم وفي أي زمن من الأزمان بدون التفوق العلمي والرجوع للعلم وما توصل إليه الآخرون وترجمة ونقل نتائج أبحاثهم وعلمهم، فالعلم هو مصدر القوة للدول.

وسأقدم مثالين للسياحة العلمية، ألمانيا واليابان.

السياحة العلمية في ألمانيا

هل فكرت يوما أن تزور ألمانيا كسائح؟ إن لم تفكر كسائح لجمالها وأناقتها ورفاهيتها وأماكنها السياحية الترفيهية وتقدم وسائل نقلها وشبكة القطارات المتطورة، فأنصحك بزيارتها كزائر تنشد العلم والتكنولوجيا من أجل نقل العلوم والتقدم والعمل الجاد المبدع لبلداننا العربية، وإليك بعض المعلومات عن ألمانيا.

تعبر ألمانيا من أكثر عشرة دول في العالم في مجال الإبداع والعلم، ويوجد بألمانيا حوالي (٦٢٥٠) متحفا متنوعا بين المتاحف الفنية والتاريخية والتقنية والمعمارية والأدبية أو الطبيعية، وناشرو الكتب الناطقة بالألمانية ينتجون نحو (٧٠٠) مليون نسخة من الكتب كل عام، ويعتبر معرض فرانكفورت للكتاب الأكثر أهمية في العالم.

وفي جانب البحث العلمي يوجد في ألمانيا ثلاثة مراكز للبحوث العلمية كبيرة تابعة للحكومة الفدرالية، بنسبة إنفاق تبلغ (٩٠) ٪، و (١٠) ٪ تصرفها الولاية على الأبحاث، وتوجد تلك المراكز في كارلسروه، ومركز أبحاث يوليش، ومركز أبحاث غيستهات، وهي في مجالات تكنولوجيا أعماق

البحار، وتسخير طاقة الاندماج النووي، والطاقة النووية، وفيزياء الجوامد، والطاقة المتجددة.
مفاعل للبحوث النووية بمركز أبحاث يوليش
كما توجد مراكز تتبع الحكومة الفدرالية، تعمل في مجالات رئيسية تطبيقية، مثل المصلحة الفدرالية للجيولوجيا والمناجم، والمصلحة الفدرالية لفيزياء الجوامد والمواد الخام، والمصلحة الفدرالية للطيران وطيران الفضاء، والمصلحة الفدرالية للمقاييس.
وتنفق الحكومة الفدرالية الألمانية على البحث العلمي أكثر من (١٢) مليار يورو سنويا، وتنفق معامل البحوث التابعة للقطاع الخاص نحو (١١) مليار يورو سنويا في الصناعات المختلفة.
وتوجد معامل للأبحاث لتطوير الصناعات وابتكار المنتجات وتحسينها، كصناعة السيارات، وصناعة الدواء، ومواد التنظيف، وصناعات استغلال الطاقة الشمسية، وإنتاج الكهرباء من طاقة الرياح وغيرها.

الجامعات في ألمانيا

وتعتبر ألمانيا بلد الجامعات الممتازة والرسوم الدراسة المنخفضة والحياة الراقية! وتتمتع ألمانيا بالمكانة الأهم لكل من التعليم والعلوم والبحث العلمي والتطوير في أوروبا.
ويوجد في ألمانيا أكثر من (٤٠٠) مؤسسة للتعليم العالي، من جامعات ومعاهد تخصص عالي، و (١٦) جامعة ألمانية، تحجز مكانا لها بين أفضل (٢٥٠) جامعة في العالم حسب تصنيف (٢٠١٥م)، وتعد ألمانيا موطن لأهم الباحثين في مجالات علمية مختلفة كألبرت آينشتاين، وقد تم منح جائزة نوبل لـ (١٠٢) من الألمان الرواد، وكان أول الفائزين بجائزة نوبل للفيزياء هو الألماني وليام كونراد روتن عام (١٩٠١م) الذي اكتشف أشعة إكس راي، وطور المهندس الألماني Wernher von Braun أول صاروخ فضائي، وأصبح لاحقا من رواد الفضاء في ناسا NASA، وتعد ألمانيا موطن العديد من المخترعين والمهندسين الذين ساهموا في تطوير الطباعة مثل جونس جوتنبرغ، وتحتل ألمانيا المرتبة الأولى في أوروبا من حيث عدد براءات الاختراع المسجلة، فهي إلى جانب اليابان والولايات المتحدة من أكثر بلدان العالم ابتكارا من خلال أكثر من (١١٢٠٠) براءة اختراع فردية مسجلة.
وألمانيا اليوم هي واحدة من أكثر الدول المرغوبة للدراسة، وموطنا لخيرة الأبحاث العالمية ولتطوير الاختراعات، وهناك تدفق ملحوظ للطلاب الأجانب للدراسة في ألمانيا؛ فهي بلد جاذب للطلاب، وخاصة في مجلات الطب والصيدلة والهندسة والطاقة والتكنولوجيا وأبحاث الفضاء وأعماق المحيطات، وهي توفر برامج التبادل الثقافي القصيرة والطويلة المدى.
وتشير الوزيرة الألمانية السابقة بلومان بأن ألمانيا تعتبر من الدول الرائدة من حيث احتوائها وتخريجها للعقول النيرة، وتقول في التسعينات من القرن الماضي: «كانت هناك موجة هجرة للعقول الألمانية، لكن استطعنا مع بداية هذا القرن استقطاب الكثير من العقول الأجنبية والباحثين الأجانب».

أبحاث ضخمة ألمانية

إن سفن التجارب والأبحاث الألمانية «بولار شتيرن»، «ميتيور»، «زونة»، «ماريا ميريان»، «بوسايدون»، «ألكور»، «هاينكة» مصممة خصيصا لأبحاث البحار، فهي مختبرات عائمة في خدمة الباحثين في مجال البيولوجيا والجيولوجيا والجيوفيزياء والجيوكيمياء وعلماء البحار والمناخ.
وأحدث سفينة يفاخر بها الأسطول العلمي هو سفينة الأبحاث «زونة» الشمس، وهي السفينة التي دشنتها المستشارة الألمانية الاتحادية أنجيلا ميركل في يوليو (٢٠١٤م)، يصل طولها إلى (١١٦) مترا، ومن المفترض أن تلقي الضوء على قاع المحيطين الهادئ والهندي، وأن تعمل في مجال حماية الأنظمة البيئية البحرية واستخدام الموارد البحرية، ووجهة الرحلة الكبيرة الأولى لأحدث سفينة أبحاث في العالم هي جمهورية الدومينيكان، وإلى جانب البحث في «انهدام بورتوريكو» وكائنات الأعماق البحرية التي تعيش فيه، سوف يعمل حوالي (٤٠) باحثا على متن السفينة على رسم خريطة طبوغرافية لمساحات كبيرة من قاع المحيط الأطلسي.
ومن جانب آخر، ومنذ بدايات الثمانينات، يعمل معهد الأبحاث القطبية ألفريد فاغنر في مجالات علمية متعددة، ويستخدم فرقا علمية من مختلف الجنسيات، حيث يقدم مساهمات مهمة في مجال أبحاث المناخ العالمي، ولدى العلماء والباحثين عدد من محطات المراقبة لقياس الأشعة والمناخ، ويثبتون مع كل مهمة في القطب الشمالي أو القطب الجنوبي أن البحث العلمي هو عملية عشق وعمل جاد.
وضمن برنامج أبحاث الحوسبة العملاقة لمؤسسة هيلمهولتس الألمانية للأبحاث عام (٢٠١٣م)، وضمن إطار اتحاد الحوسبة العملاقة الشراكة من أجل حوسبة حديثة في أوروبا، تم حساب (١٥) مشروعا أوروبيا، باستخدام نظام JUQUEEN الألماني، وهذه القدرة الهائلة على الحساب ومعالجة البيانات، يحتاجها الباحثون والعلماء أيضا من أجل الأبحاث الطموحة التي يجرونها على الدماغ البشري، فمشروع المليارات الرائد للأتحاد الأوروبي

يهدف إلى التوصل إلى فهم وتحليل عمل الدماغ البشري ومحاكاته، من خلال عمليات تعتمد على الكمبيوتر، وتشارك في هذا المشروع العملاق أكثر من (٨٠) مؤسسة أوروبية للأبحاث العلمية من (٢٣) بلدا، إضافة إلى عدد من الشركاء العالميين.

أبحاث الفضاء الألمانية

تشارك ألمانيا في الوكالة الأوروبية لأبحاث الفضاء، وتقوم بتشغيل مراصد فلكية في إسبانيا وشيلي وألمانيا، كما تقوم بإرسال مراصد فضائية على متن أقمار صناعية، لرصد الأجرام السماوية، كما تشارك بأجهزة على مسبارات الفضاء إلى القمر والمريخ، بالاشتراك مع الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا.

الطب في ألمانيا

وتتميز ألمانيا بتطورها الطبي، وتتميز مستشفيات ألمانيا عن مثيلاتها في أنحاء العالم بالتزامها بالمعايير العالية للتقنية والنظافة والأطباء ذوي الخبرة الكبيرة والكفاءات العالية، وطواقمها على قدر عال من المسؤولية، ويخضع الأطباء والمستشفيات إلى المراقبة الدورية سنويا طبقا للقانون، للتأكد من المحافظة على مستوى الجودة، كما يلتزم الأطباء بمواصلة تعلمهم الطبي وبالمواظبة على التدرب والتطوير المستمر، وهناك أكثر من (٣٥) مشفى جامعي في ألمانيا، وأكثر من (٧٠٠) مستشفى عام حكومي، و(٦٤٠) من المستشفيات الكنيسية، و(٦١٠) مستشفى خاص في ألمانيا، وهذه من أسرار تفوقها الطبي.

السياحة العلمية في اليابان

تعد اليابان البلد الرائد في البحث العلمي، خاصة في مجال التكنولوجيا والآليات والبحث الطبي، حيث يتقاسم قرابة (٧٠٠,٠٠٠) باحث ميزانية بحث وتطوير، قدرها (١٣٠) مليار دولار، أي ثالث أكبر ميزانية في العالم.

وتعد اليابان البلد الرائد في البحث المبدئي، حيث تملك ستة عشر فائزا بجائزة نوبل، سواء في الطب أو الفيزياء أو الكيمياء، وثلاثة فائزين بميدالية فيلدز، وفائزا واحدا بجائزة كارل فريدريش جاوس.

وتبرز مساهمات اليابان التكنولوجية في مجال الإلكترونيات والسيارات والآليات وهندسة الزلازل والروبوت الصناعي والبصريات والكيميائيات وأشباه الموصلات والمعادن، كما تقود اليابان العالم في علوم الإنسان الآلي واستخدامها، حيث تملك أكثر من نصف (٤٠٢،٢٠٠ من ٧٤٢،٥٠٠) الروبوتات الصناعية في العالم.

إن منظمة بحوث الفضاء اليابانية، وهي وكالة الفضاء في اليابان؛ تقوم بالأبحاث واستكشاف الكويكبات وأبحاث الطيران، كما تعد الرائدة في تطوير الصواريخ والأقمار الصناعية.

وأضيفت وحدة التجربة اليابانية (كمساهمة من اليابان) إلى محطة الفضاء الدولية أثناء رحلات مكوك الفضاء في (٢٠٠٨م)، وتتضمن خطط اليابان في مجال سبر الفضاء إطلاق مسبار فضائي إلى كوكب الزهرة «مركبة الفضاء أكاتسوكي»، وتطوير بيي كولومبو ليتم إطلاقه في (٢٠١٣م)، وبناء قاعدة في القمر بحلول سنة (٢٠٣٠م).

في (١٤) سبتمبر، سنة (٢٠٠٧م) أطلقت اليابان مركبة سيلين لاستكشاف القمر على حاملة الصواريخ H-IIA من مركز تانيغاشيما الفضائي، وهي أكبر مهمة استكشاف لسطح القمر بعد برنامج أبولو، هدفت إلى جمع معلومات حول أصل القمر وتطوره.

وفي عام (٢٠١١م) أنتجت اليابان (٤٦,١) ٪ من الطاقة من النفط، و(٢١,٣) ٪ منها من الفحم، و(٢١,٤) ٪ من الغاز الطبيعي، و(٤,٠) ٪ من الطاقة النووية، و(٣,٣) ٪ من الطاقة المائية، وأنتجت الطاقة النووية (٩,٢) ٪ من كهرباء اليابان.

ونظرا لاعتماد اليابان الكبير على الطاقة المستوردة؛ فإنها هدفت إلى تنويع مصادرها والحفاظ على مستويات عالية من الكفاءة في استخدام الطاقة.

اليابان قوة صناعية ضخمة، وهي موطن لمنتجي أكثر الآلات تطورا، كالسيارات والإلكترونية وآلات التشغيل والحديد والفلزات اللاحديدية والسفن والمواد الكيميائية ومصنعات الغذاء.

تأخذ الزراعة والحراجة والصيد في اليابان حيزا قدره (١٣) ٪ من الأراضي، كما تمثل اليابان قرابة (١٥) من الحصة العالمية للأسماك، مما يضعها في المرتبة الثانية بعد الصين.

ومنذ (٢٠١٠م) تشكلت القوى العاملة لليابان من (٦٥,٩) مليون عامل، كما أن معدل البطالة في اليابان منخفض جدا، وهو (٤) ٪ تقريبا.

وما أجمل أن نستفيد من تلك التجارب الألمانية واليابانية وغيرها، ونرسل بعضا من طلبتنا وباحثينا في العالم العربي، من أجل التعرف على تلك المعامل ومراكز البحث والمراصد الفلكية والعلوم المتنوعة والجامعات، من أجل نقل العلم والفكر، وأن نصبح جزءا من التطور العالمي.

فتقدم ألمانيا واليابان مبني على استغلال البحوث وتطبيقها مباشرة في منتجات مفيدة تباع في الأسواق، فهي في مقدمة الدول في حجم منتجاتها الصناعية وحجم تصديرها في جميع أنحاء العالم، وخاصة الصناعات الثقيلة كالأجهزة الكهربائية والسيارات، ودائما ما تحسن من منتجاتها لتنافس في الأسواق العالمية.

القاهرة- عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

السياحة العلمية.. دعوة للتفكر وإنارة العقل!

وجه الله عباده إلى سياحة التفكر والتدبر والتعلم في أكثر من موضع قرآني، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (العنكبوت:٢٠)، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩١). ومن معاني السير في الأرض

«السياحة»، ولها أنواع وأهداف، تركز «الوعي الإسلامي» في هذا التحقيق على نوع مهم يجمع البصر والبصيرة، يريح النفس ويثبت العقل؛ ألا وهو «السياحة العلمية».

بداية، أصدر المؤشر العالمي للسياحة الإسلامية لعام ٢٠١٦م الصادر عن «ماستر كارد وكريسنت ريتنج» تقريرا حول ترتيب الدول الإسلامية في مقياس السياحة التي تعتمد على البحث العلمي وتجنب المحرمات وتصوير أماكن بيئية جديدة وزيارة أماكن علاجية.

وأظهر البحث، الذي شمل ١٣٠ وجهة عالمية، تَصَدُّر ماليزيا قائمة دول منظمة التعاون الإسلامي، وحلت الإمارات في المركز الثاني، تلتها تركيا ثالثا، ثم إندونيسيا وبعدها قطر، وجاءت السعودية في المركز السادس.

وحصدت سنغافورة المركز الأول بين الدول غير الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي، ثم تايلند وبريطانيا وجنوب إفريقيا وهونج كونج على التوالي.

وحسب النتائج، وصل العدد إلى نحو ١١٧ مليون مسافر مسلم في عام ٢٠١٥م، ما يمثل ١٠٪ من إجمالي قطاع السفر العالمي، ومن المتوقع أن تتجاوز قيمة إنفاقهم ٢٠٠ مليار دولار أميركي.

وأوضحت النتائج أيضا أن قارتي آسيا وأوروبا هما الوجهتان الأكثر جذبا للزوار المسلمين في العالم، مع تسجيلهما لنسبة ٨٧٪ من إجمالي سوق السفر الإسلامي.

معرفة الآخر

ولقيمة التعرف على العلوم والثقافات المختلفة يقول د. مجاهد الجندي أستاذ الحضارة الإسلامية: إن التعرف على العلوم والثقافات المختلفة من أبرز أهداف صناع التاريخ الإسلامي وباحثيه، ومن أهم أسباب صنع الحضارات كذلك، كما أن المؤرخين دونوا رحلاتهم وكتبوا قصص من كانوا قبلنا وحللوا وفسروا تصرفاتهم وعاداتهم ولغاتهم؛ وكلها أمور مرتبطة بالثقافة.

د. الجندي: حضارة الإسلام تحث على معرفة الآخر وبحثه ودراسته

وأضاف أن حضارة الإسلام عظيمة علمت العالم بأسره وأخذ عنها كل ما هو جميل، وكان العلماء العرب والمسلمون يطوفون العالم مجددين فاتحين منيرين للعقول، ويمكن أن نسميهم مطهرين من براثن الشرك والانحلال وقلة الفهم والإبداع.

وأشار إلى أن حضارة الإسلام تحث على معرفة الآخر وبحثه ودراسته، ومن الأقاويل العربية القديمة: «من تعلم لغة قوم أمن مكرهم»، موضحا أن الإهمال والتواكل جعلا العرب في ذيل الأمم.

وتابع: التداخل بين الحضارات، مع حفظ ضوابط الدين، مفيد جدا ويحث على الإبداع، والانتقال إلى الشعوب الأخرى ومعرفة طباعهم والاستفادة من تجاربهم في كل شيء؛ خاصة مع حالة الانحدار الهائل التي تمر بها الحضارة العربية. ومعروف أن الغرب سبقنا في علوم كثيرة، منها الفضاء والطب والتكنولوجيا، ونحتاج إلى سنوات حتى نصل إلى ذلك، والسياحة العلمية الحقيقية قد تساعد -ولو جزئيا- على ذلك؛ لكننا أمام إشكالية.. فقديما كان الشباب يسافرون ويقطعون آلاف الكيلومترات في ظروف صعبة من أجل التحقق من المعلومة والبحث عنها وتسجيلها، أما الآن فنجد الكذب والتدليس والاستسهال..

ودعا الجندي إلى العودة إلى نهج القدماء؛ فالمسلم مكلف بإعمار الأرض؛ من خلال العلم وعدم التدمير والفساد، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود:٦١)، ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ (الأعراف:٥٦)، ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الشعراء:١٨٣).

وأكد أن الإسلام دعا إلى السير في الأرض والتفكر في الأمم السابقة وما حل بها، يقول تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (القصص:٥٨)، كما حث على التفكر في خلق الله: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات:٢٠-٢١).

السياحة عبادة

أما د. جمال فاروق، عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، فيؤكد أن السياحة في الإسلام عبادة، وكل سياحة في الإسلام لهدف؛ فالحج سياحة تعلم الصبر وتحث على الوحدة وعدم التفرق والمساواة، وطلب العلم حين السفر إلى البلدان سياحة، مشيرا إلى أن السياحة العلمية من أهم الأنواع في الإسلام.

وأضاف: حث الإسلام على التعلم والبحث والاكتشاف والاستطلاع؛ بدأها بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤﴾ (العلق:١-٤)، وقوله: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (العنكبوت:٢٠).

وتابع: الآيات كثيرة يمكن أن نستدل منها على أن الإسلام حث على ما يسمى الآن «السياحة العلمية»، وأسماها «دعوة إلى التفكر والاقتراب من الله أكثر»؛ فالعلم ومعرفة الحقيقة لا يوصلان إلا لمعرفة الخالق حق المعرفة وزيادة الإيمان والتفكر في مخلوقات الله وما سخره لنا من إمكانات ساعدتنا على التطور.

وأضاف: من السياحة العلمية معرفة ثقافات الآخرين في أثناء الانتقال أو العكوف على تعلم اللغة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ (الحجرات:١٣)، مشيرا إلى أن السير في الأرض له معان وأشكال كثيرة؛ من أهمها الدعوة إلى الله، حيث كان الدعاة في السابق يسافرون آلاف الكيلومترات لتليين قلوب العباد القاسية وحثهم على الاعتدال والإسلام، ومن الآيات الدالة على ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢).

د. فاروق: حث الإسلام على «السياحة العلمية» وأسماها «دعوة إلى التفكر»

وطالب فاروق بتعليم الأطفال هذه المبادئ وتغيير مفاهيم السياحة السائدة من إهدار الأموال في غير حق، قائلا: أنقذوا الأجيال القادمة من المفاهيم المدمرة؛ فالسياحة تعلم لا تعري، وتحصيل لا إنفاق، وطريق إلى الدعوة وليست إلى الفساد.

وأشار إلى أن المسؤولين عن التعليم في الوطن العربي عليهم وضع هذه المفاهيم القديمة التي علمها الصحابة والتابعون؛ فالسفر إلى دولة ما من أجل إنفاق الأموال والمتعة الزائلة ليس من الإسلام في شيء.

وطالب المدارس بتكثيف «السياحة العلمية»، سواء الشرعية لأماكن زارها النبي ﷺ ورواية القصص؛ لترسخ في قلوبهم وعقولهم أو البيئية فيتعلموا منها بديع صنع الله، أو التكنولوجية ليتعلموا منها الوسائل الجديدة وما يعين منها على تطور العالم العربي والإسلامي.

أسفار العلم

ولأن العلوم مختلفة ومتجددة، يجمعها د. عبدالمقصود باشا رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر قائلا: السائح بمفهومه المعتدل يسعى خلال رحلاته إلى تعلم علوم عدة، بعضها يحرص على تعلمه والآخر يكتسبه، وقد تعلم السابقون من الرحلات والانتقال من بلد إلى آخر علوم الفلك والجغرافيا والبيئة والأحياء والصحة والتكنولوجيا.

ويوضح أن التاريخ قالب يضم كل حدث، والجغرافيا تضم كل الأماكن، لافتا إلى مقولة:

ليس بإنسان ولا عاقل
من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى أخبار من قبله
أضاف أعمارا إلى عمره

وأضاف: كان الصحابة ومن سار على دربهم يسافرون من أجل العلم الشرعي، ولنا في قصة الإمام مالك وهارون الرشيد عبرة؛ لما سافر هارون الرشيد إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ وذهب إلى المسجد النبوي الشريف فرأى الإمام مالكا يدرس العلم، فقال للإمام مالك: يا مالك، ما ضر لو جئتنا لتدرس العلم لنا في بيتنا، فقال الإمام مالك: يا هارون، إن العلم لا يأتي ولكنه يؤتى إليه، فقال له: صدقت يا إمام دار الهجرة، وسوف آتي إليك في المسجد. كما قام الإمام محمد البخاري بعدة رحلات في عمره كله إلى إيران والعراق والحجاز والشام لجمع الحديث من مختلف العلماء في كتابه «الصحيح».

وأشار إلى أن تعلم التكنولوجيا والاتصالات والبيئة والأحياء مهم لتنمية الوعي وحفظ الأوطان، داعيا إلى تكثيف رحلات السياحة العلمية في المراحل التعليمية المختلفة، قائلا: «الاكتشاف والرؤية والانتقال ترسخ المعلومات عن الحفظ». وحذر الشباب من استمرار التخاذل، داعيا إلى المزيد من البحث في العلوم الشرعية والدنيوية؛ حتى نبني جيلا قادرا على حمل راية الإسلام الصحيح.

دول رائدة في السياحة التكنولوجية

إلى ذلك، يؤكد د. محمد حسن بكري،

أستاذ الدراسات السياحية بجامعة القاهرة، أن منظمة السياحة العالمية (UNWTO) تصدر إحصاءات وتقارير عن حركة السياحة العالمية وتنوعها، والسياحة متداخلة، وأنواعها للحصر وليست للتفريق؛ فيمكن أن نعتبر السياحة الدينية علمية، كمن يسافرون لحج بيت الله الحرام؛ فكما أن الهدف منها روحي في الأساس، فيدخل ضمنها أيضا معرفة الأماكن والثقافات والعادات والتقاليد واللغات، وتدخل أيضا ضمن السياحة الثقافية.

وأضاف أن السياحة البيئية تدخل ضمن السياحة العلمية؛ فزيارة المحميات الطبيعية سياحة علمية تعرفنا أنواع الحيوانات وأصنافها وأنواع الأراضي ونسب المياه والتربة، وتضيف للسائح علوما عدة ومتنوعة.

وتابع: تسع دول هي الأكثر تطورا في مجال التكنولوجيا وتجذب جميع الباحثين عن التطبيقات الحديثة والأجهزة المعتمدة، بل ومعرفة عالم الإنترنت والشبكات والبرمجة، وهي على الترتيب: اليابان، سويسرا، السويد، سنغافورة، بريطانيا، هولندا، الدنمارك، فنلندا، أيرلندا.

وأضاف: دبي من المدن التي أصبحت جاذبة للسياحة التكنولوجية؛ من خلال السيطرة ورعاية مؤتمرات كبرى الشركات العالمية والمعارض، وهذا تحرك عربي ذكي، ومن المفترض أن يحرص دول العالم العربي على مثل هذه الخطوات.

وتابع: نشر موقع «تك إنسايدر» الأميركي المهتم بالبحث العلمي إحصائية عما تنفقه الدول على الأبحاث العلمية، مشيرا إلى أن دولة الكيان الصهيوني تحتل المرتبة الأولى

د. باشا: كان الصحابة ومن سار على دربهم يسافرون طلبا للعلم الشرعي

بـ٤,٢٪، ثم كوريا الجنوبية ثم اليابان وفنلندا والسويد والدنمارك وسويسرا والنمسا وألمانيا ثم أميركا، مشيرا إلى أنه لو نظرنا إلى هذه الدول لوجدنا أنها ضمن الإحصائية العالمية للدول الجاذبة للسياحة العلمية، موضحا أن حجم هذه النسب بمئات المليارات.

تفعيل

بدوره، يؤكد السيد عبدالستار المليجي، نقيب المهن العلمية في مصر، أن «السياحة العلمية» تعني الانتقال من مكان إلى آخر من أجل الحصول على معلومة بيئية أو دينية أو جغرافية أو تاريخية، موضحا أن المجتمعات العربية عليها أن تطور أكثر من مؤسسة حتى تصل إلى نظام يضبط السياحة العلمية وأنواع السياحة الأخرى.

وأضاف أن من أهم عوامل جذب السياحة العلمية تنمية المؤسسات العلمية ومنظومة التدريب التقني والفني، والعمل على زيادة ميزانية البحث العلمي بحيث تصبح قانونا يسري على كل القطاعات، وتطوير اتجاه الإعلام العلمي وتنمية دوره لنهضة الوطن، والإسهام في دراسة المشاكل البيئية والمجتمعية والإنتاجية واقتراح الحلول العلمية لها، وتقديم التقارير اللازمة عنها إلى الحكومات.

وأشار إلى أن السياحة العلمية لها أنواع، منها علوم الحاسب والكيمياء والعلوم الطبيعة وعلوم الحياة والعلوم الطبية والعلوم الجغرافية، وقد قسمتها النقابة إلى شعب؛ لإعطاء كل جانب حقه، موضحا أن كل نوع يحتاج إلى جهد كبير لتنميته.

وتابع: أراضينا العربية مليئة بالخيرات، ونستطيع أن نكون مصدرا للسياحة العلمية؛ لكن علينا الاهتمام بالبحث العلمي وبالتسويق السياحي، وأن نبذل جهدا أكبر في تنظيم رحلات داخلية للشباب تتضمن مواقع فيها اكتشافات علمية، وأيضا خارجية لنشر الثقافة العلمية ورفع الوعي العلمي بين الأفراد، ودعم التقدم العلمي والتكنولوجي بهدف تحسين وزيادة الإنتاج.

التنمية جذب سياحي

وقال د. سعيد صادق، أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأميركية: إن العامل العربي يعاني من مفاهيم مغلوطة عن كل شيء.. عن العلم والسياحة والدين أيضا، مشيرا إلى ضرورة التركيز على تنشئة الأطفال على المفاهيم الصحيحة التي تعطي إيجابية وتدعم مستقبل الدول.

وتابع: الشاب العربي أهدافه من السياحة لا تكون إلا للمتعة، ولم يغرس في عقله سياحة التعلم والاكتشاف، وهذا خطأ المدارس والمنظمات المجتمعية، ومن ثم ينبغي العمل على تنمية عقول الأطفال على البحث؛ تنفيذا لأوامر دينية وضرورة للإصلاح واللحاق بركب الأمم.

وأوضح أن تنمية المجتمع من أهم عوامل جذب السياحة، فالسائح يبحث عن المتعة والمعرفة والتعلم، والمجتمعات المدمرة فكريا وأخلاقيا والمجتمعات الجاهلة لا تجذب أي نوع من أنواع السياحة.

سعيد عبيدي
باحث دراسات إسلامية

سماحة الإسلام في الدراسات الغربية المنصفة

لم يقم الإسلام يوما على اضطهاد مخالفيه، أو مصادرة حقوقهم، أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم، أو المس بأموالهم وأعراضهم ودمائهم، بل إن في الدين الإسلامي من السماحة والسهولة واليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده، وهو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب، فعبر تاريخنا الطويل كان يعيش غير المسلمين في أوطاننا آمنين مطمئنين، فلم يجبروا على ترك معتقداتهم، ولم يتعرض أحد لمقدساتهم أو دياناتهم، وهو الشيء الذي جعل الإسلام يبني شريعة التسامح في علاقاته مع الآخر على أساس متين، حيث شرع للمسلم أن يكون حسن المعاملة، رقيق الجانب، لين القول، مع المسلمين وغيرهم.

إن المسلم الغيور في الوقت الراهن ليستشيط غيظا عندما يلاحظ اتهام الإسلام والمسلمين بالعنف والإرهاب، كما أن المهتم والمتابع لواقع صورة الإسلام في الغرب ليأسف على ما آلت إليه تلك الصورة في الآونة الأخيرة من تشويه وتمييع بالغين، وهذا غير جديد على بعض الدارسين والمستشرقين الغربيين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية قلب الحقائق وإثارة الشبهات، إلا القليل منهم ممن لم يُعْمِهم الحقد والتعصب عن ذكر الحق والجهر به، وهو الأمر الذي دفعنا إلى كتابة هذه السطور، والتي سنورد فيها شهادات بعض الغربيين المنصفين الذين أعجبوا بسماحة الإسلام، بل منهم من قادته هذه السماحة إلى سلك طريق الهداية واعتناق الدين الحق.

توماس أرلوند (١٨٦٤م-١٩٢٠م)

وهو مفكر إنجليزي ذكر أهله من الغرب أن الدين الإسلامي انتشر بفعل الحرية الدينية والتسامح، ولم ينتشر كما هو متداول بالقوة وحد السيف؛ يقول في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»: «إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق، إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى، لقد ظل الكفار على وجه الإجمال ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلا في أوربا حتى عصور حديثة جدا، وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقا لتعاليم القرآن، وإن مجرد وجود كثير من الفرق والجماعات

المسيحية في الأقطار التي ظلت قرونا في ظل الحكم الإسلامي لدليل ثابت على ذلك التسامح الذي نعم به هؤلاء المسيحيون» (١).

ويقول أيضا في تمجيد الإسلام وقيامه على العدل والتسامح وعدم التعصب: «وقد نجد عوامل أخرى ساعدت على تناقص الشعب المسيحي في الحقيقة، ولكننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها (فرديناند، وإيزابيلا) دين الإسلام من إسبانيا، أو التي جعل بها (لويس الرابع عشر) المذهب البروتستانتي مذهبا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن انجلترا مدة ثلاث مئة و خمسون سنة، وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالا تاما عن سائر العالم المسيحي الذي لم يكن فيه أحد يقف في جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن ليحمل في طياته الدليل القوي على ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من التسامح نحوهم» (٢).

ول وايريل ديورانت (١٨٨٥م -١٩٨١م)

في كتابه الشهير «قصة الحضارة» والذي تحدث فيه عن مختلف الحضارات، ذهب هذا الفيلسوف والمؤرخ والكاتب الأميركي إلى أن المسيحيين واليهود وغيرهم من أهل الذمة كانوا يعيشون في بلاد المسلمين بأمان كبير وكأنهم يعيشون في ديارهم، فلم يحدث في يوم من الأيام أن أساء إليهم أحد الحكام المسلمين، ولا ألزمهم بتغيير معتقداتهم أو هدم معابدهم، يقول بخصوص ذلك: «ولقد كان أهل الذمة المسيحيون، والزردشتيون، واليهود، والصابئون، يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائرهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من ارتداء زي ذي لون خاص وأداء فرضة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله وتتراوح بين دينار وأربعة دنانير، ولم تكن هذه الضريبة تفرض إلا على غير المسلمين القادرين على حمل السلاح، ويعفى منها الرهبان والنساء والذكور الذين هم دون البلوغ، والأرقاء، والشيوخ، والعجزة، والعمي والفقراء... وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لزعمائهم، وقضاتهم وقوانينهم، وكان تسامح الحكام المسلمين معهم يختلف باختلاف الأسر الحاكمة... وكان اليهود يتمتعون بكامل الحرية في حياتهم وفي ممارسة شعائر دينهم في بيت المقدس، وكان المسيحيون يمارسون دينهم بكامل حريتهم؛ إذ يحدثنا المؤرخون أنه كان في بلاد الإسلام في عصر المأمون أحد عشر ألف كنيسة، كما كان فيها عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النار، وكان المسيحيون أحرارا في الاحتفال بأعيادهم علنا، والحجاج المسيحيون يأتون أفواجا آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين، لقد أصبحوا أحرارا آمنين تحت حكم المسلمين الذين لم يكونوا يجدون لنقاشهم ومنازعاتهم معنى يفهمونه، ولقد ذهب المسلمون في حماية المسيحيين إلى أبعد من هذا؛ إذ عين والي أنطاكية في القرن التاسع الميلادي حرسا خاصا ليمنع الطوائف المسيحية المختلفة من أن يقتل بعضها بعضا في الكنائس» (٣).

زيغريد هونكه (١٩١٣م - ١٩٩٩م)

وهي مستشرقة ألمانية صرفت جل وقتها للدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين، في كتابها الشهير «شمس العرب تسطع على الغرب» تحدثت بإسهاب عن الإسلام والحضارة الإسلامية محاولة إبراز سماحة هذا الدين الحنيف، تقول: «لا إكراه في الدين.. هذا ما أمر به القرآن الكريم، وبناء على ذلك فإن العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة التعصب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فضائع الإسبان واضطهادات اليهود؟ إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا بأنفسهم في شؤون تلك الشعوب الداخلية، فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: «إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة، وهم لا يستخدمون معنا أي عنف» (٤).

ألفريد جيوم (١٨٨٨م - ١٩٦٥م)

وهو مستشرق إنجليزي متخصص في علم الكلام الإسلامي، له مجموعة من المؤلفات في مقارنة الأديان وعلم الحديث والسيرة النبوية، لم يخف إعجابه بالإسلام وسماحته، يقول: «لقد استقبل المسلمون في سوريا ومصر والعراق بترحاب، لأنهم قضوا على الابتزاز الإمبراطوري، وأنقذوا البيع المسيحية المنشقة من الضغط الكريه الذي كانت تعانيه الحكومة المركزية، وبرهنوا بذلك على معرفة بالمشاعر والأحاسيس المحلية أكثر من معرفة الأغراب» (٥).

جابرييلي فرانشسكو (١٩٠٤م - ١٩٩٦م)

وهو مستشرق إيطالي، قام بترجمة نصوص الفكر الإسلامي إلى الإيطالية، له مجموعة من المؤلفات في التاريخ

الإسلامي والحضارة الإسلامية، وبعد دراسته الطويلة للإسلام تأكد له بالملموس أن الدين الإسلامي دين تسامح، ولم يكن أبدا دين تعصب، يقول: «إن الإسلام أضفى على عقائد أهل الكتاب أي المسيحية واليهودية مكانة خاصة يحميها الشرع، وإن تكن ذات مرتبة أدنى في الدولة، ولم يدم التزمت والاضطهاد فترات طويلة إلا في أوقات الشدة وعدم الشعور بالأمان، أما قانون المسيحية فليس فيه أي مكان لأي دين آخر، لذا فقد انتقل بسرعة وبتطور منطقي عندما انتصر على الإسلام إلى التعصب والاضطهاد... لقد انتشر دين بلاد العرب الذي جلبه الفاتحون معهم في شبه الجزيرة بسرعة، كما حدث في جميع البلاد التي فتحها العرب، وأصبح هو السائد بسرعة بين سكان البلاد الأصليين الذين اعتنقوه، وإن لم يصبح هو الدين الوحيد؛ فإلى جانب إسلام الفاتحين الأجانب كان هناك تسامح مع الدين المسيحي الذي طورته إسبانيا، بحيث أصبح لها أعيادها الدينية والثقافية وطقوسها الخاصة وكتابها وقديسوها، ورغم أن مكانته كانت دون الإسلام فقد كان له وضع قانوني كامل، على أن هذه المسيحية قد استعربت بسرعة، لغويا وثقافيا، وأصبحت هناك كلمة عربية تدل على سكان البلاد الذين بقوا على دين آبائهم تحت الحكم الإسلامي، لكنهم أصبحوا ناطقين بالعربية أو يتكلمون اللغتين على الأقل» (٦).

ليفي بروفنسال (١٨٩٤م -١٩٥٦م)

يعد هذا المستشرق أحد زعماء البحث في الفكر الإسلامي في فرنسا، وهو من أصل يهودي تنقل بين الجزائر وفرنسا وإيطاليا، تركزت أبحاثه على تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، كتب المئات من الأبحاث والدراسات، والتي نشرت في مصنفات مستقلة، ونشر بعضها الآخر في أشهر المجلات والحوليات الاستشراقية، أعجب هو الآخر بسماحة المسلمين عند حكمهم للأندلس، والذين لم يكرهوا أحدا على تغيير دينه، بل بالعكس وفروا الجو المناسب للمسيحيين من أجل أداء شعائرهم، يقول: «ما من مكان كانت فيه العلاقات الدائمة ضرورية بين الإسلام والمسيحية أكثر منها في إسبانيا العربية، فإن معظم سكانها قد احتفظوا، على الأقل في القرن الأول من حكم الإسلام، بالديانة القديمة في دولة الفيزيقوت (القوات الغربيون)، وفيما بعد، حتى عقب اعتناق أعداد غفيرة من الرعايا النصارى أهل الذمة للإسلام، للاستفادة من نظام مالي أفضل، بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحيين تشكل في المدن الأندلسية وحدات مزدهرة، لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول وجابيها الخاص وقاضيها الذي يطبق في محكمته، تحت إشراف الإدارة الأموية، القانون القوطي القديم. أما الاضطهادات التي عانتها فقد كان يسببها دوما مسيحيون متهوسون يرفضون أن يتراجعوا عن القدح في معتقد سادة البلاد. وكان أمراء الأندلس وخلفاؤها يقرون بصورة دائمة تقريبا اختيار أصحاب الرتب الكهنوتية: مطران طليطلة وأسقف قرطبة، حتى إنهم كانوا يستعملون هؤلاء الأحبار في سفارات أو مهمات سياسية سرية في الوقت المناسب... وهذا ما يجعلنا نفترض وجود اختلاط ودي، واثق ومتصل بين مختلف عناصر السكان، بل نملك على هذه الناحية شهادة معاصرة لا نستطيع الارتياب في قيمتها، ذلك لأنها صادرة عن واحد من أنشط أبطال المقاومة ضد الإسلام في شبه الجزيرة في القرن التاسع ألا وهو «ألفارو القرطبي» فبينما يحزن لفتور مسيحيي إسبانيا وجهلهم باللاتينية، نراه يمجد بفصاحة نادرة الثقافة الإسلامية الإسبانية التي كانت في طور التكوين» (٧).

إدوارد بروي (١٨٨٧م-١٩٧٢م)

هو صاحب كتاب «تاريخ الحضارات العام: القرون الوسطى»، وهو جزء

من أكبر وأفضل الموسوعات التاريخية الشاملة، والتي تسرد تاريخ الأمم ابتداء من حضارة الشرق واليونان القديمة وانتهاء بعهدنا المعاصر، ذكر فيه مما ذكر أن الحضارة الإسلامية استطاعت أن تصل إلى مستوى العالمية بسبب سماحة المسلمين وعدم تعصبهم تجاه المسيحيين، الذين كانوا يكيلون للمسلمين التهم بإسبانيا ويعرضونهم لشتى أنواع العذاب يقول: «ما لابد من التنويه به عاليا أن هؤلاء السلاطين العثمانيين لم يظهروا أي تحرج أو تعصب تجاه المسيحيين، في وقت وزمان كان فيه ديوان التفتيش يبطش بالناس بطشا وينزل بهم الهلع، وفي عهد كان اليهود والمسلمون يطردون دونما رحمة أو شفقة من إسبانيا، وبالرغم من إسكان عدد كبير من الجاليات الإسلامية في البلقان، واعتناق بعض الجماعات البلقانية الإسلام فلم يأت العثمانيون شيئا مهما ليمنعوا السواد الأكبر من سكان البلاد البلقانية من الاحتفاظ بنصرانيتهم» (٨).

ويقول أيضا في نفس الكتاب: «قلما عرف التاريخ -والحق يقال- فتوحات كان لها في المدى القريب على الأهلين مثل هذا النزر الصغير من الاضطراب؛ فمن لم يكن عربيا من الأهلين لم يشعر بأي اضطهاد قط، فاليهود والنصارى الذين هم أيضا من أهل الكتاب حق لهم أن يتمتعوا بالتساهل وأن لا يضاموا، وكان لابد من الوقوف هذا

الموقف نفسه من الزرادشتية والبوذية والصابئة وغيرها من الملل والنحل الأخرى، والمطلوب من هؤلاء السكان أن يظهروا الولاء للإسلام ويعترفوا بسيادته وسلطانه، وأن يؤدوا له الرسوم المترتبة على أهل الذمة تأديتها، وفي نطاق هذه التحفظات التي لم يكن لتؤثر كثيرا على الحياة العادية، تمتعوا بكافة حرياتهم» (٩).

إميل درمنغم (١٨٩٢م- ١٩٧١م)

أحد كبار المستشرقين الفرنسيين، عمل مديرا لمكتبة الجزائر، من آثاره كتاب: «حياة محمد» وهو من أحسن ما ألفه مستشرق عن النبي ﷺ، وكتاب: «محمد والسنة الإسلامية»، بالإضافة إلى مجموعة من الأبحاث والدراسات التي نشرت في المجلات المصنفة والحوليات الاستشراقية، أعجب هذا المستشرق بالإسلام وسماحته التي جعلت منه دينا مقبولا وعالميا على حد قوله، فالمسلمون لم يقابلوا الإساءة بالإساءة وإنما قابلوها بالصفح والتسامح؛ يقول في كتابه «حياة محمد»: «وتم النصر للإسلام لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة ولم يستطيعوا لها ردا، فلما كانت الهجرة وكان ما أبدوه من المقاومة والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستورا لهم. أجل لم يبق للمشركين مقام في دار الإسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما، وصاروا من المجتمع إذا ما أعطوا الجزية. قال النبي ﷺ: «من آذى ذميا فأنا خصمه»، وما أكثر ما في القرآن والحديث من الأمر بالتسامح، وما أكثر عمل فاتحي الإسلام بذلك، ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعبا، وما دخول الناس أفواجا في الإسلام إلا عن رغبة فيه، وهنا نذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل القدس فاتحا أمر بأن لا يمس النصارى بسوء، وبأن تترك لهم كنائسهم، وشمل البطرك بكل رعاية ورفض الصلاة في الكنيسة خوفا من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لتحويلها إلى مسجد. وهنا نقول ما أعظم الفرق بين دخول المسلمين القدس فاتحين ودخول الصليبيين الذين ضربوا رقاب المسلمين، فسار فرسانهم في نهر من الدماء التي كانت من الغزاة ما بلغت به ركبهم، وعقد النية على قتل المسلمين الذين تفلتوا من المذبحة الأولى» (١٠).

جاك ريسلر

وهو مستشرق فرنسي يعمل في معهد باريس للدراسات الإسلامية، من أهم مؤلفاته كتاب: «الحضارة العربية» والذي نال جائزة الأكاديمية الفرنسية، وعد دراسة أساسية للراغبين في معرفة الإسلام، ومحتوى هذا الكتاب وطريقة تقديمه يجعلنا نقرر أن «ريسلر» ينتمي إلى الجيل الجديد من المستشرقين المؤمنين بحوار الحضارات، يقول في هذا الكتاب بخصوص سماحة الإسلام: «كانت جميع الأديان لها حق الممارسة المطلقة في عبادتها، وكان اليهود المطاردون لديهم مطلق الحرية في اقتناء الثروات ووصلوا أحيانا إلى مراكز سامية، واختلط المسيحيون مع المسلمين، وحدث انهم احتفلوا بأعيادهم معا في المسجد والكنيسة، ونتيجة لهذه الحرية البالغة أقصى حد شوهد بعض المسيحيين يتخذون لأنفسهم أكثر من زوجة على الرغم من تحريم الكنيسة» (١١).

هكذا إذن وبعد استقراء شهادات هؤلاء الغربيين المنصفين الذين صدحوا بالحق ولم يؤسسوا أفكارهم على الباطل والشبهات يمكن أن نقول إن هذه الشهادات أجمعت على أن الإسلام كان يحترم ويوقر الأديان الأخرى، ويسمح لأتباعها في ظل الدولة المسلمة بممارسة كافة الشعائر الدينية؛ فالنصارى واليهود هم أهل ذمة عند المسلمين ما لم يحاربوهم، وقد تمتعوا عبر التاريخ الإسلامي الطويل بكافة امتيازات المواطنين، ولم يحدث في يوم من الأيام أن أساء إليهم أحد أو اغتصب حقهم وحريتهم في معتقدهم، لأن الإسلام بكل بساطة دين صفح وتسامح لا دين إكراه وإرهاب.

الهوامش

١- أرلوند توماس، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٦٢.

٢- نفسه، ص ١٤٧-١٤٨.

٣- ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، ج ١٣، ص ١٣٠-١٣٢. بتصرف.

٤ - زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية على أوربا، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٩٣م، ص: ٣٦٤.

٥ - ألفريد جيوم، الفلسفة وعلم الكلام، دراسة منشورة في كتاب «تراث الإسلام»، ترجمة: جرجس فتح الله، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٧٧.

٦- جابرييلي فرانشسكو، الإسلام في عالم البحر المتوسط، نقلا عن: تراث الإسلام، جوزيف شاخت وبوزورث كليفورد، ترجمة: محمد زهير السمهوري وحسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٨، أغسطس ١٩٨٥م، ص ٨٥.

٧ - ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ص ٧٢.

٨ - إدوارد بروي، كلود كاهين، جورج دوبي، ميشال مولات، جانيت أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة: فريد داغر ويوسف أسعد داغر، منشورات عويدان، بيروت ج ٣، ص ٥٨٩-٥٩٠.

٩ - نفسه، ص ١١٦.

١٠ - إميل درمنغم، حياة محمد، ترجمة: عادل زعيتر، دار العالم العربي، الإمارات العربية المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ٣٦٩.

١١ - جاك ريسلر، الحضارة العربية، ترجمة: خليل أحمد خليل، عويدات للنشر والطباعة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م، ص ١٥٤.

د. أشرف صالح
كاتب وأكاديمي مصري

من وسائل الثقافة والاطلاع في التراث العربي..

إعارة الكتب

أحب المسلمون العلم وكرموا أهله، وبذلوا في سبيله أموالهم وراحتهم، ورحلوا من أجله الرحلات الطويلة، وبلغوا به أعلى المراتب. وقد اهتم المسلمون بالكتاب اهتماما عظيما؛ تأليفا ونسخا وتجليدا وحفاظا، فكتب التراث حافلة بقصص ونوادر وحكايات عن شغف المسلمين وحبهم للكتب وبذل كل ما يملكون في سبيل الحصول عليها، وركوب الصعب في الوصول إليها. وبناء على هذا الشغف عرف المسلمون مسلكا حضاريا جميلا وتعاملوا معه؛ ألا وهو «إعارة الكتب»، ولا نعني هنا الإعارة من المكتبات ودور العلم، أو من الكتب الوقف، إنما نقصد إعارة الكتب من غير الدور المتخصصة في هذا المجال مثل المكتبات الخاصة (الشخصية)، ودكاكين الوراقين.

لقد أقبل العرب على اقتناء الكتب إقبالا منقطع النظير، وأغلب الظن أن هذا ما دفع إلى ظهور فكرة إعارة الكتب لإتاحة فرصة القراءة ومطالعة الكتب لقطاع من طلبة العلم، لاسيما الفقراء منهم ممن لا يجدون سعة في أموالهم ينفقون بها على اقتناء الكتب أو استنساخها، لذلك نجد في كتب التراث أبوابا ترغب في ذلك، منها مثلا ما جاء في كتاب «الجامع لأخلاق الراوي والسامع» لمؤلفه الخطيب البغدادي، وكتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر القرطبي: باب الترغيب في إعارة الكتب/ باب كراهة حبس الكتب المستعارة عن أصحابها وما جاء في الأمر بتعجيل ردها إلى أربابها/ باب شكر المستعير للمعير.. وغيرها من الأبواب الشيقة.

وقد حبذ العلماء إعارة الكتب ودعوا إلى بذلها للمستفيدين حتى يتمكنوا من الاطلاع والاستزادة في العلم، وكان القاضي وكيع يقول: «أول بركة العلم إعارة الكتب» (١). وقال ابن شهاب (ت ١٢٤هـ) ليوسف بن زيد: «إياك وغلول الكتب، قال: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها» (٢). وروي أنه أتى أبا العتاهية أحد إخوانه، فقال له: أعرني دفتر كذا وكذا، فقال أبوالعتاهية: إني أكره ذاك، فقال له المستعير: أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره؟! فدفع إليه الدفتر (٣).

وقال أبوالكرم خميس بن علي بن أحمد الحوزي:

كتبي لأهل العلم مبذولة
أيديهم مثل يدي فيها
متى أرادوها بلا منة
عارية فليستعيروها
حاشاي أن أكتمها عنهم
بخلا كما غيري يخفيها
أعارنا أشياخنا كتبا
وسنة الأشياخ نمضيها

وهذه دعوة صريحة ببذل الكتب والتصريح بإعارتها متخذا الشاعر سنة شيوخه قانونا يسير عليه في إعارة الكتب.

وانشد أبوحفص عمر بن عثمان الشعيبي:

لا تمنعن الأهل كتبك واغتنم
في كل وقت أن تعير كتابا
فمعيرها كمعير ماعون فمن
يمنعه لاقى الويل والأنصابا

وأنشد أبومحمد بن نصر السويدي – وهو من أهل أذربيجان – حاثا على الإعارة لما لها من فضل:

أعر صديقك ما حصلت من كتب
تفز بشكر أريج النشر عن كثب

وقد حث الإمام محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤هـ)، على بذل الكتب في رسالة إلى محمد بن الحسن إذ منعه كتبه، فقال: «العلم يأبى أهله أن يمنعوه أهله».

آداب إعارة الكتب

رأت جماعة من أصحاب الكتب الحل في إسداء النصح إلى المستعيرين عله يردهم إلى الجادة فينالوا بغيتهم ويحفظوا حقوق المعيرين، فأنشد الحسن بن علي لبعض أصحابه: (٤)

أيها المستعير مني كتابا
ارض لي منه ما لنفسك ترضى
لا ترى رد ما أعرتك نفلا
وترى رد ما استعرتك فرضا

وعلى حسن الرد لما له من أثر حسن على ديمومة تلك الفضيلة، قال أبومحمد بن نصر السويدي:

فإن أعاروك فارددها على عجل
حتى تعار بلا منع ولا نصب

وهذه من آداب إعارة الكتب، بأن يعيد المعار الكتب في سرعة وعجل حتى لا يتضايق صاحبها ويضطر إلى حبسها إذا تأخروا في إعارتها، فبسبب حبس الكتب المستعارة امتنع غير واحد من إعارتها (٥).

قال محمد بن خلف بن المرزبان:

أعر الدفتر للصاحب بالرهن الوثيق
إنه ليس قبيحا أخذ رهن من صديق

فهنا يطلب الشاعر المعير أن يقبض رهنا وهو يعلم بأنه أمر قبيح ولا يقبله المجتمع من صديق، ولكنه يرى في ذلك الضمان الوحيد لإعادة الكتاب. والرهن خير من الحبس، وقد أيد علي بن أبي بكر الطرازي هذا الأمر، فقال: (٦)

يا مستعير كتابي
لا تكثرن عتابي
ألا برهن وثيق
من فضة أو ثياب

وفي ذلك أنشد أبوالحسين بن الطيوري لبعضهم في بغداد: (٧)

جل قدر الكتاب يا صاح عندي
فهو أغلى من الجواهر قدرا
لست يوما معيره من صديق
لا ولا من أخ أحاذر غدرا
ما على من يصونه من ملام
بل له العذر فيه سرا وجهرا
لن أعير الكتاب إلا برهن
من نفيس الرهون تبرا ودرا

وياقوت الحموي (٦٧٦هـ) الذي أنفق من عمره ثلاثة أعوام في مدينة «مرو»، يذكر أنه سُر كل السرور في الإقامة بتلك البلدة لما في أهلها من الرغد ولين الجانب، وحسن العشرة، وكثرة كتب الأصول المتقنة بها. ويضيف ياقوت: ولولا ورود التتار إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات لما فيها من خزائن الوقف، وكانت الكتب سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد، وأكثره بغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار. ويتضح من ذلك أن القاعدة هي السماح بإعارة الكتب للأشخاص الموثوق بهم وطلاب العلم، كما أنه كانت هناك كتب معارة لقاء رهن (٨).

والسمات الحميدة المطلوبة في الرجل أن يكون متسامحا في إعارة كتبه لطلاب العلم، حتى إنهم أشاروا إلى ذلك عند ترجمتهم لبعض الأشخاص الذين عرفوا بذلك، حيث كانوا يعيرون طلابهم ويعينونهم بالكتب النفيسة دون تفرقة بين جمهرة الطلاب. ولعل وجوب رد الكتب والمحافظة عليها وإحسان ضيافتها بل إحسان استخدامها والشكر عند ردها، كانت من أبرز النصائح التي حرص الكثيرون على التنبيه إليها (٩). وفي باب شكر المستعير للمعير نجد أن بعض شيوخ السلف قالوا: (١٠)

قد رددنا إليك أصلحك الله
مع الشكر ما استعرناه منكا
ورأيناك أحسن الناس صبرا
واحتمالا لما حبسناه عنكا

وفي الحقيقة؛ إن هذه الضوابط في الإعارة أو بمعنى أصح إجراءاتها إذا دلت على شيء، فإنما تدل على مدى الرقي الحضاري في ذلك الزمان (١١).

فوائد الإعارة

ومن الطرائف أن القاضي أبا الوليد الكناني، كان إذا أعار كتابا لأحد إنما يتركه عنده بعدد ورقاته أياما ثم لا يسامحه بعد ذلك، ويقول: هذه الغاية إن كنت أخذته للدرس والقراءة، فلن يغلب أحد حفظ ورقة كل يوم، وإن أردته للنسخ فكذلك، وإن لم يكن هذا ولا هذا فأنا أحوط بكتابي وأولى برفعه منك (١٢). ويكشف هذا الموقف على أمر مهم، وهو السماح بنسخ الكتب عند إعارتها، حيث يسمح للمستعير أن ينسخ نسخة من الكتاب الذي استعاره، وهذا غاية الكرم في بذل العلم ودون مطالبة المؤلفين بأي حقوق تأليف (١٣). فقد اقتضت ظروف العصر المتمثلة في ضعف الوسائل المتاحة لنشر الكتب على نطاق واسع أن يتهافت طلبة العلم على الكتب النفيسة والنادرة، رغبة في استنساخها، ومن الطريف أن أبا عبدالله بن أبي الفتح الصواف عبر عن هذا الاتجاه في بيتين من الشعر قال فيهما: (١٤)

يا مستعير كتابي إنه علق
بمهجتي وكذاك الكتب بالمهج
فأنت في سعة إن كنت تنسخه
وأنت من حبسه في ضيق الحرج

وربما أفادت الإعارة المعير نفسه في بعض الحالات وخاصة عند حدوث النكبات كالحريق والتلف، حيث تقضي النيران على الكتب وتبقى الكتب المعارة في سلامة، فمن ذلك كان إبراهيم بن أبي بكر المعروف بـ «الفاشوشة» (٦٠٢- ٧٠٠هـ) وكان تاجرا بسوق الكتب في دمشق له فيها دكان كبير وكتب كثيرة، فعندما احترقت كتبه، لم يبق له غير الكتب التي كانت عند الناس (١٥).

خاتمة

وتجدر الإشارة أخيرا إلى أن البعض رأى عدم استساغة استعارة الكتب مع التمكن من شرائها أو استئجارها، وهناك فريق من العلماء بخلوا بإعارة كتبهم لمكانتها عندهم، ولخوفهم من فقدها وضياعها أو تلفها. قال مسافر ابن محمد البلخي:

أجود بجل مالي لا أبالي
وأبخل عند مسألة الكتاب
وذلك أنني أفنيت فيه
عزيز العمر أيام الشباب

وقد ذكرت المصادر أن القاضي الطارف (قاضي الجامعة في الأندلس) لا يعير كتابا من كتبه البتة، وإذا سأله أحد ذلك وألح عليه، أعطاه للناسخ فنسخه، وقابله ودفع إلى المستعير (١٦). وأنشد الأمير سعد منصور بن محمد العاطي، يقول: (١٧)

لا تستعر شيئين مني صاح
وسواهما فاطلب تفز بنجاح
أما الكتاب فإنه لي مؤنس
وإعارة المركوب فهو جناحي

الهوامش

١- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، تحقيق: محمود الطحان- الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٣هـ (ج١/ ص٢٤٠)
٢- عبدالله الحبشي، الكتاب في الحضارة- الكويت: شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ١٩٨٦م. ص ٩٦.
٣- خديجة عبدالله الصبان، «إعارة الكتب» مجلة القافلة، ع ٢٢/ ٢٠٠٦م.
٤- خديجة عبدالله الصبان، «إعارة الكتب»، مجلة القافلة، ع ٢٢/ ٢٠٠٦م.
٥- قاسم عثمان نور، الكتاب والمكتبة في الحضارة الإسلامية: منظور تاريخي- الخرطوم، مركز قاسم، ٢٠٠٥م. ص ٢٩٣.
٦- عبدالله الحبشي، الكتاب في الحضارة، ص ٩٩-١٠٠.
٧- محمد خير رمضان، آداب إعارة الكتاب في التراث الإسلامي- بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٥م. ص ٢٨- ٢٩.
٨- قاسم عثمان نور، الكتاب والمكتبة، ص ٢٩٣.
٩- ندى يوسف أحمد، «إعارة الكتب في التراث العربي»، مجلة العربية، العدد (٤١٦) أغسطس ٢٠١١م.
١٠- البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي، (ج١/ ص٢٤٨).
١١- عبدالتواب شرف الدين، تاريخ أوعية المعرفة- القاهرة: الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م. ص ٥٠.
١٢- عبدالله الحبشي، الكتاب في الحضارة، ص١٠٣
١٣- قاسم عثمان نور، الكتاب والمكتبة، ص ٢٩٤.
١٤- ندى يوسف أحمد، «إعارة الكتب في التراث العربي»، مجلة العربية، العدد (٤١٦) أغسطس ٢٠١١م.
١٥-الصفدي، الوافي بالوفيات، نسخة إلكترونية: موقع الوراق (alwarraq.com) ج ٢/ ص ٢١٥.
١٦- عبدالله الحبشي، الكتاب في الحضارة، ص١٠٣
١٧- خديجة عبدالله الصبان، «إعارة الكتب»، مجلة القافلة، ع ٢٢/ ٢٠٠٦م.

علي زلماط
باحث دراسات إسلامية

الفكر الاستشراقي المغرض

إذا كان للمستشرقين جهود لا تنكر في خدمة البحث العلمي، والاهتمام بالعلوم الإسلامية، والعناية بالتراث الإسلامي، بالدراسة والتحقيق، وإذا كان لبعضهم فضل التنويه المنصف بقيم الإسلام والحضارة الإسلامية، ودورها الفعال في تطور أوروبا والعالم الغربي بشكل عام، فإن لبعضهم أخطاء وأغلاطا، لا تغتفر، وخروجا أحيانا كثيرة، وعن قصد، عن المنهج العلمي الموضوعي، الذي ينبغي على الباحث الالتزام به، دون الانحياز لإثبات وجهة نظر ما، أو لتهديم حقائق أخرى ثابتة، نتيجة الخضوع للتأثيرات الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ونحن في هذا المقال نسعى من خلاله إلى التوقف عند بعض المستشرقين، ونظرتهم إلى العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم، والدين الإسلامي على وجه العموم، بتقديم أدلتهم وحججهم، ثم النظر فيها من بعد ذلك، إن كانت تحاذي الصواب أو تتفاداه.

بدأ اهتمام المستشرقين الغربيين بالقرآن الكريم، بحثا ودراسة، منذ الاحتكاك المباشر بالمسلمين، إبان الحروب الصليبية، التي دامت حوالي قرنين من الزمن، ولما رأوا فيه من القوة العجيبة في التأثير على المسلمين في جميع المجالات، فكان اهتمامهم من هذا المنطلق، بحثا عن سر هذا التأثير، من جهة، ومن جهة أخرى، البحث عن السبل والمنافذ للحيلولة دون حدوث هذا

التأثير مرة أخرى، فكان أول ما قاموا به لما عادوا إلى بلادهم، بعد أن طردوا من قبل المسلمين، بزعامة صلاح الدين الأيوبي، هو تشييد جامعات ومعاهد، خصيصا لدراسة القرآن الكريم، وكل ما يتعلق به من مختلف العلوم، فتمكنوا بذلك من تكوين باحثين متخصصين في الدراسات الإسلامية، والثقافة الشرقية العربية الإسلامية، أمثال: بروكلمان، جورسيل، شاخت، جولدزيهر... الذين أبلوا بلاء حسنا، في تحقيق كثير من المخطوطات النادرة، والتي عسر على المسلمين الوصول إليها، وكذلك تأليف كثير من الموسوعات، في شتى مجالات الإسلاميات، قل نظيرها عند المسلمين.

لكن ورغم هذه الجهود، وهذه العناية بالقرآن الكريم، فإنها لا تتسم إلى حد ما بالموضوعية العلمية الشاملة، كما ينبغي أن تكون، فكانت النتائج المحصل عليها تخالف ما هو عليه اعتقاد المسلمين.

وهذا الأمر لم يأت هكذا جزافا، وإنما كان تحت تأثير عدة دوافع، يغلب عليها الدوافع الدينية المبغضة للإسلام كدين شامل للحياة، والدوافع الاستعمارية، الطامعة في ثروات البلاد الإسلامية.

فكان من هذه الدراسات ما يزعم أن القرآن الكريم من التجربة البشرية، وأنه انتحال من كتب اليهود والمسيحيين، لا وحي سماوي من عند الله، فكيف ذلك؟

ذهب مجموعة من المستشرقين إلى القول بأن القرآن الكريم الذي يتعبد به المسلمون من تأليف محمد، مصدرا وأسلوبا، وقد أصبحت هذه المقولة مشهورة بين المستشرقين لدرجة أن جورسيل قال: «بأن هذا الأمر حقيقي لا يقبل الجدل» (١)، وعلى ذلك يكون محمد عليه الصلاة والسلام اعتمد في تأليفه للقرآن الكريم على المعلومات التي استقاها من تجاربه الشخصية مستعينا بذلك بالثقافة العربية الوثنية، وبما عليه أتباع الديانة الحنيفية، بالإضافة إلى مستواه اللغوي الذي وظفه في الربط بين هذه المعلومات ربطا أدبيا، يضفي عليه الجمالية البلاغية بصبغة عربية أصيلة، ونفس الشيء الذي يؤكده المستشرق جون سي بلر حيث قال: «وبالفعل لا يمكننا التقليل من تأثير الحنيفية على محمد خلال زمن نشأة الإسلام» (٢)، بدليل أوجه التشابه الواقع بين الديانة الحنيفية وما جاء به الإسلام من التوحيد ورفض الشرك والدعوة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة وغير ذلك من الفضائل.

والمتأمل في دراسات هؤلاء، يجد أنهم قد استخدموا مناهج علم الاجتماع، التي تربط نشأة المعتقدات الدينية بالبنيات والمجتمعات، فـ «جون أمبتي» واحد من هؤلاء الذي قال: «إن المعتقدات القبلية الوثنية في إفريقيا قد نشأت بسبب ارتباط عوامل بيئية واجتماعية» (٣).

ويقول «مونتجمري واط»: «إن ذكر الحوادث التاريخية ليس بعيدا عن الاهتمام العقدي، فإن مؤيدي علم الاجتماع المعرفي يرون أن كل المظاهر العقدية والفلسفية ذات مرجع سياسي أو اجتماعي» (٤).

أي بمعنى أن الدين الإسلامي الذي جاء به النبي محمد ﷺ هو نتيجة إفرازات الحياة الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية العربية، الوثنية منها والحنيفية، ليس إلا.

هذا وقد ذهب كذلك فريق من المستشرقين إلى القول بأن القرآن الذي أتى به محمد ﷺ ما هو إلا تأليف ملفق بالتعاليم اليهودية والمسيحية، استقاها من كتب اليهود والمسيحيين، والتوراة والأناجيل.

والملاحظ في هذا الادعاء، أن المستشرقين اليهود، أمثال «جولدزيهر» و«شاخت» هم أشد حرصا على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية (٥). حيث يقول «فيليب إيرلنجي»: «لقد كان محمد في المدينة تلميذا لليهود، وهم الذين كونوه ثم بدأ جبريل يمده ببعض الأساطير التي يعرفها اليهود والمسيحيون» (٦).

أما المستشرقون المسيحيون فهم يجرون وراء المستشرقين اليهود في هذه الدعوى، ذلك أن الديانة المسيحية ليس فيها تشريع، يستطيعون أن يزعموا تأثر الإسلام به، وإنما فيها مبادئ أخلاقية، زعموا أنها أثرت في الإسلام، ودخلت عليه منها (٧).

توحيد الله وصفاته

فكما اعتبر المستشرقون أن القرآن الكريم من تأليف محمد، فإن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام، هي بدورها (بزعمهم) لها جذور في الديانتين اليهودية والمسيحية، بالإضافة إلى الوثنيات العربية، التي لها تأثير واضح في العقيدة، لما اعترف القرآن بآلهة العرب الثلاثة: اللات والعزى ومناة الثالثة.

يقول «بروكلمان»: «إنه ما يظهر - أي للكاتب - أن محمدا اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاثة، اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله وقد أشار إليها في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» (٨).

ويذهب المستشرق «فنسنك» إلى القول: إن محمدا استمد مفهوم الإله من المسيحية، وذلك أن مفهوم الإله عند المسلمين يلتقي في نقاط عديدة مع وصف «يوحنا الدمشقي» وشرحه للذات الإلهية (٩).

ومن جهة أخرى يذهب «ماكدونالد» إلى القول: إن الله الذي يدعوه محمد كان معروفا عند العرب، حيث يقول: «مما لاشك فيه أن العرب قبل محمد قالوا بوجود إله على نحو ما سموه «الله»، وكانوا يعترفون بالله ويقسمون به جهد أيمانهم وليس من السهل دائما أن نميز بين آرائهم وبين تفسير محمد لهذا الرأي... وقد اعتبروا بعض الملائكة بنات الله» (١٠).

أما فيما يتعلق بالأسماء والصفات فقد نهجوا نفس المنهج، وادعوا «أن لوازم السجع حملا محمدا على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن، وهي تعبر عن حقيقة إله محمد لكنها عبارات مبعثرة ومتناقضة، أما أسماء الله فتبدو لأول وهلة خليطا غريبا من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات الميتافيزيقية» (١١).

ويذهب «ماكدونالد» في حديثه عن أسماء الله الحسنى، وخاصة اسم «السلام»، زاعما أن معناه غامضا إلى حد كبير ومؤكد، وفي نفس الوقت لا يعني Peace... ويضيف قائلا: «إن الرسول ربما التقط هذه الكلمة من إحدى صلوات المسيحيين وظلت عالقة بذهنه» (١٢)، ويزعم كذلك أن اسم الباري قد أخذه الرسول من العبرية دون أن يبين به معنى مخصوصا (١٣).

الرد على الشبهات

يرد على هذه الشبهات التي أثارها المستشرقون للحط من الإسلام بما يلي:

أولا: أن النبي محمد ﷺ لما جاء بهذا الدين الجديد وقف مشركو العرب في وجهه، صدا منيعا لنشر دعوته، بدعوى أنها تخالف ما كان عليه آباؤهم، ولو كان ما يدعيه المستشرقون بأن محمدا ﷺ قد اعتمد على الثقافة العربية الوثنية والحنيفية في تأليفه للقرآن الكريم ما وقفوا في وجهه، وما رفضوا هذا الدين، ولكانوا أول المؤمنين به، ولو كان صحيحا ما يدعون، ما عذب النبي محمد ﷺ وأصحابه من أجل هذه الدعوة أشد العذاب، بدءًا بالاستهزاء واختلاق الكذب والبهتان والإشاعات إلى محاولة اغتيال النبي ﷺ، من طرف عمير بن وهب لما استأجره صفوان بن أمية مقابل أن يقضي عليه الدين وأن يكفل عياله.

ثانيا: أن الدين الذي جاء النبي ﷺ احتوى على كل عناصر الدين الجديد: التوحيد والعبادات والمعاملات والأخلاق والتشريع، بخلاف الديانتين اليهودية والمسيحية (١٤). فلا تكاد تجد أوجه الشبه بينهما فاليهودية والمسيحية أصابهما التحريف على مر الزمان والعصور، عكس القرآن الكريم فقد بقي بأصله دون تغيير أو تحريف، بالإضافة إلى كون الديانة اليهودية تقر الوساطة بين العبد وربه، ونفس الشيء مع المسيحية، ويتجلى ذلك في كون الأولى، أي اليهودية، يلعب فيها الهيكل هذا الدور، فهو الذي يقبل القربان من العباد، فلا يقبل قربان بغير وساطة الكهان والأحبار، أما الإسلام فلا شيء فيه من هذا القبيل، وبالنسبة للديانة المسيحية، فالكنيسة هي الوسيطة والرقيبة على أفعال العباد، من خلال تقديم صكوك الغفران، وتسليم الأماكن في الجنة، بقدر الثمن المدفوع، إضافة إلى كونها ديانة تحتوي عقائد وثنية، كعقيدة مثرا إله الشمس، عقيدة الرومان قبل المسيحية...

فالقرآن الكريم لم يكن يوما ما موافقا لتقاليد المسيحية، وإذا كان قد أخذ منها كما يزعمون فكيف يعلن الحرب عليها؟

حيث يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا

مِّنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (المائدة:٧٣).

وفي هذا الصدد يقول «فيليب حتي»: «إن جاز التشبيه بالأصول والفروع فيمكننا أن نقول أن الإسلام شجرة تحمل الثمرات الخيرة من الأديان السابقة بعد التهذيب والتجويد، وإن ثمرات الشجرات الإسلامية لا تحملها تلك الشجرات، فليست اليهودية جذر العقيدة الإسلامية لأنها تفرعت عما سبقها ولم تكن جذرا لما تلاها» (١٥).

ثالثا: أما قصة الغرانيق التي يستند إليها بروكلمان في ادعائه بأن الإسلام قد اعترف في بداية أمره بآلهة العرب، فإنها غير صحيحة عند علماء المسلمين من عدة أوجه منها: أن هذه الرواية متروكة عند أهل الحديث، حيث في سندها المروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) متروك وهو «الكلبي». أما من جهة اللغة فقد قام الشيخ محمد عبده بتحليل قصة الغرانيق فوجد أن العرب لم يصفوا قطعا آلهتهم بالغرانيق، فلم يأت لهم في نظم ولا خطب ولم يكن ذلك جاريا على ألسنتهم، ولم يستعمل الغرنوق والغرنيق إلا لاستعماله الحقيقي بكونه طائرا مائيا أسود وأبيض واسمه مالك الحزين، واستعمل لغة بشكل مجازي للشاب الأبيض الجميل (١٦). بالإضافة إلى أنها تخالف ما يدعو إليه القرآن الكريم من التوحيد المطلق، وسورة الكافرون دليل واضح للعيان، فلا يمكن للرسول ﷺ أن يستحسن ما عليه المشركون، وإلا خالف ما يدعو إليه.

رابعا: أما ما قاله «ماكدونالد» في حق أسماء الله تعالى فهو زعم لا رأس له ولا ذنب، إذ كيف يأخذ الرسول ﷺ شيئا من العبرية ولا يعرف معناها البتة؟ ولم يثبت أن تكلم بها، بل كيف يأخذ شيئا هو موجود أصلا في اللسان العربي؟ فالباري هو اسم فاعل من فعل برأ أي خلق، وهذا معروف لم نكن نظن أن أحدا سيجعله محل شك ومراء، ولكنهم للحقد يعملون (١٧).

ولبيان هذا الحقد يقول «بودلي» في كتابه «سيرة الرسول» ﷺ: هذا الافتراء معتمد على وجود ترجمة للإنجيل بالعربية قبل ظهور الرسول، وذكر أن الترجمة للعهدين القديم والجديد ظهرت بعد عهد النبي ببضعة قرون، فكيف يقال أنه اطلع عليه أو أخذ منه؟... هذا ويخالف عقيدة التثليث في المسيحية، بتوحيد مطلق فأين هذا الاقتباس إذن (١٨)؟

هذا وبالتأكيد لم يثبت لدى مؤرخي العرب أن النبي ﷺ قد تعلم أو قرأ على يد شيخ أو معلم، فما بالك بالعبرية، فقد جاء بالقرآن الكريم من عند الله عن طريق الوحي، ليعلمهم ما لم يكونوا يعلمونه، ويخرجهم من ظلمات اللات والعزى ومناة الثالثة إلى نور الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

وفي الختام نقول: إن الالتزام بالمنهج العلمي الموضوعي في دراسة دين معين، يحتم على الباحث الحديث عن حقيقة ذلك الدين من خلال فهم أصحابها لها، ثم بعد ذلك له كامل الحرية في موافقتها أو مخالفتها، وهذا ما لم يلتزم به هؤلاء المستشرقون في دراساتهم للدين الإسلامي، فمنهم من استسلم للرغبات الدينية التي ترعاها الكنيسة لأهدافها التبشيرية، وهناك من يعمل لصالح السياسة والاقتصاد، لأهداف استعمارية كولونيالية.

وعليه فإن الباحث النزيه، الذي يلتزم بالموضوعية العلمية عندما يتعرض للحديث عن الإسلام، سيستنتج حتما أن العقيدة الإسلامية التي تقوم على أساس الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، هي سر قوة المسلمين عبر التاريخ، وأن القرآن الكريم هو الضامن لاستمرار الدين الإسلامي.

الهوامش

١- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمد حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة مصر، د ط، دت، ص ٨٧.

٢- مصادر الإسلام، جون سي. بلر، ص ٢٨ كتاب على الرابط: www.muhammadanism.org

٣- دراسات استشراقية، ص ١٣٠، نقلا عن: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، عبدالمنعم فؤاد، مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ٢٠٠١م، ص ٤٥.

٤- مرجع سابق، ص ٤٥.

٥- المستشرقون والسنة النبوية، سعد المرصفي، مكتبة المزار الإسلامية الكويت، مؤسسة الريان، بيروت- لبنان، د.ط، تاريخ كتابة المقدمة ١٤/٠٩/١٩٩٠م، ص ١٨.

٦- مجلة hitorila:Avrill ١٩٦٩م نقلا عن: من قضايا الاستشراق بحوث ودراسات، يحيى مراد، ص ٢٥٣.

٧- المستشرقون والسنة النبوية، سعد المرصفي، ص ١٨.

٨- من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، عبدالمنعم فؤاد، ص ٥٥.

٩- مرجع سابق، ص ٥٦.

١٠- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد الفندي، ج٢، ص ٥٥٨، نقلا عن: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، عبدالمنعم فؤاد، ص ٥٦.

١١- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد الفندي، ج٢، ص ٥٦١، نقلا عن: من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام، ص ٥٦.

١٢- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، إبراهيم عوض، توزيع: مكتبة البلد الأمين (درب الأتراك خلف الجامع الأزهر)، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٨٥.

١٣- مرجع سابق، ص ٨٩.

١٤- المستشرقون والقرآن، محمد أمين حسن بني عامر، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ١٥٢.

١٥- موضوعية فيليب حتى في كتابة تاريخ العرب المطول، شوقي أبوخليل، ط١، ١٩٨٥م، دار الفكر، دمشق، ص ١٤٠.

١٦- مشكلات القرآن، محمد عبده، ص ٨٠-٨١، نقلا: عن المستشرقون والقرآن، محمد أمين حسن بني عامر، ص ٤٤٤.

١٧- دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية أضاليل وأباطيل، إبراهيم عوض، ص ٨٩.

١٨- موضوعية فيليب حتي في كتابة تاريخ العرب مطول، شوقي أبوخليل، ص ١٤١.

طارق إبراهيم حسان
باحث وكاتب إسلامي

خصوصية الثقافة العربية

اللغة هي جوهر الثقافة، تشكل مع الدين المكون الرئيسي في خصوصية الثقافة العربية وتمايزها عن غيرها من الثقافات. وتعتبر اللغة من أهم عوامل بقاء هذه الثقافة واستمرارها. وهناك عناصر أخرى لها دورها في تشكيل الثقافة العربية ورسم معالمها وتحديد خصائصها، مثل التراث، وعناصر الثقافة المحلية التي تتجلى في فنون الأدب من شعر وقصة قصيرة ورواية وسيرة.. وغيرها.

وإذا كانت الهوية الثقافية تتشكل من المكونين الأساسيين: الدين واللغة -كما ذكرنا- فإن هناك ارتباطا وثيقا بينهما، فلقد كانت اللغة العربية دائما مظهرا قويا وعاملا فعالا في توحيد العالم العربي ووحدته، ويزيد من قوتها وفاعليتها أنها لغة القرآن الكريم. وقد ساعد القرآن الكريم في الوقت ذاته على الحفاظ على اللغة العربية من الاندثار ومن التغير إلا في حدود معينة بحيث لم تقطع اللغة، أو اللغات، العربية الحديثة صلتها تماما بلغة القرآن، التي تعتبر هي اللغة النموذجية -إن صح هذا التعبير- والقرآن الكريم ذاته يشير إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (يوسف:٢)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ (طه:١١٣)؛ فاللغة العربية هي إذن لغة القرآن، والقرآن الكريم هو أساس حفظ اللغة العربية وبقائها واستمرارها عبر العصور. ولذا فإنه على الرغم من تعدد اللهجات العربية الدارجة وتنوعها وابتعادها بدرجات متفاوتة عن الفصحى، بل وابتعاد بعضها عن بعض، فإن هذه اللهجات الدارجة لاتزال مفهومة في مختلف أنحاء العالم العربي، ولن تنفصل عن العربية الفصحى مثلما انفصلت بعض اللغات الأوروبية الحديثة، كالفرنسية والإسبانية والإيطالية، عن اللاتينية، التي أصبحت الآن لغة ميتة، وهو ما لم يحدث باللغة العربية الفصحى بفضل القرآن (١).

من هنا نستطيع أن ندرك الأسباب التي تكمن وراء عمليات التشكيك في أهمية اللغة العربية وفاعليتها وقدرتها على التعبير عن معطيات العلم والحضارة الحديثة، كما يمكن أن نفهم السر وراء الدعوات المحمومة إلى اتخاذ بعض اللغات الأجنبية لغة لتعليم بعض التخصصات العلمية في الجامعات العلمية. فإذا كانت اللغة العربية أداة ووسيلة لخلق التجارب والتفاهم بين شعوب العالم العربي، فإن القضاء عليها أو إضعافها، بصرف النظر عنها في بعض المجالات الحيوية، سوف يؤدي بالضرورة إلى ضعف الوشائج التي تربط بين هذه الشعوب والقضاء على التقارب الفكري والعاطفي والوجداني الذي يقوم أساسا على اللغة العربية، وبالتالي ضعف العالم العربي كوحدة ثقافية وكقوة سياسية واقتصادية. وثمة عدد من المحاولات التي أجريت في هذا المجال، وقد صدر بعضها عن سوء قصد، وآخر عن سوء فهم أو عن سوء تقدير للعواقب، بينما ثالث يتخفى وراء الدعوة إلى تطوير اللغة العربية ذاتها والارتقاء بها. ولا يمكن أن نغفل في هذا السياق ما حدث في بعض البلاد العربية.

اللغة العربية والقرآن

كثيرا ما أثير النقاش حول لغة القرآن الكريم، هل هي عربية خالصة، أم لا؟ وقد بحث العلماء فيما إذا كان القرآن يحتوي على كلمات خارجة عن لغة العرب أو لا يحتوي. وكان مثار هذا الخلاف وجود كلمات في القرآن ليست من لغة العرب، وذلك مثل كلمة «مشكاة» للكوة، و«القسورة»

للأسد، فإنهما من لغة الحبشة، وكلمة «غساق» للبارد المنتن فإنها من لسان الترك، و«القسطاس» للميزان في لغة الروم، و«السجيل» للحجارة والطين بلسان الفرس، و«الطور» للجبل، و«اليم» للبحر بالسريانية.

والعلماء متفقون على أمرين: الأول أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وهذا مصداق وصف الله القرآن بالعربية الوارد في كثير من النصوص. والثاني أن القرآن اشتمل على أعلام من غير اللسان العربي مثل إسرائيل وجبريل وعمران ونوح وإبراهيم. ولكنهم بعد ذلك اختلفوا هل وقع في القرآن ألفاظ مفردة ليست أعلاما من غير كلام العرب، فذهب الإمام الشافعي وابن جرير: إلى أنه لا يوجد فيه شيء من غير لغة العرب، وأنه كله بأساليب ومفردات عربية لا شية للعجمة فيه. وما يوجد فيه من المفردات، التي يظن أنها من اللغات الأخرى، فهو مما تواردت عليه اللغات فتكلم به غير العرب كما تتكلم به العرب. وحجتهم في ذلك الآيات الصريحة الواردة بأن القرآن عربي، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر:٢٨)، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ (فصلت:٤٤)، كما قالوا إن لغات العرب كثيرة والقرآن نزل بها، فإذا وجد في القرآن لفظ لا يعرفه عربي من قبيلة من القبائل، فإن هذا اللفظ لابد أن يعرفه عربي آخر من قبيلة أخرى. ويرى ابن ميسرة «إن القرآن فيه من كل لسان»، ويؤيده في هذه الدعوى ما روي عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه «أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علوم الأولين والآخرين، ونبأ كل شيء، فلابد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن ليتم إحاطته بكل شيء، فاختير له من كل لغة أعذبها وأحقها وأكثرها استعمالا للعرب»، كما صرح بذلك ابن النقيب فقال: «والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير».

ومن حجج هذا الفريق أن النبي ﷺ مرسل إلى كل الأمم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ (إبراهيم:٤)، فلابد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم وإن كان أصله بلغة قومه.

وهناك رأي ثالث ينسب إلى عبيد القاسم بن سلام حاصله: «أن هذه الألفاظ والأحرف أصولها أعجمية، كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال إنها عربية فهو صادق باعتبار استعمالها، ومن قال إنها أعجمية فهو صادق باعتبار أصلها». وقد علل رأيه بأن ذلك من آثار التجاور والاختلاط. وهو جار مع ما يقضى به الاحتكاك اللغوي أن يأخذ العرب من غيرهم كما يأخذ غيرهم منهم.

وهذا الرأي الأخير هو الراجح؛ لأن هذه الكلمات مخالفة في وزنها للأوزان العربية المعروفة، ولأنها قليلة الاستعمال عند العرب، مما يرجح الحكم بأنها غير عربية، ثم بنقل العرب لها واستعمالهم للفظها حتى لانت ألسنتهم بها فأصبحت مما يتكلم به العرب ويتخاطبون به وبذلك تتحقق عربية اللفظ، إذ حيث تكلمت العرب باللفظ فإنه يصير من لسانهم ولغتهم (٢).

اللغة والتراث

يؤلف التراث أحد المقومات الثقافية الأساسية للعالم العربي، ويرتبط – في الوقت نفسه – ارتباطا عضويا بالمقومين الآخرين: اللغة والدين. فلقد تعاون الدين واللغة كعنصرين أساسيين في الحفاظ على كيان العالم العربي وهويته الثقافية والاجتماعية خلال التاريخ العربي الإسلامي، وذلك عن طريق التقارب والامتزاج والتضافر بين أبناء الوطن العربي، فضلا عن «إبداع ذلك الإنتاج الفكري الضخم المتنوع، الذي يعرف باسم التراث، ويشمل الفلسفة وعلم الكلام والتصوف والأدب والإلهيات والعلم والفن وغيرها. وحتى في الحالات التي كان ذلك الإبداع يصدر عن مبدعين غير عرب يعيشون في العالم العربي، فإنهم كانوا يتخذون من اللغة العربية في الأغلب وسيلة للتعبير والتوصيل، كما أنه في الحالات التي كان بعض ذلك الإبداع يأتي

من مبدعين غير مسلمين، فإن إبداعهم كان يدور في الأغلب حول موضوعات ومشكلات تتعلق بالدين أو يعالجونها من زاوية متأثرة بالدين تأثرا واضحا» (٣).

وعلى هذا الأساس فإن التراث يمكن اعتباره جزءا من كياننا وهويتنا الثقافية والاجتماعية، وهو أيضا الضمان ضد فقدان هذه الهوية.

اهتم العرب باللغة وبالتجديد اهتماما كبيرا، وظهر ذلك جليا في الكتب التي تركوها، يقول الإمام السيوطي في تقديمه كتابه «المزهر في علوم اللغة وأنواعها»: «هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه، واخترعت تنويعه وتبويبه، وذلك في علوم اللغة وأنواعها، وشروط أدائها وسماعها، حاكيت به علوم الحديث في التقاسيم والأنواع»، فالتراث عرف عبادة اللغة في أشكال مختلفة. وأنت تذكر بعض ما يقال عن أدب أبي العلاء بوجه خاص، في هذا الأدب كثير مما يغذي الذوق اللغوي «المجدد»، في أدب أبي العلاء تصبح اللغة وعلم اللغة كل شيء، وتوشك الحياة أن تختفي أحيانا. وبعبارة ثانية قد تستعمل اللغة استعمالا يراد منه خدمة الصدق أو الإخلاص أو المتعة المفيدة، وقد تستعمل على خلاف ذلك استعمالا ثانيا بحيث تكون اللغة كل همنا (٤).

وقد لاحظ العقاد أن بعض المفكرين فتنوا باللغة، كل على طريقته الخاصة. أما أبوالعلاء فيقول إن قيود اللغة يمكن أن تنتج جمالا خاصا، وأما عبدالقاهر الجرجاني فيقول إن مظاهر العبارة، التي تبدو يسيرة أول الأمر، تستوعب قوى صعبة يصح التنبيه إليها. ومعروف أن أبا العلاء يحتفل بالتشبيهات اللغوية التي نعود فيها من المعطيات إلى الكلمات والحروف والقوافي والقواعد النحوية، وعبدالقاهر الجرجاني يؤكد في «أسرار البلاغة» (العربية) أن المسموعات والمنظومات أقل رتبة من الأشياء المصطنعة بالوهم والخيال (٥).

التراث كله حافل بالتمييز بين الاستخدام النفعي والاجتماعي للغة ونشاط اللعب، والتراث أيضا حافل بملاحظة أهمية اللعب في الثقافة البشرية، وحينما نقرأ بعض جوانب الجاحظ والمقامات والسجع والطرائف والنوادر والاستطراد والخلط بين الجد والهزل، نلاحظ أن ثقافتنا لم تكن بأي حال ثقافة تجهم وتزمت، وقد لاحظ النقاد القدماء أنفسهم التداخل بين اللعب والجد، وأن الجد ليس نقيض اللعب دائما.

إننا بحاجة إلى تطويع ذلك الماضي المشرق ليكون في خدمة الحاضر والمستقبل. «وهذا يتطلب بذل الجهد لتذليل التراث وتقريبه إلى الأذهان بحيث يصبح جزءا من حاضرنا وتكويننا الذهني، مادام ذلك التراث يؤثر بشكل أو بآخر في قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا، بل وفي طريقة تفكيرنا ونظرتنا إلى الحياة. ولنا في ذلك أسوة بما يحدث في الغرب الذي يحب الكثيرون التشبه به حتى ولو كان ذلك على حساب الهوية العربية الإسلامية. فقد عمل الغرب على تطويع تراثه اليوناني واللاتيني وتذليله وتقريبه إلى أذهان التلاميذ في كل مراحل التعليم بحيث أصبح جزءا من ثقافة الشخص العادي وتكوينه العقلي، وبذلك لم تحدث بين حاضر الثقافة الغربية وماضيها مثل تلك الفجوة الرهيبة التي نجدها عندنا الآن، التي يجب العمل على ملئها عن طريق الاهتمام بالتراث باعتباره أحد المقومات الثقافية الأساسية للمجتمع العربي المعاصر. وإذا كانت اللغة هي أداة التواصل بين الشعوب العربية وأعضاء المجتمع العربي الآن، فإن التراث باعتباره نتاجا وتعبيرا عن الثقافة والمجتمع خلال تاريخهما الطويل، هو أداة التواصل والربط بين الماضي والحاضر وهو الذي يكشف عن العمق التاريخي» (٦).

الهوامش

١- أحمد أبوزيد (هوية الثقافة العربية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- د. بدران أبوالعينين بدران، (دراسات حول القرآن)، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية (بدون تاريخ).

٣- د. أحمد أبوزيد، مرجع سابق.

٤- مصطفى ناصف، مجلة إبداع، العدد الثاني، فبراير ١٩٩٣م.

٥- مصطفى ناصف، المرجع السابق.

٦- أحمد أبوزيد، مرجع سابق.

أبوالحسن الجمال
كاتب مصري

الدكتور أحمد مختار العبادي... وداعا

فارس الدراسات الأندلسية

غيب الموت الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي أستاذ تاريخ المغرب والأندلس في كلية الآداب جامعة الإسكندرية، رحل في صمت وهو من هو.. لقد ملأ الأرض علما وبلغت شهرته الآفاق، وقد تنوعت جهوده العلمية بين التأليف في التاريخ الأندلسي وتاريخ الشرق العربي في مصر والشام في العصور الوسطى، وهي سمة غلبت على مدرسة التاريخ الإسلامي في جامعة الإسكندرية التي اشتهرت بمجال التاريخ الأندلسي وفاقت أقرانها في كل الجامعات العربية منذ أن أسسها الأستاذ عبدالحميد بك العبادي في بداية الأربعينيات من القرن الماضي فنرى أعلامها قد كتبوا في التاريخ الأندلسي إضافة إلى المشاركة في كتابة تاريخ الشرق الإسلامي في مصر والشام.. رأينا هذا مع الدكتور جمال الدين الشيال، والدكتور السيد عبدالعزيز سالم، والدكتور حمدي عبدالمنعم، والدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم، وغيرهم (١). كما كتب الدكتور العبادي الأبحاث المتخصصة في كبرى المجلات والدوريات العلمية المتخصصة، ونشر كنوز كتب التراث وخصوصا في التاريخ الأندلسي ومنها تراث صاحب الوزارتين الأديب الكبير لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، فحقق له رحلاته وبعض كتبه، وأنار الطريق أمام الباحثين بهذه الجهود الكثيفة، وقد عانيت في تجميع شتات

هذه السطور وخصوصا التي تتعلق بحياته فاستعنت بنجله الدكتور حسام العبادي أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب جامعة الإسكندرية، الذي أمدني بسيرة ذاتية عن والده وبعض المعلومات الأخرى التي أنارت أمورا في هذا المقال، لنضعها أمام محبيه وأمام الباحثين حسبة لله تعالى.

ولد الدكتور أحمد مختار عبدالفتاح العبادي في العشرين من أبريل ١٩٢٢م بمدينة بورسعيد بمصر، وهو في الأصل ينتمي لأسرة أندلسية مغربية من سلالة «بني عباد» الذين حكموا قرطبة وإشبيلية في القرن الخامس الهجري زمن ملوك الطوائف، وقد قضى على دولتهم ودول الطوائف الأخرى يوسف بن تاشفين، ونفى آخر ملوكهم المعتمد بن عباد إلى أغمات بالمغرب، وقد كان الدكتور العبادي يفتخر بنسبه المغربي هذا، وفي هذا يتشابه مع المؤرخ القاسم البرزالي الإشبيلي (ت ٧٣٨هـ) الذي نزح أجداده إلى دمشق وقد كانوا حكاما لإقليم قرمونة القريب من إشبيلية..

كان عمه المؤرخ الكبير عبدالحميد بك العبادي (ت ١٩٥٨م) وهو مؤسس قسم التاريخ في آداب الإسكندرية

وكان من الأوائل الذين تخصصوا في التاريخ الأندلسي، وابن عمه الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالحميد العبادي.

التحق العبادي بكلية الآداب جامعة فاروق الأول (الإسكندرية الآن) قسم التاريخ، ودرس على كوكبة من الأعلام على رأسهم عمه الأستاذ عبدالحميد بك العبادي، والدكتور جمال الدين الشيال، والدكتور عزيز عطية سوريال، وغيرهم... إلى أن تخرج عام ١٩٤٤م. وواصل دراساته العليا وحصل على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٤٩م في رسالة بعنوان «قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام» بإشراف الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة.

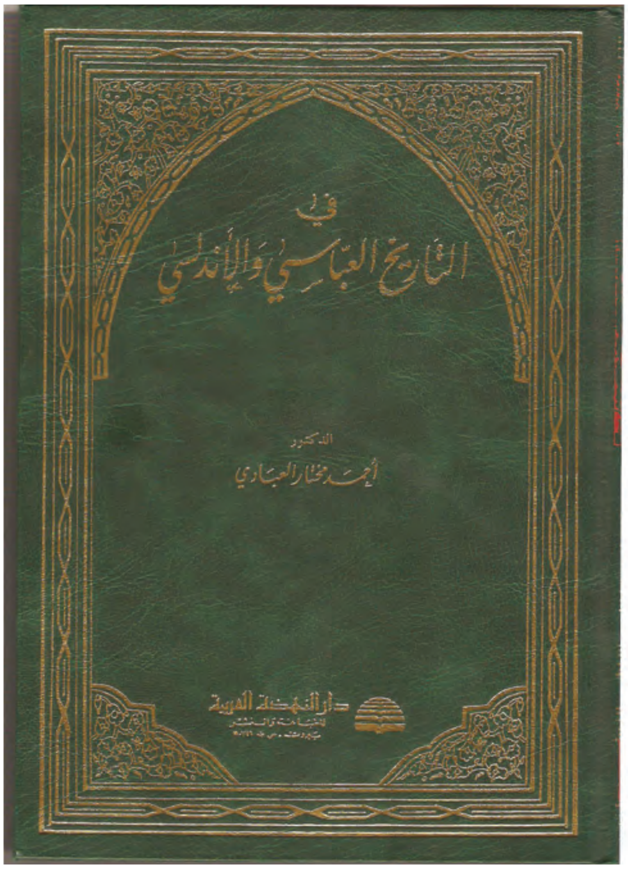

كان الدكتور العبادي من الرعيل الأول الذين أوفدتهم الجامعة المصرية إلى الأندلس لدراسة التاريخ والأدب الأندلسي والاحتكاك عن قرب بمواقع الأحداث التي دارت رحاها في هذا الفردوس المفقود، والاطلاع على كنوز الفكر الذي أنتجه أسلافنا والموجود في دور الكتب هناك، والتعرف أيضا إلى مناهج المستشرقين الإسبان، ومن الذين أوفدوا: الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة المصري الأسبق، والدكتورة علية إبراهيم العناني، والدكتور محمود علي مكي ثم لحق بهم بعد ذلك الدكتور الطاهر أحمد مكي، وكانوا عونا للمعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد الذي أنشأه طه حسين عام ١٩٥٠م، وحرروا مواد مجلة المعهد، وقد ترجم العبادي العديد من الأبحاث عن الإسبانية، ونشرها في مجلة المعهد منها: «هل هناك فن عربي إسباني لفن الخرائط البحرية» للأستاذ «خوان بيرنيط»، العدد الأول، وحصل في النهاية على دكتوراه الدولة من جامعة مدريد سنة ١٩٥٤م في رسالة بعنوان «مملكة غرناطة في عهد السلطان محمد الخامس الغني بالله في القرن الثامن الهجري (١٤م) بإشراف المستشرق الكبير «غرسية غارسيا غومث».

عمل الدكتور أحمد مختار العبادي عقب تخرجه في وظيفة أمين مكتبة بجامعة الإسكندرية في الفترة من (١٩٤٤-١٩٤٩م) ثم ذهب في بعثة لإسبانيا وبعد عودته إلى مصر عين مدرسا للتاريخ والحضارة الإسلامية في كلية الآداب بالإسكندرية (١٩٥٥-١٩٦٢م) ثم أستاذا مساعدا للتاريخ والحضارة الإسلامية في نفس الكلية (١٩٦٢-١٩٦٨م)، ثم أستاذا منذ ١٩٦٨م، ثم عين رئيسا لقسم التاريخ والآثار بذات الكلية من ١٩٧٥-١٩٧٨م، وأستاذا متعاقدا بجامعة الكويت لتدريس التاريخ والحضارة الإسلامية من سنة ١٩٧٨- ١٩٩٠م، وقام خلال هذه الفترة بالإشراف على فهرست الوثائق والمخطوطات بمركز الوثائق والتراث بدولة الكويت، وعندما عاد لمصر في مطلع التسعينيات من القرن الماضي عين أستاذا متفرغا بقسم التاريخ والآثار في كلية الآداب بالإسكندرية منذ ١٩٩١/٦/٢م، وحتى رحيله.. وخلال رحلته الطويلة انتدب للتدريس بجامعتي عين شمس والقاهرة في فترات متعددة ثم أعير للتدريس بجامعة محمد الخامس بالرباط من سنة ١٩٥٨م إلى ١٩٦٢م، وانتدب ملحقا ثقافيا بسفارة مصر بإسبانيا ووكيلا لمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد من سنة ١٩٦٣-١٩٦٥م، وتطوع خلالها للتدريس بجامعة مدريد، كما أعير للتدريس بجامعة بيروت العربية من سنة ١٩٦٨-١٩٧٢م، وانتدب أستاذا زائرا لمدة شهر بجامعة الإمام محمد ابن سعود سنة ١٩٧٦م.

أنشطة أخرى

كما أسهم الدكتور العبادي بجهد وافر في مجال تطوير التعليم وفي النشاط الثقافي.. ففي مجال تدريس المواد التأسيسية بمرحلة الليسانس أسهم الدكتور مختار العبادي في تطوير الخطة التدريسية بتعديل وإضافة المواد التعليمية طوال فترات عمله بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، بحيث تتناسب مع ما تم التوصل

إليه في مجال تخصص التاريخ بشكل عام وتخصص تاريخ وحضارة الأندلس بشكل خاص، كما أدخل اللغة الإسبانية كلغة ثانية اختيارية للدراسة ضمن برنامج المواد المقررة لقسم التاريخ، كما عمل على إرسال طلاب الدراسات العليا بتخصص التاريخ والحضارة الأندلسية (الماجستير- الدكتوراه) في منح لإسبانيا متخصصة ولفترات زمنية محددة يتكفل بها الجانب الإسباني وتدعمها جامعة الإسكندرية في الفترة من ١٩٧٤-١٩٧٩م، وفي عام ١٩٥٨م أرسل الدكتور أحمد مختار العبادي معارا من مصر للمساهمة في تأسيس القسم العربي بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط ووضع البرامج التعليمية باللغة العربية بالكلية كأول أستاذ عربي معار لمملكة المغرب. وقام بتجديد الاتفاقيات الثقافية المبرمة ما بين إسبانيا وجمهورية مصر العربية بحكم منصبه كملحق ثقافي ووكيل للمعهد المصري بمدريد عام ١٩٦٣م ومستشارا ثقافيا ومديرا للدراسات الاسلامية ١٩٧٢-١٩٧٤م. وقام بمراجعة مناهج كتب التاريخ للتعليم الأساسي في مصر في السبعينيات من القرن الماضي و«المرحلة الثانوية» لدولة الكويت في عام ١٩٨٩م. كما قام بالإشراف على فهرست الوثائق والمخطوطات بمركز الوثائق والتراث بدولة الكويت.

الجوائز والأوسمة

خلال رحلته العلمية الطويلة حصل الدكتور العبادي على بعض مظاهر التكريم في مصر وخارجها، منها:

١ - جائزة الدولة التشجيعية في العلوم الاجتماعية من الحكومة المصرية (١٩٦٨م).

٢ - وسام العلوم والفنون من الحكومة المصرية (١٩٧١م).

٣ - جائزة الجامعة التقديرية بجامعة الإسكندرية في ٢٠١٠/٧/٢٧م.

٤ - عضو بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالقاهرة منذ سنة ١٩٥٥م.

٥ - عضو باتحاد المؤرخين العرب ببغداد سنة ١٩٧٥م، ثم القاهرة سنة ١٩٩١م.

٦ - عضو مراسل بالمعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد التابع لوزارة الخارجية الإسبانية منذ سنة ١٩٨١م.

٧ - عضو مراسل بالأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد منذ سنة ١٩٨٢م.

٨ - عضوية الأكاديمية العربية الإيبيرية بالبرتغال سنة ١٩٩٧م (٢).

مؤلفاته

أثرى الدكتور أحمد مختار العبادي المكتبة العربية بالعديد من الأبحاث والمقالات المنشورة في المجلات العلمية العربية والإسبانية ونشر عدة مخطوطات عربية من التراث المغربي والأندلسي، كما كتب عدة مؤلفات منها: «قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام» بيروت ١٩٦٩م، و«الصقالبة في إسبانيا وعلاقتهم بالحركة الشعوبية» مدريد ١٩٥٣م، و«دراسة حول كتاب البارود والأسلحة النارية» لدافيد أيالون (هسبريس ١٩٥٩م)، و«تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام» بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم، و«تاريخ البحرية الإسلامية في الأندلس» بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم. و«في التاريخ العباسي والفاطمي» (دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٢م)، و«في تاريخ المغرب والأندلس» (مؤسسة الثقافة الجامعية - الإسكندرية ١٩٧٥م)، و«مملكة غرناطة في عهد السلطان محمد الخامس الغني بالله في القرن الثامن الهجري (١٤م)» باللغة الإسبانية (مدريد ١٩٧٣م)، و«أزمنة التاريخ الإسلامي» (بالاشتراك) أصدره المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في مجلدين (الكويت سنة ١٩٨٢م)، و«دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية»

(بالاشتراك) أصدرته ذات السلاسل للطباعة والنشر بالكويت سنة ١٩٨٥م، و«صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس» (منشأة المعارف – الإسكندرية سنة ٢٠٠٠م)... إضافة إلى عشرات الأبحاث المتخصصة، منها: «بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس» – مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد – المجلد ٢٧ لسنة ١٩٨٦م، و«لسان الدين بن الخطيب من خلال كتاباته التاريخية» – مجلة عالم الفكر – الكويت – المجلد ١٦ العدد ٢ لسنة ١٩٨٥م، و«غارة الترك على الأندلس – نص جديد لابن حيان القرطبي» – مجلة المناهل – العدد ٢٩ – الرباط سنة ١٩٨٤م – المملكة المغربية، و«دور المغاربة في الحروب الصليبية في المشرق العربي» – ضمن مجموعة بحوث ألقيت في ذكرى المرحوم الدكتور/ أحمد فكري (مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية سنة ١٩٨٣م)، وغيرها... وأخبرني نجله الدكتور حسام بأنه جمعها في كتاب وراجع بروفة هذا الكتاب قبل الرحيل ولكن القدر لم يمهله ليرى الكتاب مطبوعا.

محقق التراث

وقد حقق الدكتور مختار العبادي بعض كنوز التراث العربي التي تتناول تاريخ المغرب والأندلس منها نشره لقطعة من كتاب «الاكتفاء في أخبار الخلفاء» لابن الكردبوس، مع نص لابن الشباط بعنوان: «تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط – نصان جديدان»، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٧١م، ص ١٠٣.

وحقق «مقامة العيد» لأبي محمد عبدالله الأزدي (ت ٧٥٠هـ)، مجلة المعهد المصري العدد ١و٢ سنة ١٩٥٤م وعدد الصفحات ١٧، وهي صورة من صور الحياة الشعبية في مدينة غرناطة، وقدم لهذه الرسالة بمقدمة ضافية تتبع نشأة فن المقامة في المشرق الإسلامي ثم انتقاله إلى الأندلس عن طريق الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق طلبا للعلم حيث درسوا هذا اللون من الأدب ثم عادوا إلى بلادهم محدثين به ناشرين إياه بين مواطنيهم، فمقامات البديع الهمذاني ورسائله انتشرت بوجه خاص أيام ملوك الطوائف بالأندلس حيث قام بعض أدباء ذلك العصر بمعارضتها وتقليدها واستمر هذا اللون من الأدب مع الأندلسيين حتى نهاية الأندلس ولم يكتف بهذا القدر بل تحدث في هذه الرسالة أيضا عن انتقال تأثير فن المقامة في الآداب الأوروبية ودلل على هذا بشواهد وأدلة.. ثم تحدث عن الأزدي (أبومحمد عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الأزدي) الأديب الغرناطي الذي كان صديقا للوزير لسان الدين بن الخطيب، وأفرد له ترجمة طويلة في كتابه «الإحاطة» ذكر فيها الرسائل الأدبية والقصائد الشعرية التي تبودلت بينهما، و«مقامة العيد» ككثير من المقامات، قصة قصيرة بطلها رجل متسول من بني ساسان، احتكم التحيل وقصر همه على تحصيل كبش من الأمير، فهي بمجملها تفسر حياة متكد وما يقابله من مآزق ومصاعب، كل ذلك في أسلوب مسجع مليء بالنكات المستملحة، والمقامة فضلا عن طرافتها كقطعة أدبية، لها قيمتها التاريخية من حيث كونها صورة جزئية للمجتمع الغرناطي الذي كتبت فيه، والذي لا نعرف عنه الكثير لندرة المراجع التي تناولت الكلام عنه. ففي هذه المقامة نجد أشكالا من الناس بمميزاتهم وأشكالهم وأخلاقهم النفسية والاجتماعية: الزوجة وكثرة مطالبها، والعجوز وتطفلها، والبائع ووضاعته، والقصاب وزيه التقليدي والموثق الذي يسجل في دكانه عقود البيع والشراء بالتقسيط، والمحتسب الذي يشرف من قبل الحكومة على الأسواق، والأمين الذي هو أشبه بنقيب يمثل أصحاب المهن التجارية والصناعية في السوق ويسأل أمام المحتسب عن مشاكلهم، والشرطي الذي يحافظ على الأمن والنظام فيطرد ويجرد الباعة المذنبين، وذلك بأمر من المحتسب أو الأمين، هذا عدا عن الإشارة إلى صناعة الفخار، وهو الفخار المالقي الذي طبقت شهرته الآفاق.. فالمقامة -بعبارة أخرى- تعطينا صورة من صور الحياة الشعبية الغرناطية التي مازلنا نتلمس بعض مظاهرها في حياتنا العادية في الوقت الحاضر (٣).

وقد رحل الدكتور أحمد مختار العبادي مساء يوم السبت ١٦ رجب ١٤٣٧هـ الموافق ٢٣ أبريل ٢٠١٦م وتم تشييع الجنازة في اليوم التالي.. رحمه الله رحمة واسعة.

الهوامش

١- أبوالحسن الجمال، مقال «السيد عبدالعزيز سالم، عاشق التاريخ والآثار» جريدة المصريون ١٤ أغسطس ٢٠١٥م.

٢- هذه المعلومات مستقاة من سيرة ذاتية أرسلها لي أ.د حسام العبادي نجل الدكتور أحمد مختار العبادي.

٣- أبومحمد عبدالله الأزدي (٧٥٠هـ)، «مقامة العيد»، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد الثاني، ١٩٥٤م، ص ١٩٥- ص ١٧٣.

جميلة محمد المحمد
باحثة دراسات إسلامية

القراءة.. بوابة الفكر المشرعة

القراءة نافذة العقل المفتوحة على المعرفة، ووسيلة المجتمعات الإنسانية لبلوغ أعلى درجات النماء الثقافي والتربوي والجمالي، التي تنقلها من ظلمات القهر والجهالة إلى أنوار الحياة. وهي أهم الوسائل في نقل منجزات العقل البشري على الإطلاق، وأهم مصادر الثقافة بمفهومها العام، التي تجعل العالم برمته كتابا مفتوحا؛ يضيف جديدا في كل يوم، وتحقق «التثقيف الذاتي»، الذي يعرف بأنه كل ما يتعلمه المرء لتحصيل الحقائق في مختلف مجالات العلوم والآداب والفنون بالاعتماد على الذات، بحثا واستكشافا.

والقراءة هي سبيل الأمم إلى الرقي والتطور. والأمة القارئة هي أمة نافعة لذاتها بالدرجة الأولى، وللإنسانية جمعاء بطبيعة الحال. أما التي لا تقرأ فهي لا تقدر قيمة الحياة، ولن تستطيع أن تعيش عمقها. لذا حرصت الأمم المتقدمة على تهيئة أسباب القراءة بشتى السبل، والعمل على نشرها بين كل أبنائها. وقد شغفت الشعوب بالقراءة منذ العصور القديمة، وكانت المكتبات لدى المصريين القدماء تتخذ شعار: «هذا مكان علاج النفوس.. مكان إنعاش الروح». كما عرفت شعوب أخرى العلاج بالقراءة كاليونان والرومان وغيرهما. وفي العصور الوسطى استخدمت النصوص المقدسة لهذه الغاية.

والقراءة هي أول كلمة خاطب بها جبريل - عليه السلام - النبي محمدا ﷺ، حيث يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ

﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ﴿٥﴾﴾ (العلق:١-٥).

في الحياة الإنسانية

تعرف القراءة بأنها: «عملية عقلية عضلية انفعالية ترمي إلى الفهم، وإلى ترجمة «الرموز» إلى مدلولاتها من الأفكار، بمعنى أنها تشتمل على تعرف الرموز المكتوبة، والنطق بها وفهمها، وتذوقها، وحل المشكلات من خلالها، ناهيك عن الاستمتاع بالمادة المقروءة». والقراءة ليست بالعملية السهلة، إذ يمارس خلالها الفرد ألوانا مختلفة من النشاط العقلي، يعتمد على ذاكرة القارئ وخبرته في فهم ما يقرأ في المرتبة الأولى، وتنطوي بعد ذلك على مدى جودة تذكره للمواد، واستخدامه لها، ومدى تفاعله معها.

تؤدي عملية القراءة - اليوم - دورا مهما في حياة الإنسان، فهي وسيلته الأساسية للتعلم والتعليم واكتساب الخبرة والمعرفة، على الرغم من تنوع الوسائل الثقافية والمعرفية الحديثة، ذلك لامتيازها بخصائص ومزايا عدة، كالسهولة والسرعة والحرية. فالقراءة مسألة حيوية لتنمية الثقافة، بل إنهما وجهان لعملة واحدة، حتى يخال للمرء أن لا فرق بينهما. وهي من المهارات التي تحقق النجاح للإنسان في حياته، وتنمي مكونات شخصيته، وتمنحه فكرا ناضجا وعالما فسيحا رحبا، كونها الوسيلة التي يستكشف بها مجالات العلوم الإنسانية، ويتعرف على البيئة المحيطة، والأسلوب الأمثل -إجمالا- لتنمية فكره وإثراء وجدانه وتعزيز مقومات الإبداع لديه.

لما سئل أرسطو كيف تحكم على إنسان؟ أجاب: أسأله كم كتاب تقرأ، وماذا تقرأ؟ وحين قيل لأحد العلماء: لماذا تقرأ كثيرا؟ فقال: لأن حياة واحدة لا تكفيني. وقال فولتير: سئلت عمن سيقود الجنس البشري؟ فأجبت: الذين يعرفون كيف يقرؤون. وقال أديسون: بالقراءة تعلمت كل شيء. وقال أحد الشعراء الإنجليز: قد تكون عندك ثروة ضخمة لا تساويها ثروة أخرى، تملأ بها الكثير من الخزائن، ولكنك لن تكون أبدا أغنى مني؛ فقد كانت لي أم اعتادت أن تقرأ لي.

إن من أهم أهداف القراءة أنها توسع مدارك الإنسان، وتنشط قواه العقلية، وتنمي قدراته الفكرية واللغوية والتعبيرية، وتشبع احتياجاته وميوله إلى الاستطلاع والاستكشاف والفضول. وهي تثري حصيلته اللغوية، وتساعده على جودة النطق وحسن الأداء. والقراءة -أيضا- تكسب الفرد العديد من المهارات الاجتماعية، وتمكنه من الاتصال بغيره والتواصل معهم، وتسهم في خلق مجتمع مثقف، ومنفتح على الثقافات. ومن أهدافها أنها وسيلة للإفادة من تجارب الآخرين، وحسن استغلال الوقت، وخلق الشعور بالمتعة والرضا. كما تفيد في علاج أمراض ومشكلات نفسية واجتماعية عدة، كالخوف والقلق والانطواء، وضغط الدم والصداع، والافتقار إلى العلاقات الاجتماعية، وغيرها.

أنواع القراءة

أولا - القراءة الصامتة: يقصد بها تعرف الكلمات والجمل وفهمها دون النطق بأصواتها، مع مراعاة سرعة الفهم ودقته، وإثراء المادة اللغوية والتذوق.

أهم مزاياها: أنها أسرع من القراءة الجهرية، لأنها محررة من أعباء النطق، وقائمة على الالتقاط البصري السريع للجمل. ومن ناحية الفهم فهي تساعد على زيادة التحصيل؛ لأنها تكون متحررة -أيضا- من الأعمال العقلية التي تتطلبها القراءة الجهرية.

ثانيا - القراءة الجهرية: يقصد بها نطق الكلمات والجمل بصوت مسموع، ويراعى فيها سلامة النطق، وعدم الإبدال أو التكرار أو الحذف أو الإضافة، كما تراعى صحة الضبط النحوي. وهي أصعب من القراءة الصامتة.

من مزاياها: أنها وسيلة لإتقان النطق،

والكشف عن عيوبه، وهي مفيدة في المناسبات العامة.

ثالثا – قراءة الاستماع: يرتبط هذا النوع من القراءة بأوقات الفراغ، ويبدأ الاهتمام بها –في بادئ الأمر– بإقبال القارئ على مطالعة النصوص، ثم يزداد هذا الاهتمام.

أهم مزاياها: أنها تساعد على قضاء أوقات الفراغ بالمفيد الهادف والممتع المسلي، وإشباع الهواية.

وقسمها باحثون آخرون إلى قسمين: القراءة المركزة، أي موضوعات قصيرة تعقبها أسئلة متنوعة. والقراءة الموسعة، أي موضوعات مفصلة ومتنوعة تتناسب وقدرات القارئ.

وعن أنجع الطرائق وأيسرها في تدريس القراءة، هناك طرائق عامة منها: الطريقة التركيبية التي تنطلق من الحروف، فالكلمات، فالجمل. والطريقة التحليلية التي تنطلق من الجملة، أو الكلمة، فالمقاطع، فالحروف. وهناك الطريقة «التوليفية» التي تجمع بين الطريقتين.

في المجتمعات العربية

إن واقع القراءة في المجتمعات العربية يشهد –اليوم– تراجعا ملحوظا. والمتأمل لهذا الواقع يكتشف مدى التدني الذي تشهده هذه العملية، حتى لا تكاد تراها (القراءة) تشكل إلا نشاطا هامشيا في بعض الأحايين. بينما نرى في المجتمعات الغربية اهتماما حقيقيا بالقراءة، بل وتعطشا كبيرا لها، يظهر في أشكال وصور عدة، كتشجيع مؤسساتها على اقتناء الكتب والمجلات وغيرها من المصادر، واستغلال الفرد لوقته في القراءة والتصفح في كل الأوقات والأمكنة. ووفق إحصائية لمنظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، يطالع المواطن الأوروبي ما معدله ٨ كتب في العام، مدة ١٢٠٠٠ دقيقة، بينما لا يطالع الفرد العربي إلا ٢٢ سطرا، أو صفحة واحدة في كتاب، مدة ٦ دقائق. ليبقى السؤال دائما: متى وكيف نستطيع صناعة مجتمع محب للقراءة والكتاب؟

ولعل من أهم الأسباب وراء إهمال القراءة في مجتمعاتنا: تراجع دور الأسرة – الجهة الأكثر تأثيرا في تكوين عادة القراءة – في التمسك بالمبادئ الأصيلة، والتوجه نحو القيم المادية التي تكرسها العولمة. وبالتالي تغييب ثقافة الكتاب، وعدم القدرة على تنظيم الوقت بشكل سليم. إلى جانب تراجع دور المؤسسات التربوية الأخرى، وضعف دور النخبة المثقفة، وتأثير هذا الدور في طبقات المجتمع، والمعاناة المعيشية الكبيرة للإنسان العربي. ناهيك عن قلة عدد المكتبات بأنواعها، وتضاؤل أعداد دور النشر، وما تبثه وسائل الإعلام من برامج تكرس قيما عدة؛ تصور الحياة على أنها مجرد ترفيه واستمتاع.

تذكر د. هانم عباس في بحثها المعنون: «القراءة وأهميتها في حياتنا الثقافية»، بعض الأسباب وراء الابتعاد عن القراءة أو الثقافة كالآتي:

أولا – السبب المادي، خصوصا في البلدان الفقيرة، حيث لا يملك الشخص ما يمكنه من العيش مع عائلته دون عمل.. بحيث لا تكون القراءة من أولويات اهتماماته. لكن هذا السبب ليس مقياسا دائما، إذ نرى دولة كموريتانيا، فقيرة في اقتصادها، لكن معظم أهلها مثقفون؛ يكتبون ويقرؤون.

ثانيا – ثقافة الجهل ومصادرة الأفكار: وهذا ينبع من ثقافة الجهل التي ورثناها من الاستعمار، حتى تمنع الشعوب المستعمرة من الثورة.. وقد بقي هذا المبدأ قائما إلى الآن في كثير من الدول، هذا بالإضافة إلى الأفكار الرجعية التي قد تتشعب وتتفرع.

ثالثا – سياسة بعض الحكومات العربية: في الماضي كانت هذه هي السياسة الرائجة، فلا يحق لك أن تقرأ إلا ما تقدمه لك هذه الحكومات.. لكن الوضع تغير، نظرا لانشغال غالبية المجتمع بالتفاهات والأخبار التي تصرف النظر عن السياسة والاقتصاد والأحوال المجتمعية.

رابعا – ارتفاع الأسعار: يواجه شباب الجامعات العديد من الضغوط، خصوصا ضخامة المناهج الدراسية، فلا يتسنى له الوقت لقراءة كتاب خارج المنهج الدراسي.. أضف إلى ذلك ارتفاع أسعار الكتب التي تصبح في غير متناول الطالب العادي.

إزاء هذا الواقع في المجتمعات العربية، نرى أن من الضروري العمل للحد من تردي واقع القراءة، وتفعيل دور الجهات المعنية بهدف نشر التوعية بهذا الخصوص. ومن أهم المقترحات: الاهتمام بالكتاب، ورفع مستوى هذا الاهتمام قبل كل شيء، وضرورة الوعي بأهمية دوره في حياة الأفراد والمجتمعات، وتسهيل عملية توفيره لكل فئات المجتمع. ثم تنشيط دور الأسرة والمدرسة في تنمية عادة القراءة، والعمل على غرسها في نفوس الناشئة، وتوجيه ميولهم نحوها، وتشجيعهم على القراءة في الموضوعات القريبة إليهم، وتحديد ساعات يومية لهذه الغاية. بالإضافة إلى جدية عمل المؤسسات الثقافية والإعلامية، ودور المتخصصين في وضع برامج متميزة؛ تهتم بتوعية أبناء المجتمع بهذا الخصوص. والاستفادة من التقنيات الحديثة في مجال المكتبات خصوصا، والاهتمام الجاد بالمكتبات المنزلية والمدرسية والمكتبات العامة.

منير محمد خلف
كاتب سوري

تنام الأرض

تنام الأرض .. لكن لا أنام ... تضيق النفس والدنيا ظلام

فإخوة يوسف فينا كثير ... وخلف وجوهنا انفضح اللثام

غرامي اليوم أندلس انكساري ... وقد فجعت بأندلس شآم

نسوق البحر في دمنا جراحا ... لينبت في مآقينا الكلام

كأني من بلاد التيه آت ... بأحلام يوحدها المنام

زرعت الذكر في قلبي هديلا ... وفي كفي للذكرى حمام

سقطنا قبل أن نسمو صعودا ... وتحت جلودنا انتكس الحسام

هم ذهبوا .. ولكن لي علينا ... ديون ليس أولها الفطام

فإنا الراحلون وكم تركنا ... وراء القلب غيما لا ينام

يقود الغيم أحزاني لأرض ... يعيث بعين حارسها انعدام

كنخل العاشقين أعيش حرا ... خليلاي: المودة والوئام

أمتنا قبل أن نحيا كراما؟ ... وقبل حلولنا انهمر الظلام؟

ظننا أن كأهل الكهف كنا ... ولكن هم كأهلينا نيام

تنام الأرض .. لكن لا ننام ... نقول معا: على الدنيا السلام

التحرير

سبق الريادة للأمانة العامة للأوقاف:

تجربة التسويق الوقفي..

لحمد جاسم المير

الوقف هو «حبس العين على ملك الواقف والتصرف بالمنفعة». ويقصد بعين الوقف: أصله، أي هو استثمار الأصل والتصدق من ريعه.

لكن ما «التسويق الوقفي»؟

الإجابة الوافية تأتينا في كتاب تفتقد مثله المكتبة الإسلامية، ألفه مدير إدارة الإعلام والتنمية الوقفية بالأمانة العامة للأوقاف حمد جاسم المير. جاء الكتاب في خمسة فصول تشمل مدخلا نظريا مقتضبا لمفهوم «التسويق الوقفي.. المفاهيم الأساسية»، ومن ثم «التطور التنظيمي للتسويق في الأمانة العامة للأوقاف»، ثم يأتي الفصل الثالث «آليات التسويق الوقفي في الأمانة العامة للأوقاف»، يليه الفصل الأهم في هذا الكتاب -وفق المؤلف- وهو «الحملات التسويقية»، حيث تم التوسع فيه بالنماذج والصور، ثم يأتي الفصل الأخير وهو «كيف تؤسس وقفيتك - الجانب التسويقي (الفئات الخاصة نموذجا)»، كفصل مستقل، وهو عبارة عن ورقة العمل المقدمة في الملتقى الوقفي السابع عشر. وقد تناول الجانب التسويقي في تأسيس الوقفيات، مع تسليط الضوء على زاوية خاصة ليتسق مع خصوصية موضوع ذلك الملتقى وهو موضوع «تأسيس وقفيات الفئات الخاصة» من عدة جوانب تم طرحها آنذاك، ومنها الجانب التسويقي، مع مراعاة أهم الاعتبارات التسويقية لهذه الشريحة.

يقول المؤلف: «من وجهة نظر شخصية، وباجتهاد متواضع، أستطيع تعريف التسويق الوقفي على أنه: عملية إدارية تمارس من خلالها أنشطة، لتقديم الوقف إلى الجمهور المستهدف بمزيج تسويقي خاص يحقق إشباع الحاجات والرغبات الخيرية للشريحة المستهدفة، والمقاصد الشرعية والتنموية للوقف».

ويضيف: «الترويج يتكون من مزيج ترويجي Promotional Mix، وهو عبارة عن استخدام عناصر الترويج بـ«خلطة خاصة مدروسة تتناسب والمنتج المراد تسويقه».

المزيج الترويجي

ويتعرض الكتاب لعناصر المزيج الترويجي مفصلا فيقول:

- الإعلان Advertising هو «وسيلة اتصال غير شخصية، تتم بمقابل مادي مدفوع، ويستخدم لإعلام المستفيدين عن توافر الخدمات وشرح مزاياها».

- بينما النشر أو الدعاية هو «عبارة عن عرض للمعلومات في شكل إخباري في الوسائط الإعلانية، كالصحف والمجلات والراديو والتلفزيون، وهو على النقيض من الإعلان لا يتم مقابل أجر مدفوع».

- البيع (التسويق) الشخصي: وهو «اتصال شخصي يهدف إلى تعريف وإقناع المستهلك للقيام بشراء سلعة أو خدمة معينة وحثه على القيام بالشراء».

- تنشيط المبيعات: وهو «وظيفة تجمع بين جانبي البيع الشخصي والإعلان، حيث تتضمن الأنشطة الخاصة بإدارة نوافذ العرض، والمعارض، والحوافز التسعيرية، والكوبونات، فضلا عن

تقديم الهدايا الشخصية والعينات».

- العلاقات العامة: ولها عدة تعريفات، منها أنها «نشاط ترويجي يهدف إلى نقل وتكوين صورة محببة للعميل تجاه المنتج أو المنظمة المسوقة لذلك المنتج».

ويؤكد المؤلف المير أن التسويق الوقفي يهدف إلى إشباع الحاجات والرغبات الخيرية للشريحة المستهدفة من أفراد أو مؤسسات أو شركات، ومؤشر نجاحه هو مدى تحقيقه لهذا الهدف السامي، كما لا يغفل التسويق الوقفي المقاصد الشرعية للقيمة التي يسوقها (الوقف)، ولا المسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع المتمثلة في التنمية.

وما يميز التسويق الوقفي أنه يقدم للجمهور منتجا خاصا وهو الوقف، فهو لا يقدم سلعا ملموسة يسهل تسعيرها وتقدير قيمتها، ولا خدمات ذات منفعة مباشرة تنفق الأموال من أجل التمتع بها.. إنه أقرب إلى تسويق «الفكرة» أو «القيمة» أو «المفهوم». ويلفت المير إلى أن هذه الفكرة، القيمة، المفهوم، أي الوقف، أكثر صعوبة في تقدير قيمته أو «تسعيره»، كما أنه أكثر صعوبة في تسويقه وترويجه مقارنة بالسلع والخدمات العادية.

دائرة الوقف

ويتعرض المؤلف بالتفصيل إلى الحلقة التي يدور فيها العمل الوقفي في الأمانة، حيث تبدأ بالدعوة للوقف من خلال التسويق والإعلام، الأمر الذي يؤدي إلى استقطاب أوقاف جديدة، وهذه الأوقاف يتم «استثمارها» ضمن نشاط استثمار الأصول الوقفية، وينتج عن هذه الاستثمارات ريع الأوقاف الذي يتولى نشاط المصارف الوقفية «عملية صرف الريع» على الصناديق والمشاريع والمصارف الوقفية، وهذا الصرف يحقق للمجتمع تمويلا لمشاريعه التنموية، فيقوم المجتمع تاليا بالدعم والتجاوب مع الأنشطة التسويقية والإعلامية التي تقوم بها الأمانة، وهكذا تعود العملية بالدوران في نفس الاتجاه.

أساليب جديدة

ويتعرض الكتاب إلى طرق وأساليب جديدة تحقق الخدمة الوقفية ومنها:

- خدمة الوقف من خلال الرسائل القصيرة SMS.
- خدمة الأكشاك الإلكترونية KIOSK.
- الوقف بواسطة الإنترنت online.
- الدفع بواسطة أجهزة POS.
- تطبيق الهواتف الذكية.

وأكد أن الأمانة العامة للأوقاف منذ إنشائها وحتى الآن قامت بتنفيذ العديد من الحملات التسويقية والإعلامية للجمهور؛ بهدف تعريفهم بالوقف وأهميته ودوره في النهوض بالمجتمع وتنميته في مختلف المجالات، إلى جانب ترسيخ الصورة الذهنية الإيجابية للأمانة العامة للأوقاف في أذهان الجمهور، باعتبارها مؤسسة حكومية دينية خيرية ذات طابع مستقل بما ينعكس في صورة استقطاب أوقاف جديدة وإقناع الجمهور بالوقف.

وكترجمة عملية لهذا المنهج فقد قامت إدارة الإعلام والتنمية الوقفية بالأمانة العامة للأوقاف بتخطيط وإعداد وتنفيذ عدة حملات تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- الحملات العامة (الجماهيرية).
٢- الحملات الخاصة.
٣- حملات للصناديق والمشاريع والمصارف الوقفية.

التسويق الوقفي في مرسوم تأسيس الأمانة

بحسب المؤلف حمد جاسم المير فإن إنشاء الأمانة العامة للأوقاف بموجب المرسوم الأميري رقم ٢٥٧ لسنة ١٩٩٣م، كان بمنزلة نقلة نوعية للعمل الوقفي في دولة الكويت، وخطوة حكومية رائدة للنهوض والارتقاء بهذا الحقل في جميع مجالاته، والتي من بينها «التسويق»، لذلك فقد حدد المرسوم الأميري اختصاصات الأمانة الرئيسية بوضوح، التي كان في طليعتها الحث على الوقف والدعوة إليه، حيث نصت المادة ٢ منه على أن «تختص الأمانة العامة للأوقاف بالدعوة للوقف، والقيام بكل ما يتعلق بشؤونه».

الفئات الخاصة

يقول حمد جاسم المير معرفا بوقفيات الفئات الخاصة: «نعني بذلك الوقفيات التي تنشئها الجهات والأفراد للصرف من ريعها على شريحة الفئات الخاصة - بشكل عام- أو شريحة محددة منها (كالمصابين بالتوحد على سبيل المثال). أو الصرف من ريعها على الأنشطة الموجهة لمصلحة هذه الشريحة، سواء كانت هذه الوقفيات بنظارة: الجهة، الأفراد، مجلس نظارة، أو جهة رسمية مختصة بهذا الأمر، مثل الأمانة العامة للأوقاف».

ويختم المير مؤلفه المهم بقوله: «آمل أن أكون قد وفقت في تناول بعض الجوانب التسويقية التي من شأنها أن تقدم بعض الأفكار لإنشاء وقفيات للجهات والمشاريع الموجهة للفئات الخاصة وغيرها.

والله أسأل أن يسدد خطى جميع العاملين في الحقل الوقفي والخيري والتطوعي لخدمة الدين والمجتمع، وأن يبارك في الجهود التي بذلت وتبذل، وأن يثيب كل من عمل في هذا المجال وأن يوفق الأمانة العامة للأوقاف إلى كل خير».

محمد عباس عرابي
باحث تربوي

دور القصة في تنمية لغة الأطفال

تعد مهارات اللغة (الاستماع – التحدث – القراءة – الكتابة) الركيزة الأولى في إمكانية السيطرة على اللغة، وهي لا تعلم ولا تنمى إلا عن طريق المحاولة والنجاح. والمحاولة تقوم على هذا التكرار الذي يحرص المتعلم المتطلع نحو النجاح على مواصلته، والاستمرار فيه. وعند تعلم المهارات اللغوية لابد من مراعاة أن يكون تعلمها والتدريب عليها في مجال الحقل التعليمي، وعن طريق المناشط الطبيعية. وانطلاقا من هذا، يتناول هذا المقال دور القصة في تنمية مهارات اللغة لدى الأطفال؛ فالقصة لها المقام الأول في تربية الناشئين وتعليمهم، وهي لون من ألوان الأدب المسموع، ويحتاج الأطفال إلى ما يثيرهم من خلال القصص في سن مبكرة، وذلك لعدة أسباب؛ فالقصص تساعدهم على تقوية خبراتهم، وتنمية اللغة لديهم. وفيما يلي عرض لدور القصة في تنمية مهارات «الاستماع – التحدث – القراءة».

مهارات الاستماع

يمارس الأطفال الاستماع قبل أن يمارسوا أي فن آخر من فنون اللغة. وتعتبر تلك المهارة أساس التلقي، فلها دور في اكتساب اللغة، وتنمية الشخصية، والتزود بالثقافة، وتعلم المعارف المختلفة؛ لذا فإن تنمية تلك المهارة لدى الأطفال من الأهمية بمكان. وللقصة دور كبير في ذلك، فمن خلالها يمكن أن يحصر الطفل ذهنه وانتباهه أطول مدة ممكنة عند الاستماع إليها؛ فتتابع الأحداث في القصة يجعل الإحاطة بها أسهل من الإحاطة بغيرها من الألوان الأخرى، كما أن فيها من الخصائص ما يجعلها قادرة على استثارة الطفل، وترغيبه في الاستماع، لذا يجب التنوع في أشكال القصة.

وحتى تؤدي القصة دورها في تنمية مهارات الاستماع لدى الأطفال يجب مراعاة ما يلي:

– ضرورة انتقاء المواد التي تقرأ على الأطفال من القصص المتنوعة الموضوعات والممتعة، والمشوقة الأساليب، والمناسبة لسنهم، والمرتبطة ببيئتهم والمناسبات المختلفة التي تمر بهم. والتدرج في هذا الاختيار بما يتماشى مع المستوى الذي يصل إليه الأطفال، والحرص على أن تكون القراءة متأنية، وصحيحة النطق، وسليمة الأداء، مع الحرص على إخراج الحروف من مخارجها،

ومراعاة إشباع الحركات.

- التنويع في وسائل الاستماع حتى لا يمل الأطفال، واستخدام وسائل التعليم الحديثة مثل الأجهزة المسموعة المرئية، وتوظيف المسرح في التدريب على الاستماع، مع الاستفادة من تمثيل الأدوار والمواقف.

- الاهتمام بالصوت، والتدريب على تنوع الإيقاع والنغمة للتعبير عن الشخصيات المختلفة، والمحافظة على سرعة الإلقاء تبعا للانفعالات المناسبة، مع وضوح الصوت حتى يتمكن كل الأطفال من سماع القصة كاملة وبوضوح.

- تنوع القصص على أساس الإلقاء أو الاستماع لكثير من ألوانها، مثل الخبرات الشخصية والحكايات والنوادر والفكاهات، ولا داعي للإصرار على حفظ القصة؛ لأن التعلم فيها مرتبط بالاستمتاع بها.

مهارات التحدث

حكاية القصص من أهم ألوان التعبير الشفهي، فالأطفال يهتمون بها، وينتبهون لها ولما يدور حول أحاديثها وأشخاصها من نقاش وحوار ومساءلات، فهي أحسن الوسائل لإجادة المحادثة والإنشاء الشفهي.

ومن خلال استماع الأطفال للقصص يمكن تدريبهم على ذكر الملامح الدقيقة والتفصيلات المرتبطة بأحداث كل قصة وشخصياتها، وهذا في حد ذاته يساعد الأطفال على اكتساب دقة الملاحظة والتركيز والانتباه، كما يساعدهم على اكتساب مفردات لغوية جديدة، وتنمية قدرتهم اللغوية في التعبير والوصف الشفهي.

ولقد أشار بعض التربويين إلى مراعاة مبادئ عامة يجب الالتزام بها عند استغلال القصة في تنمية مهارات التحدث لدى الأطفال، تتمثل في:

- ترك الحرية الكاملة للأطفال في الحديث والتعبير عن شيء يدركونه بحواسهم في البيت والشارع والمدرسة.

- مراعاة استيعاب الأطفال لأحداث القصة وفقا لحاجاتهم الصحية والمزاجية والعمرية.

- المناقشة بعد القصة؛ إذ ينبغي أن تعقب حكاية القصة مناقشة يدور فيها البحث عن الموازين والتقويم: مثل أمتع جزء في القصة، وأحسن شخصية فيها.

مهارات القراءة والتهجي

طريقة القصة في تعليم القراءة للأطفال المبتدئين تعتمد على طريقة الجملة في تعليم القراءة؛ حيث يتم التركيز على تحليل القصة إلى جمل، ثم جعل الجملة هي العنصر والوحدة في عملية التعلم.

والدافع إلى استخدام القصة ككل يستند إلى أن لها معنى أشمل وأكبر وأعم من الجمل، فالأطفال يفرحون بحفظها وتمثيلها وترديد جملها.

صبحة بغورة
كاتبة جزائرية

كيف نعالج خوف أطفالنا من «المدرسة»؟

كثيرا ما يواجه أولياء الأمور مواقف تربوية صعبة في غمار رحلة تنشئة أبنائهم، الذين تصدر منهم فجأة تصرفات تبدو غير متوافقة مع نهج التربية الذي اتبعوه معهم منذ نعومة أظافرهم، ذلك عندما يبدي الطفل خوفا من الذهاب إلى المدرسة، أو أنه لا يريد العودة إليها. ويعبر الطفل عن هذا الشعور باللجوء إلى عدة مظاهر تدل على عدم رغبته هذه، كالتمارض والتأخر في النهوض من النوم والتماطل في ارتداء الملابس والعزوف عن تناول فطور الصباح.. ومن الأطفال من يبكي ويصرخ ويجلس ثم يتمرغ أرضا، ومع هذا الوضع تشتد حيرة الآباء والأمهات، ويعجز كثيرون عن معرفة ما يمكن أن يفعلوه، فيما قد يخطئ آخرون التصرف في خضم اجتهادهم لمعالجة مثل هذا الموقف، فيتسببون - عن جهل - في جعل الطفل أكثر خوفا، بل وأكثر نفورا من المدرسة، فيرتفع سقف اعتراض الطفل لينتقل من عدم الرغبة إلى الرفض الصريح، وهو ما يفتح الباب أمام الشكوك والتخوفات من ألا يقصد الطفل المدرسة مباشرة، بل يلجأ تحت الضغط إلى اتخاذ المدرسة مبررا لخروجه من المنزل ليرضي والديه فقط ثم يتجه إلى أماكن أخرى، وسينفذ ما يترآى له، سواء أحببنا أو كرهنا، وسواء وثقنا فيه أو شككنا في نواياه، لأنه إذا كان ممكنا مراقبته بعض الوقت، فإن ذلك لا يدوم طوال العام الدراسي. ولاشك في أن لكل شيء سببه، فكيف السبيل لمعرفة الجواب على السؤال التالي: ما سبب خوف الطفل من المدرسة؟

كأي حالة مرضية أخرى لابد من معالجة مشكلة خوف الطفل من المدرسة في وقت مبكر، فالسنوات الأولى من عمر الطفل هي أساس تكوينه الشخصي، العضوي والنفسي، ومرحلة الدراسة الابتدائية هي استكمال وتنمية ما بدأه الأولياء في المنزل من قبل، ومن ذلك الإصلاح المبكر لما قد شاب التربية المنزلية على مدى سنوات الطفولة الست من خلل أو تقصير من أجل تقويم السلوك الخاطئ، وهنا تقع المسؤولية على الأولياء الذين عليهم المراقبة المستمرة للحالة النفسية للطفل في سنوات حياته الأولى، ثم المتابعة عن قرب لسلوكه منذ بداية انتظامه في المدرسة لمحاولة تلمسهم رغبته في التعلم وميله إلى المعرفة وحماسه الدراسي وحبه للمعلم أو المعلمة، ووقوفهم على مستوى نجاحاته في إعطاء الإجابات الصحيحة على الأسئلة والتمارين والواجبات المنزلية، وعليهم أيضا واجب الدراية الكاملة بالصداقات التي اكتسبها مع رفاقه بالصف.. ومن مجمل الملاحظات يمكن للوالدين الوقوف بشكل واف على أي من الأسباب التي قد تغير من موقف الطفل وشعوره نحو المدرسة، سواء بحبه لها والتعلق بها أو نفوره منها، ومن ثمة يصبح بعدها على الوالدين، بالتعاون مع الأسرة التربوية، تصور الخطوات الضرورية لحل المشكلة.

من الأهمية التأكيد على طابع الهدوء والتأني أثناء مناقشة الطفل حول هذه المشكلة، وأن تكون الصراحة هي الأساس. ولتحقيق هذه الصراحة يجب أن نوجد لدى الطفل أولا مشاعر الأمان تجاه والديه بألا يجري التلويح بالعقاب، واستبعاد أداته تماما وعدم وضعها قريبة وعلى مرأى منه مهما كانت طبيعتها، والابتعاد تماما عن القسوة والغلظة في الحديث، وتجنب لغة التهديد والوعيد أو إظهار الشك في ما يقول وعدم التصديق، ومن المهم أن يجري الحوار معه على انفراد وليس أمام إخوته أو أي شخص آخر، وأن يكون «حوار تنفيس»، أي ذلك الذي يتناول الفعل ورد الفعل (العلاقة السببية)، وحينها سيشعر الطفل أن والديه يعاملانه كشخص كبير وناضج، وبهذه الطريقة تتعزز ثقته بنفسه فيكون صريحا ومتجاوبا أكثر، ولا يعقل أن يتبدل شعور الطفل نحو المدرسة ونراه محبا لها فورا، فمن المهم منحه الوقت الكافي لتكييف مشاعره وتعديل مواقفه وفق مبررات سيختلقها هو ليثبت للجميع أن توافرها حاليا هو ما كان ينقصه من قبل، وعلى الوالدين طبعا تفهم ذلك، وأن يعملا جاهدين على توفير كل الظروف المناسبة التي تريحه، وتشجيعه بالهدايا الرمزية لخلق الحافز في نفسه للإقبال على الدراسة بمتعة، ولا بأس من مرافقة الأم لطفلها إلى المدرسة، خصوصا لو كان هذا أول يوم له فيها، فذلك يشعره أن المدرسة مكان آمن وسيكتشف أنه لا يوجد ما يدعو إلى الخوف أو القلق منها. أما الأطفال الأكبر سنا فالمشكلة تبدو أعقد، إذ لن يكون ذهاب الأم مع طفلها من أجل مرافقته ومؤانسته فقط، بل سيكون عليها الاتصال بمدرسيه للاطلاع على طبيعة مساره الدراسي من حيث مداومته ودرجة التزامه وانضباطه داخل الصف، وعلاقاته بزملائه، وتلمس أسباب ما قد يطرأ عليه من انزعاج وخوف، فقد يكون من أسباب خوف الطفل من المدرسة عدم توافقه مع الكثير من زملائه والشجار الدائم مع بعضهم داخل المدرسة وخارجها، أو العقوبة القاسية التي يتعرض لها نتيجة إهماله من طرف معلمه، أو أنه يجد صعوبة في

القراءة وأن الدراسة عبء ثقيل عليه. أما في المنزل فإن ما يستبد بالطفل من ضيق وتبرم وتوتر قد يكون سببه عدم انتظامه في النوم، وعدم أخذ القسط الكافي من الراحة، فهذا ما يشعره بالتعب والإرهاق طوال اليوم الدراسي، وقد يظن الأولياء أنه تمثيل زائد فيؤدي هذا إلى إصابة الطفل بالكآبة، وهي من الأمراض النفسية الخطيرة التي يحذر منها أغلب خبراء التربية واختصاصيي الأمراض النفسية؛ لأنها تنعكس على صحته وسلامته الجسمية، فالكآبة الناتجة عن الخوف من المدرسة هي في الحقيقة اضطراب هادئ، نتائجه وخيمة، يسبب للطفل الكثير من الألم، فهو لا يستطيع في هذه المرحلة السنية المبكرة التعبير عن الصعوبات النفسية والصراع الداخلي عن طريق الكلام، لذا فإنه يلجأ إلى التعبير عن ذلك بصور سلوكية غير سوية، بل غير طبيعية، كالعناد والكذب والشجار والعدوانية والاكتئاب.

ليس لمجرد أن يقول الطفل إنه لا يحب المدرسة تهتز أركان المنزل، فهذا الشعور لن يدوم طويلا إذا تمت مواجهته بوعي وهدوء، لأنه ليس هناك سبيل آخر بديل عن المدرسة لتحصيل العلم واكتساب المعرفة، ولذلك يثور بداهة السؤال التالي: كيف يمكن مساعدة الطفل على حب الدراسة؟

و مع دخول العام الدراسي الجديد والعودة إلى مقاعد الدراسة وعبء الواجبات المدرسية المطلوب إنجازها والامتحانات الدورية، يكون من الضروري التفكير في أفضل الطرق والأساليب التي تراعي الحاجة إلى واقعية تعليمية في التعامل مع متغيرات المشهد التربوي وتدفع الطفل إلى حب الدراسة أولا، ولابد هنا أن تكون تلك الطرق متميزة وسهلة وسريعة المفعول، تخرج الطفل من دائرة الروتين الدراسي، كتشجيعه على حب القراءة والمطالعة بتوفير الكتب المفيدة التي تستثير فضوله بموضوعاتها العلمية المبسطة التي تتناول غرائب الحياة وحقائق الكون وأخبار الابتكارات، والقصص المصورة الممتعة، مع التأكيد له أن القراءة تجعل الإنسان أكثر ذكاء وتمنحه القدرة على التعبير عن المشاعر والأفكار. ومن أجل ذلك لابد من توفير الأجواء المناسبة في المنزل، ومنها مراعاة منع أي مصدر يمكن أن يشوش على تركيزه، كإغلاق التلفزيون والهاتف المحمول وإبعاد الأطفال الصغار إلى غرفة أخرى ومنعهم من الصراخ واللهو الفوضوي وكل ما يشتت انتباه الطفل عن الدراسة ويشغله عن التحصيل بالقدر الكافي، وقد يكون من المفيد الدراسة في مجموعة صغيرة من الأصدقاء من المستوى نفسه لتبادل المعلومات والأفكار والملاحظات. وقد يحتاج الطفل لكي يستعيد تركيزه منحه فترة من الراحة للاسترخاء من عناء التوتر، وهي قد تدوم خمس دقائق. ومن الواجب دائما إظهار الوالدين استعدادهما لمعاونته ورفع الحرج عنه في طلب المساعدة لاستيعاب ما استعصى عليه فهمه وإحاطته بالرعاية والاهتمام وتشجيعه في كل الأحوال، وحتى في حالة إخفاقه تجب محاولة إفهامه انه اجتهد قدر طاقته وأن الإنسان يستفيد أكثر من أخطائه، ولاستثمار هذا المعنى ندفعه إلى محاولة إنجاز ما صعب عليه في المدرسة، وسيرى أن النجاح في متناوله وليس صعبا تحقيقه، ولتعميق هذا المعنى نلجأ إلى أسلوب التعميم، بعرض نماذج مشابهة للحالة ينجزها بطريقة الحل نفسها وسينتشي كثيرا بنجاحاته المتكررة ولو كانت صغيرة، وستقل حدة طباعه ويهدأ، بعدها سيخلد إلى النوم سعيدا راضيا مستبشرا، بل متشوقا لليوم الدراسي التالي.

د. أحمد إسماعيل
باحث في التراث الإسلامي

في مدرسة النبوة.. الرسول ﷺ أبا ومربيا

أعطت الشريعة الإسلامية الأسرة من التوجيه ما يلقي عليها بعبء تحمل المسؤولية تجاه تربية الأبناء، فأكدت على دورهم في التربية، حيث قال ﷺ: «الزموا أولادكم وأحسنوا تربيتهم». وروي أن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته؛ الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته». قال: وحسبت أن قد قال والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته وكلكم راع ومسؤول عن رعيته (١).

وقال ﷺ: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه: أحفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» (٢). وقد أرسى رسولنا الكريم أصول التربية في أسرته بمنهج يقوم على الحب والمودة، وهي طريقة مثلى لا تجاريها طريقة أخرى؛ لأنه بالحب والمودة يستطيع الإنسان أن يحقق ما يريد، أما بغيرهما فلا يستطيع أن يحقق نفعا، بل قد يأتي بغير ما يريد، فقد روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، الذي خدم رسول الله عشر سنين، ما يأتي: «ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله» (٣).

وقد راعى رسول الله الحالة النفسية لكل فترة من فترات عمر الطفل، فالطفل في المرحلة الأولى من عمره في حاجة ماسة لمن يوسعه رحمة ومودة وشفقة وحنوا. ولم ينس رسول الله أن يضفي عاطفة الأبوة على أبنائه وهو في حالة انشغاله بالدعوة إلى الله عز وجل، فقد كان يجد وقتا من بين مشاغله الكثيرة والمهمة فيذهب إلى مرضعة ابنه، ويحتضن ابنه ويقبله ويداعبه ويشمه ويظهر له علامات حبه له (٤).

ولم يقتصر حبه على الذكور، بل كان الرسول لا يفاضل بين الذكور والإناث، فكان حبه للسيدة فاطمة - رضي

الله عنها - لا يوازيه حب، فعندما كانت تقبل عليه وتزوره كان يقوم لها ويأخذ بيدها ويجلسها بجانبه ويسأل عنها وعن أحوالها ويظهر حبه لها، وعندما تقوم يقوم معها ويودعها بكل لطف. ونحن نعلم أن أولاد الرسول توفوا كلهم في حياته، ولكن هذا لم يؤثر في عاطفته نحو بناته أو يغير في منهج حياته، بل كان الحب والرحمة في شخصه يكفيان العالمين، وقد فاضا على أحفاده، فقد كان يظهر عناية واهتماما خاصين بالحسن والحسين، حتى إن هذين الإمامين - رضي الله عنهما - كانا يركبان على ظهره ويطوف بهما، وفي أحد الأيام، وبينما كانا على ظهره دخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لهما: نعم الفرس تحتكما، فقال الرسول: «نعم الفارسان هما» (٥). فلنا أن نتأمل هذا الموقف جيدا من شخص في مكانة رسول الإنسانية يتعامل مع أحفاده بهذه الطريقة، ولك أن تتأمل معي جيدا تعليق عمر ابن الخطاب على هذا الموقف، وما مصير أي وزير يلفظ بهذه اللفظة، التي قالها ابن الخطاب، لأمير أو سلطان في أي عصر من العصور؟! أعتقد، وبلا أدنى شك، إن حدث هذا فسيكون مصيره تحت الثرى من قبل أن ينطق بهذه اللفظة.

وفي إحدى المرات عندما قال أحدهما للحسن وهو على عاتق النبي: يا غلام! نعم المركب ركبت. فقال رسول الله: «ونعم الراكب هو» (٦). وفي هذه المواقف إشارة من الرسول للقاصي والداني بمكانة هذين الحفيدين عنده وحبه الشديد لهما، وأن منزلتهما لابد أن تكون على قدر ما حباهما الله عز وجل من الطهر والنقاء وسمو الروح.

لقد كان الرسول يحب أبناءه وأحفاده حبا شديد، وكان ينشد فيهم غراس الخير نحو تقوى الله عز وجل، ويربي فيهم طلب الحياة الأبدية، ومع حبه الشديد الذي كان يشعرهم به إلا أن هناك حدودا لا يجوز تعديها، وهي حق الله عز وجل، وإن كان الموقف من طفل لم يجر عليه القلم، والرسول ينأى بآله عن مواطن الشبهات، فحين مد الحسن وهو طفل صغير يده إلى تمر صدقة، فأسرع رسول الله وانتزع تلك التمرة من فيه قائلا له: «أما علمت أن الصدقة لا تحل لآل محمد» (٧). فقد رباهم منذ الصغر على التوقي من الحرام وإبداء منتهى الحساسية في هذا الموضوع، وهذا من أفضل الأمثلة على إقامة التوازن التربوي منذ الصغر. وذلك لأن الطفل كالعجينة يسهل تشكيلها، ولكن حين تصلب وتجف يصعب تغييرها، فإذا أريد تغييرها تم كسرها.

وقد كان الرسول يضفي على آل بيته والناس جميعا الحب والعطف، لكن المهابة تبقى هي القائد الأسمى في منظومة صفاته، فليس معنى أنه يحب أبناءه ويغدق عليهم من شفقته ومودته أنه يقبل التهاون في أمر من الأمور التي تؤثر على حياة الآخرة لآله أو ذويه، وقد وقف موقفا حازما من السيدة فاطمة وهي من هي إلى قلبه، فقد جاءته وفي عنقها سلسلة من ذهب فقال لها: «يا فاطمة! أيغرك أن يقول الناس ابنة رسول الله وفي يدها سلسلة من نار»، ثم خرج ولم يقعد.. فأرسلت فاطمة بالسلسلة إلى السوق فباعتها واشترت بثمنها غلاما فأعتقته، فحدث بذلك فقال: «الحمد لله الذي أنجى فاطمة من النار» (٨). فحبه الشديد لها لم يجعله يرضي هواها في ارتدائها هذه السلسلة التي هي زينة لا تدوم كثيرا بالقياس إلى ما أعده الله عز وجل للمقربين في دار القرار، ولاشك أن تزيّن النساء بالذهب ليس حراما، لكن الرسول يريد أن يكون آل بيته، لاسيما السيدة فاطمة في دائرة الزاهدين في الدنيا، والمقربين إلى الله عز وجل.

الهوامش

١- البخاري، برقم ٨٣٩، بتحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١/١٤٢٢هـ.

٢- صحيح ابن حبان بتحقيق الأرنؤوط، (٤٤٩٣)، ٣٤٥/١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، قال شعيب الأرنؤوط: رجاله رجال الشيخين وهو مرسل؛ وسنن النسائي، (٩١٧٤)، أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٣٥/٩)، والنسائي في الكبرى (٣٧٤/٥، رقم ٩١٧٤)، وأخرجه أيضا: الترمذي (٢٠٨/٤، بعد رقم ١٧٠٥).

٣- صحيح، رواه البخاري في «الأدب المفرد»، (٣٧٦)، قال: حدثنا حرمي بن حفص، قال: حدثنا وهيب؛ ومسلم، (٧٦/٧)، أخرجه أحمد (١١٢/٣)، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا إسماعيل.

٤- صحيح مسلم، الفضائل، ٦٣.

٥- مجمع الزوائد للهيثمي، ١١١/٩، برقم ١٥٠٧٨.

٦- كنز العمال للهندي، ٦٥٠/١٣.

٧- صحيح البخاري، الزكاة، ٥٧؛ صحيح مسلم، ١٦١؛ والمسند للإمام أحمد ١٨٠/١٣، (٧٧٥٨)، وصححه الأرنؤوط على شرط الشيخين.

٨- النسائي، برقم ٥١٤٠، وصححه الشيخ الألباني؛ والمسند للإمام أحمد ٢٧٨/٥.

هبة أبو الفتوح
صحفية مصرية

مهارات التعامل مع المراهقين

تمثل الحياة مع المراهق تحديا أمام الآباء والأمهات؛ فالمعاملة مع الابن المراهق أو الابنة المراهقة تتطلب قدرة عالية من الصبر والتحمل والفهم لطبيعة المرحلة التي يمر بها المراهقون. ويعد أساتذة التربية وعلم النفس مرحلة المراهقة من أخطر مراحل التربية. فماذا يفعل الآباء والأمهات حيال بعض المواقف التي تستثير الغضب والانفعال الدائم أثناء تعاملهم مع أبنائهم المراهقين؛ فمثل هذه التصرفات من الأبناء المراهقين تمثل نماذج مألوفة ومتوقعة للمشكلات التي تواجه الآباء والأمهات يوميا في تعاملهم مع المراهقين. ومن المؤكد أن الآباء، أو على الأقل نسبة كبيرة منهم، يعجزون عن التعامل مع تلك المشكلات.

ولعل أهم سببين لهذا العجز هما: عدم إلمامهم بالطرق الصحيحة في التعامل مع المراهقين وكيفية التواصل معهم.

– عدم إلمامهم بالتطورات والتغيرات الفسيولوجية والاجتماعية والسلوكية التي تظهر مقترنة مع انبثاق مرحلة المراهقة وتطورها (١).

ومن المؤكد أنه إذا تعامل الآباء بطريقة غير صحيحة ومن دون إدراك للحقائق السلوكية في التعامل مع أبناء هذه المرحلة، فإن النتائج قد تكون وخيمة العواقب، وربما تكون من العوامل المساهمة في تفاقم المشكلات بدلا من حلها، وفي خلق مناخ مليء بالتوتر والضغوط التي قد تكون سببا من أسباب التدهور النفسي لدى الآباء والأمهات أنفسهم.

ويوصي المعالجون السلوكيون بأن يستفيد الآباء والأمهات من القواعد السلوكية في تعاملهم مع أبنائهم المراهقين حتى تستمر العلاقة في مذاقها السار ومسارها المحبب (٢).

وهناك مهارات نرى أن اكتسابها يساعد على توطيد التعامل الإيجابي بين المربين والمراهقين، والقدرة على فهم طبيعة تلك المرحلة العمرية التي تمثل نقطة تحول في حياة المراهق، تنقله من طور الطفولة إلى طور الرشد والشباب؛ فالمراهق دائما يبحث عن تقدير ذاته وتكوين شخصيته المستقلة، وكل من يسهم في تشكيل شخصيته وإكسابه الثقة بالنفس. ومن أهم هذه المهارات:

– مدح أو دعم الجوانب الإيجابية في السلوك.

– التقليل من الرفض الاجتماعي، وتجنب استخدام العقاب.

– التجاهل ما أمكن لأنواع السلوك المختلفة التي قد تكون سلبية من وجهة نظر الآباء والأمهات (٣).

– الإنصات: مهارة يفتقدها كثير من الآباء والأمهات، على الرغم من أنها من أهم مهارات تواصلهم مع أبنائهم. والدراسات النفسية التي أجريت على مجموعات مختلفة من المراهقين أثبتت أن الإنصات هو أهم احتياجات المراهق؛ فمن خلال الدراسة تم طرح سؤال على المراهقين عن أهم احتياجاتهم المادية أو المعنوية، وكانت المفاجأة أن ١٠٠ في المئة منهم كتبوا أن أهم احتياجاتهم الإنصات، ثم جاء الحب في المرتبة الثانية بنسبة ٨٠ في المئة، ثم توالت الاحتياجات المعنوية، وجاءت الاحتياجات المادية بنسبة ٣٠ في المئة.

– التعبير عن الحب: كلنا نحب أبناءنا، ولكن من منا يحسن التعبير عن ذلك الحب؟! المراهق في حاجة دائمة إلى استشعار الحب، ومنحه المزيد من الحب والحنان يعزز ثقته بنفسه وتقبله للآخرين، ومن ثم يستطيع الآباء والأمهات تغيير سلوك أبنائهم المراهقين (٤).

–الحوار والقدرة على الإقناع: لكي ينعم الآباء والأمهات بعلاقة وطيدة مع أبنائهم المراهقين لابد أن يتقنوا فن الحوار معهم، فالمراهق يرفض إملاء الأوامر والتعليمات حتى لو كانت لمصلحته، ولكي يثمر الحوار ويكون إيجابيا لابد أن نصغى جيدا لأبنائنا، فشعورهم بالاهتمام والحب والأمان، سيكسر حواجز الصمت ويجعلهم يبوحون لنا بما داخلهم، فلابد أن نمنحهم الفرصة كي يتحدثوا ويعبروا عما بداخلهم بحرية، وبذلك يكون من السهل إقناعهم بتغيير سلوك غير مرغوب، أو اكتساب سلوك جيد.

– المشاركة: يجب على الآباء والأمهات أن يشاركوا أبناءهم اهتماماتهم مهما كانت بسيطة، ويجب ألا ننسى أن نفسح لهم المجال للمشاركة في بعض القضايا المهمة التي تخص الأسرة، فبعض المراهقين يمكنهم الوصول إلى حلول مبتكرة وخلاقة لبعض المشكلات إذا ما منحناهم الفرصة، فتهميش المراهق وعدم الاعتراف بشخصيته يزيدان من تعميق أزمته.

الهوامش

١– د. عبدالستار إبراهيم، العلاج السلوكي للطفل والمراهق.
٢– المرجع السابق.
٣– المرجع السابق.
٤– الشيخ ياسين رشدي، التربية في الإسلام.

علياء ناصف
متخصصة في الشؤون الأسرية

الإيثار في نفوس الصغار

إن من الخطورة المجتمعية أن لا تبالي الكثير من الأسر والعائلات بتوغل صفات الأثرة وحب الاستحواذ في نفوس صغارها، فيتركوا بلا تهذيب أو توجيه، فتستوحش هذه الصفة الذميمة لديهم وبداخلهم، فنكون بصدد ظاهرة الطفل الأناني الذي لا يهتم إلا بنفسه ولنفسه، غايته الأساسية مصلحته الذاتية وسعادته الشخصية.

ومن الأقوال التي تبدو طريفة في ظاهرها ولكنها عميقة التحليل في باطنها لشخصية الإنسان الأناني صغيرا كان أم كبيرا أنه هو ذلك الشخص الذي «لا يبالي بحرق بيت جاره من أجل أن يسلق بيضة».

وبهذا المعنى يتضح لنا كم أن الشخص الذي يؤثر مصلحته الخاصة ويضرب بمصلحة الآخرين عرض الحائط أبعد ما يكون عن سلوك المسلم الحق.

الأثرة والإيثار

فرق كبير وعميق بين من يؤثر على نفسه وبين من يؤثر نفسه، شتان ما بين الاثنين، والمقارنة بين الفريقين واضحة جلية.. فالفريق الأول هو من قال عنه المولى عزوجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر:٩).

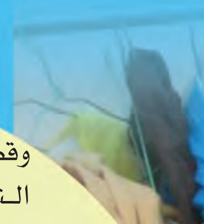

وقصة نزول الآية الكريمة ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار نزل به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نومي الصبية، وأطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك.

وهو الفريق أيضا الذي من وافق فعله قول ربه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ (آل عمران:٩٢).

ومن ضمن ما جاء في تفسير القرطبي للآية الكريمة: «روي عن الثوري أنه بلغه أن أم ولد الربيع بن خيثم قالت: كان إذا جاءه السائل يقول لي: يا فلانة، أعطي السائل سكرا، فإن الربيع يحب السكر. قال سفيان: يتأول قوله جل وعز: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وروي عن عمر بن عبدالعزيز أنه كان يشتري أعدالا من سكر ويتصدق بها. فقيل له: هلا تصدقت بقيمتها؟ فقال: لأن السكر أحب إلي فأردت أن أنفق مما أحب. وقال الحسن: إنكم لن تنالوا ما تحبون إلا بترك ما تشتهون، ولا تدركوا ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون». (١)

بث الإيثار في نفوس الصغار

يجب على أفراد الأسرة والعائلة أن يبثوا في نفوس صغارهم معنى الإيثار قولا وفعلا، والبدء بأن يكونوا - هم أنفسهم - قدوة حقيقية ومثلا أعلى يحتذى في هذا الأمر.

لنطبق نحن الكبار أولا ولنبدأ بأنفسنا، فعندما يرى الصغار والديهم وأفراد عائلتهم وهم لا غضاضة عندهم في بذل الغالي والنفيس لغيرهم، وعندما يطلب أحد من الوالدين أو أي فرد من أفراد العائلة من صغار العائلة أن يساعدوهم ويعاونوهم في اختيار أطيب الأطعمة، وأجمل الثياب لتقديمها للفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات، فمن غير المستغرب أن نجدهم وقد توغلت هذه الصفة في نفوسهم سريعا، لنجدهم يقدمون من مأكلهم وملبسهم للفقراء والمحتاجين.. لمن يطلب ولمن قال عنهم المولى سبحانه وتعالى ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا﴾ (البقرة:٢٧٣).

العلاج الفعال للأنانية لدى الأبناء

إن العلاج الفعال لكل من استحكم على قلب أبنائه مرض الأنانية، نجده واضحا في الاستجابة الفورية لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويتمثل في النهوض سريعا وطلب الاستشفاء بكلام ليس بعده كلام.

لنتذكر دائما قصة «أصحاب الجنة» ولنذكرها دائما لهم، هذه القصة البليغة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (القلم:١٧-٣٣).

روي أن رجلا صالحا كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء، وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيبا وافرا للفقراء، فلما مات ورثها منه بنوه، ثم قالوا: عيالنا كثير، والمال قليل، ولا يمكننا أن نعطي المساكين، مثل ما كان يفعل أبونا، فأحرق الله جنتهم، وقيل: كانوا من بني إسرائيل (٢).

ألا تكفينا هذه القصة بالغة العبرة والعظة لنعلم أبناءنا مآل حب الذات في الدنيا والآخرة، كيف تكون عقوبة من يريد الاستئثار لنفسه وحرمان غيره، ليوقن أنه هو المحروم حقا!

إن الأنانية تورث في النفس طمعا وجشعا، غرورا وبطرا، بخلا وشحا، وغير ذلك الكثير من أمراض القلوب التي هي الصدأ للقلوب والحجاب للعقول.

ومن يمعن النظر ويدقق جيدا يعرف أن الأمر جلل خطير، فليكبح كل من يجد في قلب أطفاله هذا الداء سريعا، وليروض نفوسهم ويهذبها التماسا للفوز برضاء الله واجتنابا لسخط الله.

الهوامش

١- تفسير القرطبي، ٤/ ١٣٣.

٢- التفسير الكبير، ٣٠/ ٨٧.

نجاح عبدالقادر سرور
خبير تربوي مصري

الـرسـول ﷺ واستراتيجيات التعلم النشط

التعلم النشط.. تعبير يكثر تداوله في الأوساط التعليمية في السنوات الأخيرة.. ويعني أن يشارك المتعلم مشاركة أساسية في عمليه التعلم، أما دور المعلم فهو القيام بدور الموجه والمرشد لتلامذته، وهذا ينمي قدرة التلاميذ على التفكير، وينمي العلاقات الاجتماعية بينهم ويجعل من التعلم متعة. فهل هذه الاستراتيجيات حديثة فعلا؟ أم أن سيدنا محمدا ﷺ استخدمها جميعا باعتباره ﷺ معلم البشرية؟

نعرض فيما هو آت بعض هذه الاستراتيجيات ودليل تطبيق النبى ﷺ لها:

استراتيجية العصف الذهني

العصف الذهني أن يلقي المعلم سؤالا عاما ويدع المتعلمين يفكرون ويعملون عقولهم لمعرفة الإجابة؛ ومثال ذلك: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» فظننت أنه يعني النخلة؛ فأردت أن أقول هي النخلة يا رسول الله؛ ثم التفت فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم فسكت؛ فقال النبي ﷺ: «هي النخلة» (البخاري، ٧٦/١٧).

وفي هذه الواقعة طرح ﷺ المعلومة وترك صحابته يفكرون ماذا يقصد؛ لقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة التحلي بالصفات الطيبة المودعة في النخلة من عزة وشموخ ورسوخ وترفع فوق الصغائر والرد على السيئة بالحسنة.

دراسة الحالة

وهي استراتيجية تقوم على موقف يمر به المتعلم ويتم دراسة حالته للحكم عليها سلبا أو إيجابا مع توجيهه إلى الصواب؛ ومثال ذلك: حديث الرجل المسيء صلاته حيث قال له ﷺ: «ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع يصلي كما صلى؛ ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثلاثا.. فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تعدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وافعل ذلك في صلاتك كلها» (البخاري).

لقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم الأمة جميعا أهمية الاطمئنان في الصلاة.

المجموعات التعليمية التعاونية

وهى استراتيجية تقوم على تقسيم التلاميذ إلى مجموعات تعليمية كل مجموعة تأخذ جانبا من موضوع التعلم بحيث يتكامل الموقف التعليمى

من خلال هذه المجموعات ومثال ذلك: عن عائشة قالت: خرجنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع فمنا من أهلّ بعمرة ومنا من أهلّ بحج فقدمنا مكة فقال رسول الله ﷺ: «من أحرم بعمرة، ولم يُهدِ، فليحلل. ومن أحرم بعمرة، وأهدى، فلا يحلُّ حتى ينحرَ هديَه. ومن أهلَّ بحجٍّ، فليتمَّ حجَّةً» (البخاري، ٢/٠٣). لقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة أنواع الحج: الإفراد والتمتع والقران.

التغذية الراجعة والتقويم

وهى استراتيجية تقوم على استعادة معلومات المتعلم للوقوف على مدى استيعابه مع تقويمه وإرشاده؛ ومثال ذلك: عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به». قال فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال: «لا.. ونبيك الذي أرسلت» (البخاري، ٤١٢/١). لقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة الدقة في نقل حديثه ﷺ والحرص على أذكار ما قبل النوم.

الخرائط التوضيحية

وهي استراتيجية تقوم على استخدام الخرائط والخطوط والرسومات؛ ومثال ذلك: عن عبد الله قال خط رسول الله ﷺ خطا بيده ثم قال: «هذا سبيل الله مستقيما» قال ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: «هذه السبل وليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه» ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ (أحمد ٩/٢٤٠) فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة وجوب التمسك بالكتاب والسنة والبعد عن سبيل الشيطان.

التعلم باللعب

وهي استراتيجية تقوم على استخدام اللعب مع المتعلم لتوصيل المعلومة إليه أو ليتعلم مهارة ما ومثال ذلك: عن عبدالله بن الحارث قال كان رسول الله ﷺ يصف عبدالله وعبيدالله وكثيرا من بني العباس ثم يقول: من سبق إلي فله كذا وكذا، قال فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم (أحمد، ٢٦٨/٤). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة أهمية ممارسة الرياضة كأول وسيلة لتحقيق قوة الجسم.

الحكاية والقص

وهى استراتيجية تقوم على استخدام القصص بإثارة وتشويق ومثال ذلك: عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أنَّ رجلا كان قَبلَكم، رَغَسَه اللهُ مالا، فقال لبَنيه لمَّا حُضِرَ: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ، قال: فإنِّي لم أعمَلْ خيرًا قَطُّ، فإذا مِتُّ فأحرِقوني، ثمَّ اسْحَقوني، ثمَّ ذُرُّوني في يوم عاصف، ففعَلوا، فجمعه اللهُ عزوجلَّ فقال: ما حملك؟ قال: مخافتُك، فتَلَقَّاه برحمته» (البخاري، ٢٩٧/١١) فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة صفة الخوف من الله ووجوب محاسبة النفس.

تعليم الأقران

وهي استراتيجية تقوم على تعليم التلاميذ بعضهم بعضا ومثال ذلك: لما رأى عبدالله بن زيد رؤيا الأذان والإقامة وأخبر بها النبي ﷺ قال له: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به فإنه أندى صوتا منك» فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به (أبوداود، ٩٣/٢) فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة التعاون في إقامة الشعائر والعمل الجماعي والإيثار وفضل الأذان وأن يعلم بعضهم بعضا.

تبادل الأدوار

وهي استراتيجية تقوم على تبادل المتعلمين الأدوار بحيث يكمل بعضهم بعضا؛ ومثال ذلك: عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ لأبي

بكر: «أي حين توتر؟» قال أول الليل بعد العتمة.. قال: «فأنت يا عمر» فقال آخر الليل.. فقال النبي ﷺ: «أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالوثقى وأما أنت يا عمر فأخذت بالقوة» (ابن ماجه، ٥٢/٤). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة أنه يجوز الوتر قبل النوم كما يجوز تأخيره إلى ما قبل الفجر.

التعلم بالمرح والمداعبة

وهي استراتيجية تقوم على استخدام المرح لتوصيل المعلومة الصحيحة إلى المتعلم؛ ومثال ذلك: عن عدي بن حاتم قال قلت: يا رسول الله، ما «الخيط الأبيض من الخيط الأسود» أهما الخيطان؟ قال: «إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين، ثم قال: لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار» (البخاري، ١٣ /٤٥٢). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة بعض أحكام الصيام.

التمثيل والمحاكاة

وهي استراتيجية تقوم على التمثيل للموقف التعليمي؛ ومثال ذلك: قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» (البخاري، ٧/٣). وعن جابر قال رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة عمليا كيف نصلي وكيف نحج.

المشاريع العملية

وهي استراتيجية تقوم على استخدام النماذج من الطبيعة لتقرير المعلومة في نفوس المتعلمين عمليا؛ ومثال ذلك: عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفته فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم»؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟! قال: «أتحبون أنه لكم» قالوا: والله لو كان حيا كان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت؟! فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم» (مسلم، ٤٢٦/٦). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة الزهد في هذه الدنيا.

الإثارة والتشويق

وهي استراتيجية تقوم على طرح سؤال تشويقي يؤدي إلى إثارة المتعلم وتحفيزه؛ ومثال ذلك: عن عقبة بن عامر قال خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم ولا قطع رحم» فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عزوجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل» (مسلم، ٢٠٦/١٤). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة الحرص على الأعمال الصالحات التي تزيد الأجر والثواب وتثقل الميزان.

الوسائل الملونة

وهي استراتيجية تقوم على استخدام الألوان في تقديم المعلومة؛ ومثال ذلك: قال حذيفة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه» (مسلم، ٢٢٩/٤). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة الفارق بين القلب الصافي السليم والقلب الحاقد الضال.

الحوار والمناقشة

وهي استراتيجية تقوم على إجراء الحوار مع المتعلم لتقرير المعلومة الصحيحة وتثبيتها في ذهنه؛ ومثال ذلك: عن أبي أمامة قال إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه فقال: «ادنه، فدنا منه قريبا قال فجلس قال: «أتحبه لأمك؟» قال لا والله، جعلني الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» ثم ذكر الأخوات والعمات والخالات كل ذلك يقول الفتى: لا والله، جعلني الله فداءك. قال فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» (مسلم، ٣٤٩/١). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم صحابته والأمة فظاعة جريمة الزنا.

مخاطبة الحواس

وهي استراتيجية تقوم على إثارة حواس المتعلم؛ ومثال ذلك: عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل نفسا معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشم ريحها» (النسائي، ١٤/). فقد استخدم ﷺ هذه الاستراتيجية لتعليم الأمة حسن التعامل مع المعاهد من أهل الذمة.

هذه بعض الاستراتيجيات التعليمية التي استخدمها المعصوم ﷺ الذي قال: «إنما بعثت معلما» (ابن ماجه، ٢٦٥/١). وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. إدريس سلطان صالح
أستاذ جامعي

الشباب العربي في القرن الـ ٢١

يمثل الشباب أهمية كبيرة في عالمنا العربي، لمسؤوليتهم ودورهم من ناحية، وتأثيرهم المباشر في نجاح جهود التنمية التي تتبناها مختلف الدول العربية من ناحية أخرى، حيث تشير البيانات السكانية المتوفرة عن الوطن العربي أن نسبة الفئة العمرية في سن العمل والنشاط الاقتصادي (من ١٥ - ٦٤ سنة) تتجاوز٦٣ ٪، وأن نسبة السكان الأقل من ١٥ سنة تبلغ نحو ٣٣٪، وأن أكثر من نصف عدد السكان تحت سن ٢٥. وهذا ما يجعل الشباب قوة ضاغطة على الموارد العربية، لحاجتهم إلى خدمات التعليم والعمل وغيرها، وإذا لم تستوف هذه الاحتياجات فسيؤدي الأمر إلى زيادة الأمية والجهل وزيادة معدلات البطالة والفقر وما يتبع ذلك من آثار سلبية (١)، خاصة وأن نسبة البطالة في صفوف الشباب العربي حتى سن الثلاثين عاما تتجاوز ٣٠٪. ولاتزال في زيادة مستمرة، حيث إن عددا كبيرا من حملة الشهادات لا يتمكنون من إيجاد عمل، بسبب طبيعة تخصصاتهم، وافتقارهم للمعارف والمهارات المطلوبة لعالم العمل في القرن الحادي والعشرين (٢).

فالواضح أن الوطن العربي يشهد عوامل وظروفا اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية أعاقت ولاتزال تعيق توليد المعرفة وإنتاجها واستثمارها وتبادلها بفاعلية. وهذا ما يفسر اتساع الفجوة المعرفية إلى درجة تكون معها عقبة كبيرة في طريق تراكم المعرفة وتدبير اقتصادها، بما يخدم أغراض التنمية. وهذا ما تعاقبت على إثباته تقارير المعرفة العربية التي انطلقت من رؤية عربية للتحديات التي تواجه المنطقة في الانتقال إلى مجتمع المعرفة، بحثا عن سبل وآليات تساعدها على الانخراط بإيجابية وفعالية في مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة، وإلى تطوير مؤسسات واعدة وأفراد متميزين لكسب رهان التنمية بمختلف أشكالها (٣).

فالعالم اليوم يشهد تدفق معلوماتي، وتطور تكنولوجي لم يسبق له مثيل، مما كان له الأثر في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية

والسياسية والثقافية والعلمية للمجتمعات المختلفة، ووضع أمامها تحديات هائلة، للتعامل مع معطيات هذا التطور، والاستجابة لمتطلباته، والاستفادة منه، حتى تستطيع الحفاظ على حياتها الحاضرة، والتخطيط لمستقبل أفضل.

فقد تغيرت النظرة للمعرفة في ظل اقتصاد قائم عليها، وتغيرت معايير المنافسة بين المجتمعات، بناء على ما لديها من مهارات تتفق وطبيعة الحياة الجديدة، وأصبحت تلك المجتمعات مطالبة بإعداد مواطنين قادرين على النجاح في اقتصاد يقوده الابتكار والمعرفة، وأسواق ملزَمة بالمنافسة الشديدة والتجديد المستمر، وعالم من الفرص والمخاطر الهائلة، وأعمال معقدة ذات أماكن عمل متنوعة، تتوقف على علاقات تعاونية وشبكات اجتماعية.

وإذا كانت النظرة التقليدية تركز على امتلاك الإنسان للمعارف عن جوانب الحياة والعمل المتنوعة، فإن هذه النظرة حتما ستختلف في مجتمع القرن الحادي والعشرين، وسيصبح التركيز على امتلاك المهارات الأساسية اللازمة لتمكين الإنسان من الحياة والعمل في ضوء التطورات والتحديات التي تفرضها طبيعة الحياة في القرن الجديد.

ولذلك كان هناك اهتمام كبير من جانب العديد من المؤسسات والمنظمات الدولية المهتمة بالتربية والاقتصاد والتنمية المستدامة، بدراسة وتحديد المهارات التي يحتاجها الشباب للحياة والعمل في القرن الحادي والعشرين، مثل منظمة الشراكة من أجل مهارات القرن الحادي والعشرين، وذلك على النحو التالي (٤):

الإبداع والابتكار

الذي يعني القدرة على التفكير الإبداعي، والعمل الإبداعي مع الآخرين، وتنفيذ الابتكارات لتطوير الجوانب الحياتية والعملية. حيث يتضمن التفكير الإبداعي، القدرة على استخدام أساليب متنوعة لإنتاج أفكار إبداعية، وتوظيف المعارف والمصادر المتنوعة لإنتاج أفكار إبداعية، ومراجعة وتقويم الأفكار المطروحة من أجل تطويرها.

وتتضمن مهارات العمل الإبداعي مع الآخرين، استخدام أساليب فعالة لتوصيل الأفكار إلى الآخرين، والاستجابة لوجهات نظر الآخرين والاستفادة منها في تطوير العمل، وفهم محددات تبني الأفكار الإبداعية في المواقف الحقيقية، والاستفادة من الفشل والأخطاء المتكررة في حل المشكلات. إضافة إلى تنفيذ الابتكارات من خلال تطبيق أفكار إبداعية تحقق مساهمة فعالة في تطوير جوانب الحياة والعمل المختلفة.

التفكير الناقد وحل المشكلات

الذي يعني القدرة على التفكر الفعال، والتفكير المنظومي، وبناء الأحكام والقرارات، وحل المشكلات. حيث تتطلب قدرة الإنسان على التفكر الفعال تنمية قدراته على استخدام أساليب تفكر متنوعة كالاستنباط والاستقراء بما يناسب المواقف الحياتية والعملية المتنوعة، والربط بين أسباب ونتائج المواقف التي يواجهها. في حين يتطلب التفكير المنظومي القدرة على تحليل التفاعل بين الأجزاء وما ينتج عنها من مخرجات كلية، وفهم الترابط بين النظم المختلفة التي تشكل المواقف التي يعيشها.

كما يحتاج الإنسان إلى بناء الأحكام والقرارات، من خلال قدرته على تحليل وتقويم الأدلة والبراهين والمعتقدات، وتحليل وتقويم وجهات نظر بديلة، والربط بين المعلومات والبراهين، وتفسير المعلومات لاستخلاص النتائج المبنية على التحليل، والتأمل الناقد في خبرات حياته المتنوعة. إضافة إلى قدرته على حل المشكلات غير التقليدية وغير المألوفة بطرق إبداعية وغير مألوفة، وطرح أسئلة توضح له مختلف وجهات النظر، وتؤدي إلى حلول أفضل.

التواصل والتعاون

الذي يعني التواصل بوضوح مع الآخرين، وذلك من خلال التعبير عن الأفكار والآراء باستخدام مهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي في أشكال وسياقات مختلفة، والاستماع الجيد للوصول إلى معنى للمعارف والقيم والاتجاهات، واستخدام التواصل لأغراض متنوعة مثل الإعلام والإرشاد والتحفيز والإقناع، والاستفادة من وسائل الإعلام والتكنولوجيا والحكم على فاعليتها وتقييم أثرها، والتواصل في بيئات متنوعة مثل تنوع اللغات أو اللهجات. وكذلك التعاون مع الآخرين، وذلك من خلال القدرة على العمل بفاعلية واحترام مع فرق متنوعة، وممارسة المرونة وتقديم تنازلات لتحقيق هدف مشترك، وتحمل المسؤولية المشتركة للعمل التعاوني وتقدير المساهمات الفردية لأعضاء الفريق.

الثقافة المعلوماتية

التي تعني الوصول للمعلومات بسرعة من مصادر موثوقة، وتقويم المعلومات والحكم على صحتها. واستخدام وإدارة المعلومات المستمدة من مصادر متنوعة في دراسة القضايا والمشكلات المطروحة، وفهم القضايا الأخلاقية والقانونية المرتبطة بالحصول على

المعلومات واستخدامها.

الثقافة الإعلامية

التي تعني تحليل وسائل الإعلام، والتي تتضمن فهم كيفية بناء الرسالة الإعلامية والغرض منها، وفهم تنوع تفسير الأفراد للرسائل الإعلامية، وتفسير أثر الإعلام في معتقدات وسلوكيات الناس. كما تعني القدرة على ابتكار منتجات إعلامية من خلال استخدام أدوات رقمية لتأليف أو توضيح أو توصيل الأفكار للآخرين، واستخدام تعبيرات وتفسيرات مناسبة للبيئات المتنوعة ثقافيا.

الثقافة التكنولوجية

التي تعني التطبيق السليم للتكنولوجيا من خلال استخدامها كأداة للبحث وتنظيم وتقييم وتوصيل المعلومات، واستخدام الأدوات الرقمية والشبكات الاجتماعية للحصول على المعلومات وتقويمها وإنتاج معرفة جديدة من خلالها، والالتزام بالأخلاقيات والجوانب القانونية المرتبطة باستخدام تكنولوجيا المعلومات.

المرونة والتكيف

التي تعني التكيف مع الأدوار المتنوعة ومسؤوليات العمل وأوقاته وسياقاته، والقدرة على العمل في الظروف والأولويات المتغيرة. في حين تتطلب المرونة منا الاستجابة لردود فعل الآخرين، والتعامل الإيجابي مع المدح والإخفاق والنقد، وتحقيق التوازن بين الآراء والمعتقدات المختلفة للوصول إلى حلول عملية لما يواجهنا من مشكلات وقضايا.

المبادرة والتوجيه الذاتي

التي تتطلب القدرة على إدارة الأهداف والوقت، بمعنى تحديد الأهداف ومعايير النجاح المادية والمعنوية، والتوازن بين الأهداف قصيرة المدى وطويلة المدى، والاستفادة من الوقت وإدارة أعباء العمل بكفاءة. وكذلك العمل باستقلالية من خلال ترتيب الأولويات وتنفيذ المهام المرتبطة.

كما تتطلب القدرة على مواصلة التعلم الذاتي، والذي يعني إتقان المهارات الأساسية للمنهج لاكتساب خبرات واسعة، والسعي لاكتساب المهارات المتقدمة بما يحقق مستوى مهنيا متميزا، والالتزام بالتعلم كعملية مستمرة مدى الحياة، والتأمل الناقد لخبرات الماضي من أجل تحقيق التقدم في المستقبل.

المهارات الاجتماعية والثقافية

التي تشمل التفاعل الفعال مع الآخرين، من حيث معرفة الوقت المناسب للتحدث والاستماع للآخرين، وإظهار الاحترام والسلوكيات المهنية تجاههم. وكذلك العمل بفاعلية مع فرق متنوعة ثقافيا، من خلال احترام الاختلافات الثقافية والقدرة على العمل مع مجموعات متنوعة، والاستجابة المنفتحة للقيم والأفكار المتنوعة، والاستفادة من الاختلافات الاجتماعية والثقافية في إنتاج أفكار تزيد من جودة العمل.

الإنتاجية والمساءلة

التي تتضمن القدرة على تحقيق الأهداف ومواجهة المعوقات والضغوط التي تواجهنا، وتحديد الأولويات والتخطيط لإدارتها من أجل تحقيق النتائج المرجوة، من خلال العمل بشكل إيجابي، يحقق المشاركة النشطة في أداء المهام العملية.

القيادة والمسؤولية

التي تعني القدرة على أداء أدوار قيادية وتحمل مسؤولية الآخرين، من خلال استخدام مهارات التعامل مع الآخرين ومهارات حل مشكلة في توجيههم نحو الهدف، والاستفادة من نقاط قوتهم لإنجاز هدف مشترك، وتحفيزهم للوصول إلى أفضل أداء ممكن، وإظهار النزاهة والسلوك الأخلاقي في ممارسة النفوذ والسلطة معهم، والتصرف بمسؤولية تجاه مصالح الجماعة التي يجب وضعها في الاعتبار.

ومن ثم يتضح أن القرن الحادي والعشرين قد فرض على المجتمعات العربية طريقة حياة جديدة، لها متطلبات ومعطيات مختلفة عن حياة الماضي، وإذا أرادت مجتمعاتنا العربية تحقيق التطور الثقافي والتجدد والاستمرارية، فعليها مراجعة طريقة حياتها، ونظمها التعليمية والإعلامية والعملية، والعمل الجاد على تطوير وتنمية ما يمتلكه شبابها من مهارات لازمة للحياة والعمل الفعال، والذي حتما ستنعكس آثاره على حياة المجتمعات العربية نفسها، فامتلاك المعرفة وحدها في ظل هذا التنوع والتطور والمنافسة لن يجدي الشباب العربي نفعا.. النفع الأكبر ينصب الآن على مهارات إنتاج المعرفة وتوظيفها في تطبيقات معرفية وتكنولوجية، ليكونوا قادرين على العمل والحياة وفق ثقافة القرن الحادي والعشرين ومهاراته المتنوعة.

الهوامش

١- مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والمكتب الإقليمي للدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة (٢٠١٤م): تقرير المعرفة العربي للعام ٢٠١٤م: الشباب وتوطين المعرفة - دولة الإمارات العربية المتحدة، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، متاح عبر الرابط الإلكتروني: http://www.arabstates.undp.org

٢- محمد إسماعيل وهبة عبدالمنعم (٢٠١٥م): بطالة الشباب في الدول العربية، صندوق النقد العربي، متاح عبر الموقع الإلكتروني: http://www.amf.org.ae

٣- مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم والمكتب الإقليمي للدول العربية وبرنامج الأمم المتحدة (٢٠١٥م): مؤشر المعرفة العربي للعام ٢٠١٥م، دار الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، متاح عبر الرابط الإلكتروني: http://www.arabstates.undp.org

4- The Partnership for 21st Century Skills (2015). P21 Framework for 21st Century Learning. Tucson AZ: Partnership for 21st Century skills.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة المنار

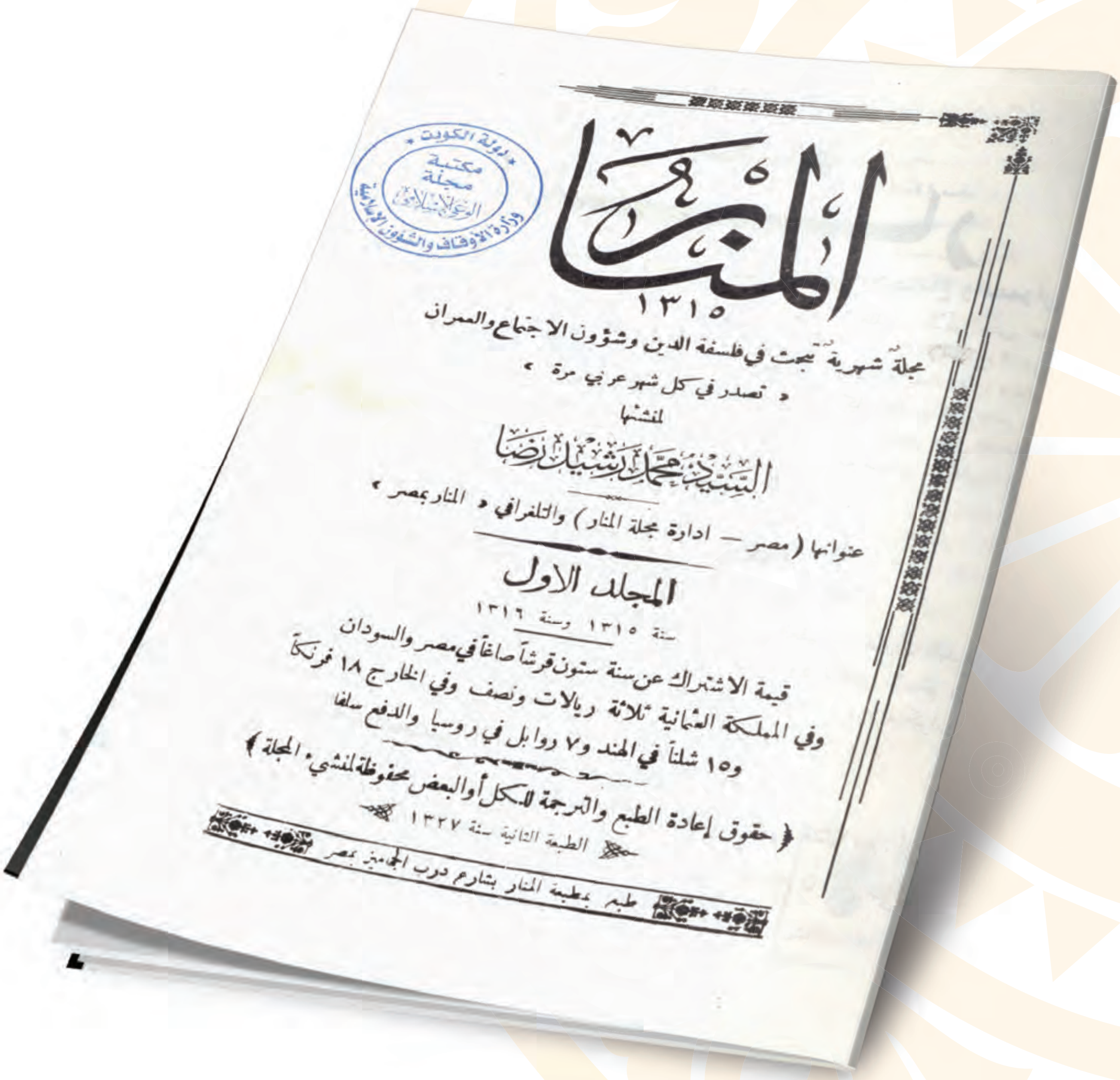

المنار
١٣١٥
مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران
« تصدر في كل شهر عربي مرة »
لمنشئها
السيد محمد رشيد رضا
عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد الاول
سنة ١٣١٥ وسنة ١٣١٦

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشاً صاغاً في مصر والسودان
وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ١٨ فرنكاً
و١٥ شلناً في الهند و٧ روابل في روسيا والدفع سلفا
﴿ حقوق إعادة الطبع والترجمة للكل أو البعض محفوظة لمنشئ المجلة ﴾
الطبعة الثانية سنة ١٣٢٧
طبع بمطبعة المنار بشارع درب الجماميز بمصر

تعد مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي مجلة المنار لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

وهي مجلة شهرية، تصدر في كل شهر عربي مرة، تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران، أنشأها السيد محمد رشيد رضا.

تاريخ النشأة

صدر العدد الأول من مجلة المنار في شهر شوال سنة (١٣١٥هـ)، الموافق لشهر مارس، سنة (١٨٩٨م). وأوضح الشيخ محمد رشيد أن هدف المنار هو الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة، وبيان أن الإسلام يتفق مع العقل والعلم ومصالح البشر، وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام وتفنيد ما يعزى إليه من الخرافات.

وقد أفردت المجلة إلى جانب المقالات التي تعالج الإصلاح في ميادينه المختلفة أبوابا في مختلف العلوم الإسلامية، مثل التفسير والفتاوى والإجابة على ما يرد للمجلة من أسئلة في أمور اعتقادية وفقهية، كما أفردت المنار أقساما لأخبار الأمة الإسلامية، والتعريف بأعلام الفكر في العالم العربي والإسلامي.

لم تكد تمضي خمسة سنوات على صدور المجلة حتى أقبل عليها الناس وانتشرت انتشارا واسعا في العالم الإسلامي، حتى قال بعض أهل الرأي والعلم بشؤون الاجتماع وقت صدور المنار: «إن هذا المنار لا يستغني عنه بيت من بيوت المسلمين، فإن لم يفقهوا هذا اليوم؛ فسيفقهونه في يوم ما».

ومما زاد المجلة قيمة أن الشيخ محمد رشيد كان يحرر معظم مادة المجلة على مدى عمرها المديد، فهو عالم موسوعي ملم بالتراث الإسلامي، محيط بعلوم القرآن، على دراية واسعة بالفقه الإسلامي والسنة النبوية، عارف بأحوال المجتمع والتاريخ الإسلامي، خبير بأحوال المسلمين في الأقطار الإسلامية.

تعريف صاحب المجلة

الشيخ محمد رشيد رضا مفكر إسلامي، ورائد من رواد الإصلاح الإسلامي الذين ظهروا في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، ولد يوم (٢٧) من شهر جمادى الأولى، سنة (١٢٨٢هـ)، الموافق لـ(٢٣) سبتمبر، سنة (١٨٦٥م)، في قرية «القلمون، لبنان»، وهي قرية تقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان، وتبعد عن طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وتوفي بمصر يوم (٢٣) جمادى الأولى سنة (١٣٥٤هـ) الموافق لـ(٢٢) أغسطس، سنة (١٩٣٥م)، وبالإضافة إلى ما ذكر، كان صحفيا وكاتبا وأديبا لغويا.

بعض محتويات المجلة في طابعها العام:

١- إصلاح العقيدة ومحاربة البدع والخرافات.

٢- التربية والتعليم.

٣- قضية اللغة العربية.

٤- الحضارة العربية والإسلامية.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي مكتبة مجلة الوعي على نسخة كاملة من هذه الدرة النفيسة، والتي تتكون من (٣٥) مجلدا، وهي متوفرة لقرائها الكرام.

عالمية الإسلام

د. عمرو عبدالكريم

جاءت دعوة الإسلام عالمية الهدف والغاية والوسيلة من أول يوم نزلت فيه؛ لذا ارتكز الخطاب القرآني على توجيه رسالته للناس جميعا، وليس لقبيلة أو لقوم أو حتى للمسلمين فقط، فكان النداء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ (البقرة:٢١)، وغيرها.. لا: يا أيها العرب، ولقد وردت كلمة الناس في القرآن أكثر من ٢٠٠ مرة، لذا جعل القرآن خطابه موجها لبني البشر كافة ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ (الأنعام:١٩).

وجاء وصف الله عزوجل لنفسه بأنه: ﴿رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾، ووصف رسوله بأنه «رحمة للعالمين»: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧) ولم يقترن اسم النبي ﷺ بكلمة «قوم» ولم يرد في الخطاب القرآني تعبير «قوم محمد» أو «قوم مكة» وذلك مثلما جاء في وصف أنبياء آخرين «قوم هود، قوم صالح، قوم عاد، قوم موسى».

وما ذكر اسم الرسول ﷺ إلا مقترنا بالناس وبالبشر جميعا، وجاءت آيات القرآن تقرر بما لا يدع مجالا للشك: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (التكوير:٢٧)، حيث تكررت هذه الآية في سور عديدة من القرآن الكريم في: يوسف: ١٠٤، ص: ٨٧، التكوير: ٢٧؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (القلم:٥٢).

وتحدد دعوة الرسول بأنها دعوة للناس كافة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ:٢٨).

وتجعل إنذاره يسع العالمين: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:١).

وهذه الآيات كلها «مكية» أي أن عالمية الرسالة الإسلامية تقررت منذ اليوم الأول لها ومنذ أن بدأ الوحي يتنزل.. وفي الأيام التي كانت الدعوة فيها تعاني الأمرين؛ كان القرآن يقرر أنه رسالة للعالم كله، في الوقت الذي كان فيه أهل مكة يستكثرون أن يكون محمد رسولا لهم وحدهم.

ولم تنزل في المدينة المنورة آية تتحدث عن هذه العالمية، اكتفاء بما تمهد في صدر الدعوة إلا آية واحدة من سورة الأحزاب، هي قوله جل شأنه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب:٤٠).

وختم النبوة تقرير لهذه العالمية، فإن القارات الخمس إلى قيام الساعة لن يطرقها من السماء طارق، ولن يجيئها من عند الله رسول، وسيبقى محمد ﷺ وحده صوت السماء بين الناس إلى أن يحشروا للحساب.

ولقد عبر أحد العلماء المعاصرين عن أبعاد شمول دعوة الإسلام وعالميتها بقوله:

إنها الرسالة التي امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن؛ وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم؛ وامتدت عمقا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة.

وفي الخطابات والكتب التي وجهها الرسول الكريم إلى ملوك وحكام الأرض في زمانه - حيث أرسل ﷺ إلى: كسرى ملك الفرس، وقيصر عظيم الروم، والمقوقس صاحب مصر، والنجاشي ملك الحبشة- ما يؤكد على معاني عالمية الإسلام بما حوته من خطاب إنساني منفتح على ثقافات وشعوب الأرض حيث يخاطب كلا منهم بما هو معظم فيه بين قومه.

كما قامت حضارة الإسلام على القاسم المشترك بين حضارات الكون؛ فقبلت الآخر وتفاعلت معه أخذا وعطاء، بل إن حضارة الإسلام تعاملت مع الاختلاف بين بني البشر

باعتباره من حقائق الكون، ومن آيات الله في خلقه ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ (الروم:٢٢).

وأمر الله المسلمين بالتعامل مع هذا الاختلاف غير محاولين إلغاءه أو إلغاء خصوصيات الأقوام: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود:١١٨).

وبالرغم من إقرار الإسلام للاختلاف بين البشر والتمايز بين البيئات والمجتمعات، فإن ذلك يقتصر على الاختلاف في الآراء وفي وسائل العيش والحياة وفي تفاصيل الفروع والجزئيات والوقائع المتجددة، بحسب الزمان والمكان، وهي المتغيرات بطبيعتها، ويستحيل ثباتها على صورة معينة.

لذا دعا الخطاب القرآني إلى اعتبار فوارق الجنس والدين واللغة من عوامل التعارف بين البشر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ (الحجرات:١٣)، ولقد جاءت هذه الآيات بثلاثة مبادئ:

الأول: التسوية في العالمية بين الناس، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا ليس في كتاب الله آية واحدة يمدح فيها أحدا بنسبه، ولا يذم أحدا بنسبه، وإنما يمدح الإيمان والتقوى، ويذم بالكفر والفسوق والعصيان» (مجموع الفتاوى ج ٣٥/ ٢٣٠).

الثاني: حقهم الثابت في الاختلاف شعوبا وقبائل (وهي إشارة إلى أنواع الاختلاف المشروع).

الثالث: الإبقاء على تمايز الخصوصيات داخلها لتعرف كل فصيلة أختها ما يميزها عن غيرها ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾.

وإلى جانب احترام الإسلام لخصوصيات الأقوام والشعوب واعتبار اختلافها في الألسن والألوان والعادات أداة تعارف وتآلف وليست سبيلا للبغي والعنصرية والاستعلاء البغيض؛ فإنه يوحد بين البشر جميعا في السمات والخصائص العامة التي لا يختلف فيها الناس وتتميز بالثبات والدوام لأن مردها إلى الطبيعة البشرية والفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، فيوحد بين البشر جميعا في ستة أمور:

الأول: أصل الخلق والنشأة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (الأعراف:١٨٩).

الثاني: الكرامة الإنسانية والحقوق الإنسانية العامة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء:٧٠).

الثالث: وحدة الألوهية: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى:١٣).

الرابع: حرية الاختيار وعدم الإكراه: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٩٩)؛ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (الغاشية:٢٢)؛ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾. (الشعراء:٤).

الخامس: وحدة القيم والمثل الإنسانية العليا ووحدة الأخلاق الإسلامية، فلا ازدواجية، ولا كيل بمكيالين ولكن جميع الخلق أيا كانت عقائدهم أمام تعاليم الإسلام وعدله سواء ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ (المائدة:٨).

السادس: التكوين العقلي والنفسي والجزاء والحساب والقابلية للخير والشر ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ (الشمس:٧-٨).

ومع ذلك فالإسلام لا يفرض هذه المبادئ على الناس وإنما يدعوهم إلى اعتناقها طوعا لا كرها ولا هيمنة ولا قسرا.

وفي خطبة الوداع وهي آخر عهد النبي الكريم بالمسلمين أكد على هذا المعنى الرباني في أصل الوحدة الإنسانية الذي يستلزم عالمية الدعوة إليه فقال ﷺ: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى» حديث صحيح: أخرجه أحمد (٢٣٥٣٦).

وفي ثنايا هذه الخطبة الجامعة (خطبة الوداع) أكثر ﷺ من استخدام لفظة الناس، ما يؤكد عموميتها، وأنها لجميع الناس على اختلاف أجناسهم وأعراقهم ومواطنهم.

في المفاهيم والمصطلحات الحضارية

هدف الحضارة

«إن الهدف من كل الجهود الحضارية هو النهوض بالإنسان نفسه فإذا بقي على جهالته ووحشيته وضلالته وانتكس وتدهور فما قيمة الرقي المادي في ذاته»؟.

د. حسين مؤنس، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، ١٩٧٨م.

مقولات

يقول ابن القيم:

«إن في القلب شعث: لا يلمه إلا الإقبال على الله، وعليه وحشة: لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزن: لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق: لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار منه إليه، وفيه نيران حسرات: لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد: لا يقف دون أن يكون هو وحده المطلوب، وفيه فاقة: لا يسدها الا محبته ودوام ذكره والإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا!!».

عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين

بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

القاهرة: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م، ٦٥ صفحة.

في هذا الكتاب يتحدث الدكتور محمد عمارة عن مفهوم عالمية الإسلام التي لا تقف عند النزعات القومية أو العرقية أو التفرقة بسبب لون ودين، ولا تفرق بين أحد، أما العولمة الغربية فإنها جاءت كنتيجة لتطور الفكر الغربي وهي صورة للاستعمار ولكنه فكري يتحول إلى استعمار مادي.

بعد مقدمة ضافية يقسم أستاذنا الدكتور محمد عمارة الكتاب إلى قسمين:

القسم الأول: العالمية الإسلامية والعولمة العربية على طرفي نقيض، وفيه موضوعات:

مصطلح العالمية: ويعرفه الدكتور عمارة بأنه نزعة إنسانية وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات والتلاقح بين الثقافات والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب، ويرعى العالم منتدى حضارات بينها مساحات كبيرة من المشترك الإنساني العام، ولكل منها هوية ثقافية تتميز بها، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لابد من مراعاتها في إطار توازن المصالح، وليس توازن القوى بين الأمم والحضارات، ذلك هو المفهوم الإسلامي للعالمية.

ويتميز المفهوم الإسلامي للعالمية عن نظيره الغربي ليس فقط في وقتنا الراهن، وإنما منذ فجر الحضارة الأوروبية الغربية، فالنزعة المركزية لصيقة بالنموذج الحضاري الغربي منذ العصر الروماني.

وهو ما جعل من الفلسفة الصراعية هي الفلسفة الحاكمة لما يسمى منظومة الحضارة الغربية عبر تاريخها الطويل والممتد.

أما العولمة الغربية فهي طور جديد على طريق النزعة المركزية الغربية والعالمية بمفهومها الغربي، إنها طور الاجتياح الذي يطمع في صب العالم داخل القالب الغربي على مختلف الصعد والميادين الاقتصادية والسياسية والقيمية والثقافية والعسكرية والتشريعية...إلخ.

أما القسم الثاني فهو عن: ميادين العولمة وتطبيقاتها ويفرد لها الجزء الباقي من الكتاب وفيه يتكلم عن: عولمة الاقتصاد وفيه يذكر الدكتور عمارة أن هناك عولمة الخلل الفاحش الذي تمثله الليبرالية الرأسمالية المتوحشة بين الشمال والجنوب، والذي بلغ في الظلم الاجتماعي أفقا غير مسبوق، فأبناء حضارة الشمال والذين يمثلون ٢٠٪ من سكان المعمورة يملكون ويستهلكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمي.

أما العولمة في بعدها السياسي، إنما تسعى إلى تهميش دور المنظمات الدولية.

ويقول الدكتور عمارة: إنه إذا كانت العولمة العسكرية هي أداة التأييد للعولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية، فإن عولمة القيم والثقافة هي سبيل التأييد لذوبان الحضارات غير الغربية في النموذج الحضاري الغربي، فاحتلال العقل كان دائما وأبدا السبيل لتأييد احتلال الأرض ونهب الثروة دونما حاجة إلى نفقات القواعد العسكرية وتكاليف الجيوش.

ويختم أستاذنا الدكتور محمد عمارة كتاب القيم بسؤال: ما العمل؟

وفيه يفرق بين الإنسان الغربي حيث تقف معنا كثير من الجماهير الغربية في مواجهة العولمة الغربية، والعلم الغربي الذي هو مشترك إنساني، ومشروع الهيمنة الغربية الذي تنحصر معه المواجهة فعليا.

ويقول: إن عظم المخاطر وشراسة التحديات لا تعني أن الصورة قاتمة، ولا أننا أمام طريق مسدود، وإنما تكون نقطة البداية في مواجهة مخاطر العولمة، والتعامل معها هو أن تعي قوى اليقظة والأصالة الوطنية والقومية الإسلامية في عالم الإسلام حقائق الموقف دونما تهوين ولا تهويل، وأن تحدد نقاط قوتها والفرص المتاحة أمامها في مواجهة هذه التحديات، أي أن تعي حقائق وقوى وتضاريس الموقف الداخلي والخارجي على السواء.

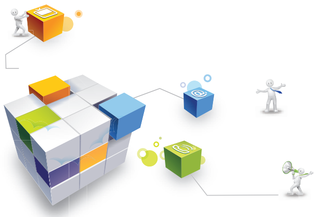

إعداد: خالد خلاوي

التغيير الأعمق هو الذي ينبع من ذاتك

اكتشف نفسك ثم انطلق

القاهرة – محمد عبدالعزيز يونس:

في داخل أنفسنا كنوزٌ للقوة، وكنوزٌ للسعادة، لكنها كنوز علاها التراب، وأكل عليها الصدأ، وليس علينا الآن إلا أن نزيل التراب، ونعالج الصدأ؛ لنجد أنفسنا أقوى وأسعد مما نحن عليه الآن، بل نجد أنفسنا أسعد مما كنا نعتقد أنه يمكننا أن نكون.

هذا ما يؤكده كتاب «اكتشف نفسك ثم انطلق» لمؤلفه أشرف شاهين، الصادر عن مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة في القاهرة في (١١٢) صفحة من القطع المتوسط.

لحظة صدق وصفاء

ويؤكد المؤلف أن اكتشاف الذات لا يتم وسط أجواء الفوضى والزحام والقلق، إنما ينبغي أن يكون في وجود ذهن صاف؛ لذا جاء الباب الأول من الكتاب تحت عنوان «لحظة صدق وصفاء»، وفي هذه اللحظة ينبغي أن نقوم بـ«جرد لحياتنا» لنعرف مكاننا فيها، ونخطط لقادم أيامنا فيها، ونحل ما يعترضنا من مشكلات فيها. لحظة الصدق والصفاء هذه إن تمت كما ينبغي فسيكون لها أثرها الكبير على اكتشاف أنفسنا، وكذلك على انطلاقتنا في هذه الحياة؛ إذ إن انطلاقتنا لا يمكن أن تنجح دون أن نعرف مكاننا ونراجع أحوالنا.

اكتشف نفسك

هذا هو فصل «اكتشاف الذات»، وفيه يقدم المؤلف تدريبًا عنوانه «أنا»، وهو تدريب جديد ومبتكر، يعد الطرقة الأولى على باب نفسك، وبعد هذا التدريب تتواصل الطرقات بكم كبير من الأسئلة، التي تغطي جميع جوانب حياتك، ووضع المؤلف (٣) خيارات للإجابة عنها: (نعم، لا، إلى حد ما). ثم وضع أمام هذه الإجابات (٣) تقييمات أخرى، أحدها بعنوان «مؤلم»، وتضع في هذا المربع علامة إذا وجدت أن إجابتك على السؤال تسبب لك ألمًا نفسيًا، أما المربع الثاني فبعنوان «ضروري»، وتضع في هذا المربع علامة إذا وجدت أن تنفيذك للعمل المذكور في السؤال أمر ضروري وحتمي بالنسبة إليك. بينما المربع الثالث بعنوان «سهل»، وتضع فيه علامة إذا وجدت أن تنفيذ العمل المذكور في هذا السؤال سهل

تساؤلات من الحياة وللحياة

وفي هذا الفصل قدم المؤلف تساؤلات تفصيلية عن حياة كل منا، تساؤلات عن مواقف وأحداث حقيقية مرت بكل منا، تساؤلات ستجعلنا أكثر قدرة على رسم خطوات حياتنا المقبلة وستذكّرنا بأمور مهمة نكاد نكون نسيناها.

انطلق

وبعد أن اكتشفنا في الفصول السابقة أنفسنا وحددنا الخطوات اللازمة لتطويرها وإطلاقها، لم يبق لنا إلا أن ننطلق، أن نحول هذه الخطوات إلى واقع عملي في حياتنا. ويؤكد المؤلف ضرورة أن تنبع هذه الانطلاقة من الداخل لا من الخارج، انطلاقة تتخذ قرارها بنفسك، وتعزم عليها بنفسك، وترسم خطواتها بنفسك؛ لأنه حتى لو فشلت –لا قدر الله– فإن ما ستتعلمه من هذا الفشل سيكون أعمق وأقوى بكثير من أي توجيه خارجي. لذا؛ يجب أن تتخذ القرار الآن بأن ترسم لوحة حياتك، ولا تترك لأحد أن يرسمها نيابة عنك، وأن تحدد مسارك بنفسك، لا أن يحدده لك الآخرون. يجب أن تنبع انطلاقتك من عقلك وقلبك، لا من أذنيك. آن لك أن تتوقف عن الانتقاص من قدراتك وإرادتك وعزيمتك، وأن تهتف بثقة: «أنا لها».

نصائح متنوعة للنجاح

يقدمها مؤسس شركة مايكروسوفت بيل غيتس، والذي يحتل المركز الأول ضمن قائمة فوربس لأغنى (١٠٠) شخصية في العالم للعام (٢٠١٦م)، وذلك بثروة تقدر بحوالي (٧٥) مليار دولار أميركي.

لنتابع أهم نصائحه:

تعلم قول: لا.

بغض النظر عن مدى طموحك ونشاطك، فيجب أن تدرك بأن اليوم في النهاية مكون من (٢٤) ساعة فقط، وغالباً فإن الفرق بين الشخص الناجح وغير الناجح هو في كيفية تنظيمه لهذه الساعات.

يرى بيل غيتس أن أفضل نصيحة سمعها في حياته هي نصيحة وارن بافت، رجل الأعمال الشهير، وأحد أغنى أغنياء العالم، النصيحة بسيطة للغاية، وهي (عليك أن تكون جيداً في قول: لا)

فكلمة (لا) في وجه بعض الأشياء كبعض اللقاءات، الدعوات الاجتماعية، الطلبات وغيرها،

ستسمح لك بالتركيز على المهام والأشياء التي بإمكانها إحداث الفرق، بدلاً من الانشغال في أشياء أقل أهمية.

كن متفائلاً

من المعروف عن بيل غيتس إيمانه العميق بضرورة التفاؤل، وفي الكثير من الخطابات واللقاءات يلمح بيل غيتس إلى ضرورة التفاؤل خصوصاً أثناء حديثه أمام الشباب والطلاب.

وفي خطاب ألقاه بيل غيتس وزوجته

شباب الجامعة

(١٠) طرق لتوفير المال خلال العام الدراسي

تقدم مدونة «إديوكيشن وورلد»، المتخصصة في التعليم، نصائح لأولياء الأمور والمعلمين والطلاب لتوفير المال خلال العام الدراسي، وفيما يلي (١٠) طرق مقترحة لتقنين النفقات خلال هذه الفترة

١ – ابحث في المتاجر الإلكترونية عن الأدوات والمعدات المميزة بسعر معقول.

٢ – اصنع بنفسك فهناك الكثير من الوسائل التوضيحية والأدوات المبتكرة التي يمكن لك صناعتها بنفسك.

٣ – استخدم الأدوات بحرص وشجع الطلاب على تقدير قيمتها.

٤ – اشتر خلال التخفيضات.

٥ – استخدم التطبيقات الذكية لتنظيم إنفاقك.

٦ – كن سخياً حيال الأهم فقط.

٧ – احتفظ بالفائض.

٨ – اتجه للقرطاسية الجديدة وتصفيات المتاجر الكبرى.

٩ – ابحث عن المستعمل بحالة جيدة.

١٠ – تأكد من محتويات خزانتك قبل الشراء.

ناجحون

أحمد المطيري: فخور برفع علم الكويت في دورة الألعاب البارلمبية

أعرب بطل دورة الألعاب البارلمبية لألعاب القوى للمعاقين لاعب منتخب الكويت أحمد المطيري عن فخره واعتزازه الكبيرين، بإحرازه الميدالية الذهبية، ورفع علم الكويت، والاستماع لنشيدها الوطني في هذا المحفل الرياضي الكبير، الذي اختتم قبل يومين بريو دي جانيرو البرازيلية.

وأهدى البطل المطيري في تصريح للصحافيين هذا الانجاز الرياضي الكبير إلى مقام حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح وسمو نائب الأمير وولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح وسمو الشيخ جابر المبارك الحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء وإلى أبناء الشعب الكويتي ومنتسبي النادي الكويتي الرياضي للمعاقين.

وأكد أن هذا الانجاز الذي جاء ضمن منافسات سباق (١٠٠) متر جري على الكراسي المتحركة ما كان ليتحقق لولا الدعم الكبير والرعاية التي تقدمها الحكومة للرياضيين الكويتيين، لاسيما من ذوي الإعاقة في كل الالعاب.

طور نفسك

مليندا عام (٢٠١٣م) أمام الطلبة في جامعة ستانفورد، تحدث بيل طويلا حول إيمانه بالتفاؤل ومدى أهميته لتحقيق الأهداف.

وخلال الخطاب وجه بيل غيتس كلمة معبرة للغاية للطلاب قائلًا: (كثيرًا ما يوصف التفاؤل على أنه أملا كاذبًا، لكن أيضًا هناك ما يسمى اليأس الكاذب).

الحياة هي المدرسة الحقيقية

بغض النظر عن عدد الكتب التي قرأتها أو عدد الاختبارات التي اجتزتها أو الشهادات التي جمعتها، فيجب أن تدرك أن المدرسة أو الجامعة لن يكون بمقدورها تجهيزك للحياة الحقيقية.

في الحياة يجب أن تكون قادراً على القيام بالمهام التي تسند إليك، وأن تحاول إثبات نفسك دائماً، وإلا فسيتم الاستغناء عنك بكل سهولة.

يقول بيل غيتس: (إذا كنت تعتقد أن معلمك قاسي وصارم، فانتظر حتى تعمل لتعرف ما هي القسوة الحقيقية من رئيسك في العمل).

تعلم من أخطائك

أخطائك هي أخطائك، لا تخدع نفسك ولا تحاول إلقاء اللوم على الآخرين، فهذا لن يشعرك براحة الضمير، فالأخطاء وجدت لكي تتعلم منها، لا لكي تتهرب منها، يقول بيل غيتس: (لا تنتحب على أخطائك بل تعلّم منها).

الحياة ليست عادلة

مهما كنت تعمل بجد في الحياة، فسوف يكون هنالك أوقاتاً لا تسير الأمور فيها كما ينبغي، حتى إن لم ترتكب أي أخطاء، هناك أشياء لا يُمكنك السيطرة عليها، وقد تكون قادرة على هزيمتك، لكن يجب أن تكون قادراً على الوقوف مرة أخرى.

الحياة ليست عادلة، إنها اختبار، لعبة ومغامرة. إذا سقطت مرة ولم تكلف نفسك عناء النهوض من جديد، فأنت لا تستحق أن تكون ناجحاً.

«الحياة ليست عادلة، تعود على ذلك» ... بيل غيتس.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

تغير قيمة العملة عند سداد الدين

الخلاصة الحكميّة:

العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما: هي بالمثل، وليس بالقيمة.

يجوز أن يتفق الدائن والمدين يوم السداد على أداء الدين بعملة مغايرة لعملة الدين إذا كان ذلك بسعر صرفها يوم السداد، وعلى أن لا يبقى في ذمة المدين شيء.

لا يجوز الاتفاق على تسجيل الدين في ذمة المدين بما يعادل قيمة تلك العملة بالذهب أو بعملة أخرى ليقع التزام الأداء بتلك العملة.

- يمكن في حالة توقع التضخم التحوط عند التعاقد بإجراء الدين بغير العملة المتوقع هبوطها.
- يندب للمقترض بعد انخفاض العملة أن يحسن الوفاء، ويعوض المقرض الذي أحسن إليه بالقرض سابقا عن بعض هذا القرض ندبا من غير إلزام.

●القرارات، والتّوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

●أولا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت من ١-٦ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ الموافق ١٠-١٥ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٨م.

بعد اطلاعه على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع تغير قيمة العملة، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله.

وبعد الاطلاع على قرار المجمع رقم ٢١ (٣/٩) في الدورة الثالثة، بأن العملات الورقية نقود اعتبارية فيها صفة الثمنية كاملة، ولها الأحكام الشرعية المقررة للذهب والفضة من حيث أحكام الربا والزكاة والسلم وسائر أحكامها، قرر ما يلي:

العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما، هي بالمثل وليس بالقيمة، لأن الديون تُقضى بأمثالها، فلا يجوز ربط الديون الثابتة في الذمة، أيا كان مصدرها، بمستوى الأسعار، والله أعلم.

انتهى القرار.

●ثانيا: توصيات الندوة الفقهية الاقتصادية المشتركة بين مجمع الفقه الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، والمنعقدة في: (١٨-١٩) شوال ١٤١٣هـ = ١٠- ١١ أبريل ١٩٩٣م؛ حول «قضايا العملة»؛ وهي:

تدارس المجتمعون موضوع قضايا العملة وتأثير ظاهرة التضخم على الأجور والديون ومدى مشروعية «ربط الأجور والديون بالمستوى العام للأسعار، وكذلك استخدام وحدة نقدية حسابية، مثل حقوق السحب الخاصة أو الدينار الإسلامي في سداد الالتزامات الآجلة».

وقد انتهى المجتمعون إلى القرارات والتوصيات التالية:

١- يجوز أن تتضمن أنظمة العمل واللوائح والترتيبات الخاصة بعقود العمل التي تتحدد فيها الأجور بالنقود شرط الربط القياسي للأجور.

والمقصود هنا بالربط القياسي للأجور تعديل الأجور بصورة دورية تبعا للتغير في مستوى الأسعار، وفقا لما تقرره جهة الخبرة والاختصاص، والغرض من ذلك التعديل حماية الأجر النقدي للعاملين من انخفاض القدرة الشرائية لمقدار الأجر بفعل التضخم النقدي، وما ينتج عنه من الارتفاع المتزايد في المستوى العام لأسعار السلع والخدمات.

وذلك لأن الأصل في الشروط الجواز ما لم يكن شرطا يحل حراما أو يحرم حلالا.

٢- يجوز أن يتفق الدائن والمدين يوم السداد على أداء الدين بعملة مغايرة لعملة الدين إذا كان ذلك بسعر صرفها يوم السداد، وعلى أن لا يبقى في ذمة المدين شيء.

وكذلك يجوز في الدين على أقساط بعملة معينة الاتفاق عند سداد أي قسط على أدائه كاملا بعملة مغايرة بسعر صرفها في ذلك اليوم.

٣- يجوز أن يتفق المتعاقدان على تعيين الثمن الآجل أو الأجرة المؤجلة بعملة تدفع مرة واحدة أو على أقساط محددة من عملات متعددة، أو بكمية من الذهب، وأن يتم السداد حسب ما جاء في البند السابق.

٤- لا يجوز الاتفاق على تسجيل الدين في ذمة المدين بما يعادل قيمة

تلك العملة بالذهب أو بعملة أخرى ليقع التزام الأداء بتلك العملة.

٥- تؤكد الندوة القرار رقم (٤) الصادر من مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الخامس بالكويت في (١-٦) جمادى الأولى ١٤٠٩هـ والذي نص على أن: «العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما هي بالمثل، وليس بالقيمة؛ لأن الديون تقضى بأمثالها، فلا يجوز ربط الديون الثابتة في الذمة أيا كان مصدرها بمستوى الأسعار».

انتهت التوصيات.

ومثله: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم: ٧٥ (٨/٦) بشأن قضايا العملة المنعقد في دورة مؤتمره الثامن ببندر سيري بيجوان، بروناي دار السلام من ١ - ٧ محرم ١٤١٤هـ الموافق ٢١ - ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٩٣م.

●ثالثا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي (المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي) في دورته الثانية عشرة بالرياض في المملكة العربية السعودية، من ٢٥ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ - ١ رجب ١٤٢١هـ، الموافق ٢٣ - ٢٨ أيلول (سبتمبر) ٢٠٠٠ م.

بعد اطلاعه على البيان الختامي للندوة الفقهية الاقتصادية لدراسة قضايا التضخم (بحلقاتها الثلاث بجدة، وكوالالمبور، والمنامة) وتوصياتها، ومقترحاتها، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حول الموضوع بمشاركة أعضاء المجمع وخبرائه وعدد من الفقهاء.

قرر ما يلي:

أولا: تأكيد العمل بالقرار السابق رقم ٤٢ (٥/٤) ونصه: «العبرة في وفاء الديون الثابتة بعملة ما هي بالمثل، وليس بالقيمة؛ لأن الديون تقضى بأمثالها، فلا يجوز ربط الديون الثابتة في الذمة، أيّا كان مصدرها بمستوى الأسعار.

ثانيا: يمكن في حالة توقع التضخم التحوط عند التعاقد بإجراء الدين بغير العملة المتوقع هبوطها، وذلك بأن يعقد الدين بما يلي:

١- الذهب أو الفضة.

٢- سلعة مثلية.

٣- سلة (مجموعة) من السلع المثلية.

٤- عملة أخرى أكثر ثباتا.

٥- سلة (مجموعة) عملات.

ويجب أن يكون بدل الدين في الصور السابقة بمثل ما وقع به الدين؛ لأنه لا يثبت في ذمة المقترض إلا ما قبضه فعلا.

وتختلف هذه الحالات عن الحالة الممنوعة التي يحدد فيها العاقدان الدين الآجل بعملة ما مع اشتراط الوفاء بعملة أخرى (الربط بتلك العملة) أو بسلة عملات، وقد صدر في منع هذه الصورة قرار المجمع رقم ٧٥ (٨/٦).

ثالثا: لا يجوز شرعا الاتفاق عند إبرام العقد على ربط الديون الآجلة بشيء مما يلي:

١- الربط بعملة حسابية.

٢- الربط بمؤشر تكاليف المعيشة، أو غيره من المؤشرات.

٣- الربط بالذهب أو الفضة.

٤- الربط بسعر سلعة معينة.

٥- الربط بمعدل نمو الناتج القومي.

٦- الربط بعملة أخرى.

٧- الربط بسعر الفائدة.

٨- الربط بمعدل أسعار سلة من السلع.

وذلك لما يترتب على هذا الربط من غرر كثير، وجهالة فاحشة، بحيث لا يعرف كل طرف ما له وما عليه، فيختل شرط المعلومية المطلوب لصحة العقود.

وإذا كانت هذه الأشياء المربوط بها تنحو منحى التصاعد: فإنه يترتب على ذلك عدم التماثل بين ما في الذمة وما يطلب أداؤه، ومشروط في العقد: فهو ربا.

انتهى القرار بدون التوصيات.

●رابعا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٣/ص١٩٩/ف٤٠٩٩)؛ في موضوع «تغير قيمة القرض بين وقت الاستدانة ووقت السداد» ما معناه: أنه أقرض أحدهم مبلغا بالليرة اللبنانية، ومع مرور السنين أصبحت لا تساوي قيمة المبلغ وقت الدين؛ فما الواجب وقت السداد؟

أجابت اللجنة بما يلي:

القرض يرد بمثله شرعا، ولا يجوز للمقرض أن يطالب بغير ذلك، ومادام القرض في السؤال كان بالعملة اللبنانية فإنه يوفى بالعملة اللبنانية، ولا يجب على المقترض أن يوفيه بعملة أخرى مهما نزلت قيمة العملة اللبنانية، مادامت هذه العملة موجودة ومتداولة بين الناس، وكذلك الحكم لو ارتفعت قيمة هذه العملة بدلا من انخفاضها، ولكن اللجنة تندب المقترض بعد انخفاض العملة اللبنانية إلى أن يحسن الوفاء، ويعوض المقرض الذي أحسن إليه بالقرض سابقا عن بعض هذا القرض ندبا من غير إلزام؛ لحديث النبي ﷺ: «إن خيركم أحسنكم قضاء» (متفق عليه)، وقوله ﷺ: «رحم الله عبدا سمحا إذا باع، سمحا إذا اشترى، سمحا إذا قضى، سمحا إذا اقتضى» (رواه البخاري). والله أعلم.

الاستشهاد بكلام الله

قال أبوالفضل الصوري رحمه الله: «ولاشك أن كاتب الإنشاء من أحوج الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى في أثناء محاوراته وفصول مكاتباته، والتمثل بنواهيه وأوامره، والتدبر لقوارعه وزواجره؛ وهو حلية الرسائل، وزينة الإنشاءات، وهو الذي يشد قوى الكلام، ويثبت صحته في الأفهام؛ فمتى خلت منه كانت عاطلة من المحاسن؛ عارية من الفضائل؛ لأنه الحجة التي لا تدحض، والحقيقة التي لا ترفض».

(صبح الأعشى، ص ٦٣).

أول من دون الفقه

يعد الإمام محمد بن الحسن الشيباني أول من دون الفقه الإسلامي على منهج علمي لم يسبق به، كما يعد أول من كتب في العلاقات الدولية الإسلامية كتابة دقيقة مفصلة، تشهد له بالعقلية الشرعية الخصبة، وتضعه في مقدمة الرواد الذين كتبوا في القانون الدولي، وكتابه «السير الكبير» فخر للفكر الدولي الإسلامي. توفي رحمه الله في عهد الخليفة الرشيد سنة (١٨٩هـ).

(**مقالات الدسوقي**، ١٧٨/١).

الظلم ظلمات

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لو أن رجلا قام بين الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة، وهو يحب ظالما؛ لبعثه الله يوم القيامة مع من يحب!

(**الطبقات الكبرى للشيخ الشعراني**، ٢٠/١).

المزاح المحمود

قال الحافظ ابن حبان البستي رحمه الله تعالى:

«الواجب على العاقل أن يستميل قلوب الناس بالمزاح المحمود وترك التعبس».

(**روضة العقلاء**، ص ٧٧).

الحافظ ابن حجر يترجم لأخته

ترجم الحافظ ابن حجر لأخته «ست الركب»، قال:

«كانت بي برة رفيقة محسنة، جزاها الله عني خيرا، ولقد انتفعت بها وبآدابها مع صغر سنها؛ وكانت قارئة، كاتبة، أعجوبة في الذكاء، وهي أمي بعد أمي أصبت بها».

(**إنباء الغمر بأبناء العمر**، ٥١٧/١).

حتى ترجع إلى الأول

قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: «أدركت عشرين ومائة من الأنصار، من أصحاب رسول الله ﷺ، يُسأل أحدهم عن المسألة، فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول».

وفي رواية: «ما منهم من أحد يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا».

(**الطبقات الكبرى لابن سعد**، ١١٠/٦).

لا أدري

قال عقبة بن مسلم رحمه الله تعالى: «صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرا وكان كثيرا ما يُسأل فيقول: لا أدري، ثم يلتفت إلي فيقول: هل تدري ما يريد هؤلاء؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسرا إلى جهنم».

وكان عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: «سمعت أبي يقول: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: سمعت محمد بن عجلان يقول: «إذا أغفل العالم لا أدري أصيبت مقاتله».

(الفقيه والمتفقه، ٢/٣٦٥) (أدب المفتي والمستفتي، ص ١٠).

أهل السنة

سأل رجل الإمام مالك بن أنس:

من أهل السنة يا أبا عبدالله؟

فقال: الذين ليس لهم لقب يعرفون به.

(ترتيب المدارك، ٢/٤١)

علوم الأرض وعلوم السماء

قال العلامة محمد الغزالي رحمه الله تعالى:

«إن الإسلام لا يستعيد أمجاده الأولى إلا إذا استعادت أمته فقهها في علوم الأرض كما تستعيد فقهها في علوم السماء، وإلا إذا جودت شؤون العمران كما تجود التفسير والحديث.. إن هذه المعارف الضرورية لبناء الأمم، وإقامة الحضارات، فرائض مؤكدة أسبق في حياة المسلم من نوافل الأذكار، والقراءات. فإن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، والرجل الذي يشغله ورد ما عن إتقان صناعة أو زراعة أو تجارة، أو يغريه بالتقصير في هندسة أو طب أو كيمياء رجل جهول بالإسلام».

(من كتاب معركة المصحف في العالم الإسلامي، ص ٦٢).

قصر الفقراء

من غريب الأوقاف وأجملها «قصر الفقراء» الذي عمره في ربوع دمشق نور الدين محمود بن زنكي، فإنه لما رأى في ذلك المنتزه قصور الأغنياء عز عليه ألا يستمتع الفقراء مثلهم بالحياة؛ فعمر القصر، ووقف عليه قرية «داريا» وهي أعظم ضياع الغوطة وأغناها.

(مقالات الدسوقي، ص ٧٢٤).

ملازمة العلماء

قيل لأبي حنيفة: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه؟

قال: لهم رأس؟ (أي: معهم شيخ، أو فقيه يرجعون إليه).

قالوا: لا.

قال: لا يفقه هؤلاء أبدا.

(الانتقاء لابن عبدالبر، ١/٢٢).

طلب العلم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «يفتح للمتعلم بين يدي العلماء ما لا يفتح له دونهم».

(الموافقات، ١/١٤٧)

عرفتنا فهجوتنا

كتب العزيز بالله (العبيدي) إلى الخليفة الأموي صاحب الأندلس كتابا سبه فيه وهجاه، فكتب إليه الخليفة الأموي: «أما بعد: فإنك قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك».

فاشتد ذلك على العزيز، فأفحمه عن الجواب (ومعنى كلام الأموي: أن العبيدي دعي لا تعرف قبيلته).

(تاريخ الخلفاء للسيوطي، ١/١٠).

إعداد: علاء عبدالفتاح

أبو عثمان الجاحظ

هو شاب في مقتبل العمر لم يكن من ساكني القصور ولا من حراس الخليفة أو أحد ندمائه أو مادحيه بل كان رقيق الحال عرف في سوق البصرة ببيعه للأسماك وعند انتهاء موسم صيد الأسماك بانحسار المياه يلجأ صاحبنا إلى بيع الخبز في أسواق البصرة ويعاود الكرة كلما فاضت مياه النهرين والتقتا مرة أخرى..

لم يحظ هذا الشاب بشيء من صباحة الوجه وجمال الخلقة فقد كان دميما بارز العينين رث الثياب ولكن الله سبحانه وتعالى عوضه عن ذلك بخفة الظل وجمال الروح مما جعل الناس يقبلون عليه ويتبادلون معه الملح والنكات! ويشترون مما لديه ما يباع..

كانت ولادة الجاحظ في خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين سنة ١٥٠هـ وقيل ١٥٩هـ وقيل ١٦٣هـ، وتوفي في خلافة المهتدي بالله سنة ٢٥٥ هجرية، فعاصر بذلك ١٢ خليفة عباسيا، وعاش في القرن الذي كانت فيه الثقافة العربية في ذروة ازدهارها. كان شغوفا بالعلم باحثا عن المعرفة ولكن فقره حال دون انتظامه بالمدارس النظامية فكان يعمل نهارا ويستأجر حوانيت الوراقين ليلا بدعوى المبيت فيها وكان يستغرق الليل كله في القراءة والاطلاع، وكان نهما ينهل من العلم ويرتوي حسب المصادر.. والطريق إلى القمة لاشك أنه غير ممهد ولكنه محفوف بالأشواك.

فقير يتكسب قوته بشق النفس حباه الله تعالى قدرة فائقة علي الحفظ والاستيعاب والشغف بالبحث والاطلاع.. حفظ القرآن الكريم ودرس علومه وتفاسيره، أخذ علم اللغة العربية وآدابها على أبي عبيدة مؤلف كتاب نقائض جرير والفرزدق، وأخذ عن الأصمعي الراوية المشهور وأبي زيد الأنصاري ثم استمر في أخذ العلم على أعلامه.

سلك الجاحظ في كتاباته منهجا علميا لم يسلكه أحد في عصره متفردا به واستطاع التخلص من جفاف المادة العلمية بإضفاء الصبغة الأدبية على أبحاثه مما يجعل القارئ أو المتلقي لا يتسرب إليه الملل.

• **محمود مرغني موسى**

النفس والجسد والروح

الكثير منا يخلط بين مفاهيم ثلاثة، الجسد والنفس والروح، فالبعض يستخدم المصطلحات الثلاثة للدلالة على مفهوم واحد وهو الحياة مثلا، والبعض لا يدرك الفارق الدقيق بين المصطلحات الثلاثة، وهو ما يقدح في شرف ذلك المخلوق الذي كرمه الله بالعقل وأنعم عليه بالعلم ليكون سيدا لهذا الكون.

يمكننا القول بكل بساطة أن هناك فرقا حاسما بين تلك المصطلحات.. فالجسد آلة والنفس قائدة لتلك الآلة، أما الروح فهي سر وجود الاثنين معا.

الجسد آلة، ليس له من الأمر شيء مطلقا، والنفس هي التي تحركه، هي التي تقوده إلى الخير، وهي التي تدفعه إلى الشر، وهو مجرد منفذ فقط لأوامر النفس دون أدنى استطاعة منه لأن يعصي لها أمرا.

لذا تجد القرآن الكريم يشبع تلك النظرة الفلسفية بعمق، لأنه سبحانه يعلم خطورة النفس، ودورها في توجيه صاحبها، فقد قسم النفس إلى عدة أنواع، نفس مطمئنة، ونفس مرضية، ونفس لوامة، ونفس أمارة.

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾ (الفجر:٢٧-٣٠).

﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ﴾ (يوسف:٥٣).

وكأن الله سبحانه يريد أن يختصر علينا الطريق، فيرشدنا إلى أنواع النفس، ثم يترك لك الخيار بعقلك ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ (الشمس:٧-٨).

• **محمد ممدوح عبد المجيد**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

التحكيم في الإسلام

عرف العرب التحكيم وسيلة وحيدة لفصل النزاعات وإحقاق الحق والعدل، وذلك منذ قرون عديدة قبل الإسلام، فكانوا يحتكمون إلى من يرتضونهم من السادة والكبراء، وينزلون على أحكامهم طواعية من غير حاجة إلى جهة تلزمهم بذلك. ثم لما جاء الإسلام أقر رسوله محمد ﷺ هذا العرف القضائي؛ اعتبارا لما يحققه من مصالح اجتماعية معتبرة، وما ينقطع به من شرور ومفاسد، والإسلام إنما جاء دينا قيما ليحقق لأتباعه الخير ويجلب لهم المصالح، وليدفع عنهم الشرور والمضار.

وهكذا واعتبارا بهذا الانسجام بين المقصد الشرعي العام وبين هذا الأسلوب القضائي الخاص، فقد تضافرت نصوص الوحيين على مشروعية التحكيم، بل وإلى الإرشاد إليه.

وفي عهود الخلفاء الراشدين التي تلت عصر النبوة لم يكد يخلو عهد منها من حادثة تمت الإحالة فيها على التحكيم، ومن ذلك مثلا ما روى ابن سعد في طبقاته قال: «ساوم عمر بن الخطاب رجلا بفرس، فركبه عمر ليشوره، فعطب الفرس، فقال للرجل: خذ فرسك، فقال الرجل: لا، قال: اجعل بيني وبينك حكما، فقال الرجل: شريح، فتحاكما إليه، فقال شريح: يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت، أو رد كما أخذت، فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ سر إلى الكوفة، فبعثه قاضيا عليها، قال: وإنه لأول يوم عرف فيه».

• سعد العبدالله

حسن الأدب

قال الصغير محاورا
الناس بين عيونهم نار وألسنة اللهب
وأراك دوما ترتدي
حلل التبسم يا أبت
يلوون عنك رؤوسهم
يتشاجرون
ويلبسون ثياب مقت قد بلت
وجميع وجهك يبتسم
دون اعتراض أو عتب..
قال العجوز وقد ترفق في الجواب
وراح ينظر للفتى نظرات حب
والفتى
يشكو الملالة والغضب
هم يأخذون بما لديهم في الصدور
فيظلمون ويظلمون
وتمطر الأحقاد في أبدانهم نارا يراها
الناظرون
صرخ الفتى: وأنت تبسم هاهنا
فإلى متى؟
ربت العجوز مهدئا رأس الصغير وقال
تلك ذخائري
حلم وإحساس الرضاء
وجعبة الصبر الجميل
وذاك عند الله أمر قد وجب
قال الفتى: والناس يا أبتاه!!
أشرق وجهه:
الله يعصم من يلوذ بركنه..
أصلح فؤادك كي تفوز بحبه

• محمد عباس علي داود

قلبي يصدح

بمدح حبيبي المصطفى أنا أفرح
يرفرف في الأجواء قلبي ويصدح
ويشرق بالحب الجميل وريده
كوردة غصن في الضحى تتفتح
يصلي على المختار في الصبح والمسا
وينساب بالبشرى علينا تصبح
صلاتي سلامي للرسول محمد
يزكي فؤادي عطرها وينقح
ومن لي بأطياف السعادة والمنى
تتوجني بالفوز إن أنا أمدح
قضيت سني عمري شغوفا بحبه
وسيرته السمحاء علياء تطرح
وتهدي لكل العالمين ثمارها
وميزانها التقوى لمن عاش يطمح

• محسن عبد المعطي

آليات التعامل مع الماضي

تعد مسألة العودة إلى الماضي واحدة من أكثر المسائل إشكالا لدى كثير من المثقفين، إذ كيف تمكن العودة إلى الماضي؟ وما هي دواعيها؟ وهل يعد الحاضر سببا كافيا لتلك العودة؟

هذه بعض الأسئلة التي أود الإجابة عليها انطلاقا مما يعانيه العرب والمسلمون من بكاء على الأطلال أحيانا، وافتخار بما أنجزه أجدادهم أحيانا أخرى.

لاشك أن الحاضر والماضي قرينان لا ينفصلان عن بعضهما بحال من الأحوال، فما من أمة تستطيع عيش حاضرها إن لم ترتبط بماضيها، وما من أمة تستطيع استشراف مستقبلها دون ربطه بماضيها وحاضرها، ولكن ذلك الزوج -الحاضر والماضي- بهذا المعنى يكون مدعاة للبناء والتقدم وليس مدعاة للبكاء على أطلال الماضي جراء أحداث الحاضر المؤلمة، فالنظرة إلى الماضي لابد أن تكون عاملا من العوامل الباعثة على الأمل المحرض على العمل ومتابعة النضال لتحقيق عزة الأمة ورفعتها.

من خلال هذه النظرة لابد أن يكون الماضي بحسناته وسلبياته لصيقا بالحاضر، فبقدر ما يستفاد من الحسنات يستفاد من السلبيات، فليس الماضي مكانا للهروب من الحاضر إن تأزمت أوضاعه، وليست دراسته عبارة عن كأس خمر تذهب بعقول شاربيها لينسوا واقعهم ويبتعدوا عن مشكلاته.

صحيح أن التاريخ قد يحوي في طياته بعض الحلول للخروج من الأوضاع المتأزمة للحاضر، غير أن تلك ليست وظيفته الأصيلة.

إن وظيفة التاريخ وقائية أكثر من أن تكون علاجية، فهو يمنع وقوع الداء ويسعى لإبعاده عن جسد الحاضر، أما وظيفته اليوم فلا تتعدى أن تكون وظيفة ثانوية، نستعين به عندما يتأزم الوضع وتسوء الأحوال، وغالبا ما تكون الاستعانة به نتيجة عجز الأدوات المتوفرة! تلك الرؤية يجب أن تتوفر فيمن يريد اللجوء إلى الماضي لتكون الشرط الأول والأهم لمحاكاته.

أما الشرط الثاني للتعامل مع الماضي: فهو الوعي وحسن الاستفادة منه، فالماضي كله هام ومفيد، ولكن فيه الأهم والأفيد، فلابد من التعامل معه على هذا الأساس المهم فالأهم، أي إخضاع الماضي لسلم الأولويات أثناء التعامل معه لتتحقق الفائدة الكبيرة في الوقت القصير.

أما الشرط الثالث: فهو الموضوعية في الاستقراء، فليس التاريخ عبارة عن ناحية معينة في زاوية ما من زوايا الماضي، وإنما هو هيكل متكامل متعدد الزوايا والمناحي والاتجاهات، فبقدر ما تكون النظرة أشمل تكون النتائج أفضل والفائدة أكبر.

من خلال هذه الشروط تعود للماضي وظيفته، وللحاضر عافيته، وللمستقبل إشراقته في النفوس، بدل الخوف مما قد يحمله، وليس أجمل من حديث رسول الله ﷺ: «تركت فيكم شيئين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي» للتعبير عن طريقة التعامل مع التاريخ.

إن القرآن والسنة هما أصدق متحدث عن التاريخ بكلياته، فلم يقل النبي ﷺ استعينوا بالقرآن والسنة في حال أزماتكم أو سوء أحوالكم، وإنما قال: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا» وبهذا يدعونا لمصاحبتهما في كل أحوالنا وشؤون حياتنا، وفي حال عدم استجابتنا نضل ونبتعد عن الهدى والرشاد.

فالقرآن والسنة هما المعبران عن تاريخنا الإسلامي من حيث انطلاقته، ومن خلالهما نتعامل مع الحاضر، فليس بينهما وبين الحاضر أي فاصل، وإنما هما متلازمان تلازم الحياة والهواء، وكل محاولة لتسيير شؤون الحاضر بمعزل عنهما إنما هي ضرب من ضروب العبث وإضاعة الوقت والجهود، إذ لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

إن تاريخ أي أمة وماضيها هو بمثابة هوية حاضرها، وكل أمة تستغني عن تاريخها، لا تعدو أن تكون أمة لا نسب لها ولا هوية، وليس حال الأمة التي تحاول أن تنتسب إلى تاريخ غيرها بأفضل من حال سابقتها، فتصبح كالغراب الذي حاول تقليد الطاوس في مشيه وتفاخره، فلا هو استطاع تقليده ولا استطاع أن يعود إلى سالف حاله.

فالحاضر والماضي أو التاريخ وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن لهذه العملة أن تسود في مصارف الأيام إن فقدت أحد وجهيها، فالتاريخ موجود مع الحاضر، لكن المفقود والذي ينبغي أن نسعى لإيجاده هو قارئ هذا التاريخ ومستخرج درره من مكامنه.

• **محمد مرهف أسد**

مسك الختام

البث الفضائي والتراث والهوية

لم يعد ممكنا في عالم اليوم، أن تبنى المجتمعات المعاصرة، وفي مقدمتها مجتمعنا العربي المسلم بقيمه الأصيلة، وتراثه العريق، وهويته وثقافته الإسلامية بنفس الطريقة التي اعتدنا عليها منذ قرون طويلة، فقد ظهرت في هذا العصر مستجدات جديدة، ووسائل إعلامية عديدة حولت العالم من حولنا، إلى قرية صغيرة، حدث فيها تلاقح بين الثقافات، واختراق من الثقافة الأقوى، لخصوصيات الثقافة الأضعف، وقد أسهم هذا الاختراق، بشكل فاعل ومؤثر في عملية بناء المكونات الثقافية في شخصية الإنسان العربي، وعلاقتها بتراث أمته، خاصة لدى الشرائح الشابة، التي يستقي معظمهم روافد ثقافتهم، من هذه المحطات الفضائية، والوسائل الإعلامية الأخرى.

ولا يخفى على أحد اليوم، أننا في ظل هذا الانفتاح الإعلامي الكبير، أصبحنا في حيرة معرفية كبيرة، إزاء مسألة الحفاظ على هويتنا، وتراثنا العربي بقيمه الأصيلة، فثمة ما يبرر هذا الخوف ويجعله مشروعا، حيث إننا أصبحنا في مجتمعنا العربي الراهن إزاء اختيارين يتسمان بالصعوبة والتعقيد، الاختيار الأول أن نقف موقف الرافض من هذا الانفتاح الثقافي على الآخرين.

ونكتفي بالانكفاء على الذات، إزاء مضامين الثقافة الفضائية، بحجة تحصين الهوية، والحفاظ على مكتسبات الأمة، وإما أن ننفتح على الآخر، وهي المحاولة الجارية حاليا، بدون أن نمتلك الوسائط والوسائل، التي تضمن لنا المنافسة القوية، وفي نفس الوقت تجعلنا نحافظ على قيمنا وتراثنا وهويتنا، ونعرضها العرض الأمثل للآخرين، ولو ألقينا نظرة على واقع أكثر الفضائيات العربية المعاصرة، من حيث تعاملها مع تراثنا وقيمنا الإسلامية، يتبين لنا عدم وجود أهداف واضحة لها من هذه الناحية، ومما زاد الأمر سوءا، أن أكثر هذه الوسائل الإعلامية، قد تجاهلت الثقافة العربية الأصيلة بقيمها وتراثها، فلم تنجح في توصيل قيمنا وتراثنا للعالم الخارجي، كما هو مطلوب منها، خاصة في ظل هذا التحدي واختلاط المفاهيم، وإلصاق التهم بكل ما هو عربي وإسلامي، بإصدار التعميمات والأحكام المسبقة، نتيجة الافتقار إلى استراتيجية متكاملة، تعرض ثقافة الوسطية الإسلامية، بقيمها الصحيحة، والتي على رأسها قيمة التسامح مع الآخرين، بل عكست الاتجاه، فنقلت ثقافة العالم الخارجي لعالمنا العربي، ودفعت بالمشاهد العربي للاتجاه للبث الأجنبي، بدلا من أن تكون بديلا ناجحا له..

مكمن الخطر هنا أن العبرة بالمحتوى البرامجي، لا بالمظهر الخارجي، فالمحتوى غربي، فهو لا يحمل قيمنا، ولا يعبر عن حضارتنا الإسلامية بتراثها العريق وموروثاتها الثابتة، التي ترسخ الهوية، والانتماء للأمة العربية، والتعريف بدورها الحضاري والإنساني الرائد.. صحيح أن هناك قنوات ومحطات تليفزيونية متخصصة في هذا المجال، إلى جانب القنوات الكثيرة، ذات الهوية الضائعة، كما يطلق عليها، واعتقدنا بهذا العمل، أننا نحافظ على قيم تراثنا ونحصن هويتنا الحضارية، وننقل ثقافتنا الإسلامية الصحيحة للآخرين، ولكن وقع بعضها للأسف الشديد، في فخ يمكن أن نطلق عليه الانفصام في الشخصية، حيث جعلنا للهوية والتراث قناة، وللضياع والترفيه والاغتراب قنوات، الأمر الذي زاد الشرخ في مكونات الشخصية الإسلامية المعاصرة.

خلف أبوزيد
كاتب صحفي

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الصحة نعمة ..
تستاهل الشكر

"صلاتك ... شكر"

نفائس

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا

www.nafaess.com

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الإعلام الديني

العدد (٦١٩) ربيع الأول ١٤٣٨ هـ - ديسمبر ٢٠١٦ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

عاصمة الثقافة الإسلامية 2016

كيف تستعيد أمتنا ريادتها الإنتاجية؟

- من وحي الإسلام
- هويتنا والتاريخ
- الثقافة الإعلامية
- العمل التطوعي.. رؤية معاصرة

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعى الإسلامى

الوعي الشبابي
www.alwaeialshababy.com
مواضيع حيوية ومعاصرة
حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
مقالات لأبرز الكتاب الشباب
« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
Shabab alwaei
@alwaeialshababy

الافتتاحية

الإتقان طريق الإنتاج والبنيان

الحمد لله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، الذي ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾، خلق الكون الفسيح بإتقان، وسخره لبني الإنسان، سبحان ربنا ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾، يسبحه ما في السموات والأرض ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾، كل بديع لجلال عظمته برهان، قال في كتابه المتقن أيما إتقان: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ﴾.

الله أحـكم خلـق ذلك كله	صنعـا وأتقن أيما إتقـان

والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، الذي حث على الإتقان، وجعله دلالة على حسن الإيمان.

وبعد؛ فإن من المعلوم بداهة أن المجتمعات كلما كبرت وتكاثرت؛ عظمت المسؤولية، وتعددت المطالب، واتسع مجال النقد والبحث عن الإنتاج المقرون بالجودة والإتقان.

وحيث إننا نعيش في عالم تتلاطم فيه أمواج المتطلبات العملية، فإننا بحاجة إلى أن نفهم معيارا له الأثر البالغ في تحديد مستوى الكفاءة، والشعور بالرضا؛ وهذا المعيار هو معيار الإتقان.. الإتقان الذي هو -في الإسلام- سمة حضارية تقدمية للمجتمع المسلم تنمحي بسببه بعض السلوكيات السلبية كالفوضى واللامبالاة.

إن المجتمعات المسلمة اليوم أحوج ما تكون إلى تغير جذري في مفاهيم العمل وأهمية الإنتاج المتقن، وإن فقدان الإتقان وضحالة المهارة في ميادين الثقافة والصناعة؛ لهما من أبرز أسباب التأخر الذي تعيشه أمتنا اليوم، بعد أن كانت في مقدمة الأمم. وأما العصر الحديث فيتطلب مستوى رفيعا من التخصص المكمل الإتقان؛ ولاشك أن ما بين أيدي المجتمعات المتقدمة في الإنتاج المتقن في هذا الزمان ما هو إلا ثمار وخراج ما جنوه من تركة الأمة الإسلامية التي وقعت بين أيديهم يوما ما.

ولاريب أن معيار الجودة لدى المسلمين ينطلق من رسوخ قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾. وفسر ذلك أهل العلم بأنه العمل الذي يكون خالصا صوابا؛ إنه الإتقان الذي علمه النبي ﷺ لأصحابه بقوله: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(رواه البيهقي). فالإتقان ليس مقتصرا على أمور العبادة فحسب، بل يمتد حتى يصل إلى الأمور الدنيوية؛ ليشعر المسلم بأنه عمل ما يحبه الله، وأنه بإتقانه راض عن نفسه بعدم التقصير.

ثم إن الإتقان في الشريعة الإسلامية قد جاء في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة كلها دالة على محبته والحض عليه في جوانب كثيرة؛ فحري بالمسلمين أن يدركوا قيمة هذا المفهوم في شريعتهم، ويسعوا إلى تفعيله في أوساطهم، وبالأخص الأوساط العلمية والتعليمية التي تنطلق منها مجالات العمل وسوقه من صناعات وإنجازات ومهارات. هذا هو المؤمل ولعل القادم أفضل.

وقد أحسن شوقي قائلا:

أتـقـنـوا يـحـبـبـكـم الـلَّـه ويـرفـعـكـم جـنـابـا

إن لـلـمـتـقـن عـنـد الـلَّـه والـنـاس الـثـوابـا

رئيس التحرير

د. صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦١٩ | ربيع الأول ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
ديسمبر ٢٠١٦م

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
تركي محمد النصر
علاء الدين عبدالفتاح
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩
- مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤
- قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر
  هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩
- الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧
- سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠
- الأردن: وكالة التوزيع الأردنية
  هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣
- مصر: مؤسسة أخبار اليوم
  هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
- السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع
  هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
- لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
- المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
  هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
- تونس: الشركة التونسية للصحافة
  هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

- الكويت: ٥٠٠ فلس • البحرين: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

قوة الإنتاج

الاستهلاك عدو التقدم، فمن أراد لمجتمعه وأمته الرقي والازدهار فعليه بالإنتاج، والبعد عن كل ما من شأنه إهدار ثرواته وموارده دون مردود حقيقي.

تتبوأ المجتمعات الصدارة بالعمل والإنتاج، والإسلام حثنا على البذل والعطاء والاجتهاد لتقديم الخير، ليس للوطن فقط بل للبشرية جمعاء، مصداقا لقول النبي ﷺ: «إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها».

فبقاء المجتمع عاطلا دون عمل وإنتاج، معتمدا على غيره يجعله ذليلا مكسور الجناح، واضعا نفسه تحت رحمة الآخرين وشفقتهم، ويخاف عقابهم، فهو إن لم يسايرهم منعوا عنه العطاء.

والإعمار إما أن يكون بالزرع وإما بالبناء، كبناء المصانع، والشركات المنتجة لما يلزم الناس، ونحو ذلك.

لذا، ينبغي علينا العمل على إعداد الفرد المنتج، والبيت المنتج، والمجتمع المنتج لما نحتاج إليه من مقومات الحياة، كذلك العودة إلى المشاريع الإنتاجية الصغيرة.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. مجدي حسن
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

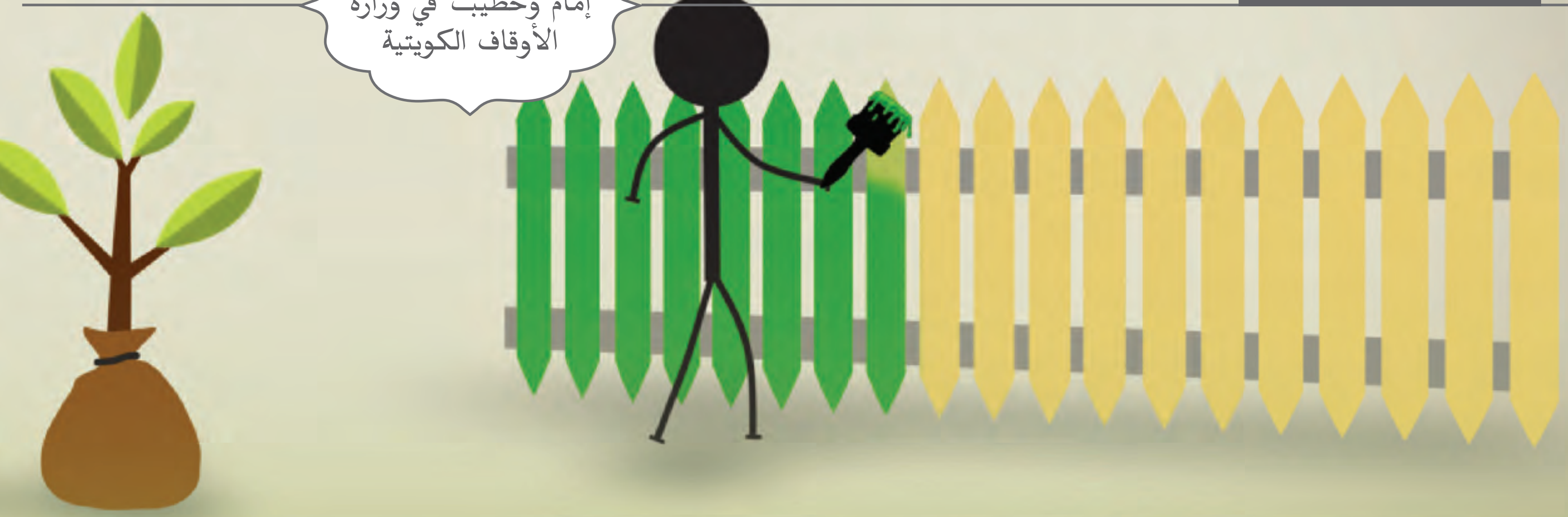

العمل التطوعي رؤية معاصرة

من داخل البيت، الأصوات ترتفع بالتوجيه من الأم المنهكة في أعمال البيت، تدعو للمشاركة في العمل المنزلي، كأنه نداء استغاثة واسترحام للمشاركة بالعمل المنزلي.

حــــوارات.. جـــــدالات.. وردود أفعـال مـن الجـانـبـين.. موبايلات تقطع طريق التواصل بين الأسرة الواحدة.. وفي نهاية المطاف تكمل الأم المكدودة أعمال بيتها وحدها.. والفتيان والفتيات.. وطلائع الأمة تكاد تفقد الإحساس بالأم والأب.. وتفرقت الأسرة الواحدة في أودية الدنيا السحيقة.

إقبال الشباب على العمل التطوعي

من مظاهر الصحوة الإسلامية أننا نـرى الجمعيات الأهلية التي تقوم بواجبات العمل التطوعي وقد يساهم فيها شبابنا بشكل ملحوظ من خلال تقديم خدماتهم وتوجيه طاقاتهم إلـى عمل إيجابي مفيد للمجتمع، لـتوزيـع الـصـدقـات.. ومساعدة المحتاجين ومعاونة العاجزين عن القـراءة، أو جمع الأدويـة أو إعانة المرضـى أو غير ذلـك مـن الأعمال التطوعية التي لا تنتهي.. فأبواب الخير كثيرة، كلام جميل وأهداف ومقاصد نبيلة، لكن ما الذي حدا بالشباب أن يجد نهمته في العمل التطوعي في الجمعيات الخيرية – خارج بيته – بينما لا يجد لبيته أو أهله أدنى واجب يقوم به تجاههم؟

قـد يـكـون الـسـبـب فـي ذلـك هـو الانـغـلاق داخـل أجـهـزة التلفونات الذكية، والـلاب تـوب، والـنـت، ذلك العالم الكبير الـذي يزيد الإنسان انقطاعا وجفافا وقسوة وسلبية.. وقعودا عن الحركة والعمل.

إنها تقطع التواصل الداخلي على مستوى الأســرة، وتفعل التواصل الخارجي بعيدا عن محيط الأسرة، ليصبح أفرادها غرباء عن بعضهم البعض مع شيء من الكسل والتواني واللامبالاة والبلادة حتى يصل الأمر إلى السلبية التي معها تتميع الحياة، وتـزداد سـوءا، ومـن ثـم ينهار أمام واجبات الحياة اليومية.

الطاقات المعطلة

هناك طاقات لكنها تتبدد في غير مكانها الصحيح من التعب الناتج عـن الـسـهـر، ومـن الإرهـاق الـنـاتج عن متابعة الإنترنت عبر الأجهزة الإليكترونية المختلفة، ومـن سهر الليالي.. ونـوم النهار.. من معاندة طبيعة الإنـسـان وفطرته في نومه ليلا ويقظته نهارا .

إن الأســـرة هـــي خـلـيـة المجتمع الأولـى، والخلية لابد لها أن تكون متماسكة وإلا فانفراطها يهدد المجتمع بـالـسـقـوط فـي الضلال والـضـيـاع والـتـيـه وانـفـراط عقده، تماما كـالـخـلـيـة الـحـيـة بأجزائها المعـروفـة: الـنـواة، السيتوبلازم، الغشاء الـبـلازمـي، وهيكل الخلية، فـإن فـقـدت هـذه الأجـزاء الترابط وتلاشت فستتحول إلى شيء هلامي آخر مطموس المعالم، أو يندمج من خلال التفاعلات الكيميائية ليذوب في عناصر أخرى.

هكذا أسرتنا .. خلية متعددة الأجزاء، يـجـب أن تـتـمـاسـك هـذه الأجــزاء، ويقوم كل عضو بعمله المنوط به.

عندما نفقد الإحساس بالآخر

إن تبلد الأحاسيس والمشاعر وقسوة القلوب جعلت بعض الأبناء يفقدون الإحساس والشعور بشقاء الوالدين وكدهما سواء كان ذلك داخل البيت

أو خارجه، فلابد أن يكون هناك الإحساس بمن يتعبون ويكدون لحراسة وأمن هذه الأسرة، الأم.. والأب.

لابد أن تنبعث العواطف والمشاعر، والإحساس المفعم بالرحمة تجاه من يحيطون الأسرة بسياج من العطاء والهبة والمنح، وأن تكون هذه الموجات العاطفية وهذه العواطف الجياشة من المشاعر والأحاسيس متبادلة بقوة بين الأبناء والوالدين.. وبين الوالدين والأبناء.. فطريق العطاء من الوالدين للأبناء ليس محصورا في الطعام والشراب والكسوة وسائر النفقات، بل يحتاج إلى معين لا ينضب من الحب والمودة والحنان.. حتى تلين القلوب فلا تقسو، وحتى تستجيب العقول فلا تعاند.

لتكن هناك مشاركة مبعثها هذا الحنان وتلك المودة.. ليكن هناك عمل تطوعي يقدم للأسرة من داخلها؛ الدافع إليه الإحساس بالوالدين، والشعور بالآخر. لتشارك الفتاة أمها في عمل البيت.. المطبخ.. ويشارك الولد أباه وأمه أيضا في أي عمل متاح، حتى لو كان عملا قليلا، فقليل دائم خير من كثير منقطع، وذلك لتخفيف العبء الثقيل عن كاهل الوالدين الذين أصبحا بلسان الحال عبدين لأبنائهما!

ليعلم الأبناء أن لهم دورا في الحياة من خلال أسرتهم، المشاركة والتعاون وليس دورهم مقصورا على أن يأمروا فيطاعوا، وأن يطلبوا فيجابوا، وأن تتحقق كل أمانيهم بلا استثناء، وأن تلبى كل مطالبهم التي لا سقف لها ولا حدود لها، وإلا فالوالدان مقصران، لقد أضحى الأمر: أنت ومالك لابنك، لا أنت ومالك لأبيك!

رسالة إلى الشباب

هذا هو العمل التطوعي في مفهومه الجديد في ظلال الأسرة المعاصرة! مشاركة الشباب في العمل المنزلي، ورفع حالة الاستعداد القصوى داخل المنزل لاسيما في الإجازة الصيفية، وأما أيام الدراسة فيشارك قدر المستطاع، ومع توزيع الأعمال تخف الأحمال، وتخف الأثقال، وتسكن الآلام.

ولا نكف أيدينا عن العمل التطوعي خارج البيت في المجتمع الكبير فهو ضرب من الجهاد في سبيل الله، لكن هذا الجهاد يبدأ من الداخل – جهاد النفس – من البيت.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد، فقال: « أحي والداك؟ » قال: نعم، قال: « ففيهما فجاهد ».

وعندما سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة.

– مهنة أهله: أي خدمة أهله، فكان ﷺ يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخدم نفسه، ويخصف نعله.

فإن كان هناك من يتحين الفرصة لإهداء الأم هدية في المناسبات المختلفة فلتكن هذه الهدية الإحساس بتعبها، والشعور بكدها وجهدها، والتأكيد على أن عناصر التواصل الأسري مبناها دائما على المودة والرحمة، وحيثما كانت الرحمة فثم شرع الله.

يا شباب الإسلام: لا تنسوا، ففيهما فجاهدوا!

عادل إبراهيم
كاتب صحفي

الحسد آفة الأمم

الحسد داء الأمم، ومرض الشعوب، أول ذنب عصي الله به، سبب في زوال النعم، وهلاك البشر، فمن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ أفشوا السلام بينكم» (١) وفي هذه السطور نبث شكوانا إلى ربنا من أولئك الحاسدين المعترضين على قدر الله، ساعة فاضل بين إنسان وآخر، فدقق الحاسد في نعمة غيره، وراقبه وناصبه العداء دونما سبب أو ذنب.

الحسد في دواوين اللغة العربية

إن الباحث المدقق في معاجم اللغة العربية يجد أن معنى الحسد يدور حول كراهية النعمة عند الغير وتمني زوالها، وأصله القشر فالحسد يقشر القلب كما تقشر القراد الجلد فتمص دمه، ومنه حسد الشجر إذا قشر لحاها، ومعلوم أن الشجرة إذا قشر عنها لحاؤها يبست، قال الشاعر أبو تمام:

يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء (٢)

والحسد مصدر فعله: حسد، يحسد، يحسد، ومعناه: أن تتمنى زوال نعمة المحسود إليك، يقال: حسد، يحسده حسودا، ويحسده حسدا، وحسده: إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبها.

الحسد اصطلاحا: تمني زوال نعمة المحسود، وإن لم يصر للحاسد مثلها، أو تمني عدم حصول النعمة للغير (٣).

الفرق بين الحسد والعين

قال ابن القيم: «العائن والحاسد يشتركان في شيء، فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه

نحو من يريد آذاه، فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته، والحاسد يحصل له ذلك عند غيب المحسود وحضوره أيضا، ويفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد، أو حيوان، أو زرع أو مال» (٤).

هذا وقد ثبت أمر العين في كتاب الله عزو جل، ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ (القلم: ٥١)، فقد أخبر سبحانه بشدة عداوتهم (الكفار) للنبي ﷺ، وأنهم أرادوا أن يصيبوه بالعين (٥).

كما ثبت أمرها في السنة النبوية، إذ يقول رسول الله ﷺ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا» (٦).

أسباب الحسد

للحسد أسباب متعددة، يتعلق بعضها بالحاسد، وبعضها يتعلق بالمحسود، وفيما يأتي بيان بعضها.

الأسباب المتعلقة بالحسد

أولا- العداوة والبغضاء: وهو أشد أسباب الحسد، فإن من آذاه شخص بسبب من الأسباب، وخالفه في غرض بوجه من الوجوه، أبغضه قلبه، ورسخ في نفسه الحقد، والحقد يقتضي التشفي والانتقام، فإن عجز المبغض عن أن يتشفى بنفسه، أحب أن يتشفى منه الزمان، فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما، وإنما غاية التقى أن لا يبغي، وأن يكره ذلك من نفسه (٧).

ثانيا- التعزز والتكبر: وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره، وهكذا كان حسد أكثر الكفار لرسول الله ﷺ إذ قالوا: كيف يتقدم علينا غلام يتيم، وكيف نطأطئ رؤوسنا؟ فقالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣١)، أي كان لا يثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيما، وقال يصف قول قريش: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: ٥٣)، إن الله تعالى بين في هذه الآية أن كل واحد مبتلى بصاحبه، فأولئك الكفار الرؤساء الأغنياء كانوا يحسدون فقراء الصحابة على كونهم سابقين في الإسلام، مسارعين إلى قبوله، فقالوا: لو دخلنا في الإسلام لوجب علينا أن ننقاد لهؤلاء الفقراء المساكين، وأن نعترف لهم بالتبعية فكان ذلك يشق عليهم (٨).

ثالثا- عدم رضا الحاسد وكذا النظر إلى النعم عند غيره وذلك من خبث النفس: وهذا مخالف لقول المصطفى وأمره بألا ينظر أحدنا إلى من زاد عليه في نعمة من مال أو غيره ولكن لينظر إلى من هو أقل منه ليعلم نعمة الله عليه، وإذا اشتاقت أو امتدت

عينه إلى ما عند غيره من نعم فلربما جره ذلك إلى الاعتراض على قضاء الله عز وجل الذي فضل بعض الناس على بعض في الرزق، يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ۚ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (النحل: ٧١)

الأسباب المتعلقة بالمحسود

إن من أسباب الحسد أمورا تتعلق بالمحسود سواء أكانت جمالا، أم مالا، أم جاها، أم سلطة أم غيرها، وفيما يأتي بيان بعض هذه الأسباب:

أولا- الحسن والجمال: ومن ذلك خبر يوسف عليه الصلاة والسلام مع النسوة، ويعد الحسن والجمال من الأمور التي يحسد عليها صاحبها، وهذا ظاهر في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام الذي أوتي شطر الحسن كما بين رسول الله ﷺ في حديث المعراج: «... ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ، إذا هو قد أعطي شطر الحسن» (٩).

ثانيا- كثرة المال: ومثال ذلك قصة قارون في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص: ٧٩).

إن الناس لما رأوه -قارون- على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب

في الدنيا ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾، من هذه الأمور والأموال، والراغبون يحتمل أن يكونوا من الكفار، وأن يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا (١٠).

ثالثا- الصلاح والتقوى: إن من الأمور التي تكون في الإنسان ويحسد عليها، صلاحه وتقواه، يدل على ذلك قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، قال تعالى حكاية عن يعقوب لولده يوسف عليهما الصلاة والسلام: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (يوسف: ٥)

رابعا- التلويح بالنعمة أمام فاقدها: وقد انتشر هذا في زماننا من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، فكثير من الناس يسجلون كل لحظاتهم ونجاحاتهم، بل وأفراحهم ودقائق أخبارهم، وينشرونها على صفحات التواصل، غافلين عن أولئك المحرومين من تلك النعم، وهذا ما أسميه «استفزاز الواجد للفاقد»، فيمطره بوابل حسده، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن المقصود من التحديث بالنعمة : هو القيام بشكرها ، وإظهار آثارها ، فإذا أنعم الله عليك بالمال فاشكر الله تعالى على هذه النعمة ، وأكثر من التصدق والكرم والجود.

قال القاسمي رحمه الله: «فهذا هو قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ (الضحى: ١١) أي إنك لما عرفت بنفسك ما يكون فيه الفقير، فأوسع في البذل على الفقراء. وليس القصد هو مجرد ذكر الثروة، فإن هذا من الفجفجة (١١) التي يتنزه عنها النبي ﷺ ولم يعرف عنه في امتثال هذا الأمر أنه كان يذكر ما عنده من نقود وعروض، ولكن الذي عرف عنه أنه كان ينفق ما عنده ويبيت طاويا» (١٢).

والسؤال: ما الفائدة أن تحكى عن سعادتك مع زوجتك أمام رجل نشزت زوجته، وتتباهى بنجاح وتفوق أولادك، أمام رجل نجح أولاده بصعوبة أو رسب أحدهم، أو عن طعام شهي أمام جائع، إلى غير ذلك من صور استعراض النعمة بصورة خاطئة.

الوقاية من الحسد وعلاجه

أولا- تنفير الحاسد من الحسد: إن الحسد خصلة ذميمة مكروهة لدى الناس الأتقياء الأنقياء، والله عز وجل أمرنا بالاستعاذة من الحاسد وشره، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق: ٥) أما النبي ﷺ فقد نهى عن الحسد وحذر منه فقال: «لا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا» (١٣).

ثانيا- تبريك الحاسد إذا رأي ما يعجبه: إن تبريك الحاسد بترديد ما يقرر عظمة الله على لسانه مع استشعار ذلك بقلبه بجعله رطبا بذكره سبحانه، من الأسباب التي تمنع الحسد وتقضي عليه، لأن تفويض الأمر إلى الله تعالى من أعظم معاني عمق الإيمان، يقول تعالى في الحث على التبريك: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا﴾ (الكهف: ٣٩)، «أي هلا إذا دخلت بستانك فأعجبك ما رأيت منه قلت ما شاء الله كان، لا قوة على ما نحاول من طاعته إلا به سبحانه» (١٤).

رابعا- قراءة المحسود آيات من القرآن الكريم: إن الله عز وجل لما أنزل القرآن الكريم جعله رحمة للناس وشفاء لقلوبهم وأبدانهم، وقد جاء في بعض آياته ما يتخذ كأوراد معالجات للأدواء وخاصة الحسد منها:

١- قراءة آية الكرسي:

قال القرطبي: «هذه آية الكرسي سيدة آي القرآن وأعظم آية، نزلت ليلا، ودعا النبي ﷺ زيدا فكتبها» (١٥).

٢- قراءة آخر آيتين من سورة البقرة:

جاء في الحديث الصحيح عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» (١٦).

قال ابن حجر: «معنى قوله ﷺ «كفتاه»: كفتاه كل سوء، وقيل: كفتاه شر الشيطان، وقيل: دفعتا عنه شر الجن والإنس» (١٧).

٣- قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين:

وقد دل فعل النبي ﷺ في رقية نفسه عند شكواه، وعند نومه، متعوذا بهما على عظيم البركة في الرقي بهما، والتعوذ بالله من كل ما يخشى في النوم (١٨).

خامسا- الاستعاذة بالله من الشيطان وأتباعه: إن الاستعاذة بالله -أي اللجوء بحماه- سلاح قوي شديد الفعالية وخاصة في جانب الشيطان، فإنك عندما تستعيذ بالله منه فإنه يخنس ويضعف أو تنعدم وسوسته لابن آدم فلا يرتكب المحظور، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ

بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٢٠٠). «وتأمل حكمة القرآن كيف جاء في الاستعاذة من الشيطان الذي نعلم وجوده ولا نراه بلفظ ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وجاءت الاستعاذة من شر الإنس الذين يؤنسون، ويرون بالأبصار بلفظ ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (غافر: ٥٦)، لأن أفعال هؤلاء معاينة ترى بالبصر، وأما نزغ الشيطان، فوساوس، وخطرات يلقيها في القلب، يتعلق بها العلم، فأمر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها، وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير في باب ما يرى بالبصر، ويدرك بالرؤية» (١٩).

سادسا- المحافظة على الأذكار والاستغفار: يقول تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢)، ويقول رسول الله ﷺ: «ما من عبد يقول في صباح كل يوم، ومساء كل ليلة: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. ثلاث مرات فيضره شيء» (٢٠).

ويقول أيضا: «من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق. لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» (٢١)، قوله ﷺ: «التامات» أي الكاملات لا يدخل فيها نقص ولا عيب (٢٢).

سابعا- المحافظة على صلاة الفجر: إن لصلاة الفجر وقعا خاصا في نفس المسلم وقلبه؛ فهي تذكر ظلمة القبر ورهبته، إلا أن قلب الإنسان ونفسه سرعان ما تهدأ وتطمئن، عند تذكر قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (الإسراء: ٧٨)، فهي صلاة تشهدها الملائكة، وتحضرها، وتشهد لمن صلاها، وهذا من الأمور التي تعطي المسلم شيئا من الطمأنينة بجانب الخوف والرجاء والرهبة.

فمن يصلي الفجر في جماعة فهو في حماية الله تعالى وكنفه، ورعايته، وحفظه، يدافع عنه ويمنع التعرض له بأي سوء سواء أكان من حسد أم غيره.

ثامنا- الصبر: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (آل عمران: ١٢٠).

وقصة سيدنا يعقوب عليه السلام خير شاهد في الصبر على البلاء، حيث مكث فترة طويلة، ورجاؤه لا يتغير بعودة يوسف، فلما ضم إلى فقد يوسف، فقد بنيامين لم يتغير أمله، وقال: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٨٣)، وبعد انتظاره وجلده؛ جمعه الله تعالى بولديه، ولم شمل الأهل بعد الفراق الذي سببه الحسد الواقع من قبل أولاده لأخيهم يوسف، وكان إكرام الله ليوسف عليه السلام لصبره، واحتسابه أن رفعه على إخوته، وأعطاه حكم مصر بعد أن لقى ما لقى من التعب والعنت (٢٣).

الهوامش

١- أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث صحيح (٦٦٤/٤) برقم (٢٥١٠)؛ وأحمد في المسند (٢٩/٣) برقم (١٤١٢)، بتحقيق الأرناؤوط، قال الهيثمي: «رواه البزار بسند جيد» مجمع الزوائد (٦٤/٨) وحسنه الألباني (صحيح وضعيف الجامع (٥٦٨)

٢- ديوان أبو تمام، (٣١١/٢).

٣- لسان العرب: (٤٣٨/٢)، مادة ح س د والقاموس المحيط ، (ص ٢٧٧)، وتاج العروس الزبيدي، (٢٨/٨) والمفردات للراغب الأصفهاني، (ص ٣٢٤)، مادة حسد

٤- بدائع الفوائد لابن القيم (٢٣١/٢)

٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٢٢٢).

٦- صحيح البخاري، رقم الحديث (٥٧٤٠)، بلفظ: العين حق ونهى عن الوشم.

٧- إحياء علوم الدين للغزالي (١٩٢/٣).

٨- التفسير الكبير للرازي (٢٣٧/١٢).

٩- صحيح مسلم، (١٤٥/١-١٤٦)، جزء من حديث طويل.

١٠- التفسير الكبير للرازي (١٧/١٣) وجامع البيان للطبري (١١٥/٩).

١١- الفجفجة: بالجيم كثرة الكلام، كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلي (٢٩١/٢)

١٢- تفسير القاسمي (٤٩٣/٩)

١٣- صحيح البخاري، رقم حديث (٦٠٦٤)، وصحيح مسلم، رقم حديث (٢٥٦٣).

١٤- جامع البيان للطبري (٢٤٥/١٥).

١٦- صحيح البخاري، رقم حديث (٥٠٠٩)، وصحيح مسلم، رقم حديث (٨٠٨).

١٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (٦٧/١٩).

١٨- المرجع السابق (٩٦/٦).

١٩- تفسير المعوذتين لابن تيمية، (ص: ١٢٩).

٢٠- سنن ابن ماجه، رقم حديث (٣٨٦٩)، والمستدرك على الصحيحين للحاكم (١٧/٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

٢١- صحيح مسلم، رقم حديث (٢٧٠٨).

٢٢- شرح صحيح مسلم للنووي (٣١/١٧).

٢٣- تفسير المراغي للمراغي (٤٤/١٣).

إسماعيل عبد الفتاح
باحث تربوي

الإبداع من خلال العملية التربوية

التربية حلقة هامة من حلقات تهيئة أطفالنا لمرحلة الإبداع، فالإبداع يتطلب مساهمات تربوية متعددة، وأساليب تربوية متنوعة ومتباينة، وبيئة تربوية تشجع عليه ثم تصقله، وهذا لا يتم إلا من خلال البيئة المدرسية، والتي تتكون من المعلم / أو المعلمة، ومن خلال منهج مدرسي، ومن خلال أنشطة مدرسية ومن خلال نظام مدرسي، وكلها لابد وأن تشجع على الإبداع من أجل خلق جو إبداعي ومناخ يساعد على الإبداع (١)، ونتحدث عن مختلف جوانب الموضوع في إيجاز:

مشكلة عدم تفضيل الإبداع لدى تلاميذ المدارس

الإبداع متعدد الصور في المدارس، ولكن المعلم يفضل التلاميذ الأكثر ذكاء على التلاميذ الأكثر قدرة على التفكير الإبداعي، وذلك لعدة أسباب، أهمها مايلي:

١- أن التلاميذ والطلاب مرتفعي القدرة على الإبداعية يعتقدون أنهم أفضل من زملائهم.

٢- أن التلاميذ والطلاب مرتفعي القدرة على الإبداعية يتميزون بالعصبية والاضطراب.

٣- أنه توجد صعوبة لدى المعلمين في ضبط سلوك التلاميذ مرتفعي القدرة الإبداعية.

٤- أن التلاميذ مرتفعي القدرة الإبداعية أقل تعاونا من زملائهم، وغالبا ما يبتعدون عن الزملاء والأصدقاء، ويكونون في حالة انطواء.

٥- أن التلاميذ مرتفعي القدرة الإبداعية غير مسايرين لنظام المعلم في التدريس.

٦- أن التلاميذ غير مرتفعي الذكاء يتميزون بالصبر والرضا والمسالمة والتعاون ويتميزون بمسايرة المعلم في الحصص المدرسية.

ولكن ينبغي على المعلم الذي يرغب في رعاية القدرات الإبداعية لتلاميذه وينميها أن يعرف كيف يميز بين السلوك الذي يسبب اضطرابا في الفصل المدرسي من أجل الإزعاج فقط وبين السلوك الذي ينتج أفكارا جديدة ويؤدي إلى ابتكار حلول للمشكلات والمسائل المختلفة التي يتعرض لها التلاميذ.

إعداد المعلمين والمدرسين على الإبداع وتنشيطه

هناك دور مهم للمدرسين وللمعلمين (ذكورا وإناثا) في تربية الأطفال على الإبداع، وفي تهيئة الأطفال للعمل

الإبداعي وتنشيط القدرات الإبداعية عندهم جميعا- فينبغي أن يصبح هدف تنمية الإبداع والتفكير الإبداعي عند الأطفال أحد الأهداف الرئيسية لإعداد معلمي المدارس، فيَسمح الإعداد التربوي لهم بمعرفة خصائص النمو عند الأطفال: النمو الحركي والمعرفي واللغوي والاجتماعي، وكذلك أساليب تنمية الابتكار وطرق تقديم السلوك الابتكاري والإبداعي (٢)، والفرق بينه وبين التحصيل الدراسي، وأهمية دور المدرس في إشاعة الجو الذي يسمح للطاقات الإبداعية للأطفال أن تعبر عن نفسها، والتدريب على ذلك فترة الإعداد المهني. ويتبع ذلك بالضرورة تصميم هذه المؤسسات التعليمية، وكذا توفير المواد التعليمية التي تسمح للمدرسين بممارسة هذه الأنشطة المتعددة قبل خروجهم إلى ميدان العمل.

بالإضافة إلى ذلك ينبغي أن يتحلى المدرس ببعض الصفات التي تساعد الطفل على التفكير الإبداعي مثل: احترامه للأفكار المثيرة غير العادية التي قد يبديها الأطفال، وإتاحة الفرصة لتنمية هذه المهارات، وتشجيع الأطفال على إبداء آرائهم والتعبير عن أفكارهم. فقد وجد أن للأطفال المبدعين بعض السمات مثل الشجاعة في إبداء الرأي، والرغبة في استطلاع مجالات جديدة، وطرق تفسيرات وتساؤلات قد تبدو مختلفة عن الآخرين، كما أن من أهم خصائصهم الاستقلالية والفضول وتفتح العقل للخبرات الجديدة والفضول العقلي، بالإضافة إلى بعض السمات مثل الطلاقة والمرونة والأصالة وعدم التعصب.

وقد يكون للمدرس دور سلبي في تنمية الإبداع، فقد يؤدي عدم إدراكه لهذه العملية وأساليب تنميتها وأهمية العلاقة الدافئة بين المدرس والأطفال إلى وأد القدرات الإبداعية عند الطفل، وقد وجد أن «غياب حالة التوتر Stress تشجع على المخاطرة التي تعتبر جزءا مهما من العملية الإبداعية» ومن الطريف ما تشير اليه بعض الأبحاث: من أن استخدام الفكاهة Humor كأحد الأساليب (ميكانزم) لامتصاص التوتر عند الطفل تؤدي إلى شحذ الهمم وإطلاق السلوك الفردي الذي يحقق الإبداع. فقد وجد أن التلاميذ الذين تعرضوا إلى أنماط من الفكاهة المرئية أو اللفظية- كان أداؤهم أفضل بكثير عن غيرهم على اختبار تورانس للإبداع اللفظي، بحيث أدى ذلك إلى تشجيع التعبير الابتكاري أثناء الأنشطة الصيفية.

والمعلمون بحاجة إلى التدريب على تطويع سلوك الطفل ليكون مبدعا، كما أن على المدرسة وإدارتها مراعاة ذلك. ونجد أن فاعلية المعلم في تبني الأساليب التي تعزز السلوك الابتكاري أو الإبداعي لدى الأطفال تتأثر بمجموعة من العوامل منها مثلا:

- إدراك المعلم لأهمية السلوك الإبداعي أو الابتكاري وضرورة تنميته..
وإظهار العطف واحترام التلميذ..
. ومحاولة التغيير والتجديد في تناول الخطة الدراسية..
. والاهتمام بالحاجات الخاصة بالتلميذ.

ويدرك المعلمون في الغالب أهمية الابتكار أو الإبداع وخصائصه غالبا، ولكنهم في العموم لا يوفرون الظروف المناسبة لتنمية الطاقة الابتكارية، وإن كان هناك سوء فهم لدى البعض منهم: فالبعض يرى أن الابتكار والإبداع صفة من صفات العباقرة والفنانين فقط، وهي صفات فطرية خاصة تولد معهم، ولا يمكن تعليمها أو تعلمها (٣).

وقد يكون لدى المعلم الاستعداد الجيد لتبني مثل هذه الأساليب، إلا أن دوره هذا يتأثر بعدة عوامل؛ منها:

. مدى توافر الوسائل التعليمية المتنوعة والمناسبة لتنمية قدرات التفكير الإبداعي والابتكار لدى التلاميذ.
. ومساهمات أولياء الأمور.
. ومرونة المنهاج الدراسي وارتباط موضوعاته بالواقع.
. وتبني مدير المدرسة وكذلك الموجه التربوي الأساليب المشجعة على الابتكار في تعاملها مع المعلم.

ولمعرفة كفاءة المعلمين لتدريس الأطفال الموهوبين باعتبار أن للمعلم دورا هاما في المناخ الملائم للإبداع، فلقد أوصى أحد الباحثين بأن يتوفر في المعلم كفاءة مهنية عالية، إضافة إلى خلفية قوية في معلوماته وخبراته وتدريسه لمثل هؤلاء التلاميذ الموهوبين، وقد ذكر الباحثون بأنه لابد أن يكون المعلم مبدعا في طرق تدريسه التي يستخدمها، وفي نوع، وتجهيز الفرص للمناقشات والاقتراحات والإرشادات لوضع فروض ومعالجة المواقف حينما تتوافر له الحرية في اختبار المحتوى والأنشطة التعليمية، وأن يكون قادرا على معالجة المواقف التعليمية بطرح أسئلة ذات تفكير تباعدي أو متشعب.. وفي الحقيقة، هناك كم من المعلمين يراعون. بالإضافة إلى ما سبق. بعض الأمور التي تسهم في إبداع التلاميذ مثل:

تشجيع التلميذ على التفكير الناقد وعلى التحليل والتركيب والنقد والمقارنة والتطبيق والتعميم والتجريد والتمييز والاستدلال والاستنتاج والتخيل والتصور وتكوين الآراء الخاصة حتى ولو كانت غير صحيحة.

أن يحترم الخيالات والأفكار التي فيها نوع من الخيال أو حتى جزء من أحلام اليقظة التي تصدر عنه.

أن يظهر للتلميذ أن لأفكاره احترامها، حتى وإن كانت دون المستوى في القيمة الإبداعية.

أن يسمح للتلميذ أن يؤدي بعض الاستجابات دون تهديد بالتقويم

الخارجي أو بالدرجات.
المرونة في استخدام التعزيزات والتشجيع وتنويع الواجبات المدرسية.
تقبل مظاهر عدم الخضوع التي تبدو في سلوك التلميذ.

دور المعلم في تنشيط الإبداع

إذا كان دور المعلم من أكثر الأدوار فعالية في أي برنامج تعليمي تعلمي، بل إنه يتحدد مستوى مخرجات العملية التربوية بناء على أدائه لدوره، فإن هذا الكلام ينطبق على تعليم الإبداع؛ فالمعلم هو الذي يقدم لطلابه الخبرات المناسبة، وهو عامل بناء الخبرة وعامل تشجيع، الأمر الذي قاد العلماء والخبراء إلى البحث عن سلوكات المعلمين الأكفاء، ووصف الأنشطة والمهمات التي ينفذها المعلم الناجح المبدع، ولا يتم ذلك إلا من خلال معلم مبدع لأنه أكثر قدرة على تعليمه من المعلم التقليدي غير المبدع.
ولقد توصل الخبراء المهتمون بالقدرات الإبداعية لدى المعلمين والمتعلمين إلى مجموعة من الأنشطة التي يقوم بها المعلم المبدع ويتفاعل معها الطالب الراغب في تنمية قدراته الإبداعية، وأبرز هذه الأنشطة (٤):

. الاهتمام بتوسيع وزيادة مساحة حقل الأنشطة ليغرس فيه نماذج متعددة وكثيرة تقابل اهتمامات المتعلمين ومستوى قدراتهم، فمثل هذه الأنشطة ومثل هذا التنوع من شأنه حفز التفكير الإبداعي وإيقاظه وزيادة عدد قنواته ومجالاته.

. تجنب التركيز على الأنشطة القائمة على الذاكرة، والتي تعتمد على الحفظ والاستظهار، لأنه ليس بمقدور هذه الأنشطة تحقيق الإبداع المرجو في التعلم، فالمعلم المبدع يعمد إلى التقليل من أنشطة الذاكرة.

. المعلم المبدع يستطيع توظيف التقويم للتشخيص وليس لإصدار أحكام نهائية على نشاط طلابه.

. يجد ويجتهد في توفير الفرص المتنوعة التي تتيح لطلابه استخدام معارفهم بصورة تعكس إبداعاتهم وتبرزها.

. تشجيع الطالب على ممارسة التفكير من خلال منحه حرية التفكير وتشجيعه على التعبير التلقائي، فلا يتركه يستهلك معظم وقته ويصرفه في التفكير فيما يعده له الآخرون، وأيضا فيما يريدونه هم أن يقوموا به.

. لابد للتعلم من مثيرات تتحدد، وإلى حد كبير، على ضوء مستواها وتنوعها وغِنَاها مستوى التعلم وإبداعات المتعلم، الأمر الذي يجعل المعلم المبدع مطالبا بتقديم مثيرات غنية فاعلة تحمل معها قدرا عاليا من عوامل إثراء خبرة الطالب التعليمية.

. هناك مهارات للتفكير يحرص المعلم على الإلمام بها ومن ثم تعليمها لطلابه، وأهم هذه المهارات: الأصالة والمرونة والطلاقة والتفاصيل وتوليد الأفكار الجديدة وإصدار الأحكام وإدراك العلاقات وبناء الفرضيات وتنمية قدرة الطالب على البحث عن البدائل.

. البحث عن حقل الإبداع ومستنبته، ولذلك فالمعلم الذي يحرص على تعليم الإبداع لطلابه مدعو إلى تعليمهم مهارات البحث وهي على سبيل المثال: الملاحظة والمبادرة للاستكشاف والتصنيف وصياغة الأسئلة وطرحها وتنظيم المعلومات واستخدامها وكذلك التسجيل والاستدلال والتعميم والقدرة على التوضيح والتفسير...الخ.

كانت هذه بعض الأنشطة والوسائل والأساليب التي تساعد المعلم على تنمية الإبداع لدى طلابه.

أهمية المجال الذي يتم في إطاره تنمية التفكير الإبداعي

ويدخل في ذلك المجال: جميع الظروف والعوامل أي المدخلات Inputs التي تؤثر بصورة ديناميكية في برامج تنمية الإبداع: سواء ما يتصل منها بالطفل، أو المعلم، أو الظروف المحيطة في المدرسة والبيت والمجتمع، أو الوسائل والإمكانات المادية والمكانية Physical Facilities (٥).

مكتبة المدرسة أو مركز مصادر التعلم وتنمية الإبداع

تكاد تقتصر مكتبات المدارس على المواد المقروءة مثل قصص الأطفال، فلا تحتوي على مواد مسموعة مثل الأسطوانات أو التسجيلات، أو المواد المرئية مثل الصور أو الأفلام أو الشرائح أو أشرطة الفيديو أو مجموعات البرامج اللازمة لتنمية المهارات المتصلة بمجالات الإبداع المختلفة. ويتم تزويد فصول المدارس في بعض البلاد (مثل الكويت) بأركان النشاط الحر، ففي داخل الفصل: تتوفر المواد اللازمة لممارسة هذا النشاط مثل: ركن التدريب، وركن الألعاب التربوية، ركن الكتابة، ركن الألعاب والمكتبات... الخ، وهناك وسائل تعليمية متعددة ومتنوعة وثرية، مثل: الاتصال المرئي كالسينما والتليفزيون والفيديو... فلم تعد الكلمة المكتوبة هي الوسيلة الوحيدة للتعبير والتفكير أو نقل المعرفة، فهناك الكلمة المسموعة والكلمة المرئية، ويُمضي الطفل مع بعض وسائل الاتصال المرئية مثل التليفزيون والفيديو جزءا كبيرا من وقته، ويعتبر البعض أن التليفزيون والفيديو المنافس القوي للمدرسة، وأن تأثيرها في بعض الأحيان يفوق تأثير المدرسة، وقد يكون في حالتنا هذه أكثر فاعلية في شحذ الطاقات الابتكارية وتقديم المعلومات وإثراء خبرة الطفل.

ويعتقد البعض أن الاستفادة من فنون الفيديو في مجالات التربية والتعليم مازالت في دور المهد فإن النظام التعليمي مازال مبنيا على التفكير العقلي Rational Thinking، ولم تتناول المدرسة مجالات المعرفة المختلفة التي تشملها فنون الفيديو مثل: الرسم، التصوير، السينما، وتداخلت مجالات الإبداع وأصبحت معقدة في عالم الفيديو، وأصبح من الضروري التمكن من هذه المهارات حتى يتحقق الإبداع المنشود، وقد تأثرت بعض عناصر

الإبداع الفني مثل مفهوم الزمن والمسافة وتضاءلت لتقتصر على مجرد إدارة مفتاح التليفزيون أو اللوحي لينتقل الطفل مسافات كبيرة أو يطوف العالم في ثوانٍ، متنقلا بين موقع أو قناة وأخرى. وهكذا اختلفت أدوات الإبداع وأصبح من الضروري على الطفل التعرف عليها واكتساب إمكاناتها وأبسط الأساليب لاستخدامها في التعبير عن طاقاته الإبداعية.

الفرص التربوية والخبرات المتاحة

فالإبداع يعتمد على المعلومات الموجودة في المجتمع، ولكي يبرز لابد وأن تصل هذه المعلومات الموجودة إلى الفرد المبدع الذي يشكلها بتشكيلات جديدة، ومن هنا تبرز الأهمية القصوى لتداول المعلومات في المجتمع بالنسبة لجميع الناس، وعلى الأخص بالنسبة للجيل الجديد من الأطفال الذين يعدون العناصر التي ينتظر منها ـ حين تنضج ـ أن تسهم إسهاما فعالا في الإبداع بكل صوره، بحكم تقدم المعارف الإنسانية، كما أن تداول المعلومات في المجتمع يقتضي ثورة ثقافية كاملة تتعلق بنشر المكتبات في كل مكان والتشجيع على القراءة. فالإبداع يتصل بالتربية وبالتعليم اتصالا وثيقا، ولم لا..؟!، فالإبداع مفهوم تربوي، لأن التربية الإبداعية هي التي تعد التلاميذ وتنمي قدراتهم ومهاراتهم لكي يكونوا مبدعين في المستقبل، والحد العام للإبداع قد يكون فوق العشرين من العمر، والتربية تعد الطلبة للإبداع، ولكن يتجاوز بعض العلماء عن هذا الحد العمري، ويعتبر من الصغار أفرادا مبدعين بالمقياس الذي يناسبهم، وتبعا لنوع السمات والسلوكات التي تميزهم وتكشف عن إرهاصات إبداعهم.. وقد يقدم بعضهم بالفعل إبداعات صغيرة يمكن كشفها وتحديدها في البيئات المدرسية والأسرية التي يعيشون فيها، وأنا شخصيا أسمي المبدع والمبتكر الصغير «الموهوب»، فالموهبة والتفوق قد تكون مقدمة للإبداع وقد لا تكون...

وعموما فإن هناك ضرورات اجتماعية وتربوية لتنمية الإبداع، نذكر منها على سبيل المثال (٦):

ـ التعليم كوظيفة تربوية، فهو يستهدف تنمية الإبداع المعرفي الذي يستوعب ثقافة العصر ويجعل منها ثقافة متجددة قادرة على تأصيل ذاتيتها وإثبات عالميتها.. كما يستهدف التعليم تنمية الإبداع المهاري الذي يتمثل التقنيات المعقدة فهما واستخداما وإنتاجا وتطويرا، ويستهدف أخيرا تنمية الإبداع السلوكي في إطار حضاري يرقى بنوعية الحياة، ويخصب معانيها الوجودية برسالة روحية.

ـ التطبيع الاجتماعي كوظيفة تربوية، أصبح يعمل في ظل الإبداع لتكوين ذاتية فردية، تعيش حياتها بامتلاء فكرا وشعورا وسلوكا الحرية وتحترم كل ذات إنسانية.

ـ نقل التراث في ظل الإبداع التعليمي يكتسب معاني جديدة خاصة بالتأصيل والنقد والتطوير، بما يمكن للفرد أن يتجاوز التراث وعيا واقتدارا لا أن يعيش التراث إعادة واجترارا، أو ينسلخ منه جهلا وفرارا.

ـ والإعداد المهني لم يعد مع الإبداع إكساب المتعلم ثقافة نظرية وتطبيقية في قوالب نمطية تقليدية، وإنما إكساب المتعلم المهارة مع المعرفة والتقنية.

الإبداع والتحصيل الدراسي

إن العلاقة بين الإبداع والتحصيل الدراسي قد بحثت بواسطة العديد من الباحثين فقد بين أحد الباحثين أن هناك ارتباطا ذا دلالة إحصائية بين التفكير الإبداعي للتلاميذ والتحصيل الدراسي لهم، بل أكثر من ذلك، فلقد أعلن أحد كبار الباحثين في دراسة له أن التفكير الإبداعي يمكن أن يكون مؤشرا للتحصيل الأكاديمي للتلاميذ. واتضح من دراسة أحد الباحثين أن التحصيل الدراسي يعد أحد المتغيرات التي ترتبط بالتفكير الإبداعي، ومن ثم أوصى تورانس أن تكون مقاييس التفكير الإبداعي موضع اعتبار المربين عند اختيار طلاب المدارس الثانوية.

وقد ترجع أسباب العلاقة بين التحصيل الدراسي والإبداع إلى (٧): أن الأهداف المعرفية التي تقاس بواسطة اختبارات التحصيل الدراسي تقيس بعض جوانب الإبداع مثل القدر ة على حل المشكلات وما يتبعها من خطوات. وقد يرجع السبب أيضا في وجود العلاقة بين قدرات التلاميذ الإبداعية كما تقيسها اختبارات الإبداع إلى تأثير هذه الاختبارات في محتوياتها بالمعلومات والمعارف التي تقدمها المدرسة، حيث إن التحصيل الدراسي يستخدم كمحك لقياس بعض اختبارات الإبداع. ويمكن القول إن ارتفاع المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة قد يتيح فرصا أكبر للأبناء تساعدهم على الإبداع.

الهوامش

١. راجع في ذلك: د. إسماعيل عبدالفتاح، الإبداع والأطفال، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠١٠م، ص ١٦٩ ـ ١٧٨.

٢ ـ حسين حمدي الطوبجي، وسائل تربية الإبداع في رياض الأطفال، في كتاب: الطفولة العربية والعدالة التربوية الغائبة، تحرير محمد جواد رضا، الكويت، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكتاب السنوي الخامس، ١٩٨٧ /١٩٨٨م، ص ٨٢ ـ ٨٣.

٣ ـ مجدي عزيز إبراهيم، التدريس الإبداعي وتعلم الفكر، القاهرة، عالم الكتب، ٢٠٠٥م، سلسلة التفكير والتعليم والتعلم، رقم ٣، ص ٢٣١ ـ ٢٣٥.

٤ ـ هناك مجموعة من الدراسات في هذا الشأن، راجع منها: بهاء شاهين (مترجم)، معلمون لمدارس المستقبل، تقرير صادر عن اليونسكو، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٨٧٣ ، ٢٠٠٥م، صفحات مختلفة.

٥ ـ حسين حمدي الطوبجي، وسائل تربية الإبداع في رياض الأطفال، في كتاب: الطفولة العربية والعدالة التربوية الغائبة، تحرير محمد جواد رضا، مرجع سابق، ص ٧٢ ـ ٧٤.

٦ ـ محمود قمبر وآخرون، الإبداع في الثقافة والتربية: دراسات في البناء الثقافي والتطوير التربوي، قطر، جامعة قطر، كلية التربية، ١٩٩٧م، ص ٩٥ ـ ٩٧.

٧ ـ محمود عبدالحليم منسي، المدخل إلى علم النفس التعليمي، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ٢٧٥ ـ ٣٧٧.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

أمة الإنتاج والعمل

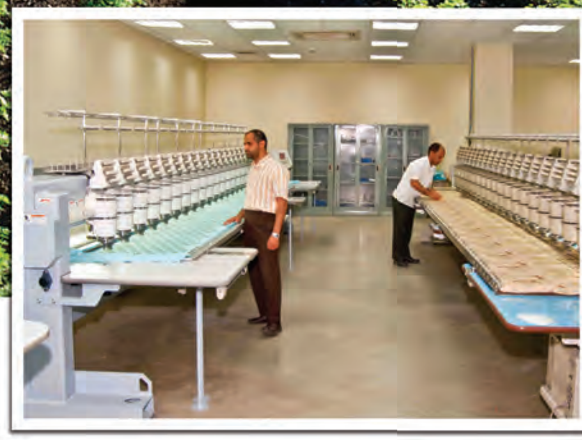

لم تكن الأمة المسلمة أمة منكفئة على نفسها في أي زمن من الأزمان، ولم يعرف أسلافنا النوم والدعة والكسل، وإنما نزلت الآيات القرآنية والأحاديث والمواقف النبوية تؤكد على أن العمل شرف للمسلم، به ينال المكانة في الدنيا، وبه -إن وضع له نية- ينال الأجر والثواب في الآخرة، ولم تصل الأمة إلى منازل العز والفخار، ولم ترتق إلى تسنم المكانة السامقة بين الحضارات إلا ببذل الجهد والعرق.

ديننا يحضنا على العمل

لقد نزلت الآيات القرآنية تأمر عموم المسلمين بالسعي والمشي في الأرض بحثا عن الرزق، وطلبا للمال الحلال، تدفع المؤمنين دفعا إلى بذل المجهود، وتحضهم حضا على ذلك، مع البشرى بالوصول إلى النتيجة إن أحسن الساعي الجهد، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:١٥).

وقد علق الإمام الزمخشري على هذه الآية بقوله: «المشي في مناكبها: مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية؛ لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنباه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه، فإذا جعلها في الذل بحيث يمشى في مناكبها لم يترك. وقيل: مناكبها جبالها. قال الزجاج: معناه؛ سهل لكم السلوك في جبالها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ التذليل» (١).

وإن المطالع في مصادر السنة النبوية، والناظر في مواقف السيرة المحمدية؛ ليرى أن النبي ﷺ حرص على إبراز مكانة العامل في الإسلام، وأن أكله من كد يده أكرم عند الله من السؤال؛ فعن المقدام رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (٢).

لذا؛ كره ﷺ أن يركن أحد من أمته إلى الدعة والكسل، مبينا أن: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله» (٣).

ومهما بلغ العمل من المشقة مبلغا، أكرم من ذل السؤال والحاجة من الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه» (٤).

وضرب ﷺ المثل العملي على هذا التأصيل المفاهيمي الواعي، حين جاء رجل يسأله مالا، فقال له: لك في بيتك شيء؟ قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقدح نشرب فيه الماء. قال: ائتني بهما. قال فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، ثم قال: من يشتري هذين؟ فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم. قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذهما بدرهمين. فأعطاهما إياه،

وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به. ففعل، فأخذه رسول الله ﷺ فشد فيه عودا بيده وقال: اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة عشر يوما. فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم. فقال: اشتر ببعضها طعاما وببعضها ثوبا، ثم قال: هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو دم موجع (٥).

وحرص ﷺ على توجيه أصحابه إلى طلب الرزق باكرا؛ فعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: باكروا طلب الرزق والحوائج؛ فإن الغدو بركة ونجاح (٦).

وكان صخر الغامدي يروي عن رسول الله ﷺ حديث البكور، قائلا: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها»، قال: وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم في أول النهار، وكان صخر رضي الله عنه رجلا تاجرا، كان يبعث تجارته في أول النهار، فأثرى وكثر ماله (٧).

ولم يكن ميدان العمل عند رسولنا ﷺ متوقفا على بقعة من البقاع، أو منطقة من المناطق، وإنما جاء حديثه في هذا المضمار متوافقا مع القرآن الكريم الذي يطالب الناس بالسعي في الأرض، والمشي في مناكبها دون توقف أو تلكؤ، فقد قال ﷺ: «اطلبوا الرزق في خبايا الأرض» (٨).

أئمة في ميدان العمل

لقد كان للصحابة الكرام، ولتابعيهم وتابعي التابعين ولكبار أئمة هذه الأمة في رسولنا الأسوة والمثل، فقد اتفق الجميع على محبة العمل والإنتاج، وكراهية التقاعس والكسل، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إني لأكره أن أرى الرجل فارغا، لا في عمل الدنيا، ولا في عمل الآخرة» (٩).

وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوما متكاسلين يظنون أن الرزق سيأتيهم بمجرد الكلام واللسان، فذهب إليهم مستغربا ومتسائلا: «ما أنتم؟». فقالوا: نحن المتوكلون. فقال: «بل أنتم المتكلون، ألا أخبركم بالمتوكلين؟ رجل ألقى حبة في بطن الأرض، ثم توكل على ربه» (١٠).

وقد كان من أعظم الأمثلة على هذه المثابرة، نموذج الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، الذي منعه حياؤه وكرامته، وهو المهاجر الفقير الذي ترك خلفه كل شيء، أن يقتسم مع أخيه من الأنصار ماله، قال: لما قدمنا إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال: سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها. قال: فقال عبدالرحمن: لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع. قال: فغدا إليه عبدالرحمن فأتى بأقط وسمن. قال: ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبدالرحمن عليه أثر صفرة. فقال رسول الله ﷺ: تزوجت؟ قال: نعم. قال: ومن؟ قال امرأة من الأنصار (١١).

لقد وقف الإسلام حائلا أمام التواكل والتكاسل ظنا أنه توكل واجتهاد في كل شيء، وعلى رأس ذلك أركان الإسلام؛ فقد كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ (البقرة:١٩٧) (١٢).

وكان من اللافت تأليف الإمام أبي بكر ابن الخلال رحمه الله (ت: ٣١١هـ) كتاب «الحث على التجارة والصناعة» جمع فيه أخبار أئمة السلف ممن امتهنوا مهنتي التجارة والصناعة، وهو كتاب عظيم في الحث على العمل، وفي كون هذه الأمة في سلفها أسوة وقدوة في الإنتاج.

وكان مما جاء في هذا الكتاب أن الجصاصي قال: سألت أحمد بن حنبل رحمه الله، فقلت: أربعة دراهم: درهم من تجارة برة، ودرهم من صلة الإخوان، ودرهم من أجر تعليم، ودرهم من غلة بغداد؟ قال: أحبها إلي من تجارة برة، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان، وأما أجر التعليم فإن احتاج فليأخذه، وأما غلة بغداد فأنت تعرفها، ليش تسألني عنها؟ (١٣).

وكان الإمام أحمد رحمه الله يعمل الطوب اللبن، ويشتغل في الأعمال اليدوية (المقاولات) بيديه في بعض السنين كما في سنة ٢١٩هـ، فقد «كان ربما أخذ القدوم وخرج إلى دار السكان (ببغداد) يعمل الشيء بيده» (١٤).

ولم يكن الإمام ابن حنبل نسيجا وحده في هذا المنول، وإنما كان أئمة السلف على دربه؛ فقد «كان إبراهيم بن أدهم يؤاجر نفسه، وكان سليمان الخواص يلقط، وكان حذيفة يضرب اللبن» (١٥).

تلك أمتنا، أمة في أصولها وفروعها تحرص على البذل والعمل، وفي رسولها وصحابتها تمقت التكاسل، وفي سلفها وأئمتها يبذلون العرق، ولم تمنعهم مكانتهم العالية، وعلمهم الرفيع عن أن يؤاجر أحدهم نفسه، كأقل عامل من عمال «اليومية» كما في زماننا هذا، لم يروا في ذلك امتهانا أو انتقاصا من أقدارهم، بل على العكس، كان حرصهم على الرزق والعمل الحلال سببا في رفعة قيم هذه الأمة ومبادئها.

الهوامش

١- الزمخشري: الكشّاف، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة - بيروت، ١٩٨٧م، ٥٨٠/٤.
٢- صحيح البخاري، تحقيق البُغا، ح١٩٦٦.
٣- البخاري، ح١٣٦٢.
٤- البخاري، ح١٤٠١.
٥- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ح٢١٩٨.
٦- المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله، ح٧٢٥٠.
٧- أبو بكر الشيباني: الآحاد والمثاني، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، دار الراية - الرياض، ١٩٩١م، ٣٦٣/٤.
٨- مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، ٣٤٧/٧، ح٤٣٨٤.
٩- أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر - ١٩٧٤م، ١٣٠/١.
١٠- البيهقي: شعب الإيمان، تحقيق عبدالعلي عبدالحميد حامد، ٤٢٩/٢.
١١- البخاري، ح١٩٤٣.
١٢- البخاري ح١٤٥١.
١٣- أبو بكر بن الخلال: الحثّ على التجارة والصناعة، دار العاصمة - الرياض، ١٤٠٧هـ، ص٣٥.
١٤- السابق ص٣٩.
١٥- السابق ص٥٤.

كيف تستعيد أمتنا ريادتها الإنتاجية؟

القاهرة: عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

من السمات الأساسية في شخصية المسلم الإتقان في كل شيء، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣)؛ أي إن من تمام إسلامه إتقان عبادته وسلوكياته وأحوال معاشه، ومن ذلك الإتقان في عمله وإنتاجه.

وقد أمر الله تعالى بإتقان العمل، سواء كان من أعمال الدنيا أو الآخرة؛ فقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥). وأخبر الله عن نفسه بذلك فقال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٨٨)، وقال ﷺ: «لو قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد والبزار في مسندهما)؛ إلا أن واقع المسلمين اليوم بعيد كثيرا عن الإتقان الذي جعل سلف الأمة يسوسون العالم ويسودونه، وهذا ما نناقش فيه عددا من العلماء عبر الصفحات التالية.

كشفت دراسة أجراها «اتحاد تنمية الموارد البشرية في مصر» عن كارثة انخفاض معدل إنتاجية الموظف الحكومي العربي، لتتراوح بين (١٨) إلى (٢٥) دقيقة يوميا!

د. بركة: «يجب تغيير المفاهيم السلبية، وترك التواكل إلى الاعتماد على النفس»

وأكدت الدراسة التي نشرت في أواخر (٢٠١٥م)، أن من أهم أسباب ذلك: البيروقراطية، وعدم تدريب الموظفين، وضعف مستوى التعليم، ومشاكل اجتماعية عدة، وقوانين البلاد العربية التي توزع الوظائف دون الالتزام بقواعد وقوانين صارمة، وانتشار الوساطة.

تكثيف الإنتاج الديني والدنيوي

يرفض د. عبدالفتاح بركة، عضو هيئة كبار العلماء، روح الانهزامية التي تحاصر كثيرين، قائلا: «على المسلم أن لا يكرر كلمات مثل الأمة في وضع ضعيف، ولذلك قل المبدعون والمفكرون والمجددون والمنتجون»، موضحا أنه في ظل أزمة المسلمين

وشدة الكفار عليهم والجوع والخوف والفقر، حفر المسلمون الخندق حول المدينة بأيديهم، وأعطاهم الرسول ﷺ حينها الأمل في التطور والمستقبل عندما اعترضت الصحابة صخرة حيث ضربها ﷺ ثلاث ضربات فتفتتت، قال إثر الضربة الأولى: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمراء الساعة»، ثم ضربها الثانية فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض»، ثم ضرب الثالثة وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذه الساعة» (رواه أحمد وأبو يعلى الموصلي في مسندهما)؛ مشيرا إلى أن القصة تحرض على العمل والجد والإنتاج، وأن الله يسبب الأسباب ويفعل ما يشاء؛ وما على المسلم سوى الإتقان في العمل والصبر من أجل الله عز وجل.

وأضاف د. بركة: «ما سبق لا يعني أن الأمة الإسلامية ليست في محنة، فبالفعل نحن نحتاج إلى تكثيف الإنتاج في كل شيء، الديني والدنيوي، نحتاج إلى التجديد الديني دون خلط أو لغط، مع الضعف والوهن الذي ضرب الأمة في عقلها وقلبها، كما نحتاج إلى تغيير مفاهيم إدارة الحياة الدنيوية، والانتقال من سياسة التواكل والاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس، مع التمسك بالعقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة».

وتابع قائلاً: «تقدم دول العالم كان بالإتقان في العمل والجد والاجتهاد؛ حيث يقدسون الوقت، ولا يهتمون بالجدل والتقليد الأعمى الذي يعتبر من أهم روافد هدم الثقافة، قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده» (رواه البخاري).

د. الدسوقي: «كلمة السر في التركيز على مشروعات الصناعة والزراعة»

وأشار إلى أن الأمة الإسلامية عليها أن تنظر لعلمائها السابقين، ومنهم ابن بطوطة الرحالة والمؤرخ المغربي الذي أسس علم الجغرافيا، وابن الهيثم الذي أبدع في مجالات الرياضيات والفيزياء وطب العيون وعلم الفلك، وابن النفيس العالم الطبيب السوري، ومحمد الفازاري عالم الرياضيات والفلك العراقي المسلم؛ فنهج الإسلام واضح في إتقان كل شيء، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥)، وقال: «اليد العليا خير من اليد السفلى» (رواه البخاري).

وطالب بركة المسؤولين عن التعليم بتدريب الطلاب على كيفية مراقبة الله والإتقان في العمل؛ بحيث يكون أمرا داخليا نفسيا، يوقظ الضمير، ويغير في سلوك الأفراد، مضيفا: «لو أتقنوا التعليم لوجدنا نتاجا طيبا من الطلاب».

حرب إعلامية

يؤكد د. عبدالمحسن الطواب، أستاذ الإعلام بجامعة المنيا، أن بين الاستهلاك والإنتاج علاقة ذات معانٍ ثقافية وعقائدية؛ فهي مؤشر على انهيار أمم بثقافاتها أو ارتقائها بثقافاتها وعاداتها وتقاليدها وأفكارها، موضحا أن المواطن العربي الآن لديه رغبة جامحة في الامتلاك والاستهلاك والارتباط بسلع معينة؛ بل ربما يكره سلع وطنه تحت تأثير سطوة الدعاية الجبارة والإمكانيات التسويقية الهائلة، الأمر الذي أدى إلى تحول ثقافة الإنتاج إلى الاستهلاك وحب التملك والسعي له والاستسهال، وحب التفاخر بأشياء لا قيمة لها؛ وهذا مؤشر على انحدار الأخلاق وتحولها للمادة، وسبب ذلك استقبال الأفكار الغربية وتعلمها دون انتقاء أو فهم.

وتابع قائلاً: «الغرب يعرف هذه المفاهيم، ونجد الغربي ملابسه بسيطة ولا يقع ضحية الإعلانات، على عكس المجتمعات المهمشة اللاهثة وراء أي قيمة وهمية، وحكومات تلك الدول تحارب بعضها بالمنتجات، وتوعي شعوبها فلا يقعون ضحيتها»، مشيرا إلى أن العالم يغزونا من خلال وسائل الاتصال العادية، ومن خلال وسائل التواصل الاجتماعي، ومن خلال الوسائل الشخصية، بالإضافة إلى وسائل الإبداع في الإعلانات والأفكار والتسويق.

وأوضح أن هناك شركات متعددة الجنسيات تتحكم في الإنتاج والاستهلاك، وميزانيات بعضها أكبر من ميزانيات بعض الدول الإسلامية.

مشيرا إلى أن وصفة العلاج تبدأ بإيقاف سيل الإعلانات المضللة المثيرة، واستبدالها بإعلانات ذات قيمة حقيقة، وتكثيف الحملات الاجتماعية، بالإضافة إلى إحياء ثقافة العربي ذي التاريخ الأصيل الكريم الشهم، الذي له لغة معجزة، ويهتم بالقيمة الأخلاقية بالمعنى وليس بالظاهر؛ من خلال التلفزيون والمدارس وكل وسيلة ممكنة.

كما دعا إلى مواجهة الفساد بأنواعه، خاصة في مجال الإعلام والإعلانات

والتسويق، موضحا أنه يدمر أمما بأكملها، فضلا عن فساد التعليم وضعفه.

وأكد ضرورة التخلص من التبعية للدول الرأسمالية، التي تغفل قيمة الإنسان وتعظم المادة، وتسيطر على اقتصاديات الدول العربية، وتهدم القيم الثقافية، موضحا أن العرب ينفقون المليارات على الملابس والغذاء والسجائر وأجهزة المحمول والسيارات، في الوقت الذي يئن فيه البحث العلمي.

وأشار إلى ضرورة وجود إعلام وطني يعزز قيم الإنتاج والإتقان، ويحفز على شراء المنتجات الوطنية، ويحذر من الانسياق وراء نهم التسوق غير المبرر؛ لا سيما للسلع الاستفزازية التي لا تفيد المجتمع.

سر ريادتنا

يؤكد د. عزت طه، أستاذ الإدارة وخبير التنمية البشرية، أن الأمة الإسلامية لم تكن في يوم من الأيام بحاجة إلى العمل والإنتاج كما هي اليوم، موضحا أن أمتنا لم تفقد ريادتها وقيادتها في العالم إلا عندما غاب عن وعي أبنائها أن العمل والإنتاج هما سر ريادتها لأكثر من ألف عام خلت.

وأضاف قائلاً: «نحن أمة صاحبة منهج استطاع به رجل واحد، وهو النبي ﷺ، أن يبنيها من لا شيء؛ فلم يكن للعرب ذكر بين الأمم قبل بعثته ﷺ، ثم ساد العرب كل الأمم، ففتحوا أراضي الروم وفارس واليمن ومصر وكل أقطار الأرض، والأعجب أنه ﷺ استطاع تحويل الأمة من لا شيء إلى كل شيء في (٤٣) عاما فقط!».

وتابع قائلاً: «بعث النبي ﷺ في الأربعين، وفارق الدنيا في الـ (٦٣) من عمره، وهي الفترة التي قام فيها النبي القائد الفذ ﷺ بتغير التاريخ منذ قرر نشر منهجه بين البشر،

د. الشاذلي: «٣ محاور للتحول من الدول الاستهلاكية إلى المنتجة»

والأهم من كل هذا أن الأمة التي تركها ﷺ أمة تمرض ولا تموت؛ لأن منهجنا محفوظ بين أيدينا إلى يوم القيامة؛ ما يدعو الجميع إلى عدم الإحباط من الوضع الحالي».

وأضاف: «العقبة في طريق إعادة الأمة أنها تفتقد إلى نوعية الرجال القادرين على فهم هذا المنهج وتطبيقه على أرض الواقع، وقد قضى النبي ﷺ أكثر من (١٢) عاما من عمر رسالته -التي هي (٢٣) عاما، أي أكثر من نصف عمر رسالته- في مكة يربي ويؤهل هؤلاء النوعية من الرجال القادرين على فهم وتطبيق المنهج الذي أتى به في اكتشاف واستثمار ما تمتلك أمتهم من موارد وثروات ورسم وتنفيذ ما تسير عليه الأمة من نظم وسياسات».

وأضاف: «لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وإذا أردنا إعادة الأمة من القيادة والريادة للأمم الأخرى، فعلينا إعداد النواة التي يمكن أن تعتمد عليها الأمة في اكتشاف واستثمار ثرواتها، ورسم وتنفيذ سياستها التي تمكنها من الريادة والقيادة للعالم في العمل والإنتاج».

واستطرد: «العمل والإنتاج وجهان لعملة واحدة؛ إلا أن التوازن بين الإنتاج والاستهلاك أمر عظيم، ففي الميزان التجاري للدول يجب أن توازن بين ما تنتج وما تستهلك، أما اليوم فأصبحنا نتجاوز بتطرف في الاستهلاك ولم نعد ننتج؛ حتى أصبحنا نستورد كل شيء وأي شيء، أصبحنا أمة مستهلكة فقط».

وطالب بعدم الدعوة إلى تقليل الاستهلاك فقط؛ وإنما نبحث عن إعادة فهم لأولوياتنا في الاستهلاك، ومن ثم نعيد النظر في ما يمكن أن ننتج مما نستهلكه؛ لنسد العجز الرهيب بين الإنتاج والاستهلاك، ومن هنا، نحن مطالبون بأمرين: أن نرشد الاستهلاك، وأن نعمل على إنتاج ما نستهلك.

وأشار إلى أن الإتقان شرط أساسي كي يحدث توازن بين ما ننتج وبين ما نستهلك، وله شرطان:

الأول- الفاعلية، وهي القدرة على تحديد ما يمكن أن ننتج؛ فنحن أمة متنوعة ومترامية الأطراف، وما تمتلكه دولة يختلف عن ما تمتلكه دولة أخرى من دول العالم الإسلامي، ولو حدث نوع من التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامية لأصبحنا أقوى شبكة تجارية في العالم فيما بيننا، ولتمكنا من الاستفادة من تنوع مواردنا.

أما الشرط الآخر فهو الكفاءة.

وتابع: «المقصود بالكفاءة هو جودة ما ننتج، أو ما يطلق عليه الآن «إدارة الجودة»، التي تهتم بوضع معايير تحدد جودة كل منتج، وتلتزم بإنتاج منتج يلتزم بهذه المعايير، وأظن أن القدرة على إحداث توازن في الميزان التجاري بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم يتوقف على الالتزام بما نسميه «المعايير الدولية للجودة»، وإذا ربطنا بين الفاعلية والكفاءة في الإنتاج، لتمكنا من تحديد ما يمكن أن ننتج، وكيف نصل بمنتجنا إلى كل العالم».

وأضاف: «التفريط في الاهتمام بجودة الإنتاج لم يؤثر فقط على فجوة في الميزان التجاري بين الأمة الإسلامية والعربية وبين العالم؛ وإنما وصلنا إلى المرحلة التي جعلتنا لا نستهلك ما ننتج على المستوى المحلي، وأصبحنا نبحث عن منتجات

تم استيرادها لفارق السعر والجودة، ومن هنا تأتي أهمية الإتقان في عملية الإنتاج».

وقال: «إذا أردنا الانتقال من حالة اللاإنتاج إلى حالة الإنتاج، ومن حالة اللاعمل إلى حالة العمل، نحتاج إلى الربط بين أمرين: التعليم والتدريب؛ فهناك مستوى من المعرفة النظرية التي يحتاج إليها كل فرد ليكون أكثر وعيا وإدراكا، والشركات العالمية تنفق مليارات الدولارات سنويا لإعادة تأهيل موظفيها بكل ما يجعلهم قادرين على العمل والإنتاج بفاعلية وكفاءة حسب نوع ومجال تخصصهم العملي، أما التدريب فهو الخبرة العملية التي يترجم بها الفرد النظرية العلمية، ويحولها إلى سلوك يجعل منه فردا أكثر إنتاجا وإبداعا بفاعلية وكفاءة من داخل المساحة التي يشغلها في الحياة، والربط بين التعليم والتدريب يمكن الفرد من التوازن على المستوى المعرفي ومواكبة كل التطورات التي تحدث على الساحة في نوع تخصصه ومجاله؛ وأصبحت الشركات العالمية تنفق مليارات الدولارات سنويا لإعادة تأهيل موظفيها على المستوى المعرفي والوجداني والمهاري».

وتابع: «إذا كانت هناك مستويات للتعليم فيبدأ بطالب علم، ثم إلى باحث، ثم إلى متخصص، ثم إلى عالم، ثم إلى مبتكر، فإن التدريب له مستويات تناسب مع تنوع احتياجات الأفراد.

فالنوع الأول وهو التأهيلي الذي يهتم بتنمية الفرد ذاتيا على المستوى المعرفي والوجداني، ليكون أكثر إبداعا، ويحقق أفضل عائد بأقل مجهود وتكلفة وزمن، ويعطيه القدرة على الاستمرارية نحو النمو والتطور.

والنوع الثاني التحويلي، ويهتم بتمكين الفرد بتحويل مساره المهني من نوع أو مجال إلى تخصص معين إلى نوع أو مجال تخصص آخر، يتناسب مع قدراته وإمكانياته وميوله الشخصية.

والنوع الأخير التكميلي، وهو التدريب الذي يعمل على الاستفادة من فائض الوقت والجهد والمال عند الفرد في شغل مساحة إضافية، بجوار مساحته الأصلية التي يشغلها، لنضاعف من إنتاجه في الواقع بشكل أفضل وأسرع وأكثر في العائد على المستوى الشخصي له وللبيئة التي يعيش فيها وإلى المجتمع الذي ينتمي إليه».

د. شحاتة: «الإسلام سبق العالم في تحديد أسس العلاقة المحفزة للإنتاج»

من الاستهلاك إلى الإنتاج

وللتحول من الدول الاستهلاكية إلى المنتجة قال د. إبراهيم أحمد الشاذلي، أستاذ اقتصاد: «هناك أكثر من آلية لذلك؛ الأولى تفعيل وتنفيذ المشروعات الصغيرة ومتناهية الصغر للسلع استهلاكية، والثانية الاهتمام بتحليل الميزان التجاري، من خلال تحديد السلع التي نستطيع إنتاجها والسلع التي يجب استيرادها؛ فبعض الدول عليها ألا تستورد التمر، وبعض الدول عليها ألا يستوردوا القمح والأرز والشعير، فضلا عن محاولة التوصل إلى إقامة مصانع صغيرة لإنتاج سلع استثمارية إنتاجية وليست استهلاكية».

وطالب الشاذلي بعمل موازنة في إنتاج الخدمات التي تقدمها الدولة وبين إنتاج السلع، خاصة الضرورية، وإنشاء صناعات غير نمطية، ومحاولة التقليل بين الصادرات والواردات؛ وبالتالي توفير العملة الصعبة.

ودعا إلى استغلال الموارد البشرية والموارد الطبيعية لإنتاج الموارد الإنتاجية، مضيفا: «إذا نظرنا إلى الدول التي نجحت في النهوض باقتصادها والتحرر من السلع الاستهلاكية، مثل الهند التي كانت تتشابه ظروفها الاقتصادية مع نماذج الدول العربية، نجد أنها حرصت على تعظيم الاستفادة من خبرات أبنائها ومن طاقاتها وإمكاناتها المحلية، وامتلكت إدارة ناجحة على حسن التنظيم والإدارة، وقادرة على استغلال الموارد المحلية وتوظيفها في إطار

في قائمة الفاشلين!

تصدر مجلة «فورين بوليسي» الأمريكية إحصائية سنوية توضح الدول الأقل إنتاجا، والأكثر استهلاكا، والأسوأ في الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بعنوان «الدول الفاشلة Failed State».

الإحصائية تتناول الناحية الاجتماعية من خلال بنود عدة، تشمل زيادة السكان وسوء توزيعهم والخلافات الطائفية والظلم وكثرة الأمراض ونقص الغذاء وقلة الإنتاج وكثرة الاعتماد على الغير واستهلاك السلع غير الضرورية، بالإضافة إلى هروب العمال المنتجين والعقول الفذة.

ومن الناحية الاقتصادية، تشمل بنود ضعف الدخل القومي وقلة الاستثمارات وزيادة الفساد وارتفاع مستويات الفقر وندرة السلع الأساسية وعدم الاعتماد على التصنيع واختفاء المصانع الثقيلة، كما تشمل بنود الإحصائية الفساد وغياب الثقة في المؤسسات وكثرة الجرائم، وتدهور خدمات الأمن والتعليم والصحة.

صحيح؛ وهذه هي الأمور الغائبة عنا للأسف في كثير من الدول العربية».

الصناعة والزراعة

أما د. إيهاب الدسوقي، رئيس قسم الاقتصاد بأكاديمية السادات للعلوم الإدارية، فقال: «إن كلمة السر تكمن في التركيز على المشروعات الإنتاجية في مجالي الصناعة والزراعة»، مضيفا: «هذا ليس من شأن الحكومات فقط، ولكن القطاع الخاص أيضا عليه دور كبير؛ وعلى الحكومات تيسير ما يسهل عملية الإنتاج من توفير البنية الأساسية وإتاحة المعلومات اللازمة لإقامة المشروعات، وتوفير العملة الصعبة حتى نستطيع الاستيراد الضروري، وإقامة مراكز تكنولوجية حديثة لتطوير قطاع الأعمال وتوفير كل سبل الاستثمار».

وأضاف: «لدينا من التجارب ما يكفي حتى نستفيد منها بما يلائم ظروف كل دولة من الدول العربية؛ فلدينا الموارد الطبيعية والبشرية التي من السهل الاعتماد عليها وتدريبها للوصول إلى الكفاءة اللازمة لنجاح المشروعات».

التجربة الفلندية

في سياق متصل، قال د. كمال نعيم، محاضر دولي لعلوم التنمية البشرية: «لتحويل الموظف إلى فرد منتج داخل منظومة العمل لابد من تغيير منظومة التعليم من الأساس، ومحاولة مسايرة التجربة الفنلندية، بحيث يكون الاعتماد على الاتجاه النظري والعملي معا، وإعداد دورات تدريبية لكل موظف على العمل، مع متابعة مستواه المهني، وإعداد دورات تدريبية لتغيير المفاهيم والمعايير وتحويلها إلى إيجابية».

وأضاف: «الضغط النفسي الذي يعيشه موظفو المجتمع العربي يدفعنا إلى ضرورة إعداد برامج لغرس قيمة التفاؤل وحسن الظن بالله وحب العمل، وعدم المساواة بين المنتج وغير المنتج بتطبيق سياسة الثواب والعقاب، ووجود عدالة في المرتبات حتى تخلق مناخا منتجا بين الموظفين، والعمل على التخطيط بالشكل الذي يتناسب مع الإمكانيات والقدرات، سواء كان التخطيط قصيرا المدى أو طويلا، والعدالة بين المرتبات بين الموظفين تخلق منتجين فعالين، كما أن غياب الوساطة والمحسوبية له دور فعال في تحويل الموظف إلى فرد منتج، وتحلي منظومة العمل بالوضوح والشفافية حتى يتوفر عامل المصداقية والدقة والثقة؛ وبالتالي يشعر الموظف بالارتياحية، وتجنب منظومات العمل والمؤسسات المختلفة عن الاعتماد على المستشارين والوظائف المساعدة التي من شأنها إنفاق أكثر من نصف ميزانية منظومة العمل وتخلق مناخا غير عادل داخل المنظومة».

وطالب بتغيير طرق التعليم؛ بحيث تتحول إلى التدريس الاستكشافي، موضحا أن الغرب اعتمد على هذا النوع الذي يتضمن حث الطلاب على اكتساب المهارات ذاتيا واكتشاف الحقائق، وتطبيق ما تعلموه في جو يتيح حرية النقاش، وإتاحة الأفكار المتعددة.

أسس العلاقة الإنتاجية

أخيرا، يوضح د. حسين شحاتة، الأستاذ بجامعة الأزهر وخبير المعاملات المالية، أن العمل في الإسلام مقرون بالعبادة؛ فلا يقبل إيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان، وهو تكليف رباني وشرف وقيمة وعزة وجهاد في سبيل الله.

وأضاف: «(٥) أمور تعين وجودها لزيادة إنتاجية العامل؛ أهمها وضع الفرد في مكانه المناسب حسب إمكانياته وقدراته، قال ﷺ: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (رواه البخاري)، ثم إعطاؤه أجره فور الانتهاء من عمله أو وفق النظام الشهري المتبع: قال تعالى:

﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾

(الشعراء: ١٨٣)، وقال رسول الله ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (رواه ابن ماجه).

وتابع: «على المؤسسات أن تكفل حق العامل في التعبير عن رأيه، واتخاذ قرار تجاه عمله، والتفكير والإبداع، كما تكفل حق الكفاية عند العجز أو البطالة، وتكفل المنشأة للعامل الرعاية الإنسانية والاجتماعية والصحية».

وحذر شحاتة من الاعتماد على الاستهلاك وترك الإنتاج والعمل، قال رسول الله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه» (رواه البخاري عن الزبير بن العوام).

وأشار إلى أن هناك (٧) أسس للعلاقة الطيبة التي تحكم سلوكيات العمال وأصحاب الأعمال في المنهج الإسلامي، وهي أساس الإنسانية؛ بأن كلا من العامل وصاحب العمل من خلق الله الذين كرمهم، وأساس الإخوة في الله، فالعامل أخو صاحب العمل، فلا عمل ناجحا من دون تعاون خالص بين العامل وصاحب العمل، وأساس الحب والولاء والانتماء، وهذا يعتبر الحافز والدافع على الإبداع والابتكار، وأساس العدل في توزيع عوائد الإنتاج في إطار القاعدة الشرعية «لا ضرر ولا ضرار»، وكذا أساس احترام النظم واللوائح التي تحقق البيئة المناسبة للعمل، وأساس الشورى في اتخاذ القرارات ذات العلاقة بالعمل.

د. آندي حجازي
أكاديمية أردنية

الإنتاج سفير الدول المتقدمة إلى العالم

من ينظر إلى واقعنا العربي الحالي ويقارنه بواقع الغرب يجد الفرق الكبير في التطور والتكنولوجيا والإنتاج، ويجد أن الكثير من الدول في الشرق والغرب في العالم اليوم قد سبقتنا، حتى أننا بتنا في مصاف الدول المتأخرة! وأصبحنا نعيش عالة على نواتج الدول المتقدمة، ننتظر بشغف لما ينتجون ويصدرون لنكون أول من يستهلكه! فأصبحت تلك الدول منتجة قوية، وأصبحنا دولا مستهلكة ضعيفة، أصبحت تلك الدول سمتها أنها متقدمة ومبدعة وغنية ومترفة وقوية اقتصاديا، لأنها اعتمدت على إنتاجها وذاتها، وأصبحنا دولا متخلفة عن الركب تعيش على تراث الماضي وعلى واقع الاستهلاك المرير الذي يجعل تلك الدول المتقدمة تتحكم بمصائر شعوبنا العربية.

قد يكون الفرق نتج عن اختلاف الفهم للواقع ولمصادر القوة ولكيفية استغلال موارد الأرض وما تمنحه الطبيعة لنا، وكذلك قد يكون الفرق في العلم ومدى تطبيق العلم النظري على أرض الواقع العملي؛ فما نتعلمه في المدارس والجامعات هل هو من أجل الإبداع والابتكار والانتاج أم من أجل الحفظ الأصم والتفريغ على أوراق الامتحانات؟! وقد يكون الفرق في مدى إخلاص أبنائهم وتفانيهم في العمل والإنتاج، وهذا ما فهمته الدول الأجنبية، فساهم في تطوير اقتصادها، فالعمل لديهم ليس فقط من أجل سد رمق العيش، ولكن هو شغف وعشق ورغبة في تطوير بلادهم وجعلها في المقدمة دوما.

فالإنتاج يتطلب توظيف العقول المنتجة والتي تريد الإنتاج والسعي في الأرض، لموارد الطبيعة كالمياه والمعادن أو الطاقة الشمسية، مع ما يتوفر من مصادر مادية ومالية وغيرها من أجل الابتكار والإنتاج لسلع جديدة ونواتج تحتاجها الأمة، وبشكل متقن منافس في السوق العالمية.

تساؤلات على الطريق

والتساؤلات التي تطرح نفسها هنا: ما الذي ينقصنا –نحن العرب– اليوم لكي ننتج ونبدع؟ هل تنقصنا الموارد المادية في دولنا العربية؟ أم هل تنقصنا الموارد الطبيعية؟ أم العقول المفكرة؟ أم الدافعية والرغبة للإنتاج والتقدم؟ أم جميع تلك العناصر أم بعضها؟

قد لا ينقصنا شيء من هذه سوى الطاقة والدافعية للعمل والرغبة في الانتاج والتطوير وتوفير المستلزمات؛ مع الاعتقاد الجازم بأننا أمة مؤهلة، قادرة على الإنتاج والعمل بإخلاص وتفان، وتخصيص جزء كبير من وقتها للعمل الجاد المبدع كما يفعل الأجنبي اليوم، فيخترع وينتج، ففي كيان الإنسان قوى حركية وفنية وعقلية ضخمة بإمكانها أن تتفاعل مع عناصر الطبيعة، فتوفر الإنتاج للمجتمع، فتقلص من الفقر والجوع والحرمان لمن يعيشون على هذه الأرض، إن توافرت الإرادة والإخلاص والحب للأمة.

الفهم الغربي للإنتاج

وهذا ما فهمه الغرب والدول المتقدمة تكنولوجيا اليوم، حيث

أدركت أن عليها ما يلي من أجل تحسين الإنتاج:

أولا- الاهتمام بالإنسان وما يفيده ويحسن من أسلوب معيشته.

ثانيا- استغلال مواردها وما حباها الله من عقول وموارد طبيعية متوفرة لديها.

ثالثا- الاستثمار في عقول أبنائها وتعليمهم بأفضل طرق التعليم الحديثة وتوفير البرامج والحاجيات اللازمة للتعليم المتطور المنتج، ما أدى إلى تطوير التعليم لديهم.

رابعا- توفير مخصصات مالية كافية من ميزانيات تلك الدول، من أجل دعم الإنتاج المحلي وتسويقه، وتوفير الموارد الخام اللازمة.

خامسا- خلق بيئة محفزة داعمة للإنتاج والإبداع، وتقليل الضرائب أو الرسوم على الصناعات والإنتاجات المحلية ما يزيد من إنتاجها، ودعم المشغلين لتلك المشاريع.

سادسا- الاتقان لمنتجاتها، لأنها سفيرها إلى الأمم الأخرى.

دول حديثة نهضت من كبوتها فأبدعت

دولة ماليزيا

حصلت ماليزيا علي استقلالها في (٣١) اغسطس عام (١٩٥٧م).

وخلال أواخر القرن العشرين، وفي الثمانينيات بداية، شهدت ماليزيا طفرة اقتصادية، وخضعت لتطور سريع هائل بقرارات اتخذتها بنفسها، خاصة مع وقوعها على مضيق ملقا، وهو طريق بحري مهم في الملاحة الدولية، فالتجارة الدولية أضحت جزءا أساسيا من اقتصادها، وتشكل الصناعة أحد القطاعات الرئيسية في اقتصاد البلاد، وانضمت ماليزيا إلى مجموعة الدول الثماني الإسلامية النامية.

وتمتلك ماليزيا تنوعا حيويا من النباتات والحيوانات، حيث تعتبر من بين الدول السبع عشرة الأكثر تنوعا في العالم، فاعتمدت في تطورها على السياحة وجذب السياح لجمال طبيعتها، واعتمدت كذلك على الصناعة والتجارة والتصدير لمنتجاتها، حيث تمتلك ماليزيا موارد طبيعية في مجالات الزراعة والغابات والمعادن.

فمن الجانب الزراعي، أصبحت ماليزيا واحدة من كبار مصدري المطاط الطبيعي وزيت النخيل، والصناعات من الأخشاب كالأثاث والكاكاو والفلفل والأناناس، وقد كان المطاط الدعامة الأساسية للاقتصاد الماليزي، قبل أن يستبدل بزيت النخيل، ويعد القصدير والبترول الموردين المعدنيين الرئيسيين ذوي الأهمية الاقتصادية في الاقتصاد الماليزي.

واهتمت ماليزيا بالتعليم العام والعالي والتقني، فأصبحت من بين الدول المتقدمة في العلوم والتكنولوجيا، بوجود العديد من الجامعات ومعاهد البحوث التي أصبحت تستقطب الطلاب من أغلب دول العالم لتقدم التعليم لهم، فلديها بنية تحتية متقدمة في الأبحاث الطبية والإسعاف وقدرات الهندسة البيولوجية، فتشكل كل من التقنية الحيوية والطب الحيوي والأبحاث السريرية أكثر من نصف المنشورات العلمية في البلاد، واستخدم القطاع الصناعي هذه المعرفة الواسعة لتطوير العقاقير والمعدات الطبية والمعالجات الدوائية، والتي أصبحت تنتجها وتصدرها للعالم.

دولة إندونسيا

بعد ثلاثة قرون ونصف من الاستعمار حصلت إندونيسيا على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية، وقد كان تاريخ إندونيسيا مضطربا بسبب التحديات التي تفرضها الكوارث الطبيعية والفساد والحركات الانفصالية وعملية التحول الديمقراطي وفترات من التغير الاقتصادي السريع.

وبعد مزيد من الإصلاحات في أواخر الثمانيات، تدفقت الاستثمارات الأجنبية إلى إندونيسيا، لا سيما في قطاع الصناعات التحويلية المخصصة للتصدير التي شهدت نموا سريعا، وللفترة من عام (١٩٨٩م) إلى عام (١٩٩٧م) والاقتصاد الإندونيسي نمى بمعدل يزيد على (٧٪).

وفي عام (٢٠٠٥م) حصلت إندونيسيا على فائض تجاري من عائدات التصدير إلى الولايات المتحدة (٨٣،٦٤٠) مليار دولار أمريكي، بينما أنفقت على الواردات من الولايات المتحدة (٦٢،٠٢٠) مليار دولار أمريكي.

وفي عام (٢٠١١م) نمى الناتج المحلي الإجمالي بنسبة (٦,٥٪) وهو أسرع وتيرة له منذ الأزمة المالية الآسيوية، وأثبتت إندونيسيا نفسها باعتبارها واحدة من الاقتصادات الآسيوية الأسرع نموا، وأصبحت إندونيسيا عضوا في مجموعة العشرين للاقتصادات الرئيسية.

والاقتصاد الإندونيسي اليوم هو الثامن العشر عالميا من حيث الناتج المحلي الإجمالي الاسمي، والخامس عشر من حيث القوة الشرائية.

وبالرغم من أن إندونيسيا أكبر دولة اسلامية من حيث عدد السكان، حيث يبلغ عدد سكان إندونيسيا ما يقارب (٢٥٠) مليون نسمة، ويوجد بها نحو (٣٠٠) اثنية عرقية في إندونيسيا، و(٧٤٢) لغة ولهجة مختلفة، إلا أنها استطاعت توحيد البلاد بلغة واحدة هي اللغة الإندونيسية، وهي إحدى لغات الملايو، والتي أصبحت اللغة الرسمية في البلاد، وتدرس بشكل واسع في المدارس، ولغة رجال الأعمال والإعلام.

وتمتلك إندونيسيا موارد طبيعية هائلة من نباتات وحيوانات وطبيعة خلابة استفادت منها في تسويق السياحة إليها وفي الصناعة والزراعة، وتشمل مواردها الطبيعية كذلك النفط الخام والغاز الطبيعي والقصدير والنحاس والذهب والغابات، وصادراتها الرئيسية تشمل النفط والغاز والأدوات الكهربائية والخشب الرقائقي والمطاط والمنسوجات والملابس والأحذية، والتي جميعها من تصنيعها وإنتاج أبنائها لرفد السوق العالمية بها.

أخذ العبرة

قد يكون الهدف من الاستعراض السريع لما سبق هو أخذ العبرة والأمل، فكيف لدول قد دمرتها التفرقة والاستعمار، وأنهكتها الحروب والكوارث والتشتت، أن عادت من جديد لتنمو وتزدهر وتستغل مواردها في الاقتصاد والإنتاج، لتصبح في مقدمات الدول المتقدمة والمنتجة والمصنعة والمصدرة للعالم!

فما أرنو إليه هو أن الأمل مازال موجودا في دولنا العربية، وخاصة ذات الحضارة والتاريخ العريق الموغل في القدم والتطور البشري والحضارات العريقة كمصر وسوريا والعراق وفلسطين وكل الدول العربية، في أن تعود لتنهض من جديد من كبوتها وتعيد بناء ذاتها وأمجادها، وتركز على عقول أبنائها وتعليمهم خير تعليم؛ فالعلم هو أساس نهضة الشعوب وتطور إنتاجاتها وابتكاراتها، ثم العمل على استغلال مواردها في الإنتاج والتصنيع وإتقان الصناعات وتصديرها لكل العالم، حتى يضرب المثل في قمتها وجودة إنتاجها كما كانت في الماضي.

وهذا اليوم ليس ببعيد، فالله تعالى قادر على تغيير الحال لأفضل منه، خاصة إن امتلكنا الإرادة والإخلاص والتصميم، وعقدنا العزم على التوحد واستقطاب العقول قبل هجرتها، ووضع الخطط لتحسين التعليم ونقل المعارف الغربية لبلادنا، وخططا للإنتاج والتصنيع والتسويق وتوفير الموارد المالية والمصانع، والعمل بجد وإخلاص وتفان من أجل امتنا، فهي تستحق منا ذلك الجهد حتى نعود كما كان الأوائل العظماء من المسلمين.

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة
الفقهية بالكويت

فقـــه الإتقـــان

الإتقان شعار من شعارات الأمة وشعائرها، وهو صمام الأمان لقيامها وديمومتها، فالأمة التي لا تتقن أعمالها لا حضارة لها ولا مكانة، والأمة التي لا تتقن دينها هي أمة ضائعة خاسرة، ولذا كان الإتقان سببا من أسباب أمان وسؤدد هذه الأمة.

بل إن الله تعالى جعل الإتقان سببا في بقاء الحضارات ولو كان أهلها كافرين؛ إذ إنهم بإتقانهم أعمالهم قد عرفوا سنة الله تعالى الجارية في خلقه؛ فاستحقوا القوة والغلبة والبقاء على المؤمنين إن لم يتقنوا دينهم ودنياهم.

والإتقان كما في تاج العروس(٣٤/٣١٦): أتقن الأمر إتقانا: أحكمه. وهو في الاصطلاح: معرفة الأدلة وضبط القواعد الكلية بجزئياتها. وقيل: هو عمل يتعلق بالمهارات التي يكتسبها الإنسان من مفاهيم، تؤثر على الإنتاج في المستقبل، بمعايير أداء عالية للغاية.

وجوهر الإتقان: إتيان العمل على أكمل الوجه وأتمه.

ومن شروط الإتقان: أن يكون الإنسان خبيرا بما يعمل، عالما بخبايا صنعته، ملما بأصولها وفروعها.

ومن شرف الإتقان أن الله تعالى نسبه إلى ذاته العلية، فقال سبحانه: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)، علل إتقانه – سبحانه– بقدرته المطلقة، وعلمه الذي أحاط بكل شيء، ومن تأمل خلق الله بكل ما فيه أبصر الإتقان لأول وهلة، سواء ما تعلق بخلق الجماد أو الحيوان أو الإنسان أو الحشرات أو السموات أو الأرض أو أي شيء مما خلق، فالإتقان علامة بارزة وبصمة ظاهرة في كل ما خلق الله تعالى، ليعلمنا الله تعالى الإتقان في أعمالنا، الدينية والدنيوية؛ لأن الإتقان شعار الأمة.

والأمر كما قال الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار(١١/١٩٨): «إننا نؤمن بأن الله تعالى هو خالق كل شيء بقدرته وإرادته واختياره وحكمته، وأنه أحسن كل شيء خلقه، وأنه ليس في خلقه تفاوت

ولا فطور، وأنه خلقه بنظام وتقدير لا جزافا ولا أنفا، كما قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩)، وقال أيضًا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (الفرقان: ٢)، وقال أيضًا: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (الحجر: ١٩)، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١)، وأن له تعالى في نظام التكوين والإبداع، وفيما هدى إليه البشر من نظام الاجتماع سننا مطردة تتصل فيها الأسباب بالمسببات، ولا تتبدل ولا تتحول محاباة لأحد من الناس، وأنها عامة في عالم الأجسام وعالم الأرواح».

ومن شرف الإتقان أن سمي العلم الذي يعتني بكتاب الله تعالى «علم التجويد»، وسمي بهذا الاسم لما فيه من الإتقان في القراءة، من حيث إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف، كما ذكر السيوطي في كتابه الإتقان.

ولهذا كان واجبا على المسلم إذا فعل شيئا أن يتقنه غاية الإتقان، وأن يحكم صنعته بالوصف الذي يجلب عليه الشكر والثناء، ولذا، فقد وصف الله تعالى بأنه: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (السجدة: ٧)، وفي الحديث عند أبي يعلى عن النبي أنه قال: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».

ولهذا كان النبي ﷺ المثل الأعلى في الإتقان، فقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت حكاية عن النبي ﷺ: «كان إذا عمل أثبته»، أي أحكمه وفعله على الوجه اللائق، وجعله دائما مستمرا.

ومن لوازم الإتقان أن يتعلم الإنسان الصنعة على وجه يمكنه منها، وأن يتدرب عليها كثيرا، وأن يديم ممارستها، فإن من تعلم أصول الصنعة، وتدرب عليها أثناء التعلم، ثم أكثر من الممارسة فقد تحصل الإتقان في عمله وصنعته.

والإتقان بالمعنى الفقهي: هو حصول الأمر بشروطه وأركانه وانتفاء موانعه، فهو قريب من معنى الصحة، وإن كان الإتقان أعلى درجة من الصحة، وقد نص الفقهاء على بعض الأحكام الفقهية التي يجب فيها الإتقان، ومن أمثلة الإتقان في الفقه ما يلي:

المسألة الأولى: الإتقان في قراءة القرآن.

الإتقان في قراءة القرآن واجب من حيث الجملة، وإن اختلف الفقهاء في مواطن الإتقان والتجويد فيه، فذهب بعض الفقهاء إلى أن الإتقان واجب على قارئ القرآن فيما هو مفروض فقط، كالصلوات المفروضة ونحوها، فيجود اللفظ ويقوم الحرف.

وذهب فقهاء آخرون إلى أن الإتقان في تلاوة القرآن يشمل كل موضع قرئ فيه القرآن؛ لأنه لا يجوز الترخص في ذلك؛ لما قد يكون فيه من التغيير في نطق القرآن وإدخال اللحن عليه، ويحرم اللحن إلا عند الضرورة، وقد جاء في القرآن: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر: ٢٨).

المسألة الثانية: الإسباغ في الطهارة.

وهو -كما عند الشافعية في (حاشية الجمل على المنهج ١/٣٥): كمال تمام الوضوء وأن يوفيه المتوضئ حقه، بحيث يأتيه على الوجه المطلوب منه شرعا.

والإسباغ قد يكون واجبا إن أريد به تعميم أعضاء الجسد الواجب غسلها بالماء، وقد يكون مستحبا إن قصد به الزيادة على القدر الواجب، وذلك لحديث البخاري: «أسبغوا الوضوء»، وللحديث في صحيح مسلم: «إسباغ الوضوء على المكاره».

المسألة الثالثة: عمل القاضي بالتقليد دون الاجتهاد.

الأصل أن القاضي يجب أن يكون من أهل الاجتهاد في الفقه والأحكام، لكن إن لم يكن القاضي مجتهدا، ولكنه يحفظ أقوال المذاهب الفقهية في المسألة على وجه الإتقان والجودة؛ جاز له أن يتخير منها ما يراه الأصلح والأنفع.

وإن وجوب الإتقان في الصنائع مما هو ضروري، لكنه في القضاء أشد ضرورة؛ لما يتعلق به من حفظ النفوس وأموال الناس وأعراضهم، وقيام حياتهم ومعاشهم عليه، وفصل النزاعات بينهم، فكم من حق يضيع بسبب غياب إتقان القاضي صنعته، خاصة وقد قلت شروط تولي القضاء كما كان في السابق.

المسألة الرابعة: تضمين الصناع.

إذا فرط العامل في عمله وكان متسببا، ولم يتقن عمله على الوجه المطلوب، كان ضامنا لما أتلف بسبب عدم إتقانه صنعته.

وإن كان الأولى هنا أن يبرئ صاحب الحاجة الصانع؛ لأن الضمان حق، والإبراء من الحق إحسان، والإحسان مقدم على الحق.

المسألة الخامسة: تنفيذ القصاص من ولي القتيل.

أجاز الفقهاء إذا قتل شخص آخر عمدا، وحكم القاضي بقتل القاتل

العمد، فلولي القتيل أن يباشر بنفسه قتل القاتل، بشرط أن يتقن تنفيذ القصاص، فإن لم يكن يتقن تنفيذ القصاص فلا يحل له أن يباشر القصاص، ويشترط مع الإتقان إذن الحاكم، فإن قتل القاتل دون إذن الحاكم فقد افتات على حقه، وله أن يعزره بما يراه رادعا له ولأمثاله من الاعتداء على حقه، دون أن يصل إلى مقدار الحد والقصاص.

المسألة السادسة: وجوب إتقان العمل الوظيفي.

ومما يتوجب على المسلم فعله أن يكون متقنا لعمله الذي يتكسب منه؛ لأن ذلك متعلق بمصالح المسلمين، وأن العامل يأخذ أجرة على عمله، فوجب عليه أن يتقن ما فيه مصلحة المسلمين وحتى يكون تكسبه مما يأخذ من الأجر حلالا، وفي الحديث الصحيح عند البيهقي أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن»، ومن حديث عائشة رضي الله عنها عند أبي يعلى قول النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

فمن أنقص عمله ولم يتقنه؛ جاز إنقاص الأجرة منه بقدر ما أنقص هو من عمله، ولهذا كان من الواجب الشرعي أن لا يتولى أحد وظيفة إلا إذا متقنا لها، عالما بأصولها، ممارسا لمهاراتها، وقد وضع الله تعالى في القرآن معيارين لاختيار الوظائف، هما: الإتقان والأمانة، فقال: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ (القصص: ٢٦).

ثمرات الإتقان

وحين تعتبر الشريعة الإسلامية الإتقان واجبا على أفراد الأمة والمجتمع، فهي ترمي بذلك إلى تحقيق غايات سامية، وأهداف عالية، ومقاصد عظمى، ومن ذلك:

أولا- تحقق القوة للأمة: ولهذا كان الأخذ بأسباب القوة من الفروض الواجبة على الأمة، سواء كانت قوة الإيمان والعقيدة، أو قوة السلاح والعتاد، أو قوة الإنتاج والتصنيع، أو قوة التفكير والتخطيط، أيا كان مجال القوة، فمنها القوة العلمية، والقوة السياسية، والقوة الاقتصادية، أو القوة الاجتماعية، ولهذا جاء الخطاب الرباني للأمة بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠)، وقد نكرت كلمة «قوة» لتفيد العموم والشمول، ولا تتوقف على مجال بعينه، بل تشمل جميع مجالات الدين والحياة.

ثانيا- التفوق والسبق: فالإتقان عند أصحابه -أفرادا وشعوبا وأمما- يكسبهم التفوق على غيرهم والسبق والإفراد، فمن أتقن فقد سبق، ومن قصر فقد أبطأ، ونحن نرى في دنيا الناس ذلك مشاهدا، فأصحاب الصنائع والمهن الذين يتقنون أعمالهم يسبقون غيرهم، ويتسارعون الناس إليهم، بخلاف من لا يتقن عمله؛ فهو غير مرغوب فيه، مهروب منه، ولهذا جاء وصف طلب السعي في الأرض بالمشي؛ لأن من لوازم المشي التؤدة وعدم الإسراع؛ مما يتولد عنه الإتقان في العمل والصنائع، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ (الملك: ١٥).

ثالثا- علو الرفعة والمكانة: فالذين يتقنون أعمالهم غالبا ما يكونوا أرفع مكانة من غيرهم، وأكثر حظا منهم، إذ الإتقان يرفع أهله إلى المكانة العالية المرقومة، والمتقن مطلوب دائما أكثر من غيره عند الناس، فيقدمونه في المناصب ويبجلونه في المحافل، ويولونه على أعمالهم؛ إدراكا منهم لما يؤول حالهم مع قيادة المتقنين.

رابعا- الإتقان حفظ وحماية: فالمسلم الذي يتقن أفعاله على الوجه المطلوب هو محبوب من الله، محبوب من الناس، ففي إتقان الأعمال والصنائع حماية للنفوس من الهلاك، فالطبيب الذي يتقن عمله؛ يحفظ الله تعالى بإتقانه حياة الناس، والمهندس الذي يتقن عمله في البناء؛ يحفظ الله تعالى به الناس من الهلاك، وغير ذلك من الوظائف.

كما أن في الإتقان حفظ المال، فكل موظف يؤدي عمله على الوجه المتقن يحفظ بذلك المال المؤتمن عليه، سواء كان ماله أو مال غيره، فقد يكون في ترك الإتقان ضياعا لأموال طائلة.

خامسا- احترام الناس: فالذين يتقنون أعمالهم يكتسبون احترام الناس لهم، وينظر إليهم بكل تقدير وتبجيل، وما جعل الناس ينزلونهم تلك المنزلة إلا لإتقانهم أعمالهم وصنائعهم، بينما الذين يقصرون في أعمالهم، لا يكسبون ود الناس ولا احترامهم،

وقد قيل: إن الناس لا ينظرون في كم أنجزت العمل، وإنما ينظرون كيف أنجزت العمل.

إن الإتقان سلم للوصول، وطريق للإصلاح، وبوابة للنهوض، وحفظ للأنفس والأموال والأعراض، ووقاية من التخلف، فبه فاز الفائزون، وبتركه خاب المتقاعسون، فليكن الإتقان سلاحك الذي تحمي به عرينك، وتصل به إلى مبتغاك، وتنال به مرضاة مولاك، وأدخل نفسك في زمرة المتقنين، وكمال الأمر ما قاله ربنا سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٥).

السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

عمارة الأرض.. ماذا ينقصها؟

يخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى خلق الإنسان لغاية واحدة، هي عبادته سبحانه، وحده لا شريك له، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

وليس صحيحا ما يتصوره البعض من أن العبادة مقصورة على بضع كلمات يتمتم بها صباحا ومساء، أو بضع ركعات يؤديها على مدار اليوم والليلة، أو أن العبادة هي الصلاة والصيام والزكاة والحج فحسب، فيما يعرف بأركان الإسلام وشعائره التعبدية؛ فهذه العبادات -على أهميتها- ليست إلا الأركان والعمد الأساسية التي يقوم عليها بناء الإسلام الضخم، المتشعب؛ أصولا وفروعا، كليات وجزئيات، أركانا وفضائل.

عبادة وعمارة

فالعبادة، كما شاع في تعريف الإمام ابن تيمية لها، اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ من الأقوال والأعمال، الباطنة والظاهرة. ووظيفة المسلم في الحياة، طبقا لهذا التعريف، تشمل أداء الفرائض وإقامة الشعائر، كما تشمل عمارة الأرض وحسن القيام على ما أودع الله فيها من ثروات وخيرات، ومن نبات وجماد وحيوان مسخر ومذلل للإنسان.

وقد أوضح القرآن الكريم هذا المعنى على لسان نبي الله صالح، حين قال لقومه ثمود: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١).

وفي كتابه المهم «مشكلات في طريق الحياة الإسلامية» حرص الشيخ محمد الغزالي على تجلية هذا المعنى الشامل لمفهوم العبادة، وعلى إزالة ما لحق به من غبش، فقال: «عندما ننظر إلى العبادات نجد أداءها في اليوم والليلة لا يستغرق نصف ساعة، ونجد تعاليمها تستغرق صفحة أو صفحتين، ويبقى الزمان بعد ذلك واسعا، والمجال رحبا لفهم الحياة واكتشاف طاقاتها، وتسخيرها كلا وجزءا لخدمة الدين. وكل جهد يبذل في ذلك يسمى شرعا: عملا صالحا، وجهادا مبرورا، وضميمة إلى الإيمان تؤهل المرء لرضوان الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (الأنبياء:٩٤)» (١).

وتصحيحا للتصورات الخاطئة التي تظن «العبادة» محصورة داخل جدران المسجد، ينبهنا الشيخ الغزالي قائلا: «من المستحيل إقامة مجتمع ناجح الرسالة إذا كان أصحابه جهالا بالدنيا، عجزة في الحياة. والصالحات المطلوبة

تصنعها فأس الفلاح، وإبرة الخياط، وقلم الكاتب، ومشرط الطبيب، وقارورة الصيدلي؛ ويصنعها الغواص في بحره، والطيار في جوه، والباحث في معمله، والمحاسب في دفتره؛ يصنعها المسلم صاحب الرسالة وهو يباشر كل شيء، ويجعل منه أداة لنصرة ربه وإعلاء كلمته. وإنه لفشل دفعنا ثمنه باهظا عندما خبنا في ميادين الحياة، وحسبنا أن مثوبة الله في كلمات تقال ومظاهر تقام» (٢).

وهكذا يتسع مفهوم «العبادة» ليشمل كل نشاطات الإنسان في الحياة؛ من قيام في المحراب، أو قيام في المصنع أو المتجر أو المعمل!

الحديد في القرآن

بعد أن قرر القرآن الكريم أن «استعمار الأرض» وتنميتها والتفاعل مع السنن والقوانين الكونية المبثوثة فيها، مطلب إسلامي، وإحدى غايات الخلق الإنساني؛ لفت في كثير من آياته وقصصه -كما في قصة ذي القرنين- إلى الأدوات التي يستعين بها المسلم في عمارة الأرض، وعلى رأسها مادة «الحديد»، والذي سميت باسمه إحدى سور القرآن، هي «سورة الحديد».

بل كان لافتا أن يمتن الله سبحانه على خلقه بأنه أرسل إليهم الرسل، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوموا بالعدل، كما أنزل الحديد ليستفيدوا منه في معاشهم ويدافعوا به عن أنفسهم؛ فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد:٢٥). وقد أشار المفسرون إلى أن الحديد خص بالذكر؛ لأن فيه «مصالحهم؛ ومعايشهم؛ وصنائعهم؛ فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها؛ أو ما يعمل بالحديد» (٣).

وفي مقال مستفيض لبعض الباحثين في مجال الإعجاز يوضح أن تعبير القرآن للفظ «الإنزال» عن الكتاب وعن الحديد، هو حقيقي، ليس مجازيا؛ فكما أنزل الكتاب من السماء إلى الأرض، كذلك الحديد. وبين أن هذا المعنى حقيقة علمية لم يتوصل إليها العلماء إلا في العقود المتأخرة، حين وجدوا أن الحديد الموجود في الأرض، والذي يشكل ٣٥،٩٪ من كتلتها، لابد وأنه قد تكون في داخل عدد من النجوم المستعرة، مثل العماليق الحمر، والعماليق العظام، والتي انفجرت على هيئة المستعرات العظام، فتناثرت أشلاؤها في صفحة الكون ونزلت إلى الأرض على هيئة وابل من النيازك الحديدية؛ وبذلك أصبح من الثابت علميا أن حديد الأرض قد أنزل إليها من السماء، وأن الحديد في مجموعتنا الشمسية كلها قد أنزل كذلك إليها من السماء؛ وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى فهمها إلا في أواخر الخمسينيات، من القرن العشرين، وقد جاء ذكرها في «سورة الحديد» (٤).

فأي دلالة أعظم على ضرورة الاستفادة من ثروات الأرض وخيراتها، نباتات ومعادن، من أن القرآن الكريم يسمي إحدى سوره بعنصر هو من أهم عناصر المعادن، ويدخل في الصناعات الخفيفة والثقيلة، وله فوائده في السلم والحرب، إضافة إلى كونه منزلا من السماء!

من تجربتنا الحضارية

حينما شرف الله سبحانه العرب بأن جعل فيهم مبتدأ ختام رسالاته، ومنهجه الذي ارتضاه للعالمين إلى قيام الساعة؛ فإنهم لم يكونوا أصحاب تجربة حضارية، ولم يعرف لهم تاريخ في الصناعة أو الزراعة؛ اللهم إلا بعض الأمور البدائية التي تتناسب مع بساطتهم في المعيشة. لكن العرب انطلقوا بالإسلام، وبما فيه من قيم تحث على العلم وتجعله فريضة، ومن مفاهيم قرآنية عن تسخير وتذليل ما في السموات والأرض للإنسان.. انطلقوا يجوبون الأرض، وينقبون عن السنن والقوانين المخبوءة، ويبحثون عن الحكمة أينما وجدت، ويستفيدون من تجارب السابقين وخبراتهم، فيما هو محل لتناقل الخبرات والمعارف.. حتى استوعبوا علوم الحضارات السابقة، ونقحوها وغربلوها، وأضافوا إليها؛ ونقلوها من طور النظريات والمشاهدات والتخمينات إلى طور الحقائق المؤكدة بالتجربة والاختبار، بعد الحذف والإضافة.

فامتازت حضارة العرب في إسبانيا، على سبيل المثال -كما يرصد «غوستاف لوبون» في شهادة منصفة- بميل العرب الشديد إلى الفنون والآداب والعلوم على الخصوص، وأنشأوا في كل ناحية مدارس ومكتبات ومختبرات، وترجموا كتب اليونان، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيماوية والطبية بنجاح.. ولم يكن نشاطهم في الصناعة والتجارة أقل من ذلك؛ فكانوا يصدرون منتجات المناجم ومعامل الأسلحة ومصانع النسائج والجلود والسكر إلى إفريقية والشرق، بواسطة تجار من اليهود والبربر. وبرع العرب في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات..وأدخلوا إلى حقول الأندلس الخصبة زراعة قصب السكر والتوت والأرز والقطن والموز.. وأصبحت إسبانيا جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية الفنية. ووجه العرب نشاطهم إلى كل فرع من فروع العلوم والصناعة والفنون (٥).

لم يكن أمام المسلمين سبيل آخر، غير هذا الجهد العلمي الشاق؛ الذي أضاف للإنسانية الكثير، وأسس للمسلمين حضارة زاهرة؛ لأن الأمة التي تحمل الرسالة الخاتمة للبشرية لا يحسن بها إلا أن تكون نموذجا علميا ناجحا مبدعا في الحياة، كما هي نموذج فريد في عالم القيم والأفكار.. وذلك لسببين:

الأول: حتى تقيم من نفسها نموذجا على أن دينها لا يخاصم الحياة ولا يزدريها

(كما يتهم الإسلام الآن!)، بل هو يتفاعل معها ويفعلها لخدمة المنهج الإلهي؛ في إقامة العدل، وإحقاق الحق، ونصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم؛ ولا يمكن تحقيق ذلك ويدها ليست العليا في مجالات الحياة!

الثاني: حتى تدافع عن نفسها ضد من يتربصون بالحق وأهله، الذين في مصلحتهم أن يغيب العدل وينتشر الظلم، وتنعدم المساواة وتترسخ الفوقية والطبقية؛ فإذا كان التدافع بين الحق والباطل سنة قائمة باقية، فإن الحق لن يستطيع أن يدفع عن نفسه ويدُه مغلولة بالفقر والجهل والمرض، وأهله يتسولون الفتات والدواء من موائد الآخرين ومصانعهم!

ماذا ينقصنا؟

أمام هذا الواقع الذي نعيشه، والذي يخبرنا بأن أمة الإسلام لم يعد لها مكان في عالم الإبداع والإنتاج، وأن جامعاتها خارج نطاق المنافسة، ولم يحصل العالم العربي على أي مكان في الترتيب بين أول مائتي جامعة على مستوى العالم، حسب التقرير الذي أصدرته مؤسسة «تايمز»، المتخصصة في شؤون الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، لعام ٢٠١٦/ ٢٠١٧م، وهو أحد أهم التقارير الدولية التي تقيم جودة التعليم في الجامعات (٦).

أمام هذا الواقع المرير لابد أن نتساءل: ما الذي ينقصنا؟ خاصة أن العالم الإسلامي -على العكس من موقعه في قوائم الإبداع والإنتاج- يحصد المراكز الأولى في امتلاك الثروات الطبيعية والمعدنية، وفي تمتعه بالأنهار والمحيطات والأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، وفي حيازة الأيدي العاملة، وتوافر أعداد كبيرة من الشباب بين سكانه.

إذن، لابد أن نبحث بعمق عن: ماذا ينقصنا لكي نزيل الفجوة الحاصلة بين الإمكانات المادية الهائلة، والمواقع المتأخرة التي نحصدها في عالم الإبداع والإنتاج؟!

وأتصور أن العلاج يأتي -أولا- من تصحيح التصور الخاطئ لمفاهيم الزهد والتوكل والتعفف؛ لندرك أن الدنيا إذا كانت محلا لإقامة الدين، ومزرعة للآخرة؛ فلا يمكن الانعزال عنها. وأن حديث النبي ﷺ، الذي رواه أحمد وغيره عن أنس: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها»، ينبغي أن يكون دستور المسلم في حياته العملية. وأن قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧)، هو قانون يكفل له علاقة متوازنة بين حاجات الروح ومتطلبات الجسد، من غير أن تجور إحداهما على الأخرى.

كما علينا -ثانيا- أن نطور من مناهج وأساليب التعليم، بحيث نربط المادة النظرية بالتطبيق العملي، ونجعل التعليم يواكب حاجات سوق العمل، حتى لا يحدث انفصال بينهما؛ فلقد «أصبحت ضرورة ارتباط المنظومة التعليمية بالمنظومة التنموية أمرا بالغ الأهمية؛ وهو نقطة الانطلاق في أي عملية للإصلاح» (٧).

ومن ناحية ثالثة، ينبغي العمل على تحقيق التكامل بين الدول الإسلامية فيما يتصل بالثروات الطبيعية، وتبادل الخبرات البشرية.

ورابعا، يجب العمل على توطين التكنولوجيا في بلادنا، وأن ننتقل من مرحلة الاستيراد والتكديس لمنتجات الحضارة إلى مرحلة البناء والإنتاج؛ فكما يقول مالك بن نبي: «البناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس؛ ولنا في أمم معاصرة أسوة حسنة. إن علينا أن ندرك بأن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة» (٨).

ومن الصعب أن يتم ذلك دون أن نتحلى بالاستقلال الحضاري، والرغبة الجادة! ودون أن نجمع شتات العقول والمبدعين العرب والمسلمين، ونوفر لهم عوامل التفرغ والنجاح والإنتاج.

الهوامش

١- «مشكلات في طريق الحياة الإسلامية»، الغزالي، ص٢٤، كتاب الأمة، ط٣، ١٤٠٢هـ، قطر.

٢- المصدر نفسه، ٢٤، ٢٥.

٣- تفسير «النسفي»، أبوالبركات عبدالله النسفي، سورة الحديد، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٤- راجع مقالة بعنوان «من أسرار القرآن»، بجريدة «الأهرام»، ٢٢ أكتوبر ٢٠٠١م.

٥- حضارة العرب، غوستاف لوبون، ص٢٨٨، ترجمة عادل زعيتر، نسخة إلكترونية عن مؤسسة هنداوي، بتصرف يسير.

٦- راجع التفاصيل في تقرير بعنوان «العرب خارج ترتيب الجامعات على مستوى العالم»، على موقع «Sputnik عربي»، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠١٦م.

٧- مقدمات جديدة في مشاريع البعث الحضاري، د. سيد دسوقي حسن، ص١١٢، طبعة خاصة بنقابة المهندسين، ١٩٩١م.

٨- تأملات، مالك بن نبي، ١٦٩، دار الفكر، طبعة ٢٠٠٢م.

د. صلاح فضل توفة
أكاديمي مصري

الجودة قيمة إسلامية مفتقدة

منتجات الشعوب هي رسائل تعارف بعضها مع بعض، وعنوان لما بلغته في سلم الرقي والتقدم في مختلف العصور، فدائما ما يرتبط حكم الناس على تقدم شعب من الشعوب أو تخلفه بجودة مخرجاته الإنتاجية وتميزها، وهذه المنتجات لا تتمثل في جانبها المادي المنظور فقط، وإنما لها جانب معنوي يتمثل في الإطار الأيديولوجي والفكري، ومنظومة القيم العامة التي يعتنقها مجتمع من المجتمعات.

فمن علامات الحياة الاجتماعية للإنسان أن تكون لديه مجموعة من القيم التي يتبناها، فلا يوجد إنسان على ظهر البسيطة يعيش من دون أن تكون لديه قيم توجه سلوكه وتضبطه في كل أحواله ومواقف حياته، فأي تنظيم اجتماعي في حاجة شديدة وماسة إلى نسق أو نظام للقيم يشابه تلك الأنساق أو النظم القيمية الموجودة لدى الأفراد فيضمنه أهدافه ومثله العليا التي عليها تقوم حياته ونشاطاته وعلاقاته، فإذا ما تضاربت القيم أو لم تتضح، فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمي الاجتماعي الذي يدفع بالتنظيم الاجتماعي إلى التفكك والانهيار (١).

وقد تناولت العديد من العلوم القيم، كل من منظوره ومن محيط تخصصه، ولكنها لا تخرج في تصنيفها العام عن قسمين هما:

أولا - قيم من وحي السماء أوحى بها الله إلى رسله وأنبيائه.

ثانيا - قيم وضعية من وضع البشر أنفسهم، لاسيما من اشتهر فيهم بالعلم والحكمة من الفلاسفة والمفكرين.

الجودة كقيمة غربية

وفي عالمنا اليوم يتبوأ العالم الغربي موقع الصدارة الحضارية، مكنته في جزء كبير منها صناعته ومنتجاته القائمة على أحدث ما وصل إليه العلم في مختلف المجالات، وقدمها لكل دول العالم على درجة عالية من الجودة والتميز وفق مبادئ ونظريات الجودة الشاملة التي وضعها علماء الغرب ومفكروه في هذا المجال، مثل: إدوارد ديمنيج وجوزيف جوران وفيليب كروسبي وكوروا اشيكاوا ومالكولم بالدريج... وارتضوا أن تكون شروطها ومواصفاتها قوانين حاكمة وموجهة لإدارة وإنتاج كل ما تنتجه مصانعهم ومؤسساتهم وشركاتهم، تستوي في هذا المنتجات المادية أو غير المادية، مثل التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية.

والجودة، كقيمة غربية، هي قيمة وضعية، جاءت كنتاج مركب ومتراكم لثقافة المجتمعات الغربية وعقائدها وخبراتها، وحوادثها التي مرت بها عبر أزمان وعصور متعاقبة لتمثل أداة من أدوات الضبط الاجتماعي الحاكمة والموجهة في مجالات عدة.

نحن أولى بالجودة منهم

في إطار سعي الدول الإسلامية والعربية إلى الأخذ بزمام المبادرة نحو الحضارة والتحديث للخروج من النفق المظلم الذي تقبع فيه، فإنها تحاول اقتفاء آثار الحضارة الأوروبية وتتحسس معالم نهضتها، وترى في ذلك النهج السبيل إلى الخروج من النفق المظلم ووضع أقدامها على أولى درجات السلم الحضاري؛ أملا في تغيير أحوالها واللحاق بركب الدول المتقدمة، وهذا وإن كان سعيا مشكورا وحلما مشروعا، إلا أن الأخذ بمبادئ الحضارة الغربية من دون تمحيص شرعي وفرز اجتماعي، يعتبر نهجا خاطئا يزيد الأمة تخلفا ويوثق عرى التبعية والموالاة للدول الغربية.

وهذه الحالة التي حذرنا منها النبي ﷺ، ففي الحديث عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال فمن» (٢).

فمن بيننا من يقف أمام منظومة الجودة الغربية، مفهوما وتطبيقا، مشدوها معجبا بما حققته من نتائج وآثار في المجتمعات الغربية، فيسعى إلى تطبيقها تبعا للدور الذي يؤديه في المجتمع على الصعيد الرسمي كمسؤول حكومي، أو غير حكومي في القطاع الخاص، فمن الملاحظ أن أقسام الجودة أصبحت القاسم المشترك بين جميع الهيئات والمؤسسات، فلا يخلو أي منها من قسم مختص بالجودة، كما تسعى هذه المؤسسات والهيئات إلى تطبيق نظم الجودة الشاملة ومبادئها، والحصول على شهادة واعتماد الجودة (الأيزو) وفقا لمجال عملها عن طريق المعاهد والمراكز الدولية المختصة بهذا الأمر.

وأمام هذا الوضع نذكر بأن التاريخ الحضاري للمسلمين يثبت بما لا يدع مجالا للشك قدرة الأنموذج الإسلامي بكل مقوماته على بناء منظومة جودة شاملة تطبق في كل مجالات النشاط البشري، مستمدة من مصدري التشريع الإسلامي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والجودة كقيمة، وفقا للتصور الإسلامي، تستمد قوتها وفاعليتها، رسوخا في عقيدة المسلم وسلوكا في قوله وفعله، من كونها أمر إلهي وتربية نبوية ربى عليها النبي ﷺ أصحابه وحض الأمة على الأخذ بها، فهي تحقق المصلحة لأنها قيمة أساسية في حفظ الكليات الخمس (الدين، النفس، العقل، النسل، المال).

والجودة بلفظها لم تأت صراحة في القرآن الكريم، ولكن أتى الكثير من الألفاظ التي تشير إلى معناها ومتعلقاتها، وكذلك الحال في الأحاديث النبوية الشريفة، فالآيات والأحاديث الدالة على معنى الجودة ومتعلقاتها أكثر من أن تحصى، كلها تحث على العمل الصالح المتقن والوصول إلى مستوى الإحسان وامتلاك الحكمة، وتحث على الطيبات، وتنفر من الخبائث، وتدعو إلى تمام الأعمال والوفاء بالأفعال والأقوال والسعي إلى النفع العام والخاص (٣).

ومن الألفاظ التي تشير إلى معنى الجودة وورد ذكرها في آيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية المطهرة هذه الألفاظ: الجودة، الإحسان، الإصلاح، الإتقان، الطيب، الفلاح، النفع، الوفاء، التمام، الكمال، المطابقة، الحذق، الحكمة.

فمما جاء من آيات الذكر الحكيم ويشير إلى معاني الجودة، هذه الآيات:

﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:١٩٥).

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف:٣٠)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة:١٢٠)

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل:٨٨).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سبأ:١٠ و١١).

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن:١٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ (البقرة:٢٦٧).

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ١٠٥).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (المؤمنون:١١٧).

﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الرعد:١٧).

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (الأنعام:١٥٢).

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (البقرة:٢٦٩).

وقد حوت الكثير من أحاديث النبي ﷺ الكثير من المعاني الدالة على الجودة نذكر منها:

عن كليب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن عمله» (٥).

وعندما سأله أبوذر رضي الله عنه عن أفضل الأعمال، جاء في الترتيب الثالث لها: «تعين صانعا أو تصنع لأخرق» (٦).

وقوله ﷺ: «من غشنا فليس منا» (٧).

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا» (٨).

خصائص الجودة وفق التصور الإسلامي

تنبثق خصائص الجودة، وفق التصور الإسلامي، من التصور الكلي للإسلام

ونظرته إلى الكون والإنسان وعلاقته بربه وغاية وجوده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦). ومن الوعد الرباني: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)، حيث يمثل العمل الصالح الإطار العام لممارسات الجودة في المجتمع في جميع المجالات، اقتصادية وعلمية وروحية.. وغيرها؛ ليضمن للإنسان في الدنيا حياة طيبة، وفي الآخرة جزاء جزيلا نتيجة ذلك العمل الصالح.

ومن هذا الأساس نجد أن الجودة كقيمة إسلامية تتصف بعدة خصائص هي:

١- ربانية عقدية: كونها مستمدة من الوحي بقسميه القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢- الرقابة الذاتية: قيام الموظف أو العامل بمحاسبة نفسه بنفسه، مما يجعل أداءه ثابتا، سواء استخدمت المنشأة أدوات رقابية أم لا، قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة:١ و٢).

٣- الاحتساب: في بعض الأحيان يبذل المستخدَم جهودا فوق ما تتطلبها واجباته الاعتيادية، وإذا لم تكافئ الإدارة تلك الجهود فإنه يصاب بالإحباط والسخط، وكثيرا ما يحدث ذلك في ظل نظام إدارة الجودة المعاصرة، إلا أن المستخدمين في ظل الإدارة الإسلامية يرون أن لما يقدمونه من جهود أجرا يتجاوز المكافآت المادية والمعنوية التي تقدمها المنشأة، وذلك فيما ينتظرونه من جزاء أخروي لقاء إخلاصهم أعمالهم لله، يتمثل في زيادة رصيدهم من الحسنات، وإرضاء ربهم ثم أنفسهم ثم إدارتهم بما يقدمون وما يبذلون، ويندبهم ألا يظهروا ذلك لأقرانهم أو لإدارتهم أيضا، خوفا من أن يتسرب إليهم الرياء فيحبط ذلك العمل ويحرم صاحبه الأجر.

٤- التحسين المستمر: الوقت في الإسلام مسؤولية، والمسلم مسؤول عن عمره فيما أفناه، وقد أقسم ربنا بالوقت لبيان عظم قدره وأهميته، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (العصر١-٣). وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» (٩). وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (١٠). فمسؤولية المسلم عن وقته تدفعه دائما إلى توظيفه فيما يعود بالنفع عليه كفرد وعلى المؤسسة التي يعمل بها وعلى الأمة بأسرها، كل في مجال عمله فيجتهد في الابتكار والتطوير والإنجاز.

٥- المسؤولية الجماعية: يعتمد نظام الجودة الإسلامي على أن المنشأة أو المؤسسة مسؤولية الجميع، وأن تقصير أي فرد في عمله سيؤدي إلى قصور في إنتاج المنشأة ككل، وذلك انطلاقا من حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا» (١١).

٦- مشروعية الأهداف والوسائل: أي إن أهداف المؤسسة التي تسعى إلى تحقيقها، ووسائلها في تحقيقها، لابد أن تكون متفقة مع مقاصد الشريعة الإسلامية، ففي النظام الإسلامي للجودة لا يسمح للمنشأة أن تقوم بممارسات تنافسية، تقصد بها الإضرار المادي أو المعنوي بالمنافس، أو الإضرار بالبيئة، ولا يسمح لها أيضا بأن تحتوي منتجاتها على محرمات، وإن كانت متاحة قانونا، أو تنال رضا العملاء، فرضا الله أولى أن يقدم على رضا البشر، فمصلحة المنشأة والمجتمع في اتباع منهج الله.

٧- ضبط النفقات: استجابة لأمر الله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف:٣١). فلتحقيق الربح جانبان: زيادة العائدات وتقليل النفقات، فلابد من أن تتوزع جهود المنشأة على هذين الجانبين في الوقت نفسه، حتى لا يؤدي تقليل النفقات إلى قصور في الأداء، ولا يتسبب الإسراف في تآكل الأرباح.

٨- الشمولية: في ظل النموذج الإسلامي فإن الجودة لا تتحقق بأفضل صورها إلا إذا كانت تشمل كل شيء في المنشأة، ابتداء بغاياتها وأهدافها، ومرورا بمدخلاتها البشرية والمادية والمعنوية وعملياتها وبيئة العمل فيها، وانتهاء بمخرجاتها، حيث ترتبط كل تلك العناصر فيما بينها ويؤثر بعضها على بعض، وبالتالي فإن تدني جودة بعضها سيؤدي إلى تدني الجودة الكلية، ولن تكون جودة معظمها عاصما للجودة الكلية من التأثر سلبا بتدني جودة البقية ولو بعد حين، بل إن نظام الجودة في المنشأة يعتبر، وفقا للتصور الإسلامي، نظاما جزئيا مع نظام جودة الحياة في المجتمع ككل.

٩- التناصح: يقدم النموذج المقترح علاقة فريدة بين الإدارة والعاملين، حيث يجعل الشورى واجب لابد أن تمارسه الإدارة، ويجعل تقديم النصح واقتراح التحسينات ومعالجة السلبيات واجبة على العاملين تجاه إدارتهم، انطلاقا من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البر والتقوى.

١٠- التوثيق: يمثل التوثيق في المنشأة عقدا مكتوبا تتحدد من خلاله علاقات

الإدارات المختلفة في ما بينها من جهة، وفي ما بينها وبين كل من العاملين والعملاء والموردين، كما يبين التوثيق إجراءات العمل ويتضمن معايير الأداء لمختلف عمليات المنشأة. ولقد حض الإسلام على التوثيق في جميع المعاملات، خصوصا المعاملات التجارية، كالدين والبيوع، بل إن أطول آية في القرآن هي آية الدين في أواخر سورة البقرة (رقمها ٢٨٢)، وهي تحدد بالتفصيل إجراءات الدين والبيع وضرورة أن يتم توثيقهما كتابة بشكل دقيق وفي حضرة الشهود العدول.

١١- اتخاذ القرارات اعتمادا على الحقائق: لقد نص القرآن على وجوب اتخاذ القرارات بناء على علم ثابت لا على غيب وجهالة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦). وقد كان الرسول لا يبرم أمرا ذي بال إلا بعد أن تجتمع لديه من الحقائق ما يجعله يتخذ قراره بأعلى درجة ممكنة من التأكد، إلا أنه يستحيل على بشر أن يتغلب على عدم التأكد (الغيب) تماما، وما يترتب عليه من أخطاء أو خسائر، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨).

١٢- التأكيد على تحقيق النتائج: وذلك على المدى القريب والبعيد، مع التأكيد على أن تكون النتائج قصيرة المدى في خدمة النتائج البعيدة المدى، لأن الأخيرة هي المعيار لتحقيق المنظمة غاياتها وأهدافها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧)، فالدنيا في التصور الإسلامي هي مرحلة قصيرة المدى، ويجب أن تكون جميع الموارد مسخرة لتحقيق الغاية الكبرى التي يسعى الإنسان من أجلها، ألا وهي السعادة الأبدية، وهكذا طبق المسلمون هذا المفهوم في الدعوة حينما رفض الرسول ﷺ عروض قريش في أن يجعلوه أغناهم أو يزوجوه خير نسائهم أو ينصبوه ملكا عليهم، لأنه كان يضع نصب عينيه أهدافا بعيدة المدى، وهي إنشاء الدولة التي تنشر دعوة الإسلام في أنحاء الأرض، وتحقيق رضا ربه ونيل جزيل ثوابه في الآخرة، وطبقه المسلمون في التجارة، فلم يقبلوا بربح سهل سريع مؤقت، لأنهم كانوا يسعون لإرضاء زبائنهم وترغيبهم في الإسلام، فضلا عن تحقيق الربح المادي المستديم في الدنيا، والنعيم المقيم في الآخرة، الأمر الذي أدى إلى أن ولاء هؤلاء الزبائن لم يكن لمنتجات تجار المسلمين فقط، بل لعقيدة هؤلاء التجار أيضا، حتى غدت أعداد من دخلوا الإسلام عن طريق التجار أكثر من أولئك الذين دخلوه بالقتال.

١٣- التركيز على رضا العملاء: لما كان الإسلام دينا يهدف إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ويحترم حريته وكرامته وحقوقه، حتى إن صلاة الإمام لا ترتفع إلى السماء إذا أم قوم وهم له كارهون، فإنه تبعا لذلك يدعو إلى منح العميل أقصى درجة ممكنة من الإشباع والرضا نظير ما يدفعه من مال إلى المنتج، وهذا من باب الأمانة والعدل وفعل الخير وإدخال السرور على قلب ذلك العميل، وما دامت حاجات العميل ورغباته مشروعة، فمن حقه على مقدم المنتج أو الخدمة أن يلبي تلك الحاجات ويشبع تلك الرغبات بأقصى ما يستطيع.

ولقد رغب الإسلام في قضاء حاجات الناس وإدخال السرور إلى قلوبهم، سواء كانوا عملاء أم غير ذلك، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إدخالك السرور على مؤمن أشبعت جوعته، أو سترت عورته، أو قضيت له حاجة» (١٢). فإذا كان ذلك كله في حالة إدخال السرور على أي شخص ومن دون مقابل، فإن من يتعامل مع الشركة ويدفع لها ماله أولى بأن تقضى حوائجه على الوجه الأكمل وأن يدخل الرضا والسرور إلى قلبه(١٣).

وكل هذه الخصائص يستحيل أن توجد في أي قيمة أو مبدأ أو نظرية وضعية؛ لأنها من وضع العليم الخبير ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك:١٤)، وإنه لحري بأمة هذا دينها أن تخرج من جحر ضب دخلته في زمن إعراضها عنه، فتعمل جاهدة على استنباط قواعد الجودة من بين معاني الوحيين، وأن تخضعها لتطبيقات في جميع مجالات الحياة، وتاريخنا خير شاهد على ريادتنا في هذا الشأن، فكل مقومات الجودة والتميز يمتلكها المسلمون، فهل من آخذ بها؟!

الهوامش

١- علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية – دراسة في طبيعة القيم ومصادرها ودور التربية الإسلامية في تكوينها وتنميتها، السعودية، مكتبة إبراهيم حلبي بالمدينة المنورة، ١٩٨٨م، ص٣٤.
٢- البخاري.
٣- أشرف السعيد أحمد: إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية رؤية إسلامية (رسالة دكتوراه غير منشورة، مصر، كلية التربية جامعة المنصورة، ٢٠٠٥م)، ص٢١٦.
٤- مسلم.
٥- الطبراني والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الجامع.
٦- البخاري (جزء من حديث).
٧- مسلم (جزء من حديث).
٨- مسلم (جزء من حديث).
٩- البخاري.
١٠- البخاري.
١١- البخاري.
١٢- الطبراني، وقال الألباني حسن لغيره.
١٣- عبداللطيف عبداللطيف - إبراهيم العجلوني: إدارة الجودة الشاملة وإدارة الجودة في الإسلام محاولة للتميز والتطوير (بحث مقدم لكلية العلوم الإدارية) بتصرف من الباحث.

عبدالعلي الوالي
باحث دراسات إسلامية

منهج النبي ﷺ في تدبير الحروب

لم يختر النبي ﷺ الحرب منذ البداية، لأنه نبي رحمة وعفو وصفح، إلا أن كفار قريش وغيرهم من القبائل والدول أجبروه على المواجهة المسلحة، كما أجبر من قبل على الإسرار بالدعوة والهجرة خارج مكة.

ولئن اختلف بعض العلماء حول أسباب حروب النبي ﷺ، فإن الذي يميل إليه الفؤاد هو تبني ما رآه ابن تيمية وغيره من العلماء في المسألة، قال رحمه الله تعالى: «كانت سيرته ﷺ أن كل من هادنه من الكفار لم يقاتله، وهذه كتب السيرة والحديث والتفسير والفقه

والمغازي تنطق بهذا، وهذا متواتر من سيرته عليه السلام، فهو لا يبدأ أحدا بقتال» (١).

أولا - في مجال إعداد الجيش المسلم

كان النبي ﷺ يولي اهتماما كبيرا لتدريب جيشه، إذ كان ﷺ يشجع الصحابة على تعلم فنون الحرب، كما يزرع فيهم روح القوة والحماس والشجاعة، فيقول: «ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان» (٢).

ولعل الناظر في سيرته العطرة يلفي له ﷺ توجيهات في كل ما يتعلق بالإعداد لمواجهة أعداء الإسلام:

- ففي تعليم الناشئة الرمي يقول ﷺ: «حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرماية» (٣).

- وفي تشجيع صغار المسلمين على الجهاد: ذكر ابن عبدالبر في ترجمته لسمرة بن جندب، أن رسول الله ﷺ كان يستعرض غلمان الأنصار في كل عام، لإلحاق من يصلح منهم بالجيش من أجل بعثهم إلى ميادين القتال، فمر به غلام فأجازه في البعث، وعرض عليه سمرة، من بعده، فرده لصغر سنه، فقال سمرة: يا رسول الله، لقد أجزت غلاما، ورددتني، ولو صارعته لصرعته! فقال له رسول الله ﷺ: «فصارعه!». قال: فصارعته، فصرعته! فأجازني رسول الله ﷺ في البعث (٤).

- وفي ميزة الخيل في القتال، كان رسول الله ﷺ يقول: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والمغنم» (٥). وكان ﷺ يهتم بتدريبها على السباق من خلال المراهنات وغيرها، عن ابن عمر «أن النبي ﷺ سبق بين الخيل وفضل القرح (٦) في الغاية» (٧).

- وفي الحث على امتلاك سلاح البحرية وتعلم فنون الحرب البحرية، قال ﷺ: «غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر» (٨).

ثانيا - في مجال الاتفاقيات الحربية

إن المطلع على سيرة النبي ﷺ في مجال عقد الاتفاقيات الحربية، يلفيه قائدا عسكريا محنكا، يأخذ بكل الأسباب التي تحقق النصر، وتساهم في نشر دعوة الإسلام، فتركيزه ﷺ في بداية الأمر على حرب قريش، وعقده اتفاقيات صلح مع قبائل أخرى (٩)، كان في ذلك

فوائد كبرى للمسلمين، نذكر منها:

- إن قريشا آنئذ كانت هي سيدة الجزيرة العربية، وكانت صاحبة الكلمة العليا فيها، وكانت تمثل الحاجز المادي الذي يحول دون انتشار الدعوة في الجزيرة، فإذا ما كسر هذا الحاجز أو دخلت في الإسلام، سارعت قبائل الجزيرة إلى الدخول في الدين الجديد دون صعوبات تذكر.

- إن في إعلان الحرب من قبل النبي ﷺ على جهات مختلفة من شأنه أن يضعف قوة المسلمين، ثم التعرض للهزيمة، ولا قدر الله توقف الدعوة إلى الله، إلا أن خطة النبي ﷺ أعطت الفرصة لجيش المسلمين ليتقوى ويكون قادرا على خوض المعارك الكبرى.

- إن في خطة النبي ﷺ هذه إعلانا لكل العالم أن دين الإسلام ليس دين عدوان، بل حربه للناس تكون بما اقترفت أيديهم في حق المسلمين، فلما نكلت قريش بالمسلمين، وحاربت الدعوة دون هوادة، قاتلها المسلمون لإزاحتها عن طريق الدعوة إن لم تسلم، أو دخولها في الإسلام، وهذا هو القصد.

هكذا كانت سياسة الرسول ﷺ مع قريش في بداية الأمر، وهي المواجهة المسلحة، لكنه لما رأى من مصلحة الدولة الإسلامية عقد الصلح معها، عقد معها ما يعرف في كتب السيرة بـ«صلح الحديبية»، رغم أن الصحابة -رضوان الله عليهم- أبدوا نوعا من المعارضة، لما تضمنته هذه المعاهدة من شروط قاسية.

كان قصد النبي ﷺ من هذه المعاهدة هو عزل قريش عن حلفائها. قال السرخيسي في هذا الصدد: «إن أهل مكة شرطوا عليه أن يرد عليهم كل من أتى مسلما منهم، ووفى لهم بهذا الشرط إلى أن انتسخ، لأنه كان فيه نظر للمسلمين، لما كان بين أهل مكة وأهل خيبر من المواطأة على أن رسول الله ﷺ إذا توجه إلى أحد الفريقين، أغار الفريق الآخر على المدينة، فوادع أهل المدينة حتى يأمن جانبهم إذا توجه إلى خيبر» (١٠).

نخلص إذن من خلال عرضنا لبعض المعاهدات التي عقدها النبي ﷺ مع المشركين، أنها كانت معاهدات تصب في مصلحة الأمة الإسلامية، كما أنها تنسجم مع المبادئ التي جاء بها الإسلام، ولا ينبغي أن نفهم منها أن القبيلة الموقعة لها قد أصبحت صديقا حميما للمسلمين. وقد عبر الرسول ﷺ عن هذا المعنى في غزوة الخندق، حين أرسل إلى عيينة بن حصن بن بدر الفزاري رأس المشركين من غطفان: «أرأيت إن جعلت لك ثلث ثمار الأنصار، أترجع بمن معك من غطفان، وتخذل بين الأحزاب». وقال للأنصار معللا فعله هذا: «ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم» (١١).

ثالثا - في مجال الاستخبارات العسكرية

يعتبر هذا المجال من أهم المجالات العسكرية، ولذلك أولاه رسول الله ﷺ عناية كبرى، إذ كانت له عيون ترصد كل تحركات الأعداء وما ينوون عمله ضد الدولة الإسلامية الفتية، كما كان يتخذ إجراءات صارمة من أجل إخفاء تحركات جيشه، من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

- للتخفي في غزوة بدر أمر رسول الله ﷺ بقطع الأجراس من أعناق الإبل (١٢).

- وفي الغزوة نفسها يقوم النبي ﷺ بنفسه بعملية الاستكشاف مع أبي بكر الصديق، وبينما يتجولان بين جنبات معسكر قريش، إذا هما بشيخ من العرب، فسأله رسول الله عن قريش، وعن محمد وأصحابه -سأل عن الجيشين زيادة في التخفي- ولكن الشيخ قال: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله: «إذا أخبرتنا أخبرناك». قال: أو ذاك بذلك؟ قال: «نعم». ثم أخبرهما بما عنده من معلومات عن الجيشين، ولما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نحن من ماء». ثم انصرف الشيخ وهو يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ (١٣).

- وفي أحد كشفت استخبارات الرسول ﷺ تحركات جيش قريش، حيث بعث العباس عم رسول الله رسالة مستعجلة إلى المدينة، ضمنها كل تفاصيل هذا الجيش، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة، وجد في السير حتى إنه قطع المسافة بين مكة والمدينة، التي تبلغ خمسمئة كيلومتر، في ثلاثة أيام.

- وقبل أن يخرج رسول الله ﷺ لفتح مكة، أمر عائشة -رضي الله عنها- بتجهيزه قبل ثلاثة أيام من الخروج، وأمرها ألا تخبر أحدا، وزيادة في الإخفاء والتعمية بعث رسول الله ﷺ سرية قوامها ثمانية رجال تحت قيادة أبي قتادة بن ربعي (١٤) إلى بطن أضم (١٥)، فلما بلغها أن رسول الله ﷺ خرج إلى مكة لحقت به.

رابعا - في مجال الخطط الحربية

كان منهج الرسول ﷺ في مجال الخطط الحربية، يقوم على أساس

التشاور والتحاور، فكان ﷺ يستفيد من خبرات الصحابة القتالية وتجاربهم، من ذلك نذكر ما يلي:

- حين تحرك رسول الله ﷺ في غزوة بدر ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، نزل عشاء أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر كخبير عسكري، وقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة». قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، فننزله ونغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا، فنملأه ماء، ثم نقاتل، فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله ﷺ: «لقد أشرت بالرأي» (١٦).

- وفي غزوة أحد، لما نقلت استخبارات المدينة أخبار جيش مكة ومعسكره، عقد رسول الله مجلسا استشاريا عسكريا أعلى، تبادل فيه الرأي، لاختيار الرأي الصائب، وكان رأي رسول الله ﷺ عدم الخروج من المدينة، وقتال المشركين داخلها، وكانت حجته ﷺ أن المشركين: «إن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها». فقال رجل من المسلمين، ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره، ممن كان فاتته بدر: يا رسول الله، أخرج بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا. ثم أقرهم رسول الله ﷺ على رأيهم (١٧).

وأؤكد بعد سرد خطط النبي ﷺ في مواجهة أعداء الإسلام على أن الإسلام ليس دين سيف وزحف وتوسع كيفما كانت الأحوال والظروف، بل إن أهل الشرك والكفر هم من نكلوا بالمسلمين حتى ضاقوا ذرعا بممارساتهم، ورغم ذلك لم يأمر النبي ﷺ بمواجهتهم بالسيف، يظهر ذلك أنه لما أتى خباب بن الأرت يشكو إلى النبي ﷺ من اعتداءات أهل الكفر، لم يقل له النبي ﷺ عليكم بالسيف، بل قال له: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» (١٨).

وصدق الله العظيم إذ قال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(الأنفال:٦١).

الهوامش

١- رسالة في قتال الكفار لابن تيمية، مخطوطات جامعة الملك سعود، رقم الصنف:٢١٦,٧/ر.ت، الرقم العام للمخطوطة:١٦٨٤، ورقة:٦.

٢- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم:٢٨٩٩-٣٨/٤.

٣- السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السبق والرمي، باب التحريض على الرمي، رقم:١٩٧٤٢-٢٦/١٠.

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر، تحقيق علي محمد البيجاوي، دار الجيل، ٦٥٥/٢.

٥- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد ماض مع البر والفاجر، رقم:٢٨٥٢.

٦- القرح: بالقاف المضمومة وتشديد الراء بعدها حاء مهملة، جمع قارح: وهو ما كملت سنه كالبازل من الإبل (أنظر نيل الأوطار: ٩٠/٨).

٧- مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبدالله بن عمر، رقم:٦٤٦٦-١٥٧/٢. قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

٨- مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الجهاد، رقم:١٩٤٠٧-٢١٣/٤. والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، كتاب قسم الفيء، رقم:٢٦٣٤-١٥٥/٢. قال الذهبي: «على شرط البخاري».

٩- أدلة ذلك معاهداته ﷺ مع يهود (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس:٢٦٠/١)، وبعض القبائل الأخرى كموادعته لبني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة حين خرج لاعتراض عير قريش (سيرة ابن هشام:٢٥٢/٢).

١٠- شرح السير الكبير للسرخيسي، الشركة الشرقية للإعلانات،١٩٧١م-ص:٢٩٨/١.

١١- عيون الأثر لابن سيد الناس، ٣٩/٢.

١٢- السيرة الحلبية:٢٠٤/٢، وانظر حروب دولة الرسول لمحمود القمني، ص:٦١.

١٣- السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة بيروت، ٣٩٦/٢.

١٤- المشهور أن اسمه الحارث، واختلف أصحاب السير في شهوده بدرا، واتفقوا على أنه شهد أحدا وما بعدها، كان يقال له فارس رسول الله ﷺ، وروي أنه شهد مع علي مشاهده، وتوفي سنة أربعين للهجرة. (أنظر: الإصابة، ٢٧٢/٧).

١٥- ثلاثة برد على المدينة، والبرد اثنا عشر ميلا.

١٦- سيرة ابن هشام، ٢٧٨/٢- ٢٧٩.

١٧- المرجع السابق، ٧/٣.

١٨- صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم:٣٦١٢-ص:٢٠١/٤.

الإصلاح فريضة إسلامية

د. أمان محمد قحيف
باحث أكاديمي

يرتبط نصيب كل أمة من التقدم الحضاري والأخلاقي بنصيبها من الدعاة والباحثين والمفكرين المصلحين المناهضين لكل أشكال الفساد والإفساد.. وتحرز كل أمة قدرا من النهوض والارتقاء في سلم التطور الحضاري يتوازى مع امتثالها والتزامها بما يقدمه مصلحوها من أفكار جديدة ورؤى متطورة وتصورات إصلاحية تهدف إلى المحافظة على ثوابت المجتمع وكيانه، وتأخذ بيده نحو كل ما هو نافع ومفيد.

والدارس المتفحص لتاريخ الأمم والحضارات يدرك جيدا أنه لم يخل تاريخ أية أمة من الأمم من وجود مصلحين ودعاة إلى الخير يدعون إلى المحافظة على مكارم الأخلاق ويعملون على توجيه أفراد مجتمعهم نحو فضائل الأعمال التي تجعل الأمة تأخذ بأسباب التقدم وعوامل الارتقاء المادي والروحي والمعنوي.

من هنا لا يختلف أصحاب العقول المفكرة -في العالم أجمع- على أهمية الإصلاح للحياة الإنسانية، مؤكدين ضرورته لتطوير المجتمعات وتفعيل عوامل تقدمها على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية؛ إذ الإصلاح لا يقتصر على جانب معين من جوانب الحياة الاجتماعية دون الآخر؛ لأن العمل إصلاح، والعلم إصلاح، وتطبيب الناس إصلاح، والتقرب إلى الله بالخيرات إصلاح، وإعمار الكون إصلاح، وتنمية المجتمعات إصلاح، وإشاعة السلم والسلام إصلاح، والأخذ على يد المفسدين إصلاح، وطلب الرزق الحلال إصلاح... وهكذا.

والإصلاح، بهذا المعنى، واجب شرعي على كل أفراد المجتمع؛ ويجب ألا يناط أمره بفئة من الناس دون سواها؛ لأن الإصلاح واجب على كل الأفراد والفئات والطوائف التي يتكون المجتمع من مجموعها.. غير أن ذلك لا يلغي بحال من الأحوال دور العلماء والباحثين المنظرين لعملية التجديد والإصلاح، فهم هداة الأمة وحملة مشاعل الأنوار فيها، وعليهم القيام بتعريف الناس كيفية الإصلاح، وأسسه، ومناهجه، وسبله، حتى لا تحدث فوضى مجتمعية باسم الإصلاح أو التجديد أو التطوير. وإذا كان من الجائز أن يرتبط الفكر الإصلاحي بأسماء معينة من أهل التنظير المؤسس على العلم والمعرفة فإن العملية الإصلاحية يجب ألا ترتبط بأسماء معينة ولا بمرحلة زمنية معينة؛ لأن إصلاح الواقع مسؤولية الجميع، وهو عمل متواصل وجهد خلاق لا ينقطع.

وثمة أهمية لممارسة الإصلاح في إطار عمل مؤسسي، بمعنى أن تقوم به مؤسسات رسمية معترف بها ومعول عليها، كالمؤسسات التربوية والدعوية والثقافية والإعلامية ومؤسسات العمل

المدني...إلخ، شريطة أن يتم التنسيق والتواصل فيما بينهم جميعا.
من هنا يكون التصور الذي ينظر إلى الإصلاح باعتباره عملا مرحليا ثم تتوقف جهود القائمين به تصورا تنقصه الدراية الكاملة والرؤية الواعية بشؤون الحياة ومتطلبات المجتمعات الإنسانية؛ ذلك لأن الإصلاح يعني البحث عن الأفضل دائما.. بالتالي فعلى المجتمعات الإنسانية بذل المزيد من الجهد وتوظيف كل الطاقات المتاحة لديها من أجل الوصول إلى الأفضل ما استطاعت إلى ذلك من سبيل.
من هنا فنحن بإزاء عمل متواصل وجهد لا ينقطع مهما دارت الأيام وتوالت السنون والأعوام؛ لأن الوصول إلى مرحلة معينة من الإصلاح يجب أن يدفعنا -بشكل تلقائي- إلى البحث عن كيفية إدراك ما بعدها من مراحل التجديد والتطوير والإصلاح من أجل الوصول بمجتمعاتنا إلى أسمى صور المجتمعات البشرية وأرقاها.
ويجب أن ندرك أن التوقف عن الإصلاح يعد جمودا وثباتا يؤديان لا محالة -بعد فترة وجيزة من الزمن- إلى النكوص إلى الخلف والتراجع إلى الوراء.. من هنا تأتي أهمية، بل ضرورة وحتمية مواصلة طريق الإصلاح على كافة الصعد الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والدينية، للانطلاق بالأمة صوب مواجهة الآفات الاجتماعية والمعوقات الحضارية وصولا إلى تحقيق النهضة والتقدم والارتقاء الحضاري والمعرفي.. تلك الأمور التي غابت عن مجتمعاتنا العربية والإسلامية حينا من الدهر.
ولقد جاءت الرسالات السماوية تترا بهدف إصلاح عقائد الناس، وتهذيب طبائعهم، وتنظيم أحوالهم، وطرائق معيشتهم، وتلك هي الدرجات العلى من الإصلاح.. فالدين معني بالدرجة الأولى بإصلاح المسألة الإيمانية وتوجيهها نحو صحيح الإيمان بالله الواحد الأحد؛ وذلك من خلال توضيح الرؤية السليمة للعقيدة والاعتقاد.. وهو معني بإبراز الأسلوب الأمثل لعبادة الله تعالى من خلال بيان الشعائر والعبادات.. وهو معني في نفس الوقت بإصلاح أخلاق الناس وسلوكياتهم، وذلك من خلال توضيحه للمنهج السليم للمعاملات بين بني الإنسان أينما كانوا وحيثما كانوا.
فقضية الدين لا تنفصل بحال من الأحوال عن الإصلاح بكل صوره وأشكاله؛ ذلك لأن الدين يتناول مختلف جوانب الحياة الإنسانية بالإرشاد والتوجيه والتصويب وفق منهج الله المتمثل في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥). بالتالي؛ وإذ لابد من التركيز على مبدأ الإقناع أو الحوار المنطقي وهذا هو المنهج الذي استخدمه القرآن الكريم عند مناقشته لأفكار الملاحدة والمنكرين، واقرأ إن شئت قول الله تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾ (الطور:٣٦-٤٣).. من هنا يدرك كل ذي عقل أن الإصلاح الفكري والمجتمعي يجب أن يقوم بالأساس على الحوار الإقناعي المنطقي.
والحق أن الباحث في كتاب الله تعالى يتبين له أن القرآن الكريم يطالب المسلم بممارسة الإصلاح الدائم والمستمر لكل جوانب حياته، وإلا يكون قد أسقط مطلبا شرعيا مهما من مطالب الشارع الحكيم.. فالله تعالى خلق الخلق وأمرهم بالإصلاح والإعمار ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١)، بمعنى أن الله تعالى خلق الإنسان على الأرض وطلب منه إعمارها وإصلاحها وتنميتها والعمل على نشر الخير في جنباتها في كل وقت وحين.
من هنا فقد امتلأت حياة الرسل والأنبياء وسير الصالحين من بعدهم بالجهود الإصلاحية والمواقف الإيمانية التي تؤكد حرصهم الشديد على إشاعة الخير وزرع الثقة بين بني البشر في كل زمان ومكان؛ ذلك لأن المنهج الإلهي يمثل في جوهره دعوة حقيقية للإصلاح، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:٢٤).. فالرسالات السماوية هي في جوهرها دعوة لإصلاح القلوب والعقول والنفوس والضمائر والأبدان.
ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن جوهر منهج الرسل -عليهم السلام- هو الإصلاح، جاء على لسان نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨).. ولقد كشف القرآن الكريم النقاب عن حرص نبي الله موسى -عليه السلام-

على الإصلاح عندما قال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف:١٤٢).

وإذا كانت حياة الرسل والأنبياء تمثل سلسلة متواصلة من الدعوة إلى الإصلاح دون الإفساد فإن كل الدعاة إلى الله تعالى، ومعظم الفلاسفة والباحثين كانوا دعاة للإصلاح النفسي، والعقلي، والفكري، والروحي، والمجتمعي؛ إذ انشغل معظمهم طوال الوقت بالبحث عن سبل لتحسين الحياة البشرية وتطويرها وتقدمها ليحققوا للإنسان الرفاهية والراحة ويساهموا في حل مشكلاته والتخفيف من أزماته، وتلك الأمور من أسمى ضروب الإصلاح وأرقاها.

وإذا كان الإصلاح هو جوهر رسالات الرسل والشغل الشاغل للأنبياء والمصلحين وأهل الفكر فلا غرو أن يحذر القرآن الكريم أهل الفساد والإفساد من مغبة أفعالهم ونتائج سلوكياتهم المنحرفة.. ومن الطبيعي أن نرى الوحي ينذرهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٣٣).. وقال تعالى في التذكير بما لاقاه المفسدون في الأرض: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ (الفجر:١٠-١٤).. وقال تعالى عن قارون: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).. لكن قارون مارس الفساد في الأرض وبغى على قومه فكان جزاؤه: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ (القصص:٨١).

هكذا نبه الله عزوجل المفسدين إلى قبح أفعالهم وسوء عاقبة سلوكهم، وحذرهم من الإفساد في الأرض بعد إصلاحها، لأن في ذلك مجلبة للعذاب واستجلابا للعقاب مع تعرضهم لما لا طاقة لهم به.

وإذا كان الله تعالى قد أعد الأرض للحياة الإنسانية وجعلها صالحة لها بأن قدر فيها أقواتها، ووضع فيها مقومات استمرارية الحياة وبقائها إلى أن يأذن بقيام الساعة فإنه يحرم على الإنسان الإقدام على إفساد ما أصلحه الله عزوجل، أو تدمير ما أنشأه خالق الخلق بقدرته وحكمته، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦).

وثمة ضرورة لأن ندرك أن أي إفساد مادي أو معنوي في الأرض هو بمثابة التمرد على عطاءات الله تعالى، وهو رد للنعمة على المنعم، بدليل أن الله عزوجل لن يبارك بأي حال من الأحوال في أعمال المفسدين الذين يسعون في الأرض فسادا بتدمير الحياة فيها، أو بالخروج على سنن تطويرها وتنميتها وإشاعة الخير في جنباتها.. إن هؤلاء نزع الله تعالى البركة من حياتهم، ولن يصلح أعمالهم أينما كانوا وحيثما كانوا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس:٨١).

وكفى بالمفسدين إثما وذنبا أن الله تعالى لا يحب أعمالهم ولن يتقبلها منهم بأي شكل من الأشكال أو بأية صورة من الصور، بل يعاقبهم عليها لتدميرهم الحرث والنسل وعدم تقبلهم لدعوات الخير والخيرات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ (البقرة:٢٠٥-٢٠٦).

وننوه هنا إلى أنه إذا كان الله تعالى لا يحب الفساد فإنه عزوجل بالتالي- لا يحب المفسدين، وإذا كان يحب الصلاح والإصلاح فهو بالتالي يحب المصلحين.. من هنا فلا غرو أن يكون سعي الإنسان في ضلال وخسران، عدا أهل الصلاح والإصلاح الذين يعملون الصالحات والخيرات بعد تحقق الإيمان في قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (سورة العصر).

وتأسيسا على هذا يكون من المنطقي والطبيعي أن يحذرنا الله تعالى من الإذعان للمفسدين أو الانسياق خلف أفكارهم وأطروحاتهم المغلوطة، قال تعالى على لسان نبيه صالح عليه السلام: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ (الشعراء:١٥٠-١٥٢).

جميلة مرابط
باحثة مغربية

حث الإسلام على حماية الحيوانات

إرساء التوازن البيئي

الكون بكبره واتساعه، هو في منتهى الدقة والإحكام الشديد في نظامه، المعروف بالاتزان البيئي. جزء من إبداع الخالق في مخلوقاته. والله عندما خلق الأرض جعل فيها كل شيء موزونا ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ (الحجر:١٩)، وقدر فيها أقواتها، وأودع فيها أنظمة وقوانين تحكمها، مثل قانون النمو وقانون التمثيل الضوئي وقانون دورة الحياة.

لكن، وللأسف الشديد، حالت النظرة السطحية، التي تعتبر مكونات البيئة وحدات منعزلة غير مترابطة ترابطا حقيقيا، دون رؤية التفاعلات العميقة المتكاملة والدائمة بين الغلاف المائي والجوي واليابسة والحيوان والإنسان، وجعلتنا لا ندرك وحدة المحيط الحيوي، وكذلك الاتجاهات الثقافية التي سادت والتي تعتقد أن الإنسان بإمكانه عن طريق العلم أن يهيمن على الكون وأن يشكله وفقا لغاياته، وأن الطبيعة مراح مستباح للإنسان من دون ضوابط.

مع العلم أن النظام البيئي يمتاز بمجموعة من الخاصيات الوظيفية جعلت العديد من العلماء يقارنون بينه وبين جسم حي، تعمل أعضاؤه في تكامل وتفاعل مستمر فيما بينها. ومن أحدث النظريات العلمية في هذا الإطار ما قال به جمس لفلوك: حيث يقول إن الأرض «جايا هي اسم إلهة الأرض عند الإغريق» هي نظام متفاعل داخليا ككائن حي له طاقة حاملة تحت التوازن التلقائي في الكون، رغم بعض الظواهر الطبيعية كالبراكين والزلازل والعواصف.. وباعتبار الأرض جسما حيا، فإن لها طاقة حاملة محددة واضحة، فالمحيط الحيوي يتألف من موحدة كاملة لنظم حية للاضطلاع بوظائف ضرورية خاصة بالتحكم والبقاء، لا يمكن تجاوزها دون التسبب في اختلالات خطيرة.

إن حق الاستثمار والانتفاع والتسخير الذي شرعه الله للإنسان، يقابله بالضرورة واجب يقتضي المحافظة على كل الموارد الطبيعية كما وكيفا، فالإنسان مطالب اليوم بالكف عن تدمير الأحياء الحالية بجانب البحث بقوة في قوانين خلقها، لأن ذلك سيحثه على تطوير تكنولوجيا الأحياء للحفاظ على الأنواع ورفع الإنتاجية وتحقيق التنمية، خصوصا أن العالم يشهد زيادة كبيرة في عدد أنواع الحيوانات والنباتات المهددة بالانقراض، وتشير التقارير إلى أن الإنسان سيدفع الثمن خلال العقود الثلاثة المقبلة إلى هلاك وانقراض أنواع من الحيوانات بمعدلات تزيد كثيرا على المعدلات التي كانت سائدة في عصور ما قبل التاريخ، وهذا يعني خسارة بيئية كبيرة.

تحريم قتل الحيوان من دون مبرر

نهى رسول الله ﷺ عن قتل أي حيوان من دون سبب مشروع أو عذر مقبول، فقد روى أحمد في مسنده أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل عصفورا عبثا جاء يوم القيامة وله صراخ تحت العرش، يقول: رب سل هذا فيم قتلني

من غير منفعة». وفي رواية أخرى عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها -بغير حقها- إلا يسأله الله يوم القيامة». قيل: يا رسول الله: وما حقها؟ قال: «حقها أن تذبحها فتأكلها، ولا تقطع رأسها فترمي به».

أما الحيوانات التي أمر الرسول ﷺ بقتلها، فكان الأمر لسبب إيذائها وخطورتها على الإنسان، فحين قال رسول الله ﷺ: «أربع كلهن يقتلن في الحل والحرم: الحدأة، والغراب، والفأرة، والكلب العقور» (أخرجه البخاري). فإن قتلها لما يتحقق به مصلحة الناس، لأن الغالب في طباعها الضرر والأذى، فإذا لم يصدر منها ذلك فلا داعي لقتلها أو إزهاق أرواحها.

ويكمن اختلاف العلماء في جواز قتل الحيوانات بدافع الرحمة على قولين:

الأول: نص الشافعية على أنه لا يجوز ذبح ما لا يؤكل، كالحمار الزمن (العجوز)، ولو لإراحته عند تضرره من الحياة.

الثاني: وأجازه المالكية: قال الدردير في شرحه على مختصر خليل: كذكاة ما لا يؤكل لحمه، كحمار أو بغل إن أيس منه، فيجوز تذكيته، (أي أيس في الانتفاع به حقيقة لمرض أو عمى).

ولكن غالبية الفقهاء يرون أن ترسل هذه الحيوانات إلى جمعيات أو مراكز رعاية الحيوان إن وجدت لتقوم برعايتها والانتفاع بها، فإن تعسر ذلك فإنه يجوز قتل الحيوان المأكول لحمه عند العجز عن القيام بحقه، من إطعامه أو علاجه، أو يصبح الإنفاق عليه ضربا من إضاعة المال، أو انتقال المرض إلى غيره، أو إلى الناس كالطيور التي تصيب بالأنفلونزا، أو صغار الدجاج المريضة أو الضعيفة التي في تربيتها أو الإبقاء عليها ضرر محض. أما الحيوان الذي إذا كسر لا يجبر، فمثل هذا يذكى ويوزع على المحتاجين والفقراء، وينتفع بكل شيء فيه يمكن الانتفاع منه، كحصان كسرت رجله ولا أمل في شفائه، فلا يقتل عبثا، بل يذكى ويوزع لحمه على المحتاجين لأنه مأكول اللحم.

وأما الحيوانات التي لا يؤكل لحمها، فلا حرج في قتلها عند عدم القدرة على المحافظة عليها أو علاجها أو إطعامها وإسقائها، أو رفضها تقبل العلاج، أو الإنفاق عليها من غير طائل، فلا بأس بقتلها وتوزيعها على الحيوانات التي في حديقة الحيوانات، مثلا. كل هذا بشرط الإحسان في القتل، وتجنب أي لون من ألوان التعذيب والأذى، ولا تلقى في الطرقات فيتأذى الناس برائحتها، ولا تقدم طعاما للحيوانات المفترسة وهي حية، وبذل الجهد في الانتفاع بها ما وجد إلى ذلك سبيل، كالانتفاع بجلودها أو عظامها أو غيرها، لأن غير ذلك يعد من تضييع المال الذي نهى عنه الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» (رواه البخاري).

خلل في الاتزان البيئي

إن قتل الحيوانات من دون دراسة للموقف بعناية قد يؤدي إلى إلحاق الضرر بالإنسان، صحته وماله وممتلكاته، فقد يؤدي سوء التعامل مع بعض الحيوانات إلى الإخلال بالتوازن البيئي، والأمثلة على ذلك كثيرة عرفتها البشرية عبر العصور إلى درجة انقراض بعض الأصناف من الحيوانات وأخرى في طريقها إلى الزوال.

مع العلم أن الإسلام حذر من هذا الفعل قبل ١٤٠٠ سنة، وخير توضيح أقدمه في هذا الإطار ما جاء في كتابه «السنة مصدر للمعرفة والحضارة» للعلامة الدكتور يوسف عبدالله القرضاوي، حيث يوضح كيف دفع الإسلام نحو المحافظة على الأجناس الحية للمخلوقات من الانقراض، ويقول:.. ونجد ذلك صريحا في حديث رسول الله ﷺ: «لولا أن الكلاب أمة

من الأمم لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها الأسود البهيم»، أي شرارها والتي تعض الناس.. فهذا الحديث النبوي الشريف يشير إلى حقيقة كونية قررها القرآن الكريم، وهي أن الكائنات الحية الأخرى -غير العاقلة- لها كينونتها الاجتماعية الخاصة، التي تميزها عن غيرها، وتربط بعضها ببعض، وبتعبير القرآن الكريم كل منها أمة مثلنا، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ﴾ (الأنعام:٣٨). ويشير الدكتور القرضاوي إلى أن المثلية التي ذكرها القرآن الكريم لا تقتضي المشابهة في كل شيء، فالمشابه لا يقتضي أن يكون كالمشبه به في جميع الوجوه، بل في وجه معين يقتضيه المقام، وهو هنا «الأممية»، فكل منها أمة لها كيانها واحترامها، وحكمة الله تعالى في خلقها وتمييزها عما سواها من الأجناس والأمم الأخرى.. فأمة النمل غير أمة النحل، غير أمة العنكبوت، وأمة الكلاب غير أمة القطط، غير أمة أبناء آوى.. ومادامت أمة فلا ينبغي أن تستأصل، لأن هذا ينافي حكمة الله سبحانه في خلقها.

ولنا شواهد عدة تؤكد ما جاء به القرآن عن اختلال التوازن البيئي في حالة انقراض أصناف أو أنواع من الحيوانات:

- في عام ١٨٨٦م، صدر قانون عن الحكومة الأميركية يقضي بقتل الطيور الجارحة (الصقور والبوم) التي تفتك بصغار دجاج الفلاحين، وخلال عام ونصف العام قضي على ١٢٥ ألف طائر جارح، فزاد عدد الفئران (التي تعد طعاما لهذه الطيور) وأضرت بالمحاصيل الزراعية ضررا يفوق ما لحق بصغار الدجاج.
- وفي كاليفورنيا أدى الإفراط في اصطياد ثعالب البحر طمعا في فرائها إلى تكاثر القنافذ البحرية (التي كانت تتغذى عليها الثعالب)، ومن ثم دمرت القنافذ الشعاب المرجانية والغابات العشبية وما يعيش عليها من أحياء. ولقد أجهضت الولايات المتحدة مؤتمر قمة الأرض في ريو دي جانيرو بموقفها المتشدد ضد الحفاظ على التنوع البيولوجي وذلك حفاظا على مصالح شركاتها التكنولوجية وعمالقة صناعاتها الدوائية.
- صانعو الأعلاف، وبسبب ارتفاع أثمان البروتين المضاف إلى تسمين الماشية، تحولوا إلى مصادر أقل كلفة (وهي الأغنام المريضة المستبعدة والمخلفات الحيوانية من المجازر وغيرها). ولتوفير نفقات الطاقة أيضا عالجوا هذه الأعلاف المستجدة بأنظمة حرارية منخفضة على مدار عشر سنوات (١٩٧٥- ١٩٨٥م) إلى أن ظهرت أول حالة من مرض جنون البقرBovine Spongiform Encephalopathy عند الإنسان في عام ١٩٨٥م، ودلت الدراسات على أن مرض جنون البقر(BSE) مشابه تماما لمرض يصيب الأغنام، وهو مرض سكرابي (Scrapie)، فكان بعد تحدي سنن الله تعالى بإطعام الماشية باللحوم أن خسرت بريطانيا ما يقرب من أربعة مليارات جنيه إسترليني كانت تعتمد عليها في صناعة «البيف البريطاني»، الذي كلفته عشرين مليار إسترليني للتخلص من أحد عشر مليون بقرة وتعويض المزارعين والعمال العاملين في صناعة الماشية، لذا أصدرت بريطانيا في يوليو من عام ١٩٨٨م، قانونا يعلق استخدام الأعلاف المحتوية لبروتين من مصدر حيواني، مما قلل من ظهور إصابات جديدة.
- كما أن الطاعون الأسود Black plaque، الذي حصد نحوا من ربع إلى ثلث سكان أوروبا بدءا من عام ١٣٤٦م، كان بسبب إبادة السكان ومجازرهم المعنوية والمادية للقطط التي يعتقدون في أنها لم تذكر أبدا في الإنجيل، وأنها رمز للشيطان والشر والسحر والهرطقة (المتبادلة بين الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية)، فكان في فرنسا -على سبيل المثال- عند إعدام مجرمة ما تحرق معها ١٤ قطة! ومن ثم اختل التوازن الطبيعي، فازدادت الفئران زيادة رهيبة، حاملة البراغيث التي تنقل هذا المرض الفتاك إلى البشر.
- وحتى الحيوانات المفترسة لها دورها في النظام الإيكولوجي البيئي، إذ تقوم بدور الرقيب على أعداد الحيوانات العاشبة، فلولا وجود الثعالب والذئاب والطيور الكواسر التي تتغذى على الأرانب والفئران، لتكاثرت الأرانب والفئران وازدادت أعدادها إلى حد تتلف به النباتات بمعدلات تزيد على معدلات نموها وإنتاجها، مما يعني تدهور الغطاء النباتي وتآكل التربة وانجرافها وزيادة السيل السطحي للمياه.
- قامت بعض الدول بمحاولة القضاء على الذئاب التي تتغذى على الأرانب والحيوانات ذات الفراء، إلا أنه تبين بعد ذلك أن الأمراض السارية قد انتشرت بوتيرة عالية بين الحيوانات ومات الكثير منها، ودلت الدراسات أن انخفاض أعداد الذئاب كان المسؤول عن انتشار الأمراض بين الحيوانات التي تفترسها الذئاب. ذلك أن الذئب لا يستطيع في الغالب اللحاق بطريدة صحيحة الجسم فيما يكتفي بالمريضة والضعيفة، وبقضائه على الحيوانات المريضة كان يقضي بشكل غير مباشر على بؤرة المرض.

عموما يعتبر كل نوع أو صنف من الحيوانات، أو أي عنصر من عناصر البيئة جزءا من الذخيرة الوراثية، وليس الواجب فقط الذي يفرض الاعتناء بها، بل المصلحة العامة والمشتركة لدى كل الأفراد من مسؤولين وصناع قرار وكل شرائح المجتمع يجب أن يكون لديهم وعي ودراية تامة بكل جزء من أجزاء البيئة.

جمال الهاشمي
باحث في التراث والتنمية

التراث العربي.. وممكنات التنمية

معلوم في أيامنا أن أي مجال يكون محط دراسة ينتظر أن يتم ربطه بموضوع التنمية، فهذا ما يعطيه بعده الملموس ذي الأثر المحسوس على حياة الناس ومصالحهم الحيوية ومستقبلهم وغد أبنائهم.

ورد في بعض خطب الملك محمد السادس قوله: «إن السياحة في منظورنا، وإن كانت نشاطا اقتصاديا من الأهمية بمكان، فإنها ثقافة وفن للتواصل مع الآخر. ومن هذا المنطلق، فإن تنميتها تتوقف على حسن استثمار مؤهلاتنا الطبيعية المتنوعة وتراثنا الحضاري والثقافي العريق الزاخر بتقاليد كرم الضيافة وحسن الوفادة» (١).

في هذا السياق، يأتي اهتمامنا بدراسة العلاقة بين التراث والتنمية، ومحاولة إيجاد مختلف الأبعاد التنموية الممكن تحصيلها من استخدام مختلف المكونات التراثية في السيرورة التنموية، هكذا فقد أمكننا الوقوف من بين الأبعاد التنموية على ما يلي:

البعد الاقتصادي والمادي المباشر للتراث في التنمية (٢)

وهو ما يندرج ضمن الاستخدام المعروف والتقليدي للتراث في الترويج والتنمية السياحية، ويكون ذلك بحسن استخدام مختلف المواقع التراثية ومختلف أنواع التراث في استقطاب السياح من مختلف أصقاع العالم، إلى جانب إعداد استراتيجية حقيقية مضبوطة لتشجيع وصنع سياحة داخلية قوية أيضا، وستكون لذلك عائدات مالية هائلة يمكن أن تشكل نسبة مهمة في ازدهار اقتصاد البلاد، فها هي إسبانيا الدولة الجارة، التي لا تبعد عنا إلا كيلومترات معدودة، تستمر في تحقيق أعلى الإيرادات من استثمارها الجيد لمتلكاتها من مختلف أنواع التراث، وفي مقدمتها التراث الثقافي، الذي من بينه رصيد كبير ورثته عن الحضارة الإسلامية التي شيدها أسلافنا على أرضهم.

هكذا تتمكن إسبانيا من استقبال ما

يقارب ٧٠ مليون سائح سنويا، وهو ما جاء في معرض حديث رئيس الوزراء مارينو راخوي، الذي قال في شهر أغسطس سنة ٢٠١٥م: «إن من المتوقع أن يزور البلاد عدد قياسي من السياح هذا العام يصل إلى ٦٨ مليون شخص».

ولقد قفز عدد السياح الذين يزورون إسبانيا إلى ٦,٣ في المئة في يوليو ٢٠١٥م، مقارنة بالعام السابق، لتصل إلى مستوى ارتفاع قياسي بفضل ضعف اليورو والمخاوف الأمنية التي تشوب المنتجعات الأخرى المنافسة التي كانت تجذب السياح.

وقالت «فرونتور»، وهي هيئة تابعة لوزارة الصناعة، إن عدد الزائرين الوافدين بلغ ٨,٨ ملايين في يوليو ٢٠١٥م، ليصل إجمالي عدد الزائرين في الأشهر السبعة الأولى من العام إلى نحو ٣٨ مليون شخص، وارتفع عدد الزائرين حتى هذا الوقت من العام بنسبة ٤,٧ في المئة مقارنة بالفترة ذاتها من العام الماضي في دفعة قوية بطريق تعافي اقتصاد البلاد، وبذلك تشكل السياحة في إسبانيا نحو ١١ في المئة من ناتج الاقتصاد القومي (٣).

وتعتبر قصور الحمراء في مدينة غرناطة (المعالم التي خلفها حكام الأندلس من المسلمين) المعلم السياحي الأول من حيث عدد الزوار، إذ يزورها ما يزيد على ٢,٢ مليون سائح سنويا. دفع هذا الاكتشاف خبراء الحفاظ على الآثار إلى مطالبة الجهات المسؤولة بوضع سقف يومي لا يمكن تجاوزه لعدد الزوار الذين يمكن السماح لهم بزيارة هذا الصرح التاريخي المهم، حتى لا يتسبب التلوث الذي يولده السياح في الإضرار بهذا الأثر المهم، ويتسبب في إصابته، أو إصابة أجزاء منه بأضرار جسيمة، وهو ما حدث بالفعل في نافورة الأسود التي تم رفع واحد من أسودها من مكانه لإخضاعه لعملية ترميم شاملة، وقال المسؤولون إنهم ينوون إعادته إلى مكانه والبدء في ترميم باقي الأسود على التوالي.

وتعتبر مجموعة قصور الحمراء، التي تقع على هضبة السبيكة المطلة على مدينة غرناطة، من الأعاجيب الهندسية التي تجذب السائح بجمال تكوينها وبهاء الزخارف والنقوش التي تزين جدرانها وأبوابها وشبابيكها، وتتكون هذه المجموعة الملكية من مجموعة من القصور والقاعات والحدائق التي تم بناؤها في القرن الرابع عشر الميلادي في عهد ثلاثة من ملوك بني نصر هم: إسماعيل الأول، ويوسف الأول، ومحمد الخامس. وتمثل مجموعة القصور هذه نظاما فريدا في نظام الحراسة الذي يحميها، مما جعلها قلعة حصينة بوسعها العيش بمعزل عن المناطق المحيطة بها، وربما لهذا السبب ظلت تقاوم الجيوش المسيحية بقيادة الملكة الكاثوليكية إيزابيل، إلى أن قرر الملك أبو عبدالله الصغير تسليمها في الثاني من يناير عام ١٤٩٢م (٤).

جدير بالذكر أن هناك عدة نماذج أخرى ناجحة، بالإضافة إلى إسبانيا، استطاعت استخدام التراث بشكل ذكي وفعال في إنجاز تنمية اقتصادية مهمة، ومنها فرنسا أول بلد على مستوى استقبال السياح، وفق معطيات منظمة السياحة العالمية، وهناك كذلك تركيا وغيرهما، لكننا أوردنا النموذج الإسباني لقربه الجغرافي لبلدنا المغرب، ولنجاحه الملحوظ في استخدام التراث الثقافي العربي الإسلامي بالأساس في تشابه كبير بين المغرب وإسبانيا، لكن هذه الأخيرة حققت أرقاما تفوق ما حققه المغرب بكثير.

البعد التنموي النهضوي غير المادي للتراث في التنمية

إن البعد التنموي النهضوي غير المادي للتراث وتوظيفه في التنمية هو الأهم، برأيي، إذ يغفله الكثير من الباحثين والمهتمين، ولا يدرك قيمته إلا القلة من الدارسين، فالبعد التنموي المبني على تنمية حس المواطنة والرغبة في النهضة وتحقيق التنمية الشاملة في مختلف أبعادها وتجلياتها، له دور أساس في بناء صروح اقتصادية واجتماعية وثقافية مؤهلة للإسهام في ازدهار المغرب ورفاهية المغاربة.

ومن أهم الأمثلة على هذه الرؤية، نستحضر شعب اليابان في نهضته، التي استثمر في صنعها مقومات تراثه الأصيل، فأنشأ شعبا ومجتمعا متشبعا بقيم تراثه المتأصلة، التي لايزال يتشبث بها إلى الآن، فكانت اليابان كما يعرفها الجميع، ووصلت إلى ما وصلت إليه من الرقي الحضاري والازدهار الاقتصادي والسبق التكنولوجي، فكانت نهضة على جميع المستويات، بناها شعب ظل متشبثا بأصالته وتراثه وما يشملانه من قيم العمل والبناء وشيم الأدب والتأدب والانضباط والتنظيم والتعاون والإخلاص والأمانة، كل ذلك لم يجلبه من خارج البلد، بل إن نهضة اليابان الحديثة اعتمدت على وصل الحاضر بالماضي واستثمار كل مكوناته البانية للنهوض والتنمية.

هكذا فإن التجربة اليابانية تطرح أسئلة دالة تتعلق بفلسفة النهوض وعلاقة الهوية والثقافة التي يكرسها التراث بالنهضة والتغيير(٥).

وجدير بالذكر أن حركة النهوض الياباني قامت على حركية فلسفية وفكرية كثيفة ورصينة ودينامية أدبية خصبة، وليس على مجرد التوسع التقني والإنتاج الصناعي فقط (٦)، ولذلك استطاع اليابانيون تأسيس التوازن الصعب والدقيق بين النهضة الاقتصادية الشمولية والقيم الإيجابية والروحية في التراث التقليدي، الأمر الذي أنتج معه تركيبا مبدعا بين قيم الأصالة ومتطلبات الحداثة وروح المعاصرة، بصفتها من أبرز مقومات النهضة في اليابان منذ أواسط القرن التاسع عشر حتى نهاية القرن العشرين، حاميا بذلك المجتمع الياباني من سلبيات عصر العولمة المتغولة الساعية إلى تدمير التراث الثقافي للشعوب وإبادة الخصوصيات وتنميط العالم (٧).

بل وحتى أسس النهضة الأوروبية التي بتنا نأخذ منتجاتها بعد قرون من حدوث النهضة، كنماذج جاهزة، حتى هذه الثورة قد بنت مرتكزاتها على التراث الأوروبي القديم؛ فإذا رجعنا إلى فكرة النهضة فيمكن الجزم بأن أوروبا لم تحقق نهضتها وتقدمها إلا بالرجوع إلى التراث اليوناني والروماني القديم بكل أبعاده العلمية والأدبية والفنية والأسطورية...إلخ، فقد انكب المفكرون الأوروبيون على دراسة التراث اليوناني والروماني بشكل عميق، وبروح نقدية حرة، ومن دون الخضوع أو مراعاة إلا متطلبات العقل، فاكتشفوا «المعجزة» اليونانية في العلم والأدب والتاريخ والفن والأسطورة (٨)، هكذا فإن حضارة الغرب قد انبثقت من مصادر يونانية، مبنية على تراث فلسفي وعلمي بدأ في ملطية Miletus منذ ٢٥٠٠ عام (٩)، من دون أن ننسى أمرا غاية في الأهمية، وهو أن الثقافة العربية الإسلامية، ممثلة في روادها وعلمائها، قد قدمت خدمات جليلة للتراث اليوناني من خلال أعمال الترجمة التي حافظت على ذلك التراث القديم وانطلقت منه لصناعة مجد حضاري، نهل منه العالم ما أسس به حضارته اليوم، بعدما توقف العرب عن صناعة الحضارة.

لقد أدركت أوروبا النهضة عبر مفكريها، بأن الحاضر يعيش في حوار مع الماضي، فكانت الحركة الثقافية في القرن ١٦ تدعو إلى إحياء التراث وتمجيد الإنسان، فعبر التراث يتحقق حوار الماضي والحاضر، وعبر التراث يتشابك في الحاضر الماضي بالمستقبل (١٠).

خلاصة

هكذا، نرى كيف يؤمن العالم اليوم بأهمية التراث الخاص بكل شعب، كما أبرزنا آنفا في نموذجي اليابان وأوروبا، وكيف أن للتراث دورا حاسما في تحديد ملامح النهضات الجديدة أو الصاعدة بناء على أصول تراثية محلية عريقة وضاربة في عمق التاريخ.

فإذا نظرنا في المحصلة لكل مشاريع النهضة وما ترومه من تقدم وتطور وتحرر للإنسان، أمكننا اعتبار ذلك تنمية، فالغاية من كل المجهودات البشرية في مختلف المجالات هي تنمية الإنسان ورقيه، هنا قد نجد المبرر الذي يسمح لنا بالقول إن العلاقة بين التراث والتنمية هي علاقة تاريخية أصيلة، وليست عرضية أو قسرية أو نابعة من صدفة ما، سواء أدرك الإنسان ذلك أم جهله، وما هذه «الثورة» في توظيف التراث في التنمية السياحية منذ الربع الأخير من القرن الماضي من طرف معظم الدول في العالم إلا أحد أوجه ممكناته لتحقيق التنمية في كل أبعادها (١١)، وتجلياتها وسماتها.

الهوامش

١- مقتطف من خطاب الملك محمد السادس بتاريخ ١٠ يناير ٢٠١٠م.

٢- سأتناول بمزيد من الدرس والتفصيل في دراسة قيد الإعداد هذه العلاقة الحيوية بين التراث والتنمية.

٣- موقع جريدة الحياة: http://www.alhayat.com/articles آخر تحديث: الجمعة ٢١ أغسطس ٢٠١٥م، س١٤ بتوقيت غرينتش، مدريد، رويترز. المعطيات الإحصائية الواردة نقلا عن موقع منظمة السياحة العالمية.

٤- أبرز المعالم السياحية الإسبانية، قصور الحمراء ومئذنة إشبيلية وتراث الأندلس، المصدر: http://www.sfari.com/forums/sfari24/travel951 منتدى سفاري للسفر والسياحة.

٥- سلمان بونعمان، التجربة اليابانية، دراسة في أسس النموذج النهضوي، مركز إنماء للبحوث، تجارب ١، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٢م، ص١٧.

٦- سلمان بونعمان، التجربة اليابانية، دراسة في أسس النموذج النهضوي، مركز إنماء للبحوث، تجارب ١، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٢م، ص٢٩.

٧- المصدر السابق نفسه، ص٣٣.

٨- إدريس الصنهاجي، التراث والتنمية، مساهمة في تأصيل العلاقة، مقاربات،مجلة العلوم الإنسانية (محكمة)، العدد١٧، المجلد التاسع، السنة ٢٠١٤م، ص١٤٨.

٩- برتراند راسل، حكمة الغرب، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي، ج١، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، ع٣٦٤، يونيو٢٠٠٩م، ص٣٣.

١٠- الطيب تيزيني، مفهوم التراث العالمي، عالم الفكر، ع٤، المجلد٣٦، أبريل يونيو٢٠٠٨م، ص١٤.

١١- مقاربات، مصدر سابق، ص١٥٠.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

محمد ثابت توفيق
كاتب وقاص مصري

في معية خالق الدنيا..!

إن المرء يكون مستيقظا من نومه، مؤديا فرضه، لم يؤذ أحدا من الناس، لذلك «يأمل» ألا يؤذيه أحد. وما إن يمضي في الطريق إلى عمله مستبشرا، حتى يصيبه رذاذ من جراء سرعة سيارة عابرة من مياه تجمعت في الطريق، فتبتل ملابسه، ويضطر إلى ملاحقة صاحب السيارة وعتابه. وإن تجرع جرعة الغيظ لأجل الله تعالى، ظل يعاني. وقس على مثل هذا إن لم تجد ما يعكر صفوك في بيتك وجدته في عملك أو سيارتك..

حلقت مع كلماته بعيدا:

من منا لا يجد منغصا في هذه الحياة؟

من الذي يرتاح إلى ما فيها.. فلا يجد شقاء هنا أو أرقا وسهدا وتعبا هناك؟ يكون الواحد منا كأكثر ما يمكن أن يكون سلاما وأمنا مع الآخرين، لا يريد منهم إلا أن يبادلوه نفس شعوره وعمله فقط، وربما من أجل ذلك يترك بعضا مما له من حقوق عليهم، فيفاجأ بأحدهم يلقي على مسامعه كلمة، بقصد أو من دون، تجعله يستغفر الله كثيرا قبل أن يرد، ويراجع ما قدمه للمتحدث، وربما نقل الأخير تصوره، غير الموافق للحقيقة إلى الآخرين.

وبعد عناء تعب ونصب في العمل يعود أحدنا إلى بيته، وقد يجد طفله الحبيب، لا قدر الله، وقد ناله من مرض طفيف، لكنه رفع من درجة حرارته وجعله يتألم، ويصبح لا مفر من نقله إلى الطبيب، والبحث عن دواء بقلب الليل..

وكنا صغارا نقول متى ذهبنا إلى الجامعة ارتحنا من عناء الذهاب إلى المدرسة في مواعيد، والتأخر في الدخول إليها، والمقررات والدروس والمناهج والملخصات، فلما ذهبنا إلى الجامعة تمنينا التخرج والراحة من عناء المحاضرات والخوف من الامتحانات، وطابت لنا فكرة الحياة العملية والاستقلال بالحياة، فلما تخرجنا تطلعنا إلى الارتباط والأسرة ودفء البيت والأنس إلى الزوجة والسكن إليها، فلما تزوجنا انتظرنا الولد بفارغ الصبر، وقلنا:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان:٧٤).

فلما جاء الولد اشتهينا أن يكبر بسرعة؛ ليعيننا على أمور الحياة ويأخذ بأيدينا نحوها، فلما كبر ازدادت مشكلاته وصارت متابعته جزءا من معاناة حياتنا الضرورية.. ونحن الذين انتظرنا الراحة من ترعرعه وكبره!

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ (البلد:٤).

ومن أعجب ما قيل في تفسير الآية ما قاله مجاهد وأورده ابن كثير (١) في تفسيره لها:

«﴿فِى كَبَدٍ﴾ نطفة، ثم علقة، ثم مضغة يتكبد في الخلق - قال مجاهد: وهو كقوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (الأحقاف:١٥) وأرضعته كرها، ومعيشته كره، فهو يكابد ذلك».

أي إن حقيقة الحياة أن الإنسان يعاني المشقة من قبل ميلاده، منذ كونه علقة ومضغة.. ويا له من معنى لو فهمناه واستوعبته عقولنا، فليس لتعبنا وإراهقنا علاقة بتعدينا سن الطفولة أو الصبا، بل منذ كان علقة برأي مجاهد، رحمه الله، تبدأ معاناته منذ بدايات التكوين الأولى في بطن الأم.

دقق في هذه الحياة التي نحيا فيها واختر أي إنسان تعرفه جيدا، وفكر فيه:

. هل حيزت له أسباب السعادة من جميع أطرافها؟
الذي تجد لديه نعمة الولد والصحة، لا تجد لديه من المال ما يريد أو يكفيه؛ والذي تجد لديه المال الكافي لحياته، تجده قد حرم من نعمة الولد؛ وإن أعطي الولد مع المال، تجد به علة في صحته؛ فإن أعطي الصحة مع الولد والمال لم يعطها كاملة، ولربما وجدت به خللا في التعاملات الاجتماعية مع الآخرين يؤدي إلى مشكلات ضخمة تجعله يتمنى لو حرم بعضا من المال الذي لديه ووفق في حسن المعاملة مع الآخرين..
باختصار الجميع هاهنا في هذه الحياة الدنيا تجده قد افتقد شيئًا، وهو طوال حياته يبحث في دأب وإرهاق عنه، وحتى إن أعطي ما يبحث عنه فوجئ بنقص في أمر آخر لم يكن يخطر له على بال، خسارة ضخمة في المال، مرض مفاجئ لعزيز، أو فقد لأحد أعمدة الحياة بالنسبة إليه.
وعبر السنين الطوال تتكون لدى المرء منا قناعة أن ليس في الوجود مبرءا من كل شاغل أو عيب وفق تقدير الله..
وحينما تنظر في قول الشاعر العربي القديم:

رب يوم بكيت منه فلما
صرت في غيره بكيت عليه!

تدرك مقدار هول صروف الأيام والليالي وتقلباتها، إن لم يكن الواحد فينا ملتزما بباب الله فيها، أو كما قال أبو الطيب المتنبي:

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت
على عينه حتى يرى صدقها كذبا!

والأصل في الأمور أنه لم يحدث على مدار التاريخ كله أن حيزت الدنيا بنعيمها لإنسان، مهما كان، ولو ملك فيها ما ملك؛ الجميع متعب والكل معنّى إلا المتمسك بحبل الله تعالى وهداه، والمدقق في الحديث القدسي التالي يعرف مقدار هذه الدنيا وقيمتها جيدا:
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه -جل وعلا- أنه قال: «وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة» (أخرجه ابن حبان في صحيحه، والبزار في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن المبارك في كتاب الزهد، وأبو نعيم في حلية) (٢).
فما أرادنا الله في هذه الحياة لنرتاح فيها ونأنس إليها، إذن لتمنينا، مع محبتها في القلوب، ألا نغادرها إلى أبد الدهر، ولكنه تعالى أراد بالخوف فيها والمنغصات ارتفاع الدرجات لديه يوم القيامة، بل الأمر يخضع لإرادة الله، ومن ذا الذي يقبل أن يبيع الخير الوفير القادم لديه، سبحانه، بقليل الحياة الدنيا؟
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط» (رواه مسلم) (٣).
والحديث يقارن -بما لا يدع مجالا للتفكير- بين حالنا في الدنيا والآخرة، فالأولى الفانية، ففي شرح النووي على مسلم: «يصبغ صبغة أي يغمس غمسة؛ وغمسة أنعم أهل الأرض في النار تنسيه الدنيا وما كان فيها أو منها، وغمسة أشد أهل الأرض بؤسا في الجنة تنسيه كل عذابات الدنيا» (٤).
إننا في هذه الحياة القصيرة مجرد ضيوف، تفتح لنا غرفة الجلوس أو المسافرين منها، على الأكثر، فتارة نجلس، وأخرى نقف، وتارة تقربنا من باب الخروج، لإننا بالفعل، طالت أعمارنا أم قصرت فيها عنها راحلون، وأجل ذلك وعمره بالغ القرب، ولو يدري أحدنا الحقيقة لما تعلق بالدنيا ولو بمقدار ذرة، وصدق معلم البشرية ﷺ..
عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل». وكان ابن عمر -رضي الله عنهما- يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» (رواه البخاري) (٥).
وصدق رب العزة سبحانه وتعالى إذ يقول:
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥).
إن رحلتنا في هذه الدار مهما طالت، من وجهة نظر البعض، فهي قصيرة جدا، وإن الحياة الباقية لتلك التي تنتظرنا لدى الله تعالى.. اللهم صبرنا على حياتنا الدنيا وارزقنا الثبات فيها والتحمل حتى نلقاك، واجعل سعينا لأجلك متقبلا لديك، مخلصا لك.

الهوامش

١. تفسير ابن كثير، دار طيبة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، عن موقع المكتبة الإسلامية، شبكة إسلام ويب، تفسير سورة البلد.
٢. الأولياء وصححه الحافظ ابن حجر في مختصر زوائد البزار والشيخ الألباني في السلسلة، عن موقع المقالات، شبكة إسلام ويب، الحديث الشريف، الأحاديث القدسية، لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين.
٣. شرح النووي على مسلم، دار الخير، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، عن موقع المكتبة الإسلامية على شبكة إسلام ويب، «باب صبغ أنعم أهل الدنيا في النار وصبغ أشدهم بؤسا في الجنة».
٤. التحليل الموضوعي للحديث الشريف السابق بالمصدر نفسه.
٥. شرح الأربعين النووية بموقع المقالات، شبكة إسلام ويب، حديث كن في الدنيا كأنك غريب.

سعيد أصيل
قاص مغربي

عندما تتلألأ النجوم

انطلق الولد إلى الخارج ودموعه تسبقه. حاول أن يحدد اتجاها لمسيره لكنه لم يستطع، ومع ذلك تابع المسير، يجر معه صراخ والديه يصحبه ويطن في أذنيه.

خرج الوالد غاضبا، بعد أن ضرب الباب بقوة. في طريقه ألقى نظرة خاطفة داخل المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه مع بعض أصدقائه. كانت المفاجأة سريعة حين لمح ابنه مصطفى يجلس بين مجموعة من الشباب يدخن سيجارة وينفث بعصبية وغضب شديدين. تمالك نفسه وهدأ من روعه، بعدما هم باقتحام المكان وضرب ابنه، لكنه تراجع وأخذ الهاتف من جيبه ثم التقط صورة لمصطفى في حاله تلك، دون أن يلاحظه أو يشعر به أحد.

عاد الوالد إلى البيت. أدار المفتاح ودفع الباب. كانت الأم لا تزال شاردة في الحال التي تركها عليها. ألقى الهاتف أمام زوجه فاطمة مفتوحا على صورة ابنه ثم خاطبها:

- انظري أثر تربيتك!

- بل أثر خلافاتنا وخصوماتنا المتكررة أمامه... وربما سنجني الأمر نفسه مع أخويه الآخرين.

انتبه إلى نفسه.. فكر في كلماتها النافذة وصمت. حمل هاتفه وغادر البيت.

في طريقه ظل يعيد تلك الكلمات ويقلبها.

حقا.. هو الأمر كما قالت.. خلافاتنا وخصوماتنا هذه بداية نتائجها، وربما تطور الأمر أكثر، وقد ينتقل إلى بقية الأولاد إن لم نفكر في تغيير الأمور وإعادتها إلى نصابها قبل فوات الأوان.. هؤلاء أولادنا، معا، وليس لهم ذنب في ما نفعله.

أطال الجلوس في باحة مقهى خارج المدينة. أحس بقليل من الارتياح، فالمكان هادئ وجميل، بني على فناء بيت قديم ذكّره ببيت والده الذي ورثه عن جده، الذي ورثه، بدوره، عمن سبقه من الأجداد، في المدينة القديمة. تذكر كيف كانوا يتحلقون حول جدهم، هو وأبناء وبنات أعمامه الثلاثة وعمته.. كانت تجمعهم باحة الفناء الذي يتوسط البيت مع واسطة عقده؛ النافورة الفسيفسائية، تحيط به حديقة جميلة غناء، تحفها أشجار سامقة، تتوسطها ورود متنوعة، تزيدها ترانيم طيور الحسون جمالا وروعة. كانوا يتسابقون لإطعامها حبوب البريق (أزوان) ينثرونها عبر فتحات أقفاصها، والجد يتابعهم بابتسامته العريضة الدائمة، يوزعها عليهم بالتساوي ودون استثناء، والجدة تداعب إحدى حفيداتها؛ تسرح شعرها الحريري وتنادي باقي البنات ليشاركنها حكاية أو مثلا أو يساعدنها في تنقية القمح المنشور على مائدة دائرية كبيرة.

وفي الركن الآخر من الفناء يجلس الجد بوجهه الوضاء الذي لا تفارقه ابتسامة تنفرج لها أساريره، يلاقي بها الجميع، هادئا، يحمل مسبحته في يده اليمنى يمرر حباتها المتلألئة بأطراف أصابعه، يتابع تهاليله التي لا تسمع معها إلا همهمات سريعة مطمئنة.

تذكر هذا كله وهو يتأسف عما وصلت إليه الأمور، بعد موت الوالدين وتفرق إخوته وأخته عبر مناطق المدينة نفسها، حيث يقطن كل واحد منهم منعزلا بنفسه وأولاده وهمومه.

- وا أسفاه.. وا أسفاه..

قالها وتنهد تنهيدة طويلة، ثم عاد إلى نفسه.

لم يكن والدي ووالدتي يتشاجران كما نفعل اليوم، بل تذكر أنه لم يعش شجارا ولا خصاما بينهما، في حياته، أو على الأقل لم يسمعهما كذلك.

- ما الذي حصل لنا؟

كرر السؤال بداخله، مرات ومرات، وأعاد التفكير: هؤلاء أولادي ومن صلبي.. كيف أضيعهم؟ وأين سيذهبون هم ووالدتهم؟.. حقا لقد عشت معها سنوات ولحظات جميلة وهادئة.. كنا متفقين في غالب الأشياء وحول أغلب الأمور.. ما الذي حدث؟.. أي شيء غير مجرى حياتنا؟

في هذه الأثناء كانت الزوجة جالسة في ركن الغرفة الكبيرة تردد الأسئلة نفسها، وهي تنظر إلى طفليها النائمين والدموع مازالت عالقة في عيونهما البريئة مثل قطرات المطر الخفيفة على أوراق التوت، تستغفر وتحوقل. أثار صوت أذان الظهر انتباهها فانسحبت بهدوء شديد حتى لا توقظ الطفلين. بسملت واستعاذت بالله ثم دلفت مكان الوضوء.

عند أول تكبيرة وجدت في نفسها راحة وسكينة. انخرطت في المناجاة عند السجدة الأولى التي طالت ولم تقم منها إلا بعد لحظة طويلة. تابعت صلاتها ولم تعد تشعر بشيء من حولها.

عاد الزوج مسرعا إلى البيت، ولج بسرعة فائقة.. توجه نحو مكان الوضوء ثم خرج مسرعا حتى يلحق تكبيرة الإحرام.. عند أول خطوة على باب المسجد سمع المأموم يقيم الصلاة، فشكر الله على ذلك فنادرا ما فاتته تلك التكبيرة التي اعتاد عليها، في الصف الأول، منذ كان يصحب والده أو جده، أو هما معا، وهو طفل.

كبّر الإمام، وكبّر بعده. وجد حلاوة الصلاة التي لم يذقها منذ صباح اليوم. انسابت الدموع غزيرة صاحبها

أزيز متقطع. وبعد تسليم الإمام وجد في قلبه راحة افتقدها منذ مدة بسبب ضغوط العمل والسفر المتكرر، الذي نأى به بعيدا عن أهله وأبنائه.
أسند ظهره إلى سارية كبيرة وطاف بنظره في سقف المكان. انتابه شعور غريب بجماله الأخاذ، وتساءل لماذا لم يستشعر هذا الأمر طيلة عمره؟!.. كانت زخرفات خشب الأرز مازالت جذابة، رغم مرور قرون عليها، في تناسق عجيب تثير في الرائي جلال المكان ورهبته، وتشهد على براعة صناع هذا البلد على مر الزمان، يزيدها الفناء الشاسع روحانية غريبة، ترسم في القلب لوحة انفلات الدمع على إسفلت الماضي الهارب من صاحبه.
سرح بخياله، وروحه ترفرف تواقة إلى أجنحة الجلوس أمام فقيه الكتاب يلقنه الآيات والسور، وهو يستظهر بصوته الجميل الذي كان يجعله واحد أقرانه في الحي والأحياء المحيطة، بل كثيرا ما كانوا يستدعونه في المناسبات لقراءة آيات تنبعث من صوته الشجي، تثير السامعين وتنبههم إلى جمال وروعة كلام الخالق، وتدعوهم للاتعاظ والتوبة فتنهمر دموع الخاشعين والمفرطين منهم، على السواء، مدرارا. ثم وهو يعود إلى والده وجده يقبلانه فرحين به شاكرين الله على نعمة الولد، فينحني خجولا يقبل يديهما ويتمسك بعنقيهما... أخذ شريط الذكريات يتتالى عليه وهو منغمس في جوه الروحاني ذاك، ولم يقطعه عنه إلا صوت خادم المسجد يلقي عليه التحية ويسأله عن أحواله وسبب طول غيابه الأخير. رد عليه السلام وتابع معه الحديث، ثم انتبه إلى أن وقتا طويلا قد مر عليه. استجمع نفسه، وقام مودعا.
أدار المفتاح ودخل. وجد زوجه قد تغيرت عما تركها عليه.. بادرته بابتسامتها المعهودة. ذكرته بها في أول عهدهما عندما جاءا إلى هذا المنزل، هائمين، يجمعهما حب وود قلما يجتمعان في هذا الزمن.. ذكرته بمبادرتها له عند الدخول وحملها حقيبته وأخذه إلى مائدة الطعام، متسائلة عن يومه، شاكرة الله على سلامته وعودته الميمونة.
أخبرته أن وجبته جاهزة وأنها بردت بسبب تأخره ثم استأذنته بضع دقائق لتضعها على النار قليلا كي تسخن، وأنها مازالت تنتظره حتى يتناولا وجبة الغداء، كعادتهما، معا.
جلسا حول المائدة، وقد خجل من نفسه لهذا الاستقبال الذي لم ينتظره، بعدما فعل ما فعل صباح اليوم. استسمحها عما بدر منه، واستسمحته هي أيضا. التقت نظراتهما ففاضت ابتسامتان رقيقتان من كل منهما. اقترب منها قليلا وقبل جبينها.
تابعا تناول الغداء. سألها: هل عاد مصطفى إلى البيت أم لا؟ فأشارت برأسها بما يدل على السلب. صعدت منه تنهيدة وزفرة معبرة، ثم قال مخاطبا:
– لا عليك! سأعالج الأمر بإذن الله تعالى.
بادرته:
– أرجو ذلك.
بعد أذان العصر، خرج متوجها إلى المسجد. مر بالمقهى فلمح ابنه مصطفى في المكان نفسه. ناداه بصوت رقيق:
– تعال يا بني.
فوجئ مصطفى بصوت والده وقام إليه مسرعا. احتضنه بقوة، ثم خاطبه:
– تعال معي لنصلي العصر، وبعدها أريدك في أمر مهم.
لم يجد الولد بدا من مجاراة والده. وصلا إلى المسجد، فاستأذن مصطفى للذهاب قصد الوضوء.
بعد الصلاة التقيا عند باب المسجد. أخذ الوالد بيد ابنه وانطلقا. جلسا في مكان هادئ. نظر إلى ابنه، ثم قال له:
– تعلم يا مصطفى أنك أصبحت رجلا، وأن ما يقع بين الزوجين من خلافات أمر عادي.. أريد منك أن تثبت لي أني أنجبت رجلا يخلفني عند غيابي.. طبيعة عملي، يا بني، تحتم علي السفر بين الحين والآخر، وتجعلني، أحيانا، متوترا، وستدرك ذلك بعد سنوات قليلة حين تعمل وتتحمل مسؤوليات غيرك.
لم ينبس الولد بكلمة، ولكنه تابع كلام والده باهتمام كبير، مستشعرا معانيه وأبعاده العميقة، وقد ازدادت مكانة والده عنده.. اعتاد منه هذا السلوك النبيل منذ نعومة أظفاره، واعتاد رعايته له ولإخوته، ولذلك ندم عما بدر منه، هو الآخر.
نظرا بعضهما إلى بعض وترقرقت عيونهما بدموع لها أكبر من دلالة، ثم تعانقا، وأخذ الوالد بيد ابنه عائدين إلى البيت معا.
استيقظ الأب مع تهليل المهلل قبل صلاة الصبح. وجد زوجه خارج الفراش. ضغط على زر المصباح، وإذا به يكاد يتعثر وهو يسمع صوتها تناجي ربها بصوت خافت، والدموع تنهال من عينيها طرية باردة. قبل رأسها وتابع السير نحو الحمام. توضأ ودعا الله أن يجعله من التوابين ومن المتطهرين، ثم نادى، بصوت خافت، على مصطفى.
بادرت:
– لقد سبقك إلى المسجد.
نزلت كلماتها بردا وسلاما عليه.. فحمد الله وأثنى عليه، ثم ودعها.
عند وضع قدمه بباب المسجد لمح ابنه في سجود طويل، ففاضت عيناه. وبعد انتهاء الصلاة خرج دون أن ينتظر مصطفى، كعادتهما، ولكنه تركه وقد أخذ المصحف وانزوى في ركن من أركان المسجد.
كان نور المكان يشع عبر الأرجاء، والسكون يعم كل أطراف الطريق. أطال النظر في السماء.. نجوم تتلألأ، تخاطبه وتنثر على روحه نسمات الجمال والجلال، تعانق الصومعة الشامخة وتدخلان في عناق يدير ساعة الزمان نحو بداية الخلق، قبل سيلان الدم على نطع الخصام والشقاق، والقلب يهفو نحو الآتي.. نحو ضياء التأويل المنفتح ملء ذاك الفضاء.

محمد عويس
كاتب صحفي

محمود شاكر.. شاعر انطلق في وطنيته من مفهوم إسلامي رحب وأصيل

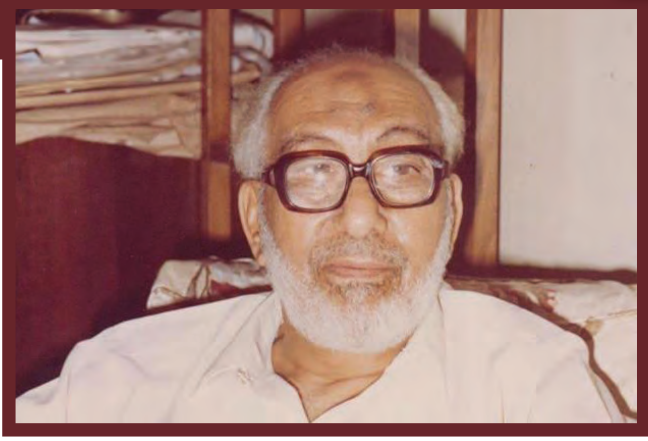

محمود محمد شاكر رجل متعدد المواهب والملكات، فهو كاتب واسع المعرفة، وهو محقق خبير بكنوز التراث العربي، وهو مترجم بارع، وناقد كبير، وفوق كل ذلك هو أديب شاعر، فقد كان الشاعر فيه يتدسس إلى كل كتاباته وتحقيقاته؛ فهما للنص وقراءة نافذة له. ويؤكد على هذه الحقيقة عدد من الدواوين الشعرية المخطوطة التي طواها صاحبها بنفسه.

وتشير الدراسة المعنونة بـ «شعر محمود محمد شاكر: دراسة فنية» إلى أن هناك آفاقا شاكرية ماتزال بحاجة إلى من يرتادها، فلاشك أن شاكرا يقف علامة بارزة في صرح ثقافتنا العربية المعاصرة، لما يمتلكه من اطلاع واسع، وخبرة مدهشة بموروثنا الأدبي، ورؤى متميزة وأصيلة تجلت في كتاباته ومواقفه المختلفة.

فليس عجيبا إذن أن تتعدد الدراسات حول محمود شاكر، بيد أن أكثر هذه الدراسات قد وقفت عند كتاباته النثرية، وقليل منها ما تناول الإبداع الشعري، ويتضح لنا أن هذه الدراسات في مجملها قد اقتصرت على شعر شاكر المنشور، وهو في الحقيقة لا يمثل سوى ثلاثين في المئة تقريبا من جملة نتاجه الشعري.

والدراسة الآنفة تهدف إلى إزالة الغبار الكثيف عن موهبة شاكر الشعرية، التي غبنها الباحثون، وذلك حتى يتسنى لنا رسم صورة كلية غير منقوصة لشاكر الذي عرف ناثرا، ولم يعرف شاعرا، وتسعى الدراسة أيضا، والتي أعدها الباحث شعبان نصر عبدالله بقسم الدراسات الأدبية، كلية دار العلوم – جامعة القاهرة لنيل درجة الماجستير إلى الكشف عن رؤى الشاعر وتجاربه المختلفة، والكشف كذلك عن أدوات التشكيل وعن الظواهر الفنية التي تجلت من خلالها تلكم التجارب؛ فهذه الأدوات ليست مجرد وسائل للتواصل، بل هي أدوات للخلق والإبداع، ومن ثم تكتسب قيمة كبرى في الأعمال الأدبية بصفة عامة، وفي العمل الشعري بصفة خاصة؛ إذ تضفي هذه الأدوات عليه صفة الشعرية.

واستعرض الباحث صورة حياة محمود شاكر وركز فيها على المكونات والقضايا التي شكلت ثقافته، ووجهت وجدانه وفكره؛ فكان لها أثر واضح، ليس في شعره فحسب بل في حياته كلها، ووقف بإيجاز عند الأوضاع الثقافية والسياسية التي تفتحت في ظلالها زهرة الإبداع الشعري عنده وتناول مفهوم الشعر عند شاكر كما عرض له في كتاباته؛ وذلك ليتضح لنا مدى التماثل والتخالف بين الرؤية النظرية والممارسة التطبيقية لفن الشعر.

تناول الفصل الأول التجارب الشعرية عند شاكر، وقد كشف عن الرؤى النفسية والكونية للشاعر، منها تجربة الحب والمرأة؛ وتجربة الغربة والحنين؛ تجربة التأمل والحكمة؛ الشعر الوطني؛ تجربة الشكوى. واختص الفصل الثاني بالظواهر اللغوية والأسلوبية، وهو يشتمل على: المعجم الشعري وأهم

المحاور الدلالية لألفاظ الشاعر، وظاهرة التكرار، والوقوف عند بنية التقابل التي ترددت كثيرا في شعر شاكر، وذلك للكشف عن صورها ووظائفها الفنية المختلفة. وظاهرة الحذف؛ رصد أشكاله وتتبع وظائفه ودلالاته.

أما الفصل الثالث فقد تناول مفهوم الصورة وأهميتها ومكانتها في النقد، وتوقف عند وسائل تشكيل الصورة عند شاكر، وهي تنحصر في أربع وسائل رئيسة هي: التشخيص والتجسيد والتجريد وتراسل الحواس. ورصد أنماط الصورة الفنية ومصادرها والتي ترجع إلى ثلاثة أنهار رئيسة: أولها: نهر الطبيعة بظواهرها وبيئاتها المتنوعة، وثانيها: نهر الإنسان، سواء في أحواله، أو في أدواته، وثالثها: نهر الثقافة الذي يمثل معارف الشاعر ومطالعاته.

أما الفصل الرابع والأخير، فهو خاص بموسيقا الشعر عند شاكر، وتناول الوزن، وأهميته وضرورة التحامه وتفاعله مع العناصر الشعرية الأخرى. ثم وقف الباحث عند أهم الأوزان التي اعتمد عليها الشاعر، وأوضحت مدى قدرته على توظيف ما تتيحه هذه التنويعات الموسيقية من إمكانات تتجاوب مع التجارب النفسية والشعورية.

شاعرية محمود شاكر

ومن الحقائق والنتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن شاعرية محمود شاكر لم تكن ملكة عارضة تأتي على هامش الكتابات النثرية، ولم يكن شاعرا مقلا بل إن موهبة الشاعر كانت أصيلة لديه، وقد تفتقت هذه الشاعرية في سن مبكرة وظل الشاعر يشدو بالشعر على مدار أكثر من ثلاثين عاما لم يخفت فيها صداه، إلا أن الشاعر قد سعى بنفسه إلى طمس هذه الحقيقة من خلال طيه لغالبية هذا الشعر.

واتسمت شخصيته برهافة بالغة في الإحساس، ورقة كبيرة في المشاعر، وتأثر شديد بالأحداث، واتضح ذلك من خلال شعره، ومواقفه التي تتسم بردود فعل قوية وعنيفة تجاه ما واجهه من أحداث في الواقع الثقافي والسياسي والاجتماعي، فكان شعره صدى لنفسه في أحزانها وأفراحها وتطلعاتها، وهو بذلك يعد أحد شعراء الاتجاه الوجداني الذاتي الذي يجتر فيه الشاعر همومه وقضاياه الخاصة.

أخذت تجربة الحب والمرأة النصيب الأوفر من النتاج الشعري لمحمود شاكر، وقد كشفت الدراسة عن سمات هذا الحب، فهو حب عفيف سام، قد أشعل الحرمان ناره، يرى الشاعر فيه المرأة روحا سامية؛ بحيث تقف معادلا أو رمزا لعالم المثال والجمال الذي ينشده الشاعر، ويتطلع إليه في محاولة منه للخلاص من واقعه المأزوم.

وطنية الشاعر

كشفت الدراسة أيضا عن ملامح تجربة الغربة بنوعيها المكانية والروحية، وقد أخرج الشاعر في غربته ديوانا كاملا يفيض بزفرات الشوق والحنين إلى الأهل والأحباب، وبدت نظرة الشاعر إلى الحياة نظرة سلبية قاتمة؛ فهي غابة قانونها البغي، وأخلاقها الغدر، وأهلها: إما ظالم يشتهي الفتك، أو خائن يدعي الصدق، أو مراء يظهر النسك. وقد عكست نظرة الشاعر إلى الموت هذه الرؤية التشاؤمية؛ فهو في نظره طريق النجاة والخلاص، وهو كامن في كل شيء، ومن ثم فقد غلب على شعر شاكر طابع الشكوى، وترددت في ثناياه آهات الشاعر وأوجاعه.

ورغم ذاتية شعر شاكر فإنه قد قدم شعرا وطنيا صادقا يلهب الحماسة، ويغذي المشاعر الوطنية، وتتسم رؤيته الوطنية بقدر كبير من البطولية والشجاعة؛ فهي رؤية تمجد الوطن، وتنشد الحرية، وتدعو صراحة إلى الأخذ بأسباب القوة للدفاع عن حمى الوطن، وقد انطلق الشاعر في وطنيته من مفهوم إسلامي رحب وأصيل.

وغلب على ألفاظ الشعر عند شاكر البساطة، وحرص في تشكيل صوره على إضفاء أصالته وخصوصية رؤيته؛ حيث تدفقت صوره من نبع الخيال الخلاق، الذي جمع مادته من مفردات الواقع وعناصره الحسية المختلفة، وألف بين هذه العناصر على نحو لا يخضع لمنطقها في الواقع، بل يخضع فقط للعلاقات الشعورية وللرؤية الشعرية الذاتية، التي تتفاعل فيها الأشياء المتفرقة وتتآلف وتذوب بينها الفوارق الظاهرية، وتغدو هذه الأشياء في نهاية الأمر رموزا لحالات نفسية وشعورية مجردة. ومن هنا فإن الصورة الشاكرية كانت بناء متفردا خالقا للمعنى، وليس مجرد طريقة من طرق أداء المعنى، ويعد كل من الطبيعة والإنسان المصدر المحسوس لصور الشاعر، أما المصادر غير المحسوسة فتمثلت في الثقافة والتاريخ، وقد لوحظ قلة الصور التي استمدها الشاعر من معارفه الثقافية، وهي في مجملها ترجع إلى الموروث الديني، وقليل منها يرجع إلى الموروث العربي، ولم نجد أي حضور للثقافة الغربية أو الفرعونية في صور الشاعر، وأبدع عددا من الأنماط الموسيقية الجديدة التي تخالف النظام الخليلي؛ بيد أنها لا تخرج عن النماذج التجديدية القديمة، مثل: الموشح والمربع والمخمس وخلافه.

ميَاسة النخلاني
قاصة يمنية

وللآخرين أعذارهم

بعد أن تلقى أحمد إنذارا لإخلاء الشقة التي يقطنها، وجد نفسه مرتبكا ومشوشا للغاية؛ فإخلاء البيت والعثور على آخر في أقل من أسبوع يبدو مستحيلا. لكن، وبتوفيق من الله تعالى ثم بمساعدة صديق، وجد شقة تصلح لتكون سكنا له ولزوجته وأطفاله بسعر معقول؛ لذا انتقل لمهمة نقل أثاث البيت في الوقت المحدد. وبما أن سيارته معطلة؛ بادر بالاتصال بصديقه فؤاد الذي يملك سيارة نقل وستفي بالغرض بأقل تكلفة.. رد عليه فؤاد منذ الاتصال الأول، أخبره متلعثما أن عليه أن ينقل أثاث بيته بالكامل في الغد، سيارته معطلة ولا يملك ثمن استئجار شاحنة نقل.

دون تردد، وعده فؤاد بأنه سيكون صباح الغد تحت البيت، مبديا استعداده التام للعمل معه لنقل كامل الأثاث وبدون أجر.

أخبر زوجته برد فؤاد وشعورٌ غامر بالسعادة يطغى عليه كونه يملك أصدقاء ينقذونه من أصعب المواقف.

في الصباح، وبعد أن رتب كل

شيء، انتظر «فؤاد» بحسب الموعد المحدد بينهما. مرت الساعة الأولى والثانية دون أن يأتي، أوشك النهار أن ينتصف وهو لايزال ينتظر؛ لكن دون جدوى. اتصل على فؤاد ليفاجأ بأن هاتفه مغلق، عاود الاتصال دون فائدة؛ وأخيرا استسلم للأمر الواقع، وعليه أن يتصرف قبل نهاية اليوم.

«ما الأمر؟»، بادرته زوجته عندما رأته واجما،

«ظننت أن لي صديقا سيقف معي؛ لكن يبدو أنه راجع نفسه واستثقل الخدمة التي سيقدمها لي عندما علم أني لا أملك المال لأدفع له»، رد وهو يهز ذراعيه مدعيا اللامبالاة.

«والآن، كيف سنتصرف؟! علينا أن نخلي البيت اليوم»، سألته

«لا فكرة لدي ولا أملك ثمن أجرة شاحنة نقل» أجاب خائب الظن..

بعد تردد، سلمته خاتم زواجهما ليبيعه وبثمنه ينقل الأثاث.

تمنى لو كان لديه خيار ليرفض عرضها لكن لم يكن لديه، فصاحب البيت أغلق في وجهه كل السبل، والعثور على شقة أخرى استنفد كل ما لديه.

بعد أسبوع، وبعد أن كان قد استقر في بيته الجديد، استقبل رسالة من فؤاد نصها: «هل نقلتَ الأثاث أم ماتزال تحتاجني؟!»،

بدون شعور، كتب له ساخرا: «هههههه صح النوووووم يا صديقي، تدبرتُ أمري جيدا، لا تشغل بالك»!

رد عليه صديقه برسالة قصيرة خجولة: «أعتذر لعدم حضوري في الوقت المحدد؛ حصلت أمور منعتني»،

أجابه بغضب: «اعتذارك لن يعيد لزوجتي خاتم زواجها، على أية حالة أشكرك».

في البداية، تجاهل الأمر، لكن ظلّت كلمات فؤاد «حصلت أمور منعتني» تزن في أذنيه؛ لذا، وقبل أن ينام، طلب من فؤاد أن يلتقيا في الغد ليشرح له هذه الأمور، فليس فؤاد من يتركه في وقت الشدة، ورغم غضبه عليه لكنه يدرك تماما أن شيئا ما قد حصل بالفعل.

«أخبرني الآن ما الذي حصل؟!». سأله بعد أن جلسا في مكان هادئ

«في البداية، أعتذرُ عن اضطرارك لبيع خاتم زوجتك بسببي»..

وعندما لم يجب، أكمل: «بعد أن تلقيت مكالمتك ذلك اليوم، هاتفني أخي يبلغني بوفاة الوالد، قدت إلى البيت مسرعا ومصدوما من الخبر، فصدمت طفلا صغيرا، وللأسف أصيب إصابة بالغة في رأسه، ودخل بغيبوبة، أصبحت كالمجنون، الطفل المعرضة حياته للخطر بسببي، ووالدي الذي وافته المنية دون أن تتاح لي فرصة توديعه، ما إن انتهينا من دفن الوالد حتى عدت لملازمة المستشفى، لمتابعة علاج الطفل والاطمئنان عليه».

«ولماذا لم تعلمنا بكل هذه الأمور في حينها، فلا أنت أجبت على مكالماتي ولا أنت اتصلت» سأل أحمد منفعلا

«ضاع هاتفي وأنا أسعف الطفل للمستشفى، البارحة فقط اشتريت هاتفا جديدا واستخرجت بدل فاقد لشريحتي، أول شيء فعلته هو الاتصال بك للاعتذار»

تنحنح أحمد محاولا إيجاد كلمات مناسبة، لكن خجله من نفسه أسكته. بعد مضي بعض الوقت، حاول تعزية صديقه بكلمات مبتورة؛ ثم سأله: «هل تحسنت حالة الطفل؟».

«الحمد لله، فاق من غيبوبته، صار أفضل وسيخرج من المستشفى بعد أسبوع».

«لابد وأن فاتورة المستشفى باهظة»،

«لا تقلق بشأني، تدبرت أمري»،

«كيف؟»،

تمهّلَ قليلا قبل أن يجيب: «بعت السيارة»!

«لا إله إلا الله» نطق بها أحمد بحروف تحشرجت في حلقه، توفي والد صديقه، وصدم طفلا، وباع سيارته؛ كل تلك المحن يعيشها بصمت وهو يتبجح عليه بكلمات البارحة لأجل.. لأجل خاتم صغير! غطّى وجهه بيديه محاولا مداراة خجله، شعر بمدى تفاهة نفسه وحقارتها؛ ماذا لو أنه كبح غضبه قليلا حتى يفهم الأمر؟! لماذا تلك الرسالة الساخرة التي وصلت لصديقه وهو في أحلك المواقف، هل كان عليه أن يتفوه بكل تلك الأمور السخيفة، ويكتب تلك الضحكة غير المبررة!

اقترب منه فؤاد وأمسك بيديه قائلا: «لا عليك يا أحمد، لم تكن تعلم بشيء مما حدث، لا لوم عليك. قدر الله وما شاء فعل».

حاولَ رسم ابتسامة باهتة على شفتيه: «قدر الله وما شاء فعل»، رددها متسائلا: ماذا لو بحثنا عن أعذار للآخرين قبل قذف حمم الغضب في وجوههم؛ فلعل الشوكة التي داستها أقدامنا لا تساوي شيئا مقابل حقل الشوك الذي يخوضون فيه، ويتألمون بصمت.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

هذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «ابن عساكر»:

١- ابن عساكر (مؤرخ) (ت٥٧١هـ):

هو أبوالقاسم ثقة الدين علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي، مؤرخ، حافظ، رحالة، محدث الديار الشامية.

ولد سنة (٤٩٩هـ)، كان رفيق السمعاني صاحب «الأنساب» في رحلاته، وعدد شيوخه ألف وثلاث مئة شيخ، ونيف وثمانون امرأة، من مؤلفاته: «تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها أو وردها»، و«تبيين كذب المفتي في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري» و«كشف المغطى في فضل الموطأ»، «معجم الصحابة»، و«تاريخ المزة»، و«تبيين الامتنان في الأمر بالاختتان»، و«تهذيب الملتمس من عوالي مالك بن أنس»، وغيرها، توفي بدمشق (١).

٢- بهاء الدين ابن عساكر (الابن) (ت٦٠٠هـ):

هو بهاء الدين أبومحمد القاسم ابن علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي، وهو ابن صاحب «تاريخ مدينة دمشق»، محدث، من أهل دمشق.

ولد سنة (٥٢٧هـ)، زار مصر، وأخذ عنه أهلها، كان محدثا صدوقا، متوسط المعرفة، مكرما للغرباء، من مصنفاته: «الجامع المستقصى في فضائل الأقصى»، و«الجهاد»، و«فضل المدينة»، و«فضل زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام وموضع قبره وقبور أبنائه الكرام»، وغيرها. ولي مشيخة الديار النورية إلى أن توفي (٢).

٣- تاج الأمناء ابن عساكر (ت٦١٠هـ):

هو أبوالفضل، تاج الأمناء أحمد ابن محمد بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر الدمشقي، من فقهاء الشافعية.

ولد في دمشق سنة (٥٤٢هـ)، وكان عالما جليلا، ولي مناصب كبارا، من مصنفاته: «الأنس في فضائل القدس»، وخرج «مشيخة» لنفسه، توفي بدمشق (٣).

٤- فخر الدين ابن عساكر (الفقيه) (ت٦٢٠هـ):

هو فخر الدين أبومنصور عبدالرحمن بن محمد بن الحسن ابن هبة الله، بن عساكر الدمشقي، وهو ابن أخي المؤرخ علي بن عساكر، فقيه، شيخ الشافعية في وقته.

ولد سنة (٥٥٠هـ)، وولي تدريس المدرسة الصلاحية بالقدس ثم بدمشق، وكان زاهدا عابدا ورعا، منقطعا إلى العلم والعبادة، حسن الأخلاق، قليل الرغبة في الدنيا، له تصانيف في الفقه والحديث. منها: «كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين»، توفي في شهر رجب بدمشق (٤).

٥- أمين الدين ابن عساكر (ت٦٨٦هـ):

هو أمين الدين أبواليمن عبدالصمد ابن عبدالوهاب بن الحسن بن محمد، بن عساكر الدمشقي ثم المكي، وهو حفيد ابن أخي الحافظ المؤرخ ابن عساكر، حافظ للحديث.

ولد بدمشق سنة (٦١٤هـ)، انقطع بمكة نحو أربعين سنة، كان قوي المشاركة في العلوم. له نظم وتصانيف، منها: «فضائل أم المؤمنين خديجة»، و«جزء فيه أحاديث عيد الفطر»، و«جزء في فضل شهر رمضان»، و«إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر»، وغيرها، ومات بالمدينة (٥).

٦- ابن عساكر (الطبيب) (ت٧٢٣هـ):

هو بهاء الدين القاسم بن أبي غالب المظفر بن محمود، من بني هبة الله بن عساكر الدمشقي، طبيب، عالم بالحديث.

ولد في دمشق سنة (٦٢٩هـ). كان يعالج المرضى مجانا. وخرج له البرزالي والعلائي وابن الصيرفي، لزم بيته في أعوامه الأخيرة منقطعا إلى تدريس الحديث.

قال الذهبي: كان كثير المحاسن، صبورا على الطلبة. توفي في دمشق (٦).

المتفق والمفترق في اسم (ابن العربي):

١- ابن العربي المالكي (ت٥٤٣هـ):

هو أبوبكر محمد بن عبدالله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، قاض، من حفاظ الحديث.

ولد في إشبيلية سنة (٤٦٨هـ)، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وولي قضاء إشبيلية. من مصنفاته: «العواصم من القواصم»، و«عارضة الأحوذي بشرح الترمذي»، و«أحكام القرآن»، و«القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» وغيرها، توفي بقرب فاس (٧).

٢- ابن عربي الصوفي (ت٦٣٨هـ):

هو محيي الدين أبوبكر محمد بن علي بن محمد بن عربي الطائي الأندلسي الحاتمي. فيلسوف، صوفي، من أئمة المتكلمين.

ولد في الأندلس سنة (٥٦٠هـ)، ثم رحل إلى الشام والعراق والحجاز، وأنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه، ثم استقر في دمشق. من مصنفاته: «فصوص الحكم»، و«الفتوحات المكية»، و«الوصايا»، وغيرها (٨).

٣- سعد الدين بن عربي (الابن) (ت٦٥٦هـ):

هو سعد الدين محمد بن محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي، ابن الشيخ محيي الدين ابن العربي، أديب، شاعر.

ولد في ملطية سنة (٦١٨هـ)، وسمع الحديث ودرس في دمشق، من مصنفاته: «ديوان شعر» أكثره في الغلمان وأوصافهم، و«زاد المسافر وأدب الحاضر»، وتوفي بدمشق، ودفن بقرب أبيه (٩).

الهوامش

١- ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي (٨٢/٤) والأعلام للزركلي (٢٧٣/٤) ومعجم المؤلفين (٦٩/٧).

٢- ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي (١٠٨/٤) والأعلام للزركلي (١٧٨/٥).

٣- ينظر سير أعلام النبلاء (٢٦/٢٢) وشذرات الذهب (٤٠/٥) والأعلام للزركلي (٢١٧/١).

٤- ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٥٥/٢) والطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٧٦/٨) والأعلام للزركلي (٣٢٨/٣).

٥- ينظر المعجم المختص بالمحدثين للذهبي (ص١٤٥) ولحظ الألحاظ لابن فهد (٥٨/١) والأعلام للزركلي (١١/٤).

٦- ينظر الدرر الكامنة (٢٧٩/٤) وذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد (٢٧٠/٢) والأعلام للزركلي (١٨٥/٥).

٧- ينظر سير أعلام النبلاء (١٩٧/٢٠) ووفيات الأعيان (٢٩٦/٤) والأعلام للزركلي (٢٣٠/٦).

٨- ينظر شذرات الذهب (١٩٠/٨) والأعلام للزركلي (٢٨١/٦).

٩- ينظر فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (١٥٨/٢) والأعلام للزركلي (٢٩/٧).

أسامة الزقزوق
شاعر

بنت الضاد

سأكتبها قصائد نيرات ... تشيح النوم عن أهل السبات
على أيك الفؤاد تلوح عشا ... فتقصدها جموع الشاديات
سأجعلها نجوما في ضياها ... سحابات إلى الأرض الموات
وأغزلها رداء من حروفي ... خيوطا من حرير ناعمات
أصيرها زوارق في قلوب ... تسافر بالمعاني الصافيات
أشيدها مآذن شامخات ... وفي محرابها أبني صلاتي
ويعلوها مجاز القول تاجا ... ينير الناصيات المظلمات
على درج البيان تطوف روحي ... فتعرج للنجوم السابحات
فكيف يضام عاشقها بلوم ... وقد ملكت قلوبا ذائبات
وقد بزت صفاء كل نبع ... وقد فاقت ورودا يانعات
فبنت الضاد فاقت كل مجد ... أطاحت في الوغى بالعاديات
وفي القرآن معجزة تحدت ... لسان الفخر في كل اللغات
وقاد الأولون بها ركابا ... وسادوا في الألى بالمحكمات
و أيدها ملاك الوحي بـ «اقرأ» ... فضاء سراجها طول الحياة
وكعب نال بالأبيات عزا ... بمدح المصطفى خير الهداة
فحبب في مقالتها بنينا ... تكون دليلهم حتى الممات
وعودهم على ترديد شعر ... لتعذب فيهم كل الصفات
ولا تحفل بمن قد حاد عنها ... وساقوا ألسنا نحو الشتات
فلا تنظر لمن جافاه عقل ... وعبأ قوله بالمعجمات
ووحد في ظلال المجد صفا ... على قول سواء في الثبات

خالد برادة
كاتب مغربي

الرحمة في وحدة الأمة

ليس أضر على الأمة الإسلامية من أن يحتدم النزاع بين بني جلدتها، ويُذكى وهجه اللافح في أوصالها؛ ولقد حذر الله تعالى من تفرق الأمة فقال جلّ من قائل: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

ولم يعد شك في أن اختلاف المرجعيات يفضي إلى تعدد الأهداف، والأصل هو توحيد المرجعية، ليكون المسلم مع أخيه المسلم، ومع الآخر غير المسلم، منطلقين من مرجعية واحدة، وهذا ما يسعى إليه دين الإسلام، الذي كان نداؤه للمخالفين هو الانطلاق من الوحدة، والتنائي عن الفرقة، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (آل عمران: ٦٤)، فبالالتقاء على كلمة التوحيد، يتأسس الحوار الجاد البعيد عما يعكر صفو ذلك الحوار، حيث يتوارى عن أنفس المتحاورين الشقاق، تمهيدا للاتفاق، ومن ثم فإن الحوار الذي يتأسس على كلمة التوحيد لهو الخليق بضمان توحيد الكلمة، فضلا عن تذليله للعقبات في الحوارات، بين المنتسبين لمختلف الثقافات.

وقد يُساء فهم بعض آيات القرآن الكريم، فتُحمل على غير ما رمت إليه وقصدته، نحو قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨) فقد يتوهم أن الله تعالى خلق العباد ليختلفوا، ولكن عند التدقيق في الآية ينقشع عن الفكر سوء فهمها، ليدرك أن المقصد من الخلق هو الرحمة؛ وأن الأصل في الأمة الإسلامية هو الاتفاق والائتلاف، وليس الافتراق والاختلاف، بناء على أن خاتمة الآية الآنف ذكرها متعلقة بما سبقها، وهو وحدة الأمة والرحمة فيما بينها؛ وقد شاءت حكمة الله تعالى أن يخلق عباده لهذا المقصد، إذ أنه للرحمة خلقهم، فعن طاووس «أن رجلين اختصما إليه فأكثرا، فقال طاووس: اختلفتما فأكثرتما، فقال أحد الرجلين: لذلك خلقنا. فقال طاووس: كذبت، فقال: أليس الله يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؟ فقال: لم يخلقهم ليختلفوا، ولكن خلقهم للجماعة والرحمة»، فأساس الخَلق هو الرحمة، وليس مرده إلى الاختلاف، ولكن الآية في ذكرها للاختلاف تصف حالة فقط، ولا تقرها؛ كقولك: ناقل الكفر ليس بكافر. ولله المثل الأعلى.

وقد تضارب الرأي عما إذا كان الاختلاف رحمة أم نقمة؛ وفي يقيني أن الاختلاف يكون رحمة إذا كان يراعي مقصد وحدة الأمة، مسترشدا بهدي أئمة الإسلام فيما اختلفوا فيه، وطريقة مناظراتهم العلمية، مراعين في ذلك مقصد وحدة الأمة.

وصفوة القول أن نداء الإسلام كان منبعثا من روح الدعوة إلى الاتفاق على توحيد المرجعية لتتوحد الكلمة، فبالاتفاق على نفس المرجعية، التي هي العبودية لله تعالى، يتوارى الشقاق وتزول القومية، وقد يكون الاختلاف بين الأفكار مدعاة إلى فض النزاع، إذا كان مسترشدا بأسلوب الحوار الذي ينطلق أصحابه من مرجعية موحدة؛ فتتقشع عن الأنفس مغاليق ما كانت عليه من ترفعها عن السماع إلى الفكر المخالف، وهذا ما ينقصنا لترشيد الاختلاف، من أجل تخليق منطقه، ولتأكيد أن وحدة الأمة بوحدة عقيدتها دليل على الرحمة فيما بينها، وأنّ وحدتها في الله تعالى تقوي وشائج الإخوة الإيمانية التي تتحطّم على صخرتها النزغات الشيطانية؛ وأن اختلاف الثقافات لا يضيرها شيئا إذا كان أصحابها يراعون روح الاختلاف، المتجرد عن الهوى والانحراف.

إعداد :
سلامة عبدالقادر المحاميد

شعيب الأرناؤوط.. شمس علم غربت

انطوت صفحة من صفحات العلم، وأفل نجم من شهب الحديث ونجومه، بفقد الأمة الإسلامية أحد علمائها الأعلام وفضائلها الكرام، العلامة الرباني، والمحدث الفقيه، صاحب التصانيف الشيخ شعيب الأرناؤوط، رحمه الله تعالى، الذي توفي يوم الخميس (٢٦ محرم ١٤٣٨هـ)، الموافق: (٢٧/١٠/٢٠١٦م)، عن عمر ناهز ٩٠ عاما، فأغلق بوفاته سفرا من أسفار التحقيق والتأليف.

هو الشيخ المحدث الفقيه العالم الرباني صاحب التحقيقات والتصانيف، والتآليف، الصابر المحتسب، صاحب العقل الحر، والعطاء المستمر، الشيخ: شعيب بن محرم الأرناؤوط الألباني، أبو أسامة.

مولده ونشأته

ولد الشيخ شعيب، رحمه الله تعالى، في مدينة دمشق عاصمة الخلافة الأموية، سنة ١٩٢٨م، ١٣٤٦هجرية. من أبوين مسلمين، وتتحدر هذه العائلة من أصول ألبانية، من مدينة أشقودرة في إقليم كوسوفا، وهاجرت هذه العائلة إلى دمشق سنة ١٩٢٦م.

ونشأ -رحمه الله- في ظل أبويه، في عائلة دينية خالصة.

طلبه للعلم

كان الشيخ، رحمه الله تعالى، واسع العلم متنوع الموارد؛ فقد تعلم الشيخ منذ صباه مبادئ القرآن الكريم، وحفظ أجزاء منه، وظهر نبوغه منذ الصغر فكان دقيق الفهم للآيات، وكان حريصا على إدراك أسرارها، ولعل هذا كان من أقوى الأسباب التي دفعته إلى دراسة اللغة العربية في سن مبكرة.

مكث، رحمه الله، ما يربو على عشر سنوات يختلف فيها إلى مساجد دمشق ومدارسها القديمة قاصدا حلقات اللغة في علومها المختلفة كالنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب.. وغيرها؛ فتتلمذ الشيخ، رحمه الله، فيها على كبار أساتذتها وأساطينها وعلمائها، كالشيخ صالح الفرفور، رحمه الله؛ والشيخ عارف الدوجي، رحمه الله، فقرأ عليهما أشهر مصنفات اللغة العربية منها: شرح ابن عقيل، وكافية ابن الحاجب، والمفصل للزمخشري، وشذور الذهب لابن هشام الأنصاري، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وقرأ أيضا على الشيخ سليمان غاوجي الألباني كتاب العوامل للبركوي، والإظهار للأطهلي.. وغيرهما، ثم بعد هذه الرحلة الطويلة والشاقة مع علوم اللغة العربية؛ اتجه إلى دراسة الفقه الإسلامي؛ فلزم أكثر من شيخ يقرأ عليهم كتب الفقه، لاسيما المصنفة في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، رحمه الله؛ فدرس: مراقي الفلاح للشرنبلالي، والاختيار للموصلي، ومختصر القدوري، وحاشية ابن عابدين، فاستغرقت دراسته للفقه قرابة السبع سنوات كان يدرس خلالها: أصول الفقه، وتفسير القرآن، ومصطلح الحديث، وبعض كتب الأخلاق. وكان، رحمه الله، في تلك المرحلة قد جاوز الثلاثين من عمره.

وأثناء دراسته للفقه لاحظ القصور وقلة الاهتمام بالحديث النبوي ومعرفة الصحيح من السقيم، ما حدا به إلى التخصص في علوم السنة؛ فعقد العزم على التضلع بهذه المهمة الصعبة، وخوض غمارها، وهي المهمة التي خاضها فحول العلماء من قبله، فترك مهنة تدريس اللغة العربية التي كان يزاولها منذ عام ١٩٥٥م، وفرغ نفسه للاشتغال بالتراث العربي الإسلامي، تدريسا وتحقيقا، فكان الشيخ، رحمه الله، إلى جانب تخصصه في علوم الحديث، رواية ودراية، فقيها أصوليا، ومفسرا لغويا، يروعك فيه تمكنه من لغة العرب، وحفظه الكثير من شواهدها، وروايته الطريف من أخبارها، بل حذقه العويص من مسائلها ومشكلاتها.

اشتغاله بالتحقيق

تميز الشيخ بتحقيقاته الرصينة، وتعليقاته الدقيقة، ولعل ذلك يرجع إلى تمكنه من علوم الآلة، بل تمكنه من أصل تلك العلوم، ألا وهو اللغة العربية، قبل خوضه غمار العلوم الشرعية؛ فكانت بدايته الأولى بدمشق المحروسة عام ١٩٥٨م، حيث ترأس قسم التحقيق والتصحيح في مطبعة المكتب الإسلامي، وبقي على رأس ذلك العمل مدة عشرين عاما، حقق فيها وأشرف على تحقيق ما يزيد على سبعين مجلدا من أمهات كتب التراث في شتى العلوم؛ كالسنة النبوية ومصطلحها، والفقه، والعقيدة، والتفسير، والتراجم، ثم انتقل، رحمه الله، إلى العمل مع مؤسسة أخرى ودار كبيرة من دور النشر والطباعة في عمان بالمملكة الأردنية عام ١٩٨٢م، ليترأس من جديد قسم تحقيق التراث التابع لها، فكان عمله فيها أنضج وأوسع

مدى، ويمكن القول إن أهم إنجازاته في تحقيق التراث قد تمت أثناء عمله في تلك المؤسسة.

أهم تحقيقاته وأعماله

١. شرح السنة للبغوي (١٦ مجلدا).
٢. روضة الطالبين للنووي، بالاشتراك مع الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، رحمه الله (١٢ مجلدا).
٣. مهذب الأغاني لابن منظور (١٢ مجلدا).
٤. المبدع في شرح المقنع لابن مفلح الحنبلي (١٠ مجلدات).
٥. زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، بالاشتراك مع الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط، (٩ مجلدات).
٦. سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٥ مجلدا).
٧. سنن الترمذي (١٦ مجلدا).
٨. سنن النسائي (١٢ مجلدا).
٩. سنن الدارقطني (٥ مجلدات).
١٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥٠ مجلدا).
١١. مشاركة في تحقيق تاريخ الإسلام للذهبي.
١٢. مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى للرحيباني الحنبلي، بالاشتراك مع الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط (٦ مجلدات).
١٣. الكافي في الفقه لابن قدامة المقدسي، بالاشتراك مع الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط (٣ مجلدات).
١٤. منار السبيل في شرح الدليل لابن ضويان (مجلدان).
١٥. المنازل والديار لابن منقذ (مجلدان).
١٦. المسند لأبي بكر المروزي (مجلد واحد).
١٧. الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان (١٨ مجلدا).
١٨. العواصم والقواصم لابن الوزير (٩ مجلدات).
١٩. زاد المعاد لابن القيم بالاشتراك مع الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط (٥ مجلدات).
٢٠. التعليق المجد شرح موطأ محمد للكنوي (٤ مجلدات).
٢١. الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي بالاشتراك مع عمر القيام (٤ مجلدات).
٢٢. طبقات القراء للإمام الذهبي بالاشتراك مع بشار معروف (مجلدان).
٢٣. موارد الظمآن للهيثمي بالاشتراك مع رضوان عرقسوسي (مجلدان).
٢٤. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي بالاشتراك مع عبدالله التركي (مجلدان).
٢٥. رياض الصالحين للنووي (١ مجلد واحد).
٢٦. المراسيل لأبي داود (مجلد واحد).

شيوخه وتلاميذه

أهم شيوخه:
١. الشيخ صالح الفرفور، رحمه الله.
٢. الشيخ عارف الدوجي، رحمه الله.
٣. الشيخ سليمان غاوجي الألباني، رحمه الله.
وغيرهم.

أما تلاميذه فهم كثر، وهذه الترجمة المختصرة لا تتسع لذكرهم.

وفاته

بعد صراع مع المرض، وصبر واحتساب، تلقت الأمة الإسلامية ببالغ الحزن والأسى خبر وفاة الشيخ شعيب، بعد دخوله أحد مشافي عمان ورقوده فيه عدة أيام، ففاضت روحه إلى بارئها، عن عمر يناهز التسعين عاما، فأغلق سفر عظيم من أسفار العلم، وانطوت صفحات مدونة واسعة من مدوناته، وتصدعت أركان البناء، يوم الخميس لأربع بقين من شهر الله المحرم سنة ١٤٣٨ للهجرة، الموافق ٢٠١٦/١٠/٢٧ للميلاد، وصليت عليه صلاة الجنازة يوم الجمعة بعد الصلاة في مسجد الفيحاء بمنطقة الشميساني في مدينة عمان بالمملكة الأردنية. رحم الله الشيخ رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة، وجزاه عن العلم والعلماء وطلبة العلم خيرا.

د. إدريس سلطان صالح
أستاذ مشارك بجامعة المنيا

جدار حماية للمجتمع من أخطار العصر الرقمي

الثقافة الإعلامية

عند تناول قضايا الإعلام وتأثيراته في المجتمعات وسلوكيات المواطنين واتجاهاتهم، لابد من استحضار مقولة وزير الدعاية النازي إبان حكم هتلر لألمانيا جوزيف غوبلز «اعطني إعلاما بلا ضمير اعطك شعبا بلا وعي»، والتي لخص فيها الجوانب السلبية للإعلام، خصوصا عندما تغيب عنه الأخلاقيات المهنية التي تحكم عمل الإعلاميين، وتتداخل فيه انتماءاتهم واتجاهاتهم، لتنعكس في مضمون ما يقدمونه من الرسائل الإعلامية الموجهة لخدمة أغراضهم.

فالإعلام، بأنواعه المتعددة، يشكل مصدرا رئيسيا للمعلومات في جميع أنحاء العالم بصفة عامة، وفي العالم العربي بصفة خاصة، ومن ثم له التأثير الكبير في تشكيل وعي الناس، وتكوين قناعاتهم تجاه مواقف وأحداث وشخصيات بعينها، مما ينعكس على سلوكياتهم وردود أفعالهم تجاهها.

والملاحظ في السنوات الأخيرة أن المواطن العربي تنتابه حيرة شديدة بمجرد التفكير في مشاهدة قناة تلفزيونية أو فضائية، حيث يجد نفسه محاطا بعدد كبير من تلك القنوات، إذ يستقبل المواطن العربي، وفقا لإحصائيات وتقارير اتحاد إذاعات الدول العربية، أكثر من ١٣٢٠ قناة تلفزيونية فضائية، تتنوع في أهدافها ومحتواها وتخصصاتها

واللغات التي تستخدمها للتواصل مع الجمهور، وتأتي اللغة العربية ولهجاتها المحلية في صدارة اللغات المستخدمة، تليها الإنجليزية ثم الفرنسية ولغات أخرى، كالإسبانية والتركية. إضافة إلى أن المنطقة العربية أصبحت تستقبل خارج البث الفضائي العربي قنوات دولية موجهة، وناطقة باللغة العربية، وتستخدم سواتل عربية للوصول إلى المشاهد العربي (١).

والمتابع للإعلام العربي وما يتضمنه من قنوات تلفزيونية فضائية وإذاعات وصحف ومجلات خلال السنوات الأخيرة، يلحظ ثمة تحولات كبرى في المنظومة الإعلامية داخل الوطن العربي، ولعل من أهمها دخول القطاع الخاص بقوة ملحوظة نحو امتلاك قنوات فضائية أو صحف ومجلات ورقية وإلكترونية، للترويج لهذا القطاع ومنتجاته.

وتتنوع أهداف القنوات التلفزيونية الفضائية والصحف والمجلات والإذاعات المسموعة ما بين التركيز على تشكيل وعي حقيقي للمشاهد العربي، أو محاولة توجيه الرأي العام والتأثير فيه، سواء من الناحية السياسية أو الدينية، من خلال نوعية البرامج والمعلومات التي تبثها للجمهور المتلقي لها، أو تركيز البعض منها على تحقيق أرباح مالية من خلال برامج وموضوعات وإعلانات دون اعتبار لمهنية العمل الإعلامي، ودوره التنويري المؤثر في تشكيل اتجاهات وقيم وسلوكيات الرأي العام في المجتمعات العربية.

ولعل هذا النمو المتزايد للقنوات التلفزيونية الفضائية والصحف والمجلات هو ما دفع كثيرا من الباحثين في مجالات الإعلام وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من مجالات العلوم ذات الصلة، إلى دراسة تأثير تلك الوسائل الإعلامية، وتحليل ما يبث وينشر من خلالها، في محاولة للسيطرة على الجوانب السلبية لانتشارها داخل مجتمعاتنا العربية، تلك السيطرة التي تعني توجيهها التوجيه السليم الذي يتفق مع ثقافة مجتمعاتنا.

وتزداد هذه المخاطر مع الانتشار السريع لشبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي، ومشاركة الأخبار والمعلومات التي تبثها القنوات الفضائية والإذاعات والصحف والمجلات الورقية والإلكترونية عبر تلك الشبكات، لتصل إلى عدد كبير من المستخدمين في ثوان قليلة، قد لا يكونون شاهدوا تلك البرامج، أو قرأوا الصحف والمجلات، أو معرفة سياق الموضوعات التي تناولتها.

ونظرا للصعوبات التي تواجه المجتمعات في التعامل السليم مع وسائل الإعلام، التي تشكل القنوات الفضائية العنصر الأبرز فيها، مع الصحف والمجلات والبرامج الإذاعية، والمواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الإلكتروني، اتجه التفكير نحو تشكيل ثقافة إعلامية للجمهور المتلقي، في محاولة لأن يكون مستعدا وواعيا بما يتلقاه من وسائل الإعلام، أو بما ينشره من معلومات وأخبار عبر الوسائل الإعلامية المتنوعة، ومنها شبكات التواصل الاجتماعي.

مفهوم الثقافة الإعلامية

نما مفهوم الثقافة الإعلامية حاليا في المجتمعات الغربية؛ نتيجة المشكلات التي واجهتها مع وسائل الإعلام، وتأثيراتها اللامتناهية في تشكيل سلوكيات ونمط حياة كثير من أفرادها، وأصبحت الثقافة الإعلامية تشير إلى المضمون الثقافي الذي يتلقاه المواطنون من وسائل الإعلام المتنوعة، وتشكيله لمعارفهم واتجاهاتهم ومعتقداتهم وقيمهم، التي بدورها تنعكس في ممارساتهم وسلوكياتهم اليومية (٢).

فالثقافة الإعلامية في أبسط تعريفاتها تعني قدرة الفرد على الوصول إلى المعلومات، وتحليلها، وتقييمها، وإيصالها إلى الآخرين في أشكال إعلامية متنوعة. بمعنى أن الثقافة الإعلامية تركز على قدرة الفرد على متابعة وسائل الإعلام المتنوعة، وعلى تحليل وتقييم المعلومات التي تعرضها، مما يساعده على فهم هدف الرسالة الإعلامية التي يتلقاها، بالإضافة إلى القدرة على توصيل المعلومات أو الرسائل عبر وسائط إعلامية مختلفة، سواء أكانت مطبوعة أم غيرها (٣).

مهارات الثقافة الإعلامية

حدد فرانسيس دافيز Francis Davis في دراسته عن الثقافة الإعلامية من النشاط إلى الاستكشاف، أن الثقافة الإعلامية يجب أن تركز على ثلاث مهارات رئيسية هي:

- التحليل: (مهارة مستهلك)، وتعني أن الفرد يشارك بنشاط في الحوار والمناقشة حول المحتوى الإعلامي، ويكون لديه الوعي الكافي بالعوامل المختلفة التي تؤثر في حواره مع الآخرين.
- البحث: (مهارة مستخدم)، وتعني أن الفرد يبحث بجدية ونشاط لتحديد والوصول لمصادر المعلومات التي تناسب الموضوعات التي يهتم بها، ويسعى للحصول على معلومات دقيقة وصحيحة حولها.

● التأثير: (مهارة منتج)، وتعني قدرة الفرد على تغيير المعاني وتأثيرات الرسائل الإعلامية التي يسعى إلى نقلها للآخرين (٤).

أهمية الثقافة الإعلامية

تركز الثقافة الإعلامية على تنمية مهارات متنوعة لدى الأفراد، خصوصا قدرتهم على فهم كيفية بناء الرسالة الإعلامية، والوعي بسببها والغرض منها، والقدرة على تفسيرها، والاختلاف الذي قد يحدث بين الناس حول هذا التفسير، والقيم ووجهات النظر التي تتضمنها الرسالة الإعلامية، والاعتبارات القانونية والأخلاقية المحيطة بمضمونها.

ولذلك يمكن القول إن أهمية تنمية ثقافة إعلامية لدى المتلقي تشمل ما يلي:

● تحمي الثقافة الإعلامية من الرسائل الإعلامية الخاطئة التي تصل إلينا دون وعي بمضمونها وهدفها.

● تسمح الثقافة الإعلامية بمشاهدة وسائل الإعلام بشكل نقدي وتقييم رسالتها والدور الذي تلعبه في حياتنا.

● تساعد الثقافة الإعلامية في تنمية وعي أفراد المجتمع بأدوارهم كوكلاء نشطاء عند التعامل مع وسائل الإعلام.

● توفر الثقافة الإعلامية المعارف والمهارات اللازمة للتعامل مع ما تبثه وسائل الإعلام، وفهم الرسالة الإعلامية المنقولة إلينا.

● تتيح الثقافة الإعلامية إمكانية الوصول إلى التكنولوجيا الحديثة، والتعامل معها، ومراعاة الجوانب الدينية والأخلاقية والقانونية في نشر معلوماتنا للآخرين.

● تساعد الثقافة الإعلامية في تنمية القدرة على التعبير عن الرأي والفكر وفق قواعد وأسس واضحة.

الاهتمام بالثقافة الإعلامية

لأهمية الثقافة الإعلامية، وضرورة تنميتها في المجتمعات، أوصت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، عبر لجانها الوطنية في الدول المختلفة، بضرورة الاهتمام بالثقافة الإعلامية عبر مناهج التعليم أو حملات التوعية الجماهيرية (٥).

واستجابة لذلك أعلن في أبريل ٢٠١٥م، بالقاهرة، تدشين الفرع العربي من التحالف الدولي للثقافة الإعلامية والمعلوماتية برعاية منظمة اليونسكو. ويسعى التحالف إلى إبراز أهمية الثقافة الإعلامية والمعلوماتية وتبادل الخبرات العربية في هذا المجال، بجانب إيجاد آلية للتعاون بين كل من المرصد العربي والمرصد الأوروبي، مع التأكيد على ضرورة التعاون بين كل من الفرع الأوروبي والعربي في قضايا الإعلام (٦).

وأطلق مكتب اليونسكو في عمان مشروعا لدمج الثقافة الإعلامية في المدارس الأردنية عام ٢٠١٣م، بهدف تزويد الطلاب بالمعرفة والتدريب على وسائل الإعلام والمعلومات وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وإكسابهم مهارات البحث عن المعلومات وتقييمها واستخدامها، خصوصا تلك التي تقدمها وسائل الإعلام الجديدة والتقليدية، بالإضافة إلى مهارات التعبير عن

أنفسهم بطريقة مهنية (٧).

ومـن مـظـاهـر الاهـتـمـام بالثقافة الإعـلامـيـة أيـضـا إعـداد مكتب الـتـربـيـة الـعـربـي لـدول الخليج لبرنامج «الثقافة الإعلامية» الذي يكسب الطلاب والطالبات مهارات تحليل الـرسـائـل الإعـلامـيـة، وهـو عبارة عن منهج متكامل يستهدف الطلاب من الصف الأول الابتدائي وحتى الثالث الثانوي، ويشتمل على أدلة تدريبية للمعلمين تمكنهم من إكـسـاب الـطـلاب مـهـارات تحليل الرسائل الإعلامية كافة، الهادف منها والمنحرف، بحيث يكسب الطلاب الوعي الإعلامي وحصانة ضد الانجرار والانجراف وراء ما يصلهم من الإعلام (٨).

وكـذلـك تـوصـيـات الـعـديـد من المـؤتـمـرات، مـثـل مـؤتـمـر خبراء الإعـلام والمعلوماتية، الـذي انعقد فـي قـطـر عـام ٢٠١٣م، وأوصــى بتدريس الثقافة الإعلامية السليمة فـي مختلف المـنـاهـج الدراسية، ومـد الأجـيـال الناشئة بما يمكنها مـن تـفـادي سـلـبـيـات الإعـــلام.

وشـدد المؤتمر على ضـرورة تطوير مفهوم الـتـربـيـة الإعـلامـيـة ليتسع للمستجدات الحديثة ويشمل ما يترتب على المعلومات المغلوطة من سلبيات (٩).

وفـي ضـوء المـخـاطـر الـتـي تتعرض لها مجتمعاتنا، والتي تمثل وسائل الإعـلام أهـم روافـدهـا، أصبح من الـضـرورة أن تتكون لـديـنـا ثقافة إعلامية، تمثل جدارا للحماية مما يبث في الفضائيات ووسائل الإعلام الأخرى، وتكون لدينا القدرة على فهم ما يـحـدث حـولـنـا، والتفكير الناقد في مضمون ما نشاهده على الفضائيات وما نقرأه في الصحف أو شبكة الإنترنت وشبكات التواصل الاجـتـمـاعـي ومـــا نـسـمـعـه عبر الإذاعـات المختلفة.. تفكير يدفعنا إلى التساؤل عن شخصية المتحدث أو الكاتب ومصداقيته، ومصادره ومصداقيتها، وهـدف رسالته التي يسعى إلـى نشرها وتحقيقها بين المشاهدين، ليكون لدينا وعي كاف للتمييز بين ما هو صالح ومفيد لنا ولمجتمعاتنا، وما هو ضـار ويحمل خطرا لنا ولمجتمعاتنا.

الهوامش

١- اتحـاد إذاعـات الـدول العربية: البث الفضائي العربي، التقرير السنوي ٢٠١٢م – ٢٠١٣م، اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية، إصدارات اتحاد إذاعات الدول العربية، جامعة الدول العربية.

٢- سعيد عبدالله حارب: الثقافة التربوية والثقافة الإعلامية تكامل أم تناقض؟ ورقة عمل مقدمة للمؤتمر الأول للتربية الإعلامية في الرياض، المملكة العربية السعودية، صفر ١٤٢٨هـ – مارس ٢٠٠٧م.

3- The Partnership for 21st Century Skills: P21 Framework for 21st Century Learning. Tucson AZ: Partnership for 21st Century skills. 2015.

4- Davis, F. (1993). Media Literacy: From Activism to Exploration. Paper presented to the National Leadership Conference on Media Literacy, Aspen Institute, Queenstown, Md. 1993.

5-UNESCO: Communication and Information, Media Literacy, Paris, 2016.

٦- جامعة الأهـرام الكندية، كلية الإعلام: مؤتمر الـتـربـيـة الإعـلامـيـة فـي مواجهة غزو العقول في العصر الرقمي، القاهرة، ٢٠١٥م.

٧- اليونسكو: مشروع دمج الثقافة الإعلامية فـي المـدارس الأردنـيـة، عـمـان، الأردن، ٢٠١٣م.

٨- مكتب التربية العربي لـدول الخليج: برنامج الثقافة الإعلامية لطلاب التعليم العام، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٦م.

٩- مركز الدوحة لحرية الإعـلام: مؤتمر خبراء الإعلام والمعلوماتية، الدوحة، قطر، ٢٠١٣م.

إبراهيم بلفقيه
باحث دراسات إسلامية

هويتنا والتاريخ

ومن وعى التاريخ في صدره أضاف أعمارا إلى عمره

هذه هي نظرة الناس عامة، والحكماء خاصة للتاريخ، فالتاريخ ليس أحاديث أو أساطير نرددها للصغار حتى يناموا ليلا، بل هو مدرسة وأي مدرسة!

لقد كان الناس قديما يروون أيام العرب من باب التعلم وحِذْق العربية، ولكنهم في الآن نفسه يروونها ليعرفوا مآثر أسلافهم، فيقوى لديهم حس الفخر بالانتماء لأولئك القوم، ولولا أهمية التاريخ في حياة الأمم والشعوب، ما رأينا أمة تسابق إلى تدوينه، والذب عنه، ومحاولة تزيينه في عيون الناشئة، لكن هل حقا وَعَينا أهمية تاريخنا الإسلامي وخطورته؟ أمَا تعلمنا من أيام الاستخراب الغربي للأمة الإسلامية؟ أومَا كفانا الجهل بالمعلوم من الثقافة بالضرورة؟

لعل نظرة خاطفة على صفحات التواصل الاجتماعي تستطيع اطلاعنا على المستوى المتردي الذي يعيشه أبناء هذه الأمة اليوم، ففي مواطن الاستشهاد بدرر الحكماء لا يعرف أبناؤنا إلا كانط، وديكارت، وفولتير ...إلخ، وعند ذكر تقدم الشعوب ليس لديهم نموذج يُحتذى غير الثورة الفرنسية، وانقلاب أوربا على الكنيسة ...إلخ، فيظنون -بجهلهم- أن هذا هو السبيل الوحيد لرقي المسلمين، لكن اللوم ليس عليهم وحدهم، بل على المناهج الدراسية، التي ما فتئت تعلمنا تاريخ أوربا وحملات نابوليون العلمية والثورة البولشوفية.

ولسنا هنا لتقييم الأمور أو تقويمها، ولكن لنقول: إن لكل أمة هوية وخصائص تميزها، وعند كل محاولة تغيير يجب مراعاة هذه الخصائص، إذ بها تتفاضل وتتمايز الأمم.

إن جهلنا بتاريخ أمتنا هو ما دفع البعض منا إلى سَبِّه والقدح في عرضه، وذلك راجع إلى الشائعات التي يروجها أعداء الأمة، ليشوهوا صورة القادة المسلمين، الذين علموا الدنيا سبيل التضحية والبذل لله،

دون محاباة ولا تهافت على حطام الدنيا، فظن بعضنا أن تاريخنا ليس فيه سوى ليالي الرشيد الماجنة وأشعار أبي نواس، وقصور الجواري الحسان، لكنهم لم يعرفوا حقيقة هارون الرشيد وبطانته من أهل العلم والصلاح، لم يقرؤوا عن الجيوش الجرارة التي قطعت فيافي العراق نحو عمورية لإنقاذ امرأة مسلمة واحدة، لم يصلهم ما بَثّه المنصور بن أبي عامر من رعب في قلوب أعدائه، لم تبلغهم اختراعات البيروني وابن الهيثم الطبية، لم يصْحَبوا يوسف بن تاشفين ليطالعوا البطولة في أسمى صفحات البذل لهذا الدين.

محال أن تتقدم أمة وهي جاهلة بأصولها، فلا يمكن لفرع أن يقوى ويثمر والأصل غير ثابت، ومن المسلم به لدى أولي النظر، أن الناس كلما قوي شعورهم بتاريخهم كلما زاد حماسهم للرقي به وتخليد أمجاده، إذِ التاريخ -إضافة إلى اللغة وغيرها- هو أحد أركان هوية هذه الأمة الخالدة، التي اختصها الله بنعمة الإسلام.

وقد عرَف الغرب هذه الحقيقة، فسعى إلى تدمير الأمة والتسَوُّر عليها من أضعف الأبواب، فجَنّد الباحثين، وقدم التسهيلات للدارسين، حتى يجدوا المنافذ التي تمكنهم من طعن هذه الحضارة، ولعل أبرز الأبواب التي توسل من خلالها تحقيق غرضه بابان، وهما الرسوم المتحركة، والمناهج الدراسية.

أما الأولى فَلأن الأطفال في مقتبل العمر مثل الإسفنجة، يمتصون ويتلقفون كل ما يلقى إليهم على عِلّاته، وغالبا ما ينسى الآباء -عندما يبحثون عن الراحة بعيدا عن مشاكل الصغار- أنهم يتركون الحُمْلان للذئاب، لتفعل بها ما تشاء، ولم يقع اختياري على الرسوم المتحركة اعتباطا، ولكن لأنها اللون الإعلامي الأول الذي يفتح الأطفال عليه أعينهم، وبه يعرفون العالم، ومن خلاله ينظرون للناس، وجل هذه الرسوم تتحدث عن قصص الميوعة وساندريلا والأبطال الخارقين، الذين يُقَدّمون في زي الإنسان الأوربي الغربي، فيرتسم في أذهان النشء أن الذين يعلمون الناس الخير ويُفِيضون على الدنيا من أنوارهم، هم هؤلاء، أصحاب الأسماء اللاتينية، فهذا باتمان، وذاك أليكس...إلخ، بينما لا نجد اسم محمد ولا عمرَ ولا علي حاضرا في هذه الرسوم.

والثانية المناهج الدراسية، التي صارت تعد في المختبرات الغربية، وفق المقاييس الصليبية، فغاب عن مادة التاريخ فتح مكة، وغزوة بدر، وفتح عمورية وبلاد شرق آسيا، وحضارة المسلمين في الأندلس والهند، وتخليص المسلمين للشعوب من حكم طغاتها المستبدين باسم الكنيسة...إلخ، وحضر بدل هذا عصر الأنوار والثورة الفرنسية، والثورة الصناعية، والحرب العالمية والباردة... إلخ، لتُخْرجَ لنا -هذه المناهج- بعد سنوات من الدراسة أجيالا مشوهة الفكر ممسوخة التصورات، لا تعرف من الإسلام سوى الاسم، ومن الدين غير الرسم.

لذا كانت هاتان الوسيلتان أولى من غيرهما بالذكر والتنبيه، لأنهما مرتبطتان ارتباطا وثيقا بمرحلة التكوين الأولي للإنسان، هذا التكوين الذي يظل محفورا في ذاكرته، ولا يستطيع منه انفكاكا.

لكن التاريخ لا يُقَدِّم نفسه على طبق من ذهب لكل مريد، التاريخ -يا سيدي- مليء بالخرافات المقلوبة، والأباطيل المدسوسة، لذلك يجب على المؤرخين المخلصين الغيورين على إرث هذه الأمة أن يسارعوا ويسابقوا إلى نخل هذا التاريخ، وإخضاعه للقواعد العلمية، حتى لا يبقى لأحد من الشامتين والحاقدين منفذ يدخل من خلاله ليشوش على الأجيال القادمة، ويسيء إلى أمجاد السلف الصالح.

ومما سبق يتضح لنا بجلاء، ما للتاريخ من خطورة وشرف في الحفاظ على هوية الأمة وتماسكها، فهو الأساس الذي يشاد عليه صرح الحضارة والريادة.

ثم لا ننسى أن الغرض من التاريخ هو استخلاص الدروس والعبر، حتى يضيء للأمة سبيل الفلاح والنجاح، لتستأنف قيادتها الحضارية للشعوب والأمم، فربنا يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

ولولا خطورة الأمر ما حملت قلمي -وفي الأمة من هو أجدر مني بقول هذا- ولكن الأمة جسد واحد، وكل منا ينافح عنه من موقعه.

ونرجو الله في مقبل الأيام، أن نرى ثُلة من المؤرخين تنذر نفسها للذود عن حياض هذا التاريخ العظيم، الذي ما عرف البشر مثله على طول الزمن، ورجاؤنا سيتحقق قريبا -إن شاء الله- لأن هذه الأمة وَلّادة، وما أكثر المحن التي اعتورتها وتعاقبت عليها، إلا أنها تخرج في كل مرة مثل الجمل الذي نشط من عقال، ولله الحمد والمنة.

محمد جمال حليم
كاتب صحفي

من وحـــي الإســـــــلام

برغم محاولات أعداء الإسلام قديما وحديثا النيل منه، يأبى الله إلا أن يظهر للعالمين ما فاق تصورات البشر مما جاء به الإسلام؛ فلقد أودع الله دينه من الدرر ما يحقق للبشرية الأمن والأمان والسلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وعليه لا يسع الإنسان العاقل إلا أن يسلم وجهه لله، مستسلما لأوامره، منقادا لتوجيهاته، لما لمس بعين بصيرته قبل أن ترى عين بصره من نور أضاء الكون بعدل منهجه، ينعم فيه كل صاحب حق بحقه، ومن ثم من ينكر هذا إنما يطفئ بإرادته مشعل هدايته، لتتخطفه شياطين الإنس والجن بزخرف القول، فيعيش عكس فطرته في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، فالإحساس بالعقيدة «ألصق بفؤاد الإنسان من كل إحساس فيه، وليس المنكر لها بأقل إحساسا لها من سواه، بل ربما كان تظاهره بالجحود والنكران حجة قاطعة على كونه أشد الناس تأثرا بها، إلا أنه ضل الطريق، فقذفت به حيرته إلى متاه من الشطحات هي ظلمات بعضها فوق بعض» (١).

وبجولة في حدائق الإسلام الوارفة نستنشق فيها رحيق عطر الوحي قرآنا وسنة، تغني عن كثير كلام مما تأكله الكتب وتلوكه الألسنة في مناظرات وملاسنات دفاعا عن عظمة ديننا الحنيف.

الإسلام دين الحياة

لقد بسط الله رداءه على البشرية؛ دينا ارتضاه الله لهم، أودعه حِكما تأخذ الأفئدة لعظمتها، وتداعب العقول بانسيابية يأبى أمامها كل صاحب لب إلا التسليم التام بالله الواحد الأحد، «فالإسلام دين الحياة يرعاها ويستوعب كل ما تكون به فاضلة كاملة، ومن نافلة القول أنه الدين الذي لا يعادي الحياة، ولكنه يدعمها وينسج بسواعد المؤمنين جوانبها، ويحفز هممهم إلى إعمال مفاتيحها التي أعطاهم الله إياها فيما وهبه من عقيدة، ومنح من إدراك، وأعطى من علم، وورث من ذخائر أوائلهم التي تحتذى حتى يبلغ المؤمنون بالله وأعطى من الحياة كمالها الممكن، وما عرفت الحياة دينا يدعو إلى العمل والجد فيه مثله أو قريبا منه» (٢).

وفي موضع آخر يوضح الشيخ معوض عوض إبراهيم أن مرد العلل وأصول الداء نابعة من البعد عن منهج السماء، ولو اتبعوه لأدركوا النجاة، فيقول: «وفي المجتمع المعاصر أقوام عللهم شتى وأدواؤهم شكول، وإن كانت تنبع من أصل واحد هو غفلتهم عن دين سخي حفي حافل بمتطلبات الحياة الطيبة والآخرة المحببة، سعد به الأولون فملكوا به قياد الدنيا دهورا وأحقابا، فهو صالح اليوم وغدا وإلى قيام الساعة، ليكونوا به كما كان أسلافهم خير أمة أخرجت للناس، حين أذن إلى مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:٢٤) (٣).

وبرغم ما مر على الإسلام من عصور، وما تعرض له من حملات للإتيان عليه، فتراه ينفض عن هالته التراب، ويشق الفيافي، ويعبر القارات، بزاد ذاتي انطوت عليه حكمته تعالى، لترى أخلاقه تخرج لتنير ظلام الليل الدامس أمام فئات متقاتلة، وتسكن لباب العقول أمام طوائف متباغضة.. فأنى لمن يريد النيل منه الوصول؟!

ستتوه به السبل، وتكثر به الأزقة، وتتخاطفه الدروب، حتى يلقى نفسه صريعا على أعتاب هذا النور الذي لمع أمام عينه من بعيد، معلنا له الخلاص، ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (الزمر:٢٢)، وكم من ألوف باغتتهم مصارعهم على أعتابه بعدما أعدوا عدتهم لاستئصال شأفته، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٣٢).

التنكر للدين

ومع هذا تجد بعض المسلمين يتنكرون لدينهم، بعدما بعدت بهم الشقة، واستحوذ عليهم الشيطان وقد وقعوا فريسة لأفكار مادية اعتنقوها ولفتن تشربوها فتراهم من الإسلام ينهون عنه وينأون، في الوقت الذي استسلم فيه آخرون ممن لم يسلموا لله وجها، أمام عظمة هذا الدين!!

يقول ابن الجوزي: «وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا، فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم

حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء، وكمال الفطنة كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس، وقد حكى لهؤلاء المتأخرين في أمتنا، أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلا، فصدقوا فيما حكي لهم عنهم، ورفضوا شعار الدين، وأهملوا الصلوات، ولابسوا المحذورات، واستهانوا بحدود الشرع وخلعوا ربقة الإسلام، فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات..» (٤).

إن من يتنكر لدينه وإسلامه على أعتاب زخرف الدنيا وبهرجها، يعيش خالي الوفاض من كل الفضائل، صفر اليدين من كل خير، يظهر هذا جليا حينما تنظر إلى واقع الأمة الإسلامية، لتدرك للتو ما حل بها من تناقض بغيض وخلاف ممقوت، وقد اتفق الموحدون -أنفسهم- على الاختلاف على مشارب الدين، وبث الفرقة في مسائل الفروع بل والأصول.. الكل يريد أن يدحض حجة الآخر ليرفع هو الراية ويبقى السؤال: هل هؤلاء مخلصون للقضايا المتفق عليها، إخلاصهم للمختلف فيها؟

والحق أن هذا الاهتمام بالأمور الخلافية لون من الطفولة الفجة، والزيغ الفار بأهله من ميدان الحق، لأنه كثير التكاليف، إلى ميدان آخر لا مشقة فيه ولا تزحمه واجبات ثقال، وماذا عسنا أن نجني جراء إضاعتنا لثرواتنا وتراثنا وأعمارنا؟

إن واقع أمتنا اليوم لينبئ عن ترد مزر، «فإذا ما بحثت عن أمتنا في حقول المعرفة فلا تجدها، وفي ساحات الإنتاج فلا تحسها، وفي نماذج الخلق الزاكي والتعاون المؤثر، والحريات المصونة، والعدالة اليانعة... فتعود صفر اليدين!! بماذا شغلت نفسها؟ بمباحث نظرية شاحبة، وقضايا جزئية محقورة، وانقسامات ظاهرها الدين وباطنها الهوى، واستغرقها هذا كله، فلم تعط عزائم الدين شيئا من جهدها الحار، وشعورها الصادق، فكانت الثمرات المرة أن صرنا حضاريا وخلقيا واجتماعيا آخر أهل الأرض في سلم الارتقاء البشري!» (٥).

تذكرة لأولي الألباب

لكننا والحالة هذه نذكر أنفسنا بنعمة الإسلام، ويكفينا أن ننظر في عقائد غير المسلمين لنرى بأم أعيننا مصارع القوم، وقد أسرتهم رغباتهم وشهواتهم، فراحوا يبررون كل قبيح، ويذعنون لكل شر؛ دعاهم لذلك انحراف فطرتهم وطمس بصيرتهم، وفي كتاب تلبيس إبليس لابن الجوزي تفصيل مفاسد بعض الأمم فكانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض تعظيما لها، ويقولون: إن بها نشوء الحيوانات فلا نقذرها، ولا يغتسلون بالماء تعظيما له، وإن به حياة كل شيء إلا أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه، ولا يبزقون فيه، ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها، وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركا به، بل إنهم استباحوا الحرام وحرموا جمع المال من وجوه الحلال (٦).

شهادات غربية

ومن منطلق الفضل ما شهدت به الأعداء، وقد بح صوت المنصفين منهم لتوجيه النظر، لما في ديننا من درر، وما حوته شريعتنا من فضائل ومثل، أخذت لباب قلوبهم، فوقفوا أمامها مشدوهين لحال بعض المسلمين، وقد عميت عليهم حجتهم، فراحوا ينشدون ضالتهم خلف من استعذبوا معاطن الإبل ومرابض الغنم موطنا من الماديين والفلاسفة وأصحاب الأفكار المناهضة للفطرة التي نشئوا عليها، تلك الشريعة التي سايرت الطبيعة البشرية، واستجابت لحاجيات الإنسانية، وفي هذا يقول دافيد دي سانتيلانا: «أيكون معنى أن الشريعة الإسلامية مرجعيتها دينية أن الفكرة الدينية قد أعاقت تطور القانون الإسلامي؟ هذا الاستنتاج ليس إلا سوء فهم لتلك الوحدة الفكرية التي يتمثل فيها مصدر قوة الإسلام الرئيس»، ويوضح أن الشريعة حررت البشرية، وأعلت من قيمة الحرية، فيقول: «إن الشريعة الجديدة ألغت القيود الصارمة والمحرمات المختلفة التي فرضتها شريعة موسى على اليهود، ونسخت الرهبانية المسيحية، وأعلنت رغبتها الصادقة في مسايرة الطبيعة البشرية، والنزول إلى مستواها، واستجابت لجميع حاجات الإنسان العملية في الحياة» (٧).

ومضة وسط الظلام

ويكفي أن نلفت النظر هنا إلى أن الإسلام من السِلم والسلام، قد جاء سِلما على البشرية، معلنا بدء مرحلة جديدة تتصالح فيها الأرض مع السماء، وتتناغم فيها المخلوقات، وتتكامل الأدوار، كل يؤدي حق خالقه وبارئه، شعار هذه المرحلة السلام، وزادها الإيمان، ووسائلها عمل الجوارح والجنان لخير عجل لهم، وآخر يوعدونه يوم الحساب، وحيال هذا الانقياد تتلاشى كل صور التمييز، وتبهت صور الدماء، ويعطر الكون بمعاني الإسلام السامية، وننعم بما في الإسلام من درر، فالعود العود إلى منابع النور ومطالع السرور، فيالروعة ديننا الحنيف!.

الهوامش

١- دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي، (ص ٥٣٤).
٢- ملامح من هذا الدين، للشيخ معوض عوض إبراهيم، (المقدمة ص٦).
٣- المرجع السابق، (ص١٠).
٤- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، (ص ٤٨) وما بعدها، بتصرف يسير.
٥- تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، لمحمد الغزالي، (المقدمة ص٣) وما بعدها، بتصرف يسير.
٦- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، (ص ٧٤)، بتصرف.
٧- دافيد دي سانتيلانا، القانون والمجتمع، (ص: ٤٣٩).

صبحة بغورة
كاتبة جزائرية

وصفة علاجية أم ضرورة حياتية؟

الضحـــك

بين الابتسامة الرزينة عند كبار السن والقهقهة العالية عند المراهقين تتأرجح «الضحكة» التي قال عنها الكبار «يا أبو ضحكة جنان..»، فهل يعود سحرها إلى نعومة الصوت ودفئه، أم ينبع من رقة ولطف المحيا، أم بسبب كمال وجمال بياض الأسنان.. عند الأطباء لا يهم إن كانت الضحكة بحشرجة خشنة، أو صدرت عن شفاه غليظة مشققة، أم خرجت من فم كشف عن شباك الكآبة.. فالأمر عند الباحثين سواء بسبب نظرتهم العلاجية الجادة إليه، لأنها ببساطة تتعلق بالصحة الجسدية والعقلية والنفسية للفرد.

الضحك مظهر يؤكد وجود الفرد في حالة انشراح صدر صادفت

مؤثرا بروح الفكاهة فتجاوبت معه، حالة نابعة بعد الشعور بالاستقرار النفسي وبالهدوء العصبي والاسترخاء العضلي والفكري الطارد لدواعي القلق ومسببات الاضطراب أولا، إنها حالة اتزان كامل باعثة على السرور، وفي مثل هذه الحالة يصبح لدى الإنسان قابلية كبيرة لروح الدعابة والفكاهة والسماع إلى الطرائف، ومنه يكون التأثر بالضحك، أي إن فعل الضحك هو نتيجة لحالة شعورية مستقرة وسابقة عليه، وليس هو بالضرورة السبب في تشكيلها، وغالبا ما يكون أساس هذه الحالة هي القناعة والرضا والطمأنينة، بمعنى أن الضحك لا يؤشر دائما على ما ستكون عليه الحالة النفسية بشكل عام وليس مؤسس لها، فمن ذا الذي يدعي أنه استطاع إضحاك أحدهم أثناء تشييع جثمان عزيز عليه! وكم من الأشخاص الذين يهربون من واقعهم المزري بقضاء وقت في اللهو الزائف لمجرد الخروج من غمامة الحزن، ولكن لم تنبع ضحكاتهم من القلب، وكم الذين انطبق عليهم القول: «شر البلية ما يضحك!!»، ومع ذلك يركز الباحثون اهتماماتهم على أثر فعل الضحك على النفوس، ويجتهد الأطباء في دراسة وبحث انعكاساته على الصحة العامة، ونتائج الدراسات كلها جاءت تؤكد تأثير قوة فعل الضحك على حياة الإنسان وعلى سعادته.

للضحك تأثير علاجي؛ إذ يؤكد الأطباء أنه يحمي الأوعية الدموية ويعزز وظائفها، كما أنه وسيلة للتخلص من الضغط العصبي بتحريك عضلات الوجه والجسم كله، فيزيد من نشاط الدورة الدموية ومن استهلاك الجسم للطاقة ما يساعد بالتالي على التخلص من عوامل الإجهاد، وأن الضحك يؤثر على إفراز الهرمونات في الدماغ وفي الغدد الصماء التي تشارك في تنظيم مستوى السكر في الدم، ويعزز الجهاز المناعي لدى الإنسان ويحميه من التوتر، وحديثا توصلت الدراسات أن الضحك يعالج أمراض القلب ويجعل البشرة ناعمة خالية من التجاعيد، إلا أن وجود القابلية للضحك أساسا تتوفر عند الإنسان المتفائل، المؤمن، الواعي، والقادر على التعامل الإيجابي مع مشاكل الحياة ومواجهة مصاعبها بكل شجاعة وثقة في النفس، وهو إنسان عادة ما يتمالك أعصابه، قادر على امتصاص الغضب وليس من السهل إثارته، يعرف كيف يتقبل الألم ويتعامل معه ويتحمله، وعليه فمفتاح سر الضحك هو تماسك بناء كيان الإنسان، والتماسك في حد ذاته دليل على الصحة البدنية والنفسية، لأن السبب في شجاعة الإنسان في مواجهة الأمور الصعبة نابعة من تماسكه وليس عن توتره، ويفهم من طبيعة هذه الصفات التي ليست متوفرة عند الناس جميعا أنها صفات مكتسبة من ظروف التنشئة الأولى التي تتباين منطلقاتها بين مختلف الأسر والعائلات في المراحل المبكرة من سنوات الطفولة، أي إنها ليست فطرية، وعليه لا يمكننا أن نتوقع الضحك كرد فعل هو نفسه تجاه موقف معين عند كل الناس، ولكن ما قل من الحرص على توفير أقصى ما يمكن من مظاهر البهجة والسرور لخلق أجواء السعادة وتهيئة النفوس لتفادي مسببات «العكننة»، وتجنب الأحاديث المهيجة للأعصاب من جهة، ومن جهة أخرى التمهيد لضمان استقبال المؤثرات الطريفة بشيء من الضحك.

ما أجمل أن يكون للضحك معنى وقيمة، أي أن تحمل الضحكة رسالة إعجاب مطلوب أو تشجيع واجب أو تحفيز مرغوب وهذا هو المظهر الإيجابي في الرسالة، أما مظهرها السلبي أن يكون الضحك على سبيل السخرية من موقف والتحقير من قيمة أو الاستهزاء من حديث ورأي، وفي الحالتين الإيجابية والسلبية سيكون للضحك أثره البالغ في النفوس، وكذلك فإن الإفراط في الضحك وسط الملأ وكثرته دون داعي يتطلبه، أو سبب يحدثه، أو مناسبة تقتضيه؛ يقلل من شأن صاحبه ويضيع هيبته، ويحط من وقاره، وقديما قيل: إن الضحك بدون سبب من قلة الأدب. كما أنه بهذا الشكل المفرط والمبالغ فيه يخفض كثيرا من مستوى تحفز القلوب أمام مهمة الوفاء بالالتزامات ويضعفها تجاه النهوض بالمسؤوليات، ويفتر توثبها للقيام بالواجبات.

كثير من المجتمعات أدركت أهمية الضحك في حياتها كقيمة مستمدة من وجودها لتجديد حيويتها واستمرار نشاطها. ومن ذلك انتشار بث أشرطة فيديو كوميدية للمرضى في المستشفيات من أجل بعث السرور في نفوسهم ورفع روحهم المعنوية، وكذلك الأمر في المدارس وفي دار الأيتام والعجزة حيث توفر الإدارة برامج عروض حية للمهرجين للترويح ونزع العبوس والرتابة والكآبة من يومياتهم، وإزالة مشاعر القلق والإحباط من نفوسهم وتبلد رغبتهم في الحياة، ومنه يتأكد أن الضحك وسيلة هامة من وسائل التكيف مع ما يتسلل إلى الوجدان من هموم وما تعلق من الشوائب المتراكمة بجوانب الشخصية من قلق وعصبية وعدائية جراء المشاكل اليومية المختلفة.

خالد العبادي
باحث تربوي

شبكات التواصل الاجتماعي وأثرها على الواقع

على سبيل التقديم ودون الدخول في تفاصيل الثورة التكنولوجية من حيث المسار التاريخي، ومن حيث إيجابياتها وسلبياتها، سأقتصر في هذا المقال على شبكة التواصل الاجتماعي وأثرها في الواقع، مركزا الحديث عن «Facebook»، هذا الفضاء الذي يعد الخيط الرابط بين القارات الخمس، إذ تجاوز الحدود الجغرافية. فما هي استحقاقات هذا الفضاء على مستوى الواقع الملموس؟

حرية التعبير

لعل أي واحد منا خرج إلى الشارع العام وطرح السؤال التالي على المواطنين: ما أهم إيجابية ترى أن «Facebook» وفرها لك؟ سيكون الجواب في الأعم الأغلب هو حرية التعبير، وهناك يقف الإنسان وقفة مع نفسه ليقول: هل فعلا كان الناس محرومين من هذا الحق؟ ولا مراء في أن حق التعبير كان من الحقوق التي لا يسمح بها نسبيا حسب طبيعة الموضوع، لكن اليوم مع مارك زوكربيرغ، بات من الممكن للإنسان أن يعبر عن رأيه وموقفه في كثير من الأمور، وأحيانا بلا حدود وبتجريح الغير، مما يوحي بوجود ركام من الآراء ظلت لزمن طويل قابعة في نفس صاحبها، خشية تهمة ما.

من يتتبع الساحة، سواء الوطنية أو الدولية، مستحضرا فضاء التواصل الاجتماعي، يدرك أن لهذا الفضاء دورا كبيرا جدا في كثير من الوقائع التي دخلت تاريخ البشرية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر، فما يحدث هناك نعرفه هنا، يصلنا أحيانا بشكل مفصل متجاوزا ما تنقله الفضائيات، هذا الفضاء أيضا أصبح يسبب الازعاج للبعض.

الفيس بوك والإرهاب والتسامح

لا أحد ينكر خطورة الإرهاب، ولا أحد ينكر نعمة التسامح، وعبر «Facebook»، أرى من خلال تتبع ما ينشر حول هذا الموضوع، يعد من بين الأسلحة لمواجهة الظاهرة، فمشاهدة مقاطع فيديو من أشكال الإرهاب، لا يسع المرء إلا أن يستنكر تلك الأعمال اللاإنسانية.

هذه الأعمال الإرهابية المختلفة

الصور، دفعت بالكثير من رواد «Facebook» إلى تدوينات تدعو إلى التسامح، ونشر صور معبرة عن ذلك، معبرين أن حق الحياة هو حق كل إنسان مهما كان دينه، مع التنبيه في الوقت نفسه، أن هذا الفضاء يعد وسيلة تواصلية لدى أصحاب الفكر المتطرف، وهنا تكمن الخطورة.

الفيس بوك والربح المادي

لا توجد عائلة لا يوجد بها هاتف بمواصفات عالية، فقد نجد في كل بيت اثنين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك، أو الكل يملك هاتفا ذكيا، وبالتالي فنحن أمام تجارة أصبحت تغزو الأسواق، فقد كثرت المحلات، وكثرت الطلبات، مما يعني في المقابل تحسن الدخل اليومي والشهري لشريحة كبرى من الشباب، وفي المرتبة الأولى الشركات المصنعة نفسها.

الفيس بوك والمادة الصحفية الإخبارية

اليوم كثير من المواقع الإخبارية، أصحبت تجد ضالتها في صفحات «Facebook»، فما أن يتداول نشطاء صفحات الفيس لحدث ما، فإنه بأقصى سرعة نجد المواقع الالكترونية حررت مقالا حول الموضوع، والميزة المهمة أن كثيرا من المواقع تتوسع في الموضوع أكثر من خلال الاتصالات الهاتفية مع الجهة المعنية لتأكيد الخبر أو نفيه، مما يعني أن القول بالفضاء الافتراضي هو في الحقيقة فضاء واقعي، فكم من الأحداث كان «Facebook» سبب التعجيل للتحقيق فيها.

دور التكنولوجيا الحديثة في توسيع الفجوة

هذا الموضوع تطرقت له إحدى القنوات الفضائية.. نذكر أهم نقطه، وهي عبارة عن أسئلة وجهت إلى أحد ضيوف الحلقة، **السؤال:** «إلى أي مدى ساهمت التكنولوجيا الحديثة في توسيع الفجوة بين الآباء والأبناء، وهل يمكن أن تعيش الأجيال القادمة فعلًا في عزلة نفسية؟ السؤال هنا لمقدمة البرنامج منتهى الرمحي.

تجيب ضيفة الحلقة أستاذة علم النفس التربوي بجامعة اليرموك د. شادية التل بقولها: «الإسلام رسم الصورة المثلى للأسرة، وحدد العلاقات بين أفراد هذه الأسرة، وحدد أيضًا نمطية التفاعل بين هذه الأفراد، وحدد حقوق الأفراد في هذه الأسرة، فهناك حقوق للأبناء على آبائهم، وهناك حقوق للآباء على أبنائهم، وهناك طبعًا بالمقابل واجبات لكل منهم، وتربية الأولاد هي مسؤولية ورسالة يجب أن يؤديها الأهل بكل أمانة تجاه أبنائهم، وهم مسؤولون عن هذا، فكلنا نذكر قول الرسول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها» (رواه البخاري ومسلم)، الصورة هذه صورة مفاهيمية بنيوية وظيفية شاملة لمفهوم الأسرة تتعدى الصورة الجزئية لا بد أن تأخذ الصورة الكلية، الكلية هنا بمعنى أن الكل لا يساوي فقط مجموعة الأجزاء، أي أن الأسرة ليست عبارة عن مجموعة من الأفراد فحسب يعيشون تحت سقف واحد، وإنما يجب أن تكون هناك علاقات منظمة تضمن سلامة هذه الأسرة، وتماسك نسيجها الاجتماعي، وتؤمن مقوماتها».

هذه الصورة الكلية لمفهوم الأسرة التي تتحدث عنها د. التل، مع التكنولوجيا الحديث سوف تتغير لا محالة وواقعنا يبرهن على ذلك.

وفيما يتعلق بمسألة المحافظة على القيم فهذه مسألة عامة، فكل دول المعمورة لديها هاجس المحافظة على القيم والهوية، وليس الأمر مطروحا على العالم الإسلامي وحده.

السؤال الثاني: «إلى أي مدى في هذا العصر الذي نعيشه، في عصر التكنولوجيا والانفتاح والإنترنت وغيره يمكن الحفاظ على هذه الجزئيات، لكي نصل إلى المفهوم الإسلامي للأسرة؟».

تجيب د. التل قائلة: «هذا يتطلب التوعية بمقومات وثقافة وقيم المجتمع الذي يعيش فيه الفرد، يعني المجتمعات العربية الإسلامية لها قيم، قيم أصيلة، وفيها خصوصية لهذه الأسرة، وهذه الخصوصية لا توجد في المجتمعات غير العربية والمسلمة، ويجب أن تعزز، ويجب على الأبناء أن يعوا خصوصية مجتمعاتنا العربية وقيمنا وتقاليدنا وثقافتنا، طبعًا أنا لا أدعو بذلك إلى انغلاق الأولاد والأبناء على ثقافتنا وقيمنا، بل أنا مع انفتاح الأبناء على ما يحدث الآن في المجتمع الذي يتميز بالتفجر المعرفي والمعلومات».

تعليقا على جواب د. شادية أقول إنه من الصعب اليوم على الآباء إحكام السيطرة على أبنائهم ومراقبتهم، يقول نايجل ووربيرتن: «أحد الأمور المقلقة بشأن شبكة الإنترنت هو أنها تصعب كثيرا من التحكم في وصول الأطفال -مثلا- إلى المواد الإباحية، وإلى سبل للتواصل مع الغرباء، وكل ما يصاحب ذلك من

أخطار، ومرة أخرى، ربما يكون هذا جانبا مؤقتا لهذا الوسط، وربما تقلل برامج حماية ومراقبة الأطفال الأكثر تطورا هذه المخاطر في المستقبل القريب، ومع ذلك في الوقت الحاضر هناك أسباب تدعو إلى حظر أنواع معينة من المواقع، كنوع من الحماية للأطفال، حتى وإن كان هذا يقيد حرية الكلام لدى بعض البالغين» (١). وفي انتظار تقلل برامج حماية ومراقبة الأطفال، يبقى الحل هو حضر مواقع بعينها للتخفيف من الضرر، وليس الضرر كله.

دور مواقع التواصل الاجتماعي في التأثير على العلاقات الإنسانية

ما دام التواصل الاجتماعي حاصلا، فلابد إذن من حدوث تأثير على العلاقات الاجتماعية، يمكن القول: إن المجتمع المحلي الافتراضي، حقق ما لم يحققه المجتمع المحلي الطبيعي، بما توفره تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من تقنيات وخدمات عالية المستوى، فهو مجتمع على الخط يتفاعل في بيئة إلكترونية افتراضية، ويشترك أعضاؤه في الكثير من الروابط والاهتمامات والأنشطة الاجتماعية المشتركة، وقد يكون هناك حضور طبيعي شخصي خلف أجهزة الحواسيب، أو لا يكون ذلك، أي مجرد حضور افتراضي برامجي، في أوقات معينة.

فالبيئة البرمجية للتفاعل، تتقاسم أنماطا متنوعة للتفاعل، وأحجاما صغيرة أو كبيرة من المشاركين، وفترات زمنية غير مقيدة، كل ذلك يتيحه الفضاء السيبيري بدلا من الفضاء الطبيعي، فتتفاعل جماعات النقاش والحوار، ويحدث التآلف، وتنمو المصالح الشخصية الاجتماعية والاهتمامات النفسية والثقافية والسياسية والاقتصادية والأدبية المشتركة، والاتصال التقني المفيد معرفيا واجتماعيا، والذي بدوره يكتسب نوعا من العادات والتقاليد واللوائح الاجتماعية المشتركة، من الجماعة أو المجتمع الافتراضي المعني» (٢). وهذا لا يعني إهمال وإغفال أهمية التواصل المباشر بدون واسطة.

وحول تأثير الاتصال عبر الإنترنت في العلاقات الاجتماعية، أُجريت هذه الدراسة، من قبل حلمي خضر ساري عام (٢٠٠٣م) وطبقت في أحد المجتمعات على عينة من الشباب في كلا الجنسين، بلغ حجمها (٤٧١)، وتهدف الدراسة إلى معرفة الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية التي تركها الإنترنت، بوصفه وسيلة اتصال إلكترونية حديثة في المجتمع على علاقات الشباب الاجتماعية بأسرهم وتفاعلاتهم الاجتماعية مع معارفهم وأصدقائهم، إضافة إلى محاولة معرفة الخصائص الثقافية للإنترنت، وقد اعتمد الباحث على منهج المسح الاجتماعي، وتمّ استخدام أداة الاستبيان، وتوصلت الدراسة إلى:

- وجود ما نسبته (٣٨,٦ ٪) من أفراد العينة كانوا قد تحدوا آليات الضبط الأسري والاجتماعي، وقاموا بلقاءات مباشرة وجها لوجه بمن تعرفوا إليهم عبر الإنترنت.
- نجم عن استخدام الشباب للإنترنت تراجع في مقدار التفاعل اليومي بينهم وبين أسرهم، وتراجع في عدد زياراتهم لأقاربهم.
- أن هناك حالة من العزلة والاغتراب النفسي بين الشباب باعدت بينهم وبين مجتمعهم، إذ بلغت نسبة من شعر منهم بهذه الحالة (٤٠,٣ ٪)، وفي نفس الوقت تعمل الإنترنت على تقريب البعيدين مكانيا عبر اختزال المسافات الجغرافية بين ما نسبته (٦٧,١ ٪) منهم، لتشعرهم بالقرب النفسي بأسرهم وعائلاتهم الذين يعيشون خارج الوطن» (٣).

إذن، حالة التأثير موجودة إيجابا وسلبا، ولعل التأثير الإيجابي هو الطاغي، وهي مزية تحسب للثورة التكنولوجية.

على سبيل الختم، إن فضاء «Facebook» هو فضاء لا يمكن الاستهانة به، فخدماته جليلة رغم وجود السلبيات، لأن اليوم الحاجة إلى الإعلام أصبحت ضرورة ملحة أكثر من أي وقت مضى، فمن يملك الإعلام سيساير ركب الحضارة، ومن تخلف سيفوته الكثير والكثير، ولن يجد فرصة للحاق بمن سبقوه في المجال، إن التاريخ لا يرحم.

الهوامش

١- حرية التعبير، نايجل ووربيرتن، ترجمة: زينب عاطف سيد، مراجعة: شيماء عبد الحكيم طه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٣م، (ص: ٨٤).

٢- علم الاجتماع الآلي، علي محمد رحومة، سلسلة عالم المعرفة، العدد٣٤٧، يناير ٢٠٠٨م، (ص: ٦٤-٦٥).

٣- اثر استخدام شبكات التواصل الالكترونية على العلاقات الاجتماعية الفيس بوك نموذجا، إعداد الطالبة، حنان بنت شعشوع الشهيري، إشراف الدكتورة: أميرة بنت يوسف بدري، (ص: ٣٧-٣٨)، رسالة ماجستير علم الاجتماع - وزارة التعليم العالي جامعة الملك عبدالعزيز، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٤هـ.

هبة أبو الفتوح
باحثة تربوية

لا تحرموا الأطفال من اللعب

تعد مرحلة الطفولة مرحلة أساسية في حياة الإنسان، ففيها تتحدد معالم شخصية الطفل، ويكتسب أنماط قيمه وسلوكه، ويتعلم مختلف عاداته واتجاهاته وميوله واهتماماته، لذا فإن التأكيد على التربية الصحيحة الشاملة الكاملة المتزنة للأطفال في هذه المرحلة تعتبر ضرورة ملحة لتنشئة الأجيال التنشئة الصحيحة المنشودة.

و قد كفل الإسلام للطفل حقه في التنشئة الاجتماعية الصحيحة والرعاية السليمة، وإشباع حاجاته الأساسية، وعدم حرمانه اللهو واللعب في مرحلة الطفولة كما هو في الحكمة الشائعة المنسوبة لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لاعبه سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا». وبعد التأكيد على حق الطفل في اللعب الذي أكد عليه النبي ﷺ، تتضح أهمية اللعب في تنشئة الأطفال.. وكثير من الآباء والأمهات ينسون أهمية اللعب بالنسبة للطفل الصغير عندما ينظرون للعب الطفل بوصفه عبثا ومضيعة للوقت، على الرغم من أن جميع النظريات الحديثة للنمو العقلي أكدت عليه، وعلى أن أصل الذكاء والتفكير الإنساني يكمن فيما يقوم به الطفل الصغير من نشاط وحركة ولعب حر.

والطفل في مراحل عمره المبكرة ليس أمامه من وسيلة للنمو والتطور إلا من خلال الحركة والنشاط واللعب بأشكاله المختلفة، ولذلك كان من الضروري إتاحة الفرص لتنمية هذه الإمكانات في مثل هذه الفترات السلسة من العمر والتي يطلق عليها نوافذ الفرص، فالطفولة المبكرة هي السنوات الحساسة والمهمة للنمو في كل أشكاله وأبعاده. كذلك يسهم اللعب في توفير فرص التفاعل الاجتماعي والنضج الانفعالي للطفل، فبدون اللعب مع الآخرين، يصبح الطفل أنانيا مسيطرا، ضيق الأفق، غير محبوب... فإذا تعود اللعب مع الآخرين، فإنه يتعلم الأخذ والعطاء، ويتخلص من حالة التمركز حول الذات ويتعلم كيف يتبادل الأدوار.

كما يعد اللعب بالنسبة إلى أطفال الروضة كالعمل بالنسبة للكبار، فهو ميزة من مزايا حياته ووسيلة أساسية لنموه وتعلمه. وكما تؤكد الدراسات الحديثة أن لعب الأطفال هو أفضل وسائل تحقيق النمو الشامل المتكامل للطفل، ففي أثناء اللعب يتزود العقل بالمعلومات والمهارات والخبرات الجديدة، وهو من خلال أشكال اللعب الاستكشافي تثرى إمكاناته العقلية والمعرفية، ويكتسب مهارات التفكير المختلفة، وتنمو لديه الوظائف العقلية العليا كالتذكر والتفكير والإدراك.

ولقد كان روسو أول من نادى باستخدام اللعب لفهم الأطفال وتربيتهم، وذلك في القرن الثامن عشر، ولكن الإسلام أكد على أهمية اللعب، من قبل أن يولد روسو، وغيره، كما أشرنا إلى ذلك في الحكمة المنسوبة لسيدنا عمر رضي الله عنه «لاعبه سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا». وعن الأولاد والألعاب ورد في الأثر: «علموا اولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل» ولقد صارت السباحة وركوب الخيل من الألعاب الرياضية، وصارت هي وغيرها من الألعاب الرياضية مجال السباق بين جميع الأفراد على مستوى العالم، ويرنو كل طفل إلى المشاركة فيها عندما يكبر. ومن ثم كان لزاما علينا كآباء وأمهات أن نهيئ مناخا ملائما للأطفال لكي يلعبوا وفق إرادتهم، ولكن علينا أن نراهم ونلاحظهم لكي نتعرف على قدراتهم وميولهم ومشاكلهم، فاللعب يتيح للمربي وللوالدين أن يروا الطفل على حقيقته، فكما يقول شيللر: الإنسان لا يظهر على حقيقته إلا عندما يلعب.

عبد الفتاح العيسوي
باحث أكاديمي

تنمية المهارات الحركية والعقلية لدى الطفل

لا يقتصر اكتساب المهارات الحركية على الإنسان، بل إننا نشاهد القطة الصغيرة تداعب أمها منذ الشهر الأول من عمرها، وتعض ذيلها وذيل أمها في حركات مبهجة، وإذا تدلت سلسلة أو حبل صغير من مكان ما، فإنها تلاحقه أينما تحرك وتحاول التقاطه، ثم قد تستلقي على ظهرها وتحاول اللعب به بواسطة أرجلها الأربع وفمها، وإذا أراد الإنسان أن يداعبها فإنها تطبق أرجلها وأسنانها على يده وتعضه برفق دون أن تغرس أنيابها أو مخالبها في جلد يده كما تفعل عندما تكون غاضبة أو عند الدفاع عن نفسها، أو كما تفعل عندما تلتقط فأرا.

والجدي الصغير يحاول منذ سن مبكر القفز هنا وهناك، وكذلك الغزال الصغير يأتي بحركات متشابهة تمتاز بالسرعة والدقة، ونحل العسل يظهر نوعًا من الرقص الدائري بقصد الاستمتاع، والطيور تلعب وتظهر بحركاتها أنواعًا من الفنون، وبعض الثعابين ترقص إذا سمعت نغمات المزمار، والقردة تقفز فوق أغصان الأشجار من غصن إلى آخر بحركات بهلوانية سريعة وعجيبة.

إذن لا يقتصر اكتساب المهارات skalls الحركية على الإنسان، بل تتعداه إلى الكائنات الحية على اختلاف أنواعها بالطريقة التي تتفق مع قدراتها واستعداداتها.

وفي هذا الشأن يؤكد كارل غروس أنه كلما زاد ذكاء intelligence النوع وقدرته على التوافق أو التكيف النفسي psychological adjustment اشتدت حاجته إلى اللعب والحركة، كما قرر أن اللعب أساس الجماليات، فالحيوانات تلعب لأن ذلك ينفعها في صراعها من أجل البقاء، والطفل يلعب لأنه يتدرب على المهارات اللازمة لحياة الكبار.

واللعب في نظر بياجيه مظهر من مظاهر التمثل عن طريق تكرار الحركات حتى يقوي ويتم تمثله وموائمته، والتمثل هو أساس عمليات النمو الجسمي والعقلي بما في ذلك الذكاء.

أما سيجمند فرويد فإنه يفترض أن اللذة والألم يتحكما في السلوك الإنساني، فنحن نسعى إلى ما ييسر اللذة، ونتجنب ما يجلب الألم، ففي اللعب كما في الأحلام والخيال imagination يستطيع الطفل أن يحقق ما لا يستطيع تحقيقه في ظل الظروف السيئة، وبالتالي فإن اللعب يرجع إلى دافع السيطرة على الأحداث والحصول على اللذة، كما قرر أن هناك غريزة instinct أساسية هي الليبيدو lipido، وتعني النزوع إلى الحياة، معتبرا إياها مصدرا لكل الدوافع motives.

تنمية المهارات الحركية والعقلية

من المعلوم أن المهارات متعددة ومتنوعة بتنوع الحركات والألعاب، ويؤكد بياجيه أن هناك فرقًا بين تكرار الحركات والألعاب بقصد اللهو واللعب، وتكرارها بقصد الوصول إلى امتلاك مهارة في أدائها، وفي كثير من الأحيان يصعب أن نفرق بين الهدفين.

فالطفل الذي تصدم يده لعبته المعلقة فوق سريره وتحدث صوتًا مثيرًا، فإنه يكرر العملية بهدف الاستكشاف، ثم يكررها بهدف الوصول إلى اكتساب المهارة في إصدار الصوت، وبما أن اللعب ينمو بنمو الطفل جسميًا وعقليًا، فالطفل يولد ولديه عدد من الحركات اللاإرادية involuntary الضرورية، للقيام بوظائف حيوية، مثل التغذية والوقاية.

وبعض هذه الحركات تختفي في الشهر الرابع، والبعض الآخر يظل أبعد من ذلك، وفي الحالتين يحل محلهما حركات إرادية، تزداد إتقانًا كلما تقدم الطفل في العمر، وتتجه نحو اكتساب المهارة.

ولنمو الطفل قواعد عامة، قسمها الطب الحديث كما يلي:

١- الجانب الاول: هو نمو الحركات الكبيرة كالزحف والجلوس والمشي والقفز.

٢- الجانب الثاني: هو نمو الحركات الناعمة والتآزر والتناغم harmony بين حركات اليد والرؤية.

٣- الجانب الثالث: هو نمو حاسة السمع واكتساب المعلومات.

٤- الجانب الرابع: هو النمو النفسي والاجتماعي، فكل ما يستطيع الطفل أن يكتسبه أو يقوم به من حركات عشوائية أو متقنة يقع في واحدة أو أكثر من الجوانب السابقة، حيث أن النمو بصفة عامة هو ارتقاء خصائص الكائن الحي، سواء أكانت جسمية أو عقلية أم انفعالية، وهو عادة يكون تدريجيًا ومستمرًا، ويحدث في الكم والكيف، ويسير نحو تكامل الشخصية personality intergration الذي يعني تنظيم مكونات الشخصية وأجزائها وعناصرها المختلفة «أعضاء وأجهزة بدنية ودوافع وميول وقدرات وخبرات وإحساس وانفعالات وتفكير وسلوك» في وحدة متماسكة في جوانبها، ومتناغمة في وظائفها، وكلما كانت شخصية الطفل متكاملة دل هذا على ارتفاع مستوى الصحة النفسية بها، وعلى خلوها من الاضطرابات النفسية الواضحة.

وما ينبغي أن نهتم به في مراحل نمو الطفل هو ماذا يستطيع الطفل إنجازه في كل مرحلة من المراحل السابقة؟ وكيف نستطيع توظيف معرفتنا في تنمية حواسه وإدراكه والوصول بها إلى درجة المهارات المرغوب فيها؟ وكيف يتم الكشف المبكر عن أي خلل؟ ومحاولة التقليل من آثاره الضارة أو علاجه؟ وبدراسة نمو الطفل في مرحلة ما، يمكن الكشف عن الموهوبين ومتابعتهم ورعايتهم وصيانة مواهبهم والمحافظة عليها والعمل على تنميتها، لما في ذلك من فوائد لا تحصى.

ومن المعلوم أن عملية النمو مرتبطة بنضج الجهاز العصبي المركزي central nervous system وبتكوين الأعصاب واللحاء حولها، وأن كل خطوة من نمو الطفل لا يمكن اكتسابها قبل الخطوة التالية، وأن المران والتدريب مفيد في حينه، وأنه غير مجدي في غير أوقاته المناسبة.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى ما يعرف بالفترة الوظيفية أو الفترة الحرجة، وهي التي يكون فيها الجهاز العصبي والأجهزة المقابلة مثل الحواس وغيرها مهيأة للقيام بوظيفة معينة، فإذا انقضت تلك المدة قبل اكتساب الطفل لوظيفة ما، فإنه من الصعب أن تكتسب في مرحلة أخرى بنفس النضج والاكتمال.

فمثلًا إذا ولد طفل فاقد السمع، أو فقده في الشهور الأولى، واستمر كذلك حتى بعد انقضاء أربعة أو خمس سنوات من عمره، وهي المدة المناسبة لتعلم اللغة سماعا ولفظا، فإن هذا الطفل لن يتمكن من فهم الكلام المسموع، حتى لو تم علاج سمعه وزال المعوق تمامًا بعد هذه المدة.

ومن المعلوم أن نظريات التعلم تقول: إن نواحي السلوك يمكن للإنسان أن يتعلمها، وبالتالي فإن المران والتدريب والتكرار والتعزيز والإثابة ورفع الدافعية هو الأصل، وكذلك السلوك يمكن تعديله بأي اتجاه نريده، وتبعًا لذلك فإن كسب المهارات مرهون بالتدريب والممارسة، وبذلك يكون عدم المران والتدريب مسئولًا إلى حد كبير عن عدم اكتساب المهارات المرغوب تعلمها. ولذلك لا يستطيع أحد أن ينكر دور البيئة والأسرة

والمدرسة وما بينهما وما تتضمنه من غنى وجهود أو فقر وإهمال.

فمن المتفق عليه أن هناك عوامل كثيرة في البيئة تساعد الطفل على النمو والتطور، جسميًا وعقليًا ونفسيًا وروحيًا وخلقيًا وسلوكيًا في الاتجاه الأفضل، ليكون أكثر قدرة على كسب المهارات المختلفة.

ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

١- توفير الوسائل اللازمة، فلا يمكن أن يتعلم طفل السباحة إلا بممارستها مهما شرحنا له كيفية السباحة، ولا يمكن أن يتقن بعض الأعمال الفنية كالرسم قبل أن نوفر له الأقلام والريشة والألوان واللوحات الفارغة أو الورق.

٢- إتاحة الفرصة للطفل للممارسة والتدريب والتكرار حتى يتقن المهارات المطلوبة، على أن يكون في السن المناسب.

٣- إثابة الطفل أو تعزيزه ومكافئته كلما أراد أن يعبر عن نفسه بأي صورة من صور التعبير، وعدم اعتبار أعماله وحركاته وكلامه وأفكاره وآرائه مادة للسخرية أو التندر أو الاستهتار.

٤- على الأسرة أن تعمل على اكتشاف وتفتح وتنمية استعدادات أطفالها، وصيانة مواهبها وميولهم وقدراتهم العقلية، وعلى اكتساب العادات والاتجاهات العقلية السليمة، وعلى تدريب حواسهم وقواهم وقدراتهم الحركية والعقلية، وتوفير البيئة ومثيراتها العقلية والثقافية، ومن ذلك الألعاب التعليمية الهادفة المختلفة والصور والكتب والمجلات، وعلى التفكير المنطقي السليم، وتوفير القدوة الحسنة، وعلى الموضوعية والصراحة في القول والعمل.

٥- تهيئة الجو المناسب والمشجع، واستقامة التفكير والتمتع بنعمة العقل الذي وهبهم الله إياه.

٦- العمل على تحقيق النمو والنضج الانفعالي والعاطفي السليم المناسب لسنهم، والتكيف النفسي مع أنفسهم ومع الآخرين، وتنمية العواطف الإنسانية النبيلة، ومعرفة حاجاتهم النفسية والاجتماعية وإشباعها، وتوفير النشاط والحركة والأمن والأمان والاستقرار والسكينة، فلا يثيرون لديهم مشاعر النبذ والاهمال والنقص والضعف والتهديد والقسوة والعقاب البدني أو المقارنة غير العادلة، واحترام آرائهم ومشاعرهم ورغباتهم المعقولة، وتدريبهم على التحلي بالصفات النفسية المرغوبة، كالثقة بالنفس، واحترام الذات، وضبط النفس عند الغضب، بضرب الأمثلة الطيبة، والتعامل بالعدل والمساواة، وتجنب تدليلهم، والإفراط في

رعايتهم، لأن ذلك يقلل الاعتماد على النفس، والعمل على غرس الطمأنينة والأمل في نفوسهم وتوطيد أركان الحق والخير والعدل.

٧- توفير مناخ يسوده الحب والود والحنان tenderness والدفء عند تدريب الطفل على أي مهارة ما، ثم يأتي التشجيع والاستحسان والمكافآت لتقوية الدافعية لإنجاز وكسب المهارات المطلوبة.

دور التقليد في تنمية المهارات الحركية والعقلية

للتقليد imitation وظائف منها: إثارة القوى الوراثية والميول الفطرية الكامنة على التدريب والقيام بوظائفها، وتحديد الحالات التي تصح فيها تغذيتها تحديدا يتفق مع مصلحة الفرد، ويتلائم مع تقاليد أمته ونظمها الاجتماعية، فغريزة المقاتلة وحب السيطرة والتملك والغرائز الأسرية وما إليها، كل أولئك يرجع الفضل فيه إلى التقليد في إثارته لدي الطفل، وفي تشكيله بالشكل الذي يتفق مع نواميس المجتمع الذي يعيش فيه.

كما أن التقليد يعتبر من أهم عناصر الألعاب، فكل الألعاب التي يقوم بها الطفل كألعاب الصيد أو الألعاب الأسرية والاجتماعية والزراعية والصناعية والأمنية والتعليمية والفكرية والوجدانية وكثير من الألعاب تهدف إلى تقوية النواحي الجسمية والعقلية والنفسية.

كما يستفيد الطفل من التقليد الذي من شأنه مساعدته على الإلمام بحقائق ما يحيط به من الأشياء المادية وكيفية استخدامها.

كما يفيد التقليد في فهم ما يعتري غيره من الانفعالات النفسية، فالطفل مدفوع إلى محاكاة ما يبدو على وجه غيره وجسمه من مظاهر الحزن والسرور والتعجب وما إليها، وهذه المحاكاة نفسها تجعل الطفل يشعر بنفس الوجدان الذي قلد مظاهره وتجعله تبعًا لذلك يدرك كنهه.

زد على ذلك أن التقليد وسيلة من وسائل اكتساب المهارات الفنية والصناعية، وبالتقليد يكتسب الطفل لغة بلاده وغيرها من اللغات، وعامل أساسي من عوامل التربية الخلقية، فإن الأخلاق تغرس بأعمال أكثر ما تغرس بالموعظة وإسداء النصيحة أو الكلام.

وعندما تختار الأسرة اللعبة التي يمارسها الطفل لابد أن تتعرف على مدى قدرته على ممارستها بالفعل، فالطفل مثلا قليل الوزن والحجم لا ينصح له بممارسة الألعاب العنيفة، وكذلك الطفل قصير القامة لأسباب وراثية لا ينصح أيضًا بممارسته كرة السلة، وعند التحاق الطفل بأي نادي رياضي ينبغي توقيع الكشف الطبي عليه، وعمل التحاليل الطبية اللازمة التي تؤكد سلامة جميع أعضاء جسمه وقدرته على ممارسة النشاط والحركات التي تتطلبها اللعبة، مع ضرورة تعويض الطفل بقدر كاف من الراحة والنوم ليلاً، بحيث لا يقل عن ثمانية ساعات، وذلك لأن الهرمونات المسئولة عن النمو لدى الطفل، تفرز فقط أثناء نومه ليلًا طوال فتره نموه حتى سن البلوغ، إلي جانب أن السهر ليلًا قد يسبب خللًا في دورة الكورتيزون بجسم الطفل، وهبوط في ضغط الدم أثناء النهار.

وعلى الأم أن تهتم بتغذية طفلها تغذية صحية سليمة في جميع الوجبات، على أن يحتوي غذاء الطفل على جميع العناصر الغذائية الرئيسية، خاصة الفيتامينات والمعادن الموجودة في الخضروات والفواكه الطازجة، وكذلك البروتينات.

كما أنه من المهم أن يحتوي غذاء الطفل المتدرب على حوالي (٦٠) ٪ مواد كربوهيدارتيه، حيث أنها المصدر الرئيسي للسعرات الحرارية التي يحتاجها لممارسة الألعاب، زد على ذلك كثرة شرب الماء والعصائر الطازجة، وعدم تعرض الطفل إلى التيارات الهوائية عقب التدريب.

كما أن الرياضة تؤدي إلى تفتح حويصلات الشعب الهوائية، كما أن السباحة مناسبة لمن يعاني من حساسية الصدر والربو، لأنها تقوي عضلات التنفس، مع إعطاء الطفل الدواء المناسب، كما أن ممارسة أكثر من لعبة تنمي القدرات الحركية، مع وجود فروق فردية بين الأطفال في القدرات الجسمية والفسيولوجية والنفسية، وعلى ذلك ينبغي مراعاة قدرات الطفل أثناء التدريب.

المراجع

١- صالح عبد الله قرقوط، سيكولوجية اللعب وتربية المهارات الجسمية والعقلية، مجلة الكويت، العدد (١٥٩)، سنة ١٩٩٧م.

٢- نانلي علي إبراهيم، فضل ممارسة الألعاب الرياضية لأطفالنا، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت العدد (٥٤٦)، سنة ٢٠١١م.

٣- فرج عبد القادر طه، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، ٢٠٠١م.

٤- علي عبد الواحد وافي، في التربية، المطبعة الرحمانية، القاهرة.

٥- عبد الفتاح محمد العيسوي، فلسفة الإسلام في تربية الطفل وحل مشكلاته، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٩م.

٦- أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث، الاسكندرية، ط١٠، ١٩٨٥م.

٧- عمر التومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٠م.

خلف أحمد
كاتب صحفي

هدية الطفل.. كيف تكون رسالة محبة؟

تحتل الهدية مكانة خاصة في قلوب الأطفال، حيث تعد وسيلة صريحة للتعبير عن الحب الصادق، الذي يكنه الآباء لأبنائهم، الأمر الذي له أثر طيب في التربية، ويساعد على التنشئة المستقيمة للأبناء، على المستويين النفسي والاجتماعي.. إلا أن هناك بعض الآباء يسلكون سبلا خاطئة عند تقديم الهدايا إلى أبنائهم، مما يجنح بها إلى معان أخرى، الأمر الذي يفرغ الهدية من معناها الحقيقي، كرسول مودة ومحبة للطفل، هذا ما سوف نتناوله عبر هذه السطور.

صور سلبية لهدية الطفل

هناك العديد من الصور السلبية، التي يقع فيها بعض الآباء، عند تقديم الهدايا لأطفالهم، مما يفقد الهدية معناها عند الطفل، ومن هذه الصور

١. تقديم هدية مشروطة للطفل، يقوم الأب أو الأم بتقديمها له، إذا ما قام على سبيل المثال بترتيب غرفته، أو إذا ما لزم الهدوء، عند زيارة أحد الأقارب، وإذا جد في استذكار دروسه، أو إذا لم يعتد على أخيه الأصغر، إلى آخر ذلك من ألوان الهدايا المشروطة بأعمال ينبغي أن يدرك الطفل أنها واجب يفترض عليه أداؤه، دون مقابل حتى لا يأتي ويفاجئنا بعبارات تبعث على الدهشة والاستغراب، كأن يقول لنا: أنا ذاكرت لك دروسي، أنا انتهيت من واجباتي، إلى آخر ذلك، وكأنه يفعل ذلك خدمة لنا، وعلينا أن نقدم له الشكر والثناء على ذلك، ويا حبذا لوكان ذلك على شكل هدية.

٢. عندما لا يجد الأب الوقت الكافي للجلوس إلى أطفاله وإعطائهم الدفء العاطفي بسبب انشغاله عنهم، لأي سبب من الأسباب يلجأ إلى تقديم الهدايا إليهم، باعتبارها وسيلة من وجهة نظره، لتعويض ما يشعرون به من حرمان نحوه، ففي هذه الحالة تفرغ الهدية من معناها الحقيقي، وتتحول إلى ما يمكننا أن نطلق عليه رشوة مقنعة، يدفعها الأب للحصول على ود أطفاله، والاحتفاظ بوجوده بينهم بواسطة تلك الهدية التي تذكرهم به في حال غيابه.

٣. هناك من الآباء من يستخدم الهدية كوسيلة من وسائل الضغط على الطفل، يحرمه منها، إذا لم يفعل الطفل ما يريده الأب منه، فإن امتنع الطفل عن فعل ذلك، فهو يحرم من الهدية، هذا الأمر الخطير يجعل من الطفل يعيش في حالة من الصراع الداخلي، بين ما أحدثته الهدية من بهجة وسرور في نفسه، وما يقابل ذلك من الحرمان منها، فيصبح غير قادر على تحديد ما إذا كان صدى الهدية نعمة عليه أم نقمة، الأمر الذي يضع الطفل في حيرة بين أن يتنازل عنها ليتخلص من التهديد المستمر بالحرمان منها، أو يحتفظ بها ليدخل على نفسه السرور، ولذلك ينبغي على الآباء عدم تحويل الهدية إلى وسيلة ضغط على الطفل ليفعل ما نريد منه فعله، كلما أردنا ذلك، وينبغي ألا نحولها إلى أداة جلد نجلده بها، كلما خرج عن طوعنا، وأظهر تمردا على بعض تعليماتنا، فينبغي أن تظل الهدية عند الطفل أكبر من كونها تعبيرا ماديا، بل ينبغي أن تكون تعبيرا ملموسا عن المحبة، ورسالة مؤثرة للطفل عن صادق اهتمامنا به.

٤. من الأخطاء التي يقع فيها الآباء، أنهم يعتقدون أن القيمة المادية للهدية

هـي الـتـي تشغل بـال الـطـفـل، ولكن فـي حقيقة الأمـر، إن مـا يشغل بال الطفل فـي هـذه المرحلة حقيقة ما تحمل الهدية من جاذبية إليه، حينما تلف بشكل جميل، وتقدم له بأسلوب جذاب، بصرف النظر عن المبالغ التي دفعت فيها، سواء كانت مصنوعة في المنزل، أو تم شـراؤهـا مـن الخارج، ولـذلـك يمكن لأي أب إعـمـال عقله أو ذهـنـه، فـي تحويل بعض الأشياء المـوجـودة بـالمـنـزل إلـى هـدايـا ذات قيمة، تدخل البهجة والـسـرور على نفس الطفل، مثل استخدام العلب والـزجـاجـات الـفـارغـة، فـي صناعة الـدمـى والـعـرائـس، واسـتـخـدام أوراق الجرائد في صناعة المراكب والـصـواريـخ، واسـتـخـدام الأدوات البسيطة مثل الصلصال والمكعبات فـي صـنـاعـة الـعـربـات والطائرات، والأهم من ذلك أن إشراك الطفل في صنع هديته له بالغ الأثر في نفسه من خلال وجوده في موقف مشاركة مـع الأب؛ يلعب معه ويتبادل معه الرأي في فك وتركيب، وطريقة صنع الأشـيـاء، فـمـشـاركـة الأب فـي صنع هدية طفله، يمثل أعظم رسالة حب موجهة للطفل تذكره، بأنه محبوب، فليس مُهمّا لديه إن كنت قد اشتريت الهدية، أو صنعتها، ولكن المهم عنده، أنـك تهتم بشأنه، وأنـه يـأخـذ حيزا مـن تفكيرك، هـذا بحد ذاتـه يخلق شعورا جميلا لدى الطفل بأنه مميز، ومهم لدرجة أن الوالدين يفكران في إسعاده.

شروط الهديـة المقدمة للطفل

إن الهدية التي ينبغي أن تقدم للطفل، يجب أن تقدم له دون مقابل، ودون شــروط، فـالـهـديـة المـشـروطـة كما أوضحنا من قبل تتحول إلى حق مكتسب، الأمـر الذي يفقدها معناها الحقيقي، ولذلك ينبغي على الآباء تقديم الهدايا إلى أطفالهم دون قيد أو شـرط، ودون مقابل، كي تحدث التأثير المطلوب في نفس الطفل، وتكون رسول مودة ومحبة بينهما، يجد فيها الطفل التعبير الصادق عن الحب والاهـتـمـام الحقيقي من قـبـل الـوالـديـن، ولكي يتحقق ذلك، فعلى الوالدين اتباع أساليب متنوعة عند تقديم الهدية من أهمها:

١. اختيار الوقت المناسب لتقديمها، فـإن مـفـاجـأة الطفل بهدية يحبها، يسبب له سعادة بالغة، ويحمل إليه رسالة مفادها، أنك في بالنا، وأننا نحبك ونفكر فيك.

٢. التدقيق فـي اختيار الـهـديـة، هل تحمل تـأثـيـرات إيـجـابـيـة أم سلبية على الطفل؟، فيجب أن تكون هادفة ومناسبة لعمر الطفل، يتعلم منها أشياء مفيدة، خاصة في الهدايا التي تكون في صورة ألعاب.

٣. علينا أحيانا أن نسأل الطفل عن الـهـديـة الـتـي يـرغـب فيها مـن قبيل إشـبـاع رغـبـتـه فـي امـتـلاك بعض الأشياء بعينها، والتي قد يراها لدى بعض أصدقائه أو جيرانه أو يسمع عنها من زملائه في المدرسة

٤. إبراز الجانب المعنوي للهدية، حتى يعلم الطفل أن الهدية تحمل معنى معنويا، ولا تقتصر على معناها المادي فقط.

٥. عـدم الإفـراط فـي تقديم الهدايا للطفل، لأن هـذا الإفـراط فـي كثرة الهدايا، يضعف ربط الطفل الطبيعي بين تلك الهدية، والإحساس بالبهجة، الأمر الذي يؤدي إلى أن تفقد الهدية قيمتها كـرسـالـة مـعـبـرة عـن المحبة المصاحبة لها في نفس الطفل، ولكن إذا مـنـحـنـا الـطـفـل بـعـض الـهـدايـا، فيكون فـي اعـتـدال واتــزان، حتى لا تفقد الهدية قيمتها وأثرها في نفس الطفل.

أخيرا

وفي النهاية نقول، إن الهدية يجب أن تكون تعبيرا أصيلا عن المحبة لهذا الـطـفـل، وإذا كـانـت مـقـابـل خـدمـات مقدمة، فيجب أن لا ندعوها هدايا، لكن ندعوها باسمها الحقيقي، وهكذا فـإن الأطـفـال يستمتعون بالهدايا الحقيقية التي اختيرت لمنفعة طفلك وكتعبير عن المحبة، وذلك لما تحمله مـن مضمون ومعنى عـاطـفـي، فمن الحكمة أن تـخـتـار هـديـة يحتاجها طفلك بحق كلما استطعت ذلك.

د. أمينة مزيغة
المغرب

التشفير عند علماء المغرب

من أوجه عناية وتميز علماء المغرب، خاصة علماء فاس بعلوم الحساب أن ابتكروا حساب القلم الفاسي، وهو طريقة فريدة من نوعها استخدمت بقصد منع التزوير والتلاعب في الوثائق، خاصة فيما يخص التركات، كما استخدم في تأريخ بعض الكتب والمؤلفات، إذ هو: «طريقة مبتكرة على وضع رموز خاصة للأرقام (آحاد وعشرات ومئات...) ثم وضع قاعدة مطردة لآحاد الآلاف وما فوقها، إلى ما لانهاية له، وهذه الطريقة في الأساس اعتمدها العلماء في بلاد المغرب الأقصى بقصد التعمية (١) والإلغاز، فلم يكن يفهمها غيرهم، واستخدموها في المقام الأول في تقييد التركات، بغرض منع التلاعب والتزوير فيها...» (٢)، ولم يتوقف استخدام القلم الفاسي عند ذلك، بل ربما استخدم في تعمية أو تشفير الرسائل السرية على المستوى الدبلوماسي العسكري (في بلاد المغرب)، ويعرف القلم الفاسي أيضا برشم الزمام (٣)، وبالقلم الرومي.

وقد وضع الأستاذ محمد الفاسي (ت: ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) في مقال له بمجلة مجمع اللغة العربية المصري بعنوان «حساب القلم الفاسي» صورة من وثيقة تقسيم تركة كتبت بالقلم الفاسي، وقد نسبت هذه الطريقة لمدينة فاس بسبب شيوع استخدامها فيها.

ولئن كان القلم الفاسي قد اشتهر وارتبط بتقييد التركات وما يخشى وقوع التزوير فيه، فإن العلماء والنساخ أيضا قد استخدموه في تأريخ المخطوطات، وقد ذكر

الأستاذ محمد الفاسي في مقالته أنه امتلك عددا من الكتب المؤرخة بالقلم الفاسي، بخط الشيخ أبي زيد عبدالرحمن الفاسي (ت: ١٠٩٦)(٤)، وأيضا كتاب «طبقات الأطباء» لابن جلجل (ت: بعد ٣٧٧هـ) الذي نشره الأستاذ فؤاد سيد، رحمه الله، كانت نسخته مؤرخة بحساب القلم الفاسي، وقد استعان بالعلامة حسن حسني عبدالوهاب (ت: ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) لحل تعميتها.

ويجد المتتبع لهذا الأمر عددا من المخطوطات المؤرخة به(٥)، منها: نسخة كتاب الشفا للقاضي عياض المحفوظة بخزانة القرويين برقم (١٨٦٥)، وقد أرخت بحساب القلم الفاسي في سنة (١١٤٤هـ)، ونسخة فيها المجلدة الثانية من «كتاب الأفعال» لمؤلف غير معروف برقم (١٢٤٢) في الخزانة نفسها، وهي مؤرخة سنة (٣٣٩هـ)، وعليها تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبدالله العلوي في سنة (١١٧٥هـ)، وقد كتب تاريخ التحبيس بالقلم الفاسي.

أما استخدام القلم الفاسي للمرة الأولى فيمكن الجزم بأن ذلك كان قبل عام (٦٦٩هـ) وهي سنة وفاة عبدالحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الأندلسي الشهير بابن سبعين، فقد ذكر المقري في ترجمته لهذا الأخير نقلا عن الشريف الغرناطي- أن ابن سبعين «كان يكتب عن نفسه: (ابن ٥)، يعني الدارة التي هي كالصفر، وهي في بعض طرق المغاربة في حسابهم سبعون، وشهر بذلك بابن دارة- ضمن فيه البيت المشهور:

محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا(٦)

والظاهر أن ابن سبعين كان يعجبه التفنن في ذكر اسمه ونسبه، فقد ذكر في آخر كتابه «الإحاطة» ما نصه: «هذا تقييد قيل فيه الحق، وظهر فيه الحق، وأملاه عبدالحق، وبالضرورة أن الفرع محمول على الشجرة، وبالاتفاق قامت شهرة الواضع من ضرب سبعة في عشرة»، إشارة إلى شهرته بابن سبعين.

وقد نقل د. قاسم السامرائي ما يشير إلى وجوده في الأندلس في القرنين السادس والسابع للهجرة(٧)، فإن صح ذلك يكون القرن السادس أقدم تاريخ لاستخدام الحساب الفاسي.

وقد ألف العلماء مؤلفات خاصة في هذا القلم نظما ونثرا، منها:

- «الاقتضاب من العمل بالرومي في الحساب»، لابن البناء المراكشي (ت: ٧٢١هـ).
- «رشم الزمام»، لعبدالرحمن ابن محمد الفاسي الشهير بابن العربي.

ويُلاحظ أنها رموز المئات هي هي، مع إضافة خط صغير تحت الرمز

- «وجوه قريبة في الحساب والزمام وشرحه»، لمؤلف غير مشهور.
- «صور القلم الرومي وأعماله ومبدأ صورة آحاده»، لمحمد بن أحمد بن محمد الصباغ (ت: ١٠٧٦هـ).
- «إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي»، لسيدي أحمد بن العياشي سكيرج (ت: ١٣٦٣هـ)، وهو شرح منظومة عبدالقادر الفاسي (ت: ١٠٩١هـ).

وإن كان القلم الفاسي لم يكن يستخدمه -يوم كان يستخدم- إلا القضاة والعدول، فمع مرور الوقت وقلة مستخدميه لم يعد يعرفه أحد، إلا الواحد بعد الواحد من أهل العلم، يقول الأستاذ محمد الفاسي: «هذا، وإن القلم الفاسي لم يبق أحد القضاة يبدأ هذا الأخير بالتعريف بالعدلين الموقعين عليه، وبالقاضي الذي جعل عليه علامته، ثم ينظر في أشكال القلم الفاسي ويصدق على الكل بما يسمى (الإكمال)، أي: يجعل الوثيقة معمولا بها».

وصرح من قبله الشيخ أحمد سكيرج أنه «قليل الدوران بين العدول المتقدمين، ولا يعرفه غالبا إلا من له ممارسة وبحث واعتناء بالأمور»، وقد قال ذلك في سنة (١٣١٦هـ)، وهي السنة التي ألف فيها «إرشاد المتعلم والناسي».

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة المقتبس

المقتبس

مجلة أدبية علمية اجتماعية تصدر بالقاهرة في غرة كل شهر عربي

« منشئها محمد كرد علي »

قيمة الاشتراك خمسون قرشاً صحيحاً في مصر وثلاثة عشر فرنكاً في سائر الأقطار تدفع مقدماً

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle, littéraire, scientifique & Sociologique

"Le Caire-Egypte"

﴿ المجلد الأول ﴾

« سنة ١٣٢٤ هجرية الموافقة لسنتي ١٩٠٦ – ١٩٠٧ إفرنجية »

طبع بمطبعة الظاهر والمطبعة العمومية

تعد مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المجلة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة المقتبس» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

وهي مجلة شهرية أدبية وعلمية واجتماعية تصدر بالقاهرة، أنشأها السيد محمد كرد علي، وتعنى هذه المجلة بالقضايا العلمية والأدبية والاجتماعية.

وقد صدر أول عدد منها سنة (١٣٢٤هـ) الموافق لـ(١٩٠٧م)، واستمر صدورها حتى عام (١٩١٥م).

تعريف صاحب المجلة وتاريخ النشأة

محمد كرد علي

مفكر وأديب سوري، دافع طوال عمره عن اللغة العربية، وشدد على ضرورة الاعتناء بها في مراحل التعليم.

كان وزيرا للمعارف والتربية في سوريا، وأيضا تولى رئاسة مجمع اللغة العربية بدمشق.

ولِد بدمشق عام (١٨٧٦م)، حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة بالكتاب، تعلم اللغة التركية والفرنسية في المدرسة الرشدية، ثم أتم تعليمه الثانوي في المدرسة العازرية للراهبات بدمشق.

كما تعلم على يد العديد من علماء دمشق المعروفين، وقرأ عليهم الكتب المختلفة في شتى العلوم.

سافر إلى مصر عام (١٩٠١م)، حيث تولى رئاسة تحرير جريدة «الرائد المصري»، لكنه عاد بعدها بقليل إلى دمشق فرارا من الطاعون الذي أصاب مصر في ذلك الوقت، ثم عاد إليها عام (١٩٠٦م)، لينشأ مجلة «المقتبس» الشهرية، إضافة إلى تحريره لجريدة «الظاهر» اليومية، كما عمل أيضا بجريدة «المؤيد».

توفِي كرد علي عام (١٩٥٣م)، ودفِن بدمشق بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

مؤلفات كرد علي وأعماله

ألف كرد علي العديد من الكتب التي احتفت بالحضارة العربية والإسلامية، مثل:

الإدارة الإسلامية في عز العرب، غابر الأندلس وحاضرها، دمشق مدينة السحر والشعر، بالإضافة إلى ترجمته عن الفرنسية لكتاب «تاريخ الحضارة».

كما أنشأ أول مجمع للغة العربية بدمشق عام (١٩١٩م)، وظل رئيسا له حتى وفاته.

محتويات مجلة المقتبس في طابعها العام

صدور المشارقة والمغاربة: وهو في ترجمة الرجال الذين ينتفع بسيرتهم.

المقالات: وتحتوي مختلف المواضيع في التربية والتعليم، وتدابير الصحة، والتدبير المنزلي...

الصحف المنسية: ينشر فيه ما نسي ذكره من منثور العربية ومنظومها.

المطبوعات والمخطوطات: ويدخل فيه تقريظ الكتب المنشورة بالطبع، والتعريف بالكتب.

مقالات المجلات: يذكر فيه أهم ما في المجلات العربية وغير العربية من مواضيع وأراء مفيدة.

نسخة مجلة الوعي:

قد تزينت رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي بنسخة كاملة من هذه المجلة، التي تتكون من (١٧) مجلدا، وهي متاحة لقرائها الكرام.

حوارات

«كيف تذاكر؟».. دليلك إلى النجاح والتفوق

محمد عبدالعزيز يونس:

«أي نجاح أو تميز لا يتأتى إلا ببذل الجهد، والعرق، وتبين الطريق مبكرا؛ حتى نصل إلى غاية الشوط ونهايته، ونحن نرفع قصبة السبق وراية التميز».. في هذا السياق يتمحور كتاب «كيف تذاكر؟.. دليلك إلى التفوق والنجاح»، لمؤلفه د. محمد عبدالعظيم عطية لماضة، مقدما في سياقه بعض مفاتيح التفوق، وبعض طرق المذاكرة، وكثيرا من العوامل التي تساعد الأبناء على التفوق والنجاح والتميز.

من أنت؟

تحت هذا العنوان يؤكد المؤلف ضرورة أن تعرف نفسك، وقيمتها، وأن الله أكرمك حين زود أباك آدم بكل المعارف التي يحتاجها على الأرض، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(البقرة:٣١)؛ ولذلك يجب أن تحفظ لنفسك قيمتها وقدرها، وتتغير إلى الأفضل. والتغيير هنا يحتاج إلى نية صادقة، وتوجه إلى الله مجرد من الهوى والكبر والرياء، بالإضافة إلى جهد متواصل.

وما أبلغ قول القائل: «من أمضى يوما من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله (أعده وأصله)، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه؛ فقد عق يومه وظلم نفسه»!

والطموح يحتاج إلى أدوات؛ منها:

– إيمانك بالله تعالى وتوكلك عليه.

– الرغبة الصادقة والحرص على النجاح بتفوق وتميز.

– الطموح يحتاج إلى هدف لابد أن تحدده بدقة، وأن يبقى نصب عينيك دائما، ولا تختلق لنفسك الأعذار؛ فإنها تقتل الطموح، وتحبط المعنويات، وتغلق أبواب النجاح.

ومن النماذج الرائعة لأصحاب الهمم العالية في سلف أمتنا الصالح صحابي جليل من صحابة النبي ﷺ، كانت له همة وطموح كبيران، وفي الوقت نفسه كان صاحب سعي وعمل واجتهاد، وكان من طموحه أن يخدم النبي ﷺ؛ فطلب من النبي ﷺ ذلك فألحقه النبي بخدمته، فكان يبيت على باب رسول الله ﷺ تحريا لحاجته.

ومن أريحية النبي ﷺ أنه يكافئ كل من حوله، فقال ﷺ ذات يوم لهذا الصحابي: «سلني»، أي اطلب مني شيئا؛ فماذا طلب هذا الصحابي الجليل من النبي ﷺ؟!

لم يسأله مالا، ولا إبلا، ولا مكانة في الدنيا؛ إنما طلب طلبا يدل على أنه رجل صاحب طموحات عالية، فقال للنبي ﷺ:

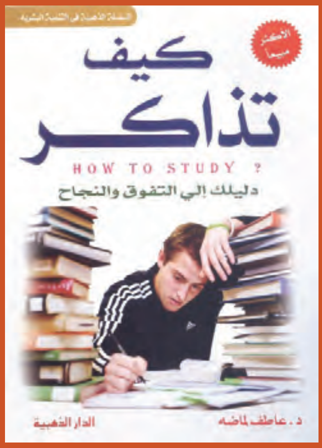

أسألك مرافقتك في الجنة!

فقال له ﷺ: «أو غير ذلك؟»، فقال الصحابي: «هو ذلك»؛ فقال له النبي ﷺ: «أعني على نفسك بكثرة السجود»، فما رؤي هذا الصحابي إلا ساجدا مصليا.

إنه الصحابي ربيعة بن كعب الأسلمي، وكان من أهل الصفة.

قبل أن تبدأ!

قبل أن تبدأ في المذاكرة من المهم أن تكتب أهدافك. اكتبها على ورقة، علقها أمامك، وحدد ما هو هدفك من التحصيل في المذاكرة اليوم، كم ستنجز من المواد، ثم احسب ما أنجزت في آخر اليوم. لا تيأس إن حصلت نسبة تحصيلية لا ترضيك؛ أكمل غدا، لا تيأس، لا تتراخ.

● افصل نفسك عن الماضي. «وأنت تذاكر» استوعب ما أمامك، احذر أن تفكر (كثيرا) مرتين: المرة الأولى في الامتحان وأنت تذاكر، فمن شأن ذلك أن يعطلك عن المذاكرة ويصيبك بالملل والفتور ويدخلك في دائرة السرحان.

والمرة الثانية لا تفكر كثيرا في المستقبل «وأنت تذاكر» إلا بقدر التفكير كطموح لما تسعى إليه، فقط استوعب ما أمامك، واحرص على أن تجعل لنفسك نشاطا يوميا يتناسب مع هواياتك.

● ومن الأسلحة المؤثرة في طريق مذاكرتك تقوى الله؛ فإن الذنوب تميت القلب، وتؤثر في ملكات التذكر والاستعادة، ومن المهم في هذا الشأن مداومة تلاوة القرآن الكريم قبل بدء المذاكرة، والحرص على أداء الفرائض والسنن، وأن تذاكر بحب وبطيب نفس حتى تخلص لك المعلومات وتثبت في ذاكرتك.

عقبات في طريقك

هناك عقبات للمذاكرة ومثبطات لها، ومنها:

الخوف: الخوف من الفشل في استيعاب المواد؛ ومن ثم يؤدي ذلك إلى الكسل والمماطلة في المذاكرة.

عدم الثقة في النفس: احرص دوما على أن تكون واثقا في نفسك. وقل: أستطيع أن أحقق ما أريد، أنا أملك إرادة، ثم حاول بلا كلل.

الصحبة السيئة: لا تصاحب الكسلان أو مثبط الهمة أو اللاهي عن واجباته؛ فمن شأن ذلك أن يفقدك طموحك وتطلعك نحو التميز.

الاستغراق أمام التليفزيون والنت: هذه الوسائل سارقة الزمن، فحدد لها وقتا لا تتجاوزه. أيضا، ضع حدا فاصلا للزيارات من أصدقائك وأقاربك بما لا يؤثر على تحصيلك وطريقك نحو النجاح والتفوق والتميز.

ناجحون

كويتي يبتكر مشروعا لتقوية جدران مفاعلات الاندماج النووي

الدوحة - الوعي الشبابي:

قدم المخترع الكويتي عيسى عبدالرحمن النصر الله يوم ٢٠١٦/١٠/١٣م في ملتقى العلوم ٢٢ للشباب الخليجي مشروعا علميا يتضمن «تقوية جدران المفاعلات العاملة بطريقة الاندماج النووي» من خلال دراسة أثر التلف الاشعاعي على تلك الجدران.

وقال النصر الله وهو مهندس نووي كويتي: إن اختراعه هذا بدأ منذ مراحل الدراسة الجامعية بعد أن قدم مشروعا لإحدى المواد العلمية حول التأثير الاشعاعي على المعادن.

وأفاد بأن فكرة المشروع تنطلق من مبدأ علمي مفاده أن تفاعل الاندماج النووي يحصل عندما تصل المادة إلى حالة البلازما وتكون تحت درجات حرارة وضغط عاليين مما يعرض الجدار الأول المحيط بالبلازما لبيئة قاسية إضافة إلى تعرضه لإشعاع عالي الطاقة يتطلب مادة قادرة على تحمل هذه الظروف.

وأضاف أن العلماء سعوا في السنوات الماضية إلى إيجاد مادة تتحمل تلك الظروف القاسية لمدة خمس سنوات كحد أدنى مبينا أن هناك العديد من المواد التي تم اقتراحها وتخضع حاليا للتجارب والدراسات.

وذكر النصر الله أن مشروعه العلمي يهتم بالنظر إلى التأثير الإشعاعي على مادة الـ«ستانليس ستيل» بأنواعها ومكوناتها المختلفة مبينا أن المشروع يبحث إيجاد توليفة مناسبة من هذه المكونات لتتحمل أكبر قدر من التلف الإشعاعي.

طور نفسك

نصائح مولر الـ٧ للتخلص من الضغوط الحياتية

القاهرة - الوعي الشبابي:

في خضم مشاغل العمل أو الدراسة والالتزامات العائلية يمكن أن يتعرض المرء للضغوط التي تؤدي بدورها إلى الاكتئاب والاحتراق النفسي، فبماذا ينصح المختصون للتخلص من التوتر النفسي؟

من الصعب أحيانا الحفاظ على التوازن بين المشاغل والهموم المختلفة لجوانب الحياة في العمل والدراسة والبيت والأسرة والتزاماتها، إذ ينقص الكثيرين الوقت المتبقي للترويح عن النفس، وقبل ذلك التغلب على مشاكلهم.

ينصح المدرب العقلي ألكسندر مولر بخطوات بسيطة للتغلب على الضغوط الحياتية:

١- ابدأ اليوم بفكرة جيدة: وهذا يعني أنه إذا ما كنا كبشر مجبرين على التفكير، فلماذا لا نفكر بأشياء جميلة؟ والأفضل أن تكون هذه الفكرة فاتحة يومنا صباحا، وهنا يجب أن نضع نصب أعيننا بُعيد الاستيقاظ أن «يومنا سيكون يوما جيدا».

٢- مبدأ الاستراحات القصيرة: يمكنك إيجاد اللحظات التي تجد راحتك فيها وتجتذب أنفاسك العميقة بعيدا عن المشاغل، مفكرا بأوقات وأحداث جميلة ماضية. ولأجل انتظام أوقات استراحاتك يمكن ضبط منبه الموبايل لتذكيرك بها، إلى أن تصبح تلقائيا جزءا من يومك. لكن يبقى أمر مهم وهو أن تبتعد فعلا عن التفكير في العمل والمشاغل.

٣- لا تتحدث عن العمل أو الدراسة في استراحة الظهيرة: بدلا عن ذلك قم مثلا بنزهة قصيرة على القدمين.

٤- تأمل يومك عند المساء: قبل ذهابك للنوم تأمل ولو لدقائق ما قمت به في ساعات النهار، ما كان جيدا فيه، وما أزعجك منه.

٥- اكتب يومياتك: من المهم أن تكتب يومياتك في فترة التوتر، حتى لو كانت ثلاث إلى أربع جمل يوميا. وبهذا ستشعر أنك خلصت تفكيرك وذهنك من بعض ما شهدته في يومك.

٦- احتفظ بورقة وقلم قرب سريرك: قُبيل أن تغفو يمكن أن تطرأ على بالك فكرة متأخرة أو ربما شيء مهم ليومك القادم، تدونها في الورقة.

٧- أهم الأفكار تلك التي تطرأ قبل المنام: لذلك يجب أن تكون جميلة، ربما عن آخر إجازة قمت بها أو أي حدث سار. وحين تنام بهذا المزاج المعتدل، فإنه سيرافقك حين تستيقظ صباحا.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

حكم أخذ التبرعات من جهات مشبوهة وبيان مصارفها، وعموم التصرف فيها

الخلاصة الحكمية:

- يجوز قبول التبرع من الأفراد أو المؤسسات أو الحكومات،مسلمة كانت أو غير مسلمة، حتى لو غلب على ظننا أنها أموال غير مشروعة، إلا إذا كانت محرمة العين مثل الخمر والخنزير.

- ويستثنى من القبول كذلك: ما إذا أدى ذلك إلى إضعاف المسلمين، وتغير ولائهم للإسلام.

- لا مانع من أخذ نسبة معينة للقائمين بأعمال الإغاثة بالقدر الشرعي، مع مراقبة ذلك.

- الأصل: عدم جواز صرف ما عُيِّن لجهة من الجهات؛ مراعاة وتنفيذا لأمر المتبرع، إلا إذا حدث في بعض المسلمين ضرورة قصوى، لا يمكن تلافيها.

● **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

● **أولا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ أكتوبر١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ١٤٠٨/٢/٢٨هـ الموافق ١٩٨٧/١٠/٢١م قد اطلع على السؤالين المقدمين من لجنة الإغاثة الدولية الإسلامية بأمريكا الشمالية، وهما:**

١- السؤال الأول: هل يجوز أخذ التبرعات من غير المسلمين؟

٢- السؤال الثاني: هل يُعطى القائمون بالعمل نسبة من الدخل لا تزيد عن ١٥٪ لغرض المعيشة، ومتابعة العمل؟

وبعد تداول الرأي حيال ذلك قرر المجلس ما يلي:

- بالنسبة للسؤال الأول:

إذا كانت الإعانة بالأموال فقط، وكان جانبهم مأمونا، ولم يكن في أخذها ضرر يلحق بالمسلمين؛ بأن ينفذوا لهم أغراضا في غير صالح المسلمين، أو يستذلوهم بهذه الإعانة، وكانت خالية من ذلك كله، وإنما هي مجرد مساعدة وإعانة؛ فلا يرى المجلس مانعا من قبولها.

فقد صح أن النبي ﷺ خرج إلى بني النضير- وهم يهود معاهدون- ليستعينهم في دية ابن الحضرمي.

كما قرر المجلس بالنسبة للسؤال الثاني ما يلي:

أنه لا مانع من أخذ نسبة معينة، إلا أنه يرى أن لا تحدد تلك النسبة، وإنما تكون أجرة المثل، أو أقل من أجرة المثل، وتُدفع لهم بقدر عملهم، لأن هذا المال إنما هو لإعانة المنكوبين، وإغاثة الملهوفين، فلا يجوز صرفه إلا لمن بذل من أجله، واتصف بالوصف الذي بُذل هذا المال من أجل الاتصاف به، وأما العامل عليه فإنه يُعطى مقدارَ عمله، كما جاز ذلك في الأخذ من الزكاة المفروضة للعاملين عليها، وذلك بعد التأكد من أنه لا يوجد أشخاص - يمكن أن يقوموا بهذا العمل- متبرعين.

كما أنه بناء على ما تقدم، فإنه لا بد من أن يقدر القائمون على أمر الجمعيات، والمؤسسات الإسلامية، حاجة أولئك العاملين إلى المال المذكور، ولا يوكل ذلك إليهم أنفسهم.

ويحدد ذلك من قبل مجالس الإدارة في الجمعيات والمؤسسات الإسلامية أو من قبل الجمعيات العمومية لها، حسب نظام تلك الجمعيات.

انتهى القرار.

● **ثانيا: ومثل القرار السابق: قرار المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث المنعقد في محرم عام ١٤٢١هـ، حول حكم قبول التبرع في الأموال المشبوهة، وفيه أيضا زيادة مهمة، وهي:**

في حال حصول التبرع من غير المسلمين يستثنى من القبول حالتان:

الأولى: ما إذا كان هذا التبرع يؤدي إلى إضعاف ولاء المسلم للإسلام وأهله.

الثانية: ما إذا كان هذا التبرع مشروطا بما يضر مصالح المسلمين.

انتهى القرار مختصرا.

● **ثالثا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة في مكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ أكتوبر١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ١٤٠٨/٢/٢٨هـ الموافق ١٩٨٧/١٠/٢١م حول الأسئلة الواردة التالية:**

- أولا: هل يمكن للرابطة أن تصرف من التبرعات التي يخصصها أصحابها

لجهة معينة على أجور العاملين في جمع وتنظيم هذه التبرعات، وتسليمها لأصحابها، وذلك ما من شأنه أن يساعد على توصيل هذه التبرعات للمستفيدين...الخ

الجواب: يقرر المجمع الفقهي: بأنه يجوز للرابطة أن تدفع من هذه التبرعات، النفقات التي تلزم، لإيصال هذه التبرعات إلى من خُصِّصَت لهم، والجهات المعينة لصرفها فيها، سواء من ذلك رواتب الموظفين، أو أجور العمال، أو نفقات الشحن، أو تذاكر المسافرين لمصلحتها، أو غير ذلك، مما لا يمكن بدونه وصول هذه التبرعات إلى أصحابها المخصصة لهم، وهذه النفقات وإن كانت من أموالٍ دُفعَت زكاةً فهؤلاء يُعتبرون من جباتها وعُمَّالها، وإن كانت من صدقات مطلقةً، وهبات، فَمقيَسَةٌ عليها من بَابِ أَوْلى. ولكن يجب أن يلاحظ في هذه النفقات أمران:

الأول: أن تكون بقدر العمل الذي يقوم به الموظف أو العامل، وبقدر النفقات الضرورية لصالح أعمال هذه التبرعات.

الثاني: أن تكون هذه الأجورُ والنفقاتُ مؤقتة، من أموال التبرعات، فلا يُرْصَدُ منها لعمل غيره، ولا يستمر الموظف، أو العامل يتقاضى رواتبه ومكافأته منها، بعد انتهاء أعماله. والله الموفق.

- ثانيا: هل يمكن للرابطة أن تصرف من التبرعات، التي خصصها أصحابها لجهة معينة، سواء كانت زكاة،أو غيرها،على بعض الحالات الطارئة التي تحل بالمسلمين: كالكوارث، في وقت يكون المنكوبون فيه أشد حاجة من أولئك المتبرع لهم؟

الجواب:

الأصل: عدم جواز صرف ما عين لجهة من الجهات، أو فرد من الأفراد، وأن لا يعدل به إلى غيره، لما في ذلك من مخالفة لنص المتبرع، والمنفق، ومقصده، ولما فيه من الظلم للمقصود بالهبة أو الصدقة، فيجب صرفه فيما عينه المنفق، مراعاة وتنفيذا لأمره، وإيصالا للحق على صاحبه. وهذا شبيه بما نص عليه العلماء رحمهم الله في كتاب الوقف/ باب الوصايا التي توقف أو يوصى بها لجهة معينة.

ولكن يستثنى من ذلك: ما إذا حدث في بعض المسلمين ضرورة قصوى، لا يمكن تلافيها، بدون ذلك فإنه لا مانع شرعا من جواز صرف ذلك، فقد أباح الله تعالى للمضطر أكل لحم الميتة، كما أباح الانتفاع بمال الغير بغير إذنه، ولكن يعتبر هذا التصرف بحال الضرورة، والتي تحدد الضرورة هنا، هي رابطة العالم الإسلامي والله الموفق.

- ثالثا: التبرعات التي تقدم إلى الرابطة لرعاية أيتام المسلمين في العالم، ولا يوجد من يتبرع بالقيام بها، وليس في الرابطة بند الإنفاق على مصالحها، فهل يمكن أن تقوم الرابطة بتوظيف أشخاص من هذه التبرعات، لرعاية برنامج هذه التبرعات، إداريا، ومتابعة وصول هذه التبرعات إلى الملاجئ المتناثرة في أنحاء العالم؟

الجواب: لا مانع شرعا من أن تنفق الرابطة على جمع هذه التبرعات، وترتيبها، والقيام بأعمالها الإدارية من هذه الأموال المتبرع بها لصالح أيتام المسلمين، في العالم، لأن هذا من خدمة هذا العمل الجليل، ومصلحته، وهو وسيلة إلى بقائه، واستمراره، وإيصال إلى هؤلاء المستضعفين، ولكن يجب أن يلاحظ: أن تكون الرواتب، أو المكافآت بقدر حاجة العمل الذي يقوم به الموظف، أو العامل، وأن لا يوجد بالرابطة موظفون يقومون بهذا العمل، كما أنه لا يوجد من يتبرع بالقيام به، ويجب أن تكون النفقات التي يترتب عليها إيصال هذه التبرعات إليهم بقدر الأعمال التي تقدم لصالحهم، فأما زيادة الإنفاق من هذه التبرعات على الأعمال التي في صالحهم؛ فقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء:٣٤).

وغيرها من الآيات. وأما جواز الإنفاق على مصالحهم، من التبرعات المخصصة لهم، فقد يشمله قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ﴾(النساء:٦).

رابعا: يرد إلى الرابطة تبرعات عينية، لا يصلح أن تعطى لأي جهة من الجهات؛ إما لعدم فائدتها، وإما لأنها عرضة للعطب السريع، أو لعدم انتفاعهم بها. فهل يمكن للرابطة بيع هذه الأشياء، واستبدالها بأشياء أخرى تنفعهم؟

الجواب: لا يرى المجمع مانعا من بيع هذه العروض: من مأكولات،أو، مشروبات، أو عروض غيرها، ما دام أنها لا تتحمل البقاء، أو أنها غير صالحة لمن يتبرع لهم، وأن يستبدل بها غيرها، ما دام ذلك يحقق المصلحة للمتبرع لهم، والفقهاء رحمهم الله تعالى خيروا الملتقط أن يتصرف باللقطة، التي يخشى فسادها، أو الدابة الملتَقَطَة التي تحتاج إلى نفقة، أن يعمل الملتَقِطُ ما فيه الأصلح لصاحبها: من إنفاقها على نفسه واحتساب قيمتها لصاحبها، أو بيعها أو إبقائها، وهذا التخيير لا يرجع إلى رغبة المتولي لهذه الأمور ومشيئته، وإنما يرجع إلى مراعاة المصلحة، لصاحب الشيء، والله أعلم.

انتهى القرار.

الرفق نصف العفو

وقف رجل بين يدي المأمون، فقال له المأمون: «والله لأقتلنك». فقال: «يا أمير المؤمنين، تأن علي، فإن الرفق نصف العفو». فقال: «ويلك ويحك! قد حلفت لأقتلنك». فقال: «يا أمير المؤمنين، إنك إن تلقى الله حانثا خير من أن تلقاه قاتلا»، فعفا عنه. وكان يقول: «ليت أهل الجرائم يعرفون أن مذهبي العفو حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم».

(البداية والنهاية، ١٠/٣٠٤)

تجدد العرف

قال العلامة القرافي رحمه الله تعالى: «فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك، لا تجره على عرف بلدك، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه وأفته به دون عرف بلدك ودون المقرر في كتبك؛ فهذا هو الحق الواضح. والجمود على المنقولات أبدا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين».

(الفروق، ص٣٢١)

الجهل بالجهل

قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: «ما عصي الله بمعصية أعظم من الجهل، ولما قيل له: يا أبا محمد، هل تعرف شيئا أعظم من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل».

(إحياء علوم الدين، ٢/٦٠٠)

النجاة في تركهم

قال سفيان الثوري رحمه الله: «وكان الناس إذا التقوا انتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذلك، والنجاة في تركهم فيما نرى».

(الجرح والتعديل، ١/٨٧)

أكثر ما يفسد الدنيا

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان».

(الفتوى الحموية الكبرى، ١/٥٥٤)

نسيان العلم

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: «إن من الذنوب ما يكون سببا لخفاء العلم النافع أو بعضه، بل يكون سببا لنسيان ما علم».

(مجموع الفتاوى، ١٤/١٦٠)

لذة العيش

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «من طلب لذة العيش وطيبه بما حرمه الله عليه؛ عاقبه بنقيض قصده، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببا إلى خير قط، ولو علم الفاجر ما في العفاف من اللذة والسرور وانشراح الصدر وطيب العيش؛ لرأى أن الذي فاته من اللذة أضعاف أضعاف ما حصل له».

(روضة المحبين، ص٣٦٢)

من المهمات التعلم

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله في مقدمته: «وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد، والكتاب الواحد، بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها، لأنه ذريعة إلى النسيان، وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض؛ فيعسر حصول الملكة بتفريقها. وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة مجانبة للنسيان؛ كانت الملكة أيسر حصولا، وأحكم ارتباطا، وأقرب صبغة، لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره، وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه. والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون».

(مقدمة ابن خلدون، ص٣٤٧)

دار الهدى

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عن المدينة المنورة: «وقد شرفت المدينة بهجرته ﷺ إليها، وصارت كهفا لأولياء الله الصالحين، ومعقلا وحصنا منيعا للمسلمين، ودار هدى للعالمين».

(البداية والنهاية، ٥٠٧/٤)

من بديع المراسلات

قال العلامة مرعي الكرمي الحنبلي رحمه الله في تهنئة من تخلص من حبسه: «الحمد لله الذي أظهر نور الفضائل، وأطلع هلال المجد الآفل، فاحتباسه إنما كان كاحتباس الغيث في غمامه، واختفاء الزهر في أكمامه، ثم تخلص من تلك النوب كما تخلص بعد السبك الذهب، وإن للأيام دولا تدول، وأوقاتا تدور وتحول، فطورا للمرء وطورا عليه، وتارة تتصرف عنه، وتارة تتصرف إليه، فالحمد لله على سلامة مهجته الكريمة، وإنقاذها من هذه الشدة العظيمة، ولكل أجل كتاب مسطور، ولا قدرة للخليقة على مغالبة المقدور».

(بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات، ص٣٠٤)

المروءة

قيل لسفيان بن عيينه رحمه الله تعالى: «قد استنبطت من القرآن كل شيء، فأين المروءة فيه؟». فقال: «في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف:١٩٩). ففيه المروءة، وحسن الأدب، ومكارم الأخلاق؛ فجمع في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين. ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾: صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار. ودخل في قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: الحض على التخلق بالحلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة والأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة».

(المروءة لابن المرزبان، ص٢٣)

العلم كالروض

قال الأديب الرافعي رحمه الله: «وإنما العلم كالروض، يقصر بعض أغصانه فيسهل على كل متناول، ويطول بعض فروعه، فيكد على الفارع المتطاول».

(تاريخ آداب العرب، ٩/١)

من أعظم المصائب

قال عبدالله بن المبارك رحمه الله: «من أعظم المصائب للرجل أن يعلم من نفسه تقصيرا، ثم لا يبالي ولا يحزن».

(شعب الإيمان للبيهقي، ٢٧١/٢)

إعداد: علاء عبدالفتاح

مع الإعجاز القرآني

يعد القرآن المعجزة الكبرى التي نزلت على سيدنا محمد ﷺ، وقد تكفل الله عزوجل بحفظ هذه المعجزة مصداقا لقوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩).
وقد ورد في القرآن الكريم أكبر تحد لمن شكك في أن القرآن وحي من الله أنزل على خاتم الرسل محمد ﷺ. وسأتطرق في هذا المقال لآيات التحدي.

يقول جل شأنه متحديا قريش أهل الفصاحة والبلاغة: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (الإسراء:٨٨).
يقول السعدي في تفسيره: «وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه. كما أخبر الله، فإن دواعي أعدائه المكذبين به، متوفرة على رد ما جاء به بأي وجه كان، وهم أهل اللسان والفصاحة، فلو كان عندهم أدنى تأهل وتمكن من ذلك لفعلوه. فعلم بذلك، أنهم أذعنوا غاية الإذعان، طوعا وكرها، وعجزوا عن معارضته».
ويقول الشيخ الشعراوي: «قل» لا يقولها الحق سبحانه بينه وبين رسوله، بل المراد: أعلنها يا محمد على الملأ، وأسمع بها الناس جميعا؛ لأن القضية قضية تحد للجميع. ﴿لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ وهما الثقلان اللذان يكونان أمة التكليف لما منحهما الله من نعمة الاختيار الذي هو مناط التكليف. وقد أرسل النبي ﷺ إليهما جميعا، وقد استمعت الجن إلى القرآن كما استمعت إليه البشر: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ① يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ②﴾ (الجن:١-٢).

• حفيظ اسليماني

الريادة الإسلامية في الأوقاف الخيرية والنسائية

اهتم الإسلام من أيامه الأولى بهداية أتباعه إلى الخير والحق، وميادين الفعل والعمل، وتحريرهم من كل القيود التي يمكن أن تكبلهم، واعتنى بتوفير مقومات الحياة الكريمة في ظل الحرية والعدل والمساواة، وأرسى قواعد التكافل والأخوة التي تضمن رعاية مصالحهم ومعايشهم. وقد علمهم نبيهم ﷺ عن طريق القدوة الحسنة أبهى دروس العطاء والتضحية والإيثار، فتربوا على قيم المودة والتعاون والبذل والإنفاق، فكانوا يتسابقون نحو مواطن البر والتوسعة على الناس وسداد ديونهم وحل مشكلاتهم، إيمانا منهم بأن الإنفاق في وجوه الخير والمصلحة فرضا وتطوعا، من أفضل القربات والطاعات التي يتقرب بها إلى الله تعالى، تمشيا مع قوله سبحانه في سورة الإنسان: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ⑨﴾ (الإنسان:٨-٩).
وقد جعل الإسلام سداد ديون الغارمين وجها من وجوه مصارف الزكاة، فقد كتب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه أن يقضى عن الغارمين، فقيل له: إنا نجد الرجل له المسكن والفرس والأثاث، فقال: «إنه لابد له من مسكن يسكنه، وخادم يخدمه، وفرس يجاهد عليه عدوه، وأن يكون له الأثاث في بيته. وأمر أن يقضى عنه».
وفرض الفاروق عمر رضي الله عنه قبل ذلك، لكل مولود في الإسلام نفقة. وجعل لكل طفل مئة درهم. فإذا ترعرع بلغ به مئتي درهم، فإذا بلغ زاده، وفرض للقطاء البلد، لكل واحد منهم مئة درهم، ورزقا يأخذه وليه كل شهر، وأوصى بهم خيرا، وجعل رضاعتهم ونفقتهم من بيت المال.

• محمد حسن بدرالدين

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

info@alwaei.com

لا إعاقة مع الإرادة

دائما عندما نسمع كلمة إعاقة أو معاق، يتبادر إلى أذهاننا هؤلاء الذين قد ابتلاهم الله، بفقد شيء من أعضائهم أو حواسهم، وننظر لهم بدونية وكأنهم دون البشر، ونظن أن الإعاقة هي فقدان جارحة من الجوارح، أو حاسة من الحواس، وهذا ما يضيفه لنا التعامل مع هؤلاء، مصاحبة بتلك النظرة من المجتمع، التي ظاهرها الشفقة.. ويظن الكثيرون أن تلك الأمور تعد عائقا في وجوه أصحابها، وتحجم مسيرتهم في الحياة، بل إن الكثيرين من المعاقين أنفسهم يظلون حبيسي الجدران، ونسي هؤلاء وأولئك، أن هناك الكثير من الأصحاء يستحقون أن نرثي لهم أكثر.

إن فقدان حاسة من حواس الإنسان، أو عضو من أعضائه، ليست نهاية المطاف بل قد تكون البداية للإبداع والابتكار.

المعاق الحقيقي الذي تعوقه مشاعره وأحاسيسه، فلا يشعر أو يحس بالآخرين، فهو جسد بلا روح، لكن من ذكرناهم هم بعض من الذين أبدعوا وإن نقص فيهم شيء، فنقص الجسد لا يعني نقص الفكر. إن من ابتلاهم الله، مهما بلغت درجة إعاقتهم واختلفت فئاتهم، لديهم قدرات ودوافع للتعلم والنمو والاندماج في الحياة العادية وبالمجتمع، لذلك لابد من التركيز على تنمية ما لديهم من إمكانات وقدرات في مجالات التعليم والمشاركة، لا تركهم في معزل عن العالم، وحين نتذكرهم؛ نصنع لهم الحفلات الخيرية لا لشيء غير تلميع القائمين عليها، فإن ما يفعله الكثير لهؤلاء مغلف بالرأفة غير أن باطنه منافع ومآرب أخرى، فكثيرا ما تعجز الأصوات عن البوح، وتسجن الألسنة في سجن من اللغو، وتقيد الأيدي بقيد من العجز والكسل، ويكف البصر عن رؤية الأشياء الجميلة، ويصم السمع عن كلمات النصيحة، وتعجز القدمان عن التقدم نحو المستقبل والرقي، عند ذلك يفقد الكيان كل مرتباته ويهوي من عليائه. هل فكرنا في هؤلاء حقا ككيان قد يصير جذوة تنير لنا، أم كل فكرنا لهم أنهم آفة لابد من بترها من المجتمع؟، لقد أخطأ من قال إن «العقل السليم في الجسم السليم»، هذه الجملة نرددها مرارا وتكرارا؛ دون أن ندري أن هناك من يمتلكون عقولا سليمة بأجساد واهية، فليس معنى ذلك أنهم غير قادرين على العطاء، لكنهم يدأبون في العمل والإنتاج فيرتبط الواحد منهم بالعمل الوظيفي أو الحرفي وينتج فيه، حيث إن جميع أجزاء المخ تترابط فيما بينها في عمل وظيفي موحد ومتكامل، بل هناك من ولد فاقدا للبصر وكافح، أو فاقد السمع، أو أحد أعضاء الجسد ...الخ، ويبدعون في المجالات المختلفة.

• محمود حسانين

القرآن الكريم.. والتغيير في الأنفس

إن القرآن الكريم ليجدد قارئه، إذ لا يكتفي القارئ بأنه يقرأ كتابا فحسب، بل يشعر بأنه يتجدد مع كل قراءة جديدة لهذا الكتاب، ولذلك فإن القرآن يمتلك المقدرة على تغيير الناس بشكل عميق بحيث ينقل شخصا ما من تاريخ عريق في الإلحاد إلى تاريخ عريق من الإيمان، من إنسان سلبي يقف على تاريخ من الجور، إلى إنسان يشرق بنور إيجابيات الفطرة الإنسانية، إنه كتاب التحولات الكبرى في حياة الإنسان، إلى جانب أنه كتاب التحولات الكبرى في سلسلة المنجزات البشرية على مختلف الصعد.

من صلب علاقته مع القرآن يمارس القارئ وقائع حياته، ويستقبل مجريات الحياة بترحاب..

تكمن مهمة الإنسان في سعيه في الحياة ليكون قد ترك في دنياه شيئا مجديا يشير إلى وجوده ذات مرحلة في هذه الدنيا، إلى جانب سعيه الدائم كي يكون من أهل الجنة، وربما من الخطأ الفادح أن يظن البعض أو يذهب إلى أنه يبتغي الجنة على حساب الدنيا، أو أنه يبتغي الدنيا على حساب الجنة، فهو يسأل ربه أن يكون وجهه مبيضا يوم تبيض وجوه، وتسود وجوه.

● **عبدالباقي يوسف**

العقل والقلب والفؤاد

كثيرا ما يتعامل الناس مع بعض المفاهيم دون تمييز بين المتشابه أو المتقارب الدلالة منها، ودون تحديد للمصطلح، لا فرق في ذلك بين عوام ومثقفين، فهم في تلك النظرة سواء، ولكن قليل من الناظرين بعمق يفرقون بين المصطلحات ويحددون المعاني استبيانا للفوارق وتوضيحا للغوامض واستجلاء للحقائق.

من هذه المفاهيم التي يجهل فوارقها فريق، ويختلف فيها فريق آخر ويغالي في بعضها إنكارا أو إيجادا فريق ثالث، ثلاثة مفاهيم رئيسية، تداخلت حينا وتباعدت حينا آخر في فكر البعض، لكن تبقى الوشيجة الواحدة التي تربط بينها ذات بريق لا يخفت ونور لا ينطفئ ومداد لا ينفد، إنها مفاهيم العقل والقلب والفؤاد.

كثيرا ما أثارت هذه المفاهيم الاختلافات، وكثيرا ما تداخلت دلالاتها فيما بينها عند فريق، وتنافرت عند فريق آخر، دون أن يعي المختلفون مدى الاتصال الوشيج الذي أقره القرآن الكريم بين هذه المفاهيم الثلاثة.

• **د. محمد ممدوح**

العمل الخيري

إن العمل الخيرى هو نوع من معاملة الناس والاختلاط بهم والقرب منهم، فلا يمكن للإنسان أن يعيش بمعزل عن مخالطة الناس، والتعرف على أحوالهم، وكل عباداتنا تدل على هذا المعنى، فصلاة الجماعة تزيد عن صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وشرعت الجمعة والعيدان من أجل هذا المقصد، بل إن جل أوامر القرآن الكريم أتت بصيغة الجمع، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (الحج:٧٧-٧٨)، بل يمكن القول: إن قوة المجتمع الحقيقية لا نستطيع الحكم عليها من خلال الشعائر التعبدية فقط، بل إن سلوك أفراد هذا المجتمع وتعاملاتهم فيما بينهم، وتكافلهم في السراء والضراء هو الذي يعطي الحكم الصحيح على هذا المجتمع، ولا يتضح ذلك إلا من خلال العمل الخيري الذي تقوم به المؤسسات الحكومية، والمنظمات الخيرية والجمعيات الأهلية، وغير الأهلية التي يعد العمل الخيري من صميم نشاطها، وقد أعطانا القرآن الكريم نموذجا لمجتمع قوي متماسك، يتسابق أفراده إلى العمل الخيري، وذلك في قصة كفالة مريم التي لم تر أباها، فقد مات وهي في المهد، فأراد زكريا عليه السلام أن يضمها إليه بصفته زوج خالتها، كما ذكر ابن إسحق وابن جرير، وقيل: زوج أختها، إلا أن أفراد المجتمع يومها تسابقوا إلى كفالة مريم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران:٤٤)، قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «وكفلها زكريا»، أي، ضمها إليه، لأن زكريا عليه السلام ضمها إليه بإيجاب الله تعالى له، ضمها إليه بالقرعة التي أخرجها الله له، والآية التي أظهرها لخصومه فيها، فجعله بها أولى منهم، إذ قرع فيها من شاجه (نافسه) فيها، وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه في مريم، إذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده، وتساهموا بقداحهم، ورموا بها في نهر الأردن، فقال بعض أهل العلم: وثب (أي انتصب وثبت) قدح زكريا، فقام ولم يجر به الماء، وجرى بقداح الآخرين، فجعل الله لزكريا أنه أحق المتنازعين في مريم» إ.هـ، والتنازع هنا معناه التسابق إلى هذه الكفالة لتلك البنت اليتيمة، فما أقوى ترابط مثل هذا المجتمع الذي يدل عليه هذا الصنيع!.

• **كمال عبدالمنعم**

مسك الختام

العائق الأكبر في حب العربية!

في معترك الصراع بين الثقافات والمواجهة بين الحضارات، تبرز اللغة مظهرا مجسدا لدرجة رقي الأمم أو انحطاطها؛ فاللغة تقوى بقوة المنتمين إليها، وتضعف بضعف المنتمين إليها، هذا الضعف وتلك القوة ينسحبان على كل المظاهر الحضارية؛ سياسية واقتصادية وثقافية، ومن هنا بدت نهضة اللغة رهنا بنهضة الأمة، نهضة تنتظم كل مفردات حياتها.

إن سعي المخلصين لتأكيد الدور الحضاري للعرب، ينسحب على تأكيد الدور الحضاري للغة العربية، وهو دور يتنامى بإدراك المنصفين لتاريخ الحضارات وتأثيرها، ودور الحضارة العربية الإسلامية في الحضارة الإنسانية التي أسهمت بإنجازات لا ينكرها إلا جاحدٌ أو مُغرضٌ، وجزء من تأكيد هذا البعد الحضاري يتمثل في اعتزاز أبناء اللغة العربية بلغتهم، فيقبلون عليها ويلتصقون بها ويفخرون بها، وقد اختارها الله سبحانه وتعالى لغة كتابه الخالد المعجز.

وليس بخاف أن اللغة العربية الآن بعيدة المنال على كثير من أهلها هنا وهناك بلا فرق. وليس بخاف أيضا أنهم يرددون - ليل نهار - شكواهم من صعوبتها وجمودها.

لكنهم في الوقت نفسه يركزون في شكواهم على النحو.

ولنا أن نتساءل: لم كانت الشكوى من النحو وحده؟ وهل النحو هو أساس مشكلة اللغة العربية؟ وهل النحو هو العائق الأكبر في حبها؟ وهل الصعوبة في النحو وحده أم هي موجودة في كل المستويات اللغوية صوتية وصرفية ونحوية، وإن بدرجات متفاوتة أو قل - في جملة واحدة - هل الصعوبة هي صعوبة اللغة كلها؟

الإجابة عن التساؤلات السابقة سهلة ميسورة:

إنما كانت الشكوى من صعوبة اللغة موجهة غالبا إلى النحو؛ لشيوع الخطأ نطقا وكتابة في تلك الخاصة المعينة التي من السهل تعرفها وإدراكها من كل من له معرفة متواضعة باللغة، هذه الخاصة هي الإعراب، في حين أن الإعراب ليس النحو بحال، وإنما النحو له خواص أخرى أهم بكثير من الإعراب الذي لا يعدو أن يكون واحدا منها في اللغات المعرَبة، ومنها العربية الفصيحة الصحيحة.

ومن هنا نؤكد رأي أستاذنا الدكتور المرحوم كمال بشر المعبر عنه بقوله: « الإعراب ليس النحو وليس النحو الإعراب» النحو هو علم التراكيب الذي يعني النظر في هذه التراكيب وتحليلها من وجهات ثلاث وظائف أساسية في كل اللغات، هي:

- الاختيار، أي اختيار المكونات التي تشكل التركيب لإفادة المعنى المقصود، وفقا لسياقه صغيرا كان هذا التركيب أم كبيرا.
- الموقعية، أي وضع كل مكون من مكونات الجملة في موقعه الصحيح، طبقا لقواعد اللغة المعينة.
- الربط بين هذه المكونات بوسائل الربط المقررة في اللغة المعينة.

من هنا نكرر ونؤكد أن الإعراب ليس النحو وليس النحو الإعراب، على عكس ما يفهمه العامة وبعض المتخصصين وكثير من معلمي اللغة العربية في مراحل التعليم المختلفة.

محمد إبراهيم شبير
أستاذ علم اللغة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الصحة نعمة ..
تستاهل الشكر
"صلاتك ... شكر"
نفائس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٢٠) ربيع الآخر ١٤٣٨ هـ - يناير ٢٠١٧ م

مجانًا مع العدد: «براعم الإيمان»

«أوردو».. مدينة الأكسجين

- دار الحديث النورية
- اللغة العربية وتحديات الواقع
- النمور الآسيوية.. وتقدم الأمم
- شعرية القصيدة.. الحضور في الغياب

هدية العدد: «ذخائر الوعي الإسلامي (١٢١)»

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

جديدنا

الافتتاحية

تقدم الأمم

الحمد لله ﴿ٱلْأَكْرَمُ﴾، سبحانه ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، إليه يرفع العمل الصالح، ويصعد طيب الكلم، خصنا بالنبي المصطفى والرسول المجتبى ﷺ، فصرنا بدعوته خير الأمم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الفضائل وكريم الشيم.

أما بعد، فإن ارتفاع الأمم وهبوطها، وبقاءها واندثارها يرتبط ارتباطا كبيرا بعمل أبنائها وتطلعاتهم، فلن تتقدم أمة يميل أبناؤها إلى الدعة والسكون، ويؤثرون على العمل الجاد كل عمل يحقق نصيبا أكبر من الخمول.

ولذا يقول علماء الحضارات: إن شيوع الترف، وتفشي التحلل الأخلاقي، سبب لانهيار الحضارات.. ونجد ذلك ظاهرا في السنة المستخرجة من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٦).

من أجل ذلك كانت الشريعة واضحة في التحذير من الانجراف وراء حظوظ النفس وشهواتها؛ والناس في ذلك على فريقين؛ فريق يسعى لبناء مجد أمته وتقدمها، وآخر يلهث وراء الدنيا وملذاتها؛ الأمر الذي لا يبني أمة ولا يحقق تقدما.

إن السنة النبوية جاءت حاثة – في العديد من نصوصها – على التقدم والإنتاج، وعلى كل ما من شأنه أن يكون محفزا على العمل؛ فقد كان من دعاء نبينا ﷺ «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد» (أخرجه النسائي)، «وكان ﷺ يتعوذ بالله من العجز والكسل» (أخرجه البخاري)، ويوصي ﷺ بعضا من أصحابه، قائلا: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز» (أخرجه مسلم)، ويبين لهم ﷺ: «إن المعونة تأتي من الله للعبد على قدر المؤنة» (أخرجه الترمذي).

لقد تلقى الأوائل هذه النصوص بفهم سليم؛ فكانت حركتهم في سبيل بناء الحضارة تقوم على أساس: أن الاستعانة بالله، ثم الجد في العمل؛ هما الشيء الذي يخط مصير الأمة، وأن جهد أبنائها في عملهم هو الذي يتكفل ببناء حضارتها.

لقد من الله على المسلمين – يوم أكمل لهم دينهم – بمنهج متكامل، وأتم عليهم النعمة، ولكنهم لابد لهم أن يدركوا أن ميزانية التاريخ ليست رصيدا من الكلام؛ بل هي كتل من النشاط المادي، ومن الأفكار التي لها كثافة الواقع ووزنه؛ ولذلك كانت المجتمعات التي لا تمتلك إلا رصيد الكلام هي المجتمعات المتأخرة، وأما المجتمعات التي تملك رصيد العمل والنشاط فهي المجتمعات المتقدمة.

إن الأمة الإسلامية قادرة على النهوض مما هي فيه الآن، كما نهض غيرها من الأمم التي كانت أكثر تأخرا، ويكمن ذلك في تسخير القوى المتاحة، وإيجاد القناعة لدى أفرادها التي مفادها: أن مفاتيح التقدم في أيديهم، لكن عليهم أن يعملوا ويقتنعوا بأن الأمة لن تتقدم إلا بجد أبنائها ونشاطهم المنبثقين من تعاليم دينها الحنيف؛ ودون ذلك سوف تبقى الأمة بين مطرقة العدو الحاقد، وسندان أفعال أبنائها الخاطئة. ورحم الله من قال:

وما نيل المطالب بالتمني	**ولكن تؤخذ الدنيا غلابا**
وما استعصى على قوم منال	**إذا الإقدام كان لهم ركابا**

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

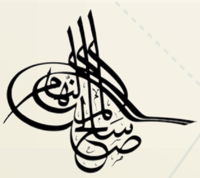

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٠ | ربيع الآخر ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
يناير ٢٠١٧م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

التجارب الناجحة

لا يمكن للمجتمعات أن تتطور أو تتقدم إلا إذا استفادت من تجارب الآخرين الناجحة.. فالتجارب تختصر الزمن، وقد تفتح أبواب الإبداع والابتكار، إذا تم التعلم منها والاستفادة من دروسها العميقة.

ولعل أهم التجارب التي يمكن الاستفادة منها التجارب التنموية في دول كانت نامية قبل عشرات السنين وأصبحت اليوم في مصاف الدول المتقدمة مثل ماليزيا وسنغافورة.

ولعل نجاح أي تجربة قد لا يشترط تكرارها في أخرى، فلكل دولة نظامها وظروفها الخاصة بحسب متطلباتها وأولوياتها.

والحرص على الاهتمام بالجانب الاقتصادي، خصوصا مستوى البنية التحتية واستقدام رجال أعمال ومستثمرين وخبراء والاستفادة من خبراتهم أمر محفز.

ولا يمكن القول إن نجاح تجارب بعض الشعوب جاء محض صدفة أو معجزة، وإنما نتاج جهود وخطط وبذل وعطاء لا ينضب.

ومتى ما كانت هناك مشاريع تنموية تمثل قاعدة صلبة لاستثمار مقدرات الدولة، كانت هناك قوى إنتاجية، ورؤية شمولية تضع الإنسان في صلب العملية التنموية، بوصفه محركها الحيوي، وهدفها في الآن ذاته.

فالنجاح ليس حكرا على أحد.. والجميع قادر على التميز والإبداع وتحقيق الريادة إذا أخلص في العمل واستفاد من تجارب الآخرين بعين الجدية.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

أ. د. وليد خالد الربيع
أستاذ الشريعة- جامعة الكويت

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾

مطلوب من المسلم أن يتدبر القرآن كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ (ص:٢٩)، قال الشيخ ابن سعدي: «أي: هذه الحكمة من إنزاله، ليتدبر الناس آياته، فيستخرجوا علمها، ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه، وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة، تدرك بركته وخيره، وهذا يدل على الحث على تدبر القرآن، وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة على التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا المقصود» (١).

والتدبر هو معرفة معاني كلام الله تعالى وأحكامه ومقاصده، والوقوف مع أساليبه البيانية ومسالكه البلاغية لمعرفة مراد الله تعالى من كلامه، وامتثال مقتضى خطابه.

ومن الأساليب القرآنية التي تكررت في القرآن الكريم الوعد والوعيد، فالله سبحانه وتعالى قد ذكر في القرآن وعدا ووعيدا، وترغيبا وترهيبا، وأخبر سبحانه أنه لا يخلف الميعاد، وأنه لا يخلف وعده، ولاشك أن وعد الله حق، وقوله صدق، كما قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ (النساء:٨٧)، وقال سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ (النساء:١٢٢)، مما يدفع المسلم للتساؤل عن هذا الوعد الذي أخبر الله به، وذلك الميعاد الذي لا يخلفه.

والوعد في اللغة هو الإخبار عن فعل المرء أمرا في المستقبل يتعلق بالغير؛ سواء أكان خيرا أم شرا، وقد يكون بما يتضمن الأمرين معا (٢)، كقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ (يونس:٥٥) وذلك بالقيامة والجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وهو سبحانه لا يخلف الميعاد، قال سبحانه: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الروم:٦)، قال الشيخ ابن سعدي: «فتيقنوا ذلك واجزموا به واعلموا أنه لابد من وقوعه» (٣).

ولو تأملنا في القرآن الكريم لوجدنا أن مما وعد الله تعالى به «البعث والنشور»، كما في قوله سبحانه: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ

ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٤).

قال ابن كثير: «يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقا جديدا، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك، ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾» (٤).

وقال تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ (آل عمران:٩)

قال الطاهر بن عاشور: «وجملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ تعليل لنفي الريب؛ أي: لأن الله وعد بجمع الناس له، فلا يخلف ذلك، والمعنى: إن الله لا يخلف خبره» (٥).

ومما وعد الله تعالى به «النصر والتمكين» لرسله وأوليائه كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ (إبراهيم:٤٧).

قال ابن كثير: «يقول تعالى مقررا لوعده ومؤكدا: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ أي: من نصرتهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد» (٦).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

ولكن ذلك النصر والتمكين مشروط باتخاذ أسبابه من الإيمان والعمل الصالح كما قال الطاهر بن عاشور: «ففي الوعد بالاستخلاف والتمكين وتبديل الخوف أمنا إيماء إلى التهيؤ لتحصيل أسبابه مع ضمان التوفيق لهم والنجاح إن هم أخذوا في ذلك، وأن ملاك ذلك هو طاعة الله والرسول ﷺ ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ (النور:٥٤)، وإذا حل الاهتداء في النفوس نشأت الصالحات، فأقبلت مسبباتها تنهال على الأمة، فالأسباب هي الإيمان وعمل الصالحات» (٧).

ومما وعد الله تعالى به المؤمنين «المغفرة» كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ (البقرة:٢٦٨).

قال الطبري: «يعني أن الله عز وجل يعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم فحشاءكم بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها، فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون، ﴿وَفَضۡلٗاۗ﴾ يعني: ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقتكم، فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم في أرزاقكم» (٨).

وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ (المائدة:٩).

قال الشيخ ابن سعدي: «أي: وعد الله، الذي لا يخلف الميعاد وهو أصدق القائلين، المؤمنين به وبكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات، بالمغفرة لذنوبهم، بالعفو عنها وعن عواقبها، وبالأجر العظيم الذي لا يعلم عظمه إلا الله تعالى» (٩).

ومما وعد الله تعالى به عباده «الجنة» كما قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ (الرعد:٣٥).

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾ (محمد:١٥).

وقال سبحانه: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ

﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ (الزمر:٢٠).

قال الشيخ ابن سعدي: «وقد وعد المتقين هذا الثواب، فلابد من الوفاء به، فليوفوا بخصال التقوى، ليوفيهم أجورهم» (١٠).

وفي المقابل، فإن الله تعالى توعد أعداءه بالويل والثبور وعظائم الأمور، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ﴾ (الحج:٧٢).

وقال سبحانه: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج:٤٧).

قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾، أي: الذي وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه والإكرام لأوليائه » (١١).

وما هدد الله تعالى به أعداء الرسل واقع بعضه في الدنيا قبل الآخرة كما وعد بذلك كما قال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ (الرعد:٤٠).

قال الشوكاني: «وإن نرك بعض الذي نعدهم من العذاب كما وعدناهم بذلك بقولنا: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ (الرعد:٣٤)، وبقولنا: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ﴾ (الرعد:٣١)» (١٢).

ويوم القيامة يتجلى صدق موعود الله تعالى لأوليائه وأعدائه كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ (إبراهيم:٢٢).

قال الطبري: «يعني لما أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واستقر بكل فريق منهم قرارهم: إن الله وعدكم أيها الأتباع النار، ووعدتكم النصرة فأخلفتكم وعدي، ووفى الله لكم بوعده» (١٣).

والقرآن الكريم مليء بالوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فقد تنوعت أساليب القرآن العزيز في تقرير هذين المعنيين الكريمين، حيث جاءت بعض الآيات بصيغة فعلية تدل على التجدد والاستمرار، وأخرى بصيغة اسمية تدل على الثبات والدوام، كما جاء بعضها بأفعال مبنية للمجهول وأخرى مبنية للمعلوم، وغير ذلك من أوجه التنوع والتعدد في السياق القرآني لترسيخ أهمية الوعد والوعيد في نفوس السامعين، وما يتبع ذلك من آثار العدل الإلهي بإنفاذ الوعد والوعيد جزاء وفاقا.

وهنا ينبغي التنبيه على أمر وهو أن هذه الأحكام الغيبية التي أخبر الله تعالى بها حق وصدق، إلا أنها متوقفة على حصول شروط وانتفاء موانع، فاختلال شيء من ذلك قد يؤدي إلى عدم ترتب الوعد أو الوعيد، وليس لأن الخبر غير صحيح أو الوعد غير صادق، وإنما الخلل في الناس أنفسهم لتخلف بعض الشروط أو وجود بعض الموانع.

ثم إن الوعد حق ثابت؛ لأن الله تعالى أوجبه على نفسه كرما منه وفضلا، وليس لمخلوق أن يوجب على الله شيئا، وليس لأحد استحقاق على الله تعالى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ناقلا عن أهل السنة: «واتفقوا على أن الله تعالى إذا وعد عباده شيئا كان وقوعه واجبا بحكم وعده، فإنه الصادق في خبره، الذي لا يخلف الميعاد» (١٤).

وأما الوعيد فأهل السنة يقولون يجوز أن يخلف الله الوعيد، فيعفو عن المذنب، ويخرج أهل الكبائر من النار، قال ابن القيم: «وإخلاف الوعيد لا يذم، بل يمدح، والله تعالى يجوز عليه إخلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد، والفرق بينهما أن الوعيد حقه، فإخلافه عفو وهبة وإسقاط، وذلك موجب كرمه وجوده وإحسانه، والوعد حق عليه، أوجبه على نفسه، والله لا يخلف الميعاد» (١٥).

نسأل الله تعالى من فضله، وأن يجعلنا ممن ينال وعده، وأن يحفظنا من وعيده، ويجنبنا أسباب سخطه، وبالله التوفيق.

الهوامش

١- تيسير الكريم الرحمن، ص٧١٢، عبدالرحمن ابن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢- انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (وعد) ١٢٥/٦، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة (وعد)، ص٨٧٥.
٣- تيسير الكريم الرحمن، ص٦٣٧.
٤- تفسير القرآن العظيم، ٢٠٠/٣، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٢م.
٥- التحرير والتنوير، ١٧١/٣، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر.
٦- تفسير القرآن العظيم، ٥٤٣/٢.
٧- التحرير والتنوير، ٢٨٣/١٩.
٨- جامع البيان، ٥٧١/٥، الطبري، محمد بن جرير، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م.
٩- تيسير الكريم الرحمن، ص٢٢٤.
١٠- تيسير الكريم الرحمن، ص٧٢٢.
١١- تفسير القرآن العظيم، ٢٢٨/٣.
١٢- فتح القدير، ٩٠/٣، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.
١٣- جامع البيان، ٥٦١/١٦.
١٤- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ٤٤٨/١، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٥م.
١٥- مدارج السالكين،٣٩٧/١، ابن القيم، محمد ابن أبي بكر، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٢م.

محمود صقر
كاتب مصري

الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية

اختارت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) مدينة الكويت لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م.

يأتي هذا الاختيار تتويجا مستحقا لواحدة من بقاع الثقافة في العالم الإسلامي، بما قدمته من عطاء بسخاء لأداء رسالتها الثقافية لأمتها العربية والإسلامية.

وحديثي عن رسالة الكويت في نشر الثقافة هو تجربة شخصية، أظن أن كثيرين من المهتمين بالشأن الثقافي من أبناء جيلي في وطننا العربي يشاركونني الكثير منها.

فجيلنا كان ينتظر أعداد كتاب «عالم المعرفة» مع بداية كل شهر، ومع كل عدد ننتظر فتحا لآفاق معرفية جديدة، نقتنيها بثمن زهيد وراءه دعم كبير. وبالتوازي كانت «مجلة العربي» بفصولها الممتعة وإخراجها الأنيق تقف شامخة في المكتبات تزهو بما تقدمه من ثقافة وفن رفيع وسط سيل من غثاء ينشر الهزل والرذيلة.

هكذا لمسنا منذ الطفولة والصبا عطاءات الكويت تصلنا إلى بلادنا بنفع عميم وسعر زهيد ومازال هذا العطاء مستمرا.

وجئنا هنا إلى الكويت لنرى صروحا ثقافية تحمل رسالة ثقافية أصيلة تنبع من تاريخ العروبة وعقيدة الإسلام.

فالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مازال يواصل عطاءه في دعم المسيرة الثقافية من خلال إصداراته القيمة وأنشطته الثقافية المنوعة.

ومركز الكويت للفنون الإسلامية بالمسجد الكبير يقوم بدور كبير في دعم الفن الإسلامي برعايته للناشئة وأصحاب المواهب من خلال دوراته التعليمية في فن الخط والزخرفة، وينظم معرضه العالمي للفنون الإسلامية كل عامين، والذي يضم مختلف الفنون والحرف اليدوية من مختلف البلاد الإسلامية، وهو الحدث الذي ينتظره محبو الفنون الإسلامية بكل شوق وشغف.

ومن أهم الصروح الثقافية بدولة الكويت دار الآثار الإسلامية، التابعة لوزارة الإعلام، والتي تضم ما يزيد على عشرين ألف قطعة فنية نادرة من الفن الإسلامي المتنوع، جغرافيا، من الصين إلى الأندلس، والممتد زمانا لمختلف العصور الإسلامية، وهي مجموعة خاصة للشيخ ناصر صباح الأحمد الصباح. وتضم الدار أيضا مكتبة تراثية كبيرة.

وهذه الدار يمتد نشاطها في خدمة الثقافة والفنون بإقامة المعارض الفنية، وعقد الندوات والمحاضرات حول الفنون الإسلامية باستضافة نخبة من المختصين من مختلف أنحاء العالم، وتنشر أبحاث تلك المحاضرات وغيرها من موضوعات في غاية العمق والقيمة في مجلة فصلية باسم دار الآثار الإسلامية.

ولا يقتصر العطاء على مؤسسات الدولة فقط، بل يمتد إلي الجهود الفردية، وخير مثال للجهود الفردية «متحف طارق رجب» للفن الإسلامي بالجابرية، ومثيله للخط العربي والذي جمع مجموعة كبيرة جدا ومنوعة من آثار الخطاطين ولوحات نادرة لكبار الخطاطين وعشرات النسخ النادرة من المصحف الشريف ونماذج من كسوة وأستار الكعبة.

هذه نماذج للصروح الثقافية في دولة الكويت، وهي التي تمثل دائرة اهتماماتي فقط، وهناك غيرها من الصروح الثقافية الأخرى.

ومعظم تلك الصروح وفاعلياتها مفتوحة بالمجان لكل من يطرق أبوابها، في بلد صغير في مساحته كبير في إسهامه وعطائه وسخائه.

ولا نملك إلا الشكر للكويت التي غرست في القلب علامات، وفي العقل منارات، وزرعت في الوجدان أجمل الذكريات.

حوار: هبة أبو الفتوح

أمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي لـ «الوعي»:

الإسلاموفوبيا أخطر ما يواجهنا

أكد د. محمد البشاري رئيس الفيدرالية العامة لمسلمي فرنسا، وأمين عام المؤتمر الإسلامي الأوروبي، أن هناك من يعمل على إلصاق تهم الإرهاب بالإسلام والمسلمين، لافتا إلى أن الجهل بحقيقة الإسلام وتعاليمه السمحة والدعاية الإعلامية الكاذبة ساهمت في ترسيخ الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام في الغرب.

وطالب د. البشاري في حديث لـ«الوعي الاسلامي» على هامش زيارته للقاهرة مؤخرا: علماء الاسلام ومؤسسات الإعلام بالاصطفاف لمواجهة خطر انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام «الإسلاموفوبيا» التي باتت أخطر تحدي يواجه الوجود الإسلامي في الغرب، لما ترتب عليه من سن القوانين المناهضة للوجود الإسلامي في بعض الدول الأوروبية، والمطالبة بدور أقوى وأكثر صرامة ضد المسلمين وتهديداتهم في الغرب.

وفي الحديث التالي يسلط د. البشاري الضوء على جوانب من مشكلات المسلمين في الغرب وسبب مواجهتها.

• لعل من أخطر المشكلات التي تواجه المسلمين في الغرب هي مشكلة الخوف من الإسلام «الإسلاموفوبيا»، خاصة بعد ظهور بعض الجماعات الإرهابية التي ترتكب أعمالها الإرهابية باسم الإسلام، ما هو انعكاس ذلك على المسلمين في الغرب؟

– لا شك أن انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام «الإسلاموفوبيا» باتت أخطر تحدى يواجه الوجود الإسلامي في الغرب، لما ترتب على ذلك من فرض القيود على المسلمين والتي تحد من الحريات، ومنها على سبيل المثال سن القوانين المناهضة لوجود المسلمين في بعض الدول الأوروبية، والمطالبة بدور أقوى وأكثر صرامة ضد المسلمين وتهديداتهم في الغرب، خاصة وأن هناك صورة ذهنية راسخة في أذهان كثير من الغربيين بأن كتاب الإسلام «القرآن الكريم» مصدر للعنف واستباحة دماء الأبرياء، وأن الإسلام دين عدواني، ودين إرهاب وترويع وتخويف، وأنه دين مدمر للعمران والحضارة لمجرد صدور اتهامات بأن منفذي الاعتداءات هم مسلمون، وهذا أدى لانتشار الحالة النفسية المعادية للإسلام والمسلمين بين الشعوب الغربية والتي تتمثل في قيامهم بسلوكيات منفرة وتتعمد الابتعاد عن كل ما هو مسلم ونبذة كلية داخل بلادهم.

• بالطبع فإن الإنسان الغربي -كما ذكرتم- لم يعرف عن الإسلام إلا أنه دين عنف وإرهاب، لكن برأيك ما هو السبب الحقيقي في ذلك، ولماذا يتم هذا التشويه المتعمد لصورة الإسلام والمسلمين؟

– أشكرك على هذا السؤال، طبعا هناك من يعمل على إلصاق تهم الإرهاب والتطرف بالإسلام والمسلمين لهدف معروف، وهو تشويه صورة الإسلام في الذهنية الغربية، وبالتالي لا أحد يفكر في اعتناقه، وعليه فإنه لا يكون هناك مسلمين، وإن وجدوا سيكونون بأعداد قليلة جدا، هذا بجانب الجهل بحقيقة الإسلام وتعاليمه السمحة، والدعاية الإعلامية الكاذبة ساهمت في ترسيخ الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام في الغرب.

وهناك سبب رئيسي أسهم بشكل كبير في تشويه صورة الإسلام في الذهنية والنفسية الغربية، ويتمثل هذا في كتابات المستشرقين المغرضين الذين لم يلتزموا بالحياد أو الموضوعية في كتاباتهم عن الإسلام، ولكن للأسف وجدناهم متحاملين على الإسلام، فألصقوا به التهم الشنيعة، هذا بالإضافة صورة الإسلام في المناهج الدراسية في كثير من الدول الغربية، وصورة التنظيمات الإرهابية التي ظهرت حديثا، ومن على شاكلتهم، كل هذا كان سببا رئيسيا في تلك الصورة الذهنية المغلوطة عن الإسلام.

• لكن كيف ترى رد الفعل الغربي حول ما ترتكبه التنظيمات المتطرفة والإرهابية من أعمال عنف وإرهاب باسم الإسلام؟

– لا شك أن هذه الصورة البشعة لما ترتكبه بعض التنظيمات المتطرفة والإرهابية من أعمال عنف وإرهاب باسم الإسلام تلقى ردود فعل متباينة، فالغرب فيه العقلاء وفيه الذين يكرهون الاسلام، والغربيون ليسوا سواء، ونحن بدورنا نحاول أن نبين لهم أن هذه الأعمال بالطبع لا تمثل حقيقة الإسلام، دين المحبة ودين السلام والإنسانية، الذي أسس لقيم العدل والشورى والرحمة والإحسان والتسامح والوئام.

• وماذا عن موقف المسلمين في الغرب إزاء ما يقع في العالم الغربي من أعمال إرهابية يرفع مرتكبوها شعار الإسلام؟

– المسلمون في الغرب ضد هذه الأعمال

البشعة التي تسيء إلى الإسلام دين السلام والرحمة، لكن للأسف هذه التنظيمات الإرهابية التي ترتكب هذه الأعمال الإجرامية تسعى لاستقطاب الشباب المسلم، وتجنيده لينخرط في صفوف هذه التنظيمات الإرهابية، وهذه التنظيمات الإرهابية كثيرا ما تحاول أن تستغل حماس هؤلاء الشباب، خاصة الذين ليس لديهم وعي ديني بتعاليم الاسلام الصحيح، ولا يستطيعون التفرقة بين ما شرعي وما هو غير شرعي.

● ذكرتم أن الدعاية الإعلامية الكاذبة ساهمت في ترسيخ الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام في الغرب، كيف؟

– معلوم أن وسائل الإعلام تحتل مكانة متميزة، انطلاقا من طبيعة وظائفها وتأثيرها على الإنسان، حيث أصبحت دول العالم المتطورة في عصرنا الحاضر تعتمد على ثلاثة أركان رئيسية في بنائها، وهي السياسة والاقتصاد والإعلام، ومما ضاعف تأثير الإعلام على بناء شخصية الإنسان هو تداخل وظائفها مع جميع طبقات المجتمع، لما تقدمه من معلومات عبر مساحات كبيرة وعلى مدار الساعة، من خلال مختلف وسائلها، سواء كانت مسموعة أو مقروءة أو مرئية، كما تسهم هذه الوسائل في بناء القناعات والاتجاهات والمعتقدات عند الفرد، وكذلك التأثير على التنشئة الاجتماعية التي تؤثر بدورها على بناء الإنسان الفكري والاجتماعي والنفسي.

● كما ذكرتم أن الإعلام يلعب دورا مهما في بناء الإنسان الفكري والاجتماعي والنفسي، كيف يمكن استخدام الإعلام كوسيلة لتحقيق الأمن الفكري للمجتمع المسلم؟

– الإعلام يحتل أهمية كبيرة في هذا العصر –كما قلت سلفا– فهو يلعب دورا جوهريا في حياة الأمم والشعوب، وذلك لقدرته على التأثير في الرأي العام، بجانب كونه وسيلة فعالة في تكوين الأفكار، وهو من أهم وسائل الغزو الفكري المعاصرة التي قد يستغلها من يريد التأثير في مجتمع معين، وبث الأفكار والمفاهيم الفاسدة عن الدين والحياة، وعن الأخلاق والسلوك.

ومن ثم كان للإعلام أثره المباشر على الأمن الفكري للمجتمع، باعتبار أن أي سلوك ناجم عن فكر معين، سيكون له آثارا سلبية أو إيجابية، فإن كان هذا الفكر فاسدا صدر عنه فساد، وإن كان عاقلا صدر ما هو حكيم ومفيد.

ولهذا يعتبر دور الإعلام في الأمن الفكري دورا مؤثرا، فالإعلام أصبح يؤثر وبوضوح في تكوين وتشكيل الرأي العام، وأصبح يستأثر بمساحة واسعة من تشكيل الصورة الذهنية وبناء المواقف لدى جمهور المتلقين للرسالة الإعلامية.

وإذا كان الإعلام ينقل الأفكار البناءة فلا مشكلة في ذلك، ولكن المشكلة تكمن في نقل الأفكار الهدامة، فالخطر من الإعلام يأتي من الذين يتلاعبون بالعقول، ويروجون للأفكار المنحرفة والمتطرفة، سواء التي تدعو للإلحاد أو التطرف الديني.

ومن ثم فإن الدور الذي ينبغي أن يقوم به الإعلام في الأمن الفكري هو التعريف بالفكر الصحيح الذي يوجه الشباب التوجيه السليم، ويحصن عقولهم ضد الأفكار الفاسدة، وخاصة إذا كان هذا الفكر مقنعا بقناع العقيدة والإيمان والعلم والمعرفة، أو العكس إذا كان ينكر وجود الله –سبحانه وتعالى– خاصة مع ظهور تنظيمات للملحدين في هذا الوقت، تدعو لنشر الإلحاد والمجاهرة به ونشره على الملأ.

الكويت :
عبادة نوح وعلاء عبدالفتاح

في معرض الكتاب الدولي الـ٤١ بالكويت

«البيان» الأدبية تحتفل بمرور نصف قرن

احتفلت مجلة «البيان» بمرور نصف قرن من إصدارها أول عدد في معرض الكتاب الدولي الـ٤١ يومي ١٠ و١١ نوفمبر الماضي بأرض المعارض في منطقة مشرف بحضور ثلة من الأدباء والمسؤولين وعدد كبير من الجمهور.

وقد أدار المحاضرة الأولى الأمين العام لرابطة الأدباء الكويتيين طلال الرميضي، وتحدث فيها كل من د. سليمان الشطي، والأديب عبدالله خلف، ود. عبدالرحيم العلام (المغرب).

وقال أمين رابطة الأدباء الكويتية طلال الرميضي إن «البيان» هي لسان رابطة الأدباء الكويتيين، والممثلة عن الأدباء والشعراء والروائيين والباحثين، وقدمت الكثير للحراك الأدبي بالكويت.

وأكد أن الرابطة قامت بنشر المجلة إلكترونيا وبالمجان في موقع خاص يحمل اسمها، وحصدت هذه البادرة القبول والانتشار في مختلف أرجاء الوطن العربي وتعريف المتلقي بجانب مضيء من الثقافة الكويتية.

من جهته ذكر د. سليمان الشطي أنه ما إن صدر قانون ٢٤ لعام ١٩٦١م الخاص بتنظيم إشهار جمعيات النفع العام حتى بادر حشد من الأدباء ونفر من المثقفين يتقدمهم في الحماسة المرحوم الشاعر عبدالمحسن الرشيد بطلب إنشاء رابطة للأدباء، إحياء لمبادرات سابقة تمثلت في النادي الأدبي عام ١٩٢٤م، ثم أعقبها في الخط نفسه إنشاء الرابطة الأدبية عام ١٩٥٨م، التي استضافت مؤتمر الأدباء العرب، ثم طالتها يد الإغلاق عندما تم إغلاق النوادي عام ١٩٥٩م موضحا أنه منذ استغلال الرواد الفرصة للحصول على ترخيص لمجلة أدبية قبل أن تبدأ التعقيدات الإدارية، استطاعوا من خلالها الحصول على ترخيص مجلة، تم اختيار «البيان» اسمًا لها، ليزينها بدءا من العدد الثاني؛ استيحاء من المأثور النبوي: «إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا».

بدوره، أشار الأديب الكويتي عبدالله الخلف إلى تزامن ولادة جامعة الكويت بولادة مجلة رابطة الأدباء (البيان) في عام واحد ١٩٦٦م، مضيفا أن «البيان» من المرجعيات الأدبية، والوحيدة من بين مجلات الروابط والاتحادات الأدبية التي استمرت ولم تنقطع لأزمنة، إلا لظرف قهري في أشهر الغزو العراقي الغاشم.

من جانبه، قال الأديب المغربي د. عبدالرحيم العلام إنه يشهد للمجلة باهتمامها المتزايد بتناول تجارب رموز الثقافة والفكر والأدب، من الكويت وبعض البلدان العربية، على حد سواء لافتا إلى أن من يتصفح أعداد المجلة منذ بداية صدورها حتى اليوم، سيلاحظ من دون شك، مدى التطور والتجديد الذي طال المجلة، شكلا ومضمونا.

في المقابل أدار الندوة الثانية للاحتفالية الزميل لافي الشمري بمشاركة الزميل عدنان فرزات من سورية الذي تحدث عن تاريخ المجلة ومنظومتها التي تعتمد عليها في النشر والزميل الشاعر مدحت علام من مصر تحدث عن «البيان» على

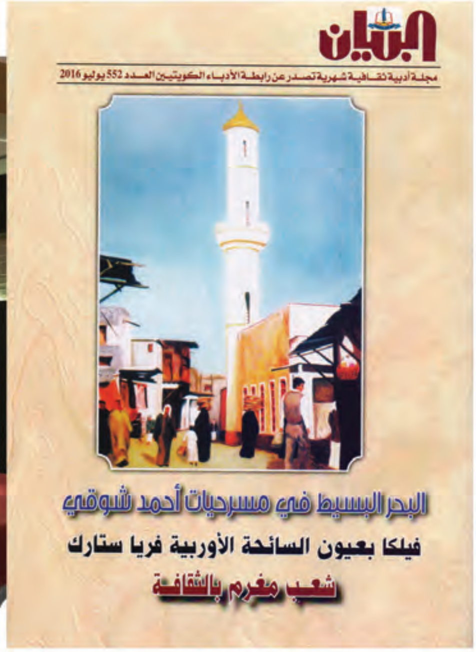

ـــــصف قرن على إصدارها

أساس أنها مجلة تمكنت من الصمود والاستمرار في النشر، في كل الظروف والأحوال، وأن سياسة النشر فيها لم تتغير بتعاقب رؤساء تحريرها.

كما أشار د. راشد النجم من البحرين إلى أن نجاح المجلة في الاستمرار على مدى ٥٠ عاما من دون توقف يجعلها من العلامات المضيئة ضمن مسيرة المجلات الأدبية التي تصدر في الخليج والوطن العربي كما تعتبر مثالا إيجابيا للقدرة على الاستمرار في الوقت الذي نرى فيه تعثر العديد من المجلات الأخرى ذات الريادة والخبرة؛ إما بالتوقف عن الصدور أو بالتحول إلى نظام النشر الإلكتروني.

وأكد أن مواطن القوة فيها أكثر من نقاط الضعف، مشددا على ضرورة تطويرها من حيث الشكل والمضمون لتواكب المتغيرات التي تحدث على الساحة العربية مثل الربيع العربي والعزوف عن المجلات الورقية.

فيما استعرض الإعلامي عدنان فرزات سكرتير تحرير المجلة مسيرتها قائلا: بين الحين والآخر أتسلل إلى الصفحات الأولى لمجلة البيان بدءا من عام ١٩٦٦م.. هي مسافة شاسعة مكتظة بأرواح المؤسسين الأوائل، ومفعمة بخبرة الذين مازالوا بيننا يعلموننا كيف يمكن للكلمة أن تكون بوصلة العقول.

وردا على عدم تغيير شكل المجلة قال فرزات إن المجلة لها ثوابت حافظت عليها منذ العدد الأول مثل أنها مجلة عربية في كتابها معددا التحديات التي واجهت إصدارها وطباعتها.

وشارك شعراء عرب في أمسيتين شعريتين: الأولى أدارتها الأديبة أمل عبدالله، وشارك فيها الشعراء: العمانية سعيدة خاطر الفارسي والبحريني إبراهيم بوهندي والفلسطيني سمير عطية والكويتيان الدكتور خالد الشايجي ووليد القلاف.

وألقى الشاعر البحريني إبراهيم بوهندي «غزل الطريدة»، بينما أنشد الفلسطيني سمير عطية قصيدة تغزل فيها بالكويت، قائلا:

وإذا سألت عن الكويت فإنها
شطر الفؤاد وأحرف الميلاد

وألقت الشاعرة العمانية قصيدة «كثير من الحب». وشدا الشاعر الكويتي وليد القلاف بعدد من القصائد خصوصا قصيدة تحدث فيها عن مجلة «البيان». واختتمت الأمسية بالشاعر خالد الشايجي.

وشارك في الأمسية الثانية الشعراء مراد رزق الله من فلسطين، وعبدالله الفيلكاوي من الكويت، وفواز الشروقي من الكويت، وسمير درويش من مصر وعمر قدورة من السودان، وأدار الأمسية الشاعر الكويتي خلف الخطيمي.

التحريـــــر

«الوعي الإسلامي» تشارك في احتفالية «الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية»

شاركت مجلة «الوعي الإسلامي» في احتفالية الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية، التي نظمها التوجيه الفني للتربية الإسلامية في وزارة التربية بفندق الجميرا برعاية سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد خلال المدة من ٢١ حتى ٢٣ نوفمبر الماضي بحضور جماهيري واسع.

وقال رئيس تحرير «الوعي الإسلامي» د. صالح النهام: «إن مشاركة المجلة تأتي ضمن دورها الرائد في إثراء الحياة الثقافية محليا ودوليا خلال نصف قرن من البذل والعطاء».

وأكد النهام أن وزارة الأوقاف لعبت دورا أساسيا في إبراز دور دولة الكويت الداعم للثقافة الإسلامية ونشر الوسطية والاعتدال من خلال جميع إداراتها ومشاريعها.

وأوضح أن جناح المجلة في الاحتفالية عرض إصدارات «الوعي الإسلامي» و«براعم الإيمان»، وقد لاقت إقبالا جماهيريا واسعا من الصغار والكبار.

وفي نهاية الحفل كرمت اللجنة المنظمة مجلة «الوعي الإسلامي» لدورها في إنجاح المعرض المصاحب للاحتفالية ولمساهمتها في تنمية دور الكويت الثقافي.

وكانت الاحتفالية اشتملت على العديد من الفعاليات التي أبرزت دور الكويت ودعمها للثقافة الإسلامية في شتى مجالاتها، وأيضا إبراز أنشطة وفعاليات التوجيه الفني للتربية الإسلامية بوزارة التربية، وبيان أثره في بناء الهوية الإسلامية، الذي عرض من خلاله الكثير من الأنشطة والفعاليات التي أوضحت دور المبدعين الكويتيين في مجال الثقافة الإسلامية من خلال خدمتها للعلوم والمعارف والفنون الإسلامية، مما كان سببا في اختيار الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية.

وكان البرنامج الختامي حافلا بالأنشطة، حيث تحدث فيصل علوش العتيبي عن تجربة «كن داعيا في المونديال»، كما قدم ماجد

الزعابي، وهو ضمن فريق جمعية العون المباشر، تجربة شبابية في توظيف التصوير الفوتوغرافي في الدعوة للإسلام.
وقد شارك في الاحتفالية أكثر من ٥٥ جهة رسمية وتطوعية وهيئات إدارية وجمعيات نفع عام، وأيضا شباب متطوع في العمل الخيري.
وشهدت توافد آلاف الزائرين، سواء من الطلاب والطالبات أو ممن يدرس في القطاعين العام والخاص، كذلك جذبت نظر الكثير من الأسر والعائلات التي تسابقت لزيارة الاحتفالية على الرغم من وجود فعاليات وأحداث كثيرة تعيشها الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية في معرض الكتاب.
وأبرزت هذه الاحتفالية دور الكويت المشرق، وأظهرت معدنا أصيلا وحبا لدينه ونصرة أمته، والدليل على ذلك كثرة الجهات، سواء حكومية أو أهلية على مستوى المؤسسات والجمعيات، وعلى مستوى الأفراد بجميع مشاربهم.

أهم المؤسسات المشاركة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بيت الزكاة، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، جمعية الهلال الأحمر، جمعية إحياء التراث الإسلامي، جمعية الإصلاح الاجتماعي، جمعية العون المباشر، جمعية النجاة الخيرية، لجنة التعريف بالإسلام، اللجان والمبرات والمشاريع الخيرية، وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، جمعية المنابر القرآنية، مدرسة الرؤية ثنائية اللغة، مدرسة الرسالة، البنوك الإسلامية، الشركات الإسلامية، مركز الطب الإسلامي، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، اللجنة الاستشارية العليا لتطبيق الشريعة الإسلامية، مركز الوثائق والمخطوطات، مركز الكويت للعمل التطوعي، مكافحة المخدرات، مبرة المتميزين لخدمة القرآن، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مبرة الآل والأصحاب، وعلى رأسها وزارة التربية والتعليم العام والخاص والتعليم الديني.

د. آندي حجازي
أكاديمية أردنية

النمور الآسيوية.. وتقدم الأمم

قد يتساءل المرء كيف تتقدم الأمم ويسبق بعضها بعضا؟ أو لماذا تقدمت بعض الدول وتأخرت أخرى؟ وأنا أرى أن تقدم الأمم والشعوب ورقيها لا يتم إلا بعاملين اثنين وهما: إخلاص أبنائها، والعلم.

وقد يقول قائل إن هذين العاملين لا يكفيان للتقدم فأين دور الجد والاجتهاد؟ والنية الصالحة للعمل؟ والتضحية والتفاني؟ والتوافق وعدم التناحر والشقاق؟ ونبذ الخيانة، وحب الوطن؟ وكيف بتقديم مصلحة الوطن على المصلحة الشخصية؟ وإخلاص المسؤول وتفاني الموظف؟ وأين دور الخطط التنموية والإصلاحية والملايين والمليارت؟.. فإنني أقول إن كل هذا يندرج تحت مسمى واحد وهو الإخلاص.

العامل الأول للتقدم هو الإخلاص

فإن كنت مخلصا لوطنك فإنك تحبه وتتفانى لأجله وتخلص وتجتهد وتبدع وتبذل الغالي والنفيس وتوظف كل طاقاتك وإمكاناتك وتهيّئ السبل وتنفذ الخطط من أجل رفعة شأن وطنك.. وهذا قد ينبع من الإيمان العقائدي وقد لا ينبع منه، فإن نبع من أصل الإيمان والعقيدة فإنه حتما سيكون أقوى وأفضل، فمثلا عقيدتنا الإسلامية دعت إلى الإخلاص في العمل والجد والاجتهاد ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)، وقال ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» (رواه الطبراني).

ولكن الواقع اليوم أن الكثير من الدول غير المسلمة قد ارتقت وأصبحت في مصافي الدول

المتقدمة وتراجعنا نحن العرب المسلمين مع الأسف، لأننا لم نفهم تعاليم ديننا بشكل صحيح ولم نطبقه في واقع حياتنا كما يجب وكما كنا سابقا، ففقدنا عنصر الإخلاص وحب الوطن الحقيقي!

وقد يقول قائل إن هذا التراجع في دولنا العربية سببه الفقر والحاجة والعالة، وضيق ذات اليد للأفراد وضعف الميزانيات للدول وقلة الخطط الإصلاحية، وأنا أقول إن الإخلاص لدى الأفراد والحكومات هو العامل الأساسي، وأن الموارد المالية لا تنقص بلادنا، ولكن كيفية توظيفها واستغلالها لصالح رقي الأمة هو العامل المهم والذي ينبع من الإخلاص، فحينما تخلص فإنك توجه كل طاقات وقدرات ومقدرات بلدك من أجل فائدة أمتك ووطنك، وحينما نفقد الإخلاص فإن قدراتنا تذهب نحو أهدافنا الشخصية، وذلك على مستوى الأفراد والجماعات والمسؤولين.

ومن هنا تتجلى الصورة كيف سبقتنا تلك الأمم بحبها لوطنها وإخلاصها وتفانيها لأجل رفعته، وتغليب مصلحته على مصالحها الفردية، ما أدى لنتائج محمودة لديهم فأصبحت أوطانهم قوية منيعة منتجة مرتبة تتطلع إليها الأمم لتنهل منها وتحذو حذوها، أعطوا أوطانهم فأعطتهم. فحب الوطن لا يحتاج إلى دين أو عقيدة معينة بل يحتاج إلى إخلاص وتفان.

العامل الثاني للتقدم هو العلم

المنطق يقول لا يمكن لأي أمة في العالم أن تتقدم بدون قواعد راسخة في العلم وبدون ثبوت أقدامها على أرض صلبة من العلوم، ففاقد الشيء لا يعطيه، فإن كانت الأمة قوية في علومها وأبحاثها العلمية والطبية والاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية.. فإنها حتما ستنمو وتسبق الأمم وترسو سفنها في المقدمة، وهذا ما فهمه المسلمون الأوائل الذين أبدعوا في العالم، فلم يمنعهم الدين من ممارسة العلوم التطبيقية وتطبيقها وتجريبها على أرض الواقع، بل العكس فإن الإسلام يحث على العلم والتعلم والتجريب والاكتشاف من أجل حل المشكلات الحياتية والمجتمعية والعالمية والفردية، ويحث على العلم لأجل إعمار الأرض وإصلاحها واستثمارها والنهوض بها واستغلال مكنوناتها، ونحن أمة اقرأ، فأول كلمة نزلت في ديننا تحثنا على القراءة والتعلم والتفكر، فبالعلم نقضي على الأمية والجهل والتخلف والتي هي أهم أسباب تراجع الأمم عن غيرها.

ومن فضل الله تعالى علينا أنه وفي هذا الزمن أصبح العلم متاحا للشعوب في المدارس والمعاهد والجامعات والمساجد وعبر وسائل الإعلام وشبكة الإنترنت.. فيمكنك الوصول للمعلومات بسهولة ويسر وبالتالي الاستفادة منها والبناء عليها وتوظيفها وتطويرها من أجل نهضة الأمه، ولكن علينا الاستفادة من تلك الميزة، وعدم الخضوع للتكاسل وعوامل اليأس والإحباط!

العرب والمسلمون وتقدم الأمم

عندما فهم المسلمون الدين بشكل صحيح وأخلصوا واجتهدوا في العلم فإنهم أبدعوا وأنتجوا في ركب العلم والحضارة والتقدم، فكل العالم يعرف ما قدمه العلماء العظماء المسلمون الذين عاشوا في العصور المختلفة، وضمن مساحة جغرافية امتدت من الأندلس غربا إلى تخوم الصين وروسيا شرقا، وكان الكثير منهم من العرب، وكان منهم الفرس والأتراك والهنود... كالخوارزمي الذي يعد الأب لجميع العلوم والتكنولوجيا على مر العصور، وكابن سينا والرازي الذين درست كتبهم في أوروبا ومازالت تدرس، فالكثير من العلماء المسلمين كان لهم الفضل في تقدم العلوم والتكنولوجيا..

وننتقل لعصرنا الحالي، لنرى بعض نماذج من انتقال بعض الدول من الحضيض إلى التقدم الهائل والسريع.

وقد ظهر مصطلح النمور الآسيوية قبل ثلاثين عاما للإشارة للنمو الاقتصادي الكبير الذي تشهده «سنغافورة، وتايوان، وهونج كونج، وكوريا الجنوبية»، كالنمور التي تقفز قفزات سريعة في فترات وجيزة، فمن أمم فقيرة محطمة (نتيجة الحروب العالمية والتفرق) في الخمسينيات والستينيات إلى قفزات صناعية واقتصادية مذهلة وصلت إلى ١٠٪ في العام. فكوريا الجنوبية مثلا نهضت من أمة منهارة (قتلت الحرب الأهلية فيها أربعة ملايين مواطن) إلى دولة صناعية رائدة تملك اليوم تاسع أكبر اقتصاد في العالم، وصادراتها الإلكترونية والتكنولوجية تكتسح العالم اليوم.. أما تايوان فلم تكن أكثر من جزيرة صغيرة للصيادين حققت قفزات اقتصادية مدهشة رفعت دخل المواطن إلى ١٣ ألف دولار، ووضعتها في المركز الـ ٢٣ ضمن أكبر اقتصاديات العالم،

وكذلك هونج كونج قبل انضمامها للصين عام ١٩٩٧م، وسنغافورة بعد استقلالها، وأعرض هنا لنموذجين من تلك الدول حيث لا يتسع المقام لأكثر:

تايوان

هي جزيرة صغيرة جنوب الصين في المحيط الهادئ ويفصلها عن الصين مضيق فورموزا والمسافة بينها وبين الصين ١٤٠ كيلومترا، وتعرف اليوم رسميا باسم «جمهورية الصين» وباسم «تايبيه الصينية» في منظمة التجارة العالمية، وكانت تايوان قبل عام ١٩٤٩م جزءا لا يتجزأ من دولة الصين الكبرى (جمهورية الصين الشعبية)، وقد عانت فيما مضى من الاحتلال الياباني ومن الحروب الأهلية ومن سيطرة إمبراطورية الصين عليها، ثم بعد استقلالها عن الصين الكبرى أصبحت تعرف بجمهورية الصين أو «تايوان» وأصبحت جمهورية ديموقراطية (بدل الشيوعية) يحكمها نظام نصف رئاسي وقانون انتخابي، فأصدروا قرارات بإعادة هيكلة الأجهزة المختلفة للدولة وقرارات الإصلاح الزراعي والصناعي وتحديد الملكية الفردية للأراضي، فشهدت ازدهارا صناعيا ونموا اقتصاديا وتحولا قويا نحو الديموقراطية منذ ذلك الحين. وباتت جمهورية الصين (تايوان) واحدة من النمور الآسيوية الأربعة؛ حيث احتل اقتصادها المركز الثالث والعشرين على مستوى العالم؛ إذ تلعب الصناعة والتصدير والصناعات التكنولوجية بها دورا محوريا في اقتصاد العالم. وتحتل جمهورية الصين مراكز متقدمة للغاية في أمور أخرى مثل حرية الصحافة، وجودة القطاع الصحي، وجودة التعليم الحكومي، والاقتصاد الحر.

وخلال الفترة بين عامي ١٩٦٠م و١٩٧٠م شهدت جمهورية الصين (تايوان) ازدهارا واسعا فتحولت إلى دولة منتجة للتكنولوجيا (بالرغم من أن نظام حكمها نظام أحادي الحزب)؛ وفي هذه الفترة حققت جمهورية الصين طفرة اقتصادية هائلة عرفت تاريخيا فيما بعد باسم «المعجزة التايوانية»، وأصبحت جمهورية الصين واحدة من النمور الآسيوية الأربعة نتيجة سياسات الحكومة وإخلاص أبنائها وتفانيهم في العمل وجدهم واجتهادهم.

وفي أبريل من عام ١٩٩٣م تم توقيع اتفاقية للتعاون الاقتصادي مع جمهورية الصين الشعبية، وشهد التبادل الاقتصادي بين جمهورية الصين وجمهورية الصين الشعبية ازدهارا كبيرا، فمثلا شهد عام ٢٠٠٥م استثمارات تايوانية بالصين بحوالي ٥٠ مليار دولار! وقد شهدت تايوان في الفترة الممتدة بين عامي ٢٠٠٢م و٢٠٠٦م ارتفاعا في نسبة النمو الاقتصادي قدر بحوالي ٤٪، مع انخفاض في معدلات البطالة لنسبة تقل عن ٤٪ من إجمالي القوى العاملة في البلاد.

وقد وصلت نسبة المتعلمين في

تايوان عام ٢٠٠٣م إلى ٩٦,١٪ من إجمالي عدد السكان. كما ويشير مؤشر «جودة الحياة ذا إيكونومست» عام ٢٠٠٥م إلى ترتيب تايوان رقم (٢١) من ضمن ١١١ دولة. وتحتل تايوان على مؤشر «الحكومة الإلكترونية العالمية» وفق تصنيف جامعة براون عام ٢٠٠٦م المركز الثاني من ١٩٨ دولة، ويشير مؤشر «القدرة التنافسية لصناعة تكنولوجيا المعلومات» وفق وحدة الاستخبارات الاقتصادية ٢٠٠٨م إلى احتلالها المركز الثاني من ضمن ٦٦ مركزا. ويشير مؤشر «التصنيف العالمي لبيئة الأعمال» وفق وحدة الاستخبارات الاقتصادية ٢٠٠٨م إلى المرتبة الثامنة عشرة لتايوان من أصل ٨٨ دولة.

سنغافورة

أحد النمور الآسيوية الأربعة وهي نموذج للتطور الأممي السريع، وهي جمهورية تقع على جزيرة في جنوب شرقي آسيا، يفصلها عن ماليزيا مضيق جوهور وعن جزر إندونيسيا مضيق سنغافورة. وخضعت للاستعمار البريطاني إبان سيطرته على شبه جزيرة الملايو، وتحولت إلى قاعدة مهمة للأسطول البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية، ثم حصلت على استقلالها مع الملايو سنة ١٩٥٧م، واتحدت مع ماليزيا عام ١٩٥٩م، ثم انفصلت عنها عام ١٩٦٥م، وعرفت بعد الانفصال بجمهورية سنغافورة.

معظم سكان سنغافورة من المهاجرين الذين قدموا من الصين، وماليزيا، وإندونيسيا، والهند في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ويمثل الصينيون أكثر من ٧٥٪ من السكان، أما الماليزيون فيمثلون حوالي ١٥٪، والهنود ٧٪. ورغم تلك الويلات والتغيرات السياسية والهجرات والاختلاف الثقافي فيها إلا أن سنغافورة ازدهرت سريعا وأصبحت تحتل رابع أهم مركز مالي في العالم، وتلعب دورا مهما في الاقتصاد العالمي. وقد استطاعت سنغافورة بعد انكماش في الربع الرابع لعام ٢٠٠٩م والذي وصل إلى ٦,٨٪ تحسين اقتصادها في النصف الأول من ٢٠١٠م لتصبح أسرع دولة في إنعاش اقتصادها بنمو وصل إلى ١٧,٩٪.

ويعتمد اقتصاد سنغافورة على التجارة الدولية، وبالرغم من محدودية مواردها، إلا أن صناعاتها الرئيسية تشمل الإلكترونيات والخدمات المالية، ومعدات حفر آبار النفط، وتكرير النفط، وتصنيع الأدوية والمواد الغذائية المصنعة والمشروبات، ومنتجات المطاط وجوز الهند، وإصلاح السفن. وفي السنوات الأخيرة، تحركت الحكومة للحد من الاعتماد على تصنيع وتصدير الإلكترونيات من خلال تطوير قطاع الخدمات وقطاع الصناعات التقنية الحيوية والكيميائية والبتروكيميائية. ودفعت الحكومة باتجاه الانفتاح الاقتصادي والتجارة الحرة والأسواق الحرة.

ويعد مرفأ سنغافورة خامس مرفأ في العالم من ناحية النشاط. وتجلب السياحة ٧ ملايين سائح في السنة، أغلبهم يأتي بالطائرة؛ فمطار شانغي بسنغافورة واحد من أكثر المطارات ازدحاما في العالم. وقد حصلت سنغافورة على الدرجة الأولى في آسيا والمرتبة الحادية عشرة على مستوى العالم في مؤشر جودة الحياة التي تنشره «وحدة الاستخبارات الاقتصادية» في مجلة «الإيكونيميست». واحتل الجواز السنغافوري المركز السادس على مستوى العالم، حيث يمكن حامله دخول ١٦٧ دولة من دون فيزا مسبقة. ولديها جيش وطني مجهز بشكل جيد ويعتمد على أحدث الأسلحة، وهو الأكثر تقدما من الناحية التكنولوجية في منطقة شرق آسيا.

وفي مواجهة الاحترار العالمي، تم تطوير واحد من أفضل أنظمة النقل المتكاملة في العالم مع استعمال مكثف للحافلات والقطارات العمومية وتتضمن أيضا النقل من وإلى البلدان المجاورة. كما أطلقت برامج تشجير في وسط جزيرة سنغافورة باتجاه الشمال الغربي.

والتعليم ارتقى بها وأصبح يتطلع إليه، فجامعة سنغافورة الوطنية وجامعة نانيانغ التكنولوجية هي من بين أفضل ١٠٠ جامعة في العالم، وحقق الطلاب السنغافوريون الخمسة الأوائل في العالم من حيث العلوم والرياضيات والقراءة في برنامج عام ٢٠٠٩م لتقييم الطلاب الدولي الذي أجرته منظمة التعاون والتنمية.

ونأمل من شعوبنا العربية أخذ العبرة من تلك الشعوب التي لم تنتظر من يأخذ بيدها وينهض بها، بل نهضت بنفسها وبهمة أبنائها وجدهم واجتهادهم في التحصيل والعمل والانكباب على مصلحة الوطن، فباتت قوية تتحكم باقتصاد العالم وذات جذب سياحي وتصنف في مصاف الدول المتقدمة.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والحضارة

استهلاك خطر!

لم تخل أمة متقدمة من مفكرين وفلاسفة واقتصاديين وسياسيين.. وغيرهم من مجالات عدة، خصصوا جزءا من أبحاثهم ورسائلهم للحديث عن سبل تقدم مجتمعاتهم وآليات الحفاظ على هذا التقدم، ولاشك أن أخطر المشكلات العالمية التي وقف عليها هؤلاء، التي تواجه المجتمعات النامية في آسيا وأفريقيا، والعالم العربي والإسلامي في القلب منها؛ يتمثل في جنون الاستهلاك؛ ذلك أن الغلو في الاستهلاك يرسخ من ثقافة التبعية والاتكالية، والإيمان بقيم العولمة التي قد تحول بعضها دون الاستقلالية والذاتية والنهوض من كبوة التخلف الحضاري.

إن التسلع مصطلح يشير إلى أن السلعة وعملية تبادل السلع، تصبح هي النموذج الكامن في رؤية الإنسان للكون، ولذاته، ولعلاقاته مع الآخر والمجتمع. وإذا كانت السلعة مركز السوق والمحور الذي يدور حوله، فإن التسلع يعني تحول العالم إلى حالة السوق، أي سيادة منطق الأشياء (١).

وفي المجتمعات الاستهلاكية تصبح السلع ذات قيمة محورية في حياة الإنسان تتجاوز قيمتها الاقتصادية وغرضها الاستعمالي، فكأن السلعة أصبحت ذات قيمة كامنة فيها، لها حياتها الخاصة ومسارها الخاص، متجاوزة الإنسان واحتياجاته.

وطبقا لعدد من الدراسات والإحصائيات الاقتصادية الموثقة فإن الدول العربية تعتمد منذ حقبة الثمانينيات والتسعينيات على عدد محدود من الدول المتقدمة في تأمين حوالي نصف قوتها اليومي من الحبوب، كالقمح والذرة، وأكثر من ذلك في السكر والزيوت، وحوالي ربع استهلاكها من اللحوم، وترتب على ذلك استنزاف حصيلة الدول العربية من النقد الأجنبي في الغذاء بدلا من السلع الرأسمالية اللازمة للتنمية الاقتصادية، الأمر الذي جعل عددا من الدول العربية غير النفطية تضطر إلى الاقتراض الخارجي لسد العجز الحاصل لديها من هذه الفجوة، وهو ما يرسخ من التبعية (٢).

والأخطر من ذلك أن ثقافة الاستهلاك المحموم في العالم العربي والإسلامي تعدت مسألة الضروريات الحياتية إلى الكماليات والرفاهيات، وصارت هذه الكماليات ضرورة عند المستهلكين بمرور الوقت، بحيث أضحى «الجديد» و«الأحدث» غاية لابد من تحقيقها لدى المستهلك، وصرنا نرى ظاهرة «الطوابير» لشراء الأحدث في سوق التلفونات الذكية والسيارات الحديثة ووسائل التجميل وغيرها من السلع غير الضرورية.

إن الاستهلاك الترفي يعتبر استنزافا للموارد ولدخول الأفراد؛ إذ هو إنفاق من دون عائد، ويعتبر من جهة ثانية استهلاكا غير ضروري، ويدخل في إطار إهدار الثروة. ومن نتائج التحقيق أن هذه الظاهرة بدأت في الانتقال إلى ذوي الدخل المحدود غير المدركين لحجم مخاطر هذا الاستهلاك (٣).

إن نتيجة الحياة الطبيعية واليومية التي يعيشها المستهلك الآن تهدد بتحطيم كل شيء حولنا. ويذكر باحث معاصر في مسألة الحداثة والاستهلاك أنه قضى معظم السنوات العشر الماضية يكتب عن الاحتباس الحراري «وهو ليس أكثر من إجمالي ولعنا الزائد بالراحة والرفاهية ونتيجة الطاقة الشمسية المتحولة إلى الكثير من وحدات القوى الكهربائية الإضافية لكل متر مربع من سطح الأرض، إنها الرغبة البشرية في استهلاك الطاقة من أجل العيش في رفاهية، ونجد مردود هذا في علم الطبيعة الخاص بالأرض وإذا لم نتمكن من التحكم في هذه الرغبة يصبح علم الطبيعة مستحيلا» (٤)، فالشره الاستهلاكي بات خطرا على الطبيعة ذاتها!

الترشيد في التصور الإسلامي

لأجل ذلك حض الإسلام على قيم الوسطية، ومنها الترشيد، وهو السعي للوصول إلى الرشد (بضم الراء) وهو الرشاد، وهو كما يذكر ابن منظور نقيض الغي، ويطلق على من يصيب وجه الأمر والطريق، ويقال للولد إذا عقل وبلغ: راشد (٥)، ويفهم من هذا أن ترشيد الاستهلاك يعني الاستخدام الأمثل للمال وسد الحاجات والتوازن والاعتدال والتعقل في الإنفاق والاستقامة في تحقيق مصلحة الإنسان وعدم البغي أو الشطط في البذل، والاستقامة على الحق، والهداية إلى طريق الرشد والخير والصلاح (٦).

والمواقف النبوية التي تحذر من الإسراف والتبذير متعددة ولافتة ولو كانت في صلب العبادات، لعل أبرزها ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ مر

بسعد وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟!». قال: أفي الوضوء سرف؟! قال: «نعم، وإن كنت على نهر جار» (٧).

إن أزمة الشراهة الاستهلاكية المتفاقمة في العالم العربي والإسلامي، والتي ترسخ من التبعية الاقتصادية والثقافية، وتعرقل سبل التقدم والنهضة، بحاجة إلى حلول عاجلة، ولعل أبرز هذه الحلول التي يمكن أن تقدم للطرح المجتمعي في ضوء التصور الإسلامي يتمثل في:

أولا - نبذ الأنانية، وشيوع التكافل، والإحساس بالآخرين والتعايش مع المجتمع؛ ذلك أن الأنانية واستئثار الفرد بما فضله الله به يعد جحودا لنعمة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (النحل:٧١).

وذلك لأن الإسلام يريد إقامة مجتمع متكافل يقوم على التعاون والتآزر بعيدا عن الشح والأنانية، وذلك ما نراه في توجيهات النبي ﷺ وأوامره، حيث قال: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه» (٨).

فالتوسع في الاستهلاك الرفاهي يذهب الإحساس بحاجة الآخرين ومعاناتهم، ويهدر الثروات لشركات عالمية وأجنبية لا سبيل من ورائها إلا الربح على حساب القيمة، وتخلف الآخر، فالإيغال في الاستهلاك لا يؤدي إلا إلى تجاهل المسلم الفقير ومعاناته في أصقاع العالم، ونسيان الواجبات، وموت مشاعر التضحية والاهتمام بحقوق الأخوة، لأجل ذلك كان عمر رضي الله عنه يدعو إلى الخشن من الطعام.

ثانيا - مراعاة مقاصد التشريع وتنمية الموارد الذاتية، فالشريعة الإسلامية تنمي الحس المسؤول إزاء الموارد، وتكرس الجهود لتنميتها، وتحاصر كل عارض يعطل وظيفتها، لكي تؤدي تلك الموارد دورها من دون الحاجة إلى الترف المجافي للوسطية، والأمثلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة، فمنها نهي النبي ﷺ عن الوقوف على الدابة دون إرب أو غاية، فلكل سلعة استعمال يليق بطبيعتها، فإن انحرفت عن وظيفتها أصابها الخلل، فيجب توفير طاقة الدابة لما خلقت لأجله، وبذلك تتوافر الطاقة الكامنة فيها؛ لتستخدم في السير وقطع الطرق في المسافات البعيدة، واستخدامها أماكن للوقوف على ظهرها والمكوث زمنا طويلا وهي واقفة تعد على وظيفتها الأصلية. وهذا المعنى يشمل كل طاقة إنتاجية أو ثروة وطنية أو مصلحة فردية أو جماعية لكي يراعى فيها أساس الخلقة وما جبلت عليه من المنافع التي تؤديها وفق الضوابط التي تحكم العملية الاستهلاكية وتراعي مصلحة الآخرين (٩).

الهوامش

١- عبدالوهاب المسيري: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، الطبعة الأولى - القاهرة، ٢٠٠٢م، ١/ ١٤٠.

٢- عمر بن فيحان المرزوقي: التبعية الاقتصادية في الدول العربية وعلاجها في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة الرشد ناشرون، الطبعة الأولى - الرياض، ٢٠٠٦م، ص٤٩.

٣- زين بن محمد الرماني: الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي، منشورات رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٤٨، ص٢٠ و٢١.

٤- بيل ماك كيبنه: استهلاك الطبيعة، ضمن كتاب ثقافة الاستهلاك، الاستهلاك والحضارة والسعي وراء السعادة، تحرير روجر روزنبلات، ترجمة ليلى عبدالرازق، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ٢٠١١م، ص١١٢.

٥- لسان العرب، مادة رشد، دار صادر، الطبعة الأولى - بيروت، د. ت، ٣/ ١٧٥.

٦- كامل صكر القيسي: ترشيد الاستهلاك في الإسلام، منشورات دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، إدارة البحوث، الطبعة الأولى - دبي، ٢٠٠٨م، ص١٧ و١٨.

٧- مسند الإمام أحمد، ح (٧٠٦٥)، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط محقق المسند: إسناده ضعيف.

٨- مسند أبي يعلى (ح ٢٦٦٩)، والسنن الكبرى للبيهقي (ح ١٩٤٥٢).

٩- كامل صكر القيسي: ترشيد الاستهلاك في الإسلام، ص٦٥- ٦٧.

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

أخلاق النهضة.. ونهضة الأخلاق

يتطلع الإنسان المحب لدينه ووطنه إلى أمة في مقدمة العالم من ناحية الحضارة والعمران؛ كلمتها مسموعة ورايتها مرفوعة عزيزة وحكمها نافذ بين الأمم. وتزداد النفس تطلعا إلى هذه الغاية الشريفة عندما ترى ما عند الآخرين من رقي في النظم والعلم، ورخاء في الاقتصاد، ووضوح في الغايات وطرق الوصول إليها.

ومن الأمم من تملك الحزم والعزم؛ فتسير بقوتها نحو كل ما يجعلها في مقدمة الأمم، ومن الأمم من تتمنى وتتمنى وتصبح على مثل ما باتت عليه أو أسوأ، فالعالم يتحرك ولا مجال فيه للسكون والساكنين.

ولا سبيل لنا ببلوغ هذه الأمنية إلا باتباع منظومة أخلاقية تقوم أول ما تقوم على الإنسان.

الإنسان أولا فهو المحور الأول للتنمية، وهو الكائن الذي سخر الله له ما في السموات وما في الأرض، وبذلك استطاع أن يستخرج كنوز البر والبحر، واستطاع أن يستفيد من طاقة الشمس والرياح، بل استطاع أن يستخرج الطاقة الهائلة من النواة، كل ما تراه من منجزات الحضارة هو من تمكين الله للإنسان؛ الآلة صنعها الإنسان، ويشغلها الإنسان، وإذا تعطلت قام الإنسان بإصلاحها، وإذا عجزت عن مواكبة الحاجات البشرية قام الإنسان بتطويرها لتلبي الحاجات المتجددة لبني آدم. وقد فهم الصحابة -رضوان الله عليهم- أن الإنسان هو المحور الأول لكل تنمية ونهضة، «عن عمر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه: تمنوا. فقال بعضهم: أتمنى لو أن هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه في سبيل الله وأتصدق. وقال رجل: أتمنى لو أنها مملوءة زبرجدا وجوهرا فأنفقه في سبيل

الله وأتصدق. ثم قال عمر: تمنوا. فقالوا: ما ندري يا أمير المؤمنين. فقال عمر: أتمنى لو أنها مملوءة رجالا مثل أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان» (١).

وكم من أمة خرجت من حروب مدمرة أهلكت الحرث والنسل، وكانت أراضيها خالية من الموارد الطبيعية -التي هي عماد أي نهضة- لكن بقي فيها الإنسان الذي رأى النهضة سبيلا للحياة، ورأى أن العقبات يمكن أن تتحول إلى مدارج يصعد عليها للعلى، وإذا بهذه الأمة بعد سنين عددا تملك زمام التكنولوجيا وينتظر العالم منتجاتها.

فإذا اتفقنا أن الإنسان هو قطب الرحى، فإنه ينبغي عليه أن يتحلى بعدة أخلاق لكي يسير على طريق النهضة.

١- الهمة العالية التي تشحذها نفس تتوق إلى السمو، وتتجنب السفاسف، وتنطلق مما رواه الطبراني مرفوعا «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها»، فالإنسان الكسول الذي يرضى بالدون ولا يعنيه إلا أن يتوافر له الحد الأدنى من الحياة، لا يمكن أن يكون عاملا حاسما في نهضة أو سببا في قيامها، وقد غذى النبي ﷺ هذا الشعور بقوله: «إن في الجنة مئة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» (٢). وتنادى الشعراء بالصعود إلى القمم ومن ذلك قول أحدهم:

إذا غامرت في شرف مروم

فلا تقنع بما دون النجوم

وطريق النهضة محفوف بالعقبات؛ فإذا استسلم الإنسان لها وخمدت جذوة نشاطه، أخلد إلى الأرض وتأخر وسبقه الآخرون، ولن يعود إلى ساحة السباق بين الأمم إلا عندما يجد من يحيي همته لتعلو أمته.

٢-التعاون ومحبة الخير للغير: خلق الله بني آدم ومنحهم من المواهب والقدرات ما يتمكنون به من الحياة، لكن لا يمكن لإنسان مهما أوتي من ذكاء وقوة أن يعمل وحيدا في سبيل النهضة من دون مساعدة الآخرين، وقد وضع النبي ﷺ أساسا للتعاون حين «بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال يسرا، ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا» (٣).

فالأمم لا تبنى إلا بالتعاون والتطاوع، فإذا أدركت الحق من أخيك فافرح لأن الله أظهر الحق، واستمسك به، أما إذا غلب الهوى والانتصار للنفس - ولو على حساب مصلحة المجموع- فكيف تتحرك مسيرة التنمية لمجتمع يتجه جزء منه في ناحية ويتجه الجزء الآخر في الاتجاه المعاكس؟ فمتى يلتقيان؟! وكان أمرهما على ما قال الشاعر:

سارت مشرقة وسرت مغربا

شتان بين مشرق ومغرب

وقد أوضح النبي ﷺ بعض مجالات التعاون التي ترتقي بها الأمم، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة» (٤).

هذه التوجيهات الكريمة التي تقيم مجتمعا متعاونا متطلعا إلى نهضة أساسها أن المؤمنين والمؤمنات كالجسد الواحد؛ فتجعل من البسمة صدقة؛ تلك البسمة التي تجلو الأحزان عن الوجه، وتزيل الهموم عن القلب، وتعيد تأهيل الإنسان لكي يسهم مع إخوانه في البناء والعمران، فإن الحزن إذا تمكن من قلب أقعده عن العمل، ونقله من الأحياء إلى الأموات أو على الأقل إلى صفوف العجزة والمقعدين، هذا التوجيه الذي يعنى بالروح قبل الجسد هو أحد التوجيهات العظيمة التي تساعد على نهضة قائمة على إنسان صالح مصلح، يعتني بهموم الآخرين ويشاركهم في إزالتها أو التخفيف منها على الأقل، ومن ثم يتحرك المجتمع بأسره نحو الرقي لا يتخلف عنه إلا شقي أو محروم.

والتوجيه الثاني يجعل من ولاية المؤمنين بعضهم على بعض وسيلة من وسائل إصلاح الأخطاء -وكل بني آدم خطاء- ومن ثم يستقيم المجتمع بتناصح أبنائه على صراط النهضة بدلا من تضييع الأعمار والجهود في طريق نهايته السراب.

وفي رحاب هذه التوجيهات الكريمة يظهر فضل إغاثة الملهوف وإعانة المحتاج، ففي كل مجتمع القوي والضعيف والصحيح

والمريض والغني والفقير، وعندما يتعاون الجميع تقل آثار العجز في المجتمع ومن ثم ينطلق في مسيرته نحو النهضة، أما عندما يُهمل أصحاب الاحتياجات الخاصة ولا يجدون من يمد لهم يد العون، فإنهم يتحولون إلى مستهلكين مع أن عندهم ما يمكن أن يسهموا به في النهضة.

٣- اختيار الكفاءات: وهو نابع من خلق العدل، ولا يمكن أن تتقدم أمة من دون أن تنظر إلى الأكفاء من أبنائها بعين الاعتبار، وتوكل إليهم ما يناسبهم من مهام، وبذلك تؤدى الأعمال على أكمل الوجوه، فها هو النبي ﷺ يضرب لنا المثل عندما ينظر إلى الصحابة - رضوان الله عليهم- يبنون مسجدهم - والمساهمة فيه شرف عظيم - فيراهم يصنعون اللبن لكنهم لا يجيدون العمل وهم أصحابه وأحبابه، فيختار لهذا العمل من يصلح له وإن كان وافدا على المدينة (٥) عن طلق بن علي قال: جئت إلى النبي ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، قال: فكأنه لم يعجبه عملهم، قال: فأخذت المسحاة (الفأس)، فخلطت بها الطين، فكأنه أعجبه أخذي المسحاة وعملي، فقال: «دعوا الحنفي والطين، فإنه أضبطكم للطين» (٦)، وعند أبي نعيم قال طلق بن علي: بنينا مع رسول الله ﷺ مسجد المدينة فقال: «قربوا اليمامي من الطين فإنه من أحسنكم له مسا وأشدكم له ساعدا» (٧)، وقد بينت هذه الرواية قدرات طلق رضي الله عنه البدنية والعقلية، فغير الكفء يهدر الموارد فيما لا فائدة فيه، ويضيع على أمته فرصا -إذا أحسن الانتفاع بها- يمكن أن تنقلها نقلة عظيمة على طريق النهضة، كما أن وجوده يسبب الإحباط لمن يرى الطريق الصحيح ويعجز عن السير فيه.

٤- وضوح الغايات والمحافظة على الأوقات: وهما ينبعان من خلق الحكمة، فالوقت رأس مال الإنسان ولا يشعر بقيمته إلا حكيم امتلأ قلبه بحب الإنجاز وكان هدفا له يسعى إليه، أما من يتلفون أوقاتهم إتلافا ويمضونها فيما لا يفيد في دين أو دنيا، فأولئك هم الخاسرون الذين يعوقون النهضات، قال عمر رضي الله عنه إني أكره الرجل أن أراه يمشي سبهللا (٨) أي: «لا في أمر

الدنيا، ولا في أمر الآخرة» (٩). عمر رضي الله عنه يكره للرجل أن يكون بلا غاية واضحة، ويدعوه أن يكون له هدف في أمر دينه أو أمر دنياه، وكل أمر يقصد به الإنسان رضا الله ونفع الإنسانية فهو عمل مشكور وصاحبه مأجور بإذن الله تعالى، وما أضيع أمة تسير بلا هدف ويفنى عمرها من دون تحقيق غاية شريفة.

وقد كان من وصايا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ما أخرجه البخاري تعليقا: «تفقهوا قبل أن تسودوا (تصيروا سادة). قال أبو عبدالله (الإمام البخاري) وبعد أن تسودوا وقد تعلم أصحاب النبي ﷺ في كبر سنهم» (١٠). عمر رضي الله عنه يأمر المسلم أن يطلب العلم قبل أن تشغله أعباء المسؤولية، يدعوه أن ينهل من كل علم فإن تبعات الإدارة ثقيلة، وقد لا يستطيع التوفيق بينها وبين ما لا يستغني عنه من علوم، وقد يدفعه الاعتداد بالنفس والاعتزاز بالمنصب أن يتكبر على طلب العلم، وكل أمة لا تقدر الوقت ولا تلتزم بالمواعيد لا يمكن أن تنجز عملا أو تخطو خطوة، بل تسوف وتسوف حتى تتراكم الأعمال وتتثاقل النفوس وتتكاسل، ومن ثم تتأخر عن ركب النهضة.

نهضة الخلق: قبل أن نتحدث عن نهضة الخلق لابد أن ندرك منزلة الأخلاق من الدين، فقد حدد النبي ﷺ الغاية من بعثته الشريفة حين قال في الحديث الذي رواه الإمام مالك في موطئه بلاغا: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق»، وفي رواية أخرى عند الإمام أحمد في مسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»، وقد ربط النبي ﷺ بين الإيمان وحسن الخلق في الحديث الذي رواه الإمام البيهقي في شعب الإيمان، عن أبي ذر قال: سألت النبي ﷺ: ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «الإيمان بالله». فقلت: يا نبي الله، مع الإيمان عمل؟ قال: «أن ترضخ مما خولك الله أو ترضخ مما رزقك الله» (١١). قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ؟ قال: «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر». قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟ قال: «فليعن الأخرق». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: «فليعن مظلوما». قلت: يا نبي الله، أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟ قال: «ما تريد أن تترك لصاحبك من خير ليمسك أذاه عن الناس». قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: «ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة» (١٢). بقي أن نقول: إن النهضة بالأخلاق ضرورية لدين الإنسان ودنياه، ولن تتم هذه النهضة الخلقية حتى يدرك المسلم منزلة الأخلاق من الدين، وأن خلقه كلما ساء نقص إيمانه بالله تعالى، لن تتم هذه النهضة إلا عندما نعلم أن الطباع قابلة لأن تتحسن، ولذلك أنزل الله الكتب وأوحى للرسل، فلا يأس مع الإصلاح ولا إصلاح مع اليأس، لن تتم هذه النهضة إلا عندما نعلم أن الناس كما يقلد بعضهم بعضا في الخبيث من الخلق والعمل، يقلد بعضهم بعضا في الطيب من الخلق والعمل، وأن الأخلاق الحسنة ينظر الناس إلى صاحبها بكل إجلال وإكبار، لن تتم هذه النهضة إلا على يد علماء ربانيين، تزودوا من العلم، وتزينوا بحسن الخلق، وجمعوا بين صحة العقيدة وسلامة القلب وموافقة القول للعمل، لن تقوم نهضتنا في أمور الدنيا إلا إذا صاحبتها نهضة في الخلق، فما قيمة حضارة تشيد وأبنية تقام ثم يأتي صاحب قلب مريض قد ساء خلقه وفسد عمله فدمر هذه المنجزات أو أفسدها؟

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

الهوامش

١ - المستدرك، (٣/٢٢٦).
٢ - صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء.
٣ - صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب.
٤ - أورده الترمذي في سننه وقال: وفي الباب عن ابن مسعود وجابر وحذيفة وعائشة وأبي هريرة. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب. وأبو زميل اسمه سماك بن الوليد الحنفي أبواب البر والصلة باب ما جاء في صنائع المعروف وأورده ابن حبان في صحيحه.
٥ - قال محققو المسند عن طلق بن علي: قال السندي: له صحبة ووفادة ورواية. مسند أحمد، ط الرسالة، ٣٩/٤٦٦.
٦ - مسند أحمد، ٣٩/٤٦٦.
٧ - معرفة الصحابة، ١/٣٥٧.
٨ - جاء يمشي سبهللا إذا جاء وذهب فارغا في غير شيء، النهاية في غريب الأثر، ٢/٨٥٠.
٩ - الآداب الشرعية، (٤/٣٠٣).
١٠ - صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة.
١١ - ينفق من أمواله في سبيل الله.
١٢ - شعب الإيمان، ٥/٣٤.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

أسباب التقدم.. رؤية شرعية

من المسلم به في أدبيات العلوم الاجتماعية، أنه لا توجد مجتمعات أو دول تتصف بأنها متقدمة أو أنها متخلفة بذاتها، ولكن كلا من التقدم والتخلف إنما هو حصيلة لجهود مجموعة من البشر، أفرادا أو جماعات، يعيشون على بقعة من بقاع الأرض استوطنوها لتكون لهم وطنا، فما يتمتعون به من صفات وما يبذلونه من جهود هو الذي يحدد مكانتهم من التقدم أو التخلف قربا أو بعدا على مدرج أحد طرفيه التقدم والآخر التخلف. وهذه الجهود، المرتجى بذلها لتحقيق التقدم، تحتاج إلى بيئة حاضنة تتوافر فيها مقومات وعوامل التقدم والتطور، تنظر وتؤطر للقوانين والقواعد الحاكمة لتطور المجتمعات وتقدمها.

التقدم والتخلف سنه كونية

ومن وجهة نظر شرعية فإن التقدم والتخلف سنة من سنن الله في كونه فاز بها من أخذ بأسبابها، ووقع في براثن التخلف من تخلف عن الأخذ بها، وقد جاء الإسلام بمجموعة من الأسباب التي كانت بمنزلة العمد والأركان الأساسية التي قامت عليها حضارته ودوله العظام، التي كانت بدايتها بالمدينة المنورة على يد رسول الله ﷺ، ومرورا بعصر الخلافة الراشدة وما تلاه من عصور إسلامية زاهرة بدأت بدولة الخلافة الأموية، وحتى دولة الخلافة العثمانية.

أسباب التقدم

الإسلام الدين الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ (آل عمران:١٩)، وما عداه من ملل كلها باطلة لا يقبلها الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥).

وإذا كان الإسلام هو الدين الحق، فأمة الإسلام هي أمة السيادة المنوط بها قيادة العالم وإخراجه من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ولن تتحقق لها السيادة إلا عندما تأخذ بأسباب التقدم والنهوض التي هي من صميم العقيدة الإسلامية، ومن أهم هذه الأسباب نذكر:

أولا - عقيدة التوحيد:

لكل مجتمع من المجتمعات أيديولوجية تحكمه وتوجهه وتضبط سلوك أفراده وجماعاته، وتحدد توجهاتهم ومعتقداتهم الفكرية، ومواقفهم تجاه العالم والمجتمع والإنسان ومشكلاته، فعلى سبيل المثال ينسب مجتمع ما إلى الأيديولوجية التي تحكمه، فيقال مجتمع اشتراكي، مجتمع رأسمالي.

فالايديولوجيا إذن هي مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمة أو حزب أو جماعة.

والأيديولوجيا كعلم فلسفي وضعي تعبر عن مصالح الجماعة الحاكمة أو التي تمتلك القوة، وهي متغيرة غير ثابتة، وتتناقض داخليا مع نفسها وتتصارع خارجيا مع غيرها من الأيديولوجيات المنافسة لها، مما يترتب عليه عدم استقرار المجتمعات وحدوث الصراع بين أفرادها وجماعاتها، واستعباد البشر للبشر.

وهنا يعن لنا سؤال عن أيديولوجية

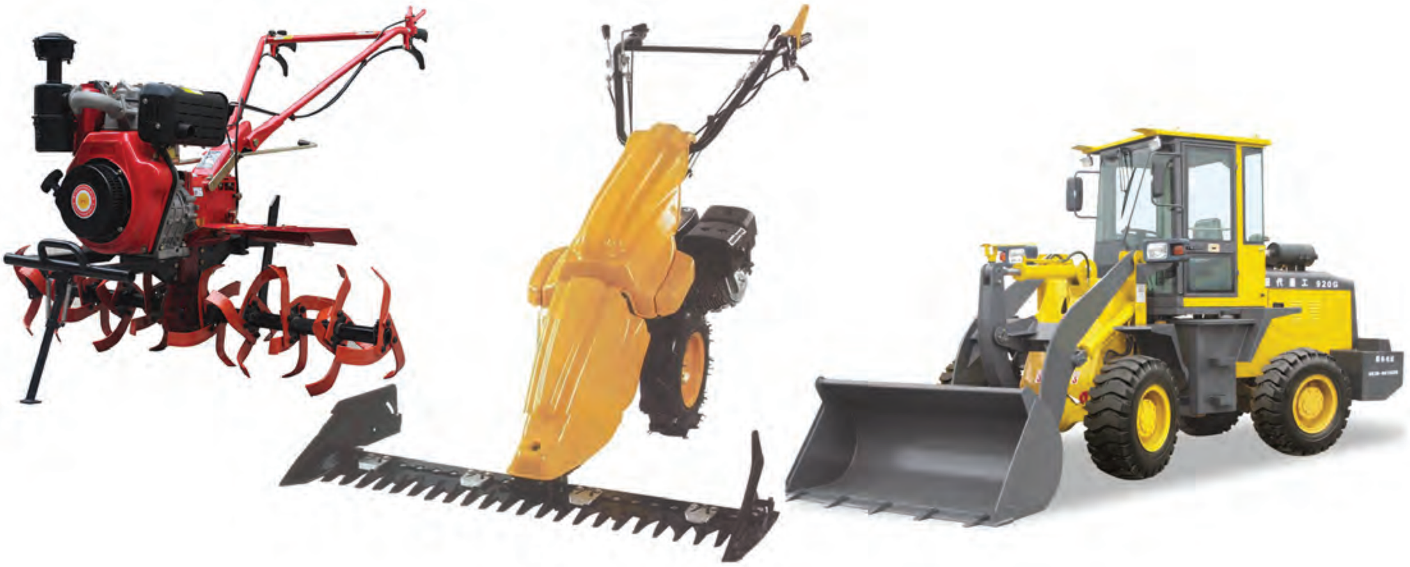

الدول والمجتمعات الإسلامية؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول إن هناك دولا ومجتمعات إسلامية اتخذت من الفلسفات الوضعية أيديولوجية حاكمة وضابطة لها، وجاءت نظمها وقوانينها معبرة عن كنه هذه الأيديولوجية.

وهذا كله مخالف لما جاء به الإسلام، الذي ارتضاه لنا ربنا سبحانه وتعالى دينا، ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فالمجتمع الإسلامي تحكمه عقيدة التوحيد الذي يعني: «إفراد الله -سبحانه- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات» (١)، ويمثل الأيديولوجية الضابطة والموجهة له في كل شؤونه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

كما تمثل عقيدة التوحيد الرابطة بين أفراده وجماعاته، فتختفي فيه كل علاقة أو تعامل محرم ينافي عقيدة التوحيد، وهذا من شأنه أن يعلي من قيمة الإنسان الذي يتحرر من كل قيد إلا قيد العبودية لله وحده، فيطلق العنان لقدراته وإبداعاته في جميع المجالات مستكشفا الكون من حوله ومستخرجا لخباياه وكنوزه التي أودعها الله إياه، وهذه هي ركيزة التقدم ودعامته الأولى، فيحقق التقدم في كل مجالات الحياة نظريا وتطبيقيا، مما يعود على الأمة بالنفع والخير، بل على البشرية جمعاء، وما زالت صفحات التاريخ تحفظ لنا ما قدمه المسلمون من منجزات علمية وحضارية في كل المجالات.

من جهة أخرى، إذا كانت الدول والمجتمعات اتخذت من الأيديولوجية التي تعتنقها شعارا لها لتعبر باختصار عن توجهاتها، فإن المسلمين الأول وعوا حقيقة التوحيد، ودوره في تحقيق تقدم الأمة ونهضتها، فاتخذوا من عبارة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» شعارا لهم في شتى مجالات حياتهم.

ثانيا - العدل:

يتبوأ العدل في الإسلام مكانة سامية، فهو من أوجب الواجبات في التشريع الإسلامي. والعدل صفة إلهية قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ (النساء:٤٠)، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾ (يونس:٤٤).

ولأهمية العدل ورفعة مكانته جعل الله إقامة العدل والحكم بين الناس بالعدل من مهام الأنبياء بعد دعوتهم إلى توحيد الله وعبادته، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ (الحديد:٢٥)

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث» (الترمذي).

وعندما يسود العدل في المجتمعات ينتشر الخير والأمن والطمأنينة في النفوس، فيتفرغ الناس للعمل البناء وبذل الجهود لرفعة ورقي أوطانهم وأمتهم، كل فيما يسره الله له، وهو في حال جده واجتهاده يعلم أنه لن يظلم وأن عمله لن ينسب إلى غيره، وثمرته لن يجنيها سواه، فيزدهر الإبداع والابتكار، ويشتد التنافس الشريف بين أبناء الأمة، لتقديم أفضل ما عندهم، لأنهم يعرفون أنه لن يظلم أحد ولو اعتدى على حقه أي من أفراد المجتمع مهما بلغ من قوة أو سلطان فإن سلطة العدل أقوى وستقتص له ممن ظلموه وتعيد إليه حقوقه.

ثالثا - التقوى:

التقوى من الأخلاق والفضائل التي حض عليها الإسلام، وقد ورد ذكرها في القرآن في مواضع كثيرة، وما شرع الصيام إلا من أجل أن يكتسب المسلم فضيلة التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣). والتقوى خلق فردي يجعل الإنسان دوما مراقبا لربه وفي خشية له، فيكون ضميره حيا؛ فيتقن عمله ولا يسمح بأي تجاوزات فيه، وهذا ينعكس خيره على المجتمع الذي يعيش فيه، فيكون سببا لرقي المجتمع وتقدمه وتنزل الخير والبركة، فتنزل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها و كنوزها قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم

﴿بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ (الأعراف:٩٦).

رابعا - الاستقرار والأمن الاجتماعي:

هما نتيجة مباشرة للعدل بين أفراد وجماعات المجتمع، فتختفي مشاعر الحقد الطبقي والصراع بين الطبقات، كما تختفي النعرات العرقية والطائفية والمذهبية، لأن الجميع تحت مظلة القانون لهم حقوق تلتزم الدولة بإعطائها لهم، وعليهم واجبات يجب أن يؤدوها، فيستقر المجتمع ويأمن من ثورات وفتن تطيح بأمنه واستقراره، وتنطلق الطاقات للبناء والعمران.

وهذا ما حققه النبي ﷺ في المدينة بعد الهجرة، فقد عمل على تأمين الجبهة الداخلية للمجتمع المدني ضد حدوث أي فتن أو اضطرابات قد تعرقل من مسيرة بناء الدولة الإسلامية الناشئة، حيث كان يعيش بالمدينة، بجوار المسلمين، كفار مازالوا على وثنيتهم، ويهود ومنافقون (وهم الفئة الأخطر)، فكتب النبي ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم (٢).

وبعد فتح مكة أيضا عمل النبي ﷺ على تأمين الجبهة الداخلية للمجتمع المكي وتقويتها، وسد الذرائع التي قد يرتكن إليها البعض لإثارة القلاقل والفتن وإحداث الاضطرابات، فكان العفو العام الشامل عن كفار مكة رغم ما اقترفوه من جرائم في حق النبي ﷺ وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، ليطوي بذلك صفحة يجب أن تمحى آثارها من الصدور بكل ما فيها من ضغائن وأحقاد وثارات، فتصفو النفوس وتتشابك الأيدي من أجل نشر الإسلام في عموم الجزيرة العربية وخارجها، ولتكتمل لحمة المجتمع بكل مكوناته حتى من بقي منهم على كفره، من أجل النهوض بالمجتمع ورفعته تحت راية الشريعة الغراء (٣).

خامسا - تشجيع المبادرات الفردية:

المبادرات الفردية من العوامل المهمة في تقدم المجتمعات وتطورها، وهي تعبر عن وعي صاحبها وتفاعله مع قضايا مجتمعه ومشكلاته، فيسارع إلى فعل شيء ما بهدف التغيير، هذا الشيء قد يكون فكرة أو عملا أو أي شيء آخر مفيد، فقد تكون المبادرة فكرة أو اختراعا أو مشروعا يساهم في تقدم المجتمع أو حلولا لمشكلات تعترض طريق تقدمه.

وقد عمل الإسلام على تنمية روح المبادرة لدى المسلمين فحثهم على الأخذ بزمامها والمسارعة إلى أبواب الخير، فجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ (البقرة:١٤٨)، ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران:١٣٣)، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ (المؤمنون:٦١).

وفي السنة المطهرة: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا» (مسلم).

وقد حوت السيرة النبوية الكثير من مواقف المبادرات الفردية التي قام بها الصحابة رضوان الله عليهم وكان لها الأثر العظيم في قيام وتقدم دولة المسلمين الأولى على عهد النبي ﷺ، نذكر منها مبادرتي عثمان بن عفان رضي الله عنه في تجهيز جيش العسرة الذاهب لقتال الروم في غزوة تبوك بالكامل، في وقت كان يعاني فيه المسلمون من أزمة اقتصادية طاحنة وشرائه لبئر رومة لمواجهة استغلال اليهودي لحاجة المسلمين للماء ولكسر احتكاره لهذه البئر.

ومنهج الإسلام في تفعيل المبادرات الفردية هو استيعاب كل الجهود وتشجيعها واستثمارها بما يخدم الأمة، وهذا ما حدث مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، الذي أخذ زمام المبادرة لقراءة القرآن في صحن الكعبة، رغم أنه كان، من وجهة نظر الصحابة الذين اقترحوا هذا الأمر، أبعد ما يكون؛ نظرا لضعفه الجسماني والعشائري، فأشفقوا عليه من بطش الكفار به المتحقق لا محالة، ولكنه أبى إلا أن يسمع الكفار ما يكرهون، وقد روت لنا كتب السير هذا الموقف: ذات يوم اجتمع أصحاب النبي ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقام عبدالله، وقال: أنا. فقالوا له: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه. قال: دعوني، فإن الله سيمنعني. ثم ذهب إلى الكعبة، وكان في وقت الضحى، فجلس ورفع صوته بالقرآن، وقرأ مسترسلا: «بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ (الرحمن:١-٢)».

فنظر إليه أهل مكة في تعجب ودهشة، فمن يجرؤ على أن يفعل ذلك في ناديهم؟ وأمام أعينهم؟! فقالوا في دهشة: ماذا يقول ابن أم عبد؟!

ثم أنصتوا جيدا إلى قوله، وقالوا في غضب: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، ثم قاموا إليه، وضربوه ضربا شديدا، وهو يستمر في قراءته حتى أجهده الضرب، وبلغ منه الأذى مبلغا عظيما، فكف عن القراءة، فتركه أهل مكة وهم لا يشكون في موته، فقام إليه أصحابه، وقد أثر الضرب في وجهه وجسده، فقالوا له: هذا الذي خشينا عليك. فقال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا (أي أفعل ذلك مرة أخرى)، قالوا: لا، لقد أسمعتهم ما يكرهون (٤).

وعلى الرغم مما للمبادرات الفردية من فضل في الدنيا والآخرة ورسوخها

في الإسلام، فإنها مازالت في عالمنا الإسلامي متخلفة عن مثيلاتها في المجتمعات الغربية، نظرا لعدم انتشار هذه الثقافة بين أفراد الأمة، ولكثرة العراقيل والقوانين المكبلة للعمل الفردي، والتي تؤدي في نهاية الأمر إلى وأده في مهده، أو في أحسن حالاته خروجه مشوها ضعيفا بلا أثر أو نفع حقيقي.

والواجب وضع أطر تنظيمية تساعد على استيعاب المبادرات الفردية، وإتاحة الفرصة لأبناء المجتمع لخدمة قضاياه وحل مشكلاته والنهوض به.

سادسا - الاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم:

شجع الإسلام المسلمين على الاستفادة من خبرات وتجارب الأمم الأخرى من غير المسلمين، فالإسلام دين منفتح على الآخر ومتواصل معه، في حدود الضوابط الشرعية، فقد تسبقنا الأمم الأخرى في الكثير من المجالات والعلوم التي يحتاج إليها المسلمون وتكون من عوامل تقدم المجتمعات المسلمة و لا غنى لها عنها، فلا حرج حينها في تعلمها والأخذ بها والاستعانة بها، لاسيما أن الحاجة ملحة لها الآن في ظل ضعف وتأخر الأمة في الكثير من المجالات.

وقد وضع لنا النبي ﷺ منهجا بين فيه مشروعية الاستفادة من تجارب وخبرات الآخرين فيما يعود بالنفع على المسلمين، ولعل المثل الأبرز في ذلك هو أخذ النبي ﷺ برأي سلمان الفارسي رضي الله عنه في حفر خندق حول المدينة لتحصينها ضد هجمات الكفار الذين تجمعوا لحصار المدينة المنورة ومهاجمتها، والخندق فكرة فارسية لم يعهدها المسلمون من قبل، نقلها إليهم سلمان الفارسي رضي الله عنه، وكانت السبب الأول، بعد تأييد الله لرسوله وعباده المؤمنين، في تحقيق النصر على الأحزاب وردهم خائبين مهزومين بعد فشلهم في عبور الخندق ومهاجمة المدينة المنورة.

وتحوي السيرة النبوية المطهرة الكثير من المواقف التي أيد فيها النبي ﷺ الاستفادة من خبرات وتجارب الأمم الأخرى (٥).

سابعا - التخصص:

التخصص من سمات الأمم المتقدمة، والإسلام دين العلم والتنظيم والتخطيط، ولا يقبل الجهل والظن وسوء التقدير، ومن ثم فهو يدعو إلى التعمق في المعرفة، وهذا لا يمكن أن يقوم به فرد في كل التخصصات وميادين الحياة، ولذلك لابد من التخصص.

وقد نصت مصادر الإسلام على أسس ودوافع التخصصات، حيث يحتوي القرآن والسنة على أصول «آيات الآفاق»، وهي ميدان التخصصات العلمية، وأصول «آيات الأنفس» وهي ميدان التخصصات الإنسانية والاجتماعية، عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قام ليلة فتوضأ، ثم صلى، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، قالت: فقال يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «ويحك يا بلال، وما يمنعني ما أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران:١٩٠)، ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها» (ابن حبان وصححه الألباني).

وفرض الإسلام التخصص في سد ثغرة من ثغور هذا الدين العلمية أو السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو العسكرية، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة:١٢٢).

وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤)، ومن خلال هذه الآيات وأمثالها ذهب العلماء إلى أن: كل تخصص من التخصصات العلمية، ومن ثم العملية، فرض كفاية، إذا قام البعض به بحيث يسدون حاجة الأمة فيه أجروا، وإن لم يقوموا به أثمت الأمة كلها حتى تفرز من بينها مجموعة تلبي حاجتها في ذلك التخصص، ويستوي في ذلك طلب العلم الشرعي، وتعليم الناس، والدعوة، والجهاد العسكري، وهي المشار إليها صراحة في الآيتين السابقتين، وكذلك الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والفلك وعلوم النفس والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والآداب والفنون والحرف المختلفة.

هذه الأعمال التي تقوم بمخ العبودية، أي عمارة الحياة، هي المشار إليها جميعا تحت عنوان: وعملوا الصالحات، والذي اقترن ذكره بالإيمان في القرآن بصيغ متعددة في أكثر من ثمانين موضعا (٦).

وهذه الأسباب وغيرها تؤكد أنه لا تقدم للأمة إلا إذا التزمت بأمر دينها وعقيدتها كمنهج حياة في كل شأنها، فكل تقدم من دون عقيدة فهو تخلف عن روح الدين وحقيقته.

الهوامش

١- محمد بن صالح العثيمين: القول المفيد على كتاب التوحيد (دار ابن الجوزي الإسكندرية)، ص٨.

٢- يرجع للنص الكامل للوثيقة في صحيحي البخاري ومسلم.

٣- غزوة فتح مكة على تفاصيلها يمكن الرجوع إليها في كتب السيرة مثل سيرة ابن هشام، الرحيق المختوم أو غيرهما.

٤- ابن هشام: السيرة النبوية، (مؤسسة علوم القرآن، جدة) الجزء الأول، ص٣١٦.

٥- للاستزادة حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى بحث بعنوان «الاستفادة من مخترعات وتجارب غير المسلمين» منشور على http://www.alukah.net/culture/0/19210/.

٦- فؤاد البنا: التفكير الموضوعي في الإسلام، (كتاب الأمة، إدارة البحوث والدراسات الإسلامية، قطر) العدد ١٣٧، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، ص١٥٥.

السنوسي محمد السنوسي
كاتب إسلامي

أفكار في النهوض والتقدم

لا أظن أن سؤالا أشد إلحاحا على واقعنا من سؤال النهوض والتقدم؛ فأمتنا منذ عقود وهي تتعثر في خطواتها، وتجاهد في الانعتاق من أسر مرحلة التراجع والتدهور الحضاري، وقد بات لزاما عليها أن تجعل هذا السؤال على رأس أولوياتها وفي مقدمة أسئلتها الملحة، وأن تحشد كل طاقاتها الذهنية والنفسية وكل إمكاناتها العملية للإجابة عنه.

وأود في البداية أن أشير إلى نقطتين مهمتين:

الأولى- أن مجرد طرح هذا السؤال، ومن ثم الانشغال بالإجابة عنه؛ يعد علامة طيبة على إدراك أهميته، وبالتالي على أننا نسير بالاتجاه الصحيح.

الثانية- أنه مهما تعددت الإجابات فإنها تظل إجابات متكاملة، ينبغي أن ننظر إليها بعين التوافق والاتفاق، لا بعين التعارض والاختلاف، صحيح أن بعض الأسباب أشد أهمية من البعض الآخر، وأن بعض العوامل أبعد تأثيرا من بقية العوامل؛ لكن الظرف التاريخي والإمكان الفعلي هما ما يحدد طريقة كل مفكر أو عالم في الإجابة عن سؤال النهوض والتقدم.

ويمكن أن نتلمس الإجابة عن سؤال النهوض والتقدم، في الإشارة إلى ما ينبغي عمله في عدة مجالات أساسية؛ هي مجالات الهوية والانتماء، والتماسك الاجتماعي، والتفاعل الحضاري الواعي.

الهوية والانتماء

لكل حضارة من الحضارات، أو أمة من الأمم، هويتها التي تصنع لها بصمتها الذاتية المميزة والمميزة في عالمنا، المتعدد الثقافات والمشارب، ولا يمكن لأي أمة أن تبدأ أو تستأنف مسيرتها وهي مشتتة الهوية والانتماء الثقافي؛ فالهوية هي ما تصنع الشخصية الفكرية، التي بدورها ترسم ملامح النهوض المادي.

ولذا، فالأمم والحضارات لا تتمايز بما تملك من إمكانات مادية، وإن كان لهذه الإمكانات دور في ذلك؛ وإنما تتمايز بهويتها وثقافتها وعمرانها النفسي والعقلي.

وقد تعرضت أمتنا منذ ما يزيد على قرنين لهجمة ثقافية؛ تزامنت مع الهجوم المادي على أرضها بالغزو والاحتلال، وأفقدتها كثيرا من عوامل هويتها المتفردة؛ فصارت هذه الهوية الجامعة الواحدة ذات الحضور العميق في وجدان وعقول الأمة على

مستوى النخب والطبقات المختلفة.. صارت مزاحمة بهويات أخرى مبتوتة الصلة بثقافة الأمة وتاريخها ومنهجها القائم على الوحي، كتابا وسنة (١).
ثم جرت في نهر الهوية مياه كثيرة، حتى صار شبابنا فريسة لكثير من الأفكار التي تأخذه بعيدا عن هويته، وأصبحنا نجد من يدعو لتقليد الغرب تقليدا أعمى؛ لا ينصب على ما يمكن اقتباسه والاستفادة منه، مما هو مشترك إنساني عام، بل يتجه لما يثير الغرائز، ويبعث على الشكوك، ويزعزع المناعة الفكرية والثقة بالمنهج الإسلامي؛ تحت دعاوى شتى، تركز على واقع المسلمين المتردي، ولا تحاول أن تلتمس النجاة في النبع الصافي المتجدد؛ الذي لا يبلى، ولا يفقد قدرته على التحدي مهما كان واقع أتباعه سوءا وترديا.
خلط البعض بين قدرة المنهج على تلبية حاجة الأمة من النهوض والتطور ومجاراة العصر، وبين واقع بئيس هو محصلة عدة قرون وعدة عوامل، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون انعكاسا أمينا لمنهج الإسلام؛ الذي ارتضاه الله لعباده جميعا حتى تقوم الساعة.
إزاء هذا الوضع المكبل لأي دعوة صادقة للنهوض والتقدم، فإن تعزيز هويتنا الإسلامية، في مختلف مجالات الحياة، وإعادة الاصطفاف والإجماع عليها؛ يبدو أمرا ضروريا في رحلة استئناف الشهود الحضاري.

التماسك الاجتماعي

لعلنا نلاحظ من مسيرة الأمم ذات الحضور المميز في تجارب النهوض، بل من مسيرة أمتنا في تجربة ميلادها الأول، أن تماسك النسيج الاجتماعي شرط أساسي للنهوض؛ فالحضارة لا تقوم على الأفراد، إنما تقوم على المجتمع؛ وكلما كان المجتمع متماسكا مترابطا كانت فرصته أكبر في إثبات الوجود والفاعلية الحضاريين.

ولننظر ما فعله النبي ﷺ حين قدم المدينة المنورة مهاجرا؛ لقد قام ﷺ بخطوات أساسية: بناء المسجد، المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين، إقامة سوق للمسلمين؛ إضافة إلى «وثيقة المدينة» التي حددت أسس التعايش بين المسلمين وغيرهم.
وهذه الخطوات تشترك في الدلالة على أهمية التماسك الاجتماعي، ودوره الحيوي في صناعة الحضارة وإحراز النهوض.
فالمسجد مكان للعبادة والإخوة، والمؤاخاة أسمى صور التلاحم المجتمعي، ولم يعرف التاريخ لها مثيلا، والسوق يصنع للمجتمع الناشئ استقلاله المادي، ويحقق أمنه الاقتصادي، الذي بدوره ينعكس على أمنه الاجتماعي.
أما «وثيقة المدينة» فهي إبداع إسلامي يمثل شاهد صدق على قدرة النموذج الإسلامي الحضاري على استيعاب مكونات عدة داخل إطاره، وضمن حدوده، بلا إقصاء أو تهميش أو ازدراء، وعلى أن المجتمع مهما تعددت روافده الدينية والعرقية والاجتماعية، ينبغي أن يكون له إطار جامع، ووحدة متماسكة.
وقد جاءت الآيات والأحاديث على تأكيد الوحدة الإسلامية؛ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقوله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين؛ فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: الحالقة التي تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين» (٢).
فكانت المؤاخاة -كما يقول الشيخ أبو الحسن الندوي- أساسا لإخاء إسلامي عالمي فريد من نوعه، ومقدمة لنهضة أمة ذات دعوة ورسالة، تنطلق لصياغة عالم جديد، قائم على عقيدة صحيحة وأهداف منقذة للعالم من الشقاء والتناحر، وكان هذا الإخاء المحدود بين المهاجرين والأنصار طليعة وشريطة لاستئناف حياة جديدة للعالم والإنسانية؛ لذلك خاطب الله هذه الثلة البشرية في مدينة صغيرة بقوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٣) (٣).
ولا شك أن تدعيم التماسك الاجتماعي يستدعي مراجعة خطط العدالة

الاجتماعية، وضمان الحقوق الأساسية لجميع أبناء المجتمع دون تمييز، بجانب العمل على نزع فتيل التباغض والتشاحن، والانتباه جيدا لأي خروقات اجتماعية قبل أن تستفحل.

كما يستدعي ضبط العلاقة بين الحاكم والمحكوم، بما يعيد للقيم الإسلامية الأساسية -الشورى والعدل والحرية- فاعليتها في المجال السياسي؛ الذي ينعكس بالضرورة على المجال الاجتماعي، واستقراره وتماسكه.

وهنا نلاحظ أن «الشورى» ليست قيمة مطلوبة في المجال السياسي فحسب، بل هي قيمة اجتماعية بالأساس، يتم غرسها في المرء منذ الصغر، وهي منهج يجب أن يترسخ داخل الأسرة الصغيرة بين الزوج والزوجة والأولاد، وداخل الأسرة الكبيرة بين أفراد المجتمع بصفة عامة، وقد وصف أبو هريرة النبي ﷺ قائلا: «ما رأيت أحدا أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله» (٤).

التفاعل الحضاري الواعي

لسنا نعيش وحدنا في العالم، ولا أحد يبدأ تجربته الحضارية من الصفر (٥)، هاتان حقيقتان مقررتان في الواقع، ويشهد لهما التاريخ القريب والبعيد، لنا ولغيرنا؛ فلا يمكن أن يدعي مجتمع ما قدرته على الانعزال التام عن الآخرين؛ وإذا حدث شيء من هذا القبيل، فإن آثاره السلبية تتراكم حتى تحدث تشوهات في طريقة التفكير، وفي القدرة على مواكبة المستجدات، وإحراز رقم مهم في معادلات السباق الحضاري.

وإذا كان الإسلام قد قرر أن من حكمة الله في خلق الناس مختلفين، شعوبا وقبائل، أن يتعارفوا؛ فإن أحد أوجه التعارف هو التعرف على ما لدى الآخرين من علم وحكمة، ووزنه بالميزان الحضاري الذاتي؛ فلكل أمة خصائصها الذاتية، دون نفي وجود مشترك إنساني عام، يمكن فيه تبادل الخبرات والمنافع.

وهنا نشير إلى أن المسلمين في بداية نهضة الأولى أفادوا من تراث الحضارات السابقة، كما أن الحضارة الغربية في نهضتها المعاصرة أفادت من الحضارة الإسلامية، وهكذا تتابع الحضارات في حلقات يفيد بعضها من بعض، وينبني اللاحق منها على السابق.

فثمة موقف وسط بين الانغلاق والعزلة، وبين التقليد والتبعية، يسميه د. محمد عمارة موقف التفاعل الحضاري؛ وهو موقف ينظم عملية الأخذ والرد بين الحضارات، ويستلزم اكتشاف مساحة الخصوصية الحضارية المكونة لهويتنا الحضارية، والتي لابد من إحيائها، والاستمساك به، وحمايتها كما تحمي الأمم أعراضها، بل وصناعاتها الوطنية، واكتشاف مساحة المشترك الإنساني العام في الإبداع الإنساني؛ لا لنقبله فقط من الآخرين، بل ولنسعى إلى امتلاكه بكل ما أوتينا من قوة، ولنتتلمذ فيه على كل الآخرين الذين يبدعون فيه (٦).

ومن اللافت للنظر كما يقرر د. عمارة أن موقف التفاعل الحضاري الذي سلكه المسلمون في التفرقة بين ما هو حضاري خاص يجب الحفاظ عليه، وما هو إنساني عام يمكن بل يجب التواصل فيه مع الآخرين، أن هذا الموقف هو قانون «حكم ويحكم العلاقة الصحية بين الحضارات على مر التاريخ» (٧)؛ وليس موقفا خاصا بالمسلمين من غيرهم.

ثم يعطي د. عمارة أمثلة تطبيقية على هذا القانون العام، فيقول:

● لقد انفتح أسلافنا على الحضارة الهندية؛ لكنهم أخذوا حسابها وفلكها، دون فلسفتها.

● وانفتحوا على الحضارة الإغريقية والرومانية؛ لكنهم أخذوا تدوين الدواوين، ولم يأخذوا شريعة الرومان وقانونهم؛ وأخذوا العلوم الطبيعية، دون الإلهيات والآداب.

● وانفتحوا على الحضارة الفارسية؛ لكنهم أخذوا التراتيب الإدارية، دون المذاهب الفارسية.

● وعندما انفتحت الحضارة الغربية على حضارتنا الإسلامية، إبان نهضتهم، أخذوا عنا ما هو مشترك إنساني عام، من المنهج التجريبي إلى العلوم الطبيعية؛ ولم يأخذوا التوحيد الإسلامي، ولا الوسطية الإسلامية، ولا المثل والمقاصد والأخلاقيات، بل لقد صنعوا هذا التمييز حتى مع المفكر الواحد، مثل ابن رشد؛ فأخذوا عنه عقلانية أرسطو، وتركوا عقلانيته الإسلامية، الجامعة لما بين الحكمة والشريعة من الاتصال (٨).

هذه بعض أفكار أتصور أن مراعاتها ضرورية ونحن نبحث عن كيفية استئناف طريقنا نحو النهوض والتقدم.

الهوامش

١- راجع المزيد في: الإسلام في معركة الحضارة، منير شفيق، دار الكلمة، ط٢، (١٩٨٣م).

٢- رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

٣- السيرة النبوية، الندوي، (ص: ٢٠٠)، دار الشروق، ط٨، (١٩٨٩م).

٤- أخرجه أحمد في مسنده، وعبد الرزاق في مصنفه، وابن حبان. وقال الحافظ في الفتح: «رجاله ثقات إلا أنه منقطع».

٥- أقصد جانب العمران المادي من الحضارة، أي المدنية؛ وإلا فإن جانب الحضارة المعنوي، أي الثقافي، قد بدأه الإسلام وحيا لا اقتباسا.

٦- العطاء الحضاري للإسلام، د. عمارة، (ص: ١٣٠)، كتاب «اقرأ» رقم (٦٢٦)، سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن دار المعارف، بدون تاريخ.

٧- المصدر نفسه، (ص: ١٣٥).

٨- المصدر نفسه، (ص: ١٣٥، ١٣٦).

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

- للمجلة حق الاختصار والتعديل بما يتوافق مع المساحة المتاحة.

هشام العربي
باحث دراسات إسلامية

المذهب الحنبلي وتميزه في المعاملات المالية

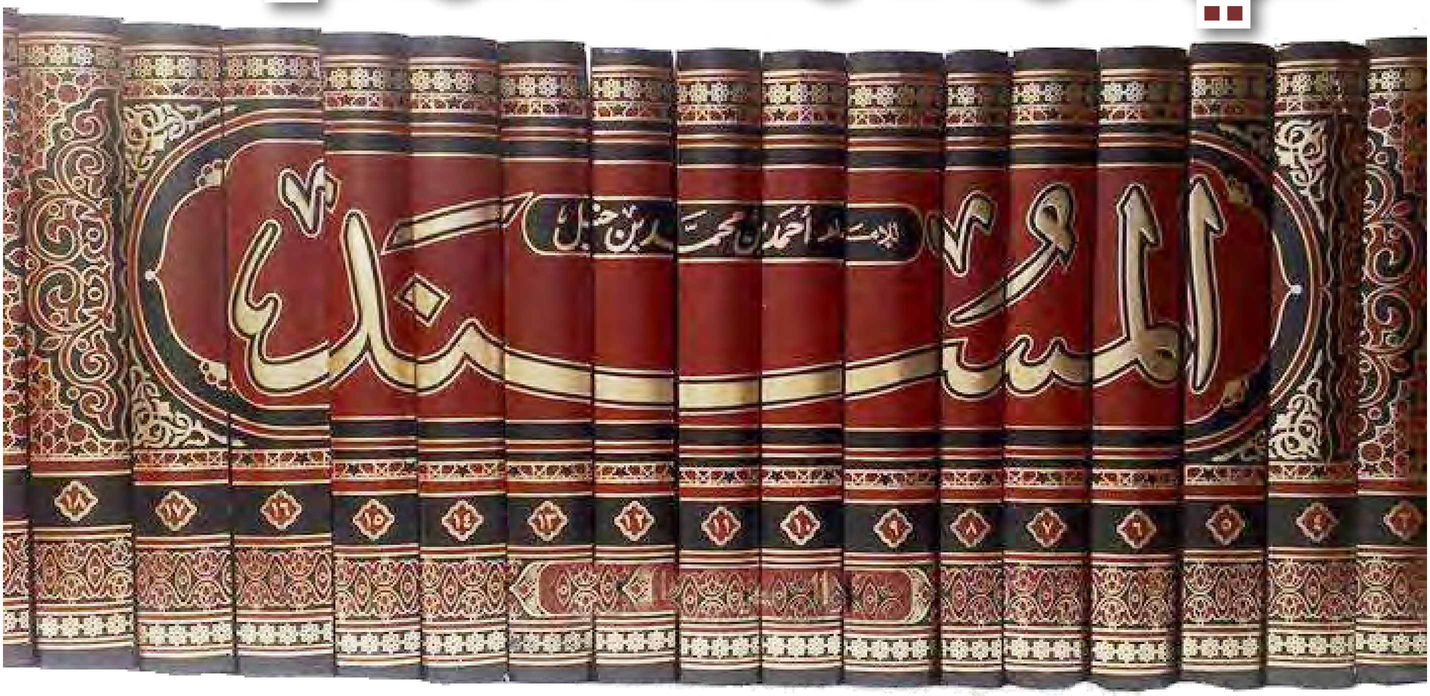

درج كثير من الناس على وصف المذهب الحنبلي بالتشدد والأخذ بالأحوط والأشد، وهذا وإن كان له نصيب من الصحة في بعض الأحيان؛ إلا أن له نصيبا أكبر من الخطأ والظلم لهذا المذهب؛ وذلك لأن المذهب الحنبلي يجنح في مسائل كثيرة، لاسيما في أبواب العبادات إلى الأخذ بمبدأ الاحتياط؛ حيث إنها الأساس في علاقة الإنسان بربه عز وجل، وعليها مدار الدين، وهي ركنه الذي لا يصح بدونه.

كما أن الحنابلة من أكثر المذاهب الأربعة - بعد المالكية - أخذا بسد الذرائع، فإذا وجدوا أن فعلا ما قد يؤدي إلى الوقوع في المحرم فإنهم يمنعونه ابتداء؛ صونا واحترازا من الوقوع في المحرمات، وهذا مبدأ مقرر من مبادئ الشريعة.

ولعل ذلك أيضا سرى إلى عقول العامة من قيام الحنابلة في فترة سيادة مذهبهم بالعراق قديما بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخذهم على أيدي العصاة والفساق والمبتدعة، كما ذكر بعض العلماء.

لكن الفقه الحنبلي في مجال المعاملات المالية - كما أثبتته الدراسة النظرية والتطبيقية المقارنة - هو أوسع المذاهب الفقهية على الإطلاق.

وذلك أنه اتجه إلى نظرية حرية التعاقد والاشتراط، فأفسح المجال للعاقدين أن ينشئا ما يريدان من العقود والالتزامات بمجرد التراضي، دون التقيد بقيود شكلية مخصوصة، ودون التقيد بأنواع العقود المسماة (وهي العقود المعروفة في التراث الفقهي كالبيع والسلم والإجارة والشفعة والهبة والمضاربة وغيرها)، كما أفسح لهما المجال ليشترطا ما شاءا من الشروط والقيود، ما لم يكن في نصوص الشريعة أو قواعدها ما يمنع من عقد أو شرط معين؛ فعندئذ يمتنع بخصوصه.

وهذا الذي ذهب إليه الحنابلة لم يصل إليه غيرهم من أصحاب المذاهب

الأخرى؛ فكان المالكية أقربهم إليهم لاعتبارهم الشديد للمصالح، يليهم الحنفية بما اعتبروه من العرف إضافة إلى التوسع في الأدلة العقلية والحيل، ثم الشافعية، وأخيرا الظاهرية الذين هم أشد المذاهب تضييقا في العقود والشروط.

ويجمعهم كلهم الأخذ بنظرية مقتضى العقد، تلك النظرية التي ترى أن لكل عقد في الشرع أحكاما أساسية تسمى «مقتضى العقد» نص عليها الشارع مباشرة أو استنبطها الفقهاء وأثبتوها حفظا للتوازن بين العاقدين في الحقوق؛ فليس للعاقدين أن يشترطا شروطا تخالف هذا المقتضى، وإن اشترطا شيئا من ذلك فسد العقد به.

أما الحنابلة فقد ذهبوا إلى أن الأصل في العقود والشروط الجواز والصحة، وأنه يجوز للعاقد أن يشترط ما يشاء من الشروط التي هي من مقتضى العقد أو مصلحته، مثل أن يبيع بشرط الخيار أو التأجيل أو الرهن أو الكفيل، أو بشرط أن يسلم إليه المبيع أو الثمن، أو أن يشترط عليه الشهادة على البيع، فهذه الشروط وأمثالها صحيحة مهما كثرت.

والفقه الحنبلي في هذا يأخذ بمبدأ حرية العقود والشروط، وأن الأصل فيها هو الإطلاق، وأنه يجب الوفاء بكل ما تراضى عليه المتعاقدان والتزما به؛ مادام لا يصادم نصا ولا قاعدة مقررة، وإلا منع استثناء من القاعدة الأصلية لخصوص النهي عنه.

وهم في هذا يأخذون بمقتضى عموم وإطلاق قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة:١)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ (الإسراء: ٣٤).

ومن الواضح – كما يقول الأستاذ الزرقا: أن العقد يتضمن تعهدا ضمنيا باحترام نتائجه والالتزام بها.

وهذه النصوص تفيد أن العقد ملزم للمتعاقدين، وهذا الالتزام معناه تمام الاحترام لحرية المتعاقدين، وللحقوق الناشئة عن العقد؛ طالما أن العاقدين رضيا بالعقد(١) .

ويؤكد ذلك قول النبي ﷺ: « المسلمون عند شروطهم إلا شرطا حرم حلالا أو أحل حراما» (٢). فالحنابلة يرون أن الشارع الحكيم فوض العاقدين في تحديد مقتضيات العقود وشروطها ضمن نطاق حقوقهما في كل ما لا يصادم نصا من نصوص الشريعة، ولا ينقض أصلا من أصولها الثابتة (٣). وهم في هذا يقررون أن ما كان من مصلحة العاقد (المشروعة) فهو من مصلحة العقد.

يقول ابن تيمية: « فليس في الفقهاء الأربعة أكثر تصحيحا للشروط منه، وعامة ما يصححه أحمد من العقود والشروط فيها تنبيه بدليل خاص من أثر أو قياس، لكنه لا يجعل حجة الأولين مانعا من الصحة، ولا يعارض ذلك بكونه شرطا يخالف مقتضى العقد أو لم يرد به نص، وكان قد بلغه في العقود والشروط من الآثار عن النبي ﷺ والصحابة ما لم يجده عند غيره من الأئمة» (٤). وجماع الأمر أن الحنابلة يقررون أن الأصل في العقود والشروط الإباحة؛ فللعاقدين الحرية في أن يعقدا أي عقد كان وبأي شروط كانت، وما يعقدانه يجب الوفاء به من غير تقييد بمقتضى خاص، وكل هذا ما لم يشتمل العقد على أمر حرمه الشارع ونهى عنه كالربا وكصفقتين في صفقة وشرطين في بيع؛ فما لم تشتمل تلك العقود على أمر محرم بالدليل الشرعي فللعاقد الحرية في أن يعقدها بأي شرط شاء، أما إذا اشتملت على محرم ثابت تحريمه بالأدلة الشرعية المعتَبرة فهي فاسدة ولا يجب الوفاء بها.

أما غير الحنابلة فقد قرروا أن ما يتفق عليه العاقدان من عقود وما يتراضيان عليه من شروط لا يكون واجب الوفاء إلا إذا قام الدليل من الشارع على وجوب الوفاء به؛ إذ الأصل عندهم أنه لا التزام إلا بما ألزم به الشارع الحكيم، فما لم يقم دليل على اعتبار الشارع له لا يكون هناك التزام به.

وعلى ذلك اختلف الأصل بين الحنابلة وغيرهم؛ فالحنابلة جعلوا الأصل وجوب الوفاء حتى يقوم الدليل على منع الشارع للوفاء بعقد معين أو شرط معين، وغير الحنابلة جعلوا الأصل عدم وجوب الوفاء حتى يقوم دليل شرعي على وجوب الوفاء، فوسع الحنابلة باب الوفاء بالعقود والشروط، وضيق غيرهم.

ولاشك أن حرية التعاقد تتفق وروح الدين؛ فالدين شرع لمصلحة الناس وتنظيم حياتهم، ومن مصلحتهم إطلاق الحرية لهم في عقد ما يريدون تحقيقا لمصلحة يرونها، ماداموا لا يحلون حراما ولا يحرمون حلالا.

وبذلك يكون الفقه الحنبلي قد سبق النظريات القانونية الحديثة بما يجاوز اثني عشر قرنا من الزمان إلى ما يعرف عند القانونيين بمبدأ سلطان الإرادة.

ولذلك تفرد المذهب الحنبلي بإجازة عقود وشروط لم يجزها غيره من المذاهب، كبيع العربون، والتورق، واشتراط الخيار أي مدة معلومة، وجواز البيع بغير ذكر الثمن اعتمادا على العرف الثابت، وجواز بيع الدين لغير المدين بثمن حال بسعر يومه، وجواز أن يؤجر المستأجر العين المستأجرة للمؤجر مطلقا، وأن للشفيع الاستفادة من تأجيل الثمن الذي تم به العقد إذا كان مليئا أو كفله مليء ثقة، وأن الدين المؤجل لا يحل بموت المدين إذا وثق الورثة أو غيرهم برهن أو كفيل مليء على أقل الأمرين من قيمة التركة أو الدين، وجواز قرض المنافع، وجواز اشتراط الوفاء في غير بلد القرض، وأن للمرتهن أن ينتفع بمنافع الرهن بغير إذن الراهن إذا كان المرهون مركوبا أو محلوبا في

مقابل ما ينفقه عليه، وجواز اشتراط غلق الرهن، وكون المرهون أمانة في يد المرتهن لا يلزمه ضمانه إلا بالتعدي أو التقصير، وجواز المضاربة بالعروض، وبالدين الذي في ذمة المضارب لرب المال، وأن الربح في شركة المفاوضة يكون على ما اصطلح عليه الشركاء، وكون عقدي المساقاة والمزارعة جائزين (غير لازمين)، وغيرها.

وقد كان للأصول التي اعتمدها المذهب وما تميز به من مزايا وخصائص أثره الواضح في اتجاهه نحو التيسير في المعاملات المالية.

من ذلك: اعتماده على النصوص، بما تحمله من آفاق رحبة؛ حيث جاءت أغلب النصوص الخاصة بالمعاملات مقتصرة على الأطر العامة والمبادئ الكلية، كما أن كثيرا منها جاء معللا؛ مما جعل لها من الخصوبة والمرونة والاتساع ما يساير مصالح الناس في كل زمان وكل مكان.

كما أن الدلالات المتعددة كعبارة النص وإشارته ومفهومه الموافق والمخالف مكنت الفقهاء والمجتهدين من التوصل إلى العديد من الأحكام من النص الواحد، وهذا جانب عظيم من جوانب خصوبة النصوص التشريعية واتساعها لاجتهادات المجتهدين في كل عصر.

أيضا فقد كان أخذ الحنابلة بأخبار الآحاد، واستدلالهم بالضعيف إذا لم يكن في الباب ما هو أقوى منه، واحتجاجهم بالمرسل سببا في وفرة ما لديهم من النصوص والأخبار التي تحمل للمجتهد أحكاما نبوية، وهي ترمي إلى التيسير والتخفيف ورفع الحرج بطبيعتها، ولاشك أن العلم بالسنة والآثار يسعف الفقيه، ويفتح له أبوابا من التيسير قد لا تظهر لغيره ممن لم يأخذ بتلك السنن والآثار؛ فمنطق الفقه الأثري يوجب الإطلاق لا التقييد، والإباحة دون المنع حتى يقوم دليل به - كما يقول الشيخ أبوزهرة رحمه الله (٥).

وفي هذا السياق أيضا ننظر إلى اعتماد الحنابلة لأقوال الصحابة الاجتهادية أصلا يأخذون به، حتى إن الإمام أحمد كان إذا وجد للصحابة عدة أقوال في مسألة تخير منها، ولم يخرج عنها في مجموعها، وكان يقدمها على الحديث الضعيف ومرسل غير الصحابي.

هذا إلى جانب الأخذ بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وفتح الذرائع - وأعني به أن وسائل المطلوب مطلوبة، وهو الوجه الثاني لسد الذرائع - والعرف والاستصحاب، ولا يخفى ما في كل منها من تيسير ومراعاة لمصالح الناس.

كذلك ما تميز به المذهب الحنبلي من تعدد الروايات والأوجه في المذهب، وهي وإن كانت ظاهرة لا يخلو منها مذهب إلا أنها أوضح ما تكون عند الحنابلة؛ فقد وصلت الروايات المأثورة عن الإمام أحمد في بعض المسائل إلى سبع روايات في المسألة الواحدة، ولا تكاد توجد مسألة إلا وللإمام أحمد فيها روايتان أو أكثر.

وهذا التعدد في الروايات يعتبر مظهرا من مظاهر التيسير، وسببا من أسبابه؛ فهو مظهر من مظاهر التيسير باعتبار أنه يدل على ما في أصول الشريعة من يسر ومرونة؛ بحيث إنها تتسع لأكثر من رأي، بل تتسع للرأي ونقيضه أحيانا، فالشريعة في كثير من نصوصها التشريعية لا تعرف القول الواحد الذي لا يجوز غيره، بل تتسع لتستوعب الرأي والرأي الآخر، وكلها تستند إلى النص والدليل، ولها وجه من الدلالة. وهذا مظهر عظيم من مظاهر يسر الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

وأما كون تعدد الروايات سببا من أسباب التيسير فبالنظر إلى مجتهدي الأزمنة المتأخرة من فقهاء المذهب الذين وجدوا أمامهم ثروة هائلة من الروايات عن الإمام في مختلف المسائل والفروع الفقهية، وكان عليهم أن يجتهدوا في الترجيح بينها لبيان حكم الشرع من وجهة نظرهم بناء على الأصول والقواعد التي اتبعها إمامهم من قبل.

فهؤلاء الفقهاء أعملوا أنظارهم واجتهدوا في النظر والترجيح بين جميع تلك الروايات والأقوال التي وصلتهم، ورجحوا منها ما أداهم إليه نظرهم واجتهادهم وما رأوه محققا لمصالح أقوامهم في العصور والبيئات المختلفة. وهذا هو عين التيسير.

ولاشك أن هذا التعدد في الروايات والأقوال يضع أمام الباحث مجموعة كبيرة من الأقوال التي يستطيع أن يوازن بينها ويختار أكثرها مواءمة وأقربها لتحقيق مصالح الناس، مادامت مستندة إلى دليل صحيح ونظر وجيه.

وخلاصة القول: أن المذهب الحنبلي بما اعتمد عليه من أصول وقواعد، وبما تميز به من خصائص ومزايا تفرد عن سائر المذاهب الفقهية الأخرى وسبق النظريات القانونية الحديثة بالقول بنظرية مصلحة العقد، وفتح باب العقود والاشتراط فيها للمتعاقدين على مصراعيه دون قيد، سوى ألا يخالف نصا شرعيا أو قاعدة مقررة، واعتبر أن مصلحة العاقد من مصلحة العقد، وهو ما يطلق عليه مبدأ حرية العقود والشروط، وهو أيضا ما يسميه القانونيون بمبدأ سلطان الإرادة العقدية.

الهوامش

١- انظر: المدخل الفقهي العام ٤٦٨/١، ط. دار الفكر بدمشق سنة ١٩٦٨م.

٢- رواه البخاري تعليقا، ووصله أبوداود والترمذي، وصححه.

٣- انظر: المدخل الفقهي العام ٤٨١/١.

٤- الفتاوى الكبرى ٨٠/٤، ط. دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٧م .

٥- انظر: ابن حنبل ص ٣٠٣، ط. دار الفكر العربي بالقاهرة

محمد حسن بدرالدين
باحث تونسي

الإمام ابن حزم:
دروس في مداواة النفوس

إن أقدم ترجمة وصلتنا عن حياة ابن حزم هي الترجمة التي وردت في كتاب طبقات الأمم، والتي أعدها وكتبها تلميذه صاعد الأندلسي (٤٢٠-٤٦٢هـ) (١).

فقد ذكر أن ابن حزم هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بعد صلاة الصبح في آخر يوم من شهر رمضان من عام (٣٨٤هـ)، الموافق السابع من تشرين الثاني، سنة (٩٩٤م)، في مدينة قرطبة، جوهرة الأندلس (٢).

وتوفي يوم (٢٨) شعبان، سنة (٤٥٦هـ)، الموافق (١٥) أغسطس، سنة (١٠٦٤م)، في مدينة ولبة (٣).

وحسب رواية ابن بشكوال (ت٥٧٨هـ) فإن ابنه أبا رافع هو الذي ذكر تاريخ وفاة والده، حيث قال ابن بشكوال: «ونقلت من خط ابنه أبي رافع أن أباه توفي رحمه الله عشية يوم الأحد، لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ستٍ وخمسين وأربع مائة، فكان عمره رحمه الله إحدى وسبعين سنة، وعشرة أشهر، وتسعة وعشرين يوما» (٤).

وبين هذين التاريخين من الميلاد إلى الوفاة، امتدت حياة على امتداد اثنين وسبعين عاما، حافلة بالعلم والأدب والجدل، وعامرة بالكتابة والتأليف والتجارب، جعلته من مشاهير علماء الأندلس، ومن أكبر علماء الإسلام تصنيفا وتأليفا بعد الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) (٥).

أهم الدروس المستفادة من حياة ابن حزم

نستخلص من حياة ابن حزم الكثير من الدروس والعبر التربوية والعلمية، لعل أبرزها: الإخلاص للعلم، والتفاني في الدعوة إلى الحق، والدفاع عن المبدأ والثبات عليه.

ومن أهم العوامل التي ساعدته على النبوغ والإبداع، نذكر عاملين على الأقل يتعلقان بالتكوين والشخصية.

الأول: هو التكوين العميق الذي تلقاه منذ الصغر وظل ملازما له طوال حياته، فقد أخذ العلم عن عدد من العلماء والشيوخ البارزين، في مختلف معارف عصره، أخذ عن أبي القاسم الأزدي علوم الحديث واللغة والنحو، وأخذ الفقه عن مفتي قرطبة ابن دحون، وأخذ عن محمد المدحجي المنطق وعلوم الأوائل.

أما أبو الخيار بن مفلت، فكان أبلغهم أثرا ونفاذا في تلقينه أصول الفقه الظاهري، حيث وجد أرضية خصبة في قلبه ومزاجه، وروحه الساعية نحو البساطة والوضوح واجتناب التأويل، والغموض والتعقيد، وهي مظاهر كان ينفر منها نتيجة التعقيدات السياسية والاجتماعية، التي عاشها، وألقت بظلالها على حياته وميوله. فضلا عن كثرة التقلبات وانتشار المذاهب والآراء، التي كانت تعج بها قرطبة، وبلاد الأندلس عامة (٦).

وورد في لسان الميزان لابن حجر (ت٨٥٢هـ) وصف لطبيعة هذا التحول: «واشتغل في صباه بالأدب والمنطق والعربية، وقال الشعر وترسل، ثم أقبل على العلم، فقرأ الموطأ وغيره، ثم تحول شافعيا، فمضى على ذلك وقت، ثم انتقل إلى مذهب الظاهر، وتعصب له وصنف فيه ورد على مخالفيه» (٧).

وقد كان الخيار الظاهري الذي يتمسك بالظاهر والمنطقي والبديهي قريبا من نفسيته، فأقبل عليه ونصره ودعا إليه، وكان من أكبر المدافعين عنه، ونتيجة حماسه له دخل في مواجهات ومجادلات عنيفة مع أصحاب المذاهب الباطنية.

الثاني: يتعلق بشخصيته وطبيعته، فقد كان يمتلك شخصية قوية متوازنة، محكومة بالصبر والعزيمة والمواجهة. وكان يمتلك ذاكرة قوية وبديهة حاضرة، وقدرة على الاستدلال والجدل، والشجاعة في إبداء الرأي، بعيدا عن الرياء والمجاملة.

وقد جلبت له صفات الصراحة والحزم عداوة كبيرة مع معاصريه وخصومه، من ذوي السياسة والعلم. قال ابن حجر: «ثم تعصب عليه أعداؤه، فمقتوه وآذوه وطردوه، وحرقوا كتبه علانية. وله في ذلك: فإن يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي تضمنه القرطاس، بل هو في صدري» (٨).

وقد ورد في الجمع بين الصحيحين للحميدي، من حديث عبد الرحمن بن هلال عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير» (٩).

يبدو أن ابن حزم حرم هذا الرفق لأسباب صحية، لم يتفطن إليها حساده وخصومه، فلم يعذروه، ولا لاحظها المؤرخون فنزهوه.

يقول في كتابه «مداواة النفوس» الذي خصصه لأمراض النفس وآفاتها وعللها، مبينا أثر المرض العضوي على المزاج والسلوك: «تتغير الأخلاق الحميدة بالمرض وبالفقر وبالخوف وبالغضب وبالهرم. فارحم من منع ما منحت، ولا تتعرض لزوال ما بك من النعم بالتعاصي على واهبها تعالى، وبأن تجعل لنفسك فيما وهبك خصلة أو حقا فتقدر أنك استغنيت عن عصمته فتهلك عاجلا أو آجلا. ولقد أصابتني علة شديدة ولدت علي ربوا في الطحال شديدا، فولد ذلك علي من الضجر وضيق الخلق وقلة الصبر والنزق أمرا حاسبت نفسي فيه، إذ أنكرت تبدل خلقي، واشتد عجبي من مفارقتي لطبعي، وصح عندي أن الطحال، موضع الفرح، إذا فسد تولد ضده» (١٠).

يعترف ابن حزم في هذا المقطع الفريد، بأنه أصيب بتضخم في الطحال، اكتشف بالتجربة والملاحظة أنه عكر مزاجه وأفسد أخلاقه، فأصبح قليل الصبر كثير الانفعال، ولا ندري إن كان هذا المرض عابرا أم مستديما، والغالب أنه لازمه منذ إصابته به إلى حين وفاته، والظاهر أنه كان يعاني من مرض السكري والكلى. ولكن لماذا اعتبر الفرح فقط موطن الطحال؟ حيث قال: «صح عندي أن الطحال، موضع الفرح، إذا فسد تولد ضده».

يبدو أنه فهم بالتجربة والملاحظة أن كل عضو في الجسم، إذا تعرض للمرض أو التلف أثر تأثيرا فادحا في النفس والمزاج والسلوك، وهو بهذا الرأي كان مبدعا وسابقا لطب زمانه، وبالتالي نفهم قوله بأن الطحال هو موطن الفرح والحزن والمشاعر، إذا فسد تولد ضده. أي تولد الغضب والتوتر ونشأ الحزن والانفعال.

مرجعية القرآن

رغم الشدة التي اشتهر بها بسبب المرض، والتي أفقدته كثيرا من العلماء والمناصرين، كان ابن حزم منصفا لخصومه، لا يستكبر أن يشهد لأهل الفضل بفضلهم. فلم يكن يتوخى في جدله تحقيق انتصار شخصي، وإنما

كان يهدف إلى الوصول إلى الحق.
ومن فضائله وتواضعه الذي يشهد له به الخصوم، أنه عندما ينتصر على خصم له في المناقشة، ويرجع إلى بيته لا ينتعش بزهو الانتصار، بل يتابع التفكر والتدبر في المسائل المطروحة في النقاش، بحثا عن مزيد من التحقيق، فتحضر له أفكار جديدة، يكتشف أن مجادله كان على حق فيها، فلا يتورع أن يعود إلى المجلس نفسه، ليعلن إذعانه للحق وصدق منافسه، في جانب من جوانب الجدال، فكان شبيها بعمرو ابن عبيد (٨٠-١٤٤هـ) الذي يضرب به المثل في الإذعان للحق (١١).
وهو يستحضر القرآن الكريم في نظرته لمفهوم الجدل وبالتحديد إلى الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، فيكثر من التذكير في ثنايا بحوثه وتقصياته، بأن مقصده من الجدال هو البحث والاستيعاب، والتوصل إلى النتائج السليمة، بعيدا عن التمويه المقصود، الذي يسميه الشغب، فيقول موضحا هذا المسعى: «وكلامنا هذا كلام اختصار وإيجاز وقصد، إلى استيعاب قواعد الاستدلال والبراهين الضرورية والنتائج الواجبة من المقدمات الأولية الصحيحة، وإضراب عن الشغب والتطويل الذي يكتفي بغيره عنه» (١٢).
استطاع ابن حزم بفضل ثقافته الواسعة وعمق تدينه وخبرته في الحياة، أن يقدم للمسلمين دروسا عديدة في مداواة النفوس، وعلاج عللها، وتقويم انحرافها، وقد طبق ذلك على نفسه أولا، ولقد كان تركيزه على العلم والبحث، جعله يعتكف مدة سنوات، وينقطع حتى عن أقرب الناس إليه، من أجل التقصي وجمع المعلومات وتكوين رؤية نقدية واضحة عن المواضيع التي يدرسها، وخاصة عندما تصدى لموضوع الرد على اليهود والنصارى، فقد كان جل حديثه مع الناس ومع أقاربه وقت الفراغ، عن اليهود وأخبارهم وتاريخهم، فاستغل ابن عمه عبدالوهاب بن حزم (ت٤٣٨هـ) وكانت بينهما عداوة، ذلك الاعتكاف، وسخر منه في رسالة وجهها إليه جاء فيها: «ونسيت أبا محمد حاشيتك وشيعتك، التي صرت رئيس مدارسهم، وكبير أحراسهم، تحدثهم عما كان فيهم من العبر، وتخبرهم بما تعاقب عليهم من الصفاء والكدر؛ فتارة عن السامري والعجل، وتارة عن القمل والنمل، وطورا تبكيهم بحديث التيه، وطورا تضحكهم بقوم جالوت وذويه، حتى كأن التوراة مصحفك، وبيت الحزان معتكفك» (١٣).
وقد رد عليه ابن حزم ردا كشف من خلاله عن عمق إيمانه، وصدق خلاله، وسداد رأيه، قال فيه: «سمعت وأطعت لقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وسلمت وانقدت لحديثه عليه السلام: «صل من قطعك، واعف عمن ظلمك»، ورضيت بقول الحكماء: كفاك انتصارا ممن تعرض لأذاك، إعراضك عنه. وأقول:

فإني أبيت طلاب السفاه
وصنت محلي عما يعاب
وقل ما بدا لك من بعد ذا
وأكثر فإن سكوتي جواب (١٤).

الهوامش

١- انظر ترجمة صاعد في نفح الطيب للمقري (١٨٢/٣)، والأعلام للزركلي (١٨٦/٣).
٢- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، (١٦٥١/٤).
٣- ولبة: هي حاليا بالإسبانية Huelva، مدينة تقع في جنوب غرب إسبانيا، تخرج منها العديد من العلماء، أشهرهم أبوعبيد البكري الأونبي وابن خلفون. انظر الأعلام للزركلي (٣٦/٦)، وتكملة الصلة لابن الأبار (١٤١/٢).
٤- ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، (١٣٧٤هـ، ١٩٥٥م)، (ص٣٩٣)، وانظر الحميدي، جذوة المقتبس، (ص٤٥٠).
٥- ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، (٢٠٠٢م)، (٤٩٢/٥).
والمقولة هي «وهذا القدر لا يعرف لأحد من علماء الإسلام، إلا لابن جرير الطبري».
٦- الذهبي، سير أعلام النبلاء (١٥٨/١٨). والبيتان من البحر الطويل.
٧- لسان الميزان (٤٨٨/٥).
٨- المرجع نفسه، (٤٨٩/٥).
٩- محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم، لبنان، الطبعة الثانية، بيروت، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، (١٩٨/١).
١٠- ابن حزم: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، بيروت، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، (ص٧١).
١١- محمد حسن بدرالدين: التفكير الكلامي في بواكيره الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، (٢٠١٥م)، (ص١٦٧).
١٢- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣٨/١).
١٣- ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، الطبعة الأولى، (١٩٨١م)، (١٦٣/١).
١٤- المرجع السابق، (ص١٦٤).
وأصل الحديث: «صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك» أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٤/٢٨) والبيهقي في شعب الإيمان (١٤/١٠).

محمد سيد بركة
باحث دراسات إسلامية

أبوالحسن الندوي وحاجة العالم لأيد مؤمنة بقيم الإنسانية

يعد أبوالحسن الندوي (١٩١٤- ١٩٩٩م) من أشهر العلماء المسلمين في القرن العشرين الميلادي. له كتابات وإسهامات عديدة في الفكر الإسلامي، وكان كثير السفر إلى مختلف أنحاء العالم؛ لنصرة قضايا المسلمين، والدعوة إلى الإسلام وشرح مبادئه، وإلقاء المحاضرات في الجامعات والهيئات العلمية والمؤتمرات. وهو واحد من العلماء العاملين والدعاة الصادقين، أصحاب العقول النيرة، والقلوب الحية، والبيان السديد، الذين حرصوا على الوقت والجهد، فلم يضيعوهما في فرعيات الأمور وجزئياتها.

ولد أبوالحسن الندوي بإحدى قرى الهند عام ١٩١٤م، كان والده علامة الهند ومؤرخها، وكانت والدته من السيدات الفاضلات تحفظ القرآن الكريم وتقول الشعر، وتؤلف الكتب. توفي والده وهو دون العاشرة، فأشرف أخوه الكبير على تربيته، فحفظ القرآن، وتعلم الأردية والإنجليزية والعربية، ثم التحق بجامعة لكهنؤ، وهي جامعة تدرس العلوم المدنية باللغة الإنجليزية، وفيها قسم لآداب اللغة العربية، اختاره أبوالحسن عن شوق، ثم التحق بدار العلوم لندوة العلماء عام ١٩٢٩م، ليلاقي كبار علماء الهند، وليحضر دروس الشريعة عليهم، ولكنه لم يرتو بعد، فالتحق بديوبند لشهور، ثم سافر إلى لاهور، وقرأ التفسير القرآني على كبار علمائها، وتحققت أمنيته بلقاء شاعر الإسلام محمد إقبال، فجالسه وأفاد منه، وعين -بعد ذلك- مدرسا بدار العلوم لندوة العلماء في عام ١٩٣٤م.

يقول الدكتور محمد رجب البيومي: كان أشد ما يلفتني في سيرة أبي الحسن أنه أشرق في محيط العالم الإسلامي بدرا مكتملا.

دفعته همته الباكرة صغيرا إلى كتابة مقال تاريخي، وعمره ١٨ سنة، يتحدث فيه عن جده المجاهد أحمد بن عرفان شهيد الإسلام، وبعث به إلى مجلة المنار المصرية التي كان يقوم عليها العلامة محمد رشيد رضا فنشره، ثم توسع الندوي في هذا المقال، فظهر له أول كتاب بالأردية ١٩٣٨م، بعنوان سيرة سيد أحمد شهيد، ونال قبولا واسعا في الأوساط الدينية والدعوية، وألف بعده كتابه مختارات في أدب العرب ١٩٤٠م، ثم ألف سلسلة قصص النبيين للأطفال في خمسة أجزاء، وسلسلة أخرى للأطفال باسم القراءة الراشدة في ثلاثة أجزاء، في الفترة ما بين ١٩٤٢-١٩٤٤م. وبدأ الندوي الدعوة إلى الله على المنابر خطيبا.

سافر إلى دلهي في رحلة علمية، فالتقى بعالمها الكبير الشيخ محمد إلياس؛ فعزم الندوي أن يكون داعية بلسانه، كما يكتب بقلمه، ولكنه رأى أن يدعو ويرحل إلى العالم الإسلامي كله، بدلا من الدعوة في الهند فقط كما فعل شيخه إلياس، فرحل إلى الحجاز مرات، وإلى مصر، والمغرب، والشام، وتركيا، وزار أميركا، والدول الأوروبية، وطوف بأكثر عواصم العالم الإسلامي، وكانت رحلاته عظيمة التأثير. ولقد سجل انطباعاته عن البلاد العربية في كتابه مذكرات سائح في الشرق العربي.

تلقى أبوالحسن الندوي تربيته الروحية على الشيخ عبدالقادر الرائي فورى، وتأثر بفكر الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأحمد بن عبدالأحد السرهندي، وشاه ولي الله الدهلوي، وكان الشيخ محمد إلياس من أعظم أساتذته تأثيرا فيه.

ورأى الندوي أن الأحداث التي عاصرها وعلى رأسها سقوط الخلافة، دعمت إيمانه ويقينه بأن الإسلام لابد أن يتولى الزمام لإنقاذ العرب والعالم؛ لأن الحل الوحيد لمأساة الإنسان يكمن في تحول قيادة العالم إلى أيد مؤمنة بقيم الإنسانية.

وكان محور إصلاحه مكافحة الغزو الفكري، وبث روح الاعتزاز بالإسلام في المسلمين، ومقاومة الردة وآثارها.

خاطب العرب، وركز عليهم اهتمامه؛ لأنهم يحملون استعدادا روحيا ومعنويا

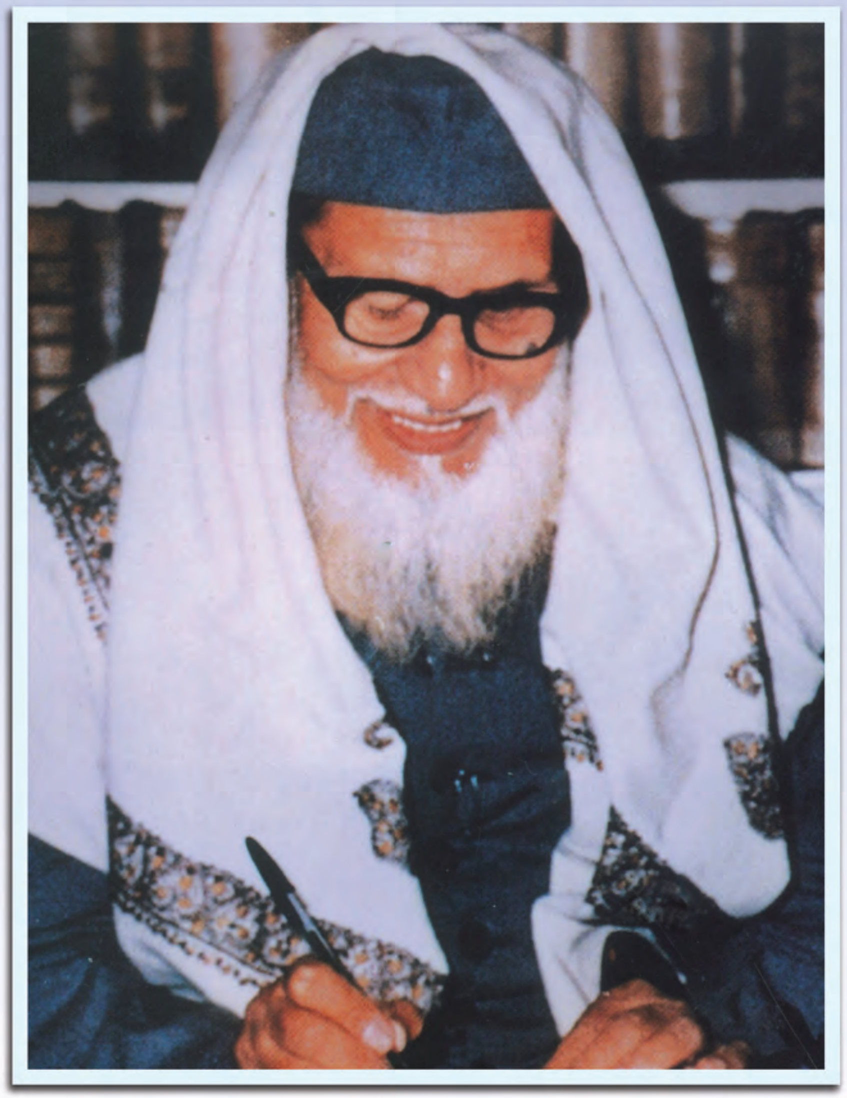

ومـاديا لقيـادة العـالم الإسلامي، وبالتالي قيـادة العالم أجـمـع، وكان حريصا على نهضة العرب بمواهبهم وكفاءاتهم.

حدد واجب العلماء والطبقة المثقفة في مقال نشر بمجلة البعث الإسلامي قائلا: إن مسؤولية العلماء والمفكرين المسلمين في العصر الحديث -بعد مـواجـهـتـهـم لـلـتـحـديـات المعاصرة وإثبـاتـهـم أن الإسـلام قـادر على قيادتها وترشيدها والسمو بها- هي أن يفضلوا الإسلام على كل جماعة ومؤسسة ومدرسة وطائفة وحزب، ولـتـكـن مصلحة الـديـن والعقيدة مفضلة على عمل كل مصلحة حزبية أو جماعية.

من أبـرز تـأمـلاتـه: قضية الإصلاح والـتـغـيـيـر؛ حيـث رأى أن المنهج الإصلاحي الـذي نريده ينبع أساسا من تكوين الفرد تكوينا نوعيا.

حمل على بعض المصلحين الذين خلطوا الواقع الإصلاحي بالتجربة والـروح الغربية، وكـان يندهش من المسلمين الـذيـن اطمأنوا لتدريس أبـنـائـهـم فـي المؤسـسـات العلمية الغربية، وغفلوا عن هدف الغرب في القضاء على الهوية الإسلامية لهم.

تنبه إلى ضرورة إحداث تغيير شامل في الجامعات الإسلامية من خلال ربط العلم بالتربية؛ وأولى اهتماما كبيرا بالمنهل العلمي الـذي يتلقاه الشباب، فلابد من تصفية هذا المنهل من خلال توحيد التعليم ليكون وحدة شاملة تجمع بين الوسائل والغايات.

أكد عالمية الرسالة وإنسانيتها، وفي ذلك ما يبعث على الغيرة، وما يبعث على أن يتنافس العرب، وأن يسبقوا؛ لأنهم أهل الفضل، وأهل الرسالة، وأهل الدعوة.

أشـاد بـدور الـعـرب؛ لأنـهـم الـذين أشركونا فـي هـذه الـثـروة السماوية السامية الأخيرة، وأن هذه الدعوة قد لبيت تلبية حسنة، وكانت مستجابة استجابة كريمة تليق بإخواننا العرب وبشرفهم وبمكانتهم وبزعامتهم وقيادتهم.

أعمال ومناصب

بـدأ الـنـدوي رحـلاتـه الـدعـويـة عام ١٩٣٩م فـي الـهـنـد، وأسـس مركزا للتعليم الإسـلامـي عـام ١٩٤٣م، ثم اختير عضوا في المجلس الانتظامي لندوة العلماء عام ١٩٤٨م، ثم أسس حركة رسالة الإنسانية عام ١٩٥١م، والمجمـع الإسـلامـي العلمـي عام ١٩٥٩م، فـي لكهنؤ بالهند، واختير أمينا عاما لندوة العلماء عام ١٩٦١م، والـتـي ظل بها حتى وفاته، وأدار الجلسة الأولى لتأسيس رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٩٦٢م نيابة عن رئيسها سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وقد حضر أولها جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، كما حضرها الملك إدريس السنوسي حاكم ليبيا، وشخصيات أخرى ذات شأن، وقدم فيها مقاله القيم «الإسـلام فوق القوميات والعصبيات».

اختير الـنـدوي عضوا في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة منذ تأسيسها عام ١٩٦٢م، وظل عضوا فيه إلى انحلال المجلس وانضمام الجامعة إلى سلك بقية الجامعات السعودية تابعة لوزارة التعليم العـالي. دعـا إلـى تأسيس

رابطة الأدب الإسلامي العالمية عام ١٩٨٤م، واختير أول رئيس لها عام ١٩٨٦م (شرفت بإمضائه على هوية عضويتي في تلك الرابطة).

حصل الندوي على عضوية كثير من الهيئات والمؤسسات الدعوية العلمية والعالمية، منها: رابطة الجامعات الإسلامية منذ تأسيسها، المجمع العلمي بدمشق، مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٨٠م، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت) بالأردن عام ١٩٨٣م، كما منح درجة الدكتوراه الفخرية في الآداب من جامعة كشمير عام ١٩٨١م، واختير رئيسا لمركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٩٩٣م، وبعد وفاته صار بالمعهد درجة زمالة أبوالحسن الندوي. وذلك عدا عضويته في كثير من الجامعات الإسلامية، والمنظمات الدعوية، ولجان التعليم والتربية.

جوائز

حاز الندوي جوائز كثيرة منها:

جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. كما منحته دبي جائزة شخصية العام الإسلامية لعام ١٤١٩هـ في دورتها الثانية، بعد أن منحتها في دورتها الأولى لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي. ومنحه معهد الدراسات الموضوعية بالهند جائزة الإمام ولي الله الدهلوي لعام ١٩٩٩م - والتي تم منحها لأول مرة - وكان قد تقرر اختياره لهذه الجائزة في حياته، ولكن وافته المنية قبل الإعلان الرسمي، وقد تسلم هذه الجائزة باسمه ابن أخته وخليفته فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي في دلهي في ٧ شعبان ١٤٢١هـ/ نوفمبر٢٠٠٠م. منحته أيضا المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسسكو) - تقديرا لعطائه العلمي المتميز وإكبارا للخدمات الجليلة التي قدمها إلى الثقافة العربية الإسلامية- وسام الإيسسكو من الدرجة الأولى، وقد تسلم هذا الوسام نيابة عنه الدكتور عبدالله عباس الندوي في الرباط في ٢٥ شعبان ١٤٢١هـ. كما منح جائزة السلطان حسن بلقية العالمية في موضوع سير أعلام الفكر الإسلامي من مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

ولقد توفي أبوالحسن الندوي في ٢٣ رمضان ١٤٢٠هـ/٣١ ديسمبر ١٩٩٩م.

قالوا عنه

قال عنه الدكتور يوسف القرضاوي: كان الندوي يمثل نسيجا مميزا من العلماء المسلمين ينضم إلى العلماء الكبار.. إنه رجل جعل الرسول الكريم أسوته في هديه وسلوكه وحياته كلها، واتخذ سيرته نبراسا له، في تعبده وزهده وإعراضه عن زخارف الحياة وزينة الدنيا، فهو يعيش في الخلف عيشة السلف، لا يهتم بما يهتم به أمثالنا من متاع وتملك ورياض وزينة، تحسبه إذا رأيته سلمان الفارسي أو أبا الدرداء.

وقال: الندوي مثال للعالم المسلم والداعية المجدد، ومثال جمع بين رقة الربانيين، وتوحيد السلفيين، والتزام السنيين، وثقافة المعاصرين.

كتب عنه الشيخ الغزالي في مذكراته، وقال: إن رسائل الندوي هي التي لفتت النظر إلى موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه بين رستم قائد الفرس وكلماته البليغة له.. أبوالحسن الندوي -فيما أعلم- هو أول من نبهنا إلى قيمة هذا الموقف وهذه الكلمات، ثم تناقلها الكاتبون بعد ذلك وانتشرت.

وصفه الشيخ علي الطنطاوي لما زاره سنة ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م في «لكهنؤ» فقال: وجدته في الأحوال كلها، مستقيما على الحق، عاملا لله، زاهدا حقيقيا زهد العالم العارف بالدنيا وأهلها.

وقال الدكتور مصطفى السباعي: الندوي.. ذخر للإسلام ودعوته.. كتبه ومؤلفاته تتميز بالدقة العلمية وبالغوص العميق في تفهم أسرار الشريعة، وبالتحليل الدقيق لمشاكل العالم الإسلامي ووسائل معالجتها.

وقال محمد الرابع الحسني الندوي: الندوي.. قدوة أبناء المسلمين في الغيرة للدين والكفاح لإعزاز الإسلام والذب عن حوزته، وإقرار روحه وطبيعته الحقيقية.

وقال محمد حميد الدين الحسامي: الندوي.. أمة وحده، وشخصية عظيمة فذة، وموسوعة فكرية متنوعة الجوانب والمباحث، قلما يجود الزمان بمثله.

وقال عبدالحليم عويس: الندوي.. رجل لم يتاجر يوما بمبادئه، ولم يقف يوما على باب أحد، ولم ينافس يوما على الدنيا.

وقال عنه الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر عبدالحليم محمود: أخلص أبوالحسن الندوي وجهه لله تعالى، وسار في حياته سيرة المسلم المخلص لله تعالى ورسوله ﷺ، فدعا إلى الإسلام بالقدوة الحسنة، ودعا إلى الإسلام بكتبه النقية، ودعا إلى الإسلام بسياحته التي حاضر فيها، ووجه وأرشد، فجزاه الله خير ما يجزي عالما عن دينه.

دراسات عن الندوي

كتب عن الندوي الكثيرون، من هذه

الكتابات:
- «أبـوالحـسـن الـنـدوي كـمـا عـرفـتـه»: د. يوسف القرضاوي.
- «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين»: د. محمد رجب البيومي -الجزء الثالث- طبعة دار القلم والدار الشامية (خمسة مجلدات)، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- «علماء ومفكرون عرفتهم»: محمد المجذوب.
- «علماء العرب في شبه القارة الهندية»: يونس السامرائي.
- «الدراســات القرآنية المعاصرة»: محمد السديس.
- «أدب الصحوة الإسلامية»: واضح الندوي.
- «ذكريات»: علي الطنطاوي.
- «أبوالحسن الندوي.. مفكر وداعية»: عبدالحليم عويس، مقال منشور بمجلة الفيصل، العدد ٣٩، رمضان ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- «أبوالحسن الندوي شاهد القرن»: مجلة المجتمع، العدد ١٣٩٧، ٢٥ أبريل ٢٠٠٠م.

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟

بدأ الندوي في تأليف كتابه المشهور «مـاذا خـسـر الـعـالـم بانحطاط المسلمين» سنة ١٩٤٤م، وأكمله سنة ١٩٤٧م، وصدرت طبعته الأولى في مصر عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، ووصفه العلامة محمد المبارك قائلا: إنه واحد من خير الكتب التي صدرت فـي هـذا الـقـرن (يـقـصـد القرن الـعـشـريـن المـيـلادي الـذي ظهرت الطبعة الأولى من الكتاب في نهاية نصفه الأول، والـتـي تـوالـت بعدها طبعات الكتاب المختلفة في كل أنحاء العالم الإسلامي، كما تمت ترجمته إلـى الـعـديـد مـن الـلـغـات ولاتـزال، لحاجتنا إلى مثل هذه الكتب). ولقد قـرأت هـذا الـكـتـاب مـنـذ أكـثـر من خمسة وثلاثين عاما، وكانت الطبعة العاشرة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، وقد أصدرتها في ذلك الوقت دار الأنصار بالقاهرة مصورة عن طبعة دار القلم، وقد أصبحت دار الأنصار لصاحبها سعد سيد أحمد -يرحمه الله- هذه أثـرا بـعـد أن كـانـت مـن دور الـنشر الإسلامية الرائدة وشكلت مع مكتبة وهبة دورا لا يمكن إغفاله في نشر الفكر الإسلامي، ولطالما رجعت إلى قراءة هذا الكتاب ونصحت الشباب المسلم باقتنائه وقراءته قراءة واعية.

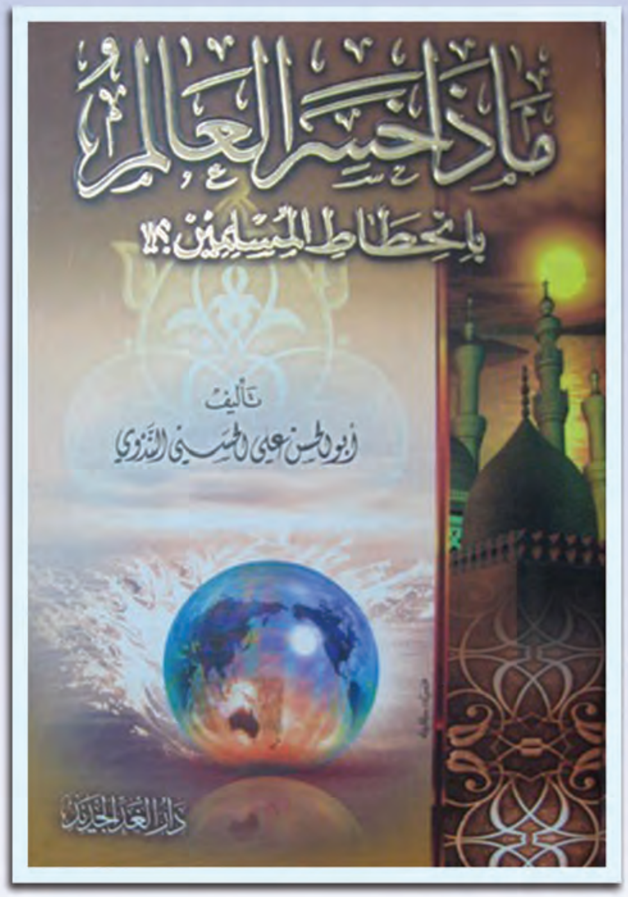

يقول الدكتور محمد يوسف موسى: إن قـراءة كتاب «مـاذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» فرض على كل مسلم يعمل لإعـادة مجد الإسلام.

ويــروي الـشـيـخ محمد المجذوب أن الشيخ الندوي كان يعتبر سقوط الخلافة الإسـلامـيـة أكـبـر الأحـداث التي عاصرها، فكان يقول: أعتقد أن سقوط الخلافة كان نقطة تحول في تاريخ الإسلام والمسلمين، وتحولا لعجلة الحـيـاة؛ إذ كـان لـه الأثـر العـمـيـق فـي خضوع الـعـالـم لـحـضـارة الغرب. وكـان الـشـيـخ أبوالحسن الـنـدوي يتحدث عن بعض الفتن التي فجرتها في ما بعد كارثة سقوط الخلافة الإسـلامـيـة فـيـقـول: «إن الحــروف الـتـي تـلـت هذه المـأسـاة الإنـسـانـيـة وغـزو الـفـكـر الـغـربـي للأمة الإسلامية وجرأة الحاقدين عليها، إنما حصلت بسبب من رجحان كفة ميزان القوة وانسحاب المسلمين من معترك الحـيـاة. وقـد امـتـدت هذه المؤامرة، التي اقتلعت جذور الوحدة المتأصلة في قلب العالم الإسلامي، إلى العهود الأخيرة. وكان يوم احتلال الـيـهـود لـلـقـدس، وزحــف القوات الصهيونية إلى الضفة الشرقية للقناة أحلك يوم في حياتي، لقد تحققت المهزلة وبلغت المؤامرة ذروتها، وقد بحثت ذلك في مؤلفاتي وأوضحت الأسباب التي تمخضت عنها المأساة الإسـلامـيـة الـكـبـرى بـعـد سقوط الخلافة بإبعاد الإسلام ورابطته عن الحياة، والاستخفاف بقيمة ومظاهره وقمع العاملين في سبيله».

وكـان الـنـدوي يـؤمـن بـأن الإسـلام لابـد أن يتولى الزمام لإنقاذ العرب

والعالم؛ لأن الحل الوحيد لمأساة الإنسان يكمن في تحول قيادة العالم إلى أيد مؤمنة بقيم الإنسانية أمة وسط لتكون شاهدة على الناس كما يصفها كتاب الله.. يبدأ المؤلف في كتابه برسم صورة صغيرة سريعة، ولكنها واضحة، لهذا العالم قبل أن تشرف عليه أنوار الإسلام الأولى.. يرسم الصورة لهذا العالم، شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا، من الهند والصين إلى فارس والروم، صورة المجتمع وصورة الضمير في هذه الدنيا العريضة في الجماعات التي تظلها الديانات السماوية، كاليهودية والمسيحية، والتي تظلها الديانات الوثنية، كالهندوكية والبوذية والزرادشتية.. وما إليها..

إنها صورة جامعة تعرض رقعة العالم وتصفها وصفا بينا لا يعتسف المؤلف فيه ولا يستبد به، إنما يشرك معه الباحثين والمؤرخين من القدامى والمحدثين ممن يدينون بغير الإسلام، فلا شبهة في أن يكونوا مغرضين له وللدور الذي أداه في ذلك العالم القديم. إنه يصف العالم وقد سيطرت عليه روح الجاهلية وتعفن ضميره وأسنت روحه، واختلت فيه القيم والمقاييس، وساد الظلم والعبودية، واجتاحته موجة من الترف الفاجر والحرمان الناعس، وغشيته غاشية من الكفر والضلال والظلام، على الرغم من الديانات السماوية التي كانت قد أدركها التحريف وسرى فيها الضعف وفقدت سيطرتها على النفوس واستحالت جامدة لا حياة فيها ولا روح، وبخاصة المسيحية.

فإذا فرغ المؤلف في الباب الأول من رسم صورة العالم بجاهليته هذه، بدأ في الباب الثاني يعرض دور الإسلام في حياة البشرية ودوره في تخليص روح البشر من الوهم والخرافة ومن العبودية والرق ومن الفساد والتعفن ومن القذارة والانحلال، ودوره في تخلص المجتمع الإنساني من الظلم والطغيان ومن التفكك والانهيار ومن فوارق الطبقات واستبداد الحكام واستدلال الكهان، ودوره في بناء العالم على أسس من العفة والنظافة والإيجابية والبناء والحرية والتجدد، ومن المعرفة واليقين والثقة والإيمان والعدالة والكرامة، ومن العمل الدائب لتنمية الحياة وترقيتها وإعطاء كل ذي حق حقه في الحياة.

كما بين في الباب الثالث أن هذا التحول في المجتمع الإنساني كان إبان الفترة التي كانت القيادة فيها للإسلام في أي مكان، والتي كان الإسلام فيها يعمل وهو لا يستطيع أن يعمل، وهو لا يستطيع أن يعمل إلا أن تكون له القيادة؛ لأنه بطبيعته عقيدة استعلاء، ومنهج قيادة، وشرعة ابتداع لا اتباع.

ثم تجيء الفترة التي فقد الإسلام فيها الزمام بسبب انحطاط المسلمين وتخليهم عن القيادة التي يفرضها عليهم هذا الدين، والوصاية التي يكلفهم بها على البشرية، والتبعات التي ينوطها بهم في كل اتجاه.

ثم يستعرض المؤلف أسباب هذا الانحطاط، الروحية والمادية، ويصف ما حل بالمسلمين أنفسهم عندما تخلوا عن مبادئ دينهم ونكصوا عن تبعاتهم، وما نزل بالعالم كله من فقدانه لهذه القيادة الراشدة ومن انتكاسة إلى الجاهلية الأولى. ويرسم خط الانحدار الرهيب الذي ترتكس فيه الإنسانية في الوقت ذاته الذي تفتح فيه آفاق العلم الباهرة، يرسم هذا الخط عن طريق التأمل الفاحص، لا بالجمل النارية والتعبيرات المجنحة، فالحقائق الواقعة، كما عرضها المؤلف، غنية عن كل بهرج.. ومن خلال هذا الاستعراض يحس القارئ بمدى حاجة البشرية الملحة إلى تغيير القيادة الإنسانية، وردها إلى الهوى الذي انبثق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجاهلية إلى المعرفة، ويشعر بالقيمة الكلية لوجود هذه القيادة في الأرض وبمدى الخسارة التي حلت بالبشر جميعا لا بالمسلمين وحدهم، في الماضي والحاضر، وفي المستقبل القريب والبعيد، كذلك يثور في نفس المسلم بصفة خاصة روح الندم على ما فرط، وروح الاعتزاز بما وهب، وروح الاستشراف إلى القيادة التي ضيع..

بينما يشرح في الباب الرابع العصر الأوروبي وطبيعة الحضارة الغربية المادية والانتكاسة التي عاشتها النصرانية في دولتها، واضطهاد الكنيسة للعلم وجناية رجال الدين النصارى على العلم والعلماء..

ويصل في نهاية الكتاب (الباب الخامس) إلى أن رسالة العالم الإسلامي هي الدعوة إلى الله ورسوله والإيمان باليوم الآخر، ونتيجة ذلك هي الخروج من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الناس إلى عبادة الله وحده، والخروج من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وقد ظهر فضل هذه الرسالة وسهل فهمها في هذا العصر أكثر من كل عصر، فقد افتضحت الجاهلية، وبدت سوأتها للناس، واشتد تذمر الناس منها، فهذا طور انتقال العالم من قيادة الجاهلية إلى قيادة الإسلام، لو نهض العالم الإسلامي واحتضن هذه الرسالة بكل إخلاص وحماسة وعزيمة، ودان بها، فهي الرسالة الوحيدة التي تنقذ العالم من الانهيار والانحلال، كما يقول المؤلف،

وإن الإخلاص للدعوة الإسلامية واحتضانها وتبنيها والتفاني في سبيلها وتفضيل منهج الحياة الإسلامي على جميع مناهج الحياة، هي جميعها الطريق لقيادة البشرية وإنقاذها.

وفي نهاية الكتاب يرسل المؤلف صيحته إلى العرب قائلا: إلى متى أيها العرب تصرفون قواكم الجبارة التي فتحتم بها العالم القديم في ميادين ضيقة محدودة؟ وإلى متى ينحصر هذا السيل العرم، الذي جرف بالأمس بالمدنيات والحكومات، في خدود هذا الوادي الضيق، تصطرع أمواجه ويلتهم بعضها بعضا؟ إليكم هذا العالم الإنساني الفسيح الذي اختاركم الله لقيادته واجتباكم لهدايته، وكانت البعثة المحمدية فاتحة هذا العهد الجديد في تاريخ أمتكم وفي تاريخ العالم جميعا، وفي مصيركم ومصير العالم جميعا، فاحتضنوا هذه الدعوة الإسلامية من جديد، وتفانوا في سبيلها، وجاهدوا فيها:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج:٧٨).

من مؤلفات الندوي

ألف الندوي رسالة بعنوان: «إلى ممثلي البلاد الإسلامية ١٩٤٧م»، وجهها إلى المندوبين المسلمين والعرب المشاركين في المؤتمر الآسيوي المنعقد في دلهي بدعوة من رئيس وزراء الهند وقتها جواهر لال نهرو، فكانت أول رسالة له انتشرت في الحجاز عند رحلته الأولى.

كما كلفته الجامعة الإسلامية في عليكره بالهند١٩٤٢م، بوضع منهاج لطلبة الليسانس في التعليم الديني، أسماه «إسلاميات»، وألقى في الجامعة الملية بدلهي محاضرة طبعت بعنوان: «بين الدين والمدنية».

وقد دعي أستاذا زائرا في جامعة دمشق ١٩٥٦م، وألقى محاضرات بعنوان: «التجديد والمجددون في تاريخ الفكر الإسلامي»، ضمت -في ما بعد- إلى كتابه الكبير «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (أربعة أجزاء)، كما ألقى محاضرات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بدعوة من نائب رئيسها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ١٩٦٣م، طبعت بعنوان: «النبوة والأنبياء في ضوء القرآن».

وسافر إلى الرياض بدعوة من وزير المعارف السعودي ١٩٦٨م؛ للمشاركة في دراسة خطة كلية الشريعة، وألقى بها عدة محاضرات في جامعة الرياض وفي كلية المعلمين، وقد ضم بعضها إلى كتابه: «نحو التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية». كما ألف -بتوجيه من شيخه عبدالقادر الراي بوري- كتابا حول القاديانية ١٩٥٨م، بعنوان: «القادياني والقاديانية»، وألف كتابه «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية» ١٩٦٥م، وكتابه «الأركان الأربعة» ١٩٦٧م، و«العقيدة والعبادة والسلوك» ١٩٨٠م، و«المرتضى في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» ١٩٨٨م.

ومن مؤلفاته أيضا:

«العرب والإسلام»، «مذكرات سائح في الشرق العربي»، «الإسلام والحياة»، «المسلمون وقضية فلسطين»، «المسلمون في الهند»، «روائع إقبال»، «الصراع بين الإيمان والمادية»، «إلى الإسلام من جديد»، «الطريق إلى المدينة»، «العاقبة للعرب والمسلمين»، «العرب يكتشفون أنفسهم»، «روائع من أدب الدعوة»، «التفسير السياسي للإسلام»، «إذا هبت ريح الإيمان»، «بين الصورة والحقيقة»، «الإسلام والعلم» و«حديث من الغرب».

مصطفى يعقوب
باحث أكاديمي

نحو التأويل العلمي للآيات الكريمة

أصبحت الرؤية العلمية، المتمثلة في كل من التفسير العلمي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، جزءا أساسيا في لغة الخطاب الديني منذ فترة ليست بالقليلة، وهذه الرؤية قد جاءت كرد غير مباشر على مزاعم جمهرة كبيرة من المستشرقين ومن شايعهم من مؤرخي العلم من الغرب؛ أن الإسلام يقف موقفا مضادا للعلم، فها هو القرآن الكريم، كتاب الله المنزل، الذي تبين فيه آيات عديدة فضل العلم والعلماء، بدليل أن أول آية كريمة نزلت: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١). والقراءة عنوان العلم ومفتاحه، فإذا كان أول أمر إلهي نزل به القرآن القراءة، كان ذلك أوضح دليل على مكانة العلم في الإسلام. ولقد تولى نفر من أفاضل العلماء والباحثين المسلمين، الذين جمعوا بين التخصص العلمي الدقيق والتفقه في الدين، بيان أوجه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، في هذا العصر الذي يعج بالعلم من كل جانب من جوانب حياتنا المعاصرة، وإضافة إلى سائر أوجه الإعجاز الأخرى، وسوف يكتب لهم هذا العمل في ميزان حسناتهم يوم القيامة بإذن الله تعالى.

وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد نزل لهداية البشر أجمعين، بما تضمه تلك الهداية من الأوامر والنواهي التي تصب جميعها في التشريع الإسلامي، التي أوسعها الفقهاء والعلماء على مر العصور بحثا ودرسا وتفسيرا، فإن عددا غير قليل من الآيات الكريمة يمكن أن يفسر تفسيرا علميا، وإن شئنا الدقة يمكن أن تؤول علميا.

والفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي يوضحه لنا الدكتور زغلول النجار بقوله: «التفسير العلمي أو التفسير عموما هو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية.. أما الإعجاز العلمي فلا يوضح فيه إلا القطعي الثابت من الحقائق العلمية. هناك قضايا كثيرة لم يصل العلم فيها بعد إلى الحقيقة فتكثر النظريات. وأنا لا أرى حرجا في استخدام النظرية الرائجة السائدة المقبولة عقلا في التفسير، لأن التفسير الخطأ فيه لا ينسحب على جلال القرآن الكريم، وإنما ينسحب على المفسر؛ إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد» (١).

ويبقى لنا بعد ذلك مفهومان لعلهما أشد ما يكون تلازما وهما: التأويل والتفسير، وقد يبدو لنا من الوهلة الأولى أن التأويل مرادف للتفسير، غير أنهما في الحقيقة ليسا كذلك، فالتأويل وإن اقترب معناه من التفسير، إلا أنه يختلف في جزئية لا تكاد تبين. ولكي نزيل الالتباس بين هذين المصطلحين يجب علينا أن نذكر بشأنهما ما أورده أبوالبقاء الكفوي في كتابه الموسوعي الضخم «الكليات» إذ يقول: «التفسير: الاستبانة والكشف والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل. والتفسير والتأويل واحد؛ وهو كشف المراد عن المشكل. وقيل: التأويل: بيان أحد محتملات اللفظ، والتفسير: بيان مراد المتكلم. وأكثر استعمال التفسير في الألفاظ ومفرداتها؛ وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل» (٢).

ويورد التهانوي أن: «التأويل مرادف للتفسير، وقيل: هو الظن بالمراد، والتفسير القطع به؛ فاللفظ المجمل إذا لحقه البيان بدليل ظني كخبر الواحد يسمى مؤولا، وإذا لحقه البيان بدليل قطعي يسمى مفسرا» (٣).

ولعل الجرجاني كان أكثر تحديدا لمفهومي التأويل والتفسير، فيقول عن الأول: «التأويل: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى

يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا بالكتاب والسنة. مثل قوله تعالى: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ (آل عمران:٢٧) إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا. وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا (٤). أما التفسير فهو: «في الأصل: الكشف والإظهار، وفي الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة» (٥).

التأويل العلمي للآية الكريمة

وإذا جاز لنا أن نستخلص رأيا من تلك الآراء حول التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم، فإننا نرى أن هذا النمط من التفسير، كوجه من وجوه الاجتهاد، هو نوع من التأويل العلمي لهذه الآية أو تلك بمعنى أن التأويل أقرب ما يكون إلى الرؤية العلمية التي تكمل التفسير إن لم تكن متممة له، باعتبار الاجتهادات في التفسير قد تتنوع، والتأويلات قد تتعدد. وقد عرضت لنا الآية الكريمة:

﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ (آل عمران:٢٧).

فلمسنا فيها جانبا علميا في: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾، وقد فسرها ابن كثير في قوله: «أي تخرج الزرع من الحب والحب من الزرع، والنخلة من النواة والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى في هذا المجرى في جميع الأشياء» (٦). أما الزمخشري في «الكشاف» فقد مر عليها مرورا عابرا بقوله «ثم ذكر قدرته، أي الله عز وجل، الباهرة حال الحي والميت وإخراج أحدهما من الآخر» (٧).

أما التفسير الوسيط، الذي قام بتأليفه لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، فجاء تفسيره مقاربا للمعطيات العلمية، حيث أورد ما نصه: «أما إخراج الحي من الميت فالمراد منه تكوينه من المواد الأولية التي تبني الأجساد، كالماء والهواء وأشعة الشمس والغذاء الذي فقد الحياة بنزعه من أصله».

من هذه المواد الميتة تتكون المنطقة المملوءة بالحياة، ومن النطفة يتكون الجنين الحي. وكما أن منشأ الحيوان ما ذكر، فكذلك منشأ النبات الحي: الماء والهواء وأشعة الشمس والغذاء. وغذاء النبات تربة الأرض، وكل ذلك من قبيل الميت، وبذلك اتضح قوله تعالى: ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾».

«وأما إخراج الميت من الحي، فالمراد منه إبطال الحياة من الحي، بأي سبب أراده الله. فتبطل آثارها، ويعود الجسم إلى أصله الميت، وهو الماء والتراب، بعد التحلل والتفاعل مع العوامل التي تنتهي به إلى ذلك» (٨).

هذا ما ذكره التفسير الوسيط في تفسيره لمعنى تلك الآية الكريمة، ولأن التأويلات تتعدد في تفسير معنى الآية الكريمة الواحدة، فإننا سوف نعرض تأويلا نرجو من الله عز وجل أن يلهمنا الصواب فيه، وهذا التأويل هو أقرب ما يكون إلى الرؤية العلمية لتلك الآية الكريمة. وتتلخص تلك الرؤية العلمية في نشأة الأرض وتكوين الصخور ودورة الحياة عليها.

فمن الحقائق التي يجمع عليها علماء الجيولوجيا أن الصخور النارية هي أول نوع من أنواع الصخور التي تكونت على ظهر الأرض، وهي كما هو معروف صخور صماء لم تكن في يوم من الأيام تصلح لأي نوع من الحياة عليها، إذ إن كيفية تكونها من الصهير، وهي المادة الصخرية المنصهرة الكامنة في باطن الأرض، لا تؤهل هذا النوع من الصخور لظهور حياة ما عليها. وعندما يدور الزمن دورته، التي تقدر بمئات الملايين من السنين، لا تصبح تلك الصخور النارية على حالها من الموات، إن صح التعبير، بل تعتريها تغيرات عدة سواء في الشكل أو في محتواها من المعادن، باعتبار أن الصخور هي تجمعات من المعادن المختلفة على حد تعريف الصخر.

وتتلخص تلك التغيرات التي تطرأ على الصخور النارية في مصطلح علمي واحد وهو التجوية weathering، والتجوية وهي لفظة مشتقة من الجو، يحدد تعريفها «المعجم الجيولوجي» بأنها: «تفتت أو تحلل الصخور بتأثير التقلبات الجوية ونشاط عوامل الجو وغيرها من العوامل السطحية» (٩). وهي من أكثر الظواهر الجيولوجية أهمية لحياة الإنسان لسبب بسيط للغاية وهو أن التربة الزراعية التي لا يستقيم للنبات الحياة من دونها إنما هي من حصيلة التجوية ونتائجها.

وتنقسم التجوية إلى قسمين:

الأول - تجوية فيزيائية (ميكانيكية Physicalweathering Mechanical، ويقصد بهذا النوع من التجوية العمليات الطبيعية التي

تؤدي إلى تحطيم الصخر وتفككه إلى فتات وحطام صخري من دون المساس بالتركيب الكيميائي. ويرادف التجوية الفيزيائية مصطلح التفكك (التفتت) Disintegration.

الثاني - التجوية الكيميائية Chemical Weathering، ومهمتها الأساسية التغيير الكيميائي للمحتوى المعدني للصخور، لاسيما المعادن القابلة للتغيير، وتنشأ عادة من تفاعل الماء ومكونات الهواء الغازية مع المعادن المكونة للصخور فتحول بعض المعادن إلى معادن أخرى.

ويرادف التجوية الكيميائية مصطلح التحلل Decomposition. والتجوية الميكانيكية (التفكك) والتجوية الكيميائية (التحلل) تعملان معا في الغالب، وربما سادت إحداهما على الأخرى وفق الظروف المناخية، وعلى سبيل المثال فإن التحلل يسود في المناطق الرطبة والدافئة بينما يسود التفكك في المناطق الصحراوية الجافة.

ومن أهم عوامل التجوية الكيميائية: التميؤ Hydrolysis: وهي عملية من شأنها اتحاد الماء مع بعض المعادن التي تتكون منها الصخور، وينتج عن ذلك ظهور معادن جديدة ذات صفات وخصاص جديدة تماما.

ومن أشهر الأمثلة الدالة على التميؤ معادن الفلسبار Feldspar، وهي من أوسع مجموعات المعادن المكونة للصخور النارية وأكثرها انتشارا، والتي ينتج عن اتحادها بالماء تكون معادن طينية Clay Minerals. وبطبيعة الحالة فإن عملية التميؤ، التي تحدث للمعادن، تكون أنشط ما تكون في المناطق الرطبة والاستوائية، حيث يقوم الماء بالدور الأساسي فيها.

وما يهمنا في هذا الشأن هو تحول معادن الفلسبار إلى معادن طينية، ويؤدي تكون المعادن الطينية بطبيعة الحال إلى تكون الصخور الطينية، ومن ثم تكون التربة Soil، التي تعد أهم نواتج التجوية على الإطلاق، باعتبار أنها بخصائصها ومكوناتها والظروف السائدة حولها هي المسرح الطبيعي لظهور الحياة والأحياء. فلو ظلت الصخور منذ نشأتها على حالها كما هي لما تكونت التربة ولما صلحت للزراعة التي تقوم عليها حياة الأنام والأنعام، وكانت أقرب ما تكون إلى صخور القمر والمريخ (١٠)، وسبحان من يخرج الحي من الميت.

وبمرور الزمن، الذي يقدر بملايين السنين، تزدهر أنواع شتى من أجناس وأنواع الحياة النباتية والحيوانية، منها ما ينقرض ومنها من يأخذه التطور ليحدث في الأرض أجناسا وأنواعا أخرى. غير أن تلك الكائنات الحية من أنواع وأجناس النبات والحيوان التي ازدهرت بها الحياة على الأرض ما لبث أن حل عليها ما يحل على أي كائن حي وهو؛ الموت، لتتحول بعد زمن قد يصل إلى ألوف وربما ملايين السنين إلى ما يعرف بـ «الأحافير». والأحافير Fossils في أبسط تعريف لها: هي بقايا أو آثار الكائنات الحية، نباتية كانت أو حيوانية، التي عاشت منذ ملايين السنين ثم انقرضت ولم يبق منها سوى آثارها الصلبة. ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما حدث لتلك الكائنات الحية، نباتية أو حيوانية، لتتحول إلى أحافير؟

والحقيقة أن هذا التحول يحدث بفعل عملية تعرف بـ «التحفر»، والتحفر Fossilization هو تحول الجزء الصلب من الكائن الحي، سواء أكان هذا الجزء من العظام أم الأصداف إذا كانت الأحفورة لحيوان، إلى مادة حجرية تطابق الأصل تمام المطابقة.

ولكي نزيد الأمر إيضاحا حول الكيفية التي يتم بها التحفر، نقول إذا تخيلنا حيوانا من الحيوانات وليكن ديناصورا - على سبيل المثال - جاء قبل مئة مليون سنة أو يزيد ليشرب من بحيرة فغرق فيها، ثم لم يلبث أن تحلل جسمه بعد موته بطبيعة الحال ولم يبق منه سوى عظامه، وبمرور الزمن تراكمت الرواسب فوقه التي تسربت من خلالها مياه مشبعة بالمعادن التي أخذت تحل محل مادة العظام ليصبح الهيكل العظمى للديناصور في نهاية المطاف مادة متحجرة. ويرى هذا النوع من طرق حفظ الأحافير جليا واضحا في الأشجار المتحجرة التي لا يشك من يراها لحظة في أن ما ينقصها فقط هو دبيب الروح في جذوعها وأغصانها، وسبحان من يخرج الميت من الحي.

الهوامش

١- المنهل، العدد ٥٩٧، جمادى الآخرة، ١٤٢٦هـ، حوار مع د. زغلول النجار، مصطفى محمد مصطفى، ص٩٥.

٢- الكليات، أبوالبقاء الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، ص٢٦٠.

٣- كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، تحقيق د. لطفي عبدالبديع، ج١، ص١٢٨.

٤- التعريفات للجرجاني، ص٣٤.

٥- المصدر السابق، ص٤٠.

٦- تفسير ابن كثير، طبعة دار ابن حزم، بيروت، ص٣٦٠.

٧- تفسير الكشاف للزمخشري، طبعة دار المعرفة، بيروت، ص١٦٧.

٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ط٣، ١٩٤٢م.

٩- المعجم الجيولوجي، ص٤٥٧.

١٠- الجيومورفولوجيا، مصطفى يعقوب عبدالنبي وآخرون، ص٢١٤ وما بعدها.

محسن عبدربه
شاعر مصري

مركب.. الأخيار

لجأت إليك يا ربي ... تسهل جامح الصعب
وتنصرني على نفسي ... لأعبر هائج الخطب
وتنصرني على الشيطا ... ن في شرق وفي غرب
وتكتبني مع السعدا ... ء تنشلني من الكرب
وأركب مركب الأخيا ... ر يفرح بالمنى قلبي
وأدخل جنة الفردوس ... في بستانها الرحب
أناجي الحور والولدا ... ن في فرح وفي حب

طارق إبراهيم حسان
باحث لغوي

اللغة العربية وتحديات الواقع

يرى جورج سارتون، وهو أحد أشهر المشتغلين بتاريخ العلوم، وخاصة تاريخ العلوم عند العرب، «أن العرب عباقرة الشرق في العصور الوسطى».
ويرى سارتون أن الكتابات والمؤلفات الأصيلة التي تركها العرب، هي من أهم المآثر التي يمكن لأمة أن تقدمها للإنسانية، وأن العرب أفلحوا أن يفرضوا فكرهم ولغتهم على كل الحياة الثقافية في العالم خلال فترة زمنية طويلة، كان يتحتم خلالها على كل من يريد الإلمام بثقافة عصره أن يتعلم اللغة العربية، لكي يستطيع الاطلاع على آثار العرب وأعمالهم، لأن هذه الأعمال كانت تمثل سجلا وافيا وحافلا للفكر الإنساني، ذلك أن اللغة العربية في مرحلة ازدهار الحضارة العربية والإسلامية كانت هي المعبر الرئيس عن هذه الحضارة التي اشتملت، ضمن ما اشتملت على جهود واكتشافات العلماء العرب في مجالات عديدة، منها: الطب والصيدلة والكيمياء والفلك والجغرافيا.

وقد اقتفى علماء الغرب خطاها وساروا على نهجها، حيث لم يكن هناك وقتئذ ما يسمى بالحضارة الغربية.

وعلى صعيد العلوم الإنسانية قام المترجمون العرب بشرح ونقل كتب ومخطوطات الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية، فيما نقلها بعد ذلك المترجمون الغربيون عن اللغة العربية.

لذلك، فعند مناقشة خصوصية الثقافة العربية، لا مناص من التوقف المستفيض عند اللغة، باعتبار أن اللغة العربية تشكل البعد الحصري البدهي، لهذه الخصوصية، وتعد في الوقت نفسه أداة ووسيلة للتفاهم بين شعوب العالم العربي، والقضاء عليها أو إضعافها سوف يؤدي بالضرورة إلى ضعف الوشائج التي تربط بين هذه الشعوب والقضاء على التقارب الفكري والعاطفي والوجداني الذي يقوم أساسا على اللغة العربية، وبالتالي ضعف العالم العربي كوحدة ثقافية.

مناقشة الثقافة العربية تستدعي التوقف المستفيض عند اللغة

ولذا ظهرت محاولات التشكيك في أهمية اللغة العربية وفاعليتها وقدرتها على التعبير عن معطيات العلم والحضارة الحديثة، وظهرت أيضا المحاولات التي تدعو إلى اتخاذ بعض اللغات الأجنبية لغة لتعليم بعض التخصصات في الجامعات، وهذه المحاولات تخفي بعضها وراء السعي إلى تطوير اللغة العربية والارتقاء بها.

كانت هناك أيضا المحاولات التي بذلت لاستبدال الحروف اللاتينية بالحرف العربي، على زعم أن ذلك يقضي على مشكلات التشكيل وصعوباته، وكانت هناك محاولات أخرى لتشجيع استخدام اللغات واللهجات الفرعية والدارجة والكتابة

بها.
ومع أنه ليس ثمة غبار على الاحتفاظ بهذه اللهجات وحفظ التراث الأدبي الشعبي الذي يسجل بها؛ لأن في ذلك إثراء للثقافة العربية، على أن يتم ذلك بقصد المحافظة على التراث، وليس بقصد إحلال تلك اللهجات الدارجة محل اللغة الفصحى، سواء في الكتابة أو في التدريس أو في بعض المجالات الأخرى، لأن مثل هذا التحول من شأنه إضعاف الوحدة العضوية القائمة بين أقطار العالم العربي وشعوبه، والفصل بينها لغويا، وبالتالي فكريا مادام الفكر يرتبط باللغة ارتباطا وثيقا.
وقد يكون هناك شيء من المبالغة في التخوف من أن تؤدي هذه المحاولات وأمثالها إلى اندثار اللغة العربية والقضاء عليها، كما هو شأن اللغة اللاتينية، فثمة عوامل كثيرة تحول دون ذلك؛ بل تساهم هذه العوامل في تطوير اللغة العربية بإدخال كثير من الإضافات والتغييرات والتعبيرات في بنائها ومفرداتها، وأول هذه العوامل وأهمها «القرآن الكريم» الذي يهتم معظم الناس في العالم العربي بحفظه أو حفظ أجزاء منه واستخدام آياته في الصلاة والاستشهاد بها في مختلف المواقف والمناسبات، وسوف يساعد الاهتمام بتحفيظه لصغار التلاميذ على المحافظة على اللغة العربية الفصحى والإبقاء عليها كلغة حية حتى وإن لم تكن هي لغة الكلام العادي؛ فضلا عن انتشار التعليم وازدياد الإقبال عليه واستخدام اللغة العربية في مختلف مراحل التعليم، وكذلك استخدامها في الإذاعة والتلفزيون وخاصة في نشرات

اللغة هي المعبر الرئيس عن الحضارة العربية

الأخبار وهو ما يؤدي إلى الارتقاء باللغة وحفظها (١).
وعلى الرغم من أن اللغة العربية لاتزال تفتقر إلى كثير من المصطلحات العلمية الدقيقة التي تجعلها تساير التقدم العلمي والتكنولوجي الحديث؛ إلا أن هذا الأمر لا يعد قصورا في اللغة في ذاتها أو إلى عجزها وعدم قدرتها على التعبير، وإنما يرجع إلى التراجع بشكل عام عن مسيرة العلم وعن الحضارة الحديثة وعدم المشاركة في صنع التقدم.
فاللغة تتبع الفكر وتعبر في الوقت ذاته عن الفكر، وليس أمام العرب في المرحلة الحالية من تاريخهم سوى استعارة المصطلحات المرتبطة بالحضارة الحديثة التي لا يشاركون في صنعها، وتعريب هذه المصطلحات بقدر الإمكان، وإن كان ذلك قد يؤدي إلى إثراء اللغة العربية بحيث لا يكون الأمر كله شرا يلحق باللغة وبالتفكير (٢).

اللغة والواقع الاجتماعي

في البعد الاجتماعي للغة العربية لا يتوقف الأمر عند مواجهة التحديات التي تواجهها اللغة بحفظ القرآن الكريم وانتشار التعليم باللغة العربية والدور الذي يؤديه الإعلام في الحفاظ على اللغة الى حد ما، هناك مشكلات أخرى ومخاطر تواجهها اللغة، في علاقتها بالواقع، حيث تبدو بعض الثنائيات الإشكالية التي لها دور كبير في قضايا الأدب واللسانيات.

لعل أبرزها ما يثيره اللغويون ونقاد الأدب حول ثنائية الفصحى والعامية، والتي تأخذ أشكالا متعددة، مثل: الفصاحة والخطابة، أو لغة القول ولغة الكتابة.
وثانيها: اللغة واللسان. وهي أيضا تلك الأبعاد الأساسية التي تقوم بدور رئيس في بنية الحوار داخل النصوص السردية، وتعتمد في كثير من الأحيان على تجاوز اللغة الفصحى إلى اللهجات العامية لتحقيق المصداقية الفنية التي ينشدها الكاتب، وقد لا يتحقق له ذلك إذا كانت لغته جامدة لا تتحرر من قيودها بحسب ثقافة وتكوين الشخوص الفنية.
يذكر ديكرو وتودوروف أن الفصاحة والخطابة وطلاقة اللسان من الأسباب المهمة التي جعلت المجتمع اليوناني القديم يهتم بالأسلوب البلاغي، ويعتبره سلاحا قويا في مسار الحياة اليونانية، وذلك لأنه يحقق لصاحبه الوظيفة النفعية التي يريدها من أجل إقناع الآخرين، سواء أكان مضمون هذا الأسلوب صحيحا أم خاطئا، فاللغة في مستواها العادي والإخباري والعلمي مثقلة بالأهداف وطلب المضمون أو الاتصال.
ولعل العلة في عدم البساطة هي البعد بين لغة الكلام وبين لغة الكتابة، وبعبارة اخرى، بين العامية والفصحى، ففي جميع الدول العربية لا يتكلم العربية الفصحى سوى قلة قليلة، حتى قال أجنبي: «إنكم تحملون لغتكم في إناء من زجاج» (٣).
إن إشكالية الفصحى والعامية تسكن كل لغات العالم، وليست جديدة على الثقافة العربية، بل هي موغلة في القدم بوصفها قضية اجتماعية قبل أن تكون قضية لغوية، ويمكن الرجوع إليها في كثير من كتب

المؤامرات تحاك ضد لغتنا العربية ومنها محاولات استبدال الحروف اللاتينية بالحرف العربي

التراث عند الجاحظ وأبي هلال العسكري وابن سنان الخفاجي، لكن المسار الجديد للقضية انتهى الى سؤال جوهري: هل من الأفضل الصعود بالعامية إلى مستوى اللغة الفصيحة، أم النزول بالفصيحة إلى مستوى العامية؟ علما بأن سيطرة العامية سيطرة مطلقة، يعني إغلاق الذاكرة العربية بكل محتوياتها الحضارية والثقافية والتاريخية، وهو ما يعرض الهوية العربية للغياب لحساب هوية طارئة يمكن أن نسميها «هوية العولمة»، وإنهاء مهمة اللغة العربية الفصيحة لحساب العامية سوف يترتب عليه ظهور جيل جديد لا صلة له بلغة الأجداد والآباء، أي أن الصلة سوف تنقطع بين هذا الجيل والتراث العربي جملة، ذلك أن اللغة ليست مجرد مفردات وتراكيب، وإنما هي ذاكرة لتجارب الحياة المتطورة عبر التاريخ، فإذا ضاعت اللغة الفصيحة من الأبناء، فكيف لهم أن يقرؤوا ما تركه لهم الآباء القدامى الذين شاركوا في تأسيس الحضارة والثقافة العربية في المعارف والعلوم المختلفة والإبداع.

إن اعتماد العامية بديلا عن الفصيحة سوف يعزل الأجيال الجديدة عن تاريخها المتتابع عبر العصور، بدءا من تاريخ العرب قبل الإسلام، إلى تاريخهم بعد الإسلام، مرورا بالمراحل السياسية المتتابعة من الأموية إلى العباسية والأندلسية، وصولا إلى العصر الحديث، وكلها

غياب المصطلحات العلمية جاء نتيجة للتراجع عن مسيرة العلم

اللغة تواجه العديد من المشكلات والمخاطر في علاقتها بالواقع

مراحل دونتها اللغة الفصيحة (٤).

اللغة واللسان

الإشكالية الأخرى التي تواجه اللغة العربية هي إشكالية اللغة واللسان، وهنا لابد أن نفرق بين ما هو لساني، وما هو لغوي.

فالنعت باللساني يعني النسب إلى العلم والمنهج؛ والنعت باللغوي ينصرف إلى الظاهرة المدروسة في الكلام أو اللغة المعنية.

ومن المزعج حقا تلك الدراسات النقدية التي يقوم على إنجازها كتاب متوسطو الثقافة ممن يجهلون أبسط قواعد الكتابة، فيوظفون كلمات أو مصطلحات لها مدلولات مختلفة تماما عما يقصدون، فما أسوأ من أن يستخدم الكاتب كلمة يجهل معناها، ومن هذه الكلمات المنتشرة في الكتابات النقدية كلمة لسان أو لساني واللسانيات، أو علم اللسان بحسب مازن الوعر هي: «الدراسة العلمية للغات البشرية كافة من خلال الألسنة اللغات الخاصة بكل قوم من الأقوام».

وتعني بالدراسة العلمية البحث الذي يستخدم الأسلوب العلمي المعتمد على الملاحظة والتجريب والاستقراء، وبناء النظريات الكلية من خلال وضع نماذج أو مناهج قابلة للتطوير والضبط، ثم استعمال التحليل الرياضي الحديث من أجل موضوعية مطلقة في البحث ونتائجه.

وأوضح أن ارتباط اللسانيات بظواهر لغوية وغير لغوية جعلها

تتشعب إلى فروع عديدة، يعني كل فرع منها بظاهرة معينة.

ويفرق مازن الوعر بين الاتجاهات اللسانية بأن اللسانيات الاجتماعية، تبحث في العلاقة بين اللغة وبين المجتمع. ويبحث هذا الاتجاه في اللغة واللهجة وتأثرهما بالمحيط الجغرافي، كما يبحث في العلاقات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الواحد وأثر ذلك في تعدد المستويات اللغوية ضمن ذلك المجتمع؛ بينما تبحث اللسانيات الأنثروبولوجية في الصلة التي تربط اللغة بأجناس البشر، وكيفية تقسيم هذه الأجناس للغة، طبقا للواقع الفيزيائي الذي يحيط بها.

هذا النوع من الاتجاه اللساني سيكون له دوره في صياغة المكونات الأسلوبية عند الكتاب، تلك المكونات التي تصوغ الأسلوب عموما، معتمدة على الخلفية الثقافية والاجتماعية والتاريخية والدينية التي يتبناها كل جنس من الأجناس البشرية، وتبحث اللسانيات التطبيقية في الوظائف التربوية للغة من أجل تعليمها وتعلمها. أما اللسانيات البيولوجية فتبحث في العلاقات القائمة بين اللغة وبين الدماغ لمعرفة البنية اللغوية الإدراكية عند الإنسان وكيفية تطورها، وبعبارة دقيقة: إنها تريد معرفة «سر صناعة الكلام»، وعبارة الجاحظ من أجل أن تتوصل أيضا إلى كيفية نشوء الأمراض اللغوية عند الصغار والكبار، كالتأتأة والفأفأة والتمتمة والتعتعة واللثغة.. إلخ.

وهناك اللسانيات الرياضية، وتبحث في اللغة من أجل تطويعها في أطر رياضية، وذلك لحوسبتها في الحاسوب بعد ضبط قواعدها الصوتية والنحوية والدلالية، وهناك اللسانيات الحاسوبية المعلوماتية

ثنائية الفصحى والعامية لها أبعاد إشكالية في بنية الحوار داخل النصوص السردية

التي لها علاقة وشيجة باللسانيات الرياضية، وتبحث في العلاقة القائمة بين الحاسوب والهندسة الإلكترونية من جهة، وبين اللسانيات والمعلومات البرمجيات من جهة اخرى.

بينما تعنى اللسانيات النظرية بدراسة الأصوات اللغوية دراسة فيزيولوجية وفيزيائية وسمعية دماغية.

كذلك تعنى بدراسة التراكيب اللغوية من حيث بناء الجملة وبناء الكلمة ورتبتها داخل الجملة، ومن حيث القواعد التي تصوغ الكلام وتضبطه في الوقت نفسه. وتعنى اللسانيات النظرية أيضا بالدلالة التي تفرزها هذه الأصوات والتراكيب، سواء أكانت دلالة خاصة أم عامة، معروفة ومخزنة في الدماغ أم غير ذلك. وبكلمة دقيقة: إنها تعني بنية المعنى وكيفية توليده في اللغة وخارج اللغة (٥).

أما إشكالية اللغة في الكتابة الأدبية، أو إشكالية الفصحى والعامية في بنية الحوار داخل النصوص السردية؛ فإن الكاتب مطالب بالحفاظ على اللغة الفصيحة وعدم النزول بمستوى الكتابة الأدبية إلى اللغة الشائعة أو اللغة العامية، فضمن مسئوليات الكاتب نحو اللغة أن يحافظ عليها ويحميها ويعمل على تطويرها باستمرار، والكاتب مطالب -في الوقت نفسه- بالصدق الفني في بنائه للشخوص الفنية، ولا يتحقق هذا الصدق إلا بأن تتحدث كل شخصية بلسانها المعبر عن ثقافتها وبيئتها وتكوينها، وهذه إشكالية تحتاج إلى بذل الجهد في اختيار وبناء لغة الشخوص (٦).

وإذا كان الأمر كذلك، فإن أعمالا تظهر من حين لآخر، وتثير الجدل حولها، ثم ما تلبث أن تختفي، ومن هذه الأعمال: رواية «لبن العصفور» للروائي يوسف القعيد التي كتبها كلها بالعامية المصرية، وصدرت في تسعينات القرن الماضي، وتعرض بسببها لهجوم كبير حينذاك، وبرر القعيد هذا النوع من الكتابة بأنه نزوة أدبية، لكن الرواية اختفت من حينها ولا يذكرها أحد، بينما روايته «الحرب في بر مصر» المكتوبة قبلها بسنوات لازالت تحتفظها الذاكرة الأدبية العربية، وتحوز إعجاب القراء والنقاد على السواء.

الهوامش

١- راجع «هوية الثقافة العربية» د. أحمد أبو زيد- الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢- انظر في ذلك د. محمد عزيز الحبابي: «الثقافة العربية والمجامع» بحث مقدم إلى ندوة اللغة العربية والمجامع اللغوية- الخطة الشاملة للثقافة العربية -المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت المجلد الثالث، القسم الثاني، (١٩٨٦م).

٣- راجع د. مصطفى ناصف -مجلة إبداع- الهيئة العامة للكتاب- العدد الثاني- فبراير (١٩٩٣م).

٤- راجع د. محمد عبد المطلب- جريدة الأهرام- (١٦) أغسطس (٢٠١٤م) (مقال).

٥- د. مازن الوعر- الاتجاهات اللسانية المعاصرة ودورها في الدراسات الأسلوبية (دراسة) - مجلة عالم الفكر- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت- العدد الثالث والرابع، يونيو (١٩٩٤م).

٦- للمزيد حول إشكالية الفصحى والعامية في النصوص السردية، يمكن الرجوع إلى حواراتنا في جريدة اليوم السعودية ومجلة «الحرس الوطني» (١٩٩٣م- ١٩٩٨م) وخاصة يوسف القعيد ونبيل سليمان وحنا مينة وإميل حبيبي وإدوار الخراط، وعبدالقادر القط ومصطفى ناصف وصلاح فضل وأحمد كمال زكي وسعد البازعي وسعيد علوش وسعيد يقطين وغيرهم.

سماح بادبيان
قاصة يمنية

انتـــــظار

إذا كانت عجلة الزمن تمضي سريعا فإن دقائق الانتظار هي أبطأ ما فيها! كل الوجوه في صالة الانتظار أمام غرفة الإنعاش كالحة تتغشاها سحائب الهموم وترتسم على صفحتها صورة ملطخة لأحزانها وعذاباتها بأبشع الألوان القاتمة.. تجتر بصمت ما تبقى لها من كل شيء.. والموت باسط جناحيه حولنا وقلوبنا مطويات بيمينه!

انتزعتني وأخي سطوة الموت من حيث انعطفت بكل واحد منا دروب الحياة وتركته يعاركها وتعاركه.. لنقبع هنا نراقب عقرب الثواني في مسيرته البطيئة نحو الفناء.. وهل حياتنا إلا دقائق وثوان يفني بعضها بعضا.. حتى تفنى جميعا.. وينتهي كل شيء!

أوصدت الأبواب أمامي.. أبواب غرفته وأبواب الحياة.

وأمام الباب الموصد كنت أذرع الصالة جيئة وذهابا.. وأذرع في تلك الأمتار القليلة عمري كله منذ اللحظة التي استقبلتني فيها الحياة صارخا.. إلى هذه اللحظة التي يبتلعني فيها شبح الصمت..

أقطع أربعة أمتار وأربعين عاما في ثوان معدودة..

أطل فيها من على تلة العمر أبصر مواقف السنين الماضية من كل الجهات.. أبصرها ذات اليمين وذات الشمال وقد صارت أمامي منبسطة واضحة كسهل مفتوح ممتد عبر مرافئ الزمن!

أطوف من هناك بأركان الماضي.. ألملم ركام الذكريات وأنثرها أمامي..

مذاق الحلوى في فمي.. حرارة قبلاته على جبيني.. ودفء أحضانه عندما يحتويني!

أغوص في دوامة الذكرى حد الوجع.. وتشتعل نيرانها في روحي تحرق أعصابي ومشاعري.. تكويني وتدمرني وتتركني كذكرياتي منهكا مبعثرا!

تمتد إلي يد أخي.. تنتزعني من دوامة الذكريات.. تنقذ روحي من الغرق في تفاصيلها..

اجلس!

قرفصت بجانبه أتأمله ويتأملني.. كأنني لا أعرفه وكأنه لا يعرفني! متى التقينا آخر مرة.. كم سنة مرت على آخر حديث جمعنا.. لست أدري؟!

قال:

- أتذكر.. عندما كنا صغارا ننتظر بشوق أمام باب شقتنا.. ونراقب عقارب الساعة فتقول: الساعة معطلة.. إنها لا تتحرك!

فأقول لك:

- انظر جيدا.. أترى ذاك العقرب الرفيع إنه يتحرك!

فتدقق النظر في عقرب الثواني لحظات معدودة ثم تصرخ مستنكرا: لقد وصل العقرب الرفيع إلى الوسط.. لماذا لم يصل؟!

فأضحك وأقول لك: راقب العقرب السمين القصير.. عندما يصل إلى الوسط.. سيصل هو!

إننا نفعل الشيء نفسه الآن.. نراقب الساعة والباب.. لم يختلف إلا الأمل الذي ننتظره.

أطرقت رأسي.. ومسحت قطرات الدمع الفارة من سلطان رجولتي!

تمر أرواحنا على شفرة الموت الحادة.. والدقائق لا تمر..!

تؤلمني طقوس الانتظار والترقب.. تنتهكني.. وتنهكني.. ومع كل دقيقة تمر تتصدع جدران روحي.. وتتشقق.. ومن تلك الشقوق تتسرب قطرات اليأس لتغمر بقايا الأمل في نفسي.

وأنتظر.. وجميع كلماتي معي تنتظر..! الكلمات التي حشدتها لأقدمها قربان اعتذار وأسف على سنوات الهجر والغفلة..

تائها كنت.. كقطرة من ماء اغترت بنفسها ولم تدرك أن قيمة حياتها في منبعها.. فاستقرت على صخرة هاجرة النبع الذي نشأت فيه.. فتبخرت وانتهت!

كنت قطرة تائهة.. وكان أبي منبعي! منحني من عرقه وسهره ثمن الحياة التي أردت.. ولم أفهم!

الآن وقد رفرف شبح الموت على رؤوسنا.. فهمت وتذكرت!

الآن وقد صرت أبا.. أدركت وعرفت! أرفع دعوات كغيث منهمر من الأرض إلى السماء.. أتلو الآيات في قلبي.. وأبتهل إلى ربي أن يشفيه لأعوضه عما فات من قسوتي وبعدي..

أتسلل إلى ركن الصالة بصمت لأقف وأصلي.. أركع وأسجد بلا عدد.. يقف أخي خلفي يكبر معي.. ويأتم بي.. نقيم صلاة تتلوها صلاة.. ننطرح على أعتاب الرحمة الإلهية بقلوب منكسرة نادمة.. قستها نعومة الحياة.. ولينتها قسوة الموت!

وبانتظار أن ينفتح الباب.. ويشرق وجه أبينا الباسم في حياتنا من جديد.. مازلنا ننتظر!

وننتظر.

أحمد معروف شلبي
شاعر

كأنــــه هـــو

كساه ثيابا من حرير ومن خز ... وأقطعه غابا من الجوز واللوز

ودان له عطر الجنان.. فهذه ... بساتين تفاح.. ودوح من الموز

وأعطي من شتى الكنوز خزائنا ... وأسكن في قصر على شاطئ العز

فسار بلا ضعف لما شاء من هوى ... وطار إلى نجم الأماني بلا عجز

جرت تحته الأنهار خمرا ولذة ... ويا رب ضرع جف في الشاة والعنز

يرابي بجوع الناس إن مسهم أذى ... ويجزي بسوء الفعل إن شاء أن يجزي

إذا أقبل المسكين آذاه جهرة ... فيدنيه في كبر، ويقصيه في لمز

ويمشي يشق الأرض ثاني عطفه ... يحدث في غمز.. ويسخر في همز

ولما تناهى في تملكه غوى ... وأصغى إلى الشيطان في الغي والرجز

يُؤوِّل ما يُؤتى من القول والحجا ... ولم يصغ للنصح الصريح ولا الرمز

وإن قيل: لا تفرح.. فللدهر غضبة ... وإن تسعد الدنيا فقد - فجأة - تخزي

وقال: أنا من جاءني الملك ذاعنا ... وأسرف في مال وأتلف في كنز

فلما دعاه: أن كفاك.. وما انتهى ... هوى ما عليه من حرير ومن خز

وألبس ثوب الفقر والذل والضنى ... فلم يضح في ملك ولم يمس في فوز

رشيد الخديري
ناقد مغربي

شعرية القصيدة.. الحضور في الغياب

إنّ ما يميز القصيدة العربية هو جنوحها نحو التجريب، فهي تنمو وتتطور في واقع مليءٍ بالمنعرجات الوعرة والرّجّات العاتية، وكان من المُسَلم به، في خضم هذه الانعطافات الكبرى، أن تندفع إلى الأمام، وترسم لها خطوات جديدة على درب المغامرة والإبداع والتجاوز، ويبدو أن أمر الحسم في الخطاب الشعري العربي وتقييمه، لا يزال مدار سجال بين النّقاد والمهتمين، لأن هذا الخطاب نفسه مازال يعيش في حمأة الصراعات، وعمق التحولات التي يعرفها منذ سنوات، والواقع، أنّ القصيدة العربية باتت تَعْرف اليوم، حالة من الفوضى، حتى باتت تتحرك وسط ركام هائل من الآفاق والمساءلات، لذلك يجري في الوقت الراهن حديثٌ عن وجود أزمة، إلى درجة أن الكثير من الشعراء هجروا القصيدة، موجهين بوصلتهم نحو أجناس أدبية أخرى.

غير أننا، ونحن نُقرُ بوجود أزمة في الكتابة والرؤيا والتلقي، لا بد أن «تطرح لنا استعادة الماضي أسئلة في الحاضر وعن الحاضر، فنحن لا نؤرخ، إنما أن نستكشف أساسا لقراءة القصيدة في واقعها الراهن، وفي الاحتمالات التي تبشر بها» بتعبير الناقد إلياس خوري، وهذا الاستدعاء ينبغي أن يتم بنوع من السيرورة المعرفية، ونعني بذلك، مراجعات كل ما كتب أو لم يُكتب عن القصيدة العربية منذ بداياتها الأولى حتى الآن، صحيحٌ أن القصيدة الجديدة اليوم، ظهرت في سياقات محددة، وناتجة بشكل كبير عن المثاقفة بين الشرق والغرب، غير أن هذه المثاقفة لم تراعِ خصوصيات التربة العربية من أجلِ استزراع كل جديد، والحال، أن الشعرية العربية منذ منتصف القرن الماضي، دخلت في مخاضات عسيرة من التجريب والتخريب، ويظهر ذلك من خلال الانتقال من القصيدة التقليدية باعتبارها «توقيعا شخصيا للثقافة العربية»، إلى شعر التفعيلة مع تنظيرات نازك الملائكة وشعر بدر شاكر السياب رغم حالة السجال التي صاحبت ذلك من ناحية الريادة والأسبقية، إلا أن المعطيات التاريخية والإبداعية تثبت أن حركة الشعر الحر بدأت من العراق، تحديدا سنة ١٩٤٧م وكانت قصيدة «الكوليرا» هي أول قصيدة في هذا المضمار، ثم تلاها في نفس العام ديوان بدر شاكر السياب «أزهار ذابلة» الذي تضمن قصيدة حرة الوزن من بحر الكامل، إذن، حركة شعر التفعيلة أو الشعر الحر أو الشعر المنطلق، بدأت من العراق، ثم تلقفتها باقي الأقطار العربية، والمؤكد أن ثمة سياقات اجتماعية ومعرفية واقتصادية وسياسية، كانت وراء ظهور هذه الحركة الجديدة لتحديث القصيدة العربية، وبنائها بنوع من المغايرة والاختلاف والتمايز، حتى تكون ناطقة بإشكاليات وقضايا المرحلة.

وأول ما ينبغي الالتفاف حوله هو هذه الخلخلة التي تمت على مستوى التوزيع الإيقاعي، فلم يعد الاحتكام إلى الإيقاع الواحد الموحد من أول القصيدة حتى آخرها، وإنما تم التنويع على مستوى الإيقاع إلى درجة يمكننا أن نستخدم أكثر من بحر في القصيدة الواحدة.

إن الدال الإيقاعي ميسم أساسي في قصيدة التفعيلة، وعلى أساسه سُمي بهذا الاسم، فضلا عن مستويات البناء الدّرامي للقصيدة وتأثيث البياضات

الشعرية بالرموز والأساطير والنهل من التراث واستلهام الوقائع والأحداث التاريخية للتعبير عن راهن القضايا، ناهيك عن فعل التثاقف مع ثقافات وأكوان أخرى.

وعليه، فإن شعر التفعيلة هو شعر حرية، لكنها حرية مشروطة بتوفر عناصر عديدة أهمها: الوعي بأننا نقدم قصيدة مختلفة في الشكل والمضمون، ووضع الإنسان في صلب الانشغالات الكبرى للفكر والمجتمع، ثم الرد على التيار الرومانسي بتيار واقعي اشتراكي يتجاوب مع قضايا المجتمع العربي.

إن الشعرية العربية انبنت على الدال الإيقاعي، وحين ينتفي الإيقاع نكون أمام قصيدة خرساء بتعبير الشاعر صلاح عبد الصبور، ولاشك أن شعر التفعيلة، جعل من الإيقاع همه الأكبر، قياسا بالبنيات الشكلية ومستويات الأداء البسيط أو المعقد لمجموعة من رواده كبدر شاكر السياب وصلاح عبدالصبور ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وغيرهم، كما أن هذه المرحلة، تشكل مرحلة مفصلية في حركة الشعر العربي، درءًا لكل مغالطات أو صراعات لا طائل منهما. لقد جاء شعر التفعيلة مأخوذا برياح التغيير التي عصفت بأركان البيت العربي، عقب الهزات العاتية والانكسارات والهزائم المتتالية والتصادم مع الغرب باسم المثاقفة، وكان لابد أن ينعكس ذلك على فن الشعر، وتتهدم بعض أساساته ومفاهيمه، وتتحطم قلاعه الحصينة، مما هو قمين بإحداث تحولات عميقة في صلب القصيدة العربية وطرق تشكلها وانهمارها.

لكننا، اليوم نعيش مفارقات كثيرة، ولم نعد نولي الاهتمام لشعر التفعيلة، لقد تحررنا كليا من «قدسية» الإيقاع، ودخلنا قسرا إلى محراب ما بات يُعرف بـ «قصيدة النثر» تيمنا بكتاب الناقدة الفرنسية سوزان برنار «قصيدة النثر: من بودلير إلى أيامنا»، وتنظيرات شعراء مجلة شعر البيروتية، كمحاولة لتأصيلها في تربة عربية مغايرة ومختلفة، ومهما يكن، فلابد لنا من أن نعترف بدور شعر التفعيلة في تحديث القصيدة العربية، بفعل التحول في التصورات والرؤى والانفتاح على معاني جديدة من منظور مختلف يراعي إشكاليات العالم والذات والوجود، ولا بد أن نقر أيضا، أن هذا الشعر في تراجع مهول، مقابل (توهج) قصيدة النثر التي باتت مطلب الشعراء وغير الشعراء، وإن كانت مسألة تأصيلها واستزراعها في الأرض العربية، مثار نقاش طويل، والواقع، أن ظهورها منذ الخمسينيات تزامن مع قلق البحث عن آفاق أخرى للشعرية العربية، نتيجة معطيات وظروف لا يتسع المجال لذكرها، المهم، أن هذه الصيحات الجديدة في الكتابة الشعرية، يمكن القول أنها حجبت غابة الشعر الكثيفة، رغم كل ما قيل حولها من درجات الاستسهال والاجترار والتكرار وانسداد في الأفق، وهذا من وجهة نظري، سليمٌ وصحيحٌ، لأن القصيدة العربية هي قصيدة معيارية إيقاعية بامتياز، وأهم دال في قصيدة النثر مُغيّب ومتحجب وراء إيقاعات نبرية صوتية، وهو ما يشكل عائقا في تلقيها وتلقفها، ربما، الشعر ليس هو الإيقاع فقط، وإنما الذائقة العربية الشعرية تشكلت على الموسيقى والإيقاع، لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل انتهى فعلا زمن شعر التفعيلة؟ هذا السؤال متاهة، على اعتبار أن الشعر بكافة أنواعه يعيش أزمة، وعليه فالأمر ينطبق على شعر التفعيلة، لم يعد هناك تجديد على مستوى بناء المعنى ولا على مستوى الإيقاع، فقط بقي كما تم التنظير له إبان ظهوره مع جيل الرواد، ربما ، فهي لم تحاول خلق نوع من التجاوز والتخطي، وتخط لنفسها نَفَسًا مغايرًا أو على الأقل أن يتم تطوير أدوات اشتغالها وطرائق بنائها، وقد أقر الشاعر صلاح عبدالصبور أن ما يُكتب الآن من شعر باسم التفعيلة أغلبه رديء، ولا يرتقي إلى مستوى الشعر، كما أن الشاعر الراحل عمر أبو ريشة أشار في أحد آرائه إلى التخريب المتعمد الذي طاله من جهات معادية، هذه آراء نسوقها لا لنبرر موقفنا من شعر التفعيلة الآن، وإنما للبرهنة على حجم الفداحة التي وصل إليها شعرنا، وهذه حقيقة لا يمكن حجبها، إلا أننا في نفس الوقت، لا يمكن أن نتجاهل تجارب شعرية مهمة آمنت ومازالت بفتوحات الشعر الحر، كتجربة الشاعر العراقي سعدي، نموذجًا ممّن حاولوا قدر الإمكان تجديد أدوات الاشتغال وتطوير البنيات الشكلية للقصيدة وطَرْق مواضيع جديدة، لكنها على كل حال، تبقى تجارب معدودة على رؤوس الأصابع مقارنة بما يكتب في قصيدة النثر مثلا، فالمجاميع الشعرية التي تصدر كل عام تعطي الامتياز لهذه الأخيرة، ومن المؤكد أن القصيدة التفعيلية مازالت حاضرة بقوة، وتؤثث المشهد الشعري العربي بما يلزم من أدوات، بل إن الكثير من كُتّاب قصيدة النثر أعلنوا الرجوع إلى حضن القصيدة التفعيلية أو الشعر العمودي، ومهما يكن، فإن القصيدة العربية في كلياتها ماضية في الكشف عن كل المفارقات، ولا يمكن أن نستثني من هذه السيرورة أي جنس شعري.

مياسة النخلاني
قاصة من اليمن

مصالحة

قطع وسام الشارع المؤدي إلى البيت بخطوات واسعة. ورغم سعة الشارع وخلوه من المارة، فإنه شعر به يضيق على صدره، كأنما يد غليظة أخذت تطبق على حنجرته بقوة جعلت الدموع تترقرق من عينيه وتشوش عليه الرؤية. مسحها بظهر كفه، وعندما أدرك عدم جدوى ذلك تركها تشق طريقها على خديه بصمت، بينما أخذ هو يشق طريقه على غير هدى.

ظل فتحي ينفخ على الزجاج مكونا دائرة كبيرة من البخار يحولها لاحقا بإصبعه إلى أشكال من دون معالم، يمسحها سريعا ويعاود النفخ بذهن شارد.

بعينين تائهتين راقب الشارع الذي تخبو حركته بمثل هذه الساعة من النهار، وحين مل المراقبة، وربما ملته أفكاره المتضاربة، ترك كرسيه وذرع الغرفة ذهابا وإيابا وكأنه نمر أخذ على حين غرة من سعة الغاب إلى قفص ضيق على سعته؛ ليرتمي أخيرا فوق سريره، تصدر عنه تنهيدة طويلة حررت قفصه الصدري من بعض الهواء الساخن العالق على جدرانه.

بعد نصف ساعة من السير المتواصل فوجئ وسام بأنه يقف أمام بيت فتحي، آخر مكان يود أن يكون فيه، كيف أتى إلى هنا؟! ولماذا قادته قدماه إلى أمام هذا الباب بالذات، ومنه خرج البارحة يجرجر خيبته، بعد أن تعرض إلى الطرد المهين، وممن؟! فتحي؟! رفيق دربه وتوأم روحه.

ترعرعا وتعلما معا، وشقا طريقهما في الحياة جنبا إلى جنب، عملا وكبرا معا، أسسا مشروعا مشتركا وجنيا ثمار صبرهما وإخلاصهما في العمل، حتى عندما قررا أن يكوّنا أسرتين اختارا زوجتيهما من الأسرة نفسها، بل من البيت نفسه.

لا يتذكر من صاحب الفكرة، هو أم صديقه، ولن يتذكر؛ فكثيرا ما تحدثا بلسان واحد وفكرا بعقل واحد؛ حتى أطلق عليهما الجميع لقب «التوأم». ليتبخر كل هذا في لحظة؛ ويجد نفسه من دون سند أو أخ، لا صديق أو شريك؛ بل شخص غريب عنه يملأ الحقد والكراهية قلبه ولسانه، يتهمه بصفات ليست فيه، يكرهه بكل ما تحمله الكلمة من معنى! متى تكوّن الحقد في قلب فتحي تجاهه؟! لا يدري! كان مشغولا ومنغمسا في العمل إلى حد جعله لا ينتبه إلى شيء.

«لا، لم يتبخر كل شيء»، صاح فتحي بعلو صوته وهو يغادر سريره ويعاود ذرع غرفته بخطوات غاضبة، لا يدري كيف طاوعه لسانه طرد وسام، أخيه وصديقه وشريكه، كيف خرجت الكلمات من لسانه؟! بل كيف فكر في ذلك من الأصل؟! ومع ذلك لا ينبغي لكل شيء أن ينتهي بهذه السرعة الجنونية «لا ينبغي لكلمة واحدة أن تهد ما بنياه معا لسنوات طويلة، طويلة جدا! كان أكبر مني فعلا وأنا الكبير عمرا، حمل على كاهله حملا ثقيلا. بقصد أو من دون قصد أعطى كامل الصلاحيات لنفسه للقيام بكل شيء، شعوره بالمسؤولية، رغبته في العمل والعطاء جعلته لا ينتبه إلى تهميشه إياي. أنا أيضا أريد أن أكبر معه، لا أراه يكبر ويتطور وأنا واقف مكاني؛ بل أتراجع إلى الوراء وأشعر بمدى الفارق الشاسع الذي أصبح يفصل كل منا بالخبرات والأوسمة المعنوية التي يتقلدها يوما بعد يوم، ونحن بدأنا خطواتنا معا.

حاولت أن أصمت، أتغاضى؛ لكن أن يصل الحد إلى أن يتجه نحوه أولادي كلما احتاجوا إلى شيء من دون حتى أن يفكروا في أن لديهم والدا يمكنه القيام بذلك أيضا، أظن أن هذا ما لا أستطيع تحمله!

صمت لبرهة قبل أن يصيح بمرارة: يا إلهي! كيف قلت ما قلته له؟ وكيف طردته من داري التي بناها معي بيديه؟

أثناء مروره بالنافذة توقف بغتة، لم يصدق عينيه وهو يرى وسام يقف أمام بابه من دون حراك، لا هو يذهب ولا هو يطرق الباب، غادر الغرفة ونزل الدرج ليفتح الباب في اللحظة التي استدار فيها وسام مغادرا: «إلى أين تذهب؟»، قال مناديا في لهجة أقرب

إلى الاستجداء.
تسمر وسام في مكانه، أن تقوده قدماه وهو شارد الذهن إلى هنا فهذا وارد بحكم العادة وقدومه الدائم؛ لكن هل يعقل أن تخذله يداه أيضا وتطرق الباب دون رغبة منه؟!
ولماذا يرغب في العودة إلى البيت الذي طرد منه وأهين فيه وهو قضى سنوات يشارك في تأسيسه وتشييده؛ بل واختار بنفسه أثاثه، ناهيك عن عمره وصحته اللذين أهدرهما وهو يتابع الصغيرة والكبيرة من العمل محاولا التخفيف عن فتحي قدر ما يستطيع ليجنبه التعب؛ خصوصاً بعد الحادث الذي تعرض إليه وأصبح أي إجهاد يؤثر في أعصابه؟! لماذا أتى إلى هنا؟ يكفيه ما لاقاه البارحة من نكران وجحود، فعوضا عن كلمات الشكر والتقدير لا يجد أمامه سوى قلب امتلأ نحوه حنقا وغضبا.
«لا.. لم أطرق الباب، وفتحي لم يناد علي الآن، أنا أتخيل فقط»، همس لنفسه، أغمض عينيه وواصل خطواته من دون أن ينظر إلى الخلف.
في اللحظة التالية، كان فتحي يقف أمامه يمنعه من الابتعاد.
«فقط انتظر، أرجوك». قالها فتحي متوسلا!
«ماذا هناك؟! أظن أنك البارحة فقط طلبت مني ألا أريك وجهي، وطالبت بفض الشركة بيننا؛ تراني مجددا، لا أدري كيف قادتني قدماي إلى هنا، لكني أحاول تلافي الأمر والابتعاد بأسرع ما يمكن».
«لا، لم أقل ذلك، أقصد لم أعنه أبدا، لحظة غضب ليس إلا».
«بغض النظر، ففي لحظة غضب عبرت عما حاولت إخفاءه، لا أدري لكم من السنوات».
«منذ الحادث ليس إلا»!
«أعتقد أني منذ ذلك الحين بالذات وأنا أحملك على كفوف الراحة، بل وأعمل عني وعنك». قال مندهشا
«هذا هو المقصود، منذ ذلك الحين وأنا أعاني التهميش منك، والآن من أفراد أسرتي».
«ليس تهميشا بقدر ما هو..»
قاطعه فتحي: «بل تهميش»، ثم أكمل وهو يمسك بيديه: «لم أنم منذ البارحة، ولن أنام إلا حين تقبل اعتذاري؛ لكني أرجوك أن تتوقف وتتوقفوا جميعا عن معاملتي وكأني لا أنفع لشيء، صحيح أن الحادث أثر في رأسي وأعصابي لكن لا تزال مني فائدة، أستطيع أن أفكر، أن أعمل، أنت كنت تقتلني باليد التي تظن أنها تساعدني، لست عاجزا حتى تركني على الرف وتسعى لوحدك لأجلي وأجل أسرتي، ما زلت في مقتبل العمر، أرغب في العمل والعطاء، أريد أنا أيضا أن أتطور، أن يشعر أولادي بأني بطلهم وحاميهم، يتفاخرون بي أنا لا بعمهم وسام فقط، يلجأون إلي وقت أزمتهم لا أن يطلبوا مني أن أقلهم إليك، صدقني لم أكن غاضبا منك بقدر غضبي من شعوري بالعجز والوهن.. أرجوك، لا تسئ فهمي، أريد فقط أن نعود كما كنا قبل الحادث، نتشارك معا في قيادة السفينة، لا أجلس في الخلف بينما تقود أنت الدفة، لا أريد أن أراك تكبر بينما أتضاءل أنا أمامك؛ فهذا الشعور يقتلني، يقتلني بحق»!
سكت وسام وانعقد لسانه، قبل دقائق فقط كان يقف مغمورا بمشاعر القهر والألم، كان هو الضحية وفتحي الجلاد الذي تنكر لسنوات صداقتهما الطويلة؛ لكن في هذه اللحظة، في هذه اللحظة بالذات شعر أنه هو الجلاد والسوط بيده، انهال به على ظهر فتحي لسنوات عدة، ومن دون أن يقصد، هل يعقل أنه كان يكيل الضربات لفتحي باليد نفسها التي ظن أنها تقدم المساعدة؟!
تسمر في مكانه، لم يعد يرغب في الذهاب بعيدا.
«هلا دخلنا لنكمل الحديث؟»، قالها فتحي راجيا.
«حسنا دعنا ندخل، يبدو أنني مذنب بحقك أضعاف ذنبك بحقي».

النهضة بالقراءة..

د. أحمد عيساوي
باحث وأكاديمي جزائري

حذر، ومازال يحذر، القائمون على دور الطباعة والنشر والتوزيع وأصحاب المكتبات العامة والخاصة، وسائر المتعاملين مع عالم الكتاب والمكتبات، من جامعات ومراكز بحث ودراسة ومدارس عليا ومؤسسات التربية والتعليم والتكوين والتمهين ودور الفكر والثقافة والمساجد الكبرى ونخب وطلاب علم ومعرفة وثقافة، من ظاهرة خطيرة وسلبية ومقلقة جدا، باتت تهيمن على غالبية المشتغلين بهذه القطاعات والميادين، وتشل إراداتهم، وتثبط عزائمهم، وتحول بوصلتهم عن أهدافها، من دون أن تبدو منهم بوادر إرادة مقاومة وممانعة ناضجة - في هذا الحقل المعرفي والحضاري المهم - تضع الأمور في نصابها المتوازن، وتعيدهم بهدوء وتلقائية نحو خط سيرهم الحضاري والطبيعي، الذي انتزعوا منه انتزاعا بفعل قابليتهم وتبعيتهم وارتمائهم في محاضن الغالب والمسيطر الوقتي وسيوله وسطواته كجيل الموجة الإلكترونية السادسة ووسائطها الإلكترونية الطاغية عليهم، من دون غيرهم من الأمم السوية والمتوازنة والمشبعة بالتعامل مع ثقافة الآلة.

وتتشخص هذه الظاهرة في تراجع وتيرة القراءة بشكل عام، لاسيما بين النخب من أهل الاختصاص والخبرة، وتدني مستوى المقروئية، وضعف الإقبال على اقتناء - إن لم نقل ندرة - الكتاب الورقي والتفاخر به -كما كان جيلنا ومن سبقه - لدى النخب التي تعتمد اعتمادا كليا وأساسيا وحضاريا على عطاءات هذا المنتج الإنساني الراقي، فضلا عن الزهد في الحضور والمشاركة في تظاهراته ومهرجاناته ومعارضه التي تقام سنويا وفي أوقات ومناسبات وأماكن مختلفة من العالم، والتي تنال حظها الإشهاري والإعلامي الزائد، فيقبل الزوار بالملايين للفرجة والنزهة والتسلية والسياحة والترويج والتعارف، وتبقى الكتب حبيسة الرفوف تئن من عاديات الهجران وصنوف الإعراض وصروفه، وتسفر ساعات الإغلاق المتأخرة من الليل عن أكياس خفيفة يحملها بعض الزوار خجلا أو حفظا لماء الوجه أو لمآرب أخرى، ويخرج المعرض والعارضون بعد شهر من الترويج والعرض ببيع بضعة آلاف من النسخ مقابل تلك الملايين البشرية الجوالة في قاعاته الكبرى، محققة ألم الشاعر وقهره وهو يقول فيهم ولهم:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ
والماء فوق ظهورها محمول

نسب التراجع

ويعضد هذا القلق من هذه الظاهرة، التي جاءت مع مطالع الألفية الثالثة، تضاعف نسب التراجع والانحسار والرغبة والطلب والإقبال على عالم الكتاب والقراءة، والتي تزداد سوءا وتراجعا كل سنة في عدد القراء عموما، والقراء المتميزين والمتخصصين على وجه الخصوص، لاسيما بعد تفشي ثقافة الحصول على الكتاب الإلكتروني السهل بين مجموع غالبية النخب المشتغلة بالكتاب والقراءة، الذي يشهد تراجعا لافتا في منسوب قراءاته وبصيرة متابعاته ومواطن الاستفادة من مضامينه الناضجة، على الرغم من انخداع الكثير من أصحاب المواقع والمكتبات الإلكترونية بارتفاع مؤشرات وأرقام الزائرين والمتجولين والباحثين في الموقع، والتي تصل إلى عشرات الآلاف، بله إلى مئات الآلاف في بعض المواقع، وهي في مجملها - بعد الدراسات الميدانية التي أجريتها بدقة وبصدقية متناهية على طلابي

مدة عقد علمي ودعوي يرقب الظاهرة عن كثب - مجرد إطلالات سطحية وزيارات عابرة لسلخ ونتف وزبر بعض الفقرات الصالحة للمقال أو للبحث المراد إنجازه بسهولة وأنانية وخلسة وكسل واتكال.. للمشاركة به في مؤتمر أو ندوة أو يوم دراسي أو كلمة في مناسبة أو خطبة جمعة، حيث يعرض الكل بضاعتهم على أمثالهم، وحيث الكل يرتاد رفوف العم «غوغل» وسائر محركات البحث لتدبيج تلك الصفحات الفارغات بعطاءات الغير، بعيدا عن القراءة الكلاسيكية التحليلية والنقدية الدقيقة والمعمقة، والمفضية إلى مقاربة أو ملامسة وجه الحقيقة بعينها، كما تعلمنا على يد أساتذتنا - يرحمهم الله - سليلي أجيال النهضة العربية والإسلامية المعرفية والثقافية والدينية والأدبية والصحفية.

والمشكلة الكبرى التي نعاني منها اليوم، كنخب ومراكز بحث، لا تكمن في عملية اقتناء الكتاب الورقي أو الإلكتروني فقط، حيث يحمل أو يهدى أو يباع الكتاب الإلكتروني أيضا، من عدم اقتنائهما أو تحميلهما بالمجان أو بالاستعارة، إنما المشكلة تكمن في تراجع نسب الممارسين لفعل القراءة المقدس، والمحيين لهذه الفريضة الغائبة والمغيبة من حياة العرب والمسلمين اليوم، سواء بدافع البحث والعمل أو بدافع الرقي الفكري والثقافي والمعرفي المجرد أو الاجتماعي، كما تتورم سرطانات المشكلة أيضا في ندرة القراء المتميزين أيضا والباحثين عن الأعمال الجديدة أو التراثية أيضا، لاسيما بين النخب (أساتذة، باحثين، طلبة) التي يفترض فيهم القيام على إحياء هذه الفريضة الغائبة كلية من حياة العرب والمسلمين لحساب العبث والإبحار في سراب محيطات البحار اللجية بكل شيء.

معضلة

إذن نحن أمام مشكلة كبيرة جدا، بل نحن أمام معضلة مستعصية عن الحل في الوقت الراهن على أقرب تقدير، كونها أفضت، قسريا وقهريا، إلى خلق وتعميم ثقافة جديدة صارت شائعة بين جماهير الأمة، لها مصطلحاتها ومفرداتها وآلياتها.. لا تخرج عن نطاق: «الكهرباء والأزرار واللمسات والشاشة والصورة والفرجة والصوت والموسيقى والنغمات والعبث الإدماني الإلكتروني والعبث الاتصالي المرضي».. وتكمن المشكلة أساسا في تراجع نسبة القراءة والمقروئية ورقيا وإلكترونيا، وفي ضعف الإقبال والتعامل مع الكتابين الورقي والإلكتروني، قراءة وبحثا ومطالعة واقتناء، إذ لم يعد الكتاب يشكل محور حياتنا وقطب نقاشاتنا ومشكلاتنا وحلولنا.. كما كان في القرن الميلادي الماضي، ولا يكمن لب المشكلة في عملية الاقتناء والتحميل الإلكتروني فحسب، بل يكمن أساسا في ضعف الإقبال على ممارسة فعل القراءة المقدس عموما، حيث تخلو المكتبات العامة ودور الثقافة: (المكتبات الجامعية، مكتبات المعاهد والمدارس العليا، ومكتبات الثانويات والإعداديات والمدارس الابتدائية، ونحوها كالحدائق والبساتين والمساحات الخضراء والمساجد) من القراء والباحثين والدارسين والمطالعين التقليديين والمدفوعين من أصحاب الحاجات، كالطلبة والباحثين والراغبين والمتقاعدين، وصرنا بإزاء جيل لا يقرأ، وجيل لم يعتد زيارة المكتبات والدخول إليها، وترتيبها في سلم أولوياته، كما كان جيلنا ومن سبقه.

وقد يعترض معترض في هذا المقام ليذكرنا بحقيقة حضارية يجب أن تكون شاهدة على وعينا وإمساكنا بأطراف المشكلة والظاهرة، ومفادها أن لكل مرحلة وجيل حاجياته ومتطلباته واهتماماته ووسائله وخصوصياته الخاصة به دون سواه، فجيلنا هو جيل الرمز اللغوي المكتوب: (الكتاب، الجريدة، المجلة، المطبوعة)، والصوتي المسموع: (الخطبة، الدرس، الموعظة، المحاضرة، المذياع)، والسمعي البصري: (التلفزيون، الفيديو، السينما)، وجيلهم هو جيل الصورة الرقمية واللون البراق والخفة الأخاذة والحركة البرقية والمشاهدة الإلكترونية، وعلينا هنا أن نسلم بذلك ولا نمانع أو نغالب ذلك الوضع البتة مغالبة دنكيشوتية خاسرة مسبقا، حيث نعترف - بداءة - أن لكل جيل اهتماماته وخصوصياته ووسائله، كما يجب علينا أن نكون على درجة عالية جدا من الوعي تؤهلنا لنكون بعيدين عن فتح صفحة صراع الأجيال أو تفضيل الأجيال بعضها على بعض والوقوع في شبكاتها البحثية، لأنها ستحرمنا من فهم الظاهرة ومخاطرها وترسم أسبابها وطرق الوقاية منها، ومن ثم علاجها أو الوقاية منها.

الخواص

إذ المسألة أبعد ما تكون عن ذلك البتة، لأنها تتعلق أساسا بالمكونات الجبلية للفرد، والغريزية الخاصة به، حيث خلق مطبوعا بخواص تميزه عن سائر المخلوقات والموجودات، وهي مركوزة في تكوينته الترابية يوم خلق الله السماوات والأرض والإنسان وميزه بالتكريم على سائر المخلوقات، فقال مؤكدا على أهمية هذه الفطرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ (البقرة:٣٠-٣٢)، وزوده بسر المعرفة، وحرية الإرادة، وتحمل المسؤوليات والتبعات، فقال: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ (البقرة:٣٥ و٣٦)، فلا حرية بغير معرفة، ولا مسؤولية بغير إرادة، ولا حياة إلا بها جميعا، والمعرفة أسهما وأساسهما وركيزتهما، فلا يمكنه ممارسة إرادته وحريته واتخاذ القرار وتحمل التبعات إلا بامتلاكه سر المعرفة، ولذا كانت من شروط الأديان أن لا عقاب دون معرفة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (الإسراء:١٥)، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر:٢٤)، فلا عقاب ولا عذاب إلا بمبعث رسول يعلم ويوضح ويشرح، أو عالم أو داعية أو فقيه موجه، ولا حرية ولا إرادة ولا تبعة إلا بالمعرفة والمعلومة الصحيحة، وبطرق الحصول عليها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الملك:١٠)، ولب المشكلة في مدى إقبال هذا الفرد على الوعاء الحضاري المختزل للمعرفة، والمحصل من قنوات المعرفة التي يبينها رسول الله ﷺ للصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حين قال له: «اغد - كن - عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامسة فتهلك» (١).

فالمسألة إذن هي البحث عن مصدر المعرفة ووعائها، والذي تبلور خلال القرون الحضارية السابقة في شكل الكتاب، والذي كان ومازال إحدى وسائل المعرفة الرصينة الوحيدة في الحياة، بالإضافة إلى المصادر المكتوبة الأخرى كالصحيفة والمجلة..، حيث تكرر ورود ذكره في القرآن الكريم مئتين وواحد وثلاثين مرة، وفي مواضيع ومواضع ومناسبات ومقامات وسياقات وبناءات ومعان ومقاصد شتى. كما حفلت السنة النبوية المطهرة بوروده في مواضع ومواضيع شتى يصعب إحصاؤها لكثرتها.

وبعد تشخيصنا للواقع وللفرد وللمؤسسات ذات العلاقة بعالم الكتاب، وتسليمنا بخطورة الانحراف عن منهج الفطرة في زاوية البحث والمعرفة، نحب أن نعرض خلاصة نتائج البحث الميداني الذي تتبعناه بصدقية بحثية متناهية التي وضعتنا بإزاء أجيال لا تقرأ، على الرغم من إبحارها الدائم والمرضي في شبكات المعرفة العنكبوتية الغزيرة بالمعرفة، وعلى الرغم من إدمانها غير السوي الغوص في شبكات ومواقع التواصل الاجتماعي لساعات تتراوح بين ٥ و٧ ساعات في اليوم، وفق نتائج الدراسة الميدانية، التي شملت وغطت أكثر من ثمانية آلاف طالب وطالبة من مراحل التعليم المختلفة الكلاسيكية (ليسانس، ماجستير، دكتوراه دولة أو علوم)، أو النظام الجديد (LMD) (ليسانس، ماستر، دكتوراه) تجاوبوا مع استمارة البحث. واللافت والخطير هنا أن هذه الدراسة انصبت على الفئات الواجب عليها القراءة والبحث، ولم تغط أو تتناول عامة القراء، ولنا عرض تلك النتائج كالتالي:

١ - صنف لم يدخل مكتبة طيلة حياته لاقتناء كتاب، وبلغت نسبتهم ٣٣،٩٧ في المئة.

٢ - صنف لم يدخل مكتبة سوى لشراء الأدوات المدرسية بداية الموسم الدراسي وبلغت نسبتهم ٦٦،٤٤ في المئة، مع اقتطاع نسبة الإناث بسبب تقيدهن في الخروج.

٣ - صنف لم يقرأ سوى كتبه المدرسية وبلغت نسبتهم ٣٣،٩٨ في المئة ، وليسوا من الناجحين الجدد فقط في شهادة البكالوريا، بل فيهم نسبة كبيرة من طلبة مرحلة الليسانس والماستر.

٤ - صنف لم يقرأ أي كتاب إلكتروني وبلغت نسبتهم ٩٩،٩٩ في المئة.

٥ - صنف لم يقرأ أي كتاب ورقي ولم يعبأ بمكتبة المنزل وبلغت نسبتهم ٩٩،٩٩ في المئة.

٦ - صنف لا توجد لديهم مكتبة منزلية وبلغت نسبتهم ٦٦،٩٤ في المئة.

٧ - صنف لم ير أحد أبويه أو أحد أفراد الأسرة يقرأ خارج المطلوب من العمل أو الكتب المدرسية أو الصحف والجرائد، وبلغت نسبتهم ١٦،٧٧ في المئة.

٨ - صنف اقتنى أول كتاب في حياته يوم دخل الجامعة من المقررات الدراسية فقط وبلغت نسبتهم ٣٣،٣٠ في المئة.

وخلاصة القول: إن هذه النتائج تعبر عن نفسها، وتدل على ما تدل عليه من غير تعليق أو إضافة، والسؤال المهم هنا: إلى أين نحن نسير بمثل هذه الأجيال الفارغة؟ وما مستقبل الأمة في العاجل والآجل؟

الهامش

١- يروى هذا الحديث عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في سنن الدارمي، ج١، ص٩١، حديث رقم ٢٤٨؛ كما يروى عن أبي بكرة، وقد رواه الطبراني في الطبراني في المعجم الكبير، ج٩، ص١٥٠، حديث رقم ٨٧٥٢؛ وفي الأوسط، ج١، ص١١، حديث رقم ١٩؛ وفي الصغير، ج٢، ص٦٣، حديث رقم ٧٨٦؛ كما رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج١، ص١٤٦.

أيمن عبدالسميع حسن
قاص مصري

قصتان قصيرتان جدا

القصة الأولى

في هذا الصباح، كان صديقي يتابعني بعينه وأنا أقرأ جريدة الصباح، فأخبرني بخبر أنا على علم به، فتحرجت أن أخبره بعلمي به بكل تفاصيله، لكنه كذب علي في كل تفاصيل الخبر.. وفي اليوم التالي، أخبرني بخبر آخر، أنا لا أعلم عنه قيد أنملة، فلم أصدقه بداخلي، رغم أن الخبر أصبح بعد عدة ساعات كالنار في الهشيم، يلتحف بثوب «الرأي العام»!

القصة الثانية

في منتصف الليل، يقف وحيدا، لا يؤنس وحدته سوى هذا «الفونوغراف» القديم.. يقف هذا الشاب المذنب المتخبط في غرفة نومه، فتأتي وقفته أمام دولاب ملابسه، كان يغلب عليه التعب، خلع ملابسه بصعوبة، النوم يثقل جفنيه بحجرين، تنفس بضيق، وتحلب ريقه بغصة ومرارة، تجده قد مل من حياته التي تزخر بالذنوب والخطايا، وتأودت نفسيته من المتع التي لم تعد تمتعه كما الماضي، تحرك قليلا في غرفته -دون تدبير منه- فوجد نفسه أمام المرآة، تأمل وجهه قليلا، كان قد دب الشيب في رأسه واشتعل، وتحول شعره إلى قطعة كبيرة من القطن الناصع البياض، وزحف شريط عمره أمام عينيه كفيلم السينما القديم.. المشاهد تتشابه إلى حد كبير، لم يرتكن إلى مشهد بعينه يشعره بأنه إنسان وله خالق يراقبه، فبكى بحرقة، وعاد ينظر في وجه المرآة مرة أخرى، عسى أن يجد جديدا في مشاهد فيلمه القديم، لكن الشيطان لم يكن واقفا خلفه هذه المرة!

إبراهيم محمد حمزة
باحث لغوي

ظاهرة الترادف القرآني بين الإقرار والإنكار

دخل يوما أبوالعلاء المعري على الشريف المرتضى، فعثر برجل فقال الرجل: من هذا الكلب؟ فقال أبوالعلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسما.

هذا الموقف دعا فقيها هو الإمام السيوطي ليكتب قصيدة بديعة بعنوان «التبري من معرة المعري» ليجمع فيه أربعا وستين اسما للكلب، ويعتذر عما لم يصل علمه له من أسماء أخرى عناها المعري يقول:

وقد تتبعت دواوين اللغة
لعلني أجمع من ذا مبلغه
فجئت منها عددا كثيرا
وأرتجي فيما بقي تيسيرا (١).

وهو ما يفتح باب الترادف على اتساعه، لنجد أعاجيب مذهلة، ونتأمل كيف انطلقت الدراسات اللغوية من منطلق ديني عميق، ولا يمكن إنكار الترادف، ولو أنكره اللغويون جميعا.. لكن فهم لفظ الترادف ذاته لابد أن ينبع من التتالي وليس المطابقة، فاللفظان المترادفان يتتاليان في المعنى ولا يتطابقان، كذلك لابد من التفريق بين الأسماء والصفات، فأسماء السيف - على سبيل المثال - قليلة، وأكثرها صفات، ثم ظهرت مشكلة مبكرة بين شيوخنا تتعلق بوجود الترادف في القرآن الكريم من عدمه، وانطلقت الجهود المبكرة قوية بهية في هذا الباب - كما سنرى - غير أن القضية الأولى كانت تتعلق بتعريف الترادف نفسه، فكيف نظر علماء اللغة لهذه الظاهرة؟

الترادف: لغة واصطلاحا

الترادف في اللغة أصله من «ردف» والراء والدال والفاء أصل واحد مطرد يدل على إتباع الشيء.

فالترادف: التتابع. والرديف: الذي يرادفك.

وردفه ردفا يقال ردف له أمر: دهمه

وفي التنزيل العزيز ﴿قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ (النمل:٧٢). (٢). وكافة مشتقات الفعل تقترب من المشابهة والتتابع، وقال الشاعر - كما أورد صاحب العين:

عُذافِرَةٌ تَقَمَّص بالرُّدَافَى
تَخَوَّنها نزولي وارتحالي

ويقال: جاء القوم ردافى أي بعضهم يتبع بعضا.

ورديفك: الذي تردفه خلفك ويرتدفك ويردفه غيرك.

ونزل بالقوم أمر قد ردف لهم أمر أعظم منه (٣).

- وقد نظر اللغويون العرب للترادف نظرة فاحصة مطيلة، وفرقوا بين دقائقه بشكل مثير للإعجاب، فقال الإمام الفخر الرازي «هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد قال: واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم فإنهما دلا على شيء واحد لكن باعتبارين: أحدهما على الذات والآخر على الصفة» (٤).

- وأول من أشار لظاهرة الترادف بشكل واضح كان سيبويه المتوفى عام ١٨٠ للهجرة، فقال: «اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق» (٥).

- وقد اعتُمد هذا التقسيم، حتى صار أساسا لكتب تقتنص جزءا من هذا المفهوم..

- فظهرت كتب مثل «ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد» للمبرد، و«ما اختلف لفظه واتفق معناه» للأصمعي...إلخ. وقد انشغل العرب أعظم انشغال بالظاهرة، فألفوا كتبا كاملة في المترادفات، وخصصوها وعمموها، وبين يدينا «أسماء الخمر وعصيرها» لمحمد ابن الحسن بن رمضان، و«أسماء الخيل» لأبي عبيدة، وكتاب السيف لسعيد بن أوس الأنصاري، وللأصمعي عدة كتب مثل «أسماء الخمر» و«أسماء القداح» و«ما اختلف لفظه واتفق معناه» (٦).

وأوجز الغزالي في تعريفه للترادف، فقال «نعني بها الألفاظ المختلفة في الصيغة المتواردة على مسمى واحد؛ كالخمر والعقار والليث والأسد والسهم والنشاب، وبالجملة كل اسمين عبرت بهما عن معنى واحد فهما مترادفان» (٧). وفي العصر الحديث ظهر رأي مختلف، حيث أوجد الدكتور رمضان عبدالتواب مصطلحا جديدا وهو الترادف التام، وذكر أنه نادر الوقوع وهو من الكماليات، وعند وقوعه لا يكون إلا فترة قصيرة محددة، وسرعان ما تظهر الفروق المعنوية الدقيقة بين الألفاظ المترادفة (٨).

لماذا يقع الترادف؟

- أسباب عديدة تجعل الترادف طبيعة في أي لغة، وإن كان هناك من ينكر الترادف تماما، منهم: ابن الأعرابي وابن قتيبة أبومحمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة صاحب «أدب الكاتب»، وثعلب أبوالعباس أحمد وابن فارس صاحب كتاب «الصاحبي»، والذي خصص فيه مبحثا عن الترادف، وأبوبكر بن الأنباري وابن درستويه، وأبوهلال العسكري الذي ألف

كتابه المشهور في هذه المسألة «الفروق اللغوية»، فإن توقفنا عند أبي هلال، فسنجده يقارن اللفظ باللفظ، فيجعل أحدهما جزءا من الآخر، كقوله مثلا «الفرق بين الابن والولد»: الأول للذكر، والثاني يقع على الذكر والأنثى، والنسل والذرية يقع على الجميع. أو «الفرق بين الأثيم والآثم: أن الأثيم المتمادي في الإثم، والآثم فاعل الإثم» (٩).

- أما أسباب وقوعه، فمفصلة في عشرات الكتب، نجملها في أن يكون اللفظان موضوعين في قبيلتين مختلفتين، فيشتهر الاسمان معا. وكذلك توسع أهل اللغة في الألفاظ لتيسير التعبير عن النفس بأيسر الطرق، ويذكر لك صاحب المزهر - السيوطي واقعة طريفة، حيث «كان بعض الأذكياء في الزمن السالف ألثغ فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك» (١٠). وأيضا التوسع في سلوك طرق الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع، ولا يتأتى ذلك باستعمال مرادفه مع ذلك اللفظ.

الترادف في القرآن الكريم

لم يتجه علماء اللغة والمفسرون لتأكيد فكرة الترادف في القرآن تأكيدا مباشرا، وإنما نظروا له من خلال بعض الظواهر القرآنية، وأولها الأحرف السبعة، والتي ثبت ورودها في القرآن الكريم، واختلفوا في معناها اختلافا عظيما وصل إلى خمسة وثلاثين قولا (١١)، ولكنه يذكر ما يتعلق بدراسته للترادف، حيث رأى بعض الفقهاء والمفسرين أن الأحرف السبعة هي ألفاظ متقاربة المعنى من لغات مختلفة، وضربوا أمثلة لذلك..

يقول الزركشي: «فمن المرادف ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ (الأنبياء:٣١)، و﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (الأنعام:١٢٥). وفي قراءة ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر:٢٧) بكسر الراء (١٢). ومنهم من توسع في التأكيد على أن الأحرف السبعة هي الألفاظ المترادفة، مثلما رأيناه في «تفسير التحرير والتنوير» للعلامة ابن عاشور، حيث يذكر أن بعض العلماء فسروا معنى الأحرف السبعة تفسيرات ثلاثة، الأول أن المراد بالأحرف الكلمات المترادفة، للمعنى الواحد، وفي قول جماعة منهم عياض أن العدد - سبعة - غير مراد على حقيقته وهو كناية عن التعدد والتوسع وكذلك المرادفات ولو من لغة واحدة كقوله ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ وقرأ ابن مسعود «كالصوف المنفوش»، وقرأ أبي - كلما أضاء لهم مشوا فيه - مروا فيه سعوا فيه إلخ» (١٣).

- ثم رأى آخرون ورود الترادف وسيلة للتوكيد، وبذلك أقروا وجوده، وأثبتوا وروده، وذكروا لذلك نماذج من كتاب الله، كقوله تعالى ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ (الأنبياء:٣١). وكقوله تعالى ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ (الأنعام:١٢٥). و﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (فاطر:٢٧). وغيره كما ذكره صاحب «الإتقان» ج ٣/ ١٩٧.

منكرو الترادف وحججهم

وعلى الجانب الآخر، رأى بعض الفقهاء والمفسرين عدم وجود الترادف، تأكيدا لفصاحة القرآن الكريم وتفرده، فيقول «الخطابي» في رسالته «بيان إعجاز القرآن»: «ذلك أن في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد المخاطب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وكقولك اقعد واجلس... والأمر في ترتيبها عند علماء أهل اللغة غير ذلك، لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها» (١٤).

وربما كان نظر اللغويين للترادف باعتباره تطابقا سبب الخلاف، فالألفاظ تتقارب، لكنها لا تتطابق إلا نادرا، وهناك أمر هام وهو أن الفهم والإدراك للفروق اللغوية أمر يخص اللغويين والمتبحرين وليس العامة، فدراسة الترادف أمر عميق يحتاج لخبرة وسليقة سليمة وإبحار طويل قبل الوصول لسواحل اللغة وموانئها. يرى الزركشي أن من فصاحة القرآن اختلاف الكلام باختلاف المقام، فلكل موضع ما يليق به، ولا يحسن بمرادفه ويضرب مثلا بدقة الاستخدام اللفظي كقوله تعالى ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ (الأحزاب:٤)، وفي موضوع ﴿فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ (آل عمران:٣٥)، استعمل الجوف في الأول والبطن في الثاني.. وهكذا اختلف الفقهاء واللغويون والمفسرون. وهو اختلاف يؤكد مقدار الحرية العقلية التي أتاحها الدين الإسلامي لمعتنقيه، ويؤكد توحد الانتماء نحو هدف واحد هو خدمة الدين الإسلامي والإخلاص له.

الهوامش

١- أبوبكر السيوطي، التبري من معرة المعري، مراجعة وتعليق أبوأسامة المغربي، مكتبة نور ٢٠٠٩م ص١٥ وما بعدها.
٢- انظر مادة «ردف» في معجم «مقاييس اللغة» لابن فارس، وفي المعاجم الأخرى.
٣- العين، للخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج ٨ ص ٢٣.
٤- الإمام السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور.
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٩٩٨م ص ٣١٦.
٥- انظر الكتاب لسيبويه ج ١ ص ٧- ٨.
٦- انظر ثبتا كاملا لهذه الكتب في «الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق» لمحمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط أولى ١٩٩٧م ص ١٧ وما بعدها.
٧- أبوحامد الغزالي، محك النظر في المنطق، تحقيق: د. رفيق العجم، دار الفكر - بيروت، ص ٧٣.
٨- فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي والقاهرة، ص ٣٠٩.
٩- انظر «الفروق اللغوية» لأبي هلال، حققه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، د. ت - صفحات مختلفة.
١٠- المزهر، سابق، ص ٣٢٠.
١١- انظر «الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق»، سابق، ص ١١٥حيث ينقل ذلك عن «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ٢٤ والبرهان ١/ ٣٣٤.
١٢- السابق، نقلا عن البرهان ٢/ ٣٨٥.
١٣- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م، ج ١ ص ٥٧.
١٤- انظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله وزغلول سلام، دار المعارف بمصر، س الذخائر - ط ثالثة - ١٩٧٦م، ص ٢٩.

سلامة عبدالقادر المحاميد
باحث شرعي

حسن حبنكة الميداني

إن معرفة تراجم العلماء الربانيين والاطلاع على سيرتهم وناصع حياتهم لمن المثبتات العظيمة، وخصوصا في زمن كثر فيه الفساد وعظم فيه الإفساد وانتشرت فيه الفتن، وليست هذه المعرفة بدعا منها، وليست كتابة ذلك ببدع من الكتابة، فإن القرآن الكريم خلّد مآثر فضلاء الناس وخيارهم وذكر طرفا من سِيرهم ثم أمر نبينا ﷺ باتباع سبيلهم ونهجهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ (الأنعام:٩٠). ولما في ذلك من تثبيت للمكارم وتأييد للأخلاق والمبادئ العالية فيجد الناس أمامهم أمثلة واقعية ونماذج تطبيقية لمن تحلى بها إيمانا وعملا وفكرا وسلوكا...

ومن أولئك الأماجد:
الشيخ حسن حبنكة الميداني رحمه الله

ولنقف على نبذة من سيرته العطرة

أولا: اسمه ونسبه

هو الشيخ حسن بن مرزوق بن عرابي بن غنيم الخالدي حبنكة الميداني. من قبيلة بني خالد العربية المعروفة التي تقطن بادية حماة من أرض الشام، وحبنكة: هو لقب للعائلة.

والميداني: نسبة إلى حي الميدان الذي سكنه مع عائلته، وهو من أحياء دمشق العريقة.

ثانيا: مولده ونشأته

ولد رحمه الله سنة (١٣٢٦) للهجرة/ (١٩٠٨) للميلاد، ونشأ في أسرة بسيطة بساطة البادية، وتعيش على تربية الأغنام وما تنتجه من الحليب والصوف...إلخ، فلم تكن الأسرة التي نشأ فيها أسرة علماء وفقهاء، ومع ذلك فإنه نشأ منذ طفولته محبا للعلم والعلماء والفضيلة، فتعلم في الكتاب القراءة والكتابة والقرآن من خلال مدرسة الشيخ شريف اليعقوبي، وظهرت على الشيخ علامات النبوغ المبكر، فكان حاد الذهن، لمّاحا، سريع الخطرات، حاضر الذهن لا يكاد يفوته أمر مما يهتم بمعرفته، وكان فصيح اللسان يقول الشعر على البديهة، ومن شعره الرائق:

قد ذقت في شرع الهوى ألم النوى
وطويت ذكرى الظاعنين فما انطوى
عللت نفسي بالرجاء عشية
فإذا الصباح بنار يأس قد كوى
سئم الفؤاد من الحياة وبؤسها
والجسم من مس المصائب قد خوى
نفد التصبر بعد طول تحرق
ففزعت للقرآن ألتمس الدوا
فوجدته يشفي الصدور فمن
يرد آياته يصدر بأوفر ما نوى

ثالثا: طلبه للعلم

لم يقتنع الشيخ بما درسه في مدرسة اليعقوبي فقط، ولم تكن عنده القدرة المالية للالتحاق بمكتب عنبر، فاتجه إلى مشايخ حيّه الذي كان يسكن فيه فلازم الشيخ «طالب هيكل» وأحبه الشيخ طالب حبا كبيرا فخصص له أوقاتا يعلمه فيها بمفرده في اللغة والأدب والفقه، ثم تاقت نفسه للالتحاق بالشيخ «عبدالقادر الأشهب» فأخذ عنه العلم بشكل أوسع من قبل، ثم بدأ يسمع عن كبار علماء دمشق القاطنين داخلها فاتصل بهم واحدا واحدا وتتلمذ على من كان يجد عنده حلقة للتدريس أو يطلب منهم درسا خاصا، والحاصل أن الشيخ كان متفرغا لطلب العلم مجتهدا

في تحصيله ليلا ونهارا، وأعانه أبوه على ذلك بتكفله به وبأسرته.

رابعا: شيوخه

كان للشيخ علماء كثيرون أخذ عنهم العلم والأدب وتربى على أيديهم فكان بارا بهم معظما مجلا لهم وكان يأمر طلابه بذلك أيضا

فمن أبرز شيوخه:

١- الشيخ عبدالقادر الأشهب رحمه الله.

٢- الشيخ طالب هيكل رحمه الله.

٣- الشيخ محمد بدر الدين الحسني رحمه الله.

٤- الشيخ علي الدقر رحمه الله.

٥- الشيخ أحمد العطار رحمه الله.

وغيرهم الكثير.

خامسا: تلاميذه

أخذ عن الشيخ رحمه الله طلبة كثيرون، فقد كان مربيا فاضلا ومعلما كبيرا وأبا حانيا، فكان رحمه الله يتابع طلابه ويتعاهدهم بالملاحظات والنصائح والتوجيهات، وبالتأنيب أحيانا وبالكلمة القاسية أحيانا وبالضرب أحيانا أخرى.

ومن أشهر تلاميذه:

١- الشيخ عبدالعزيز أبازيد مفتي درعا رحمه الله.

٢- الشيخ عبدالرحمن الطيبي الزعبي (من حوران) رحمه الله.

٣- الشيخ عبدالكريم الرفاعي رحمه الله.

٤- الشيخ صادق حبنكة الميداني (ابن أخي الشيخ) رحمه الله.

٥- الشيخ موسى اللكود (من حوران) رحمه الله.

وغيرهم الكثير.

سادسا: نشره للعلم وما تقلده من مناصب

كان أكبر هم الشيخ رحمه الله نشر العلوم الإسلامية وتربية العلماء والدعاة والدعوة في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة وإعلاء كلمة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح، ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وقد وهبه الله تعالى صفات القائد الحازم وأعطاه قدرة على التأثير بالناس، وكان يرى أن تربية طالب علم حتى يكون فقيها داعيا إلى الله أنفع للمسلمين من تجميع عشرات الآلاف دون وعي وبصيرة، وكان يوجه المحسنين من أهل دمشق وغيرهم إلى الإنفاق على طلبة العلم ودور تعليمه.

وكان للشيخ منهجه الخاص بالتعليم والذي يمكن تلخيصه بأنه كان يعطي الطلاب مفاتيح العلم ويدربهم على استخراج المسائل وعلى المحاورة والمناظرة ويبين لهم أركان المسائل وشروطها وتفصيلاتها - هذا بالنسبة للكبار من طلابه -، أما المبتدئين منهم فكان يعطيهم الحظ الأوفر من الشرح والتفصيل والبيان، وكان يخصص التدريس الليلي من بعد صلاة العشاء لطلاب العلم من الصّنّاع وأصحاب المهن والذين يعملون بالمحال التجارية ولكل من لا يجد وقتا لطلب العلم نهارا.

ومما شغله الشيخ من أعمال:

١- تدريسه بالجمعية الغراء.

٢- شغل منصب الأمين العام لرابطة العلماء في سورية.

٣- شغل منصب عضو للمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وغيرها.

سابعا: جانب من مواقفه الشجاعة

نذكر منها:

- خروجه ضد الاحتلال الذي حلَّ ببلاده.

- سعيه لإلغاء قانون الطوائف، وهو الذي يسمح للمسلمة بالزواج من رجل ليس على دينها كتابيا أو غير كتابي.

- مناصحته الجريئة لكل الحكام الذين تولوا في زمنه؛ مناصحة مقرونة بالحكمة والشجاعة.

- وقوفه وتصديه لإعلان التبرؤ من القيم والتقاليد القديمة (يعني الشريعة الإسلامية) والذي تطور معه حتى انتهى إلى سجنه وإصدار قرار رسمي بإغلاق الجمعية التعليمية التي أنشأها.

ثامنا: وفاته

بعد حياة حافلة بالعلم والدعوة والإرشاد، أعلنت مآذن دمشق وإذاعتها الرسمية نبأ وفاة الشيخ فعم الحزن وذرفت العيون في سائر البلاد الشامية، وتوافد الناس لتشييعه رحمه الله.

توفي الشيخ رحمه الله ليلة الاثنين الرابع عشر من شهر ذي القعدة عام (١٣٩٨) للهجرة الموافق للخامس عشر من شهر تشرين الأول لعام (١٩٧٨) ميلادية، وصلي عليه في جامع بني أمية الكبير بدمشق عقب صلاة العصر من نفس اليوم، ودفن في الزاوية الشمالية الشرقية لغرفة من لواحق جامع الحسن بحي الميدان، بعد خلاف كبير بين مشيعيه على مكان دفنه، وقدر المشيعون لجنازته بست مئة ألف، واكتظت الشوارع من المسجد الأموي إلى حي الميدان.

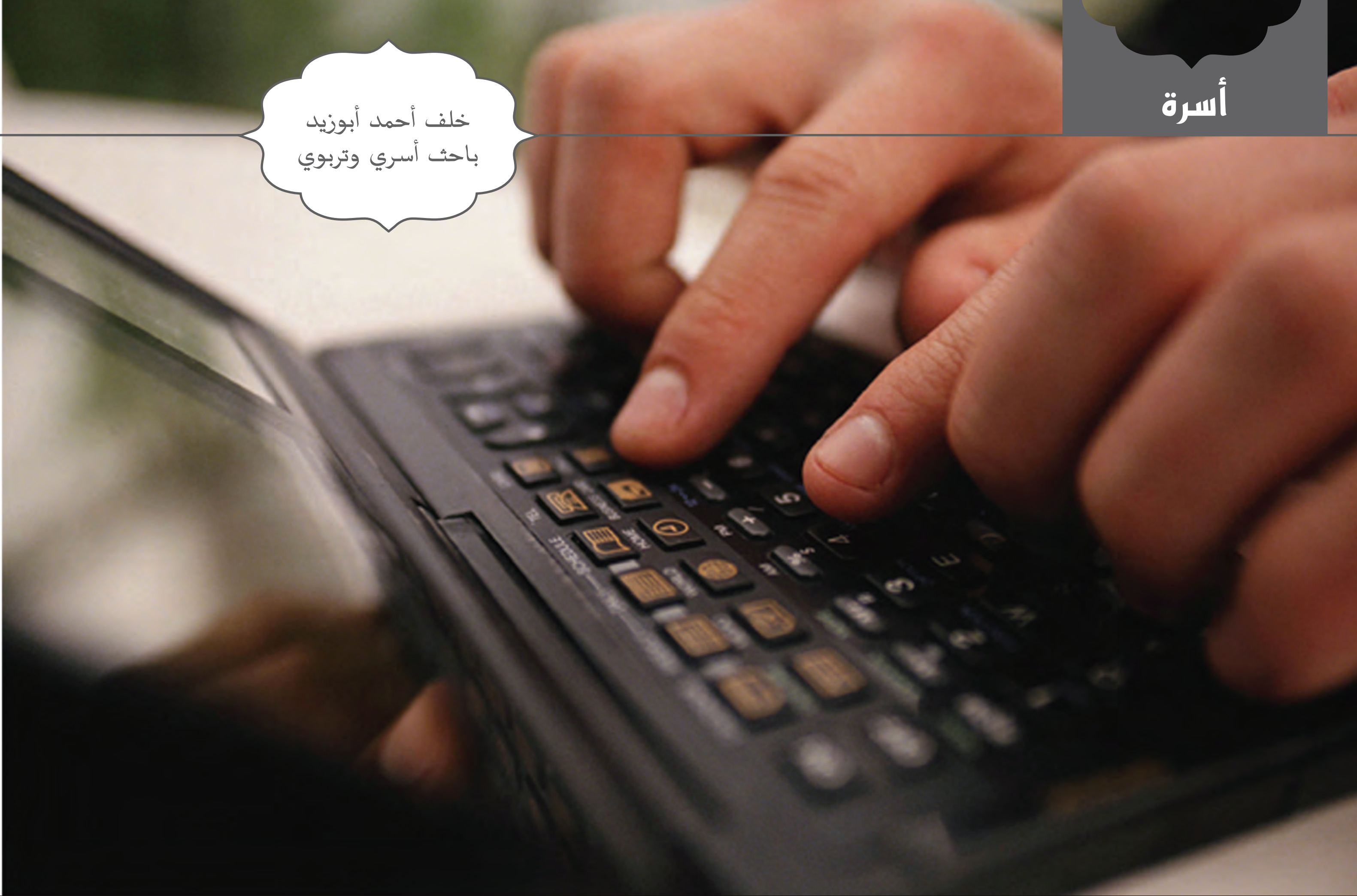

خلف أحمد أبوزيد
باحث أسري وتربوي

الطفل والتربية الاقتصادية

بداية نؤكد على أن التربية الاقتصادية للطفل، يُقصد بها من الناحية الاصطلاحية، غرسُ وتنمية مفاهيم اقتصادية في نفوس الأطفال، وفق أساليب وطرق مناسبة فهمًا وممارسة، مراعية العمر والعقلية للطفل، لتسهم في تعديل السلوكيات الاقتصادية لدى أبنائنا، حتى يدركوا قيمة النقود ومعنى إنفاقها، فإنه من الحكمة تدريب الطفل في سن مبكرة من حياته على استعمال النقود، واتخاذ قرار الشراء حسب النقود التي معه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تأتي أهمية التربية الاقتصادية للطفل على اعتبار أن طفل اليوم هو رجل أعمال الغد وتاجر المستقبل، كما أن طفلة اليوم هي أم وزوجة المستقبل التي تنظم وتتحكم في اقتصاديات البيت مستقبلا، ومن هنا كلما تم غرس القيم الاقتصادية مبكرا في نفس الطفل؛ كانت أثبت وأنفع لدى الأبناء، في إدارة اقتصاد بيوتهم واقتصاد بلدهم مستقبلا، على أسس سليمة تعود عليهم وعلى بلدهم بالنفع والفائدة. والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن، ما هي الأساليب، والطرق السليمة، التي يمكن باتباعها أن نربي أبناءنا تربية اقتصادية ناجحة، حتى لا ينحرفوا عن المسار الصحيح في الإنفاق، وخاصة في المراحل الأولى لحياة الطفل التي تتطلب التوجيه والإرشاد بصورة مستمرة؛ ذلك لأن التحكم في الأبناء وهم صغار أيسر بكثير من التحكم فيهم وهم كبار، وتربيتهم وهم صغار أيسر من تعليمهم وتوجيههم وهم كبار، وذلك على النحو التالي.

أولاً: غرس بعض المفاهيم الإيمانية في نفس الطفل ذات الطابع الاقتصادي، وفي مقدمتها صفة القناعة، عن طريق التفاهم العائلي الذي يتم عن طريق الرضى بما قسمه الله سبحانه وتعالى من الرزق، وذلك بتعريف الابن، أو الابنة بأن لكل أسرة إمكانيات مادية محددة يجب عليها ألا

تتجاوزها، وأن هذه الإمكانيات تتفاوت من أسرة إلى أخرى حسب دخل الوالدين وإمكانياتهم المادية، وهذا مبدأ في غاية الأهمية نتسم طريقه من قول الخالق عز وجل ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٧)، وقول الرسول ﷺ «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنّعه الله بما آتاه» (رواه مسلم)، فالنفقة على الأبناء حسب إمكانيات الآباء وقناعة الأبناء بذلك مبدأ هام في بناء شخصية الابن على مبدأ القناعة التي تجعل من الابن يرضى ويقنع بهذا الإنفاق حسب إمكانيات الوالدين، ومقدار دخلهما.

ثانيا: إرشاد الأبناء بضرورة إنفاق مصروفهم في كل ما هو نافع ومفيد، وذلك بتقديم النصح والإرشاد لهم، بعدم الانسياق وراء ما تبثه بعض الشركات الإعلانية ودور التجارة ومراكزها من صور إشهارية تجعل من الابن يسارع بشراء كل ما يعرض أمامه، سواء كان يحتاجه أم لا يحتاجه، مع نصحه بوضع خطوات للتسوق السليم يقوم على طلب الضروري والنافع، والاستغناء عن كل ما هو بعيد عن النفع والفائدة.

ثالثا: توجيه الأبناء وخاصة في مرحلة المراهقة إلى ضرورة وضع خطة طويلة الأمد، يحدد خلالها الأبناء أولويات للصرف وإدارة الإنفاق، حتى يتمكنوا من خلالها من تحقيق أهدافهم في شراء ما يحتاجون إليه من أشياء والتزامات، وفق هذه الخطة، ولا بأس من مساعدتهم في شراء ما يريدون، من أشياء والتزامات، وخاصة إذا ما لمسنا لديهم جوانب الالتزام والعزم الصادق، وجدية الأشياء التي يريدون الحصول عليها، فلا بأس في ذلك بزيادة مصروفهم اليومي نظير تكليفهم ببعض المهام العائلية، أو مقابل نجاحهم في الادخار من مصروفهم، لحساب شراء أشياء مفيدة ونافعة لهم.

رابعا: إذا لمس الوالدان أنّ الابن قد نجح في التخطيط في توفير بعض المال، فيمكن لنا أن نشجعه على الادخار، وذلك بفتح حساب له في المصرف أو شراء دفتر توفير يضعون فيه ما يدخرونه ويوفرونه من مال، مع تزويدهم بالوسائل والأساليب المشجعة على ذلك، كأن نضع لهم على سبيل المثال بعض النقود بين الحين والآخر كمكافأة، وتشجيعا لهم على نجاحهم في الادخار من مصرفهم.

خامسا: الحوار الهادئ مع الطفل في أمور المنزل ومنها المالية، بحيث يُربّى الأولاد منذ الصغر على كيفية المساهمة بآرائهم في النفقات ويشعرون بالمسؤولية، كما ننصح أيضا بأن ندربهم على كيفية إدارة ميزانية البيت بالقدر الذي يستوعبونه، ويتفهمون من خلاله إمكانيات وقدرات الوالدين المالية، وما هو ضروري في الإنفاق، وما يحتمل التأجيل لظروف معينة، وهكذا.

سادسا: كما علينا أن نحث الطفل على البذل والعطاء والرغبة في مساعدة الآخرين، وذلك عن طريق إرشاده بتخصيص جزء، ولو كان يسيرا من مصروفه لأعمال الخير والبذل والعطاء، مثل: كفالة اليتيم، وبنوك الطعام للفقراء، والتبرع للمستشفيات؛ ليدرك منذ الصغر قيمة البذل والعطاء والتكافل الاجتماعي ومساعدة الآخرين، ولكي نحبب إليه ذلك الأمر نسرد على مسامعه بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وقصص أهل الخير في هذا المجال، حتى يقتدي الطفل بها، والتي تحث على البذل، والعطاء، والتسابق في أعمال الخير، والثواب العظيم الذي ينتظر من يقومون بهذه الأعمال، ليلبي في مستقبله أي دعوة من دعوات الخير والبذل والعطاء ومساعدة الآخرين.

علياء ناصف
باحثة تربوية

بناء الأبناء

يقع الكثير من الأسر في مجتمعاتنا العربية في مأزق خطير حيال أبنائها وهم في سن المراهقة والشباب، وذلك حين يتخبط الأبناء في فهم مغلوط للدين فينزلقون في منحدر بعيد كل البعد عن الفهم الصحيح للدين الحنيف، ومن ثم نجدهم فريسة سهلة المنال لمن يسلكون مسلك الإفراط أو التفريط.

من هنا كانت ضرورة طرح خطورة القضية المتناولة، ألا وهي كيفية توضيح الدين الصحيح لأبنائنا في ظل ما نعيشه من متغيرات حديثة وحياة ممتلئة بالفتن والمغريات بما يلهي وما لا يتيح الفرصة لأن يقف كل إنسان لحظات مع نفسه ليدرك ما له وما عليه تجاه نفسه وتجاه الآخرين.

فنظرة سريعة لا متفحصة إلى حال الأسر والعائلات وقد تشابهت الحياة من المحيط إلى الخليج على الوتيرة نفسها والأسلوب ذاته من انشغال؛ إما بجمع المال وإما بالمكوث أغلب الوقت أمام الشاشات الصغيرة، التي لم تعد أداة للتواصل بقدر ما أصبحت الوسيلة الأكثر فاعلية للتمزق والانفصال والبعد، بل وأحيانا التراشق بالحروف والكلمات فيما أشبه بالحرب الباردة

بين الأفراد والجماعات.

وما بين فتنة المال ومغريات وسائل الاتصال، تضيع حياة الكثيرين فيما لا يجدي ولا يفيد، وننسى أو نتناسى حديث رسول الله ﷺ عن عبدالله ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته؛ فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

حجر الأساس في بناء الأبناء

لنبني أبناءنا البناء الصحيح، لنلبسهم درعا واقية ضد الأفكار السامة والمعتقدات الهدامة، فكما يقال: «التعليم في الصغر كالنقش على الحجر»، لنتعلم ونعلم أبناءنا كيف تكون لهم الشخصية القوية الواثقة بربها وبدينها الحق، المؤمنة إيمانا ثابتا لا تزعزعه العواصف ولا الأعاصير.

ليجلس كل منا مع أبنائه ويعلمهم صحيح الدين ويفطنهم أن هناك من قد انحرفوا عن المسار الصحيح فانتهى بهم الحال إما إلى مسلك التطرف والغلو أو إلى طريق الشرك والإلحاد، وديننا من الفئتين براء، ولنرب ولنعزز فيهم أن من يملك الفهم الصحيح للدين لن يستطيع مخلوق كائنا من كان أن يتلاعب بفكره أو يكون عليه سلطان من أي وسواس كان.

ولن يتسنى لأحد فعل ذلك من دون تعليم ولده القرآن وتدارسه وشرحه وتفسيره التفسير المبسط الذي يفهمه ويستوعبه عقل الطفل أو المراهق الصغير، هذا هو حجر الأساس لبناء شخصية الأبناء بناء صلبا قويا، لكن البعض يكتفي بأن يكون ابنه حافظا لأجزاء من القرآن أو كل القرآن في عمر مبكر، ولا يهتم بأن يطرح هذا السؤال: هل فهم الطفل ما حفظ واستوعب المعنى؟ وهل فطن إلى مراد آيات الذكر الحكيم؟!

الصاحب ساحب

يقول المولى عز وجل: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الفرقان:٢٧-٢٩).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٦٧).

وفي حديث رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أحمد في مسنده).

إن موضوع الصاحب والصديق يعد من اللبنات الأساسية في عملية بناء الأبناء البنية المراد تكوينها على النسق الإسلامي الصحيح، ألا يكفينا ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حتى يتسنى لنا أن نلحظ وندقق ونختار في من يكونون بصحبة أبنائنا وبناتنا؟!

إن الصاحب ساحب لصاحبه؛ إما إلى الخير وإما إلى الشر، إما إلى الهدى وإما إلى الضلال، فلنختر لهم أو نعلمهم أساس الاختيار للصاحب والصديق.

انظر إلى صديق يشحد صديقه بالطاقة الإيجابية البناءة، ويدفعه دفعا نحو فعل الخيرات، وينأى بنفسه وبصديقه بعيدا عن ارتكاب المنكرات؛ وانظر إلى آخر ينزلق بصاحبه إلى منحدرات الخطايا والمعاصي والشرور والآثام.

إن الأمر ليس بالهين أو البسيط، بل هو جوهر المسألة وعين القضية، فجميعنا رأينا ونرى الأصحاب الذين كونوا جماعات وانفصلوا بأنفسهم، ليتخذوا فكرا ونهجا خاصا لهم بعيدا كل البعد عما جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء.

الدين والحياة

من الخطأ الفادح أن يعتقد أحد أن الدين بمعزل عن الحياة، وعن واقعنا اليومي المعاش، بل إن الرادع الحقيقي الذي يقف حائلا دون ارتكاب ما يعكر صفو الحياة من أقوال وأفعال بشرية هو الالتزام بما جاء به الدين والبعد عما نهى عنه.

يقول الله عز في علاه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (الشمس:٧-١٠).

لذلك فالكلمة الفصل لأي صراع دائر داخل أي إنسان بين الخير والشر، هي لكلام الله وما نزل من آيات بينات، من أراد الهداية والفلاح فله ما أراد، ومن أراد الضلالة والغواية فله ما أراد. وكل هداية أو ضلال بإذن الله ومشيئته وحده، مع الأخذ في الاعتبار قوله عز وجل. ومن ثم، فإنه من عين الصواب أن يربى الأبناء على ربط أخلاقياتهم وتعاملاتهم.. سلوكهم وتصرفاتهم وفقا لمراد الله تعالى الذي قال في كتابه الحكيم:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

فلا انفصال في ديننا بين العبادات والمعاملات، بل إن الدين ضمانة حقيقية لأن نتعامل مع أناس وبشر على درجة عالية من الرقي في الأخلاق والأفعال.. من التسامي والنبل في المواقف وردود الأفعال.

محمد شعطيط
باحث تربوي

الطفل والتعبير

يحبذ الأطفال التعبير عن خلجات صدورهم بطرق شتى، وكلما كان جوُّ الأسرة مفتوحًا وسادت الثقة بين أفراد العائلة؛ اختلفت أساليبُ التعبير وتنوعت وعرفت مساراتٍ عدةً وأشكالا متنوعة.

التعبير بالكلام

أول هذه الأساليب وأكثرها شيوعًا يتحدث الطفل إلى والديه أو أجداده أو مربيه عن برنامجه اليومي وما فعله في روضته أو مدرسته بكل أريحية إذا وجد الأذنَ المصغية والقلبَ المفتوح وبعضَ الاهتمام، خصوصا إذا نزل المربي من برج سِنِّه وتَصَابَى لابنه؛ ليكتشف عالما من الصدق والمحبة والصراحة والوضوح والبراءة والفطرة والعفوية.

وكلما كانت أسئلة المربِّي سهلة وبسيطة ومختصرة؛ تجاوب معها الطفل، وكلما كان الحِوارُ واضحًا ومحددًا؛ شَعَر الطفل بتحكمه في زمام المبادرة.

كثيرا ما يعجَز الطفل عن الجواب عن سؤال مثل: ماذا درستَ اليوم في المدرسة؛ لأنه سؤالٌ فضفاضٌ ويشمَل مرحلة زمنية ممتدة لعدة ساعات. ومن الصعب على الطفل أن يتذكر كلَّ هذه الأحداث الممتدة عبر الزمن الدراسي، وهو الذي يتشتت ذهنُه داخل القسم بين دقيقة وأخرى؛ فتراه معك للحظة منتبها ثم بعد بُرهة تضطر إلى لفت انتباهه مرة تلو مرة لتُذكره أنه في القسم، بل من الأطفال من تأخذه سِنَة في الحصة الدراسية.

هناك مشكلة أخرى تدفع بالطفل إلى الإحجام عن التعبير بطلاقة عما يختلج في وجدانه، أو أثناء الإجابة عن

سؤال أو ردة فعل عن موقف معين وهي محدودية المعجم اللغوي الذي يمتلكه الطفل، مما يضطره إما إلى الإحجام عن الكلام أو استعمال ألفاظ مركبة جديدة من عنده.

وحلّ المشكلة عند الطفل نفسه، فكلما احتك بأفراد الأسرة والقسم والشارع؛ نَمَى معجَمُه وسهُل عليه التعبير شيئا فشيئا.

الكتابة

يمكن استدراج الطفل للتعبير عمّا في وجدانه خصوصا إذا كان كتوما قليلَ الكلام باستدراجه عن طريق أسئلة على شكل لعب كتابية ومسابقات تطرح فيها أسئلة عن أبطال رسوم تربوية معينة يفضلها الطفل، مثل:

ماذا يحب البطل الفلاني في الرسوم الفلانية؟

ما رأيك في سلوك النملة؟

أيهما تحب سلوك الصرصور أم سلوك النملة؟ ولماذا؟

أو بطرح سؤال مباشر عن سلوك قام به طفل معين، مثل:

ما رأيك أن نعبِّر كتابة عما فعله فلان؟

هل هو سلوك جيد أو لا؟ ولماذا؟

ثم تتمُّ مناقشة الأمر بعد ذلك سواء بطريقة مباشرة عن طريق حوار هادئ أو بطريقة ضمنية بعد برهة يستثمر فيها الوالدان كتابات الأطفال ويحاولون استخلاص مواقفَ تربوية منها بشكل سلس وتربوي.

التعبير بالرسم

يلجأ الطفل إلى الرسم لمجرد المتعة لكنه في بعض الأحيان يعبر عما في وجدانه بخطوط معينة ورسوم مختلفة، والحوارُ مع الطفل يُظهر مدى عفوية تلك الرسوم، أو مقاصديتها. والحوار هنا يجب أن يكون محددا وواقعيا ومباشرا. لا فضفاضا أو اتهاميا، بحيثَ يُحسّ الطفل أنه محاصرٌ بأسئلة كثيرة لا يستطيع الإجابة عنها. بل إنه ما لجأ إلى الرسم إلا للهروب من ضغط المواجهة والسؤال. فإذا كان الطفل يواجه صعوبات معينة فيجب الاعتراف بها ومساعدته على تجاوزها.

طريق الإنشاد

أحيانا يعجز الطفل عن التعبير بالقول المجرد فيلجأ إلى نشيد معين يحمل دلالات رمزية إلى ما يحتاجه الطفل، كأن يغني نشيدا فيه لعبته المفضلة التي يود أن يشتريها له والداه، أو زيارةُ قاعة ألعاب، أو لعبة مفضلة، أو رسومٌ معينة...إلخ، فعلى الوالدين الانتباهُ لنبرات الصوت ونوع الكلمات التي يغنيها الطفل.

الإحساس

الطفل كتلة صغيرة من اللحم لكنه كوكب من الأحاسيس والانفعالات والمشاعر يحتاج إلى مزيد من العناية وسياسة القرب، والحنان والعطف، وكثير من الثقة والاهتمام والرعاية.

وجهُه البريء مرآة لما يعتلج في الوجدان. والوالدان بما أودعه الله في داخلهما من الرحمة يقرآن تعابيرَ الوجه وتقاسيمَه وما يحس به أبناؤهم. ونظرة واحدة إلى الطفل، وضمة يسيرة إلى الصدر؛ تشعرُ الطفل بالراحة والثقة والاطمئنان، فيبدأ بالتعبير والإفصاح عن المكنون، بأنه طفلٌ مشاكسٌ في المدرسة، أو يجدُ صعوبة في التأقلم مع جو الدراسة، أو يعاني من صعوبات في التعلم،...إلخ، فإجادة قراءة تعابير الوجه والجسد عند الطفل مهمّة جدا لمساعدته على تجاوز ما يكدر صفو عيشه وعلاقاته في أقرب وقت ودون مضاعفات.

تختلف طرق التعبير بين طفل وآخر، كما تختلف تبعا لذلك درجاتها المئوية ومستوياتها التفضيلية. وتصرفُ الأبوين وحكمتهما وتجربتهما كفيلة بسبر أغوارها واكتشاف كنهها والغوص في قعرها لاستخراج دررها وصدفاتها.

فافتح قنوات التعبير مع أطفالك. وأطلق لهم العنان للتعبير عما في وجدانهم، وتعرَّف أين يجد طفلك راحته. فكم من مبدع كانت نقطة بدايته من مُرَبٍّ لبيب، أو والد حكيم. كما يُحكى أن أحد الرواد كان يبحث في الأرشيف فوجد رسالة من مدير مدرسته التي كان يدرس فيها مكتوبا عليها: لا تأت بابنك غدا إلى المدرسة، فلن نقبله لأنه لن يتعلم أبدا. وحينما سأل الطفل أمَّه عن فحوى الرسالة كانت إجابتها: إنك ذكيٌّ جدا، ولا تحتاج إلى المدرسة. وعلمته بنفسها. لقد أعطته قيمة. فكان أحد عباقرة التاريخ.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي

أخطاء شائعة في تربية الأطفال

الاعتدال في كل شيء مطلوب، وأكثر ما يكون مطلوبا في تربية الأطفال وتنشئتهم؛ حتى تكون تربيتهم سليمة. وعلى الرغم من حرص كثير من الأسر على تربية أبنائهم تربية سليمة فإن بعضهم يشطون ويحيدون عن حد الاعتدال، فمرة يميلون نحو اللين، حيث يأخذون بـ «الحماية الزائدة، التدليل الزائد، المبالغة والإعجاب الزائد بالطفل»، ومرة ثانية يميلون نحو الشدة فيأخذون بـ «الإهمال، التسلط، القسوة الزائدة، التفرقة والتمييز في المعاملة بين الأطفال، تعليم الأطفال أسلوب التبعية السلبية، المغالاة في المستويات الخلقية»، ومرة ثالثة تتذبذب معاملة الأبناء وتتضارب.

وكل هذه أساليب خاطئة في تربية الأبناء؛ لذا فإنه على الوالدين حسن التعامل مع أطفالهما، وأن يسلكا مسلك الاعتدال في تربية الأبناء، إذ يحقق الأمن النفسي للطفل، ويقوم على الحب والقبول والاستقرار، ويعمل على تنمية شخصية الطفل، ويحقق له حرية متزايدة، واختيار أوسع، ومعلومات أكثر.

ولتجنب الأخطاء في تربية الأبناء يجب على الآباء الاعتدال وعدم

التذبذب من خلال القيام بما يلي:

● الاعتدال في حماية الطفل؛ لأن الإفراط في حمايته يؤدي إلى ضياع الكثير من الفرص والمواقف التي قد يتعلم منها، ويؤدي إلى تهربه من تحمل المسؤولية؛ لذا فإنه يجب على الآباء الثقة بأبنائهم وإيلائهم بعض المسؤوليات.

● البعد عن التدليل الزائد؛ لأن التدليل المفرط من العوامل الخطيرة التي تؤدي إلى الخجل والخنوع، وفقدان الشجاعة، وضعف الثقة بالنفس، والتخلف عن الأقران، ويؤدي إلى مركب الشعور بالنقص في حياة الطفولة وبعدها.

● عدم المبالغة وعدم الإعجاب الزائد بالطفل؛ لأن المبالغة في الإعجاب بالطفل وكثرة مدحه والمباهاة به في كل كبيرة وصغيرة تؤدي إلى كثرة مطالبه، وشعوره بالغرور بالنفس، وتضخيم في صورة الطفل عن ذاته، ويؤدي هذا إلى إصابته بالإحباط والفشل.

● عدم إهمال الطفل، لأن إهمال الطفل يجعله يفقد الإحساس بحب أبويه له، وهذا يجعله قلقا مترددا متخبطا في السلوك بلا قواعد، لا يعرف الحدود الفاصلة بين حقوقه وواجباته، وبين الصواب والخطأ في سلوكه.

● عدم التسلط على الطفل، والبعد عن معاملته بقسوة، مع ضرورة تجنب الغلظة في تعليمه، فالرسول ﷺ لم يعنف الأطفال، ولم يوبخهم، بل كان يعالج أي خطأ بأسلوب جميل مؤثر يفتح القلوب، ويشرح الصدور، ويحمل الآخرين على الاستماع والاستجابة، والنفوس تأنس وتميل إلى الأسلوب الحسن وتنفر من القسوة والغلظة؛ فالقسوة ينتج عنها شعور الطفل بالنقص وعدم الثقة بالنفس، والانطواء والانسحاب من الحياة الاجتماعية، وصعوبة في تكوين شخصية مستقلة نتيجة منعه عن التعبير عن نفسه، لذا يجب إتاحة الفرصة للطفل بالتعبير عن ذاته، وعدم الإنكار عليه في بعض الأمور التي تستجد في حياته من اهتمامه بمظهره، أو الحديث عن نفسه وإبراز قدراته وإمكاناته مع الحذر ألا يتجاوز هذا التعبير حده فينقلب إلى ضده.

● البعد عن التفرقة والتمييز في المعاملة بين الأطفال؛ لأن التفرقة والتمييز في المعاملة بين الأطفال يؤديان إلى حدوث مشكلات نفسية لهم، ويجعلانهم يحقدون على إخوتهم المميزين عنهم، وينظرون إلى الآخرين نظرة حقد وكراهية، ويؤديان إلى انحراف الأطفال سلوكيا؛ لأنهما يولدان الحسد، ويسببان الخوف والانطواء، ويولدان حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان، ويؤديان إلى المخاوف الليلة والإصابات العصبية ومركبات الشعور بالنقص، لذا على الأبوين أن يسعيا في إشعار أولادهما جميعا بروح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة حتى ينعموا في ظلال العدل الشامل والنظرة الرحيمة والعطف الصادق والمعاملة العادلة.

● عدم تعليم الأطفال أسلوب التبعية السلبية، فأسلوب التبعية السلبية يحدث عند حدوث تفكك العلاقات الأسرية، وحدوث الخلاف بين الأبوين، وحرص كل طرف على ضم الأطفال إلى صفه، وهذا يؤدي إلى تكوين فكرة سيئة عن الحياة الأسرية لدى الأطفال، وتكوين اتجاهات معادية نحو أحد الوالدين أو كليهما، لذا يجب على الآباء والأمهات البعد عن الخلاف أمام الأطفال، والبعد عن استغلالهم لتحقيق مصالح شخصية.

● البعد عن المغالاة في المستويات الخلقية التي قد تفوق قدرات الأطفال واستعداداتهم ومراحلهم العمرية، مما يجعلهم يشعرون بالفشل والإحباط، لذا يجب على الآباء والأمهات مراعاة التدرج في المستويات الخلقية في ضوء مستوى الطفل وقدرته على الوفاء بها وبما يتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها.

● البعد عن التذبذب والتضارب في معاملة الأطفال؛ ويتمثل هذا في عدم استقرار الآباء والأمهات إزاء بعض ما يصدر عن الطفل من سلوك بحيث لا تدري الأم متى تثيب الطفل ومتى تعاقبه، كما يتضمن هذا الاتجاه التباعد بين اتجاه كل من الأب والأم في تنشئة الطفل وتطبيعه اجتماعيا، وهذا يؤدي بالطفل إلى عدم معرفة الصواب والخطأ، وإلى التردد، وعدم التعبير بصراحة عن آرائه ومشاعره.

ويوم يسير المربون على طريق الاعتدال في تربية أبنائهم يكونون قد رفعوا من مستواهم النفسي والأخلاقي، حيث المعاملة برفق وحنان بعيدا عن القسوة والتدليل والإيذاء البدني والنفسي، ويسود جو من الحب والتعاون بين الأخوة، ويتم بناء الأسرة البناء النفسي السليم والقائم على أسس تربوية سليمة.

المراجع

- شحاتة سليمان ورضا الجمال، تنشئة الطفل وحاجاته، القاهرة، حورس للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
- فهد منصور الدوسري، منهج النبي ﷺ في التعامل مع الناشئة، الرياض، دار الوطن للنشر، ١٤٢١هـ.
- عبدالله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط١٩، ١٩٩٠م.

أبوالحسن الجمال
باحث دراسات أدبية

فؤاد سيد.. في الذكرى المئوية لميلاده

عالم المخطوطات والفهرسة

مرت الذكرى المئوية لميلاد عالم المخطوطات الشهير الأستاذ فؤاد سيد في العشرين من أكتوبر٢٠١٦م، هذا الرجل العصامي الذي عمل في ظروف بالغة السوء، ومع ذلك تحدى الصعوبات بجلد وقدرة جبارة على التحمل حتى احتل مكانة عليا بين رواد التحقيق وعلماء المخطوطات في مصر والعالم العربي. لم يتعلم تعليما نظاميا، ومع ذلك واصل طريق النضال في طلب العلم بعد أن تحسنت أحواله شيئا ما، وتحول من عامل بدار الكتب المصرية إلى خبير المخطوطات. حصل على الشهادة الابتدائية وهو في سن ٢٧ عاما، وقد اضطر للحصول على الشهادة لينتقل من طبقة العمال والسعاة إلى طبقة الموظفين، ولم يقف طموحه عند هذا الحد، بل التحق بمدرسة «برليتس» لتعلم اللغة الفرنسية؛ لتساعده في الاطلاع على آثار المستشرقين الفرنسيين وفهم مقدمات طبعاتهم، التي غالبا ما تكون بالفرنسية، وكذلك استيعاب تعليقاتهم في هوامش متون الكتب التي نشروها، إضافة إلى روح المثابرة التي سيطرت على كيانه، وعشق التراث العربي ونفائسه وأسراره.

كانت تأتيه الرسائل من كل أنحاء الأرض سائلين مستفسرين عن قضايا التراث وهمومه وأماكن المخطوطات، فقد كان «فهرسا ناطقا»، كما وصفه الأستاذ محمد عبدالجواد صاحب «تقويم دار العلوم».

ساهم بنصيب وافر في معهد المخطوطات، التابع لجامعة الدول العربية، وقت ازدهاره زمن إدارة الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد (سندباد المخطوطات)، وعمل الفهارس اللازمة للمصورات التي صورتها البعثات التي أرسلها المعهد إلى مكتبات الغرب والشرق. وسافر في رحلات علمية، منها إلى الحجاز وإلى اليمن الذي تخصص في تاريخه وجغرافيته وأعلامه، إضافة إلى نشر النفائس من كتب التراث وكتابة الأبحاث في المجلات العلمية المتخصصة التي تدور حول التراث والكتاب المخطوط وتاريخه وفهرسته.

نتذكره بمناسبة ذكرى ميلاده المئوية، وكذلك اقترابنا من ذكرى رحيله الخمسين، إذ يفصلنا عام عنها.

كتب العديد من الباحثين عن الأستاذ فؤاد سيد، ومما كتب عنه الدراسة الوافية للعالم الجليل الدكتور محمود محمد الطناحي، وهي بمنزلة كتيب عنه، وهي العمدة التي اعتمد عليها معظم من أرخ له بعد ذلك، وكتب عنه أيضا أستاذنا الدكتور حسين نصار، وابنه المحقق الكبير وأستاذ التاريخ الإسلامي أستاذنا الدكتور أيمن فؤاد سيد وقد استفدنا من كل هذه الدراسات.

ولد فؤاد سيد عمارة في ٢٠ من أكتوبر ١٩١٦م، هكذا ذكر كل من ترجم له، إلا أن نجله الدكتور أيمن أخبرني بأنه ولد في ١٥ أكتوبر١٩١٦م في «درب الأغوات» في حي الدرب الأحمر بالقاهرة لأب رقيق الحال، توفي عنه سنة ١٩٣٢م، تاركا ابنه الوحيد، ولم يكن له عم أو خال يأخذ بيده إلا أمه التي أعياها الترمل وأعباء الحياة.. في مثل هذه الظروف قرر الصبي أن يكون على قدر المسؤولية التي أوكلت إليه في سن مبكرة، لذا لم ينل من التعليم إلا مرحلة الكتاب، والتحق بمدرسة عبدالباقي الشوربجي الأولية بشارع جامع البنات، ثم انقطع عن الدراسة دون أن يحصل على الشهادة الابتدائية بعد أن أمضى بها أربع سنوات لضيق ذات اليد، ثم طرق سوق العمل حتى ينفق على أمه، فعمل في مطبعة أهلية بجوار دار الكتب المصرية في باب الخلق. وهذا المكان، الذي يعج بالمكتبات وتشم منه رائحة المطبوعات، كان له الأثر في تشكيل وجدان فؤاد سيد وتغيير مجرى حياته في ظروف بالغة السوء أكثر من الظروف التي واجهت الأستاذ عباس محمود العقاد الذي يضرب به المثل في العصامية فالأستاذ العقاد حصل على الشهادة الابتدائية ثم عمل بالصحافة التي شجعته على المطالعة ويسرت له السبيل في عيشة كريمة، أما الأستاذ فؤاد سيد فعلى العكس من ذلك؛ بدأ سلم الكفاح من أوله، وعانى مشاقه، حتى صار الخبير الأول في الفهرسة والمخطوطات (١).

في عام ١٩٢٩م التحق الصبي بدار الكتب عاملا بمطبعتها في صف الحروف، وفي ١٩٣٠م نقل إلى مخازن المكتبة التيمورية، وأعجب به الدكتور منصور بك فهمي رئيس دار الكتب لما قرأ له مقالا نشره في جريدة الأهرام عن المكتبات الإسلامية فنقله سنة ١٩٣٧م إلى قسم الفهارس العربية، وقد دفعه الفضول للولوج في دهاليز الدار في مخازنها، فشم رائحة المخطوطات فوقع في عشقها، وهام بها حبا، وصمم أن يأتي بمهرها وهو تعلم هذا الفن الذي لا يلجه إلا من رزق الصبر والعزيمة. تعلم الأستاذ فؤاد من الأعلام الذين كانت تعج بهم دار الكتب في هذا التوقيت ونذروا حياتهم لخدمة التراث العربي، حيث قدموا النفائس في منهج علمي رائع ومن هذه النفائس: تفسير القرطبي، و«الأغاني» للأصفهاني، و«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي، و«نهاية الأرب في فنون العرب» للنويري على أدق ما يكون الإخراج ضبطا وتحقيقا، ومن هؤلاء الأعلام: عبدالرحيم محمود، وزكي العدوي، وحسن حسين، وعبدالمجيد الأقدمي، ومحمود إمام، ومحمود عبدالرسول شيخ مفهرسي دار الكتب، الذي كان حجة في علم المخطوطات وأغرم به فؤاد سيد وتوثقت الصلة بينهما، وتعلم منه الكثير (٢).

في تلك الأثناء اضطر إلى الكسب من نسخ الكتب لكبار المحققين والمستشرقين، وأصيب جراء هذا برعشة في يديه، وهو في هذا يشبه العلامة شهاب الدين النويري (ت:٧٣٣هـ) صاحب «نهاية الأرب»، الذي أصيب هو الآخر برعشة في يديه من كثرة نسخه للمخطوطات، وياقوت الرومي «الحموي» (ت:٦٢٦هـ) صاحب معجم البلدان، وياقوت المستعصمي (ت:٦٩٦هـ) صاحب «الخط البديع» الذي شاع ذكره شرقا وغربا كما وصفه ابن تغري بردي... وغيرهم. وبفضل هذا النسخ عرف تمييز الخطوط في العصور المختلفة استنادا إلى نوع الحبر وكثافة الورق وطريقة الكتابة، بل كان يميز بين كاتبيها.. فيقول هذا الخط للصفدي، وهذا لابن حجر، وهذا للمقريزي، وعلق بذهنه الكثير من المعارف الجمة وعدد لا يحصى من أسماء الكتب (٣).

جهوده في خدمة التراث

اهتم الأستاذ فؤاد سيد بفهرسة المخطوطات في دار الكتب ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربي، وخصوصا في الفترة الذي تولى فيها الدكتور صلاح الدين المنجد (سندباد المخطوطات)، الذي اعتمد عليه بصفة أساسية ودرب المبعوثين الذين أرسلهم المعهد لتصوير المخطوطات من مكتبات العالم في لينغراد وموسكو، وطشقند وبخارى، وسمرقند، ومكتبات طهران ومشهد، ومكتبات باكستان والهند. وصور مخطوطات من تونس والمغرب، ومكتبات الفاتيكان، والأمبروزيانا في ميلانو. ومكتبات توبنجن وغيرها في ألمانيا. وفهرس أيضا مخطوطات سانت كاترين، وشارك في تنظيم وعناية مكتبة بلدية أسيوط، والقسم العربي من مكتبة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، والمعهد الإيطالي للدراسات الشرقية، ومعهد الدراسات الشرقية للآباء الدومينيكان بالقاهرة، ويسر له ذلك لقاءه بكبار المهتمين بالمخطوطات من جميع أرجاء العالم، ومصادقة بعضهم، ومنهم المستشرق الكبير لويس ماسينيون وعلامة الجزيرة العربية حمد

الجاسر وأغلب المحققين المصريين، إضافة إلى رحلاته المتعددة، ومنها إلى اليمن والتي صور خلالها نفائس المخطوطات ونشر بعضها وتخصصه في نشر تراث المعتزلة (٤).

وقد أسفر نشاطه هذا عن عمل عدد من الفهارس منها:

١- إخراج فهرست مخطوطات مصطلح الحديث على منهج علمي مفصل للمرة الأولى في تاريخ دار الكتب. صدر سنة ١٩٥٦م.

٢- فهرس ما يرد للدار تباعا من المخطوطات والمصورات.

٣- إعداد فهرس لجميع ما أضيف إلى مخازن الدار من الكتب الخطية من سنة ١٩٣٦م إلى ١٩٥٥م، ويحوي ما يقرب من ثمانية آلاف كتاب ورسالة، وقد ظهر في ثلاثة أقسام: القسم الأول (أ- س) وصدر سنة ١٩٦١م؛ والقسم الثاني (ش – ل) وصدر سنة ١٩٦٢م؛ والقسم الثالث (م – ي) وصدر سنة ١٩٦٣م.

٤- نشرة عن مؤلفات ابن سينا وشروحها الموجودة بالدار، بمناسبة العيد الألفي لابن سينا، صدرت سنة ١٩٥٠م.

٥- عمل فهارس بمعهد المخطوطات عندما انتدب خبيرا به سنة ١٩٥٣م، وعمل فهرسا عاما لمقتنيات المعهد صدر ١٩٥٤م، والفهرس الثاني الخاص بعلم التاريخ وصدر في مجلدين: ظهر الأول ١٩٥٧م، والثاني ١٩٥٩م (٥).

آثاره

أثرى الأستاذ فؤاد سيد المكتبة العربية بالعديد من الآثار التي وضعته جنبا إلى جنب مع كبار المحققين وعلماء المخطوطات وعلوم التراث العربي الذي كان الخبير الأول فيه، وتنوعت هذه الآثار بين البحوث الطويلة في المجالات المتخصصة والثقافية، منها مجلة معهد المخطوطات العربية التي نشر فيها البحوث الجليلة القدر، منها: «شروط المؤرخ في كتابة التاريخ (مجموعة فتاوى لبعض العلماء يشترط في المؤرخ لكتابة التاريخ من الجرح والتعديل) نشرت بمجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٧م، و«نوادر المخطوطات في مكتبة طلعت» مجلة معهد المخطوطات نوفمبر ١٩٥٧م، وبحث «إعارة الكتب عند الأقدمين» (نصان قديمان لليزيدي والسيوطي مايو ١٩٥٨م)، كما نشر العديد من المقالات بمجلة «المكتبة» العراقية للكاتب الشهير قاسم الرجب.

كما حقق العديد من الأعمال التراثية النفيسة والنادرة، منها: «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جلجل أبي سليمان بن حسان الأندلسي، وهذا الكتاب وثيقة نادرة ومهمة لتاريخ العلوم وتطور حركة التأليف والترجمة في القرن الرابع، وهو العصر الذي ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية وبلغت غايتها من الإنتاج في شتى ميادين العلوم والآداب، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى اعتماد مؤلفه، فيما رجع إليه من مصادر، على ترجمات عربية لأصول لاتينية تاريخية، وقد عهدنا أن أكثر الكتب التي نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين كانت عن أصول يونانية، والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية، ولكننا لم نظفر بكتاب نقل عن أصول لاتينية، وربما يكون هذا الكتاب من أوائل الكتب التي نقلت نقولا لاتينية مترجمة (٦).

وكما أن كتاب طبقات ابن جلجل أقدم كتاب في الأندلس، وتتمة للفائدة حقق فؤاد سيد أقدم كتاب في المشرق الإسلامي وهو «تاريخ الأطباء والفلاسفة» لإسحاق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨هـ، وألحقه بطبعة كتب «طبقات الأطباء والحكماء»، وكتاب ابن حنين اعتمد عليه كل من أرخ للعلم بعد ذلك، مثل ابن النديم، والقفطي، وابن أبي أصيبعة، والسجزي (٧).

وحقق كتاب «طبقات فقهاء اليمن» لابن سمرة الجعدي (ت: بعد٥٨٦هـ)، وهو من النفائس التي أحضرها من اليمن خلال زيارته الأولى له سنة ١٩٥١م، وهو من أقدم المصنفات اليمنية في هذا الموضوع، فقد استوعب صاحبه التراجم اليمنية منذ الفتح الإسلامي لليمن وحتى عصره، وكان مرجعا من بعده في كتب الطبقات والتراجم.

كما حقق كتبا أخرى مثل: «الوسيط في تراجم أدباء شنقيط» لأحمد ابن الأمين الشنقيطي (ت١٣٣١هـ)، و«العبر في خبر من عبر» للحافظ الذهبي (ت:٧٤٨هـ) وهو اختصار لموسوعته الكبرى «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» حقق منه الجزأين الثاني والثالث وطبعا بالكويت عام ١٩٦١م، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» لتقي الدين الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ، وهو أكبر موسوعة في تاريخ مكة كتبها مؤلفها على غرار تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر، تعرض فيها الفاسي لتاريخ مكة وأعلامها ومن عاش فيها أو دخلها أو سكنها من العلماء والفقهاء والشعراء.. وغيرهم، حقق منه الجزء الثاني إلى السابع ووافته المنية عن إتمام الجزء الثامن، وكان ينوي تحقيق «ذيل العقد» لابن فهد الفاسي تلميذ الفاسي (٨).

ومنهجه في تحقيق التراث أن اختار نصوصا مهمة تطلّب نشرها لتسد ثغرة في المكتبة العربية، وجمع كل النسخ من الكتاب المراد تحقيقه، وعمل على ترتيب منازل النسخ، والمقابلة بينها، والتعليق، والتوثيق، والتخريج، كذلك عمل دراسة النص وصنع كشافات له.

وقد عشق الأستاذ فؤاد سيد الكتاب واقتنى لنفسه مكتبة جمعت النفائس من المخطوطات، ونوادر المطبوعات

حتى ضمت مكتبته ٣٥٠٠ كتاب، آل جزء منها إلى معهد العالم بباريس واحتفظ ابناه أيمن وأحمد بما يعنيهما منها (٩).

قالوا عنه

الأستاذ محمد عبدالجواد في كتابه «تقويم دار العلوم»: «من أكثر من ربع قرن مضى توجهت إلى دار الكتب المصرية أبحث عن موضوع لغوي، فصادفني بين ولدانها فتى في منتصف العقد الثاني من عمره، طلب إليه الأمين أن يجيب طلبتي، فإذا بي أمام مطّلع عالم بالموضوع، وأضاف إلى إجابته ذكر جملة من المظان التي يصح الرجوع إليها، فعجبت لهذا الشاب وتمنيت لو أن دار الكتب يكون بين موظفيها عدد من المرشدين من مثله، والذين أدعوهم: فهارس ناطقة». وبعد أن يعدد آثاره يقول: «وترى فؤادا -في تحقيق المخطوط «حـ» يقصد (طبقات لأطباء والحكماء- عالما من كبار العلماء بدقائق الحقائق التاريخية وكتب السير والطبقات، فضلاً عن سعة الاطلاع والتمكن من المادة التي يبحث عنها ويفحص عن صحتها. أما المباحث اللغوية وتحقيق الأسماء والمصطلحات، فتعجب عند اطلاعك على مجهوده، كيف يتكلم عن اليونانية واللاتينية، إلى الفرنسية والألمانية والتركية.. وغيرها، واثقا مما يقول مرجحا مضعفا» (١٠).

الشيخ محمد زاهد الكوثري: وقد أجازه ليلة الجمعة ٢٠ رمضان ١٣٧١هـ وكانت آخر إجازة يمنحها الشيخ لتلاميذه ونص الإجازة: «ممن استجازني الأستاذ الفاضل البحاثة الواسع الاطلاع السيد فؤاد السيد عمارة، كان الله له حيثما يكون، ورعاه في كل حركة وسكون. بعد أن اطلع على كثير من مؤلفاتي وسمع مني حديث الرحمة المسلسل بالأولية، أجزته يروي عني جميع ما تصح لي وعني روايته من حديث وتفسير وفقه وأصول وتوحيد ومصطلح وتاريخ وحكمة وعربية» (١١).

أما الرئيس الأسبق لدار الكتب المصرية والخبير بمجمع اللغة العربية الدكتور خالد فهمي، فيقول:

«الأستاذ فؤاد سيد، رحمه الله، أمة وحده، ودليل ذلك أمور كثيرة، قل من يحسنها اليوم، فهو عالم ينتمي لأمته، يعرف قيمة تراثها الذي أنجزه رجال علماء في ظل هيمنة التصور الإسلامي على الحياة، وهو باحث من نمط فريد، أسهم في تكوين نفسه تكوينا ذاتيا، عبقريا، فكان مجتمعا من المواهب والملكات في مجالات متعددة، فهو:

أولا: رائد حقيقي من رواد فهرسة المخطوطات؛ ثانيا: وهو رائد من رواد تحقيق التراث المعتزلي، واليمني على وجه التعيين؛ ثالثا: وهو واحد من رواد العلم بالكوديكولوجي، أو علم المخطوط بالحرف العربي؛ رابعا: وهو رائد من رواد التدريب في مجال تصوير المخطوطات، وفهرستها، تدرب على يديه أجيال نابهة من أمثال محمود الطناحي، وعبدالفتاح الحلو، وأيمن فؤاد سيد وغيرهم. إنني عندما أتأمل منجز الأستاذ فؤاد سيد، ومنهجه فيما أنجزه، أكتشف ذلك الدأب، والإتقان، والضبط، ومحبة نشر العلم» (١٢).

وفاته

وبعد عمر حافل بالإنجازات استغل فيه كل دقيقة من حياته في العمل والعطاء، رحل فؤاد سيد في صباح يوم الأحد الثاني من رمضان ١٣٨٧هـ (الثالث من ديسمبر١٩٦٧م)، وكان من فضل الله عليه أن يرحل في هذا الشهر الكريم، وخسرت مصر والعالم العربي بوفاته عالما فريدا ظل يعمل في دنيا المخطوطات قرابة الأربعين عاما، درسا وتمثيلا وتصنيفا.. وقد خسرنا هذه الخبرة الجبارة، وكان في برنامجه نشر هذه الكتب النفيسة ومنها: «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي، وكان يقوم على طبع هذه الموسوعة الجغرافية إحدى جمعيات الاستشراق بإيطاليا التي عهدت إليه بتحقيق القسم الخاص باليمن. وكان ينوي أيضا تحقيق كتاب «طبقات المفسرين للداوودي تلميذ السيوطي (ت:٩٣٠هـ) وقد نشر الكتاب لأول مرة الدكتور علي محمد عمر سنة ١٩٧٢م، وكتاب «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» للقاضي عبدالجبار وهو من النفائس التي جلبها خلال رحلته لليمن (١٣).

الهوامش

١- د. محمود محمد الطناحي، «مقالات العلامة الدكتور محمود محمد الطناحي»، دار البشائر الإسلامية، بيروت، سنة ٢٠٠٢م، ص٧٠-٨٠.

٢- د. حسين نصار، «فؤاد سيد آية مجتمع طموح»، محاضرات الموسم الثقافي بدار الكتب المصرية، الموسم العاشر، إعداد حسام عبدالظاهر، ومحمد أبوالعز عبده، ص٩٠؛ ود. أيمن فؤاد سيد، «دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها»، دار أوراق شرقية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٠٨.

٣- د. محمود الطناحي، مرجع سابق، ص٧٢.

٤- حسين نصار، مرجع سابق، ص٩١.

٥- د. محمود الطناحي، المقالات، مرجع سابق، ص٧٤ و٧٥؛ ود. أيمن فؤاد سيد، دار الكتب المصرية، مرجع سابق، ص٦٨.

٦- ابن جلجل، «طبقات الأطباء والحكماء»، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، مقدمة التحقيق بقلم فؤاد سيد.

٧- فؤاد سيد، مقدمة تحقيق «تاريخ الأطباء والفلاسفة»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٤٣.

٨- محمود الطناحي، المقالات، مرجع سابق، ص٧٨.

٩- أحمد العلاونة، «العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم»، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ٢٠١١م، ص١٦٠.

١٠- محمد عبدالجواد، «تقويم دار العلوم»، ملحق العدد الماسي، القاهرة ١٩٥٩م، ص١٦٤-١٦٦.

١١- محمد زاهد الكوثري، «مقالات الكوثري»، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص٥٤٢.

١٢- رسالة تلقيتها من د. خالد فهمي أستاذ العلوم اللغوية بآداب المنوفية بمصر.

١٣- مقالات الطناحي، مرجع سابق، ص٨٠.

استطلاع :
علاء عبدالفتاح

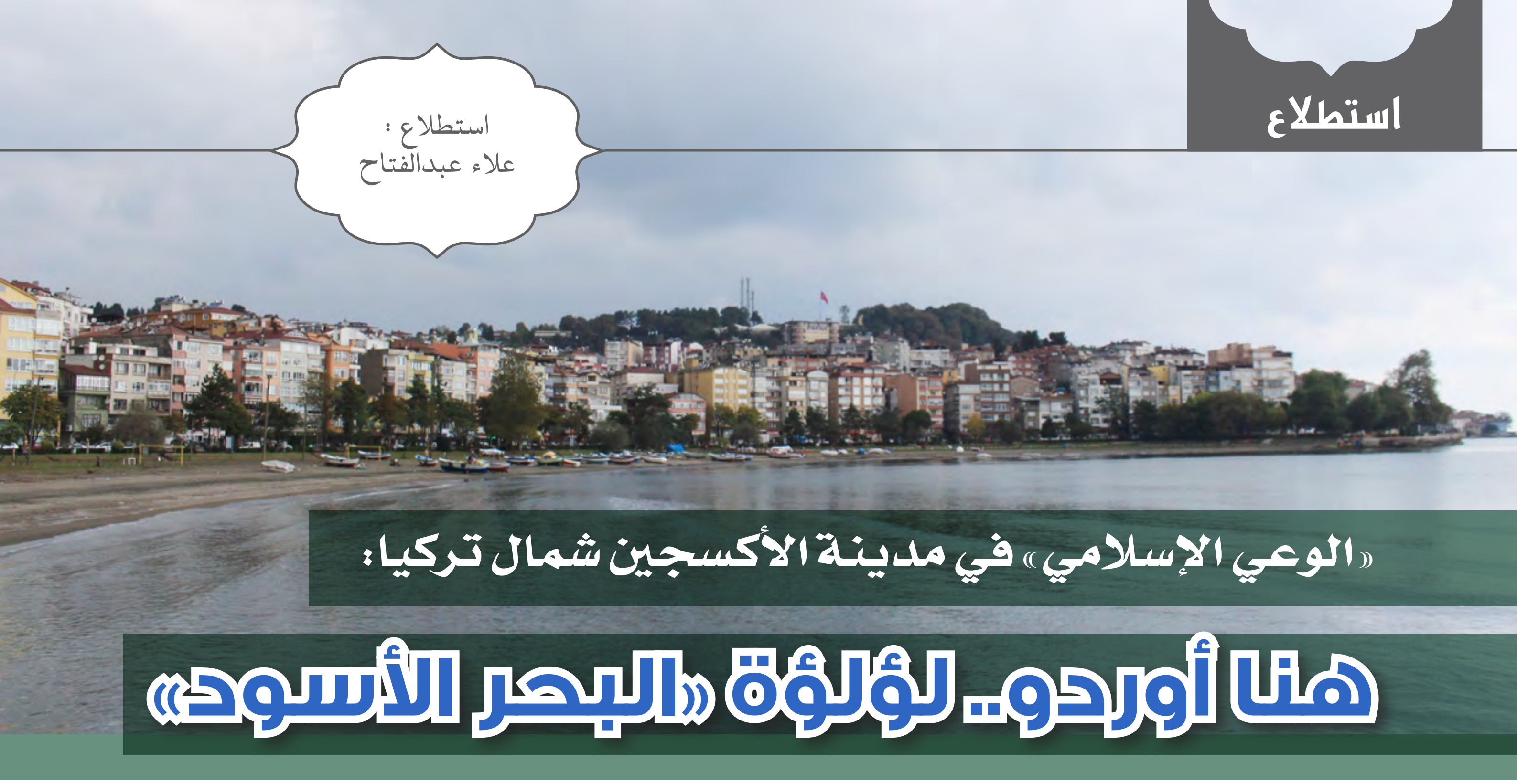

«الوعي الإسلامي» في مدينة الأكسجين شمال تركيا:

هنا أوردو.. لؤلؤة «البحر الأسود»

مساكنها الملونة تنام على كتف جبل أخضر، تمد ناظريها إلى بحر صاف أطلقوا عليه قديما البحر الأسود، كل بقعة فيها مسجد، ولو في قمم الجبال.. إنها أوردو، وما أدراك ما أوردو، تلك المحافظة التركية الشمالية، عاصمة البندق والشلالات ومدينة الأكسجين النقية.

أهلها طيبون، عزيمتهم صلبة، فالممرات التي حفروها على المرتفعات الشاهقة والمساجد والبيوت التي شيدوها كالجواهر في الجبل، تدل على صبرهم وقناعتهم بالحياة البسيطة.. يزرعون خضارهم اليومي، ويربون أغنامهم في مراع طبيعية هبة المطر، ويتنشقون هواء نقيا مشبعا بالأكسجين ورائحة اليود.

تسمع صوت الأذان في كل مكان، ويدهشك الالتزام بالتعبد مع كل مغريات الحياة الأوروبية الحديثة.. في حفل التعارف، الذي أقامته محافظة أوردو لفريق الصحفيين العرب المدعوين من الكويت ولبنان وسوريا والأردن وفلسطين ومصر وتونس والسودان والعراق والبحرين وقطر للتعرف على هذه المدينة السياحية الناشئة، قال المحافظ عرفان أوغلو بلغة عربية سليمة: «هنا أوردو تختصر الجمال الأوروبي المعروف، لكن في الوقت نفسه تشعر أنك في بيتك العربي وسط أهلك، هنا تستطيع أن تجمع بين مميزات الشرق والغرب ولا تنفق مقدار ما تنفقه في رحلتك السياحية إلى أوروبا».

معلم سياحي في منطقة أونيه

من خلال زيارة «الوعي الإسلامي» لبلدية أوردو ومبنى خدماتها، لاحظنا أن موظفي البلدية بالفعل في سباق مع دائرة السياحة لتحويل تلك المحافظة الشمالية إلى قبلة الزائرين لتركيا في الأعوام القليلة المقبلة.. ألعاب الأطفال في كل الحدائق، دورات المياه العمومية تحت الأرض خمس نجوم، حتى أن نشرة الأخبار تنبعث من مذياع مثبت في مدخلها وحارسها يبدو فخورا بأنه وظف في مكان تحول إلى هذه الصورة الحضارية.

الاعتداد بالذات أيضا مع التزام الأدب مع الآخر صفتان تبدوان متلازمتين في شخصية ساكن أوردو. العيب الوحيد هنا عدم الحرص على تعلم لغة عالمية للتفاهم مع الأجانب.. فإذا ما سألت أحدهم هل تتحدث الإنجليزية فقد يرد عليك: «هل تتحدث أنت الألمانية؟!».

معظم السيارات هنا ألمانية (مرسيدس بنز) بالديزل لتتحمل الصعود لمرتفعات الجبل، حيث المنازل والمقاهي والفنادق تطل عليك.
بعض المساجد لا تمانع في تخصيص مساحة أمامها كمقهى لشرب الشاي وحديث كبار السن.. هنا عمل وصلاة وطبيعة ساحرة تمنحك متعا مجانية.
أما أشهر الوجبات الشعبية فحساء العدس والسمك الصغير المقلي.
أيضا ليس هناك من يزعجك من عمال المطاعم والمقاهي ويطلب إكرامية.
لا يمكن ترك أوردو من دون المرور على شلالات جيسالي أوكا دنجيك أو أوهداميش، صحيح أن طريق الصعود إلى مرتفعاتها يستغرق أكثر من ساعة بداية من وسط المدينة، لكن المشهد من علو شاهق وعبر منحنيات تدور حول الجبل يستحق.. في الطريق إلى شلال جيسالي تجد خلايا عسل النحل على الجانب الأيسر بالقرب من الحافة، فمعظم سكان الجبل يعتمدون على إنتاج العسل وبيعه كما يعتمدون على زراعة البندق.. تلقي الشلالات المندفعة بمائها الفضي بسحرها على السياح فيتوقفون ليلتقطوا الصور ومقاطع الفيديو متتبعين مسارها ما استطاعوا، ومنهم من يصمم على المضي قدما إلى بحيرة أولوغول الصافية المحاطة بالخضرة من كل الجهات.
اتجهنا إلى بحيرة أوجوجول، تمثل ٣٦ بحيرة في الشمال مساحتها ٨٠ هكتارا وعمقها ٧٥ قدما في المتوسط، وعلى الرغم من أن معظم الطرق الجبلية ضيقة وبعضها وعر، فإننا لم نسمع بوق سيارة واحدا، ولم نر تذمرا من الواقفين في طوابير الانتظار، ولم نر شرطيا يتعجرف على سائق حتى ولو وقفوا في موقف صعب كما حدث أثناء تعطل سيارة في انحناءة حرجة على طريق ضيق فوقفت كل الاتجاهات.
دليلنا السياحي راشد ديمير استقبلنا مع المسؤولين السياحيين في مطار أوردو ومعه صباح الدين اوزكلني ووفر لنا كل التسهيلات وكذلك فعلت رقية حمزة منسقة الرحلة الإعلامية مع دينامو النشاط ربيع الصعوب.
مترجم الفريق الإعلامي كان صحفيا من وكالة الأناضول، هو عماد مطر، يحكي لنا طوال الطريق إلى المزارات المختلفة كيف قررت محافظة أوردو الاستفادة من إمكاناتها السياحية، وكيف تتقدم في هذا المجال منذ نحو ٣ سنوات، ويصحبنا مطر إلى شبه جزيرة رأس ياصون، حيث كنيسة ياصون التي تعود نشأتها إلى العام ١٨٦٩م، هناك المبنى مشيد من أحجار بسيطة وإضاءة خافتة برتقالية تسقط على أحجار قديمة توحي بالمهابة.
كما زرنا بيتا أثريا تبرع به أحد أثرياء منطقة أونيا، عمره ١٥٠ عاما، من الخشب والحجر، كان لقبطان قادم من القوقاز وتبرع به للولاية هناك بقي الأثاث كما هو عليه قبل ١٥٠ عاما ليتعرف السياح على الحياة المنزلية العثمانية القديمة في إحدى صورها.
مدير دائرة الثقافة والسياحة أغور توبرلاغ يفيدنا بخبر يشجع على الاستثمار فيقول: «منذ قليل قررنا منح الأراضي اللازمة لمشاريع المستثمرين العرب معفاة من الضرائب لمدة ٩ سنوات، فالخطة السياحية حاليا تطمح

في مصنع البندق بأوردو

محافظ أوردو عرفان أوغلو يتحدث إلى الصحفيين وبجانبه الزميل عماد مطر

إلى القفز بولاية أوردو إلى مصاف الولايات السياحية المجاورة، كترابزون ومرمريس وبودروم.. وغيرها، حتى إننا نطمح إلى منافسة العاصمة ذاتها في السياحة العلاجية بالمقومات الطبيعية التي نمتلكها على أرضنا».

كوكتيل جمال

ضمت جولتنا السياحية مع والي أوردو زيارة إلى مستشفى أومت Umut، وهناك قال أحد مديريها سيزاي كيسكين لـ «الوعي الإسلامي»: «منذ عشر سنوات بدأنا العلاج السياحي في هذا المستشفى الفريد الذي يضم ثلاث غرف عمليات دقيقة لإنقاص الوزن ومعالجة الصلع وغيرهما، وهو على بعد خمس عشرة دقيقة من مطار أوردو، وهو الأقرب برا إلى جورجيا كبلد أوروبي، وبالمقارنة بمستشفيات أوروبا تجرى تلك العمليات بتكلفة الثلث فقط، ومقارنة بالعاصمة إسطنبول بتكلفة النصف».

وإلى الجولة الحرة بالمدينة الساحلية الهادئة، حيث نلمح على الشواطئ أجهزة رياضية وألعابا مجانية، تعكس مدى الاهتمام بسكان المدينة حتى الحيوانات التي نسميها ضالة كان لها نصيب كبير من الرعاية، فالكلاب تحمل قطعا بلاستيكية تؤكد إشراف البلدية عليها، وهي تمدد أجسادها في شمس الشتاء وسط ممرات المشاة من دون أدنى خوف أو قلق، والطيور تجد دوما من يطعمها بالحبوب مع توافر أواني مياه مرتفعة عن الأرض وملونة لسقي الطيور تسر الطيور والناظرين.
كما عرفنا أن أهل أوردو في الشتاء يرشون الجليد بالحبوب خوفا على حياة الطيور، وقد لمحنا عمال النظافة يرتدون ثيابا فاخرة ويمارسون عملهم بكل فخر وإباء، حتى أن أحدهم كان يدعونا لالتقاط الصور التذكارية معه على خلفية البحر الصافي.

عاصمة البندق

تنتج تركيا أكثر من ٧٠ في المئة من البندق في العالم، بما يفوق ٦٠٠ ألف طن سنويا، وتقدر قيمة صادراتها في هذا الاطار بمليارى دولار، وتنتج أوردو نحو ٩٠ في المئة من المحاصيل التركية،

أحد مساجد أوردو من الداخل

إعلاميون مع مسؤولي السياحة في شمال أوردو

وتعتبر تركيا المنتج الأول له في العالم اليوم، وتتصدر أهم عشر دول تزرع البندق: الصين، إيطاليا.
عادة ما يكون حصاد البندق في شهر أغسطس من كل عام، حيث تنظم البلدية «مهرجان البندق الذهبي»، وبما أن الزيارة أتت بعد الحصاد فقد رأى المنظمون أن نقوم بجولة على معمل لتجهيز البندق إلى مرحلة التحميص ومصنع للشوكولاتة المعتمدة على نفس الثمرة الصحية الصديقة للقلب. فهو مصدر لـ «أوميجا ٣»، التي تمنع تخثر الدم وانسداد الشرايين. وهو غني بالفيتامينات والألياف وبالمواد الدهنية التي تصل إلى ٦٥,٣ في المئة.
ونعرف من الجولة أن ثمرة البندق تتساقط من الكبسولة الورقية بعد اكتمال نضجها، ويكون ذلك بعد نحو ٧ و٨ أشهر من التلقيح. وسقوطها إما يدويا أو آليا باستخدام ماكينات هزازة وحصّادة، وتخزن الثمار بعد تجفيفها طبيعيا أو صناعيا، ثم تنقل إلى معامل كسر الحبوب، ثم معامل الفرز.
صاحب المصنع يشرح لنا في ضوء زيارة ميدانية لخطوط الإنتاج كيف يتم العمل ثماني ساعات (على فترتين) تحت إضاءة شديدة بواسطة السيدات الخبيرات في الفرز، ثم ننتقل إلى أكبر مصنع للشوكولا في أوردو المسمى على نفس اسم العائلة Sağra التي كانت تعيش في أوردو وتعمل بالبندق ثم بدأت بصناعة الشوكولا منذ العام ١٩٣٦م.
خطوط الإنتاج تبدأ بسحق البندق حتى يخرج من الجهة الأخرى سائلا! يتم خلطه مع سكر البنجر والكاكاو لعمل أنواع الشوكولاتة المختلفة.
ومن خلال هذه الجولة السريعة في هذه المدينة المميزة، استأثرت في العقل صورة نموذجية لمدينة مازجت بين جمال الطبيعة، ونقاء الهواء، وسكن الفؤاد، وروعة التقدم والتطور، وتوج ذلك كله بسمو الروح وهي تسمع أصوات المساجد تصدحُ بصوت الحق: الله أكبر.. لا إله إلا الله.

في كل مكان مسجد

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

دار الحديث النورية

إن من أبرز سمات التعليم في عهد الدولة الزنكية الاتجاه إلى العناية بالحديث الشريف دراسة وتدريسا، وتشييد دور خاصة به، إذ بادر الملك نور الدين محمود بإنشاء أول دار للحديث في الإسلام، وهي دار الحديث النورية بدمشق والتي أولى مهمة التدريس فيها والإشراف عليها إلى أبرز أعلام عصره، وهو الحافظ الكبير أبوالقاسم ابن عساكر المتوفى سنة (٥٧١هـ)، ثم تلا ذلك إنشاء العديد من دور الحديث في العالم الإسلامي.

تقع دار الحديث النورية في مدينة دمشق بسوق العصرونية، بين دار الحديث الأشرفية والمدرسة العصرونية، مقابل المدرسة العادلية الصغرى.

بانيها

وقد قام ببنائها - كما ذكرت - الشهيد السلطان نور الدين محمود ابن زنكي المتوفى سنة (٥٦٩هـ)، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه، وكان معتنيا بمصالح رعيته، فبنى الأسوار والمدارس، يقول ابن الأثير الجزري في ترجمته: «وبنى في دمشق أيضا دارا للحديث، ووقف عليها وعلى المشتغلين والدارسين لعلم الحديث وقوفا كثيرة، وهو أول من بنى دارا للحديث» (١).

وقيل: واقفها عصمة التي قيل: إنها كانت زوج صلاح الدين، وهو خلاف المعروف (٢).

أسماء الدار

للدار ثلاث تسميات أطلقها عليها بعض المحدثين والمؤرخين: دار الحديث النورية، ودار السنة النورية، ودار السنة.

التدريس فيها (٣)

تولى دار الحديث النورية إدارة أو تدريسا، عدد كبير من العلماء، منهم: الإمام أبوالقاسم علي بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة (٥٧١هـ)، ثم تولاها ابنه أبومحمد القاسم بن علي ابن عساكر المتوفى سنة (٦٠٠هـ) وأسمع تاريخ والده بعد وفاته (تاريخ مدينة دمشق) بدار الحديث النورية مرتين، وأملى فيها عددا من مؤلفاته ومسموعات

والده (٤)، ثم تولاها بعض أبنائه وأحفاده من بعده.

وممن تولاها أيضا: تاج الدين عبدالرحمن بن إبراهيم الفركاح الدمشقي المتوفى سنة (٦٩٠هـ)، وعلاء الدين علي بن إبراهيم ابن العطار المتوفى سنة (٧٢٤هـ) تلميذ الإمام النووي، وبقي في مشيختها ثلاثين سنة (٥).

وكذلك تولاها الإمام أبوالحافظ يوسف بن عبدالرحمن المزي الدمشقي المتوفى سنة (٧٤٢هـ)، ثم ابنه الإمام عبدالرحمن بن يوسف المزي المتوفى سنة (٧٤٩هـ)، ثم الإمام محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة (٧٧٤هـ).

ثم وليها الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤هـ)، ثم ابنه الإمام بدر الدين محمد بن إسماعيل ابن كثير المتوفى سنة (٨٠٣هـ)..

وقد تعرضت تلك الدار للتخريب والهدم والحرق مثل ما أصاب المدارس والجوامع من تخريب وإحراق وهدم بسبب هجوم التتار على دمشق، وما فعله تيمورلنك فيما بعد ما يفوق الوصف.

لهذا لم يذكر المؤرخون بعد هذا الهجوم التدريس فيها، إلى أن قام آل الخطيب بإعادة إعمارها وتولية مشيختها والتدريس فيها.

ففي سنة (١٢٧٥هـ) قام بتجديد المبنى الشيخ محمد أبوالفرج الخطيب الحسني الدمشقي، المتوفى سنة (١٣١١هـ) وكان مرجعا للفتوى بدار الحديث النورية، ثم تولى إدارتها شقيقه أبوالخير الخطيب، ثم ابن أخيه الشيخ عبدالقادر بن الشيخ أبي الفرج محمد المتوفى سنة (١٣٥١هـ)، ثم ابنه الشيخ محمد أبوالفرج بن عبدالقادر الخطيب، المتوفى سنة (١٤٠٧هـ) (٦)، ثم أولاده من بعده، كالشيخ أحمد معاذ الخطيب، والأستاذ محمود، والأستاذ محمد مجبر.

علماء أسمعوا الحديث

أسمع عدد من علماء دمشق والواردين إليها الحديث بدار الحديث النورية، منهم:

الإمام أبوالقاسم علي بن هبة بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة (٥٧١هـ)، حيث قرأ كشف المغطا في فضل الموطا بدار الحديث النورية سنة (٥٦٦هـ) (٧).

الإمام عبدالرحمن بن محمد الأزدي الدمشقي المتوفى سنة (٥٧٦هـ).

والإمام محمد بن أحمد ابن عساكر المتوفى سنة (٦٣١هـ).

والإمام محمد بن عبدالله السلمي المرسي المتوفى سنة (٦٥٥هـ)، حيث قرئ عليه السنن الكبرى للبيهقي بدار الحديث النورية سنة (٦٣٠هـ) (٨).

والإمام أحمد بن محمد الصابوني المتوفى سنة (٦٩٢هـ).

والإمام الحسن بن علي الخلال الدمشقي المتوفى سنة (٧٠٢هـ).

والإمام إبراهيم بن إسماعيل التنوخي المتوفى سنة (٧٠٢هـ).

والإمام محمد بن علي البالسي المتوفى سنة (٧١١هـ).

ولأهمية دار الحديث النورية فقد تخرج منها وأخذ عن شيوخها كبار العلماء والمؤرخين والمحدثين في القرنين السادس والسابع للهجرة، كابن الأثير الجزري والمقدسي والمزي وابن كثير والنووي والذهبي والحسيني وابن تيمية وابن قيم الجوزية وغيرهم.

الهوامش

١- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل لابن الأثير، ص ١٧٢.

٢- الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (٧٤/١).

٣- ينظر دور الحديث الشريف بدمشق للدكتور محمد مطيع الحافظ، ص ٩ وما بعدها.

٤- ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٧/٢٢)، يقول ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية (٣٤/٢): «تولى مشيخة دار الحديث النورية بعد والده، فلم يتناول من معلومها شيئا، بل كان يرصده للواردين من الطلبة، حتى قيل: لم يشرب من مائها ولا توضأ».

٥- البداية والنهاية (٤٣٤/١٣).

٦- يقول الأستاذ عبدالكريم السمك: «وقد تهدمت المدرسة بفعل القدم وقلة اليد في الإصلاح، وتحولت إلى متجر لبيع الحاجات التراثية والأثرية في هذه الأيام، كما يشاهدها كل زائر لدمشق» مدرسة الحديث النورية، النشأة والتاريخ.

٧- ينظر كشف المغطا في فضل الموطا ص ١٨.

٨- ينظر السنن الكبرى للبيهقي (٢/١).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

الهداية الإسلامية

الهداية الإسلامية
مجلة اسلامية علمية أدبية
تصدرها جمعية الهداية الإسلامية ويحررها نخبة من أعضائها
مديرها : رئيس الجمعية
محمد الخضر حسين
المجلد الاول
١٣٤٧ — ١٣٤٨
رسائل التحرير توجه باسم مدير المجلة
والرسائل الادارية والاشتراكات باسم مراقب الجمعية الاستاذ
مصطفى بدر زيد
عنوان المجلة : سكة الشابوري منزل رقم ١١ بالحلمية الجديدة
المطبعة السلفية - بمصر

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة المقتبس» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

فهي مجلة إسلامية علمية وأدبية، وهي لسان حال جمعية الهداية الإسلامية، يحررها نخبة من أعضائها، بإدارة الشيخ العلامة: محمد الخضر حسين يرحمه الله.

تعريف جمعية الهداية الإسلامية

إن أوسع ميدان من الميادين الإسلامية العديدة التي خاض غمارها فضيلة الإمام الأكبر المصلح محمد الخضر حسين هو ميدان: «جمعية الهداية الإسلامية»، تلك الجمعية التي غذاها بعلمه النافع الغزير، وعمله الخالص الجاد مرحلة من عمره المبارك، ففي يوم ١٣ من رجب ١٣٤٦هـ الموافق لـ ١٦ من يناير ١٩٢٨م، أسس الشيخ محمد الخضر حسين هذه الجمعية المباركة مع جماعة من كبار العلماء في القاهرة خدمة للإسلام وأهله، وتولى رئاستها بنفسه، وقد أولاها كل جهده ووقته، وصرف إليها ليله ونهاره، حتى كانت

الجمعية مع مجلتها هي غذاؤه وقوته.

التعريف بصاحب المجلة

محمد الخضر حسين (١٢٩٣-١٣٧٧هـ = ١٨٧٦-١٩٥٨م):

كثيرون هم الذين طرقوا أبواب أرض الكنانة من العلماء العرب والمسلمين، وكثيرون منهم من ارتبطت شهرتهم وسطع نجمهم فيها مثل: محمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، والعلامة مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، والشيخ محمد زاهد الكوثري، لكن أكثرهم شهرة هو من تربع على عرش أكبر مؤسسة دينية في العالم الإسلامي آنذاك - الجامع الأزهر -؛ إنه الشيخ: محمد الخضر حسين، الذي تولى مشيخة الأزهر من سنة ١٩٥٢-١٩٥٤م.

ولد الشيخ يرحمه الله بتونس في مدينة نفطة المشهورة بعلمائها، حتى قيل عنها إنها الكوفة الصغرى، يوم ١٦ أغسطس سنة ١٨٧٦م، فدرس العلوم الدينية واللغوية على يد عدد من العلماء منهم خاله الشيخ محمد المكي بن عزوز، ولما بلغ الشيخ سن الثالثة عشرة انتقل إلى تونس (العاصمة) مع أسرته ودرس في جامع الزيتونة، وتعلم على يد مشايخها وعلمائها، ومن أبرزهم الشيخ سالم بوحاجب وهو واحد من كبار المصلحين في تونس، حتى تخرج الشيخ من الزيتونة سنة ١٨٩٨م، ثم بدأ حياته الدعوية بإلقاء الدروس والخطب في مساجد بلده.

وفي محاولة من الشيخ للإصلاح ونشر الوعي أنشأ مجلة «السعادة العظمى» في إبريل سنة ١٩٠٤م، وهي أول مجلة عربية ظهرت في تونس، ولم يصدر منها سوى ٢١ عددا ثم انقطع صدورها، ثم تولى الشيخ قضاء بنزرت (مدينة في تونس) سنة ١٩٠٥م، وقام بالتدريس في جامعها الكبير، ولم يطل الأمر حتى استقال من منصبه وعاد إلى تونس وتطوع للتدريس في جامع الزيتونة، كما شارك في تأسيس الجمعية الزيتونية، ثم عين مدرسا رسميا بجامع الزيتونة، ودرّس أيضا في الجمعية الخلدونية.

وفي فترة الاستعمار هاجر الشيخ إلى إسطنبول عن طريق مصر ثم دمشق، ثم عاد إلى تونس.

ثم قرر الهجرة نهائيا واختار دمشق موطنا ثانيا له، وخلال رحلته هذه ومروره بمصر التقى بمشايخها الكبار وعلمائها مثل الشيخ: طاهر الجزائري، ومحمد رشيد رضا، والشيخ محب الدين الخطيب.

وبعد رحلات طويلة وانتقال من بلد إلى بلد استقر الشيخ بمصر، فعمل في بداية استقراره بها مصححا بدار الكتب، ودرس وحاضر في مساجدها، وكتب مقالات متنوعة، ثم أنشأ جمعية «تعاون جاليات إفريقيا الشمالية» بالقاهرة سنة ١٩٢٤م.

كما شارك في تأسيس «جمعية الشبان المسلمين»، ووضع لائحتها مع صديقه محب الدين الخطيب، وأنشأ «جمعية الهداية الإسلامية» سنة ١٩٢٨م، وأصدر مجلة الهداية الإسلامية لتكون لسان حال الجمعية، ثم اختير الشيخ للتدريس بالأزهر، ثم تدرج حتى تولى تحرير مجلة الأزهر التي صدرت في بداياتها باسم نور الإسلام، وذلك سنة ١٩٣١م، ثم اختير عضوا بمجمع اللغة العربية عند إنشائه سنة ١٩٣٢م، وتولى رئاسة تحرير مجلة لواء الإسلام سنة ١٩٤٦م، وعضوا لهيئة كبار العلماء سنة ١٩٥٠م.

بعدها نال الشيخ عضوية جماعة كبار العلماء برسالته «القياس في اللغة العربية» سنة ١٩٥٠م، ثم لم يلبث أن وقع عليه الاختيار شيخا للجامع الأزهر في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢م.

واستمر الشيخ محمد الخضر حسين - يرحمه الله - في أواخر حياته يلقي المحاضرات، ويكتب في الصحف والمجلات، بالرغم مما اعتراه من كبر السن والحاجة إلى الراحة، إلى أن انتقل إلى جوار ربه في عام ١٣٧٧هـ الموافق لـ ١٩٥٨م، ودفن في مقبرة آل تيمور، فجزى الله الشيخ عن الإسلام خير الجزاء، ورحمه رحمة واسعة.

مؤلفاته

للشيخ الخضر حسين العديد من المؤلفات، منها:

١- رسائل الإصلاح: ٣ أجزاء.
٢- ديوان شعر «خواطر الحياة».
٣- بلاغة القرآن.
٤- أديان العرب قبل الإسلام.
٥- تونس وجامع الزيتونة.
٦- تونس، ٦٧ عاما تحت الاحتلال الفرنساوي ١٨٨١-١٩٤٨.
٧- حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية.
٨- دراسات في العربية وتاريخها.
٩- الرحلات.
١٠- الحرية في الإسلام.
١١- الخيال في الشعر العربي.
١٢- آداب الحرب في الإسلام.
١٣- تعليقات على كتاب الموافقات للشاطبي.
١٤- نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم.
١٥- نقض كتاب في الشعر الجاهلي.
١٦- عدد من البحوث والمقالات نشرت في مجلة الأزهر ونور الإسلام ولواء الإسلام والهداية الإسلامية.

علما أن مجلة الوعي قد أصدرت «موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر وعالم بلاد المغرب» في ٢٥ مجلدا، وهي موسوعة قيمة جدا يحبذ ألا تخلو منها مكتبة طالب علم.

أهداف المجلة

١- السعي لتعارف الشعوب الإسلامية، وتوثيق الرابطة بينها، ورفع التجافي بين الفرق الإسلامية، والتعاون مع كل جمعية تسعى لهذه الغاية.

٢- نشر حقائق الإسلام بأسلوب يلائم روح العصر.

٣- مقاومة الإلحاد والدعايات غير الإسلامية في الأوطان الإسلامية بالطرق العلمية.

٤- الجهاد في إصلاح شأن اللغة العربية، وإحياء آدابها. علما أن أهداف المجلة هي نفسها أهداف جمعية الهداية الإسلامية، وعلى هذه الأسس سارت الجمعية والمجلة في تحقيق أهدافها.

نسخة مجلة الوعي

أصدرت هذه المجلة الرائعة ٢٠٠ عدد، إلا أن المتوفر منها في مجلتنا هو فقط: ١٤٤عددا مجموعة في ١٢ مجلدا، يحتوي كل مجلد منها على ١٢ عددا، وهي متاحة لقرائها الكرام.

المصادر
مجلة الهداية الإسلامية.
الأعلام للزركلي.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

عصام الدين سلامة: سيدنا محمد ﷺ خير قدوة في اعتدال الشخصية

القاهرة - إسلام أحمد

اعتبر عصام الدين سلامة، مدرب دولي معتمد في برنامج مهارات القيادة بالتأثير من المعهد الوطني الأميركي للقيادة والكاريزما، أن العلاقة بالله والنفس والأسرة والمجتمع تعد أساسا لكل علاقات الإنسان؛ وأنها المقياس لتحقيق الفوز والفلاح في الآخرة.

وقال في حواره لـ «الوعي الشبابي» إن طبيعة الحياة قائمة على عدم الثبات، والرغبة في التغيير والعمل عليه؛ ما يجعل للحياة قيمة.. وإلى نص الحوار:

● التنمية وتطوير الذات أمران دائمان ومتجددان وينبغي ألا يتوقفا عند مرحلة معينة.. كيف يمكن أن يحدث ذلك في ضوء معطياتنا المجتمعية؟

- الغرض من التنمية وتطوير الذات هو الحصول إما على معارف جديدة أو مهارات جديدة أو تتغير فينا قناعات موجودة، والمقصود بذلك هو مواكبة واقع العصر الذي نحن فيه.

ومصادر التنمية وتطوير الذات ليست دائما عن طريق حضور المحاضرات ودفع الأموال؛ فهناك الكثير والكثير من طرق التنمية والتطوير، ولا أنكر أن أفضلها يكون على أيدي مدربين معتمدين، لكن نظرا للتكلفة العالية لهذه الأمور فأنصح نفسي والجميع أولا وأخيرا بالقراءة والاطلاع؛ فالكتب والمراجع والدروس المصورة موجودة عبر الشبكة العنكبوتية لمن يريد أن يستفيد، والمهم ألا يمر على أي منا يوم دون أن يتحصل فيه على معلومة جديدة في مجاله التخصصي وفي مجالات أخرى حياتية، وكفانا جلوسا على الإنترنت بحثا عن كل ما لا يعود بالفائدة؛ فالعصر الذي نحن فيه هو عصر العمل الجاد من أجل التغيير.

● ما معايير التغيير التي ينبغي أن ينطلق منها الفرد والمجتمع لتحقيق الأفضل؟

- بصفة عامة، يجب أن يكون أي تغيير في حياة أي منا بناء على دراسة، ويفضل أن يكون ذلك مسجلا في صورة خطة مكتوبة.

وينبع وضع الخطط من وضوح المهمة التي نعمل عليها، وهي تمثل الدور الأساسي الذي يقوم به الشخص بصفة يومية في مكانه؛ سواء في بيته أو في العمل.

كما لابد من وضوح الرؤية المستقبلية، وتمثل الشكل المرتقب أو النتيجة النهائية التي نريد أن نصبح عليها مقارنة بالوضع الحالي، إضافة إلى عمل مراجعة دائمة للأهداف التي نعمل عليها ونرغب في تحقيقها؛ حيث ستظل دائما نقطة الانطلاق الأساسية التي تحرك الأفراد والجماعات للتغيير هي «الرغبة في الأفضل».

ولنجاح الخطط وحدوث التغيير لابد من متابعة الإنجاز وقياس الأداء وتحليل النتائج، ثم تعديل المسار إن وجدنا أن النتائج لا تبشر بالمطوب الحصول عليه، وهنا يجب التذكير بأنه يجب أن نكون واقعيين في وضع الأهداف والمدة الزمنية لتحقيقها.

● إذا كان من الصعب الحديث عن شخصية مثالية، فماذا عن مفردات الشخصية المعتدلة؟

- أولا يجب فهم أن الشخصية المثالية هي شخصية تحيا في داخل عالمها الخاص وداخل دائرة الراحة الخاصة بها، وتتعامل بأفكار تخصها وحدها؛ وبالتالي فهي لا تشعر بالانتماء إلى عالمنا، وتشعر دائما أنها مظلومة أو غير مفهومة، ولا يمكن لومها على ذلك؛ فهي شخصية لم تنضج بما يكفي لتتعامل مع تفاصيل الحياة، وهي من المؤكد ليست شخصية محببة إلى الناس، ولو كانت كذلك لحثنا رسول الله ﷺ أن نكون على هذه الحال، وإن أحببنا أن نطلب صفات الاعتدال فلا نجد قدوة أفضل من أن نستقيها من خير البشر ولنا فيه أسوة حسنة وعنده نجد قمة الاعتدال في صفاته.

الشخص المعتدل يتحلى بصفات آدمية تجعل لديه قمة الثبات الانفعالي؛ فهو يكون حليما لا يغضب لكل شيء، إلا إن انتهكت حرمة من حرمات الله، متأنيا لا يسرع في إصدار الأحكام، يتغافل عن المواقف مادام ليس فيها ما يخالف شرع الله ولا يعاتب على كل صغيرة وكبيرة، حكيم في معاملة الناس ورحيم بهم في نفس الوقت، متواضع ويخفض الجناح للناس، يوقر الكبير ويحنو على الصغير.

والقصد أن الشخص المعتدل هو شخص مرن يستطيع أن يعامل الناس كلا بقدره وعلى قدر سريرته وثقافته، ونحن لسنا في هذا الأمر سواء مثل بعضنا، ولكننا نربي هذه الصفات فينا على مدار العمر وكلما زادت خبرتنا في الحياة.

ناجحون

لينا.. طالبة سعودية ضمن عباقرة رياضيات العالم

دبي - تهاني العصيمي

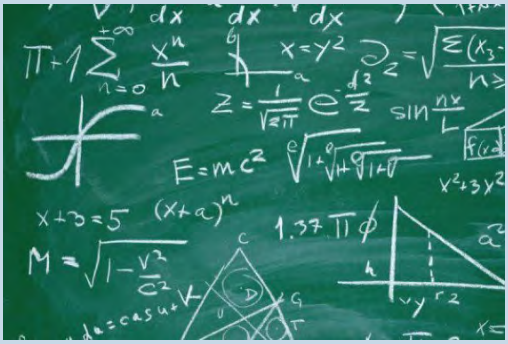

أحرزت المتسابقة السعودية لينا محمد عطاالله بخاري الطالبة بمدارس دار الرواد الأهلية بجدة المركز الثالث في مسابقة البطولة العالمية لعباقرة الرياضيات الذهنية العالمية (يوسي ماس) في دورتها الحادية والعشرين والتي أقيمت أخيرا في دبي.

وقالت لينا: إنها تشعر بسعادة بالغة لتتويجها ثالث العالم في المسابقة وتشريف المملكة في المحافل العالمية، حيث تنافس في الدورة الحالية للمسابقة العالمية أكثر من ٣ آلاف طالب وطالبة يمثلون أكثر من ٥٠ دولة عضوا في الأمم المتحدة.

طور نفسك

القراءة في مرحلة مبكرة؟

الكويت - الوعي الشبابي

ينصح خبراء التربية بالبدء في القراءة للطفل في سن مبكرة جدا، بمجرد أن يبلغ ٤ أشهر. لكن ذلك لا يعني أنك لا يمكن تشجيع الطفل على القراءة في وقت لاحق. محبة القراءة تغزو قلب الطفل في أي مرحلة من مراحل الطفولة.

إليك أفضل الطرق لتجعل ابنك قارئا:

البداية المبكرة. البعض يبدأ في قراءة الكتب للطفل بعد أسابيع من ولادته، ويعتبر عمر ٤ أشهر مناسبا جدا للبداية المبكرة. في هذا العمر لا يفهم الطفل الكلمات ولا الصور، لذلك الأفضل أن تبدأ بالكتب كبيرة الحجم ذات الألوان والرسومات الكبيرة. بعض الكتب المصنوعة من القماش والتي تتضمن حكايات للأطفال خيار رائع في هذه المرحلة المبكرة، وكلما اقترب الطفل من عمر سنتين سيتعلق بقصص الحيوانات.

الكتاب المناسب. مفتاح الاختيار الذي يناسب الطفل هو الحواس، ابدأ بالكتب التي يمكن التفاعل معها باللمس، بعد ذلك انتقل للكتب الورقية العادية. بعض الكتب الورقية تحتوي على صور مطوية تخرج منها أشكال حيوانات عند فتحها. بعد بلوغ الطفل سنة يمكن أن يستمع إلى جملتين أو ٣ من كل صفحة مصورة. وبعد بلوغه سنتين سيمكنه متابعة تسلسل القصة بشكل جيد في حدود هذا العدد من الجمل المكتوبة في كل صفحة.

الحصول على الكتب. اجعل الكتب متاحة بحيث يسهل الوصول إليها بالنسبة للصغير. لا تضع كتب الطفل على رف عال، بل في ارتفاع مناسب له أو على الأرض. ضع كتابين أو ٣ أمامه وفي طريقه كل يوم ليرى الكتب ويتصفح الصور باستمرار ويتعلق بها.

اقرأ. من العوامل التي تساعد الطفل على حب القراءة أن يقرأ الأب والأم.

التلاعب بالصوت. من الأمور المحببة للطفل الدارج أن تتلاعب بصوتك وأنت تقرأ له الحكاية، ليتفاعل أكثر مع الأحداث، ويشعر بالمرح.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

المواد الإضافية في الغذاء والدواء

الخلاصة الحكمية

- الاستحالة هي: تغير حقيقة المادة النجسة أو المحرم تناولها، وانقلاب عينها إلى مادة أخرى مختلفة عنها في الاسم والخصائص والصفات.

- الاستهلاك: هو انغمار عين في عين تزول معه صفات العين المغمورة وخصائصها، ولا يمكن تمييزها بوجه من الوجوه المختلفة.

- مادة الكحول غير نجسة شرعا، لأن الأصل في الأشياء الطهارة؛ فلا حرج شرعا من استخدام الكحول طبيا كمطهر للجروح، والأدوات، والعطور.

- لا يجوز تناول المواد الغذائية التي تحتوي على نسبة من الخمور مهما كانت ضآلتها؛ كبعض الشوكولاتة.

- لا يجوز استخدام الأعلاف المحتوية على: مخلفات الميتة والدم ولحم الخنزير والهرمونات والمضادات الحيوية.

● القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

● قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي، المنعقد في دورته الثانية والعشرين بدولة الكويت، خلال الفترة من: ٢-٥ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ، الموافق: ٢٢-٢٥ مارس ٢٠١٥م.

بعد تكليف الندوة المشكلة من قبل أمانة المجمع للنظر في مسائل: الاستحالة والاستهلاك تقرر ما يأتي:

أولا: بخصوص تعريف الاستحالة أكد اعتماد التعريف الوارد في قراره ذي الرقم: ١٩٨ (٢١/٤) مع إضافة، بحيث يكون كالآتي: الاستحالة في الاصطلاح الفقهي: تغير حقيقة المادة النجسة أو المحرم تناولها، وانقلاب عينها إلى مادة أخرى مختلفة عنها في الاسم والخصائص والصفات.

ويعبر عنها في المصطلح العلمي الشائع بشأنها كل تفاعل كيميائي كامل؛ مثل: تحويل الزيوت والشحوم على اختلاف مصادرها إلى صابون، وتحلل المادة إلى مكوناتها المختلفة، وكما يحصل التفاعل الكيميائي بالقصد إليه بالوسائل العلمية الفنية يحصل أيضا بصورة غير منظورة في الصور التي أوردها الفقهاء على سبيل المثال: كالتخليل والإحراق.

أما إذا كان التفاعل الكيميائي جزئيا؛ فلا يعتبر ذلك استحالة، وإن كانت المادة نجسة فتبقى على حالها ولا يجوز استخدامها.

أما الاستهلاك: فهو انغمار عين في عين تزول معه صفات العين المغمورة وخصائصها، ولا يمكن تمييزها بوجه من الوجوه المختلفة.

(ثم أتى فيه)

أما الكحول والجيلاتين واستحالتهما: فقد اتفق المشاركون على ما ورد في الفتوى والتوصية الصادرة من المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية في ندوة المواد المحرمة والنجسة.. في الغذاء والدواء التي انعقدت في الكويت في: ٢٢-٢٤ من ذي الحجة ١٤١٥هـ، الذي يوافقه ٢٢-٢٤ مايو ١٩٩٥م، بالمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت، ونصها كالآتي:

المبادئ العامة

١- يجب على كل مسلم الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية، خصوصا في مجال الغذاء والدواء، وذلك محقق لطيب مطعمه ومشربه وعلاجه، وإن من رحمة الله بعباده وتيسير سبيل الاتباع لشرعه مراعاة حال الضرورة والحاجة التي تضمنتها مبادئ شرعية مقررة، منها: أن الضرورات تبيح المحظورات، وأن الحاجة تنزل منزلة الضرورة ما دامت متعينة، وأن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم يقم دليل معتبر على الحرمة، كما أن الأصل في الأشياء كلها الطهارة، ما لم يقم دليل معتبر على النجاسة. ولا يعتبر تحريم أكل الشيء أو شربه حكما بنجاسته شرعا.

٢- مادة الكحول غير نجسة شرعا، بناء على ما سبق تقريره من أن الأصل في الأشياء الطهارة، سواء أكان الكحول صرفا أم مخففا بالماء. وعليه، فلا حرج شرعا من استخدام الكحول طبيا كمطهر للجلد -الجروح- والأدوات، وقاتل للجراثيم، أو استعمال الروائح العطرية (ماء الكولونيا) التي يستخدم الكحول فيها باعتباره مذيبا للمواد العطرية الطيارة، أو استخدام الكريمات التي يدخل الكحول فيها. ولا ينطبق ذلك على الخمر لحرمة الانتفاع به.

٣- بما أن الكحول مادة مسكرة ويحرم تناولها، وريثما يتحقق ما يتطلع إليه المسلمون من تصنيع أدوية لا يدخل الكحول في تركيبها، لاسيما أدوية الأطفال والحوامل، فلا مانع شرعا من تناول الأدوية التي تصنع حاليا وتدخل في تركيبها نسبة ضئيلة من الكحول، لغرض الحفظ، أو إذابة بعض المواد الدوائية التي لا تذوب في الماء مع عدم استعمال الكحول فيها مهدئا، وهذا حيث لا يتوافر بديل عن تلك الأدوية، وتوصي الندوة الجهات الصحية المختصة بتحديد هذه النسب حسب الأصول العلمية ودساتير الأدوية.

٤- لا يجوز تناول المواد الغذائية التي تحتوي على نسبة من الخمور مهما كانت ضآلتها، لاسيما الشائعة في البلاد الغربية، كبعض الشوكولاتة وبعض أنواع المثلجات (الآيس كريم، الجيلاتي، البوظة)، وبعض المشروبات الغازية، اعتبارا للأصل الشرعي في أن ما أسكر كثيرة فقليله حرام، ولعدم قيام موجب شرعي استثنائي للترخيص بها.

٥- المواد الغذائية التي يستعمل في تصنيعها نسبة ضئيلة من الكحول لإذابة بعض المواد التي لا تذوب بالماء من ملونات وحافظات وما إلى ذلك، يجوز تناولها لعموم البلوى ولتبخر وتلاشي معظم الكحول المضاف في أثناء تصنيع الغذاء، حسب دساتير وتعاليم هيئات الصحة والأغذية مع الحرص على استعمال البدائل الخالية من الكحول تماما.

٦- المواد الغذائية التي يدخل شحم الخنزير في تركيبها، مثل بعض الأجبان وبعض أنواع الزيت والدهن والسمن والزبد وبعض أنواع البسكويت والشوكولاتة والآيس كريم، هي محرمة ولا يحل أكلها مطلقا، اعتبارا لإجماع أهل العلم على نجاسة الخنزير وعدم حل أكله، ولانتفاء الاضطرار إلى تناول هذه المواد.

٧- الجيلاتين: يرى المجمع تكليف أمانة المجمع بمزيد من البحث والدراسة للموضوع.

الهرمونات والإنزيمات

الهرمون: مادة كيميائية تفرز في الدم بواسطة الغدد الصماء، ويقوم بتنظيم كثير من العمليات الحيوية من استقلابية وبنائية وتأثيره عام على الجسم.

الإنزيم: جزيء بروتيني يفرز من خلايا الجسم وله تأثير موضعي يسرع معدل التفاعل الكيميائي في الكائنات الحية من دون أن يستهلك.

الهيبارين المستخرج من الخنزير: لا يجوز استخدامه إلا في حالة الضرورة وإذا تم تعديله للحصول على هيبارين ذي وزن جزيئي منخفض، فإن هذه العملية لا تعتبر استحالة كيميائية ينبني عليها حكم مستقل، وأما الهيبارين المحضر عن طريق الهندسة الوراثية من دون استخدام أجزاء الخنزير فلا حرج في استخدامه.

الإنسولين المستخلص من الخنزير لا يجوز استخدامه إلا لضرورة؛ لوجود البديل الحلال.

أما الإنسولين البشري ونظائره المحضر عن طريق الهندسة الوراثية فإن استخدامه جائز.

صمامات القلب: الصمامات البديلة إما أن تكون معدنية أو حيوية (بشرية أو حيوانية) يجوز استخدامها، أما الصمام المأخوذ من الخنزير فلا يجوز استخدامه إلا في حال الضرورة.

وقرر مجلس المجمع الآتي:

● الجبن المصنع من الإنفحة:

- حرمة إنفحة الخنزير ونجاستها.
- إذا كانت الإنفحة من حيوان مأكول اللحم مذكى فتعد طاهرة حلالا.
- إذا كانت الإنفحة من حيوان غير مذكى أو من ميتة، فيرى أغلب المشاركين عدم طهارتها وحلها، ويرى بعض المشاركين طهارتها.
- يجوز استخدام الإنفحة المحضرة بواسطة الهندسة الوراثية للجين الذي ينتج الإنفحة.

● مياه الصرف الصحي المعالجة:

هي المياه التي استخدمها الإنسان في متطلباته الحياتية: المنزلية، والخدمية، والصناعية، الحاملة لجملة من المخلفات البشرية والصناعية.

● استخدامات مياه الصرف الصحي المعالجة:

قرر مجلس المجمع جواز استخدام مياه الصرف الصحي المعالجة في العادات، مثل: غسل المنازل والملابس والزراعات غير المأكولة ما لم تكن ضارة، فإذا كانت ضارة فلا يجوز استخدامها درءا لضررها.

ولا يجوز استخدامها في الأكل والشرب، ولا يجوز استخدامها في العبادات إلا بعد التحقق من طهارتها.

الأعلاف: الأعلاف المشتملة على مكونات محرمة، من حيث استخداماتها وأثرها.

قرر مجلس المجمع عدم جواز استخدام الأعلاف المحتوية على: مخلفات الميتة والدم ولحم الخنزير والهرمونات والمضادات الحيوية، باعتبارها مواد تسبب أضرارا بالغة على صحة الإنسان.

انتهى القرار مختصرا.

التعليق:

مما يجدر الاطلاع عليه في الموضوع:

١- «توصيات ندوة الرؤية الإسلامية لبعض المشاكل الطبية» القائمة في الدار البيضاء عام ١٤١٨هـ.

٢- فتاوى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث فتوى رقم ٣٤ عام ١٤١٩هـ.

العدد القادم: حكم الجيلاتين.

ناموا كأنهم موتى

قال الشيرازي رحمه الله: «أذكر أني كنت في عهد الطفولة متعبدا، قوام الليل، مولعا بالزهد والتقوى، وذات ليلة كنت جالسا في خدمة أبي ولم أغمض عيني طول الليل، وأخذت المصحف العزيز في حجري وحولنا قوم نيام؛ فقلت لأبي: إن واحدا من هؤلاء لا يرفع رأسه ليصلي ركعتين بحضرة الله الأحد، وقد ناموا هكذا كأنهم موتى! فقال: يا روح أبيك! لو كنت أنت أيضا نمت، لكان خيرا من أن تقع في الخلق!».

(جنة الورد للشيرازي، ص:١٠٢)

من جميل المراسلات

قال العلامة مرعي الكرمي الحنبلي رحمه الله تعالى في التهنئة بالمولود: «الحمد لله الذي أفاض على الوجود، بمحض الكرم والجود، ملابس المنن والنعم، وغمر العالم بإحسانه ونفائس الفضل والكرم، وقد بلغ المحب قدوم النجل السعيد، والطالع الجديد، بل بدر التمام والكمال، ونجم السعود والإقبال، الدرة المكنونة، والغرة الميمونة، والطلعة السعيدة، والتحفة الفريدة، فامتلأ قلب المحب بمقدمه سرورا، وتلألأ وجهه بهجة وحبورا».

(بديع الإنشاء والصفات، ص:٢٨٢)

تلاوة القرآن

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «تلاوة القرآن تعمل في أمراض الفؤاد ما يعمله العسل في علل الأجساد».

(التبصرة، ص:٧٩)

الدعاء

قال العلامة عبدالرحمن السعدي رحمه الله: «الدعاء سلاح الأقوياء والضعفاء، وملاذ الأنبياء والأصفياء، وبه يستدفعون كل بلاء».

(مجموع مؤلفاته، ٧٣٦/٢٣)

أدوية المحن والابتلاء

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «فلولا أن الله سبحانه يداوي عباده بأدوية المحن والابتلاء؛ لطغوا وبغوا وعتوا. والله سبحانه إذا أراد بعبد خيرا سقاه دواء من الابتلاء والامتحان على قدر حاله، يستفرغ به الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه، أهّله لأشرف مراتب الدنيا، وهي: عبوديته. وأرفع ثواب الآخرة، وهي: رؤيته وقربه».

(زاد المعاد، ١٩٥/٤)

مرارة الكسر قبل حلاوة الجبر

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «من كمال إحسانه سبحانه أن يذيق عبده مرارة الكسر قبل الجبر، ويعرفه نعمته عليه بأن يبتليه بضدها، كما أنه سبحانه وتعالى أراد أن يكمل لآدم نعيم الجنة فأذاقه مرارة خروجه منها، ومقاساة هذه الدار الممزوج رخاؤها بشدتها، فما كسر عبده المؤمن إلا ليجبره، ولا منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا نغص عليه الدنيا إلا ليرغبه في الآخرة، ولا ابتلاه بجفاء الناس إلا ليرده إليه».

(مختصر الصواعق المرسلة، ٢٩٠/٢)

مصطلحات الاقتباس والاحتواء

نظرا لتعدد صور الأخذ من نصوص أخرى في التأليف العربي، فقد اختلفت الأوصاف التي تطلق عليها تبعا لدرجة الأخذ ومدى التزامه أو تجاوزه لتقاليد العلم والتأليف والنقل عن الآخرين، وقد استخدمت لذلك كلمات معينة لوصف علاقات لمؤلفين بنصوص سابقيهم، وجادت اللغة العربية بالكثير من الكلمات التي تتدرج في معناها للدلالة على:

١. الاقتباس، ويكون بالأخذ المشروع من النصوص مع الإشارة المناسبة إلى المصدر.

٢. الأخذ البريء، وهو الذي لا يثير شبهة السطو وخاصة لمن له إجازة بالرواية من أستاذه.

٣. الإغارة على نصوص الآخرين وضمها وتلفيقها وإغفال مصدرها.

(عبقرية التأليف العربي، ص:٤٨٦)

أخشى عليه النار

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «وربما قال الرجل: لا إله إلا الله، أو سبحان الله؛ فأخشى عليه النار».

قيل: وكيف ذلك؟

قال: «يُغتاب بين يديه ويعجبه ذلك، فيقول: لا إله إلا الله! وليس هذا موضعه، إنما موضع هذا أن ينصح له في نفسه ويقول له: اتق الله».

(عيون الأخبار، ١٨/٢)

منهج متكامل في الأدب

«من حسن المعاشر أَن تتوقّر من غير كبر، وتتواضع في غير ذلة، وأَن تلقى الصديق والعدو بوجه الرضى من غير ذل لهم ولا خوف منهم، وتتحفظ في مجالسك من تشبيك أصابعك، وإدخال أصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك، والتثاؤب. واصغ إلى من حدثك، ولا تسأله الإعادة، ولا تحدث بإعجابك بولدك وجاريتك، ولا تتصنع بِصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، وخوف أهلك من غير عنف، ولِنْ لهم من غير ضعف، ولا تهازل أَمتك وعبدك فيسقط وقارك، ولا تكثر الالتفات إلى ورائك».

(مختصر منهاج القاصدين، ص:٧١)

الحب والبغض

قال عمر بن الخطاب لزيد بن أسلم رضي الله عنهما: «لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا».

فقال زيد: كيف ذاك؟

قال: «إذا أحببت كلفت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف».

(الأدب المفرد، ٧٤٤/١)

علامات أهل التقوى

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل».

(حلية الأولياء، ٢٧٠/١)

إعداد: التحرير

أحب البقاع

ينابيع هدى ورحمة، يتجرد الإنسان بارتيادها من مشاغل الدنيا؛ ليكون مع الله في ذكر وعبادة، وليتمثل معنى الصدق والإخاء. يقول الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة:١٨). ويقول عزوجل: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ (الجن:١٨).

والمسجد قلعة الإيمان، وبيت الأتقياء، به عزهم ورفعتهم، وهو رمزهم الذي تتمثل به قوتهم، وتتوحد فيه كلمتهم، وتتجسد فيه معاني الخير والفضيلة.

والمسجد مؤسسة تربوية لعبت دورا بارزا عبر التاريخ؛ لدرجة أصبح معها النبع الصافي لكل روافد الحياة.

وإذا ما تساءلنا عن سر نجاح المسجد في أداء رسالته ومهمته؛ فإننا نجد أن سر نجاحه يرجع أساسا إلى مدى الفهم المستقيم لحقيقة وطبيعة الحياة الدنيا ورسالة الإنسان فيها.

وكان الرسول ﷺ يلتقي فيه مع أصحابه للتشاور: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨). وكان يبلغهم ما يوحى إليه من ربه، وما ينزل عليه من أحكام، وكان يجيب عما يسألون، ويفتيهم فيما فيه يختلفون، ويقضي بينهم بالحق المبين، فتخلقوا بأخلاق نبيهم، وتأدبوا بأدبه، وكانوا منائر في الهداية، ومنذ ذلك العهد؛ أضحت المساجد مراكز إشعاع الفكر والحضارة، وحسبها شرفا أن جعلها الله أحب البقاع إليه..

قال رسول الله ﷺ: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها».

قال القرطبي: «وإنما كان ذلك؛ لما خصت به من العبادات، والأذكار، واجتماع المؤمنين، وظهور شعائر الدين، وحضور الملائكة، وإنما كانت الأسواق أبغض البلاد إلى الله؛ لأنها مخصوصة بطلب الدنيا، ومخادعة العباد، والإعراض عن ذكر الله».

وفي المساجد تتصافح القلوب، وتتوحد الكلمة، ويتعمق معنى التواضع والنظام والكلم الطيب.

● **علاء الدين حسن**

الأجر غير الممنون في القرآن الكريم

تسعد النفس بما تحصله من عطاء، وما تجنيه من جزاء، وتعظم هذه السعادة إذا دام هذا العطاء، واستمر ذلك الجزاء.. لا يلحقه نقص ولا يمسه انقطاع، أما إذا انقطع انقطعت معه هذه السعادة، وصارت موقوتة مبتوتة، ممنوعة مقطوعة.. وكل عطاء دنيوي من هذا النوع الذي لا يدوم طويلا.. يكتنفه دائما قلق يهدد بزواله، وخوف يحذر من تحوله، وحذر ينذر بتبدله، شأنه شأن الحياة نفسها الذي لابد أن ينقص عدها، وينقطع رفدها، ويقف مدها، ويجف مددها، وتغيب شمسها، ويأفل نجمها، ويزوي بهرجها، ويزول صولجها.

أما عطاء الآخرة فدائم لا يزول، خالد لا ينقص، مستمر لا ينقطع، باق لا ينفد إلى ما يشاء الله ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ (النحل:٩٦). فالسعداء في الجنة عطاؤهم غير مقطوع، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (ص:٥٤)، وأصحاب اليمين أنعم الله عليهم بآلاء وفيرة ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ (الواقعة:٣٢-٣٣).

إن لذة العطاء الحقيقية في ديمومته التي تمنح الأمان به، وتحقق الضمان له، وتؤكد القرار فيه، فلا تتسرب إلى النفس هواجس انقطاعه، أو مخاوف نقصانه يوما ما، إلى ما يشاء الله رب العالمين.. وهذا ما يتصف به أجر الآخرة.. فهو أجر غير ممنون.

● **عبد المنعم عبدالله**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

محمد الأميــر

يعد الشيخ محمد الأمير، واحدا من أشهر علماء الجامع الأزهر، فقد وصفه أحد المؤرخين المعاصرين له، في نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر: «بأنه شيخ شيوخ أهل العلم، وصدر صدور أهل الفهم، المتفنن في العلوم كلها.. إليه انتهت الرياسة في العلوم بالديار المصرية، وباهت مصر وما سواها بتحقيقاته البهية، استنبط الفروع من الأصول، واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول»، وهذا دليل على مدى إدراكه وسعة أفقه وعلمه وتبحره في العلوم الشرعية، فضلا عن مكانته في العلوم الأدبية والعقلية.

هو «الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر ابن عبد العزيز بن محمد السنباوي، المالكي الأزهري، الشهير بالأمير، يذكر الجبرتي: أن أصوله من المغرب العربي، نزلت قبيلته بمصر، واتصلوا بالحكومة فأعطتهم قطعة أرض لزراعتها تخضع لنظام الالتزام بقرية سنبو إحدى قرى مركز ديروط بأسيوط، فارتحلوا إليها وقطنوا بها، وهناك ولد الشيخ الأمير في ذي الحجة سنة ١١٥٤هـ -١٧٤١م، وعندما أتم التاسعة من عمره ارتحل إلى القاهرة، وكان قد ختم القرآن الكريم وجوده على يد الشيخ «المنير» على طريقة الشاطبية، والدرة.

لقد كان تأثير الشيخ المنير كبيرا على تلميذه، فقد حبب إليه طلب العلم والسعي الدؤوب لتحصيله، لذلك نرى الشيخ الأمير يحفظ كثيرا من المتون مثل: متن الآجرومية، كما سمع سائر الصحيح، والشفاء على يدي الشيخ علي بن العربي السقلط، وحضر دروس أعيان عصره من أبرز العلماء، واجتهد في التحصيل، كما التزم دروس الشيخ الصعيدي في الفقه، وغيره من كتب المعقول، وحضر على الشيخ السيد البليدي شرح السعد على عقائد النسفي، والأربعين النووية، وسمع «الموطأ» على يد الشيخ هلال المغرب وعالمه الشيخ محمد التاودي ابن سوده بالجامع الأزهر لمدة سنة كاملة.

ومن ناحية أخرى تلقى الأمير على يد الشيخ حسن الجبرتي - أشهر علماء الرياضيات في القرن الثامن عشر - كثيرا من الفنون: كالهيئة، والهندسة، والفلكيات وغيره الكثير في حياة هذا العالم المسكوت عنه.

● **مصطفى جمعة**

يوم المخطوط العربي

تقابلت مع الدكتور فيصل الحفيان مدير معهد المخطوط العربي وسألته متى يعود المخطوط إلى صدارة المشهد الثقافي؟ فقال: عن طريق احتفالات عالمية كالاحتفال بيوم المخطوط العربي الذي أصبح تقليدا سنويا يحتفل به بصفة منتظمة منذ ثلاث سنوات... وقد بدأ أول احتفال به في العام ٢٠١٣م وجاء تحت شعار «رحلة إلى الماضي» وكان بهدف استثارة العقل وفضول المعرفة ثم جاءت احتفالية ٢٠١٤م بعنوان «ألف حكاية وحكاية» بهدف التعرف على أكبر قدر ممكن من تجارب التاريخ، وفي ٢٠١٥م رفعنا شعار «أسرار من الماضي وأفكار من المستقبل» في محاولة لتحقيق مقابلة بين الماضي والمستقبل وكأننا نذهب بعيدا موغلين في ثنايا وتفاصيل المعرفة مصطحبين معنا الرغبة الأكيدة، متزودين بجل المعلومات، محتشدين بكل المعرفة من أجل المستقبل! أما عن عامنا هذا فإن شعاره «قيم الثقافة وثقافة القيم» وهذا الشعار يحقق نقلة نوعية في فحوى الاحتفال بالمخطوط... فليس المخطوط معلومة ومعرفة وعلما فقط، إنما هو أيضا قيمة وخلق وأدب، خاصة ونحن بحاجة لتأكيد ذلك في زماننا هذا الذي ينوء بالصراعات والانقسامات والحروب، ومن ثم تراجع القيم دون أسباب منطقية أو مبررات عقلانية؟! والمؤكد أن الرصيد التاريخي الذي يتمثل في تراثنا التليد، والإرادة الصادقة. والأمل في المستقبل - بهذه - الأدوات الثلاث مجتمعة نستطيع أن نتغلب على كل الصعاب، ونصل إلى بر الأمان لنعيد للثقافة قيمتها، ونحيي ثقافة القيم.

● **محمد محسن**

الحفاظ على البيئة من خلال التراث النوازلي

من المعلوم أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وصلاحها ينبني على الاجتهاد الفقهي المستحضر للمآلات والمقاصد والغايات، والناظر في كتب الفقه عموما، وكتب النوازل خاصة يجد من أبرز معالم الاجتهاد الفقهي ما يرتبط بالحفاظ على البيئة في كل مكوناتها.

ومما لاشك فيه أن إشكالية البيئة وما يرتبط بها بنيويا تعد من القضايا التي حظيت باهتمام المفكرين والعلماء في مختلف التخصصات، للبحث عن الأساليب والإجراءات الوقائية للحفاظ على الرأسمال البيئي.

وبإجالة النظر في التراث الفقهي المالكي، نجد أن جزءا منه خصصه الفقهاء لقضايا البيئة من حيث الحفاظ عليها وجودا وعدما وكان لمالكية الغرب الإسلامي الإسهام الأكبر في ذلك.

وتأتي هذه المداخلة للنبش في تراثنا الفقهي المالكي، خاصة ما يتعلق بالنوازل الفقهية لما تزخر بها من فوائد جليلة في كل المجالات، لكونها ترتبط ارتباطا وثيقا بقضايا الناس وأحوالهم المتنوعة.

وغير خاف أن كتب النوازل الفقهية سجلت مسألة الحفاظ على الكون (البيئة)، حيث تعتبر بعض النفائس مصدرا خصبا للموضوع كالمعيار للونشريسي وفتاوى البرزلي وابن رشد.

● **د. مصطفى البعزاوي**

مكانة الإنسان في الإسلام

للإنسان مكانة خاصة في الدين الإسلامي باعتباره إنسانا أيا كان دينه أو لونه كما قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠) وهي مكانة قائمة على مبدأ المساواة والعدل، وكما كان تكريم بني آدم مبنيا على قاعدة الإنسانية فإن تكريم أتباعه قائما على أساس التقوى بغض النظر عن اللون أو الجنس قال ﷺ في خطبة حجة الوداع: «يأيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى». ولقد ظلت حضارة الإسلام قرونا طويلة تمثل أعلى نموذج للعدل البشري المستمد من روح الدين الحق.. فلم تعرف الجور على الأقوام أو الأجناس كما ساد ذلك بقية الحضارات على مدى التاريخ حتى يومنا هذا..

وقد تجسد ذلك على أرض الواقع في ظل وجود غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، حيث منحهم الإسلام حقوقا لم تعطها لهم البلدان التي يعتنقون دياناتها.. فهم يعتبرون في الدولة الإسلامية مواطنين لا يجوز عليهم لا حاكم ولا محكوم.

وهذه رسالة موجهة إلى الغرب وإلى كل بلد توجد به أقلية مسلمة، لعلهم يأخذون الدروس من معاملة الإسلام للآخر غير المسلم.

البشرية كلها في الإسلام كأسنان المشط، يجمعها قاسم الإنسانية، والدين الإسلامي يوفر للجميع دون استثناء الحق في الكرامة والعيش دون أي إقصاء.

● **خالد العبادي**

المخللاتي

لما أنشئت المطابع في مصر بعد قدوم الحملة الفرنسية ١٧٩٨م – ١٨٠١م بمطبعتين (عربية – فرنسية)، عملت المطابع في المشرق العربي على طباعة المصحف الشريف، غير أن هذه المطابع لم تراع في طبعه قواعد علم رسم المصحف (الرسم العثماني)، الذي كتب عليها المصحف في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما عرف بالجمع الثاني، بل طبعته مطابقا لقواعد الإملاء المحدثة.

وظلت طباعة المصحف على هذا الشكل فترة من الزمن، حتى قيض الله علما من الأعلام، وأحد جهابذة اللغة والقراءات، العلامة رضوان بن محمد بن سليمان المكنى بأبي عيد، الشهير بالمخللاتي (١٢٥٠هـ – ١٣١١هـ) صاحب المؤلفات المفيدة والمصنفات الممتعة، فكتب مصحفا جليل الشأن بخط يده على قواعد الرسم العثماني، وحرر رسمه وضبطه – كما ذكر في المقدمة – على ما جاء في كتاب «المقنع» لإمام القراءات أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، وكتاب التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦هـ).

وبجوار عنايته بكتابة الكلمات بالرسم العثماني، عُني – أيضا – فيه ببيان عدد آي كل سورة في أولها عند علماء العدد المشهورين على اختلاف مذاهبهم، واضعا على الفاصلة المختلفة فيها اسم من يعدها، ولأول مرة بيّن العلامة المخللاتي مواضع الوقوف، ووضع على كل موضع منها العلامة الدالة على نوع الوقف.

وقد صدر مصحف المخللاتي هذا بمقدمة جليلة أبان فيها عمله، والمراجع التي اعتمد عليها، وعرف هذا المصحف بمصحف المخللاتي؛ لأنه نسخ من مصحفه الذي نسخه بخطه مع مراعاة قواعد الرسم العثماني وذلك سنة ١٣٠٨هـ – ١٨٩٠م، وطبع هذا المصحف بإشراف الشيخ المخللاتي في المطبعة البهية لصاحبها الشيخ محمد أبوزيد في القاهرة ١٣٠٨هـ.

وظل هذا المصحف عمدة القراء والمقرئين لمدة سبع وخمسين سنة، ويعتبر هذا المصحف من أضبط المصاحف، أضف إلى ذلك أنه أول مصحف في العالم الإسلامي التزم بكافة قواعد الرسم العثماني بعد دخول المطابع للديار المصرية.

وكان هذا المصحف هو المتداول بين أهل العلم والقراءات، بيد أنه لم يبرز في صورة حسنة تروق الناظر، وتنشط القارئ لرداءة ورقه، وسوء طباعته؛ ربما لأن المطابع – آنذاك – كانت حجرية.

● **د. محمد مبارك البنداري**

القيم والمجتمع الغربي

يعيش الغرب أزمة قيم على المستوى النظري والتطبيقي، فأما على المستوى النظري فالافتقار واضح من خلال المرجعية الناظمة لتفعيل القيم، وأنها صادرة من فلسفة قاصرة في مصادرها ومراجعها، وهذا ما يشهد به كبار عقلاء الغرب في مباحثهم حول موضوع القيم، أما على التفعيل فالواقع يشهد بذلك، حيث إن المتتبع لا يحتاج إلى مزيد بيان من الأدلة على هذا الانحدار في القيم، والانهيار في الالتزام بها، وتغير النظرة تجاه من يحمل هذه القيم ويدعو إليها، وهنا تكمن خطورة الموضوع، إذ أصبح المجتمع المعاصر يعيش تغيرا جذريا في التعامل مع هذه المسألة.. ولذا فإن المفكر الغربي يتحدث عن الأزمة التي لحقت قيم الوسائل لا قيم الغايات، بمعنى أن الإشكال يتضمن أولا تمييزا بينهما، على اعتبار أن هذه القيم ليس لها من حدود تحكمها ولا من سياج يضبطها، فكل ما يخدم قيم الغايات فمرحبا به، وهذه الدلالة هي التي تفسر – حسب رأيي – التزام عموم الغربيين للقيم ذات الصبغة المادية التي تخدم الإيديولوجيا الرأسمالية، والنظام المعرفي الغربي التي تصدر عنها، والذي يؤكد هذا هو ذلك التفاوت الملحوظ والبون الشاسع بين المحافظة على «القيم المادية» كاحترام الوقت، وتقديس العمل، والانضباط، وغير ذلك من القيم التي تدور في فلك هذا المعنى، أما القيم الأخرى المرتبطة بالإيمان بالغيب، والستر والحياء وغيرها من القيم التي قد تبدو معارضة لما سبق ذكره فلا نجد أي اهتمام بها، بل ربما نجد دعوة إلى تشويهها والقدح في صلاحيتها، والعمل بنقيضها لأنها في نهاية الأمر تصدر من مرجعية مخالفة للإيديولوجية الغربية.

● محمد علواش

● **كمال عبدالمنعم**

سبيل النجاة

لقد شرع الله الشرائع لعباده لتستقيم لهم دنياهم، وليفوزوا بالنجاة بعد مماتهم، إذ العملُ بالشريعة - المتمثلة في أوامر الله وسنة رسوله - هو الكفيل بسعادة المرء وتحقيق الاستخلاف في الأرض، والفوز بالنعيم في الدار الآخرة، وإذا كان الخلق كلهم عباد الله تعالى بالاضطرار، فإن عبودية الاضطرار لا تكفل النجاة للمرء في الآخرة، ولا السعادة في الدنيا، ولذا جاءت الشريعة لتخرج المرء من عبودية الاضطرار إلى عبودية الاختيار، أي: لينْصاعَ المرءُ لله فيما أمره به من العبادات، كما ينصاع له فيما يختاره له من بنيانه ولونه وشكله، مما ليس من مقدوره الخروج عنه، قال الشاطبي: «المقصدُ الشرعيّ من وضع الشريعة إخراجُ المُكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبدٌ لله اضطرارًا».

وحين ننظر إلى ما كَلف به اللهُ تعالى الصَّفوةَ المختارةَ ممّن خلق؛ نجدُ أنّ ثقتهم بأمر الله لا حدود لها؛ حتى ولو بَدَا فيها الضَّياع لمن ينظر بعين ولا يوقنُ بقلب، فليس في أمر الله هَلَكَة.

تتبدى هذه الثقة جليّة في موقف هاجرَ أمِّ إسماعيل عليه السلام، وخبرُها كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «... جاء بها إبراهيمُ، وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دَوْحة، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومَئذ أحدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جراباً فيه تمرٌ وسِقاءُ فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيمُ منطلقا فتبعَته أمُّ إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: آللهُ الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا» . مضت الحياة بأمِّ إسماعيل، حتى نَفِدَ ما معها من زاد، فقامت تسعى فجعل الله سعيها فريضة في الحجِّ، ثم انفجر الماءُ من تحت قدم إسماعيل عليه السلام، فكان ماءُ زمزم منذ ذلك الحين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ماءً مباركا فيه الشفاء، قال رسول الله ﷺ: «ماءُ زمزمَ لِمَا شُرِبَ له» ، ثم صار المكانُ أطهرَ بقاع الأرض قاطبة.

فلو أن هاجر توانت في أمر الله، أو جادلت فيه واستبعدت منه الخير، أو تركته لعقلها وما تراه عِيانا، لَمَا حازت مكارمَ تبقى ببقاء الدنيا.

هكذا تسير سيرةُ الصفوة حين يتعاطون مع أمر الله تعالى، لا يخالجهم شكٌّ ولا يتطرق إليهم توقف في السير مع ما أمر الله تعالى به.

وهذا كليم الرحمن عليه الصلاة والسلام يصحِّحُ ما بَدا للناظر من الهلاك بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ (الشعراء: ٦٢). فإذا رَسَمَت الشريعة طريقا فالخيرُ فيه وإنْ بَدَا للناظر غير هذا، ولذا فلا نجاةَ لمجتمع ولا خلاصَ له من رق الهوان سوى بالتقيد بظلال الشريعة والفيئة إليها كلما تشعبت به الطرق، أو اعوجت به المسارب، بل هذا للأسرة التي هي لبنة المجتمع الأولى، وهذا للفرد الذي هو ركيزة الأسرة لابد أن يكون المنطلق لهم: آلله أمر؟ فإذًا لا يضيع، ومَن ظنَّ مع أمر الله ضياعًا فلا حَصَلَتْ له نجاةٌ حتى ولو اجتمع حوله الإنس والجن.

د. محمد عزب
كاتب وباحث إسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا

دولة الكويت

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

إدارة الإفتاء

الفوائد العلمية

من مجالس الشيخ محمد الأشقر الفقهية

فوائد منتقاة من شرحه على دليل الطالب ومنار السبيل

صدر حديثاً عن إدارة الإفتاء

@eftaa_kw | eftakw | إدارة الإفتاء | ifta@awqaf.gov.kw

العدد (٦٢١) جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ -فبراير ٢٠١٧ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

الفُرقة.. مهلكة الأمم

- نحو حوار حضاري فعال
- تنمية الإنسان في القرآن
- ثقافة العمل في القرآن والسنة
- أحجبة الخرط: فن إسلامي أصيل

هدية العدد: « بوستر قواعد الأوقاف»

info@alwaei.com
www.alwaei.gov.kw
مجلة الوعى الإسلامى

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

الافتتاحية

قوة الأمة في دينها ووحدة كلمتها

رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

الحمد لله بارئ النسم وباعث الرمم، رفع لهذه الأمة دينها وهمتها؛ فجعلها خير الأمم، قال في كتابه العزيز المكرم: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢)، والصلاة والسلام على نبينا محمد كريم الخصال والشيم، وأرفع الخلق قدرا، وأعلاهم همة في الفضل والكرم، قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم: ٢٥٨٦).

صلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه أولي العز والشمم، وعلى تابعيهم بإحسان ما خط بنان بقلم، وما بددت وحدةُ الأمة ذل الفرقة ودياجير الظلم.

وبعد؛ فقد أسس نبينا محمد ﷺ دولة الإسلام في المدينة المنورة على المؤاخاة؛ فكان المهاجرون - غرباء الدار إخوة الأنصار - ممن تبوأوا الإيمان والدار، وكان ﷺ شديد الرعاية لهذه الأخوة، عظيم الغيرة عليها، سريع المعالجة لبوادر الخروج عنها، وعندما اختلف غلامان في إحدى المغازي، فقال أحدهما: يا للمهاجرين! وقال الآخر: يا للأنصار! بادر رسول الله ﷺ قائلا: «ما بال دعوى الجاهلية؟.. دعوها فإنها منتنة» (أخرجه البخاري: ٤٩٠٥).

يقول الإمام البغوي، رحمه الله: «بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين، والألفة والجماعة، وترك الفرقة والمخالفة» (تفسير البغوي: ١٤١/٤). فليس أشد ضراوة على الأمة وعلى استقرار الديار من اختلاف الكلمة، وتنافر القلوب، وتنازع الآراء.

إن من كمال الدين وكياسة العقل وسلامة الفهم: أن لا ينساق المرء وراء ما من شأنه تصديع وحدة الأمة، لما قد يرى من ظلم قد وقع، أو حق قد انتقص؛ لأن من فقد بعض حقه في حالة الوحدة؛ سيفقد كل حقه إذا وقعت الفرقة.

وإن كثيرا من مواطن الخلاف ينشأ من مجانبة الاعتدال، فيرى المنتقد أنه مادام على الحق فهذا يسوغ له أن يقول ما يشاء وأن يفعل ما يشاء، وتلكم هي الغفلة القاتلة.

ولذلك فقد كانت الوحدة من الأوليات التي جاءت الرسل بالدعوة إليها - بعد الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له -، بل إن توحيد الأمة مطلب شرعي، وفريضة ثابتة، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦).

نعم، فإننا في وقت أحوج ما نكون فيه إلى الوحدة الإسلامية؛ وحدة العقيدة، وحدة الهدف، وحدة إسلامية شعار أبنائها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥)، وحدة قائمة على أسس ثابتة، وقواعد متينة، وحدة القلوب قبل وحدة الأقوال، وحدة لا تؤمن بالحدود، وحدة أبناؤها سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى؛ كما قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

فمسؤولية الجميع الصدق وبذل النصح، لأننا بحاجة ماسة إلى الوحدة الإسلامية، وجمع الكلمة. وما أحسن ما قاله أحد الحكماء وهو ينصح أبناءه:

كونوا جميعا يا بني إذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا ... وإذا افترقن تكسرت أفرادا

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢١ | جمادى الأولى ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
فبراير ٢٠١٧م

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح
علاء الدين عبدالفتاح
تركي محمد النصر
هدايت الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

التلاحم والوحدة

بقوة التلاحم تقوى مجتمعاتنا ويزداد الترابط بين أبنائها، وتصبح عنوانا للأمن والاستقرار وحفظ الأوطان.

والإسلام يحثنا على الترابط والشعور بالآخرين؛ لذلك كان رسول الله ﷺ يُوصي دوما بالجيران، فهم أقرب الناس إلينا، ولو فقدنا الاهتمام بهم فهذه مُقَدِّمة لفقد الاهتمام بكل المسلمين.

ووحدة المسلمين واجتماعهم واجب، فلابد أن ينضم بعضهم إلى بعض ولا يتفرقوا، وأن يجتمعوا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

والوحدة والتلاحم جعلت من بعض البلدان نماذج يحتذى بها، فساعدها ذلك على المضي قدما على طريق التقدم والارتقاء من عام إلى عام، وتحقيق إنجازات واسعة في أوجه التنمية الشاملة كافة.

كما ساعد ذلك الترابط المجتمع على مواجهة التحديات وتجاوزها وتحقيق الاستقرار المطلوب.

إن النعم تحتاج إلى تكاتف الجميع بحكمة وتعقل حتى لا نفقدها، ولن نعرف قدرها وعظمتها إلا إذا نظرنا في حال العالم وما نزل بكثير من بلدانه من صراعات وفتن أورد شعوبها موارد الهلاك.

نحن مطالبون بالاستفادة من التجارب ودراستها بجدية ووعي، كي نتعلم منها ونعمل لتحقيق هدف الوحدة الذي تتوق إليه الأمة.

ولا يختلف اثنان على أن الوحدة هي السبيل الأمثل لتجاوز تحديات المرحلة، والعودة بالأمة إلى موقعها المعهود.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

- داخل الكويت: للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية: للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم: للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

نجاح عبدالقادر سرور
كاتب إسلامي

اقبلوا البشرى

تسود نبرة يأس بين الكثيرين من أبناء الأمة هذه السنوات، لما يرون من فظائع ومآس في كثير من بلادنا الإسلامية، حيث الدمار والخراب والتشريد والقتل الذي جعل دماء كثير من أبناء الإسلام تجرى أنهارا. ورغم كل هذا الآلام، وكل هذه المآسي، إلا أنه من الواجب علينا أن نتمسك بالأمل، ونعلم الناس أن هناك فجرا منيرا، ونهارا مضيئا، بعد الليل المرعب، والظلام الحالك؛ اقبلوا البشرى وانشروها في أوساط الناس؛ فلقد أرسل الله نبيه ﷺ مبشرا، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ (الأحزاب:٤٥)، ورسول الله ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن، وقال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا» (رواه البخاري)، وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ فقال: «يا بني تميم، أبشروا» قالوا: بشرتنا فأعطنا. فتغير وجهه؛ فجاءه أهل اليمن فقال: «يا أهل اليمن، اقبلوا البشرى، إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا: قبلنا. (رواه البخاري).

والبشرى نوعان: إيجابية، وسلبية.

أما البشرى الإيجابية فتكون تبشيرا برحمة الله ورضوانه وجناته، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ

﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (التوبة:٢٠-٢٢).

وأما البشرى السلبية فتكون تبشيرا بغضب الله وسخطه وعذابه، ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الانشقاق:٢٤).

ولكل أنواع، فمن المبشرين بالبشرى الإيجابية:

المسلمون، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل:٨٩).

والمؤمنون، قال عز وجل ﴿طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ (النمل:١-٢).

والمخبتون، قال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الحج:٣٤).

والمتبعون القول الحسن، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ (الزمر:١٧-١٨).

والصابرون، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (البقرة:١٥٥-١٥٧).

والمجاهدون، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ (التوبة:٢٠-٢٢).

ومن المبشرين بالبشرى السلبية:

المنافقون، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ (النساء:١٣٨-١٣٩).

والذين كفروا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(التوبة:٣)، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾ (الانشقاق: ٢٢-٢٤).

والكانزون أموالهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (التوبة:٣٤-٣٥).

وقد ختمت النبوة، ولم يبق إلا المبشرات؛ عن ابن عباس قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» (رواه مسلم).

فلا تيأسوا ولا تنشروا اليأس بين الناس، وإنما ازرعوا الأمل، وانشروا البشرى، بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا.

إيهاب عبد السلام
باحث دراسات إسلامية

الإسلاموفوبيا: بين تضليل الفهْم وتضخيم الوهْم

يكون الخوف غالبا من معلوم أو مجهول؛ فالإنسان يخاف مما يعلم يقينا أنه سيضره، أو مما لا يعلم عنه شيئا، مخافة أن يناله منه ضرر، طالما لا يعلم يقينا أنه سينفعه، واستنادا إلى هذا المفهوم الأخير جاءت المقولة واسعة الانتشار «الإنسان عدو ما يجهل».

أما ظاهرة ما يسمى «الإسلاموفوبيا»، وهي تعني الخوف من الإسلام، أو تخويف غير المسلمين مما يصور بأنه خطر إسلامي، محدق بكل من هو غير مسلم، فإن هذه الظاهرة قديمة قدم الدين نفسه، وقد بدأت مع بداية الدعوة الإسلامية، بل إن أعداء الإسلام اتخذوها سبيلا وسلاحا ليحولوا بين الدين ومن يريد اعتناقه، حيث لا يمكن تخويف المسلم من الإسلام أبدا، وإنما يكون التخويف لغير المسلم، ويرتكز المخوف عادة على أحد جانبين، حسب حالة الذي يستهدف تخويفه؛ فإن كان المستهدف يعرف الإسلام في مقاصده العليا وشريعته التي تقوم على العدل والمساواة، ورفض الظلم والعدوان واحترام إنسانية الإنسان وحريته، فإن المخوف يلجأ إلى «تضليل الفهم»، محاولا محو تلك الصورة، واستبدال صورة بشعة بها عن الدين الإسلامي، وقد يستعين

في سبيل ذلك بكلام أو أفعال بعض المنتمين للدين الإسلامي أنفسهم، من أولئك المتسببين لتيارات اتخذت من الغلو منهجا وسبيلا، وربما وقعوا في أخطاء جسام، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف:١٠٤).

وإذا كان المستهدف لا يعرف شيئا عن الإسلام وتفاصيل شريعته، فإن المهمة تكون أيسر على المخوف، ويكون دوره مركزا على «تضخيم الوهم»، ذلك الوهم الذي يشيعه البعض عن الدين الإسلامي وعدائه للآخر.

إن استيعاب هاتين الطريقتين ووضوحهما أمام الداعية المسلم والمجتمع الإسلامي عامة لحري أن يجعله لا يمد خصومه بالوقود اللازم والهواء الذي يستعين به في النفخ في تلك الجمرة الخبيثة؛ وهي الخوف من الدين الإسلامي.

لقد فطن أعداء الإسلام من بداية الدعوة إليه إلى أن الهجوم عليه من داخله لا أمل فيه، فالدين الإسلامي من الإحكام بحيث لا يأتيه الباطل من أية جهة يراد النيل منه من خلالها؛ فلم يبق أمام خصومه إلا الهجوم عليه من الخارج بالتخويف والتشويه.

ومثالا لهذا، نتأمل الموقف القديم لخصومه عندما اجتمعوا حول الوليد ابن المغيرة ليشير عليهم ماذا يقولون للعرب الوافدين إلى مكة، حتى لا يقتنعوا بالدين الإسلامي، وقد استعرضوا الآراء في ذلك، وفي كل مرة يفند الوليد رأيهم وينكره عليهم، فليس ما دعا إليه محمد ﷺ جنونا ولا كهانة، وليس القرآن شعرا، وكل ذلك مكشوف وغير مقبول، وفي النهاية استقر رأيه على أن يخوفوا الناس من الاستماع إليه فضلا عن اتباعه، مشيعين أنه ساحر. يقول ابن هشام: «قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فرأت أنه لابد من كلمة يقولونها للعرب في شأن محمد ﷺ، حتى لا يكون لدعوته أثر في نفوس العرب، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة يتداولون في تلك الكلمة، فقال لهم الوليد: أجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا. قالوا: فأنت فقل. قال: بل أنتم فقولوا! أسمع. قالوا: نقول: كاهن. قال: لا والله ما هو بكاهن؛ لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون؛ لقد رأينا الجنون وعرفناه، ما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر؛ لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر؛ لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا: ساحر. جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته».

التخويف من الإسلام والاحتيال لذلك بغير الحق إذن أمر قديم جدا، أما مصطلح «الإسلاموفوبيا» فهو من المصطلحات التي تم تداولها حديثا، وقد تعلق بصورة خاصة بعلاقة الإسلام بالغرب غير المسلم. وقد تم تركيب هذا المصطلح ليكون أكثر تعبيرا عن ظاهرة الرهاب أو الخوف المرضي من الإسلام؛ حيث يتحول ذلك الخوف إلى صورة مرضية، فينتقل بالعدوى والتبعية والتوارث دون تحليل أو فهم أو إدراك، فيسهل جني العديد من الثمار بأقل جهد؛ إذ لا يلزم المخوف سوى نشر البذور وتهيئة المناخ المناسب لنموها وتناميها، ثم تنشر ثمارها بالقوانين الطبيعية.

وقد كانت أحداث الحادي عشر من أيلول «سبتمبر» الشهيرة عام (٢٠٠١م) في الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة توكيد وتأييد وبث الروح في ظاهرة «الإسلاموفوبيا» وبعثها من جديد بقوة لا تحتاج إلى كثير من المبررات؛ إذ تكفي الإشارة إلى تلك الأحداث، التي كانت بمثابة التأكيد لدى الذهنية الغربية على معتقد نظري ظل يترسخ في وجدانهم؛ مفاده أن الإسلام خطر داهم محدق يتهدد كل ما هو غربي، وكأن هناك علاقة حتمية بين ارتقاء الحضارة الإسلامية وانحدار الحضارة الغربية؛ وكأن إحداهما لا بد أن تكون على حساب الأخرى.

وفي إطار تضليل الفهم المستمر نرصد بعض الظواهر كمثال من الكثير؛ فقد حرص خصوم الإسلام على تصويره بأنه دين مادي دموي قام وانتشر بالسيف، وأنه لم يستمد من الله مباشرة، وإنما هو تقليد لأديان سابقة عليه كاليهودية والمسيحية... إلخ. ولأن الرسول ﷺ هو صاحب الدعوة إلى الإسلام ورمزها، فقد تتابعت في السنوات العشر الأخيرة الإساءة إليه، بهدف الإساءة إلى الدين الإسلامي ذاته.

وفي ملحمة «الكوميديا الإلهية» لكاتبها دانتي، التي صدرت في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، تطاولات على الرسول ﷺ، وكذلك فولتير ذلك الذي يعد من حملة مشاعل التنوير؛ فقد نشر في القرن الثامن عشر الميلادي مسرحية اسمها «التعصب أو النبي محمد»، وصف فيها الرسول ﷺ بصفات لا يليق بمسلم ذكرها، تتعلق بالاستبداد وحب الملذات وغير ذلك من الافتراءات.

ومن ذلك أيضا ما فعله الكاتب

البريطاني الهندي الأصل سلمان رشدي، عندما نشر روايته الشهيرة «آيات شيطانية» سنة (١٩٨٨م)، وقد نال العديد من الدعم والتكريم من العالم الغربي، بحجة احترام حرية التعبير.

ثم تأتي في إطار هذه الحملة التاريخية للتشويه الرسومات الكاريكاتورية التي نشرتها صحيفة «يولاندز بوسطن» الدنماركية في الثلاثين من أيلول «سبتمبر» عام (٢٠٠٥م) تسيء فيها إلى الرسول محمد ﷺ، ولم يقف الأمر بالجريدة عند نشر تلك الرسوم، وإنما تأكيدا للحملة المنظمة، شفعتها بمقال لرئيس التحرير يبدي فيه دهشته واستنكاره للقداسة التي يحيط بها المسلمون نبيهم، ويعتبر ذلك نوعا من الهراء الذي يدل على جنون العظمة ليس أكثر، ثم دعا إلى فضح ما سماه «التاريخ المظلم» لنبي الإسلام -حسب زعمه- وإبرازه للرأي العام العالمي، ويأتي كل ذلك في إطار تضليل الفهم وتضخيم الوهم -الذي أشرت إليه- لتعضيد ظاهرة «الإسلاموفوبيا».

إن الغلو في تشويه الإسلام وتضليل الأفهام بالباطل قد استحث البعض من غير المسلمين على مدار التاريخ للرد عليه، بالمنطق العقلي إن لم يكن بالمنطق الإيماني، على نحو ما وجدنا توماس كارليل يقول: «لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى ما يظن من أن دين الإسلام كذب، وأن محمدا خداع مزور، أما آن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة؛ فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا -١٤ قرنا الآن- لنحو مائتي مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء كذبة وخدعة؟! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبدا، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول، فما الناس إلا بلْه ومجانين، وما الحياة إلا سخف وعبث وأضلولة».

وللأديب الروسي تولستوي كتاب عن النبي محمد ﷺ دافع فيه عنه، وضمنه ٦٤ حديثا من الأحاديث النبوية، ومنها: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (رواه البخاري ومسلم)، وغيرها مما يدل على التسامح، ونشر المحبة والأمن، ويدحض ما يثار من شبهات وأباطيل.

وفي هذا العصر نجد السيناتور الأمريكي بول فندلي يتناول ذلك في كتابه: «لا سكوت بعد اليوم»، وقد عرف عنه وقوفه مع الحق وجرأته في مواجهة قومه من الغربيين بالحقائق، وهو قد قضى في الكونغرس الأمريكي ٢٢ عاما يشاكس أصحاب القرار في الولايات المتحدة، ويصحح المفاهيم الخاطئة التي ترسخت في أذهان الغرب، وقد عمل على تصحيح المفاهيم حول الدين الإسلامي، وكسّر حاجز الجهل الغربي بحقيقة الإسلام، وفضّح تلك الضلالات التي عمد خصوم الإسلام إلى ترسيخها لدى المواطن الغربي في إطار ما ذكرناه من «تضخيم الوهم» بأن الإسلام يحتقر المرأة، ويحد من الحرية الشخصية.. وغير ذلك من أغلاط مشهورة، وقد رأى بول فندلي أن جهل الغربيين بالإسلام وتنامي خوفهم منه يعود إلى عدة أسباب، منها:

١. الحرص الدائم على تجنب الإشارة إلى الأخلاق الإسلامية، والاقتصار على طرح الأخلاق اليهودية والمسيحية في المجتمع الأمريكي، بوصفها الجديرة بالاتباع، بل يتعدى الأمر إلى تصوير الأخلاق الإسلامية بشكل منفر إذا اقتضى الأمر الحديث عنها. فأصبحت اليهودية والمسيحية في نظر الأمريكيين طريقا للتقدم والرقي، بينما يعبر الإسلام عن القوة المتخلفة والخطرة على الإنسانية.

٢- ما يقوم به اللوبي اليهودي من تشويه صورة المسلمين، وإظهار إسرائيل باعتبارها مسالمة وضعيفة، يهدد المسلمون وجودها.

٣- تصوير الحركات الإسلامية، وبخاصة المقاومة، في الإعلام الغربي على أنها حركات إرهابية لا تحترم حقوق الإنسان. بل إن بعض هذه الوسائل لا تتورع عن فبركة برامج تضخم دعوات بعض المسلمين إلى محاربة أمريكا وإسرائيل والغرب، مخرجة تلك الدعوات عن سياقاتها تماما.

٤- وصف الإسلام بالإرهاب والتعصب، وعدم التسامح مع غير المسلمين، وتجريم الديمقراطية، وعبادة إله انتقامي، ثم تخويف الغربيين من خطره المتصاعد، ومن حرب إسلامية غربية قادمة؛ حتى لا يتراجع الغربيون عن دعمهم المستمر للكيان الصهيوني.

وختاما أقول: إن على الباحث والداعية والإعلامي، بل والمواطن المسلم الذي يعيش في الغرب أو يتوجه إليه بالخطاب، أن يعي جيدا هذا التيار الغربي الذي يرعى ويغذي ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، ويتخذ في سبيل ذلك مسلكين خطيرين هما: «تضليل الفهم» و«تضخيم الوهم»؛ فيتتبعهما بالتصحيح القولي والعملي، مع تجنب الخطاب الاعتذاري والتبريري الذي قد يكون في مجمله مسيئا لا مصححا.

سليمان خالد الرومي
سكرتير التحرير

حب الوطن

حب الوطن هو أمر فطري جبل عليه الإنسان فليس غريبًا على الإنسان أن يحب وطنه الذي ترعرع فيه وأكل من خيراته وشرب على ثراه.

وقد نبه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على هذا المعنى بعبارة جميلة ذكرها البيهقي بلفظ «عمّر الله البلدان بحب الأوطان» هذه إشارة على أن حب الوطن موجود في الفطرة مغروس في النفوس.

كما قال الشاعر العباسي ابن الرومي:

ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة
كنعمة قوم أصبحوا في ظلالكا
فقد ألفته النفس حتى كأنه
لها جسد إن بان غودرت هالكا
وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضّاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمو
عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» (جامع الترمذي).

وعندما هاجر ﷺ إلى المدينة واستوطنها ألفها وحينها أحب المدينة ودعا الله أن يرزقه حبها فقال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا لمكة أو أشد» فدعا ربه أن يجعل للمدينة حبًا كحبه لمكة إذ في مكة مولده ونشأته وفي المدينة منزله ومسكنه، وكلاهما وطنه وحبه، فحب الوطن حب مشروع وحب صحيح فقد ورد أن الرسول ﷺ يرقي المريض فيقول: «باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا».

فهو عليه الصلاة والسلام كان يجعل في أصبعه الشريف ريقه الشريف ثم يغمس الأصبع الشريف في الأرض في التراب فيعلق من التراب ثم يضعه على المريض على موقع الألم. (صحيح مسلم).

واجبات المواطن تجاه بلاده:

- طاعة ولي الأمر.
- حبه والدفاع عنه والمشاركة في تنميته وتطويره والاعتزاز والفخر بالهوية الوطنية.
- الولاء والانتماء إلى الوطن والمحافظة على وحدته وسلامته.
- المحافظة على ممتلكاته وتطبيق القوانين المنظمة لشؤون الحياة للمحافظة على الصالح العام واستثمار طاقاته وإمكاناته في خدمة الوطن.
- احترام العادات والتقاليد والقيم المتأصلة.
- الوقوف في وجه من يريد العبث والإخلال بأمن الوطن واستقراره.

وأقول للشباب: أنتم عصب هذه الأمة وسواعدها الفتية التي تبني وتشيد، وكل واحد منكم على ثغرة في هذا الوطن فليؤد كلٌ واجبه.

يا معشر الشبان يا ملح البلد
من يصلح الملحَ إذا الملحُ فسد

د. ياسر الصعيدي
أستاذ بكلية الآداب
جامعة المنوفية

نحو حوار حضاري فعال

قراءة عجلى في أوراق التاريخ، أي تاريخ، تؤكد أن الحوار الحضاري حقق نتائج كبيرة ومهمة، وكان له دور كبير في رسم خرائط كثير من العلاقات، سواء بين الأمم، أو حتى بين الأفراد، على الرغم من تنوع ثقافات المتحاورين وحضاراتهم.. والعالم اليوم أحوج إلى الحوار من أي وقت مضى، الحوار بين الأسرة داخل جدرانها.. الحوار بين الأصدقاء والجيران، بل الحوار بين الخصوم، فكما تعددت وسائل الاتصال وتيسرت تعددت مسائل الخلاف وتعقدت، ولم يعد بإمكان أي مجتمع العيش في معزل عن الآخر، وخاصة في ظل الثورة التكنولوجية الهائلة التي شهدها العالم في السنوات الأخيرة.

والحوار تفاعل لفظي أو كتابي بين اثنين أو أكثر من البشر يهدف للتواصل الإنساني وتبادل الأفكار والخبرات وتكاملها، ويتضمن طرحا من أحدهما يجيب عنه الآخر، فيحدث تجاوب يولد عند كل منهما مراجعة لما طرحه من كلام ومنطق حكم هذا الكلام. وقد تثمر هذه المراجعة طرحا ثانيا يتبعه تجاوب أوسع، ومن هنا يتميز الحوار بأنه يتضمن في طياته عملية تحدث تجري خلالها مراجعة، فالموقف المتخذ في هذه العملية ليس سكونيا قطعيا غير قابل للتغيير والتبديل، وإنما هو حركي قابل للتحول.

وفرق كبير بين الحوار والجدل، أما الجدل فهو المنازعة في الرأي، ويطلق على شدة الخصومة واللدد فيها، وقيل الأصل في الجدال: الصراع ومحاولة كل واحد إسقاط صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة.

والجدل قد يكون بالباطل ليصرف عن الحق، وقد يكون بالحق ليدحض الباطل، والمقام هو الذي يعين المراد.

والاختلاف ينصب غالبا على الرأي، وهو حقيقة إنسانية طبيعية، أما الخلاف فينصب على الشخص، فالاختلاف لا يدل على القطيعة، بل

قد يدل على بداية الحوار، وهو نتيجة طبيعية لحرية الاختيار التي منحها الله عزوجل لكل إنسان، وجعلها مرتكزا للابتلاء في الحياة الدنيا.
والتنوع الذي خلق الله الناس فيه، ينبغي ألا يكون سببا للشقاق والخصام والتنازع، فإن الشقاق يمكن تفاديه بالحوار الذي من شأنه أن يقدم البدائل العديدة لتجنب مأزق الاصطدام في زاوية الشقاق، بل يمكن أن يجعل من الاختلاف سببا للتكامل والتعاون فيما فيه مصلحة البشرية.

حدود الشرع

إن الاختلاف بين أهل الحق سائغ وواقع، ولا يكون مذموما بل يكون ممدوحا مادام في حدود الشرع وضوابطه، بل هو في تلك الحالة يعد مصدرا من مصادر الإثراء الفكري، ووسيلة من وسائل الوصول إلى الصواب، وقد أقر الإسلام الاختلاف المحمود وحث عليه، فمبدأ الشورى الذي قرره الإسلام ما هو إلا تشريع لهذا الاختلاف الحميد.
وتتعدد أهداف الحوار وتختلف من حوار إلى حوار، ومن محاور إلى آخر، فمنها ما يكون هدف المحاور فيه إقناع الآخر بأن اعتقاده أو رأيه أو موقفه هو الأحق بأن يتبع، ومنها ما يكون هدفه مجرد معرفة ما عنده، كي لا يكون هنالك سوء تفاهم بأن ينسب إليه ما لا يرى أو يعتقد، ومنها ما يكون الغرض منه إمكانية الوصول إلى آراء أو أهداف مشتركة تساعد على التعايش والتعاون... وهكذا.
والأصل أن هدف الحوار هو شرح وجهة النظر وتبيان المعطيات التي تقوم عليها، وفي الوقت نفسه الانفتاح على الآخر لفهم وجهة نظره ثم التفاهم معه، ذلك أن التفاهم لا يكون من دون فهم متبادل، والحوار هو الطريق إلى استيعاب المعطيات والوقائع المكونة لمواقف الطرفين المتحاورين، ثم إلى تفاهمهما، فالحوار تعاون فكري بين اثنين أو أكثر على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ليكشف كل طرف ما خفي على صاحبه منها، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

البغي والعدوان

وحتى يكون الحوار ناجحا لابد أن تكون المصالح العامة فوق مصالح الأفراد والجماعات، وأن يجري الحوار بعيدا عن البغي والعدوان والحسد وحب الانتصار، وأن يتصدى للحوار من هو أهل له من المتخصصين العدول الناصحين للأمة، البعيدين عن المصالح الذاتية والترهات الفردية والعنصرية والطائفية، وأن تحدد نقاط الاختلاف، وذلك بغرض توجيه الطاقات - على اختلاف مظانها ومظاهرها، وعلى تعدد أبعادها وغاياتها - إلى خدمة القضايا محل النقاش والحوار، للوصول إلى اتفاق في نهاية الحوار، بعيدا عن التأثيرات المحيطة، فإنه قد يخضع المتحاور للجو الاجتماعي فيستسلم لا شعوريا له، مما يفقده استقلاله الفكري.
وعلى المحاور أن يخاطب كل إنسان بما يناسبه شرعا وعرفا، متفهما نفسية الطرف الآخر وعارفا بمستواه العلمي، وقدراته الفكرية، سواء كان فردا أو مجموعة ليخاطبهم بحسب ما يفهمون، وإنزال الناس منازلهم وعدم غمطهم أقدارهم، وحسن الاستماع لأقوال الطرف الآخر، وتفهمها فهما صحيحا، وعدم مقاطعة المتكلم، أو الاعتراض عليه أثناء حديثه، أو استفزازه وازدرائه أو تحقيره، وتجنب منهج التحدي والإفحام وتعمد إيقاع الخصم في الإحراج، ولو كانت الحجة بينة والدليل دامغا، فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف، وقد تفحم الخصم ولكنك لا تقنعه، وقد تسكته بحجة ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه، وأسلوب التحدي يمنع التسليم ولو وجدت القناعة العقلية.
كما يجب على المحاور التراجع عن الخطأ والاعتراف به، فالرجوع إلى الحق فضيلة، وأن يكون الكلام في حدود الموضوع المطروح، والبعد عن اللجج ورفع الصوت والفحش في الكلام، والبعد عن التنطع في الكلام، والإعجاب بالنفس، وحب الظهور ولفت أنظار الآخرين، وألا يفترض في صاحبه الذكاء المفرط فيكلمه بعبارات مختزلة وإشارات بعيدة، كما لا يفترض فيه الغباء والسذاجة، أو الجهل المطبق، فيبالغ في شرح ما لا يحتاج إلى شرح، وتبسيط ما لا يحتاج إلى بسط.

الانفتاح على الآخر

على أن يضع المحاور نصب عينيه الانفتاح على الآخر من خلال الحوار، ليس فقط بغرض إقامة الحجة وإثبات صحة الرأي، ولكن أيضا بغرض التعلم والأخذ منه ما قد يفيد مهما بلغت درجة الخلاف معه، ومراعاة شخصية الطرف الآخر في الحوار، وإيجاد الأجواء المناسبة، والإحاطة بموضوع الحوار، واستيعاب الفكرة التي يحوم حولها، ثم اختيار لغته وأسلوبه، ورفض قداسة الآراء والأفكار الشخصية، فلا يجوز أن نتحجر أمام الأفكار والآراء الإنسانية التي نقوم بصياغتها بناء على ما تكون لدينا من علوم ومعارف وتجارب، أو تلك التي صاغها من نعتبرهم قادة وعلماء وأصحاب رأي وفكر، وبالتالي لا نغلق الباب أمام أي محاولة للتطوير والتجديد وتنقيح الآراء والأفكار والمعارف، وكذلك عليه الانضباط بالقواعد المنطقية في مناقشة موضع الاختلاف، والاعتماد على الأدلة والبراهين والحجج.

عبدالله شريف:
دار الإعلام العربية

د. زغلول النجار: السبق العلمي في الكتاب والسنة طوق نجاة الأمة

بين مئات الكتب يبحث، وفي آيات الله عز وجل وأحاديث رسوله ﷺ يتأمل؛ ساعيا وراء إظهار أوجه إعجاز ما أتت به رسالة الإسلام، ليس لأتباعه فحسب؛ بل للناس كافة. إنه الدكتور زغلول راغب محمد النجار، أحد مؤسسي الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والذي يحل ضيفا على صفحات «الوعي الإسلامي» من خلال هذا الحوار، مؤكدا أن حضارة الإسلام تميزت بشمول الثقافة مع احترام التخصص، وأن الجهل هو السبب الحقيقي للإلحاد؛ إذ لا يمكن أن يحدث صدام بين دين صحيح وعلم دقيق. مزيد من التفاصيل في السطور التالية.

● أمضيت رحلة طويلة في مجال الإعجاز العلمي.. فإلى أين انتهيت؟

- الإعجاز العلمي في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا نهاية له؛ وذلك لأن الآية الكونية في القرآن الكريم تأتي في عدد محدد من الكلمات التي يتجدد معناها بنمو المعرفة الإنسانية، في تكامل لا يعرف التضاد؛ تحقيقا لقول رسول الله ﷺ عن القرآن الكريم: «هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه»، وكذلك أحاديث رسول الله ﷺ الذي وصف نفسه بقوله: «إني أوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي اختصارا». وتبيان السبق العلمي في الكتاب والسنة، هو طوق النجاة للأمة الإسلامية من الوحل الذي تغوص فيه إلى أعناقها في أيام الفتن، التي تمر بها الأمة في زماننا الراهن.

إنزال الحديد من السماء من أروع دلائل الإعجاز في سنة الرسول

دلائل إعجازية في الكتاب والسنة

● وهل يصح نسب الإعجاز إلى السنة؟

- الإعجاز العلمي أصلا يتجسد في كتاب الله عز وجل، وهذا التجسد لا يمنع أبدا من وجود نماذج له في أقوال رسول الله ﷺ. ومن أروع الشهادات على ذلك إثبات أن الحديد قد أنزل إلى أرضنا إنزالا من السماء، ووجود سورة باسم «الحديد» في كتاب الله تشبه إنزال الحديد بإنزال الرسالات السماوية،

وهي السورة رقم (٥٧) في المصحف الشريف، وتوافق هذا الرقم مع الوزن الذري لأحد نظائر الحديد، وتوافق رقم الآية (٢٥) مع الوزن الذري للحديد، بعد حساب البسملة أول آية في سورة الحديد.

هو أمر معجز حقا؛ خاصة إذا أخذنا في الحسبان نزوله من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي ﷺ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين، والأمثلة أكثر من أن تذكر في هذه العجالة.

• يعترض كثيرون على إسقاط مشاهدات علمية على آيات القرآن الكريم.. بماذا ترد عليهم؟ وما الفائدة من الإعجاز العلمي للعامة؟

- الآيات الكونية في كتاب الله وأشباهها في أحاديث رسول الله ﷺ لا يمكن فهمها فهما كاملا في إطار اللغة العربية وحدها، إنما ينبغي قراءتها في سياق الحقائق العلمية المنضبطة بالشرع والطرح العلمي المحكم، ليتسنى فهم دلالات الآية أو الحديث فهما كاملا واستنباطها.

وعندما يتحقق ذلك نستطيع أن نثبت لأنفسنا أولا، ولغيرنا ثانيا، سبق هذين المصدرين من مصادر الإسلام لجميع المعارف المكتسبة بقرون عديدة، بالإشارة إلى عدد هائل من حقائق الوجود.

وهذا السبق الزمني هو الذي نسميه «الإعجاز العلمي»، وهو أيسر وسائل الدعوة للإسلام في زمن يتحدث بمنطق الدلائل العلمية المجردة؛ ومن ثم فهو أيضا وسيلة من وسائل تجديد فهم المسلمين للكتاب والسنة، ولعدم الجمود على جهود القدامى، مع التأكيد على أفضالهم، وهذا التجديد هو الذي

لا يمكن حدوث صدام بين دين صحيح وعلم دقيق.. والجهل وراء الإلحاد

يعين على مخاطبة الآخر باللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا، وهي لغة العلم.

وقد يرى بعض الناس أنه لا مجال للعامة في هذا المضمار، لكن يكفيهم إدراك تفوق القرآن والسنة على الكثير من معارف العصر.

بداية الإصلاح المجتمعي

• كيف يحقق طالب العلم التوازن بين العلم الشرعي والعلوم الأخرى؟ وما نقطة الانطلاق لمن يهتمون بالإعجاز العلمي؟

- تميزت الحضارة الإسلامية بشمول الثقافة مع احترام التخصص، وهذه النظرة الثاقبة قد انقلبت في عالم الماديات الجارفة الذي نعيشه إلى المبالغة الشديدة في التخصص.

وهذه المبالغة حولت العلماء إلى عدد من التروس في ماكينة عملاقة طورت العلم تطويرا هائلا؛ لكنها حرمت العلماء من الثقافة الشمولية التي يحتاجونها في الوصول إلى المعارف الكلية؛ وبذلك حرمتهم من إنسانيتهم ومن فهمهم لحقيقة رسالة الإنسان في هذه الحياة، فضلوا وأضلوا.

وهذا المرض انتقل إلينا من الحضارة الغربية التي يشكوا عقلاؤها منه.

الإصلاح في مجتمعاتنا يبدأ بالعودة إلى نظم التعليم القديمة مع الأخذ بكل تقنيات العصر

وفي حضارتنا الإسلامية كانت الثقافة الشمولية هي الأساس مع احترام التخصص؛ لذا فإن بداية الإصلاح في مجتمعاتنا هي العودة إلى نظم التعليم القديمة مع الأخذ بكل تقنيات العصر، وفي ذلك يجب أن يعطى دارسو المعارف المكتسبة حظا كافيا من الثقافة الإسلامية، كما يعطى دارسو العلوم الشرعية حظا كافيا من المعطيات الكلية للمعارف المكتسبة؛ وبذلك يتحقق التكامل المعرفي عند الدارسين مهما كانت تخصصاتهم.

• ما تقييمك لعلم الإعجاز العددي في القرآن الكريم؟

- إذا سئلت عن وجود إعجاز عددي في كتاب الله فإجابتي «نعم»؛ لكني أحذر من استخدام «حساب الجمل» في تحقيق هذا الوجه من أوجه الإعجاز. ومبرراتي لذلك أنه حساب ابتدعه اليهود، وليس له منطق رياضي، ولا يتوافق مع اختلاف علماء اللغة في تحديد عدد حروف الهجاء وترتيبها، بالإضافة إلى أني لم أجد ما يشير إلى قبوله من رسول الله ﷺ.

• هل هناك طريقة محددة تعين على التدبر والتأمل والوصول إلى المعاني في القرآن؟

- الآيات القرآنية تنقسم إلى نوعين؛ فمنها المحكم والمتشابه. فالآيات المحكمة هي المتعلقة بركائز الدين، سواء فيما يخص العقيدة أو العبادات والمعاملات. أما الآيات المتشابهة فتشمل الإشارات الكونية والقضايا الغيبية، وهذه صيغت صياغة معجزة لتتسع دلالاتها مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية، وليس هذا لغير كلام الله؛ والأمثلة

على ذلك كثيرة، ولا يتسع المجال لعرضها.

وبذلك يتضح أن تدبر الإشارات الكونية في كتاب الله لا يمكن أن يتم إلا بتوظيف أحدث ما وصل إليه الإنسان من حقائق مكتسبة.

الإلحاد سببه الجهل

• «الإلحاد سببه الصدام بين الدين والعلم».. كيف ترد على هذه المقولة؟

– لا يمكن أن يحدث صدام بين دين صحيح وعلم دقيق، لكن الإلحاد له أسباب كثيرة؛ أولها الجهل بحقائق الدين وحقائق العلم.

والإلحاد في الغرب قد تكون له مبرراته؛ لأن الغرب بدأ نهضته بمفاصلة كاملة مع الكنيسة التي قامت بتحريف التوراة والزبور والإنجيل في شكل العهدين القديم والجديد، وملأتهما بالأخطاء العلمية والعقدية والتاريخية، وعرضتهما لتكرار التحرير، والإضافة والحذف، والتبديل والتغيير؛ حتى كفر بهما أغلب أهل الأرض.

لذلك؛ جاءت غالبية الكتابات العلمية بصياغات منكرة أو متجاهلة للدين، فألحد أغلب أهل الأرض.

وفي عالمنا الإسلامي انبهر كثير من شباب الأمة بالتقدم العلمي والتقني المذهل الذي حققه الغرب، فانساق قطاع منهم وراء المفاهيم الغربية في إنكار الدين، وكان غالبية هؤلاء من أصحاب المشاكل الأسرية والأمراض النفسية؛ ولذلك تثبت الإحصائيات أن غالبية الملحدين العرب يموتون بالانتحار أو الغرق أو ارتكاب الجرائم.

> **انبهار كثير من شباب الأمة بالتقدم العلمي للغرب أغرى بعضهم بإنكار الدين**

• هل كل التفسير بالإعجاز العلمي قائم على الظن والاحتمال، وليس على اليقين؟

– أولا يجب التمييز بين قضيتين أساسيتين: أولاهما الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والأخرى قضية التفسير العلمي لهذين المصدرين من مصادر الإسلام. والذي يعرف قدر هذين المصدرين في الهداية البشرية لا يمكنه إلا أن يوظف الحقائق القطعية الثابتة في قضية الإعجاز العلمي؛ باستثناء عدد محدود من القضايا الغيبية، كالخلق والإفناء والبعث بالنسبة إلى الكون والإحياء والإنسان.

أما في التفسير العلمي فنحرص على توظيف الحقائق العلمية كلما توفرت، لكننا نعلم أن العلم المكتسب لم يصل بعد إلى كل الحقائق، وفي هذه الحالة يمكن توظيف النظرية السائدة المقبولة؛ فإذا ثبت صدقها فبها ونعمت، وإذا ثبت خطؤها فإن الخطأ في التفسير لا ينسحب على جلال النص، وإنما يقع على كاهل المفسر، والذين فسروا باللغة أصابوا وأخطؤوا، ولم ينل ذلك الخطأ من جلال القرآن أو من شرف الحديث.

وحدة الأمة في تلاحم أبنائها

> **على المتعايشين في وطن واحد أن يتعاونوا ويتركوا التباين في الاعتقاد لرب العالمين**

• تعددت مشاريع الإصلاح في العالم الإسلامي التي نادى بها علماء وفلاسفة ومصلحون في العالم الإسلامي، برأيك ما أسباب تراجع هذه المشاريع وإخفاقها؟

– من أبرز أسباب ذلك غياب المرجعية التي ترتضيها غالبية الأمة، وكان الأزهر الشريف يمثل هذه المرجعية في السابق، كذلك نحن نعيش اليوم في زمن التكتلات البشرية الكبيرة، ويقول علماء الاجتماع: إنه لم يعد هناك مجال للكيانات البشرية الصغيرة أن يكون لها رأي في مجريات الأحداث في العالم، وعليها أن تبقى تابعة ذليلة للتكتلات الكبرى.

• إذا كنا نجتهد في صياغة المشروع الحضاري الإسلامي، فإن قضية اللغة يجب أن تكون ركيزة محورية في هذا المشروع، كيف نشخص أزمتها؟

– لم تنهض أمة من الأمم إلا بنهوض لغتها، من هنا تكاتفت جهود الغرب لإماتة اللغة العربية بعد أن كانت اللغة السائدة في كل دول العالم الإسلامي.

واللغة العربية هي أم كل لغات العالم؛ هي لغة أبينا آدم عليه السلام، ولغة عدد كبير من الأنبياء والمرسلين، وهي لغة أهل الجنة، لذلك يجب علينا السعي لإحيائها من جديد، بعد أن فقدها كثير من المسلمين، بل والعرب؛ ويكون ذلك بإحياء عملية ترجمة واسعة، كالتي كانت في بداية النهضة الإسلامية، حتى يصاغ التعليم والبحث العلمي والإعلام بلغة عربية سليمة؛ لأن اللغة تحيا بالاستعمال، وتموت بالإهمال.

د. محمد ممدوح عبدالمجيد
باحث أكاديمي

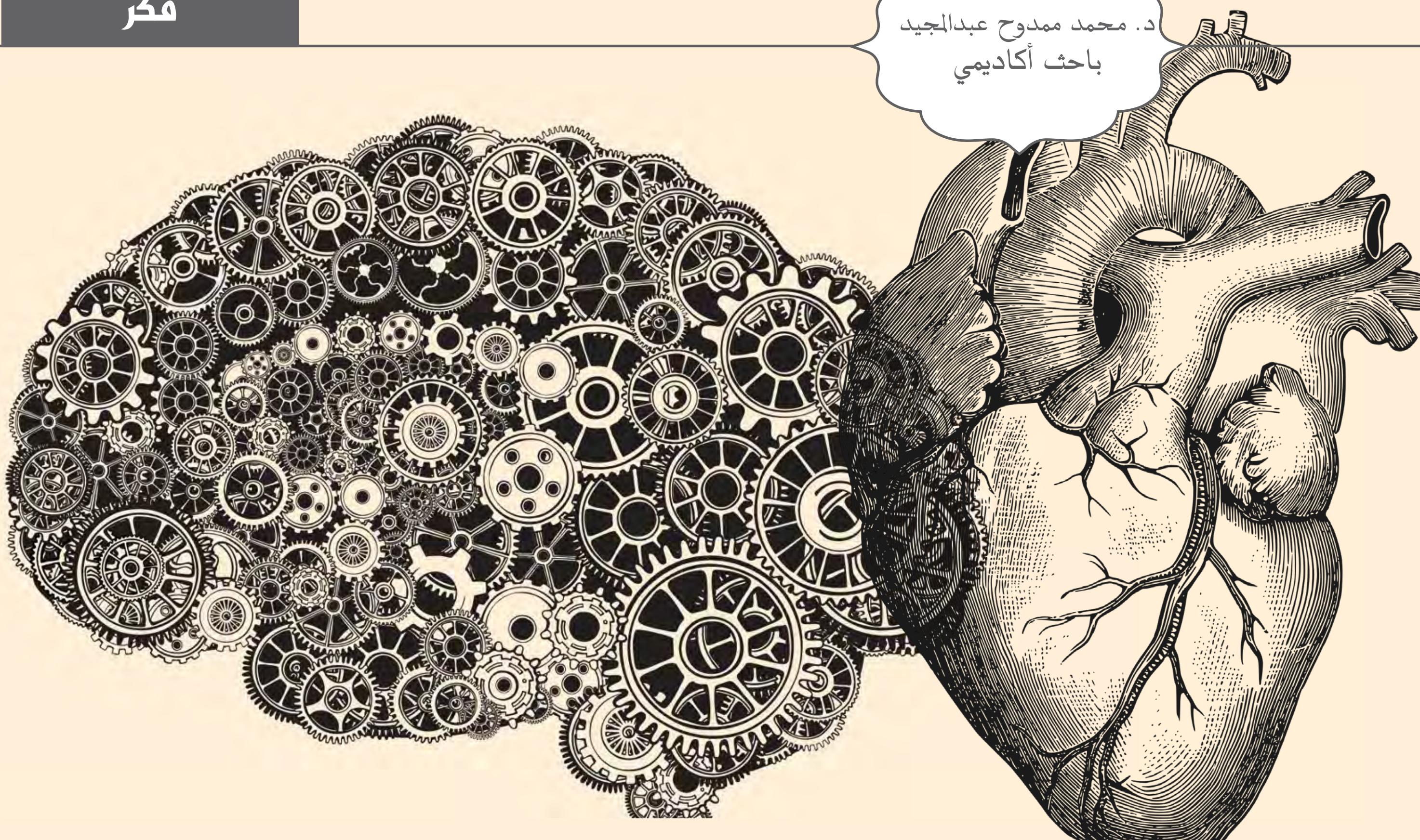

العقل والقلب والفؤاد

كثيرا ما يتعامل الناس مع بعض المفاهيم دون تمييز في ما بينها، ودون تحديد للمصطلح، لا فرق في ذلك بين عوام ومثقفين، فهم في تلك النظرة سواء، لكن قليلا من الناظرين بعمق يفرقون بين المصطلحات ويحددون المعاني؛ استبيانا للفوارق، وتوضيحا للغوامض، واستجلاء للحقائق. وقد تختلف آراؤهم وقد تتفق، إلا أنهم في النهاية حققوا قيمة إنسانية كبرى، إنها قيمة الفكر والتفكر والتعمق، تلك القيمة التي أكد عليها القرآن أكثر من مرة وبأكثر من لفظ ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (آل عمران:١٩٠)، أي لأولي العقول، الذين ينقبون عن عجائب الملكوت وأسراره، وحسن إبداع الخالق سبحانه لملكه.

من هذه المفاهيم التي يجهل فوارقها فريق، ويختلف فيها فريق آخر، ويغالي في بعضها - إنكارا أو إيجادا - فريق ثالث، ثلاثة مفاهيم رئيسية؛ تداخلت حينا، وتباعدت حينا آخر في فكر البعض، لكن تبقى الوشيجة الواحدة التي تربط بينها ذات بريق لا يخفت، ونور لا ينطفئ، ومداد لا ينفد.. إنها مفاهيم العقل والقلب والفؤاد.

كثيرا ما أثارت هذه المفاهيم الاختلافات، وكثيرا ما تداخل بعضها في بعض عند فريق، وتنافر بعضها عن بعض عند فريق آخر، دون أن يعي المختلفون مدى الاتصال الوشيج الذي أقره القرآن الكريم بين هذه المفاهيم الثلاثة.

القرآن يذكر العقل إجلالا وتقديرا في آيات، ويوبخ تخاذله عن إدراك الحق في آيات أخرى، ويستنكر إعراضه عن السبيل القويم مرة ثالثة، وهكذا عبر طول القرآن وعرضه تجد هذه المعاني الثلاثة، ففي المعنى الأول يقول سبحانه ﴿وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت:٤٣)، أي الذين أبصروا بعد تفكر فعقلوا فعلموا، ثم حث سبحانه العقل على التفكر في بديع خلقه سبحانه في آيات عدة من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

(آل عمران:١٩٠)، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الرعد:٣). وغير هذه الاستفهامات الكثيرة المختلفة لفظا والمتحدة معنى مما أكثر القرآن استعماله.

وفي المعنى الثاني يوبخ المتخاذلين عن إدراك الحق على لسان أهل النار الذين قالوا: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (الملك:١٠). لقد نفوا عن أنفسهم التعقل، ولم ينفوا وجود العقل ذاته، لقد كانوا عقلاء، يتمتعون بالعقل، ولكنهم لم يعقلوا فانتهى مصيرهم إلى النار.

ثم يذكر القرآن في المعنى الثالث استنكارات عدة للذين لا يتعقلون الأمور ويقفون على المقاصد الحقيقية لرب البرية سبحانه من وراء خلقه للخلق، فينكر عليهم القرآن عدم الفهم، وعدم الوعي في أكثر من موضع من قبيل قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (يس:٦٨)، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ (النساء:٨٢)، أي أفلا يتفكر القوم بعقولهم المقاصد والغايات والمصائر؟! أفلا يسخّرون العقل في وظيفته الرئيسية، وهي التعقل والإدراك والوعي؟!

والقرآن في هذه المراحل الثلاث يؤكد على معنى التدبر، والفهم بعد التفكر في كل شيء، فالتعقل ثمرة العقل، والإيمان ثمرة التعقل، ولذا رفع الله سبحانه - بخفي تدبيره وواسع علمه - القلم عن ثلاث، كلهم تتوافر فيهم صفة غياب العقل في حالهم، فقال النبي ﷺ: «رفع القلم عن ثلاث؛ عن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل، وعن النائم حتى يستيقظ».

هؤلاء الثلاثة يغيب عنهم العقل في الحال التي هم عليها، فالنائم مغيب عقله، لا يدري ولا يدرك من أمر نفسه شيئا، والصغير لم يعقل بعد الأمور، والمجنون سلب نعمة العقل. لذا، رفع عنهم التكليف عبادة واعتقادا في حال المجنون، أو أمرا ونهيا في حال النائم والصغير، لكون الثلاثة لا يدركون ولا يعقلون أثناء تلك الأحوال.

هذا كله يفيد بأن العقل هو مناط التكليف؛ لأنه سر تدبير الإنسان للعالم، سر قيادته له، وسر تسخيره لغيره من المخلوقات لتكون طوع إرادته، فهو ميز على الجميع بالعقل، وذكر الله سر ذلك التفضيل والتكريم في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠). ومن ثم وقع الاختيار عليه ليكون مكلفا بالخلافة على الأرض، مطالبا بإعمارها، بتقديم ما بوسعه من أعمال للقلوب والجوارح على حد سواء: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٦١).

إذن، العقل هو مناط التكليف وسر التكريم، بل وتتوقف عليه حياة الإنسان كلها، فهو المتحكم في الجسد سلبا وإيجابا، وكفى على ذلك دلالة أن معناه في اللغة «عقل الشيء»: أي ربطه بعقال للتحكم فيه. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال لصاحب الناقة: «اعقلها وتوكل»، أي اربطها ثم اترك أمرها إلى بارئها، إشارة منه ﷺ إلى حسن التوكل لا دلالة على العقل ذاته، وهذا لا يتنافى مع القرآن الذي أقرها من قبل وحملت معنى الفهم والتدبر.

أما القلب فقد تعددت مواضع ذكره في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، وفي كليهما تخرج معان متقاربة إلى حد كبير، كلها تصب في اتجاه واحد، مؤداه يلخصه قول النبي ﷺ: «إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». فالقلب الطاهر يحبه الله، والقلب الخبيث حرم نفسه من رضوان ربه سبحانه، وحرم إخوانه من سبل الحياة القويمة، لذا كثيرا ما يمقت ربنا سبحانه أصحاب القلوب المريضة، وكثيرا ما يعيذ خلقه من شر أفعالهم، كالحسد والغيبة والنميمة والكراهية، وتعددت في تلك الخصال الآيات فيما عرفت بأمراض القلوب، ومنها قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق:٥).

ونقده سبحانه لقسوة القلوب: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ (البقرة:٧٤). وقال عن اليهود: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ (البقرة:٨٨). وقال عن الكافرين: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ (فصلت:٥). وقال عن اطمئنان المؤمنين وسكينتهم: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨). ثم يشير سبحانه في لفتة بديعة إلى الاتصال بين العقل والقلب فيقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦). فنسب سبحانه الفهم والتعقل للقلب في هذه الآية، ثم استنكر على أولئك الذين لا يعقلون بقلوبهم غفلتهم

قائلا: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، أي البصائر التي بداخلهم وليس البصر الذي في وجوههم.
هذه الآيات وغيرها في القرآن الكريم تفيد بأن القلب هو مناط القسوة والخشية في مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال:٢). فالقلوب هي محل الاطمئنان والأمان والخوف والرجاء، هي المصدر المحرك لجميع الأفعال، مضافا إليها المشاعر والأحاسيس، كل ذلك في إطار اتصال وثيق بين العقل والقلب، اتصال تداخل، لا تداخل للوظائف فحسب، ولكن تداخل في الغايات وتقارب في المفاهيم.
ولكن البعض ينكرون هذا التداخل، ويفرقون بين العقل والقلب تفريقا حاسما، بل يجعلون للعقل سيادة على القلب، فينكرون أعمال القلوب أو رقتها أو مشاعرها، وينفون عن القلب ما أثبته له القرآن من رؤية وبصيرة وتدبر، ذاهبين إلى أن القلب مضغة من اللحم الصنوبري الشكل، فأنى للحم بالمشاعر أو الإحساس أو القلق أو الاطمئنان، غاية ما يريدونه أن ينفوا عن القلب كل فعل وينسبونه إلى العقل، وكأن العقل يقوم بدور مزدوج، التفكر والأحاسيس، وهذا فيه جانب من الصواب وجانب من الخطأ؛ فالصواب يكمن في أن القلب يتلقى بالفعل إشارات من المخ بالحب أو بالكراهية أو بغيرها من المشاعر والأحاسيس، ولكن ليس معنى ذلك خضوع القلب للعقل أو سيطرته عليه، بل كل له مجاله، وكل له وظيفته التي تبدو إلى حد كبير متداخلة، وهذا هو ما أخطأ فيه المدعون.
إن العقل يصدر الأوامر، والقلب يصدق أو يكذب، يطيع أو يعصي، مما يؤكد قوة القلب على العقل وليس العكس، فالقلب أقوى من العقل، حتى وإن تبعه، فالقاعدة العامة تفيد بصحة الأحكام إذا خرجت من العقل؛ كونه متجردا، وبخطئها إذا خرجت من القلب؛ كونه متحيزا بطبيعته وعطوفا ومحكوما بالميل والهوى تجاه أشياء بعينها تختلف بحسب شخصية كل فرد، ولكن هذا لا ينفي أن هناك أمورا لا غنى للقلب عن العقل فيها، وأخرى لا غنى للعقل عن القلب فيها، ليمتزج الاثنان في مزيج واحد، تتداخل وظائفهما، تتقارب معانيهما، القلب يطلب والعقل يستجيب، أو العقل يأمر والقلب يتأثر، جدلية التداخل والتقارب والتواصل، في مزيج فريد يدل على إبداع الصنعة وإحكام الصانع سبحانه.
يمكننا القول إذن إن الله سبحانه عندما ذكر القلب في القرآن لم يكن يُرِد أبدا ذلك اللحم الصنوبري الشكل، فما عسى أن تفعله مضغة من اللحم في جسد الإنسان، ولكنه سبحانه أراد معنى القلب الفعلي، المضخة القوية للمشاعر وليس للدم فقط، وما يدريك لعل الله جعل منه مضخة للمشاعر والأحاسيس المختلفة بالمثل تماما كما هو مضخة للدم، وما يدريك أيضا لعله يكون سرا من أسرار الله سبحانه يستأثر بها عنده كما استأثر بجوهر الروح ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ (الإسراء:٨٥).
ثم يتداخل مع العقل والقلب أيضا مفهوم الفؤاد، فالله يذكره في كتابه قرينا بالقلوب فقال سبحانه: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ (الهمزة:٦و٧)، أي التي تعلم بعلمه سبحانه ما في صدور الكافرين من كفر. لكنه سبحانه وضع فارقا بين المصطلحين في آية أخرى، القلب والفؤاد، الأول أخص والثاني أعم، الأول جوهر داخلي والثاني غلاف يحيط به من الخارج، محيطه أوسع وأشمل، وهناك علاقة تأثرية تبادلية بين الاثنين، كل ذلك يوضحه قوله سبحانه: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ (القصص:١٠)، أي إن غلاف قلبها الخارجي، المسمى بالفؤاد، أصبح فارغا من كل المعاني فتكاد تعيش بلا قلب، وبلا فؤاد، لدرجة أوصلتها إلى الاقتراب من إفشاء السر والإضرار بولدها، ولكنه سبحانه أيد قلبها وثبته ورزقه الاطمئنان، حيث قال: ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ (القصص:١٠). في أول الآية يذكر انخلاع الفؤاد، وفي آخرها يذكر اطمئنان القلب؛ ليؤكد لنا على تلك الصلة التي تربط بين القلب والفؤاد، فالقلب يضطرب باضطراب الفؤاد ويسكن بسكونه وكفى بذاك الموقف دليلا.
إذن لا مناص من الإقرار يقينا من تداخل المفاهيم الثلاثة، العقل والقلب والفؤاد، لا تداخلا اصطلاحيا تختلف فيه جزئية التعريف فقط، ولكنه تداخل وظيفي أيضا، فالوظائف الثلاث تتأثر وتتداخل بعضها في بعض، لكن يبقى لكل منها معنى مغاير، ووظيفة مغايرة أيضا، لعلها أسرار لا يعلمها إلا من خلق فسوى وقدر فهدى، ولكن الغالب على المفاهيم الثلاثة التداخل والتكامل والترابط في حكمة بليغة، وصنعة بديعة، لا يملك الإنسان حيالها إلا الإقرار له سبحانه بالواحدية، والإذعان له بالطاعة واليقين في جبروت ملكه وسعة علمه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:١١٥).

متابعة :
علاء عبدالفتاح

ملتقى الأمانة العامة للأوقاف الثالث والعشرون يضيء الطريق أمام العمل الخيري:

تعزيز الروح الإسلامية بالثقافة الوقفية

تحت رعاية سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح، أقامت الأمانة العامة للأوقاف الملتقي الوقفي الثالث والعشرون، وقد ناب عن سمو ولي العهد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية محمد الجبري، وبحضور الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف محمد الجلاهمة ونخبة من العلماء والأكاديميين وذوي الاختصاص من مختلف دول العالم ضيوفا على دولة الكويت.

جاء مؤتمر هذا العام بهدف ترسيخ دور الأمانة في تنمية المجتمع، وتعزيز الثقة بها، والتأكيد على رؤيتها المتمثلة في ريادة الفكر والتطبيق المؤسسي لشعيرة الوقف، وللتأكيد على إحياء سنة الوقف والحث عليه من خلال استحداث الأساليب الإعلامية التوعوية والتسويقية الكفيلة بالمحافظة عليه في بلد جبل أهله على حب الخير، وسمي أميره سمو الشيخ صباح الأحمد بقائد العمل الإنساني.

وتزامن مؤتمر الأمانة العامة للأوقاف مع اختيار منظمة الأمم المتحدة الكويت عاصمة للثقافة الإسلامية، فشهدت حلقات المؤتمر النقاشية ما يصب في هذا المفهوم من أوسع أبوابه، مع عرض عدة تجارب لإثراء العملية الوقفية والتأكيد على القيمة الحقيقية المضافة في منهاج عملها وتحقيق مردودات الوقف الاستثمارية لمصلحة المجتمع.

ناقش المؤتمر قضية الوقف من خلال أربعة محاور، هي: محور «الثقافة الوقفية ركيزة تنموية» لشرح دور الثقافة وانعكاساتها على المجتمعات الإسلامية على شكل مشاريع تنموية تخدم المجتمع المسلم وأفراده، وعليه أقيمت ندوة تتناول بعض المجتمعات الإسلامية التي أثرت فيها ثقافة الوقف بشكل إيجابي؛ والمحور الثاني ناقش دور الوقف في دعم الثقافة والمشاريع الثقافية من خلال الصرف عليها من ريع الوقف؛ بينما المحور الثالث ناقش عاصمة الثقافة الإسلامية وملف

تعزيز الثقافة الوقفية في فيلم وثائقي

استعرض الفيلم الوثائقي، الذي تم عرضه في بداية الملتقى، دور الأمانة العامة للأوقاف في تعزيز الثقافة الوقفية، تلته فقرة تكريم نخبة من أبناء الكويت البررة الذين قدموا جهودا مميزة وإنجازات مشرفة، وبعض الجهات ذات التعاون المشهود مع الأمانة العامة للأوقاف. وقد أشار نائب رئيس اللجنة التحضيرية للملتقى مدير إدارة الإعلام والتنمية الوقفية حمد المير، إلى أن المعرض المصاحب للملتقى ضم أجنحة الأمانة العامة للأوقاف والجهات المشاركة في المعرض من المملكة العربية السعودية، لبنان، المغرب، جيبوتي، تركيا، بلغاريا، إسبانيا وهولندا.

الثقافة الوقفية بالأمانة العامة للأوقاف.. منارة وحضارة

من الأوراق المهمة التي تم تداولها في المؤتمر ورقة تبين باختصار قيمة الثقافة الوقفية التي تنهض بها بالأمانة العامة للأوقاف، وتتلخص في:

- الثقافة الوقفية جزء من الثقافة الإسلامية، باعتبار أن الوقف مفهوم إسلامي وشرعي، وسنة نبوية شريفة.

- تبني الأمانة العامة للأوقاف موضوع «الثقافة الوقفية» في ملتقاها السنوي يأتي انسجاما مع اختصاصها المباشر بالوقف وكل ما يتعلق بشؤونه.

- للأمانة إنجازات كثيرة في مجال الثقافة الوقفية، وتمارس أنشطة متنوعة تصب في هذا الاتجاه من خلال عدة إدارات (الإعلام، الدراسات، المعلومات والتوثيق.. وغيرها).

- لدى الأمانة مصارف وقفية في مجال «الثقافة»، وقدمت على مدى عمرها دعما لعدد من الجهات والمشاريع الثقافية.

التنسيق الدولي، وهو محور يتناول دور دولة الكويت في مجال الثقافة الإسلامية باعتبارها عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٦م، وتم تعزيز هذا المحور من خلال الإصدارات الخاصة بهذه المشاريع التي عرضت في أجنحة معرض الملتقى؛ وأخيرا ناقش المحور الرابع علاقة الإعلام الجديد (وسائل التواصل الاجتماعي) بالثقافة.

«الوعي الإسلامي» تابعت غالب جلسات المؤتمر، التي بدأت في القاعة الماسية بفندق الشيراتون بجلسة افتتاحية قال فيها وزير الأوقاف وشؤون البلدية محمد الجبري في كلمة نيابة عن سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد (راعي الملتقى): «إن اختيار الأمانة العامة للأوقاف لإقامة الملتقى الوقفي الثالث والعشرين تحت شعار «تعزيز الروح الإسلامية بالثقافة الوقفية»، يأتي انسجاما مع اختيار دولة الكويت «عاصمة للثقافة الإسلامية» لعام ٢٠١٦م، وبالتالي فإن تبني موضوع «الثقافة الوقفية» يأتي متناغما مع هذا الاختيار، ويعزز من أنشطة دولة الكويت الموجهة لإبراز الدور الذي تلعبه الكويت في مجال الثقافة الإسلامية، التي تندرج تحتها الثقافة الوقفية، باعتبار أن الوقف مفهوم إسلامي وشرعي، وسنة نبوية شريفة».

وأضاف الوزير الجبري: «إن تبني الأمانة العامة للأوقاف لموضوع «الثقافة الوقفية» يأتي انسجاما مع اختصاصها المباشر بالدعوة للوقف والقيام بكل ما يتعلق بشؤونه، بما في ذلك إدارة أمواله واستثمارها وصرف ريعها في حدود شروط الواقفين بما يحقق المقاصد الشرعية للوقف وتنمية المجتمع، حضاريا وثقافيا واجتماعيا، لتخفيف العبء عن المحتاجين في المجتمع»، موضحا أن من المناسب في هذا المقام تسليط الضوء على إنجازات الأمانة في مجال الثقافة الوقفية، من خلال أنشطة متنوعة تصب في هذا الاتجاه تشرف عليها عدة إدارات في الأمانة، ومنها إدارة الإعلام والتنمية الوقفية، وإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية، وإدارة المعلومات والتوثيق، بالإضافة إلى الصناديق الوقفية التي تدعم مجال «الثقافة» بشكل كبير ومنها: الصندوق الوقفي للقرآن الكريم وعلومه، والصندوق الوقفي للتنمية العلمية والاجتماعية، والصندوق الوقفي للتنمية الصحية، وصندوق الدعوة والإغاثة، حيث قدمت الأمانة من خلالها مشاريع ثقافية مميزة تعزز بدورها مكانة الكويت كعاصمة للثقافة الإسلامية؛ وتأتي على رأسها مسابقة الكويت الكبرى لحفظ القرآن الكريم وتجويده السنوية برعاية صاحب السمو أمير البلاد، والملتقى الوقفي السنوي.

وفي كلمته قال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف محمد الجلاهمة: «لعل ما يميز هذا الملتقى عن غيره من الملتقيات السابقة أنه يأتي ضمن أنشطة وفعاليات احتفالية اختيار «الكويت عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ألفين وستة عشر» ليساهم في إبراز دور دولة الكويت الثقافي وإبراز منجزاتها في كل روافد الثقافة العربية والإسلامية من نشر وتوثيق وتحقيق لكنوز التراث الإسلامي، وليعزز مكانة الكويت كمركز ثقافي ريادي، لاسيما أن الملتقى أصبح منارة ثقافية يلتقي حولها المختصون والباحثون والمهتمون بشؤون الوقف وقضاياه، ويعد منصة لتبادل الخبرات وأفضل الممارسات، وفرصة لتعزيز جوانب التعاون وإقامة البرامج الثقافية ونشر مفهوم الوقف وثقافته لدى عامة الناس».

ولفت إلى أن الملتقى يتميز ببرامجه المصاحبة ومحاوره الأربعة التي تستعرض طرحا جديدا في إبراز دور الوقف في تنمية المجتمع ثقافيا، وذلك من خلال استعراض المشاريع الوقفية التي تقع تحت مظلة الأمانة العامة للأوقاف، والتي تحمل في طياتها أبعادا ثقافية وتنموية في آن واحد، وعبر تسليطها الضوء على إسهامات الأمانة في دعم المشاريع الثقافية والنشاطات العلمية والبحثية المقدمة من جهات حكومية وأهلية تطبيقا لمنهج الشراكة المجتمعية الذي تنتهجه الأمانة في تدعيم ونشر الثقافة بين أفراد المجتمع بما يعزز من دور الوقف في الثقافة المجتمعية، ويحقق شروط الواقفين والمقاصد الشرعية للوقف.

الفُرقة.. مهلكة الأمم

الفُرقة والخلافات والنزاعات مهلكة الأمم وهادمة الحضارات، وأساس كل بلية أصيبت بها الأمة الإسلامية في قديمها أو حديثها، وحتى في واقعها المعاصر، فمازالت أمتنا تكتوي بنيران الفرقة والشقاق، فهي نار وقودها أبناء الأمة، وحرب جنودها وضحاياها أبناء الأمة، وقتال يغنم فيه الأعداء دون قتال أو سجال، وكم من ممالك سقطت وأمجاد زالت بفعل الفرقة والتنازع، وهما من الأمور المنهي عنها شرعا.

والمتأمل في حال الأمة الإسلامية اليوم يجد أن ما بينها من فرقة واختلاف يمكن إرجاعه إلى مجموعة من الأسباب على النحو التالي:

أولا - البعد عن الشرع

إن أول أسباب فرقة الأمة إلى شيع وأحزاب وجماعات وفرق متحاربة متنازعة، إنما هو البعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم الصحابة وسلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

عن جابر قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ، فخط خطا هكذا أمامه، فقال هذا سبيل الله. وخطين عن يمينه، وخطين عن شماله، وقال: «هذه سبيل الشيطان»، ثم وضع يده في الخط الأوسط، ثم تلا هذه الآية.

قال ابن عباس، رضي الله عنهما، في تفسيره لهذه الآية: أمر الله المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله (١).

فالدين هو أعظم وأرجى أسباب الوحدة والاجتماع بين المسلمين، ولذلك جاء الأمر من الله سبحانه بالجماعة والائتلاف والنهي عن الفرقة والخلاف، على أساس رابطة الدين

والتوحيد، قال تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ (آل عمران:١٠٣).

يقول العلامة السعدي - رحمه الله - ثم أمرهم تعالى بما يعينهم على التقوى، وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله. وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عده، من التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام (٢).

وكون أساس الجماعة المسلمة الاعتصام بدين الله، فإن رابطة الدين هذه التي تربط جماعتهم، تعظم وتعلو رابطة الدم والنسب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ (الحجرات:١٠).

ومجتمع على مثل هذه الحالة من التوحد والائتلاف، مجتمع قوي متماسك تقدم فيه مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، يندر أن يحدث فيه تنازع أو شقاق بين أفراده وجماعاته، وحتى وإن حدث في أمر من الأمور بفعل نزغات شياطين الأنس والجن، فما يلبث أن يزول ويعودوا إلى رشدهم، وذلك بالرجوع إلى المرجعية التي يتحاكمون إليها في مثل هذه الأمور وهي الشريعة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ (النساء:٥٩).

وواقع حال الأمة اليوم شاهد على بعدها عن الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كثير من الأمور، مما جعل الأمة متفرقة متشرذمة، بل ومتصارعة عونا لأعدائها على إخوانها!

ثانيا - الانحراف العقدي

من ملامح الفرقة والتناحر بين المسلمين ظهور الكثير من الجماعات والفرق والأحزاب التي تضع الإسلام برنامج عمل لها، تنبثق عنه رؤى وأفكار تحاول أن تطبقها في المجتمع، وتدعو الناس إلى اعتناق أفكارها وتبنيها كحل إسلامي لكل المعضلات التي تعترض الأمة، وهذه الرؤى والأفكار يكون فيها الخير والنفع لو كانت بالفعل قائمة على فهم الدين كما فهمه الصحابة والسلف الصالح ومن تبعهم من علماء ربانين أثبات من أمثال الإمام أحمد بن حنبل، وسلطان العلماء العز بن عبدالسلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية، الذين كانت لهم مواقفهم النابعة من هذا الفهم والتي كان لها عظيم الأثر في حفظ عقيدة الأمة ووحدة جماعتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله: ومن عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل كان مبتدعا وإن كان مجتهدا مغفورا له خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته، وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا (٣).

ولكن، وللأسف الشديد، فإن الكثير من الجماعات والفرق والأحزاب، التي تنتسب إلى الفكر الإسلامي بينها صراعات وخلافات منهجية وايديولوجية، بسبب اختلاف مصادر التلقي لديها التي ينبثق منها فهمها للكتاب والسنة المطهرة، مما قد يؤدي إلى الفهم المشوش والمغلوط للأدلة الشرعية ووضعها في غير موضعها.

ثالثا - النعرات الطائفية

عندما تفتقد الأمة الأساس والرابطة الإيمانية التي قامت عليها، فإنها تفتقد بذلك أمنها واستقرارها، وتقع في مستنقع الفتن والاضطرابات، التي تعرقل جهود التنمية والتقدم، وتمثل النعرات الطائفية والعرقية الخطر الداهم الذي يهدم المجتمعات ويخرب عمرانها من الداخل، ويحل التعاون على الإثم والعدوان محل التعاون على البر والتقوى، فتعم الفوضى، وينتشر القتل والنهب، وتنتهك حرمات الدماء والأعراض والأموال، وتسقط الدولة ويتحول المجتمع إلى طوائف وأحزاب متقاتلة ومتعاركة تحت رايات الطائفية والعرقية والمذهبية.

ومن المسلم به أن وحدة المسلمين

وترابطهم، مصدر قلق دائم لأعداء الأمة منذ البدايات الأولى للدعوة الإسلامية، لأنهم يعلمون علم اليقين أن قوة المسلمين في وحدتهم، وأنهم لن ينالوا منهم طالما بقوا متوحدين، فهي حصن منيع يمنع النيل منهم.

فلقد أثار المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة بترابطه وتآلفه حقد اليهود وضغينتهم، فهم لم يعهدوا العرب من قبل إلا قبائل متناحرة تقوم بينها الحروب سنوات طويلة لأتفه الأسباب، فعملوا على شق صفهم وتفتيت وحدتهم، وسبيلهم إلى ذلك هو إثارة النعرات الجاهلية بكل ما تحمله من مساوئ، وهذا ما قام به اليهودي شاس بن قيس، وكان شيخا قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم.. فعندما مر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة - يعني الأنصار الأوس والخزرج - بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابا من يهود وكان معه فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم فذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب فتقاولا، وقال بعضهم لبعض: إن شئتم رددناها الآن جذعة، وغضب الفريقان وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح، موعدكم الحرة. فخرجوا إليها وتحاوز الناس على دعواهم التي كانت في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه حتى جاءهم فقال: يا معشر المسلمين الله الله.. أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس.

فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (آل عمران:٩٨ و٩٩).

وأنزل في الأوس والخزرج: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ (آل عمران:١٠٠ و١٠١).

وما أشبه الليلة بالبارحة، فالخلافات تضرب بقوة بين مكونات الأمة الإسلامية، أفرادا وجماعات ودولا، تحت دعاوى المذهبية والطائفية والعرقية، بل امتد الصراع إلى داخل البيت الواحد بين الزوجين وبين الأبناء وبين الأخوة، وكل يقاتل تحت رايته، فتعددت الرايات بعد أن كانت واحدة، وتفرقت السبل بعد أن كانت سبيلا واحدا.

وأعداء الأمة ليسوا بعيدين عن هذا المشهد، فهم من يحركه ويغذيه ويشعل نيرانه، لأنه يصب في مصلحتهم، ويطيل غفوة الأمة ويجعلها طيعة لينة في أيديهم.

رابعا - الخطط الاستعمارية

وقعت غالبية الدول الإسلامية، لاسيما العربية منها، تحت نير الاحتلال الأجنبي لسنوات طوال، ولم تتخلص منه إلا منذ عدة عقود، ولكن يأبى المحتل الأجنبي إلا أن يبذر بذور الفتنة والنزاع بين هذه الدول ليؤجج الصراعات بينها ويعرقل أي مشاريع نحو وحدة الدول الإسلامية في المستقبل.

خامسا - السلوكيات الخاطئة

حرص الرسول ﷺ على سد وتجفيف منابع الفرقة ووأدها في مهدها قبل أن تتحول إلى نار محرقة للمجتمع ما تلبث أن تمتد لتحرق الأمة كلها، فهي لا تتوقف عند فرد أو فردين بعينهما فالأمر ليس بهذه البساطة، ولذلك عمل على التأليف بين قلوب آحاد الأمة، وإبعاد كل ما يثير العداوات والضغائن بينهم من سلوكيات وأخلاقيات قد تؤدي إلى فساد ذات البين وإثارة مشاعر الغل والكراهية، وهذا ما ربى عليه أصحابه، رضي الله عنهم، الذين هم نواة الدولة الإسلامية وحملة مشاعل الهداية إلى الناس أجمعين من بعده ﷺ وكذلك من أهتدي بهديهم إلى يوم الدين، فيرشدهم على المستوى الفردي إلى فضائل وآداب تدعم التآلف والتماسك بين المسلمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره. التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من

الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» (مسلم).

واليوم تعددت وسائل وأدوات بث الكراهية بين المسلمين وقطع وشائج الصلة والتراحم بينهم عن طريق بعض وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة والإلكترونية، بما تبثه من مواد تحرض على الفتنة والتدابر بين المسلمين، وتأليب المسلمين بعضهم على بعض.

هذه كلها وسائل تطبع الكثير من أبناء المسلمين بأخلاقيات وسلوكيات تضعف من تماسك المجتمعات المسلمة وتفرغ طاقتها بصورة سلبية وتجعلها هشة ضعيفة.

الجماعة منقذة الأمة

فرقة الأمة وتنازعها تفسح المجال أمام أعداء الأمة لاختراقها، والسيطرة عليها وصدها عن دينها، وفرض مبادئ وأفكار تتعارض مع عقيدتها يحملها أفراد أو جماعات، واستنزاف خيراتها وثرواتها، ولكن وحدة المسلمين وجماعتهم تفوت الفرصة على مثل هذه الأطماع وتفشل مخططات الأعداء في اختراق الأمة والنيل منها.

فلقد كانت وحدة المسلمين صمام أمان ومنقذا لها وقت أن حاقت بها الفتن وهددتها الاضطرابات، وظل الأعداء منتظرين لحظة افتراسها والانقضاض عليها، واستئصال شأفة المسلمين ومحوهم من الوجود، وندلل على ذلك بمثالين:

الأول: حدث بعد وفاة النبي ﷺ، وهو النبي والقائد والحاكم، ولكن سرعان ما أدرك الصحابة، رضوان الله عليهم، خطورة الموقف وضرورة اختيار خليفة لرسول الله ﷺ، فكان اجتماعهم وجماعتهم المباركة في سقيفة بني ساعدة، وانتهى الاجتماع باختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للمسلمين، حدث هذا والرسول ﷺ لم يدفن بعد.

فرغم أن مصاب الصحابة عظيم بموت رسول الله ﷺ، فإنهم أدركوا خطورة هذه اللحظة الفارقة في حياتهم وحياة الأمة الإسلامية بأسرها، كما أدركوا حجم الأخطار المحدقة بهم والفتن التي ما لبثت أن أطلت بموت رسول الله ﷺ، فكان الاعتصام بحبل الله والحفاظ على جماعة المسلمين هو العاصم من هذه الفتن والسلاح الأول في مجابهة أعداء الأمة وصد عدوانهم.

الثاني: في عام ٤١ هجرية يتنازل الحسن بن علي، رضي الله عنهما، عن الخلافة، بعد أن بويع بها، لمعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، ليحقن دماء المسلمين وليصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين ويوحد كلمتهم ويجمعهم على خليفة واحد، تحقيقا لبشارة النبي ﷺ في قيام الحسن بن علي، رضي الله عنهما، بهذا الصلح، ففي الحديث عن الحسن ولقد سمعت أبا بكرة قال: بينا النبي ﷺ يخطب، جاء الحسن فقال النبي ﷺ: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» (البخاري).

وما أحوج الأمة اليوم إلى فقه الحسن ابن علي رضي الله عنهما.

الطريق إلى الجماعة

جماعة المسلمين ووحدتهم فيها الخير كل الخير، وأول السبل إلى وحدة الأمة وأصلها هو كلمة التوحيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ (الأنبياء:٩٢). قال القرطبي: «فالأمة هنا بمعنى الدين، الذي هو الإسلام». وهو الأصل الذي قامت عليه الأمة، فبطلب الوحدة تحت راية التوحيد يزول كل ما ينافي التوحيد من عقائد وأحكام وأخلاق ومعاملات، وتطبيقها في مختلف مجالات الحياة التربوية والسياسية والاقتصادية.

وإعانة المسلمين بعضهم لبعض على المستوى الداخلي للمجتمع وعلى المستوى الخارجي مع الدول الإسلامية وقد جاء الأمر الإلهي بذلك، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ (المائدة:٢)، وهذا التعاون قد يفضي إلى نشوء تكتلات وتحالفات فعالة تدفع الأمة نحو الوحدة الكاملة، وذلك مثل التحالفات والتكتلات الاقتصادية، والسياسية والعسكرية، وهذه الأنواع هي الأظهر في عالم اليوم الذي يتميز بالتكتلات الكبرى والذي لا مجال فيه للكيانات الصغيرة، وقد سبقتنا في ذلك أوروبا باتحادها وتغلبها على ما بينها من خلافات، وهي وإن تحققت إلا أنها وحدة هشة لم تقم على أسس متينة، وزوالها مسألة وقت لا أكثر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٣٢﴾ (الروم:٣١ و٣٢).

ووحدة المسلمين إن تحققت فستكون الأقوى والأبقى، لأنها تمتلك كل مقومات الوحدة من وحدة الدين واللغة والتاريخ والإقليم.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال:٤٦).

الهوامش

١- تفسير ابن كثير
http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/html.aya١٥٣-katheer/sura٦
٢- تفسير السعدي
http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/html.aya١٠٣-saadi/sura٣
٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج ١٣/٣٦١.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

النبي ﷺ وفن صناعة الوحدة!

لا نكاد نجد في حضارة من الحضارات السابقة على الإسلام مبدأ كالوحدة في فلسفته وغايته؛ ذلك أن الإمبراطورية الفارسية والرومانية أقامتا دولتيهما على البطش والجبروت والقهر لجنودها والشعوب التي أرهقتها ذلا واستعبادا؛ لكن الإسلام أعلنها صريحة مذ نزل الوحي على نبينا الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

أعلنها صريحة حين قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات:١٠).

وحدة في البلاء

لقد تجلت مظاهر هذه الوحدة منذ بداية الدعوة الإسلامية، وحين واجهت أكبر العقبات في مرحلة ضعفها في مكة، تجلى ذلك في الأسوة التي وجدها الصحابة رضوان الله عليهم في رسول الله أولا، في تمسكه وعزته بدينه، وفي تضحيته وحبه الشديد لأصحابه، بل حرصه العظيم على أن يدخل أكابر المجرمين في مكة في دين الله، حتى نزل الوحي يهدئ من هذا الحرص: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:٣).

ورغم هذا الحرص النبوي على هداية هؤلاء؛ فقد تجردت قريش من إنسانيتها؛ فأذاقت المسلمين العذاب في وقت كان المسلمون فيه قلة، فعن عمار بن ياسر أنه قال: «رأيت رسول الله وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر». (١)

وهذا ما يؤكده حديث ابن مسعود، فقد روي عنه أنه قال: «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال والمقداد؛ فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد وأتاهم على ما أرادوا، إلا بلالا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد». (٢)

ووسط هذه الأهوال كان لابد من التحرك لإنقاذ هذا المجتمع المسلم الناشئ من الهلاك، فتحرك -الموسر الوحيد في هذا المجتمع- أبو بكر الصديق، وبذل ماله في سبيل شراء هؤلاء الضعفاء من العبيد في بوادر عملية على هذه الوحدة التي غرسها الإسلام في نفس هؤلاء الكبار!.

لذلك روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم، فخرج إلى المدينة في الهجرة وما له غير خمسة آلاف، كل ذلك ينفقه في الرقاب والعون على الإسلام». (٣)

ومع ذلك، اشتد البلاء بالصحابة الكرام، فقد روي عن عتبة بن غزوان: «لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت أشداقنا...» (٤)

وهذا ما يؤكده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قائلا: «كنا قوما يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومرنا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعة شيء تحت بولي، فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها، ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم أستفها، وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثا». (٥)

ولذلك «كانت أحداث المحاصرة في الشعب عاملا من عوامل تزايد التلاحم المادي والمعنوي بين هذا العدد القليل من المؤمنين، وكان صاحب الرسالة ينفق من مال خديجة، وكانت الآيات المكية تزيد وتوجه المسلمين على إيجاد روح التكافل بينهم». (٦)

وحدة المجتمع الإسلامي الأول

جاء المهاجرون من مكة للمدينة وهم مثقلون بالمشاق والآلام، لعل أشدها على النفس ترك الوطن والأهل؛ جاؤوا إلى مجتمع كان يهتم بالزراعة والصناعة، بخلاف مكة التي اعتادوا فيها على التجارة وإدارة الأعمال، كل هذه الصعوبات ما كان لهم أن يتلافوها ويتغلبوا عليها دون وجود يد حانية امتدت إليهم منذ اللحظة الأولى.

أما مدى علاقة المهاجرين بالمجتمع الجديد فكانت علاقة حديثة؛ فقد ترك المهاجرون أهليهم ومعارفهم بمكة وقطعت صلتهم بهم؛ مما ولد لديهم إحساسا بالوحشة والحنين إلى بلدتهم مكة، إضافة إلى اختلاف مناخ مكة عن المدينة وإصابة المهاجرين بالحمى، إلا أن الأنصار قد بلغوا حدا عاليا من الكرم، ومد العون للمهاجرين المستضعفين، فاقترحوا على النبي ﷺ أن يقسم نخلهم بينهم وبين المهاجرين؛ لأن النخل مصدر معيشة الكثيرين منهم، على أن الرسول ﷺ طلب من الأنصار أن يقوموا بإدارة بساتين النخيل ويحتفظوا بها لأنفسهم، على أن يشركوا المهاجرين في التمر. (٧)

كانت عواطف الإيثار والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثال (٨)، فقد روى البخاري: أنهم لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد لعبدالرحمن: أقاسمك مالي نصفين وأزوجك. قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فما رجع حتى استفضل أقطا وسمنا، فأتى به أهل منزله، فمكثنا يسيرا أو ما شاء الله فجاء وعليه وضر من صفرة، فقال له النبي: «مهيم» (٩) قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار قال: «ما سقت إليها؟» قال: نواة من ذهب أو وزن نواة من ذهب. قال: «أولم ولو بشاة». (١٠)

إزاء هذا النموذج الراقي من المعاملة الكريمة من الأنصار لإخوانهم المهاجرين؛ فقد لهجت ألسنتهم بكرم الأنصار، وهذا ما يرويه أنس قائلا: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل، ولا أحسن بذلا في كثير، لقد كفونا المئونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله. قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله عز وجل لهم». (١١)

ولم يقف المجتمع الإسلامي الجديد عند حد الإخاء العابر القائم على الوازع النفسي والأخلاقي فقط، بل شرع النبي ﷺ في تقنين العلاقة بين المؤمنين في إطار مرجعية أعلى، فعد مشروعا تكافليا وحدويا عظيما يحدد العلاقة بين المؤمنين أنفسهم، وبين المؤمنين واليهود؛ ليرفع الدولة الإسلامية الجديدة من طور الضعف إلى القوة والنظام والدقة في ظل بيئة تعج بالجهل وتحرص عليه.

لقد ذكر ابن سيد الناس في عيون الأثر، أن ابن إسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، ووادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس... وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا (١٢) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه، وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (١٣) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم..». (١٤)

لقد كان إصدار هذه مثل هذه الوثيقة تطورا كبيرا في مفاهيم الاجتماع السياسية، فهذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة، وعلى غير أساس رابطة الدم، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار، والمهاجرون في جماعة المسلمين، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في المدينة إلى أمد، ومن خلال تغيير شامل وتحول سريع، وفتح صفحة جديدة أكثر إيجابية، وأقرب إلى الترابط والتكافل والوحدة الفكرية (١٥)، التي لم يعرفها العرب في تاريخهم قبل الإسلام. (١٦)

الهوامش

١- البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب إسلام أبي بكر، رقم: (٣٦٤٤).

٢- رواه ابن ماجه في سننه، رقم: (١٥٠).

٣- السيوطي: تاريخ الخلفاء (ص٣٩).

٤- مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم: (٢٩٦٧).

٥- الأصبهاني: حلية الأولياء (١/ ٩٣).

٦- حافظ عجاج: الإدارة في عصر الرسول (ص١٤٥).

٧- المرجع السابق (ص٢٤٢).

٨- محمد الغزالي: فقه السيرة (ص١٣٨).

٩- أي: ما حالك؟

١٠- البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار، رقم: (٣٥٧٠).

١١- رواه الترمذي، رقم: (٢٤٨٧)، وأحمد، رقم: (١٣٠٩٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

١٢- المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

١٣- أي: طلب دفعا على سبيل الظلم، ويجوز أن يراد بها العطية.

١٤- ابن سيد الناس: عيون الأثر (١/ ٢٦١، ٢٦٢).

١٥- أنور الجندي: الإسلام وحركة التاريخ (ص٣٣، ٣٤).

١٦- راغب السرجاني: رحماء بينهم قصة التكافل والإغاثة في الحضارة الإسلامية (ص١٤٧- ١٥٠).

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

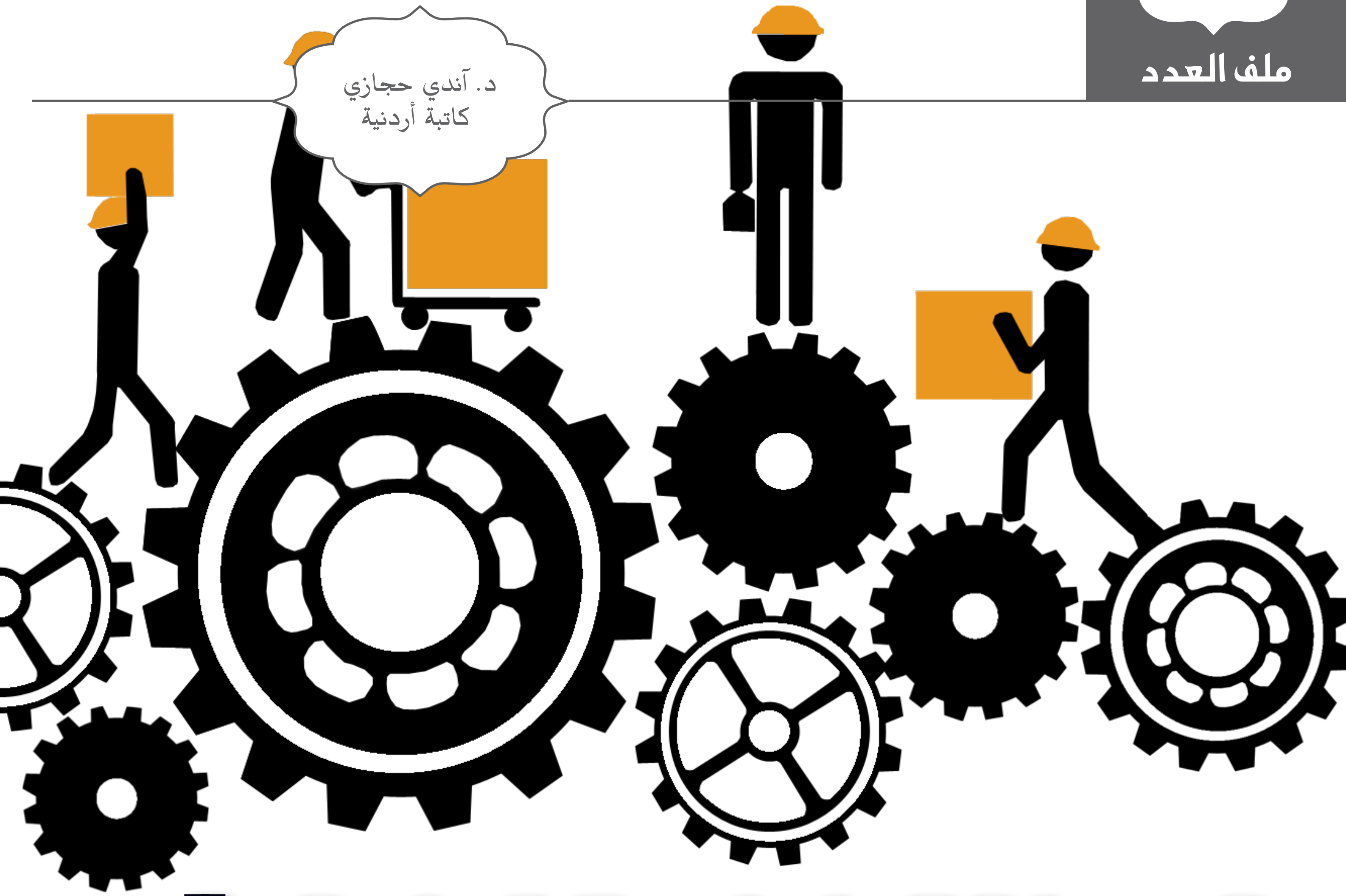

قديما قالوا: في الاتحاد قوة

قديما قالوا: «في الاتحاد قوة، وفي التفرق ضعف»، ومنذ أن كنا صغارا ونحن نسمع هذا المثل، وأغلبنا علم قصته: عندما كان أحد الآباء الحكماء يحتضر، فدعا أبناءه كلهم، وأعطى كل واحد منهم عصا، وقال له أن يكسرها، فكسرها بكل سهولة. ثم أعطى كل واحد منهم مجموعة من العصي (حزمة منها)، وطلب من كل واحد منهم أن يجرب كسرها بنفسه، فلم يستطع أحد كسرها كحزمة، فقال لهم: «وهكذا أنتم يا أبنائي، إن تفرقتم فستضعفون، وإن اجتمعتم وبقيتم يدا واحدة فستبقون أقوياء لا أحد يقدر أن يسلبكم حقوقكم، فاحرصوا على أن تبقوا متحدين حتى يهابكم الآخرون، ولا يطمع فيكم أعداؤكم أو من يتربص بكم».

وأيضا أغلبنا سمع وهو صغير قصة الثيران الثلاثة (الأبيض والأسود والأحمر)، التي كانت متحدة فلم يستطع الذئب النيل منها، ولكنها عندما افترقت وذهب كل منها في اتجاه، سهل القضاء عليها، فافترس الذئب بداية الثور الأبيض، ولم يأبه لذلك الثوران الآخران، ولم يدركا -حينها- أنهما بدآ يضعفان بتفرقهم، حتى أكل الذئب الثور الأسود، فحينها أدرك الثور الأحمر أن الدور سيأتي عليه، وندم حيث لا ينفع الندم وعندئذ قال المثل المشهور: «أكلت يوم أكل الثور الأبيض»، وبالفعل هذا ما حدث.

من منا لم يسمع هذه القصص ويتعلمها في المدرسة منذ أن كنا صغارا؟! ولكننا في الحقيقة لم ندرك مغزاها الحقيقي وهدفها العميق ومدى أهميتها إلا في زمننا الحالي، حينما وقعت الكوارث والخسائر

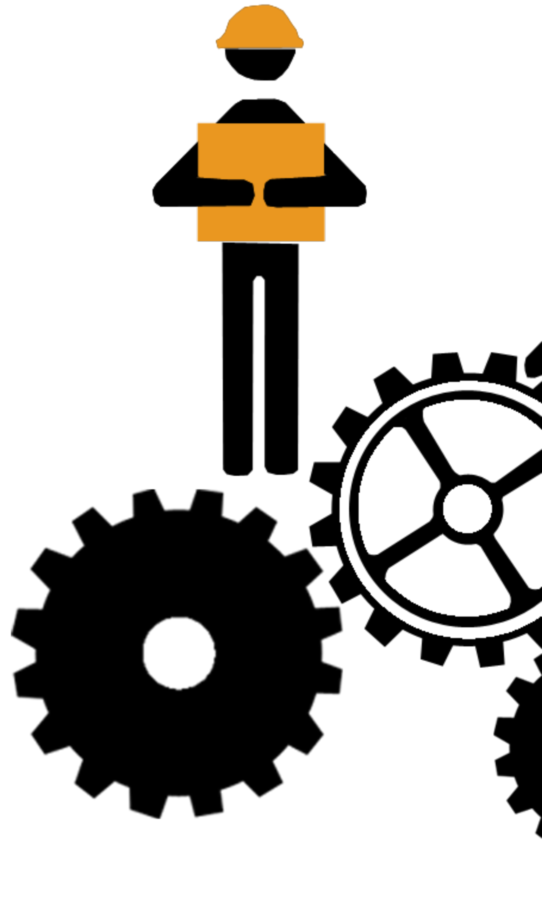

الجسيمة بتفرقنا العربي.

ما أهمية الاتحاد والتعاون العربي؟

إن الاتحاد الذي نحتاج إليه هو ما يجعلنا أقوياء بالفعل في عالم لا يعرف إلا القوة ومنطقها. فالاتحاد معناه توحد في القوى والخطط والأهداف والرؤى والموارد والمعارف والقيم والطاقات والإمكانات بأنواعها: الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، والبشرية، والدينية، والإنتاجية. فنحن نحتاج إلى الوحدة في الأفكار الوطنية، وفي المشاريع الاستثمارية، وفي التصدير والاستيراد، وفي التصنيع والاستهلاك، وفي فرص العمل وتوزيع الطاقة البشرية العاملة، وفي مواجهة المشكلات العربية التي تعصف بنا، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢). فالعالم ينظر إلينا – كعالم عربي مسلم – على أننا جسم واحد مشترك، ويعاملنا على هذا الأساس. لكن واقعنا العربي لا يتوافق مع هذه الرؤية للأسف.

ما نحتاج إليه هو التعاون بين دولنا العربية، فالوحدة والتعاون يؤديان إلى التكامل، وإلى إنتاج الأفضل، وإلى احترام الآخر وتقدير جوانب قوته؛ وينميان الانتماء والشعور بالمواطنة، حيث بالتعاون نستغل كل الموارد المتاحة، وتكتمل النواقص، ونوفر المال، ونقلل البطالة، ونزيد من فرص العمل، وقد قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه البخاري ومسلم). وفيه تعظيم حقوق المسلمين، والحض على تعاونهم وتعاطف بعضهم مع بعض.. قال ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»، وشبك النبي ﷺ بين أصابعه (رواه البخاري).

رسول الله وبناء الوحدة الإسلامية

أدرك رسول الله ﷺ أهمية اللحمة والتوحد في المجتمع الإسلامي فكانت أول خطوة بدأ بها، بعد الهجرة النبوية المباركة للمدينة المنورة، هي بناء المسجد؛ لاجتماع المسلمين واتفاق كلمتهم، ثم المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والتي كانت على أساس العقيدة ووحدة الديانة (وليس وحدة اللون أو اللغة)، فما فائدة هاتين الخطوتين (بناء المسجد والمؤاخاة)؟ هل كانتا من أجل التسلية والترفيه، أم من أجل المعونة على صعوبات الحياة فقط؟ بل كانتا من أجل توحيد الصف واجتماع الأمة، فإن توحدت كلمتها قويت شوكتها وهابها أعداؤها، وإن تفرقت وعاش أبناؤها مختلفين مشتتين ضعفت قوتهم وتلاشى ذكرهم.. فالأهداف العظيمة السامية تحتاج إلى الاتحاد والتعاون والعمل المخلص الجماعي وليس الفردي فحسب.

وقد حذر الله تعالى من مغبة الفرقة والتنازع بين أبناء المجتمع الواحد وبين المسلمين عامة؛ لأنها تورث الكوارث والنكبات المتوالية والضعف، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران:١٠٣) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران:١٠٥)، فقد توعد الله بعذاب شديد من يتفرق ويبتعد عن الدين ويختلف فيه ويأتي بما لم ينزل الله تعالى.

العبادات والاتحاد

وقد جاءت العبادات في ديننا الإسلامي لتشجع على الوحدة والتراص بصفوف واحدة، فشجع الإسلام مثلا صلاة الجماعة وضاعف لها الأجور سبعة وعشرين ضعفا، وشجع على الصلاة في مكة المكرمة والمدينة المنورة من أجل التوحد في أدائها جماعة وبثواب يصل إلى آلاف أضعاف الصلاة الفردية، وذلك تشجيعا لاتحاد المسلمين وتجمعهم؛ لأن في الاتحاد قوة رهيبة وهيبة، فتهابهم الأمم.

وكذلك الحج، فهو عبادة جماعية لا يمكن أن تتم بشكل فردي، فكله تعاون واتحاد وتآلف وتوحد في النيات والأهداف والأركان والأفعال والأقوال والأماكن، ولا يمكن أن يجتمع في

صعيد واحد وبوقت مشترك وبذات الأهداف السامية مثل ما يجتمع في المشاعر المقدسة في مكة المكرمة في موسم الحج، فما أعظم هذا الدين الذي يدعو إلى الوقوف صفا واحدا. والمسلمون في كل أنحاء العالم يصومون الشهر ذاته (رمضان) والفترة الزمنية ذاتها من الفجر إلى الغروب، فهل هناك ديانة هدفت إلى التوحد على الهدف والرؤى والعمل المشترك كالدين الإسلامي؟! وحتى الزكاة، التي هي الركن الثالث من أركان الإسلام، تؤخذ من الأغنياء لتعطى لفقراء المسلمين من أجل أن تبقى الوحدة والقوة والمحبة والألفة بين المسلمين، يشعر بعضهم بحاجات بعض، ويعين بعضهم بعضا، فيبقى بنيانهم قويا مرصوصا كما يفترض أن يكون.

والتاريخ الإسلامي يشهد كم كنا أقوياء ودولتنا الإسلامية ممتدة الأطراف حينما كانت تجمعنا الكلمة الواحدة وغايتنا هدفا واحدا مشتركا هو رضا الله تعالى، فامتدت الدولة الأموية ومن بعدها الدولة العباسية وكذا الدولة العثمانية في أطراف الأرض شرقا وغربا وحكمت العالم بالعدل البشري (قدر الإمكان)، وكانت مثالا يحتذى لوحدة الأمم وتقدمها في كل النواحي؛ فعم العلم والخير والفائدة البشرية جمعاء وعلى الدول التي تحكمها، وأبنائها خصوصا.

الدول الأجنبية والاتحاد

واليوم اقتبس الغرب منا تلك الفكرة (التي ضاعت منا أفرادا وجماعات ودولا)، فجاء توحد الولايات المتحدة الأميركية منذ قرنين من الزمان في ولاياتها الخمسين من أجل هدف واحد وهو أن تصبح دولة قوية، فتوحدت في قيادتها وقوانينها وأهدافها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعلمية والأخلاقية.. وحينما اتحدت في مواردها العلمية والفكرية والطبيعية والمالية والاقتصادية والبشرية.. أنتجت دولة قوية ومتطورة وذات قوة فاعلة لا يمكن أن يستهان بها.

وفي هذا الزمان أدركت أوروبا أيضا ضرورة الاتحاد، فعملت على إنشاء «الاتحاد الأوروبي»، فتوحدت في قوانينها وسياساتها وعملتها ومواردها وخبراتها، فأعطت امتيازات لمواطنيها نتيجة هذا التوحد، كسهولة السفر والتنقل بين الدول الأوروبية، وسهولة استغلال موارد أي بلد منها في التصنيع والإنتاج والتعليم والاستثمار والتوظيف وتوفير المشاريع التحتية المشتركة كالقطارات والطرق والجامعات، فأصبحت أوروبا وحدة واحدة متحدة قوية فاعلة في العالم، لأنها كل متكامل توفر المشاريع والفرص والاستيراد والتصدير والتبادل التجاري والسياحي والثقافي فيما بين دولها.

الاتحاد الذي نحتاج

وما أحوجنا – نحن العرب – في هذا الزمن إلى الاتحاد، وكيف لا نتحد ونحن لدينا مقومات الاتحاد؟! فتجمعنا لغة واحدة، وديانة واحدة، وإله واحد، وكتاب واحد، وتاريخ واحد، وأهداف وطموحات مشتركة، وعادات وتقاليد متشابهة، ولدينا موارد غنية ومتنوعة، وموارد مالية وطبيعية وخيرات لا تحصى، وعقول مفكرة، وشباب متعلم ومتفتح واع لما يريد، فما دمنا نمتلك العقول والموارد والطموحات ومصادر قوى متعددة فلماذا لا نتحد فيما بيننا؟!

فالاتحاد ليس بالضرورة أن يعني قائدا واحدا أو حاكما واحدا، وإنما مجلس واحد، وأهداف مشتركة، وقوانين واحدة، ورؤى متحدة تضعها الدول فيما بينها، ويحترمها الأفراد ويلتزمون بها (كما هو الاتحاد الأوروبي أو الولايات المتحدة)؛ لأنها تعطي الناس حقوقهم وتوفر لهم الراحة والرفاهية ومتطلبات الحياة الأساسية، وبها يعم الأمن والاستقرار والاحترام للإنسان.

ومن الجميل ما نراه اليوم من توحد دول «مجلس التعاون العربي»، فهو يعطي نموذجا يحتذى للتوحد العربي الذي نحتاج إليه، والكلمة الواحدة والأهداف المشتركة والتبادل التجاري ومشاريع البنى التحتية المشتركة، والمشاريع التعليمية والعلمية، وتبادل الخبرات والمنافع، ونتمنى أن يمتد هذا النموذج ليشمل الكثير من الدول العربية؛ حتى تقوى شوكتها كما هي دول مجلس التعاون اليوم في اتحادها.

ولن تقوم لنا قائمة – نحن العرب– ما لم نعد وحدتنا كما كانت قوية، وقد أدرك أعداؤنا أن تماسكنا ووحدتنا هما سر قوتنا، فعملوا، ومنذ بداية القرن الماضي، على تفريقنا، ورسم الحدود بيننا لإحكام سياسة فرق تسد. وما لم نتدارك أنفسنا ونستعد قوانا ونجمع رأينا وشملنا ونجتمع على رؤى واحدة ونسر وفق أهداف تنموية ووطنية مشتركة يجتمع عليها أبناء البلد الواحد على الأقل تبعد الضعف والوهن عنا، تفرقت كلمتنا وأُغري أعداؤنا بالانقضاض علينا.

فوحدة صفنا وأهدافنا واتفاقنا بالجلوس على طاولة واحدة للفئات المختلفة في المجتمع الواحد؛ لتوحيد الأهداف والطموحات بين أبناء المجتمع الواحد، ستكون – بإذن الله – حلا لكثير من مشكلاتنا كالفرقة والضعف والفقر والبطالة وضعف التعليم والبنى التحتية وضعف الإنتاج والتصنيع والموارد... ففي الاتحاد قوة وفي التفرق ضعف، فما زال المثل قائما وبقوة!

أ. د. أحمد
الحجي الكردي
خبير الموسوعة الفقهية
الكويت

وحدة الأمة الإسلامية تنافي الطائفية المفرقة

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢)، وقال ﷺ: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى» (رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري).

من هذين النصين الشرعيين الكريمين نعلم أن على المسلمين أن يتحدوا، ويحققوا قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ فيهم، في أن يكونوا يدا واحدة، وقلبا واحدا، وجسدا واحدا، ويبتعدوا عن كل ما يمكن أن يثير الفرقة بينهم، فلا تفرقهم، ولا مذهبية تمزق وحدتهم، ولا طائفية تباعد بينهم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣)، فكل هذه الاختلافات التي بينتها الآية الكريمة يجب أن تكون عامل تمتين للوحدة، وتأمين لمعالم التكامل بين أعضائها، لا عامل تفريق لها، فالأقرب إلى الله تعالى أكثرهم خدمة للآخرين، وانتظاما بأحكام الإسلام الحنيف، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

ومن هذا الباب أوجب الإسلام على المسلمين المختلفين في الطائفية واللون واللغة و.... أن يجعلوا هذا الاختلاف عنصر تعاون بينهم، لا عنصر تفريق لوحدتهم، ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟﴾، وفي النهاية ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

ومن هنا جَرّم الإسلام كل ما يمكن أن يثير التفرقة بين المسلمين، فلا قتال، «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار» (رواه البخاري)، ولا نميمة، ولا غيبة ولا شهادة زور، ولا غش في البيع والشراء، ولا.....، فإذا اتفق المسلمون في أمور معينة، فهذا هو المطلوب، ثم إذا اختلفوا في أمور أخرى فعليهم أن يتذكروا جميعا أن بينهم نقاط اتفاق هي الأساس في التعامل بينهم، وهي الإيمان بالله تعالى وبرسوله محمد ﷺ، وأن عليهم أن يجعلوا ذلك الاتفاق هو أساس التعامل، وأن يعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، قال الشاعر بهاء الدين زهير لمن عاداه وخالفه:

من اليوم تعارفنا
ونطوي ما جرى منا
ولا كان ولا صار
ولا قلتم ولا قلنا
وإن كان ولابد
من العتب فبالحسنى
فقد قيل لنا عنكم
كما قيل لكم عنا
كفى ما كان من هجر
وقد ذقتم وقد ذقنا
وما أحسن أن نرجع
للوصل كما كنا

وفي ختام ذلك أذكر بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة:٢٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:١٩٥)، وقوله جل من قائل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة:٨).

والله تعالى أعلم.

عبدالله شريف،
محمد عبدالعزيز
دار الإعلام العربية
القاهرة

وحدة الأمة.. حلم ممكن

«أمة إسلامية واحدة وهدف واحد» حلم شغل أجيالا عدة منذ مئات السنين، تكالبت خلالها المحن وتوالت وتكاثرت على هذه الأمة؛ سواء بفعل الأعداء أو تخاذل الأبناء. وفي الوقت الذي يقول الله عزوجل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢)، ويدعونا إلى الوحدة قائلا: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ (آل عمران:١٠٣)، نجد الأمة اليوم وقد ابتعدت عن هذا التوجيه الإلهي، واتسعت الهوة بين أبناء اللغة الواحدة والدين الواحد؛ باستثناء محاولات وتجارب محدودة، مثل «مجلس التعاون الخليجي» الذي أثبت نجاحُه إمكانية تحقيق وحدة الأمة وتلاحمها مرة أخرى.

«الوعي الإسلامي» سألت عددا من المفكرين والمتخصصين في السبيل إلى ذلك، فإلى التفاصيل:

«تحقيق الوحدة العربية والإسلامية في ضوء التجارب السابقة، مثل مجلس التعاون الخليجي أو مجلس الوحدة الإسلامية، ممكن». بهذه الكلمات المتفائلة تحدث السفير محمد الشاذلي، مساعد وزير الخارجية الأسبق وعضو المجلس المصري للعلاقات الخارجية. غير أنه استدرك قائلا: لكن لتحقيق ذلك علينا مراجعة أنفسنا أولا ومراجعة سياساتنا الداخلية والخارجية؛ فمن السهل أن تحلم، لكن كيف تحقق أحلامك؟! وهذا هو السؤال الذي يجب على كل سياسي وعالم دين مسلم دراسته جيدا.

السفير الشاذلي: الوحدة ممكنة إذا بدأنا ببناء إنسان يواجه التحديات

بناء الإنسان

وأضاف السفير الشاذلي: كم نتمنى أن يكتب لمثل هذه الكيانات النجاح وتحقيق الوحدة العربية والإسلامية لتقوى شوكتنا ونصبح صفا واحدا ضد الظلم والطغيان. والطريق إلى ذلك يكون بالاستمساك بقيمنا الأصيلة وعملنا الدؤوب وإصرارنا على إعمار الأرض وحمايتها، والاهتمام بالنواحي الاجتماعية والثقافية، وتحفيز الأفكار الإبداعية كما ربى رسول الله ﷺ صحابته الكرام، مشيرا إلى أننا في عالم اليوم نجد العرب والمسلمين من أكثر الناس المهددين في العالم بسبب المفاهيم المغلوطة، وكذلك تصاعد موجة «الإسلاموفوبيا» التي يبثها أعداء العرب والمسلمين في العالم ويوقدون حطبها.

وتابع: علينا الاعتراف أمام أنفسنا أننا ساهمنا في صنع هذه المشاعر؛ نتيجة أننا سمحنا لأجيال موتورة أن تسيء لنفسها وللإسلام، فضلا عن أن هناك أمراضا عدة ضربتنا؛ منها الجهل والجدل. كما اختفت لدينا الرؤية والرغبة الجادة نحو الإصلاح، وأصبح جل اهتمامنا الاستهلاك وحب النفس والتفنن في الانقسام؛ فاستفرد بنا العدو كلا على حدة.

وأشار إلى أن من أهم عوامل الإصلاح وتحقيق الوحدة وجود مشروعات تبدأ ببناء الإنسان العربي المسلم القادر على مواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين، والعلم أولى خطواتها، مضيفا: لو نظرنا إلى استطلاعات الرأي عن الأمية والبحث العلمي والقتل والدمار وعما يبحث عنه شبابنا على الإنترنت لوجدنا أننا من أكثر الناس الذين تنتشر بينهم الأمية، وأقل الناس إنفاقا على البحث العلمي، وأقل الناس مواكبة لمتطلبات القوة للعصر الحديث، كما يضمحل لدينا الإعلام الذي يحفز الوعي وينميه ويوجه الأجيال الجديدة مقابل الإعلام الذي يتفنن في هدم القيم واستعمال سياسة «مصارعة الديوك» لإلهاء الناس.

نملك مقومات الوحدة

بدوره، يؤكد د. يسري عبدالغني، الباحث في التراث الثقافي والخبير فيه، أن تلاحم أمتنا وتوحدها لم يعد من الأمور التي نتحدث عنها وقتيا ثم تنتهي بالتقادم؛ بل أضحى التلاحم ضرورة حياتية ملحة تعني وجودنا واستمرارنا وتقدمنا.. إذ لا تقدم أو تنمية أو رخاء إلا بالتوحد والعمل الجاد عليه.

وأضاف: إذا أردنا أن نعود تحت شمس الرقي والازدهار كما كنا فعلينا بالوحدة والتلاحم، أفرادا وجماعات ومجتمعات؛ من أجل أن نواجه المتربصين بنا الذين يريدون لنا التفكك والذوبان في الآخر، عن طريق أن نتحارب ونتطاحن لنصبح غثاء أحوى؛ ومن ثم يسهل السيطرة علينا وتحويلنا إلى دمى يحركونها كيفما شاءوا.

د. يسري عبدالغني: نملك كل مقومات الاتحاد.. ومجلس التعاون الخليجي نموذج يحتذى به

وتابع مؤكدا: التوحد هو الطريق لمواجهة خفافيش الظلام والتيارات الهدامة الساعية من أجل أغراضها الشيطانية التي تعمل على تخلفنا وتمزقنا وتأخرنا؛ فهؤلاء لا يعيشون في عالم يضيئه نور الوحدة والتلاحم والحرية أو الخيرية أو النماء الذي يعمل من أجل مستقبل أفضل لنا ولذوينا.

وأشار إلى أن سيد البشر محمدا ﷺ شدد على أهمية أن نتحد ونتوحد ونتراحم؛ فنحن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر أعضاء الجسد بالسهر والحمى، وأن علينا مراجعة ما فعله رسولنا الكريم ﷺ بالمدينة المنورة - أول عاصمة للإسلام - من إعلانه لأول وثيقة لحقوق الإنسان تنص على أهمية الوحدة والتلاحم واحترام الآخر.

وتابع د. يسري: نحن في عصر انتهى فيه أن تكون بمفردك، أو تزعم أنك وحدك وبعدك الطوفان، الطوفان موجود وجاهز، اذهب إليه إن كنت تريد أن تمضي وحيدا؛ وهذا يعني الهلاك المحتم.

وأضاف: نحن نملك كل مقومات الوحدة والاتحاد؛ ديننا الحنيف، لغتنا، عاداتنا وتقاليدنا قيمنا وأخلاقنا وآمالنا المشتركة؛ فلماذا لا نعول عليها فنتحد من أجل واقع أفضل لنا؟! وأحب هنا أن نثمن نموذج مجلس التعاون الخليجي، هذا النموذج الذي نتمنى أن يحتذيه الجميع؛ فهو جدير بالدرس والاقتداء والاتباع، متمنين له كل التوفيق ودوام الازدهار.

د. محمد فؤاد: أربع خطوات لاستعادة وحدة أمتنا

٤ خطوات لتحقيق الاتحاد

أما د. محمد فؤاد، الباحث التاريخي وأستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس، فيقول: الناظر إلى أحوال العرب قديما وحديثا يجد أنهم كلما تجمعوا واتحدوا قويت شوكتهم وسادوا العالم، وكلما تفرقوا لحق بهم الذل والهوان؛ وكأنما خلقهم الله كي يتحدوا. مشيرا إلى أن العرب تربطهم جذور عميقة رغم تتابع الأزمان عليهم؛ منها جذور الدين واللغة والثقافة والأصل، مؤكدا أن نهضة العرب نهضة للعالم كله.

وأضاف أن «الاتحاد العربي» له دلالات قوية تحققه؛ فالشعوب تربطها علاقات قوية رغم بعض العوائق، فالوضع الحالي عبارة عن كيانات صغيرة متوحدة أجزاؤها، وهناك تفرق على مستوى الرأي والقرار وتصدع اجتماعي وأخلاقي وإعلامي ونفسي ضرب أغلب الشعوب العربية، كما أن هناك تفاوتا اجتماعيا هائلا؛ سواء بين دولة وأخرى، أو في نطاق الدولة الواحدة.

وأشار إلى أن الصورة الحالية ليست إيجابية؛ فهناك انهيار في الأخلاق وضعف في مجالات

التعليم والصحة، مجتمعات مشوهة تحتاج العودة إلى الدين، كما تحتاج من مؤسسات العلاقات العامة والتنمية البشرية الحقيقية دورا هائلا وصعبا في تكوين المجمعات العلمية والثقافية، بالتوازي مع قرارات اقتصادية تحقق التوازن بين الشعوب، والخروج من عباءة الهزيمة النفسية والإحباط بالاستعانة بعلماء نفس يرسمون سياسة للخروج من هذه الكارثة.

وتابع: لتحقيق الاتحاد علينا بأربعة أمور أساسية؛ أولها: البحث فيما مضى عن أسباب الصراع، وكيف حدثت هوة الانقسام؛ ومن ثم العمل على إيجاد حلول وتقريب وجهات النظر.

ثانيا: علينا دعم الإنفاق على وسائل الإعلام الملتزمة بالمعايير الإسلامية الإنسانية وحشد همم الشعوب نحو الاتحاد.

ثالثا: تحقيق تنمية ثقافية وفكرية ونشر المكتبات العربية الموحدة لزيادة الوعي.

ورابعا: حث الكيانات العربية الموجودة بالفعل والتي لا ننكر دورها، مثل الاتحاد الخليجي؛ للعمل على محاولة تلاحم الأمة وتوحدها، ومن ثم زيادة التعاون المعرفي والثقافي والاقتصادي، والأخذ بأسباب القوة التي تكفل لهذه الأمة أسباب البقاء وبسط السلام وحفظ الأمن وردع المعتدي.

إرادة النجاح

بدوره، يوضح أستاذ الاقتصاد الإسلامي د. محمد عبدالمنعم عفر أن «الإرادة السياسية» هي سبب نجاح أي مشروع أو أي تكامل اقتصادي أو غير اقتصادي؛ فنجد أن الاتحاد الأوروبي أسس على الاتحاد الاقتصادي رغم كل العقبات والصراعات السابقة، فنجد أن هذه الدول تناست ما بينها من خلافات سياسية من أجل المستقبل والنهضة الحقيقية.

وأضاف أن تقديم الكيانات العربية مشروعات صغيرة لن يسهم في تحقيق مفهوم الاتحاد؛ بل ينبغي العمل على مشروعات ضخمة تؤثر في الناس وتشجعهم؛ ولذلك فإن المشروعات الصغيرة التي يقدمها مجلس الوحدة الاقتصادي لن تحقق المأمول.

وتابع: على الكيانات العربية أن تعي تماما أن الاقتصاد الإسلامي علم ينطلق من أساس شرعي له ضوابط وأحكام وله موضوعات تحتاج إلى فهم دقيق، وليس تقليدا لسياسات الغرب المهلكة التي طبقتها دول عربية وإسلامية فسقطت وانهارت. لدينا أسس كالالتزام بالحلال والحرام ولدينا أولويات في التنمية وضخ الأموال وفيما نستورده ونصدره.

وأشار إلى أن المجتمعات الإسلامية الآن تعاني من ضعف في البنية التحتية مقارنة بدول العالم المتقدم، وضعف في الإبداع وفي اختيار المشروعات؛ لذا يجب قبل التفكير في كيفية النهوض وتحقيق الوحدة أن نفكر في كيفية حل هذه الأزمات.

وتابع: في طريقنا إلى الاتحاد علينا الاهتمام بالتنمية الزراعية؛ فهي ضمان المستقبل، كما يجب علينا إنشاء مشروعات مشتركة وتبادل العمال وتشجيع انتقال رؤوس الأموال بانضباط شرعي، وتعزيز التبادل التجاري، إضافة إلى ضبط سياسة الإنفاق بين الشعوب وإيقاف استيراد السلع الاستهلاكية غير الضرورية.

كما يجب وضع استراتيجية إعلامية تحث على مبادئ العمل في الإسلام وتذكر العرب بدينهم؛ فلا غش ولا تزوير ولا ربا، مع منع الاتجار فيما يضر العقل والنفس والنسل والمال، وعدم الاحتكار بكل أشكاله، والالتزام بالجودة وشروط التعاقد السليم، والبحث ودراسة الأساليب الحديثة في التسويق والإنتاج.

وأضاف: هناك فرص يمكن أن تحققها الأمة إذا ما توحدت وصار لها كيان قوي مثل الاتحاد الأوروبي أو النمور الآسيوية؛ أولها تحقيق إرادة الله في الأرض وإعمارها، وبفكرنا نحقق انخفاض معدل الفقراء وإعانة الضعفاء، وبالاقتصاد القوي يقوى اتخاذ القرار فنحرر الأراضي المغتصبة وننتصر للمظلومين في الأرض ولن نكون أكثر الشعوب اضطهادا.

وأوضح: لتحقيق الاتحاد علينا بداية دراسة الأفكار القديمة وأسباب نجاحها أو فشلها، ثم نبحث عن الإصلاح وتوفير الأيدي العاملة وإشراك الشعوب في تكوين شركات باكتتاب شعبي، إضافة إلى تشجيع الأفكار الشبابية الجديدة في المجالات الاقتصادية المختلفة، وإعداد دراسات جدوى حول النتائج، وعلينا الاستفادة من الأراضي والمواد البيئية والخيرات التي تمتلئ بها أراضينا؛ من خلال سياسات وخطط للتنمية والتطوير، واستغلال الفضاء منها في إنشاء المدارس والملاعب والتعليم وإنشاء مجمعات لتدريب الشباب وتعليمهم المهن الفنية على مستوى واسع، وكذا تطوير العمل المصرفي وتنقيته من الشبهات التي تعارض الدين الحنيف.

وختم قائلا: علينا التوسع في تأسيس مجمعات البحث العلمي على مستوى واسع في كل الدول العربية بإرادة سياسية حقيقية وربط كل الأبحاث بالمشكلات التي نعايشها يوميا، فضلا عن وجود تخطيط كامل لتطوير البنى التحتية لعشرات السنين.

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية-الكويت

الهدي النبوي في وحدة المجتمعات

كان محمد ﷺ أعظم رسول بعث إلى البشرية، وذلك باصطفاء الله تعالى له، فهو أطهر الناس قلبا، وأنقاهم سريرة، ولا تتوقف ميزة نبي الإسلام محمد بن عبد الله ﷺ عند حد الرسالة فحسب، بل لقد كان يتمتع بصفات الإنسان الكامل، فلم يكن محمد ﷺ مجرد ناقل للوحي فحسب، بل كان من أنبه الناس وأذكاهم، ولعل ما وهبه الله تعالى من تلك الصفات الحميدة في النفس والسلوك والعقل ما جعلته مؤهلا لاصطفاء الله له وليكون خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد مارس النبي ﷺ وظائف متعددة، فقد كان رسولا نبيا، وكان معلما ومربيا، وكان قاضيا وحاكما..

إن سياسة الرسول ﷺ في الحكم والخلافة لم تنل الحظ الأوفى من الدراسة والتحليل والإفادة، فقد كان من أهم ما يميز عقلية الرسول ﷺ في الحكم والنبوة الحفاظ على وحدة المجتمعات البشرية، ورغم أنه أمر بالجهاد من قبل الله تعالى، إلا أن مقاتلة الأعداء لم يكن مقصدا لذاته، وقد أبان القرآن عن بعض مقاصد القتال بقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ

ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (الحج: ٣٩، ٤٠).

لقد كانت سياسة النبي ﷺ في بناء دولة الإسلام سياسة حكيمة متميزة، فقد كانت الدول قبل الإسلام لا تقبل التعددية ولا الإثنية، فترى دولتين عظيمين تكادان تسيطران على العالم، هما الفرس والروم، لكل منهما جنس واحد وديانة واحدة، أما دولة الإسلام فقد بنيت على لحمة الوحدة، حيث ضمت منذ تأسيسها عدة إثنيات متنوعة، فمن حيث الدين والمعتقد، هناك المسلمون وهم الأغلبية، وهناك عدة طوائف من اليهود، حيث احتلت اليهودية المرتبة الثانية في الدولة بعد الإسلام، وهناك بعض من كان يعبد الأصنام والأوثان، وهناك بقايا من النصارى المسيحيين، وهناك بعض من كان يتعبد لله على ملل سابقة كالحنيفية وغيرها.

ومن حيث العرق والجنس وجدت تنوعات وإثنيات أيضا، فالمسلمون مهاجرون وأنصار، والأنصار أوس وخزرج، واليهود طوائف متعددة، فهناك يهود بني قريظة، ويهود بني المصطلق، ويهود بني النضير، وغيرهم.

وقد جمع النبي ﷺ كل الأطياف الوطنية للدولة الناشئة تحت دستور واحد، وهو ما عرف بـ«وثيقة المدينة»، والتي قيل عنها: إنها تمثل أول دستور مدني في تاريخ البشرية.

وكان أول نص في وثيقة المدينة ينص على الوحدة والتلاحم والترابط بين المجتمع الواحد، حيث جاء في أول الوثيقة:

«هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن اتبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. أنهم أمة واحدة من دون الناس».

فهذا نص يثبت الوحدة في الدولة الواحدة.

فقد اشتملت الوثيقة الوطنية تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من اليهود، كما نظمت علاقة الدولة بغيرها من القبائل خارج المدينة.

لقد جاء النبي ﷺ إلى المدينة بنظام سياسي جديد لم يكن معروفا عند العرب، فهو نظام يسعى إلى الوحدة تحت راية الدولة الواحدة، وترك النظام القديم الذي كان ينتصر للعشيرة والقبيلة، وأرسى النبي ﷺ عدة قيم حاكمة للدولة من المساواة في الحقوق والواجبات، والتكامل والتضامن بين أبناء الدولة الواحدة مع اختلافهم في الديانة العرق، وكانت تلك نقلة حضارية لم تعهد في العرب من قبل.

لقد ركزت الدولة الجديدة «على كثير من المبادئ الإنسانية السامية، كنصرة المظلوم، وحماية الجار، ورعاية الحقوق الخاصة والعامة، وتحريم الجريمة، والتعاون في دفع الديات، وافتداء الأسرى، ومساعدة المدين، إلى غير ذلك من المبادئ التي تشعر أبناء الوطن الواحد بمختلف أجناسهم وأعراقهم ومعتقداتهم أنهم أسرة واحدة، مكلفة بالدفاع عن الوطن أمام أي اعتداء يفاجئهم من الخارج.

فالمساواة قامت بينهم على أساس القيمة الإنسانية المشتركة؛ الناس جميعا متساوون في أصل الكرامة الإنسانية، وفي أصل التكليف والمسئولية، وأنه ليس هناك جماعة تفضل غيرها بحسب عنصرها الإنساني وخلقها الأول. (وثيقة المدينة، المضمون والدلالة، لأحمد الشعيبي، (ص: ٢٢)، كتاب الأمة).

وقد نص في وثيقة الوحدة على حق كل القبائل والبطون من المهاجرين والأنصار واليهود، ومن اللافت للنظر أنه اعتبر المهاجرين كيانا داخليا واحدا، بينما نصت الوثيقة على بطون من كان ساكنا بالمدينة قبل الهجرة من الأنصار واليهود.

فقد كان من أهم المعالم التي أشعرت بالوحدة الوطنية حرص النبي ﷺ أن يذكر القبائل والبطون والفروع العربية واليهودية في نص وثيقة

الوحدة الوطنية، وهذا مما يشعر الجميع بالمساواة في المواطنة، وأنهم أمام دستور الدولة الجديد وقانونها سواء.

فقد نصت الوثيقة على: المهاجرين، وبني عوف، وبني ساعدة، وبني الحارث، وبني جشم، وبني النجار، وبني عمرو بن عوف، وبني النبيت، وبني الأوس، ويهود بني عوف، ويهود بني النجار، ويهود بني الحارث، ويهود بني ساعدة، ويهود بني جشم، ويهود بني الأوس، ويهود الشطيبة، وموالي ثعلبة، وبطانة يهود».

وحدة القيادة

ومن معالم الوحدة أن جعل للدولة رئيسا وحاكما ترجع إليه الأمور السيادية، وهو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في الدولة، وهو الرسول ﷺ، ولا شك أن وجود رئيس للدولة يسهم في وحدتها الوطنية، بدلا من التصارع القبلي، ومحاولة انتزاع السلطة والتكالب عليها.

فقد كان النبي ﷺ رئيس الدولة وحاكمها، وهو الذي بيده مقاليد الحكم، وهو المرجع عند الاختلاف بين الأفراد أو بين القبائل.

المركزية واللامركزية

ومن معالم الوحدة في الدولة الإسلامية: أنها لم تتعامل مع الأفراد مباشرة، بل ردت كل فرد إلى القبيلة والعشيرة، وهي بهذا تحافظ على التنظيمات الاجتماعية، وتراعي الأعراف والتقاليد، ولا تهدم النظام القديم بأكمله، بل تدخله تحت سلطة وولاية الدولة، ولا يعني هذا أن القبيلة سلطة مستقلة، فلكل فرد أن يأتي ليشكو مظلمته من الآخرين، سواء من قبيلته وعشيرته أو لا، وسواء كانوا من ديانته أم لا.

إن هذا النظام الذي يعترف بالقبيلة هو يشبه نظام المحافظات والولايات باللغة المعاصرة، فكل قبيلة لها شيخ هو مسئول عنها أمام الدولة، وليس مستقلا بالحكم عن الدولة، فكما أن لكل محافظة محافظا معينا من قبل الدولة ونائبا عن الدولة في تسيير الشؤون الداخلية كان الشأن في إبقاء رؤساء القبائل، فهم يعتبرون نوابا عند الدولة في حماية قبيلتهم، وبهذا كسبت الدولة النظام القبلي لصالحها، فاحتوته داخل الدولة وجعلته جزءا منها يقوم بشيء من مهامه، حتى تكون هناك مركزية ولا مركزية في نفس الوقت.

المرونة القضائية

ومن معالم دولة الإسلام في العهد النبوي أنها احتفظت للأقليات بخصوصياتها الدينية، وكفلت لهم حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر حسب ما تقتضيه ضوابط البشرية، كما أعطتها الخيار بين التحاكم إلى قضاء الدولة، وفي ذات الوقت سمحت لهم بالقضاء الخاص بهم، وأنهم مخيرون بين الاحتكام إلى إحدى الجهتين القضائيتين: قضاء الدولة، أو القضاء الخاص.

الوحدة العسكرية

ومن معالم الوحدة الوطنية في دولة الإسلام أنه وحد الجهود العسكرية، وجعل الدفاع عن الوطن متاحا للجميع، وليس حكرا على المسلمين دون غيرهم، بل جعل أبناء الوطن الواحد شركاء في الدفاع عنه؛ وهذا مما يوطد الشعور بالانتماء للمجتمع، وأنه ملك للجميع، وحمايته من الاعتداءات الخارجية، بل ومن الفتن الداخلية؛ لاستتباب الأمن العام، وأن الإخلال بأمن المجتمع مما يعرض صاحبه للعقوبة، سواء أكان فردا أو قبيلة، ومن هنا، لما نقضت اليهود العهد مع رسول الله ﷺ، ووقعت في الخيانة العظمى والتآمر مع المشركين ضد دولتهم، باعتبارهم أفرادا في الدولة الجديدة بنص الدستور والقانون، قامت بعض الحروب التأديبية لمن سمح للمشركين بدخول المدينة للقضاء على نظام الدولة، ومحاولة وقوع الدولة الناشئة وهزيمتها.

الوحدة الاقتصادية

ومما يدعم اللحمة الوطنية الوحدة الاقتصادية بين أفراد الدولة الواحدة، فقد سعى الرسول ﷺ إلى إنشاء وحدة اقتصادية بين أبناء الدولة الجديدة، فشرع لهم التكافل الاجتماعي بين والقبائل، وتعددت صوره، سواء من خلال الفداء بالمال، أو الرعاية للمحتاجين والغارمين، ومن خلال الزكاة بالنسبة للمسلمين، والجزية من غير المسلمين، مع السعي إلى إيجاد جيوب اقتصادية متنوعة، تثري اقتصاد الدولة الناشئة، وتحقق التكافل الاجتماعي بين أفراد الدولة.

إن النبي ﷺ قد قدم نموذجا للدولة الحديثة التي تعني شأن الدستور والقانون الذي أخذ نصوصه ولوائحه من خلال نصوص الوحي قرآنا وسنة، مع التطبيقات العملية ومراعاة الواقع والأعراف بما لا يتصادم مع قطعيات الدين، وأنه ﷺ قدم نموذجا رائعا للوحدة والتعايش، وهذا النموذج - رغم دراسته- إلا أنه يحتاج إلى مزيد رعاية وعناية به، حتى يستفاد منه في واقعنا، ولنا في الرسول وتجربته النبراس المبين، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

د. رضا عبد الحكيم
باحث أكاديمي

حقيقة العلم الذي آتاه ثروته وجلب له أمواله:

قارون.. أسطورة آثاره في مصر

رغم أن القادر سبحانه وتعالى خسف بالباغي قارون وبداره الأرض فكان باطنها قبره بأمواله جلها، فإن بعضهم يقول إن بقايا داره مازالت قابعة ظاهرة للعيان منتصبة متاخمة لساحل محمية طبيعية في مصر، واسمها التوثيقي بحيرة قارون، وأن قعرها مدفون في رماله الغارقة، خزائن الكنوز القارونية الثمينة، ويبالغ المتخيلون بزعم أن عروس البحر وهي كائن بوجه أنثى بشرية وجسد سمكة تحرس الكنز وتقف حائلا دون وصول أحد إليه. ومن المؤسف الترويج لهذه الخرافة وخرافة نسبة أنصاب أو بقاياها إلى الملك الفاني لهذا العاصي المتغطرس، الذي دحر بماله إلى أسفل سافلين آية للعالمين، فلم يتبق منه سوى تاريخه الأسود دون آثاره المادية، كما يزعم الزاعمون، تحت مدعاة الجذب السياحي.. وعلم السياحة أصلا بريء من ذلك.

إن السياحة الدينية في إطارها الباحث في التعريف بحقائق شرعتنا من خلال شرح المعالم الإسلامية وآثارها، لا تصادره الشريعة، بل ويقع علينا التزام بتحقيقه.

من هو قارون وما هي قصته كما نص عليها الكتاب؟ وأي علم كان عند قارون جلب له ما جلب من أموال طائلة؟ ثم ما هي حقيقة المزار السياحي الأثري القاروني على أرض الكنانة؟

هذا ما أحاول إيجازه في السطور التالية:

يقول علماء الآثار أن محافظة الفيوم تحوي مواقع شهدت ميلاد حضارة الإنسان المصري القديم، منها مواقع متاخمة لبحيرة تدعى «قارون» والتي تعد أحد أهم المنتجعات السياحية، حيث تضم منطقة «جرزة» على امتداد الشاطئ الجنوبي للبحيرة، مقابر أثرية كما تضم منطقة «طرخان» إلى جوار مقبرتين أخريين مصطبة كبيرة لها واجهتان من الطوب اللبن، وتحوي الفيوم أيضا «هرم سيلا»، وله شكل مدرج. وفي منطقة «ابجيج» مسلة للفرعون سنوسرت الأول وهرم أمنمحات الثالث ومعبد

اللابيرنت، ومقبرة نفرو بتاح، وتضم معها مقابر التماسيح المحنطة من عهد الفراعنة. ولقد عرفت الفيوم في زمن الفراعنة الأوائل بـ«شجرة النخيل السفلى»، وكان يطلق عليها اسم «بر سوبك» أي دار الإله سوبك، وسماها اليونان اسم «كركود يليوبولس»، وتعني مدينة التمساح، ولقد أطلق اسم «قصر قارون» على المعبد الفرعوني الذي كان مخصصا لعبادة الإله سوبك وهو مبني بنفس طريقة بناء أهرامات الجيزة ومنطقة سقارة ويتكون القصر من صالتين كبيرتين تقودان إلى قدس الأقداس الذي يتكون من ثلاث مقاصير الوسطى للمركب المقدس، والأخريان لوضع تماثيل سوبك، ويوجد تحت قدس الأقداس ممرات، والمدخل الذي يؤدي إلى حجرة الوحي يمكن الصعود منه إلى سطح القصر، وبداخل الغرفة درجات سلم من الجرانيت تؤدي إلى دهاليز وممرات مخترقة القصر عبر الأرض، وتفتح خارج المدينة على بعد ١٠ كم.

من أساطير الفيوميين

أن معبد الإله سوبك معلم باق من قصر قارون الذي خسف به وبداره الأرض، وأن الجزء الظاهر من هذا القصر هو جزء بسيط وأن معظم القصر مدفون في باطن الأرض، وأن هناك نفقا تحت الأرض يصل بين القصر والإسكندرية، وأن من يدخل هذا القصر لا يخرج منه، وأن الوحيد الذي خرج منه أصابه جنون مما رأى تحت الأرض.. وقد وصلت الأساطير أيضا إلى قعر بحيرة قارون الذي يزعمون أنه يحتضن كنوز قارون الغارقة!

الحقائق الشرعية وسيرة «قارون» المخسوف به وبداره الأرض قال الله تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (القصص:٧٦-٨٣).

بحسب ابن كثير، عن ابن عباس رضي الله عنه كان قارون ابن عم موسى، وقال بعض العلماء هو قارون بن يصهر بن قاهث، وموسى بن عمران بن قاهث. ذكر ابن إسحاق أنه كان عم موسى. قال قتادة: وكان يسمى المنور، لحسن صوته بالتوراة. ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري، فأهلكه البغي لكثرة ماله. وقال شهر بن حوشب: زاد في ثيابه شبرا طولا ترفعا على قومه، وقد ذكر الله تعالى كثرة كنوزه، حتى إن مفاتيحه كان يثقل حملها على الفئام من الرجال الشداد. وقد قيل: إنها كانت من الجلود، وإنها كانت تحمل على ستين بغلا، فالله أعلم. وقد وعظه النصحاء من قومه قائلين: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ﴾ أي: لا تبطر بما أعطيت وتفخر على غيرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ﴾ يقولون: لتكن همتك مصروفة لتحصيل ثواب الله في الدار الآخرة، فإنه خير وأبقى، ومع هذا ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ أي: وتناول منها بمالك ما أحل الله لك، فتمتع لنفسك بالملاذ الطيبة الحلال. ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ أي: وأحسن إلى خلق الله كما أحسن

الله خالقهم وبارئهم إليك.﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ولا تسئ إليهم، ولا تفسد فيهم، فتقابلهم ضد ما أمرت فيهم، فيعاقبك ويسلبك ما وهبك.﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فما كان جوابه لقومه عن هذه النصيحة الصحيحة الفصيحة إلا أن قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ يعني: أنا لا أحتاج إلى استعمال ما ذكرتم، ولا إلى ما إليه أشرتم، فإن الله إنما أعطاني هذا، لعلمه أني أستحقه، وأني أهل له، ولولا أني حبيب إليه وحظي عنده لما أعطاني ما أعطاني.

قال الله تعالى ردا عليه ما ذهب إليه: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: قد أهلكنا من الأمم الماضين بذنوبهم وخطاياهم، من هو أشد من قارون قوة وأكثر أموالا وأولادا. وأما من زعم أن المراد من ذلك أنه كان يعرف صنعة الكيمياء، أو أنه كان يحفظ الاسم الأعظم، فاستعمله في جمع الأموال، فليس بصحيح، لأن الكيمياء تخييل وصبغة، لا تحيل الحقائق، ولا تشابه صنعة الخالق، والاسم الأعظم لا يصعد الدعاء به من كافر به، وقارون كان كافرا في الباطن، منافقا في الظاهر، ثم لا يصح جوابه لهم بهذا على هذا التقدير، ولا يبقى بين الكلامين تلازم.

في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ ذكر كثير من المفسرين: أنه خرج في تجمل عظيم من ملابس، ومراكب، وخدم، وحشم، فلما رآه من يعظم زهرة الحياة الدنيا، تمنوا أن لو كانوا مثله، وغبطوه بما عليه وله، في قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ لما ذكر تعالى خروجه في زينته واختياله فيها، وفخره على قومه بها،

قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾. كما روى البخاري، من حديث الزهري، عن سالم، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «بينا رجل يجر إزاره إذ خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة». ثم رواه البخاري من حديث جرير بن زيد، عن سالم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ

نحوه. وقد ذكر ابن عباس والسدي: أن قارون أعطى امرأة بغيا مالا على أن تقول لموسى عليه السلام وهو في ملأ من الناس إنك فعلت بي كذا وكذا. فيقال: إنها قالت له ذلك، فأرعد من الفرق، وصلى ركعتين، ثم أقبل عليها فاستحلفها من ذلك على ذلك وما حملك عليه، فذكرت أن قارون هو الذي حملها على ذلك، واستغفرت الله وتابت إليه، فعند ذلك خر موسى لله ساجدا، ودعا الله على قارون، فأوحى الله إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه، فأمر موسى الأرض أن تبتلعه وداره، فكان ذلك، فالله أعلم.

وقد روي عن قتادة أنه قال: يخسف بهم كل يوم قامة إلى يوم القيامة. ولما حل به ما حل من الخسف، وذهاب الأموال، وخراب الدار، وإهلاك النفس والأهل والعقار، ندم من كان تمنى مثل ما أوتي، وشكروا الله تعالى الذي يدبر عباده بما يشاء من حسن التدبير المخزون، ولهذا قالوا: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وقصة قارون هذه، قد تكون قبل خروجهم من مصر، لقوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ فإن الدار ظاهرة في البنيان، وقد تكون بعد ذلك في التيه، وتكون الدار عبارة عن المحلة التي تضرب فيها الخيام.

عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوما فقال: «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأبي بن خلف» (انفرد به أحمد رحمه الله).

العلم الذي أتى بثروة هذا الباغي

جاء بتفسير الجلالين ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي في مقابلته وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهارون.

في تفسير القرطبي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ يعني علم التوراة وكان فيما روي من أقرأ الناس لها، ومن أعلمهم بها وكان أحد العلماء السبعين الذي اختارهم موسى للميقات وقال ابن زيد: أي إنما أوتيته لعلمه بفضلي ورضاه عني فقوله ﴿عِندِىٓ﴾ معناه إن عندي أن الله تعالى آتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاقي إياها لفضل فيّ وقيل: أوتيته على علم من عندي بوجوه التجارة والمكاسب؛ قاله علي بن عيسى ولم يعلم أن الله لو لم يسهل له اكتسابها لما اجتمعت عنده وقال ابن عباس: على علم عندي بصنعة الذهب وأشار إلى علم الكيمياء وحكى النقاش: أن موسى عليه السلام علمه الثلث من صنعة الكيمياء، ويوشع الثلث، وهارون الثلث، فخدعهما قارون -وكان على إيمانه- حتى علم ما عندهما وعمل الكيمياء، فكثرت أمواله وقيل: إن موسى علم الكيمياء ثلاثة؛ يوشع ابن نون، وكالب بن يوفنا، وقارون، واختار الزجاج القول الأول، وأنكر قول من قال إنه يعمل الكيمياء قال: لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له وقيل: إن موسى علم أخته علم الكيمياء، وكانت زوجة قارون وعلمت أخت موسى قارون؛ والله أعلم.

وبحسب الطبري إنما أوتيت هذه الكنوز على فضل علم عندي، علمه الله مني، فرضي بذلك عني، وفضلني بهذا المال عليكم، لعلمه بفضلي عليكم.. عن قتادة قال: على خبر عندي. قال ابن زيد: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا. وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿عِندِىٓ﴾ بمعنى: أرى، كأنه قال: إنما أوتيته لفضل علمي، فيما أرى وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ﴾ يقول جل ثناؤه: أولم يعلم قارون حين زعم أنه أوتي الكنوز لفضل علم عنده علمته أنا منه، فاستحق بذلك أن يؤتى ما أوتي من الكنوز، أن الله قد أهلك من قبله من الأمم من هو أشد منه بطشا، وأكثر جمعا للأموال، ولو كان الله يؤتي الأموال من يؤتيه لفضل فيه وخير عنده، ولرضاه عنه، لم يكن يهلك من أهلك من أرباب الأموال الذين كانوا أكثر منه مالا؛ لأن من كان الله عنه راضيا، فمحال أن يهلكه الله، وهو عنه راض، وإنما يهلك من كان عليه ساخطا وهكذا ابتلعت الأرض قارون الباغي وقبرت معه كنوزه.

وغير مستبعد أن نقرأ قريبا حول اكتشاف رفات وخزائن ذهب قارون سواء بأدوات نبش الأحافير الأرضية في الفيوم أو تقنيات التنقيب عن الآثار الغارقة في قاع البحيرة أو أعماق ساحل البحر المتوسط الذي تطل عليه الإسكندرية.. ألم يقل بعضهم أن لقصر الإله المقدس سوبك خندق موصل من الفيوم في جنوب مصر إلى الثغر في الشمال؟!

مصطفى القلاوي
داعية أزهري

ثقافة العمل في القرآن والسنة

لقد أرسل الله الأنبياء برسالتين للبشرية، حصر فيهما الغاية من الخلق والإيجاد:

الأولى: رسالة بلاغ وتعريف بالخالق جل وعلا ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ (الأعراف:٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥ – هود:٥٠، ٦١، ٨٤ – المؤمنون٢٣، ٣٢).

الثانية: هي رسالة عمارة الأرض ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هود:٦١).

لم يتحدث كتاب منزل من عند الله أو مؤلف من البشر عن العمل وقيمته كما تحدث القرآن الكريم، ففي ثلاث مائة وتسع وسبعين آية قرآنية، وردت في ثمان وستين سورة، يتحدث القرآن عن العمل المشروع من خلال ثلاثة محاور؛ فمرة يتحدث عن العمل بمعناه الاقتصادي، يقول تعالى: ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ (يس:٣٥)، ومرة أخرى يكون بمعنى الصنعة والخلقة، يقول عز من قائل: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ (يس:٧١)، ومرة ثالثة يقصد به العمل التعبدي، يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

ولقد اتخذ الأنبياء جميعا حرفا وصنائع، أظهروا من خلالها سبيل خلاصهم من عقبات الحياة، وانتصاراتهم في معاركهم الدعوية وغيرها، فقد كان أنبياء الله جميعا عليهم الصلاة والسلام يعملون في

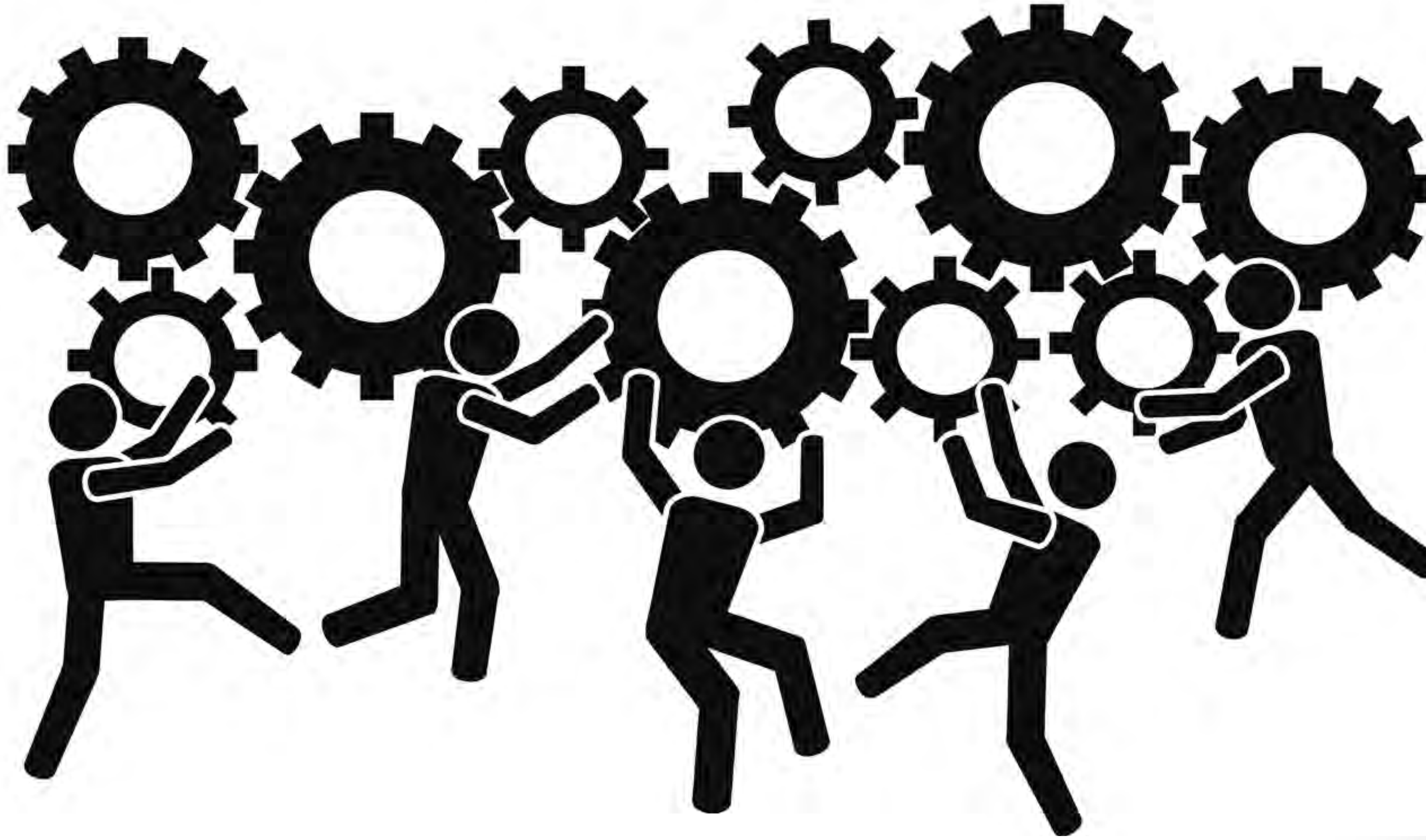

رعي الغنم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة» (رواه البخاري).

لكن كل واحد منهم عليهم السلام كان له عمل خاص، ربما اشترك معه فيه غيره، فقد كان موسى الكليم عليه السلام يعمل راعيا للغنم في أرض مدين؛ حتى أن عمله طيلة عشر سنوات كان مهرا لزوجه ابنة الرجل الصالح.

وكان داود عليه السلام يصنع الدروع وسائر آلات الحرب من الحديد؛ وهو صاحب الصيام المحبوب لله، والمزمار الشجي في الليل، ومشاركة الجبال والطير له في التسبيح والذكر.

وقيل: كان داود عليه السلام يخرج متنكرا فيسأل الناس عن نفسه، ويقول لهم: ما تقولون في داود؟ فيثنون عليه، فقيض الله له ملكا في صورة آدمي، فسأله على عادته، فقال: نعم الرجل لولا خصلة فيه؛ وهو أنه يطعم عياله من بيت المال، فسأل عند ذلك ربه أن يسبب له ما يستغني به عن بيت المال، فعلمه صنعة الدروع.

وكان ابنه سليمان عليه السلام يصنع المكاتل من الخوص ويبيعها للناس؛ وقد وهبه الله الملك العظيم من تسخير الرياح والجن وفهم لغات الطير وسائر الدواب، فسخر كل هذه الطاقات في العمل والعمران.

وكان سيدنا محمد الحبيب ﷺ في مطلع حياته يعمل في رعي الغنم كما سبق في الحديث الشريف، ثم عمل في التجارة مع عمه أبي طالب، ثم تاجر في مال خديجة بنت خويلد زوجه الودود حتى بعثته المكرمة.

فالرسل عليهم الصلاة والسلام يعملون في الأرض ويتكسبون، ويبلغون دعوة ربهم للناس ليهتدوا، فضربوا بذلك أروع الأمثلة في الجمع بين العمل للدنيا والآخرة.

وإنه ليخيل للبعض أن التزام التدين المعتدل، قد يعوق عجلة الإنتاج، ذلك لفهمهم القاصر لرسالة الإسلام على أنها تميت في النفوس حب الحياة والتعلق بها والعمل من أجلها، وأن الإنسان لا اختيار له فيما يستقبله من الغد، لذا فلا حاجة للعمل في الدنيا ولا داعي لإجهاد النفس في إدراك خيراتها.

هذا الفهم روج له الجهل بحقيقة الدين ومقاصده، ورسخ له في النفس ضيق أفق وانعدام بصيرة، وساعد عليه دعاة مزيفون.

لكن الإيمان يدفع للعمل والإنتاج، «فإن الأديان ما شرعت للتفاخر والتباهي، ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء إليها والتمدح بها بلوك الألسنة والتشدق في الكلام، بل شرعت للعمل».

إن الخير لا يكثر والإنتاج لا ينمو إلا بمزيد من الجهد والعمل الدؤوب، ولا يكون هذا إلا بمزيد من الإتقان والإحكام، الذي يتحقق بالإخلاص والمراقبة، ولا يتأتى ذلك إلا بباعث قوي يتولد من نفس مؤمنة مراقبة لربها وإن غاب عنها رب العمل.

كما أن الإيمان الصحيح ليس تصديقا قلبيا مبتور الأثر العملي في الحياة وحسب، وليس حبيس الصدور تخلو من آثاره المجتمعات، بل إنه اعتقاد بالجنان؛ وعمل وإخلاص وإتقان لا

يغادر ساحات الحياة، فإن العمل قرين الإيمان لا ينفصل عنه، كما أن الإيمان لا ينبغي أن يغيب عن جميع مراحل العمل وسائر أنواعه.
لقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونا بالعمل في أكثر من سبعين موضعا من آياته، بيد أنه لم يرض بأي عمل يقوم به المؤمن، وإنما يتطلب في قبول العمل أن يكون عملا صالحا، يقول تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، والصالحات اسم جامع لكل ما تصلح به الدنيا وتعمر به الآخرة معا، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» (رواه أحمد ومسلم وغيرهما).
والدافع الذي يحث المؤمن على العمل هو يقينه أن مكانته في الآخرة موقوفة على عمله وسعيه في الدنيا، يقول تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف:٤٣)، ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (النحل:٣٢)، ويقول جل وعلا: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ (السجدة:١٧).
والحقيقة المغيبة أن كل من ادعى الإيمان ولم يعمل شيئا فلا جزاء له، ومن عمل ولم يأت بالإيمان على الوجه الصحيح فلا قبول منه، تلك قوانين الله وسننه في ملكه، التي لا تحابي أحدا، ولا تجامل مدعيا، مهما كان رسمه ونسبه، فعن ابن عباس أنه قال: «تخاصم أهل الأديان، فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب، ونبينا خير الأنبياء. وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال أهل الإسلام: لا دين إلا الإسلام، وكتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم النبيين، وأمرتم وأمرنا أن نؤمن بكتابكم ونعمل بكتابنا، فقضى الله بينهم فقال: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ (النساء:١٢٣)، هكذا نزلت آيات الله فاصلة عادلة ترد على هذه الدعاوى وتفض هذا التنازع.
إن سنن الله في الدنيا واحدة، لا تفرق في الجزاء على العمل بين مؤمن وكافر، فالأمر الإلهي: أن من عمل وسعى أجر ومن تكاسل وقعد حرم، ومن اعتقد غير هذا فسوف يصادم، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾ (الزمر:٤٧)، كما أنه سيجزى على قدر أفعاله، ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (الزلزلة:٧،٨)
ولا يكفي في قيام المؤمن بالعمل أن يؤديه على أي صورة كانت، بل يلزم أن يجود هذا العمل، وأن يبذل جهدا في إحسانه وإتقانه، يقول النبي ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» (رواه البيهقي في شعب الإيمان وغيره بسند صحيح).
إن الإيمان بالله يأبى على المؤمن أن يفرغ طاقته في العمل غير النافع، أو في السهر العابث غير المجدي، أو في اللهو المحرم غير البريء، فيضيع وقته وتذهب طاقته.
ينبغي على المؤمن أن يحتفظ بطاقته الجسدية والنفسية، فلا يصرفها إلا في العمل الصالح النافع، وأن يضن بوقته، فلا يقضيه في عمل لا يشفع، ولا في لهو لا ينفع، وليضع في حسبانه أن الله سيسأله عنه يوم القيامة، وهو في كل هذا يخشى أن تنفلت أيامه خاوية خالية من العمل الصالح، مع إمكانه أن يطيل حياته بعد انقضاء أجله وانتهاء عمره بكثير أعماله وكثرة عطاياه.
يروى أن رجلا مر بأبي الدرداء، وهو يغرس جوزة، فقال: «أتغرس هذه وأنت شيخ كبير تموت غدا، أو بعد غد، وهذه لا تطعم في كذا وكذا عاما؟! فقال: وما علي أن يكون لي أجرها، ويأكل مهنأها غيري؟» (شرح السنة للبغوي)، فكما غرس لنا من سبق، يجب علينا أن نغرس لمن لحق.
إن الإقبال على الدنيا بعمارتها والعمل في أروقتها، لا يعطل السير إلى الآخرة، ولا يحجب عن مناجاة الله عز وجل، إلا إذا جعل المرء الدنيا غايته ومنتهاه، فالدنيا والآخرة، والعمل والعبادة، ليستا كالضرتين المتعاديتين إذا أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، إنما الدنيا مزرعة للآخرة، تكثر ثمارها بالسعي والعمل: ﴿قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ (الأعراف:٣٢).
كما أن التدين المعتدل ليس انقطاعا عن ركب الحياة ومسايرة الزمان، ولو فهم التدين على هذه الصورة لكان كارثة على العمل والإنتاج، وكيف يعد هذا تدينا والدين نفسه أمر بالعمل وعمارة الأرض؟!، ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هود:٦١)، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ..﴾ (التوبة:١٠٥)، ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣).
فالمؤمن الصادق يعرف بالكدح،

يعطي ويأخذ، يغدو ويروح، إذ ليس في الدين انقطاع تام للعبادة، كما أنه ليس فيه انغماس وتغيب كامل في العمل، إنما يوجد توافق وترابط بين العبادة والعمل، يقول الله تعالى عن العبادة في يوم الجمعة -يوم العيد الأسبوعي-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ (الجمعة:٩، ١٠). فتأتي العبادة -كالصلاة- في الآية بين طرفي العمل والكدح، حيث يسبقها بيع وشراء، ثم يعقبها أمر بالانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله.

كل ما يؤكد عليه الإسلام منذ بزوغ فجره أن يوازن المؤمن في حياته بين عمله لمعاشه وعمله لمعاده، وهذا التوازن الذي اتسم به المنهج الإسلامي من عين البصيرة التي امتدح الله بها عباده الصالحين حين قال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ (النور:٣٦، ٣٧).

وكان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، فقال: «اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين». (رواه ابن أبي حاتم).

وكثيرا ما حض النبي الكريم ﷺ على العمل واحتراف المهن، لينعم المرء من كسب يده لا من تفضل غيره، يقول ﷺ: «ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من أن يأكل من عمل يده..» (رواه البخاري).

وكذلك بين النبي ﷺ فضل العمل فقال: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة» (رواه مسلم).

ولقد كان أصحاب النبي ﷺ أرباب مهن، فكانوا زراعا وصناعا وتجارا متقنين لأعمالهم غير عجزة ولا كسالى، وكيف لهم هذا وقد قال لهم النبي ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها» (رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد في المسند).

هذا تكريم للعمل لذات العمل ولو لم يكن من ورائه نفع لصاحبه، إذ ما هو الهدف المنتظر من غرس فسيلة - شتلة - تثمر بعد عشرات السنين والقيامة ستقوم بعد قليل إن لم تكن قامت، إنه إشارة إلى قيمة العمل ومكانته.

ويعلي النبي ﷺ من قدر العمل الصالح مقرونا بالنية الحسنة، حتى يصل بصاحبه إلى أعلى الدرجات في الآخرة، ففي الحديث عن كعب ابن عجرة، قال: مر على النبي ﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله ﷺ من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله: لو كان هذا في سبيل الله؟، فقال رسول الله ﷺ: «إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان» (رواه الطبراني في المعجم الكبير بسند صحيح).

إن من أهداف العمل أن يحفظ للمرء ماء وجهه، ليظل مرفوعا الرأس بين أقرانه، ولا يخفضها إلا لخالقه عز وجل، فالعمل خير له من أن يدور على الأبواب ليسأل أهلها العطية، فيرد مخزيا، سواء أعطي أم منع، لذا يقول الرسول ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» (رواه البخاري)، ويقول ﷺ: «ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» (متفق عليه).

إن العمل الذي يحقق منافع للبشرية، وينهض بخلافة الأرض من زراعة فالحة، وصناعة متقنة، وتجارة صادقة أمينة، ويحفظ للمرء كرامته، ويملك من ورائه قراره وأمره، ويأمن من خلاله هجمات عدوه، ويمكن به لدين ربه وتبليغ وحيه؛ لهو عين الهدف الذي من أجله خلق الله الخلق وأوجد الوجود، ولن تستطع الأمة القيام بواجباتها -عبادة وعمارة- حتى تعمل دأبا، لتملك من المقومات ما يساعدها على ذلك.

يقول الإمام الراغب الأصفهاني: «التكسب في الدنيا وإن كان معدودا من المباحات من وجه، فإنه من الواجبات من وجه، وذلك أنه لما لم يكن للإنسان الاستقلال بالعبادة إلا بإزالة ضروريات حياته، فإزالتها واجبة، لأن كل ما لا يتم الواجب إلا به فواجب كوجوبه».

فأضحى العمل بضوابطه الشرعية ضرورة يجب القيام به، فهل ستدرك أمتنا هدفها وتعي طريقها، كي تحافظ على حضارتها وتعيد أمجادها وتعود إلى ريادتها وصدارتها.

أتمنى هذا.

حجازي عبدالنبي
ماجستير دراسات إسلامية

من مقاصد القرآن الكريم في العمل الخيري الإنساني

لقد خلق الله عز وجل الإنسان وجعله خليفة له في الأرض، بل أمر الملائكة بالسجود له، وفي ذلك دلالة على جعل هذا المخلوق أحد أهم عناصر ومكونات الحياة على ظهر الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:٣٠). فالحقيقة الكبرى، التي اختصه الله بها دون باقي مكونات الحياة على ظهر الأرض، هي عمارة الأرض والنهوض بها لمستوى لائق بإقامة مجتمع فاضل يسوده الحب والمودة والسعي في تحقيق الحياة الكريمة له، وإقامة حضارة إنسانية راقية تتمثل في عمل إنساني.

مفهوم المقاصد

لغة: جمع مقصد، من قصد الشيء، وقصد له، وقصد إليه قصدا، من باب ضرب، بمعنى طلبه، وأتى إليه، واكتنزه، وأثبته. والقصد: هو طلب الشيء، أو إثبات الشيء، أو الاكتناز في الشيء، أو العدل فيه (١).

ومقاصد الشريعة في اصطلاح العلماء هي: الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسعت إلى تحقيقها وإيجادها والوصول إليها في كل زمان ومكان (٢).

مقاصد العمل الخيري والإنساني: هو مقصد من المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يهدف إلى منفعة الإنسان أيا كان لونه وجنسه وموطنه، يقول ابن سينا: «إن الخير هو ما يتشوقه كل شيء ويتم به وجوده» (٣).

فحينما نقول العمل الإنساني فهو عمل خيري يقول علماء اللغة إن كلمة «الخير تشير إلى كل ما فيه نفع وصلاح، أو ما كان أداة لتحقيق منفعة أو جلب مصلحة» (٤).

وعليه، فإن الخيرية هي صفة لمن يشعر بآلام الآخرين، ويرغب في تحقيق سعادتهم، أو في دفع الأذى عنهم والتخفيف من معاناتهم، يقول أبوهلال أيضا: «إن الإنسان يجوز أن يفعل بنفسه الخير، كما يجوز أن ينفع نفسه بالخير، ولا يجوز أن ينعم عليها؛ فالخير والنفع من هذا الوجه متساويان. والنفع هو إيجاب اللذة بفعلها، أو السبب إليها، ونقيضه الضر، وهو إيجاب الألم بفعله أو التسبب فيه» (٥).

العمل الإنساني الخيري والمصلحة الضرورية

لقد شرع الإسلام الحنيف لكل مصلحة ضرورية للناس أحكاما تنمي فكرهم ووجدانهم، وتسعى في إيجادها وتكوينها، وتحفظ لهم صيانتهم والوقوف بجانبهم فهي متكاملة ومتممة؛ لتأمين المصالح الحاجية والتحسينية لكل مصلحة ضرورية، وذلك ليؤمن للناس حفظ الضروريات، ويكفل بقاءها واستمرارها، ثم أباح الله تعالى المحظورات إذا تعرضت المصالح الضرورية للخطر والتهديد.

وتنحصر المصالح الضرورية للناس في خمسة أشياء، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل أو العرض أو النسب، والمال. ولقد جاءت الشريعة الغراء لحفظ هذه المصالح الضرورية، وذلك بتشريع الأحكام التي تحفظ الدين، وتحفظ النفس، وتحفظ العقل، وتحفظ النسل أو العرض أو النسب، وتحفظ المال (٦).

وقد جعل الشارع الحكيم للناس من الأحكام والحاجيات والتحسينات ما به يحفظ عليهم أعراضهم ودينهم، محافظا بذلك على الذات الإنسانية؛ فشرع الكسب للرزق الحلال النافع، واهتم بالتوجيه والإرشاد لرعاية البدن ومراعاته ليكون طاهرا نظيفا في كل الأوقات، واعتبر هذا الجسم السليم والقوة الجسدية ميزة في الأشخاص، يقول رسولنا: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (٧). وفي الحديث علاج لأمراض النفس، حتى لا يسيطر عليها القلق والاضطرابات والمؤثرات الخارجية.

إن العمل الخيري يجعل في النفس ارتياحا وطمأنينة، ويضفي على المجتمع استقرارا ورخاء وسكينة، ويخفف الآلام والمعاناة عمن يتألم ويتأوه من أوجاعه وأحزانه. والهدف من هذه الأعمال الخيرية والإنسانية هو تحسين نوعية ومنهجية الحياة التي يحياها الإنسان، وكيف يمكن له أن يتغلب على مشكلات الحياة ومتاعبها، ويساهم في السعادة التي يتمناها بعض البشر ولا يجدونها.

العمل الإنساني الخيري والتكافل الاجتماعي

إن مفهوم التكافل في الإسلام يشتمل على معاني البر والصلة والإحسان والوقوف بجانب أهل الفقر والعوز، والزكاة بجميع أنواعها، وكل ما يتصل بهذه الألفاظ؛ مما يعطي معنى التعاطف والتراحم والتعاون المستمر اليقظ بين أبناء المجتمع. ومتى كان المجتمع خاليا من البطالة والفقر والخلاف والشقاق، فإنه بلا أدنى شك، سينعم ويطمئن بتعاون أفراده لخدمة بعضهم بعضا للنهوض بمجتمعهم.

عرف الإمام محمد أبو زهرة رحمه الله «التكافل الاجتماعي» قائلا: «يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلا في مجتمعه، يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار، ثم المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي، وإقامته على أسس سليمة» (٨).

ويعرفه الشيخ عبدالله ناصح علوان رحمه الله قائلا: «أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم، سواء أكانوا أفرادا أم جماعات، حكاما أم محكومين، لاتخاذ مواقف إيجابية؛ كرعاية اليتيم، أو مواقف سلبية؛ كتحريم الاحتكار بدافع من

شعور وجداني عميق، ينبع من أصل العقيدة الإسلامية؛ ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد؛ حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل، ودفع الضرر عن أفراده» (٩).

يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ (المائدة:٢)، إن المتأمل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة ليدرك من خلالها أنها تدعو لفعل الخير والوقوف بجانب أهل الفقر والعوز من المسلمين، وفي ذلك دلالة على التكافل الاجتماعي، يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: «ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهرا» (١٠)؛ وأيضا: «خير الناس أنفعهم للناس» وهذا فيه من الدلالة ما يكفي لفعل الخير وعلو مكانة فاعله، وفيه أيضا حث على ضرورة القيام بمعاونة الناس جميعا وأن يتخذ العون كل أشكاله، يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ (الأنبياء:٧٣).

إن التكافل الاجتماعي والوقوف بجانب الدولة للنهوض بالمجتمع لهو أمر حتمي وضروري؛ يظهر ذلك في الأزمات والمحن، والأوضاع غير الطبيعية التي من الممكن أن يمر بها المجتمع، ويلعب التكافل دورا بارزا في النهوض بالمجتمعات الفقيرة أو غير المستقرة.

إن الإسلام يريد أن يجعل من الحي والشارع وحدة متكاملة متعاونة؛ بحيث يحمون ضعفاءهم، ويطعمون جائعهم، ويكسون عاريهم، وإلا برئت منهم ذمة الله وذمة رسوله، ولم يستحقوا الانتماء إلى مجتمع المؤمنين (١١).

إن التكافل الحقيقي هو التكاتف والتعاون لإيجاد فئة تشيع حب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (آل عمران:١٠٤).

إذن فكل فرد في المجتمع الإسلامي مسؤول في موقعه – مهما اختلفت المستويات والطاقات والأمكنة والأزمنة – لإشاعة المعروف وإزالة المنكر؛ يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (١٢). كما أن المجتمع، أفرادا وحكومات، مسؤول عن حماية دماء الناس وأعراضهم وأموالهم؛ يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: «كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه» (١٣)؛ وذلك ليشيع الأمن والخير والحب في المجتمع».

إن المجتمع الحق هو المجتمع الذي تتماسك أركانه، بمعنى أن يكون بين أفراده تعاون وتفاهم وتناسق ومودة ورحمة. وإنه لمن الضروري أن يستمر بقاؤه وتماسكه حتى لا تهدمه نوازل الزمن وأعباء الحياة، وأن يكون عرضة للخراب والدمار.

وختاما أقول: لقد جاءت الشريعة الغراء، متمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، موجهة ومصلحة للأوضاع المحيطة بالإنسان، ووضعت من الحلول والنظريات ما لو تمسك بها البشر لتجاوزوا النكبات والأزمات ونهض كل منا بوطنه ومحيطه، ولقد أكد القرآن الكريم، مرارا وتكرارا، على حماية الإنسان، ووضع من الوسائل والسبل ما يمكن به أن نحافظ على القضايا الضرورية التي تكفل لنا حياة سعيدة هادئة مطمئنة؛ لأن كل منا يتأثر بمحيطه وواقعه، لذلك وجب على المصلحين أن يقوموا بدورهم في التوجيه والإرشاد والعمل بجدية وعدم الركود لترشيد الإنسان وتقويمه بمعيارية مقاصد الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية.

وفقنا الله وإياكم للخيرات، ونسأله سبحانه أن يفقهنا في الدين ويعلمنا التأويل.

الهوامش

١- القاموس المحيط، ٣٢٧/١، مادة قصد؛ معجم مقاييس اللغة، ٩٥/٥؛ المصباح المنير، ٦٩١/٢.
٢- مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، ص:١٣؛ الأصول العامة لوحدة الدين الحق، الدكتور وهبة الزحيلي، ص:٦١.
٣- كتاب النجاة، لأبي علي بن سينا، ص:٢٢٩.
٤- قاموس المصطلحات الاقتصادية، للدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ص:٢٠٥-٢٠٦.
٥ - الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ضبط وتحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت عام ١٩٨١م، ص:١٦١-١٦٢.
٦- الأصول العامة لوحدة الدين الحق، الزحيلي، ص:٦٠-٦١.
٧- أخرجه مسلم: ٢١٥/١٦، رقم ٢٦٦٤.
٨- انظر: في المجتمع الإسلامي للإمام محمد أبو زهرة رحمه الله.
٩- انظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام لعبدالله ناصح علوان رحمه الله.
١٠- انظر: السلسلة الصحيحة، ٥٧٤/٢.
١١- انظر: مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام؛ للدكتور يوسف القرضاوي، ص:١٣.
١٢- رواه مسلم وأبو داود والنسائي.
١٣- رواه الشيخان.

محمود كحيلة
باحث دراسات إسلامية

محمد ﷺ

في هذه الأيام المباركة لا أطيب من أن نعطر اللسان وننفح الوجدان بقبس من سيرته العطرة، لتكون لنا نورا يغمر حاضرنا، ونبراسا يرشدنا نحو ما فيه خير مستقبلنا، فلننعم لدقائق بنيل خيرات ذكر رسول الله عليه الصلاة والسلام، الذي أشرقت بمولده أنوار الدنيا، في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل على قول عند أهل العلم، العام الذي حاول فيه أبرهة الأشرم هدم الكعبة الشريفة بأفيال عظيمة، ما كان يدري أن للبيت ربا يحميه، تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ (الفيل: ٣-٥).

وقد واكب مولده عليه الصلاة والسلام أمور عظام، منها: أن رأت أمه آمنة حين حملت به أنه خرج منها نور، وقالت عن حملها: «فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه».

ولما ولد عليه الصلاة والسلام صدت المرضعات عنه ليتمه وفقره، حيث مات أبوه عبدالله وأمه حامل به، لأن الأب هو من كان يدفع أجر الرضاع، ويكافئ المرضعة، لكن سرعان ما جاءت إليه حليمة التي كرهت أن تعود إلى ديارها بلا رضيع، وما إن رأت عيناها وجهه الكريم ﷺ حتى شعرت بالرضا والسرور، وتشرفت بإرضاعه ﷺ، فما إن صار في منزلها واستكان إلى حجرها وأقبل عليها حتى فاض منزلها بالخضرة، وأصبحت أغنامها شباعا ممتلئة الضرع، وعاد الدر حاملا في ضرع ناقتها الكبيرة المسنة، بعد أن كان يابسا لا ينتدي بقطرة لبن، وأصبح عبد الله بن الحارث أخاه في الرضاع، والشيماء بنت الحارث أخته في الرضاع، وقد أبصرا يوم حضوره الخير والبركة.

أكرم الله رسوله محمدا ﷺ وآواه في صباه، وحفظه وأنبته نباتا حسنا في كنف أمه وجده عبد المطلب بن هاشم، وقد فارقته أمه وهو في السادسة من عمره، وكفله بعد رحيلها جده عبد المطلب الذي وافته المنية عندما كان عليه السلام في الثامنة من عمره، فكفله عمه أبو طالب، وسار مع عمه إلى الشام في ركب للتجارة وهو صغير في الثانية عشر من عمره، وفي هذه الرحلة أبصره راهب يدعى بحيرا كان عالما بالإنجيل، فجعل يتأمله ويكلمه ويسأل عنه أبا طالب، وأوصى عمه أن ينتبه له قائلا: «ارجع بابن أخيك إلى بلده، واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه ليبلغنه شرا»، فعاد عمه به سريعا إلى مكة.

كان خير الخلق محمد عليه الصلاة والسلام يتأمل الكون ويفكر في خلق الله، وكان يعمل في رعاية الأغنام بقصد اكتساب القوت والرزق، فما إن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب ويجهد جهده، لرفع بعض ما يمكن رفعه من مؤونة الإنفاق عن عمه، وهذه شهامة في الطبع، وبر

في المعاملة.

عرف رسول الله ﷺ بين أهل مكة بأنه صادق أمين، ولهذا السبب أتته تاجرة ذات شرف ومال، هي السيدة خديجة بنت خويلد تستعين به، لما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، وكلفته بأمر تجارتها، وأرسلت معه غلاما لها يدعى ميسرة، وقبل رسول ﷺ وخرج في مالها مع غلامها حتى قدم الشام، فرأى غمامة تظلله ﷺ وتلازمه وتقيه من حر الشمس عندما كان يشتد، وشاهد الراهب الذي رأى الرسول ﷺ تحت شجرة قريبة من صومعته، وقال لميسرة: «ما نزل تحت الشجرة هذه إلا نبي»، وبعد أن عاد من التجارة بربح وفير، وبعد أن علمت السيدة خديجة من غلامها بما كان، أرسلت له صديقتها نفيسة بنت منبه تعرض عليه الزواج بها، فرحب الرسول ﷺ، وطلبها للزواج، فكانت أول امرأة يتزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت رضي الله عنها وأرضاها.

جاء الوحي جبريل عليه السلام إلى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي كانت سنه تدنو نحو الأربعين، حيث كان يتأمل ويتفكر في غار حراء، فتلا عليه أول كلمات التنزيل من القرآن الكريم الآيات الأولى من سورة العلق.

عاد محمد ﷺ إلى زوجته خديجة مرتعدا وقال: «زملوني، زملوني»، فزملوه حتى زال عنه الورع، وأخبر خديجة بما حدث، فذهبت به إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل وهو العالم النحرير، فأخبره رسول الله ﷺ بما حدث، فقال له: «هذا الناموس -أي جبريل- الذي نزل على موسى»، وقال: «ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك»، فقال رسول الله ﷺ: «أومخرجي هم؟»، قال: «نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا»، ولم يلبث ورقة بن نوفل كثيرا حتى توفي.

وقف سيدنا محمد ﷺ على جبل الصفا ينادي: «يا معشر قريش، أرأيتم إن قلت لكم: إن خلف هذا الجبل خيلا تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: «نعم، ما جربنا عليك شيء من قبل، فأنت الصادق الأمين»، فقال لهم النبي ﷺ: «فإني نذير لكم من بين يدي عذاب شديد»، فانفض الناس من حوله وتفرقوا، ولم يذكر عنهم أي رد فعل، سوى أن أبا لهب وجه للنبي ﷺ بالسوء، حيث قال: «تبا لك، ألهذا جمعتنا؟!»،

فنزل قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد: ١).

اضطر المسلمون إلى الهجرة إلى الحبشة خوفا من بطش قريش وفرارا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام، حيث قال لهم الرسول ﷺ: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»، وبالفعل هاجروا فأكرمهم النجاشي ملك الحبشة ووفر لهم الأمن والسلام، ورفض طلب قريش أن يسلم أحدا من المسلمين لهم حتى يسمع منهم، وكلمهم في شأن دينهم، وطلب منهم أن يتلو عليه شيئا مما جاء به الرسول ﷺ، فقرؤوا عليه آيات بينات من أول سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ (مريم: ١-٤)، فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وقال: «إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة»، ورفض أن يعيد المسلمين إلى كفار مكة، وعاشوا في أرضه في سلام وأمان آمنين على أنفسهم ودينهم بعد حياة موحشة أليمة مع كفار قريش.

ولتثبيت فؤاده وليتمكن من إتمام مسيرته في دعوة الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور كانت رحلة الإسراء والمعراج بأمر الحق سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ بما فيها من عطاء روحي عظيم.

اتفق زعماء قريش عندما اجتمعوا في دار الندوة على منع رسول الله ﷺ من الهجرة من مكة إلى المدينة، حيث أشار أبو جهل عليهم أن يأخذوا من كل قبيلة شابا قويا، ويقتلوه بسيوفهم ويضربوه ضربة واحدة قاتلة، فيتفرق دمه بين القبائل، ووقف الفتيان أمام بيت رسول الله ﷺ ينتظرون خروجه لكي يقتلوه،

لكن قدرة الله تعالى فوق كل شيء، إذ خرج رسول الله ﷺ من أمامهم وهم لا يبصرون، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يس: ٩).
هاجر رسول الله ﷺ بصحبة أبي بكر الصديق، وتتبعه أهل الفجور، واقتفوا أثره إلى أن وصلوا إلى غار ثور.
في المدينة حل النبي الأكرم ﷺ قبل بناء بيته عند أبي أيوب الأنصاري، بعد ذلك بني الرسول ﷺ مسجده موضع العلم وعنوان السعادة على الأرض التي بركت فيها ناقته عندما جاء إلى المدينة، وهذه الأرض كانت مملوكة ليتيمين من بني النجار، هما سهل وسهيل ابني عمرو، واشتراها الرسول ﷺ منهما بعشرة دنانير من مال أبي بكر، وأبى أن يقبلها منهم هدية، لأن له في العدل عادة.
أشعل شاب يهودي فتنة بالمدينة عندما ذكر الأوس والخزرج بحرب بعاث فتنازعوا، وكادوا يقتتلوا، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم ومعه أصحابه حتى جاءهم، فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع عليكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر..»، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مطيعين، إذ صرف الله عنهم كيد عدوهم.
في السنة الثانية للهجرة كانت غزوة بدر في السابع عشر من شهر رمضان وانتصر فيها المسلمون انتصارا عظيما على المشركين، وقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش، وأسر من أسر من أشرافهم رؤوس الكفر، وبعد هزيمة الكفار في بدر الكبرى تنادوا إلى الثأر، حيث كانت مصيبتهم أليمة، فكانت غزوة أحد التي جهزوا لها جيشا من ثلاثة آلاف رجل ومئتي فرس لملاقاة المسلمين، والتقى الجيشان، وانتصرت قريش بسبب تجاهل المسلمين لأوامر محمد ﷺ عندما حذرهم من ترك أماكنهم الدفاعية بقوله: «لا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطئناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»، لكنهم عصوا أمر الرسول ﷺ وانكبوا على الغنائم، فلقوا هزيمة عظيمة بعد أن كان النصر معقودا، وكان هذا درسا عظيما للمسلمين أصبحوا بعده أشد حذرا ويقظة، ولم يغلبوا بعدها إلى يوم الفتح المبين.
خرج رسول الله ﷺ وأصحابه في شهر ذي القعدة في العام السادس للهجرة معتمرا لا يريد حربا، وأحرم للعمرة ليأمن الناس من حربه، وليعلموا أنه إنما خرج زائرا للبيت ومعظما له، ولا يريد قتالا، لكن قريش صدتهم عن البيت الحرام وقالوا: «لا يدخلها علينا عنوة أبدا»، ولكنهم قبلوا الصلح الذي سمي صلح الحديبية بشرط أن يعود المسلمين في ذلك العام، على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل، واستجاب لهم رسول الله ﷺ رغم أنه كان يقدر عليهم، ولكنه كان بهم رفيقا، فقام إلى هديه فنحره، ثم جلس فحلق رأسه، فلما رأى الناس ذلك تواثبوا ينحرون ويحلقون.
في السنة الثامنة من الهجرة في شهر رمضان جهز رسول الله ﷺ جيشا قوامه عشرة آلاف مقاتل، وتحرك حتى دخل مكة سلما بدون قتال، ولما نزل بمكة جاء الكعبة وطاف بها، وجعل يطعن الأصنام التي كانت حولها بقوس كان معه، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (الإسراء: ٨١) وكسرت كل الصور والتماثيل التي في الكعبة.
ولما حانت الصلاة أمر بلال أن يصعد على الكعبة ويؤذن للصلاة، فصعد بلال وأذن، ولم يأخذ رسول الله ﷺ بالثأر من قريش، بل عفا عنهم رغم قدرة الجيش على إبادتهم، وقد جاء إعلان العفو عنهم وهم مجتمعون قرب الكعبة ينتظرون حكم رسول الله ﷺ فيهم، فقال: «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: «خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم» فقال: «لا تثريب عليكم يغفر الله لكم»، ودخل الناس في الإسلام أفواجا يوم الفتح المبين.
في الخامس من شهر ذي القعدة سنة (١٠) هجرية أعلن الرسول ﷺ عن عزمه زيارة بيت الله الحرام حاجا، فخرج معه أكثر من مائة ألف من المسلمين من الرجال والنساء، ثم أحرم للحج، وعند جبل عرفة ألقى خطبته الخالدة التي تعتبر دستورا للدولة الإسلامية الجديدة، مناديا بالمساواة بين البشر، مبينا قواعد الإسلام، حيث قال ﷺ: «أيها الناس، اسمعوا قولي، إن ربكم لواحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟، اللهم فاشهد».
وكانت هذه الخطبة بمثابة تثبيت للصحابة والمسلمين رضي الله عنهم، وكانت بمثابة نعي لرسول الله ﷺ، الذي قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣).
رحل سيدنا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين -بعد أن أضاء بنوره ظلمات الجهل- فجر يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، من العام الحادي عشر للهجرة، عن ثلاث وستين عاما من العمر، قضى أربعين منها قبل البعثة، وثلاثة عشر عاما يدعو إلى الله في مكة، وعشر سنين قضاها في المدينة بعد الهجرة، وما ترك دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة.
فأكثروا من الصلاة على رسول الله ﷺ، فإن الصلاة عليه نور وضياء، نسأل الله أن يرزقنا اتباع سنة الحبيب محمد ﷺ، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يسقينا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا.

المنشاوي الورداني
باحث في التراث

أحجبة الخرط: فن إسلامي أصيل

نجحت العمارة الإسلامية في تحقيق التوازن بين المادة والروح من خلال مجموعة من الأسس والقواعد والتراكيب المعمارية التي إن تأملتها تجدها مستوحاة من الثقافات الأخرى، والمعماري المسلم استطاع بذكائه توظيفها لتتوافق مع قيمه وثقافته.

وقد واجه المعماري في ديار الإسلام مشكلة كبيرة بسبب تعرض معظم بيوتات الناس لضوء الشمس لفترات طويلة خاصة أن المنطقة العربية وضواحيها في الدولة الإسلامية تقع في المنطقة شبه المدارية. واستطاع أيضا بذكائه القضاء عليها بتقنين هذا الضوء باستخدام المشربيات أو المشرفيات وهي أحجبة من الخشب الخرط والتي استخدمت لتغطية الفتحات بالمباني ولترشيد مرور شعاع الشمس بالخشب المخروط والبرامق المخروطة.

وسمحت هذه المشربيات بدخول الهواء ومنعت دخول الشمس وحققت نوعا من الخصوصية بجو جميل يتمتع فيه الساكن بالرياح اللطيفة والهواء النقي مع الضوء الخافت الهادئ كما حجبت الرؤية عن المتلصصين الراغبين في النظر إلى ما داخل البيوت. وبذلك جاءت متوافقة مع الظروف المختلفة للمجتمع الإسلامي.

وكانت طبيعة المشربيات في ديار الإسلام جزءا بارزا عن سمت حوائط المباني التي تطل على الشارع أو على الفناء الأوسط للبيوت، حيث يستند هذا الجزء البارز إلى «مدادات» تربط الجزء البارز من المنزل وتتم تغطيته بحشوات من «البرامق» المخروطة والتي تعطي أشكالا زخرفية وهندسية ونباتية أو كتابات عربية.

وقد استخدم المعماري المسلم أسلوب الخرط لتشكيل تلك البرامق ويتم تشكيلها في ورش خاصة حيث تدور بين يدي نجار محترف أو يتم صبها في قوالب جميلة من الرخام أو الجص أو الأسمنت. والغالب في نظام خرط الخشب أن يقوم النجار باستخدام آلة حادة على هيئة أسطوانية ذات أطراف أقل اتساعا في محيطها من الوسط، وتكون تلك المناطق في الأطراف هي نقاط الاتصال مع البرامق الأخرى باستخدام أسلوب التعشيق دون الحاجة لاستخدام المسامير المعدنية أو مواد اللصق لصناعة المخروطات الخشبية من أي حجم.

ويفرق صناع المشربيات بين نوعين من الخرط، الأول دقيق الحجم ضيق المسافات بين البرامق المخروطة ويعرف بالخرط الميموني، بينما يتميز الثاني بالبرامق الكبيرة والمسافات الواسعة فيما بينها ويعرف بالخرط الصهريجي.

وفي كلا النوعين يتحقق الهدف الذي كان ينشده الفنان المسلم من إيثاره لفن الخرط في المشربيات حيث يتم كسر حدة أشعة الشمس والاستفادة من حرارتها وضوئها بأسلوب رشيد فني جميل، كما يسمح لساكنات الوحدات السكنية القديمة بأن يضعن ثيابهن دون تلصص من المارين، وكذلك الاطلاع على العالم الخارجي دون أن يشعر أحد بسكان الدار. وتم تحقيق التوازن بين كل من الخرطين الميموني والصهريجي فتم تخصيص الأول الضيق الفتحات للنوافذ الخارجية المطلة على الطريق والثاني الواسع الفتحات للشرفات المطلة على فناء البيت أو ساحة الدار. وقد يتم استخدام الخرطين معا في المشربية الواحدة بحيث يضمن الساكنون التهوية والإضاءة من أعلى باستخدام الخرط الواسع الكبير الحجم، ويؤمنون الحجاب الساتر من أسفل باستخدام الخرط الضيق الدقيق الحجم. وقد ظهر الخرط الصهريجي العظيم البرامق جليا في مساجد القاهرة المملوكية، وتمتعت مساكن بغداد وجدة ومدن الخليج بالخرط الميموني الدقيق وكان يعرف لديهم باسم الشنشيلة.

ولقد أكد خبراء العمران أهمية

دراسة العناصر البيئية والمناخية التي تؤثر على تصميم المباني والفراغات الخارجية من أجل تهيئة وتوفير المناخ المناسب لراحة الإنسان سواء داخل المباني أو في الفراغات الخارجية في المحيط العمراني. كما أكدوا ضمن هذه العناصر أهمية الظلال كإحدى وسائل تحقيق الراحة الحرارية، لذلك استخدم العرب والمسلمون الوحدات الزخرفية الضيقة أو ما نسميها في هذا البحث بأحجبة الخرط والبرامق في الشرفات والنوافذ لكسر حدة أشعة الشمس، وتم استخدام البروزات في واجهات المساكن الإسلامية لزيادة كمية التظليل.

ولم يتوقف الفن في تركيب البرامق عند جماليات تباين الظل والنور التي تميز أحجبة الخشب الخرط، بل راح يزيد عليها خططا تشكيلية تعظم القيمة الفنية والزخرفية لتلك الأحجبة حتى ليظن أن الغرض من وجودها هو غرض جمالي قبل أن يكون نفعيا. فقد لجأ الفنان إلى تركيب البرامق داخل إطارات متنوعة الأشكال من مربعات أو مستطيلات مختلفة المساحات ورص هذه الإطارات في أشكال زخرفية ثم زاد بتشكيل البرامق ذاتها على هيئات زخرفية متنوعة فمنها ما بات يعطي أشكالا مثل المشكاوات والرسوم الهندسية أو النباتية المجردة ومنها أيضا ما احتوى على كتابات بالخط الكوفي المربع الذي تلائم طبيعته الهندسية أشكال البرامق الخشبية وطريقة اتصالها ببعضها. ويلاحظ أن الفنان العربي عندما يتعامل مع العناصر النباتية والهندسية، وقوامها من الخطوط المنحنية والمستديرة والملتفة - إنه يفعل ذلك مع مراعاة التقابل والتوازن، ويلاحظ أيضا عدم وجود بداية أو نهاية لها، وهي تمتد وتأخذ في الامتداد لتعبر عن الأزلي، وعن انطلاقة الروح إلى ما يسمى التآلف العذب للوصول إلى التيه الأعذب، بواسطة الدوائر المتماسة والمتحاورة والخطوط المنكسرة والمتشابكة، فضلا عن وجود المثلث والمربع والشكل الخماسي والسداسي، كما يتضح لنا في تلك الزخارف التي أبدعها الفنان المسلم، وزخرف فيها أبنيته ومساجده ومنازله وأسواقه.

كما كان الفنان المسلم يبحث عن عوامل جذب الانتباه في ملامح إبداعاته من حيث الشدة والحركة والتباين والموقع والاختلاف والائتلاف والتفرد. إنه - لو لاحظت عزيزي القارئ - قد استفاد من استعداد الإنسان لأن ينتبه إلى الأشياء المتحركة، فيكون بفن كأحجبة الخرط وما يشبهها قد حول الكتلة الصماء إلى حركة دائبة في حيوية، حيث تنتقل العين من جزء إلى جزء أعلى وأسفل يمينا ويسارا محققا الحركة من خلال تلك العناصر التكرارية وترمز الحركة إلى ديمومية الحياة، والسكون إلى الموت والفناء. كذلك الوحدات والعناصر التكرارية كالمخروطات الخشبية والحجرية التي يسميها البعض دروات كالبصلات المقلوبة أو مدادات وكوابيل أو كما اشتهرت حاليا بالبرامق وأحجبة الخرط - كل ذلك وما يشبهها من المشكاوات والأطباق النجمية والزجاج المؤلف بالجص - كل هذه المعالجات شكلت بعناصر تكرارية جعلت عين المشاهد تتجه إليها لأنه ليس لها مثيلة في الحضارات السابقة، بل هي إبداع إسلامي صرف تمخضت عنه عقلية الفنان المسلم فأبهر العالم كله، وهذا الإبهار والانبهار صفة لازمت الفنون الإسلامية.. أكدتها العناصر والأساليب التكرارية، وهنا تظهر وظيفة التكرار في الذيوع والانتشار.

وإذا كانت أحجبة الخرط موجودة في نماذج بدائية منذ العصر اليوناني والروماني فإن الفنان المسلم قد احتضن هذا الفن وأضفى عليه طابعه الإسلامي الخالص، حيث ارتدت المشربيات أثوابا قشيبة تنطق بالجمال والروعة، بابتكار أشكال علاقات هندسية، لم تعرف في صناعة الخرط من قبل، حيث أبدع الفنان المسلم طرازا هندسيا لم يكن مبتكرا من قبل يبحث عن العلاقة بين مركز الدائرة والمثلثات والخطوط المتوازية والمتقاطعة، مع تكرار الوحدات، ويظهر ذلك بوضوح في واجهات العمائر الإسلامية سواء كانت منزلا أو مدرسة أو سبيلا، والتي ترجع معظمها إلى العصر المملوكي كالقاطوع الخشبي المنقول من مدرسة السلطان حسن إلى متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وفي مجموعة المشربيات في منزل زينب خاتون وبيت السحيمي، وفي منازل القاهرة ورشيد وفوة، والتي ترجع إلى العصر العثماني. وبتميز المشربيات بتلك البرامق الفنية أو أحجبة الخرط صارت زينة البيوت العربية، واستخدمت على نطاق واسع في العمارة الحجازية، وإن اختلفت المشربيات في تسميتها، حيث عرفت بالروشن أو روشان، وهي تعريب للكلمة الفارسية (روزن)، وتعني النافذة أو الشرفة، وقد تجلى ذلك على نطاق واسع في منازل مدينة ينبع وجدة، والطائف والمدينة المنورة، حيث بلغت من الكثرة بحيث يتصل بعضها ببعض، أما في اليمن وبصفة خاصة في مدينة صنعاء، وما حولها، فقد استعمل بها طراز يمني أصيل، عبارة عن مشربيات مصنوعة من الحجر، بدلا من الخشب، ولم تعرف اليمن المشربيات الخشبية إلا في القرن ١١هـ ١٧م، وذلك بتأثير من الفن العثماني، حيث عرفت باسم الشبابيك التركية، كما استعملت المشربيات في مدينة القدس دون غيرها من المدن الفلسطينية، كما يوجد في مدينة المنامة والمحرق في البحرين نماذج قليلة من المشربيات، كما اتخذت في طرابلس بلبنان وسواكين في السودان، وفي بلاد المغرب، وإن اختلفت في بعض تفاصيلها عن المشربية المصرية.

رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٢)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

هذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، خصوصا طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «السبكي»

١- تقي الدين السبكي (ت٧٥٦هـ)

هو أبوالحسن تقي الدين علي ابن عبدالكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات.

ولد في سبك (من أعمال المنوفية بمصر)، وانتقل إلى القاهرة، ثم إلى الشام، وولي قضاءها، ثم عاد إلى القاهرة، فتوفي فيها.

من مصنفاته: «الدر النظيم في التفسير»، لم يكمله، و«مختصر طبقات الفقهاء»، و«إحياء بالنقوس في صنعة إلقاء الدروس»، و«الإغريض في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض»، و«التمهيد فيما يجب فيه التحديد»، و«المسائل الحلبية وأجوبتها» في فقه الشافعية، و«السيف المسلول على من سب الرسول»، و«شفاء السقام في زيارة خير الأنام»، و«الابتهاج في شرح المنهاج» في فقه الشافعية، وغير ذلك (١).

٢- بهاء الدين السبكي (ت٧٦٣هـ)

هو بهاء الدين أبوحامد أحمد بن علي بن عبدالكافي السبكي.

ولي قضاء الشام (سنة ٧٦٢هـ) فأقام عاما، ثم ولي قضاء العسكر،

وكثرت رحلاته، من مصنفاته: «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح».
ومات مجاورا بمكة (٢).

٣- تاج الدين السبكي (ت٧٧١هـ)

هو تاج الدين أبونصر عبدالوهاب ابن علي بن عبدالكافي السبكي، قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر).
ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي فيها بالطاعون.
وكان طلق اللسان، قوي الحجة، انتهى إليه قضاء في الشام وعزل. قال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يجر على قاض مثله.
من تصانيفه: «طبقات الشافعية الكبرى»، و«معيد النعم ومبيد النقم»، و«جمع الجوامع في أصول الفقه» و«منع الموانع على جمع الجوامع»، و«الأشباه والنظائر»، و«الطبقات الوسطى»، و«الطبقات الصغرى» (٣).

٤- ابن عبدالبر السبكي (ت٧٧٧هـ)

هو بهاء الدين أبوالبقاء محمد بن عبدالبر بن يحيى السبكي، فقيه شافعي مصري، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب.
ولد سنة (٧٠٧هـ)، ولي قضاء دمشق، ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولي قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير.
ولم يجتمع لأحد من معاصريه ما اجتمع له من فنون العلم مع الذكاء المفرط ودقة النظر وحسن البحث وقوة الحجة.
من مصنفاته: «مختصر المطلب في شرح الوسيط» في فقه الشافعية، و«شرح الحاوي الصغير للقزويني» في فقه الشافعية أيضا، وقطعة من «شرح مختصر ابن الحاجب» (٤).

٥- شهاب الدين السبكي (ت١٠٣٢هـ)

هو شهاب الدين أحمد بن خليل ابن إبراهيم السبكي، ولد سنة (٩٣٩هـ)، فاضل مصري، له مصنفات حواش وشروح في الفقه وغيره، كـ «مناسك»، و«فتاوى»، و«فتح الغفور بشرح منظومة القبور المسماة بالتثبيت عند التبييت للجلال السيوطي» (٥).

٦- أبومحمد السبكي (ت١٣٥٢هـ) «معاصر»

هو أبومحمد محمود بن محمد بن أحمد بن خطاب السبكي، فقيه مالكي أزهري.
ولد في «سبك» من قرى أشمون بالمنوفية، وتعلم بالأزهر كبيرا، ودرس فيه، وأسس الجمعية الشرعية وترأسها من سنة: (١٣٣١هـ إلى سنة ١٣٥٢هـ)، وتوفي بالقاهرة.
من مصنفاته: «إرشاد الخلق إلى دين الحق»، و«تحفة الأبصار والبصائر» رسالة في مسألة فقهية، و«الرسالة البديعة» فتاوى في النهي عن بعض البدع، و«غاية التبيان» رسالة في ثبوت الصيام والإفطار، و«شرح سنن أبي داود»، و«فصل القضية، في المرافعات وصور التوثيقات والدعاوى الشرعية» (٦).

المتفق والمفترق في اسم «ابن كثير»

١- ابن كثير (ت٧٤٤هـ) «أحد القراء السبعة»

هو أبومعبد عبدالله بن كثير الداري المكي، أحد القراء السبعة، ولد بمكة سنة ٤٥هـ، كان قاضي الجماعة بمكة، وكانت حرفته العطارة، ويسمون العطارة «داريا» فعرف بـ «الداري»، وهو فارسي الأصل، توفي بمكة (٧).

٢- عماد الدين بن كثير (ت٧٧٤هـ) «الحافظ»

هو عماد الدين أبوالفداء إسماعيل ابن عمر بن كثير القرشي البصروي الدمشقي، حافظ، مفسر، مؤرخ، فقيه.
ولد سنة (٧٠١هـ) في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق.
تناقل الناس تصانيفه في حياته.
من مصنفاته: «البداية والنهاية»، و«طبقات الفقهاء الشافعيين»، و«تفسير القرآن العظيم»، و«الاجتهاد في طلب الجهاد»، و«اختصار علوم الحديث»، و«الفصول في اختصار سيرة الرسول»، و«التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل» (٨).

الهوامش

١- ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٣/٣٧)، والأعلام للزركلي (٤/٣٠٢).
٢- ينظر الدرر الكامنة (١/٢١٠)، والأعلام للزركلي (١/١٧٦).
٣- ينظر الدرر الكامنة (٢/٤٢٥)، والأعلام للزركلي (٤/١٨٤).
٤- ينظر الدرر الكامنة (٣/٤٩٠)، والأعلام للزركلي (٦/١٨٤).
٥- ينظر خلاصة الأثر (١/١٨٥)، والأعلام للزركلي (١/١٢٢).
٦- ينظر الأعلام الشرقية (٢/١٨١)، والأعلام للزركلي (٧/١٨٦).
٧- ينظر وفيات الأعيان (١/٢٥٠)، والأعلام للزركلي (٤/١١٥).
٨- ينظر الدرر الكامنة (١/٣٧٣)، والأعلام للزركلي (١/٣٢٠).

د. مصطفى عطية جمعة
أكاديمي وباحث

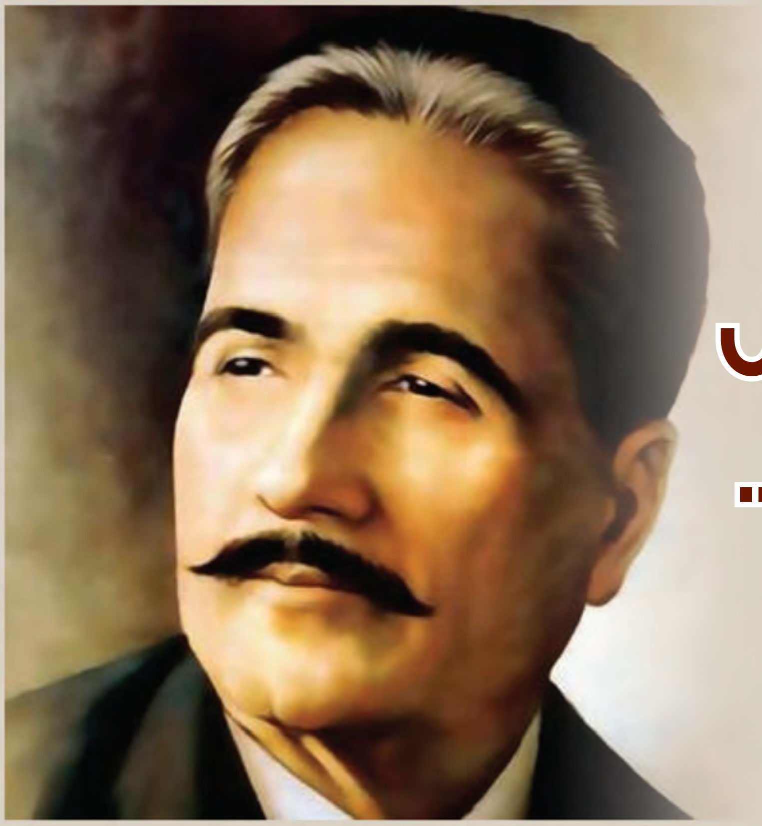

ترجمة شعرية إقبال إلى العربية.. إشكالية

هناك إشكالية في ترجمة الدواوين الشعرية للشاعر الكبير محمد إقبال إلى اللغة العربية، وضع يده عليها الكاتب عبدالماجد الغوري، حيث يقول في مقدمته للأعمال الكاملة بالعربية لمحمد إقبال: «نجح مترجمو هذه الدواوين من الناحية الفنية إلى حد بعيد، ولكن القارئ النبه الفطين قد يلاحظ أن هذه الأشعار المترجمة لا تكاد تؤثر في نفسه تأثير الشعر الرقيق، ولا تعطي صورة كاملة واضحة، ويغلب عليها رونق اللفظ على عمق المعنى، بحيث تغيب المعاني التي أرادها الشاعر في غياهب الألفاظ المنمقة والمصاريع الشعرية المركزية. وشعر محمد إقبال في اللغة الفارسية والأوردية -على السواء- شعر يركز على المعنى الواسع في عبارات موجزة، هي أشبه بالكلمات القصار التي يسهل حفظها وتداولها على الألسنة، فإذا ما ترجمنا هذا الشعر إلى شعر عربي يفضل الإيجاز على الإطناب والإسهاب، فإننا نزيد من تركيز الشعر بشيء من الغموض؛ يذهب بتأثير الشعر وروعته. ونحن لا نريد بهذا أن نغض من شأن المترجمين لهذه الدواوين» (١).

يمكن بلورة المآخذ على الترجمة التي ذكرها الغوري في تقييمه للترجمات العربية لشعرية إقبال في أبعاد متعددة، أولها: البعد الوجداني الذي يرى أثر شعر إقبال في نفوس القراء العرب، حيث يرى أن الترجمة لم تقدم شاعرية إقبال بشكل مؤثر يخلب لب المتلقي بالعربية. ثانيها: البعد الأسلوبي الذي يتجلى في الاختلاف بين القوالب الشعرية بالأردية والفارسية عنه في الشعر العربي، الذي يحتفي بالوزن والقافية والنغمية العالية، وقد لا يلقي بالا إلى بعض المعاني التي تزخر بها قصائد إقبال. ثالثها: إنه يرى أن ميل الشعر العربي إلى الإيجاز مع الموسيقى يجعل بعض المعاني غامضة بعض الشيء عن النصوص الأصلية.

وفي سبيل نقاشنا لهذا الطرح، علينا أولا النظر إلى إشكالية ترجمة النص الشعري، التي تحفل بكثير من الصعوبة، بسبب طبيعة النص الشعري المتمثلة في الاتحاد بين: المعنى والصوت، والدال والمدلول، بجانب المعاني غير القابلة للتحويل، وكذلك على مستوى التقطيع ذاته بين الحقول الدلالية بين لغة وأخرى، كما أن التراكيب اللغوية وأساليب الجمل بين اللغتين (موضعي الترجمة) لا تحمل الموروثات الثقافية نفسها فيما يسمى الدلالات الحافة/ نصف الخرساء المشحونة

بمعان معجمية، وهي تبدو أكثر في الكلمات المفتاحية أو الأساسية في النص الشعري الأصلي، التي هي مضغوطات مركزة لنصيات طويلة، تعكس سياقات كاملة، فيمكن القول إن النص المترجم يبدي مقاومة عند ترجمته، تتطلب وعيا متزايدا وثقافة عميقة وتمكنا لغويا من المترجم (٢).

فخصوصية النص الشعري تنعكس -بلاشك- في ترجمته. لذا، يؤثر البعض ترجمة الأشعار الأجنبية بشعر مرسل من دون وزن ولا قافية، إمعانا في نقل المعاني والجماليات بأكبر قدر من السهولة والمرونة، وبما يتيح للقارئ الوقوف على الطرح الفكري والرؤيوي والجمالي الذي تقدمه الشعرية الأجنبية.

لقد تصدى لترجمة أشعار إقبال كبار المترجمين العرب، وهم: الدكتور حسين مجيب المصري، والشيخ صاوي شعلان المصري، والدكتور عبدالوهاب عزام، والأستاذ زهير ظاظا، والأستاذ أحمد الغازي.

والملمح المشترك في ترجمة أشعاره كما نراها في الأعمال الشعرية الكاملة، حيث حرص المترجمون على الوزن الشعري والقافية جنبا إلى جنب -في مرات كثيرة- مع الترجمة النثرية الجميلة، أي نجد النص نثريا، ثم مصاغا بشعر عمودي، وهذا متعمد، حتى يصبح التغني بأشعار إقبال ممكنا لدى قراء العربية، فالشعر في النهاية وزن وقافية ومعان وأخيلة وبديع وجماليات عديدة، فلاشك أن المترجمين العرب الذين تصدوا لمهمة ترجمة أشعاره كانوا يعون أن الذائقة العربية لن تستوعب شعرية إقبال إن

صيغت بغير وزن نغمي جميل، وقافية محكمة، على غرار النظم العربي الذي ألفته الأذن والذائقة العربية، ومن الممكن حفظه وإنشاده.

وبالعودة إلى رأي الأستاذ الغوري، نجده يستحضر مناشدة الشيخ علي الطنطاوي في مقال له الأستاذ أبي الحسن الندوي، فيخاطب الطنطاوي الندوي: «هل لك أن تختار من شعر إقبال ما يجعلنا نتذوق طعم أدبه ونلم بطريقته، وتتجلى أسباب عظمته، فإن كل ما قرأنا من كلامه مترجما إلى العربية لم يعرفنا به، ولم يدلنا عليه.. فهل تضيف أخي أبا الحسن إلى مآثرك هذه المأثرة، فتفتح للعرب كوة على هذه الروضة المحجبة» (٣).

وهو بالفعل ما قام به الندوي في كتابه المعنون بـ«روائع إقبال»، موضحا وجهة نظره في الترجمة التي تصدى لها عبدالوهاب عزام لبعض دواوين إقبال، فيشيد الندوي به، وينعته بأنه جامع للثقافتين العربية والفارسية، ومنسجم فكريا مع إقبال في شعره وعقيدته ودعوته، ثم يؤكد وجهة نظر الغوري السابقة: «وقد ظهرت له (ترجمة عزام لإقبال) عدة دواوين، وذكر لي بعض الأصدقاء أنها لا تؤثر في نفس القارئ، ولا تثيرها إثارة الشعر الرقيق، ولا تعطي صورة كاملة واضحة لفكرة إقبال ورسالته، ولا تبرز شهرته وما قيل عنه. وتصفحت بعض هذه الدواوين، فرأيت أن ذلك لا يرجع إلى ضعف في الترجمة، ونقص في العلم والفهم.. ولكنه لم يكن محسنا إلى نفسه ومواهبه، يوم قرر أن يترجم الشعر بالشعر، وذلك الذي أفقد شعر إقبال قوته وانسجامه، وأفقد الترجمة بهاءها ورواءها وتأثيرها، وأضفى على هذا العمل العظيم شيئا من الغموض، قد يحول بين القارئ، وبين التذوق والتمتع بالشعر الجميل والمعاني الرقيقة» (٤).

إذن، كان تقييمات الغوري، والندوي، وبعض من قرأوا أشعار إقبال بلغاتها الأصلية والعربية؛ هي أن الترجمة العربية كانت قاصرة عن نقل معالم شعرية إقبال وما فيها من بهاء ورواء، وأرجع الندوي ذلك إلى ترجمة الشعر بالشعر، موضحا أنه جوهر المشكلة، مقرا أن «لكل لغة جوا خاصا، ونفسية خاصة، ومنهج تفكير، وأسلوب تعبير، وتشبيهات ومجازات، تتعلق ببيئتها ومجتمعها وتاريخها ومزاجها ومواسمها وفصولها، إذا ترجمت حرفيا فقدت جمالها ومعناها ولم تؤد رسالتها» (٥)، مشيرا إلى كلمة الشيخ الطنطاوي ومناشدته بضرورة التصدي للترجمة.

وجاء الشكل الذي قدم فيه الندوي ترجماته لإقبال هو «النثر السهل الميسور»، والمصطلح يعود إلى الغوري (٦)، الذي امتدح هذا الشكل المعبر عن شعرية إقبال المرادة في الترجمة، والتي يرى أنها هي الأجدر باتباعها، أي إن الغوري انحاز بشكل مباشر إلى النثر المشعور، الخالي من الوزن والقافية، الذي يترسل فيه المترجم كما يشاء، وتتدفق كلماته مستوفية المعنى، لا يحده وزن ولا

تمنعه قافية، ليؤازر الجهود المبذولة في الترجمات السابقة.

وبالنظر إلى جهد الندوي في كتابه المذكور، نجد أنه قد ترجم قصائد متنوعة مختارة بعناية تعبر عن عالم إقبال الشعري، بكل تنوعه وقضاياه على قدر ما تتيح له المساحة المتيسرة في الكتاب، فترجم إحدى عشرة قصيدة، شاملة موضوعات عديدة، رآها من وجهة نظره معبرة عن فكر إقبال ورؤاه الإسلامية، وبالأخص أن الندوي أورد فصولا عديدة عن حياة إقبال وتكوينه العلمي والروحي، ومسيرته العلمية، ومواقفه الفكرية.

لم يزعم الندوي تصديه لترجمة شعر إقبال كله، فهذا يحتاج إلى جهود ضخمة، وإنما أوضح منهجه في اختياره المتقدم، وهي اختيارات لم يتقيد فيها بالتسلسل الزمني لإنتاج إقبال الشعري، ويبدو من ثنايا كلامه أنه يكمل جهود المترجمين الآخرين، فهو على علم بأن القصائد المذكورة تمت ترجمتها من قبل ضمن القالب الشعري العمودي، فهو في كتابه يقدم شكلا آخر في الترجمة وهو القالب النثري الشاعري.

فالمتأمل في طريقة ترجمة الندوي يلاحظ أنه اتبع أسلوبا في ترجمة القصائد، بدأ فيه بالتمهيد بشرح للمعاني المرادة على هيئة مقال مسهب، ثم يعرض الترجمة (ذات التنصيص) للأشعار، في صياغة نثرية فريدة.

أما عن ترجمة شعرية إقبال في مجلد الأعمال الكاملة فهي مختلفة، فهناك دواوين صيغت شعرا عموديا ذا قافية واحدة أو متعددة القوافي أو ضمن بنية شعرية أقرب إلى شعر المقاطع، والموشحات الأندلسية، وفي جميع الأحوال لم يكن معها مقدمة نثرية أو شرح للنصوص سابق أو لاحق، ولكن آثرنا تقديم هذا المجزوء من قصيدة إلى الأمة العربية من ديوان «والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق؟» بترجمة الشيخ الندوي، ثم الترجمة الثانية التي صاغها نثرا الأستاذ أحمد الغازي، وصاغ أشعارها الشيخ صاوي شعلان المصري. والملاحظ أن الترجمة الثانية جمعت الشكلين معا: النثر والشعر، الشرح والنص. ومع ذلك فهناك بون كبير في الصياغة النثرية بين نص الندوي والنص الثاني، وهذا عائد لطبيعة تلقي المترجم وإحساسه بالنص، أما النص الشعري فقد وفق الشيخ صاوي في صياغته بشكل كبير، وأشعرنا بجماليات شعر إقبال، وما فيه من معان. والقاسم المشترك بين الترجمتين هو المضمون الذي يذكر أمة العرب بأمجادها وبفضلها على البشرية جمعاء، ويقارن بين حالها في الصحراء عندما كانت قبائل متقاتلة، وحالها بعد الإسلام عندما حملت لواء الهدى، وضربت في أنحاء العالم لنشر الإسلام، بل والإقامة في البلدان المفتوحة لنشر العربية والامتزاج مع شعوبها.

وعندما نقارن بين الترجمتين السابقتين من زاوية الجماليات الشعرية، نجد أن القالب النثري مهما أبدع المترجم في نقله، فهو يظل خاليا من النغمية والقافية، وهو ما يجذب المتلقي العربي الذي اعتاد على موسيقى الشعر العمودي وجمالياته التقليدية، فلاشك أن جهد أبي الحسن الندوي معتبر ومشكور، ولكن تظل الحاجة إلى الصياغة الشعرية العمودية أو ذات الوزن العروضي من الأهمية بمكان، وهو ما أدركه المترجمان في الأعمال الكاملة، فجمعا الشكلين على قدر الطاقة، موقنين أن الشعر في النهاية إيقاع وقافية، وبيان وبديع، وألفاظ ورموز وتعبيرات.

أمر آخر في هذا الصدد، فإننا نفضل أن تكون الترجمة النثرية محافظة على الشكل النثري الشعري، من دون شروح وتوضيحات، بحيث تأتي الترجمة في قالب الشعر المنثور أو الشكل الطباعي للشعر الحر (شعر التفعيلة)، أو قصيدة النثر، فالمقصد هنا الاعتناء بالإخراج الطباعي، وعدم تقديم النص على أنه مقال على نحو ما فعل الشيخ الندوي وكذلك في بعض نصوص الأعمال الكاملة المشروحة، فلابد من الانتباه إلى هذا الأمر، وإفراغ النص الشعري المترجم من مقدمات ولواحق تشرح وتسهب، ويمكن أن يضاف ذلك في الهامش بشكل موجز، ليتفاعل كل من القارئ والناقد مع النص، بالتذوق والخيال ثم الشرح والقراءة النقدية.

إن إشكاليات الترجمة لأشعار إقبال إلى العربية جزء من مشكلة ترجمة الشعر من لغة إلى أخرى، فالشعر له خصوصية وفرادة، وعلينا أن نقرأ ترجمة إقبال هذه في ضوء تلك الإشكالية، ونتعامل معها، فنتوقف عند الجيد منها وننظر في الضعيف. فمن المهم مراعاة ذائقة المتلقي العربي في استقبال الشعر، فهي تميل إلى الوزن والقافية، ولا بأس من وجود أشكال عديدة في الترجمة الشعرية، ما بين العمودي وشعر التفعيلة والشعر الحر المنثور وغيرها.

لذا، نحتاج إلى ترجمات جديدة، بتلق جديد، أسوة بشعراء آخرين تمت ترجمة نصوصهم إلى العربية مرات مثل الشاعر جلال الدين الرومي، وعمر الخيام.

الهوامش

١- مقدمة الأعمال الكاملة لمحمد إقبال، عبدالقادر الغوري، الأعمال الكاملة لمحمد إقبال، إعداد: عبدالقادر الغوري، دار ابن كثير (دمشق – بيروت)، ط٣، ١٤٢٨هـ، ج١، ص٩.

٢- عن الترجمة، بول ريكور، ترجمة حسين خمري، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص ١٨ و١٩.

٣- مقدمة الأعمال الكاملة لمحمد إقبال، ص٩.

٤- روائع إقبال، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م، ص٩ و١٠.

٥- السابق، ص١٠.

٦- مقدمة الأعمال الكاملة لمحمد إقبال، ص١٠.

عبدالعزيز صالح العسكر
كاتب سعودي

رتل يا فتى

رتل تجبك مرابع الأحباب / واصدح بأروع عبْرة وكتاب

داو النفوس بما يزيل همومها / ويقودها لمحاسن الآداب

قد طال شوق نفوسنا لسعادة / تمحو الجروح لشقوتي ومصابي

قد طال شوق نفوسنا لمعالم / في محكم من آية وكتاب

أشكو المصاب إلى الأنام ألومهم / وعلاج حالي في نمير رضاب

في سورة الأنفال أمثل دعوة / للنصر يوم تآمر الأغراب

في سورة التكوير إنذار لمن / نسي الممات ورجعة لحساب

في سورة الإسراء تذكير لمن / جعل الحياة مدينة الألعاب

في سورة الإخلاص خير بشارة / أن البقاء لمالك الأسباب

هذا كتاب الله منهج أمة / شرع الإله وليس شرعة غاب

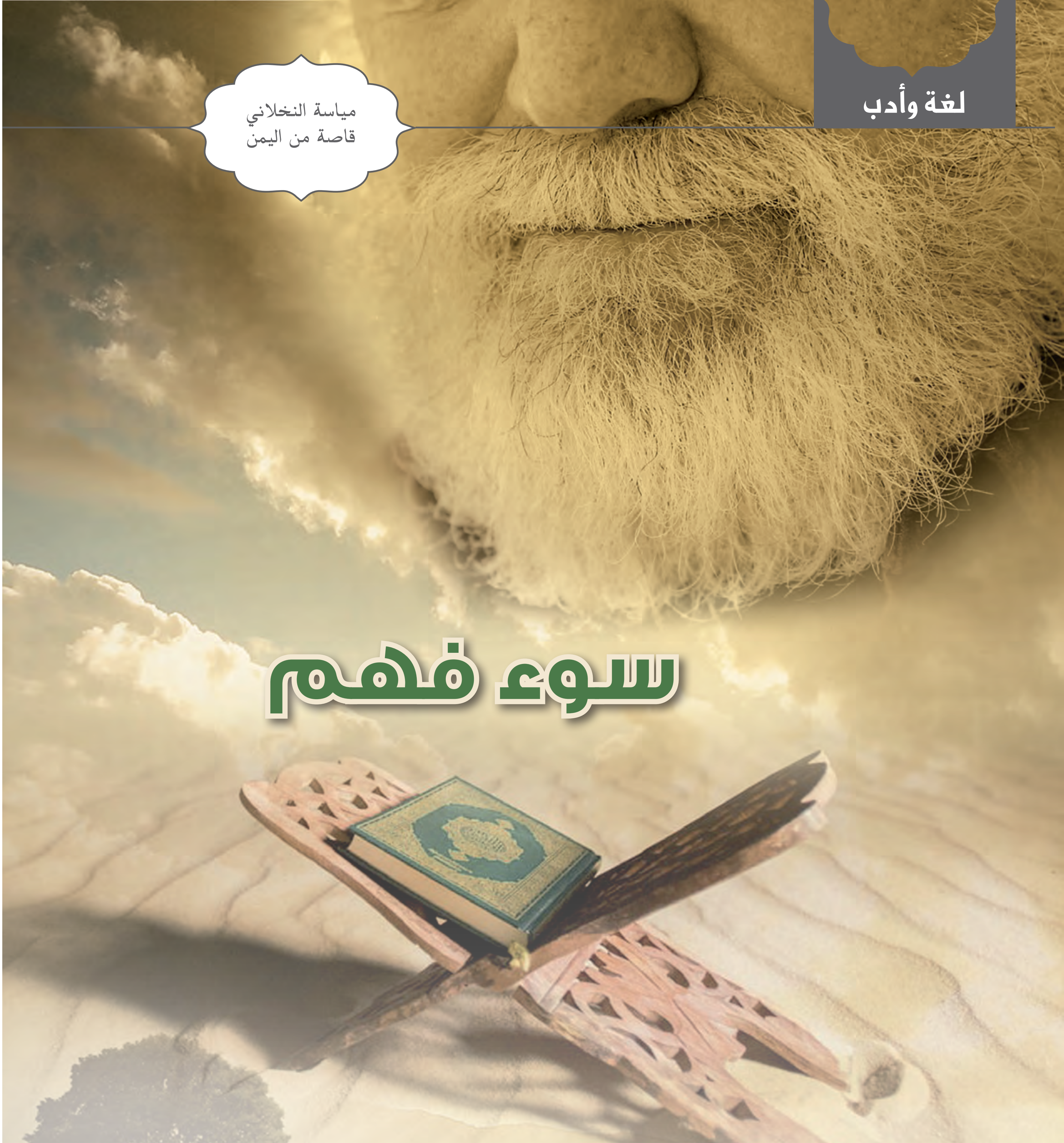

مياسة النخلاني
قاصة من اليمن

سوء فهم

في أحد أركان حديقة سنترالك بارك بوسط منهاتن، اقتربت سيدة كبيرة في السن تتهادى بخطوات منهكة نحو أحد كراسي الحديقة؛ لتريح قدميها. جلست على مقربة من رجل انشغل بقراءة كتاب ما، سمعت ترتيله الخافت؛ فاسترقت النظر نحوه بطرف عينها، وحين لاحظت لحيته والمصحف بيده ابتعدت قليلا عنه، وبين الفينة والأخرى تسترق النظر إليه بحذر.

أثناء مراقبتها له لاحظت أنه هو الآخر يسترق النظر بين اللحظة والأخرى نحو شيء ما أمامه، مدت قامتها لترى ما يراقبه؛ ولدهشتها وخوفها رأت ولدا في التاسعة من عمره يلعب بالكرة ويمرح: «يا إلهي! ما الذي يخطط له». همست في نفسها، وتحفزت في جلستها لتنقل كل تركيزها على الرجل والطفل الذي يراقبه، متناسية كل ما حولها.

شعرت بقلبها يقفز من مكانه حين قفز الرجل من كرسيه وركض مسرعا نحو الصغير، تناست كبر سنها وتعب قدميها وقفزت نحوهما محاولة تخليص الولد من يد الرجل، وحين أفلحت أمسكت الولد بيد وباليد الأخرى قبضت على ياقة قميص الرجل الملتحي وهي تكيل له بكل أنواع الشتائم، وتصرخ في من حولها أن يتصلوا بالشرطة ليمسكوا بـ«الإرهابي الخاطف».

– «سيدتي، هلا هدأت قليلا؟!»، قالها الرجل بصوت هادئ وهو يحاول التخلص من قبضتها.

– «لن يهدأ لي بال حتى تكون بقبضة الشرطة»، ردت والشرر يقدح من عينيها.

– «بأي جرم؟!».

– «حاولت أن تخطف الولد لولا أني تنبهت لك».

– «لكن...».

– «لا تنطق بكلمة أيها الإرهابي»،

– «سيدتي...»، قال الطفل متوسلا وهو يجذب يدها التي تمسك به بقوة.

– «لا تخف، ستكون بأمان معي»، ردت عليه مطمئنة.

– «لست خائفا؛ لكن لدي سؤال لك».

– «طفل شجاع، تفضل اسأل».

– «لماذا تخاطبين جدي بالإرهابي؟!»، سأل الطفل مستغربا.

– «جدك!»، قالتها وهي تنظر إلى الرجل الذي تمسك بياقة قميصه، فأومأ برأسه مؤكدا.

انعقد لسانها وعجزت عن قول كلمة إضافية. أخيرا أرخت يديها اللتين تمسكان بالرجل والطفل معا، وحين تحرر من قبضتها عدل من ياقة قميصه وهو يقول بالصوت الهادئ ذاته: «هذا ما كنت أحاول إخبارك به منذ البداية».. صمت برهة ثم أكمل «هذا حفيدي، وجريت نحوه حين حاول الشجار مع رفيقه على الكرة، هل فيما فعلته شيء معيب؟!»، قال مستنكرا بالصوت الهادئ ذاته!

– «حسنا»، قالتها السيدة وهي تعدل من هندامها. رمته بنظرة احتقار ثم غادرت، وقبل أن تبتعد أتاها صوته مناديا، التفتت إليه وهي تقول: «مازلت بنظري إرهابيا؛ لذا ابتعد عني»!

«نسيت حقيبتك على الكرسي»، مد لها حقيبتها وانصرف إلى حال سبيله.

أثناء مغادرتهما، سأل الحفيد جده مستغربا: «مازلت غير مصدق يا جدي ما حدث! لماذا تصرفت معك بهذه الطريقة؟! ورغم تصرفها الفج معك عاملتها بلطف؛ رغم أنها لم تحاول حتى أن تعتذر عن سوء تصرفها؟».. صمت ثم أكمل مستنكرا «بل وجريت خلفها لتعيد إليها حقيبتها التي نسيتها وهي تتشاجر معك وتسيء إليك!».

– «بني، إنما نعامل الناس بأخلاقنا لا بأخلاقهم، ثم لا تنس أنها سيدة كبيرة، وعلي احترام سنها وشيخوختها. بالطبع كان بمقدوري أن أنتقم لنفسي وأرد لها شتائمها، أو حتى أشتكيها إلى الشرطة لسوء تصرفها معي دون مبرر؛ لكن لا يهمني أن أثأر لنفسي بقدر ما يهمني أني علمتها درسا بأننا لسنا كما تظن، أو كما يروج عنا؛ فنحن ما نحن عليه فعلا من أخلاق علمنا إياها قدوتنا ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام».

هز الولد رأسه، رغم عدم استيعابه لكل ما قاله له جده، لكنه لزم الصمت.

«ستفهم كل شيء في حينه»، قال الجد وهو يفتح باب السيارة لحفيده، وبمجرد أن شغل محركها أوقفته نقرات خفيفة على زجاج النافذة؛ فأوقف المحرك وفتح النافذة، حيث بادره شاب في مقتبل العمر: «سيدي، أود أن اعتذر لك باسمي واسم والدتي عما حدث في الداخل، كان سوء فهم منها، الحق يقال، هي نادمة على ما حدث ولولا خجلها من نفسها لأتت بنفسها لتعتذر»!

ترجل من السيارة وصافح الشاب قائلا: «لا بأس عليكما، فقط لدي سؤال لها إذا لم تمانع»، سارا معا إلى حيث تنتظر، وبادرها: «سيدتي، ما أود معرفته: ما الذي جعلك تعتقدين أنني أنوي شرا بالطفل؟».

– «هذا وذاك»، قالت وهي تشير إلى لحيته والمصحف في جيبه!

ابتسم وهو يمسك لحيته ورد قائلا: «وهل بالفعل هذه وهذا يجعلاني رجلا شريرا؟!».

وحين لم ترد أكمل: «أظن بعد الذي حدث عليك أن تتوقفي عن الحكم علينا من خلال التلفاز أو الإعلام غير المنصف بحقنا، أرجو أن تصدري حكمك علينا من خلال ما نحن عليه فعلا، لا ما يقال عنا؛ فليس كل ما يقال صحيحا، نحن بشر مثلكم، طبيعيون جدا، ومسالمون جدا، بل إن ديننا يحثنا على مكارم الأخلاق مع الجميع دون استثناء».

طأطأت رأسها بخجل وهي تقول: «سأفعل، أعتذر عما بدر مني».

في طريق العودة التفت إلى حفيده وهو يسأله: «هل رأيت، لو كنت انتقمت لنفسي منها ومن تصرفها الجائر بحقي هل كنت سأحقق ما حققته الآن من إيضاح الصورة لها. لدى الغرب فكرة مغلوطة عنا نحن المسلمين؛ لذا علينا أن نكون أكثر حكمة بالتعامل معهم؛ ليتأكدوا أن ما يقال لهم عنا غير صحيح».

د. عبد المنعم مجاور
شاعر من مصر

الفصحى تنادي (بحر الكامل)

عربية تلد الأعاجم بعدما ... ولدت لنا حرا كريما أعظما

شاءوا لها جوف الجحور وإنها ... ترد الفيافي والسما والأنجما

عربية حملت لنا عز الوفا ... أضحت به نورا عزيزا أكرما

عربية نادت بأعلى صوتها: ... صرحا بنيتم ركنه لي في السما

كيف الرضاء بأن عز تراثنا ... يمسي سليبا أو فقيرا معدما؟!

كيف التهاون في كنوز تراثنا؟ ... ذاك التراث تراث مجد ملهما

كيف التنازل عن أصول للورى؟ ... في دربنا صار التقدم معلما

كيف التساؤل عن بقائي حية؟ ... أفلا يكون مناهضي متجرما؟!

إني أرى بضياء نور في السما ... سيظل حرفي صامدا ومكرما

فكتاب رب محمد لي صائن ... لا يرتضي لي ذلة أو مغرما

فاطمة الزهراء
كاتبة مصرية

رفقا بهم فبآلامهم نقتل وقتنا

أغيثوا الكُتّاب

تختلف الروايات وتكثر الأحاديث، ويتفنن الأبطال في حكي معاناتهم وآلامهم، وفي وصف لحظات سعادتهم وأحزانهم، ونحن نتابع بكل إخلاص حتى النهاية؛ بل ونجدد النية في كل سطر ونستهله بآمال ومتمنيات التوفيق والسعادة للأبطال، وقد نسقط بضع دمعات على أحد السطور التي قد آلمنا ما حدث فيها، أو تخيلنا أنفسنا للحظات في ذلك المقام، أو لعل ما حدث ذكرنا ببعض آلامنا أو آلام من نحبهم، وتستمر الحكايات في نكء الجراح.

فلكم قرأنا كلاما لنجد أنفسنا تائهين في ثنايا أحد السطور أو منعطف إحدى الأوراق، وكأن ما نقرأه يترجم لسان حالنا ساهين لتأخذنا الأحداث بضع لحظات ونسافر معها لهنيهة قد نقطع فيها آلاف الكيلومترات.

كثيرة هي الكتب التي قرأناها ولطالما قرأنا عن أمور كثيرة وفي مجالات شتى، وتتعدد الكتب بتعدد المجالات، لكن شتان بين أن تقرأ وأن تحس، فرق كبير بين من يقرأ رواية رعب أو يسمع أحداثها، وبين من عايشها ومرت عليه معاناتها، فقد تختلف ردات فعلنا ويزداد انفعالنا إزاء رواية أحسسنا فيها بالشفقة على البطل وما يعانيه، فكيف بذلك الذي أخذ القلم ليخط لك صرخاته وآلامه على لسان أشخاص وهميين اخترعهم لتصريف خبايا مداده، وما أكثر أولئك الذين يكتبون ولكل حالاته التي يجد فيها الكتابة ملجأ له، أو ما يسمونه بلحظات الإلهام.

فمنهم من تكون لحظاته السعيدة محطة لإلهامه؛ فيجد في الكتابة بلسما لروحه السعيدة، ليؤرخ لحظات سعادته، فتتقاذف الكلمات من فمه يمنة ويسرى، ويخرج الحروف في نسق موسيقي وشاعرية غريبة قد لا تفهمها أحيانا، فلكأن الحروف تعكس الابتسامة المرتسمة على ثغره. ومنهم من يجد في الكتابة مسكنا لآلامه ووجعه الداخلي، فلكأن القلم يقطع عليه وعدا بمداواة جروحه إن هو أخرجها حروفا، فيخرج الحروف رصاصات قاتلة، فآلامه أخرست كل منفذ للصراخ بداخله وأبدلتها بحروف قاتلة تكتب بمداد مسموم، تُخلف في قلب من يقرأها حرقة، وكأن ثمة قوى خفية تبدل حروفها إبرا مسمومة تغرزها في قلبه.

ونصل نحن القراء إلى النهاية التي طالما يتكلف الكاتب بجعلها سعيدة لإرضائنا، أوتعلمون صعوبة هذا الأمر عليه؟ أن يختلف الجهاز الذي به يعيش والآلة التي من أجلها يعيش، أن يختلف قلبه وقلمه في صراع قلبه في تفريغ بعض معاناته، وصراع القلم ليثني عليه القراء، فيخط لك حروف العلقم ليسعدك، حروفا مدادها انهزام البشر أمام القلم، فتغلق الكتاب معلنا انتهاء معاناة البطل وتستمر معاناة الكاتب، في ظل أن يفي القلم بوعده ويشفي جروحه معلنا انتصار القلم والمداد على السم والرصاص، لينضم القلب إلى القلم في لحظات شاعرية قل تصورها، كأنها جلسة بين مريض شفي من داء عضال وطبيبه المخلص، فيشكر القلب القلم إن ظل صامدا معه حتى اندملت جراحه.

أ.د. وليد خالد الربيع
أستاذ الشريعة في جامعة الكويت

تنمية الإنسان في القرآن

كان مفهوم التنمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية عقد الثمانينات قاصرا على كمية ما يحصل عليه الفرد من سلع وخدمات مادية، ولكن مع تدشين مفهوم التنمية البشرية سنة ١٩٩٠م عندما تبناه برنامج الأمم المتحدة للإنماء، أصبح الإنسان هو صانع التنمية وهدفها.

ويقوم هذا المفهوم على أن: «البشر هم الثروة الحقيقية للأمم، وأن التنمية البشرية هي عملية توسيع خيارات البشر».

فالتنمية البشرية لا تنتهي عند تكوين القدرات البشرية مثل: تحسين الصحة وتطوير المعرفة والمهارات؛ بل تمتد إلى أبعد من ذلك حيث الانتفاع بها سواء في مجال العمل من خلال توفر فرص الإبداع، أو التمتع بوقت الفراغ، أو الاستمتاع باحترام الذات وضمان حقوق الإنسان ونحو ذلك.

فمصطلح التنمية البشرية يؤكد أن الإنسان هو أداة وغاية التنمية، حيث تعد التنميةُ البشريةُ النموّ الاقتصادي وسيلة لضمان الرفاه للسكان، وما التنمية البشرية إلا عملية تنمية وتوسيع للخيارات المتاحة أمام الإنسان باعتباره جوهر عملية التنمية ذاتها، أي: أنها تنمية الناس بالناس وللناس (١).

ويتضح من هذا أن النظم البشرية تعنى بالجانب الحسي والفكري للإنسان، وتستند إلى نتاجه العقلي والاجتماعي كمصادر للتنمية البشرية، في حين أن القرآن الكريم تناول هذا الجانب على مستوى لا يضاهَى من الشمولية والعمق والدقة في معالجة النفس الإنسانية والعناية بتزكيتها لأعلى المراتب.

فالقرآن الكريم قد اعتنى بالإنسان عناية كبرى، تناولت خَلقه، وهدايته، وتحقيق مصالحه، ودرء المفاسد عنه في الدارين، فالله سبحانه

وتعالى أكرم بني آدم وفضلهم على سائر خلقه فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

قال الشيخ ابن سعدي: «وهذا من كرمه عليهم وإحسانه الذي لا يقادر قدره؛ حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام، فكرمهم بالعلم والعقل وإرسال الرسل وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم الله به ويسره لهم غاية التيسير» (٢).

فالقرآن الكريم قد وضع أسس تزكية النفوس وتهذيبها وهو ما يقابل مفهوم التنمية البشرية، وشرع لها أحكاما دقيقة، ونظما سديدة تضمن لها السعادة والسيادة والريادة كما عبر عنها بالحياة الطيبة كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧).

وقد دلت الآية الكريمة على أن الإيمان والعمل الصالح هما ركنا الحياة الطيبة التي وعد الله سبحانه بها عباده.

فأهم أسس التنمية البشرية في الإسلام هو ترسيخ الإيمان بالله تعالى ربا وإلها، وإخلاص الدين له وحده انقيادا وطاعة، والبراءة من كل الأديان المحرفة والمعبودات الباطلة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢.١٦٣).

والقرآن الكريم لم يخرج عن هذا الأصل، فالمتأمل فيه يجد أن غالب آياته وسوره تدور حول العقيدة وتقرير التوحيد، وبيان حقوقه ولوازمه وجزائه، والتحذير من ضده ونواقضه.

ومن أعظم أسس التنمية البشرية في الإسلام العمل الصالح، ففي أكثر من تسعين موضعا في القرآن الكريم يذكر العمل الصالح؛ طلبا له، وحثا عليه، وذكرا لفضله، ومدحا لأهله، وبيانا لجزائهم في الدنيا والآخرة.

والعمل الصالح شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحقوق الله وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة.

والعمل الصالح سبب الاستخلاف في الأرض كما قال عزوجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ (النور:٥٥).

من الأسس المهمة في التنمية البشرية العلم الشرعي؛ وذلك لأن العلم أساس الإيمان والعمل الصالح، ومنطلق الحضارة والمدنية، وقد أمر الله تعالى بتحصيل العلم، ومدح العلماء وطلبة العلم، وذم الجهل وأهله، وذلك في مواضع كثيرة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، مما يدل على مكانة العلم وأهميته وعظيم أثره في الفرد والمجتمع.

كما أن الأخلاق الحميدة والسلوك القويم من أكبر الأسس والمنطلقات التي ترتكز عليها التنمية البشرية، فتزكية النفوس وتهذيبها من مقاصد البعثة الشريفة كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «ويزكيهم بأن يفصل لهم الأخلاق الفاضلة، ويحثهم عليها، ويزجرهم عن الأخلاق الرذيلة، ويعلمهم علم الكتاب والسنة المشتمل على علوم الأولين والآخرين، فكانوا بعد هذا التعليم والتزكية من أعلم الخلق، بل كانوا أئمة أهل العلم والدين، وأكمل الخلق أخلاقا، وأحسنهم هديا وسمتا» (٣).

ومن أسس التنمية البشرية في الإسلام الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالإسلام دين عالمي؛ فهو ليس محددا بمكان معين، ولا موسميا مرتبطا بزمان معين، بل إنه يتجاوز حدود المكان والزمان ليحمل الهداية للبشرية جمعاء كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (سبأ:٢٨).

وقال سبحانه وتعالى مبينا رسالة

الأمة الإسلامية: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤).

قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي: «هذا تفضيل من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحا ومحبة للخير ودعوة وتعليما وإرشادا، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، وجمعا بين تكميل الخلق والسعي في منافعهم بحسب الإمكان وبين تكميل النفس بالإيمان بالله والقيام بحقوق الإيمان» (٤).

ولا تكمل التنمية البشرية في الإسلام إلا بالبعد عن نواقضها ومنقصاتها، تلك الصفات التي تهدم مقاصد الإسلام من تحقيق العبودية لله تعالى وحده، وترسيخ الأخوة الإيمانية، والنهوض بالمجتمع المسلم إلى مراتب الكمال الإنساني والتحضر العمراني، ولهذا اعتنى القرآن الكريم بالنهي والتحذير من عقائد فاسدة، وأخلاق ذميمة، وأفعال قبيحة لما لها من أثر خطير على الفرد والمجتمع والدولة.

ومن أعظم مظاهر الانحراف الكفر والشرك، فقد كثر ذكرهما في القرآن الكريم لما لهما من آثار خطيرة، وعواقب وخيمة على دين المسلم ودنياه وآخرته، فالله تعالى نهى عن الكفر به فقال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة:١٥٢)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٨).

واتباع الهوى من أكبر عوائق التنمية البشرية، فاتباع الهوى هو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي، أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل، أو رجوع إلى شرع، أو تقدير عاقبة (٥).

والمتأمل في كتاب الله تعالى يجد أن كل موضع ذكر الله تعالى فيه الهوى؛ فإنه يأتي به في معرض الذم له ولمتبعيه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما ذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه» (٦)، ولهذا فإن النبي ﷺ جعل اتباع الهوى من المهلكات في قوله: «وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» (٧).

ومن مظاهر الانحراف التي حذر منها القرآن الكريم عباد الله المؤمنين الذنوب والمعاصي؛ وقد جاءت النصوص الكثيرة تحذر من الذنوب، وتبين عقوباتها في الدنيا قبل الآخرة، وتضرب الأمثال بما أصاب الأمم الماضية بسبب ذنوبها، وتأمر الناس بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ لما في ذلك من النجاة في الدنيا والآخرة، ورفعة الدرجات عند الله تعالى في جنات النعيم فمن ذلك قوله عزوجل: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء:١٤).

ومما نهى عنه القرآن الكريم الأخلاق المذمومة لأنها تناقض تزكية النفوس وتهذيبها فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠).

وهناك نواح كثيرة وجوانب عديدة لا يتسع المقام لذكرها تؤكد تناول القرآن الكريم لمفهوم التنمية البشرية بصورة شاملة، ومعالجة دقيقة، تمس أعماق النفس الإنسانية، فتصحح عقيدتها، وتقوم عبادتها، وتهذب أخلاقها، وتحميها من عوائق الطريق، وعقبات السبيل، لتحيا الحياة الطيبة التي وعد الله تعالى عباده المؤمنين في الدنيا والآخرة.

الهوامش

١- تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP www.un.org، وأساسيات التنمية الإدارية والاقتصادية في الوطن العربي، د. أحمد يوسف دودين ص ٢٨٦، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط ١، ٢٠١١م.

٢- تيسير الكريم الرحمن ص ٤٦٣ باختصار.

٣- تيسير الكريم الرحمن، ص ١٢٠٠.

٤- تيسير الكريم الرحمن، ص ١٤٣.

٥- نوح، د. السيد محمد، آفات على الطريق ٢/٣٣.

٦- ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ١٨.

٧- أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ٦/٣٥١، حديث (٥٧٥٠)، وقال الألباني: «حسن لغيره»؛ كما في صحيح الترغيب والترهيب، رقم (٤٥٣).

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- للمجلة حق الاختصار والتعديل بما يتوافق مع المساحة المتاحة.

د. محمد رشيد العويد
خبير تربوي

جناح الذل

كان الأب جالسا مع أبنائه الثلاثة: أحمد وحسن وسعد حين قال لهم: أريد يا أبنائي أن نتحاور حول قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ (الإسراء:٢٤).

وحين قرأ الوالد الآية لم يقرأ فيها قوله تعالى: ﴿ٱلذُّلِّ مِنَ﴾.

حينها اعترض أحمد على والده قائلا بحدة: لقد أخطأت في قراءة الآية، فقد أنقصت منها كلمتين، وهذا لا يجوز!

ابتسم الأب والتفت إلى ولديه حسن وسعد وقال: ما رأيكما؟

رد حسن: أحمد على حق، فقد أخطأت وقرأت الآية دون قوله تعالى: ﴿ٱلذُّلِّ مِنَ﴾ قبل كلمة ﴿ٱلرَّحۡمَةِ﴾.

قال الأب: وما تقول أنت يا سعد؟

أجاب سعد: أنا مع أخوي أحمد وحسن فقد قرأت الآية كما قال أخواي.

قال الأب: إذا كنت قد أخطأت في تلاوة الآية الرابعة والعشرين من سورة الإسراء فقد أخطأتم أنتم في العمل بها.

سكت الأبناء الثلاثة حائرين أمام كلام أبيهم ينتظرون أن يبين لهم كيف أخطأوا العمل بالآية الكريمة.

واصل الأب حديثه: أحب أولا أن أوضح أنني صنعت ذلك لأجعلكم تنتبهون إليها، فإذا كنت قد أغفلتها تلاوة، فإنكم قد أغفلتموها عملا وتطبيقا في حياتكم، وذلك حين تخاطبون أمكم وأباكم خطابا ليس فيه خفض لجناح الذل من الرحمة.

قال أحمد: لكننا والله يا أبي نحبكما وقلوبنا مملوءة رحمة بكما.

قال الأب: لا أنكر هذا، لكنها رحمة دون ذل!

سأل حسن: ما الفرق يا أبي؟

أجاب الأب: الفرق كبير، فالرحمة بدون ذل قد تكون من كبير لصغير، ومن قوي لضعيف، ومن غني لفقير، أما الرحمة مع الذل فلابد من الخفض فيها، وانتفاء الندية منها، وغياب المن عنها.

قال أحمد: اضرب لنا مثلا؟

قال الأب: أقرب مثل أسلوب خطابكم لي حين قمتم بتنبيهي على تلاوتي الآية دون كلمتي: ﴿ٱلذُّلِّ مِنَ﴾، فلم يبدأ أحدكم خطابه بـ «يا أبي» أو «يا أبت»، وكأنكم تخاطبون صديقا من أصدقائكم.

تبادل الأبناء النظرات وقد انتبهوا إلى أنهم أهملوا بدء خطابهم لأبيهم بـ«يا أبي» أو «يا والدي».

تابع الأب: رغم أن أبا النبي إبراهيم عليه السلام كان مشركا، ولم يكن

مؤمنا، فإنه عليه السلام كان يخاطبه بقوله «يا أبت»: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ (مريم:٤١-٤٥).

أرأيتم كيف كان إبراهيم عليه السلام يبدأ كل عبارة من عباراته بـ«يا أبت» حتى كررها أربع مرات، بينما لم تبدأوا أيا من كلامكم بها.

أحمد: سامحنا يا أبي، لم نحسن خطابك، وأعتذر عن ارتفاع صوتي في حديثي إليك.

الأب: أغنيتني عن إخبارك بذلك، فارتفاع الصوت في خطاب الوالدين ليس من خفض جناح الذل من الرحمة.

أحمد: وما كان لي يا أبي أن أقول لك: «لقد أخطأت»، فهذا أيضا ليس من خفض جناح الذل.

الأب: لا بأس عليك يا ولدي، والحمد لله أنك أدركت ذلك، وقد كان يمكنك أن تنبهني إلى الخطأ بأسلوب ألطف وأرفق، كأن تقول: «إي والله يا أبي، ما أحكم قوله تعالى...»، وتعيد تلاوته صحيحا لأنتبه إلى تلاوتي الخاطئة، مثل هذا ما فعله الحسن والحسين رضي الله عنهما حين علما رجلا الوضوء الصحيح بعد أن وجداه لا يحسنه، فطلبا منه أن يحكم بينهما: من وضوؤه أصح من الآخر، فأوصلا إليه ترتيب الوضوء الصحيح بألطف أسلوب، وصححا له أخطاءه أرفق تصحيح.

قال حسن: أرجوك يا أبي أن ترشدني إلى خطئي أنا أيضا.

أجاب الأب: أحب أولا أن أثني على صيغة سؤالك هذه (أرجوك يا أبي أن ترشدني) ففيها كثير من الأدب وخفض الجناح.

أما خطؤك في جوابك السابق: (أحمد على حق، فقد أخطأت)، فقولك ذلك ليس فيه خفض الجناح الذي أمر الله به، إذ كان يحسن أن تقولها بصيغة أخرى فيها من اللطف والرفق وخفض الجناح لم تكن في سؤالك لي.

قال حسن: مثل ماذا يا أبي؟

أجاب الأب: كأن تقول لي «أتفق مع أحمد يا أبي في أنك لم تذكر قوله: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ في الآية، لكني لا أتفق معه في أسلوب كلامه الذي أحسب أنه لا يقصده».

أو تقول: «نعم يا أبي أحسب أنك سهوت عن قوله تعالى: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ في الآية».

وكذلك كان على سعد كما عليكم جميعا أن تختاروا ألطف العبارات لتنبيهي على ذلك الخطأ، ووضع كل واحد منكم نفسه موضع المخاطب يسهل عليكم اختيار الأسلوب الذي تخاطبون به سواكم، لاسيما الوالدان اللذان خصهما الله بذكر الإحسان إليهما بعد الأمر بعبادته مباشرة؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ﴾ (الإسراء:٢٣).

قالوا في صوت واحد: نعتذر يا أبي ونعدك أن نلزم ما نصحتنا به، إن شاء الله

قال الأب: إن شاء الله.

سأل سعد: هل في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾، معان أخرى يا أبي؟

أجاب الأب: أحسنت يا سعد، فخفض جناح الذل لا يكون في الكلام والخطاب فقط، وإنما في الأفعال أيضا، بأن تطيعهما فيما يأمرانك به، مما لم يكن فيه معصية لله، ولا تخالفهما فيما أحبا، ولا تنظر إليهما نظرة فيها حدة أو غضب، وقال بعض المفسرين: أي تواضع لهما، تذللا لهما، ورحمة بهما، واحتسابا للأجر من الله تعالى الذي أمرك بذلك.

سأل أحمد: ولم شبه القرآن الابن بالطائر في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾؟

أجاب الأب: أحسنت أيضا يا أحمد، فقد فسر العلماء التعبير القرآني: ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ بتفسيرات متعددة، منها: أنه تشبيه بخفض الطائر جناحه عند حاجته للهبوط إلى الأرض، فكأن خفض الجناح للوالدين هو خضوع وتذلل لهما، ومنها: أن الطائر عندما يحنو على فراخه يخفض جناحه ويسبله عليهم رحمة وشفقة بهم، فناسب ذلك التشبيه التذلل للوالدين عطفا عليهما ورحمة بهما.

قال حسن: شكرا جزيلا لك يا أبي، فقد وضحت لنا كثيرا مما خفي عنا من معنى الآية وهذا التعبير القرآني الجميل فيها، وأرجو أن تدعو الله لنا أن يعيننا على برِّكما أنت وأمي وخفض جناح الذل من الرحمة لكما.

قال الأب: بارك الله فيكم يا أبنائي وأصلحكم وأعانكم على طاعته وبر والديكم وجمعنا برحمته في جنات النعيم.

خلف أبوزيد
باحث تربوي

أطفالنا وقيمة الوقت

مرحلة الطفولة، مرحلة هامة من مراحل حياة الإنسان، لها خصائصها وسماتها الفريدة، وبقدر ما يغرس فيها من قيم، وخصال حميدة، بقدر ما تظل باقية وراسخة في نفس الإنسان خلال مراحل الحياة المختلفة.

ومن هنا كانت أهمية التدرب والتعود على الخصال والصفات الحميدة، مطلبا ضروريا في هذه المرحلة الهامة، حتى تصير عادة للطفل وسلوكا متبعا، تقوم به النفس بغير جهد وبغير كدر، ولعل هذا ما يفهم من حديث النبي ﷺ: «الخير عادة، والشر لجاجة، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (رواه ابن ماجه في سننه).

ومن العادات الحميدة، التي نريد غرسها في نفوس أطفالنا، وهم صغار: عادة تقدير الوقت، وأهمية المحافظة عليه، وعدم إهداره فيما لا يفيد، هذه الخصلة الحميدة، التي أصبح يقاس بها، تقدم المجتمعات وتحضرها في هذ العصر.

وقد يتساءل البعض منا، في شيء من الدهشة: كيف نرهق الصغار، بهذه النظرة المفرطة في دقة التوقيت، والالتزام بعنصر الوقت، وعهد الطفولة كما هو معروف، هو عهد انطلاق وحرية وتلقائية، وإن الحديث عن الوقت وأهميته يصلح بأن نقوله للكبار، ولكنه قد لا يكون مقبولا بالنسبة للأطفال الصغار؟

ورغم هذا الاعتراض من البعض، فنرى أنه من الأهمية، بل ومن الضرورة غرس هذه الخصلة الحميدة في نفوس أطفالنا، باعتبار أن مرحلة الطفولة هي مرحلة بناء وتأسيس، ولابد من عدم التساهل أو التفريط في قواعد السلوك، التي نريد أن نغرسها في نفوسهم ونربيهم عليها، لأنها هي الباقية والمستمرة معهم، في مراحل حياتهم القادمة، حتى يستقيم عود حياتهم عليها مستقبلا، كما يقول الشاعر العربي:

قد ينفع الأدب الأولاد في صغر
وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا عدلتها اعتدلت
ولا يلين ولو لينته الخشب (١)

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا الآن:

ما هي أنجع الطرق والأساليب التي باتباعها، نغرس هذه الخصلة الحميدة في نفوس أطفالنا، حتى يشبوا عليها؟ ونرى في البداية، أن ذلك لن يتحقق بمجرد الأقوال والمواعظ، التي تقال بين كل حين وأخر، عن الوقت وأهميته وضرورة المحافظة عليه، فمهما كان استعداد الطفل لتقبل الكلام عن أهمية الوقت واحترامه، ومهما كانت فطرته نقية وسليمة، فإنه لا يستجيب لتنفيذ ذلك عمليا، ما لم ير الأب أو الأم ملتزمين بذلك أمامه، ومن هنا كان تقريع شاعرنا العربي لكل مربي وقدوة يخالف فعله قوله:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويقتدى
بالعلم منك وينفع التعليم (٢)

ونفهم من خلال هذه الأبيات الشعرية، دور القدوة والنبراس، في غرس الخصال الحميدة، والأخلاق الفاضلة في نفوس الأبناء، هذه القدوة التي يتعدى دورها مجرد الكلام فقط، بل يجب أن تترجم الأقوال إلى أفعال.

فإذا أردنا أن نربي أطفالنا على أهمية الوقت وضرورة المحافظة عليه، فلا يتأتى ذلك بأن نخطب فيهم محدثين إياهم عن ذلك الأمر فقط، وإنما تكون الطريقة فاعلة ومؤثرة حقا، وتأتي بالثمار المرجوة منها، إذا لمس أطفالنا في سلوكنا معهم، هذا الالتزام بالوقت وتنظيمه، والحرص على احترام المواعيد والمواقيت التي نعيطها للآخرين.

فإذا قولنا لهم على سبيل المثال: إننا سوف نخرج في الساعة كذا، فلابد أن نكون مستعدين وجاهزين للخروج، في نفس التوقيت الذي أعلنا عنه، وكذلك الأمر بالنسبة لتناول وجبات الطعام في توقيت محدد، ومشاهدة التلفاز لوقت محدد، وهكذا في سائر الشئون الحياتية الأخرى، التي يجب أن تسير وفق نظام وقتي محدد، والتزام كامل من القدوة الممثلة في الأبوين بها.

حيث تؤكد الدراسات التربوية الحديثة، أن الأطفال يبدؤون بتقليد أفعال أكثر الناس قربا لهم، أي الآباء، ومن خلال الإيحاءات يتشربون مشاعرهم واتجاهاتهم، ومن خلال عملية يتبينون خصائصهم الشخصية، ومن ثم تصبح هذه الخصائص سمات تشكل مثله الأعلى، وفكرته عن ذاته، وتصوره لما ينبغي أن يكون عليه من خصال وأخلاقيات وقيم.

وهناك من الأمور المحيطة بنا، ما يساعد أبناءنا على إدراك قيمة الوقت وأهمية تنظيمه والمحافظة عليه، وأن لكل شيء وقت محدود مرتبط بميزان دقيق، لا يجوز تجاوزه أو تأجيله.

فعلى سبيل المثال نعرفهم كيف أن الصلاة محددة لا بالساعة فقط، وإنما بالساعة والدقيقة، وأن كل وقت من أوقاتها مرتبط بنظام دقيق، فإذا عودنا أبناءنا على أداء الصلاة في أوقاتها بقدر الإمكان، فإن سلوكا مثل هذا، وهو يؤدي خمس مرات يوميا، مفروض أن يغرس قيمة الإحساس بأهمية الوقت في نفوسهم، أضف على ذلك أن التثقيف الديني الواعي مفروض أن يعزز هذا أيضا، «إذ يجد أبناؤنا في القران الكريم، أن الله عز وجل أحيانا ما يقسم بمواقيت مثل العصر، وتسمى بعض السور القرآنية باسم مواقيت مثل سورة الجمعة، ويشير إلى الفجر وإلى ليلة القدر وشهر رمضان وهكذا» (٣)، وكلها أمور تدعو إلى اغتنام الوقت، وإدراك قيمته قبل فوات الأوان.

هذا إلى جانب لفت انتباههم أيضا إلى النظام المدرسي، الذي يقوم هو الآخر على توقيتات مضبوطة، بداية من الجرس المدرسي الذي يدق في ساعة بعينها، معلنا بداية اليوم المدرسي، ولليوم المدرسي نهايته الموقوتة، وكذلك لكل حصة زمنها المحدود، وكذلك فواصل الراحة بين الحصص، إذ تسير الحياة المدرسية على هذا المنوال، فإن هذا مما يساعد على تعويد الأبناء الالتزام بالوقت وحسابه بالدقيقة، ويمكن للوالدين الاستفادة من ذلك، بالتقسيم الدقيق للوقت بتحديد ساعات للاستذكار مثلا، ووقت محدود لتناول الطعام، ووقت للترفيه والتنزه، ووقت محدد للنوم والاستيقاظ، ووقت للمناقشة والحوار مع الأبناء، وكل ذلك يتم بطريق تبادل الحديث الطبيعي التلقائي، الذي يستوضح الطفل من خلاله، بأن الوقت هو أحد عناصر الثروة الحقيقية للإنسان، والتي إذا ما ضاعت أو أهدرت، لا تعوض لأن اليوم الذي يمر، والساعة التي تمضي لا نستطيع تعويضها، ولابد أن نستثمر هذا الوقت في كل ما هو نافع ومفيد.

وفي النهاية نقول: إننا إذا كنا نريد تربية أطفالنا على قيمة وأهمية الوقت، واغتنامه في عمل جاد وتحصيل معرفة جادة، فلا يعني هذا أن نجعلهم يقضون ساعات عمرهم في عمل مستمر، لا يعرفون خلاله أي شكل من أشكال الترويح والتسرية عن النفس، ولكن إدراك قيمة الوقت التي نقصدها هنا، لا تعني ذلك مطلقا، فالوقت الذي يمضيه أطفالنا في الراحة والتنزه، واللهو المباح، ليس وقتا ضائعا أو مهدرا، فأجهزة الجسم مثلها مثل الآلات المادية، بحاجة إلى الراحة، وإلا كلت وتعبت واعتراها السأم والملل، ولكن ذلك يجب أن يتم بنظام دقيق، وفي أوقات محددة، حتى لا يطغى جانب على حساب جانب أخر.

الهوامش

١- أخلاقنا، د. محمد ربيع محمد جوهري، الناشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر، (ص ٧١).
٢- تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله ناصح علوان، (٦٠٧/٢).
٣- كيف نربي أبناءنا، د. سعيد إسماعيل علي، سلسلة كتاب اليوم، (ص ١٢٥).

أ. د. أمان قحيف
باحث أكاديمي

الإسلام والدور الحضاري للمرأة

لا يستطيع المرء أن يتبين عظمة ورفعة شأن الدور الحضاري الذي أتاح الإسلام للمرأة أن تؤديه وتقوم به إلا إذا نظر في مواقف بعض السابقين على الإسلام منها ومن دورها في المجتمع. وإذا كان العالم يشهد من أقصاه ذات الشرق إلى أقصاه ذات الغرب بأن الحضارة اليونانية قد أنجبت أعظم مفكري العالم وأساتذة فلاسفة الدنيا، أعني أفلاطون وأرسطو، فإن السياق يقتضي أن نتوقف مع رؤيتهما للمرأة، لنعرف نظرتهما لها ولمكانتها ودورها في الحياة الإنسانية؛ ليتبين الفرق بين فكرهما وبين الرؤية الإسلامية التي أحدثت نقلة حضارية كبرى في النظرة إلى المرأة؛ باعتبارها تمثل نصف المجتمع، وأمه، ومربية أجياله.

نشير -بادئ ذي بدء- إلى أنه لم يكن للمرأة في الفكر اليوناني عموما موقعا أسمى ولا أرقى من موقع العبيد ومكانتهم، وربما ساوى فلاسفة اليونان بينها وبين الأطفال والحيوانات والسفهاء من الناس «فنلاحظ أن كراهية أفلاطون للمرأة قائمة حتى في محاورة الجمهورية نفسها، التي تعد من أنفس كتاباته، فهو لا يتحدث عنها، بوصفها امرأة، إلا بكثير من الاحتقار، ويصنفها مع الحيوانات والأطفال والمجانين.. إلخ. ثم هو يضعها بين مقتنيات الرجل، وما يمكن أن يمتلكه، ولا يريد أن تكون العلاقة بينهما مبنية على المشاعر والحب والود والصداقة. إنه يريدها علاقة «لا شخصية»، بل إنه يصل في ازدرائه للمشاعر الطبيعية للمرأة وفي امتهانه لكرامتها إلى حد القول بأن المحارب الشجاع ينبغي أن يكافأ على بسالته بمزيد من النساء» (١). وعنده أن «على المرأة أن تقبل عن طيب خاطر ذلك الوضع الذي تكون فيه مجرد وسيلة لمكافأة الشجعان من المحاربين» (٢).

وهكذا نجده يساوى بينها وبين العبيد والأطفال والمجانين... إلخ، فهو بالتالي لم يعطها حقها من التكريم على النحو الذي أراد

تحقيقه للرجال الأحرار. ولما كتب أفلاطون عن إمكانية تدريب المرأة على حمل السلاح والمشاركة في الحروب، أشار إلى ضرورة تجريدها من أنوثتها بتربية عضلاتها وتقويتها وجعلها تمارس التدريب مع الرجال من دون خجل أو وازع أخلاقي!.. وبالجملة فقد أراد أفلاطون من المرأة المتدربة على السلاح أن تفقد أنوثتها وإنسانيتها؛ ليجعل منها كائنا آخر أو مخلوقا مختلفا ومغايرا للجنسين المعروفين للبشرية على مر التاريخ، الذكر والأنثى.

ولما جاء أرسطو سار على الدرب نفسه، وتحرك في الاتجاه نفسه، وجاءت آراؤه في المرأة صادمة ومعبرة عن نظرته المتدنية لها ولمكانتها «رغم وجود سيدات في مجتمعه على درجة كبيرة من الذكاء، ورجاحة العقل، وقوة البصيرة، قاومن تقاليد المجتمع البالية، فقد كان المجتمع اليوناني يقتل مواهب النساء جميعا، ولا يعترف بهن إلا كخادمات للأب أو الزوج، لأنهن قاصرات لا يجدن سوى أعمال المنزل!» (٣).

واللافت أن أرسطو تمسك بهذه الرؤية، على الرغم من أنه عرف نساء يونانيات أظهرن قدرا ملموسا من البراعة والتميز.. فقد عرف أوليمبياس olympiass زوجة الملك فيليب التي دعمت ابنها عندما لاحظت انشغال أبيه بالملذات «فكانت تقف وراء ابنها تبث فيه روح العظمة، والقوة، والمجد، وتؤنبه كلما وجدت فيه ضعفا أو ترددا، وتحتضنه في الوقت الذي كان فيه أبوه فيليب مشغولا عنهما. ولقد عرف أرسطو هذه المرأة عن كثب، إذ كانت تزوره لتطلع على أحوال المدرسة التي يعلم فيها الإسكندر (ابنها) وبعض أمراء البلاط ، وكان المعلم الأول (أرسطو) يهرول مسرعا للقائها عندما تصل عربتها الملكية، ومع ذلك لم يراجع أفكاره عن المرأة قط! ومن المفارقات الطريفة أنه لم يعجب أوليمبياس ولم تقتنع به، فقالت: «ليس عنده ما يقوله من أفكار خلاقة، وهو نحيل ألثغ».. وعرف أرسطو أيضا الشاعرة سافو sappho، التي سماها سقراط بالجميلة، وكان بذلك يعبر عن عبقريتها، وقال عنها أفلاطون: «إنها الربة العاشرة للفنون!». كما عرف المرأة الذكية البارعة، التي كانت حديث أثينا أسباسيا Aspasia، التي يروي التاريخ أن بيتها كان منتدى للشخصيات الكبيرة في أثينا، فقد كان يحضر صالونها الأدبي: سقراط، وأفلاطون، وفيدياس، وأنكساجوراس، وسوفوكليس، ويوربيدس... إلخ. عاصر أرسطو هذه الشخصيات النسائية اللامعة، كما استمع بالقطع إلى حديث أفلاطون عن ديوتيما diotima. لكن أرسطو غض الطرف عن هذه النماذج المضيئة اللامعة في عصره، ليأخذ بفكرة رجل الشارع عن المرأة» (٤). هذه الفكرة التي تتسم بالسطحية وسوء التقدير.

تلك هي رؤية كبار فلاسفة العالم القديم – فيما يسمح به المجال – للمرأة، وواضح أن فيها من العوار الذي يصيب الفكر البشري ما فيها.

ولما جاء الإسلام الحنيف – وهو وحي الله إلى رسوله ﷺ – وضع المرأة في مكانها اللائق بها كمخلوق من بني آدم، متجاوزا بذلك كل أطروحات الفكر البشري السابق عليه حول مكانتها ودورها في الحياة الاجتماعية للناس.. لقد أناط الإسلام الحنيف بالمرأة أن تتحمل مسؤوليتها الحضارية في بناء المجتمع وتقدم الأمة، ولم يرد لها أن تكون حملا على الرجل في العملية الإنتاجية أو الإبداعية، لقد أراد لها أن تكون شريكا حقيقيا في توجيه حركة الحياة وصناعة تاريخ الأمة وبناء المجتمع والمحافظة على كيانه.. ويتضح هذا المعنى من خلال وعينا بما يلي:

أولا – شقائق الرجال: تأكيدا على أنه لا استغناء للأمة والمجتمع عن دور المرأة في التنمية والتطوير والإصلاح ورد في القرآن الكريم ما يفيد بأن أصل المرأة والرجل واحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).. وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).. فالمرأة شقيقة الرجل؛ لأنها جاءت هي وهو من نفس واحدة، ومن ذكر وأنثى، أي: أب وأم، فهما مشتركان في الأصل.. وكما أنه لا يوجد شعب له حق التميز عند الله تعالى على غيره من الشعوب إلا بالتقوى، فإن كلا من الجنسين – الرجال والنساء – لا تميز بينهما ولا أفضلية عنده سبحانه إلا بالتقوى أيضا.

وتأكيدا على هذا المعنى وإبرازا له جاء حديث المصطفى ﷺ الذي يقول فيه: «النساء شقائق الرجال» (٥). فالمرأة شقيقة الرجل، وكرامتها تترادف مع كرامته، ودورها يتوازى مع دوره، فكل منهما يكمل الآخر ويتناسق معه، ولا يتنافر مع فعاليته

في الوجود الإنساني.
ثانيا - لها نصيب من الميراث: قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء:٧).. وقال الطبري في تفسير هذه الآية: «قال أبو جعفر: للذكور من أبناء الميت حصة من ميراثه، وللإناث منهم حصة منه، من قليل ما خلف بعده وكثيره، حصة مفروضة، واجبة، معلومة، مؤقتة» (٦) (بمعنى محددة).. وليس بيت القصيد هنا بيان أن الإسلام أعطى للمرأة حقا في الميراث فحسب؛ ولكن المهم الإشارة إلى أن لذلك دلالة مؤداها: أنه يحملها بهذا التوريث دورا مهما في الحياة الإنسانية؛ لأنه جعل لها ذمة مالية خاصة بها، الأمر الذي يعكس ثقته في عقلها وقدرتها على تنمية أموالها ومواردها وثرواتها، بالتالي تدفع زكاتها وتنفق بعضها في سبيل الله، ما يعني مشاركتها الإيجابية في تنمية المجتمعات وتطويرها.

ولاشك أن في هذا الموقف نقلة حضارية على مستوى كبير من الأهمية، إذ أصبحت الأنثى إنسانة لها حقوقها التي لا يجوز الجور عليها بحال من الأحوال، ولم تعد نصف رجل، ولا خيال رجل، أو ظله، كما كان يزعم بعض القدماء.. ولم تعد منكسرة النفس أو مهيضة الجناح، بل أضحت عنصرا فاعلا يساهم بشكل حقيقي في التنمية والبناء والتقدم.

ثالثا - جعلها مفتية في دين الله: لقد تعاملت الرؤية الإسلامية مع المرأة تعاملا غاية في السمو والارتقاء؛ إذ سمح لها الإسلام بأن تفتي الناس في أمر دينهم، وسمح لها أن تقوم بمهام ومسؤوليات لها قدرها في مجال الدعوة إلى الله تعالى، حيث أشار القرآن الكريم إلى تحملها - مع الرجل - مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة:٧١).. قال ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ «أي يتناصرون ويتعاضدون» (٧).. ونفهم من هذا أن المؤمنين والمؤمنات يتناصرون ويتعاضدون فيما بينهم في طاعة الله تعالى. وفي صدارة ما يتناصرون وما يتعاضدون فيه، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذلك فالذكورة ليست شرطا لا في الدعوة ولا في الإفتاء.. والشاهد هنا أن الإسلام الحنيف سمح للمرأة بالمساهمة في إصلاح المجتمع؛ فالدعوة إلى الله تتسع لتشمل مختلف قضايا الأمة من تربية وتنمية وإصلاح.

من هنا رأينا أمهات المؤمنين يفتين الصحابة في أمور الدين، وكن يشاركن بالرأي في القضايا العامة، وكن يشرحن الأحكام الصادرة عن الرسول ﷺ ويكشفن عن مقاصده فيها، وكان منهن السيدة عائشة وأم سلمة وزينب وميمونة رضي الله عنهن.. وظهر في التاريخ الإسلامي العديد من المفتيات، منهن: أم عيسى بنت إبراهيم الحربي، وأمة الواحد سكينة بنت القاضي أبي عبدالله الحسيني المحاملي، وأمة السلام بنت القاضي أبي بكر أحمد بن كامل.. وغيرهن كثيرات.

رابعا - أكد رجاحة عقلها: فكلنا يعلم ما وقع يوم صلح الحديبية، عندما قبل الرسول ﷺ شروط سهيل بن عمرو، وأقبل على الصحابة قائلا لهم: «قوموا فانحروا ثم احلقوا - وكرر ذلك ثلاثا - فوجم جميعهم وما قام منهم أحد، فدخل على زوجته أم سلمة، وذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم منهم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل الآخر لفرط الغم» (٨).

والحق أنه لا يذكر بعض من لا يعرف جوهر الرؤية الإسلامية للمرأة غير أنها ناقصة عقل ودين.. ويزعم بعضهم أن هذا هو موقف الإسلام منها، ويتخيل أن تلك هي جماع رؤية الدين الحنيف لها، غير أن هذا الرأي يفتقد الدقة والموضوعية.. أما افتقاده إلى الدقة فيتمثل في تجاهله للمناسبة والموقف الذي قال فيه الرسول ﷺ هذا الكلام، وأما افتقاده الموضوعية فيتمثل في أنه لا يلم برؤية الإسلام للمرأة بشكل كامل متكامل.

ويمكننا أن نفهم قول النبي ﷺ «ناقصات عقل ودين» في حديثه المشهور على النحو التالي:

أولا - ناقصات عقل: نرى أن هذا القول جاء لمدح المرأة لا لذمها؛ إذ هي قد تكون شديدة الذكاء، نافذة البصيرة، قوية التفكير، تمتلك رصانة عقلية، ولديها ألمعية فكرية.. وتكون في الوقت نفسه ذات عاطفة جياشة، وقلب ينبض بالمودة

والتعاطف والمحبة والتراحم، ولديها ارتقاءات روحية، كل هذه الأمور قد تجعل مواقفها تتسم بالتسامح والتعاطف؛ لكونها تمتلك ملكتين - العقل والعاطفة - غير أن عاطفتها تتجاوز عقلانيتها من دون انتقاص من الأخيرة ولا تقليل من شأنها، غير أن حنو المرأة يسبق عقلانيتها، لكنه لا يؤثر فيها سلبا؛ لأن القرآن الكريم زكى عقل المرأة في أكثر من موضع:

أ - فقد كشف النقاب - في سياق حديثه عن بلقيس ملكة سبأ - عن كونها كانت تمارس الشورى في وقت لم يكن للحكام منهج في الحكم غير الديكتاتورية والاستبداد، وأنها كانت معروفة بالحكمة والفطنة، وأن معاونيها في الحكم كانوا على ثقة من ذلك فأوكلوا إليها أمر اتخاذ القرار واعترفوا بأن قرارهم سيكون مرتبطا بالعنف والقوة أما قرارها فسيكون أكثر ارتباطا بالعقل والوعي والحكمة والتفكير ﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (النمل:٢٩-٣٣).

وهذا موقف من شأنه تزكية عقل هذه المرأة وامتداحه، لا وصفه بالنقصان وضيق الأفق، خصوصا أنها تبنت الموقف الحق والصواب وأسلمت لله رب العالمين عندما أدركت سلامة وصدق القضية الإيمانية التي صدها عنها ما كان سائدا في مجتمعها من أباطيل وثنية وخرافات: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (النمل: ٤٣-٤٤).

ب - ومن علامات وأدلة احترام الإسلام لعقل المرأة وثقته فيه، توجيه النبي ﷺ صحابته، رضي الله عنهم، بأن يأخذوا نصف دينهم عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وكانت أم سلمة تحدثهم هي الأخرى في أمر الدين.. وغيرهما من الصحابيات.

فحديث النبي ﷺ لا يفيد نقص دينها قدر ما يشير إلى تسامي وارتقاء عاطفتها، وعلو شأن الناحية الإنسانية فيها، فهي تمتلك ملكتين كلتيهما راقية - العقل والعاطفة - غير أن طبيعتها الأنثوية قد تجعل عاطفتها أسبق في التعامل مع الأمور ودراسة القضايا.. ولو كانت المرأة ناقصة في دينها - بشكل مطلق - ما عين الخليفة عمر رضي الله عنه امرأة في وظيفة محتسب بحال من الأحوال.

ثانيا - أما ما يثار حول نقص دينها، فالواجب أن نفهمه على أن الله تعالى عافاها من بعض مطلوبات الدين والتدين نتيجة لمرورها بظروف بيولوجية ونفسية عند حيضها ونفاسها، لأن هذه الظروف تجعل مشقة العبادة زائدة عليها ومرهقة لها.

ولا يستسيغ العقل المسلم الزعم بأن المرأة ذات نقص دائم في الدين؛ لأن المرأة المؤمنة تؤدي عبادتها لله طوال الوقت إلا في ظروفها الخاصة، ولأن الله تعالى زكى آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم:١١ و١٢). واللافت أن الله تعالى ضربهما مثلا: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أي: المؤمنين والمؤمنات، فهل يجوز بعد ذلك الزعم بأنهن ناقصات دين طوال الوقت؟!

الهوامش

١- l. a. sinclair: ahistory of greek thought. p ١٥٦.
نقلا عن د. إمام عبدالفتاح إمام، أفلاطون والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ص٨١.

٢- د. فؤاد زكريا، دراسة الجمهورية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٠٢.

٣- د. إمام عبدالفتاح إمام، أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص١٠٩، بتصرف يسير.

٤- المصدر نفسه، ص١١٠.

٥- أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث أم سليم بنت ملحان برقم ٥٨٦٩، والترمذي في كتاب الطهارة برقم ١٠٥، وأبو داود في كتاب الطهارة برقم ٢٠٤.

٦- الطبري، تفسير القرآن الكريم، راجع تفسير الآية السابعة من سورة النساء.

٧- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، جـ٢، ص٣٦٩.

٨- نقلا عن د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، الطبعة الحادية والعشرون، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠م، ص٢٣٣.

هبة محمد أبو الفتوح
كاتبة صحفية

تساؤلات أطفالنا.. فضول أم معرفة؟

في كثير من الأحيان يضيق الآباء والأمهات من كثرة التساؤلات التي يطرحها عليهم أطفالهم، ولا يدركون أن الطفل في كل مرحلة من مراحل عمره تتغير تساؤلاته، وهذا دليل على تعطشه للمعرفة، وقد تدل على خوفه وقلقه.

ومن أكبر الأخطاء التي يقع فيها الآباء والأمهات دون دراية منهم: التهرب أو الضجر من الرد على أسئلة أطفالهم، أو تعمد تأجيل الإجابة عنها، وبخاصة الحساسة منها، وهذا يترك أكبر الأثر في نفسية الطفل، ويُولّد لديه الشعور بالذنب إذا كان السؤال محرجا، وكانت إجابة الوالدين ناقصة، وتمكن الطفل من الحصول على المعلومات من جهة أخرى، كما يجعله يفقد الثقة بوالديه، وهذه الحالة تؤدي به إلى الانطواء والمعاناة من الوحدة والحيرة أمام تساؤلات ومشكلات لا يجد لها حلا ولا جوابا.

ويؤكد الأطباء النفسيون والمتخصصون في الدراسات النفسية والاجتماعية أنه يجب الأخذ والعطاء مع الطفل، والإجابة عن كل تساؤلاته، لأن في هذه الإجابة فائدة عظمى منها:

تنمية شخصية الطفل، وتنمية مقدرته اللغوية، وتنمية استعماله

للكلمات والتعبيرات الجديدة، وتعلمه فنّ الإصغاء والاستماع، والمشاركة وجدانيا مع أبويه، وذلك يجعله أكثر تقبلا وتفهما لها، وينمي ثقته بنفسه وبالآخرين.

فالطفل في هذه الحياة كما حلّلها أطباء علم النفس أنه مثل إنسان وجد نفسه غريبا في غابة لا يعرف عنها شيئا، فهو يريد أن يسأل ويسأل حتى لا تطول حيرته ويشعر بالقلق والتوتر النفسي والخوف، فالطفل يرى نفسه ويحبها، يتكلم ويمشي ويتحرك، ولكنه لا يفهم للحياة معنى، إنه لا يعرف أين تختفي الشمس، ولا يفهم لماذا يأتي الليل؟ ولماذا ينزل المطر؟ ولماذا تختفي وجوه؟ وما هو الموت؟ كل هذه تساؤلات يراها في بيئته ولا يفهم لها معنى، لذلك فهو لا يكف عن السؤال، ولذلك وجب على الآباء والأمهات أن يردوا على تساؤلات أطفالهم، وأن يقدروا أهمية هذه التساؤلات وأهمية الإجابة عنها، وكيف تندرج وفقا لمراحل نموه وتفكيره ومدى استيعابه لفهم كل هذه التساؤلات.

كيف نتعامل مع تساؤلات أطفالنا؟ هذا هو بيت القصيد، ويؤكد علماء النفس والاجتماع أن الطفل في سن الثالثة من عمره يبدأ بالسؤال عن كل ما حوله دون ملل، فهو يلاحق أباه وأمه بالأسئلة والاستفسارات التي يحس بها أو يراها، والتي تعبر عن شخصيته والبيئة التي يعيش بها، كما يؤكد علماء النفس أن فضول الأطفال يعد شيئا طبيعيا، يدل على ذكائهم ورغبتهم في التعرف على المحيط حولهم، وتعتبر المرحلة المبكرة من عمر الطفل مرحلة حساسة، كونها تؤثر على معرفته ووعيه بالأشياء.

وينصح علماء النفس والاجتماع الآباء والأمهات أن يمنحوا أطفالهم الفرصة لكي يستمعوا إلى تساؤلاتهم، وأن يراعوا عند إجابة أطفالهم عن تساؤلاتهم بأن يكون الجواب متناسبا مع قدرة الطفل على الاستيعاب وتبسيط الأجوبة له قدر المستطاع، إذ من غير المقبول إعطاء أجوبة خاطئة أو غير منطقية لإنهاء المحادثة مع الطفل، أو مقاطعته قبل استكمال حديثه، أو تأجيل إجابة الطفل عن سؤاله، كأن يقولوا له: عندما تكبر ستعرف الإجابة.

وللأسف نجد هذا الأسلوب الخاطئ في التربية –والذي يتمثل في الإهمال والقسوة الزائدة– هو السائد لدى كثير من الأسر التي تسرف في القسوة والشدة مع أطفالهم، اعتقادا منهم بأن ذلك سوف يسهم في تربيتهم وتوجيههم إلى الطريق الصواب، ودائما ما يصاحب القسوة في تربية الأبناء، إهمال متطلبات وحاجات الأطفال، ويظن الآباء والامهات أن الحرمان وسيلة تربوية، كما أن هناك بعض الأسر التي تهمل توجيه أطفالهم تماما، اعتقادا منهم بأن الطفل في مرحلة الخمس سنوات الأولى لا يحتاج إلى توجيه، ويعدونها مرحلة لا تأثير لها في الطفل، لأنه مازال صغيرا ولا يدرك.

ويجب على الآباء والامهات أن يتأسوا بالنبي ﷺ في تعاملهم مع تساؤلات أطفالهم، بأن يبتعدوا عن الانفعال الشديد أو الاهمال التام، فالنبي ﷺ كان يعالج المشكلات، ويجيب عن الأسئلة، ويصحح الانحرافات بكل تؤده ورفق، خاصة إذا كانت هذه التساؤلات وتلك الاستفسارات التي يطرحها الأطفال، تدور حول العقيدة والغيبيات.

وبالتالي يجب الإنصات للطفل وتقبل سؤاله، واستغلال حبه للمعرفة لتزويده بمعلومات مفيدة، توافق مرحلته العمرية، بأسلوب تربوي يوصل الهدف ولا يؤدي إلى نتائج عكسية.

وفي الختام: أدعو الآباء والأمهات أن يتحلوا بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن لأبنائهم في حوارهم مع أطفالهم، امتثالا لأمر الله تعالى، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل:١٢٥)، وبالتالي فإنه يجب على الآباء والامهات أن يقربوا مفاهيم العقيدة لأطفالهم، بطريقة يمكن أن يدركوها بعقولهم الصغيرة وفهمهم البسيط للأمور، حتى يملؤوا فراغ السؤال الذي يدور في ذهنهم، وحتى لا يدعوا لأطفالهم فرصة التوصل إلى أجوبة بأنفسهم وبطريقتهم التي تكون خاطئة تأتي بنتائج عكسية.

كما يجب على الآباء والأمهات أن يزرعوا في نفوس أطفالهم الإحساس بأنهم يحترمون أفكارهم، وأنهم لا يستهينون بأسئلة أطفالهم حول أي شيء بشكل عام، وفي أمور الدين والعقيدة بشكل خاص، وإشعارهم باهتمامهم بهم وبأسئلتهم، الأمر الذي سينعكس إيجابا على شخصيتهم، لأن الشخصية تنمو مثل الجسد، واحترامها هو طريق إلى بنائها ونهوضها، خاصة وأن أسئلة أطفالنا المزعجة في السن المبكرة، حساسة وغير منتهية، إلا أن الحل ليس بإسكاتهم أو التهرب من الإجابة عنها أو مخاطبتهم فوق مستوى عقولهم، وإنما الصبر عليهم ومحاورتهم والإجابة عليهم بحكمة وصدق، وتبسيط لمستوى أفهامهم وعقولهم.

د. عبد الفتاح العيسوي
باحث مصري

تنمية المهارات الحركية والعقلية للطفل

لا يقتصر اكتساب المهارات الحركية على الإنسان، بل إننا نشاهد القطة الصغيرة تداعب أمها منذ الشهر الأول من عمرها، وتعض ذيلها وذيل أمها في حركات مبهجة، وإذا تدلت بسلسلة أو حبل صغير من مكان ما، فإنها تلاحقه أينما تحرك وتحاول التقاطه، ثم قد تستلقي على ظهرها وتحاول اللعب به بواسطة أرجلها الأربع وفمها، وإذا أراد الإنسان أن يداعبها فإنها تطبق أرجلها وأسنانها على يده وتعضه برفق، دون أن تغرس أنيابها أو مخالبها في جلد يده، كما تفعل عندما تكون غاضبة أو عند الدفاع عن نفسها، أو كما تفعل عندما تلتقط فأرا، والجدي الصغير يحاول منذ سن مبكر القفز هنا وهناك، وكذلك الغزال الصغير يأتي بحركات متشابهة تمتاز بالسرعة والدقة، والطيور تلعب وتظهر بحركاتها أنواعا من الفنون، والقردة تقفز فوق أغصان الأشجار من غصن إلى آخر بحركات بهلوانية سريعة وعجيبة.

إذن، لا يقتصر اكتساب المهارات (skalls) الحركية على الإنسان، بل تتعداه إلى الكائنات الحية على اختلاف أنواعها بالطريقة التي تتفق مع قدراتها واستعداداتها، وفي هذا الشأن يؤكد «كارل غروس» أنه كلما زاد ذكاء (intelligence) النوع وقدرته على التوافق أو التكيف النفسي (psychological adjustment) اشتدت حاجته إلى اللعب والحركة، كما قرر أن اللعب أساس الجماليات، فالحيوانات تلعب لأن ذلك ينفعها في صراعها من أجل البقاء، والطفل يلعب لأنه يتدرب على المهارات اللازمة لحياة الكبار.

واللعب في نظر «بياجيه» مظهر من مظاهر التمثل عن طريق تكرار الحركات حتى يقوي ويتم تمثله وموائمته، والتمثل هو أساس عمليات النمو الجسمي والعقلي بما في ذلك الذكاء.

أما «سيجمند فرويد» فإنه يفترض أن اللذة والألم اللذان يتحكما في السلوك الإنساني، فنحن نسعى إلى ما يسير اللذة ونتجنب ما يجلب الألم، ففي اللعب كما في الأحلام والخيال (imagination) يستطيع الطفل أن يحقق ما لا يستطيع تحقيقه في ظل الظروف السيئة، وبالتالي فإن اللعب يرجع إلى دافع السيطرة على الأحداث والحصول على اللذة، كما قرر أن هناك غريزة (instinct) أساسية هي الليبيدو (lipido)، وتعني النزوع إلى الحياة، معتبرا إياها مصدر لكل الدوافع (motives).

تنمية المهارات الحركية والعقلية

من المعلوم أن المهارات متعددة ومتنوعة بتنوع الحركات والألعاب، ويؤكد «بياجيه» أن هناك فرقا بين تكرار الحركات والألعاب بقصد اللهو واللعب، وتكرارها بقصد الوصول إلى امتلاك مهارة في أدائها.

وفي كثير من الأحيان يصعب أن نفرق بين الهدفين، فالطفل الذي تصدم يده لعبته المعلقة فوق سريره، وتحدث صوتا مثيرا، فإنه يكرر العملية بهدف الاستكشاف، ثم يكررها بهدف الوصول إلى اكتساب المهارة في إصدار الصوت، وبما أن اللعب ينمو بنمو الطفل جسميا وعقليا، فالطفل يولد ولديه عدد من الحركات اللإرادية (involuntary) الضرورية للقيام بوظائف حيوية مثل التغذية والوقاية، وبعض هذه الحركات تختفي في الشهر الرابع، والبعض الآخر يظل أبعد من ذلك، وفي الحالتين يحل محلهما حركات إرادية تزداد إتقانا كلما تقدم الطفل في العمر، وتتجه نحو اكتساب المهارة، ولنمو الطفل قواعد عامة قسمها الطب الحديث كما يلي:

الجانب الاول: هو نمو الحركات الكبيرة كالزحف والجلوس والمشي والقفز.

الجانب الثاني: هو نمو الحركات الناعمة والتآزر والتناغم (harmony) بين حركات اليد والرؤية.

الجانب الثالث: هو نمو حاسة السمع واكتساب المعلومات.

الجانب الرابع: هو النمو النفسي والاجتماعي.

فكل ما يستطيع الطفل أن يكتسبه أو يقوم به من حركات عشوائية أو متقنة يقع في واحدة أو أكثر من الجوانب السابقة، حيث أن النمو بصفة عامة هو ارتقاء خصائص الكائن الحي سواء أكانت جسمية أو عقلية أم انفعالية.

وهو عادة يكون تدريجيا ومستمرا، ويحدث في الكم والكيف، ويسير نحو تكامل الشخصية (personality intergration) الذي يعني تنظيم مكونات الشخصية وأجزائها وعناصرها المختلفة «أعضاء وأجهزة بدنية ودوافع وميول وقدرات وخبرات وإحساس وانفعالات وتفكير وسلوك» في وحدة متماسكة في جوانبها، ومتناغمة في وظائفها.

وكلما كانت شخصية الطفل متكاملة دل هذا على ارتفاع مستوي الصحة النفسية بها، وعلى خلوها من الاضطرابات النفسية الواضحة.

وما ينبغي أن نهتم به في مراحل نمو الطفل، هو ماذا يستطيع الطفل إنجازه في كل مرحلة من المراحل السابقة؟ وكيف نستطيع توظيف معرفتنا في تنمية حواسه وإدراكه والوصول بها إلى درجة المهارات المرغوب فيها؟ وكيف يتم الكشف المبكر عن أي خلل؟ ومحاولة التقليل من آثاره الضارة أو علاجه؟.

وبدراسة نمو الطفل في مرحلة ما، يمكن الكشف عن الموهوبين ومتابعتهم ورعايتهم وصيانة مواهبهم والمحافظة عليها والعمل على تنميتها، لما في ذلك من فوائد لا تحصي.

ومن المعلوم أن عملية النمو مرتبطة بنضج الجهاز العصبي المركزي (central nervous system) وبتكوين الأعصاب واللحاء حولها، وأن كل خطوة من نمو الطفل لا يمكن اكتسابها قبل الخطوة التالية، وأن المران والتدريب مفيد في حينه، وأنه غير مجدي في غير أوقاته المناسبة.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى ما يعرف بالفترة الوظيفية أو الفترة الحرجة، وهي التي يكون فيها الجهاز العصبي والأجهزة المقابلة مثل الحواس وغيرها مهيأة للقيام بوظيفة معينة، فإذا انقضت تلك

المدة قبل اكتساب الطفل لوظيفة ما، فإنه من الصعب أن تكتسب في مرحلة أخرى بنفس النضج والاكتمال.

فمثلا: إذا ولد طفل فاقد السمع أو فقده في الشهور الأولى، واستمر كذلك حتى بعد انقضاء أربعة أو خمس سنوات من عمره، وهي المدة المناسبة لتعلم اللغة سماعا ولفظا، فإن هذا الطفل لن يتمكن من فهم الكلام المسموع، حتى لو تم علاج سمعه، وزال المعوق تماما بعد هذه المدة.

ومن المعلوم أن نظريات التعلم تقول: إن نواحي السلوك يمكن للإنسان أن يتعلمها، وبالتالي فإن المران والتدريب والتكرار والتعزيز والإثابة ورفع الدافعية هو الأصل، وكذلك السلوك يمكن تعديله بأي اتجاه نريد هو، تبعا لذلك، فإن كسب المهارات مرهون بالتدريب والممارسة، وبذلك يكون عدم المران والتدريب مسئولا إلى حد كبير عن عدم اكتساب المهارات المرغوب تعلمها.

ولذلك لا يستطيع أحد أن ينكر دور البيئة والأسرة والمدرسة وما بينهما وما تتضمنه من غنى وجهود، أو فقر وإهمال.

فمن المتفق عليه أن هناك عوامل كثيرة في البيئة تساعد الطفل على النمو والتطور، جسميا وعقليا ونفسيا وروحيا وخلقيا وسلوكيا، في الاتجاه الأفضل، ليكون أكثر قدرة على كسب المهارات المختلفة، ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

- توفير الوسائل اللازمة، فلا يمكن أن يتعلم طفل السباحة إلا بممارستها مهما شرحنا له كيفية السباحة، أو أن طفلا يتقن بعض الأعمال الفنية كالرسم قبل أن نوفر له الأقلام والريشة والألوان واللوحات الفارغة أو الورق.
- إتاحة الفرصة للطفل للممارسة والتدريب والتكرار حتى يتقن المهارات المطلوبة على ان يكون في السن المناسب.
- إثابة الطفل أو تعزيزه ومكافئته كلما أراد أن يعبر عن نفسه بأي صورة من صور التعبير، وعدم اعتبار أعماله وحركاته وكلامه وأفكاره وآرائه مادة للسخرية أو التندر أو الاستهتار.
- وعلى الأسرة أن تعمل على اكتشاف وتفتح وتنمية استعدادات أطفالها، وصيانة مواهبها وميولهم وقدراتهم العقلية، وعلى اكتساب العادات والاتجاهات العقلية السليمة، وعلى تدريب حواسهم وقواهم وقدراتهم الحركية والعقلية وتوفير البيئة ومثيراتها العقلية والثقافية، ومن ذلك: الألعاب التعليمية الهادفة المختلفة والصور والكتب والمجلات، وعلى التفكير المنطقي السليم، وتوفير القدوة الحسنة، وعلى الموضوعية والصراحة في القول والعمل.
- تهيئة الجو المناسب والمشجع واستقامة التفكير والتمتع بنعمة العقل الذي وهبهم الله إياه.
- والعمل على تحقيق النمو والنضج الانفعالي والعاطفي السليم المناسب لسنهم والتكيف النفسي مع أنفسهم ومع الآخرين، وتنمية العواطف الإنسانية النبيلة، ومعرفة حاجاتهم النفسية والاجتماعية وإشباعها، وتوفير النشاط والحركة والأمن والأمان والاستقرار والسكينة، فلا يثيرون لديهم مشاعر النبذ

والاهمال والنقص والضعف والتهديد والقسوة والعقاب البدني أو المقارنة غير العادلة، واحترام آرائهم ومشاعرهم ورغباتهم المعقولة، وتدريبهم على التحلي بالصفات النفسية المرغوبة، كالثقة بالنفس واحترام الذات، وضبط النفس عند الغضب بضرب الأمثلة الطيبة، والتعامل بالعدل والمساواة، وتجنب تدليلهم، والإفراط في رعايتهم، لأن ذلك يقلل الاعتماد على النفس، والعمل على غرس الطمأنينة والأمل في نفوسهم، وتوطيد أركان الحق والخير والعدل.

- توفير مناخ يسوده الحب والود والحنان (tenderness) والدفء عند تدريب الطفل على أي مهارة ما، ثم يأتي التشجيع والاستحسان والمكافآت لتقوية الدافعية لإنجاز وكسب المهارات المطلوبة.

دور التقليد في تنمية المهارات الحركية والعقلية

للتقليد (imitation) وظائف، منها: إثارة القوى الوراثية والميول الفطرية الكامنة على التدريب والقيام بوظائفها، وتحديد الحالات التي تصح فيها تغذيتها تحديدا يتفق مع مصلحة الفرد، ويتلائم مع تقاليد أمته ونظمها الاجتماعية، فغريزة المقاتلة وحب السيطرة والتملك والغرائز الأسرية وما إليها كل أولئك يرجع الفضل فيه إلى التقليد في إثارته لدي الطفل، وفي تشكيله بالشكل الذي يتفق مع نواميس المجتمع الذي يعيش فيه.

كما أن التقليد يعتبر من أهم عناصر الألعاب، فكل الألعاب التي يقوم بها الطفل كألعاب الصيد أو الألعاب الأسرية والاجتماعية والزراعية والصناعية والأمنية والتعليمية والفكرية والوجدانية، وكثيرا من الألعاب التي تهدف إلى تقوية النواحي الجسمية والعقلية والنفسية.

كما يستفيد الطفل من التقليد الذي من شأنه مساعدته على الإلمام بحقائق ما يحيط به من الأشياء المادية وكيفية استخدامها.

كما يفيد التقليد في فهم ما يعتري غيره من الانفعالات النفسية، فالطفل مدفوع إلى محاكاة ما يبدو على وجه غيره وجسمه من مظاهر الحزن والسرور والتعجب وما إليها، وهذه المحاكاة نفسها تجعل الطفل يشعر بنفس الوجدان الذي قلد مظاهره، وتجعله تبعا لذلك يدرك كنهه.

زد على ذلك أن التقليد وسيلة من وسائل اكتساب المهارات الفنية والصناعية. وبالتقليد يكتسب الطفل لغة بلاده وغيرها من اللغات، وعامل أساسي من عوامل التربية الخلقية، فإن الأخلاق تغرس بأعمال أكثر ما تغرس بالموعظة وإسداء النصيحة أو الكلام.

وعندما تختار الأسرة اللعبة التي يمارسها الطفل، لابد أن تتعرف على مدى قدرته على ممارستها بالفعل، فالطفل مثلا قليل الوزن والحجم، لا ينصح له بممارسة الألعاب العنيفة، وكذلك الطفل قصير القامة لأسباب وراثية، لا ينصح أيضا بممارسته كرة السلة.

وعند التحاق الطفل بأي نادٍ رياضي ينبغي توقيع الكشف الطبي عليه، وعمل التحاليل الطبية اللازمة التي تؤكد سلامة جميع أعضاء جسمه، وقدرته على ممارسة النشاط والحركات التي تتطلبها اللعبة، مع ضرورة تعويض الطفل بقدر كاف من الراحة والنوم ليلا، بحيث لا يقل عن ثمانية ساعات، وذلك لأن الهرمونات المسئولة عن النمو لدى الطفل، تفرز فقط أثناء نومه ليلا، طوال فتره نموه، حتى سن البلوغ، إلى جانب أن السهر ليلا قد يسبب خللا في دورة الكورتيزون بجسم الطفل، وهبوط في ضغط الدم أثناء النهار.

وعلى الأم أن تهتم بتغذية طفلها تغذية صحية سليمة في جميع الوجبات، على أن يحتوي غذاء الطفل على جميع العناصر الغذائية الرئيسية، خاصة الفيتامينات والمعادن الموجودة في الخضروات والفواكه الطازجة، وكذلك البروتينات.

كما أنه من المهم أن يحتوي غذاء الطفل المتدرب على حوالي (٦٠٪) مواد كربوهيدارتيه، حيث أنها المصدر الرئيسي للسعرات الحرارية التي يحتاجها لممارسة الالعاب، زد على ذلك كثرة شرب الماء والعصائر الطازجة، وعدم تعرض الطفل إلى التيارات الهوائية عقب التدريب.

كما أن الرياضة تؤدي إلى تفتح حويصلات الشعب الهوائية، كما أن السباحة مناسبة لمن يعاني من حساسية الصدر والربو، لأنها تقوي عضلات التنفس، مع إعطاء الطفل الدواء المناسب.

كما أن ممارسة أكثر من لعبة تنمي القدرات الحركية، مع وجود فروق فردية بين الأطفال في القدرات الجسمية والفسيولوجية والنفسية، وعلى ذلك ينبغي مراعاة قدرات الطفل أثناء التدريب.

أ. د. مصطفى رجب
أكاديمي مصري

كيف تدير اجتماعا بنجاح؟

الاجتماعات الروتينية أمر معتاد في جميع المؤسسات، لكن نجاحها أو إخفاقها يختلف من مؤسسة إلى أخرى، وهذا الاختلاف غالبا ما يعود إلى مدى إلمام المدير (الرئيس الأعلى للاجتماع) بمسؤولياته الشخصية، وقدرته على تحديد أهداف كل اجتماع.

من المعروف أن هناك مراحل أساسية لإدارة أي اجتماع تتعلق بالتنظيم. وهذه المراحل يجب أن يراعيها الرئيس الأعلى للاجتماع جيدا، حتى يضمن حسن سير الاجتماع.. وهذه المراحل هي:

- استقبال الأعضاء.
- البدء في بحث الموضوع.
- إدارة المناقشة.
- التوفيق بين الآراء.
- إنهاء المناقشة.

أولا - الاستقبال

يجب على الرئيس الأعلى للاجتماع أن يستقبل المشتركين معه في الاجتماع بكلمة ترحيب ولو قصيرة لكل منهم بشخصه، ليشيع جوا من الراحة النفسية والمناخ الملائم لبدء الحوار وتبادل الآراء.. وعليه دعوتهم للجلوس لمن يرغب في ذلك.

بعد ذلك يجب الانطلاق نحو موضوع الحوار وتبادل الآراء في الساعة المحددة للاجتماع تماما، ولكن قبل الدخول في هذه المرحلة يجب أن يسأل المدير المشتركين، بترتيب الجلوس، أن يقدموا أنفسهم لزملائهم، ثم يقدم نفسه، موضحا دوره بصفته الرئيس الأعلى للاجتماع في الاجتماع.

ثانيا - البدء في بحث موضوع المناقشة

بعد انتهاء الاستقبال، يتوجب على الرئيس الأعلى للاجتماع أن يبدأ فورا في بحث موضوع المناقشة، ويتم ذلك في عدة نقاط هي:

- إعلان عنوان الموضوع الذي سيجري بحثه ومناقشته.
- تحديد المشكلة بدقة ووضوح تام وفي عبارات قليلة.
- عرض المعلومات والوثائق اللازمة والمتعلقة بالموضوع على المشتركين.
- اقتراح خطة المناقشة التي سبق أن أعددتها، والتي يجب أن تكون بسيطة جدا، وفي الوقت نفسه مفصلة.. وبين أسلوبك التحليلي الذي تقترح اتباعه (فحص الوقائع - تحليل الوقائع - البحث عن الحل).
- تحديد الوقت الذي يمكن أن يتم

بحث الموضوع فيه بعناية والذي يجب عدم تجاوزه.
- محاولة الحصول فورا على موافقة الأعضاء على الخطة المقترحة.
بعد الانتهاء من هذه النقاط، من المناسب جدا أن توضح على لوحة معدّة من قبل (ويمكن استخدام السبورة) عنوان الموضوع وخطة العمل المقترحة، ذلك لأن وجود خطة مدونة ومرئية للجميع - وتحققت موافقة الأعضاء عليها - سيمنع تلقائيا خروج أي من الأعضاء عن الموضوع خلال المناقشة، كما أن من شأن تدوينها في لوحة مرئية أن تذكر الأعضاء بها دائما فيعودوا إليها باستمرار وببساطة في حالة ما إذا تطلب الأمر ذلك.
بعد ذلك يحرك رئيس الاجتماع المناقشة بطرح سؤال بسيط يسمح لكل الأعضاء بالإجابة عليه، ولا يوجهه إلى أحد الأعضاء شخصيا، بل يطرحه على الجماعة كلها. ومن الطبيعي أن يعقب السؤال الأول غالبا فترة من الهدوء، لأن هناك من يتردد في الكلام وهناك من يفكر ببطء، وللتغلب على هذا الهدوء يجب أن تعتاد أيها الرئيس أولا على انتظار الإجابات، ولكي تطمئن لذلك يمكنك أن تعد في داخلك من ١ إلى ٣٠. فإذا لم تتحرك المناقشة، فيجب عليك أن تعيد طرح السؤال الذي قد يكون غير مفهوم في المرة الأولى، وهنا يجب إعادته تحت شكل آخر بأن توجه السؤال - مثلا - إلى ناحية أو قسم من الجالسين، أو إلى أحد المشتركين، أو بإعلان اقتراح تحت شكل سؤال، وبذلك تضمن بداية الدخول في المناقشة وبحث الموضوع، على أنه تجب ملاحظة أنه بالنسبة إلى هذه المرحلة الأولى يجب أن نراعي ألا تستغرق أكثر من ٥ أو ٦ دقائق.

ثالثا - إدارة المناقشة

تتضمن هذه الإدارة عملين أساسيين:

١ - تنشيط الاتصال وتبادل الأفكار:

وهي مرحلة أولية وأساسية، تستهدف البدء في التفكير الموضوعي والمتعمق في المشكلة، والغرض منها دفع كل عضو إلى طرح ما عنده ومناقشة الآخرين فيما لديهم لنصل إلى الحل الملائم للمشكلة. وترتكز هذه المرحلة على عدة نقاط مهمة يجب عليك أيها الرئيس الأعلى للاجتماع أن تعمل على تحقيقها:
- اطرح الأسئلة لتضمن تقدم المناقشة.
-اعمل دائما على ضمان وتسهيل اشتراك كل عضو في المناقشة.
- تأكد من تحقيق تحديد واضح لكل ما يقال من آراء وتجارب ومشاعر.
- أوضح على لوحة معدة من قبل الأفكار المهمة التي تطرح، وأيضا الأفكار الأخرى الأقل شأنا؛ حتى لا تقلل من عزم من عبر عنها إذا لم نضعها في الاعتبار أو لم نظهرها بطريقة كافية.
- من الأفضل عند طرح الأسئلة أن تبدأ بالاستفهام بمثل «من - ماذا - أين - كيف - لماذا»، والأخير له فعالية خاصة في تنشيط المناقشة وضمان الاتصال. ويمكن أيضا أن نستهل الأسئلة بأفعال مثل «اشرح - برر - رتب - حدد - لخص - عرف - صف»، فهي أيضا مفيدة في هذا المجال.
- راع أن تبتعد عن الأسئلة التي لا تحتمل في الإجابة عليها أكثر من «نعم» أو «لا»، فإن من شأنها العمل على إغلاق باب المناقشة.
- امتنع أيضا عن الأسئلة المباشرة الموجهة إلى أحد المشتركين، وضع دائما أسئلة عامة موجهة إلى الجماعة.

٢ - أسلوب الترديدات:

لتنشيط المناقشة، والعمل على ضمان استماع كل عضو لغيره من المشتركين في الاجتماع، يمكن للقائد أن يستخدم أسلوبا فنيا معينا نسميه أسلوب الترديدات، وهو على عدة أنواع:
- ترديدات الصدى: وهو مجرد إعادة بسيطة على أسماع الجماعة كلها لما انتهى إليه أحد المشتركين من قول. ويستخدم هذا الأسلوب لضمان استماع كل الأعضاء لرأي زميلهم المتحدث.
-ترديدات الانعكاس: وهو يؤسس على رد واستكمال الاتصال مع المتحدث نفسه، وذلك باستخدام عبارات أخرى تماثل بقدر الإمكان أقواله مثل:
- وهكذا فطبقا لما قلت...
- أنت تريد القول إذن إن...
- وعلى ذلك ففي رأيك أن...
- وفي عبارة أخرى، أنت تقصد...
ويستخدم هذا النوع لحث العضو عل استكمال أو توضيح رأيه بنفسه.
- ترديدات التلخيص: وهو يعني أن يقوم الرئيس الأعلى للاجتماع، بعد أن يفهم تماما ما يريد العضو قوله، بإيجاز رأيه للجماعة.
- ترديدات التوضيح: وذلك بأن يقوم الرئيس الأعلى للاجتماع بتسليط الضوء على فكرة معينة، أو لتوضيح ما غمض من أقوال أحد الأعضاء على باقي الجماعة. وفي هذه الحالة على الرئيس الأعلى للاجتماع أن يكون حذرا في استخلاص ما يريد العضو قوله، وعليه الابتعاد تماما عن التفسير وأن يقتصر على توضيح ما غمض من أقوال المتحدث على باقي الأعضاء.

سلامة عبدالقادر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

دار الحديث الفاضلية

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.

ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

كانت أول مدرسة أنشأت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمه، وسطع عندما تولى الملك الصالح الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء وغيرهم.

وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية؛ ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة.

وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاثمئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ستمئة مدرس وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم.

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد

تمر بدرب فيها إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها.

ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟

ديار لسلمى عافيات بذي خالِ

ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، فمنها:

دار الحديث الفاضلية (١)

اسمها وموقعها

أخذت هذه الدار اسمها من نسبتها لواقفها الفاضل، كانت أيام مجدها في الكلاسة (٢)، بجانب العزيزية، التي فيها قبر صلاح الدين الأيوبي، بينها وبين الحائط الشمالي للجامع الأموي، أما اليوم فقد صارت بيوتا للسكنى يتوصل إليها من خلال زقاق ضيق.

واقفها

القاضي الفاضل عبدالرحيم بن علي بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج بن أحمد القاضي محيي الدين- وقيل: مجير الدين - أبو علي ابن القاضي الأشرف أبي الحسين، اللخمي، البيساني، العسقلاني المولد، المصري المنشأ، صاحب الفصاحة والبلاغ، والبراعة، وله شعر رصين، ومنه قصيدة من ثلاثين بيتا، مطلعها:

لله روض بالحدائق محدق

وبكل ما تهوى النواظر مونق.

ولد سنة (٥٢٩هـ)، وتوفي في القاهرة سنة (٥٩٦هـ)، ودفن في مصر، بسفح جبل المقطم، في القرافة الصغرى، رحمه الله تعالى.

شيوخها

تولى التدريس فيها ثلة من كبار العلماء والقضاة والمفتين، واختلف فيمن أول من تولى التدريس فيها، ولكن ابن بدران رحمه الله جزم في منادمته أن أول من تولاها:

١-عبد الرحمن بن أبي الفهم التقي اليلداني، المتوفى سنة (٦٥٥هـ)، وأكثر كتبه ومجاميعه التي بخطه كانت موقوفة بخزانة الفاضلية بعد وفاته، ثم وليها من بعده،

٢-ثم النجم أخو البدر، مفضل، المتوفى سنة (٦٥٧هـ)، ودفن بمقبرة باب الصغير، وكانت جنازته حافلة، وقد كانت له إجازة من السلفي، خطيب العقيبة، بدر الدين، يحيى ابن الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، رحمه الله، ثم من بعده.

٣ -ثم الإمام الحافظ، المحدث، المؤرخ، العالم بالرجال، محمد بن أحمد بن قايماز، الذهبي، المتوفى سنة (٧٤٨هـ) رحمه الله، ثم من بعده.

٤-ثم أبو المعالي، محمد بن رافع السلامي، المصري، ثم الدمشقي، المتوفى في جمادى الأولى سنة (٧٧٤هـ) رحمه الله، ثم من بعده،

٥-ثم الإمام شمس الدين، محمد ابن محمد بن عبدالكريم، البعلي، الموصلي، المتوفى في جمادى الآخرة سنة (٧٧٤هـ) رحمه الله.

٦-وتولاها كذلك، ابن الرماح عفيف الدين، علي بن عبدالصمد، المقرئ، النحوي، الشافعي، كان حسن السمت، يحب الانفراد، مقبلا على خويصة نفسه، منتصبا للإفادة، راغبا في الإقراء، توفي سنة (٦٣٣هـ) رحمه الله.

٧-وأبو بكر، عبدالرحمن بن منصور ابن جامع، الكناني، الموصلي، المتوفى سنة (٦٩٥هـ) رحمه الله.

٨-ثم الحافظ عماد الدين إسماعيل ابن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع، القرشي، الأذرعي، الحوراني، الدمشقي، صاحب التفسير المعروف، فقد بصره في آخر حياته، وهو يؤلف كتابه «جامع المسانيد»، وتوفي سنة (٧٧٤هـ) رحمه الله.

ومما ذكر من شروط التدريس فيها؛ أن يكون المدرس ملما بالمذهبين: المالكي، والشافعي. وقيل: إن هذا نص من الواقف لها، والله أعلم.

الأوقاف المحبوسة عليها

أوقاف هذه الدار هي مزرعة (برتايا) (٣) من مزارع غوطة دمشق الشرقية (٤)، لصيقة بأرض حمورية (٥)، ويفصل بينهما نهر، كانت بيد الزيني ابن السراج، ثم صارت للمحب ناظر الجيش بدمشق سنة (٩١٥هـ).

من أسمع الحديث فيها

١-الإمام أبو محمد جعفر بن أبي الحسن بن هبة الله بن أبي البركات ابن جعفر بن يحيى بن أبي الحسن، الهمداني، الإسكندراني، المتوفى بدمشق سنة (٦٣٦هـ) رحمه الله.

٢-والشيخ الثقة، أبوعبد الله الحسين بن المبارك بن محمد، الزبيدي، الحنبلي، المتوفى سنة (٦٣١هـ) رحمه الله.

٣- وإبراهيم بن طاهر بن بركات بن إبراهيم، القرشي،-وقيل: الفرشي- الدمشقي، كان ثقة خيرا، توفي سنة (٥٣٤هـ) رحمه الله.

٤- ومحمد بن أحمد بن علي تاج الدين أبو الحسن، إمام الكلاسة وابن إمامها، ابن أبي جعفر، القرطبي، الدمشقي، المتوفى بدمشق سنة (٦٤٣هـ)، والمدفون بباب الفراديس، رحمه الله.

٥- وعز الدين أبو محمد عبدالعزيز ابن عثمان بن أبي طاهر بن مفضل، الإربلي، المتوفى في حي جوبر سنة (٦٤٤هـ)، رحمه الله.

٦- وأم فيها، حسام بن مرهف ابن إسماعيل أبو المهند، الفقيه، المصري، الشافعي، الفزاري، وكان مصدرا بالجامع المظفري، المتوفى سنة (٦٤٠هـ)، رحمه الله.

من كتبها المسموعة

١- جزء فيه من فوائد أبي القاسم علي بن عبدالرحمن بن الحسين عليك، النيسابوري، المتوفى سنة (٤٦٨هـ)، رحمه الله، وكان سماع ذلك الجزء في الدار سنة (٦٣٠هـ)

٢- جزء لوين، لأبي جعفر، محمد ابن سليمان بن حبيب بن جبير، الأسدي، المصيصي المتوفى سنة (٢٤٥هـ)، رحمه الله، وكان سماع ذلك الجزء في الدار سنة (٦٣١هـ).

٣-ذم ذي الوجهين واللسانين، للحافظ علي بن الحسين بن هبة الله ابن عساكر، المتوفى سنة (٥٧١هـ)، رحمه الله، وكان سماع كتابه في الفاضلية سنة (٦٣٤هـ).

٤- كتاب «الرسالة» للإمام محمد ابن إدريس بن شافع، الشافعي، المطلبي، القرشي، المتوفى سنة (٢٠٤هـ)، رحمه الله، وكان سماع كتابه في الدار سنة (٦٣٥هـ).

وغيرها الكثير.

خاتمة

وبعد هذه الإطلالة العابرة على الدار الفاضلية العريقة في دمشق الشام، والتي لم تكن وحيدة عصرها، بل كان لها أخوات سبقتها، وأخرى أتت بعدها؛ تعرف ما كان عليه ذلك العصر الفريد من العناية بالعلم، والعلماء، والدور، والمدارس، وما كانوا عليه من الاهتمام بالمدرس والدارس، والذي يرجع فيه الفضل بعد الله تعالى، إلى أناس أيقنوا أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض، ولا تتحرر، ولا أن تقود نفسها وغيرها من الأمم، إلا إذا اتخذت من العلم بجميع أنواعه وشتى مجالاته قائدا لها، وإلا إذا أولته كل اهتمامها، ففتح قلوب، وعقول العباد مقدم على فتح البلاد، والمهاد، فالقائدان: نور الدين زنكي، وتلميذه صلاح الدين-رحمهما الله-، ومن نهج نهجهما؛ أدركوا جميعا أن الاستنارة بنور الشرع هي الأصل والأساس، الذي يتفرع عنه فتح البلاد، وهداية العباد، فكانا بحق-وكذا من لف لفيفهم-، من رواد النهضة العلمية، الذين أعطوا العلم طابعا، ومنهجا لم يكن معروفا ولا مشتهرا من قبل، فرحم الله الجميع، وأعاد إلى تلك الدور، والمدارس، ومدنها، سالف عصرها الزاهر.

الهوامش

١- الكلام هنا عن دار الحديث الفاضلية التي بدمشق، وهناك دار الحديث الفاضلية التي في القاهرة، والمدرسة الفاضلية التي في طولكرم من أعمال نابلس في أرض فلسطين، ولأنها تتشابه في الاسم، فقد وجب التنبيه. اهـ.

٢- الكلاسة: حي عريق، قديم من أحياء دمشق القديمة، تطل عليه مئذنة العروس إحدى مآذن الجامع الأموي، من الجهة الشمالية. وهناك حي آخر اسمه الكلاسة، وهو من أحياء مدينة حلب. اهـ.

٣- تقع هذه المزرعة في قرية برتايا، وهي من القرى المحيطة ببلدة عربين، وقد اندثرت القرية بأكملها، ولم يبق منها إلا المقبرة، والتي كانت لاتزال موجودة حتى الخمسينات من القرن الماضي.

٤- تحيط بمدينة دمشق من الشرق والغرب والجنوب، وهي سهل ممتد، عبارة عن بساتين غناء من أشجار الفاكهة، وهي من أخصب بقاع العالم، تجري فيها جداول صغيرة متفرعة من نهر بردى، وقد كان القداء يعتبرونها من عجائب الدنيا؛ لما فيها من الروعة والجمال والبهاء.

٥- حمورية: هي إحدى بلدات منطقة ريف دمشق، تقع في الغوطة الشرقية لدمشق العاصمة إلى الشمال الشرقي منها، وتتبع لناحية كفر بطنا.

استهداف الذات الإنسانية

عبدالرحمن هاشم
كاتب مصري

إزالة ما قد يعتري المسلم من هم في هذه الحياة الدنيا أمر حث عليه الإسلام، ففي الحديث عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «ما على أحدكم إذا ألح به همه أن يتقلد قوسه فينفي به همه» (أخرجه الطبراني في المعجم الصغير).

والمعنى أن يتخذ المؤمن ما يزيل همه بوسيلة من وسائل الترويح المشروعة كتقلد القوس.

ذلك أن النشاط الترويحي يعين الفرد على تحمل مشاق الحياة وصعوباتها، شريطة ألا تتعارض تلك الأنشطة مع شيء من شرائع الإسلام، أو يكون فيها إشغال عن عبادة مفروضة، والأصل في ذلك الحديث الذي يرويه حنظلة رضي الله عنه حيث يقول: «لقيني أبوبكر الصديق رضي الله عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة! قال: سبحان الله! ما تقول؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى وكأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، قال أبوبكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبوبكر الصديق حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات» (صحيح مسلم).

ولاشك أن إقرار الرسول ﷺ لتأثر نفس حنظلة رضي الله عنه المؤمنة وتقلبها بين مجالات الجد وأنماط العبادات من جهة، وبين متطلبات النفس من مرح وانبساط من جهة أخرى، هو اعتراف ودليل سماوي على اعتبار الترويح والترفيه، وأنه من كمالات النفس ولوازمها الأساسية لأداء حقوق الخالق والمخلوق.

قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

والمرفوض هو العب من المتع عبا والسعي وراء اللهو واللعب باسم الترويح.

والأخطر هو التسلل عبر المواد الاستهلاكية والإعلامية والترويحية والإعلانية، باسم صناعة السياحة والترفيه، وتحت عنوان البحث عن مصادر جديدة للدخل فتشيع ثقافة الإباحية وتسود حالات الاسترخاء والقعود عن العمل والإنتاج.

وإذا بنا نتمحور مع مرور الوقت حول فلسفة المتع واللهو الذي يسمونه ترويحا في الحضارة المعاصرة، وهو يرتكز -للأسف- حول المرأة، وبالأصح حول جسدها باسم حق الحرية الشخصية.

لكن الترويح في النظرة الإسلامية غير ذلك بطبيعة الحال؛ فهو عملية بنائية، تشحذ الفاعلية وتنشط العقل، وتثير الهمة، وتوقظ الروح، وتثير المنافسة والاستباق في الخيرات، وتدرب على العمل الجماعي وإشاعة روح الفريق واجتثاث معاني العداوة والحقد والصراع.

أما اقتحام حدود الله سبحانه وتعالى في ارتكاب المحرمات باسم الترفيه والترويح، فهو البلاء العظيم، الذي يؤدي إلى انحلال عزائم الأمم ويؤذن بسيطرة الغريزة وبدء السقوط.

وحين تستهدف وسائل الترويح الذات الإنسانية، روحانيتها وفطرتها وقيمها، فهذا هو الشذوذ بعينه والانحراف عن جادة الطريق.

ولا يمكن لدين بعث به محمد ﷺ أن يأمر الناس بالإباحية والشيوعية والشذوذ، وقد ثبت أن من يتخذون دين محمد ﷺ وراءهم ظهريا، هم من خوف الموت في موت، ومن خوف الفقر في فقر، ومن خوف الذل في ذل، فالقلق يأكل قلوبهم وينغص حياتهم، فلا يجدون راحة ومتعة في أكثر الأماكن بهجة، لأنهم مأزومون؛ تعيش أزمتهم بدواخلهم وتحتل نفوسهم فترتحل معهم حيثما رحلوا وصدق الله إذ يقول:

﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ (النور:٤٠).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجمع اللغة العربية بدمشق

الطبعة الثانية - بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ١ كانون الثاني سنة ١٩٢١م الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ المجلد ١

بسم الله وبه الثقة

فاتحة المقال

جرت عادة المجامع العلمية في البلاد المتمدنة أن يكون لها مجلات خاصة بها، تصدر في أوقات معينة. ينشر فيها ما يكتبه أعضاؤها ومراسلوها في مواضيع العلوم والفنون المختلفة. وما يلقى في المجمع من المحاضرات على الجمهور من وقت الى آخر. وما يتجدد في عالم العلم من الآراء والافكار وضروب الاكتشاف والاختراع. وخلاصة الاعمال التي قام بها المجمع أو هو في صدد القيام بها. وغير ذلك من الاخبار والشؤون التي تلتحم بخطته. ولا تخرج عن حدود وظيفته. وقد رأينا أن مجمعنا العلمي العربي في حاجة الى مثل هذه المجلة فأصدرناها بهذا الشكل. وعلى هذا النمط. الذي له من طبيعة الوقت وفقد العدد والوسائل شفيع في تقصيره. وعذر في الاكتفاء بقليله عن كثيره. وان لنا من مؤازرة الفضلاء والعلماء ما يذلل الصعاب أمام هذه المجلة. ويرقى بها الى ذروة كمالها. واستتمام هلالها. إن شاء الله تعالى.

أما الأبواب أو الاقسام التي يتركب منها كيان هذه المجلة فهي أربعة:

(الاول) في المقالات والمحاضرات ذات الموضوعات العلمية والفنية.

(الثاني) في المراسلات التي ترد الى ادارة المجلة من المراسلين والعلماء وأهل الفضل. ولا تقبل ما لم تكن من موضوعات المجلة.

(الثالث) في الاخبار والشؤون العلمية عامة.

(الرابع) في أعمال المجمع ومساعيه الداخلية الخاصة به.

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية الإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

تعريف المجمع

عرف المجمع أول أمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف، الذي أسس في أواخر خريف سنة ١٩١٨م، ثم تحولت هذه الشعبة إلى ديوان للمعارف بإدارة الأستاذ محمد كرد علي في ١٢ فبراير ١٩١٩م، وكان من مهامها: تأسيس دار للآثار، والعناية بالمكتبات، خصوصا دار الكتب الظاهرية. وكان من أعضاء هذا الديوان: أمين سويد، أنيس سلوم، سعيد الكرمي، عبدالقادر المغربي، عيسى إسكندر معلوف، متري قندلفت، عزالدين آل علم الدين، الشيخ طاهر الجزائري. بعدها تطور هذا الديوان ليصبح مجمعا علميا في ٨ يونيو ١٩١٩م، وأوكلت إليه مهمة النظر في إصلاح اللغة، ووضع ألفاظ مناسبة لما استحدث في هذا العصر، وتنقيح الكتب، وإحياء الكتب المهمة، والحث على التأليف والتعريب.

عقد المجمع أولى جلساته في ٣٠ يوليو

سنة ١٩١٩م، الموافق لـ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٧هـ.

اشترى المجمع كتبا ومكتبات برمتها تحتوي على أنفس المخطوطات وأندرها وأقدمها. كما اقتنى عدة كتب في مختلف اللغات، حتى بلغ مجموع ما جمعه من الكتب زهاء ٣٠٠٠ كتاب.

كما كانت للمجمع عناية بجمع الآثار؛ فجمع منها الكثير حتى تشكلت لديه مجموعة نادرة من التحف الحجرية، والأواني المعدنية، والنقود الذهبية والفضية والنحاسية. وكان من بين هذه الآثار نوادر لا توجد في غيره من المتاحف مثل سيف أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

وقد تألف المجمع من عدة لجان أهمها: لجنة لغوية أدبية تبحث في لغة العرب وآدابها وطرق ترقيتها.

ولجنة علمية فنية تبحث في توسيع دائرة العلوم والفنون في سوريا.

أما باقي اللجان فكانت مهامها: النظر فيما يعرض على المجمع من آثار لفرزها وتحديد قيمتها، وتقصي الآثار السورية القديمة خارج سوريا ومحاولة إرجاعها إلى بلدها الأم (سوريا).

وبعد أن عقد المجمع ٧٥ جلسة فقط في مدة أربعة أشهر تعطل المجمع، وبقي متوقفا عن العمل إلى أن تولى الأستاذ محمد كرد علي في ٧ سبتمبر١٩٢٠م وزارة المعارف فعاد المجمع إلى تنظيم جلساته.

ومن مهام المجمع:

١- إصلاح الكتب المدرسية التي عرضت على المجمع ليصحح أسلوب إنشائها.

٢- إصلاح لغة الكتّاب، عن طريق نشر مقالات في الصحف والمجلات تحت عنوان «عثرات الأقلام».

٣- وضع ألفاظ مناسبة لما استجد في عصرنا هذا، وتعريب بعض الألفاظ خدمة لدوائر الحكومة ومعاهد التدريس.

٤- نشر بعض الكتب، إلقاء المحاضرات.

٥- تزويد المكتبة الظاهرية بالكتب والمخطوطات.

٦- تزويد المتحف الموضوع تحت رعاية المجمع بما أهدي إليه من أشياء نفيسة.

٧- تعريب لغة الدواوين وإدارات الدولة ومؤسساتها ووضع المصطلحات المقابلة لما بقي متداولا من الكلمات غير العربية.

٨- المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات لحياة المتطورة.

٩- وضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية ودراستها وفق منهجية محددة والسعي في توحيدها ونشرها في سورية والوطن العربي.

١٠- العناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها وصلتها بالحضارات الأخرى.

١١- العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقا ونشرا.

١٢- النظر في أصول اللغة العربية وضبط أقيستها، وابتكار أساليب ميسرة لتعليم نحوها وصرفها، وتوحيد طرائق إملائها وكتابتها، والسعي في كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية وتطويرها وانتشارها.

١٣- الحد من استفحال العامية في مختلف المجالات.

التعريف بمؤسس المجمع

مفكر وأديب سوري، دافع طوال عمره عن اللغة العربية، وشدد على ضرورة الاعتناء بها في مراحل التعليم. أسس مجمع اللغة العربية بدمشق وتولى رئاسته، ثم عين وزيرا للمعارف والتربية في سوريا.

ولد بدمشق عام ١٨٧٦م، حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة بالكتاب، تعلم اللغة التركية والفرنسية في المدرسة الرشدية، ثم أتم تعليمه الثانوي في المدرسة العازرية للراهبات بدمشق.

كما تعلم على يد العديد من علماء دمشق المعروفين، وقرأ عليهم الكتب المختلفة في شتى العلوم.

سافر إلى مصر عام ١٩٠١م، حيث تولى رئاسة تحرير جريدة «الرائد المصري»، لكنه عاد بعدها بقليل إلى دمشق فرارا من الطاعون الذي أصاب مصر في ذلك الوقت، ثم عاد إليها عام ١٩٠٦م، لينشئَ مجلة «المقتبس» الشهرية، إضافة إلى تحريره لجريدة «الظاهر» اليومية، كما عمل أيضا بجريدة «المؤيد».

توفي كرد علي في عام ١٩٥٣م، حيث دفن بدمشق بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

محتواها

صدر أول عدد من مجلة المجمع في ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ الموافق لـ ١ يناير سنة ١٩٢١م.

لم يحتو العدد الأول منها على مواضيع علمية، وإنما كل ما ورد فيه عبارة عن التعريف بالمجمع ومتحفه، وتأسيسه وبعض أعماله، وخبر زيارة المستشرق الفرنسي لوي ما سينيون إلى دمشق وإلقاء محاضرة ممتعة.

أما في العدد الثاني من المجلة فقد تطرق لعدة مواضيع نذكر منها:

نفائس الآثار: وهو قسم يتحدث عن المخطوطات التي اقتناها المجمع.

العادلية والظاهرية: وهي صفحة لإبراز المدارس القديمة الباقية في سوريا.

مقتنيات المجمع: وهي صفحة لإبراز أهم مقتنيات المجمع من الكتب.

إصلاح لغة الدواوين: وهي صفحة تظهر الألفاظ التي تم تعريبها في دواوين الحكومة، مثل:

كلمة «الطابو» قديما صارت «ديوان التمليك».

المطبوعات الجديدة: وهي صفحة تبرز أهم ما طبع حديثا من الكتب.

آثار وأخبار: وهي صفحة تحتوي على مواضيع مختلفة.

ومازال المجمع ليومنا هذا صرحا وحصنا منيعا للحفاظ على هوية اللغة العربية من الدخيل.

نسخة مجلة «الوعي الإسلامي»

الحمد لله فقد حوت رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» نسخة من ٧٧ مجلدا، من أول عدد منذ تأسيس المجمع إلى العدد الصادر في رجب سنة ١٤٢٣هـ الموافق لأكتوبر ٢٠٠٢م، وثلاثة مجلدات هي فهرس لها. وهي متاحة لقرائها الكرام للاستفادة منها.

المصادر

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق.

الموقع الرسمي للمجمع.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

حوارات

راغب أبو حمدان: للحرف العربي جماليات وعراقة

القاهرة - محمد خاطر وآية إيهاب

المصمم اللبناني الشاب راغب أبو حمدان، صاحب الـ٢٩ ربيعا، حاورته الوعي الشبابي عن فنه ولوحاته التي جذبت أنظار الجميع إلى جمال حروف اللغة العربية، كاشفا عن أسرار فنه وكواليسه.. فإلى التفاصيل:

• بداية، من أين جاءت إليك فكرة الربط وتزاوج الخط العربي مع تصميمات الجرافيك والرسم؟

- خلال دراستي الجامعية كان هدفي التميز بأسلوب تصميمي أو فني خاص بي، إلى جانب عملي في مجال الجرافيك ديزاين بشكل عام، بالإضافة إلى شغفي وحبي للغة العربية والخط العربي بشكل خاص؛ فأحببت أن أقدم شيئا مبتكرا جديدا يكون له مغزى ويعبر ويسلط الضوء على حضارتنا العربية وعراقتها وأهميتها، ومن هنا جاءت فكرة دمج الحروف العربية، وهي أجمل اللغات وأعرقها بوجوه ورموز عربية مرموقة.

عصر ذهبي

• من أين تأتي أفكار تصميماتك والمعايير التي على أساسها تختار شخصيات معينة لرسم ملامحها بالحروف العربية؟

- هناك العديد من الأمور التي تلهمني وتعطيني أفكارا جديدة لتصاميمي؛ أبرزها حبي للمطالعة، بالإضافة إلى دراستي لتاريخ الفن العربي والإسلامي وتاريخ حضارتنا العربية بشكل عام، وهذا أيضا يساعدني في اختيار المواضيع ويعطيني أفكارا جديدة للتصاميم؛ وعلى سبيل المثال: لوحة الخيل العربي.

أما بالنسبة إلى الشخصيات التي أختارها، فأنا أحرص على اختيار رموز وأيقونات كبيرة في عالمنا العربي من فنانين وأدباء.

• هل تفكر في تعليم فنك وإبداعك للمهتمين به؟

- التصميم بالنسبة إلي هو هوايتي ومجال عملي في الوقت نفسه، وأيضا موهبة طورتها بالدراسة؛ لذلك بت أملك الخبرة الكافية في ابتكار الأفكار وفي تطبيقها من خلال برامج التصميم، خصوصا أنني أملك النظرية وأجد نفسي قادرا على تعليمها بأسلوبي وبطريقة مبسطة أيضا. فنعم، إذا جاءني عرض للتعليم من جامعة أو معهد فنون فلم لا؟! ما دمت سأفيد من يهتم بدراسة التصميم، أما أن أقوم بإعطائه كدروس خصوصية فهذا غير وارد بالنسبة إلي حاليا.

• ما الحلم أو الغاية التي تتمنى أن تصل إليها من خلال تصميماتك؟

- الحلم بالنسبة إلي هو ما نراه في مناماتنا فقط، أما تفسيري له فهو فكرة كبيرة تراودنا؛ إما ننجح في تطبيقها وتنفيذها أو نفشل. وصراحة لدي العديد من الأفكار التي أتمنى تحقيقها في المستقبل، وقد بدأت العمل عليها من الآن؛ منها إخراج أعمالي بالحروف العربية من إطار الصورة وتحويلها إلى فن يدخل في عالم الديكور والأزياء بأسلوب ونمط جديدين ومبتكرين، كما أتمنى للأعمال الانتشار الأكبر والوصول إلى العالمية؛ لكون هذا الأمر يساهم في نشر الحروف العربية وذا أهمية بالنسبة لي، ليس ذلك فحسب؛ وإنما أيضا لانتشار حضارتنا العربية برموزها وأدبائها وفنانيها الذين أجسدهم في أعمالي.

• هل لديك رؤية شخصية واقتراحات تفيد إعادة شحن شغف المواطن العربي باللغة العربية وحروفها من جديد؟

- أقوم بكل ما في وسعي لتقديم الحرف العربي واللغة العربية بأجمل صورة ممكنة، وحاليا أعمل على كتاب يتضمن الأحرف العربية كل حرف على حدة مصمم بطريقة مميزة ومبتكرة مدمج بالزخرفة العربية والإسلامية الرائعة، وترافقه عبارات وأقوال وأبيات شعر تتحدث عن اللغة العربية، بعيدة عن طريقة تصميم الكتب التقليدية؛ علها تزيد شغف المواطن العربي وحبه للغته الأم، لكن اللوم يبقى على المؤسسات التربوية التي تهمش لغتنا في مناهجها التعليمية وتعطي مساحة أكبر للغات الأجنبية، ما ينتج جيلا لا تعنيه لغته كونها غير مركز عليها في دراسته وتعتبر هامشية.

طور نفسك

ما أهم علامات ذكاء الطفل من منظور العلم؟

القاهرة - الوعي الشبابي

كل أم تطمح إلى أن يكون طفلها حاد الذكاء، ولكن هنالك علامات تدل أن طفلك ذكي. جمعنا لك هذه المعلومات التي ستنبئك للتعرف على ذكاء طفلك من ولادته إلى عمر ١٠ سنوات وفقا للدراسات العلمية الحديثة. إليك هذه الدلائل:

- المولود الحديث: وزن المولود

نشرت دراسة في الصحيفة الطبية البريطانية شملت أكثر من ٣٠٠٠ مولود، أظهرت أن المواليد الأثقل وزنا تكون نسبة ذكائهم أكثر من غيرهم.

- سنة وسنتان: اللغة

الصحيفة العلمية لتطور الطفل، أصدرت دراسة أفادت أن الأطفال بعمر سنة وسنتين تكون درجة ذكائهم أعلى نسبة من غيرهم إن كان بإمكانهم الفهم والتحدث بلغة ثانية. فلا تترددي في التحدث مع طفلك بلغتين فهذا يحفز من عمل الدماغ وينمي الذكاء.

- ٤ سنوات: موهبة الرسم

دراسة بريطانية من كنكز كولج في لندن، أفادت أن الأطفال في هذا العمر الذين لديهم مواهب فنية في الرسم وباستطاعتهم رسم صورة لشخص قريبة من الواقع، درجة ذكائهم أعلى من غيرهم.

- ٧ سنوات: القراءة

الأطفال الذين تكون قدرتهم على القراءة أكبر من المعدل الطبيعي في هذا العمر، تكون نسبة ذكائهم أكبر، وفقا لدراسة أجرتها جامعة أدنبره الإسكتلندية.

- ٨ سنوات: حب السهر

هل يحب طفلك السهر ويتحجج كلما حان وقت النوم؟ وفقا لدراسة قامت بها مدرسة الاقتصاد البريطانية، فإن الأطفال الذين يحبون السهر قد يكونون أكثر ذكاء من أقرانهم.

- ٩ سنوات: الفطور الصحي

إذا كان طفلك يتناول فطورا صحيا في هذا العمر، فستكون احتمالية إحرازه نتائج دراسية فوق المعدل الطبيعي مضاعفة، وفقا لدراسة أجرتها جامعة كاردف.

- ١٠ سنوات: يحب الحوار الجيد

وفقا لجمعية «منسا» البريطانية، فإن الطفل في عمر عشر سنوات الذي يستمتع بحوار جيد، يصنع لنفسه قوانين مختلفة للألعاب المعروفة، وكذلك يمل من التعامل مع الأطفال الآخرين، هذه الأمور تعتبر من سمات الذكاء للطفل في هذه المرحلة.

عصير الكتب

تأخر سن زواج الشباب.. الأسباب والحلول

القاهرة - أمنية عادل

يتحدث كتاب «تأخر سن الزواج لدى الشباب» لمؤلفته د. إيمان عبدالحكم البطران، والصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب في ١٨٨ صفحة من القطع المتوسط، عن أسباب هذه المشكلة وحلولها، مؤكدا في صدارته أن الزواج هو أنسب وضع اجتماعي وطبيعي، وأنسب مجال حيوي لإشباع دوافع الإنسان، كما يقول ريتشارد سوين.

وتشير الكاتبة الحائزة على درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر عن رسالتها المعنونة بـ«السعادة وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والديموجرافية لدى شرائح المجتمع المصري»، إلى أن الزواج هو استجابة للفطرة الكامنة في ميل الذكر إلى الأنثى وميل الأنثى إلى الذكر، فكل منهما في حاجة إلى الآخر ليشاطره حلو الحياة ومرها، ويتجاوب معه تجاوبا مستمرا فعالا يجعله لا يأبه بهموم الحياة، مؤكدة في الوقت ذاته أن تأخر سن الزواج هو تعطيل لمراحل النمو الطبيعية للإنسان، مما يؤثر في مراحل حياته التالية، ويتسبب بالتالي في حدوث انحرافات أخلاقية ونفسية واجتماعية وثقافية وأخطار تهدد كيان المجتمع وتحدث خللا في سلوكياته.

وتشدد على أهمية قرار الاختيار بالنسبة إلى الزواج، مؤكدة أنه من أهم القرارات التي يتخذها الإنسان في حياته، سواء كان ذكرا أم أنثى، وأن عليه أن يختار اختيارا سويا، لأنه يترتب عليه سعادته أو شقاؤه.

وتحت عنوان «تأخر سن الزواج ومشكلاته» تشير المؤلفة إلى أن نسبة العنوسة في بعض البلاد العربية متباينة، وتؤكد الإحصائيات أن ١٥ مليون شاب وفتاة في سن الثلاثين من دون زواج، وأن ٩ ملايين شاب وفتاة تجاوزوا سن الخامسة والثلاثين من دون زواج أيضا، وقد وصل عدد الإناث منهم إلى ثلاثة ملايين و٩٦٢ ألفا، والباقي من الذكور، ويوجد ١٧ مليونا و٢٧٤ ألف مصري في سن الزواج، تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين، منهم ٩ ملايين و٢١٧ ألف أنثى و٨ ملايين و٧ آلاف ذكر.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

نوازل في الأطعمة والدواء

حكم الجيلاتين الحيواني

- الخلاصة الحكمية:

- الجيلاتين الحيواني: «هو مادة لينة لزجة، غير قابلة للذوبان في الماء، تستخرج من عظام الحيوان وأنسجته بإغلائه الطويل في الماء» (المعجم الوسيط) (١/١٥٠).

- ذهب الحنفية والمالكية وهو رواية عن أحمد: إلى أن نجس العين يطهر بالاستحالة؛ كالخمر إذا صارت خلا، سواء بنفسها أو بفعل إنسان أو غيره؛ لانقلاب العين.

- يجوز استعمال الجيلاتين المستخرج من المواد المباحة، ومن الحيوانات المباحة، المذكاة تذكية شرعية بلا خلاف بين العلماء.

- إنما الخلاف في الجيلاتين المستخرج من المواد النجسة أو المحرمة، فالقائلون بالاستحالة يجوزون استخدامه؛ بخلاف غيرهم.

- الاستحالة هي: تغير حقيقة المادة النجسة أو المحرم تناولها، وانقلاب عينها إلى مادة أخرى مختلفة عنها في الاسم والخصائص والصفات.

- الاستهلاك: فهو انغمار عين في عين تزول معه صفات وخصائص العين المغمورة، ولا يمكن تمييزها بوجه من الوجوه المختلفة.

● **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

● **أولا - مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي، في دورته الخامسة عشرة، المنعقدة بمكة المكرمة، التي بدأت يوم السبت ١١ رجب ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٠/٣١م قد نظر في موضوع الجيلاتين، وبعد المناقشة والتدارس، ظهر للمجلس:** أن الجيلاتين مادة تستخدم في صناعة الحلويات وبعض الأدوية الطبية، وهي تستخلص من جلود الحيوانات وعظامها، وبناء عليه قرر المجلس ما يلي:

أولا - يجوز استعمال الجيلاتين المستخرج من المواد المباحة، ومن الحيوانات المباحة، المذكاة تذكية شرعية، ولا يجوز استخراجه من محرم: كجلد الخنزير وعظامه وغيره من الحيوانات والمواد المحرمة.

ثانيا - يوصي المجلس الدول الإسلامية، والشركات العاملة فيها، وغيرها، أن تتجنب استيراد كل المحرمات شرعا، وأن توفر للمسلمين الحلال الطيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

انتهى القرار.

● **ثانيا - ما عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٢٣/ص٢٩٥/ف٧٤٩٩)؛ حول «دخول شحم الخنزير المتحول (الجيلاتين) في بعض الأطعمة»؛ وفيه:**

هناك بعض المنتجات الدوائية والغذائية التي يدخل في تركيبها «الجيلاتين». ومعلوم أن «الجيلاتين» قد يستخلص من شحوم الخنزير، علما بأن صناعة هذه المنتجات تغير من خصائص المادة الأصلية نتيجة تفاعلها الحراري والكيميائي.

فهل يجوز تناول هذه المنتجات؟

فأجابت اللجنة بما يلي:

ذهب الحنفية والمالكية (وهو رواية عن أحمد) إلى أن نجس العين يطهر بالاستحالة:

- فرماد النجس لا يكون نجسا، ولا يعتبر نجسا، ملحا كان أو حمارا أو خنزيرا أو غيرهما، ولا نجس وقع في بئر فصار طينا، وكذلك الخمر إذا صارت خلا، سواء بنفسها أو بفعل إنسان أو غيره؛ لانقلاب العين.

- ولأن الشرع رتب وصف النجاسة على تلك الحقيقة، فينتفي بانتفائها، فإذا صار العظم واللحم ملحا أخذ حكم الملح؛ لأن الملح غير العظم واللحم.

ونظائر ذلك في الشرع كثيرة منها: العلقة فإنها نجسة، فإذا تحولت إلى المضغة تطهر، والعصير طاهر فإذا تحول خمرا ينجس.

فيتبين من هذا: أن استحالة العين تستتبع زوال الوصف المرتب عليها؛ لذا فإن «الجيلاتين» يعتبر مادة مستحيلة، فهو غير الجلد والعظم اللذين استخرج منهما، وعلى هذا فإنه يباح صنعه وأكله وبيعه وشراؤه. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

● **التعليق:**

تمثل هذه الفتوى والقرار السابق الواردان في هذا المقال الأقوال المتعلقة بمادة الجيلاتين.

وقد اتفق قول العلماء -على نحو ما قرأت- على أنه -مع تحريم استخراج الجيلاتين من المواد المحرمة- إلا أن حكم تناوله بعد دخوله في صناعة

الـغـذاء والـــدواء يـتـوقـف عـلـى تحقق الاستحالة في الجيلاتين بعد دخول الصنعة عليه:

-فإذا كان الجيلاتين بعد صنعه ومعالجته قد تحول إلى مادة أخرى تختلف عن العين النجسة التي تم استخراجه منها في الصفات والخصائص؛ فلا حرج في أكله وتناوله.

- وأما إذا لم يتحول تحولا كاملا، بل بقي محافظا على شيء من صفات وخصائص العين النجسة التي أخذ منها؛ فلا يجوز تناوله أبدا؛ لأنه جزء من الخنزير، أو العين النجسة.

وقد ذكر بعض الباحثين أن الجيلاتين المستخلص من عظام وجلود الأبقار والخنازير قد تحول تحولا كاملا عن المادة التي استخلص منها، فصارت له خصائص كيميائية غير خصائص الأصل الذي استخلص منه، وبهذا ينطبق عليه كلام أهل العلم في الاستحالة.

وقد أخذ بهذا الرأي «المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية»؛ فجاء في قرارها: «الاستحالة التي تعني انقلاب العين إلى عين أخرى تغايرها في صفاتها، تحول المواد النجسة أو المتنجسة إلى مواد طاهرة، وتحول المواد المحرمة إلى مواد مباحة شرعا.

وبناء على ذلك: الجيلاتين المتكون من استحالة عظم الحيوان النجس وجلده وأوتاره: طاهر وأكله حلال»؛ انتهى.

إلا أنه خالف آخرون؛ فقالوا: إن المعالجات والتفاعلات الكيميائية التي تمر بها جلود الخنازير وعظامها لاستخلاص الجيلاتين، لا تنتج عنها استحالة كاملة، وإنما تستحيل استحالة جزئية، فالجيلاتين لا يزال محافظا على خصائص العين النجسة التي أخذ منها.

قال الدكتور وفيق الشرقاوي رئيس مجلس الإدارة بالشركة العربية للمنتجات الجيلاتينية بمصر: «إن جلود الخنازير وعظامها لا تستحيل استحالة كاملة وإنما تستحيل استحالة جزئية، ويمكن بطريق التحليل الطيفي التعرف على أصل الجيلاتين المستخلص من جلود الخنازير وعظامها بعد العمليات الكيميائية التي يتم بها استخلاصه، وذلك لوجود بعض الخصائص في هذا الجيلاتين يمكن التعرف على أصله هذا، فلا يمكن القول إن أجزاء الخنزير التي تحولت إلى جيلاتين قد استحالت استحالة كاملة»؛ انتهى من «مجلة البحوث الفقهية المعاصرة» (٣١/٢٨).

ومما استدل به المانعون من استعمال الجيلاتين في الطعام والدواء وغيره إذا كان من عين نجسة:

١- إن عددا من المختصين ذكروا أن الاستحالة ليست كاملة، وأن ما يتم على جلد وعظم الخنزير هو صناعة، وليس استحالة، فيبقى الخنزير على ما هو عليه من الحرمة والنجاسة، وكل ما صنع منه يأخذ حكمه.

٢- إن وجود الشك في هذا الأمر «هل هي استحالة كاملة أم لا؟»؛ يدعونا للتمسك بالأصل، وهو نجاسة هذه العين حتى يثبت ما يؤكد أنها استحالة حقيقية. ينظر: «موقع الإسلام سؤال وجواب» على الشبكة العنكبوتية.

٣- إن القول بتحريم هذا النوع من الجيلاتين هو ما اعتمده كثير من العلماء المعاصرين.

ومما يشهد لهذا الاختيار الفتوى التالية:

● ثالثا - ما عرض على لجنة الفتوى الكويتية أيضا (ج٣/ص٤١١/ف١٠٣٣)؛ حول «شوربة الدجاج والجيلاتين البقري»؛ ونصه:

نرجو التكرم بموافاتنا برأيكم الخاص بمجالات البيع التالية:

- بيع شوربة دجاج ومشتقاتها مع عدم علمنا بطريقة ذبح الدجاج، وعلمنا بأنها واردة من بلاد غير إسلامية.

- بيع مادة الجيلاتين البقري مع عدم علمنا بالطريقة التي تمت بها ذبح الأبقار، وهي واردة كذلك من بلاد غير إسلامية.

آملين إجابتكم السريعة، وجزاكم الله عنا خير الجزاء.

فأجابت اللجنة بما يلي:

بشأن شوربة الدجاج ومادة الجيلاتين ومثلها سائر المنتجات الحيوانية؛ فإن كانت من لحم الخنزير أو الميتة أو الحيوانات المحرم أكلها فلا يجوز التعامل بها بيعا وشراء.. أما ما سواها من الحيوانات المأكولة اللحم ومنتجاتها فما علمنا أنه ذبح بيد مسلم أو كتابي على الوجه الشرعي فإنه يحل أكلها وبيعها وشراؤها، وما علمنا أنه ذبح بيد غير مسلم أو كتابي أو أنه أزهقت روحه على غير الطريقة الشرعية ولو بيد مسلم أو كتابي فلا يحل أكله.

وأما ما جهل حاله فيراعى فيه أنه جاء من بلاد المسلمين أو بلاد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) كأستراليا والبرازيل وأميركا والدنمارك وفرنسا فيحل أكله ما لم يتيقن أنه غير مذبوح على الطريقة الإسلامية، وإن جاء من بلاد لا تدين بأحد الأديان السماوية الثلاثة (وهي الإسلام، واليهودية، والنصرانية) كالبلاد الشيوعية كروسيا والصين وبلغاريا ورومانيا؛ فهذه البلاد لا يؤكل ما ورد منها من اللحوم ومنتجاتها، ما لم يتيقن أنه ذبح على الوجه الشرعي بيد مسلم أو كتابي فيكون ذلك حلالا، ويؤكل. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

وللاستزادة ينظر:

- «النوازل في الأشربة» زين العابدين الإدريسي (ص٢٨٧).

- «المستخلص من النجس وحكمه» إعداد: نصري راشد (ص١١٣).

- «أحكام الأدوية في الشريعة الإسلامية» لحسن الفكي (ص٣٣١).

- «مجلة البحوث الفقهية المعاصرة» العدد ٣١، (ص٦-٣٨).

- «النوازل في الأطعمة» لبدرية الحارثي (٤٥٩/١).

إعداد: تركي محمد النصر
باحث دراسات إسلامية

الحواشي

قال العلامة القرافي رحمه الله: «يحرم الإفتاء من الكتب الغريبة التي لم تشتهر؛ حتى تتظافر عليها الخواطر، ويعلم صحة ما فيها، ... وكذلك حواشي الكتب يحرم الإفتاء بها ؛ لعدم صحتها والوثوق بها».

وقد علق ابن فرحون المالكي على قول القرافي بشأن الحواشي، فقال: «ومراده أنه إذا كانت الحواشي غريبة النقل، أما إذا كان ما فيها موجودا في الأمهات، أو منسوبا إلى محله، وهي بخط من يوثق به، فلا فرق بينها وبين سائر التصانيف؛ لأنه لم يزل العلماء، وأئمة المذاهب ينقلون حواشي كتب الأئمة الموثوق بعلمهم، المعروفة خطوطهم، أما حيث يجهل الكاتب، ويكون النقل غريبا، فلا شك فيما قاله القرافي».

(تبصرة الحكام لابن فرحون المالكي: ٥٥/١)

اللوم المحمود

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «... فإن المؤمن إذا استبطأ الفرج، وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة؛ يرجع إلى نفسه باللائمة، ويقول لها: إنما أتيت من قبلك، ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله تعالى من كثير من الطاعات، فإنه يوجب انكسار العبد لمولاه، واعترافه له بأنه أهل لما نزل من البلاء، وأنه ليس بأهل لإجابة الدعاء، فلذلك تسرع إليه حينئذ إجابة الدعاء وتفريج الكرب، فإنه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من أجله».

(**جامع العلوم والحكم**، ٢١٥/١)

وصية والد لولده

قال العلامة ابن الجوزي موصيا ولده: «واعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات، وأن الساعات تبسط أنفاسا، وكل نفس خزانة؛ فاحذر أن تذهب نفسا في غير شيء؛ فترى يوم القيامة خزانة فارغة؛ فتندم».

(**لفتة الكبد في نصيحة الولد، ص: ٦**)

الناس ثلاثة

الناس ثلاثة: من ابتكر عمره بالخير ودام عليه؛ فذلك من الفائزين، ومن خلط وقصر؛ فذلك من الخاسرين، ومن صاحب التفريط والمعاصي؛ فذلك من الهالكين.

(**تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر، ص: ٦٠**)

منصب الإفتاء

قال العلامة الشاطبي رحمه الله: لاشك أن منصب الإفتاء عظيم الخطر، كبير الموقع، كثير الفضل؛ لأن المفتي وارث الأنبياء- صلوات الله وسلامه عليهم- وقائم بفرض الكفاية، ولكنه معرض للخطأ؛ ولهذا قالوا: المفتي موقع عن الله تعالى، ومنهم ابن القيم، حين قال: «وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات؛ فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسماوات ؟!».

(**الموافقات، ص: ٢٠١/٤، وإعلام الموقعين، ١٠/١**)

من حكم السلف

- قال عبد الله بن عباس: «سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء».
- وقال حكيم العرب أكثم بن صيفي: «ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب إليكم، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا بالفقر».

(أخبار العرب ١٢/١).

إمام في ثمان خصال

قال الإمام الشافعي رحمه الله: «أحمد بن حنبل إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة»... وقال رحمه الله أيضا: «خرجت من بغداد، وما خلفت بها أحدا أورع ولا أتقى ولا أعلم من أحمد بن حنبل».

(طبقات الحنابلة لأبي يعلى، ٣/١، وتذكرة الحفاظ، ١٦/٢)

العسكر الذي لا يغلب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قلوب المسلمين الصادقة، وأدعيتهم الصالحة، هي العسكر الذي لا يغلب، والجند الذي لا يخذل».

(مجموع الفتاوى، ٦٤٤/٢٨)

حلو الثمار ومرها

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمرها؛ فمن كانت أنفاسه في طاعة؛ فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية؛ فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ - يعني: جني الثمار- يوم المعاد؛ فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مرها».

(الفوائد، ص ١٦٤).

أبو حاتم الوراق

قال أبو حاتم الوراق (تلميذ الإمام البخاري وكاتبه): «أملى البخاري يوما علي حديثا كثيرا، فخاف ملالي، فقال: طب نفسا، فإن أهل الملاهي في ملاهيهم، وأهل الصناعات في صناعاتهم، والتجار في تجاراتهم... وأنت مع النبي ﷺ وأصحابه».

(سير أعلام النبلاء، ١٢/٤٤٥)

شرف الزمان

اعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة؛ فإنه في الصحيح عن رسول الله ﷺ: أنه قال: «من قال: سبحان الله العظيم وبحمده؛ غرست له نخلة في الجنة» (أخرجه الترمذي)؛ فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل؟!...».

(صيد الخاطر، ص١٢٦)

إعداد: علاء عبدالفتاح

آداب أسرية وسلوكات تربوية

روي أن عمر رضي الله عنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار، قيل له: ما رأيناك استسقيت، فقال: «لقد استسقيت بمجاديح السماء».. المجدح: ثلاثة كواكب مخصوصة، ونوؤه يكون عزيزا، فشبه عمر الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تخطيء.

فهناك بلا شك ارتباط بين استقامة الخلائق على طريقة الهداية، وتحركات هذا الكون ونتائجها، وقدر الله تعالى في العباد.

إن رب الأسرة الصادق الإيمان ينظر للمال الحرام وكأنه قنبلة موقوتة، يوشك أن تنفجر فيه وفي أسرته، وتأتي على سعادته وهناءه الأسري، بل يرى في كل سلوك منحرف أثرا ومردودا سلبيا لا يستهان به على نفسه وأفراد أسرته، كبروا أم صغروا.

والحمد الله أمتنا أمة خير، وفيها من لا تذبيه المواقف رغم مغرياتها، وهو ثابت على مبادئه وراسخ رسوخ الجبال، فلا يبهره مكسب حرام، ولا تخدعه صفقة مضللة، ولا يضعف أمام فتنة المال أو الجاه أو القوة.

فمن مواقف الخير في الأمة: أني دخلت يوما عند بائع عطور، فشد انتباهي ملصق معلق في واجهة دخول المحل، مكتوب عليه: قال ﷺ: «أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية» (رواه النسائي)، فأعجبني موقفه ورسوخ مبادئه التي قد يراها بادي الرزي أو ساذج الفكر أنه جرح لمشاعر قطاع من زبائنه المتبرجات، وخسارة لشريحة من رواده ربما تكون بالحجم الذي لا يستهان به، لكن لأصحاب البصائر حسابات أخرى.. إنها لفته طيبة، ونصيحة واجبة، وشفقة بمن تقدم على معصية ربها، وهذا حال الصادقين، يحبون الخير للناس حتى لو تضررت تجارتهم بمنطق التجار، لكنها لن تتضرر حقيقة عند الرزاق الغفار.

ويحدثنا التاريخ عن عالم زمانه إبراهيم النخعي الذي كان كفيفا لا يرى، وكان تلميذه سليمان بن مهران الأعمش في عينيه عمش، فتقابلا يوما في طريق، فقال النخعي للأعمش: إليك عني، لا يتحدث الناس علينا: أعمى وأعمش، فقال الأعمش: لا علينا، نجتمع ويأثمون. فقال النخعي: «بل نفترق ويسلمون».

إنها مبادئنا الإسلامية السامية التي نعيش بها ولها، ورسالتنا للناس جميعا، نفترق ويسلمون، ولا نربح منهم وينجون، ولا نكسب أموالهم ويفوزون.

فحب الخير للخلق باب البركة، وسر النماء، ودعامة الثبات، والسعيد من وفقه الله عز وجل.

● **د. خالد سعد النجار**

التوحيد الخالص

خلق الله سبحانه وتعالى ودعا إلى عبادته وحده دون شريك، مصداقا لقوله جل في علاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦)، وفي نهيه عن الشرك قال سبحانه: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ (النساء ٣٦)، مما يدل صراحة أن الله هو المستحق العبادة.

وسأتوقف في معالجة هذا الموضوع انطلاقا من سورة لها أهمية كبرى، وهي سورة الإخلاص، يقول الله في كتابه المبين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ (سورة الإخلاص)؛ هذه السورة نجد الناس مكثرين من تلاوتها، حتى إنها جرت على ألسنتهم مجرى الأمثال، لسهولة حفظها وعذوبة ألفاظها وجلال معانيها.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، إن الله أحد لا شريك الله، يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «فوصف الله بأنه أحد معناه: أنه منفرد بالحقيقة التي لوحظت في اسمه العلم وهي الإلهية المعروفة، فإذا قيل: الله أحد فالمراد أنه منفرد بالإلهية، وإذا قيل: الله واحد، فالمراد أنه واحد لا متعدد فمن دونه ليس بإله. ومآل الوصفين إلى معنى نفي الشريك له تعالى في إلهيته».

فالأحد هنا جامع للوحدانية من جميع الوجوه.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، جاء في التحرير والتنوير عن الآية: «الصمد من صفات الله، والله هو الصمد الحق الكامل الصمدية على وجه العموم. فالصمد من الأسماء التسعة والتسعين في حديث أبي هريرة عند الترمذي. ومعناه: المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه، والموجود مفتقر في شؤونه إليه.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾: أي أن الله سبحانه ليس بفان، لأن الذي يلد لا شك أن فان، وهذا مستحيل في حق الله، فهو جل شأنه غير ذلك.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: أي لا ضد ولا ند ولا شبيه له سبحانه. يقول ابن كثير «أي: هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه، تعالى وتقدس وتنزه».

هكذا تكون الآية صريحة الدلالة في أن الخالق سبحانه لا شريك له ولا معين، فهو وحده الله الأحد الصمد.

● **محمد القطيبي**

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

التواصل الاجتماعي وثقافة الاحتفال باللغة

في ديسمبر من كل عام يحتفل العالم بيوم خصص للغة العربية. ويتخذ احتفال اللغة العربية في العالم العربي مظاهر كثيرة لا تختلف عن العديد من المؤتمرات السنوية التي تقام في بلادنا بنفس المراسم الرتيبة التي لم تتخللها أفكار وتجديدات الشباب الذين تضيع حقوقهم حتى من مواقف التجديد مع اللغة.. وللإنصاف فإن هناك مجهودات عظيمة يقوم بها بعض الشباب من أجل نشر ثقافة العربية بينهم، وهناك مبادرات يأخذ أغلبهم على عاتقهم مسؤولية بث روح المتعة في استخدام الحرف العربي والكتابة الصحيحة به والبعد عما قد يشوب اللغة من أخطاء ألحقتها بها الأجهزة الإعلامية والثقافية في البلاد العربية. لكن التيار الأقوى الذي يسير هؤلاء الشباب ضده هو الذي يتصدر المشاهد كافة ويتصدى بقوة للحد من انتشارها والإقلال من قدر المبادرين لإنقاذها. أحد روافد هذا التيار وأكثرهم انتشارا بيننا هو مواقع التواصل الاجتماعي والذي تتواصل من خلاله مستويات مختلفة في العمر والمكانة الاجتماعية والثقافة والاهتمامات. ولا ينكر أحدنا كيف كان لهذه المواقع من أثر سيئ تمثل في نشر هائل لانتهاكات لم تتعرض لها اللغة في تاريخها الذي يربو على الأربعة عشر قرنا من الزمان. أحد أهم أسباب انتشار الأخطاء اللغوية، والتي كنا من قبل لا نحسب لها هذا الحسبان حين تأتينا صحيفة مطبوعة بها خطأ نحوي فنلتمس لكاتبها العذر بأن النحو أداة قد لا يتقنها الكثيرون وأن مستوى التردي الملحوظ في التعليم قد أدى لذلك، هو الاستهانة بالخطأ مهما بلغ من البساطة في حين تبلغ مكانة ناقل الخطأ في نفوس الجميع مبلغا يؤدي بصورة لا إرادية إلى الوثوق في لغته ونقله حتى يصير بمرور اللحظات قاعدة من قواعد الإملاء والنحو والتعبير الأسلوبي، ولا نبالغ لو قلنا إن نزاعا قد ينشب بين ناقلي الخطأ وأحد المشتغلين باللغة العربية والمدافعين عنها بسبب ما تحتله الشخصية التي نشرت هذا الخطأ من الثقة في آرائها في النفوس.

• رانيا مسعود

قمة الإنصاف

إنصاف أهل الحق والأشراف
هو في الحقيقة قمة الإنصاف
أهل المكارم تاجهم أخلاقهم
قد توجوا من ربهم بعفاف
قد جدفوا بسنا الشريعة وارتضوا
أن يبحروا في صحبة المجداف
أكرم بهم وأشد بحسن سلوكهم
سجل لهم في صفحة الأعراف
وإذا مررت بساحهم قدم لهم
شهد التحية من فم الأصداف
هم كالجواهر غلفت لجمالها
والناس تحفظها من الإتلاف
وامدحهمُ بلسان صدق شاهد
بالخير ينطق من فم الأسلاف

• محسن عبد المعطي

مرثية لأجنحة الوصول

مروا على قلبي ألملم بعضه ... حتى أترجم بالتلاحم نبضه
وردي سماوي وروحي عطره ... فإذا حللتم صار جسمي أرضه
من دمع هذا الكون أكتب ما أرى ... هرم الرضيع وما رحمتم غضه
غلقتم باب الكلام فمن سيفـ ... ـتح في غد عبق السلام وروضه؟
من ذا سيحيي الحب قبل غروب شمـ ... ـس العمر أو يدني لجفن غمضه
قامت قيامتك الصغيرة يا دمـا ... ـء الحريق فمن سيحمي عرضه؟
من نحن إن نقض الغريب بلادنا ... ومضى يحاول في طريقي نقضه
لا تغلقوا أصوات من عرفوا الطريـ ... ـق وعمروا بيتا لنا أو بعضه
صوت القرنفل في دمي فلتفتحوا ... كل الحدائق واسألوني فيضه
من كان يقبل أن ينام على أذى ... فدمي يدون في المدائن رفضه؟
لم أرض في وطن بغير كرامة ... وبغير هذا العهد لا لم أرضه
بالعلم أم بالجهل يقتل بعضنا ... بعضا ونستر بالكتابة غيضه
لا كاميرا التصوير تنقل جرحنا ... لا شعر ينقذنا لننشد قرضه
لا فض ربي مجد ما نهفو إليـ ... ـه لما نرى مما قضى لا فضه
سنظل نحلم بالوصول فما لنا ... أمل بغير الوصل ننجز فرضه

• منير محمد خلف

تنويه

كتب الدكتور هشام العربي مقالاً متخصصاً تحت عنوان «المذهب الحنبلي وتميزه في المعاملات المالية» في العدد(٦٢٠) وقد تم تذييل اسمه بمسمى باحث دراسات إسلامية بينما الأدق هو «أستاذ الفقه المقارن» والمجلة تتمنى له مزيداً من التوفيق والمساهمات العلمية المفيدة للأمة الإسلامية.

مسك الختام

الشريعة الواضحة

لعل من المناسب في البدء أن نذكر أن ثنائية العقل والنص أيهما يقدم وأيهما يؤخر؟ – كان من الصواب تجاوزها وعدم الانشغال بها، أو التوقف عندها؛ فهي مشكلة زائفة لم تكن الشريعة ولا المجتمع بحاجة إليها؛ فليس بين صحيح الشرع وصريح العقل مصادمة البتة، لأن كلًا منهما يقين، واليقين لا يضاد اليقين، كما أن يسر الشريعة في أبوابها الاعتقادية والتشريعية لا يحوج المتأمل فيها إلى توقف في التعاطي معها، وقد ظلت الشريعة في القرون الفاضلة بهذه المثابة، ومضت الأمة برجالها وعلمائها في التعبد بها والدعوة إليها، لا تجد حرجا ولا عنتا، ولا يجد الداخلون الجدد – بتنوع أوطانهم وأزمانهم – حرجا في الدخول تحت تعاليمها أو التعبد بشرائعها.

ولقد هيمنت أخلاقُ وركائز الشريعة على امتداد الزمان وتنوع المكان، وهدمت بهذه الهيمنة التي صنعت أعظمَ حضارة وأنبلهاحجةَ من يريد النيل منها اليوم، تنقيصا أو تقليلا أو إزراء؛ حجته الواهية في ذلك هي: عدم مناسبة الشريعة للعصر وتطوره وتحوله إلى قرية صغيرة.

ولقد كان عرض الشريعة على الناس عند السلف، ومن تأسى بطريقتهم سهلا في الحجة واضحا في البيان، لا يتوقف على شرح يطول، أو محاجة حول فرعيات لا جدوى من التناظر حولها، يقول الشاطبي واصفا طريقة السلف في البيان: «قصدوا أيسر الطرق وأقربها إلى عقول الطالبين، لكن من غير ترتيب متكلف، ولا نظم مؤلف، بل كانوا يرمون بالكلام على عواهنه، ولا يبالون كيف وقع في ترتيبه، إذا كان قريب المأخذ، سهل الملتمس، هذا وإن كان راجعا إلى نظم الأقدمين في التحصيل؛ فمن حيث كانوا يتحرون إيصال المقصود، لا من حيث احتذاء من تقدمهم».

ونماذج البيان تلك تتجلى عند الداعين للإسلام المتناولين لأسسه بين يدي من يعرضون عليه الإسلام من الحكام، ويجسد عرض ربعي بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نموذجا لهذا، فحين سأله الحاكم الفارسي: «ما جاء بكم؟!» قال: «الله ابتعثنا، والله جاء بنا؛ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام». بهذه الكلمات السهلة البينة التي نقلها المترجم للحاكم الفارسي، بيّن ربعي بن عامر عموميات الإسلام، دون أن يدخل في جدال لن يجني من ورائه سوى ضياع الوقت.

ولما كانت طريقة خير القرون بهذه المنزلة فقد انتشرت دعوة الإسلام في الآفاق بجهد من ترسم خطاهم، يقول اللالكائي: «مذاهبهم كالشمس نايرة، ونصب الحق زاهرة، وأعلامها بالنصر مشهورة، وأعداؤها بالقمع مقهورة، ينطق بمفاخرها على أعواد المنابر، وتدون مناقبها في الكتب والدفاتر».

فإذا خلا عرض الشريعة عن الوضوح، وانبنى على مقدمات عقيمة صعبة في المأخذ، عسيرة الفهم، بعيدة الملتمس؛ فإن صاحبها قد بعد بها عن هدي السلف، يقول الشاطبي: «إذا كان الطريق مرتبا على قياسات مركبة أو غير مركبة؛ إلا أن في إيصالها إلى المطلوب بعض التوقف للعقل؛ فليس هذا الطريق بشرعي، ولا تجده في القرآن، ولا في السنة، ولا في كلام السلف الصالح».

ولذا تجد أصحاب هذا الطريق وقعوا في العنت، وأوقعوا من اتبعهم فيه، ثم تعصبوا له بغير ما بنوا عليه من استعمال العقل في بناء الحجج واستعمال البرهان، واستعملوا السيف والسوط في سوق الأتباع وفرض المعتقدات، يقول اللالكائي: «ومقالة أهل البدع لم تظهر إلا بسلطان قاهر أو بشيطان معاند فاجر يضل الناس خفيا ببدعته أو يقهر ذاك بسيفه وسوطه أو يستميل قلبه بماله ليضله عن سبيل الله، حمية لبدعته، وذبا عن ضلالته، ليرد المسلمين على أعقابهم ويفتنهم عن أديانهم بعد أن استجابوا لله وللرسول طوعا وكرها ودخلوا في دينهما».

ولما خلت طريقة خير القرون من التعقيد، وبعدت عن التكلف، بنوا بها أعظم حضارة، وسلكوا بها أوضح طريق، واستجابت لهم معظم الأمم، وصار زمانهم يؤذن فيه في مراكش بالمغرب، ويقام للفريضة في أمان الله في الفلبين.

د. محمد عزب
كاتب وباحث إسلامي

الشبابي
الوعي
www.alwaeialshababy.com
مواضيع حيوية ومعاصرة
حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
مقالات لأبرز الكتاب الشباب
« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي
Shabab alwaei
@alwaeialshababy

الكويت
عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٦
Kuwait Capital of Islamic Culture 2016
دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
طوّل
بالك
صلاتك_ميزانك
نفسا
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
RedAwqaf

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
العدد (٦٢٢) جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ - مارس ٢٠١٧ م

حجاب المرأة المسلمة عقيدة وحضارة

- خدعوك فقالوا.. عمليات تجميل!
- أثر القدوة الحسنة في دعوة الناس
- مراحل اكتساب المعرفة وعلاقتها بالكتاب
- تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية

هدية العدد: بوستر (مواسم العمر)

مجانًا مع العدد «براعم الإيمان»

info@alwaei.com www.alwaei.gov.kw مجلة الوعي الإسلامي

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

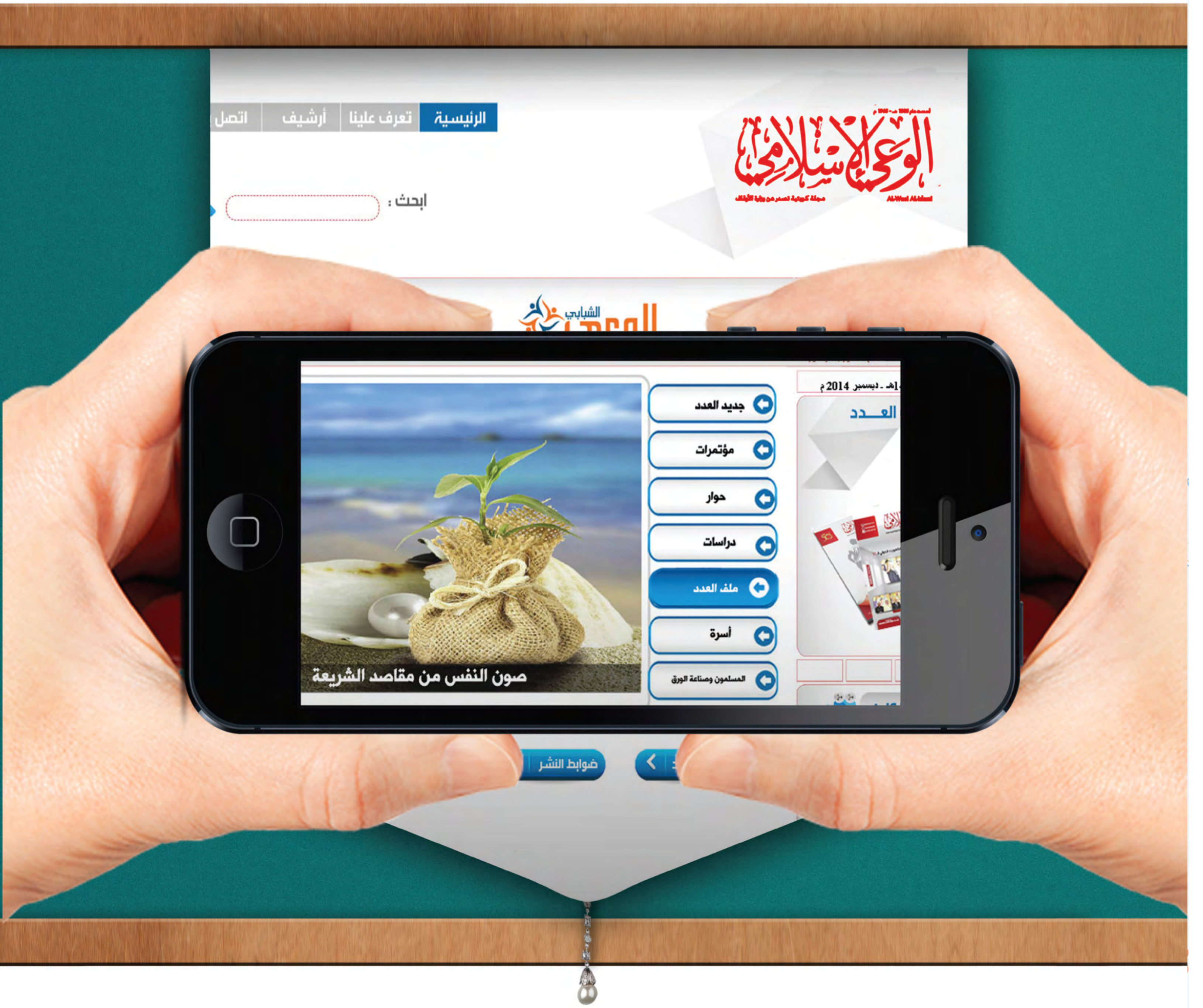

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

info@alwaei.com

@Alwaei_Alislami

مجلة الوعى الإسلامى

الافتتاحية

رمز العفة وتاج الحياء

الحمد لله خالق الخلائق ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾؛ فأتقن ما صنع، وشرع الشرائع فأحسن ما شرع، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وأشهد أن نبينا محمدا عبدالله ورسوله، أقام صرح الفضيلة ورفع، ودفع أسباب الرذيلة ووضع، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه أهل التقى والحياء والورع، ومن سار على نهجه واتبع.

أما بعد، فقد جاء الإسلام لهداية البشرية، وتصحيح العقائد، وتهذيب النفوس، وتقويم الأخلاق، ونشر الخير والفضيلة، ومحاربة الشر والرذيلة، وسد منافذ الفساد الذي يتسلل إلى النفوس؛ لذلك فقد كانت مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، ومعاني القيم، وفضائل الشيم، وكريم الصفات والسجايا.. من أسمى ما دعا إليه الإسلام؛ لأن الأخلاق في هذا الدين منبثقة من جوهر العقيدة الصافية، لرفع الإنسان إلى قمم الخير والصلاح، وأوج الاستقامة والفلاح.

وإن مقياس صلاح الأفراد والمجتمعات، ومعيار رقي الأمم والحضارات، عقيدة تزكِّي النفوس، وإيمان يقوِّم الأخلاق، ودين يهدي إلى الفضائل، ويعصم من الوقوع في الرذائل.. فالأخلاق والآداب في كل أمة عنوان مجدها، ورمز سعادتها، وتاج كرامتها.

هذا، ولم يزل الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة مستمرا، وقد بلغ أوج خطورته في عصر الانفتاح والانفلات، والتلاعب بالألفاظ والمصطلحات، حتى خدع كثير من المسلمين والمسلمات بشعارات براقة، ودعايات مضللة، تعد الالتزام بشرع الله جمودا، والتبرج والسفور حضارة؛ مما يتطلب يقظة الأجيال؛ امتثالا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

وما حرم الإسلام التبرج والسفور، وشرع الحجاب إلا تكريما للمرأة، وحفاظا على مكانتها، وحرصا على إقامة المجتمع النظيف، والجيل العفيف، الذي لا تهيجه الشهوات، ولا تستثيره المغريات، وسدا لذريعة الفساد، وحثا على اتخاذ التدابير الواقية من الوقوع في الشر والانحراف، وذلك هو عدل الإسلام في صيانة المجتمع من المزالق، وهو أهدى سبيل لسعادة البشرية جمعاء، بكل عزة وإباء، في عيش خير وحياة هنيئة، يظللها الإيمان، ويرفرف على جنباتها الحياء.

وخلاصة الأمر؛ أن التمسك بأخلاق الأمة، والتأدب بآدابها - الذي هو: عنوان مجدها، وشعار عزها وسيادتها، وسر نصرها وقوتها -؛ قد بلغ مبلغا حصر معه رسول الله ﷺ مهمة بعثته، وغاية دعوته، في كلمة عظيمة جامعة؛ قال فيها: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (رواه البيهقي في الكبرى:٢٠٤٠٠).

وفي هذا أكبر دليل وأنصع حجة على أن رسالة الإسلام حققت ذروة الكمال، وقمة الفضيلة والأخلاق، كما أن قدوة هذه الأمة ﷺ كان النموذج الأسمى للخلق الكريم، وحسبنا في ذلك ثناء ربه عليه في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:٤). ورحم الله القائل:

فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

رئيس التحرير

الدكتور صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٢ | جمادى الآخرة ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
مارس ٢٠١٧م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

- المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩
- مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤
- قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر
  هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩
- الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧
- سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠
- الأردن: وكالة التوزيع الأردنية
  هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣
- مصر: مؤسسة أخبار اليوم
  هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
- السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع
  هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
- لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع
  هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
- المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
  هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
- تونس: الشركة التونسية للصحافة
  هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤

سعر النسخة

- الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
- المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

ما ضرهم؟!

المرأة في الإسلام جوهرة مكنونة، جعلها الله سكنا لزوجها، وحباها من نعم اللين والرقة والعذوبة، ما جعلها متفضلة على واقع الرجل المصارع في معترك الحياة، ليحقق القوامة.. المرأة درة نفيسة، والفقراء كثيرون: «فقراء العزة، وفقراء الكرامة، وفقراء القناعة، وفقراء الرضا بالقضاء والقدر» فقراء في كل مكان، صاروا يتلصصون على الدرر، لا يبغون إلا الاستحواذ عليها والتسلي بها، ولو بنظرات يهيئ الشيطان لهم أنها مباحة.

المرأة درة نفيسة، فما بالها لو سترت جسمها، وحفظت قيمتها، إلا على من قدّرها، وأخذ ميثاقا غليظا بالحفاظ عليها، والقيام برعايتها ورعاية أولادها؟!

وما بال الفقير الذي يستعفف، لو ارتاحت عيناه في مجال بصره من بريق درر كالسراب؛ لا يروي عطشا، ولا يقطع أرضا عبر رؤيته؟!

المرأة قدرها الإسلام أيما تقدير، لا يمنعها حجاب عن نشاط مشروع، ولا يحرمها حجاب عن حدث مباح، كل ما هنالك أن غيرة قريناتها، ممن انزلقن في السفور، تنغص أجواء ضعيفات الهمم، وطمع سرّاق الذمم يشعل - في بعض وسائل الإعلام - جذوة نار الفتن. لكننا على الحق ماضون، بكتاب الله وسنة رسوله متبعون ولو كره الحاقدون.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

عالمية رسالة الإسلام

خالد العبادي
كاتب مغربي

اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يرسل إلى كل أمة رسولا يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعرفهم بالله سبحانه، يقول سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر:٢٤). فقد كان النبي يبعث لقومه بصفة خاصة، يخاطبهم بلسانهم، ويتعامل معهم، أي أن رسالته كانت رسالة محدودة الزمان والمكان. وشاء الله أن يختم مسيرة إرسال الرسل برسالة سيدنا محمد ﷺ، تلك الرسالة التي لم ترتبط كالسابق بأمة أو قوم، وإنما رسالة إلى الناس أجمعين، إذ لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا على أحمر إلا بالتقوى.. هذه العالمية لم يسبقه إليها أي من الأديان.

إن الإسلام دين عالمي وكذلك النبي محمد ﷺ أرسل، يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سبأ:٢٨). يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: «أي وما أرسلناك إلا للناس كافة: أي عامة، ففي الكلام تقديم وتأخير. وقال الزجاج: أي وما أرسلناك إلا جامعا للناس بالإنذار والإبلاغ. والكافة بمعنى الجامع. وقيل: معناه كافا للناس، تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم إلى الإسلام» (١). كما أن إرساله ﷺ كان رحمة ليست لفئة معينة بل رحمة للعالمين، مصداقا لقوله جل في علاه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، يفسر ابن كثير هذه الآية الكريمة قائلا: «يخبر تعالى أن الله جعل محمدا ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة» (٢). إن نبينا عليه الصلاة السلام أرسله الله عز وجل إلى الناس كافة ورحمة أيضا إلى الناس كافة.

ومن الآيات التي تؤكد أيضا عالمية الرسالة، قوله عز من قائل: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (الأعراف:١٥٨)، أي إن الله تعالى يقول «لنبيه ورسوله محمد ﷺ (قل) يا محمد: (يا أيها الناس) وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي، (إني رسول الله إليكم جميعا) أي: جميعكم، وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس كافة» (٣).

ومن أدلة السيرة النبوية على عالمية الإسلام، أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» (٤). كما يعد النبي ﷺ اللبنة التي ختمت الرسالات فعن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- قال: قال النبي ﷺ: «مثلي

ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: لولا موضع اللبنة» (٥).

فضل عالمية الإسلام

عالمية الرسالة جعلت من الناس جميعا أمة واحدة لا فرق بينهم إلا بالتقوى مصداقا لقول الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣). يفسر السعدي الآية بقوله: يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بث منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبا وقبائل، أي: قبائل صغارا وكبارا، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة وانكفافا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوما، ولا أشرفهم نسبا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله، ظاهرا وباطنا، ممن يقوم بذلك ظاهرا لا باطنا، فيجازي كلا بما يستحق. وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب، مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل، لأجل ذلك. فالتقوى هي المحدد وليس اللون أو العرق أو اللغة.

وقد أخبر خير البشرية ﷺ صراحة على أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى وذلك في خطبة الوداع حيث قال: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى.. أَبَلَّغْتُ»، قالوا: «بلغ رسول الله» (٧). ولعل هذا المعيار سيساهم في تعايش الناس في سلام وأمان متآخين مترابطين على أساس مبادئ الكرامة الإنسانية والمساواة والحرية. ثم القضاء على العنصرية والعصبية والطبقية بكل أشكالها.

الكعبة المشرفة قبلة للعالمين

الكعبة المشرفة كذلك هي قبلة لجميع الخلق، وبركة وهداية لكل الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦). يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: «إن هذا البيت لما كان أول بيت وضع للهدى وإعلان توحيد الله ليكون علما مشهودا بالحس على معنى الوحدانية ونفي الإشراك، فقد كان جامعا لدلائل الحنيفية، فإذا ثبت له شرف الأولية ودوام الحرمة على مر العصور، دون غيره من الهياكل الدينية التي نشأت بعده» (٨). يضيف أيضا: «وجعل هدى للعالمين كلهم: لأن شهرته وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك فيهتدي بذلك المهتدي، ويرعوي المتشكك. ومن بركة ذاته أن حجارته وضعتها عند بنائه يد إبراهيم، ويد إسماعيل، ثم يد محمد ﷺ، لاسيما الحجر الأسود. وانتصب مباركا وهدى» (٩). ثم إن النبي ﷺ بجوار هذا البيت خطب خطبة الوداع بدأها بـ «أيها الناس» فعن سليمان بن عمرو ابن الأحوص، عن أبيه، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول في حجة الوداع: «يا أيها الناس ألا أي يوم أحرم؟» ثلاث مرات، قالوا: يوم الحج الأكبر، قال: «فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا مولود على والده، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا، ولكن سيكون له طاعة في بعض ما تحتقرون من أعمالكم، فيرضى بها، ألا وكل دم من دماء الجاهلية موضوع، وأول ما أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب - كان مسترضعا في بني ليث، فقتلته هذيل - ألا وإن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم، لا تظلمون ولا تظلمون، ألا يا أمتاه هل بلغت؟ (ثلاث مرات)». قالوا: نعم. قال: «اللهم اشهد (ثلاث مرات)» (١٠).

في ختام مقالنا ننبه إلى مسألة مهمة، وهي ضرورة الفصل بين عالمية الدين الإسلامي كدين جاء رحمة للعالمين وتحقيق العدل والمساواة في كل المجالات، وبين العولمة الغربية القائمة على السيطرة والهيمنة على حساب الدول الضعيفة، لهذا فما أحوجنا اليوم إلى التعريف أكثر بأهمية عالمية الدين الإسلامي، دين الرحمة والوسطية والعدل.

الهوامش

١- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ج٤، ص:٣٠٠.
٢ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩م، ج٥، ص:٣٨٥.
٣ - نفسه، ج٣، ص:٤٨٩.
٤- أخرجه أحمد في مسنده، ٩٣٣٧.
٥- أخرجه البخاري في صحيحه، ٣٥٣٥.
٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ص:٨٠٢.
٧ - أخرجه أحمد في مسنده، ٢٣٤٨٩.
٨ - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤م، ج٤، ص:١١.
٩ - نفسه، ج٤، ص:١٦.
١٠- أخرجه ابن ماجه في سننه، ٣٠٥٥.

محمد إبراهيم خاطر
كاتب مصري

الإسلام والكرامة المالية للإنسان

خلق الله عزوجل آدم بيده وأسجد له ملائكته، وفضله على كثير من المخلوقات، وكلها أمور تدل صراحة على تكريم الله عزوجل للإنسان، والكرامة التي تحدث عنها القرآن الكريم كرامة عامة للإنسانية جمعاء، يقول الله عزوجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:٧٠).

وتكريم الله عزوجل للإنسان ترتبت عليه الكثير من الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان ومنها ما يلحقه بعد مماته.

والكرامة المالية تعد جزءا من الكرامة العامة التي ضمنها الإسلام للإنسان لكونه إنسانا وبغض النظر عن الأمور الأخرى كالعقيدة والجنس واللون والعرق.

واعتناء الإسلام بالكرامة المالية

للإنسان له صور وتطبيقات عديدة نجد تأصيلها وبيانها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة، ففي القرآن الكريم نجد حفظ الكرامة المالية للفقراء وذلك من خلال تخصيص جزء من أموال الأغنياء لهم وجعله حقا لهم، يقول الله عزوجل: ﴿وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥﴾ (المعارج:٢٤-٢٥).

والإسلام دعا إلى التعفف، وحث القادرين على العمل والسعي في الأرض لكسب الرزق، وذم السؤال ولم يبحه إلا في حالات محددة، وكلها أمور تحافظ على الكرامة المالية للإنسان بل وتضمنها، يقول الله عزوجل: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (النور:٣٣).

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه». (صحيح البخاري).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «مايزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم» (صحيح مسلم).

ومن القصص التي تدلنا على الكرامة المالية عند الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، قصة حكيم بن حزام مع الرسول ﷺ، وهي قصة عجيبة في العفاف وترك سؤال الناس والزهد في متاع الحياة الدنيا، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال لي: «يا حكيم، إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى». قال حكيم: فقلت: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، لا أرزأ أحدا بعدك شيئا، حتى أفارق الدنيا. فكان أبوبكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا، ثم إن عمر دعاه ليعطيه فأبى أن يقبله، فقال يا معشر المسلمين، إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه. فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد النبي ﷺ حتى توفي رحمه الله (صحيح البخاري).

ومن الأمثلة على الكرامة المالية للمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وهاجروا في سبيل الله عزوجل، قصة عبدالرحمن بن عوف، مع سعد بن الربيع الأنصاري، رضي الله عنهما، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم عبدالرحمن بن عوف المدينة، فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال: عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلني على السوق، فربح شيئا من أقط وسمن، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة، فقال النبي ﷺ: «مهيم يا عبد الرحمن؟». قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «فما سقت فيها؟». فقال: وزن نواة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «أولم ولو بشاة» (صحيح البخاري).

والإسلام حرص على الكرامة المالية للمرأة، والدلائل على ذلك كثيرة ومنها أن جعل نفقتها على الرجل، فالرجل مكلف شرعا بالإنفاق على زوجته وعلى بناته، والإنفاق على أمه وصلة رحمه ممن تجب عليه نفقتهم، يقول الله عزوجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ (سورة النساء:٣٤).

والإسلام جعل للمرأة نصيبا من الميراث، وجعل لها ذمة مالية مستقلة عن الرجل، يقول الله عزوجل: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا﴾ (النساء:٧).

وكما حرص الإسلام على الكرامة المالية للمسلمين حرص عليها كذلك لغير المسلمين وبخاصة الضعفاء منهم، فقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسير في أسواق المدينة فلقي رجلا ضريرا يسأل الناس فسأله أمير المؤمنين: من الرجل؟ فأجاب: يهودي من أهل الذمة لا يجد طعاما! فقال رضي الله عنه لمن حوله: «ما أنصفناه؛ أكلنا شبابه.. وتركناه في عجزه»، وجعل له ولنظرائه عطاء من بيت مال المسلمين.

هذه نماذج تبين لنا كيف ضمن الإسلام الكرامة المالية للمسلمين وغير المسلمين، وحري بكل مسلم اليوم أن يكون حريصا على كرامته المالية وعلى الكرامة المالية لمن يعولهم، وأن يحرص كذلك على الكرامة المالية للمسلمين ولغيرهم، وذلك من خلال العمل والاجتهاد، والسعي في مناكب الأرض من أجل نفع الناس وصون كرامتهم.

نجلاء محفوظ
صحفية مصرية

اهزم الاكتئاب واسترد حياتك

إذا تعرضت للسرقة فستجتهد لاسترداد المسروقات، وماذا لو تعرضت - لا قدر الله - لسرقة حياتك؟

الاكتئاب لا يكتفي بزيارتنا بل يسعى ويخطط لإقامة كاملة ليسرق الأعمار ويبدد الطاقات ويهدد الصحة النفسية والجسدية ويفسد علاقاتنا وكل تفاصيل الحياة.

وأصبحت عبارة «أنا مكتئب» شائعة، البعض يقولها عندما يواجه أمورا عادية وآخرون يقولونها بوجع يؤلم من يسمعهم.

أسوأ ما في الاكتئاب أنه يجعلنا نبالغ بامتصاص أي ألم ونزرعه بقلوبنا وعقولنا ونحس بقلة الحيلة وتراجع مكانتنا عند من نحب ونستدعي كل ما يؤلمنا «ونتنفسه» وكأننا نمسك بأغلظ أدوات التعذيب لنؤذي أنفسنا ونوجه لها الضربات وأحيانا الطعنات من كل الاتجاهات.

يفترس بقسوة

يقلل الاستسلام للاكتئاب من تقدير

النفس وهو «أوكسجين» النجاح والسعادة.

ولا يعرف قسوة الاكتئاب إلا من عانى منه أو اقترب «بقلبه وعقله» من إنسان غال لديه افترسه الاكتئاب، وليس صحيحا أن المؤمن لا يكتئب، بل لا يستسلم للاكتئاب، ويستعن بالرحمن ولا يعجز.

ويعد الاكتئاب إنذارا لتغيير أسلوب حياتنا وقد يأتي إثر إجهاد نفسي أو بعد استسلام للفراغ، فالأول يشعرنا بضيق وتعب ويضعفنا والثاني يجعلنا نضخم المعاناة من أمور لا تستحق.

والهروب من الاكتئاب وتخفيف حدته مطلوب، ولكن كمرحلة يليها مواجهته ومنع تكراره أو تقليل زياراته ما استطعنا.

أسبابه وأعراضه

يكتئب البعض عند وفاة عزيز أو غيرها من الأسباب ولنتذكر الحكمة الرائعة: لا يمكننا منع الطيور من التحليق فوق رؤوسنا ونستطيع منعها من بناء أعشاشها فوق رؤوسنا.

يتألم المكتئب بشدة ويفقد الأمل ولا يستطيع مواصلة حياته الطبيعية ويقل تركيزه وتقل شهيته أو يأكل كثيرا ويهرب للنوم ويتراجع نشاطه. ويحس بالتعاسة وتضعف عزيمته ويقل اهتمامه بحياته، ويتراجع نجاحه ويسوء مزاجه وتغزوه الأفكار السلبية وتستنزف طاقاته ويتشاءم ويعاني بشدة من ضغوط الحياة، وقد يهرب لمواقع التواصل الاجتماعي فيتضاعف الاكتئاب وتزداد عزلته وتقل رغبته بالتواصل الحقيقي، مع تعرضه لكم هائل من العلاقات المزيفة تزيد رغبته بالعزلة.

وإذا كان الشخص في أسرة لديها مريض بالاكتئاب فاليقظة مطلوبة لطرد أي بوادر للاكتئاب وعدم الاستسلام.

بإمكانك النجاة

ولكل مكتئب نؤكد بكل الاحترام لمشاعره:

- ليس هكذا تعاش الحياة، فالحياة أجمل مما تتخيل وأرحب وألطف وأفضل كثيرا مما ظننت.
- تستطيع «قهر» الاكتئاب والاستفادة منه بتغيير ردود أفعالك وتحسين حياتك والحرص على التوازن وتذكير النفس بالنجاحات السابقة – وإن قلّت – لتقليل حدته.
- البكاء رحمة ومسكن (مؤقت) وإدمان المسكنات يسبب المرض وإدمان البكاء يورث قلة الحيلة والنكد ويسرق العمر.
- من احتضن الوجع وبالغ بالتوقف عنده وتنفسه وتوهم أن ما سيأتي في قابل حياته لن يكون إلا مضاعفة للأوجاع فلابد أن يكتئب.

اطرده فورا

- لا نلومك وأسوأ ما يفعله مريض الاكتئاب هو لوم نفسه ونتمنى تحفيز إرادتك للتعامل الإيجابي مع هذا الاكتئاب وطرده.
- لا تمت وأنت على قيد الحياة وتذكر قول الشاعر الرائع:

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

- لا تفترض أسوأ التوقعات وتتعامل معها كحقائق، تماسك واكتب فورا ما الذي يمكنك فعله لتحسين أي شيء بحياتك، وسارع بفعله واسعد به.
- قم بترتيب أولوياتك في حياتك واجعل على رأسها أن تعيش سعيدا.
- سارع بإنقاذ نفسك فالاكتئاب كالرمال المتحركة إذا «تركت» نفسك لها فستلتهمك فورا.

- يكتئب الرجال أحيانا بعد تغير أوضاعهم المعتادة كالتقاعد مثلا والنساء بعد زواج الأبناء والحل بعدم الانعزال وممارسة العمل التطوعي وشغل أوقاتهم بما يسعدهم ويشعرهم بقدرتهم على العطاء وأن أدوارهم في الحياة لم تنته كما يفكر المكتئبون.

كن مرنا

- لا تتعجل الذهاب لطبيب وساعد نفسك، وراقب عقلك بلطف دون إجهاد للنفس، واطرد أولا بأول الأفكار السلبية وابدأ بالمرونة مع الحياة، وتوقف عن التعامل مع أي شيء يؤلمك وكأنه كارثة لا تحتمل.
- إذا اضطررت لتناول دواء لمواجهة الاكتئاب فلا تعتبره هزيمة أو تتعامل معه كرفيق دائم لا تستطيع الحياة بدونه، بل مجرد مساعدة «مؤقتة» لتخفيف الوجع ولتتمكن من استعادة السيطرة على حياتك بمشيئة الرحمن.
- الطبيب النفسي لن يحل الاكتئاب بالأدوية فقط، فلابد أن تساعد نفسك بجدية وبمثابرة للانتصار عليه، ولاحظت أن الكثيرين ممن يتعاطون أدوية مضادة للاكتئاب أو مهدئات ينخفض لديهم الإحساس بتقدير النفس ويتراجع لديهم الشعور بإمكانية النهوض بالنفس فتنبه لذلك، وقل لنفسك يوميا: أستطيع بإذن الرحمن بدء حياة أفضل وسأمارس الرياضة وأتفق مع الطبيب لإنقاص جرعات الأدوية.

واجه الانتكاسات

- إذا عادت بوادر الاكتئاب فلا تقل: لقد عاد ثانية.. لا فائدة مني.. الوضع سيزداد سوءا.. وكلمات تزيد الوضع سوءا وتجعلك تستسلم ولا تقاومه، بل قل: هذا إنذار لأتراجع

فورا عن تفكيري السلبي، ثم سارع بفعل أي شيء يسعدك واسترخ ذهنيا ونفسيا.

● مارس تمرينات التنفس وأبسطها إغلاق إحدى فتحتي الأنف والتنفس بلطف من الفتحة الأخرى، ثم إغلاق الفتحتين بإصبعيك بلطف ثم أخرج الهواء من إحدى فتحتي الأنف بهدوء شديد وكرره مع الأخرى بهدوء وبلطف، وستشعر براحة عقلية رائعة، وباسترخاء جميل وكرره ما استطعت.

● سيفيدك العلاج بالإيحاء الموجه، فقل: أنا أقوى وأفضل مما اعتقدت، هذه سحابة وستنتهي سريعا، والحياة جميلة أمامي ولا وقت للحزن وسأصنع السعادة لنفسي.. أنا شخصية ناجحة، نفسي مرتاحة، مطمئنة.

اربح دوما

● قم بطمأنة نفسك وبعث كل جوانب السرور بداخلك ولا تستسلم لأي أفكار سلبية.

● اربط مشاعر الاكتئاب بالخسارة واربط طردها بالمكسب والربح واربح دوما.

● اختر لنفسك الهدوء دائما، وعندما تكتئب اشغل ذهنك بشيء تحبه أو بالتخطيط لأمر ما أو أجرِ مكالمة هاتفية مع صديق ولا تشكُ وتكلم بأمور تحبها، قم بإنجاز أي عمل تحبه ستشعر بالثقة والرضا عن النفس وسيمنحك ذلك شعورا رائعا هائلا يقلل الأفكار السوداوية.

● دلل نفسك بالاسترخاء خلال اليوم بالاستلقاء أو الجلوس معتدل القامة وأغمض عينيك بلطف وركز على تنفسك وأدخل الهواء من الأنف وأخرجه بهدوء من الفم، وكرره وستتحسن نفسيا.

● أكثر من أخذ الحمامات الدافئة واحصل على الترفيه - المباح بالطبع - وأدخل في يومك قدرا من المرح.

● أسعد نفسك واختر أصدقاء يبعثون البهجة في حياتك، وبدلا من الحديث عن مشاكلك فكر بكيفية حلها أو تقليلها.

● كن مرنا ولا تطلب الحد الأقصى من الحياة وتعلم الفرح بما لديك، وسترتاح جسديا وذهنيا وسيرشحك للفوز بأضعافه بإذن الله.

سلاحك الأقوى

● تشبث بتدينك فهو سلاحك الأقوى في علاج الاكتئاب، وعندما تعود بوادر الاكتئاب بشراسة هدئ نفسك وصل ركعتين وركز جيدا بالوضوء وقل: الوضوء فرحة والصلاة فرحة وسأتقرب إلى الله بهما.

● صلِّ بهدوء واطمئنان وادع الله أن ينجيك وركز جيدا في معاني الآيات، وستتحسن، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الصلاة تساعد كثيرا في علاج الأمراض النفسية.

● احرص على أداء الصلوات في أوقاتها وعندما تشعر بالضيق استدع كل مشاعر الطمأنينة، وكأنك تجلس بخيمة من الطمأنينة وراحة البال والهدوء والاطمئنان، وقل: رب الكون كله يحميني ويشفيني ويحفظني، أنا مطمئن وهادئ وسعيد.

● وقل: لن أضيع ثانية باكتئاب ولن أتعامل مع نفسي وكأنني مريض يتوقع حدوث الانتكاسات فتوقع حدوثها يستدعيها، وأنا أرفض المرض وأختار الصحة.

● اكتب لنفسك الأسباب التي تدفعك لاستعادة سعادتك في ورقة واقرأها يوميا، وغير نظرتك للحياة ولكل التفاصيل من حولك لتظفر بحياة سعيدة.

● خفف من حمولتك النفسية ولا ترهق نفسك بتفاصيل زائدة فالحياة أقصر مما تتخيل ولا تهدر أي ثانية في التألم.

● بإمكانك وحدك انتشال نفسك من براثن الاكتئاب وأوجاعه فافعل لتنعم بحياتك.

● ما تتابعه على الفضائيات وعلى الإنترنت من أحداث مؤلمة قد تتسبب باكتئابك فاحذر، وكثف الدعاء والدعم المادي واطرد الاكتئاب فسيضرك ولن يفيدهم.

● راقب أصحابك، هل أحاديثهم تبعث على الكآبة، قم بتنبيههم فإذا استمروا فابحث عن آخرين لا يصدرون الوجع للآخرين.

● مارس الرياضة وأبسطها المشي.

ستنتصر

● من يبحث عن شيء يجده، وكما أن الحلم بالتحلم كما جاء في الحديث الشريف فقم بتمثيل الانتصار على الاكتئاب وستنتصر، قل: الإيمان سكني والبهجة داخلي واختياري وأشكر ربي على النعم وأتنفس الرضا وأطرد الاستسلام للوجع.

● انضم لمن قهروا الاكتئاب.

● حارب الاكتئاب بالأطعمة التالية فقد ثبتت فائدتها في تحسين المزاج، السبانخ، الجوز، البنجر، الأفوكادو، الشوفان، الشيكولاتة الداكنة، شاي البابونج، الموز، البروكلي، شاي الزنجبيل، الكاجو، السالمون.

● انزع الاكتئاب بزرع الرضا بقلبك وعقلك، يقول ابن القيم: الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العابدين، وجنة الدنيا، من لم يدخله في الدنيا لم يتذوقه في الآخرة.

● تشبث بالحياة ولا تخذل نفسك وتذكر أنه لا يجتمع اليأس واليقين في القلب أبدا، واختر اليقين باسترداد حياتك وبتحسينها دوما.

د. تامر الجنايني
كاتب صحفي

الفهم منحة

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٩)، وددت اليوم أن ابدأ كلماتي بآية من آيات الله عز وجل أنزلها في محكم كتابه العزيز الحكيم، وقد بدأت الآية بـ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾، الفهم هي أمر جلل أن الله عز وجل يرزقك الفهم عن غيرك، فهذه هي النعمة الكبرى، نعمة الفهم.

بالآية السابق ذكرها الله عز وجل قد بعث سيدنا داوود، وجعل له خلف، وهو سيدنا سليمان عليهما السلام، ومع ذلك في هذه القضية بالتحديد، قد حجب الله فهم القضية عن الأب، والنبي المرسل، ووهبها ابنه الأصغر سنا، من هنا علينا أن نستخرج آيات.. آيات الفهم:

١- إن الله قد يمنح الأصغر منك سنا، والأقل خبرة، والأقل منزلة، كما منح الابن والأقل خبرة، ومع ذلك كله منح الفهم، وتميز به في أمر عن والده الأكبر سنا، والأصل في العلم والخبرة، بل الأقدم في نزول الوحي عليه.

٢- الفهم منحة، فعلى من منح الفهم أن يقدم رأيه، ولا يتركه يقف عنده، بل ينشر ذاك الفهم لمن حوله ليعطر به عقولهم، لعل الله أن يرزق منهم أناسا آخرين فيفهمون مثل فهمه، ويعم الفهم المجتمع ككل.

من هنا نبدأ..

منذ أن رزقنا الله ذاك الفهم، وأهدانا تلك المنحة الربانية منحة الفهم، فعلينا أن نعي جيدا بأننا اقتبسنا قبسا من بعض نعم النبوة، ألا وهي الفهم، كما منح الله الفهم لسيدنا سليمان عليه السلام، ومن هنا نبدأ نخطط حقا للفهم، وقبل أن نخطط علينا أن نجد دافعا، لنبدأ نخطط للأمر، ألا وهو الفهم، فلنبدأ نعي دوافع الفهم ما هي، وكيف تكون؟

دوافع الفهم:

- دوافع أولية: وهي تلك الدوافع التي تمنح دائما للتقدم وللرقي بالعقل، ألا وهي الدوافع الشخصية، متمثلة في الرغبات والحاجات، فحينما أشعر بقيمة الرغبة بالرقي بها، وحينما تكبر أفتقر لتلك الحاجات وبشدة، تكن الدوافع أقوى وأكبر، فقوة الدوافع تمنحني زيادة بالتمسك بالدفع تجاه الاتجاه ذاته ألا وهو اتجاه الفهم.

- دوافع ثانوية: وهي تلك الدوافع التي يشترك فيها كل الأسرة وكل المجتمع، فهي دوافع أسرية ومجتمعية، وتلك الدوافع ليس بالدافع القوي لمن يرى ثانوية الاهتمام بأسرته ومجتمعه، ولكنها عند أناسا آخرين قد تأخذ نفس درجة الدوافع الأولوية، وتكن سببا كافيا لدفع الشخص لاتجاه ذاك الفهم الصحيح.

تغيير الفهم

إذا أردنا أن يغير أحدنا فهمه بيده، ولم تكن منحة ربانية موهوبة له في حينها، فعليه أن يبدأ في التغيير بالأمر بنفسه، وذلك عن طريق خطوات ثلاث لتخطيط تغيير الفهم، ألا وهي:

١- الاستعداد: لتغيير الفهم علينا أولا أن نعي دوافعه جيدا، ونضعها أمامنا لتكن سببا أصيلا في تغيير الفهم.

٢- التكرار: تكرار الفعل أو البحث عن الأمر يمنحنا بعض من تغيير الطريقة، ومن تغيير تلك الطريقة يتغير نظرتنا من السلبية للإيجابية تارة، وكذلك من الإيجابية البسيطة للإيجابية الأكثر نضجا، ومن هنا نعي بأن تكرار البحث وتكرار الفعل يمنحنا بتثبيت الفهم الصحيح.

٣- الأثر: لابد من معالجة وجودية الأثر، ليكن أكثر إيجابية بكل مرة يحدث فيها التكرار، حتى لا يرتد الأمر بالاتجاه العكسي، والذي يهدم منظومة الفهم، فكلما كان الأثر إيجابيا كان التغيير للفهم أكثر.

وبهذا كله حينما يكن لنا هدفا بعينه وهو تغيير المفهوم السلبي واستبداله بمفهوم إيجابي، ومن استبدال المفهوم يتغير المعتقد متمثلا بمشاعر سلبية كانت، ويحل محلها مشاعر إيجابية، فتبنى عليها فعلا إيجابيا، ومن الأفعال الإيجابية تبنى المجتمعات، وتستبدل من الحالة السلبية إلى الحالة الإيجابية وتنمو.

متابعة : علاء عبدالفتاح

«الوعي الإسلامي» حاورت عددا من رواده وباحثي المؤتمر

«الأوقاف» أضاءت الطريق لـ «مواجهة التطرف الفكري»

كيف نواجه التطرف الفكري؟ ما واقعه؟ وما المأمول من هذه المواجهة؟

تلك كانت الخطوط التي استمدت منها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، تحت رعاية سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، محاور مؤتمرها أخيرا تحت عنوان «مواجهة التطرف الفكري: الواقع والمأمول» في الفترة من١٧-١٩/٤/١٤٣٨هـ الموافق ١٥-١٧يناير ٢٠١٧م.

ناقش المؤتمر، بالإضافة إلى قضيته الرئيسية، العديد من القضايا التي تعنى بمشكلات وهموم الأمة الإسلامية وتمت بصلة إلى «الأمن الفكري والتطرف المقابل».

«الوعي الإسلامي» كانت حاضرة فرصدت ما جاء في جلسات المؤتمر كما استطلعت آراء عدد من ضيوفه والمتحدثين فيه.

في البداية افتتح المؤتمر وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية وزير الدولة لشؤون البلدية محمد الجبري بكلمة نقل فيها ترحيب سمو أمير البلاد بالضيوف المشاركين، وتقديره لجهودهم، ثم تحدث وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئيس اللجنة العليا للمؤتمر المهندس فريد أسد عمادي مرحبا بضيوف الكويت، مبينا حرص دولة الكويت على استعراض الجوانب العملية المتمثلة في البرامج والمبادرات والجهود التي تبذلها مؤسسات العالم الإسلامي في مواجهة التطرف الفكري.

واستعرض مستشار الشؤون السياسية والمفاوضات في الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية د. نواف ابن منير المطيري، أهم الجهود التي تبذلها دول المجلس في تعزيز الوسطية ومواجهة التطرف الفكري، بينما ألقى د. عبدالله بن صالح العبيد كلمة الضيوف والمشاركين.

استمرت فعاليات المؤتمر ثلاثة أيام، حيث استعرضت الجلسات الجهود والمبادرات المقدمة لمحاربة التطرف الفكري، وبهذا الشأن قدم د. سهل بن رفاع بن سهيل ورقة عمل بعنوان: «نماذج من الدراسات والأبحاث والرسائل العلمية الأكاديمية في مناقشة شبهات جماعات التطرف والغلو المعاصرة - ونتائجها العلمية وتوصياتها».

وأكد بن سهيل أن النتائج العلمية لهذه الدراسات والأبحاث والرسائل، التي ناقشت شبهات جماعات التطرف والغلو المعاصرة، أشارت إلى أن أسباب التطرف والانحراف الفكري تضم: التنزيلات الخاطئة للأحكام والواقع، وسوء فهم الغلاة المتطرفين للفتاوى والبيانات والخطب التي لا تراعي الحال والمآل، وأيضا سوء الفهم لأحكام التعامل، وعدم التفريق بين الخطأ والتعامل مع المخطئ.

وكذلك إظهار الجماعات المتطرفة عبر وسائل الإعلام الجديد وبرامج التواصل الاجتماعي الشبهات القديمة، والأقوال المتشابهة والمشكلة لأهل العلم،

التي كانت في بطون الكتب.

كما أشارت هذه الدراسات إلى الخلافات والصراعات الفكرية بين طلاب العلم والدعاة والمفكرين والكتاب، واتباع المتشابه من النصوص وأقوال أهل العلم، وترك المحكم البين الواضح.

وأيضا بتر أقوال أهل العلم عن سياقاتها، وتوظيفها بما يتفق مع آرائهم.

بناء استراتيجيات جديدة

من السودان قابلت «الوعي الإسلامي» كلا من مدير مؤسسة القلم للبحوث والترجمة والتعليم د. عبدالرحمن خضر، ورئيس مجلس إدارة منظمة سبل السلام الخيرية العالمية د. خالد عبداللطيف.

أكد د. خضر أن المؤتمر مميز جدا في تنظيمه، لافتا إلى أن المحاور التي احتواها استشرفت قضايا المستقبل وأعادت النظر في الرؤى الاستراتيجية مع بناء استراتيجيات جديدة. وقال: «أعتقد أنه مؤتمر ناجح جدا من الناحيتين التنظيمية والعلمية، وجزى الله خيرا دولة الكويت على ما بذله رجالها في هذا المؤتمر».

بينما أكد د. عبداللطيف أن المؤتمر من حيث الموضوع والتوقيت مناسب جدا، وهو يهدف إلى دراسة الحالة الراهنة. وأضاف: «حضر علماء متخصصون في العلم الشرعي ومختصون في الجانبين الإعلامي والتقني، وكان التقاء الطرفين لوضع خطط مهمة». وقال: «اشكر وزارة الأوقاف على تبني هذا الأمر. وقد طلبت إقامة ندوة متخصصة ودعوة الإعلاميين والتقنيين وجمع المادة العلمية من الجامعات ومتخصصين في العلم الشرعي، وإصدار ذلك في موسوعة، كما طلبت العناية بالترجمة وتخصيص البعض لذلك الأمر لنشر المعلومات الصحيحة».

معاني الوسطية

وقد خلص بحث بعنوان «المبادرات والمشاريع النمطية التقليدية»، قدمه الباحث د. سعود حسن العجمي، إلى جملة من التوصيات المهمة منها: تأصيل معاني الوسطية في نفوس الشباب المسلم ليكونوا عناصر بناء لا تخريب ولا تدمير، واعتدال لا غلو، وأناة ورفق لا تسرع.

مع بذل الجهود في تحصين الشباب المسلم، وحمايته من فكر الفئة الضالة لوقايتهم قبل وقوعهم في حبائل التطرف، وما ينتج عنه من ظواهر العنف والإرهاب، وتشويه صورة الإسلام.

وكذا العناية بالجانب العلمي في عرض استدلالات المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، الذين يسلكون مسلك الغلو والتطرف، ومناقشتها في ضوء منهج السلف الصالح.

كما أوصى البحث بإنشاء معهد تدريب متخصص لإقامة الدورات التدريبية لعدد من شرائح المجتمع المؤثرة مثل: خطباء الجوامع، وأئمة المساجد، وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات، ومنسوبي المؤسسات التعليمية والتربوية من الرجال والنساء، ومعلمي حلقات تحفيظ القرآن الكريم؛ وذلك لتعزيز قيم الوسطية والاعتدال، واكتساب المهارات اللازمة في إيضاح خطورة فكر التطرف والغلو الذي تتبناه الفئة الضالة، والتعرف على سماتهم وأفكارهم، وكيفية التعامل معهم، ووقاية المجتمعات من هذا الفكر المنحرف، ومعالجة المصابين منه.

من الهند

تحدثنا إلى دارس في الجامعة الإسلامية بالمدينة - كلية الحديث د. عبيدالرحمن بن محمد حنيف، وقد أتى من الهند ليحضر المؤتمر فقال: «حضرت كل الجلسات تقريبا، ووجدت أن الأوراق في صلب الموضوع وممتازة. وكلما كان غذاؤنا نفيسا لن يأتينا المرض». وأوضح: «إن التطرف مرض خبيث، فليتنا نركز على صفاء الغذاء الروحي وجودته؛ فإذا جاء المرض نعود إلى الكتاب والسنة في كل مكان وربط الجيل الجديد بالسلف الصالح».

نماذج مشرفة

وكان لعضو الأكاديمية الأميركية للطب الشرعي الدكتور عبدالرزاق ابن عبدالعزيز المرجان بحث تحت عنوان «المرصد والجيش الإلكتروني الخليجي.. إحدى الأدوات لمواجهة أنشطة الإرهاب الإلكتروني»، خلص فيه إلى أن هناك استراتيجيات للجماعات الإرهابية لتحقيق أهدافها في العالم الافتراضي، وأن حكومات الخليج قدمت نماذج مشرفة في مكافحة الإرهاب بصفة عامة. وإن كان هناك تعاون كبير بين القطاعات الأمنية في الخليج، إلا أنه يظل هناك ضعف في مشاركة المجتمع في مكافحة الإرهاب، والميل إلى التنظير في طرح المبادرات على الرغم من توافر الخبرات والموارد، وهناك ضعف في التنسيق بين المجتمعات الخليجية، لذلك نحتاج إلى بناء استراتيجية خليجية مجتمعية تتناغم مع التحركات الأمنية.

تعميم التجربة

ومن لبنان التقينا مدير الجامعة الإسلامية في تركيا - فرع لبنان د. ناجي محمد علوش، الذي قال: «إن المؤتمر يشكل إطلالة فكرية عالمية صادفت مؤتمرات كثيرة معلبة، لكن هنا مؤتمر تجديدي تفاعلي أكثر مما توقعت من حيث المضمون وورش العمل والتنظيم، ويستحق أن يكون قبلة وسطية معرفية للعالم الإسلامي ككل، وأتمنى أن تعمم التجربة وعصارة الفكر فيكون منهاجا يستفاد منه».

تعريف محدد

وقدم د. نور الله كورت بقسم التفسير والحديث كلية الشريعة جامعة الكويت بحثا تحت عنوان «دور وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي في مواجهة التطرف الفكري سلبا وإيجابا: تركيا نموذجا»، جاء فيه أن أهم تعريفات مفهوم التطرف تقول إنه الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشائعة في المجتمع، وتبني قيم ومعايير مخالفة لها. وهو اتخاذ الفرد (أو الجماعة)، موقفا متشددا إزاء فكر (أو أيديولوجية أو قضية) قائم، أو يحاول أن يجد له مكانا في بيئة هذا الفرد أو الجماعة.

وقد يكون التطرف إيجابيا يتمثل بالقبول التام لهذا الفكر (الأيديولوجية، القضية)، أو سلبيا يمثل بالرفض التام له، ويقع حد الاعتدال في منتصف المسافة بين القبول والرفض.

وفي كلتا الحالتين يعتبر اللجوء إلى العنف (بشكل فردي أو جماعي) من قبل الجهة المتطرفة؛ بهدف فرض قيمها ومعاييرها، أو بهدف إحداث تغيير في قيم ومعايير المجتمع الذي ينتمي إليه وفرض الرأي بالقوة، هو أحد أشكال الإرهاب، والإرهاب المنظم.

من النمسا

وقد التقت «الوعي الإسلامي» بإمام وخطيب مسجد السنة في الحي السادس بفيينا (عاصمة النمسا) أحمد السيد الخشاب، وقال: «إن المؤتمر جمع العلماء وأهل الفكر الذين يخططون لنصرة هذا الدين، فقد تكالبت علينا الأمم، ولم يبق غير وحدتنا التي فيها قوتنا». وأضاف: «أنتم الإعلاميون حملة القلم عليكم عبء كبير لنصرة الدين»، لافتا إلى أنها المرة الأولى له بالكويت وقد لاقى ضيافة وكرما استحسنهما من القائمين على المؤتمر، وقدم الخشاب بحثا تحت عنوان «التطرف الفكري: مظاهره وأسبابه وعلاجه».

وقد حض الخشاب في هذا البحث على لزوم فرقة أهل السنة والجماعة وترك ما عليه الفرق الضالة، ولا يحدث هذا إلا بعد معرفة ما الفرقة الناجية، وما الفرق المخالفة، وما مذاهبهم وشبهاتهم، لأجل التحذير منهم، لأن من لا يعرف الشر يوشك أن يقع فيه.

وأضاف: «هدفنا الدعوة وتوعية الناس والمساهمة في بيان الحق، والكف من شرور أهل الضلال، وتسليط الضوء على أهمية مواجهة التطرف، والحد من جرف الأمة إلى العقائد المنحرفة والمناهج الهدامة، حتى تستعيد الأمة مكانتها ومجدها، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

وتناول البحث ماهية التطرف لغة واصطلاحا، ونشأة التطرف الفكري، وعلاقة نشأته لدى المسلمين بالعقائد القديمة، وتطرف الخوارج ومذهبهم، ثم بيان مظاهر التطرف وأسبابه، ومن ثم أنواعه وتقسيماته، وكيفية محاربته، وما طرق الوقاية منه وعلاجه، ثم دور المؤسسات الإسلامية في مواجهة التطرف. أما توصياته فكانت: تفعيل دور المؤسسات الدينية في مواجهة التطرف، وفتح باب الأنشطة الرياضية والفكرية والثقافية للشباب، لما في ذلك من توجيه طاقاتهم في ما يعود عليهم بالنفع. أيضا تعزيز وتقوية المحتوى الديني والشرعي في المناهج الدراسية في المدارس والجامعات العصرية الحكومية، وخاصة في ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية والأخلاق والسلوك والمعاملات مع تأليف عدد من الكتب والبحوث والدراسات التي تهتم بالتطرف الفكري المعاصر وضرورة تدريب وتأهيل العاملين بالمؤسسات الدينية الذين لهم اتصال بالجمهور والأئمة والخطباء على تعزيز مفاهيم الوسطية، وكيفية مواجهة الفكر المتطرف، والتعامل معه بصبر ومثابرة وحكمة ومودة، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥).

المناصحة ونماذج مشرفة

بينما قدم د. حسين ربيع عثمان مدرس الإعلام بالمعهد الدولي العالي للإعلام بأكاديمية الشروق بالقاهرة، بحثا تحت عنوان «المبادرات الإعلامية والتشاركية والحوارية في مواجهة التطرف الفكري» تناول فيه مبادرات

المملكة العربية السعودية في مواجهة التطرف الفكري، حيث عملت على التصدي لخطر الإرهاب، وتجفيف منابعه، والوقاية منه، فنالت استحسان المجتمع الدولي من خلال اعتمادها استراتيجية شاملة تعتمد المواجهة الفكرية والمناصحة بنفس درجة الاهتمام بالتعامل الأمني.

دمج وعلاج

كما قدم وكيل كلية الآداب في جامعة الملك سعود والمستشار الاجتماعي بمركز محمد بن نايف للمناصحة والرعاية د. حميد بن خليل الشايجي، بحثا تحت عنوان «علاج ودمج المتطرفين فكريا في المجتمع»، جاء فيه أن المنظور الاجتماعي يعد نوعا من التدخل الاجتماعي الذي يساعد على تنمية وتدعيم الوسائل التي تمكن الأفراد والجماعات من حل المشكلات التي تعترض حياتهم الاجتماعية، فالمناظير والبرامج الاجتماعية التنموية تعبر عن استجابة جديدة لمواقف جديدة من أجل مواجهة الحاجات المختلفة للإنسان في العصر الحديث، ولمواجهة الانحرافات والمشاكل الطارئة على المجتمع.

بينما قدم المتخصص في المناهج وطرق التدريس الدكتور صالح عبدالرحيم السعيد ورقة علمية حملت اسم «المواطنة الرقمية ودورها في مواجهة الإرهاب الإلكتروني»، أوصى فيها بدمج مهارات المواطنة الرقمية في كل المراحل التعليمية من خلال إدراجها في المناهج التعليمية، وكذا توعية الأسر ومؤسسات المجتمع المدني بأهمية المواطنة الرقمية، وتعريف منتسبيها بمهارات المواطنة الرقمية، مع إعداد برامج تدريبية تقوم على المواطنة الرقمية لتدريب الناشئة وكوادر مؤسسات المجتمع المدني أيضا على ضرورة التوعية بخطر الإرهاب الإلكتروني من خلال وسائل الإعلام وتثقيف المجتمع مع تعزيز جهود الدولة في محاربة التطرف والإرهاب الإلكتروني، كالمراقبة الأسرية لكشف أي ميول لدى الأبناء.

ملخص توصيات المؤتمر

خلص المشاركون إلى التوصيات التالية:

- دعوة المؤسسات من وزارات وهيئات إلى تكثيف الجهود في مواجهة التطرف الفكري بكل أشكاله وصوره، وتجفيف منابعه.
- عقد لقاءات تنسيقية بين وزارات الأوقاف والمؤسسات والباحثين المختصين والخبراء لوضع آليات عملية؛ بهدف التعاون البناء وتضافر الجهود وتكاملها ووضع خطط استراتيجية للتصدي لظاهرة التطرف.
- تطوير البرامج والمشاريع التي تتصدى للتطرف من خلال منهجية إدارية تعتمد على أحدث طرق التقويم والمتابعة، ورصد النتائج والآثار ومستوى الفاعلية.
- دعوة المؤسسات العلمية والإدارية في العالم الإسلامي إلى تقديم مقترحات علمية وتطويرية في مجال قياس أثر البرامج التي توجه لمحاربة التطرف، لاسيما عبر وسائل التواصل الاجتماعي.
- تقديم الدعم والمساندة للمؤسسات التي تعمل في مجال التصدي للإرهاب وتعزيز دور المؤسسات الفقهية في هذا المجال.
- ضرورة وضع آلية علمية إلكترونية للتعامل مع ثغرة شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، باعتبارها أهم وسائل التجنيد الإلكتروني وأشدها خطورة.
- متابعة الأبناء والناشئة، لاسيما في وسائل التواصل الاجتماعي، والتعرف على طبيعة علاقاتهم الاجتماعية، ونوعية استخدامهم لتقنية الاتصال الحديثة، وإرشادهم إلى القيم الرشيدة، ومشاركتهم في معالجة ما يشغلهم من إشكاليات فكرية بمنهجية وسطية.
- التعاون مع الجامعات الإسلامية وكليات الإدارة والتطوير المؤسسي للاستفادة من البحوث الأكاديمية والرسائل العلمية في تطوير مجال مواجهة الغلو والتطرف بأحدث الوسائل والآليات.
- دعم الدراسات الميدانية والإحصائية التي تكشف حقيقة الظاهرة ودوافعها النفسية ومكوناتها الاجتماعية والبيئية؛ حتى يكون اتخاذ القرار الفني معتمدا على منهجية دقيقة لتشخيص واقع الغلو والتطرف.
- إنشاء مراكز تطوعية للتواصل مع المتأثرين بالفكر المتطرف.
- أن يكون للمؤسسات والجمعيات الأهلية دور في مواجهة التطرف عبر المواقع الإلكترونية.
- إنشاء مرصد يساهم في رصد الأفكار المتطرفة والرد عليها.
- السعي إلى تحديد منهجية تقييم ذات معايير ومؤشرات قياس لرفع مستوى الخطط والبرامج والمشاريع المتصلة في مكافحة التطرف.
- العمل على تقوية الحصانة الفكرية ضد التطرف والغلو من خلال البرامج العلمية والفكرية في ميداني التعليم والتقنية لوضع المقررات الدراسية والدورات التدريبية وورش العمل.
- إيجاد مجموعات شبكية إلكترونية تجمع علماء العالم الإسلامي على مستويات وأصعدة مختلفة؛ ليسهل التواصل المباشر ومتابعة مستجدات كل بلد وتقريب الرؤى وتوحيد المواقف في القضايا المصيرية للأمة.
- إنشاء مركز معلومات للاستقصاء وجمع الدراسات والبحوث والمؤتمرات التي تناولت المنظومة الفكرية للغلو والتطرف وتصنيفها تصنيفا علميا دقيقا.
- يوصي المؤتمر بتشكيل لجنة من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت لمتابعة تنفيذ التوصيات السابقة.

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية

إن مما دعاني لكتابة هذا المقال هو ظاهرة غريبة بدأت تظهر على الشاشة في واقعنا العربي بين الفتيات العربيات المسلمات، وباتت تنتشر في أوساط بعض ضعاف النفوس ومن تسول لهن أنفسهن إظهار حسنهن أمام الجميع كائنا من كان، وهي خلع بعض الفتيات أو النساء للحجاب وتركه تماما، بل وعدم اكتفائها بذلك، بل والمجاهرة بتلك المعصية، من خلال التباهي بهذا الفعل المخل برضا الله تعالى، من خلال وضع الفتاة لصورتها بعد نزع الحجاب على الفيسبوك ومواقع التواصل الاجتماعي وهي بكامل زينتها وشعرها وبلباسها الذي أصبح على الموضة دون خوف من الله تعالى!.

موجة خلع حجاب المرأة.. من وراءها؟

الأدهى والأمر؛ أنها تجد ترحيبا على صورتها الجديدة من رفيقاتها ومتابعيها، من خلال عبارات باتت سخيفة ولا تخرج من قلب مؤمن، كقولهم: نورت، وما أجملك! جمالك رائع! وما شابه... فتجد لها كما من التصفيق والتعليقات والإعجابات على صورتها!.

ألم يعلم من أبدى إعجابه بما فعلت أنه مشارك لها بالإثم، من خلال تشجيعها على الاستمرار بالتباهي بما فعلت، والاستمرار بالخروج بهذا الشكل؟ فهل أصبحت معصية الله تعالى ومخالفته من الأمور التي يستهان بها ويتباهى بها؟!

من الطبيعي أن يخطئَ الإنسان أو يرتكب إثما أو معصية، ولكن حتى لا يتضاعف عقابه عليه أن يستغفر الله تعالى وأن لا يجاهر بالمعصية؛ لأن المجاهرة تغضب الله تعالى وتضاعف الإثم، لأنها تشجع ضعاف الإيمان على ارتكاب أفعال مشابهة، فيأخذ إثمه وإثم من اتبعه.

إن حجاب المرأة أو الفتاة ليس قيدا لها كما قد يتخيل البعض، بل هو صيانة لها، يكسبها الحشمة والوقار، فهل رأيت يوما امرأة ذات حجاب شرعي ترتدي الجلباب ويلاحقها الرجال أو الشباب لمعاكستها؟ قد تكون حالات قليلة إن رأيت، مقارنة بالأعداد الكبيرة من معاكسات الشباب والرجال للفتيات أو النساء المتبرجات واللواتي خرجن بكامل زينتهن، فالرجل أو الشاب يعلم تماما أن المرأة أو الفتاة التي خرجت بالبنطال والبلوزة الضيقة وبشعر مسرح وملفت للنظر وبكامل زينتها وألوان براقة، أو حتى من تضع غطاء لشعرها، وفي ذات الوقت

ترتدي البنطال الضيق والقميص الضيق المظهر لمفاتنها، فإنه يعلم أن هذه فتاة تسمح له بالاقتراب منها والتحرش بها، وإن كانت تدعي بلسانها غير ذلك، لكن حقيقة ما في قلبها يعكسه حالها ومظهرها الخارجي، فهل سيحاسبها الشاب على ما في قلبها أم على ما أظهرته من محاسن وجمال جعلت ضعاف الإيمان وقليلي الورع يلاحقونها كما تصطاد الطريدة فريستها؟!

والعكس صحيح؛ أن المرأة المحتشمة لها هيبة ووقار واحترام في المجتمع، لأن الهيبة والوقار يأتيان من الأخلاق ومن ستر العورات ومن الاستقامة على دين الله تعالى.

فالحجاب رمز لهويتها الإسلامية التي تتميز به عن غيرها، ولها أن ترفع رأسها بما يمزها الله به.

نزع الحجاب من وراءه؟

إن الفطرة السليمة تنفر من انكشاف سوءاتها الجسدية والنفسية، وتحرص على سترها ومواراتها، فالذين يحاولون التسويق لخلع الحجاب أو كشف العورات وإظهار المفاتن لجسد المرأة أمام الرجال الغرباء، ويسوقون لذلك في شتى الطرق الشيطانية، وباستخدام وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، إنما يحاولون نزع فطرة الإنسان، وكشف سوءاته كما يحب الشيطان وأتباعه من نزع لباس التقوى عن الإنسان وكشف سوءاته، كما حاول هو منذ بدء الخليقة من وقت آدم عليه السلام، قال تعالى في ذلك: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأعراف: ٢٦-٢٧).

فهناك تلازم بين أمر الله تعالى في ستر العورات وبين التقوى وما يرضي الله تعالى، فكلاهما لباس، فالتقوى تستر عورات القلب، واللباس يستر عورات الجسد ويساعد على النقاء والوصول إلى مرحلة الإيمان والتقوى من الله خالق البشر، فإن لم تستح من الله تعالى فلن يهمك التعري أمام أحد! وقد قال أحد حكماء صهيون: علينا أن نخلع الحجاب عن رأس المسلمة ونغطي به القرآن، لضرب هدفين معا: هدم المرأة وأسس الدستور الإسلامي والصلة بالله. ونحن نتبعهم ونلهث وراءهم!

الحجاب والأديان

هل تعلم أخي القارئ أن الحجاب ليس موجودا فقط في الإسلام، بل هو موجود بكل الشرائع السماوية، وإلا فلماذا ترتدي الراهبة والتي هي رمز التطبيق للديانة النصرانية الحجاب؟ بل ولماذا ترتدي المتدينة المتمسكة بالديانة اليهودية الحجاب، بل والنقاب؟

وهل تعلم أن الحجاب كان معروفا عند بعض الأمم القديم قبل مجيء الإسلام؟ فمثلا الرومان على ترخصهم في شأن النساء إلا أنهم كانوا يسنون القوانين التي تحرم على المرأة الظهور بالزينة في الطرقات، ومنها (قانون أوبيا) الذي يحرم على المرأة المغالاة في الزينة داخل البيوت.

وهل تعلم أن النساء على مر العصور وفي القرون الوسطى وصولا إلى بداية القرن الماضي ومن مختلف البلاد والأديان كن يرتدين ملابس ساتره طويلة فضفاضة، والدليل على ذلك الرسومات واللوحات التي كان يرسمها الفنانون في العصور السابقة للنساء في أزمانهم.

وكذلك الأفلام التي تنتجها أمريكا حاليا عن العصور القديمة من تاريخها أو تاريخ أوروبا، فانظر كيف كانت المرأة ترتدي ملابس تستر كامل جسدها عدا الوجه وكامل الشعر! فلم يبدأ هذا الفجور في اللبس إلا في الستين سنة الأخيرة، وفي عالمنا العربي بدأ حين وقفت هدى شعراوي وزميلاتها في ميدان التحرير بمصر، وخلعن الحجاب عن رؤوسهن، متحديات شريعة الله تعالى، بعد أن درسن في الخارج وتربين على أيدي الغرب.

وكذلك عند العرب في الجاهلية وقبل الإسلام عرف عنهم لباس المرأة المحتشم وإن كانت تظهر بعضا من شعرها أو صدرها، فجاء الإسلام ليهذب ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:٣١)، فقد كان الخمار معروفا بلباسهم وهو غطاء الرأس، والدرع فهو غطاء البدن، والجلباب لديهم كان ما فوق الدرع والخمار معا! فلما جاء الإسلام أوصى المرأة إذا لبست الخمار أن تسدله من الأمام، بحيث تغطي العنق والصدر وكامل الشعر، ولا تظهر منه شيئا، وأوصاها أن تلتزم بلباس الجلباب فوق ثوبها، وأن تدنيه عليها عند الخروج، حتى لا تظهر قدماها.

هل الحجاب فرض؟

إن الحجاب قد فرض في السنة الخامسة للهجرة، في آيات قرآنية

صريحة دلت على فرضية الحجاب، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾ (الأحزاب: ٥٩). وقال تعالى: ﴿وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور: ٣١).

والخمار: هو ما يغطى به الرأس، والجلباب: هو الثوب الواسع الذي يغطي كامل الجسم، وقيل بمعنى الملاءة التي تلتحف بها المرأة فوق ثيابها وتسدلها حتى تغطي قدميها.

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال: «يا أسماء؛ إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا» وأشار إلى وجهه وكفيه. (رواه أبو داوود).

ونحن لسنا في صدد الحديث عن الخلاف بين المذاهب في السماح بظهور وجه المرأة وكفيها أم لا، والذي قال به الحنابلة فقط وهو أن على المرأة تغطية وجهها وكفيها، وقد قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ (النور:٣٠)، فلم أمر الله تعالى الرجال بغض البصر عن النساء إن كانت ستغطي وجهها؟

موقف جميل لنساء الصحابة

ومن الجميل أن نعرف أنه عندما نزلت هذه الآية لتدعو النساء إلى الحجاب فإنهن سارعن إلى ذلك، وتقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله تعالى: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها» والمروط: الشراشف والأغطية للفرش. وقالت أيضا: «والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، أشد تصديقا لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد نزلت سورة النور: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن، ويتلو الرجل على امرأته وابنته وأخته وقرابته، فما منهن امرأة إلا وقامت إلى مرطها المرجل، فاعتجرت به -أي تغطت به- تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه» (حياة الصحابة: ٣/٤٧٣).

فانظر إلى سرعة تطبيق أمر الله تعالى لما أنزل في لحظتها، فلم تتردد واحدة أو تؤجل لحين ذهابها إلى السوق وشراء غطاء لرأسها وجلباب، بل طبقت فورا بما ملكت، ونحن نزل علينا الأمر الرباني منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ومازلنا نتردد ونتشكك، ونقول: إنه لم ينزل، وأقنعني به، وحتى أقتنع بالحجاب وبأنه فرض من الله!

مواصفات لباس المرأة الشرعي

ولباس المرأة الشرعي ليس له طراز أو لون محدد، فليس الأسود مثلا هو اللباس الإسلامي الذي فرضه الإسلام حتما على المرأة، بل هو وفق عادات بعض البلاد الإسلامية، ولكن اللباس الإسلامي الذي فرض على المرأة من سماته أنه يجب أن يستر جميع البدن، وأن يكون فضفاضا لا ضيقا كما نرى اليوم من الكثير من النساء من لبس الجلابيب الضيقة أو البناطيل الضيقة، بحجة أنه حجاب على الموضة، فما فائدة الحجاب إن كنا سنتبع الموضة؟! ومن يصنع الموضة لنا؟! فالحجاب الشرعي يتضمن الجلباب الفضفاض الذي يستر جميع مفاتن المرأة، وليس ذا ألوان صارخة أو مثيرة للانتباه.

ومن سمات الحجاب أن لا يكون زينة بنفسه؛ أي ليس ملفتا وجالبا للأنظار خاصة للرجال، وأن لا يصف أو يشف ما تحته، وأن يكون مخالفا للباس الرجال؛ ففي الحديث النبوي: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال» (رواه أحمد)، وما أكثر من تشبهت اليوم بلباس الرجال وهي في ذات الوقت تغطي رأسها، وتدعي أنها على اللباس الشرعي، فاللباس الشرعي له مواصفاته التي ذكرناها والتي ترضي الله ورسوله.

والأتعس من تخرج بلا حجاب شرعي، وتقتدي بالنساء الكافرات في البلاد الأجنبية، اللواتي لا يردعهن حياء ولا دين، واللواتي جلبن الدمار الأخلاقي للأمم والشعوب، وقد قال ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» (رواه البخاري)، فحري بنا الاقتداء بأمهات المؤمنين زوجات رسول الله، ونساء المؤمنين اللواتي عشن على الحق والطهر وأردن رضا الله تعالى، شاء من شاء من الكفار، وأبى من أبى!.

شبهات حول الحجاب؟

البعض يثير شبهة حول حجاب المرأة أنه تقييد للمرأة ولحريتها، وأنه عادة قديمة، وأنه السبب في تخلف المرأة، وعدم نجاحها في الحياة!، وأنه استعباد لها وعزل لها

عن العالم!، وأن الإسلام جاء ليقيد المرأة ويحد من حقوقها!
والحقيقة كلها عكس ذلك تماما، وجاهل بالتاريخ ومدع من يقول بتلك الشبهات؛ لأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي جاء ليحرر المرأة من العبودية ومن النظرة الدونية لها ومن سلبها لحقوقها.
فقبل الإسلام كانت المرأة تباع وتشترى، وليس لها حقوق الملكية أو حقوق التصرف بالمال، وليس لها حق الوراثة أو الحق بالتعليم والعمل أو الإدلاء بالشهادة وغير ذلك، فجاء الإسلام وشجع على تحرير المرأة من العبودية، وأعطاها حقها من الميراث، وحقها في امتلاك المال والعقار، والتصرف بالمال بالبيع والشراء، ولم يطالبها بالإنفاق على أحد كما طالب الرجل بالإنفاق على أسرته وزوجته، فحتى لو كانت تملك المال ليس للزوج أن يأخذ مالها إلا بموافقتها، فهل من دين قبل الإسلام أعطاها هذه الحقوق؟!
بل الإسلام هو من احترم المرأة كأم وكزوجة وكأخت، فجعل رضا الأم من رضا الله تعالى، وجعل صلة الرحم للأخوات والخالات والعمات والبنات، وجعل للزوجة حقوقا على زوجها، ونظم أسس الحياة الزوجية بينهما، فهل شريعة قبل الإسلام جعلت لها ذلك الاحترام والتقدير ورفع قدرها؟! وهل الإسلام منع المرأة من التعلم؟ فلو كان صحيحا فلم كانت النساء يحضرن دروس الرسول ﷺ لتعلم الدين وكن يناقشنه ويسألنه الأسئلة للتعلم؟ ولم كانت عائشة أم المؤمنين مصدر علم للنساء بل وللصحابة الكرام؟ وكبار الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ كانوا يرجعون إليها في كل شأن.
أقولها وأنا امرأة: إن الإسلام سمح للمرأة بالتعلم والعمل والمشاركة في شؤون الحياة الدنيا وإعمار الأرض، ولكن بحدود ما يرضي الله تعالى كالالتزام باللباس الشرعي في أماكن التعلم كالجامعات وأماكن العمل، فهل الحجاب يمنع المرأة من الفهم والتعلم؟! وهل الحجاب هو للعقل أم للراس والجسد فقط؟
وكم من نساء على مر الزمن جمعن بين الحشمة والستر وبين العلم والنشاط الفكري، وشاركن بالتفوق على الرجال وهن محجبات، وشاركن بالإنتاج العلمي والفكري والحضاري، وشاركن في مواقف مشرفة كالتدريس في الجامعات والمشاركة في المؤتمرات والبحث العلمي وهن محجبات، وفي العمل كطبيبات ومعلمات ومهندسات وممرضات، فهل الحجاب منعهن من ذلك؟
وإن كان البعض يدعي أن الحجاب سبب لتخلف المرأة المسلمة، فالسؤال هنا: هل كان خروج المرأة في الغرب ولباسها الفاضح سببا في تطورها وحصولها على براءات اختراع واكتشاف وتطور للأمم؟ أم أن أغلب من اشتهرت منهن هن من المغنيات والممثلات وعارضات الأزياء؟! فهل هذا هو الرقي الذي تطمح إليه المرأة المسلمة أو حتى المرأة في العالم أجمع؟! وهل هذه النماذج التي تستحق التقليد والاتباع؟! وهل تعلم أن من يطلبون لخلع الحجاب ونشر اللباس الفاضح والقصير وغيره هم من يريدون إشباع الغرائز لديهم وجعل المرأة رخيصة للمتعة والتسلية لشهواتهم؟ وأن اليهود هم أول من ابتدع ذلك من كشف العورات وإثارة الغرائز، وشعارهم: (بالجنس والفلس نسيطر على العالم)! ويهدفون لهدم الأخلاق الإسلامية وتقويضها، بدءا بالمرأة ولباسها وحشمتها.
وهل تعلم أن بالغرب عادت الكثير من المدارس المختلطة تطالب بالفصل بين العنصرين في المدارس، بحيث تصبح غير مختلطة، وذلك لأنهم اكتشفوا مع الوقت كم للباس المرأة أو الفتاة الفاضح والضيق والقصير من مخاطر أثارت الغرائز، وأدت للمعاشرة وأبناء الزنا، وأدت بالرجوع بالتعليم مراحل إلى الخلف، على عكس ما كان يرجون من ذلك، فكأن السحر انقلب على الساحر! وهم بالحقيقة يحسدوننا على ما نحن فيه من الرقي الأخلاقي والحشمة والحفاظ على سمعة الفتاة الشيء الذي يتمنونه لأنفسهم وبناتهن ويحاربنه بكل ما أوتوا من قوة.
وكم من فتيات اعتقدن أنهن بإظهار جمالهن ومفاتنهن أمام الرجال فإنها ستضمن لنفسها الزوج المستقبلي، والحقيقة التي رأيتها بنفسي كم فتيات تخلين عن الحجاب وسعين لاهثات وراء الرجل للزواج، ولم يحصلن على ما أردن!، وكم من محتشمات لم تظهر جمالها أمام الغرباء فتزوجت وهي في ريعان شبابها، وعاشت حياة سعيدة مع زوجها بما يرضي الله تعالى!.
فهل من أحد غير الله تعالى يعلم بما يصلح للإنسان وهو خالق الكون والإنسان، ويعلم ما يصلح له وما ينفعه وما يضره؟ ولله الأمر من قبل ومن بعد، والحمد لله على نعمة الستر والطهر والنقاء والفطرة السليمة، وعلى نعمة الإسلام الذي يحفظ حقوق المرأة وعفتها ويهذب طباع الإنسان.

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

حجاب يستر الجسد.. لا العقل!

منذ أكثر من مئة عام خلت، وحين دخل المحتلون بلداننا، ظهرت معهم دعاوى كثيرة، كان أخطرها – ولا يزال – تلك الدعاوى الثقافية التي تريد النيل من تراثنا وقيمنا وأخلاقنا، وهو ميراث مستقى كله من الإسلام ومكارم الأخلاق، لكن رأى الغرب أن صلابة المسلمين تعود في أعماقها إلى مكانة الشريعة التي حددت بوضوح وضع المرأة والرجل، وهي المكانة التي ساعدت على نقاء هذه الحضارة وطهارتها، بل وصلابتها؛ مقارنة بالحضارات والثقافات الأخرى، وإن لم تخل من عيوب شأنها شأن أي تجربة بشرية!

لقد أمر الله تعالى المسلمات بالحجاب بوجوب لا لبس فيه، قائلا – عز من قائل – في آية جامعة مانعة، ولاسم السورة دلالته: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ (النور: ٣٠-٣١).

لقد كان لهذه الآية هدف تمثل في تمييز المجتمع الجديد عن غيره بالطهر والنقاء والخير، قال الإمام ابن كثير: «هذا أمر من الله تعالى للنساء المؤمنات، وغيرة منه لأزواجهن؛ عباده المؤمنين، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات» (١).

أما أحاديث النبي ﷺ عن الحجاب، ومواقف أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات حول الحجاب وملابسات تكليفه فكثيرة، لعل أهما التزام ذلك الجيل الأول التزاما عجيبا بأمر الله ورسوله، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾. شققن مروطهن (٢) فاختمرن بها (٣)». وعن صفية قالت: «ذكرنا عند عائشة نساء قريش وفضلهن فقالت: إن لنساء قريش لفضلا، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار؛ أشد تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رؤوسهن الغربان (٤)». وفي رواية أبي داود عن أم سلمة رضي الله عنها: «خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية» (٥).

جاء الحجاب ليضع نوعا من الضوابط الأخلاقية بين المرأة والرجل، وقيودا كان الهدف منها الحفاظ على كيان المسلمين واحدا، لا خيانة فيه، ولا انتشار للفواحش والموبقات؛ لذا جاءت الآية الكريمة ممعنة في هذا الأمر، آمرة بغض البصر فوق الحجاب، وكان من أعجب ما في هذا الأمر ما رواه نبهان (مولى أم سلمة): أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة، قالت: فبينا نحن عنده أقبل ابن أم كلثوم، فدخل عليه، وذلك بعدما أمرنا بالحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «احتجبا منه». فقلت: يا رسول الله، أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أفعمياوان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟» (٦).

وقد رأينا هذا الاحتجاب بمفهومه العملي مع رسولنا ﷺ، فعن عائشة قالت: «والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يقوم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب ورسول الله ﷺ يسترني بردائه؛ لأنظر إلى لعبهم من بين أذنه وعاتقه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف» (٧).

لذا؛ كان التشديد الواضح على الحجاب، والتقريع العظيم والوعيد على من تتركه من نساء المسلمين، فقد روي أن نسوة من أهل حمص استأذن على عائشة فقالت: لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات (معا فيرين عورات بعضهن)، سمعت رسول الله ﷺ: يقول «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله» (٨).

ولذلك، كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: «أما بعد؛ فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب فامنع ذلك، وحل دونه» (٩).

لأجل ما سبق، اتفق علماء الإسلام منذ عصر الصحابة على أنه على المرأة الحرة أن تغطي كامل بدنها، ولم يختلفوا إلا في الوجه والكفين، وهذا

الاتفاق مبثوث في كتب أهل العلم، قال الإمام ابن حزم: «واتفقوا على أن شعر الحرة وجسمها - حاشا وجهها ويدها - عورة، واختلفوا في الوجه واليدين حتى أظفارهما؛ عورة هي أم لا؟» (١٠).

ولعل هذا التشديد في أمر الحجاب، والأمر بغض البصر للرجال والنساء على السواء، يهدف إلى صيانة المجتمع المسلم عن ارتكاب المحرمات، وضياع الأنساب، وتهتك لحمته، وضياعه أخلاقيا ومن ثم حضاريا، فعن أسامة ابن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» (١١).

«تحرير المرأة» دعوة خبيثة متجددة!

منذ الاحتكاك الحضاري بين الغرب والعالم الإسلامي، خصوصا إبان الغزوة الاستعمارية الحديثة، التي بدأت بحملة بونابرت (١٧٦٩- ١٨٢١م)، بدأ النموذج الحضاري الغربي المادي يخايل عقول قطاع من النخبة في العالم الإسلامي ليكون هو المرجعية، وكان من جملة هذا التأثير التغريبي السلبي ما نال مكانة المرأة في المجتمع، وعلاقات النساء بالرجال.

لقد أخذ قطاع عريض من الرجال والنساء يرى في النموذج الغربي البديل لما كانت عليه المرأة المسلمة في ظل حقبة تراجعنا الحضاري، ولاقت دعوى «تحرير المرأة» صدى واسعا ومؤثرا، لكن كان الرفض الإسلامي لهذا النموذج قويا منذ بدايته، متنبها إلى ما وراء هذه الدعاوى من انحلال وإفساد، فالجبرتي (١١٦٧- ١٢٣٧هـ/١٧٥٤- ١٨٢٢م) مؤرخ ذلك العصر الذي عاين النموذج الفرنسي في التعامل مع المرأة، إبان الحملة الفرنسية، قد نبه إلى خطر وضرر هذا النموذج المنحل على منظومة القيم الإسلامية، قائلا: «ومنها تبرج النساء، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء، وهو أنه لما حضر الفرنسيس، ومع البعض منهم نساؤهم، كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة، ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحك والقهقهة ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة؛ فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش، فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن، وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخفائه، فلما وقعت الفتنة الأخيرة، وحاربت الفرنسيس بولاق، وفتكوا في أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات، صرن مأسورات عندهم فزينوهن بزي نسائهم، وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية» (١٢).

على أن علماء الإسلام في بداية القرن العشرين قد اتخذوا من القضية موقفا واعيا بخطاب جديد يتكئ على الأصول ولا يحيد عنها. لقد رأوا أن للمرأة المسلمة قضية؛ لأنها حملت من القيود أكثر مما حمل الرجل، سواء في التاريخ أو في واقعنا الحديث والمعاصر، خصوصا إبان عصور التأخر الحضاري قبيل الاحتلال، لكنهم كانوا مدركين أن الغرب هو الذي صنع معركة المرأة ضد الرجل، هو الذي صنع المأساة للمرأة الغربية، التي أرادوا لها التحرر والتحرير؛ ومن ثم قدر هذا القطاع العريض من علماء الإسلام ومفكريه أن شعارنا في هذه القضية هو: «تحرير المرأة بالإسلام، وليس تحريرها من الإسلام» (١٣).

إن الحجاب لم يكن يمنع المرأة في تاريخ الحضارة الإسلامية من ممارسة حريتها الشخصية، ومن تقديرها داخل المجتمع المسلم، فقد رأينا تلك المرأة التي تراجع الفاروق عمر في قرار إداري أراد تنفيذه في كامل الدولة الإسلامية وقد نجحت في إثنائه، ورأينا منزلة أمهات المؤمنين والصحابيات وأدوارهن الفارقة في تاريخ الإسلام في عصره الأول، ورأينا دور المحسنات من الواقفات اللاتي لا تزال معاهد العلوم والثقافة الإسلامية التي أقامنها في الشام ومصر والمغرب وغيرها شاهدة على ما كان للمرأة من مكانة، تلك المكانة التي اعترف بها الغربيون أنفسهم في كثير من دراساتهم قديما وحديثا، فقد ذكر ول ديورانت (مؤرخ الحضارة الشهير)، وهو ما نختم به هذا المقال: «كان مركز المرأة المسلمة يمتاز عن مركز المرأة في بعض البلاد الأوروبية من ناحية مهمة، تلك هي أنها كانت حرة التصرف فيما تملك لا حق لزوجها أو لدائنيه في شيء من أملاكها. وكانت في داخل بيتها الأمين تغزل وتنسج، وتطرز، وتدير بيتها، وتعنى بأبنائها، وتمارس بعض الألعاب، وتأكل الحلوى وتتحدث إلى أترابها» (١٤)، حجاب ستر الجسد، ولم يمنع الحرية أو العقل!

الهوامش

١- تفسير ابن كثير، ٤٤/٦.

٢- المرط: الإزار.

٣- البخاري، تحقيق البغا، (ح٤٤٨٠).

٤- ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٥- سنن أبي داود، (ح٤١٠١).

٦- سنن الترمذي، ١٠٢/٥، ح٢٧٧٨، صححه الترمذي، وضعفه الألباني.

٧- مسند أحمد، (ح٢٥٣٧٢)، طبعة مؤسسة قرطبة.

٨- سنن ابن ماجه، (٣٧٥٠).

٩- البيهقي: السنن الكبرى، (ح١٣٩٢٦).

١٠- ابن حزم، مراتب الإجماع، دار زاهد القدسي - مصر، ص٢٩.

١١- البخاري، (ح ٤٨٠٨).

١٢- الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل - بيروت، ٤٣٦/٢.

١٣- محمد عمارة: تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ص١٣و١٤.

١٤- ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين، دار الجيل - بيروت، ١٩٨١م، ١٤٠/١٣.

القاهرة - عبدالله شريف،
محمد عبدالعزيز:
دار الإعلام العربية

الحجاب.. هوية أمة وتناغم بين الظاهر والباطن

بين فترة وأخرى تنطلق أبواق داخل مجتمعاتنا الإسلامية وخارجها تهاجم حجاب المرأة المسلمة باسم «الحرية»، وتطالب بتحررها بدعاوى وافتراءات باطلة؛ فيما يشكل الحجاب فضلا عن فرضيته الدينية، هوية أمة الإسلام وخصوصيتها، فأيما امرأة التزمت حجابها في الطريق، وأحسنت الاحترام لخصوصياته، فقد أسدت لمجتمعها معروفا كبيرا بمجرد حجابها، ووضعت لبنة صلبة في بنيانه التليد.

«الوعي الإسلامي» استطلعت آراء عديد من العلماء والمفكرين حول الحجاب، ظاهره وباطنه؛ وما تواجهه المرأة المسلمة من ضغوط وإغراءات للعودة عن الحجاب، إلى غير ذلك من التفاصيل نتعرف إليها في سياق هذا التحقيق.

نبدأ مع المفكر الإسلامي د. محمد عمارة، الذي أوضح أن الله حجب عقول كثيرين عن التفكر والعلم،

د. عمارة: الغرب يحارب للعودة إلى القيم والأخلاق ويطالبنا بالتفلت من ديننا وتقاليدنا

وإيجاد الهدف والسبب من التشريع، فعاثوا ضد الإسلام وشرائعه قدحا وذما، ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (التوبة:٣٢).

مضيفا: الحجاب ليس كل الهوية الإسلامية لكنه جزء منها، فلماذا لا نفخر بأن الله شرع لنا في إسلامنا شرائع تكرم نساءنا وتحميهن، ودعانا إلى الابتعاد عن كل يخدش الحياء ويصون العفة، فأمرنا بغض البصر وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا ديننا السليم القويم الخاتم».

وتابع د. عمارة: «عادات وانحلال الغرب لا يتناسب مع عقيدتنا ووسطيتنا وأخلاقنا، لما يجب أن نتبعهم؟ لماذا تسير فتياتنا وراء ملابسهن الخليعة؟!، هنا يجب علينا التوقف لنرى أننا كنا السبب في ذلك حينما ضعفت همتنا عن العلم والبحث الشرعي، حين تركناهن فريسة للإعلام المضلل الخرب، حين لم نخبرهن أن الغرب كله انحلال واغتصاب وطلاق وعنف أسري، واكتفينا بنشر قشور تغطي عالم من الرجعية والجهل، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٤)».

وأضاف: «الغرب الآن يحارب من أجل العودة إلى القيم والأخلاق، بينما لدينا من يطالبنا بالتفلت من ديننا وتقاليدنا وعاداتنا، فبأي عقل ومنطق؟!». ونقولها كلمة واحدة: «الحجاب ليس عادة، بل فريضة تحمي المجتمع من المهلكات خاصة في العصر الحالي».

وتابع قائلا: «أقول للإعلاميين: ما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح، والترمذي في سننه، ومالك في الموطأ عن رسول الله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا، يرفعه الله بها في الجنة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم»، لذا أقول للإعلاميين خاصة: علموا الناس أمور دينهم، ولا تحيروهم ولا تدفعوهم إلى الشك في شرائع دينهم، حافظوا على المجتمع من الانهيار، حافظوا على الأجيال التي ضربها الجهل وقلة الحياء، وأقول للمسؤولين: «لا تشغلوا أنفسكم ببناء المباني والطرق، بل ابنوا الإنسان».

د. إكرامي: «عصرنة» الحجاب إحدى صور الحرب الناعمة عليه لتفريغه من مغزاه ومقصده

أيقونة الفضيلة والنقاء

في سياق متصل، يؤكد د. إكرامي فتحي، الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة الفيوم: تواجه أمتنا الإسلامية في وقتنا الراهن إشكاليات متعددة، بعضها ظاهر الدوافع والأسباب، وبعضها خفي، منها ما هو وليد اللحظة الحالية، ومنها ما هو قديم متجدد وما زال مستمرا.

ومن الفئة الأخيرة «مسألة الحجاب» التي كثر الجدل حولها منذ بدايات العصر الحديث وإلى الآن؛ مما يثير تساؤلا ضروريا: ما السر وراء هذه الحرب الشرسة المستمرة على هذا الأساس الإسلامي؟ وهل هو من الأهمية والخطورة بحيث تستمر تجاهه هذه الحرب وتتجدد طوال هذه السنين؟

أضاف قائلا: بداية يجب أن نؤصل النظر تجاه «الحجاب»، ونصححه عبر عدد من الحقائق المهمة:

أولا: هو أيقونة تجمع عددا من مفردات الفضيلة والنقاء والطهارة والحياء.

ثانيا: هو عبادة أمرنا بها رب السموات والأرض، وليس عادة خاصة بزمن أو مكان أو فئة معينة، وأخيرا إن ربط الحجاب بتيار اجتماعي أو فكري هو تحجيم غير مقبول له.

إسماعيل: المؤمنة الملتزمة تدرك أن ظاهر اللباس له حقيقة طاعات تصان ومعاص تنقطع

ولتأكيد ذلك لابد أن نتذكر كلمات الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٩)، وذلك كلام الله الذي لا يتبدل ولا يتغير، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢).

وتابع د. إكرامي قائلا: قد نظن أن الآخر هو المصدر الوحيد للحرب ضد الحجاب، لكنا نحن المسلمين صرنا أداة من أدوات هذه الحرب، حين أفرغنا هذه الشرعة الربانية من محتواها الحقيقي، واكتفت بعض نسائنا بحجاب الظاهر لا الباطن، ونسين هؤلاء أن عفة الحجاب أشمل من مجرد لبس العباءة، إنها الحد الفاصل بين الفضيلة وما يخدشها؛ من ثم وجب عليها الابتعاد عن كل ما يتناقض مع جوهر الحجاب وغايته، سواء أكان ذلك النقيض زينة مضافة إليه على هيئة نقش أو تطريز، أو ما يلفت النظر إليه، أم سلوكيات منافية لحقيقة الإيمان.

هذا فضلا عن الالتزام بحدود الحجاب وشروطه الحقة، وهي معلومة بينة لمن أراد أن يقوم بها، وذلك تحقيقا للهدف الأسمى من الحجاب، وهو سد ذريعة الفساد الذي ينتج عن التبرج، ونجاة من الوقوع فيما يمكن تسميته بـ «التبرج المقنع»، أو «التطور

العصري» للشباب، عبر تقديم «حل وسط» تدعي المحجبة أنها ترضي به ربها، وفي الوقت ذاته تساير مجتمعها وتحافظ على «أناقتها»!.

ومثل هذا الموقف الباطل هو نسيان أو إلغاء لحقيقة أصيلة في الإسلام، وهي لزوم الارتباط بين المظهر والجوهر، فكلاهما يؤثر في الآخر تأثيرا واضحا، فالإسلام قد اهتم بتمييز الشخصية المسلمة في مظهرها عن غيرها، مع شدة الحرص على نقاء سريرتها؛ من ثم كان تأكيد أنه إذا ظهر خلل في السلوك، فذاك صادر عن خلل في الباطن بلا ريب.

وعن الضغوط والإغراءات التي تتعرض لها المرأة المسلمة لنزع حجابها قال: هذه «العصرنة» للحجاب صورة من صور الحرب الناعمة عليه؛ من أجل تفريغه من مغزاه ومقصده، وتلك العصرنة إنما هي حملة تقوم بها بيوتات الأزياء وما تمثله إثارة وفتنة، وهذا كله استدراج ماكر، بيته دهاقنة دور الأزياء والموضة، وأباطرة الدعوة إلى السفور والانحلال، للقضاء على الحجاب الشرعي والنيل من بنات الإسلام، وجواهر المجتمع؛ ليسهل عليهم النيل من المسلمين جميعا كما جرت بذلك العادة في كثير من دول المسلمين.

فهذه دعوات يرددها أعداء الإسلام وأهل الشهوة والأهواء، وتجد صداها في نساء المؤمنين، وتشكل نوعا من الانهزام النفسي عند ضعيفات الإيمان. وهي دعوات لا أساس لها من الصحة، ولا تستند على منطق العقل أو الحياة، فليس هناك ما يمنع المرأة المحجبة من المشاركة في الحياة، فهي تستطيع أن تشارك في كل المجالات، وأن تكون طبيبة وعالمة ومتخصصة.

وأضاف د. إكرامي قائلا: في ظل ما سبق يجب تأكيد أن الاستجابة

د. عبلة: علينا الاستعانة بعلماء النفس والاجتماع لوضع خرائط تأثير في الأجيال المتمردة

إلى مثل هذه الدعوات هو انسحاب وانسلاخ من الهوية الإسلامية، التي نحن في حاجة إليها أكثر مما سبق؛ في ظل ما نعاني منه، وما يحاك حولنا، فحرب الغرب على الأمة العربية والإسلامية حرب ذات أبعاد سياسية واقتصادية وأخلاقية وثقافية تستهدف ثروات ومدخرات الأمة، إضافة إلى سلبها أثمن ما تملك؛ دينها وكنوزها الثقافية والأخلاقية.

مشيرا إلى أن حرص الفتاة على عفاف نفسها وحجابها يتطلب منها ثباتا أمام الفتن، وتزودا من الطاعة والعبادة والتقوى، وأن تكون على مستوى من الوعي بما يكاد لها من طرف الغرب الحاقد وأذنابه ممن تشبعوا بثقافته الهابطة التي تدعو إلى الانحلال والرذيلة، صابغة دعوتها بصبغ الحرية الشخصية والمساواة ونحو ذلك من المسميات، هذا فضلا عن الاعتقاد الجازم بميزات الحجاب وفضائله العديدة، وفي المقابل الحرص والحذر الشديدين من مقابح التبرج ومساوئه.

وجماع القول أن على المسلم أن يتعاهد ظاهره وباطنه بالتقوى، ويكون مع مراد الله الشرعي منه، وينظر إلى قول ابن القيم: «فأشرف الأحوال ألا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك ويقيمك فيه فكن مع مراده منك ولا تكن مع مرادك منه».

ذوات العفاف

بدوره، يقول الباحث القانوني

د. المازن: الأساليب الخاطئة قد تحوله إلى عقدة نفسية وشيء تطمح الفتاة للتحرر منه

والإسلامي إسماعيل أحمد محمد: ظهر الفساد وتنوعت أقنعته.. وشباب اليوم لا يجدون ما يستعففون به وألف وجه للمعصية يفغر أمامهم فاهه، ولم تعد مصيبة الشباب في تبرج الشوارع فقط، وهو على ضراوته لا يقارن بالقياس للفحش المجاني المباح عبر الإنترنت والفضائيات، حتى أننا نتعجب متى يكون للرقابة والمنع سبيل بعد كل هذا الفحش، وكلما صادفت امرأة مسلمة التزمت حجابها في الطريق، وأحسنت الاحترام لخصوصياته، استشعرت في نفسي أنها أسدت لمجتمعها معروفا كبيرا بمجرد حجابها. فقد انتصرت على شيطانها لحظة خروجها من بيتها فكم وسوس لها: جمالك لماذا تخفينه عن الناس؟ شبابك كيف تهدرينه بهذه القسوة؟ لكنها تجاهلته وارتدت حجابها، وتجاهلت نصح الأم ورغبة الزوج، ونصح الصاحبة وسخرية الحاقدات، ومضت في طريقها تقول لربها بلسان حالها: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ (طه: ٨٤) لم تنتظر العريس كما تنصح صديقتها، ولم تخش العنوسة التي خوفتها بها أمها، وتعجلت وهي تدرك أن الزوج من الرزق يسوقه الله متى شاء وكيف شاء، ولا يرتهن بتستر أو تعري.

وتابع قائلا: جادلت كثيرين في هذا المعنى، فلم أجد لاعتراضاتهم أثارة من علم، يقولون «ليست العبرة بالمظاهر، إنما العبرة بالجوهر، وهذه حصرت إيمانها في جلباب فضفاض، وخمار يغطيها رأسها ووجهها».

لكن من قال: إن فلسفة الحجاب أمر ظاهري؟ بل العكس هو الصحيح، فالمتبهرجات قصرن قيمتهن فيما يبدين من حسن، فما ترى أو تسمع عن جديد حتى تبادر إليه، فتغير لون شعرها وشكل ملابسها وزينة وجهها على حسب ما يظهر لها في قنوات

التلفزة ومجلات الأزياء، وحين تقصر الثياب أو تطول أو توسع أو تضيق يتبعنها حذو القذة بالقذة، دون عقل ولا موضوعية ولا اختيار ما يناسب مما لا يناسب.

لكن المؤمنة تأست بطاهرات واهتدت بكتاب ربها وسنة نبيها، وهي في التزامها تدرك أن ظاهر اللباس له حقيقة طاعات تصان ومعاص تنقطع، ولا أجد في المجتمع من تظهر حجابا وتخفي ميوعة وتسيبا إلا وافتضحت وبان عوارها، لأن الله سبحانه لا يذر المؤمنين على ما هم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب..

وأضاف إسماعيل قائلا: قد أجمل القرآن الكريم للمرأة المسلمة خصالا وطبائع فنهاها أن تخضع في كلامها أو أن تضرب برجلها ليسمع وقع حليهن، وحذرها النبي ﷺ عن العطر فالتزمت ذلك كله وقد جعلت الله عليها رقيبا، فكيف يقال: إن هذا كله مظاهر.. لقد عرفنا من يتراءى للناس، وكيف يكون همه جذب الأنظار، حتى أن إحدى الممثلات سئلت أي فعل يغيظك أكثر؟ فقالت: من يعرف أنني فلانة، ولا يطيل النظر إلي، والشاعر امتحدهن بأنهن يغتررن بالثناء، لكن هذه تبدو للعالم كله غير آبهة بموضاته وتقاليعه، إنما ولت وجهها صوب نبيها وسلفها فأحسنت.

وختم قائلا: لو تأملنا احتفال الغرب بأي امرأة مسلمة تعرت وغيظه من كل متحجبة، وتحريك إعلامهم وتشريعاتهم لمنعها لأدركنا كم هو فيصل في هوية المجتمع المسلم ذلك الحجاب، إن الغرب حين خطط لهدم حضارة الإسلام ارتكن على محاور، منها: المرأة، فكان الضجيج حول تعليمها وعملها لغاية في نفسه، لكن فاته أن العلم طريق مؤد بذاته إلى الدين، فإذا بخريجات الطب والهندسة في جامعاتنا أكثر بناتنا التزاما بالخمار، ربما لو خير الغرب لاختار الحال الأول، حين كانت أمهاتنا يلتزمن حجابا موروثا لا حياة فيه على الحال الراهن الذي صارت المؤمنة معلمة أجيال.

د. الدسوقي: الاستعمار صور السافرة بأنها أكثر رقيا وانفتاحا وثقافة من المحجبة

خلق القدوة

من جانبها، تقول د. عبلة الكحلاوي العميدة السابقة لكلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر: إن الصبر والترغيب وتكرار العرض وسائل يستطيع من خلالها الزوج أو الأب أن يقنع من بين يديه بأهمية فريضة الحجاب، مضيفة: «عندما نقول إن حجاب المرأة رمز العفة فهذا لا يعني أن غير المحجبة ليست عفيفة، لذا علينا استخدام العقل في هذا الموضوع الدقيق، الأجيال تختلف، والعند والتمرد أبرز ما فيه».

وتابعت: «حجاب الباطن لا يقل أهمية عن حاجب الظاهر، وهويتنا الإسلامية يجب ألا تكون شكلا فقط أو باطنا فقط، لدينا أسلوب حياة ظاهر وباطن، فالظاهر أدب وخلق ورفق ولين وحب للخير وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ومظهر لا يكشف الجسم ولا يشفه، والباطن خشية ومخافة من الله ومراقبته قبل مراقبة الأب والأم والمجتمع قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩)».

وأضافت: علينا خلق القدوة النسائية وإيجاد مساحة لها على شاشات الفضائيات ووسائل الإعلام كافة، حتى لا تتأثر فتياتنا بالفنانات مثلا وصورهن وأخلاقهن وملابسهن التي أغرقت وسائل التواصل الاجتماعي، كما تخلق القدوة بالتربية الحسنة في الحضانات والمدارس، إذ يجب تربيتهن على القيادة وحب الخير والالتزام بالمظهر والجوهر الإسلامي الطاهر النقي العفيف الذي لا يخضع بالقول، ولا يقول الألفاظ القبيحة، ولا يقع في الفواحش. فقد قال النبي، ﷺ: «من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير».

وأضافت د. عبلة: «غياب القدوة يلام عليه أكثر من طرف، كوسائل الإعلام والحكومات والجمعيات الأهلية، وعلينا الاستعانة بعلماء النفس والاجتماع لوضع خرائط نستطيع من خلالها التأثير في الأجيال المتمردة».

وتابعت: ارتفعت مستويات الطلاق والزنا والخيانة، والعلاقات المشبوهة، لذا على الفتيات أن يتسلحن بتقوى الله وخشيته، وأن يضبطن أنفسهن في الظاهر والباطن، والصبر والتقوى مفتاح كل المنغلقات، قال رسول الله ﷺ: «يأتي زمان على أمتي القابض على دينه كالقابض على جمرة من النار».

مفاهيم خاطئة

في الاتجاه ذاته، يؤكد د. محمد الدسوقي أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، أن الإسلام يكمل بعضه، وفيه شرائع وضوابط يجب الالتزام بها ظاهرا وباطنا منها الحجاب، لكن واقع مجتمعاتنا الآن أننا لا نتبع الهدى، وهذه آفة المسلمين اليوم.

وأضاف: «نشتكي من ضعف صورتنا أمام العالم ومن تبعيتنا وهواننا

على الناس، ونحن نتكلم عن الدين ولا نلتزم به، بالتأكيد لابد من أن يحتجب الباطن عن الفواحش والمعاصي والكذب والغيرة والحسد، كذلك الظاهر باتباع ما أمر به الله عز وجل، ورسوله ﷺ.

وتابع: «الشريعة واضحة ولا لبس فيها، لكن اللبس في عقولنا».

وأضاف د. الدسوقي: «على مراكز البحوث إجراء استطلاعات رأي للأطفال والشباب لنعرف من قدوتهم؟، سنجد كوارث، وهذا مسؤولية مجتمعات بأكملها، اهتمت بوسائل الترفيه والاستمتاع بالحياة الدنيا التي لا تساوي جناح بعوضة، وتركت البحث العلمي والشرعي والعلوم التي تنمي الإنسان والعقل، بل أصبحت هذه الوسائل تنشر الرزيلة وتحبب الناس فيها، ويصورون السافرة بأنها أكثر رقيا من المحجبة، وأنها منفتحة على العالم والثقافات، وهذه مفاهيم خاطئة جلبها الاستعمار وتغلغلت في المجتمعات ورويناها بالجهل والتطرف والتجاهل، ونحصد الآن ما زرعنا؛ بينما الإسلام أراد أن يحفظ المرأة ويسترها وليس التضييق عليها، وأرد حفظ الناس من الفتنة، وليس إيقاعهم فيها.

ترغيب لا ترهيب

أما د. محمد المازن، أستاذ علم نفس بجامعة عين شمس، فيؤكد أن الحجاب ستر، ويعظم من قيمة الفتاة نحو نفسها، مضيفا: «الفتيات اللاتي يرتدين الحجاب تختلف اهتماماتهن عن غيرهن، فهن أكثر هدوءا نفسيا، وأكثر تقديرا لقيمة الجسم».

وأضاف: «الأوضاع البحثية والشخصيات المزدوجة في المجتمعات العربية تجعل من الصعب تقدير قيمة الحجاب، حيث تجبر معظم الفتيات بأساليب تربوية خاطئة على ارتدائه دون ترغيب، فيتحول نتيجة ذلك إلى عقدة نفسية وشيء تطمح الفتاة للتحرر منه، على عكس إذا أيقنت من المزايا الإيجابية للمرأة المحجبة، سواء في دينها أو دنياها، من أجل أن ترتديه، هنا يمكن تحصيل نتيجة».

وتابع: «أما إذا أجريت التقديرات والبحوث على مجتمعات سليمة لا تعاني من مشاكل نفسية أو ضغوط مجتمعية، أو أسر تربت على الإسلام الصحيح، لوجدنا أن القابلية للحجاب باقتناع تامة، ووجدنا مفاهيم أخرى غابت عن معظم العرب في الوقت الحالي منها تقدير قيمة الجسم الذي خلقه الله في أحسن تقويم، ودعانا للحفاظ عليه، كذلك لن نجد أشكال الحجاب الغريبة الفاضحة التي غزت مجتمعاتنا، ولوجدنا الحجاب في الداخل والخارج».

وشدد د. المازن على ضرورة أن تقوم المجتمعات العربية والإسلامية بتعظيم قيمة الحجاب، وتنفيذ حملات اجتماعية قوية تحث على الحجاب الشرعي الذي يحفظ الجسم من أعين الناس، فضلا عن كونه طاعة لله».

وتابع: أتمنى أن تعظم هذه القيمة في المدارس، من خلال الترغيب فيه.

وحذر من دعوات خلع الحجاب والتشبه بالغرب، مشيرا إلى أنها من أبرز أشكال طمس الهوية الإسلامية.

هويتنا الغائبة

وقال د. صابر عبدالحميد، أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة: «لن أتحدث عن الحجاب من منظور ديني، ولكن من منظور اجتماعي، فقد تغير شكل العرب الآن عما سبق، وأقصد في المأكل والملبس، فليست المشكلة تغطية الرأس امتثالا لأمر الشرع، لكن الخطأ الذي يقع فيه كثيرون تسليط الضوء على تغطية الرأس وترك بقية الجسد شبه عار، فقد تداخلت ثقافتنا مع الغرب، وأصبحنا نتمثل بهم، وبسبب ضغوط سياسية واقتصادية أصبحنا نتبعهم حتى صرنا الجزء المشوه، مخلوق غير طبيعي، تغطية رأس شاذة لا تعني الحجاب، وبنطال فرنسي، ونظارة أمريكية، وساعة سويسرية، تشكيلة لا تمت لهويتنا بصلة، ويحضرني في ذلك حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا، وذراعا ذراعا، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم».

وتابع: «لم يعد هناك شكل عربي موحد، ولا لغة موحدة، بل أدخلنا فيها كلمات إنجليزية وأخرى فرنسية، وكل هذا يصب في فقدان الهوية شكلا ومضمونا، ونحتاج إلى معجزة للخروج من هذا القبح.

وأضاف: علينا أن نعلم النشء كيف يختار الألوان ووظائفها، ونعلمه أن العري حرام وأنه يقتل العقل والنفس، ونعلمه أن الحجاب فرض، والترغيب فيه يؤدي لنتائج إيجابية».

وتابع: إذا علمناهم الذوق العربي الأصيل وتراثنا الجميل النقي وأصولنا الداعية للجمال، البعيدة عن التعري والقبح سنجدهم يختارون الحجاب طواعية دون أي ضغوط».

وختم قائلا: «في الوقت ذاته، على الدعاة أن يستعينوا بخبرات علماء النفس والاجتماع والإعلام في توصيل رسائلهم، وينبغي الحذر من تناقل شائعات وأكاذيب تزعم انهيار الحجاب، أو تخلي العرب والمسلمين عنه، فترديد هذه الأكاذيب قد يحولها يوما ما إلى حقيقة».

السنوسي محمد
باحث وصحفي

الحجاب.. في قلب معركة الهوية

لا نكاد نرى قضية من القضايا التي تمثل معركة الهوية، ويثار الجدل حولها بحدة، وبطريقة متجددة، شرقا وغربا، مثلما نرى في قضية الحجاب؛ فهي تلخص معارك الهوية تلخيصا مكثفا، بحيث صار الجدل حول الحجاب جدلا حول الهوية ذاتها، وليس على مجرد قضية بمفردها.

كما أن الجدل حول الحجاب ما فتئ يتجدد داخل بلادنا العربية، منذ أن شهدت جدلا حول الهوية، بفعل احتكاك الوافد من الثقافات الأخرى مع الثقافة العربية والإسلامية المتجذرة في شعوبنا.. تماما كما هو جدل يتجدد في البلاد الغربية، منذ أن تعاظم الوجود الإسلامي هناك؛ بفعل هجرات العقول والسواعد العربية، وموجات اليقظة داخل الشعوب الغربية ذاتها، نتيجة انسداد الأفق الفكري والنفسي لديهم بسبب أزمة الحضارة الغربية، مما يجعلهم يجدون في الإسلام بديلا ومنقذا وهاديا.

كل هذه العوامل وغيرها جعلت من قضية الحجاب قضية اجتماعية تتصل بالتغيرات التي تشهدها مجتمعاتنا؛ وقضية حضارية ترتبط بالصراع مع الغرب، أو بالأدق: بصراع الغرب مع الإسلام، سواء داخل أرض الإسلام من خلال الغزو الفكري والتمكين لنخب تابعة له ثقافيا ووجدانيا، أو داخل أرض الغرب بفرض الثقافة الغربية قسرا على الأقليات المسلمة بدعوى حماية النظام العلماني والقيم الغربية - كما سنرى - إضافة إلى البعد الديني لقضية الحجاب؛ فالأدلة مجمعة على وجوب تغطية الشعر والصدر (الحجاب)، ومحتملة للاختلاف فيما يتصل بتغطية الوجه (النقاب) (١).

الحجاب والهوية.. جدل في الداخل

لقد بدأ الجدل مبكرا حول الحجاب في البلاد العربية، فيما عرف بمعركة السفور والحجاب، بعد أن نشر قاسم أمين كتابه «تحرير المرأة»، الذي أحدث زلزالا فكريا واجتماعيا، وانبرى للرد عليه كتاب كثيرون، أبرزهم الشيخ مصطفى صبري، ومحمد فريد وجدي ومحمد طلعت حرب.

وأثيرت قضية زي المرأة ضمن جدل أوسع تطرق إلى دورها في الحياة الاجتماعية بصفة عامة، وحقها في التعليم وإثبات كيانها الأدبي.. واختلط في النقاش الحق بالباطل.. فقد كان من الواضح أن مجتمعاتنا قد ترسخت فيها أعراف متعسفة، بعيدة عن النموذج القيمي والعملي الذي يرسمه الإسلام لدور المرأة في المجتمع؛ لكن معالجة هذه الأوضاع الخاطئة ذهبت باتجاه مضاد، وبصورة عنيفة؛ مما جعلها تزيد الأزمة ولا تحل المشكلة.

ومازال الجدل يتجدد حول زي المرأة بصفة خاصة، ودورها ومكانتها بصفة عامة؛ ويأتي هذا الجدل مقترنا في العادة بالجدل حول الهوية الإسلامية.

والمؤسف أن من يرفضون الحجاب مازالوا، منذ أن أثيرت القضية منذ

نحو قرن، يرددون الدعاوى ذاتها، ويتترسون بحجج واهية يكررونها بشكل ممل، يستهلك الطاقات، ولا يقربنا من القضية الأساسية، ألا وهي قضية تفعيل دور المرأة بحيث تكون شريكا للرجل في إحداث نهضة حقيقية، وليس مجرد تغيير شكلي، واستيراد نماذج مغايرة من الشرق أو الغرب!

وتتنوع حججهم بين تأويل النصوص تأويلا متعسفا حتى زعموا أن الحجاب ليس فريضة، ولا يوجد في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يوجبه (٢)، وبين التذرع بأنه يعيق المرأة عن أداء دورها، ولا يناسب التطورات الجارية التي على المرأة أن تتماشى معها!

فيما يتصل بشبهاتهم حول الحكم الفقهي فليس من طبيعة هذا المقال أن يناقشها، لكنها شبهات لا تثبت أمام أدلة فرضية الحجاب؛ إذ ليس معقولا أن تستقر الأمة على هذا الحكم ثلاثة عشر قرنا ثم يأتي من يشكك في فرضيته، ويطالب بإعادة قراءة النصوص حسب الهوى، بعيدا عن الضوابط المقررة للاجتهاد والاستنباط.

أما عن زعمهم بأن الحجاب يعيق المرأة عن دورها، وتحقيق شراكتها مع الرجل في قيادة دفة الحياة؛ فالواقع ينقضه، والنماذج المشرفة في الحياة الثقافية والعملية لسيدات محجبات ترد على زعمهم بالبطلان.

ويكفي في هذا الصدد أن نشير إلى نموذجين، الأول في الحياة السياسية، والثاني في البحث العلمي؛ فقد اختار الرئيس الأميركي باراك أوباما في بداية ولايته الباحثة المسلمة الأميركية من أصل مصري، داليا مجاهد، لتنضم إلى مجلسه الاستشاري الخاص بالأديان المكون من ممثلي ٢٥ طائفة، لتكون بذلك أول مسلمة محجبة تشغل منصبا من هذا النوع في البيت الأبيض.

وقالت داليا مجاهد عن هذا الاختيار: «بالنسبة إلى كوني امرأة محجبة تدخل البيت الأبيض، فموضوع الحجاب لم يكن في ذهنهم إلى هذا الحد، وربما هناك كثيرون كان يمكن تعيينهم مكاني، فيما تم تعييني لأنهم يريدون سماع آراء المسلمين، وأنا عندي تلك القدرة على إيصالها من خلال عملي في مركز غالوب. لكن نعم أنا أول مسلمة محجبة تدخل البيت الأبيض في منصب من هذا النوع» (٣).

وأما في النموذج الثاني فقد فازت مؤخرا الباحثة المصرية الدكتورة نشوى البنداري بجائزة برنامج «لوريال-اليونسكو من أجل المرأة في العلم» على المستوى الإقليمي، عن بحثها في رصد وتقييم أثر تغير المناخ على المحاصيل الزراعية، وذلك خلال فعاليات البرنامج السنوي الإقليمي «لوريال-اليونسكو من أجل المرأة في العلم» لزمالة مصر والمشرق العربي فاعلياته، والتي أقيمت في حرم الجامعة الأميركية ببيروت (٤). وفي حوار معها أشارت د. نشوى إلى أن الحجاب لا يمنع النجاح (٥).

فالحجاب لم يكن أبدا عائقا أمام المرأة لتثبت حضورها الفاعل في المجال السياسي أو البحث العلمي، فضلا عن المجالات الأخرى التي تبدو أقرب إلى طبيعة المرأة.

الحجاب والهوية.. جدل في الخارج

منذ أن بدأ الوجود الإسلامي في الغرب يتعاظم، سواء بفعل الهجرات العربية أو بدخول غربيين في الإسلام، أثيرت الأسئلة المرتبطة بحقوق المسلمين ثقافيا واجتماعيا. وتفاوتت الدول الغربية في تعاطيها مع هذه الأسئلة والقضايا، لكن كان هناك ما يشبه الإجماع على أن الموقف من الحجاب يلخص الجدل حول الهوية الإسلامية، حتى قال الأسقف الأسترالي براونين: «لقد أصبح الحجاب أيقونة ورمزا لاصطدام، ويتجاوز بكثير كونه قطعة ثوب».

وكانت فرنسا الدولة الأوروبية الأبرز في التعامل بحدة مع قضية الحجاب، حتى إنها اعتبرته تهديدا لعلمانيتها وللقيم الفرنسية! وحتى كان الحجاب إحدى القضايا التي تقارب فيها موقف اليمين واليسار الفرنسي!

فرغم اختلاف «العقول الفرنسية» من الناحية السياسية إلى يمين ويسار، فإن هذا الاختلاف يختفي، ويتحول اليسار- كما رصدت المؤرخة الأميركية جون ولاش سكوت- إلى «يميني أكثر من اليمينيين». فالصحفي جان دانييل، المحسوب على اليسار، يتجاوز جاك شيراك، الرئيس اليميني السابق، ويدين أولئك الذين يسمحون بالحجاب، ويكتب «يسير المعادون للاستعمار نحو حملنا على قبول الاختلاف، ويشترط الوطنيون الجمهوريون المساواة لتخفيف هذا القبول»، وبعبارة أخرى: «إذا لم يصبحوا مثلنا فلا يمكن إدماجهم تلقائيا، فهم ليسوا نحن ولن يصبحوا كذلك أبدا» (٦).

مساواة غير مساوية!

من أهم ما يثيره رافضو الحجاب هو أنه يعبر عن الكبت الممارس بحق المرأة، كما يزعمون، ويطمس إرادتها في التحرر والانطلاق من

قيود المجتمع!

هكذا إذن يزعمون، ولا يلتفتون إلى أنهم وهم يسعون لتحرير المرأة من قيد المجتمع (إن صح أن يسمى هذا تحريرا!) فإنهم يوقعون بها في قيد أشد فتكا، وهو تحول المرأة إلى سلعة في بيوت الأزياء وغيرها، وزيادة النظرة الجنسية لها وليس انعدامها؛ بدليل أنهم حين يعلنون عن أي سلعة، حتى لو كانت خاصة بالرجل، فإنهم يعرضونها من خلال امرأة جميلة تبرز مفاتنها.. فأي الفريقين أكثر تقديرا لأنوثة المرأة وخصوصيتها، وأكثر احتراما لإنسانيتها وكينونتها وليس مفاتنها؟!

بجانب ذلك، فلو كان الغرب صادقا في زعمه مساواة المرأة بالرجل، لساوى بينهما في الزي؛ فإما أن يرتدي الرجل زيا قصيرا مثل المرأة، وإما أن ترتدي المرأة زيا طويلا مثل الرجل!

وفي هذه النقطة، تلفت أنظارنا الشهادة المهمة للمسلمة الأميركية أمينة أسيلمي، التي نقلتها الدكتورة كاثرين بولوك في دراستها «نظرة الغرب إلى الحجاب: دراسة ميدانية موضوعية»، إذ تقول أمينة: «إنه نوع غريب من المساواة أن يكون العرف في ملابس العمل للرجال بذلة بأكمام طويلة وبنطال حتى الكعبين، فيما ترتدي المرأة تنورة قصيرة، وكنزة تنحسر لتكشف الصدر. لاتزال هذه الملاحظة واقعية حتى اليوم. هل على المرأة أن تكشف جسدها لكي تعتبر محترمة ومكرمة ومهنية؟ وكيف لامرأة مسلمة ألا تعتبر مهنية إذا اختارت أن يشبه ملبسها زي الرجل الموظف، بل توصف بدلا من ذلك بأنها مغسولة الدماغ ومقهورة؟ الأقرب إلى العقل أن يكون كشف الجسد الأنثوي وتعريته، وليس الحجاب، هو الجنون بذاته، وهو الأجدر بأن يشبه بالقيد الذي يتم تكييفه إذعانا للنظرة الذكورية إلى الحجاب» (٧).

وتوضح كاثرين بولوك وجود نظرة اختزالية وسطحية للحجاب، تقوم على اعتناق غير واع لليبرالية ولنظرية التحديث، يدعمها جهل بأي تفاصيل واقعية عن حياة المسلمات، وأن هذه النظرة الشعبية تنتشر في وسائل الإعلام الرئيسية والسوق الضخمة لكتب «المرأة والإسلام»؛ حتى إنها - أي كاثرين - تواجهها عندما تلمح لها طبيبة الأسنان بأن مشكلة المضغ عندها سببها غطاء الرأس، وتقترح عليها أن تخلعه لمدة عام!

وتؤكد كاثرين أن هذه النظرة يعتمد عليها الساسة الغربيون، ويطوعونها عندما يحتاجون إلى تأمين مصالحهم في العالم الإسلامي (٨).

لماذا الحجاب؟

لعلنا نلاحظ من خلال المعارك المثارة حول الحجاب، في الشرق والغرب على السواء، أنها معارك لا تقف عند الحجاب فحسب، بل تتخذ من الهجوم عليه مدخلا لتغريب المرأة المسلمة، وتطويعها ضمن النموذج الغربي المادي الذي يتعامل مع المرأة بلا أي ضابط أو قيد.

ولذا، فما إن ينفتح الجدل حول الحجاب حتى يتطرق إلى مختلف القضايا الأخرى المتصلة بالمرأة، بداية من مراجعة مفهوم «الأسرة» وتقنين الشذوذ، إلى اعتبار قوامة الرجل داخل الأسرة عنفا ضد المرأة، وإحلال اتفاقية «سيداو» محل منظومة الأحوال الشخصية.

فالهجوم على الحجاب بداية لفرض التغريب فيما يتصل بقضايا المرأة عموما، وتهميش القيم الإسلامية؛ التي كانت السر في أن الأسرة المسلمة مازالت تحتفظ بتماسكها رغم حدة الضربات.

ولذا، فلا غرابة في أن يكون الحجاب في قلب معركة الهوية؛ مما يستدعي العمل الحثيث على تدعيم الأسرة، وتوعية المرأة المسلمة بأبعاد هذه القضايا المتشابكة، وخطورتها.

الهوامش

١- راجع حكم الحجاب والنقاب في «الموسوعة الفقهية» الكويتية، مادتا حجاب ونقاب. ومن المهم التنبيه هنا - كما ورد في الموسوعة - إلى أن كلمة «الخمار» أدق في الدلالة على ستر شعر المرأة وصدرها من كلمة «الحجاب»؛ لأن الحجاب ساتر عام لجسم المرأة، أما الخمار فهو في الجملة ما تستر به المرأة رأسها؛ والنقاب: ما يستر وجه المرأة فقط. لكن الاستعمال العام شاعت فيه كلمة «الحجاب»، ويراد بها «الخمار».

٢- مثل كتابات محمد سعيد العشماوي، وأحمد صبحي منصور، وإقبال بركة.

٣- موقع «العربية»، ٢ نوفمبر ٢٠١٠م.

٤- موقع مجلة «نصف الدنيا»، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٥م.

٥- موقع صحيفة «الوطن» المصرية، ١٢ يناير ٢٠١٦م.

٦- «سياسة الحجاب» جون ولاش سكوت، عرض: الحسن سرات، موقع الجزيرة نت، ١٩ أكتوبر ٢٠١٠م.

٧- نظرة الغرب إلى الحجاب: دراسة ميدانية موضوعية، كاثرين بولوك، ص٩، ترجمة شكري مجاهد، العبيكان، ط١، ٢٠١١م. يشار إلى أن كاثرين أسلمت أثناء إعدادها الدراسة.

٨- المصدر نفسه، ص٢٣، باختصار وتصرف.

د. مسعود صبري
باحث في الموسوعة الفقهية
الكويت

فقه الحجاب في المجتمعات المسلمة

لم يخطر في بال أحد من المسلمين زمن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين رحمهم الله ومن بعدهم حتى العصر الحديث أنه سيجيء يوم على أمة محمد ﷺ التي تؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا أن تختلف على أمر مقطوع بوجوبه في الدين، وأن الفتاة المسلمة ستخرج من بيتها دون حجابها، مظهرة مفاتن جسدها، ظاهرة في كامل زينتها، كما هو حال بعض نساء عصرنا، بدعوى الحرية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد.. فبدلا من أن تصمت الفتاة المسلمة وتستحيي أنها لم ترتد حجابها الذي فرضه الله تعالى عليها، وجدنا البعض ينكر أن الحجاب فريضة، وأنه عند البعض - في المجتمع المسلم - نوع من الرجعية، بل وينبري بعض الكتاب والأدباء والمثقفين ليقولوا للناس: الحجاب ليس فريضة، وأن آلافا من علماء المسلمين عبر العصور من لدن النبي ﷺ والصحابة إلى يومنا هذا لم يفهموا دين الله جيدا، ولم يعرفوا تفسير الآيات والأحاديث الواردة في الحجاب، في صورة من الانقلاب على أحكام الله ورسوله بدعوى الحرية.

نسي هؤلاء الذين يعيشون في المجتمعات المسلمة أن تلك المجتمعات المؤمنة لم يعرف عنها في تاريخها حتى احتلال الغرب لبلاد المسلمين أن امرأة خلعت حجابها، ولم يكن يخلعه في الزمن القديم إلا الإماء من النساء، وأن الحجاب كان منذ القدم هو العلامة الفارقة بين المرأة الحرة صاحبة الحسب والنسب، وبين الأمة.

كما تناسى هؤلاء أن دول الإسلام عامة مازالت أكثرية نسائها يرتدين الحجاب، بل أضحى عند البعض من العادات، لأنه موروث من تعاليم الأمهات والجدات اللاتي حافظن على تعاليم دينهن، وورثنه للأجيال من بعدهن.

الغزو الفكري

ويبدو أن الاحتكاك والاختلاط بغير المسلمين كان له أثر كبير في انسلاخ طائفة من المسلمات من أمر الله تعالى لهن بالحجاب، فالخلطة ببلاد الغرب المسيحي، والثقافة التي شاعت عبر شاشات التلفاز والفضائيات في المسلسلات والأفلام والمسرحيات وغيرها، ثم عبر وسائل الاتصال الحديثة من الإنترنت واليوتيوب والإنستجرام وتوتير، وغيرها من الوسائل، أشاعت تلك الثقافة المخالفة لتعاليم الله تعالى في مجتمعات المسلمين!

ثم ذلك الغزو الثقافي الذي قام به ومايزال بعض أبناء المسلمين ممن فتنوا بثقافة الغرب وحضارته حتى لو خالفت أمر الله تعالى، فانبرت أقلام في صحف ومجلات تخرج في بلاد المسلمين، وتتسمى بأسماء الإسلام محاولة أن تزرع في نفوس الفتيات والنساء أن الحجاب عادة أو بدعة وأنه ليس شريعة من الله، بل وصل الأمر أن يصف بعض هؤلاء أن شريعة الله في الحجاب هي نوع من التخلف والرجعية، وأن المنتقبات - على سبيل المثال - كأنهن يعشن في زمن الصحراء والجمال، ولا يصلحن أن يعشن في زماننا هذا.

وقد كان لهذا تأثير كبير على الفتيات المسلمات، خاصة في المراحل الثانوية والجامعية، حتى تصورت بعض الفتيات أن صورة الفتاة الجامعية المثقفة، هي الفتاة التي تخلع حجابها، وتذهب للكوافير قبل ذهابها للجامعة بيوم أو يومين، وأن تكون في كامل هيئتها وزينتها، وأن تلبس ملابس ضيقة وشفافة، وقد تصف بعض أجزاء الجسد، هكذا هي الفتاة المثقفة، أما الحجاب - كما صوره لهن البعض -

فهو يغلق عقل المرأة، أما الفتاة غير المحجبة فهي المتحررة عقلا ونفسا، وقد كذبوا على الله ورسوله، فإنه ليس هناك كتاب دعا أتباعه إلى التدبر والتعقل كما فعل القرآن الكريم مع المسلمين، لكنه انسلاخ عن تعاليم رب العالمين، فلم يستطع أولئك الذين انبهروا بثقافة الغرب أن يفرقوا بين التقدم التكنولوجي والعلمي، الذي أمرنا أن نتعلم منه ونستفيد، وبين العادات والتقاليد والعقائد، فلابد من التفرقة بين ما يخص أمر الدنيا، وبين ما يخص أمر الدين، فليس الأمر - كما يقول بعض المتشددين - أن نقاطع العالم كله، وأن نغلق علينا بلادنا، ولا كما يقول بعض المتسيبين أن نأخذ من الغرب كل شيء حتى تقاليده وعاداته التي لا تناسب مجتمعاتنا، والتي تخالف أوامر رب العالمين، فإننا نشترك معهم في الإنسانية والعيش المشترك، والسعي لإيجاد حياة كريمة للجميع، نحن وهم، أما فيما يتعلق بالعقيدة والدين فكما أخبر ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون:٦)، ذلك أن الله تعالى أتم علينا الدين منذ بعثة النبي محمد ﷺ، ولم يمت النبي عليه الصلاة والسلام إلا وقد أتم الدين على الوجه الأكمل، فلم يعد ناقصا يحتاج إلى من يأتي ليكمل الرسالة من بعده، وقد نزل يوم حجة الوداع على رسول الله ﷺ قوله من سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣)، فقد أكمل الله تعالى لنا شرائع الإسلام، فلسنا بحاجة إلى تشريع جديد يغير ما جاء به الله على لسان رسوله ﷺ، وأتم النعمة علينا، وجعل لنا الإسلام دينا، فلسنا بحاجة إلى النظر في الأديان الأخرى، ولا أن نأخذ من تعاليمها.

هل الحجاب حرية؟

وربما يكون هناك عذر لبعض الفتيات اللائي غرر بهن، وفهمن أن الحجاب ليس بفريضة في الإسلام، وإنما هي حرية شخصية، وهنا لابد أن نفرق بين أمرين:

الأمر الأول: أن الحجاب فريضة من الله تعالى على كل فتاة مسلمة عند سن البلوغ، فقبل البلوغ ليس بواجب عليهن ارتداء الحجاب، ولكن تدرب عليه، وبعده لا يحل لها أن تخلعه أمام غير المحارم ولو لحظة واحدة، وذلك فرض الله تعالى عليها، فيجب أن تعتقد الفتاة أن الحجاب واجب في حقها، كما يجب عليها أن ترتديه.

والأدلة على أن الحجاب فريضة كثيرة جدا في الكتاب والسنة، منها:

أدلة القرآن

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٣١).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور:٦٠).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب:٥٩).

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ (الأحزاب:٥٥).

أدلة السنة

والأدلة من السنة، ما يلي:

الدليل الأول: قوله ﷺ: «إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم» (رواه أحمد).

الدليل الثاني: أن النبي ﷺ لما أمر بإخراج النساء إلى مصلى العيد قلن: يا رسول الله، إحدانا لا

يكون لها جلباب، فقال النبي ﷺ: «لتلبسها أختها من جلبابها» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما).

الدليل الثالث: ما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ، يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات بمروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس. وقالت: لو رأى رسول الله ﷺ، من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها».

الدليل الرابع: أن النبي ﷺ قال: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة». فقالت أم سلمة فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «يرخينه شبرا». قالت إذن تنكشف أقدامهن. قال: «يرخينه ذراعا ولا يزدن عليه» (رواه الترمذي بسند صحيح). فإن كان هذا في شأن ظهور القدم، فما البال بإظهار المرأة شعرها وأجزاء من جسدها.

الدليل الخامس: قوله ﷺ: «إذا كان لإحداكن مكاتب وكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه» (رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الترمذي).

الدليل السادس: ما رواه أبوداود في «سننه» عن عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ، وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا» (وأشار إلى وجهه وكفيه).

فكل هذه أدلة تدل بما لا يدع مجالا للشك أن الحجاب فريضة على كل فتاة وامرأة مسلمة من سن البلوغ.

ومن الحقائق: أن المرأة ليست مأمورة بلبس الحجاب طوال الليل والنهار، إنما هو في حالة اطلاع الأجانب غير المحارم عليها، أما ما سوى هذا في بيتها، وبين محارمها، أو ما بين النساء والفتيات فيما بينهن، فيجوز لها خلع حجابها، فليس الأمر تضييقا كما يدعي البعض.

الحقيقة الثانية: أن الحجاب فريضة الله تعالى على الفتيات والنساء، وليس سلطة من أحد، فطريقه وبيانه أنه حكم الله تعالى، وأن الفتاة أو المرأة حين تتحجب إنما تلبسه لتطيع أمر الله تعالى لا أن تطيع زوجها أو والدها أو مجتمعها، وقد أبان الله تعالى عن طريقة الدعوة إلى أوامره بقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥).

وإن كان عدم لبس الحجاب منكرا، فالواجب أن يتخير أهل الفتاة الأسلوب المناسب لتغيير هذا المنكر وحمل الفتاة إلى طاعة ربها بأفضل وسيلة ممكنة، لأننا لا نريد من الفتاة أن تلبسه إرضاء لنا، وإنما إرضاء لله تعالى وطاعة له سبحانه فيما أمر ونهى، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦).

وإن كنا ندعو أهل الفتاة غير المحجبة أن يكون طريق الحجاب لها هو الإقناع، فإننا ندعو من كانت عنده بنت أو زوجة أو هو مسؤول عنها أن يقوم بواجبه تجاهها بدعوتها إلى فريضة ربنا سبحانه وتعالى، لحديث النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ولا يتصور أحد أن الدعوة إلى الحجاب هي غاية الإسلام، وإنما هو أمر من أوامره، وإنما الواجب هو الدعوة إلى تعاليم الإسلام كله، من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وسلوك.

الحجاب في اليهودية والنصرانية

ولتعلم الفتاة المسلمة أن الحجاب فريضة الله على النساء كافة، ولذا، فهو واجب في كل الأديان السماوية بما في ذلك التوراة والإنجيل.

بل إن حرائر العالم إلى وقت قريب كن يرتدين النقاب لا مجرد الحجاب، كانت أميرات أوروبا والغرب يرتدين الحجاب والنقاب قبل القرن العشرين.

ثم إن الحجاب لم يكن مانعا النساء والفتيات في بلاد المسلمين أن يتفوقن في كثير من مجالات تخصصهن، ولم يكن حائلا من مشاركة المرأة في الحياة العامة مع التزامها بحجابها.

غير أن من المأسوف عليه – أيضا – ما وصلت إليه الحال مع بعض بنات المسلمين اللائي يدعين ارتداء الحجاب، فقد أضحى الحجاب عندهن وضع شيء على الرأس، وأحيانا على بعض الرأس، وإنما المقصود من الحجاب هو التزام المرأة شروط الزي الشرعي كما بينه الفقهاء في كتبهم، أما هذه الصورة الممسوخة له كما هو لدى بعض الفتيات المسلمات فهي مرفوضة شرعا.. والأنكى من ذلك أن ترى مثل هذه المظاهر في بيوت بعض الفضلاء من الدعاة والصالحين بدعوى الانفتاح على العالم وعدم الانغلاق، وإن حصل تهاون في ثياب المرأة.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

حجاب المرأة المسلمة عقيدة وحضارة

المعركة بين الحق والباطل دائرة منذ بدء الخليقة ومستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لم تضع أوزارها بعد، تتعدد ميادينها وتختلف أساليبها، قائدها الأول ومطلق شرارتها الأولى إبليس - لعنه الله - حيث توعد المؤمنين بصدهم عن دينهم وإخراجهم منه بشتى الوسائل، قال تعالى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الأعراف:١٤-١٧).

الحرب على المرأة وعفتها حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل، وهذا ما بدأه الشيطان بنفسه ليكون أول داعية للعري والسفور، أو ما يطلق عليه زورا وبهتانا «تحرير المرأة».

الشيطان أول داعية للعري والسفور

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى البشر بداية من سيدنا آدم والسيدة حواء عليهما السلام، والإنسان مجبول على ستر عورته وحجبها عن أعين الناس، ولكن هذا الخلق الفطري كان محل حرب وصراع إبليس - لعنه الله - مع آدم وحواء وذريتهما من بعدهما، قال تعالى: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا

﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ (الأعراف:١٩-٢٢).

فالعري بعد ستر كان عقوبة المخالفة عن أمر الله، واتباع غواية الشيطان، الذي كان من ضمن أهدافه المباشرة كشف العورات، ودليل على فسادة فطرة الإنسان، وعظم ذنب العري عند الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا يقول ابن كثير رحمه الله: «سعى الشيطان في المكر والخديعة والوسوسة ليسلب ما هما فيه من النعمة واللباس الحسن».

فطرة المرأة وحب التزين

جاء الإسلام فأعلى من مكانة المرأة وحررها من أغلال الجاهلية، فأعطاها الحق في الحياة وزادها شرفا وطهرا، بعد أن كانت عارا؛ تورث ولادتها المذلة والمهانة وصدمة من هولها يعجز والدها عن الكلام ولا يستطيع مواجهة الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (النحل:٥٨-٥٩).

والمرأة ذات طبيعة خاصة في خَلقها وخُلقها، فهي تتميز بخصائص بدنية ونفسية وعقلية تختلف عما يتميز به الرجل من خصائص، ولذلك عمل الإسلام على صياغة شخصية المرأة المسلمة صياغة متوافقة مع خصائصها المتعددة، وبما يلبي إشباع احتياجاتها النفسية والبدنية بصورة شرعية، وتكون كفيلة بحمايتها من الوقوع في شرك الشهوات والهفوات، وحمايتها من الاعتداء عليها من الآخرين، أو إيذائها نفسيا وبدنيا.

كما أنها مفتونة بحب التزين، شغوفة باقتناء الحلي والثياب والعطور، فهي مجبولة بفطرتها على حب هذه الأشياء، قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف:١٨)، في الحلية: أي في الزينة، قال ابن عباس وغيره: «هن الجواري زيهن غير زي الرجال، قال مجاهد: رخص للنساء في الذهب والحرير وقرأ هذه الآية» (١).

تعريف حجاب المرأة المسلمة

من الأهمية بمكان، وقبل أن نعرض للأدلة الشرعية للحجاب، وحتى يتناسق الواقع مع التنظير الشرعي لمسألة الحجاب، لابد لنا من عرض تعريف الحجاب وما نقصده به في هذا الطرح:

الحجاب لفظ عام بمعنى: الستر. ويراد به هنا: ما يستر بدن المرأة وزينتها المكتسبة من ثوب وحلي ونحوهما عن الرجال الأجانب. وهو بالاستقراء لدلالات النصوص يتكون من أحد أمرين:

الأول: الحجاب بملازمة البيوت؛ لأنها تحجبهن عن أنظار الرجال الأجانب والاختلاط بهم. الثاني: حجابها باللباس، وهو يتكون من: الجلباب والخمار، ويقال: العباءة والمسفع.

فيكون تعريف الحجاب باللباس هو:

ستر المرأة جميع بدنها، ومنه والقدمان، وستر زينتها المكتسبة بما يمنع الأجانب عنها رؤية شيء من ذلك، ويكون هذا الحجاب بالجلباب والخمار، وهما:

١ - الخمار: مفرد جمعه: خمر، ويدور معناه على: الستر والتغطية، وهو ما تغطي به المرأة رأسها ووجها وعنقها وجيبها.

فكل شيء غطيته وسترته فقد خمرته، ومنه الحديث المشهور: «خمروا آنيتكم» أي: غطوا فوهتها ووجهها.

ويسمى عند العرب أيضا «المقنع»، جمعه «مقانع» من التقنع وهو الستر، ومنه في الحديث الذي رواه أحمد في المسند: «أن النبي ﷺ كان إذا صلى ركعتين رفع يديه يدعو يقنع بهما وجهه».

ويسمى: الغدفة، ومادته: غدف، أصل صحيح يدل على ستر وتغطية، يقال: أغدفت المرأة قناعها، أي: أرسلته على وجهها، كما يسمى عند العامة: الشيلة.

ومن صفات لبس الخمار: أن تضع المرأة الخمار على رأسها، ثم تلويه على عنقها على صفة التحنك والإدارة على الوجه، ثم تلقي بما فضل منه على وجهها ونحرها وصدرها، وبهذا تتم تغطية ما جرت العادة بكشفه في منزلها.

٢ - الجلباب: جمعه جلابيب، وهو: كساء كثيف تشتمل به المرأة من رأسها إلى قدميها، ساتر لجميع بدنها وما عليه من ثياب وزينة.

ويقال له: الملاءة، والملحفة، والرداء، والدثار، والكساء. وهو المسمى: العباءة.

صفة لبس الجلباب: أن تضعها فوق رأسها ضاربة بها على خمارها وعلى جميع بدنها وزينتها، حتى تستر قدميها (٢).

حجاب المرأة المسلمة تشريع إلهي

جاءت تشريعات الإسلام فيما يخص المرأة مناسبة لفطرتها ومراعية لضعفها وما تتميز به من خصائص وصفات، فشرع وفصل في حقوقها، وألزمها بمجموعة من الآداب والفضائل الظاهرة والباطنة، تحفظ للمرأة دينها وحياءها، وقد وضع علماء الفقه القدامى والمحدثين كتبا وأبوابا في فقه المرأة متضمنة كل ما يخصها من مسائل وأحكام.

ومن هنا كانت عناية الإسلام بلباس المرأة المسلمة وحشمتها حماية وصيانة لها، حتى تبقى مؤمنة عفيفة طاهرة كما أراد الله لها، فكان الحجاب

تشريعا إلهيا تنزل به الوحي على رسول الله ﷺ.

الأدلة من القرآن الكريم

تنوعت الدلائل من آيات القرآن الكريم في سورتي النور والأحزاب على فرضية الحجاب فرضا مؤبدا عاما لجميع نساء المؤمنين، وهي على الآتي:

الدليل الأول: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ (الأحزاب: ٣٢-٣٣).

الدليل الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥﴾ (الأحزاب:٥٣- ٥٥).

الدليل الثالث: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (الأحزاب:٥٩).

الدليل الرابع: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٣٠ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ (النور:٣٠-٣١).

الدليل الخامس: ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ (النور:٦٠).

الأدلة من السنة المطهرة

تنوعت الأدلة من السنة المطهرة من وجوه متعددة بأحاديث متكاثرة بالتصريح بستر الوجه وتغطيته تارة، وبالتصريح بعدم الخروج إلا بالجلباب (العباءة) تارة، وبالأمر بستر القدمين وإرخاء الثوب من أجل سترهما تارة، وبأن المرأة عورة والعورة واجب سترها تارة، وبتحريم الخلوة والدخول على النساء تارة، وبالرخصة للخاطب في النظر إلى مخطوبته تارة... وهكذا من وجوه السنن التي تحمي نساء المؤمنين وتحرسهن في حال من العفة والحياء، والغيرة والاحتشام.

وهذا سياق جملة من الهدي النبوي في ذلك:

الدليل الأول: عن صفية بنت شيبة أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تقول: لما نزلت هذه الآية ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ أخذن أزرهن (نوع من الثياب) فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها. (البخاري).

الدليل الثاني: وعند أبي داود بلفظ: «يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾ شققن أكثف مروطهن (نوع من الثياب) فاختمرن بها (أي غطين وجوههن)».

الدليل الثالث: عن عائشة أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع (أماكن معروفة من ناحية البقيع) فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك. فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ ليلة من الليالي عشاء - وكانت امرأة طويلة - فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة؛ حرصا على أن

ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب (البخاري ومسلم).

الدليل الرابع: عن ابن شهاب أن أنسا قال: أنا أعلم الناس بالحجاب، كان أبي بن كعب يسألني عنه: أصبح رسول الله ﷺ عروسا بزينب بنت جحش، وكان تزوجها بالمدينة، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار، فجلس رسول الله ﷺ وجلس معه رجال بعد ما قام القوم حتى قام رسول الله ﷺ فمشى ومشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة، ثم ظن أنهم خرجوا فرجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم، فرجع ورجعت معه الثانية حتى بلغ باب حجرة عائشة، فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه سترا وأنزل الحجاب (البخاري ومسلم).

الدليل الخامس: عن عروة أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «لقد كان رسول الله ﷺ يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات متلفعات في مروطهن ثم يرجعن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد» (البخاري ومسلم).

الدليل السادس: عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حاذوا بنا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه» (أبوداود، ابن ماجه) صححه الألباني.

الدليل السابع: عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت: «كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام» (ابن خزيمة، الحاكم) صححه الألباني.

يقول الشيخ العلامة بكر بن عبدالله أبوزيد - رحمه الله - معلوم أن العمل المتوارث المستمر من عصر الصحابة - رضي الله عنهم - فمن بعدهم حجة شرعية يجب اتباعها وتلقيها بالقبول، وقد جرى الإجماع العملي بالعمل المستمر المتوارث بين نساء المؤمنين على لزومهن البيوت فلا يخرجن إلا لضرورة أو حاجة، وعلى عدم خروجهن أمام الرجال إلا متحجبات غير سافرات الوجوه ولا حاسرات عن شيء من الأبدان ولا متبرجات بزينة، واتفق المسلمون على هذا العمل، المتلاقي مع مقاصدهم في بناء صرح العفة والطهارة والاحتشام والحياء والغيرة، فمنعوا النساء من الخروج، سافرات الوجوه، حاسرات عن شيء من أبدانهن أو زينتهن. فهذان إجماعان متوارثان معلومان من صدر الإسلام، وعصور الصحابة والتابعين لهم بإحسان، حكى ذلك جمع من الأئمة، منهم الحافظ بن عبدالبر والإمام النووي وشيخ الإسلام ابن تيمية.. وغيرهم - رحمهم الله تعالى، واستمر العمل به إلى نحو منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وقت انحلال دولة الخلافة الإسلامية إلى دول. قال الحافظ بن حجر - رحمه الله تعالى - في «الفتح»: «لم تزل عادة النساء قديما وحديثا أن يسترن وجوههن عن الأجانب» (٣).

ومن هذه الأدلة صاغ أهل العلم شروط حجاب المرأة المسلمة، وهي باختصار وإجمال:

أ- أن يكون الحجاب ساترا لجميع البدن وثخينا لا يشف عما تحته وفضفاضا غير ضيق.

ب- ألا يكون مزينا ولا مطيبا يستدعي أنظار الرجال.

ج- ألا يكون لباس شهرة، ولا يشبه لباس الرجال ولا لباس الكافرات.

د- ألا يكون فيه تصاليب، ولا تصاوير لذوات الأرواح.

المرأة المسلمة بانية حضارة

دائما ما يروج أعداء الإسلام من داخله وخارجه لشبهات وترهات، بأن الإسلام ظلم المرأة، وأن الحجاب المفروض عليها إنما هو حجاب لعقلها يورثها الجهل والتخلف، فهو يحرمها من التعليم ومن المشاركة في بناء بلادها وخدمة مجتمعها، مجترئين على شرع الله وعلى سنة رسول الله ﷺ تشكيكا وتحريفا وإنكارا.

ولكن تاريخ الأمة يثبت زيف دعاواهم وكذب حديثهم، فما زاد الإسلام المرأة إلا طهرا وعفة وعزة، وحررها من كل قيد إلا قيد العبودية لله رب العالمين، فأطلق لها حرية التعلم والعمل بضوابطه الشرعية، ووظفها بما يلائم طبيعتها التي خلقها الله عليها لتساهم في بناء الدولة الإسلامية منذ عهد النبوة المباركة في مكة والمدينة، وما تلاه من عصور الخلافة الراشدة، ثم بامتداد عصور دول الإسلام العظام وحتى ضعف دولة الخلافة العثمانية وسقوطها، فكانت المرأة المسلمة شريكة بمجهودها في الدعوة والجهاد والعلم والعمل، بما منحه الإسلام إياها من حقوق وما ألزمها به من واجبات، استقام به أمرها فساهمت بنصيب وافر في خدمة أمتها ومجتمعها وبناء الحضارة الإسلامية.

فلو كانت المرأة، كما يدعون، أسيرة مستعبدة، لحدثت هزة دمرت تماسك المجتمع، ولما تفرغ الرجال للدعوة والجهاد مع رسول الله ﷺ، ولما قامت وامتدت دولة الإسلام وحضارتها طوال هذه العصور، ولو أنصفوا القول لقالوا إنما ضعفت دولة الإسلام ووهنت وتخلفت يوم أن تخلت المرأة عن دينها وخلعت حجابها.

ومن الأمثلة التي تؤيد هذا الطرح: في حياة الرسول ﷺ، وعلى امتداد سنوات دعوته، كان للمرأة مجهود كبير في خدمة الإسلام ونهضة المجتمع والأمثلة كثيرة منها: جهود أم المؤمنين السيدة خديجة - رضي الله عنها - في دعم الدعوة الإسلامية في فترتها الأولى وحتى وفاتها، فهي أول من آمنت من النساء، ووقفت بجانب النبي ﷺ تواسيه وتدعمه بمالها ورجاحة عقلها،

والسيدة سمية بنت خياط تضرب المثل والتضحية في سبيل الله والثبات على دينه حتى تلقى الله شهيدة، والسيدة أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - ودورها في الهجرة، وبعد الهجرة إلى المدينة كان للمرأة دورها الكبير في خدمة دينها وتدعيم الدولة الإسلامية الناشئة بداية من المساهمة في أعمال نظافة المسجد، وحتى المشاركة في الغزو والجهاد مع رسول الله ﷺ، وقد صنف الإمام البخاري في صحيحه أبوابا لهذه المشاركات مثل: «باب غزو النساء وقتالهن مع الرجال» و«باب حمل النساء القرب إلى الناس في الغزو» و«باب مداواة النساء الجرحى في الغزو» و«باب رد النساء الجرحى والقتلى» يمكن الرجوع إليها للوقوف على تفاصيلها.

واستمر هذا العطاء ولم ينقطع بعد وفاة النبي ﷺ، ويأتي في الصدارة جهود أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في خدمة مجتمعهن وتعليم المسلمين أمور دينهم (٤).

إن تاريخ الحضارة الإسلامية ما زال شاهدا على إسهامات المرأة المسلمة في بنائها وتشيديها، فكثيرة هي إنجازات النساء، فكان منهن العالمات المحدثات والفقيهات، والمعلمات، والطبيبات... وكثيرات يضيق المقام عن ذكرهن وحصرهن (٥).

دعاوى تحرير المرأة

شكل الشيطان حزبا في حربه على المرأة المسلمة انضم إليه من ارتضاه وليا وإماما من اليهود والنصارى، وممن تبعهم ودار في فلكهم من بني جلدتنا من اللادينيين (الملحدين العلمانيين والليبراليين) تحت دعاوى التنوير وتحرير المرأة، وهي دعوة خبيثة لها هدفان:

الأول: قريب ويهدف إلى سلخ المرأة المسلمة عن دينها وعقيدتها، وإفساد أخلاقها.

الثاني: بعيد ويهدف إلى هدم الأسرة والمجتمع المسلم من الداخل.

فهلاك الحضارات القديمة في بلاد اليونان والفرس والهند وغيرها كان بسبب انحراف المرأة عن فطرتها التي فطرها الله عليها.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران:١٤)، يقول ابن كثير - رحمه الله - يخبر تعالى عما زين للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء؛ لأن الفتنة بهن أشد، وهو ما حذر منه النبي ﷺ في أكثر من موضع، فعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء» (جزء من حديث: مسلم)، وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (مسلم).

إن دعاوى فسوق المرأة وفجورها المكذوبة والمستترة خلف شعارات براقة من قبيل الرقي والتقدم والنهضة والتحرير، قديمة مازال صداها يتردد بين جنبات عالمنا الإسلامي، ولكنها من حين إلى آخر تغير من أسلوب خطابها الدعوي وأدواته، تبعا لمتطلبات المرحلة والمجتمع الذي يعملون فيه.

ومن أخطر هذه الأدوات في زماننا المعاصر، استخدام القنوات الفضائية للفتوى والحديث عن الحجاب والتلبيس على الناس بعدم فرضيته، وبخصوصيته لفترة زمنية ما، وحدود عورة المرأة وجواز ارتدائها لملابس ضيقة أو البنطلون، والتي لا أساس لها من الشرع.

ونلاحظ أيضا أن هناك من يعمل على مد جسور التواصل والمصالحة مع اللادينيين في الداخل، ويتقرب إلى الدول الغربية في الخارج، فيقرهم على كثير من هذه الدعاوى وإباحة الملابس المنتشرة بين النساء وأغطية الرأس التي لا تمت إلى الحجاب الشرعي بصلة، أو قد يفتي بجواز خلع المسلمة التي تعيش في الغرب حجابها، والتأقلم مع هذه المجتمعات.

وأهل العلم المخلصون لا يميلون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وإنما هم كالرماة لا يغادرون أماكنهم؛ لا يسترضون الناس على حساب دينهم، وإنما يدفعون هذه الشبهات والأكاذيب بما حباهم الله من علم شرعي وأدلة من الكتاب والسنة، مبينين للناس ما يجب أن يكون عليه لباس المرأة المسلمة.

الهوامش

١- تفسير القرطبي http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary-qortobi/sura٤٣-

٢- بكر بن عبدالله أبوزيد، حراسة الفضيلة، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ ، ص٢٧-٢٩ بتصرف يسير من الكاتب.

٣- بكر بن عبدالله أبوزيد، المرجع السابق، ص٣٠.

٤- للاستزادة الرجوع إلى: أثر أمهات المؤمنين في المجتمع المدني «عهد معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - أنموذجا» في: أبعاد إدارية واقتصادية وتقنية في السيرة النبوية، عبدالعزيز بن إبراهيم العمري.

٥- لتفاصيل أكثر حول سير النساء المسلمات: جامع أخبار سير النساء من سير أعلام النبلاء، أبو عبدالرحمن خالد بن حسين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ.

ولعموم الفائدة حول مسألة الحجاب يرجع إلى:

رسالة الحجاب: الشيخ ابن عثيمين.

هل يكذب التاريخ: عبدالله بن محمد الداود.

ناجي الخرس
داعية كويتي

أثر القدوة الحسنة في دعوة الناس

الأمة الإسلامية مكلفة بقيادة العالم، هذا هو قدَرها وقدْرها عند الله تعالى قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠).

وحتى نكون قادة ندعو الناس إلى دين الله تعالى، يجب علينا أن نكون قدوة في دعوتنا للناس.

ففاقد الشيء لا يعطيه، والظل لا يستقيم إذا كان العود أعوج.

فالإسلام لا يعاني من قلة الطاقات ولا من ضعف الإمكانات ولا يفتقر إلى سوء التقدير في التخطيط، ولكن الإسلام بحاجة إلى قدوات تعمل بما تعلم.

ولهذا قال دكتور مصطفى السباعي، رحمه الله:

مصيبة هذا الدين في جميع عصوره بفئتين:

فئة أساءت فهمه، وفئة أتقنت استغلاله؛ تلك ضللت المؤمنين به، وهذه أعطت الجاحدين حجة عليه.

المسلم القدوة

إذا أردت أن تهدم حضارة أمة فهناك وسائل ثلاث هي:

١- تفكيك الأسرة.

٢- هدم التعليم.

٣- إسقاط القدوات.

لكي تفكك الأسرة: عليك بتغييب دور الأم واجعلها تخجل من وصفها بـ «ربة بيت»، ولكي تهدم التعليم: عليك بتغييب قيمة المعلم في المجتمع وقلل مكانته.

ولكي تسقط القدوات: عليك بالطعن فيهم وقلل من شأنهم وشكك فيهم حتى لا يسمع لهم ولا يقتدي بهم أحد.

فإذا اختفت الأم الواعية، واختفى المعلم المخلص، واختفى العالم الرباني، فمن يربي النشء على القيم؟

فبناء الإنسان أهم من بناء العمران.

سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتهلك القرى وهي عامرة؟

فقال: نعم إذا علا فجارها أبرارها.

التزام الداعية بالمبادئ التي يدعو إليها

التزام الداعية بالمبادئ والمثل التي يدعو إليها له أثر كبير في توثيق صلته بالناس ومحبتهم له، وإيمانهم بالرسالة التي يحملها، ولهذا كانت سنة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - التأكيد على تحقيق هذا المبدأ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ (هود:٨٨).

وقد كان من هدي السلف الصالح الاعتناء بتتبع أحوال العلماء الربانيين الذين يعملون بما يعلمون، فالقدوة المشاهدة تعمل في بناء النفوس ما لا تقوم به النظريات والمحاضرات، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، منها أن أصحاب عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - يرحلون إليه، فينظرون إلى سمته وهديه ودله، فيتشبهون به (١).

ولهذا كانت رؤية بعض أئمة السلف تذكر بالله تعالى، فهذا أبوإسحق السبيعي يقول عن التابعي عمرو بن ميمون: كان إذا رئي ذكر الله (٢).

وقال أبوعوانة «رأيت محمد بن سيرين في السوق، فما رآه أحد إلا ذكر الله» (٣).

ومن اللطائف التربوية أن الإمام مالك ابن أنس قال: «كانت أمي تعممني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه» (٤).

وقد ظهرت آثار هذا الأدب على إمام دار الهجرة، يقول عبدالله بن وهب: «ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه» (٥).

وما نقله الحسن بن إسماعيل عن أبيه أنه قال: «كان يجمع في مجلس أحمد ابن حنبل زهاء على خمسة آلاف أو يزيدون، أقل من خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت» (٦).

قال أبوبكر المطوعي: «اختلفت إلى عبدالله أحمد بن حنبل اثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبت منه حديثا واحدا، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه» (٧).

ومما يدل على تأثير القدوة ما نقله الحافظ ابن الجوزي عن أحد شيوخه قائلا: «وكنت إذا قرأت عليه أحاديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه. فكان - وأنا صغير السن حينئذ - يعمل بكاؤه في قلبي، ويبني قواعد الأدب في نفسي» (٨).

بل إن ديانة حال العلماء واستقامتها سبب رئيسي من أسباب تلقي العلم عنهم، والثقة بهم، فعن إبراهيم النخعي رحمه الله قال: «كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته، وإلى صلاته، وإلى حاله، ثم يأخذون عنه» (٩).

وقال أيضا: «كنا إذا أردنا أن نأخذ عن شيخ سألنا عن مطعمه ومشربه ومدخله ومخرجه، فإذا كان على استواء أخذنا عنه وإلا لم نأته» (١٠).

أهمية القدوة

قال ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلقِ الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت» (أخرجه أحمد).

والمعنى: أنه لم يحصل له من الغضب والكسر وإلقاء الألواح ما حصل له عند مشاهدة ذلك.

ولهذا قالوا في الحكم: ليس بعد العين أين، أي ليس بعد العيان بيان.

والسبب في أهميتها:

١- أنها تثير في نفس البصير الاستحسان والتقدير والإعجاب.

٢- القدوة الحسنة تعطي الآخرين قناعة بأن بلوغ هذه الصفات ممكن وكما قيل «ما تكرر تقرر».

٣- بث العزة في النفوس وبلوغ درجات الكمال.

٤- تعمل القدوة على اختصار الوقت، وتوفير المال وتقليل الجهد، وكما قيل «متى يستقيم الظل والعود أعوج».

٥- التغيير الأقوى لن يكون إلا من داخل النفوس كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١). والقدوة خير مثال على ذلك، كما قيل: لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

من أعظم مظاهر القدوة

أولا: البدء بالنفس.

ثانيا: البدء بالأقرب فالأقرب.

أولا: البدء بالنفس

روى الضحاك، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أنه جاءه رجل، فقال يابن عباس، إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو. قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل. قال: وما هن؟ قال: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ (البقرة:٤٤)، أحكمت هذه؟ قال: لا. قال: الثانية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ (الصف:٢-٣)، أحكمت هذه؟ قال لا. قال: الثالثة قوله تعالى على لسان قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ (هود:٨٨)، أحكمت هذه الآية؟ قال: لا. قال فابدأ بنفسك.

ثانيا: البدء بالأقرب فالأقرب

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل الله عزوجل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾: «يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا» (متفق عليه).

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» (ابن ماجه والبيهقي).

فخير الناس من كان في بيته خيرا، لأن الإنسان لا يستطيع أن ينافق أو يداهن أو يجامل كل يوم في بيته، لأنه لابد أن ينكشف على حقيقته.

كيف نكون قدوات

(١) الإخلاص

المخلص لا تغيره الظروف ولا الدنيا ولا المناسبات.

قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف:٣٦-٧٨).

هذه العبارة قيلت ليوسف مرتين؛ الأولى وهو في السجن، والثانية وهو عزيز مصر.

فيوسف عليه السلام لم تغيره المصائب ولا المناصب.

يقول عبدالقادر الكيلاني، رحمه الله: «كن صحيحا في السر تكن فصيحا في العلانية».

ويقول ابن القيم، رحمه الله: «العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملا يثقله ولا ينفعه».

وكما قيل: قل لمن لم يخلص لا تتعب.

وصف هشام بن عبدالملك بن عمه عمر بن عبدالعزيز الأموي رحمه الله فقال: «ما أحسب عمر خطا خطوة قط إلا وله فيها نية» ولذا استطاع عمر في أقل من سنتين تقويم اعوجاج جيلين.

(٢) تحمل المسؤولية

المسؤولية ليست شعورا فقط وإنما تحمل وأداء، بل إن المسؤولية ليست وظيفة وإنما هي رسالة تحمل في طيها القوة والأمانة.

والذي ينتمي لهذا الدين لا يمثل نفسه وإنما يمثل هذا الدين، فالناس لا يفرقون بين الداعية والدعوة ولا بين الإسلام والمسلم مهما حاولت التبرير.

مثال على ذلك: معاناة الرسول ﷺ في هداية قومة: «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل

ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها» (صحيح البخاري).

وكما قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨).

يقول الشاعر والفيلسوف الباكستاني محمد إقبال، رحمه الله: حين أتذكر أني مسلم أرتعد، لأني أعرف جيدا تبعات الإيمان بـ «لا إله إلا الله».

(٣) العلم قبل القول والعمل

فبالعلم يستحق المسلم القيادة والسيادة والريادة،

لأنه يبصر الناس بعلمه إلى ما يصلح أقوالهم وأعمالهم،

فقد بين سبحانه وتعالى العلة في طلب يوسف - عليه السلام - للإمارة،

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف:٥٥).

ولهذا قال رسول الله ﷺ:

«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» (البخاري).

(٤) الامتثال لأمر الله

أي يستسلم قلبك لإرادة أمر الله. كما كان من حال إبراهيم - عليه السلام - كما قال عنه ربنا: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤).

فإبراهيم - عليه السلام - ابتلي ابتلاءات عظيمة فوفقه الله تعالى على إتمامهن وذلك عندما فارق قومه، وحاجج النمرود، وثبت عندما ألقي في النار والتزم أمر ربه في ذبح ابنه الوحيد إسماعيل.

(٥) مؤمن بفكرته (صاحب الرسالة)

أن يؤمن بفكرته إيمانا لا يتطرق إليها شك أو تردد. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات:١٥).

يقول أحد المفسرين: إن الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامدة مهما تكن طنانة رنانة متحمسة، إذا هي لم تنبعث في قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقا إلا أن يستحيل هو ترجمة حية لما يقول، وتجسيما واقعيا لما ينطق، عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق، إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من زينتها، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها، إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة لأنها منبثقة من حياة.

(٦) الإنصاف

فالعبد إذا اتصف بالإنصاف لم يترك لمولاه حقا واجبا عليه إلا أدّاه، ولم يترك شيئا مما نهاه عنه إلا اجتنبه (١١).

من أهم مظاهر الإنصاف:

أ- أن يحمل كلام المخالف على أحسنه، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك» (١٢).

ب- أن لا يفجر في خصومته.

لقوله ﷺ «وإذا خاصم فجر»

والمعنى: هو الذي يميل عن الحق ويحتال في رده بأي سبيل غير مشروع (١٣).

ج- أن يزن الآخر بحسناته وسيئاته.

د - موضوعي في حكمه.

هـ - توطين النفس للانتفاع من المخالف.

مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (سبأ:٢٥).

وفي هذه الآية مبالغة في الإنصاف حيث أسند الإجرام لأنفسهم والعمل إلى المخاطبين وهذه ملاطفة وتنزل في المجادلة إلى غاية الإنصاف.

و- التجرد للحق

يقول الإمام الشافعي وهو يحلف «ما ناظرت أحدا قط إلا على النصيحة، وما ناظرت أحدا ما فأحببت أن يخطئ».

وكان يقول: «ما كلمت أحدا قط إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه».

(٧) يعي فقه أولوياته وترتيبها

الأولويات اصطلاحا هي «الأعمال والأنشطة التي حقها التقديم على غيرها».

وتقديم الأهم على المهم والفاضل على المفضول.

والأولويات حقيقة شرعية وبدهية عقلية.

شرعية: لأن نصوص الكتاب والسنة قد دلت على ذلك.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (التوبة:١٩).

أما السنة: فإجاباته ﷺ عندما يسأل «أي العمل أفضل؟» بدهية وعقلية: فلأن العقول السليمة أجمعت على تقديم ما منفعته غالبة، أو ما مصلحته

راجحة على ما منفعته مرجوحة.

مفاسد غياب فقه الأولويات:

- سوء فهم الشريعة (أي إدخال ما ليس من الشريعة فيها).
- ضياع الأجر.
- إهدار الأوقات.
- البعد عن مدارج الكمال.
- تقديم الفاضل على المفضول.
- التفريط أو الإفراط في الحقوق.
- الجمود على الظاهر.
- الإسراف في سد الذرائع.
- الغفلة عن فقه الواقع.
- الخروج على مقتضى العدل.
- التهاون في استبصار المآلات.
- التوسع في دائرة الخلاف المذموم.
- التنفير من الدين.
- الغفلة عن تفاضل الوسائل.

قال الإمام أبوعبيدة رحمه الله: «من شغل نفسه بغير المهم أضر بالمهم».

يقول ابن القيم رحمه الله - عندما ذكر العقبة السادسة -: وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، فأمره بها وحسنها في عينه وزينها له وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسبا وربحا، لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية فشغله بالمفضول عن الفاضل وبالمرجوح عن الراجح وبالمحبوب لله عن الأحب إليه وبالمرضي عن الأرضى له.

(٨) متفائل بالخير

قال رسول الله ﷺ «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة (أي: صغار النخل) فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد).

يقول استيفن كوفي: الإنسان الفعال يحمل طقسه معه.

يقول د. الحمادي: الناجح يرى حلا في كل مشكلة، والفاشل يرى مشكلة في كل حل.

وكما قال الشاعر:

ومن تكن العلياء همة نفسه
فكل الذي يلقاه فيها محبب

قال تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ (البقرة:٢١٤).

هذه الآية الكريمة فيها عدة مؤكدات تدل على تحقق النصر وهي:

أولا: بدء الجملة بأداة الاستفتاح «ألا» التي تفيد التأكيد.

ثانيا: ذكر «إن» الدالة على التوكيد أيضا.

ثالثا: إيثار الجملة الاسمية على الفعلية فلم يقل «ستنصرون».

رابعا: إضافة النصر إلى رب العالمين القادر على كل شيء.

فالإسلام يشجع المسلمين على التفاؤل، لأنه عنصر نفسي طيب، لأن من فوائده أنه يشحذ الهمم إلى العمل ويغذي القلب بالطمأنينة والأمل. فالأمل جزء من السعادة أما التشاؤم فيكفيه ذما أنه يشقي صاحبه ويقلقه ويعذبه قبل أن يأتي المكروه المتخوف منه.

ولهذا تعوذ النبي ﷺ من الهم والحزن، فالهم ما يكون في المستقبل والحزن ما يكون في الماضي.

وقد جاء معنى التفاؤل في القرآن تحت صيغة الرجاء، فمن ذلك قول الله تعالى في سورة النساء: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٠٤).

الأثر السلبي لمن يتصف بالقدوة السيئة

مثاله كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ (النحل:٩٤).

فاتخاذ الأيمان - وهو جمع يمين - وهي الحلف والقسم وسيلة إلى غش وخداع الناس.. يزعزع العقيدة في الضمير، ويشوه صورتها في ضمائر الآخرين. والإسلام دخلت فيه جماعات وشعوب بسبب ما رأوا من وفاء المسلمين بعهودهم ومن صدقهم في وعودهم ومن إخلاصهم في إيمانهم ومن نظافتهم في معاملاتهم.

فالآية الكريمة تحذرنا من استخدام الدين لمصالحنا الخاصة أو الدنيوية فتكون النتيجة صد الناس عن دين الله، فيذيق الله العبد بسبب هذا التشويش للدين عذابا في الدنيا والآخرة.

الخاتمة

الإسلام أمانة ورسالته من أعظم ما تكون، فالمسلم الذي يريد تبليغ دين الله يجب أن يعرف أن هذا التبليغ عظيم وجسيم، وفي الوقت نفسه هو تشريف لكل داعية يريد نصرة الإسلام والقيام بتبليغه للناس كل الناس.

لهذا يجب أن يكون كل من يتصدى لحمل رسالة الإسلام قدوة: اعتقادا ومنهجا وسلوكا؛ لأن لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

فالحذر كل الحذر أن تكون أيها الداعية مثال سوء يصد الناس عن سبيل الله، لأنك لا تمثل نفسك وإنما تمثل الإسلام.

الهوامش

١- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (٣٨٤/٣).
٢- تهذيب الكمال (٢٦٣/٢٢) وتهذيب التهذيب (١٠٩/٨).
٣- سير أعلام النبلاء (٦١٠/٤)، وتذكرة الحفاظ (٧٨/١).
٤- ترتيب المدارك (١١٩/١).
٥- سير أعلام النبلاء (١١٣/٨).
٦- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢١٠.
٧- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٢١٠.
٨- صيد الخاطر ص ١٣٢ - سير أعلام النبلاء (١٣٦/٢٠).
٩- الكامل في ضعفاء الرجال (١٥٤/١).
١٠- المصدر السابق.
١١- فتح الباري (٨٣/١).
١٢- التاريخ لابن عساكر (٣٥/٤٧).
١٣- فتح الباري (٩٠/١).

د. مجدي محمد حسن
إمام وخطيب بوزارة
الأوقاف الكويتية

خدعوك فقالوا.. عمليات تجميل!

منذ عدة سنوات نشطت بكثرة عمليات التجميل، التي سرت سريان النار في الهشيم في سائر طبقات المجتمع، بعدما كانت حكرا على أهل الفن والمشاهير، نظرا لتعاملهم مع الكاميرات وحاجتهم إلى ترميم ومداراة آثار الزمن.

وقد كانت عمليات التجميل في بداياتها تتدخل لمعالجة آثار سلبية لحريق أو حادث، أو غير ذلك مما يطرأ على الإنسان ويصيبه بالتشوه، أو يصيب أحد أعضاء الجسد فيعيق حركته، فلا يقوم بحركته أو أدائه، فتعالج هذا العجز.

أما الآن فعمليات التجميل أخذت منحى خطيرا بعيدا عن وظائف الأعضاء وعلاجها، فأصبح جل عمليات التجميل ينحصر في تحسين الصورة للوجه أو الجسد، بزيادة أو نقصان، فيما يشتهر عند الناس بـ «نيولوك»، ثم ظهرت ابتسامة هوليود، ونحت الجسم، ولا ندري ما هي الصيحات المنتظر خروجها على الناس لاستغلال حاجتهم وضعفهم، لاسيما من يعتقدون أنهم مصابون بفقر في جمال الصورة.

لا يدرك الباحثون عن التجميل أنهم يفقدون مواطن للجمال، وأنهم بما يقدمون عليه من عمليات التجميل هذه يقومون بطمس معالم للجمال يملكونها بالفعل!

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل هناك مخاطر مترتبة على عمليات التجميل من ناحية وظائف الأعضاء وسلامتها.

فلو ذهبنا نتتبع الأضرار المترتبة على عمليات «النيولوك» لوجدنا أضرارا كثيرة، وسلبيات لا حصر لها، منها الجسدي، ومنها النفسي؛ آلام، والتهابات، وعدوى بكتيرية، وانفجار لبعض الأوعية الدموية، وتورم وجفاف بالجلد، وتغير ملامح الوجه، وفقدان تعبير الوجه في حالات الحزن والفرح والضحك والابتسام، وفقدان الإحساس؛ كحاسة الشم عند عمليات تجميل الأنف.

إن فقدان الإحساس والشعور بآلام الأعصاب وما يسمى «التنميل» قاسم مشترك لأكثر عمليات التجميل، فالجسد كتلة واحدة مترابطة الإحساس والشعور.

هوس التجميل

هوس وطيش يصيب بعض الناس ممن شغلوا بـ «النيولوك»، والإنسان كائن يمتاز بالتخير أو قل التحير!، فهو يريد كل شيء ولا سقف لمطالبه، فمطالبه لا حد لها.

السمين يريد أن يصبح ضعيفا رفيعا، والرفيع الضعيف يريد السمن، ولن يقف الأمر عند هذا الحد.

كامل الأوصاف

يغيب عن وعي كثير من الناس أن حالات الجمال الإنساني الذي يصل إلى مرتبة الكمال قليلة بل ونادرة، كيوسف -عليه السلام- عندما ما خرج على النسوة وحكى القرآن الكريم قولهن: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾

(يوسف:٣١).
والنبي محمد ﷺ كان آية في الجمال والكمال والجلال، قال عنه القائل:

وأحسن منك لم ترقط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
ولـدت مبـرأ مـن كـل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

أين يكمن الجمال؟

أخطأنا كثيرا حينما حصرنا قيمة الجمال في الوجه والجسد فحسب.
إن نظرية الجمال بهذه الصورة خطأ محض، والفلسفة الحقيقية للجمال أن له أبعادا وآفاقا تلقي بظلالها على الإنسان من داخله وخارجه، فما بين الجسد وحركته وفتوته، والوجه وقسماته وتعبيراته، والروح وتآلفها وخفة ظلها، والعقل وتفكيره ومنطقه، والأخلاق والسلوكيات، وجمال اللسان في كلامه وتعبيره، وجمال اليد في صنعتها وحرفتها أو كتابتها، كل سلامى في الإنسان وكل موضع في الإنسان له حظه وقدره من الجمال.
لذلك تتفاوت درجات الجمال في الإنسان بسبب تفرقها على كيانه كله وذاته كلها.
وربما يكون في الإنسان مواطن مفرطة في الجمال تستحق التقدير والإعجاب، بيد أنه لا يدركها!
ذلك لأن عقله وفكره انحصرا في مكان ما من جسده، يعتقد أن قدر الجمال فيه أقل من غيره فيما يبدو، هنا أتذكر قول النبي ﷺ: «انظر إلى من هو دونك، ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك».
إن الإنسان بتدخله في تغيير صورته ينازع الله تعالى صفة من صفاته ألا وهي «المصور»، ويعاند مشيئة الله، وهو سبحانه «فعال لما يريد».
وهذه المعاني رسخها القرآن الكريم في عقولنا وقلوبنا، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (آل عمران:٦).
وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ (الانفطار:٦-٨).
وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ (القصص:٦٨).
فالله تعالى استأثر بذلك لنفسه، فهو سبحانه الخالق البارئ المصور.
ويقرر القرآن الكريم حقيقة يماري فيها الإنسان، فالله تعالى يقول: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ (التين:٤).
لكن الإنسان يماري في ذلك بلسان حاله وطيشه ونزقه يقول: لا لم أخلق في أحسن تقويم!
ثم يمضي يعبث بصنع الله الذي أتقن كل شيء.

«النيولوك».. والنهايات الحزينة

يكاد يكون هناك تعتيم علمي وإعلامي حول الآثار السلبية المترتبة على عمليات التجميل، لاسيما «النيولوك» منها، لما فيها من إفراط في الترف مقارنة بحجم الدعاية والإعلان لعمليات التجميل، فإنها تؤثر سلبا على الإنسان بدرجات متفاوتة، وقد تفضي هذه العمليات بأصحابها إلى الموت أو حالات الاكتئاب كما حدث لبعض المشاهير.
إن مدمني «النيولوك» في بلاد الغرب من أهل الفن والمشاهير يراعون فقط المواطن التي تتحسسها الكاميرات، لاسيما الوجه الذي حتما سيتعرض لطمس معالمه وتغيير ملامحه لكثرة ما تعرض له من عمليات تجميل.
يؤسفني أننا لم نجد مجالا لإجراء عمليات تجميل لطول اللسان وسلاطته! وللسلوكيات الأخلاقية المشينة.
أيها الإنسان توقف، وتأن، وترو، وتدبر في مصارع راغبي الجمال و«النيولوك»، وإن لك فيهم لعبرة.

هل هناك بديل؟

قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر». قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة. قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».
قال المناوي: إن الله جميل أي له الجمال المطلق، جمال الذات وجمال الصفات وجمال الأفعال، يحب الجمال أي التجمل منكم في الهيئة، أو في قلة إظهار الحاجة لغيره، والعفاف عن سواه.
فما المانع من الاهتمام بالمظهر الخارجي، والنظافة الشخصية، ونظافة الملبس، أليس هذا من الجمال؟
إن الاجتهاد والعناية بالنظافة الشخصية في البدن والثياب، وممارسة الرياضة، والعادات الغذائية الصحية، تصل بالإنسان للياقة البدنية والنفسية المرجوة، ويعيش حالة من الرضا بما وهب الله من خلقة صحيحة مستقيمة، والرضا بما قسم الله، وعدم النظر إلى مواطن الجمال الصارخ في الآخرين، وعدم عقد مقارنة بيننا وبينهم، ولنكن على يقين تام بأن هذه الشخصيات من حولنا التي استحوذت على جانب كبير من الجمال الظاهري، حتما ينقصها شيء وإن كان يغيب عنا.

د. عبدالمنعم مجاور
باحث دراسات إسلامية

الترويح عن النفس في السيرة النبوية

لقد دعا الإسلام إلى الترويح عن النفس، لكنه لم يشرع ذلك الترويح إلا في إطار من حفظ الكرامة الإنسانية لبني البشر، وقد صدح بها القرآن صريحة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(الحجرات:١١). وهذا مبدأ عام يجسد عظمة القرآن؛ لأنه لم ينه عن السخرية من المسلم ويسمح بها مع غيره، وإنما جعل ذلك مبدأ عاما يصون كرامة الإنسان من أن تنتقص، ويحفظها له من أن تنتهك.

والنصوص في هذا الإطار كثيرة لمن أراد أن ينهل من معينها، سواء من القرآن الكريم أو سنة رسول الله ﷺ.

أما على صعيد التطبيق العملي على أرض الواقع، فقد جسدت سنة الرسول الكريم ﷺ ومواقفه الحياتية العملية هذا المبدأ باطراد، ولم تتخلف عنه قيد أنملة، فمن حديث أبي ذر رضي الله عنه الذي أخرجه البخاري من طرق عن شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور ابن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالربذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «يا أبا ذر، أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» أخرجه البخاري (٣٠)، (٢٥٤٥)، وفي «الأدب المفرد» (١٨٩)، ومسلم (١٦٦١) (٤٠).

وهي إشارة من النبي الكريم إلى أن أخلاق المسلم تتنافى مع هذا السلوك، ولو كان الأمر متعلقا بخادم، فقد كان رسول الله قدوة حسنة، فضرب المثل الأعلى في لين الجانب وطيب العشرة، ولم ير ساخرا مستهزئا، بل سهلا لينا مازحا وملاطفا.

عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله أحسن الناس خلقا، وكان لي أخ يقال له: (أبا) عمير (أحسبه قال: كان فطيما) قال: فكان إذا جاء الرسول فرآه قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟ (طائر صغير كالعصفور)، قال: فكان يلعب به» (رواه مسلم).

ففي الحديث ما يدل على رحمته وتواضعه ووداعته مع الأطفال، ومن ذلك ما رواه عبدالله بن الزبير: قد رأيت الحسن بن علي يأتي النبي وهو ساجد، فيركب ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل. ويأتي وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر (ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، جـ١، ص٥٢٩).

أما عن الفكاهة البريئة والمرح الراقي، ففي حياة النبي ﷺ اليومية منهما أمثلة كثيرة، ومواقفه مع زوجاته في هذا المضمار ثابتة معروفة، فقد كان يمزح ولا يقول إلا صدقا، ووقفتي هنا ستكون في تعامله مع بعض أصحابه الفكهين، خصوصا الصحابي البدري النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن النجار الأنصاري، ومن هذه الأمثلة ما يمكن عده نوعا من أنواع «طرفة الموقف» أو «كوميديا الموقف» إن جاز التعبير، وليسمح لي القارئ الكريم أن أذكر موقفا أو أكثر من هذه المواقف، وأنا واثق من أن ذهنه سيطوف ويعبر عقودا ليعقد مقارنة بين «سمين» مضى «وغث» حل؛ فمن ذلك مواقف الصحابي البدري النعيمان، الذي كان من صفاته حب الفكاهة والطرفة، لاسيما مع النبي، فمن ذلك ما حدّث

به محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: كان بالمدينة رجل يقال له نعيمان، وكان لا يدخل في المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها، ثم جاء به إلى النبي فقال: يا رسول الله، هذا هدية لك. فإذا جاء صاحبه يطلب ثمنه من نعيمان جاء به إلى النبي فقال: أعط هذا ثمن هذا، فيقول رسول الله: «أولم تهده لي؟!». فيقول: يا رسول الله، لم يكن عندي ثمنه، وأحببت أن تأكله. فيضحك النبي، ويأمر لصاحبه بثمنه (الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج١، ص٤٨٤).

والظاهر من هذه الرواية أن هذا الأمر كان متكررا من نعيمان، أو إن شئت قل: كان ديدنه. يدل على ذلك قوله: «وكان لا يدخل في المدينة رسل ولا طرفة إلا اشترى منها، ثم جاء به إلى النبي»، ورغم هذا لم يكن الرسول يضيق به، بل إنه كان يسأله سؤال المستظرف له: «أولم تهده لي؟!». والمشهد فيه من الوداعة والفكاهة ما يخفف من نمطية الحياة ولأوائها، ويضفي عليها جو المرح والسعادة الذي يعد من وجوه «الصحة النفسية» بالمصطلح العصري، بل إن هناك من المواقف ما فيه من الحبكة الفنية الدرامية التي تؤهله لأن يكون موقفا كوميديا متكاملا، من غير أن يدخله إسفاف، أو يتطرق إليه ابتذال؛ فمن ذلك ما ذكره هشام بن عروة عن أبيه قال: أقبل أعرابي على ناقة له، فدخل المسجد، وأناخ ناقته بفنائه، ودخل على نبي الله، وحمزة بن عبدالمطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم النعيمان، فقالوا للنعيمان: ويحك! إن ناقته ناوية (يعني سمينة) فلو نحرتها، فإنا قد قرمنا (اشتد شوقنا) إلى اللحم، ولو قد فعلت غرمها، وأكلنا لحما، فقال: إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه بما صنعت وجد (غضب) علي. قالوا: لا نفعل. فقام فضرب في لبتها (موضع الذبح)، ثم انطلق، فمر بالمقداد بن عمرو وقد حفر حفرة، وقد استخرج منها طينا، فقال: يا مقداد، غيبني في هذه الحفرة، وأطبق علي شيئا، ولا تدل علي أحدا، فإني قد أحدثت حدثا، ففعل، وجعل عليه الجريد والسعف، فلما خرج الأعرابي رأى ناقته قد نحرت، فصرخ وصاح: واعقراه يا محمد!

فخرج نبي الله، فقال: «من فعل هذا؟». قالوا: نعيمان. قال: «وأين توجه؟». فتبعه رسول الله، ومعه حمزة وأصحابه حتى أتى على المقداد، فقال رسول الله للمقداد: «هل رأيت لي نعيمان؟». فصمت، فقال: «لتخبرني

أين هو؟». فقال: ما لي به علم؟ وأشار بيده إلى مكانه، فكشف رسول الله عنه، فوجد وجهه قد تغير بالسعف الذي سقط عليه، فقال له: «ما حملك على ما صنعت؟!». قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني، وقالوا: كيت وكيت. (أخلاق النبي لأبي الشيخ الأصبهاني: ج١/ ص١٨٤؛ والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ج١، ص٤٨٤ مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث).

والموقف «الدرامي» هنا (بالمعنى الواسع للدراما) متكامل العناصر؛ فيه من الطرافة «جماعية الأداء» إن جاز التعبير؛ فنعيمان لم يبادر بنحر الناقة من تلقاء نفسه، وربما لم تكن الفكرة في خاطره من الأساس، وإنما أوحاها إليه جمع من الصحابة الحضور، وفيهم حمزة بن عبدالمطلب (عم النبي بمهابته)، مما يزيد الموقف إثارة وتشويقا للمتلقي، فلم ينكر حمزة عليهم ولم ينههم، بل لم تذكر الرواية إن كان من بين المشجعين لنعيمان على نحر الناقة أم لا! وفي الموقف أيضا حوار تحريضي «ويحك! إن ناقته ناوية (أي سمينة) فلو نحرتها!»، وفيه كذلك من التبرير والتعليل، والإغراء بالفعل مع ضمان عواقبه، ما يدعو لاقتناع الشخصية الرئيسية (النعيمان) بالفكرة، فقالوا: «فإنا قد قرمنا (اشتد شوقنا) إلى اللحم، ولو قد فعلت غرمها رسول الله، وأكلنا لحما».

وفي الموقف من «المونولوج الداخلي» غير المعلن ما يفصح عن الحالة النفسية، وما يدور بخلد الشخصية الرئيسية/ البطل (نعيمان)، فلم نجده مقدما على الفعل/الحدث (نحر الناقة) من دون تفكير، وإنما كان هناك «تفكير صامت» استدعت فيه الشخصية الرئيسية -على سبيل الاستباق الحدثي- مآلات الفعل، وما يستتبعه من رد الفعل المتوقع عليه، فنجده -وكأنه يشترط لنفسه رغم غرامه بمثل هذه المواقف وإشفاقه من مرور حدث كهذا، وضياع فرصة قل تكرارها تضاف إلى سجل مغامراته- نجده لا يترك نفسه فريسة لصراع داخلي يطول أمده، بل إنه صراع لا يحتمل التأخير أو المماطلة؛ فالزمن هنا عنصر رئيسي في الموقف؛ فالأعرابي (صاحب الناقة/الضحية) يوشك أن يخرج من عند النبي، والأمر لا يحتمل التردد أو التأجيل؛ لذا نجده يبادر بنحر ذلك الصراع قبل نحره الناقة؛ فيبادر بالقول المقتضب تفاديا لإهدار مزيد من وقت هو أكثر الحضور حرصا عليه: «إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه بما صنعت وجد (غضب) علي». قالوا: «لا نفعل». والملاحظ على الحوار الخارجي بين النعيمان والصحابة الحضور هنا أنه حوار قافز، يراعي سرعة مرور الزمن، خصوصا في موقف فيه ترقب -والإحساس بالزمن في مثل هذه المواقف أشد- كما يراعي صفات شخصية البطل/ النعيمان، فتراهم يحاورونه وكأن كل شيء معد ومحبوك، وما عليك يا نعيمان سوى التنفيذ، وما أيسره على مثلك! كل ذلك في جمل قصيرة تراعي مزاحمة الوقت، وتمثل عامل ضغط على النعيمان، بل لا تسمح له بمزيد من التردد، فنجده وكأنه أراد أن ينهي هذا الفصل من الصراع، ويضع حدا له ويرضي شهوة مزاحه (إن جاز التعبير) «فقام فضرب في لبتها (موضع الذبح)، ثم انطلق»، إلى هنا يكتب النعيمان هذا الفصل المتأرجح، ولكنه يعلم أنه لم يكتب نهاية القصة، بل إن فصلها الأخير لن يكون بيده؛ لذا لم ينتظر حتى يتأكد من موت الناقة -على سرعة ذلك- حيث يثبت واقع الحال أن الناقة تموت من فورها بعد تعرضها للنحر مباشرة، ولم يمكث حتى يأكل من لحمها، وإنما فعلها وانطلق! لتدخل القصة فصلا جديدا من فصولها الدرامية المشوقة، ولعل التشويق هنا نابع من الرغبة في معرفة المكان الذي انطلق إليه النعيمان، وللمكان في القصة هنا دور وحضور لا يقلان عن الزمان والشخصيات، بل يسيران في الطريق ذاتها المشوقة المثيرة التي يغلفها -حتى الآن- الغموض.. إلى أين سيذهب البطل؟ وكيف ستكون نهاية هذه المغامرة؟ وهنا يتعدد المكان وتتغير حالاته تبعا لتغير الحالة النفسية للشخصية الحالة فيه، ومن ثم يغادر المكان الذي كان آمنا مؤنسا قبل فكرة نحر ناقة الأعرابي، ثم استحال مكانا عدائيا مخيفا بعد النحر -على الأقل في هذه اللحظة- وينطلق لا يلوي على شيء إلى أي مكان؛ فلذلك نجده بمجرد أن مر بالمقداد بن عمرو وقد حفر حفرة، وقد استخرج منها طينا، يقول له: يا مقداد، غيبني في هذه الحفرة، وأطبق علي شيئا، ولا تدل علي أحدا، فإني قد أحدثت حدثا، ففعل. وجعل عليه الجريد والسعف (لقد تحول المكان المخيف/الحفرة إلى مكان آمن مؤنس رغم وحشته، محبب رغم عدائيته، واسع رغم ضيقه، يلتمس فيه الحماية رغم عدم مظنة ذلك، بل ربما مثل هذا المكان

له فصل جديد من فصول الفكاهة عله ينسي الرسول الكريم ما فعل، أو يشغله بالموقف الجديد والوضع الذي رآه عليه عن الموقف السابق وما فعله بناقة الأعرابي، ولكن هيهات)!

وينتقل المشهد بنا إلى مسرح الأحداث مرة أخرى -وكأننا في إخراج عصري متطور- إلى حيث الناقة مسجاة، والأعرابي قد خرج من عند النبي في أمان الله ذاهبا إلى سفينة نجاته/ناقته، وفي خياله أنه سيجدها آمنة كما حاله بعد لقائه النبي، وسيمتطي ظهرها قافلا إلى دياره، وربما دار في خلده أن يطعمها أو يسقيها قبل عودته، وربما دارت في خلده أشياء أخرى يجتر فيها ذكرياته وهو فوق عزيزته/ناقته، فأخذه هول المفاجأة فإذا به يصرخ ويصيح مستغيثا «واعقراه يا محمد»، وكأن صدمة المشهد أنسته أدب خطاب النبي بـ «يا رسول الله»، فناداه باسمه. وعلى كل حال، فقد خرج ليجد النعيمان قد أراحه من عناءات تفكيره، واجترار ذكرياته، فإذا بناقته قد نحرت وهيئت للأكل!

استغاثة

وينتقل المشهد إلى منحى آخر، وكأننا اقتربنا من لحظة «التنوير»، فيخرج النبي ملبيا نداء الأعرابي، مجيبا داعي الاستغاثة، فيسأل مباشرة: «من فعل هذا؟». وفي وسط هذا الجو المتوتر من استغاثة الأعرابي وصياحه وصراخه، ومن خروج النبي وسؤاله عن صاحب هذه الفعلة، يجيب الجميع من دون تردد: نعيمان. فكأن الموقف قد تحول من الهزل إلى الجد، فليس من الإفصاح عن الفاعل بد! وكأن نعيمان كان قد استشرف هذه النهاية وتوقع المشهد مسبقا فترك المكان هاربا! حتى إذا سأل النبي عن المكان بعد معرفة الفاعل: «وأين توجه؟»، دلوه عليه، وإن كان قد حذف من السياق لدلالة الحال عليه، فتتبعه الرسول ومعه حمزة وأصحابه الذين أغروا النعيمان بنحر الناقة وحرضوه على ذلك، وكأني بهم يترقبون -كما نترقب نحن- مآل النعيمان، ترتسم على شفاههم ابتسامة يخفونها وإن دل حالهم عليها، وهنا يحضر دور المكان مرة أخرى، حيث المقداد بن عمرو، وقد أخذ النعيمان عليه العهود والمواثيق، كما أخذها على حمزة وأصحابه من قبل، فلما أراد أن يفي المقداد بوعده ولا يكذب صمت، ولم يجب رسول الله لما سأله: «هل رأيت لي نعيمان؟»، وكان الرسول قد قرأ في وجه المقداد معرفته بمكانه فتحول سؤال النبي الكريم إلى أمر فيه حسم: «لتخبرني أين هو؟»، وهنا ينتقل ظرف الموقف من الصحابة المحرضين إلى المقداد الذي نفى معرفته بمكان نعيمان باللسان ودل عليه بإشارة يده.. يجري هذا الحوار والنعيمان داخل الحفرة وللقارئ الكريم أن يتخيل حاله يسمع الحوار، وهو يكتم أنفاسه، فيعاني من الألم الجسدي الناجم عن ظلمة الحفرة، وما على رأسه من سعف وجريد، ومن الألم النفسي الناجم عن الترقب والخوف من اكتشاف مكانه، ومتابعته الحوار الدائر بين النبي والمقداد، فلما رأى الرسول إشارة المقداد كشف عنه، فوجد وجهه قد تغير بالسعف الذي سقط عليه، فقال له: «ما حملك على ما صنعت؟!». قال: الذين دلوك علي يا رسول الله هم الذين أمروني، وقالوا: كيت وكيت. وكأن النعيمان أراد أن يتدارك ما فات فيرد شيئا مما فعله الصحابة به، ويبرئ ساحته، فألقى بالكرة في ملعبهم، إن جاز التعبير.

والقارئ للقصة -وهي حقيقية- يشتم منها رائحة «الفكاهة والمزاح» من الصحابة على النعيمان، ولكنها «فكاهة» لطيفة مأمونة العواقب، كما يلاحظ أن القصة انتهت عندما قص النعيمان على النبي ما كان من إغراء الصحابة له وتحريضهم إياه على نحر ناقة الأعرابي، ولم يرد تبكيت النبي له، أو معاقبته إياه -بما عرف من حلمه- وإنما تختتم القصة بما رواه النعيمان.

أليست هذه فكاهة؟! أولا يمكننا أن نسميها «كوميديا الموقف»؟! ولكنها كوميديا نظيفة بلا إسفاف أو ابتذال. أولا تصلح مثل هذه المواقف أن تلتقط من بطون الكتب وتسلط عليها الأضواء، وتكتب بشكل يناسب العصر ومستجداته؟! ألا تصلح نواة لأعمال درامية تصل المتلقي بتراثه وماضيه، وتربي ذائقته، وتبث من خلالها كثير من القيم، وتستنبط منها الدروس والعبر؟!

إننا بحاجة إلى كتابة أعمال أدبية ذات قيمة فنية عالية يجبر مضمونها القارئ أو المشاهد على احترامها، ولا ضير في أن تكون الفكاهة أو النادرة والطرفة إحدى وسائلها، بل إن هذه الأعمال بحاجة إليها حتى لا تصب تلك الأعمال في قوالب جامدة وأطر مرسومة فتنفر ولا تجذب، وأن تضع تلك الأعمال حماية المجتمع وبناءه والمحافظة على قيمه نصب أعينها، فتكون حائط صد لا معاول هدم تتمرد على الثابت من قيم الأمة، وتسخر من ماض دفعت أجيال حياتها ثمنا من أجل ترسيخ أساسه، وإقامة أعمدته، وتوطيد أركانه، وأن تستلهم تلك الكتابات المنشودة التراث العربي والإسلامي فتنهل منه، وتكشف عن جوانب الإبداع فيه.

إحسان الدبش
باحث دراسات إسلامية

تقليد - اتباع - استقلال - إبداع

مراحل اكتساب المعرفة وعلاقتها بالكتاب

يبدأ اكتساب المعرفة عند الإنسان منذ ولادته. هذه المعرفة يحتاج إليها كل مولود من بني آدم، بعد أن كان لا يعلم شيئًا.. وقد ذكر الله عز وجل هذه الحقيقة في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل:٧٨) (١). فذكر جل جلاله في الآية الكريمة عدم علم الإنسان بشيء باستثناء ما فطر عليه، ثم ذكر منافذ المعرفة الرئيسية للإنسان: السمع، والبصر، وموطنها في الفؤاد؛ ليتعلم ما يفيده وينفعه، وما يدور حوله.

والمعرفة التي يحصل عليها الإنسان منذ صغره، وتمتد معه حتى كبره، يتفاعل معها بأشكال عديدة؛ الشكل الأول: هو التقليد، والتقليد قائم على الملاحظة المباشرة، منذ مرحلة الرضاعة وامتدادها في الروضة، فنجده يقلد أباه وأمه وإخوته في كل شيء يراه؛ كتقليده لإخوته في الحركة واللعب وغيرها من الأمور. هذه معارف يتعلمها من دون أن يقرأ ويكتب، ويتعلمها بالتقليد. مثلا عندما تعلمه أمه كيف يمسك الملعقة ليأكل، أي إنه يكتسب معلومات مختلفة وهو في «مرحلة الأمية»، وهذه المرحلة يمر بها كل إنسان لارتباطه الشديد بأمه، ويكون فيها متفتح العقل، وذا نفس صافية، يعبر سلوكه عن الفطرة السليمة، فإن تكلم فلا يكذب، ولا يغش، ولا يخدع، ولا يمكر. وهي المرحلة التي ذكرت في الحديث القدسي: يقول الله عز وجل: «خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين» (٢) حنفاء أي يميلون للحق، على الفطرة. قبل أن تظهر النفس الأمارة بالسوء ووساوس الشيطان في نفوسهم ومن ثم في سلوكهم.

وعندما يتقدم به العمر، تبدأ عنده مرحلة الاتباع، فيقلد عن وعي، وإمكانية تطوير ما قلد ولو بحدود، حتى ولو مازال طفلا، ويسهل عليه استخدام الأشياء بما يتناسب مع إمكاناته العقلية وتجربته. فيبدأ مثلا تعلم ركوب الدراجة مقلدا، ثم يطور خفته في ركوبها بحسب لياقته وفهمه. يبدأ متعثرا، ثم يتحكم بها وتسهل عليه قيادتها. وهذه صفة موجودة حتى عند الكبار، لكنها أسرع عند الصغار، وبحسب نوع المعرفة التي تقدم له أيضا.

وتظهر صفة الاستقلال عند الطفل متلازمة مع غريزة التملك، يريد أن يحتفظ بلعبته له فقط، ولا يشاركه فيها أحد. وتظهر صفة الاستقلال بشكل واضح مع مطلع عمر المراهقة. ومع تقدمه في العمر يؤدي المنهج التربوي دوره بضرورة مشاركته مع غيره في اللعب. وبالتالي صفة الاستقلال لا تنفي التعاون مع الآخر. إن وسائل الإيضاح، كلعب الأطفال المبسطة والكتب المصورة، تساهم في تفتح ملكاته العقلية في تعامله مع الأشياء، وكذلك الألعاب الميكانيكية التي تنمي عنده مفهوم الفك والتركيب للأشياء.

وكلما تقدم به العمر يزداد دور الكتاب عنده في اكتسابه للمعرفة بمعناها العام والخاص، خصوصا عندما يدخل المدرسة ويصبح الكتاب عندئذ جزءا لا يتجزأ لتطوير معارفه في كل صف جديد ينتقل إليه منذ صفوف الحضانة ثم التدرج في صفوف المرحلة الابتدائية وما بعدها من الإعدادي.

إن اكتساب المعرفة هذه في المدرسة التي ترافقت مع الكتاب لمختلف المواد النظرية لمدة ست سنوات. إذا لم يتابع الطالب في كل مادة يتلقاها، حتى متابعة جودة خطه، في المدرسة وفي البيت، فقد يصل إلى نهاية المرحلة الابتدائية ولا يعرف شيئا حتى عن القراءة والكتابة، وكأنه لم يدخل المدرسة. وهذا من سوء الأداء التعليمي في المدرسة، الذي يعتمد على الإملاء فقط من دون أن يشاركه الحوار المتعدد للطلاب أثناء إلقاء الدرس من قبل المدرس، لأن فوائد أسلوب الحوار عديدة، منها اختبار فهم الطلاب للمعلومات المعطاة، وإثارة انتباه الطالب ليبقى مشدود الانتباه للدرس. كما أن أخلاقية المدرس واحترامه للطلاب تلعبان دورا مهما في تفاعلهم معه وانتباههم لما يقول.

ومن الخطأ في السياسة التعليمية في المرحلة الابتدائية ترفيع الطالب من صف إلى الذي يليه من دون أن يستحق، لأن ذلك يكرس تخلفه الدراسي. فإن لم يتقن القراءة والكتابة في هذه المرحلة المهمة فسيبقى أميا ولو درس ست سنوات. هذا، وإن إهمال الطالب من قبل أهله، إما بسبب انشغالهم أو جهلهم أو لهوهم، يكرس ضعفه. وكذلك فإن وجود تنسيق بين المدرسة وأولياء الطلاب يرفع المستوى التعليمي للطلاب. كما أن من شروط النجاح الاستفادة من الكتاب، ولا يتم ذلك بالانتباه في فقط في الدرس المقرر شرحه من قبل الأستاذ، بل بقراءته في البيت وفهمه والسؤال عما أشكل عليه، وأخيرا حفظ الدرس، الذي يصبح فيه عاملا إضافيا في مستودع الذاكرة. وتلعب الامتحانات دورا في اختبار معلومات الطالب، وقوة استيعابه للمعلومات الجديدة التي حصل عليها.

إن الطالب المجد الذي يلقى العناية اللازمة نجده على صلة وثيقة بالكتاب، للعلم الذي يحترمه. بدأت المعرفة بتلقي العلم من دون كتاب، ثم أصبح الكتاب ضرورة للحصول على المعرفة في مختلف العلوم والمعارف. يذكر أن أحد المدرسين كان يصطحب ابنه إلى مكتبة المدينة ويشجعه على القراءة، وكان الابن في الصف الرابع الابتدائي، محبا للقراءة. قرأ الابن ما يقرب من ١٠٠ كتاب من القطع الصغير والمتوسط باللغة العربية والإنجليزية. فكم من المعارف تكونت لديه وهو في هذا العمر المبكر؟! بينما زميله، الذي لم ينتبه له، ولم يلق العناية اللازمة، دخل أميا إلى المدرسة وخرج منها أميا. ولو قمنا بدراسة لمعرفة من وصل إلى نهاية الابتدائي ومازال أميا أو لا يتقن القراءة والكتابة، للاحظنا أنها نسبة عالية مخيفة، تهدر فيها الجهود والأموال بما لا يتناسب أبدا مع متطلبات نهضة الأمة.. فكم تخسر الأمة من طاقات أبنائها في معركة السبق الحضاري؟ بينما الطالب المجد والنبيه يصل إلى مرحلة الإبداع منذ صغره، ويسعى للحصول على مزيد من العلم بجهده الشخصي، حتى يصبح مع تقدمه في العمر معلم نفسه وغيره كحال العلماء والأئمة الأعلام.

فأصبح الكتاب مع التطبيق العملي وبحسب نوع الكتاب – علوم نظرية أم عملية – خصوصا في عصرنا، أساسيا في تطوير المعرفة وتلقي العلم الذي ستتمايز فيه الأمم فيما بعد، خصوصا في مجال العلوم المادية الدنيوية، الذي ستصنف على أساسه الدول المتقدمة والدول المتخلفة. وإن كنا على يقين أن مقياس التقدم والتخلف ليس أساسه التقدم المادي فقط، وإن كان عملا مهما، لأن التقدم الأخلاقي أعلى مرتبة منه، ولو افتقد صاحبه شيئا من التقدم المادي. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة:١١).

الهوامش

١- ذكر تعالى منته على عباده، في إخراجه إياهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، ثم بعد هذا يرزقهم تعالى السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار اللاتي بها يحسون المرئيات، والأفئدة – وهي العقول – التي مركزها القلب على الصحيح، وقيل: الدماغ والعقل به يميز بين الأشياء ضارها ونافعها. وهذه القوى والحواس تحصل للإنسان على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده، (ابن كثير) ٤/٥٨٩.

٢- شرح العقيدة الطحاوية، ٣٤/١.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٣)

المتفق والمفترق من الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم (الآلوسي):

١- شهاب الدين الآلوسي (١٢٧٠هـ) (الجد):

هو شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، ونسبة الأسرة الآلوسية إلى جزيرة (آلوس) في وسط نهر الفرات، على خمس مراحل من بغداد.

ولد سنة (١٢١٧هـ) في بغداد، وهو مفسر، محدث، أديب، من المجددين، تقلد الإفتاء ببلده سنة (١٢٤٨هـ)، وعزل، فانقطع للعلم.

من مصنفاته: (روح المعاني) في التفسير الكبير، و(نشوة المدام في العود إلى دار السلام) و(دقائق التفسير)، و(حاشية على شرح قطر الندى)، و(كشف الطرة عن الغرة) شرح به درة الغواص للحريري، وغيرها من المصنفات. توفي في بغداد (١).

٢- أبو البركات الآلوسي (ت١٣١٧هـ) (الابن):

هو أبو البركات خير الدين نعمان ابن محمود بن عبد الله الآلوسي، واعظ، فقيه، باحث، من أعلام الأسرة الآلوسية في العراق.

ولد ببغداد سنة (١٢٥٢هـ)، وولي القضاء في بلاد متعددة، وزار مصر في طريقه إلى الحج سنة (١٢٩٥هـ)، وذهب إلى الآستانة، ولقب برئيس

المدرسين.
من مصنفاته: (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)، و(الآيات البينات في حكم سماع الأموات عند الحنفية السادات)، و(الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح)، وغيرها من المصنفات. توفي ودفن ببغداد (٢).

٣- أبو المعالي الآلوسي (ت١٣٤٢هـ) (الحفيد):

هو أبو المعالي محمود شكري بن عبدالله ابن شهاب الدين محمود الآلوسي، حفيد الآلوسي صاحب (روح المعاني). مؤرخ، عالم بالأدب والدين، ومن الدعاة البارزين إلى الإصلاح. ولد في رصافة بغداد سنة (١٢٧٣هـ)، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد، له مصنفات جليلة، منها: (بلوغ الأرب في أحوال العرب)، و(عقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر)، و(مختصر التحفة الاثنا عشرية)، و(تجريد السنان في الذب عن أبي حنيفة النعمان)، و(صب العذاب على من سب الأصحاب)، وغيرها من المصنفات، توفي في بغداد (٣).

٤- سعد الدين الآلوسي (ت ١٢٩٨هـ):

هو أبو اليمن، سعد الدين عبد الباقي بن شهاب الدين محمود بن عبد الله، ابن شهاب الدين الآلوسي، أديب عراقي حنفي، من بيت العلم في بغداد، مولده ووفاته بها.
ولد سنة (١٢٥٠هـ)، وتخرج بأبيه، ورحل إلى اسطنبول، وتقلد قضاء كركوك سنة (١٢٩٢هـ) وقضاء بتليس.
وصنف كتبا، منها (أوضح منهج إلى معرفة مناسك الحج)، و(القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي)، و(الفوائد الآلوسية على الرسالة الأندلسية) عروض، و(البهجة البهية في إعراب الآجرومية) (٤).

٥- عبد الله الآلوسي (١٢٩١هـ):

هو عبد الله بن محمود بن عبد الله الآلوسي، البغدادي، الشافعي، عالم، أديب، صوفي، مشارك في بعض العلوم.
ولد سنة (١٢٤٨هـ)، من مؤلفاته: (التعطف على التعرف في الأصلين والتصوف)، و(المتان في علمي المنطق والبيان)، و(الواضح في النحو) (٥).

المتفق والمفترق في اسم (البوصيري):

١- هبة الله البوصيري (ت٥٩٨ هـ):

هو أبو القاسم، أبو الكرم هبة الله بن علي بن مسعود الأنصاري، الخزرجي، المصري، أديب، كاتب، محدث.
ولد بمصر سنة (٥٠٦هـ)، وسمع من أبي صادق المديني ومحمد بن بركات السعيدي، ورحل إليه الطلبة وحدث بالقاهرة والاسكندرية، من آثاره: (مختصر في الناسخ والمنسوخ)، وتوفي بمصر (٦).

٢- البوصيري (ت٦٩٦هـ) (شاعر):

هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري المصري، شاعر مشهور.
أصله من قرية (بوصير) من أعمال بني سويف بمصر، ولد سنة (٦٠٨هـ)، وهو صاحب قصيدة المعروفة بالبردة، واسمها: (الكواكب الدرية في مدح خير البرية)، التي مطلعها: (أمن تذكر جيران بذي سلم)، شرحها وعارضها كثيرون. وصاحب قصيدة الهمزية، التي مطلعها: (كيف ترقى رقيك الانبياء)، وعارض (بانت سعاد) بقصيدة مطلعها: (إلى متى أنت باللذات مشغول).
وتوفي بالإسكندرية (٧).

٣- شهاب الدين البوصيري (ت٨٤٠هـ) (محدث):

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد ابن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الكناني الشافعي المصري، من حفاظ الحديث.
ولد بمصر سنة (٧٦٢هـ)، وتعلم بالقاهرة، من مصنفاته: (مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه)، و(تحفة الحبيب للحبيب بالزوائد في الترغيب والترهيب)، و(إتحاف المهرة بزوائد المسانيد العشرة)، وغيرها من المؤلفات في علم الحديث، توفي بالقاهرة (٨).

٤- البوصيري (١٣٥٤هـ):

هو عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الأخضري البوصيري الليبي، فقيه، أديب.
ولد في (غدامس) من مدن طرابلس الغرب الصحراوية، وتعلم بها، ثم انتقل إلى طرابلس، وزار تونس ومصر واسطنبول للتجارة وطلب العلم.
وجمع مكتبة حافلة، وعكف على التدريس في مساجد طرابلس، فتخرج على يده كثيرون، عمل في المحاكم الشرعية، وتوفي بطرابلس.
من مصنفاته: (مبتكرات اللآلئ والدرر، في المحاكمة بين العيني وابن حجر)، و(الدرر المجنية على الجامع الصغير للسيوطي)، و(نزهة الثقلين في رياض إمام الحرمين) في الأصول، و(الجواهر الزكية شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث) (٩).

الهوامش

(١) ينظر جلاء العينين (ص٢٧-٢٨) والأعلام للزركلي (١٧٦/٧) ومعجم المؤلفين (١٧٥/١٢).
(٢) ينظر المسك الإذفر (ص٥١) والأعلام (٤٢/٨) ومعجم المؤلفين (١٠٧/١٣).
(٣) ينظر الأعلام (١٧٣/٧) ومعجم المؤلفين (١٦٩/١٢).
(٤) ينظر الأعلام (٢٧٢/٣) ومعجم المؤلفين (٧٥/٥).
(٥) ينظر هدية العارفين (٤٩٠/١) والأعلام (٢٧٢/٣) ومعجم المؤلفين (١٤٧/٦).
(٦) ينظر الأعلام (٧٥/٨) ومعجم المؤلفين (١٤٢/١٣).
(٧) ينظر هدية العارفين (١٢٤/١) والأعلام (١٣٩/٦) ومعجم المؤلفين (٢٨/١٠).
(٨) ينظر ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي (٢٥٠/١) والأعلام (١٠٤/١) ومعجم المؤلفين (١٥٧/١).
(٩) ينظر الأعلام (٣٣٤/٣).

أ.د. أحمد عيساوي
أكاديمي جزائري

القراءة علاج لأمراض الأمة المزمنة

منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام، وجعله خليفة له في الأرض ليعبده ويعمر الأرض، وعلمه الأسماء كلها، وسخر له ما في السموات والأرض جميعا منه، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا بالعلم والمعرفة والحرية والإرادة والاختيار وحسن الخلقة والهيئة وغيرها، تقرر في ذلك الناموس الإلهي يومها سنة كونية حياتية مفادها: أن الحياة السوية الموصلة لتحقيق رضوان الله تعالى في الدنيا والآخرة لبني البشر، هي تلك المعيشة القائمة على طلب العلم والمعرفة، استنادا لقوله تعالى وهو يرسي دعائم هذه السنة الإلهية: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ (البقرة: ٣١- ٣٢)، لأن العلم والمعرفة بالله وبآياته هما السبيلان الوحيدان الموصلان إلى كل سوي ومستقيم وفاضل وإيجابي وسعيد في الدنيا والآخرة، ومن دونهما يتقرر الجهل والفراغ والوهم والخيال والأحلام والأماني الكاذبة، وتتفرع عنها سائر الأسقام الجسمانية والروحانية والمعنوية والحياتية، ومن ثم الانحراف عن خط الفطرة السوي الذي فطرهم عليه سبحانه وتعالى يوم فطر السموات والأرض، وبموجبها يصير الفرد والمجتمع تابعا وخاضعا للأقوى الآخذ بالسنن والعامل بالنواميس.

وظلت هذه السنة الحتمية تتقرر في بعثات الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى كتبتها الرسالة الخاتمة كقانون معياري قيمي وحتمي، وجعلتها سنة كونية آفاقية في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق: ١)، ووطدتها الممارسة العملية لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وهو يتلقى عن ربه قواعد العمل الدعوي والتبليغ المؤسس على العلم والمعرفة في قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ (محمد: ١٩).

ومن هنا وبسببها كانت -ولا زالت وما تزال- عطاءات وفتوحات ونجاحات الحضارة العربية الإسلامية طيلة قرون النور والنهضة، بسبب طغيان فعل القراءة المقدس في نخبها الحية.

وعليه فقد وضعت لنا تعاليم الإسلام الغراء في المحجتين البيضاوين: الكتاب، والسنة، منطلق الطريق السوي، وحددت لنا موطأ خطواته الأولى، ومبدأ انطلاقه الحقيقي والسوي بممارسة فعل القراءة الحضاري، بله المقدس. واقتفى سلفنا الصالح من خير القرون الهجرية الأربعة الأولى الآثار والخطى في عالم القراءة والتحصيل، فبنوا الأسس الأولى لنظريات المعرفة الإسلامية في سائر علوم العصر، فقعدوا للفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة والبديع والبيان والرواية والقراءات وعلم الحديث وملحقاته وعلوم التوحيد والعقيدة وعلوم التفسير والقرآن والمقاصد والرقائق والمواعظ والتاريخ والسير وغيرها من العلوم. حتى دب الوهن والضعف فيها منذ قرون خلت، فتنكبت الطريق الصحيح، وحدا البشرية أقوام وظاعنون آخرون، أخذوا رحيق وعصارة وحنان ودفء الثقافة والحضارة العربية الإسلامية الزاهية إبان الحروب الصليبية والمغولية (٤٩٥-٦٦١هـ) (١٠٩٥-١٢٦٠م) والتترية (٨١٠هـ-

١٤٠٢م) وإبان موجة الاستعمار الحديثة (١٢١٣. ١٣٨٥هـ) (١٧٩٨-١٩٦٢م)، وبنوا عليها نهضتهم العلمية والمعرفية والثقافية والأدبية والمنهجية بالقراءة الأفقية والعمودية الواعية، وتقدموا الركب العالمي غير آبهين بأحد، وصاروا يخططون للمشهد الكوني وفق رؤيتهم العلمية الجافة والعارية عن القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، هذه النهضة اللاهثة وراء الكسب والتكديس والتكاثر والعب من القيعة والسراب الترابي.

وأعلنوا أن القرن الواحد والعشرين هو قرنهم ومجال جبروتهم وحكمهم وسيادتهم، وهو قرن السيطرة التامة على الطبيعة وتسخير سائر ثرواتها وموجوداتها ومخلوقاتها ومسخراتها بمن وما فيها، ومن وما عليها، وبسيطرتهم التامة عليها في: البر والبحر والجو، بما امتلكوه من علوم حيوية وجبارة كـ علم الذرة، وعلم الكومبيوتر، وعلم فك الشفرة الوراثية، وعلم الهندسة الجينية، وتكنولوجيا الميكنة والاتصال، وما كان يتأتى لهم ذلك لولا بحثهم العلمي الدائم، وحرصهم الحضاري العالي المستوى، ولولا أخذهم بالنواميس والسنن الإلهية التي لا تجامل متعبدا، ولا تحابي متدينا، ولا تقصي ملحدا، ولا تتودد لكسول متنسك.

وفعلوا بقوة فعل القراءة التحليلية الواعية والعميقة بين مختلف مواطنيهم وفئاتهم ونخبهم وشرائحهم الاجتماعية، عبر سائر القطاعات والميادين والمستويات، وغرسوا في ناشئهم منذ الصغر عقدة السيطرة والهيمنة على الآخر، سواء أكان قويا أم ضعيفا، بواسطة الفاعلية والدربة الناجعة والمستمرة في مختلف فئات ومكونات الأمة الحية، وبفضل التحكم العالي في تمهر الآليات والطرق والمناهج المختلفة، وتفعيل القدرات العقلية والنفسية والوجدانية والسلوكية والجسدية، وامتلاك الحد الأعلى من المهارات والاستواء عليها، وعدم الاكتفاء منها بالحدود الدنيا، وفي مقدمتها مهارة القراءة وطلب العلم والمعرفة عبر سائر وسائلها وبواباتها وينابيعها المختلفة المكتوبة، المسموعة، المرئية، المعيشة التاريخية والحديثة والمعاصرة، الأفقية والعمودية، الأصيلة والوافدة، التقليدية والإلكترونية، الورقية والشبكية، وتقرر على إثرها أن الأخذ بالسنن والنواميس الإلهية هو السبيل الأوحد للنهضة والتقدم، وقيادة وتوجيه أو استعباد الآخر الضعيف.

ومع حالة العثار القيمي والحضاري التي تعيشها أمتنا العربية والمسلمة منذ أكثر من قرنين خليا، ومع محاولات الدعاة والمصلحين وشلالات الخطابات والتجارب والمحاولات الإصلاحية والنهضوية المتباينة التي انبعثت لتضخ دفقات من الأوكسجين وشحنات من الدماء والغذاء والشباب والحيوية في هذا الجسد الإسلامي الخامل، والمتربع على أغنى وأكبر وأهم بقعة جغرافية في العالم، ومع تعدد الخطابات والتجارب النهضوية التي تحاول نفخ الروح في أمتنا، برز خطاب تفعيل القراءة في أفراد الأمة كأحد روافد بعثها وإعادة إحيائها، وتعزز ذلك بفتوحات المناهج البحثية الميدانية والتجريبية، التي أثبتت أهمية ممارسة فعل القراءة كعامل حيوي وإحيائي لهذه الأمة المتعثرة، إذ يهدف بالأساس إلى تغطية مساحات الفراغ المعرفي والعلمي والثقافي في عقول ووجدان وسلوك الفرد العربي والإسلامي الخامل، الذي عشش فيه الجهل والفراغ والوهم والخيال الحالم والأماني الكاذبة، وتولدت عنه أمراض جسدية مثبطة، وأسقام وجدانية مخزية، وعقد نفسية مبيرة ومستعصية، أخرت هذه الأمة عن اللحاق بالركب العالمي، الذي فرغ من عصر العلم والاكتشافات العلمية في القرن العشرين، ودخل عصر تسخير قوى الطبيعة لصالحه في القرن الواحد والعشرين.

ومع الفورة العلمية والبحثية والمعرفية والتقنية والإلكترونية الحديثة التي وجب الاستفادة منها في بعث هذا الجسد الخامل، ومع حركة تراكم العلوم والمعارف والمناهج والتجارب تقرر لدى أهل الاختصاص منذ أمد بعيد - كما تقرر في السنن والنواميس الكونية الإلهية منذ الأزل- وفي كل ميادين الحياة الإنسانية المتنوعة: العلمية والأدبية والثقافية والاجتماعية والتربوية والنفسية والاقتصادية والسياسية، أن الجهل هو السبب الرئيس والعامل المركزي والفعال في تردي أوضاع الفرد النفسية والوجدانية والسلوكية والحياتية، وأنه الباعث الحقيقي لتداعي شؤون الجماعة وارتباك شبكة نسيجها القيمي والتواصلي، وأنه هو الدافع الوحيد والمؤثر لاضطراب أحوال المجتمع الأخلاقية والتربوية والسلوكية والحضارية، وأنه المفعل القوي لاهتزاز أحوال الكيان الجمعي لأي أمة من الأمم على جميع الميادين الحياتية والمستويات الحضارية.

فقد أثبتت وأفادت خلاصة الدراسات العلمية والبحثية والمنهجية والتجريبية النظرية والميدانية التي قام بها علماء النفس والاجتماع والأخلاق والسلوك - عند الآخر وفي منظومتنا العربية الإسلامية- طيلة عقود من الزمن البحثي، على أن سيطرة الجهل والفراغ وحلم الخيال الواهم والأحلام الكاذبة وغيرها على العقل والوجدان، وفقدان الحد الأدنى والضروري من الخبرة العلمية والمعرفية والثقافية والأدبية والأخلاقية والسلوكية اللازمة

للفرد وللجماعة أثره المدمر على عقول ونفسيات الأفراد المبحوثين، ولعله كان السبب الرئيس لتداعي البنية النفسية والوجدانية والشعورية والسلوكية للفرد وللجماعة المتخلفة، المبعثرة بين مرجعيتين (المقدس، الوضعي)، وبين زمنين (الماضي والحاضر)، وبين مزاجين (العبودية والاستعباد)، وبين وجدانين (الحب والكراهية)، وبين نمطين (الفوضى والنظام)، وبين نسقين (التقليد والمعاصرة)، وبين شخصيتين مختلفتين (حميمية وعدوانية)، وبين، وبين.

إذ يقوم عامل الفراغ المعرفي والثقافي بدوره الخطير في تشتيت البنى التصورية والعقلية للفرد الجاهل، وضرب خطوط التواصل الوجداني السوي والطبيعي الإنساني مع الذات والآخر، وخلق أنماط مرضية وغير سوية للسلوك الإنساني، تخضع بالدرجة الأولى لتضخم عقدة الذهان: اعتقاد الفرد قدرته معرفة وإتقان كل شيء، وأنه هو المصيب دائما والآخرون مخطئون دائما، وتفعيل عوامل الجهل والفراغ وجنوح حلم الخيال الواهم، وتراكم جملة من الأسقام النفسية الدفينة كـ عقدة التبعية للقوي وتقليده، وعقدة القابلية للاستعمار، وعقدة الذهان، وعقدة النكوص الزمني، وعقدة استعداء الذات، وعقدة التلاشي مع الآخر، وعقدة العدمية، وعقدة اللامبالاة الأنانية، وعقدة الانفصام، ونحوها من العقد، في تشكيل شخصية الفرد المتخلف.

ويعزا السبب الرئيس في ذلك كله إلى فقدان آليات التكوين والتمهر والتوجيه والتحكم (اجتماعي- نفسي- جسمي) أثناء مرحلة التنشئة الاجتماعية والنفسية والسلوكية المبكرة، والتي لها الدور الاستراتيجي والفعال في عملية صياغة فرد سوي وإيجابي وقادر وحركي ومنتج، وفي صناعة شبكة اجتماعية سوية ومستنيرة وإيجابية ومنتجة، قائمة على العلم والمعرفة والثقافة الاجتماعية المتزنة، وممارسة فعل القراءة المقدس، الذي هو سبيل صناعة وتشكيل فرد مكرم، ممتلىء بالقيم والمثل والمبادىء والأسس المعيارية السوية، القادرة على تكوين وملىء وحكم وتوجيه عالمه النفسي والوجداني والعقلي والسلوكي السوي، والقمينة على توجيه مسار حياته السلوكي والإنجازي الحضاري البناء والفعال داخليا وخارجيا.

إذ يفتقر الفرد عندنا بفعل تفكك وضعف وهشاشة وعدم انسجام خطابات المنظومات التكوينية والتأطيرية والتعليمية والتربوية والاجتماعية والإعلامية والدينية المختلفة لكل المقومات الأساسية للخروج به من دائرة الاحتجاج والانفعالية والارتجال والفوضى، والرقي به نحو عالم الشهود النهضوي والملكوت الحضاري، وبالتالي فهو محروم -أساسا- من تلقي التكوين النفسي والاجتماعي والعقلي والروحي والسلوكي الكافي والمناسب للنهضة بجماعته الأولية، ثم النهضة بمجتمعه، فكيف به الاضطلاع بمهمة النهضة بجماعته ومجتمعه وأمته، وهو يفتقر إلى تلك المقومات النهضوية؟ وبالتالي فهو يعطي مجتمعه وأمته ما أعطته وغذته به صغيرا، وهذا من باب جدلية حاجة الفرد للمجتمع، وحاجة المجتمع للفرد.

وتفيد الدراسات النفسية والاجتماعية والأخلاقية السلوكية الميدانية الحديثة والمعاصرة أن الفرد يحتاج أثناء مرحلة التنشئة الاجتماعية المبكرة -واللاحقة- إلى امتلاك آليات الدربة والمهارة والخبرة العلمية والحياتية النظرية والعملية التطبيقية الكافية ليكون فردا إيجابيا وصالحا وناجحا ومتوازنا، بما في ذلك التمهر على فعل القراءة والتكوين والتحصيل العلمي والمعرفي المناسب والفعال، وأحيانا يتلقى كل ذلك التكوين السوي والكافي في المراحل العمرية المناسبة، ولكن النتائج المرجوة -للأسف- منه تكون عكسية، وذلك لتدخل الكثير من العوامل الخارجية المربكة، والتي تفقده توازنه وإيجابياته البناءة، ولاسيما بعد طغيان الموجة الاتصالية والثقافية الإلكترونية السدومية المعاصرة، التي أتت على كل تكوين وتأطير لحساب المسيطر والراهن العولمي الوثني.

والسؤال المركزي الواجب طرحه هنا، ولاسيما ونحن ندعو إلى إعادة الاعتبار لممارسة عملية القراءة كفعل حيوي ضروري ومقدس ومهم لكل محاولة تطلعية نهضوية آنية ومستقبلية، مستحضرين أمام ناظرينا عوائد ومنافع تلك الممارسة الأفقية والعمودية الزمانية والمكانية الآنية والمستقبلية على الفرد والجماعة، وما هي مكونات السؤال الأساسية التي يجب أن ينطلق منها وهو يؤسس مجددا لهذه العملية كلها، والمفترض أن يكون على الشكل الآتي:

لماذا، وكيف، ولم، ومتى، وأين، وعلام، وبم، وما، وبأي منهج نقرأ، ونمارس فعل القراءة؟

مستبعدين بداءة تساؤلات الشك كـ هل نقرأ أم لا؟ لأننا نعتقد جازمين أنه فرض ديني وواجب شرعي مقدس يجب مباشرته بمجرد كوننا مكلفين أولا، وامتلاكنا آلياته وأدواته ثانيا، وأنه السبيل الوحيد الذي وضعه أمامنا الشارع الحكيم لتحقيق مناطات وظيفة الاستخلاف في الأرض.

وقبل أن نرتاد ميادين الحياة الناهضة، والتي تتحق في شكلها الشهودي بالقراءة التحليلية الواعية، ننتقي إجابة لأحد أعمدة الأدب العربي الحديث الأديب المفكر

الإسلامي مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م) الذي يبين أهداف القراءة وهو يوجه القراء، ويحدد لهم الأهداف القريبة والبعيدة من ممارسة فعل القراءة، إذ يقول: «ليكن غرضك من القراءة اكتساب قريحة مستقلة، وفكر واسع، وملكة تقوى على الابتكار، فكل كتاب يرمي إلى إحدى هذه الثلاث فاقرأه».
فالقراءة عنده تستجمع ثلاث خصال رئيسة، هي تلك الممارسة التي يزكو من خلالها القارىء، ويشدو في تكوين ملكة وقريحة مستقلة غير تابعة وغير مقيدة بالآخرين، وهي تلك الممارسة التي تمكن القارىء من امتلاك فكر واسع، حيث يتعامل مع عقول وأفكار غيره، وهي تلك الممارسة التي تنمي في القارىء ملكة الإبداع والابتكار، لأن الله جبل الإنسان وركز في فطرته غريزة حب الاطلاع والاكتشاف والبحث والتنقيب، وزوده بالوسائل والأدوات اللازمة لتحقيق وإشباع تلك الغرائز، وقد رتب ونظم أعضاء الإنسان حسب أهميتها وقيمتها، ووضعها وفق تنظيم محكم، فجعل الرأس في الأعلى، والبطن في الوسط من الجسم، ولذلك لما سئل المفكر الإسلامي العالمي مالك بن نبي -رحمه الله- عن اللحظة المناسبة لخروج الأمة العربية والإسلامية من نفق التخلف، أجاب قائلا: «يوم أن نرتب الأشياء وفق ما رتبها خالقها سبحانه وتعالى، فعندما نذهب إلى السوق ونملأ السلة بالخضار والفواكه واللحم، ثم ننعطف إلى المكتبة فنقتني كتابا أو مجلة أو جريدة، ثم نضعها فوق سلة الطعام، ونعود إلى بيتنا، ونحن نفكر كيف وضع الله الرأس فوق البطن، ونشعر بحاجة عقلنا ورأسنا إلى الغذاء كحاجة جسدنا للطعام، وإلا تحولنا إلى مجرد آلات هضمية يمكن استعبادها والتحكم فيها» (حوار مالك ابن نبي مع تلاميذه بمدرسة تهذيب البنين والبنات بتبسة سنة (١٩٣٦م)، نقلا عن الأستاذ المرحوم العربي عثماني التبسي (ت٢٠٠٠م)، في حوار أجريته معه بتبسة شهر جوان سنة (١٩٩٧م)، إذ درسهم الأستاذ مالك الرياضيات والفيزياء لعدة أيام فقط، ثم اختلف مع مدير المدرسة الشيخ العربي التبسي (ت١٩٥٧م) وغادرها إلى فرنسا).
ولا ننس أن نتساءل أيضا عن منافع القراءة الحضارية وعوائدها على الفرد والجماعة والكيان، ونقول: هل الفوضى الصحية والغذائية الخطيرة والاضطرابات المرضية والوبائية المذهلة التي نعيشها اليوم نتيجة للقراءة الصحية الواسعة والشاملة، أم هي نتيجة للجهل؟ وهل لو كنا نملك ثقافة صحية وغذائية صحيحة ومتوازنة وشاملة كانت تنتشر فينا كل هذه الأمراض المزمنة كـ: السكري وضغط الدم والسمنة المفرطة وتصلب الشرايين والفشل الكلوي؟ أعتقد لا، لأن من يملك ثقافة صحية دينية أم وضعية -وكلاهما يلتقيان- يعرف حقائق الأطعمة والأغذية والأزمنة ونحوها كالقناعة والكفاف والزهد وغيرها من الأدب النبوي الشريف في عالم الصحة والغذاء، وسيعرف أن السبب الحقيقي لهذه الفوضى الوبائية بسبب الجهل بالثقافة الصحية الدينية والوضعية اللازمة، التي تأتي من القراءة وروافدها.
كما نتساءل أيضا: هل لو كنا نملك ثقافة نفسية متوازنة عن عالم النفس الإنسانية اللطيفة، وعن عالم الروح والوجدان والمشاعر والأحاسيس، وعن مختلف الأسقام والعقد النفسية، كنا نفضح أنفسنا من خلال ممارساتنا السلوكية اليومية التي تبرز عقدنا النفسية للعيان؟ أعتقد لا، لأن من يملك ثقافة عن عالم النفس الإنسانية عموما، والمسلمة المظلمة، المرينة، الكليلة، اللوامة، السوية، المطمئنة خصوصا، لاهتدى بإحدى المرجعيتين (الدينية، الوضعية) إلى جملة التكاليف والمحاذير والمأمورات والمنهيات والمستحبات والضروريات، أو للعقد الكثيرة المسكونة في هذه النفس العجيبة، مصداقا لقول الناظم:

وتـزعـم أنـك جـرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وسيهتدي لا محالة إلى الطريق السوي عن طريق التعلم والقراءة والاطلاع وروافدهما وغيرهما من المهارات.
كما نتساءل أيضا: هل لو كنا نملك ثقافة دينية سوية عن طريق القراءة الواعية وروافدها المختلفة (الحلقات، الدروس، المحاضرات، المؤتمرات، الندوات، المساجد، الكتب والمكتبات، الأمسيات الأدبية والدينية، القنوات الفضائية، مواقع الشبكات الإلكترونية) كنا نقع في هذه الفوضى الدينية؟ أعتقد لا.
كما نتساءل أيضا: هل لو كنا نملك ثقافة سياسية وتعليمية وتربوية وتاريخية وأدبية وفنية وإعلامية وسوية عن طريق القراءة الواعية وروافدها المختلفة، هل كنا نقع ضحية الفردانية والشذوذ والتشرذم والفوضى والدمار والاقتتال والحرب الأهلية، ومهلكة الهوى المتبع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، والشح المطاع، الذي أنبأنا به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام؟ أعتقد جازما لا. لأن القراءة هي العلاج الناجع لأمراض أمتنا المزمنة.
وهل كنا ننتظر أن يستشرف لنا هذا الفيلسوف والمفكر الفرنسي «فولتير» قبل قرنين ونصف (١٧٨٦م) حينما سئل عمن سيقودون الجنس البشري مستقبلا، فأجاب قائلا: «الذين يقرأون، والذين يعرفون كيف يقرأون؟». أعتقد لا، لو كنا على نسير خطى الحبيب عليه الصلاة وأتم التسليم، الذي أمرنا بما أمره به ربه حين قال له ذات يوم في غار حراء: ﴿اقْرَأْ﴾.

د. أبو زيد بيومي
باحث أكاديمي

الخفي والجلي في حكايات

«كليلة ودمنة»

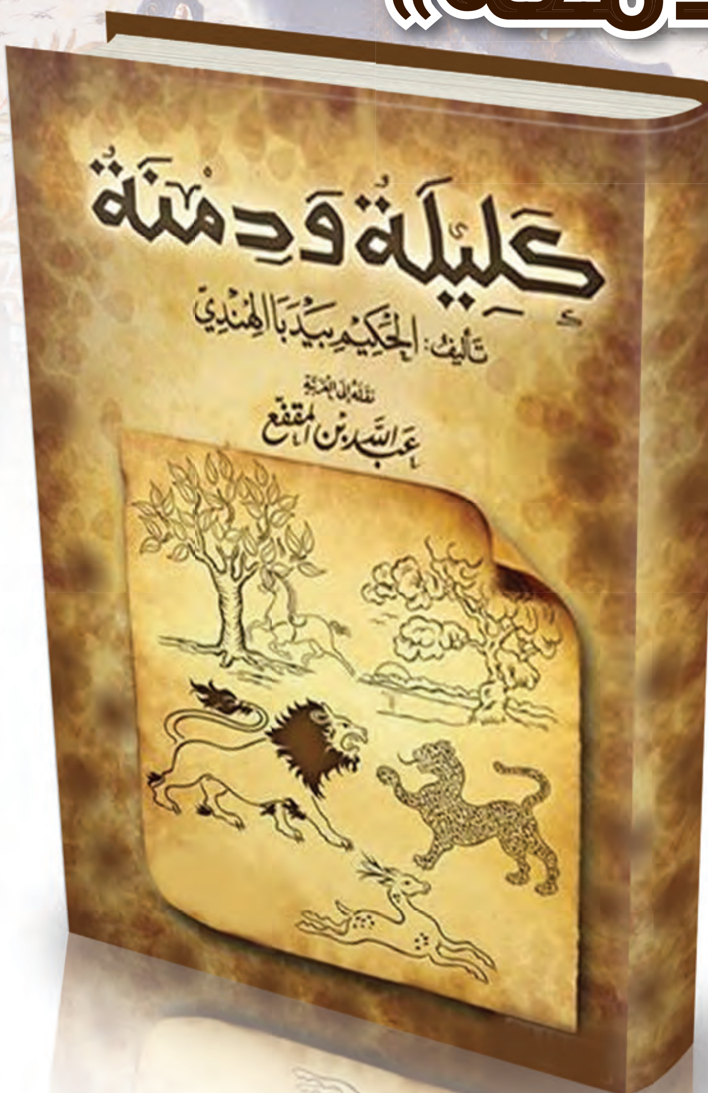

نظرا لطبيعة الإنسان التي تأنف في كثير من الأحيان أن تقبل النصح والمراجعة المباشرة؛ نجد أن البعض يتلطف في توجيه نصحه، وذلك بتعريض مقاصد الكلام، من خلال ترميز دلالاته، ليصيب مطلوبه بطريقة غير مباشرة، وذلك ببسط المعاني وتعميم الدلالات، وقد قالوا قديما: «في التعريض مندوحة عن التصريح»، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتلطف مع أصحابه حين يجد في أحدهم ما يستوجب النصح فيقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا....»، فهو يوجه صاحب الفعل إلى الصواب من ناحية، رافعا الحرج عنه من ناحية أخرى.

وقد تكون هذه الطريقة ملحة حين يستوجبها مقام الخطاب، خاصة عندما يكون المخاطب صاحب سطوة وشوكة، فيكون التلطف معه أوجب مما لو كان مع غيره.

ويبدو أن هذه الطريقة هي مشترك إنساني موجود في الثقافات جميعها؛ فهي ليست مقصورة على زمن دون غيره، ولا على ثقافة دون سواها، بل كانت مركبا أساسيا في أقوال الفلاسفة والحكماء الذين لجأوا إلى تعميم الأحكام بما يجعلها متوافقة مع كل زمان ومكان.

فالمقدمات المتشابهة لابد وأن تفضي إلى نتائج متشابهة، فلا يكون استشراف الأحداث حينئذ ضربا من ضروب الغيب، بل يصبح معلوما بالضرورة، عندما يكون الحاضر مشابها لحاضر أقوام سبقوا، فيكون حاضر السابقين واجب الوجود لوجود صار ممكنا في حاضر من يأتي بعدهم، مثلما كان هذا الواجب ممكنا لواجب سبقه.

ومن هنا يكون من الكياسة الأخذ به والقياس عليه طلبا لنفع محقق، ودفعا

لضرر محقق.
وقد تلطف البعض حين ساق حكمته على ألسنة الحيوان والطير، من خلال حكايات أصابت النفع والجمال، فالنفع من خلال تضمنها خلاصة التجارب الإنسانية التي لا ينضب معينها، ولا يخلق ثوبها، ولا يجف ماؤها على كثرة الواردين وتزاحم الطالبين.
أما الجمال فيتمثل في المتعة المتحصلة من طرافة الشكل القصصي الذي تساق من خلاله الأحداث المسلية، والتي تحمل داخلها الحكمة بصورة مباشرة أحيانا، وغير مباشرة أحيانا أخرى.
فها هو «أيسوب» ذلك العبد اليوناني الحكيم الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وإن كان وجوده موضع شك إلا أن البعض نسب إليه بعض الحكايات على لسان الحيوان، تلك الحكايات التي تحمل على بساطتها وضعف حبكتها إسقاطات بدائية لصنوف من الناس يستنبطها القارئ من صنوف الحيوان، فصورة الماكر والضعيف والقوي والداهية وصاحب الحيلة... وغيرها من الصور في دنيا الحيوان، لها ما يشبهها في دنيا الناس.
فالذي يصيبه القارئ من التجارب المطروحة في ذلك العالم المتخيل لابد وأن يجد له ما يساويه في عالم الحقيقة، ولكن يلزمه أن يكون صاحب بصيرة وفطنة ليتمكن من استخراج الحكمة التي نسجت من أجلها الحكاية، فما سميت الحكاية بهذا الاسم إلا لمحاكاتها للواقع، وإلا فإنه لن يخرج بشيء منها إلا التسلية وبعض الطرافة.
ثم يأتي كتاب «الفصول الخمسة» للحكيم الهندي «بيدبا»، والذي نقل إلى العربية تحت عنوان «كليلة ودمنة»، وهو الكتاب الأشهر في هذا المجال، ليؤكد هذا الاتجاه في توصيل الحكمة المستخلصة من التجارب، من خلال حكايات أجراها صاحبها على لسان الطير والحيوان.
وهو كتاب قدمه «بيدبا» للملك «دبشليم»، والذي كان في زمان الإسكندر المقدوني في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد.
وقد كان «دبشليم» طاغية، سار في الناس سيرة غير حسنة، حتى تصدى له «بيدبا» بحكمته؛ راجيا أن يكون سببا في رده إلى جادة الطريق القويم.
وبعد أن نجح في ذلك كتب له هذا الكتاب ليضمنه خلاصة حكمته، وقد بنى حكاياته على حوار بينه وبين «دبشليم» كإطار فني بسيط يجمعها في سياق واحد.
ورغم أن حكايات الكتاب جاءت على لسان الحيوان إلا أن كثيرا منها تضمن لفظة الرجل، والرجل في قواميس المعاني تعني: الذكر البالغ من بني آدم، وليس في هذا اللفظ ما يعني أن الخطاب موجه إلى الرجال دون النساء، بل هو موجه إلى سائر أفراد بني آدم ممن توفرت لديه صفة العقل، وقد جاء في القرآن الكريم ما يوافق ذلك مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ..﴾، و﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾،... و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ (الإنسان: ١).. و﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ (الأحزاب: ٢٣)، وذلك لأن آدم وهو الذكر هو الأصل في خلق بني الإنسان، وإليه ينسب سائر أفراد النوع من ذكر وأنثى، وهو ما تؤكده السنة النبوية المطهرة في قوله ﷺ: «كلكم لآدم..»، ولذا فإن لفظة الرجل تكون آكد في الدلالة على أن الخطاب موجه إلى الذكر والأنثى من بني آدم على السواء. كما أن لها دلالة أن الخطاب موجه إلى العاقل، وهو ما يشير إليه التعريف المعجمي للفظة الرجل، فلا نفع يرجى من الخطاب إن كان موجها لغير العاقل وإن كان من بني الإنسان.
وتعتمد لغة الحكاية في هذا الكتاب على الإسقاط في توصيل المعنى المطلوب، والإسقاط عملية يتم من خلالها إنزال معاني النص منازل أبعد وأعمق من تلك المنازل التي يبدو عليها ظاهر اللفظ، وذلك من خلال إشارات تربط الجلي بالخفي، والمكشوف بالمستور، وهو باب من أبواب التلطف في توجيه الخطاب الذي يقتضيه المقام كما ذكرنا من قبل.
وحكايات «كليلة ودمنة» تعتمد على الإسقاط من خلال سحب مدلول الحكاية على الواقع من خلال استخلاص الحكمة منها، فيسهل على الأفراد الأخذ بها إن مروا في حياتهم بأحداث مشابهة لأحداث هذه الحكايات.
ويمكن تصنيف إسقاطات الحكايات في كليلة ودمنة تبعا لدرجة الكشف عن المعنى فيها إلى أصناف ثلاث: إسقاط خفي، وإسقاط جلي، وإسقاط مقلوب. ويعتمد ذلك التصنيف على الطريقة التي ذكرت بها ألفاظ كـ رجل، وعاقل، وإنسان... وغيرها من الألفاظ الدالة على أن المقصود من الحكاية هو الإنسان دون غيره، مع مجيء الحكاية على لسان الحيوان، أو مع مجيئها على لسان الإنسان ويكون أبطالها من الحيوان، أو أن يكون أبطالها من بني الإنسان ويكون القاص داخل الحكاية من بني الحيوان.
فمن القصص التي جاء فيها الإسقاط خفيا على سبيل المثال لا الحصر: تلك القصة التي جاءت على لسان دمنة حين تقرب من الأسد، وكان الأسد قد أخافه صوت لم يألفه، وكان الصوت لـ «شتربة» الثور، فأراد دمنة أن يطمئنه أنه ليس من كل الأصوات تجب الهيبة، ثم قص عليه قصة يؤكد له بها ذلك المعنى. فقص عليه قصة الثعلب الذي أتى شجرا كثيفا معلقا عليه طبل

يحدث صوتا كلما هبت الرياح عليه، فأيقن الثعلب في نفسه بكثرة الشحم واللحم، فلما شق جوفها رآه أجوف لا شيء فيه. قال: «لا أدري لعل أفشل الأشياء أجهرها صوتا، وأعظمها جثة».

وكذلك قصة الثلاث سمكات التي توانت إحداها عن إيجاد المخرج قبل وقوع الخطر، بينما تمكنت صاحبتاها -الكيسة والأكيس منها- من الهرب لأنهما اجتهدتا في الأخذ بأسباب النجاة عند استشعار الخطر، فلما سد عليها الطريق قالت: «فرطت وهذه عاقبة التفريط».

فهاتان الحكايتان وما شابههما من الحكايات يأتي فيها الإسقاط خفيا يستنبطه القارئ من أحداثها، حيث لم تدخل فيها ألفاظ تخالط السياق كلفظة رجل أو إنسان أو عاقل، بل كان البطل فيها حيوانا أو طيرا، أنطقه المؤلف بالحكمة المعبرة عن حاله هو كحيوان داخل الحكاية.

أما الإسقاط الجلي وهو النوع الثاني؛ الذي يفصح فيه «بيدبا» عن مقصوده في ثنايا الحكاية. فهو يورد الحكاية مثل معظم حكايات كتابه على لسان الحيوان، إلا أن سياق بعض كلام أبطال حكاياته من الحيوان يأتي متضمنا تلك الألفاظ التي سبقت الإشارة إليها، مثل رجل، إنسان... إلخ، بطريقة تكشف البعد الإنساني لحكايات جاءت على لسان غير الإنسان من المخلوقات. فيكون الإسقاط جليا من هذه الوجهة.

من ذلك مثلا الحوار الذي دار بين كليلة ودمنة حين أراد دمنة أن يوقع بين الأسد والثور بعد أن احتل الثور مكانة عند الأسد حسده دمنة عليها، جاء في هذا الحوار قول كليلة: «فراجع عقلك، واعلم أن لكل إنسان منزلة وقدرا، فإن كان في منزلته التي هو فيها متماسكا كان حقيقا أن يقنع».

نلاحظ أن الحوار هنا بين حيوانين، إلا أن لفظة «إنسان» جعلت مقصود الكلام جليا، وأن كليلة ودمنة ما هما إلا قناعان للمؤلف يسوق من خلالهما المعنى المطلوب.

وقد جاءت عبارات شبيهة سيقت على لسان الحيوان في عدد من الحكايات والمواقف؛ كقول المؤلف على لسان دمنة: «فإن الرجل الأديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا لفعل».

وكقوله على لسان كليلة في الحوار ذاته: «وقد قالت العلماء إن أمورا ثلاثة لا يجترئ عليهن إلا أهوج، ولا يسلم منهن إلا قليل، وهي: صحبة السلطان، وائتمان النساء على الأسرار، وشرب الخمر للتجربة».

هذه النماذج وغيرها تفصح عن الغرض الذي من أجله وضع «بيدبا» كتابه وتجعله جليا لا يخفى على ذي عقل ونظر، حيث يرتفع بكتابه من مواطن التسلية والسمر، إلى مراتب الحكمة والعبر.

ثم يأتي الإسقاط المقلوب ليقدم شكلا مختلفا عن أشكال الحكاية الواردة في هذا الكتاب؛ وهي حكايات يكون أبطالها من الحيوان، وفي ثناياها يقوم أحد الحيوانات بتقديم حكمة أو عبرة لحيوان مثله، من خلال حكاية أبطالها من بني البشر، وهنا تسير الأحداث في اتجاه مقلوب، فالذي يقوم باستخلاص الحكمة هنا هو الحيوان، ويستخلصها لحيوان مثله، بينما يكون الإنسان على غير ما هو معتاد في موقع المعتبر منه، والمتمثل به، كل ذلك يتم في جزء من الحكاية الأصلية التي أبطالها من الحيوان، بينما تأتي القصة التي أبطالها من بني البشر جزءا أو فرعا منها.

ولكن عندما تنتهي حكاية الأم تعود الأمور إلى نصابها الأصلي، فترجع مهمة استخلاص المعنى إلى القارئ أو المستمع للحكاية.

ومن الحكايات التي جاء فيها الإسقاط مقلوبا: تلك الحكاية التي رواها كليلة لدمنة ليبين له عاقبة الخيانة، وهي تدور حول رجلين كانا شريكين في تجارة، أحدهما مخادع، والآخر مغفل، حيث وجد ذلك المغفل كيسا فيه ألف دينار، واتفق مع صاحبه على اقتسام المال، ولكن أراد ذلك المخادع أن ينفرد بالمال، فدبر حيلة ليتم له ذلك، حيث اتفق مع صاحبه المغفل على أن يدفنا المال في مكان تحت شجرة، على أن يأخذ كلاهما من نصيبه عند الحاجة، ثم قام المخادع بسرقة المال، وفوق ذلك قام باتهام المغفل بالسرقة، ولما احتكما إلى قاضي المدينة، كشف القاضي من خلال حيلة احتالها عن شخصية السارق، وعوقب المخادع بالضرب والصفع، بينما كان المال كله من نصيب صاحبه المغفل. ثم عقب كليلة على الحكاية بقوله: «وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الخب-المخادع-والخديعة ربما كان صاحبهما هو المغبون».

ففي هذه الحكاية وما شابهها من الحكايات نجد أن الحيوان هو من يتمثل بأحداث وقعت مع أشخاص من بني الإنسان، ومن ثم ينقلب اتجاه المثل من كونه موجها إلى العاقل من الناس، ليصبح موجها إلى حيوان يراد توجيهه أو وعظه داخل الحكاية.

ولكن يمكن تصنيف مثل هذه الحكايات في باب الإسقاط الجلي، لأن أبطالها من بني الإنسان، ولأن المثل في النهاية مضروب ليأخذ به شخص يعقل الحكمة من وراء الحكاية، إذ هو المقصود على كل حال من الخطاب المتضمن داخلها.

وهكذا فإن حكايات كليلة ودمنة بإسقاطاتها على اختلاف أشكالها وصورها تعد حكايات تعليمية، تركز على الجانب الأخلاقي، من خلال تقديمه في صورة فلسفية، تعتمد على رمزية الحكاية؛ تلك الرمزية التي تمكن القارئ من تعميم أحكامها، فتكون صالحة لكل زمان ومكان.

علاء الدين حسن
كاتب سوري

إلى أمي

نغمة الـروح

إنـي أجـلـك تـكـريمـا وإحسانا
أنت الـمـلاك أيـا نـورا بدنيانا
منك الحنان ومنك الحب يسعدنا
ويـمـلأ الـقـلـب إخـلاصـا وإيمانا
مـن سـر بسمتها أرنـو إلـى أمل
يـعـيـد لـلـنـفـس أنـغـامـا وألـحـانـا
وا بـهـجـة الـعـمـر أن الأم زهرتـه
تـمـدنـا عـبـقـا.. عـطـرا ورضوانا
سبحان مـن زيـن الـدنـيـا برقتها
روحـي فـداهـا وهـذا الـبـر أغـنـانـا
قـلـبـاه! أنـتِ لأشـعـاري وقافيتي
إشـراقـة الــورد ألـحـانـا وأوزانـا

أنت النسيم الذي يسري بلا وهن
يـعـطـر الأفـق فـي أنـسـام رؤيانا
أفـضـال أمـي لا حـصـر ولا عدد
بالود قد خصها الخلاق.. أوصانا
أمـاه! قـد بـت فـي وجـد وفـي وله
من بعد فقدك صرت الآن حيرانا
يا صورة جمعت دهري ومنطلقي
كـأنـهـا مـلـتـقـى الإرضــاء ريانا
أمــاه! بِــرُّك لا تـجـزيـه أوسـمـة
مـهـمـا تـسـامـت مـزايـانـا وتـقـوانـا
أماه! هذا قصيدي جاء ملتمسا
منك السماح عن التقصير ولهانا

د. محمد إبراهيم شبير
أستاذ علم اللغة

بين الفصحى والعامية.. خيوط متشابكة!

لم تكن الدراسات اللغوية أحوج ما تكون إلى المنهج العلمي منها في الوقت الحاضر؛ فارتباط الفصحى بالقرآن الكريم منذ فجر الإسلام، ثم ارتباطها بالمجتمعات العربية جعل رؤية واقع اللغة، ودراسة هذا الواقع كما هو من أشق الأمور على الباحث العربي المسلم.

فالأصول اللغوية العلمية التي نؤمن بها وندرسها في الجامعة، بل ونأخذها قضية مسلما بها أيضا، هذه الأصول تتناقض مع تلك الأفكار المتعلقة بالعربية، وتقوم على أساس هام: هو استحالة الفصل بين ألوان النشاط اللغوي داخل المجتمع الواحد.

ألسنا نقول في دراساتنا اللغوية: إن اللغة تعكس طبيعة المجتمع الذي يستخدمها؟ وقديما قالوا: «من فاك عرفناك، تكلم حتى نراك».

إننا لو أردنا وصف الواقع اللغوي كما هو في المجتمعات العربية سنجد أنفسنا نتدرج في مستويات أو طبقات من اللغة متراكبة بعضها فوق بعض، لا يفصل الواحدة منها عن الأخرى، سوى بعض الملامح التي لا تشكل أساسا كافيا للفصل بينها وبين الطبقة التي تليها.

ليس هذا فقط، بل إننا لو التزمنا بالواقع اللغوي وتناسينا الاصطلاحات التي درجنا عليها، فإننا لن نجد فاصلا واضح المعالم في تدرجنا مما يسمى بالفصحى إلى ما يسمى بالعامية، بمعنى أننا لن نجد نقطة محددة نستطيع أن نضع الحد الفاصل بينهما.

فمثلا، هل نستطيع تعيين نقطة نقيم فيها الحدود بين لهجات دول مجلس التعاون الخليجي، أو دول بلاد المغرب العربي أو دول بلاد الشام؟، وليس معنى ذلك أنه لا توجد فروق بين العامية والفصحى، ولكن لو أردنا أن نرى الفروق، فعلينا دراسة لهجات هذه الدول والفروق أو التطورات اللغوية داخل القطر الواحد.

وإن كنا لا نغفل في الوقت ذاته حقيقة وجود الدرجات التي تصل بين هذه الدول، بل ومشروعية الاعتراف بوجود هذه الدرجات ودورها في إبقاء الصلة اللغوية بين أبناء الوطن الواحد قائمة.

ولنأخذ الكلمات أو العبارات التي قد نسمعها في التلفاز أو في المناقشات العامة وهي تصور نوعا من التدرج اللغوي المشار إليه، فصوت الجيم الغاري يعد من أكثر الأصوات التي اختلف الباحثون اللغويون ولا يزالون في كيفية نطقه، فهو ينطق في ألسنة أهل القاهرة، كافا مجهورة، أي صوتا خاليا من التعطيش، تنطق من الطبق مع إعمال الأوتار الصوتية، أي أن مخرجها انتقل إلى الخلف.

وينطق الصوت نفسه في ألسنة أهل صعيد مصر، صوتا شديدا قريبا من صوت الدال أو هو صوت الدال عينه إلى حد كبير، أي تطور هذا الصوت في نطق بعض أهالي الصعيد إلى دال أسنانية لثوية بانتقال مخرجها إلى الأمام.

أما في اللسان الشامي ولدى بعض المغاربة فهذا الصوت ينطق شينا مجهورة، أي صوتا مبالغا في تعطيشه نحو: اجتماع – اشتماع، وكذلك كلمة: مجتهد، نسمعها مشتهد.

ولقد أخذ هذا الصوت في منطقة الخليج بعامة لونا آخرا من النطق، فهو يسمع هناك كأنه صوت نصف حركة، ويقصد به الياء كما في: يا رجال– يا ريال، ويقولون في مسجد: مسيد، وفي دجاج: دياي.

لقد حاولنا من خلال هذه المقالة أن نصف الواقع اللغوي كما هو، فألوان الفصحى وألوان العامية هي أنماط حضارية قبل أي شيء آخر، ولغة المجتمع وحضارته وجهان لعملة واحدة، وهذه تذكرة ودعوة للراغبين في الإصلاح.

أما أن نحتقر واقعنا اللغوي ونعاديه، ولا نعطي فرصة دراسته ورؤيته على حقيقته، فلن يكون ذلك سببا في فشلنا في علاج ما يحتاج منه إلى علاج فحسب، بل سيؤدي ذلك إلى إصابة مجتمعاتنا بمرض انفصام الشخصية الذي بدأت بعض أعراضه في الظهور.

إن الإصلاح لا يمكن أن يقوم على الأماني وحدها، فطريقه شاق ومتشعب، وله وسائله الكثيرة والمتعددة، غير أن هذه الوسائل وعلى تعددها وتشعبها تبدأ جميعا من نقطة واحدة: هي دراسة الواقع ورؤية أبعاده على حقيقتها، وهذا هو ما نرجوه ونأمله.

عبد الحكيم فرحي
قاص مغربي

أناة قلم

قلت لحبر قلمي: اخرج إلى روح وريحان، وقرطاس راض غير غضبان.

قال والحسرة تعلو محياه، فقد أُثخن قلبه جراحا: أي روح يا سيدي وهذا النتن يملأ كل قطر وزاوية؟ أي ريحان وأنفاسنا تختنق مع أول نسمة يسوقها الهواء؟ كلها وباء وبلاء، وظلم حجب نور الشمس دهرا، إنسان أبيد قهرا ونسف قسرا، فهو لم يعد يساوي جناح بعوضة؛ بإشارة واحدة تجعل أمة بأكملها أثرا بعد عين، أي رضا يا سيدي تتحدث؟

هل أرضى بالذل والهوان في عالم نخرت المادة عروقه، عالم استرخص الإنسان وجعله جسدا بلا روح، وماذا تنتظر من عظام صارت رميما لا تدب فيها روح الحياة أن تصنع؟! جحافل الظلام أسرجت الخيول فهي لا يسكن لها قرار، ولا يهدأ لها بال، حتى تجعل كل الرقاب تذل لها خضوعا، ما من حصن داهمته إلا واستعبدت أهله أشد استعباد، ولسان حالهم يقول:

ملأنا البر حتى ضاق عنا، والبحر نملأه سفينا

ونحن معشر المنكوبين بكينا حتى جفت مآقينا.

قال لي القلم معاتبا: لماذا كدرت صفوي، لماذا حفرت عن هذه المآسي المحنطة في تابوت التاريخ، أريد أن أنسى، وقد قلت لي أن هذا الجمر قد خمد إلى الأبد، لكنك نفخت فيه وانجلى عنه الرماد فعاد له الوهج من جديد، ما أشد وقع ألمه، كأنه حسام مهند يفتك بالقلب، فيذره قاعا صفصفا، لا ترى فيه عوجا ولا أمت.

دعني يا سيدي في سكون يلفني فيه الصمت، لتهدأ نفسي بعد اضطراب، وتسكن بعد فزع.

قلت له: قد أوتيت سؤلك، فطب نفسا، لكن لابد أن تحترق لتخرج من المحن أصفى مما كنت عليه قبل، فسبائك الذهب الإبريز لا تزيدها النار إلا صلابة ومتانة، فتصقل كأجود مما كانت عليه قبل.

وطالما أصلي الياقوت جمر غضى

ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

لطيفة أسير
كاتبة مغربية

جريرة!!

قد تنفرط حبات عمرك سدى وأنت تؤمل أن تحيا حياة إنسانية تليق بها إنسانيتك، وتشمخ بها كرامتك، وترتوي بها سنوات الجدب التي ظمئت فيها، حياة شيدت لبناتها بكل ما أوتيت من صدق وإيمان ووفاء، تنشر الحب والسلم، وتنثر عطر الكلام في وجه كل الأنام.

وقد تتكسر أحلامك وأنت تلمحها تتساقط تباعا، ولا تملك حيلة لإنقاذها أو الذود عنها، تتعالى كلما بالغت في التودد إليها، تتمنع عنك تمتع ربات الخدور.

وقد تموت فيك كل رغبة في الحياة وأنت تبصر الموت يأخذ كل القيم الجميلة في مجتمعاتنا، وتكاد تختنق من فنون العبث والخيانة والغدر.

وقد تكتشف بعد طول عناء، أن جريرتك في الدنيا أنك حاولت أن تعيش إنسانيتك، وتتعايش مع القوم بسجيتك، بعيدا عن أي تنطع أو تصنع.

فتقرر بعد كل هذا وبكل ما أوتيت من تعقل وقناعة أن تضيق دائرة معارفك، أن تخطط لانسحاب رحيم يحفظ كبرياءك، أن تنطوي على خيباتك، فلا تبوح بها لأحد مخافة أن تتخذ من لدن القوم سخريا!.

ليس عيبا أن تكون طيبا في زمن الخبث، ولا صادقا في زمن الكذب، ولا أن تشقى لتسعد الآخرين في زمن الكل ينادي نداء يوم القيامة: نفسي، نفسي.

ليس عيبا أن تصمد أمام تيار جارف يكاد يذهل المرضعة عما أرضعت.

لكن العيب أن تنسلخ من كل جمالياتك لتساير ركب الزيف، أن تتجرد من آدميتك لتكيل القوم بصاعهم، أن تتبرأ من طيبتك فيتحجر أجمل ما فيك، قلبك!.

للأسف ما زالت مجتمعاتنا تنظر للإنسان الطيب تلك النظرة المشفقة التي لا تبصر فيه غير الإنسان الضعيف المنكسر المغلوب على أمره، شخص لا يملك الا أن يقول: (نعم)، لعجزه عن تحمل تبعات (لا)، شخص مسحوق ممسوخ الهوية إمعة، يحتاج دوما لمن يأخذ بيده، لكنهم لا يفقهون أن ذاك الطيب هو إنسان قرر أن يبقى وفيا لإنسانيته، أمينا على فطرته، إنسان يملك من الجلد والصبر ما يجعله يكظم غيظه، ويمتص بحنكته ذاك الغبار الذي يلوث فضاء العلاقات الإنسانية، إنسان فقه قول حبيبه المصطفى ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب».

إنسان توج الوقار والشرف هامته:

وإذا غضبت فكن وقورا كاظما
للغيظ تبصر ما تقول وتسمع.
فكفى به شرفا تبصر ساعة
يرضى بها عنك الإله ويدفع.

عبدالعزيز العسكر
كاتب سعودي

في وداع الشاعر الكبير فيصل الحجي

قد كنت ترثي فحول الشعر إن ذهبوا … واليـوم وا لهفي يبكيك نادينا

عرفته في رياض الشعر قسورة … بـذ الفحول وأذكـى جذوة فينا

يـزيـن الحفـل من إبـداع موهبة … قد أشبهت أدبا في عمق ماضينا

القـدس فـي شعـره أم يبادلها … حب الـرجـال وإخـلاص المحبينا

يا فارس الشعر والأخلاق كنت لنا … معلما لجميـل القـول يهدينا

جمعت في شعرك الراقي مطالبنا … سـم لأعـدائـنـا، غيـث لأهلينا

يا فيصلا من جبين البدر طلعته … فضحت بالشعر أفكار المضلينا

يـا شـاعـرا من معين النـور مورده … تـردد الشهب ما قد قلت تلحينا

يا رب فاجعل جنان الخلد مسكنه … واكتبـه يـا رب فـي الغر الميامينا

● توفي الأحد ١٩/٣/١٤٣٨هـ.

وليد عبد الماجد كساب
كاتب من مصر

الصابر أحنف

ها هي الشمس تميل إلى المغيب بعد يوم شديد الحر على الكوفة، والقرص الذهبي يدنو من الأرض شيئا فشيئا، كأنه يغرق في نهر الفرات مغتسلا بعد عناء يوم شاق طويل، وفي ضوئه كانت أسراب الطير وقد راحت بطانا!!

جلس الشيخ الكبير وفي يده عصا صغيرة، كان يرسم بها خطوطا على الأرض الممهدة، طال الصمت كثيرا عندما شكى له ابن أخيه ألما شديدا في بطنه، كرر الشاب اليافع شكواه والأحنف بن قيس جالس يخط خطوطه الوهمية، انتظر أن يأتيه الرد من عمه ليشفي بعض ما في صدره، ويخفف عنه بعض ما ألم به!

كم يأنس إلى عمه كثيرا! ولم لا؟! لقد سمع الناس يقولون إن النبي ﷺ دعا له ولم يره؛ قال: «اللهم اغفر للأحنف بن قيس» (١).

طال انتظار العم عله يتحدث، هم الشاب بالانصراف وقد ملأت عليه الدهشة أقطار نفسه، استأذن عمه في أدب جم، نظر إليه الشيخ وقد بدت عليه علامات الشيخوخة، ووهنت قوته، وشحب وجهه؛ ثم قال:

اجلس يا قيس!

لبيك يا عماه!

عاد الصمت أدراجه، واستغرق الأحنف في تفكيره العميق، أراد أن يتكلم؛ تراجع، ثم استجمع شجاعته وقال في صوت ضعيف:

سمعتك تشكو من وجع ألم بك يا ولدي!

نعم يا عم، هو كذلك، إن بطني ...!

فاسمع يا بني هذا السر الذي دفنته في نفسي عقودا من الزمن!

أي سر يا عماه!

لا تتعجل يا ولدي، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)؛ لكن أصغ السمع بقلبك قبل أذنك!

كلي آذان مصغية يا عم.

مذ كنت صغيرا لم أشك علة سوى بعض اعوجاج في رجلي خلقت به، وهو ما جعل ضعاف النفوس يتغامزون كلما مررت بهم؛ لكني صبرت ولم يزدني ذلك إلا جلدا! ضحك الأحنف حتى سعل، ثم قال:

كانت أمي وأنا صغير ترقصني وتقول: «والله لولا حنف برجله، وقلة أخافها من نسله؛ ما كان في فتيانكم من مثله»!

أضحك الله سنك يا عماه، لكن لم خافت جدتي من قلة نسلك؟!

تغير وجه الشيخ، وأحس شيئا من الحرج؛ وتنبه قيس إلى ما ألم بعمه من حرج، فاعتذر وهم بتغير مجرى الحديث، لكن الأحنف استحضر شجاعته مرة أخرى، ثم قال وقد بدى عليه الأسى:

هذا يا ولدي حديث ذو شجون؛ فقد ولدت وليس لي سوى خصية واحدة، ولذا خشيت أمي على من عدم الإنجاب.

أعتذر منك مرة أخرى يا عم، فـ....

قاطعه الأحنف:

مم الاعتذار يا بني؟! إن الله تعالى هو الخالق، وتلك صنعته، والصبر على البلاء من شيم الأنبياء والصالحين، وحسبي حديث نبينا ﷺ: «ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة أو

حطت عنه بها خطيئة» (٢).
لكن، كيف تركت السفلة من القوم يتغامزون هكذا، وأنت سيد تميم، وإليك توكل أمورهم؟!
ما منعهم مني إلا التصبر؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (النحل:١٢٦)، و﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣)؟!، وهل هناك أرجى من أن تدخل عليك الملائكة في الجنة من كل باب يهتفون قائلين ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٤)؟! ولولا طمعي فيما عند الله لقطعت منهم الوتين!
ولذلك كنت مضرب المثل في الحلم والصفح.
لست أرى نفسي مستحقا لكل هذا!
سبحان الله يا عم!! ورغم كل ذلك كنت من قادة الجيوش الذين فتحوا البلاد ونشروا الإسلام فيها! فأي جلد هذا وتصبر؟!
الحمد لله على نعمه، ولولا فضل الله تعالى علي لكنت أسير الأمراض تتناهشني؛ لكنه الصبر على المكاره التي حفت بها الجنان!
انطلق أذان المغرب يشق صمت الكوفة مؤذنا بميلاد ليلة جديدة؛ فخف الناس إلى المسجد فرادى وجماعات، وهم الأحنف بالمضي فأدركته الجارية!
ألا تفطر يا سيدي؟! هذه بعض تمرات وشربة ماء!
مشكورة مأجورة يا عاتكة! لقد نسيت أنني صائم!
أخذ الأحنف بضع تمرات فاقتسمها مع قيس، ومضيا إلى المسجد، فسأله ابن أخيه:
المعذرة يا سيد بني تميم، أنت كبير والصوم يضعفك، وفي الدين عبادات كثيرة لا تحتاج إلى هذه المشقة؛ فهلا تخففت من الصوم حتى تحتفظ بما تبقى من عافيتك؟!
يا ولدي؛ إني أعد لسفر طويل ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المطففين:٦)، وللصابرين على الصوم باب مخصوص في الجنة، ألم تسمع إلى قول أبي القاسم ﷺ: «إن في الجنة بابا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم؛ فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» (٣).
نعم يا عم، تقبل الله، نكمل كلامنا بعد الصلاة.
ونكمل السر أيضا!
لعلك يا قيس في شوق إلى معرفة السر الأكبر الذي أخفيته طيلة حياتي، وجاء الوقت لأذيعه على مسامعك وحدك دون غيرك!
قال قيس وقد لفته حمرة الخجل: ما أريد أن أشق عليك يا عم!
بل أستودعك إياه لتتعلم... فانظر إلى عيني اليسرى هذه!
نظر قيس إلى عين عمه بتفحص، كطبيب عيون حاذق؛ فلم ير فيها شيئا ذا بال، وأعاد الكرة غير مرة فإذا هي صحيحة فيما يرى!
قال العم: هذه العين التي تبدو لك سليمة لا يشوبها شيء؛ لا أرى بها منذ أربعين سنة!
أسرت الدهشة قيسا وصاح: أربعين سنة يا عم؟! هذا عمر طويل؛ فما أصبرك!
قال العم: وهذا ما أردته منك، أن تكون صابرا محتسبا؛ فبغير الصبر سيعيش الإنسان في جزع مهموما مغتما، وقضاء الله واقع واقع، ولولا الصبر لما تفاوتت درجاتنا، ألم يقل الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؟!
هز قيس رأسه إيجابا، ثم استأذن وانصرف مرددا: ما أصبرك يا عم، ما أصبرك يا عم!

الهوامش:
١- رواه الإمام أحمد في المسند.
٢- رواه مسلم
٣- متفق عليه

هبة أبو الفتوح
باحثة أسرية

دور الأسرة في تربية أطفالها

الأسرة هي الوحدة الأساسية للمجتمع، ولذا كان الاهتمام بالأسرة وتحسين أحوالها من الأمور المهمة لإصلاح المجتمع، لما للأسرة من مكانة متميزة في تربية النشء، هذا بالإضافة إلى العديد من الخصائص التي تتميز بها الأسرة تجعل دورها التربوي أكثر تأثيرا وعمقا في نفوس أعضائها.

ومن هذه الخصائص ما تتميز به الأسرة من أنها المؤسسة الأولى التي تتناول الطفل بالتربية، ويكون لها السبق في التأثير في شخصيته وسلوكه وقيمه، وبخاصة وهو في سن الطفولة المبكرة، حيث تشير الدراسات والأبحاث العلمية إلى أن سنوات الطفولة هي أهم السنوات في رسم ملامح شخصيته المستقبلية.

كما تتميز التربية في الأسرة بالدفء العاطفي، وطول الفترة التي يقضيها الطفل في الأسرة، مما ييسر عملية التعليم والتعلم، وتأثير الوالدين في الأبناء.

ويتمثل الدور التربوي للأسرة في تعليم إطار واسع من أنماط السلوك والقيم

والاتجاهات والمشاعر والمعارف، فيتعلم الطفل من الأسرة كثير من القيم والمهارات التي تسهم في بناء شخصيته.

وهذا يفرض على الآباء والأمهات، منح أطفالهم بعض الصلاحيات لتحريرهم من التبعية والخوف، ومن ثم تنمية شخصياتهم واستقلاليتهم واعتمادهم على ذواتهم، بشرط أن تكون مراقبة الآباء والأمهات عن بعد خوفا من الانحراف.

فالمقصود هنا منح الطفل مزيجا من الحرية والحماية من الأخطار في نفس الوقت، فهناك بعض الأمهات مثلا يقمن باحتجاز أبنائهن داخل حواجز خشبية، لحمايتهم من أخطار التجول في المنزل، والأفضل أن يتركن أبناءهن يتجولون داخل المنزل، بشرط حمايتهم من الإمساك بالأسلاك الكهربائية والأواني الساخنة والتحف الزجاجية وغير ذلك.

ففي انطلاقهم داخل المنزل بلورة وتنمية لشخصياتهم، إلى أن يحين الوقت الذي يؤهلهم للخروج من البيت وتكوين صداقات شخصية، على أن يكون هذا أيضا في إطار التوجيه الأسري.

وتعد استقلالية الأطفال بذاتهم واتخاذ قراراتهم من الأمور التي يجب أن يسعى الآباء والأمهات إلى التأكيد عليها، وتعويد أبنائهم على تحمل المسؤولية، إلا أن ذلك لا يأتي بين يوم وليلة، فهو يحتاج إلى تكاتف الأم والأب حتى لا يطغى تدليل طرف على شدة وحزم الآخر.

لذلك فتحمل المسؤولية واتخاذ القرار للأبناء تبدأ منذ نعومة أظفارهم ويتعلمها الأطفال كما يتعلمون القراءة والكتابة، ولا يمكن أن يتعلم الأطفال تحمل المسؤولية من دون تأهيلهم تدريجيا على استقلالية القرار، ومساعدتهم على بناء شخصيات ناجحة تعزز سلوكياتهم الإيجابية، فالطفل لا يولد عارفا بكل شيء.

ولهذا ينبغي أن يتعلم المسؤولية، وأن يعي أهمية التعاون والاحترام مثلما يتعلم المشي والكلام، لأن مصادرة حرية الأبناء في الشعور بالمسئولية يضعف الشخصية لديهم، ويجعلهم يطبقون هذه المسئولية خارج المنزل، مما يعرضهم للخطر، والوقوع في الانحراف.

فالطريق إلى مسئولية الأبناء يتمثل في عدة نقاط يجب أن يعيها الآباء والأمهات جيدا في تربية أبناءهم على الاستقلالية، والاعتماد على الذات، وتعليمهم مهارة اتخاذ القرار، فعندما يكبر الطفل يصبح مستقلا، ويعود إلى الآباء والأمهات إرشاده بلطف حين يكون مستعدا وقادرا وآمنا، فإذا ما أنكروا عليه هذه الحرية، يطالب بها وينتزعها بأي طريقة.

فيجب على الأم أن تبدأ بخطوات صغيرة وطرق بسيطة، ففي سن الخامسة يُفترض الطفل ألا يؤدي دور الخاضع على الدوام، حيث يجب أن يتعلم الأطفال أن لديهم القدرة على اتخاذ القرار، وجعلهم يشعرون بأهميتهم وممارستهم لاتخاذ القرار، مع ضرورة منح الأطفال فرصة لاتخاذ القرارات البسيطة يوميا، ويكون دور الآباء والأمهات هو الإرشاد ببعض الطرق والأساليب التربوية والنفسية الفاعلة التي تساعد أطفالهم على اتخاذ القرار السليم، وأهم ذلك اتخاذ قرارات بعيدة المدى عند تعليم أطفالهم، واحترام الخيارات والقرارات الأولى للطفل.

وختاما: يجب أن يدرك الآباء والأمهات أن عملية تعلم الطفل المسؤولية تبدأ مع مولده، ولا يستطيع تنمية الشعور بالمسؤولية من ذات نفسه، ولكن يتعلم الطفل شيئا من تحمل المسؤولية من العملية التي يلقاها من والديه والمعاملة التي يجدها ممن يحيطون به، ومن المهام التي تُسند إليه، إلى جانب البيئة التي يسودها جو من الحنان والعطف تساعد على نمو الشعور بالمسؤولية، فينشأ الطفل على روح التعاون والمحبة، وعلى إقامة علاقات إيجابية أساسها التفاهم والتوافق الإيجابي، وهما السبيل إلى تعلم المسؤولية.

خلف أبوزيد
كاتب صحفي

الحب الزوجي رباط الأسرة

ليس من الميسور تحقيق السعادة الزوجية المنشودة من دون حب متبادل بين الزوجين؛ فالحياة الزوجية التي تخلو من هذا الحب المتبادل حياة فارغة جوفاء، يسودها جفاف الحس وبلادة المشاعر وجلافة الذوق. ومن هنا يرشدنا الخالق عز وجل إلى هذا الأساس المتين، الذي تقام عليه أركان الحياة الزوجية السعيدة، في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم:٢١). فالحب عنصر جوهري ورباط متين، يعمق الإحساس بالانتماء الأسري بين زوجين، يعيشان تفاصيل هذا الحب في حياتهما اليومية. ولكي يتحقق ذلك، فله موجبات كثيرة ومتعددة، على كل زوجة وزوج القيام بها نحو الآخر، حتى ترفرف أجنحة السعادة عليهما، وسنحاول هنا الإشارة إلى أمثلة منها، على النحو التالي.

١. عليك أيتها الزوجة المحبة لزوجها، التحلي بالعديد من الصفات والخصال الحميدة، من طاعة وإخلاص ووفاء وتضحية وتواضع وقناعة ورضا، وتتسمي هذه الخصال والصفات من قول النبي ﷺ، عندما سئل أي النساء خير، قال عليه الصلاة والسلام: «التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسه، ولا ماله بما يكره» (رواه الطبراني).

٢. انشري الذوق الرفيع والجمال الهادئ على بيتك، بالأناقة والنظافة والنظام والذوق اللطيف، فكل هذه الأمور تديم روابط المحبة مع زوجك، وتمنح حياتكما الزوجية قوة ومناعة. وأهمس في أذنيك بوصية الأم العربية لابنتها من قديم الزمان، وهي تذكرها بهذا الجانب المهم، الذي تملك به الزوجة قلب زوجها «أي بنيتي، لا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح».

٣. أسمعي لزوجك بلطف ورقة وسعة صدر وهدوء وعذوبة، خصوصا في أوقات أزماته، ولا تكوني سلبية معه، فالسلبية تجعل الزوج يضيق ويتبرم بالحياة معك ويملها، بينما مشاركتك له بإيجابية وصبر وإخلاص تجعلك مستودع سره، فأنت الزوجة المحبة والصديقة المخلصة، ولك ولسائر النساء في السيدة خديجة بنت خويلد - رضي

الله عنها – نعم المثل في الزوجة المحبة الوفية، التي تثق بزوجها وتقويه وتعينه على تحمل نوائب الدهر، وتؤازره ماديا ومعنويا، وقد بادلها رسول الله ﷺ إخلاصا ووفاء حتى بعد وفاتها، فقد ظل يذكرها بالخير أمام الناس، ويقول: «إني رزقت حبها» (رواه مسلم). فاعتبر حبها رزقا ونعمة، وأعلن ذلك الحب على الملأ.

٤. ابتعدي عما يعكر صفو حياتك الزوجية من غيرة شديدة وعتاب مفرط وشك ونحو ذلك من أمور تجعل من الزوج يفر من سكن الزوجية، ملتمسا الهدوء والراحة بعيدا عنك. فقد ذكر عن جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه حذر ابنته عند زواجها من خطورة هذا الأمر قائلا: «إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق. وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء».

٥. أشعري زوجك بالاستقرار الأسري، بخلق بيت يمنحه الشعور بأن له جذورا يرتبط بها وقلبا محبا يتجاوب معه في كل مراحل حياته، فكوني معشوقته في شبابه، ورفيقته في كهولته، وممرضته في شيخوخته.

٦. عامليه برقة ولطف، فهذا ما يسعده ويمتص تعبه وهمومه، فإذا خرج من البيت فودعيه ببسمة واستقبليه ببسمة، حتى يسارع عائدا ليسكن تحت أغصانك، ولا تنسي أن الزوج هو الرفيق والأنيس في الحياة، فعليك أن تقطفي من عمر الزمان معه أحلى الأيام بوفاء وصفاء وإخلاص، وانظري لهذه الصور الرائعة للزوجة المحبة، السيدة عائشة – رضي الله عنها – التي تغلغل في شغاف قلبها زوجها رسول الله ﷺ، فتقول: «كان رسول الله ﷺ يدخل رأسه وهو في المسجد فأرجله» (رواه مسلم). فهو يسلم لها رأسه لتمشط شعره بيدها، وتقول رضي الله عنها: «كنت أشرب فأناوله فيضع فاه على موضع في» (رواه مسلم). أي جمال هذا!؟ وأي مشاعر جميلة في هذه العلاقة الزوجية الراقية؟!

٧. حافظي على حيويتك الذهنية بالقراءة والاطلاع المفيد لتصلي إلى مستوى رفيع من الفكر الناضج، الذي يحقق التوافق الفكري والنفسي والاجتماعي مع زوجك الذي سيسعد بزوجة ناضجة في تصرفاتها وأفعالها، مستأنسا بحديثها وجميل آرائها.

أما أنت أخي الزوج فلا يقل دورك أهمية عن دور الزوجة في تحقيق هذا الحب والوئام مع شريكة حياتك، ولكي يتحقق هذا الحب فعليك:

١. إشاعة جو من البهجة والمرح على بيت الزوجية، وليكن قدوتك في ذلك رسول الله ﷺ، فقد وصفته السيدة عائشة – رضي الله عنها – في بيته فتقول: «كان ألين الناس ضاحكا بساما»، «وكان يسلم على أهل بيته».

٢. تحل بالمشاعر الفياضة والأحاسيس النبيلة تجاه زوجتك، وقد علمنا النبي ﷺ أبسطها في قوله: «اللقمة تضعها في فيّ امرأتك صدقة».

٣. شارك زوجتك في أعباء المنزل ورعاية الأبناء، كي تكون خير قدوة ونبراس لهم في المشاركة والتعاون، فعندما سئلت السيدة عائشة – رضي الله عنها – ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته فقالت: «كان في مهنة أهله» (رواه البخاري)، أي كان يساعدهم في الأعمال المنزلية. وفي رواية: «كان يخيط ثوبه ويخصف نعله»، فهذا من الأشياء التي تجعلك قريبا من زوجتك، محبوبا لها، ويقلل من حواجز الرهبة بينكما.

٤. اصفح عن هنات زوجتك وسامحها إذا ما أخطأت، واحذر من توجيه اللوم لها أمام الآخرين، فالمرأة حساسة بطبعها، وإن كان هناك ما يستوجب اللوم والعتاب فيكون بينكما بالحوار والنصح، اللذين لا يؤذيان كرامتها.

٥. لا تقلل من قدر زوجتك بإظهار عيوبها أمام الآخرين، وقد علمنا رسول الله ﷺ أن لكل امرأة مميزات وعيوبا، فيقول: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها آخر» (رواه مسلم). فهذا قمة الإنصاف والرحمة، إذ لا توجد امرأة كاملة، أو رجل كامل، فإذا لم يعجبك شيء منها فنظر إلى مزايا أخرى فيها.

٦. قدم هدية، ولو شيئا بسيطا، لزوجتك، فإن مثل هذه الهدية، تشعرها بأنك مهتم بها، ومفتاح مهم إلى قلبها، وغذاء لهذا الحب الزوجي.

وفي النهاية نقول إن الحب الزوجي هو النبع الرقراق، الذي يملأ حياة الأسرة بالهناء والعطاء وحرارة العاطفة، التي لا تعرف العقم الوجداني ولا الجمود العاطفي، الذي يزلزل أركان الأسرة ويقضي على دعائم استقرارها.

أ. د. أحمد الحجي الكردي
خبير فقهي

تعدد الزوجات في الشريعة الإسلامية

موضوع تعدد الزوجات أخذ لدى بعض الناس جدلا كبيرا، فمنهم من يراه اعتداء على الزوجة الأولى وإضرارا بها، ومنهم من يراه حلا مناسبا، بل ضروريا أحيانا لمشكلة العنوسة في المجتمع، التي قد ترتفع نسبتها في بعض المجتمعات؛ نتيجة حروب مدمرة، أو كوارث متلاحقة، يكثر فيها موت الرجال، وتبقى الزوجات بغير معيل ينفق عليهن، أو يطفئ رغبتهن الجنسية الإنسانية الطبيعية، وكثير من الناس يبقى حائرا بين هذا المذهب والمذهب الآخر، ولا يعرف ماذا يقول أو ماذا يفضل، ومن هذا المنطلق أردت أن أعرف الجميع بحكم الشريعة الإسلامية في هذا الموضوع المهم، والخطير في الوقت ذاته، مدللا بالنصوص الشرعية القاطعة، التي تبين حكم الله تعالى في المسألة.

فقد أجمع الفقهاء على عدم فرضية تعدد الزوجات، ولا وجوبه، ولا سنيته، ولكنه مباح في حدود أربع زوجات لا يزاد عليهن، فإن طلق الزوج إحداهن ومضت عدتها أو ماتت، جاز له الزواج من رابعة بعدها، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء:٣). وقد يصبح التعدد مندوبا، أو مستحبا في بعض الأحوال، أو مكروها في أحوال أخرى؛ فيكون مندوبا إذا كثر العوانس والأرامل في المجتمع بسبب حروب أو كوارث، فهو الحل الأمثل في هذه الأحوال؛ ويكون مكروها إذا كان القصد منه الإضرار بالزوجة الأولى وإثارة الغيرة في نفسها فقط، لا أكثر من ذلك.

وإباحة التعدد مشروطة شرعا بشرطين اثنين: الأول هو القدرة المادية على الإنفاق عليهن جميعا، ولو بالقدر الضروري فقط. والثاني هو نية العدل بينهن في كل ما يمكن العدل فيه بينهن، من النفقة والمبيت وحسن المعاشرة. فمن لم يوفر ذلك لهن لم يحل له التعدد، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾، وقال الرسول ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (متفق عليه)، فإذا كان الزواج من الأولى مطلوبا فيه القدرة على الإنفاق عليها، فيكون ذلك في التعدد أولى.

وبذلك يكون التعدد بين الزوجات في الإسلام – في حقيقته – معالجة إنسانية لمشكلات اجتماعية لا يغني غيره عنه فيها، وليس تلبية لرغبة الرجال الجنسية على حساب رغبات النساء كما يظن بعض الناس.

والله تعالى أعلم.

أيمن دراوشة
باحث دراسات إسلامية

نساء حول الإسلام

سمية بنت خياط

عرفت سمية - رضي الله عنها - من خلال قصة عذاب آل ياسر، حيث كان المسلمون في مكة مستضعفين، وينالون من العذاب والتنكيل ما تعجز عن تحمله الجبال، ولم يصبر عليه إلا من كان إيمانهم راسخا كالطود.

وكانت سمية سابع من آمن ودخل الإسلام، كما عذبت عذابا شديدا، وهي عجوز كبيرة طاعنة في السن، فصبرت صبرا جميلا ولم ترتد عن الإسلام.

ولو عدنا إلى الوراء قليلا لشهدنا قافلة تقارب الوصول إلى مكة، وهي قادمة من بلاد اليمن، وقد سارت القافلة سيرا طويلا حتى هدها التعب، فاستقر رجالها بواد من الأودية المنتشرة هنا وهناك، وهم يفكرون في دخولهم غدا إلى مكة للتجارة جانب البيت العتيق، ويحلمون بما سيتمتعون به من نعيم.

وابتعد عن القوم ثلاثة رجال لم يكن يشغل بالهم ما يشغل بال الآخرين، فقد كانوا يبحثون عن شيء آخر، فقد كان الإخوة الثلاثة، الحرث ومالك وياسر، يبحثون عن أخ لهم مفقود، كان قد خرج من قبيلته في اليمن وانقطعت عنهم أخباره، ولا يعرفون له طريقا، وكانوا يأملون في أن يجدوه في مكة، لأنها ملتقى العرب جميعا.

دخلت القافلة إلى مكة، واستقبلتها قريش برجالها، أما ياسر وأخواه فقد بدأوا يتنقلون في كل أرجاء مكة بحثا عن أخيهم المفقود، حتى استهوت حياة مكة ياسر وتمنى أن يبقى فيها.

وحين عادت القافلة إلى اليمن، ودع ياسر أخويه، وقرر البقاء في مكة إلى جوار بيتها العتيق، وهكذا عاد الأخوان وقد انفصل عنهما أخ ثان إلى الأبد.

لم يكن لياسر قبيلة تدافع عنه أو تؤويه، وتمنع عنه المظالم، حيث كانت الحياة للأقوى في طول الجزيرة العربية وعرضها، ولم يكن أمام الضعيف سوى الاستعباد والذل، وهكذا وجد ياسر نفسه في حمى بني مخزوم يعيش في ظلهم وحمايتهم.

امتدت الأيام حتى تزوج ياسر من أمة تدعى سمية بنت خياط، فانجب منها عمارا وعبيدالله، وسارت الأيام مسرعة حتى بلغ ياسر وسمية من العمر عتيا، وكان عمار قد أصبح شابا واكتملت رجولته.

وبدأ المنعطف التاريخي الكبير لسمية مع بداية الدعوة الإسلامية، ومنذ فجر بزوغها، حيث التقط ابنها عمار ما تداوله الناس من أفكار عن الدين الجديد، ولم يدر إلا وقدماه تقودانه إلى دار الأرقم، وهو يتلفت يمنة ويسرة خوفا من مراقبة قريش.

وحين وصل أمام الباب التقى بصهيب بن سنان الرومي، وهو مثله غريب عن مكة، دخل الاثنان على الرسول ﷺ، فسمعا كلامه وخرجا مسلمين.

عاد عمار إلى أبويه، وهو يشعر بغبطة الإيمان تستقر في صدره، فأخذ يحدث والديه بما جرى معه، ونقل إليهما كلام محمد ﷺ، وعرض عليهما الإسلام، فوافقا فورا، وأسلما، ومنذ تلك اللحظة انقلبت حياتهم رأسا على عقب، فما أن علم بنو مخزوم بإسلامهم حتى جن جنونهم، خصوصا بعد أن أعلن آل ياسر إسلامهم جهارا، وهذا ما اعتبره بنو مخزوم تحديا سافرا لهم، فانقضوا عليهم يذيقونهم أشد أنواع العذاب، حتى أخرجوهم إلى جبال خارج مكة وأوثقوا قيودهم، وتركوهم تحت أشعة الشمس المحرقة.

لم تكن سمية قوية الجسم كالرجال، ومع ذلك ظلت صابرة مؤمنة تتحمل العذاب والمهانة، ما لا طاقة للرجال الأقوياء به، فقد أصبحت أمام المسلمين نموذجا للبطولة والإيمان.

وهذا ما زاد نقمة قريش وحقدهم، وحينما مرض أبو جهل يوما أمام سمية لم يتحمل أن تجرح هذه المسلمة كبرياءه، فهجم عليها وطعنها بحربة حتى استشهدت.

وكان الرسول ﷺ يمر بآل ياسر، فيراهم يعذبون في رمضاء مكة، فيقول: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة».

استشهدت سمية بنت خياط قبل الهجرة، فكانت من أوائل شهداء الإسلام، ولما هاجر المسلمون واشتد ساعدهم، قتل أبو جهل يوم بدر، فقال النبي ﷺ لعمار: «قتل الله قاتل أمك رضي الله عنها».

بشرى شاكر
إعلامية مغربية

المنظومة الزوجية والمال

الحياة الزوجية ليست رباطا يوثقه عقد وينتهي الأمر، إنما هي بداية مسؤوليات جديدة، مسؤوليات تنتقل من المسؤولية التي يتحملها الفرد عازبا منفردا إلى مسؤوليات جديدة على الزوجين أن يتحملاها معا، وبالإضافة إلى تحمل مسؤولياتهما قد يتحمل كل منهما جزءا من مسؤولية الآخر تجاه عائلته أو بعض أفراد عائلته أو دراسته أو التزاماته أو على الأقل احترام أن لكل مسؤولية أحضرها معه.

من الأمور التي يمكن أن تكون نقطة لقاء وأيضا نقطة اختلاف بين الأزواج، هو المال، أو التدبير المالي للمؤسسة الزوجية، وأهم المشاكل التي تواجه الزوجين بهذا الشأن حسب الأخصائية الفرنسية Marie-Adèle Claisse صاحبة كتاب «قل نعم للمال»، أن الحديث عن المال داخل المنظومة الزوجية تبقى من المحظورات، تماما مثلها مثل العلاقة الجنسية، بحيث اعتدنا أن نسمع عبارة «حينما نحب لا نتحاسب»، لذلك فإن الجميع يفضل

الصمت عند نقطة الحديث عن المال عوض أن يسيء للآخر، ولكنه يسيء لنفسيته وبالتالي بالتأكيد سوف ينفجر يوما في وجه شريكه.

من البدهي جدا وخاصة في بداية الحياة الزوجية أن يحمل كل منهما ذكرياته القديمة معه، ومن الطبيعي جدا أن يشعر كل من الزوجين بالقلق، خاصة أن كلا منهما يرى نفسه أمام المجهول، المجهول في طريقة الإنفاق، المجهول في طريقة التدبير.. طريقتي تختلف عن طريقتك وتختلف عن طريقة الآخر، ما أراه مهما للبيت وعلي أن أقتنيه، قد لا يهمك بنفس المرتبة وما تراه مهما قد لا يكون مهما بالنسبة لي.

ولهذا فإن مرحلة مهمة تسبق مرحلة التفاهم حول مصروف شهري مثلا أو حول طريقة التدبير المالي للبيت الزوجي والأسري، هي أن نتعرف على خلفيات الشخص الذي نعيش معه، فإن كان أحد الزوجين قد عاش في فقر وعوز من قبل مثلا، فليس من المستغرب أن يخشى من الإنفاق الكثير ويخشى من الغد فيبدو لك بخيلا، بينما له دوافعه.. وإن كان أحدهما اعتاد على الإسراف والبذخ في حياته كعازب، فبدهي ألا يتغير بين ليلة وضحاها، وقد يحتاج لوقت ليدرك أن الوضع تغير وأن عليه أن يتقيد بمنظومة جديدة هي منظومة الزواج.

غالبية الأسباب التي تجعل التدبير المالي عسيرا بين الزوجين هي:

شعور أحدهما بالحيف، فكثيرا ما يرى أحدهما أنه يدفع أكثر من الآخر في مصروف البيت وأحيانا يرى أحدهما أنه ليس عليه أن يتشارك في المصروف بنفس المقدار مع أنه يكسب أقل وربما تجد من يردد أنه يدفع كل الفواتير بينما الآخر يخسر ماله على أشياء تافهة أو لديه ديون كثيرة لا علاقة له بها.

هناك أيضا حالة جلوس أحدهما دون عمل حتى وإن كان يهتم بكل مشاكل البيت والأطفال والأشغال، إلا أنه دائما يشعر أنه أقل من الآخر الذي يدر مردودا على البيت وينفق عليه.. في السابق كانت السيدة من تعاني من هذا فقط، فعادة ما تهتم بكل أشغال البيت وبالأطفال وبمساعدتهم على الدراسة ومراجعة أعمالهم المنزلية وبالتنظيف والطبخ والكنس والتسوق، ومع ذلك فإنها تخشى أن تطلب مصروفا إضافيا لأن زوجها يشعرها دائما أنه من يكد ويكافح بينما هي لا تفعل شيئا! هذا الإحساس بات يشعر به الرجال الآن أيضا، فكم من الأسر الآن تعيلها سيدة، ويضطر الأب للعب كل الأدوار التي تلعبها عادة الأم والزوجة في البيت.

طبعا في ديننا الإسلامي، معروف شرعا وعرفا أنه على الرجل أن يتحمل الصرف، ففي سورة النساء ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ (النساء:٣٤)، كما أن منظومة الإرث التي تجعل للرجل ضعف نصيب الأنثى إضافة إلى زيادة التعصيب والنصيب في الميراث.. كلها قواعد تجعل منه المنفق الأساسي، ونفقة المرأة غير واجبة عليها لنفسها أو لأسرتها، ولو أنه في بعض البلدان العربية والإسلامية أصبح الإنفاق في مدونات الأسرة بالمشاركة أو بالمناصفة، وذلك لأن الزمن يتطور والاحتياجات أيضا تتطور والحالة الاقتصادية للنساء اليوم قد تكون لدى بعضهن أفضل بكثير من حالة الرجال، ولذلك أصبح من الأفضل تشارك الزوجين بالتراضي في واجبات ومسؤوليات البيت والأسرة، وبالتالي في الإنفاق.

ولتفادي مشاكل المال بين الأزواج هناك بعض نصائح عملية قد تساعد على التقبل النفسي لفكرة المشاركة وتفهم هذا الترابط الذي يكون روحيا وجسديا وأيضا ماديا.

أولا، على الزوجين أن يستمع بعضهما لبعض، وأن يتحليا بالصبر، حتى وإن لم يعجب أحدهما رغبة الآخر في شراء شيء ما، فليتركه يتحدث، فربما له وجهة نظر لن يفهمها حتى يصغي له، استمع وكن صبورا دون أن تحكم مسبقا أو تنتقد كثيرا.

على الزوجين أن يتفاديا عبارات قد تجرح، مثل «أنت بخيل»، «لو كنت تزوجت غيرك لكنت أعيش في نعيم»، «لقد اعتدتَ حياة البذخ ولا تشعر بغيرك». إلى غيرها من العبارات التي كلنا نعرفها ونعيها.

ضع مكانك في مكان الآخر، فله مخاوفه وهواجسه وله قيمه ومبادئه وله أيضا معتقداته وله أيضا مسؤولياته تجاه أهله وأسرته وبالمقابل على الآخر أيضا أن يفعل مثل ذلك.

عليك أن تتقبل مخاوف شريكك كما تريده أن يتقبل مخاوفك والأهم أنه يمكننا أن نعاتب في حال أضعنا مالا على شيء لم نستفد منه، ولكن ليس لدرجة نستفز بها الشريك ولا نجعلها حكاية نرويها بين الفترة والأخرى لنبين له أنه كان غبيا حينما اشترى ذلك الشيء أو أننا نفهم أفضل منه.. ما ذهب قد ذهب والعتاب لتفادي الخطأ لاحقا أمر جميل، ولكن العتاب للتوبيخ والتأنيب الأزلي أمر يجعل شريكك يتخوف منك وينفر منك ولا يخبرك بقراراته.

من البدهي أن نشعر بذلك التخبط في بداية الحياة الزوجية، من الخوف من طريقة تعامل الآخر مع المال، ولكن مع العشرة وبالمحبة والمودة والتراحم يمكن للزوجين أن يبنيا علاقة جيدة تربطها أسس وقواعد ثابتة، فيصبح لديهما المال وسيلة لرفاهية وحياة أفضل، وليس نقطة يرتكز عليها الزواج.

د. إدريس صالح
أستاذ مشارك بجامعة
المنيا - مصر

الأسرة والمدرسة وثقافة العمل الجماعي عند الأطفال

الكل يعمل في جماعة.

النمل تبني قراها في تماسكها
والنحل يجني رحيق الشهد أعوانا

إنها سنة ربانية أن يكون العمل الجماعي هو الأصل في الحياة. أنظر حولك فلن تجد أبدا من يعمل وحده؛ الإنسان، الحيوانات، الطيور، كلهم يعملون بشكل جماعي بديع، ومن ظن أنه يقدر وحده على النجاح، فهو واهم، خدعه الغرور، والناظر في التاريخ يرى أن جدودنا الأوائل اعتادوا العمل معا من أجل البقاء (١).

الإنسان لا يعيش منفردا أو منعزلا عن الآخرين، بل في جماعة يؤثر فيها ويتأثر بها، ومن خلال تفاعله معها يتعلم، ويكتسب معارف ومهارات وقيما واتجاهات وسلوكيات تجعله أكثر قدرة على الحياة، ولذلك فالإنسان مطالب بالتفاعل مع الجماعة التي يعيش فيها، وما يتطلبه هذا التفاعل من عمل مشترك بينه وبين أفرادها، ولهذا تتضح حاجة الإنسان إلى امتلاك مهارات العمل الجماعي، والاتجاه الإيجابي نحوه، حتى يستطيع الحياة، والتأقلم مع متغيراتها وتحدياتها.

ولأهمية العمل الجماعي للإنسان، كان من الضروري الاهتمام به منذ الصغر، وتدريب الأطفال على

بعض مهاراته، سواء في الأسرة أو المدرسة، من خلال ممارستهم لكثير من الأنشطة الجماعية التي تغرس فيهم تلك المهارات، وتنمي اتجاهات وقيما إيجابية من خلال عملهم الجماعي.

مفهوم العمل الجماعي

يوجد أكثر من رأي وتعريف لمفهوم العمل الجماعي، فالبعض يعرف العمل الجماعي على أنه «مجموعة من الأفراد يعملون مع بعضهم لأجل تحقيق أهداف محددة ومشتركة». والبعض يعرفه بأنه «مجموعة من الأفراد يتميزون بوجود مهارات متكاملة فيما بينهم. وأفراد الفريق تجمعهم أهداف مشتركة وغرض واحد، بالإضافة إلى وجود مدخل مشترك للعمل فيما بينهم وتحقيق النجاح المنشود». ورأي ثالث يعرفه على أنه «جماعات يتم إنشاؤها داخل الهيكل التنظيمي لتحقيق هدف أو مهمة محددة تتطلب التنسيق والتفاعل والتكامل بين أعضاء الفريق. ويعتبر أعضاء الفريق مسؤولين عن تحقيق هذه الأهداف، كما أن هناك قدرا كبيرا من التمكين للفريق في اتخاذ القرار» (٢).

ومن ثم فالعمل الجماعي هو العمل الذي يتطلب مشاركة أكثر من فرد في إنجاز وتحقيق هدف مشترك، اعتمادا على ما لديهم من تنوع في المهارات والقدرات التي تتكامل معا لتحقيق الهدف.

العمل الجماعي في القرآن والسنة

يحثنا الإسلام على العمل الجماعي، والتعاون مع الآخرين، ولعل هذا يظهر في قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢). فالآية الكريمة تأمر بالتعاون الهادف لنفع الناس، وتنهى عن التعاون الذي ينتج عنه ضرر وعدوان على الناس.

وكذلك حثنا رسول الله ﷺ في أحاديثه عن العمل الجماعي والتعاون بين المسلمين، ومنها قوله ﷺ: «يد الله مع الجماعة» (٣). وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن المراد بذلك هو رعاية الله لهم، وعنايته بهم، وأنهم في كنفه وحفظه، وقوله أيضا: «إن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في عمله الخير، والرامي به، والممد به» (٤).

وتتضمن كثير من الفرائض والعبادات الإسلامية تأكيدا للعمل الجماعي، مثل الصلاة، التي يثاب عنها الفرد بدرجة واحدة عندما يؤديها منفردا، ويثاب عنها بسبع وعشرين درجة عندما يؤديها في جماعة، وهذا ما أكده رسول الله ﷺ في قوله: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» (٥).

وقد ظهر جليا تطبيق العمل الجماعي في كثير من أعمال رسول الله ﷺ، ودعوته إلى العمل في جماعة، بل والمشاركة فيه، مثل بناء مسجده في المدينة المنورة، وحمل المعول مع المهاجرين والأنصار لحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وغيرها من الأمثلة التي تؤكد دعوة الإسلام للعمل الجماعي والتعاون بين المسلمين.

أهداف العمل الجماعي

يحقق العمل الجماعي لدى الأطفال مجموعة من الأهداف، منها:

- يساعد الطفل على تنمية شخصيته، وتحمل المسؤولية، واحترام النظم، وتنمية قدرته على التعاون، والمشاركة مع الآخرين، والمساهمة في حياة مجتمعه.
- ينمي القدرة على اكتساب المهارات المرتبطة بالعمل الإنساني، كالمهارات الإنتاجية التي تساعد الفرد على اتخاذ القرار، وزيادة حصيلته المعرفية وسرعة إنجاز العمل، وكذلك المهارات المرتبطة بالنشاط كالمهارات الرياضية والثقافية والفنية.
- ينمي قيم الحوار والمناقشة بين أعضاء الجماعة، واشتراكهم في تصميم وتنفيذ الخطط والبرامج.
- المشاركة مع الآخرين في تحمل المسؤولية تساعد الفرد على اكتساب وتنمية قدراته ومهاراته القيادية (٦).

وتأكيدا لذلك، أجرى فريق من الباحثين بجامعة إلينوي الأمريكية

في عام ٢٠١٦م دراسة حول الأهداف التي يمكن تحقيقها من تدريب الأطفال على العمل الجماعي. وشملت الدراسة عينة قوامها ٧٦٤ تلميذا في الصف الخامس الابتدائي، تم تدريب بعضهم على تعلم المنهج الدراسي من خلال المشاركة في مجموعات، وأداء أعمال جماعية، مقارنة بتدريب البعض الآخر على تعلم المنهج نفسه عن طريق اتباع تعليمات المعلمين، وأظهرت النتائج أن الأطفال الذين تعلموا خلال العمل الجماعي كانوا أكثر قدرة على صنع القرار من الأطفال الآخرين (٧).

الأسرة والعمل الجماعي

تؤدي الأسرة دورا كبيرا في تنمية ثقافة العمل الجماعي لدى الأطفال، من خلال الممارسات الأسرية التي تتم بين أفرادها، مثلما يرى الطفل تبادل الآراء، والمشاركة الجماعية في اتخاذ القرارات التي تخص الأسرة، وتقبل آرائه، وحثه على المشاركة في صنع القرار.

من الضروري مشاركة أفراد الأسرة للطفل في بعض الألعاب المنزلية التي تتطلب العمل الجماعي، وتجنب لعب الطفل بمفرده كل الوقت، أو انخراطه في ألعاب إلكترونية مستخدما الهواتف الذكية أو شبكة الإنترنت بمفرده دون متابعة وتقنين، الأمر الذي قد يسبب الانعزالية، والفردية في سلوكياته، وكذلك تشجيعه على مشاركة الأطفال الآخرين في اللعب، وتبادل الأدوار والألعاب.

إن الممارسات الأسرية التي يراها الطفل تؤثر عليه مستقبلا، وقد تكون عاملا إيجابيا في تقبله للآخرين، ومشاركتهم في تنفيذ المهام والأنشطة، أو عاملا سلبيا يدفعه للعزلة والفردية والذاتية، وتفضيل مصلحته الشخصية على مصلحة المجتمع الذي ينتمي إليه.

المدرسة والعمل الجماعي

يقترح التربويون أن يقسم وقت التلاميذ بين العمل الفردي والعمل الجماعي، وذلك لتحقيق هدفين رئيسيين: أولهما العمل على مشاركة التلميذ في العملية التعليمية؛ ليتمكن من الحصول على المعلومات بنفسه، مع الاهتمام بمعرفة وتقدير طبيعته النفسية وحاجاته ودوافعه وميوله وقدراته. والثاني تهيئة الفرص المناسبة للعمل الجماعي، والتفاعل بين التلاميذ لحل المشكلات، وتكوين حقائق مشتركة، والتفكير في قضايا واهتمامات اجتماعية (٨).

ولذلك وجب على المدرسة تعزيز العمل الجماعي، وتنمية مهاراته، من خلال الممارسات والأنشطة التربوية داخلها، مثل:

- حث الأطفال على المشاركة في الأنشطة المدرسية المناسبة لقدراتهم ومهاراتهم.
- توظيف المعلمين لاستراتيجيات وطرق التدريس القائمة على العمل الجماعي في عمليات التعليم والتعلم للمنهج الدراسي.
- توفير الأنشطة الصيفية التي تتيح للأطفال المشاركة الجماعية، مثل الأنشطة الرياضية والفنية والاجتماعية والثقافية.
- مشاركة الأطفال في بعض القرارات التي تخص الفصل الدراسي ومشكلاته، مثل البرلمان المدرسي، وإدارة الصف.
- تخصيص جوائز ومكافآت تشجيعية لفرق العمل الجماعي المتميزة.

وفي ضوء ما سبق، تتضح أهمية مشاركة الأطفال في أعمال جماعية تنمي مهاراتهم واتجاهاتهم، لما لها من تأثير كبير في نمو الأطفال، ومشاركتهم المستقبلية في نشاطات مجتمعية وعملية تتطلب العمل الجماعي السليم، الذي يحقق الأهداف المرجوة بفاعلية، وهو الأمر الذي يفرض على الأسرة والمدرسة الاهتمام بأنشطة العمل الجماعي، وتوفير الفرص المناسبة لممارسة الأطفال له داخل الأسرة والمدرسة.

الهوامش

١- إبراهيم الفقي (٢٠٠٩م)، العمل الجماعي، القاهرة، دار أجيال للنشر والتوزيع، ص٩.

٢- سلمان زيدان (ب.ت)، روح العمل الجماعي وفضائل الحياة، ماليزيا: جامعة المدينة العالمية.

٣- محمد بن عيسى الترمذي (١٤٢١هـ)، سنن الترمذي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، دار المعارف للنشر والتوزيع، ص٤٩٠.

٤- أبو العلا محمد عبدالرحمن المباركفوري (١٩٩٧م)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية.

٥- أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، (٢٠٠٢م)، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، حديث رقم ٦٤٥، دمشق، بيروت، دار ابن كثير.

٦- عدلي سليمان، (١٩٩٢م)، العمل مع الجماعات بين النظرية والتطبيق، القاهرة، مكتبة عين شمس.

7- Zhang, X., et al. (2016م). ImprovingChildren's Competence as Decision Makers: Contrasting Effects of Collaborative Interaction and Direct Instruction. American Educational Research Journal, 53 (1), 194 - 223.

٨- أحمد حسين اللقاني وآخرون (١٩٩٠م)، تدريس المواد الاجتماعية، القاهرة، عالم الكتب.

د. محمد رشيد العويد
خبير استشارات أسرية

حديث الرجل وزوجته

على الرغم من أني أدعو إلى الشفافية بين الزوجين، لشدة قرب كل منهما من الآخر، كما قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة:١٨٧)؛ فإني أوصي بأن يحرصَا على أن يُبْعِدَا هذه الشفافية عن أمور يحسُن أن تبقى مكتومة، وخاصة من الرجل.

من ذلك: المواقف المحرجة التي مر بها الرجل في حياته، خاصة إذا كان قد أخفق في التخلص منها بنجاح، لأن هذا يُظهره ضعيفا أمام زوجته، لا يُحسن التصرف، وبالتالي فإنه لا يستحق ثقة زوجته فيه، واعتمادها عليه.

ومنها إساءاته للناس، وخاصة لأهله، فإن زوجته ستجد فيها شواهد على أنه سيء، ولا يصدر عنه إلا ما هو سيء، وأكثر ما تقول له هذا حين يختلفان أو يتشاجران، فإنها قد تخاطبه قائلة: هكذا أنت منذ زمن وليس الآن فقط، ما دمتَ أسأتَ إلى أهلك كثيرا فليس عجيبا أن تسيء إليَّ الآن.

وإذا كان الرجل يبرر حديثه الشفاف لزوجته بأنه كان بعد توبته وإقلاعه، فإن هذا التبرير لن ينفع، لأن زوجته قد تأخذ ما تحتاجه من اعترافه لإدانته به دون اكتراث بأي شيء آخر.

وأقول للزوج: لعلِ من أهم ما يجب أن تكتمه؛ تفاصيلَ خطبتك وزواجك السابقَيْن، إذا كنت قد خطبت امرأة قبلها أو تزوجتها، فسردُك تفاصيل ما جرى فيهما لن يجُرَّ عليك إلا الإزعاج واللوم والنقد، ولو بعد حين.

حتى ولو حاولتْ زوجتك استدراجك للحديث عنها؛ فإن عليك أن تصرفها عن طلبها بلطف قائلا: دعينا ممّا مضى فلن نستطيع تغييره أو تبديله، ولنتحدث عن حياتنا معا.

كذلك إخفاقاتك في عملك؛ فليست جميعها تصلح لإخبار زوجتك بها؛ على الرغم من حاجتك إلى من تفضي إليه بآلامك وأحزانك، لكن بعض تلك الإخفاقات، وخاصة ما كان تقصيرُك سببا فيها، يحسن أن تكتمه عنها؛ حتى لا يكون مادة لنَيْلها منك ونقدها لك.

ومما يحسن إخفاؤه أيضا ما تملكه من مال، ومقدار راتبك، وخاصة إذا كانت زوجتك مسرفة، ولا تعينك على الادّخار؛ ذلك أن معرفتها بما تملكه قد يجعلها طامعة فيه، راغبة في إنفاقه.

وهذا الأمر ليس مطلقا، فبعض الرجال هم المسرفون، ونساؤهم هن المدَّخرات، وهؤلاء ينبغي أن تعرف زوجاتُهم كلَّ شيء، بل يحسن أن يُدرّنَ بأنفسهن أموالَ أزواجهن المسرفين الذين لا يحسنون الادخار.

وليس كلُّ ما يخطر في ذهنك من أفكار ومشاريع، وآراء وتعليقات، يصلح لأن تبوح به إلى زوجتك، فقد يكون بعضها مادة لسخريتها، أو انتقاصها، أو تسفيهها لك.

يبقى أن أؤصل شرعًا لهذا الذي دعوت إليه، وأنه ممّا دعا إليه الإسلام، وأوصى به النبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

فلقد نهى ﷺ عن الجهر بالمعصية، وأمَرَ المسلمَ بأن يستر على نفسه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل أمتي مُعافَى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجلُ بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه ويصبح يكشف سِتر الله عنه). متفق عليه.

قال ابن القيِّم: المستخفي بما يرتكبه أقل إثما من المجاهر المستعلن، والكاتمُ له أقل إثما من المخبر المحدث للناس به، فهذا بعيد من عافية الله تعالى وعفوه، كما قال النبي ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين».

وقال ابن حجر: من قصد إظهار المعصية والمجاهرة، أغضب ربَّه، فلم يستره، ومن قصد التستر بها حياء من ربه ومن الناس، مَنَّ الله عليه بستره إياه.

ومن تأصيل ما دعوت إليه من كتمان أيضا، قوله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما يسمع».

ومع أن الحديث ينهى عن التحديث بكل ما يسمعه المرء من الآخرين، أرى أنه لابأس أيضا من أن نجد فيه نهيا عن أن يحدث المرء بكل ما يسمعه من حديث نفسه وأفكار عقله، ونزغات شيطانه، حتى ما يراه في منامه، قال النبي ﷺ: «لا يُحَدِّثَنَّ أحدُكم بتلعُّب الشيطان به في منامه».

إنّ كثيرًا من نزاعات الزوجين تبدأ بكلام لو كتمناه لاتقينا حدوث تلك النزاعات.

قال الشاعر:

ما إنْ ندمتُ على سكوتي مرة
ولقد ندمت على الكلام مرارًا

ولنجعل حديثه ﷺ منارًا هاديًا لنا، «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمُت».

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٢)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة العصور

ANCORA IMPARO

العصور

العدد ١ مجلد ١ — شعاع الحكمة يجذبنا اليك — سبتمبر سنة ١٩٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

«عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون»

وبعد . فهذه مجلة « العصور » نتقدم الى قراء العربية بأول ما نخط فيها من تمهيد نحصر فيه خطتها من الناحيتين الأدبية والسياسية . ولامراء في أن الاقدام على تحرير مجلة تجمع الى العناية بالادب والعلم والفلسفة الاشتغال بمشكلات السياسة العامة والخاصة ، أمر يجعل مسؤلية العمل خطيرة . فان العمل في الادب والعلم ، وما يحتاج اليه من انتقاد حر صريح ، لا تراعى فيه أية رابطة من الروابط الاجتماعية التى تذهب بالنقد عادة فى مزالق لا يؤمن فيها العثار ، كالاشتغال بالسياسة وما تحتاج اليه من حيطة وحذر ، والارتباط برأى هيئات تختلف قلة

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة العصور» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة:

مجلة أدبية علمية شهرية، أصدرها إسماعيل مظهر في سبتمبر (١٩٢٧م) بالقاهرة، يغلب عليها الطابع العلمي، وأسهم في تحريرها نخبة من أعلام الفكر العربي، واستمرت إلى أن صدر آخر عدد منها في يونيو سنة (١٩٣٠م).

مؤسسها:

هو إسماعيل مظهر محمد عبد المجيد (١٨٩١م - ١٩٦٢م)، مفكر مصري، ولد بالقاهرة، التحق بالمدرسة الناصرية الابتدائية، ثم بالمدرسة الخديوية الثانوية في القاهرة.

أصدر في عام (١٩٠٧م) -وهو طالب في المرحلة الثانوية- جريدة أسبوعية سياسية باسم «الشعب»، ثم شارك في تحرير صحيفتي «اللواء» و«الأفكار»، قام بترجمة كتاب «أصل الأنواع» لتشارلز داروين، ونشره عام (١٩١٨م)، وفي عام (١٩١٩م) أشرف على إصدار جريدة «المنبر» لمدة ستة أشهر، كما ترجم كتاب «نشوء الكون» و«حياة الروح في ضوء العلم»، وبالإضافة إلى إصداره هذه المجلة التي بين أيدينا؛ ترأس تحرير مجلة «المقتطف» من سنة (١٩٤٥م) إلى سنة (١٩٤٨م).

وله عدة مؤلفات، منها: «قاموس الجمل والعبارات الاصطلاحية الإنجليزية والعربية» نشره عام (١٩٥١م)، و«قاموس النهضة: إنجليزي -عربي» نشره عام (١٩٥٤م)، و«معجم مظهر الإنسيكلوبيدي». و«الحضارة اليونانية»، و«معضلات المدينة الحديثة»، و«الدين والعلم»، و«حياة الروح في ضوء العلم»، و«نزعة الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر»، و«نهضة فرنسا في القرن التاسع عشر»، و«غاندي»، و«تاريخ الفكر العربي في نشوئه وارتقائه»، و«المرأة في عصر الديمقراطية»، و«قاموس النهضة»، و«الإسلام والشيوعية»، وكتاب سيرته «تاريخ الشباب».

وفي ظل بعض الأزمات في ذلك الوقت اضطر إلى إيقاف مجلة «العصور»، وإلى وقف نشاطه الاجتماعي، وابتعد عن الحياة العامة وتفرغ لتأليف المعاجم والقواميس.

انتخب سنة (١٩٦١م) عضوا بمجمع اللغة العربية، وترأس تحرير الموسوعة العربية الميسرة (١٩٥٩م - ١٩٦١م).

نسخة مجلة الوعي:

تحتوي رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي على نسخة كاملة من هذه المجلة، وهي تتكون من (٣٤) عددا، مجموعة في (١٣) مجلدا.

المصادر:

مجلة العصور.

موقع شبكة الألوكة.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

د. عمرو عبد الكريم
دكتوراه في الفكر الإسلامي

في مناهج التفكير الإسلامي (١)

تعيش الأمة الإسلامية منذ فترة طويلة أزمة حضارية جعلتها تتخلف عن أداء دورها في قيادة الأمم. حيث وظيفة الأمة الإسلامية بعد تمكين أصول الإيمان فيها هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مناط إخراجها للناس، وذلك كما في قوله تعالي: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (آل عمران:١١٠).

وكثيرة هي التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية في واقعها المعاصر والتي تحول دون استرجاعها لمكانتها ومركزها الريادي، وتبوئها مكانتها السامقة، بعد أن تنزع عنها لباس «الغثائية» إلا أن المخرج لها من هذه الأزمات والتحديات هو تصحيح مناهج التفكير الإسلامي، وهو الأمر الذي يعزز قوتها واستردادها لعافيتها الحضارية.

الأمة الإسلامية ورثت مقومات الفاعلية عن رسولها ﷺ فكان أن دخلت التاريخ من أوسع أبوبه، وشيدت حضارة متميزة في مستوياتها الدينية والدنيوية.

لكن المتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية يدرك أن كثيرا من السلبيات قد تسربت إلى عقول وقلوب أبنائها مما أفضى إلى حالة كمون وانحدار حضاري أثرت في واقع المسلمين بعد تلاشي كثير من مقومات الرشد في حياتها.

ورحم الله الدكتور محمود سامي النشار الذي ألف منذ أكثر من خمسين عاما كتابه الشهير «مناهج البحث عند مفكري الإسلام» ليثبت أن المنهج الإسلامي في البحث والتفكير هو المنهج الأصولي، وأن المسلمين أسسوا منهجا علميا بكل ما تحمل كلمة «علم» من معان.

لكن يظل من أهم مثالب التفكير الإسلامي المعاصر شيوع نظرية أو منطق المؤامرة، واعتمادها منهجا في التفكير، فلا تكاد تمر أزمة من الأزمات إلا ويظهر منطق في تفسير تلك الأزمات يؤكد على أن ما يجري إنما هو «مؤامرة».

ولايزال يتحكم في طريقة تفكير شرائح واسعة من المسلمين، والمشكلة في هذه العقلية لا تكمن في ما يمكن أن ندعوه الاجتهاد الخاطئ في تفسير الأحداث والتاريخ، وإنما هو أعمق من ذلك بكثير لأنه يمثل خطأ في منهجية وطريقة التفكير والتحليل من الأساس، على عكس الاجتهاد الخاطئ الذي ينبني على منهجية تفكير سليمة ولكنه ينتج الخطأ بسبب نقص في المعلومات أو غير ذلك من العوامل.

والخطأ في منهجية التفكير أمر بالغ الخطورة لأنه يضع المفكر على «السكة» الخطأ منذ اللحظة الأولى، بحيث لا يعود هناك بعدها مجال للتصحيح والتصويب، وبحيث يصبح هذا الخطأ الأساسي الخطوة الأولى في سلسلة متتالية من الأخطاء على صعيد اتخاذ المواقف والقرارات وغيرها من ردود الأفعال النظرية والعملية.

يعني «منطق المؤامرة» أن ثمة شخص أو جماعة أو جهة تعكف على إيقاع الشرور والضرر بالآخرين، كما تفترض سيطرة هذا الشخص أو تلك الجهة على جميع عناصر معادلة الوجود الإنساني، وأنها قادرة على تنفيذ ما رتبت له بصرف النظر عن موقف الآخر: قبولا واستسلاما أو

رفضا ومقاومة، في نهاية المطاف لابد للذي رتبته هذه القوة الجبارة أن يحدث، فقبضتها محكمة وإرادتها نافذة.

ومن ثم فإن مفهوم المؤامرة مفهوم اختزالي يرد كل عناصر الوجود الاجتماعي والبشري إلى عنصر واحد هو: دور الآخر، ويتجاهل فيه الطرف «المتبني لمنطق المؤامرة» ذاته بل إنه يصل في ذروته - أو هوته إن شئنا الدقة - إلى إدراك ذاته من خلال رؤية الآخر لها (أي للذات) وهو قمة تبلور النماذج الواحدية في التفسير وعلى رأسها فكرة المؤامرة.

وكثيرا ما يلجأ العقل الإنساني إلى محاولة إدراك الأمور من خلال نظرية المؤامرة حينما يستعصي عليه فهم شيء، فبدلا من أن يكد ويتعب نفسه ليصل إلى التفسير الصحيح يستسهل الأمر وذلك لنص ثقافة تشجع على البحث عن الأسباب، وفي غيبة ثقافة إسلامية راشدة يعد اللجوء إلى الاختزال التآمري راحة من عناء التفكير وجهد التعب.

أما أسباب اللجوء إلى تفسير الأحداث اعتمادا على منطق المؤامرة فهو:

١- التفسير التآمري سهل وبسيط بل ومريح، فهو يفسر كل شيء ببساطة بالغة وبسرعة فائقة ويمنح الإنسان إحساسا بالقدرة على التنبؤ بسلوك خصمه، وهو لا يحتاج من صاحبه مجهودا بأكثر من إلقاء التبعة على الآخرين والمتآمرين.

٢- يسقط عن الإنسان عناء المسؤولية وحرج الشعور بالتقصير لضياع التكليف بالمقاومة حتى يصير السقوط في شراك الأعداء أمرا قدريا لا راد له.

٣- وسيلة لاستنفار الجماهير وشحذ هممها لمقارعة عدوها.

لكن من الجدير بالذكر أنه يجب أن نفرق بين المؤامرة والتخطيط الذي يقوم به كل صاحب مصلحة أو قوة، ومن السذاجة الفكرية أن نفترض أن الأحداث تقع وتتوالى بمحض العفوية الكاملة دون أن يكون وراءها تخطيط وتدبير..

ذلك أن منطق «المقابلة» خطأ وهو شكل آخر من أشكال الإصابة الفكرية التي يتخبط فيها العقل المسلم، هذا المنطق الذي لا يرى إلا وجهين لكل قضية ومسألة، والمخرج للتعامل مع هذه الإشكالية يتمثل في تحرير الفرق بين معنى «المؤامرة» وبين مسألة التخطيط والتدبير، كما يمكن فهمها وتعريفها بناء على الرؤية الموضوعية.

وتظل أخطر سلبيات منطق أو نظرية المؤامرة، أنها تؤدي غالبا - وليس حتما - إلى الاستسلام، فالمؤامرة ترتبط بالأسطورة، والأسطورة هي شيء خارج نطاق القدرة الإنسانية؛ وخطورة هذا المنطق في التفكير لا ترتبط فقط بمشكلة فهم الظواهر الاجتماعية والأحداث الحياتية وإنما تترتب عليه نتائج أخرى أشد خطورة ترتبط بمستوى الفعل والحركة، وربما كانت لها تداعيات على مصائر الشعوب، ويتضح هذا أكثر ما يتضح حين يقوم منطق «المؤامرة» بإعطاء زخم هائل لمشاعر العجز والاستسلام، باعتبار أن القوى التي تحرك الأحداث أكبر بكثير وأقوى بمراحل من مجرد التفكير بكيفية التعامل معها ومواجهتها مواجهة الند للند.

والمدقق لواقع التاريخ يجد أن نظرية المؤامرة لا تسير مع السنن سواء سنن الله القدرية في الكون أو سننه الشرعية في الأحكام، فالمؤامرة سيطرة مطلقة وقدرة متناهية والله لم يخلق بشرا بيده مقاليد الأمور يتحكم بمجريات الأحداث والوقائع على هواه أو يستطيع أن يتحكم في جميع عناصر معادلة الوجود الإنساني، وإنما جعل لكل قدرة حدودا، وجعل لكل فعل بشري سقفا لا يتجاوزه، وجعل لكل قوة ما يدفعها.. إن التفكير بالسنن عكس التفكير بالمؤامرة، والأول أمرنا به، والثاني نهينا عنه.

المقومات الثلاثة لمنهج التفكير الإسلامي

تتساند أساليب وأدوات ومناهج التفكير في منهج التفكير الإسلامي حيث تتكامل المقومات الثلاثة لمنهج التفكير الإسلامي وهي: التفكير السنني، والتفكير بالمقاصد، والتفكير بالمآلات، على إبرازه للوجود حيث تساعد مكونات

هذه المنظومة المنهجية في إدراك الواقع المتعين وفي التمكن من تحقيق مناطات الأحكام الشرعية بما يساعد على إدراك سنن الله في الآفاق وفي الأنفس وفقه السير في الأرض؛ سعيا وكسبا؛ عملا واجتهادا.

أولا: التفكير بالسنن

السنن الكونية هي القوانين والنواميس التي ركب الله بها طبائع الكون والأشياء وجعلها سارية مطردة في كل ما يحيط بالعقل المسلم، وجعل الله من صفاتها الثبات والاستمرار ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ (فاطر:٤٣).

لقد جعل الله السنن والأسباب والنواميس والقوانين، مطردة وموصلة إلى تحقيق المقاصد والنتائج، وطلب من العقل المسلم استيعاب هذه السنن والأسباب بعد أن شرعها له، وخاطبه بها، ودلل على فاعليتها بالعبرة التاريخية، والحجة المنطقية، والبرهان المحس، وناط النجاح في الدنيا والفوز بالآخرة بالقدرة على استيعاب هذه الأسباب، وحسن تسخيرها، والتعامل معها.

ثانيا: التفكير بالمقاصد

المقاصد هي أهم ما أنتجه العقل الأصولي الإسلامي في تاريخ نهضته الحضارية وهي تمثل الحكم النهائية والغايات العليا أو ما يمكن أن يطلق عليه مناطات الأحكام وغايات المشرع التي تمثل محاور الارتكاز في بناء الخطاب الإسلامي وإمكانات تطويره حتى يدرك الواقع المعقد والمركب بما يسهم في نمائه وازدهاره.

والتفكير بالمقاصد هو أهم معطيات العقل الإسلامي الراشد الذي بناه الوحي الشريف وشيد معالمه على مدار تاريخ الحضارة الإسلامية، ذلك العقل الذي يعطي التفكير حقه قبل التدبير، وفحص المقدمات قبل التعاطي مع نتائجها، ويدرس البواعث قبل مواصلة السير، ويدرك مواطن الخلل والقصور ويتعامل مع تداعياتها في الواقع المعاصر.

كما أن التفكير بالمقاصد يكسب العقل الإنساني القدرة على التفرقة بين الأهداف المرحلة والأهداف النهائية وهو ما يساعد الإنسان المسلم على التفرقة بين التعامل التكتيكي في الحياة والتعامل الاستراتيجي.

كما أن التفكير بالمقاصد يحرر العقل المسلم من الفوضى وتلاشي المعايير والتعامل مع الأحكام الشرعية بما يرشد حركته في واقع الحياة ويعينه على حسن التفكير والتدبير والاستفادة من مخزون السيرة النبوية الشريفة في التعامل مع أحداث الحياة واستثمار حكمها ودروسها في الوصول إلى حالة من الهدى والرشاد.

وإذا كان التفكير بالمقاصد أحد أهم مقومات التفكير الإسلامي، فعلى العقل المسلم أن يدرك أن ذلك يرتبط بجملة قواعد أخرى وهي: إذا كانت الأمور بمقاصدها، فإن المقاصد: بأدلتها، ومراتبها، ومآلاتها، وإذا كانت المقاصد نهائية وغائية وعليا، فإن وسائل تحقيقها مرنة ومنفتحة ويمكن التحاور بشأنها.

ثالثا: التفكير بالمآلات

إذا كان التفكير بالمقاصد يتعلق بالبواعث والدوافع، فإن التفكير بالمآلات يتعلق بالغايات، وكلاهما من أهم أركان منهج التفكير الإسلامي.

يعني التفكير بالمآلات التأكيد على أهمية إدراك نتائج الأحكام وعواقبها وثمار الأعمال وآثارها.

ويؤصل الإمام الشاطبي للمآلات بقوله: «النظر في مآلات الأفعال مقصود شرعا؛ وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل» (١).

وتتعدد الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على اعتبارات المآلات فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾ (الأنعام:١٠٨). وهذا نهي عن سب آلهة المشركين ولو كان ذلك السب على سبيل الغيظ منها والإهانة لها والحمية لله عزوجل ولأنه في نفس الوقت يؤدي إلى سب الكفار لله عز وجل ولذلك ورد النهي عنه (٢).

وفي آيات سورة الكهف وقصة سيدنا موسى مع العبد الصالح،

عللت أفعال العبد الصالح كلها بغايات مآلية: خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ (الأعراف:١٦٣) (٣).

قال العلماء: هذه الآية أصل من أصول إثبات سد الذرائع - التي قال بها مالك وتابعه أحمد في بعض رواياته - وهو كل عمل ظاهره الجواز يتوصل به إلى محظور كما فعل اليهود حين حرم عليهم صيد السبت فسكروا الأنهار وربطوا الحيتان فيها إلى يوم الأحد (٤).

كما نجد في السنة النبوية شواهد كثيرة للتفكير بالمآلات، فقد امتنع النبي ﷺ عن قتل المنافقين مع علمه بهم ومع علمه باستحقاقهم القتل خشية أن يتحدث الناس أن محمدا ﷺ يقتل أصحابه».

وتخلي النبي ﷺ عن إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم حتى لا يثير بلبلة بين العرب، وكثير منهم حديثو عهد بالإسلام، وقال مخاطبا عائشة رضي الله عنها: «لولا أن قومك حديثو عهد بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام» (٥). يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلولا مراعاة المآلات والنتائج لوجب قتل المنافقين وإعادة بناء البيت على قواعد إبراهيم» (٦).

وكثيرة هي النصوص الشرعية التي تدل على اعتبار مراعاة المآلات في التفكير وعلاقته الوطيدة ببعض صور الاستدلال حتى إن الشاطبي رحمه الله يؤكد أن سد الذرائع ومراعاة الخلاف يتفرعان من مبدأ «المآلات».

والتفكير باعتبار المآلات، أمر تضافرت عليه النصوص الشرعية وتكاتفت على بنائه وتأصيله النظرية العامة للشريعة؛ وأمر أخذ من استقراء عامة النصوص ومفهوماتها، حيث لابد أن يتحقق قصد الشارع من شرعه ومراد الله في خلقه؛ فكما يقول الإمام الشاطبي: «إن الأفعال ليست مقصودة لذاتها وإنما المقصود منها تحقيق مراداتها».

ومن تطبيقات التفكير بالمآلات ما ذكره العلماء في حالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث ذكروا أن المرء يأمر وينهى في حالة عدم نتوج مفسدة أكبر بسبب هذا الأمر وذلك النهي، وحين يجد الآمر والناهي أن فعله سيؤول إلى مفسدة أعظم، فعليه أن يكف عن أمره أو نهيه. وكما هو مشهور عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه».

والتفكير بالمآلات هو تفكير باستشراف المستقبل والقدرة على التحليل ودراسة النتائج بناء على المعطيات الميدانية حيث تكون الأحكام والأعمال قائمة على الدراسة والتمحيص.

الهوامش

١- الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج ١٩٤/٤.
٢- أحكام القرآن /٢/ ٧٣٤ بتصرف.
٣- أحكام القرآن ٧٨٧/٢.
٤- (أحكام القرآن ٧٨٧/٢).
٥- البخاري ١٢٣ ومسلم ٢٣٧٠ باب نقض الكعبة وبنائها.
٦- مجموع الفتاوى، ج ١٥٦/٢٨.

سلامة عبدالقادر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

مدارس ودروس من نور:

دار الحديث الأشرفية

- البرانية (الحنبلية) - نموذجًا

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.
ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

أول مدرسة أنشئت كانت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها وسطع عندما تولى الملك الصالح الناصر صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع؛ مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي، رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت رواتب الفقهاء والمدرسين فيها في عهده حوالي ثلاثمئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي ستمئة مدرس وفقيه. ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون والمدرسون تفرغا كاملا للعلم. ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على إحداها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف،

فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟
ديار لسلمى عافيات بذي خالي
ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، ومنها:

دار الحديث

مكانها تقع على سفح جبل قاسيون بدمشق، على حافة نهر يزيد، مقابلة لتربة الوزير التكريتي، وشرقي المدرسة الأسدية الحنفية المرشدية، وغربي الأتابكية الشافعية، ومحلتها اليوم يقال لها «حارة عرودك»، شرق حي المهاجرين، أما اليوم فصارت دورا للسكن، وجنائن لزرع الزهور والرياحين.

واقفها وبانيها

كانت دارا للأمير قايماز النجمي، فأمر السلطان الأشرف بشرائها، وإعادة بنائها لتكون دارا للحديث، والأشرف هو: الملك أبو الفتح مظفر الدين موسى ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، المولود بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ، سمع من ابن الزبيدي صحيح البخاري في ثمانية أيام، وكان له فهم وذكاء، بنى داري الحديث الأشرفيتين الجوانية والبرانية، وجوامع التوبة، والجراح، وأبي الدرداء، بنى هذه الدار لأجل الحافظ جمال الدين عبدالله ابن عبدالغني المقدسي، وسماه شيخا لها، وقرر له سبعين درهما، فمات عبدالله قبل الفراغ من البناء، وتوفي الملك الأشرف سنة (٦٣٠ أو ٦٣٥ أو ٦٣٦هـ)، وكانت كلمة التوحيد آخر ما تكلم به، ودفن بالقلعة، ثم نقل إلى التربة الملكية الأشرفية بالكلاسة، والتي اندرست ولم يبق منها إلا قبره، رحمه الله. اكتمل بناء الدار سنة (٦٣٠هـ)، وافتتحت ليلة النصف من شعبان، وقرئ البخاري بها على ابن الزبيدي في شهر شوال من نفس العام، وكانت تعرف أولا بدار قايماز النجمي، وجعلها وقفا على المحدثين من الحنابلة.

الأوقاف المحبوسة عليها

وقف عليها خمس ضياع بالبقاع وهي: الدير، والدوير، والمنصورة، والشبرقية، والتليل، وبيت ابن النابلسي المعروف بالشكك، والجنينة، وحكر دار حارة الجوبان، ونصف دير أرغى بالبقاع العزيز، وريعها، ومزارعها.

وصفها

تشتمل في بنائها على حرم واحد بشباكين مطلين على جنبية حافة النهر، وشماليه ثلاثة أبواب أوسطها كبير، وقدامها الصحن، وفيها بئر، وشرقيه بيت الخلاء، وغربيه من الشمال السلم الهابط إلى الصحن، وأعلاه باب الخلاوي الفوقية، وباب المسجد له شباكان مطلان على الطريق، وقبالة الباب قاعة لطيفة. أصيبت هذه الدار بعدة نكبات، الأولى كانت سنة (٦٩٩هـ) عندما هاجم التتر دمشق، فعاثوا فسادا بالصالحية وباعوا كتب الأشرفية، كما أصيبت بنكبة أخرى سنة (٨٠٣هـ) عندما هاجم تيمورلنك دمشق وما حولها.

شيوخها

أول من درس بها:

١- الإمام القاضي الزاهد شمس الدين عبدالرحمن بن أبي عمر محمد ابن أحمد المقدسي، ولي القضاء والخطابة بالجامع المظفري، وتوفي سلخ ربيع الآخر سنة (٦٨٢هـ)، ودفن بقاسيون.

٢- الإمام المحدث الزاهد الشيخ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن الكمال عبدالرحيم بن عبدالواحد المقدسي، توفي سنة (٦٨٨هـ)، بمنزله في الجبل.

٣- نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن ابن قدامة المقدسي، كان فقيها شهما شجاعا، توفي سنة (٦٨٩هـ).

٤- الإمام القاضي شرف الدين أبو الفضل الحسن بن الشيخ الإمام عبدالله بن الشيخ أبي عمر المقدسي، تفقه على الشيخ ابن أبي عمر.

٥- تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر المقدسي، مسند الشام وشيخ المذهب، توفي سنة (٧١٥هـ)، بقاسيون.

٦- الشيخ عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة المقدسي، توفي سنة (٧٣١هـ)، ودفن بتربة جده أبي عمر.

٧- الشيخ شرف الدين أبو محمد عبدالله بن حسن بن عبدالله بن عبدالغني المقدسي، المتوفى سنة (٧٣٢هـ).
٨- الشيخ بدر الدين الحسن بن سليمان المقدسي، المتوفى سنة (٧٧٠هـ).
٩- الشيخ محمد بن أحمد النابلسي، المتوفى سنة (٨٠٥هـ).
١٠- الشيخ إبراهيم بن محمد بن مفلح بن محمد الراميني الدمشقي، المتوفى سنة (٨٠٣هـ).
١١- الشيخ عز الدين محمد بن علي ابن عبدالرحمن المقدسي، المتوفى سنة (٨٢٠هـ).
١٢- القاضي برهان الدين إبراهيم ابن محمد بن مفلح، المتوفى سنة (٨٨١هـ).
١٣- الشيخ الفقيه عبدالوهاب بن عبدالحي ابن العماد العكري، المتوفى سنة (١١٣٤هـ).. وغيرهم.

سماعات الدار

١- سماع المجلس التاسع من أمالي البرجاني، سنة (٦٣٣هـ)، على الإمام محمد بن عبدالرحيم المقدسي.
٢- وعليه، سماع جزء من حديث ابن عيينة، سنة (٦٦٦هـ).
٣- وعليه، الجزء التاسع من حديث المخلص، سنة (٦٦٧هـ).
٤- وعليه، أمالي أبي يعلى الفراء، سنة (٦٦٩هـ).
٥- وعليه، وعلى القاضي سليمان بن حمزة، جميع الفوائد المنتقاة لأبي بكر عبدويه الشيرازي، سنة (٦٧٠هـ).
٦- وعليه، جزء فيه المنظوم والمنثور، للعفيف الخطيب، سنة (٦٧٢هـ).
٧- وعليه، الجزء التاسع من مسموعاته بدار الحديث الأشرفية، سنة (٦٧٣هـ).
٨- وعليه، مجلس البطاقة للكتاني، سنة (٦٧٣هـ).
٩- وعليه، المنتقى من الجزء الثاني من حديث أبي الدحداح، سنة (٦٧٨هـ).
١٠- وعليه، الجزء العاشر من حديث المخلص، سنة (٦٨٤ و٦٨٥هـ).
١١- سماع على الإمام محمد بن حازم المقدسي، الجزء الأول من مشيخة ابن النقور.

المسندين والعلماء

مر عليها عدد كبير من كبار الأئمة، والعلماء، والمسندين، وأسمعوا فيها عددا كبيرا من الكتب نذكر منهم:
١- الإمام عبدالله بن أبي عمر بن قدامة المقدسي، أسمع جزءا من حديث الحربي سنة (٦٣٥هـ).
٢- الإمام أحمد بن محمد بن عبدالغني المقدسي، أسمع جزء السكري الحربي سنة (٦٣٩هـ).
٣- الإمام أحمد بن عبدالدائم المقدسي، أسمع جزء الأربعين من حديث ابن الحمامي سنة (٦٥٩هـ).
٤- الإمام محمد بن حازم المقدسي، أسمع جزءا من مسند الطرسوسي، والجزء الأول من مشيخة ابن النقور سنة (٦٩٦هـ).
٥- الإمام محمد بن عبدالرحيم المقدسي.
٦- والإمام سليمان بن حمزة المقدسي.
٧- والإمام داود بن حمزة المقدسي، كلهم أسمعوا الجزء الثالث من صفة الجنة للضياء المقدسي سنة (٦٧٣هـ)، وأسمع داود فوائد ابن عليك، وجزءا فيه ذكر المصافحة للضياء، سنة (٧٠٠هـ).
٨- الإمام أحمد بن محمد بن أبي القاسم الدشتي، أسمع كتاب النهي عن سب الأصحاب للضياء المقدسي سنة (٧٠٦هـ).
٩- الإمام أحمد بن المحب المقدسي، أسمع عوالي الإمام مالك سنة (٧٢١هـ).
١٠- الإمام رسلان بن أحمد الذهبي، أسمع ما انتخبه الطبراني لابنه أبي ذر سنة (٧٩٥هـ).. وغيرها.

خاتمة

وبعد هذه الإطلالة العابرة على الدار الأشرفية العريقة في صالحية دمشق الشام، التي لم تكن وحيدة عصرها، بل كان لها أخوات سبقتها، وأخرى أتت بعدها؛ تعرف ما كان عليه أهل ذلك العصر الفريد من العناية بالعلم، والعلماء، والدور، والمدارس، وما كانوا عليه من الاهتمام بالمدرس والدارس، والذي يرجع فيه الفضل بعد الله تعالى، إلى أناس أيقنوا أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض، ولا تتحرر، ولا أن تقود نفسها وغيرها من الأمم، إلا إذا اتخذت من العلم بجميع أنواعه وشتى مجالاته قائدا لها، وإلا إذا أولته كل اهتمامها، ففتح قلوب العباد وعقولهم مقدم على فتح البلاد والمهاد، فالاستنارة بنور الشرع هي الأصل والأساس، الذي يتفرع عنه فتح البلاد، وهداية العباد، فكانوا من رواد النهضة العلمية، الذين أعطوا العلم طابعا، ومنهجا لم يكن معروفا ولا مشتهرا من قبل، فرحم الله الجميع، وأعاد إلى تلك الدور والمدارس ومدنها سالف عصرها الزاهر.

كمال عبد المنعم
كاتب صحفي

التربية النفسية

الطفل لابد أن تكون له شخصية محددة المعالم، تتضح هذه الشخصية وتتحدد تبعا لتوجيه الوالدين، وحتى ينشأ الطفل ذو الشخصية السوية ينبغي التنسيق بين الوالدين في كل أمر أو نهي يوجه للطفل، فلا يعقل أن يتلقى أي شخص أمرين متضادين في وقت واحد، فضلا عن أن يكون هذا الشخص طفلا لم تنضج شخصيته، ولم يرشد تفكيره بعد، زد على ذلك أن الأمرين المتضادين قد صدرا من الوالدين.. فكيف يكون تصرف الطفل إذن؟، وما مدى تأثير ذلك على نفسيته وسلوكه؟

إن كل طفل له هواية يريد أن يمارسها، هذه الهواية قد يتفق أو يختلف معها الوالدان أحدهما أو كلاهما، وهنا تحدث المشكلة، فمثلا لو أن أحد الوالدين وافق على ان يختلط الابن بابن الجار، يلعب معه، ويبادله أغراضه وألعابه، في الوقت الذي يرفض فيه الطرف الآخر هذه العلاقة لسبب أو لآخر، فكيف يتصرف الابن؟، لابد أنه سينشأ متردد الخطا، مضطرب الفكر، معقد النفس تجاه هذا السلوك، وقد يدفعه هذا التردد إلى ممارسة السلوك ونقيضه في وقت واحد، يمارسه أمام الراضي عنه من الوالدين، ويمتنع عنه أمام الرافض له، حتى ينال رضا الاثنين معا، ولا يستطيع أن يحدد هذا السلوك الذي يمارسه في أي جانب يكون، أهو في جانب الخطأ، أم في جانب الصواب؟!

وسلوك الطفل على وجه العموم يتقلب بين الصحة والخطأ، فهذا ينفعه، وذاك يضره، وفصل ما بين هذا وذاك التوجيه الذي يتلقاه من الوالدين، أو ممن يقوم على تربيته وتوجيهه في مجتمع الأسرة، أو مجتمع الدراسة، أو أي بيئة يتواجد فيها الطفل.

والسلوك الإيجابي للطفل، إذا تبعه تعزيز بكلمة مدح وثناء، أو بسمة رقيقة، أو هدية بسيطة، يعطي انطباعا حسنا لدى الطفل يجعله يستمر على هذا السلوك الإيجابي، وتتزن لديه الفكرة تجاهه، فلا يتردد في تكراره بعد ذلك. وهذا له أكبر الأثر في الاستقرار النفسي للطفل تجاه سلوك ما.

أما السلوك السلبي الذي يضر الطفل ولا ينفعه، فهذا لابد من موقف موحد ورد فعل ثابت تجاهه من قبل الوالدين، إذ ليس من مصلحة الطفل أن يتنافر الوالدان تجاه هذا السلوك، فهذا يقبله، والآخر يرفضه، وهنا تكمن الخطورة.

وإذا اتفق الوالدان على رفض هذا السلوك، كيف إذن تكون العقوبة إذا أصر الطفل على الاستمرار في هذا السلوك المعيب؟

إن إهانة الطفل لمجرد أنه ارتكب خطأ هو أكثر ما يدمر شخصيته، ويؤثر سلبا على نفسيته، لأنه ربما يمارس هذا السلوك الخاطئ وكله قناعة أن هذا السلوك مفيد له، فلابد من تعريفه وإقناعه بخطأ سلوكه وخطورته، ثم إذا عاد إلى هذا السلوك مرة أخرى بعد توجيهه، فهناك أكثر من وسيلة لتأديبه وعقابه بعيدا عن العقاب القاسي الذي يبدأ به البعض، ظنا منهم أن القسوة في العقوبة هي الرادعة للطفل عن سلوكه الخاطئ.

إن من الأطفال من يكفيهم العبوس في وجوههم كي يمتنعوا عن فعل الخطأ من السلوك، ومنهم من يكفيهم نبرة الصوت الحاد، ومنهم من يعد حرمانهم مما يحبون من الألعاب قاصمة الظهر لهم، وقد يكون حرمانهم من النزول ولزومهم حجرة نومهم كاف لتوبتهم وأوبتهم وعدولهم عن هذا السلوك غير المقبول.. أما الضرب فهو آخر ما يلجأ إليه المربي وبشروطه، فلا يضرب الوجه، لأنه يدمر نفسية الطفل، ولا يضربه ضربا مبرحا يترك فيه أثرا، أو يتلف فيه عضوا، ويتجنب الأماكن الحساسة من الجسد، ولا يستخدم في ضربه ما يهينه، كالذي يضرب بالحذاء مثلا، فليراع ذلك عند التعامل مع أخطاء الأطفال.

والطفل بطبعه يحب أساليب الترغيب كالمدح والثناء، فإذا أردت من طفل تنفيذ أمر أو توجيه أو تكليفه بشيء ما، فقدم لما تريد ببسمة رقيقة، وكلمة حانية، وناد عليه باسمه، واذكر محاسنه وامدحه، ثم كلفه بما تريد، تجده سريع الاستجابة لما تأمر به، يعمل وسع جهده أن ينجز ما كلفته به، حتى لو كان فوق طاقته، أما إذا بدأت تكليفك له بذكر مساوئه وأنه دائم الفشل، فإن الفشل سيكون قرينه وملازمه حتى لو كلفته بأقل مما يطيق.

والغالب في رد فعل الوالدين تجاه سلوك الأبناء اللوم على الفشل دون التعزيز على النجاح، وهذا خطأ فادح في التربية، إذ من العدل أن تكون الكفتان متوازنتين من أجل توازن نفسي وانفعالي لدى الأبناء.

إن الأبناء أمانة في أعناقنا، ينبغي أن نراعيها، حتى يخرج أبناء أسوياء، وهذا لا يتحقق إلا بتضافر الجهود، والتواصل بين الوالدين والمربين، لتكوين شخصية متزنة الفكر والسلوك.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

المعاملات المصرفية والفرق بين المصرف الإسلامي وغيره

الخلاصة الحكمية:

- كل زيادة أو فائدة على الدين الذي حل أجله وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ بداية العقد.

هاتان الصورتان ربا محرم شرعا.

- الحسابات الجارية في أي بنك كانت، هي قروض بالمنظور الفقهي، والضمان فيها على المقترضين لها، وهم المساهمون في البنوك، لا على المودعين في حسابات الاستثمار.

- البنوك الإسلامية تلتزم في تعاملاتها كلها: بأن تكون وفق الأحكام الشرعية، ولها هيئات شرعية توجهها إلى ذلك وتراقب أعمالها؛ بخلاف البنوك الربوية؛ وهو الفارق الأساسي بين النظامين.

- من لا يتعامل من البنوك طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، فإنه لا يجوز وصفه بأنه بنك إسلامي.

- يجوز تحول البنك الربوي إلى بنك إسلامي تجري معاملاته طبقا للشريعة الإسلامية، على أن يكون رأس مال البنك الإسلامي خاليا من جميع الفوائد الربوية الماضية والحاضرة والمستقبلة، وأن تكون لديه هيئة للفتوى والرقابة الشرعية تعرض عليها جميع أعماله.

- ما اكتسبته البنوك الربوية من أموال محرمة قبل تحولها إلى بنوك إسلامية يجب التخلص منه؛ إما برده إلى أصحابه، أو بصرفه في وجوه الخير والبر العام؛ وفق ما في ذلك من فتاوى ضابطة.

■ **القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:**

● **أولا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني بجدة من ١٠-١٦ ربيع الآخر، (١٤٠٦هـ) /٢٢ -٢٨ كانون الأول، ديسمبر، (١٩٨٥م).**

بعد أن عرضت عليه بحوث مختلفة في التعامل المصرفي المعاصر.

وبعد التأمل فيما قدم، ومناقشته مناقشة مركزة أبرزت الآثار السيئة لهذا التعامل على النظام الاقتصادي العالمي، وعلى استقراره خاصة في دول العالم الثالث.

وبعد التأمل فيما جره هذا النظام من خراب نتيجة إعراضه عما جاء في كتاب الله من تحريم الربا جزئيا وكليا واضحا بدعوته إلى التوبة منه، وإلى الاقتصاد على استعادة رؤوس أموال القروض دون زيادة ولا نقصان قل أو كثر، وما جاء من تهديد بحرب مدمرة من الله ورسوله للمرابين، قرر ما يلي:

أولا: أن كل زيادة أو فائدة على الدين الذي حل أجله، وعجز المدين عن الوفاء به مقابل تأجيله، وكذلك الزيادة أو الفائدة على القرض منذ بداية العقد.

هاتان الصورتان ربا محرم شرعا.

ثانيا: أن البديل الذي يضمن السيولة المالية والمساعدة على النشاط الاقتصادي حسب الصورة التي يرتضيها الإسلام، هو التعامل وفقا للأحكام الشرعية.

ثالثا: قرر المجمع التأكيد على دعوة الحكومات الإسلامية، والتمكين لإقامتها في كل بلد إسلامي لتغطي حاجة المسلمين، كي لا يعيش المسلم في تناقض بين واقعه ومقتضيات عقيدته. والله أعلم.

انتهى القرار.

● **ثانيا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره التاسع بأبي ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة من ١- ٦ ذي القعدة (١٤١٥هـ)، الموافق ١- ٦ نيسان، أبريل (١٩٩٥م)، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع الودائع المصرفية (حسابات المصارف)، وبعد استماعه إلى المناقشات التي دارت حوله:**

قرر ما يلي:

أولا: الودائع تحت الطلب (الحسابات الجارية)، سواء أكانت لدى البنوك الإسلامية، أو البنوك الربوية، هي قروض بالمنظور الفقهي، حيث إن المصرف المتسلم لهذه الودائع يده يد ضمان لها، وهو ملزم شرعا بالرد عند الطلب، ولا يؤثر على حكم القرض كون البنك (المقترض) مليئا.

ثانيا: إن الودائع المصرفية تنقسم إلى نوعين بحسب واقع التعامل المصرفي:

أ- الودائع التي تدفع لها فوائد، كما

هو الحال في البنوك الربوية، هي قروض ربوية محرمة سواء أكانت من نوع الودائع تحت الطلب (الحسابات الجارية)، أم الودائع لأجل، أم الودائع بإشعار، أم حسابات التوفير.

ب- الودائع التي تسلم للبنوك الملتزمة فعليا بأحكام الشريعة الإسلامية بعقد استثمار على حصة من الربح هي رأس مال مضاربة، وتنطبق عليها أحكام المضاربة (القراض) في الفقه الإسلامي التي منها عدم جواز ضمان المضارب (البنك) لرأس مال المضاربة.

ثالثا: إن الضمان في الودائع تحت الطلب (الحسابات الجارية) هو على المقترضين لها (المساهمين في البنوك) ما داموا ينفردون بالأرباح المتولدة من استثمارها، ولا يشترك في ضمان تلك الحسابات الجارية المودعون في حسابات الاستثمار، لأنهم لم يشاركوا في اقتراضها ولا استحقاق أرباحها.

رابعا: إن رهن الودائع جائز، سواء أكانت من الودائع تحت الطلب (الحسابات الجارية) أم الودائع الاستثمارية، ولا يتم الرهن على مبالغها إلا بإجراء يمنع صاحب الحساب من التصرف فيه طيلة مدة الرهن. وإذا كان البنك الذي لديه الحساب الجاري هو المرتهن، لزم نقل المبالغ إلى حساب استثماري، بحيث ينتفي الضمان للتحول من القرض إلى القراض (المضاربة) ويستحق أرباح الحساب صاحبه تجنبا لانتفاع المرتهن (الدائن) بنماء الرهن.

خامسا: يجوز الحجز من الحسابات إذا كان متفقا عليه بين البنك والعميل.

سادسا: الأصل في مشروعية التعامل الأمانة والصدق بالإفصاح عن البيانات بصورة تدفع اللبس أو الإيهام، وتطابق الواقع، وتنسجم مع المنظور الشرعي، ويتأكد ذلك بالنسبة للبنوك تجاه ما لديها من حسابات لاتصال عملها بالأمانة المفترضة ودفعا للتغرير بذوي العلاقة. والله أعلم

انتهى القرار.

● **ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٩/ص٢١٦/ف٦٠٠٨)؛ في موضوع (الفرق بين البنوك الربوية والإسلامية)؛ ونصه: ما الفروق الأساسية بين البنوك التقليدية والبنوك الإسلامية؟**

أجابت اللجنة بما يلي:

البنوك الإسلامية تلتزم في تعاملاتها كلها -بحسب نظامها- بأن تكون وفق الأحكام الشرعية، ولها هيئات شرعية توجهها إلى ذلك وتراقب أعمالها.

أما البنوك التقليدية فلا تلتزم -بحسب نظامها- بأن تكون تصرفاتها مطابقة للأحكام الإسلامية، وليس لها هيئات شرعية تراقب أعمالها وتسددها شرعيا، وهو الفارق الأساسي بين النظامين: الإسلامي والتقليدي. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

● **رابعا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٩/ص٢١٦/ف ٦٠٠٩)؛ في موضوع (وصف بعض البنوك بأنها إسلامية، وتجريد البنوك الأخرى من هذه الصفة)؛ ونصه: هل يجوز وصف بعض البنوك بأنها إسلامية، وتجرد البنوك الأخرى من هذه الصفة، آخذين في الاعتبار أن مؤسسيها ومساهميها والمتعاملين معهم مسلمون أصلا؟**

أجابت اللجنة بما يلي:

وصف إسلامية يثبت لكل بنك أو مصرف يتعامل طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية فيحل ما تحل الشريعة، ويحرم ما تحرم.

وأما من لا يتعامل طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية فإنه لا يجوز وصفه بهذا الاسم. ويراعى في ذلك أن البنوك الإسلامية تخضع في تعاملاتها لرقابة شرعية. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

● **خامسا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٩/ص٢١٨/ف٦٠١٢)؛ في موضوع (أحكام تحول بنك ربوي إلى إسلامي)؛ ونصه باختصار: تقدمت بعض البنوك الربوية العاملة في دولة الكويت، لمعالي محافظ البنك المركزي بطلبات لتحويلها إلى بنوك تعمل وفق الشريعة الإسلامية في المعاملات البنكية، لتصبح بذلك بنوكا إسلامية بدلا من كونها بنوكا ربوية، وهو توجه نحسبه عند الله صحيحا، حيث اعترفت تلك البنوك أخيرا بفداحة ممارساتها الربوية، فهل تعتقدون أن هذا الأمر موافق لأحكام الشريعة الإسلامية، أم أنه يجب على تلك البنوك الربوية -قبل أن تمارس معاملاتها البنكية وفق الشريعة الإسلامية- أن ترد ما اكتسبته من أموال ربوية؟**

أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز تحول البنك الربوي إلى بنك إسلامي تجري معاملاته طبقا للشريعة الإسلامية، على أن يكون رأس مال البنك الإسلامي خاليا من جميع الفوائد الربوية الماضية والحاضرة والمستقبلة، وأن يوفق جميع أوضاعه ومعاملاته طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية، وأن تكون لديه هيئة للفتوى والرقابة الشرعية تعرض عليها جميع أعماله.

أما موضوع ما اكتسبته هذه البنوك من أموال ربوية قبل تحولها: فإنه لا يحول دون تحولها، ولكن على هذه البنوك أن ترد هذه الفوائد الربوية إلى أصحابها إن أمكن ذلك، وإلا فعليها أن توجهها إلى وجوه الخير والبر العام. والله أعلم.

التوبة

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «لو تكرر الذنب مئة مرة، أو ألف مرة، أو أكثر، وتاب في كل مرة؛ قبلت توبته، وسقطت ذنوبه، ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها؛ صحت توبته»

(شرح مسلم، ١٧/٧٥).

صيرني محدثا

قال شيخ الإسلام الإمام الحافظ الكبير سفيان بن عيينة: «دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون، فقال أبوحنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، فجاء الناس يسألوني. فأول من صيرني محدثا أبوحنيفة»

(الإرشاد في معرفة علماء الحديث، ١/٣٦٩).

أحوج الناس إلى طلب العلم

قال سفيان بن عيينة لأصحابه: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟

قالوا: قل يا أبا محمد.

قال: ليس أحد أحوج إلى طلب العلم من العالم؛ لأنه ليس الجهل بأحد أقبح به من العالم.

(موسوعة ابن أبي الدنيا، ٢/٤٦٥).

الاستئناس بالقرآن

عن أبي همام قال: قلت لعيسى بن وردان: ما غاية شهوتك من الدنيا؟ فبكى وقال: أشتهي أن ينفرج لي عن صدري فأنظر إلى قلبي ماذا صنع القرآن فيه.

(موسوعة ابن أبي الدنيا، ٢/٤٦٥).

من روائع البر

قال أبوالحسن القطان رحمه الله:

«أصبت ببصري، وأظن أني عوقبت بكثرة بكاء أمي أيام فراقي لها في طلب الحديث والعلم»

(معجم الأدباء، ١٢/٢٢٠).

من لطائف الأخلاق

شتم رجل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله؛ فقال:

«لولا يوم القيامة لأجبتك»

(نثر الدر، ١/٢٨٥).

من لطائف المكاتبات في الزجر عن الغيبة

قال العلامة مرعي الكرمي الحنبلي رحمه الله تعالى في مراسلاته: «السلام على من اتبع الهدى، وترك طريق الردى، ولم يذهب عمره ضياعا وسدى.

أعظم الكبائر التعرض لثلم الأعراض بالكذب والزور، والتبتل لإيلام القلوب، وإيغار الصدور، والتصدي للأذية بحصائد الألسنة، والانتصاب لإظهار المساوئ المستكمنة، والاشتمال على الأوصاف الذميمة، والاشتغال بالغيبة والنميمة.

فالويل لمن لم يستغفر من الغيبة لسانه، ولا يفتر من الحسد قلبه وجنانه، مصرا على إفكه وجهله، مضرا لنفسه بقوله وفعله، وحقيق لمن هذه صفته أن يستوجب سخط الخالق، ويتحقق بمقت الخلائق، والباغي لمصرعه أوان، وكما يدين المرء يدان، ألا وإن اللسان حية الإنسان.

وقد قيل: العاقل لسانه عاقل، والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده، وقدم في يومه ما ينجو به في غده»

(بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات، ص ٢٣٥).

تَشَيُّخ النص

يشكل التأليف النصي في بعض جوانبه نشاطا حيويا يشبه تجديد الخلايا في الكائن الحي، مع الاحتفاظ بصفاته الأساسية في بعض الأحيان، أو إدماجه في دورة تالية من دورات الطبيعة واستخدام عناصره في تكوين جديد، فبغير التأليف النصي كان كثير من النصوص الأساسية في الثقافة العربية والإسلامية سيلقى مصيرا حتميا هو الاندثار والتعطل والانقطاع، أو ما يمكن أن يسمى: «تشيخ النص» وتقادمه، وصعوبة استعماله وتحركه من خلال إفهام الأجيال التالية، على فرض بقائه المادي وعدم ضياعه.

(**عبقرية التأليف**، ص ٥٨٤).

إياك واتهام الصالحين

قال الإمام مكحول رحمه الله:

«رأيت رجلا يبكي في صلاته، فاتهمته بالرياء؛ فحرمت البكاء سنة!»

(**العقوبات لابن أبي الدنيا**، ص ٦٣).

لا يكن بغضك تلفا

عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفا»، فقلت: كيف ذاك؟ قال: «إذا أحببت كلفت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف»

(**رياض الصالحين**، رقم ١٣٢٢).

النصيحة

قالت أم الدرداء رضي الله عنها: «من نصح أخاه سرا فقد زانه، ومن نصحه علانية فقد شانه»

(**روضة العقلاء**، ص ١٨٢، **وربيع الأبرار**، ٢٧٠/٥).

وصية إمام

أوصى الإمام أبوحنيفة تلميذه أبا يوسف قائلا: «من ظن أنه يستغني عن التعلم؛ فليبك على نفسه»

(**تاريخ بغداد**، ٤٧٣/١٥).

العجب

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «لو كان كلام بني آدم كله صدقا، وعمله كله حسنا، يوشك أن يخسر! قيل: وكيف يخسر؟ قال: يعجب بنفسه»

(**شعب الإيمان**، ٤٥٤/٥).

قد أفلح من زكاها

قال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «فمن طلب العلم للعمل؛ كسره العلم وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء؛ تحامق واختال وازدرى بالناس، وأهلكه العجب ومقتته الأنفس، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾، أي: دسها بالفجور والمعصية»

(**سير أعلام النبلاء**، ٣٧٨/١٣).

إعداد: التحرير

الإحسان في حياة يوسف عليه السلام

مدح القرآن سيدنا يوسف بصفات خلقية عظيمة.. منها العفاف والطهر والصدق والأمانة وغيرها من الأخلاق الحميدة التي تشتد إليها حاجتنا دائما.

وكان الإحسان من أكثر الصفات له عليه السلام، الإحسان في كل حالاته وعامة أوقاته.

كاد له إخوته ودبروا لإبعاده عن أبيه لأنه أحبه، وبيتوا له أمرا بليل حتى يخلو لهم وجه أبيهم، وبعد زمن -يقصر أو يطول- ينسى ذلك الذي كان اسمه يوسف، فكان لهم ما أرادوا، ولكن تدبير الله غالب.

ففي تدبيرهم الذي حسبوا فيه هلكته إنما يضعونه على أول الطريق الذي أريد له، فنجا من الهلاك في الجب، ليدخل قصر عزيز مصر، ويقضي فيه زمنا حتى يبلغ أشده، فيأتيه اصطفاء الله له وبداية التمكين في الأرض، قال سبحانه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف:٢٢) قيل: الحكم العقل والفهم والنبوة، وقيل: الحكم النبوة، والعلم علم الدين أو علم الرؤيا. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: يعني المؤمنين، وقيل: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام.

كان عمره في ذلك الوقت قد قارب الثلاثين -يقل عن ذلك أو يزيد- مضت دون أن تشوب أخلاقه شائبة وهو الغريب في مصر، كان من المحسنين في عبادة الخالق ببذل الجهد والنصح، وإلى عباد الله ببذل النفع والإحسان إليهم، ودل ذلك على أن يوسف في مقام الإحسان، فأعطاه الله الحكم بين الناس والعلم الكثير والنبوة، قال الحسن: من أحسن إلى الله في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله.

لقد كانت تلك السنوات مقدمة وإعدادا لتحمل الرسالة والمضي في طريق الدعوة إلى الله مع ما اعترى هذا الطريق من عقبات وما أحاط به من صعاب.

وستأتي المنحة في السجن وتجلى إحسانه فيما قام بدعوة صاحبيه إلى التوحيد بالمنطق والبرهان، وبين ما هم عليه من خطأ في الاعتقاد، رد الأمر كله لله رب العالمين لما أثنوا عليه بالإحسان وحسن التأويل، فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾ وليس من علم الكهان أو المنجمين، وكرر نداءهما بالصحبة ليتحبب إليهما بهذه الكلمات، لما بها من إيناس للقلوب، وليسترعي الانتباه إلى قوله، وبعد إبلاغ رسالته لم يضن عليهما بما سألاه عنه.

وشاءت حكمة الله أن يكون أحد السجينين دليل الملك إلى يوسف ليؤول له رؤياه. وعندئذ يأذن الله بانقضاء تلك الحقبة من حياته، حقبة المحن والإعداد، لتبدأ مرحلة أخرى، هي مرحلة الرئاسة والتمكين.

• عاطف زهران

أندلس المسلمين: نموذج أمثل للتعايش

كان الفتح الإسلامي للأندلس سنة (٩٢هـ)، بداية أروع وأكبر وأعمق تطور حضاري يشهده هذا القطر الواسع والعظيم عبر التاريخ.

وقد خط المسلمون الفاتحون على ظهر هذه الجزيرة، صفحة جديدة مختلفة عن كل الصفحات التي خطها الغزاة على ظهرها في العهود السابقة، من إيبيريين، وأفارقة، ورومان، ووندال، وقوط، وغيرهم.

وقد كان ذلك التطور مرتبطا بطبيعة الحال بمزيج من العوامل والبواعث، أهمها مبدأ حرية العقيدة، هذا المبدأ القرآني الرائع، والذي كان غالبا على حكام المسلمين في الأندلس بعد الفتح، وجسدوه على أرض الواقع أيما تجسيد.

فقد سمح الحكام المسلمون طوال مدة عزهم ومجدهم للنصارى بالاحتفاظ بحريتهم الدينية، وتركوا لهم أغلب كنائسهم وأديرتهم، كما تركوا لهم حرية الاحتكام إلى شريعتهم وقوانينهم، والاحتفال بأعيادهم، وإقامة علاقاتهم الاجتماعية، بحسب أعرافهم القديمة، واحتفظ الذين يملكون منهم أراض تزرع بملكية أرضهم، مقابل مقدار معين من الخراج، بحسب طيب الأرض وغلتها؛ وذلك وفقا لعهد المصالحة بينهم وبين المسلمين، وطبقا لشروط معينة، منها: دفع الجزية التي هي في الإسلام تقابل ضريبة الدفاع، والالتزام بأحكام أهل الذمة، وعدم الوقوف في وجه أي نصراني يريد الدخول في الإسلام.

ولذلك، فقد اطمأن السكان الأصليون لحكامهم الجدد، وانكسر حاجز الخوف من نفوسهم، منذ وقت مبكر، وتحديدا منذ ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير (٩٥-٩٧هـ) أول ولاة الأندلس، بعد عودة الفاتحين الكبيرين موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق.

وقد سار العديد من الولاة، الذين جاءوا بعد عبد العزيز، على نفس سياسته.

• أحمد الظرافي

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الطريق إلى محبة المؤمنين!

لا مسلم إلا وهو يرجو أن يحبه كل المؤمنين أجمعين؛ كما تمنى ذلك أبو هريرة رضي الله عنه من قبل إذ قال للنبي ﷺ: «يا رسول الله! ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا...».

ألا فقد أخطأ هدفه من أراد محبة المؤمنين بتحقيق رغبات الناس التي لا تنحصر، وتلبية طلباتهم التي لا تلتقي!

وذلك أن الحب منبعه القلب، والقلب بيدي خالقه سبحانه وتعالى، وليس بيد صاحبه كما أخبر ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء».

ومن ثم، فمن اتبع رغبات الناس لم يحصل غير سخطهم؛ وشر من سخطهم سخط رب الناس سبحانه وتعالى!

أما الطريق الصحيح لهذا الهدف النبيل، فترسمه لنا أمنا عائشة رضي الله عنها بوصيتها الغالية، إذ تقول فيها: «من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله عز وجل وكله الله عز وجل إلى الناس».

ومن ثم، فمحبة المؤمنين لك رزق من عند الله عز وجل، ولن يهبه لك عز وجل إلا بطاعته سبحانه وتعالى كما تعلمنا ذلك في قوله ﷺ: «فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته».

ألا فلا تشغلن قلبك بجلب محبة الناس؛ بل أقبل بقلبك على ربك سبحانه وتعالى، أخلص له حبا؛ فإنك إن فعلت رزقك سبحانه وتعالى مودة المؤمنين ومحبتهم، كما قال هرم بن حيان: «ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل إلا أقبل الله سبحانه وتعالى بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم».

• محمد بن فريد

رسول الرحمة ﷺ

إن رسولنا المصطفى ﷺ هو مظهر من مظاهر تجليات رحمة الله على عباده، فتاريخ الجزيرة العربية شاهد حي على ذلك، فبهديه وسنته ﷺ تحولت البغضاء إلى محبة، والعداوات إلى صداقات، والأحزان إلى مسرات، والفساد إلى صلاح، والظلم إلى عدل، وعادت الحياة أمنا وسلاما بعدما كانت خوفا وحربا.

إنه رسول الرحمة الذي وصفه ربه سبحانه وتعالى فقال: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وهو الذي قال عن نفسه ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»، والمتأمل في سيرة النبي ﷺ يدرك هذه المعاني، فالرحمة ظاهرة جلية في شخصية النبي ﷺ، في سلمه وحربه، في حزنه وسروره، وفي كل صفحات سيرته العطرة ﷺ.

ولكن قد يشكل على البعض قول النبي ﷺ: «نصرت بالرعب»، فلا يستقيم الجمع بين هذا القول وكون المصطفى مبعوث رحمة للعالمين، فكيف تجتمع الرحمة للعالمين والنصر بالرعب والخوف؟

والحق أن لا تنافي بين هذا وهذا، بل أن من تأمل هذا القول علم أنه ذلك من تمام رحمته ﷺ بالناس.

فمما تعارف عليه العقلاء وقادة الأمم وأصحاب الفكر والرأي، بل من البديهيات التي هي معروفة للجميع، أن النصر لا يتحقق إلا بالقتال، فالقتال طريق النصر أو القتل طريق النصر، فإذا سلطت السيوف على رقاب العدو قتلا فيهم، حتى عجزوا عن دفعها، دعاهم ذلك إلى الاستسلام وجاء النصر.

لكن المعادلة تختلف عند المصطفى صلى الله عليه سلم، فبدلا من القول أن القتل طريق النصر، يقول المصطفى ﷺ: «نصرت بالرعب»، عند المصطفى ﷺ يكفي الرعب ليحصل النصر، ولا يشترط القتل، فلم يقل: نصرت بالقتل، بل قال: «نصرت بالرعب»، وهذه ميزة ميزه الله بها وخصه الله بها وأمته، فانهيار المعنويات للعدو من الأسباب الكبرى في تحقيق النصر، ولو كان العدو لا يزال يملك ما يستطيع أن يقاتل به.

• مازن أبوبكر

سبيل التغيير

يظن كثير مم الناس أن العرب أو المسلمين سيتقدمون لو هم اتبعوا طريق الغرب في تطوره، ولن يتحقق هذا حتى يهضموا ثقافة الغرب ويتمكنوا من علومه وآدابه.

والذي يرى هذا الرأي يبعد النجعة -كما يقال- لأن الانفتاح وحده غير كاف، خاصة إذا علمنا أن العرب والمسلمين ليسوا شرذمة من الناس طفوا على وجه الأرض في العقود الأخيرة، بل هم أصحاب تاريخ وحضارة، ولكن قضت السنن الربانية أن تتداول عجلة الحضارة الأمم.

وإذا سلمنا بحضارة المسلمين قديما، فنحن مجبرون على القول: بأن الانفتاح على الغرب ليس هو الخطوة الأولى للتقدم، ولعل السؤال الذي يحضر في أذهاننا الآن: هو ما الخطوة الأولى إذا؟!

إن الخطوة التي غفل عنها كثير من المثقفين والمفكرين هي هضم تراثنا، واستخلاص الخصائص الحضارية والثقافية التي اتسمت بها هذه الحضارة العظيمة، ومن ثم الانطلاق نحو الغرب واقتباس ما يتوافق مع ثقافتنا العربية الإسلامية، وتعديل ما نقتبسه، حتى نحافظ على خصوصيات الثقافة العربية، ولعل نظرة سريعة إلى ما أنتجته الإنسانية في القرنين الأخيرين لتظهر -وبجلاء- مدى تفوق المسلمين في شتى الفنون والعلوم، ولسنا نبخس الناس حقوقهم، ولكننا نقول: إن الحضارة العربية الإسلامية أعدت تربة خصبة للحضارة الغربية المعاصرة، وزودتها بجذور العلوم جلها، حتى لا يكاد يخلو فن ولا علم من العلوم الحديثة إلا وفي تراث العرب والمسلمين بعض ملامحه وأسسه التي كانت ستظهر بعد زمن علما مستقلا لو لم تتوال النكبات والأزمات على المسلمين منذ سقوط خلافة بني العباس في المشرق ووأد حضارة الأندلسيين في المغرب.

لقد أبانت مناهجنا التعليمية عن عقمها وسوء التخطيط فيها عندما صارت تدرس تاريخ الغرب وثوراته وإنجازاته، في حين أغفلت تاريخ العرب والمسلمين ولم تلتفت إليه.

● **إبراهيم بلفقيه**

مريم بنت أبي يعقوب الفصولي الشلبي

إن المرأة الأندلسية، في عصر ملوك الطوائف، أتيحت لها فرصة التردد على مجالس الأدباء والعلماء، بل والمساهمة في كثير من صنوف الإبداع، والظاهر أن هذا الأمر سبب من الأسباب التي أدت إلى ازدياد عدد الشاعرات في هذا العصر، إذ سيبلغ أعلى نسبة له في تاريخ الأندلس عامة.

وقد واكبت نهضة الشعر في القرن الخامس نهضة أخرى، تمثلت في وفرة عددهن واختلاف بلادهن ونفاسة إنشائهن وتجديد فنونهن.

ومن أعلامهن إشراق السويداء، مولاة أبي المطرف عبدالرحمن ابن غلبون الكاتب، التي برعت في النحو واللغة وعلم العروض، وخديجة بنت أبي محمد بن سعيد الشنتجالي، التي كانت محدثة فاضلة وريحانة، تلميذة أبي عمرو المقرئ، التي برعت في القراءات، وبثينة بنت المعتمد، وولادة بنت المستكفي، وأم الكرام بنت المعتصم بالله بن صمادح التجيبي، وأم العلاء بنت يوسف الحجارية، وزينب المرية، ومريم بنت أبي يعقوب الفصولي.

كانت مريم بنت أبي يعقوب الفصولي الشلبي الحاجة، كما وصفها الحميدي في الجذوة: «أديبة، شاعرة، جزلة، مشهورة، وكانت تعلم النساء الأدب، وتحتشم لدينها وفضلها»، وكانت تمر على بيوت إشبيلية فتعلم النساء الشعر والأدب، فكانت لها بينهن مكانة وقدر، بل إن عظماء البلد كانوا يجلونها ويدنونها لعميق أثرها، وحسن خلقها، وجميل بديهتها، وقد عمرت طويلا، وسكنت إشبيلية وشهرت بها بعد الأربعمائة.

وقد وصفتها صاحبة الدر المنثور بأنها «كانت صدر نبهاء «إشبيلية» وأدبائها، وممن لهن قدر منجبيها ونجبائها. سردت البديع أحسن سرد، وافترست المعاني كالأسد الورد، وأبرزت درر المحاسن من صدفها، وحازت من أفخر الإجادة وشرفها، ومدحت ملوكا طوقتهم من مدائحها قلائد، وزفت إليهم من معانيها خرائد، وجلتها عليهم كواعب بالألباب لواعب، فأسالت العوارف، وما تقلص لها من الحظوة ظل وارف، وقد أثبت المقري ما يعترف بحقها، ويعرف به مقدار سبقها...».

كانت مريم بنت أبي يعقوب هذه، شاعرة مشهورة، وأديبة من أدباء إشبيلية وأعلامها، كانت كثيرة الشعر، رائقة المعاني، حسنة الصور.

● **عمر قلعي**

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- للمجلة حق الاختصار والتعديل بما يتوافق مع المساحة المتاحة.

مسك الختام

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

سؤال يسأل لكل مشرك ومنافق: ما سيفعل الله به بعد أن خلقه فعبد غيره؟!

ويجيب سبحانه وتعالى قائلا: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ مَكَانَكُمۡ أَنتُمۡ وَشُرَكَآؤُكُمۡۚ فَزَيَّلۡنَا بَيۡنَهُمۡۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمۡ إِيَّانَا تَعۡبُدُونَ﴾ (يونس:٢٨).

سيتبرأ منهم شركاؤهم ويرميهم عز وجل معهم في النار إذا رضوا بعبادتهم لهم.

سؤال يسأل لكل عاص: ما سيفعل الله به بعد أن عصاه بنعمه التي ما أنعم عليه بها غير مولاه سبحانه تعالى؟!

ويجيب سبحانه وتعالى قائلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤﴾ (فصلت:٢٠-٢٤).

ستشهد عليه جوارحه بما ارتكبه يوم القيامة، وسيلعنها؛ لأنه ظن أن الله سبحانه وتعالى لن يفضحه يوم القيامة، ولن يحاسبه على خبيث أعماله.

سؤال يسأل لكل من أطاع الناس في معصية الله: ما سيفعل الله عز وجل به وقد عصى خالقه وأطاع من لا يملك له جنة ولا نارا؟!

ويجيب سبحانه وتعالى قائلا: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ (الأحزاب:٦٧و٦٨).

سؤال يسأل لكل شحيح: ما سيفعل الله عز وجل به بعد أن بخل بمال الله؟!

ويجيب سبحانه وتعالى قائلا: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ (التوبة:٣٤و٣٥).

سؤال يسأل لكل عاقل قبل كل معتقد، أو قول، أو فعل: فما ظنكم برب العالمين وقد اعتقدتم، وقلتم، وفعلتم ما لا يرضي الله؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك.

محمد بن فراج
مدير مؤسسة طفرة للبحث العلمي

الوعي الشبابي
www.alwaeialshababy.com
مواضيع حيوية ومعاصرة
حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
مقالات لأبرز الكتاب الشباب
« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير د. صالح سالم النهام
Shabab alwaei
@alwaeialshababy
www.alwaeialshababy.com

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

طوِّل بالك

صلاتك_ميزانك

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

RedAwqaf

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٢٣) رجب ١٤٣٨ هـ - مارس-أبريل ٢٠١٧ م

قد أفلح من زكاها

- البحث عن السعادة
- تجاوزات الإعلام تبدأ بفتنة رأس المال
- منهج الرسول ﷺ في التعامل مع الأسرة
- مكتبة الكويت الوطنية أول مكتبة في الخليج العربي

هدية العدد: بوستر «مفاتيح تدبر السنة»

مجاناً مع العدد «براعم الإيمان»

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعى الإسلامى

الوعي الشبابي
www.alwaeialshababy.com
مواضيع حيوية ومعاصرة
حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
مقالات لأبرز الكتاب الشباب
« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير: د. صالح سالم النهام
Shabab alwaei
@alwaeialshababy

الافتتاحية

تزكية النفوس

الحمد لله الولي الحميد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، حثنا على النهج السديد، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صاحب الخلق الرشيد، شهادة تنجي صاحبها من الكرب الشديد، في يوم تأتي ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق: ٢١).

أما بعد:

فإن تزكية النفوس وتقويمها، وإصلاح القلوب وتطهيرها، أمل سعى إليه العقلاء في كل الثقافات والحضارات منذ أقدم العصور؛ فسلكوا إلى بلوغه مسالك شتى، وشرعوا لأنفسهم طرائق قددا، وحسبوا أن في أخذهم أنفسهم بها؛ إدراك المنى، وبلوغ الآمال في الحظوة بالحياة الطيبة والعيش الهانئ السعيد.

غير أن كل من أوتي حظا من الإنصاف، ونصيبا من حسن النظر والبصر بالأمور، لا يجد حرجا في الإقرار بأن السعادة الحقة التي تطيب بها الدنيا، وتطمئن بها القلوب، وتزكو بها النفوس؛ هي تلك التي يبينها ويكشف عن حقيقتها الكتاب الحكيم؛ حيث جعل الله فلاح المرء مرهونا بها، وجعل الخيبة والخسران مرهونا بضدها، فقال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس: ٧-١٠).

إن قلوب العباد بيده سبحانه، يقلبها ويصرفها كيف شاء وكيف أراد، وهو الذي آتى نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها، فهو سبحانه يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته، هذا فضله وعطاؤه، وما فضل الكريم بممنون، وهذا عدله وقضاؤه، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٣).

إن أثر العبادة في التزكية يبدو جليا في توحيد الهدف والغاية، واتفاق العلم والعمل، حتى يكون فهم المسلم وعقيدته وعلمه وعمله وقصده واتجاهات قلبه ونشاطه منتظما في سلك واحد، متوافق مؤتلف لا تعارض فيه ولا تضارب، ويرتفع عن كاهل الإنسان ذلك الضيق الممض الذي يستشعره حين تتعارض في نفسه الأهداف، وتتناقض في حياته الأعمال.

ومما يزكي النفوس: تجديد الإيمان فيها على الدوام بصدق الالتجاء إلى الله تعالى، الذي تكون أظهر ثماره المباركة؛ تزكية النفوس، كما جاء في الدعاء النبوي الكريم: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» (رواه مسلم: ٢٧٢٢).

ومما يزكي النفوس ويصلح القلب أيضا: دوام تذكر نعم الله التي أنعم بها على عباده، وإحصاؤها خارج عن مقدور البشر.

وأخيرا: إن عماد التزكية التي تورث الحياة الطيبة في الدنيا، والفوز بعيش السعداء في الآخرة، وأساسها ولبها وروحها؛ عبادة الله على بصيرة، بألا يعبد سبحانه إلا بما شرعه في كتابه، أو صح به الخبر عن رسوله ﷺ، ثم اقتفاء أثر الصفوة من عباد الله المخلصين، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر: ١٨).

رئيس التحرير

الدكتور صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٣ | رجب ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
مارس - أبريل ٢٠١٧م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

● المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	● مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
● مملكة البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٩٠٠/٨٠١ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨/٨١٩	● السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
● قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	● لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
● الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	● المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
● سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	● تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
● الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

● الكويت: ٥٠٠ فلس ● السعودية: ٥ ريالات ● البحرين: ٥٠٠ فلس ● قطر: ٥ ريالات ● الإمارات: ٥ درهم
● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ● الأردن: دينار واحد ● مصر: ٢ جنيه ● السودان: ٠,٥ جنيه ● لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
● المغرب: ١٠دراهم ● تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

أنفس تتزكى

كما أن الماء لا يصفو إلا بترك الشوائب وانفصالها عنه، وكما أن النار لا تصفو إلا بهجران الخبث واجتزائه منها، وكما أن المنظر للرائي لا يصفو إلا من خلال حدقتين مرطبتين ومغسولتين بماء العينين، فهكذا النفس لا يزكيها إلا ترك المعاصي والذنوب؛ صغيرة كانت أم كبيرة، وكلما أفلح المسلم في هجران الخبث انفتحت أبواب الخير أمام عينيه. وإن من أعظم أبواب الخير تيسير الله للعبد فعل الخيرات طوال مسيرة حياته بمساعدة المحتاج والتيسير على أخيه المسلم والسير في قضاء حوائجه.

هنا ترتقي الأنفس وتمضي في اختبار الحياة الدنيا محصلة درجات بعد درجات، وهنا يرتقي المجتمع المسلم ويضرب للمجتمعات المثل المحتذى به، وهنا تكون الرسالة واضحة لغير المسلم، فالرقي لم يأت إلا من وراء نفس أفلح المسلمون عندما زكوها وأبعدوها عن الآثام وقربوها من منافع الناس. ليت كلا منا يحاول أن يصعد درجة أخرى فوق درجته التي حصلها، هنالك نقول: تلك أنفس تتزكى.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

• داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
• الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
• دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
• للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية **(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)**

د. محمود الذوادي
باحث من تونس

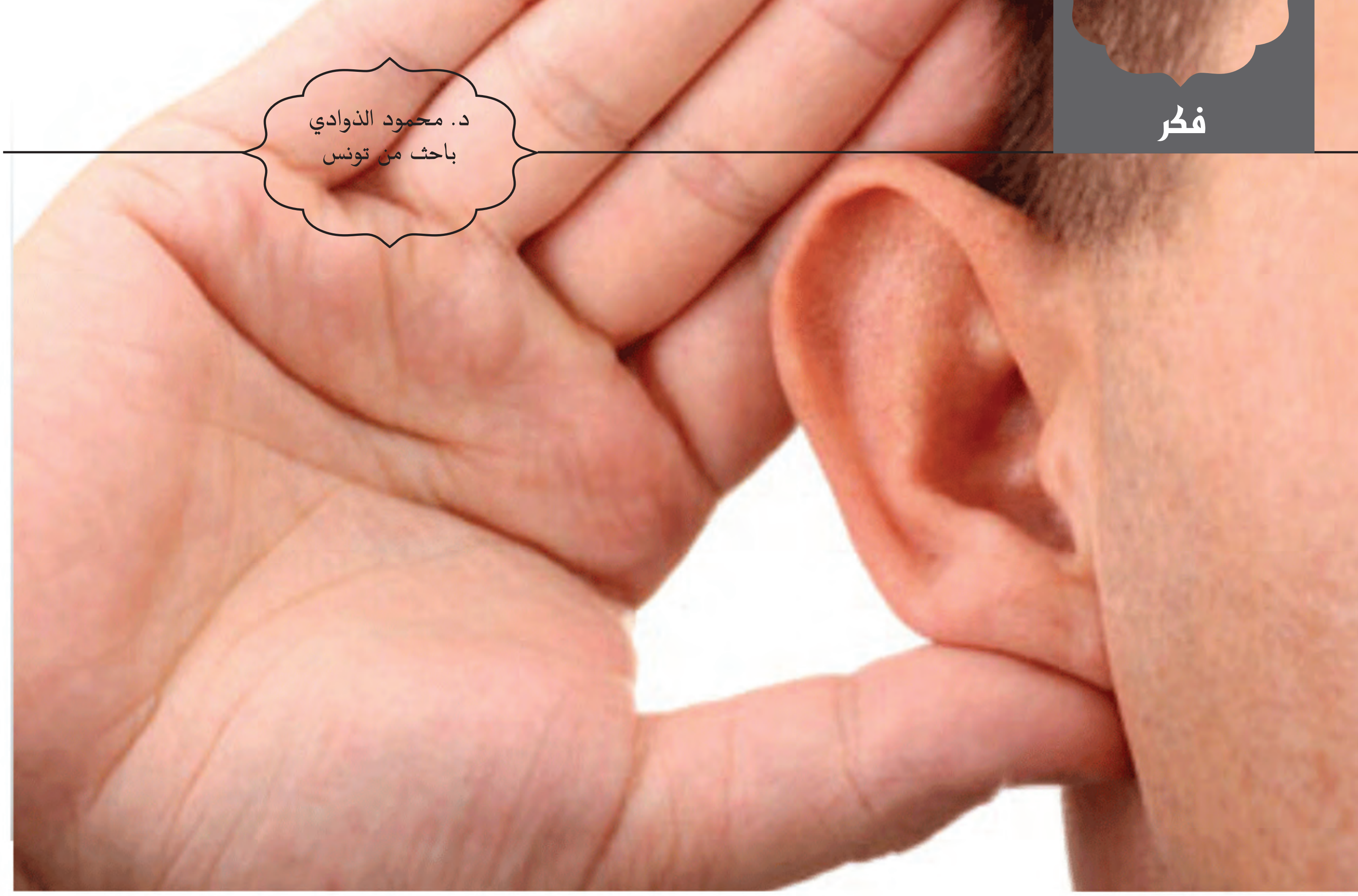

في النقل والعقل ونظرية الرموز الثقافية

تفضيل السمع على البصر

من اللافت للنظر أن عامة الناس وخاصتهم في المجتمعات البشرية يعتبرون البصر أهم من السمع. فينظروا، مثلا، إلى إعاقة العمى على أنها أخطر وأبشع من إعاقة الصمم.. يجوز تفسير هذا السلوك بسبب أن العمى ظاهرة فيزيولوجية مادية ظاهرة تراها عيون المبصرين بينما الصمم لا يتجلى فيزيولوجيا وماديا للناظرين مثل العمى؛ الأمر الذي جعل معظم الناس يميلون إلى اعتبار حاسة البصر أكثر أهمية وقيمة من حاسة السمع. وهي رؤية جماعية وشعبية لا تتناقض مع التحليل الموضوعي للظاهرة فحسب، كما سنرى، وإنما تتناقض أيضا مع ما تشير إليه الآيات القرآنية التي تتحدث عن السمع والبصر. وينبغي الإشارة هنا أن قيمة الأشياء لا تأتي فقط من طبيعتها الذاتية وإنما قد تأتي أيضا من استعمالها كواسطة لتحقيق أشياء أخرى. وينطبق هذا على حاسة السمع لدى الإنسان. فالأهمية العظمى لحاسة السمع عند الإنسان لا تعود مباشرة إلى السمع نفسه وإنما تأتيه بطريقة غير مباشرة، مما أسميه منظومة الرموز الثقافية (اللغة والفكر والدين والمعرفة/ العلم والقوانين والأساطير والقيم والمعايير الثقافية) التي ينفرد بها الإنسان عن غيره من الكائنات. إذ لو كان الأمر يرجع مباشرة إلى حاسة السمع فقط لما تأهل الجنس البشري وحده للسيادة في هذا العالم. وهكذا يمكن صياغة الهوية المميزة للإنسان في المعادلة التالية: الإنسان = الرموز الثقافية + السمع. حيث لا تستطيع الاستعدادات والمؤهلات الفطرية للرموز الثقافية في الإنسان أن ترى الضوء وتتطور وتبلغ أشدها إذا ولد الإنسان أصم أو أصبح أصم في السنوات الأولى لطفولته. وبعبارة أخرى، فلا وجود للإنسان ككائن ثقافي في الصميم بدون التفاعل بين عنصري الرموز الثقافية وحاسة السمع لديه اللذين يمثلان الركيزتين الأساسيتين في تكوين الهوية الثقافية للإنسان.

قصة فكرة هذا المقال

تم اكتشافي للعلاقة بين حاسة السمع والثقافة لدى الإنسان في ٢٠١٢/١٢/٠٨م أثناء المشي على

القدمين في تونس العاصمة قاصدا مكتبة الكتاب. ويعود هذا الاكتشاف إلى ملاحظتي أن ذكر السمع في آيات القرآن الكريم يتقدم على ذكر البصر، وأن صفة سميع لله تعالى تتقدم على صفة عليم. فكان النقل/ القرآن هذه المرة هو المصدر الأول الذي ألهمني لكي أبحث بواسطة العقل في حكمة تقديم السمع على البصر في الآيات القرآنية. إذ أبدأ في العادة أبحاثي انطلاقا من ملاحظة الظواهر الميدانية في سلوكات الأفراد وبنى وحركات المجتمعات. وتلك هي منهجية العقل في مصطلح الثقافة الإسلامية. ومن ثم، فطالما أجمع بين العقل والنقل في مسيرة دراساتي وأبحاثي ومقالاتي كما هو الحال في هذه السطور. دفعتني تلك الملاحظات حول الآيات القرآنية إلى محاولة فهم وتفكيك لغز ما وراء تقديم السمع على البصر في النص القرآني. وهذا ما تحاول كشف النقاب عنه أقسام هذا المقال.

تفوق السمع

فقد أحصيت ١٤ آية يذكر فيها دائما السمع قبل البصر عند حديث القرآن الكريم عن صفات الله عزوجل.. كما في حديثه عن حواس الإنسان.. نكتفي بذكر ثلاث منها: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ (الإنسان:٢)، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)، و﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ (لقمان:٢٨).

فتقديم ذكر السمع على البصر أربع عشرة مرة في تلك الآيات يوحي بأن هذا التقديم أمر مقصود وليس مجرد صدفة. ومن أهداف تقديم كلمات على كلمات أخرى في أسلوب نصوص اللغة العربية وغيرها من اللغات هو إبراز أهمية وأفضلية الكلمات المتقدمة على الكلمات المتأخرة.. فتقديم كلمة السمع كاسم أو فعل أو وصف على مثيلاتها من كلمة بصر يشير بكثير من الوضوح والشفافية إلى أن أهمية حاسة السمع تفوق كثيرا حاسة البصر.

أساس العلم

كما تحفل الآيات القرآنية بكلمة سميع التي تسبق دائما كلمة عليم كوصفين متلازمين لله عزوجل في ٣٠ آية. نذكر أيضا ثلاث آيات فقط بهذا الصدد: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (الأنبياء:٤)، و﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة:١٠٣)، ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦). فتكرار صفة عليم بعد صفة سميع يوحي وكأن العلم يعتمد دائما على السمع. ومن ثم، فالعلاقة بين السمع والعلم هي علاقة سببية.

تتيح الصدارة التي تتمتع بها كلمة السميع/ سميع أمام كلمتي بصير وعليم في الآيات الست المذكورة وغيرها بأن نعتبر حاسة السمع أهم من حاسة البصر وأنها الوسيلة المبجلة لكسب رهان العلم. وهذا ما تؤكده مقارنة الأعمى بالأصم منذ الولادة أو الطفولة المبكرة في ميدان كسب المعرفة والعلم والإبحار فيهما. فمعروف أن بعض الأفراد المصابين بإعاقة العمى مع الولادة أو بعدها بسنوات قليلة قادرون على أن يصبحوا علماء ومفكرين مرموقين يشار إليهم بالبنان في ميادينهم. بينما لا تسمح إعاقة الصمم عند الولادة بالتأهل للفوز في آفاق العلم والمعرفة، لأنها إعاقة تحرم الإنسان من تعلم اللغة وبالتالي من منظومة الرموز الثقافية؛ ميزة الإنسان الكبرى. ومثال طه حسين عميد الأدب العربي الأعمى منذ الصغر نموذج على قدرة حاسة السمع من التمكين للأفراد في طلب العلم والمعرفة والتفوق فيهما بامتياز رغم إعاقة العمى. لقد جاء في مقدمة ابن خلدون أن العدل أساس العمران. وبالمثل يجوز القول إن السمع أساس العلم.

منبع ثقافة الإنسان

تكمن الأهمية الكبرى لحاسة السمع في كونه سبيلا لتحقيق الطبيعة الثقافية للإنسان، كما وقعت الإشارة. فالسمع هو، إذن، الوسيلة الأولى التي يستطيع بواسطتها الإنسان تعلم اللغة والرموز الثقافية. ومنظومة اللغة والرموز الثقافية هي أبرز وأهم ما ينفرد به الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى وهي التي تعطيه مقاليد السيادة الكاملة على بقية المخلوقات على سطح الأرض. وللتعرف أكثر على وظيفة حاسة السمع في ميلاد منظومة الرموز الثقافية عند الإنسان والعلاقة العضوية بينهما، يحسن أولا معرفة طبيعة اللغة التي أعتبرها أم الرموز الثقافية جميعا. فابن جني العالم اللغوي العربي الشهير يعرف اللغة على «أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم». وهو تعريف دقيق جدا في جوهره ومتناسق كثيرا مع تعريفات اللغة عند الباحثين المعاصرين. فابن جني وعلماء اللغة المحدثون يؤكدون على جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية. وهكذا تتجلى

العلاقة الفطرية والعضوية بين اللغة كأصوات والأذن كحاسة سمع لها. ومن الصعب تخيل ميلاد بقية عناصر منظومة الرموز الثقافية، كالدين والفكر والعلم والقيم، مع الغياب الكامل للغة كأصوات بشرية. أي إن اللغة هي المنشئة والناقلة للرموز الثقافية بين الناس في المجتمع الواحد وبين الشعوب وبين الأمم وبين الحضارات الإنسانية.

الصمت عن الوظيفة الكبرى

لا يكاد معظم المفسرين للقرآن الكريم يذكرون شيئا عن الحكمة من تقديم كلمة السمع على كلمة البصر في الآيات القرآنية. يكتفي البعض منهم بذكر عدد الآيات (١٤) التي يأتي فيها ذكر السمع قبل البصر. وأن الجنين في بطن أمه يسمع قبل أن يبصر. وأن الإنسان لا يمكنه سماع صوتين مختلفين في آن واحد، بينما يمكنه إبصار أكثر من شيء بالعين الواحدة. نستطيع بذلك فهم الحكمة من إيراد السمع بالإفراد وإيراد الأبصار بالجمع. فهذا الوصف الإيجابي لبعض معالم حاسة السمع يعتبر وصفا موضوعيا للسمع في حد ذاته. لكن يصعب على المفسرين وغيرهم الاهتداء إلى أهم وظيفة يؤديها السمع لا إلى شيء هامشي أو بسيط في الإنسان، وإنما إلى أهم شيء على الإطلاق يتميز به الجنس البشري عن بقية الأجناس وهي منظومة الرموز الثقافية. يفترض أن لهؤلاء جميعا إدراكا ما بوجود الرموز الثقافية عند الإنسان. فمثل هذا الإدراك العادي/ البسيط لا يكفي لتفسير سبب تفضيل السمع على البصر في الآيات القرآنية. ففهم ما وراء أفضلية السمع يحتاج إلى إدراك معرفي/ ابيستيمولوجي عميق بالنسبة لمكانة منظومة الرموز الثقافية في هوية الإنسان. فنظرية الرموز الثقافية عندي تدرك بوعي كامل أن الرموز الثقافية هي بيت القصيد في كينونة الإنسان، الأمر جعل نظريتي تنادي بأن الإنسان كائن ثقافي بالطبع قبل أن يكون اجتماعيا أو سياسيا أو اقتصاديا بالطبع، كما تقول العديد من نظريات العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة. فمقولة هذه النظرية تعطي مشروعية واضحة وصريحة لتفضيل السمع على البصر. فالسمع وليس البصر هو الأساس الضروري لتعلم اللغة ونشأة منظومة الرموز الثقافية عند الإنسان. أي إن حاسة السمع هي ملكة نشأة وحماية وتطور واكتمال منظومة الرموز الثقافية عند كافة بني البشر. ألا تؤهل هذه الوظيفة السامية السمع للحصول على تأشيرة الأفضلية على البصر وغيره من الحواس الأخرى لدى الإنسان كما تشير آيات القرآن الكريم؟ فالأهمية العظمى لحاسة السمع تتجلى في كونها الوسيلة الأولى والمبجلة لخلق عالم الرموز الثقافية المميزة الذي يؤهل الإنسان وحده ليكون سيد هذا العالم.

التأسيس للنظرية

بناء على ما سبق ذكره، فبحوثي المتواصلة في الرموز الثقافية منذ أكثر من عقدين قادتني إلى إنشاء نظرية الرموز الثقافية التي تقول إن الإنسان كائن رموزي ثقافي بالطبع. أي إن جوهر الإنسان المميز له عن بقية الكائنات يكمن في منظومة تلك الرموز الثقافية التي تحتل المركز الأول في هويته، كما رأينا. ومن ثم، أكدت على أن أي تحليل لمفهوم الطبيعة البشرية يجب أن تحتل فيه الرموز الثقافية مكان الصدارة.

أستعمل هنا منهجية مبتكرة للبرهان على المكانة المركزية التي تتمتع

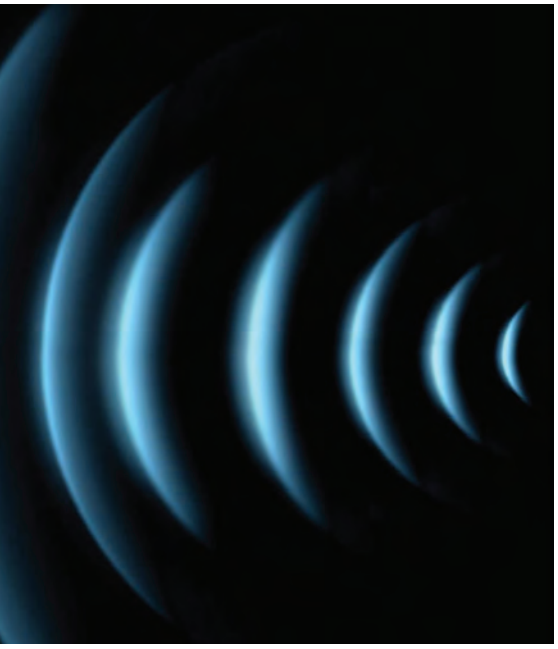

بها منظومة الرموز الثقافية في هوية الإنسان. ومن ثم، تأتي أيضا مشروعية الأهمية المركزية لحاسة السمع عند الإنسان. تستند هذه المنهجية على ملاحظات ميدانية رئيسية حول خمسة معالم ينفرد بها الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى:

١- يتصف النمو الجسمي لأفراد الجنس البشري ببطء شديد مقارنة بسرعة النمو الجسدي الذي نجده عند الحيوانات، مثلا.

٢- يتمتع أفراد الجنس البشري بأمد حياة (سن) أطول من عمر معظم أفراد عالم الحيوانات.

٣- ينفرد الجنس البشري بلعب دور السيادة/ الخلافة في هذا العالم بدون منافسة حقيقية له من طرف بقية الأجناس الأخرى.

٤- يتميز الجنس البشري بطريقة فاصلة وحاسمة عن الأجناس الأخرى بمنظومة الرموز الثقافية المذكورة سابقا.

٥- يختص أفراد الجنس البشري بهوية مزدوجة تتكون من الجانب الجسدي، من ناحية، والجانب الرموزي الثقافي (المشار إليه أعلاه في ٤)، من ناحية

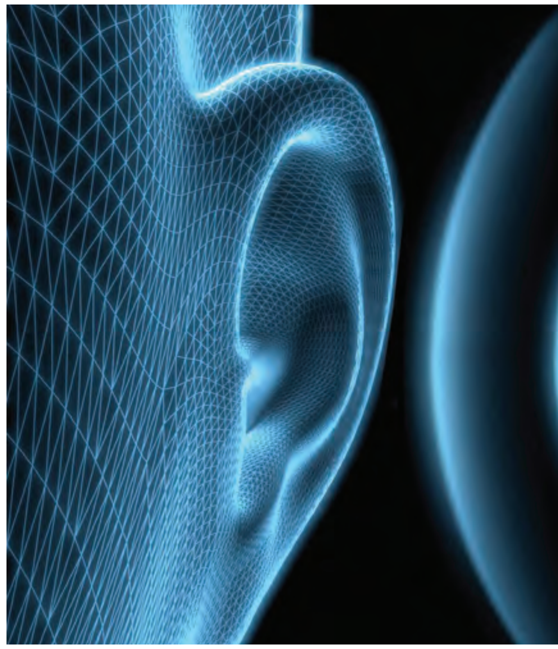

ثانية.

فالسؤال الفكري المشروع الآن لتأكيد مركزية الرموز الثقافية في الإنسان هو: هل من علاقة بين تلك المعالم الخمسة التي يتميز بها الإنسان وما هو دور الرموز الثقافية في هذا الأمر؟

هناك علاقة مباشرة بين المعلمين ١ و٢. إذ إن النمو الجسمي البطيء عند أفراد الجنس البشري يؤدي بالضرورة إلى حاجتهم إلى معدل سن أطول يمكنهم من تحقيق مراحل النمو المختلفة والمتعددة المستويات. أما الهوية المزدوجة التي يتصف بها الإنسان فإنها أيضا ذات علاقة مباشرة بالعنصر الجسدي (المعلم ١) للإنسان، من جهة، والعنصر الرموزي الثقافي (المعلم ٤)، من جهة أخرى.

أما سيادة الجنس البشري فهي ذات علاقة قوية ومباشرة بالمعلمين ٥ و٤: الهوية المزدوجة والرموز الثقافية. والعنصر المشترك بين هذين الجانبين هو منظومة الرموز الثقافية. وهكذا يتجلى الدور المركزي والحاسم لمنظومة الرموز الثقافية في تمكين الإنسان وحده من السيادة/ الخلافة في هذا العالم.

تسمح منظومة الرموز الثقافية كذلك بتفسير المعلمين ١ و٢. فالنمو الجسمي البطيء عند الإنسان يمكن تفسيره بسبب أن عملية النمو الشاملة عنده تتكون من جبهتين: الجبهة الجسمية وجبهة الرموز الثقافية. وهذا خلافا للنمو الجسدي السريع عند الكائنات الأخرى بسبب فقدانها لمنظومة الرموز الثقافية بمعناها البشري الواسع والمعقد. وهذا يعني أن نمو الكائن البشري على مستويين يؤدي بالضرورة إلى بطء عملية النمو ككل عنده: أي على الجبهتين. وبعبارة أخرى، فانصراف كل جهود عملية النمو عند الإنسان إلى جبهتين لا جبهة واحدة يعطل سرعة النمو على الجبهتين عند الإنسان: أي إلى بطء في كل من النمو الجسدي وبطء في النمو الرموزي الثقافي.

يلخص الرسم التالي مركزية الرموز الثقافية في صلب هوية الإنسان، فيعطي بذلك مشروعية قوية لنظرية هذه التأملات الفكرية والقائلة بأن الإنسان كائن رموزي ثقافي بالطبع.

١- جسم الإنسان بطيء النمو. ٢- طول العمر. ٣- سيادة الإنسان في العالم. ٤- مركزية اللغة والرموز الثقافية في هوية الإنسان. ٥- الإنسان مزدوج الطبيعة.

نظرية الرموز الثقافية

ويمكن التأكيد أن هناك مشروعية لوصف هذا الإطار التحليلي للرموز الثقافية بأنه يمثل نظرية، لأن النظرية هي ذلك الإطار الفكري الذي يفسر عددا من الظاهرات المختلفة. وهذا ما تلبيه نظرية الرموز الثقافية. فالمعالم ١، ٢، ٣، و٥ المميزة للإنسان في الرسم هي حصيلة لمركزية الرموز الثقافية في هوية الإنسان. ومنه، تأتي مصداقية استعمال منظومة الرموز الثقافية لبناء نظرية لفهم وتفسير طبيعة الإنسان وسلوكيات الناس وشؤون مجتمعاتهم.

يتضح مما سبق ومن أطروحة النظرية أن هوية الإنسان هي هوية رموزية ثقافية في الصميم يتميز بها عن غيره من الكائنات بسبب تمتع الإنسان بكل من حاسة السمع ومنظومة الرموز الثقافية. بينما حرمت من هذه الأخيرة الأجناس الأخرى الأمر الذي جعلها عاجزة، رغم تمتعها بالسمع، عن إنشاء منظومات ثقافية مشابهة لمنظومة الرموز الثقافية عند الإنسان. ومن ثم، فزمالة السمع والرموز الثقافية شرطان أساسيان ومؤسسان لظهور الإنسان ككائن متميز وقادر وحده على السيادة/ الخلافة في هذا العالم المترامي الأطراف. ومن هذه الرؤية يتجلى سمو دور السمع على دور البصر -في التحليل العقلي والتراث النقلي- في كسب الإنسان لرهان هويته الثقافية التي يتميز ويعلو بها على بقية المخلوقات على وجه الأرض. وهكذا يتضح جليا أن ثنائية السمع والرموز الثقافية تجعل من الإنسان كائنا ثقافيا بالطبع.

إنها نظرية تختلف معرفيا وفكريا عن نظريات الماركسية والبنيوية والتحليل النفسي وكذلك عن رؤى ومنظورات مدارس العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة التي لم تطرح منظومة الرموز الثقافية كمركز ثقل أول في طبيعة وهوية الإنسان، ناهيك عن ذكر الدور الحاسم لحاسة السمع في ميلاد منظومة الرموز الثقافية لدى الجنس البشري فقط، كما سبق بيانه في مقولة هذه الملاحظات الميدانية والتأملات الفكرية حول العلاقة العضوية الأصيلة بين حاسة السمع عند الإنسان ومنظومة الرموز الثقافية. كل ذلك يبرز عظمة دور السمع التي تأتي من مصاحبته وخدماته الثمينة لأهم شيء في الإنسان، ألا وهي منظومة الرموز الثقافية.

القاهرة – دينا صلاح
دار الإعلام العربية

د. عمر القاضي لـ «الوعي الإسلامي» قبل رحيله:

لابد من تفسير جديد يخاطب غير المسلمين

كان رحيله فاجعة للأوساط الدعوية التي عرفته كاتبا ومفكرا ومفسرا له ثقله، فقد تعددت إسهاماته في المجالات الأكاديمية والدعوية في مصر وخارجها، وكانت له صولاته في أوروبا، حيث نافح بكل ما أوتي من قوة عن الدين الإسلامي، وبذل وسعه في التعريف بأصوله التي تقوم على الوسطية والتسامح، فكان سفيرا حسنا للدين الإسلامي في الغرب، يهتم بمتابعة كل ما يطرأ على هذه المجتمعات من ظواهر تحتاج إلى بيان موقف الدين منها، ومن هنا وجد لزاما عليه أن يقوم بعمل تفسير يتناسب مع العقلية الغربية التي ترى الإسلام دينا جامدا توقف عند عصر معين.

والتفسير الذي دار حوله الحديث يختلف عن هذه الاتجاهات في شكله ومضمونه؛ فهو يُعتبر أول تفسير موجّه إلى غير المسلمين والغرب في المقام الأول، يناقشهم بهدوء، يكشف لهم الحقيقة، يبين لهم ما أشكل عليهم، وفي نفس الوقت لا يقطع صلته بما سبقه من جهود منذ ظهور علم التفسير.

إذن هي محاولة جادة تستحق الوقوف أمامها لتقييمها والتعرف على أبعاد هذا الطرح الجديد، من خلال آخر لقاءات الأستاذ الدكتور عمر مختار القاضي الأستاذ بجامعة الأزهر بالقاهرة قبل أن توافيه المنية.

• في البدء نريد أن نتعرف مع القراء الكرام على منشأ فكرة هذا التفسير، وأهم العوامل المؤثرة فيها، وكيف كانت البداية؟!

–بدأت الفكرة منذ وقت طويل وبالتحديد حين ذهبت إلى فرنسا عندما رشّحتني الجامعة لبعثة للحصول على الدكتوراه من جامعة باريس، وكانت فرصتي كبيرة جدا لمعايشة المجتمع الفرنسي، وهناك لاحظت أن هذا المجتمع من أكثر المجتمعات حبا للقراءة وشغفا بالاطلاع، وواجهت تساؤلات كثيرة ومتعددة من جانب المسلمين وغيرهم تدور حول فهم القرآن الكريم، ووجدت كثيرا منها يواجه فهما خاطئا لكثير من قضايا القرآن الكريم، فالبعض منهم –مثلا– يرى أنه لا لزوم للدعوة إلى الإسلام، لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ (البقرة: ٦-٧)، وهذا يعني أنه لا جدوى من إنذارهم، لأن الله سبحانه قد ختم على قلوبهم فمنعهم من الإيمان، ويتساءلون من ثم عن أهمية العقاب الأخروي، فإذا كان الأمر جبريا فلماذا يحاسب الإنسان عليه؟!

• وما هي الخطوات الفعلية التي اتخذتها في سبيل هذا المشروع؟

– من هنا كان التفكير في أهمية وجود قدر أدنى من التفسير يصاحب النص القرآني حتى يتفهمه العامة من غير المختصين في العلوم الإسلامية، سواء باللغة العربية أم باللغات الأخرى.

وفي عام (١٩٩٤م) عملت كخبير بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو)، وأسند إلي الإشراف على برنامج الرد على الأخطاء والشبهات التي تُثار حول الإسلام والمسلمين.

وفي العام التالي قامت لجنة داخلية بمناقشة الخبراء حول برامجهم من حيث الجودة والصعوبات والعقبات، وأوضحت آنذاك برؤيتي ضرورة تكليف مختصين في التفسير لإخراج تفسير جديد مستقل وميسر، ويتضمن إيضاحا في حيز مستقل للإشكالات التي يمكن أن تلتبس على القارئ، فضلا عن أهم القضايا العصرية التي تطرح نفسها بقوة على الساحة.

وقد طلبت اللجنة مني إعداد ورقة أولية عن هذا المشروع فأعددتها، وتم عرضها على اللجنة التي أجمعت على إسناد هذا العمل إليّ، بحجة أن هذا المنهج جديد ومبتكر في التفسير،

إلا أن هذا التكليف نزل مني منزل القلق، فما كنت أتخيل أن أقوم بمثل هذا وحدي، وهي أمانة ما لي على حملها صبر ولا جلد.

وقد أبديت قلقي هذا إلى أحد الأصدقاء -وهو الأستاذ سعيد هيكل مدير التربية بالإسيسكو آنذاك- الذي طمئنني وهدّأ من روعي، وتوكلت على الله عز وجل ودعوته أن يوفقني إلى القيام بهذه المهمة الصعبة.

• تزخر المكتبة الإسلامية بكثير من التفاسير التي تختلف وتتفق في مناهجها واتجاهاتها، فما الجديد الذي يقدمه تفسيركم للقارئ؟ وأي الفئات تستهدف بهذا العمل الجديد؟

- هذا التفسير الموسوم بـ«التفسير المنير ومعالجة قضايا المجتمع من خلال القرآن الكريم» يقوم على منهج يرتكز على عدة أمور، فبالنسبة إلى العرض يقوم التفسير على عرض النص القرآني في كل صفحة مستقلة، ثم حيز التفسير اللغوي المبسط الذي يوضح معاني الكلمات الصعبة، وعند وجود قضية أعلى من مستوى الفقه اللغوي مثل الآيات التي تحمل وجوها تكون محل تشكيك من المستشرقين.

إن معالجة هذه الأمور من أخطاء الفهم والالتباسات وتوجيه النظر إلى صدق النبوة وغيرها من مواطن الترغيب يكون في حيز مستقل عن حيز التفسير اللغوي، لأننا نؤمن أن الفهم اللغوي هو الأقرب للإرادة الإلهية، فمن الأفضل ألا أخلط فيها تأملاتي، وإنما أقوم بها في حيز مستقل من الصفحة، وليس في الهامش لأنها تأملات جوهرية وليست ثانوية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الأحكام التي وقع عليها النسخ والتخصيص تكون في حيز مستقل بها تحت الحيز المخصص للنص القرآني الخالص.

أفضل أن يكون أسلوب العرض قائمًا على الاختصار والتبسيط والتعمق في نفس الوقت

وعلى ذلك تكون جميع الصفحات: إما صفحات تحتوي على النص والتفسير، وإما على النص والنسخ والشرح، وإما صفحات تحتوي على الأقسام الأربعة: بيان النسخ أو التخصيص والشرح والقضية.

أما عن أسلوب العرض فيقوم على الاختصار والتبسيط والتعمق في نفس الوقت بحيث لا يكون سطحيا هشا، ويُوجّه إلى أقرب شريحة من الجمهور الواسع على اختلاف مستوياته الثقافية وانتماءاته العقدية، وهو ما يتطلب مجهودا كبيرا في الصياغة وانتقاء الألفاظ والبعد عن المصطلحات التي يصعب فهمها على غير المختصين في العلوم الإسلامية.

ويقع التفسير في مجلد واحد يقع في نحو خمسمئة وسبعين صفحة من الحجم الكبير حتى يكون في متناول القارئ، وقد ساعدني على ذلك الأخ المهندس أسامة محيسن الذي بذل جهدا مشكورا لإخراج التفسير بشكل جيد، وعمل على أن يخف حمله على القارئ بحيث يمكنه اصطحابه في حله وترحاله.

• لكل عمل معوقات تعترض طريقه وتثقل خطاه؛ فما هي أهم المعوقات التي واجهتكم في سبيل إنجاز هذا العمل الجديد في شكله ومضمونه؟

- أعتقد أن العائق الأول الذي

واجهني هو عامل الوقت، فقد كنت آمل -كما أشرت منذ قليل- أن تقوم على إعداد هذا التفسير لجنة من العلماء، إلا أنني قد استغرقت في إعداده ما يربو على تسع سنوات بدءا من عام (١٩٩٥م)، وقد تم عرضه على المختصين أمثال الأستاذ الدكتور محمد المختار ولد أباه، وهو صاحب ترجمة جيدة لمعان في القرآن الكريم باللغة الفرنسية، ثم عُرض على الأستاذ الدكتور محمد الروكي أستاذ أصول الفقه الإسلامي بالمغرب، فأثنى عليه خيرا، ثم راجعه الأستاذ سعيد هيكل.

ثم يأتي العائق الثاني وهو التكاليف، فقد آليت على نفسي أن يكون إعداد هذا العمل على نفقتي الخاصة، مما تطلب كثيرا من المراجع المختلفة في التفسير والفقه والحديث والتاريخ والفلسفة وغيرها من العلوم.

● قلت إن تفسيركم هذا موجه في المقام الأول إلى غير المسلمين لاسيما في الغرب، فكيف ترون الوسائل المناسبة لانتشاره عندهم؟

- لقد راعيت عند إعداد هذا التفسير أن تكون كتابته بمستوى ميسر حتى تمكن ترجمته بعد ذلك بسهولة، لأن أكثر المترجمين ليس لديهم إلمام كاف بالمصطلحات التخصصية بالرغم من جودة مستواهم في الترجمة، ولذلك جاءتني عروض متعددة لترجمته إلى بعض اللغات؛ ولكن تقف مشكلة النشر حجرة عثرة أمام ذلك المشروع نظرا لتكلفتها الباهظة.

● بما أنكم ممن يُجيدون اللغة الفرنسية فهل فكرتم في ترجمة التفسير إليها حتى تعظم الفائدة، لاسيما أن الفكرة قد بدأت تراودك في هذا البلد؟!

- أرجو من الله سبحانه وتعالى أن ينسأ في أجلي حتى أتم هذه الترجمة التي ستحتاج إلى جهد وفير ووقت ليس بقصير، وهذا بلا شك من الأمور التي أضعها نصب عيني؛ ولكن كما يُقال: فإن ما لا يُدرك كُله لا يُترك كله، واسمح لي أن أستغل فرصة لقائي مع مجلتكم الغراء لأعلن من هنا أن هذا العمل مسموح بترجمته إلى أي اللغات دون أية متطلبات مالية من طرفي طالما كانت الترجمة صحيحة غير مخلة بمادته العلمية.

● بعد نفاد الطبعة الأولى، ما الذي تؤمله لهذا التفسير في الطبعات القادمة؟!

- أتمنى أن يوفقني الله سبحانه وتعالى إلى إخراج طبعة جديدة تحوي بعض القضايا التي تطرح نفسها على الساحة؛ فالقرآن بحر زاخر بالعلوم لا تنقضي عجائبه؛ وكلما زاد استقراء الإنسان له وجد فيه ما يستحق الدراسة والبحث، هذا بالنسبة إلى المضمون، أما عن الشكل فآمل أن تخرج الطبعة ملونة بحيث يكون هناك لون خاص بالآيات التي تحمل أحكاما نُسخت أو خُصصت، ولون آخر للآيات التي تحتوى على قضايا، ولون خاص بالآيات التي تحمل دلالات للنبوة والبيانات العلمية؛ وبذلك يستطيع القارئ أن يلاحظ عن طريق اللون الموضح ما ينبغي عليه مراعاته عند فهمه.

● وماذا عن مشروعاتك الفكرية المستقبلية؟

- سأسير بعون الله عز وجل على نفس المنهج في تناول كتب التراث الإسلامي في ضوء القضايا الاجتماعية المعاصرة، فأنا معني بتقريب التراث الإسلامي وتقديمه بشكل سائغ للقارئ في ظل الفجوة العميقة التي يشدها الفكر الإسلامي نتيجة القطيعة مع التراث، وقد انتهيت بالفعل من التعليق على كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» لابن رشد على ضوء القضايا المعاصرة مع تخريج الآيات والأحاديث الواردة فيه، وأيضا فأنا بصدد الانتهاء من شرح السنة المطهرة على ضوء القضايا من خلال كتاب «بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام» للإمام ابن حجر العسقلاني، ثم هناك قراءة جديدة لكتاب «فقه السنة» للأستاذ سيد سابق، تتضمن بعض القضايا الجديدة في ضوء منهج الأستاذ سابق -رحمه الله.

أما على المستوى الدعوي فأفكر في عمل حقيبة للتعريف بالدين الإسلامي لغير المسلمين تتضمن تعريفا عاما للإسلام وأصوله، كما تحوي سيرة النبي ﷺ، وهو عمل لو قُدر له أن يرى النور سيكون له أثره الكبير في تبليغ رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، وتصحيح الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام.

القاضي في سطور

عمر مختار القاضي.

مواليد القاهرة.

عمل أستاذا بكلية الشريعة والقانون جامعة الأزهر.

عمل خبيرا بمنظمة الإسيسكو لعدة سنوات أشرف فيها على عدد من المشروعات الفكرية.

له عدة مؤلفات في التفسير والفكر الإسلامي والقانون.

وافته المنية يوم الثلاثاء (١٢) ربيع الآخر (١٤٣٨هـ)، الموافق (١٠) يناير (٢٠١٧م).

محمد جمال حليم
باحث دراسات إسلامية

التشريعات الاجتماعية في الإسلام وأثرها في معالجة الأزمات

في الوقت الذي عانى فيه العالم قديما - ولايزال - ويلات أزمات طاحنة على جميع الأصعدة سياسية، واقتصادية، واجتماعية، تأكل الحرث والنسل، عاش المجتمع الإسلامي زمانا ينعم بالعطايا، وينشر الفضل في أرجاء الأرض.

ومع تجدد الأزمات في العصر الحديث بات من الصعب - إن لم يك من المستحيل - حصر المشكلات، ومعالجة أسبابها بالطرق التقليدية؛ حيث إن التطور والرقي ساهما وبشكل كبير في تعقد طرق الحل؛ لتنوع صور المشكلات.

وبرغم ما يعانيه المسلمون اليوم - كما العالم - من ويلات الحرب المستعرة لتوفير ضروريات الحياة وحاجياتها، فلا يمكن التغافل عن زمن الفخار

والعز، يوم كان الدين هو الذي يتكلم ويسمع له، وتشريعاته هي التي تحكم ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ (البقرة: ١٣٨). فلقد حوى ديننا الحنيف من التشريعات ما يعالج الأزمات الراهنة، بل وما يمكن وصفه بـ «الحلول الوقائية» للأدواء قبل وقوعها، وتأتي في مقدمة هذه التشريعات، «التشريعات الاجتماعية» التي تدعم أواصر المجتمع؛ فيعطف الغني فيها على الفقير، ويشعر الصحيح بداء السقيم، ويتنافس فيها الناس على الخير لرفع الكرب، ورد الظلم، ونشر العدل؛ ليمسي المجتمع متماسكا قوي البنيان. ومن أمثلة هذه التشريعات «الوقف» (١).

أبدية العطاء

يأتي هذا التشريع ليسهم بدوره في علاج الكثير من الأمراض التي ابتليت بها الأمة ويعالجها في حاضر أمرها ومستقبله؛ حيث إن الواقف يعتمد وبشكل أساسي على أبدية العطاء لفئة ما، تعوزها الحاجة، لخدمة بعينها يوفرها الواقف ابتغاء وجه الله.

ولحرص الأقدمين على الثواب راحوا يتبارون في تنوع وقوفهم وشمولها لكل صور الحاجة التي يحتاجها أهل زمانهم، ومن ثم باتت المجتمعات الإسلامية في ذلك العصر أشد ارتباطا، وأقوى أساسا، «فالمؤسسات الوقفية تنوعت في منافعها، وتعددت في أصنافها المتخصصة في المساجد وملحقاتها، ودور العلم والمكتبات، وكفالة الأيتام، ورعاية المكفوفين، والمعوقين، والمسنين وغير ذلك من مرافق خاصة، بالإضافة إلى توظيف أعداد كبيرة من ذوي الكفاءات العالية وفي تخصصات مختلفة، قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمجتمع وعملت على تحقيق التنمية في مجالات مختلفة وعلى جميع الأصعدة» (٢).

وقد أسهم الوقف إسهاما واضحا في تطور المجتمع الإسلامي عبر العصور، فبواسطته شيدت المساجد، والمدارس، والمعاهد، والمشافي، ومهدت الطرق، وأوجدت مصادر المياه، وأنشئت الملاجئ، والأربطة، وأنفق على عمارة المساجد، وأئمتها، ومؤذنيها، والعلماء، وطلبة العلم، ووفرت المكتبات، وغير ذلك، ما أدى لازدهار الحضارة وتقدم المجتمع الإسلامي عموما.

ولا يخفى ما للوقف - قديما - من دور في تمكين الاقتصاد الإسلامي وتنمية موارده لتفي بحاجات المجتمع، وقد حقق أغراضا اقتصادية جمة أثبتت أن الأمة الإسلامية أمة حية، أمة تجديد لا تبديد، أمة ابتكار لا أمة تكرار، أمة إبداع لا أمة ابتداع، ويظهر هذا في شمولية هذا التشريع - الوقف - للمنافع العامة التي تلبي حاجات قطاعات كبيرة من الناس، كشق الترع، وبناء الجسور، وإقامة أسواق تجارية، وإنشاء منارات السفن، وتعبيد الطرق وتعهدها بالإصلاح - لاسيما طرق الحجيج - وغير ذلك الكثير. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعدى نفع الوقف ليشمل تأمين المواصلات البرية بين البلدان، وعمل استراحات على الطرق بين الأقطار، وهو ما وثق الصلات العلمية، والثقافية، والاجتماعية، والتجارية، أيضا بين البلدان.

الوقف من خصائص الإسلام

من روائع ما امتاز به ديننا الحنيف اشتماله على جملة من التشريعات الزاخرة التي تفي بتجسيد الدور الاجتماعي التكافلي الذي جاء الإسلام يدعمه، ومن هذه التشريعات، الوقف، فلقد تميزت حضارتنا الإسلامية في جانبها القيمي بالتركيز على أعمال الخير، والإنفاق على أوجه البر، وهو ما عرف في الحضارة الإسلامية بالصدقة الجارية - الوقف -.

وإن كان الوقف موجودا في عصور ما قبل الإسلام، إلا أنه كان مجالا للتفاخر والتباهي عندهم، حتى جاء الإسلام فضبط رسمه ووسمه، وجعله ابتغاء المثوبة، ورتب عليه جزيل العطاء

في الدارين (٣).
ومما يدل على اختصاص الإسلام به، ما قاله الإمام الشافعي: «لم يحبس أهل الجاهلية دارا ولا أرضا فيما علمت، إنما حبس أهل الإسلام». وعن الوقف يقول النووي: «وهو ما اختص به المسلمون». وقال أيضا: «الوقف من خصائص المسلمين» (٤). وإن كان لنا أن نفخر، فلنفخر بهذه التشريعات.

نماذج للوقف في عصر النبوة

لقد حاز الصحابة الكرام السبق في هذا المجال، فبلغوا به المنزلة وأكثروا فيه العطية، ومما يدل على عظم شأن الوقف عندهم وأنهم يوقفون أنفس ما لديهم، ما رواه البخاري: «أن عمر بن الخطاب أتى النبي، فقال له: أصبت أرضا لم أصب مالا قط أنفس منه، فكيف تأمرني به قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها. فتصدق عمر أنه لا يباع أصلها، ولا يوهب، ولا يورث، في الفقراء، والقربى، والرقاب، وفي سبيل الله، والضيف، وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف أو يطعم صديقا غير متمول فيه».
وهذا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ينبري لحفر بئر رومة، وتجهيز جيش العسرة، بعد دعوى النبي ﷺ لذلك، ففي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «من يحفر بئر رومة فله الجنة»، فحفرها عثمان، وقال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» فجهزه عثمان. وغير ذلك الكثير مما يضيق المقام لذكره.

في العصر العباسي

كان للعباسيين النصيب الأوفى من الإسهامات الخيرية التي طالت حاجات الناس ومطالبهم، وقد تميزوا بدأبهم على وقف ما ينفع العامة ويمتد أثره للمستقبل، ومن هذه الأوقاف «وقف زبيدة» (٥)، الذي لا تزال معالمه في طريق الحج من العراق إلى المدينة بادية، بالإضافة لعين سقيا الحجيج سميت باسمها «عين زبيدة»، وهي أول مشروع مائي شكل نموذجا فريدا للهندسة الإسلامية في ذلك الزمن.
وتنحدر العين - التي بدأ العمل بها عام ثمانمئة - من وادي النعمان أسفل جبال الحجاز عبر قنوات مائية يصل عمقها إلى أربعين مترا تحت الأرض، ومبنية من الحجر المخرم، وقد تم تشييدها بطريقة دقيقة بحيث تصل إلى المشاعر المقدسة على سطح الأرض، ويرتوي منها الحجاج مباشرة، واستغرق العمل بها عشر سنوات حتى اضطرت زبيدة إلى بيع كل ما تملك من أجل إكمال هذا المشروع الحيوي الضخم.

في العصر الحديث

ومن الأوقاف الشهيرة في العصر الحديث، وقف السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، حيث أطلق مشروعه العملاق لربط بلاد الشام بالحجاز عبر خط الحديد الحجازي الذي بلغ طوله (١٣٢٠كم)؛ ليختصر الرحلة التي كانت تستغرق شهرا أو أكثر، لخمسة أيام، وهو ما شجع على التواصل التجاري والثقافي بين بلاد الحجاز والشام، إضافة لتسهيل وصول الحجيج لبيت الله الحرام.
وقد بدأ العمل في هذا الخط سنة (١٩٠٠م)، وتم افتتاحه سنة (١٩٠٨م)، واستمر التشغيل إلى أن دُمِّر الخط سنة (١٩١٦م) خلال الحرب العالمية الأولى؛ إذ تعرض للتخريب بعد سقوط دولة الخلافة العثمانية.
وإذا كنا نلفت النظر لما كان عليه الأسبقون من حرص على التشييد، ورغبة فى التعمير، - رغم قلة النوائب وضعف الدافع آنذاك - فإننا ومع تزايد حدة التطاحن من أجل توفير لقمة العيش تزداد الحاجة لتفعيل مثل هذه التشريعات الاجتماعية السامية؛ ليعود المجتمع الإسلامي قوي البنيان كما كان، ولينعم الجميع بفيض الإسلام الوافر ومائه العذب الفرات.
فإن كان الناس في العديد من الدول، لا يزالون يقتسمون ريع بعض الأوقاف التي منحت لهم من سنوات، فإن الأمل معقود على زيادة نشاط الجمعيات الأهلية والمؤسسات الوقفية، التي تقوم بدور حيوي غير خفي في هذا المجال، إضافة لآحاد المسلمين الأخيار الذين لا يخلو منهم مكان أو زمان، فالعود العود لدين ربنا وهدي نبينا، فبالإسلام نرتقي، وبتشريعاته الحميدة ننعم؛ لنعود أمة متماسكة كالبنيان المرصوص، يتجسد فينا قول المعصوم ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٦)، ولنصل الماضي بالحاضر بردنا لمواطِن العز والفخار. فهل من مجيب؟

الهوامش

١- (تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة في أوجه البر تقربا إلى الله تعالى).
٢- (من بحث بعنوان «الوقف» الإسلامي في القرآن والسنة وأثره على تنمية المجتمعات الإسلامية، للباحث سعدات جبر، جامعة القدس، بتصرف يسير).
٣- (يرجع هذا المعنى في: «الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر» لمحمد محمد أمين ص١١-١٥).
٤- (المؤسسات المالية الإسلامية، د. عبد الباسط وفا، ص٢٤٣).
٥- اسمها الحقيقي «أمة العزيز»، هي زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد، وحفيدة مؤسس الدولة العباسية الخليفة أبو جعفر المنصور. وكنيتها زبيدة نظرا لشدة بياضها، وتعتبر من أهم نساء الدولة العباسية وأكثرهن شهرة.
٦- (أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير).

د. محمود محمد خلف
عضو اتحاد المؤرخين العرب

أبناء الفرغاني.. رواد علم الهندسة المعمارية في مصر الإسلامية

يعرف العلامة ابن خلدون الهندسة بأنها: «النظر في المقادير إما المتصلة كالخط والسطح والجسم وإما المنفصلة كالأعداد، وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية. مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين. ومثل أن كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا إلى غير نهاية. ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتان. ومثل أن الأربعة مقادير المتناسبة ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وأمثال ذلك» (١).

والهندسة من العلوم القديمة التي اشتهر العمل بها عند علماء اليونان والهنود والفرس وقدماء المصريين. وجدير بالذكر، أن كتاب إقليدس «الأصول» قد ترجم إلى اللغة العربية في خلافة أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/ ٧٥٤-٧٧٥م) على يد حنين بن إسحاق، وثابت ابن قرة واختصره الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه «الشفاء» (٢).

ولعلم الهندسة أهمية كبيرة لأنها تضيء العقل، وتعمل على استقامة الفكرة، لأنها كما يقول ابن خلدون: «كلها بنية الانتظام، جليلة الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها، لترتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ، وينشأ لصاحبها عقل على ذلك... فممارسة علم الهندسة للفكر، بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الأقذار وينقيه من الأدران» (٣).

أسرة تورِّث الهندسة

مع أسرة علمية عملت في مجال الهندسة المعمارية لعقود طويلة، وكان لها أثر كبير في الحضارة الإسلامية عامة وحضارة مصر الإسلامية خاصة. إنها أسرة الفرغاني. كان على رأس هذه الأسرة العالم الفاضل أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني، المنسوب إلى بلاد فرغانة (٤)، إحدى أقاليم بلاد ما وراء النهر (جمهورية أوزبكستان حاليا).

للأسف الشديد، لم تمدنا مصادرنا التاريخية بشيء يذكر عن حياته أو رحلته العلمية، لكنها اتفقت على عظمته وعبقريته. قال ابن النديم: «كان فاضلا منجما مقدما في صناعته» (٥). وقال عنه القفطي: «كان منجما فاضلا صانعا في علم الحدثان... مقدما في صناعة النجومية» (٦). ذاعت شهرته في خلافة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م). وإليه يرجع الفضل في ترجمة كتاب بطليموس (الذي نبغ في القرن الثاني بعد الميلاد في مدينة الإسكندرية) والمشهور عند العرب باسم «المجسطي» وذلك عام (٢١٨هـ/ ٨٣٣م). قال ابن العبري: «وقد ترجم كتاب بطليموس بأعذب لفظ وأبين عبارة» (٧).

لم تقتصر جهود ابن الفرغاني على ترجمة كتاب «المجسطي» بل إنه ألف كثيرا من الكتب التي حظيت بثناء المؤرخين، ومنها: كتاب: «الفصول الثلاثون»، وكتاب: «عمل الرخامات»، وكتاب: «الحركات السماوية»، وكتاب: «المدخل إلى هيئة الأفلاك وحركات النجوم»، وغيرها.

كان ابن الفرغاني صاحب عقلية علمية جبارة، تقوم على أسس العلمية، وتؤمن بالمنهج التجريبي وتنفر من المسلمات. دليلنا على ذلك، أنه لما وصف له السد

الذي بناه ذو القرنين، والمعروف بسد يأجوج ومأجوج، وقيل عنه: «إنه كان يصل بين جبلين، وأن طوله نحو مائة وخمسون فرسخا» (٨). أنكر ابن الفرغاني ذلك، وبرهن على فساد هذا هندسيا (٩).
أما عن علاقته بمصر، فإنه ينسب إليه بناء كثير من المشروعات الهندسية المعمارية في مصر، يأتي في مقدمتها:

مقياس النيل

للوقوف على دور ابن الفرغاني في بناء هذا المقياس، يتطلب ذلك منا أن نعود قليلا إلى الوراء، لنذكر المجهودات التي سبقت ابن الفرغاني في تذليل نهر النيل للمصريين.
إن نهر النيل من رحمة الله تعالى على أهل مصر. فلولاه لكانت مصر صحراء جرداء، قل أن ينبت بها زرع أو يقيم بها إنسان. فمصر كما يقول المؤرخ اليوناني «هيرودوت» «هبة النيل». والحقيقة أن النيل هو هبة الله لشعب مصر الذي صنع بالنيل حضارة تشبه المعجزات.. ذلك أن النيل «من أعظم عجائب مصر الظاهرة لأعين الناس» (١٠). ومن قبله قال عبدالله بن عمرو: «النيل سيد الأنهار» (١١). وقال الكندي: «روي أن الله تعالى خلق نيل مصر معادلا لجميع أنهار الدنيا ومياهها... وأجمع أهل العلم على أنه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل» (١٢). وقال المسعودي: «وليس في الدنيا نهر يسمى بحرا دائما غير النيل لكبره واستبحاره» (١٣).
ويطول بي المقام لو أردت أن أستعرض كل ما قيل عن فضائل نهر النيل. فكل من كتب عن مصر قديما وحديثا لابد أن يذكر نهرها الخالد وما قدمه لشعبها. وأكتفي هنا بما ذكره المقريزي في مقدمة كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» حين قال: «كانت مصر هي مسقط رأسي وملعب أترابي، ومجمع ناسي، ومغنى عشيرتي وحاميتي، وموطن خاصتي وعامتي، وجؤجؤي الذي ربى جناحي في وكره، وعش مأربي، فلا تهوى الأنفس غير ذكره، ولازلت مذ شذوت العلم وآتاني ربي الفطان والفهم، أرغب في معرفة أخبارها، وأحب الإشراف على الاغتراف من آبارها. وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها. فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب» (١٤).
وأدعي أن لسان المقريزي هو المعبر عن كل مصري عاش على تراب هذا الوطن، بل أقول هو لسان كل من وطئت أقدامه تراب هذا الوطن العزيز.. ومن هنا كانت محبة ابن الفرغاني لمصر.
اعتنى المصريون منذ القدم بهذا النهر الخالد، فأقاموا عليه مقياسا لمعرفة مقدار الزيادة السنوية. ومن طريف ما يذكر، أن أحد ملوك مصر الفرعونية صنع بركة وركب عليها صورتي عقاب من نحاس ذكر وأنثى يجتمع عندهما كهنتهم وعلماؤهم في يوم مخصوص من السنة ويتكلمون بكلام فيصفر أحد العقابين، فإن صفر الذكر استبشروا بزيادة النيل، وإن صفرت الأنثى استشعروا عدم زيادته وهيئوا ما يحتاجون إليه من الطعام لتلك السنة (١٥).
ويذكر ابن عبدالحكم، أن يوسف هو أول من وضع مقياسا على نهر النيل عند مدينة منف (١٦) بالقرب من مدينة البدرشين حاليا.
ثم أنشأت حاكمة مصر، والتي تسميها المصادر التاريخية العربية «العجوز دلوكة» مقياسين: أحدهما في مدينة «أنصنا» أسنا، والآخر بأخميم. وقد قدم لنا المقريزي وصفا رائعا عن مقياس أنصنا؛ قال عنه: «إنه من بناء دلوكة أحد من ملك مصر، وكان كالطيلسان وفي دائرة عُمد على عدة أيام السنة الشمسية، كلها من الصوان الأحمر الماتع، ومسافة ما بين كل عمودين، مقدار خطوة إنسان، وكل ماء النيل يدخل إلى هذا الملعب من فوهة عند زيادة الماء، فإذا بلغ ماء النيل الحد الذي كان إذ ذاك يحصل منه ري أرض مصر وكفايتها» (١٧). ثم عملت القبط مقياسا آخر في قصر الشمع عند قيسارية الصوف.
وبعد حكم الروم لمصر أقاموا مقياسا آخر بالقصر خلف الباب الصغير، على يمين الداخل بالفسطاط، قال عنه المقريزي: «وأثره قائم إلى اليوم، وقد بني عليه وحواليه» (١٨).
وبعد الفتح الإسلامي، أقام عمرو بن العاص مقياسا عند مدينة أسوان جنوب مصر، ومقياسا عند مدينة دندرة. ثم بني في خلافة معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م) مقياس في مدينة أسنا وبقي مستخدما حتى شيد والي مصر عبدالعزيز بن مروان في خلافة أخيه عبدالملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ/ ٦٨٥-٧٠٥م) مقياسا جديدا بمدينة حلوان وذلك سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م). ثم شيد أسامة بن زيد التنوخي عامل الخراج على مصر مقياسا كبيرا في جزيرة الروضة سنة (٩٢هـ/ ٧١١م) وذلك في خلافة الوليد بن عبدالملك (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م) قال ابن يونس الصدفي: «وهو الذي بنى مقياس النيل العتيق بجزيرة الفسطاط مصر» (١٩).
وبعد وفاة الوليد تولى خلافة المسلمين أخوه سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م) وظل أسامة بن زيد التنوخي عاملا على خراج مصر. فأبطل سليمان العمل بالمقياس الذي وضعه الوليد، وأمر أسامة ببناء مقياس جديد في جزيرة الروضة، فرغ من العمل به سنة (٩٧هـ/٧١٥م).
استمر العمل بمقياس جزيرة الروضة حتى سقطت الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية. وفي خلافة المتوكل العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٦-٨٦١م) وبالتحديد في سنة (٢٤٧هـ/ ٨٦١م) أمر بإنشاء المقياس الحالي، والذي عرف بالهاشمي أو بالمقياس الجديد أو بالمقياس الكبير أو بمقياس الروضة، والذي شيده المهندس العبقري محمد بن كثير الفرغاني في ولاية يزيد بن عبدالله التركي على مصر.
والغريب أن بعض المؤرخين المعاصرين، قد وقع في خطأ في الحديث عن أصل هذا المهندس العبقري فذكر

أنه كان قبطيا من أهل مصر (٢٠). وبعضهم أخطأ في ذكر اسمه (٢١) لأنه اعتمد على رواية ابن خلكان الذي ذكره باسم «أحمد بن محمد الحاسب الفرصاني» (٢٢).

وأعتقد، أولا: أن هذا المهندس فرغاني الأصل وليس قبطيا، وثانيا: أن أحمد بن محمد الحاسب، الذي ذكره ابن خلكان، هو نفسه محمد بن كثير الفرغاني، فهما شخص واحد، وأن «الحاسب» وصف يطلق على من يعمل في مجال الحساب والهندسة. ثم ذكر بعد ذلك لقبه «الفرصاني» ولعلها محرفة عن «الفرغاني». وثالثا: أن لقب «الحاسب» يؤكد أنه كان أيضا مشرفا إداريا وماليا، خاصة ونحن نعلم أن ابن الفرغاني كان أحد المشاهير في علم الرياضيات، وترك لنا كتاب «الجمع والتفريق» (٢٣).

وصف المقياس

استطاع ابن الفرغاني أن يبني لمصر مقياسا على نيلها الخالد في الطرف الجنوبي الشرقي من جزيرة الروضة؛ وهو يعد من أهم آثار عصر الولاة. وهو عبارة عن عمود رخام أبيض مثمن في موضع منحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مقسم على اثنين وعشرين ذراعا، كل ذراع مقسم على أربعة وعشرين قسما متساوية، وهي مقياس نيل مصر كما يقول المقريزي (٢٤).

هذا العمود الرخامي المدرج المثمن، يتوسط بئرا مربعة مشيدة بأحجار مهذبة، روعي في بنائها أن يزيد سمكها كلما زاد العمق فقد شيدت البئر من ثلاث طبقات؛ السفلى على هيئة دائرة، يعلوها طبقة مربعة ضلعها أكبر من قطر الدائرة، والمربع العلوي والأخير ضلعه أكبر من ضلع المربع الأوسط. وهذا التدرج في سمك الجدران يدل على معرفة المسلمين بالنظرية الهندسية الخاصة بازدياد الضغط الأفقي للأتربة كلما زاد العمق إلى أسفل.

ومن الجدير بالذكر، أن أسلوب نحت الحجارة يدل على كفاية ودقة فائقة، بالإضافة إلى حسن انتقاء نوع المونة التي استخدمت في لصق الأحجار، فقد ظلت تقاوم التحلل بفعل الماء ما يزيد عن الألف سنة، ويعد العنصر الرئيسي في المقياس هو العمود الأوسط الرخامي الذي حفرت عليه علامات الأذرع والقراريط التي تعين مناسيب الماء فوق الطبلية الخشبية، ويبلغ ارتفاع العمود نحو ١٠.٥م.

هكذا، يتضح لنا أن العالم المهندس أحمد بن كثير الفرغاني قد أسهم بشكل فعال في إثراء التبادل الثقافي بين مصر وبلاد ما وراء النهر، فكانت له بصمة كبيرة على أرض مصر مازلنا نراها إلى الآن، وهي مقياس النيل. وأدعي ان ابن الفرغاني قد تعلم هندسة البناء في بلاده؛ أعني بلاد ما وراء النهر والتي كانت تعمها الأنهار: يقول الإصطخري: «وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار... في عامة مساكنهم البساتين والحياض والمياه الجارية، قلّما تخلو سكة أو دار من نهر جار» (٢٥). ووجود مثل هذه الأنهار الضخمة تطلب من أهل هذه البلاد العمل المستمر على صيانة وحفظ هذه الجسور وشق القنوات. لدرجة أن بلاد ما وراء النهر كان فيها أمير للمياه، عنده جماعة كانت مهمتهم إصلاح وصيانة السدود ومجاري الأنهار (٢٦).

صفوة القول، أن المهندس ابن الفرغاني قدم خدمة جليلة لمصر هي مقياس النيل. ومصر لا تنسى من قدم لها معروفا، لذلك فقد وافق محافظ القاهرة على إقامة تمثال للمهندس ابن الفرغاني يشارك في تصميمه فنانون من أوزبكستان ومصر، والتمثال مازال موجودا في القاهرة شاهدا على عظمة وعبقرية هذا الرجل.

قناطر المياه

وفد أحمد بن طولون إلى مصر نائبا عن «باكباك» التركي الذي ولي إقطاعها من قبل الخلافة العباسية، واستغل ابن طولون ضعف الخلافة في بغداد وأعلن استقلاله بمصر، مؤسسا بذلك «الدولة الطولونية» (٢٥٤-٢٩٢هـ/ ٨٦٨-٩٠٥م) والتي حكمت ما يقرب من ثمانية وثلاثين عاما.

ولست في حاجة إلى أن أذكر تفاصيل قيام الدولة الطولونية ولا أحداثها، إنما يشغلنا في المقام الأول شخصية بارزة في عصر هذه الدولة، قدمت كثيرا من الأعمال الجليلة لهذا الوطن، بيد أنها لم تأخذ حقها في الذكر والانتشار، إنه سعيد ابن كاتب الفرغاني، المنسوب إلى بلاد فرغانة إحدى بلاد ما وراء النهر.

وللأسف الشديد لم تمدنا المصادر التاريخية بشيء عن حياته، غير أنني أرجح نسبه إلى جده محمد بن كثير الفرغاني، الذي استوطن مصر حتى وفاته. ومن ثم عرفت أسرته بأبناء الفرغاني والذين كان منهم سعيد المذكور.

كان سعيد يعمل مهندسا وكان معاصرا لأحمد بن طولون وقد قدم لمصر أعمالا معمارية رائعة تدل على عبقرية فذة وعلم لا يستهان به، مازالت آثارها ماثلة للعيان. ومن أشهر هذه الأعمال؛ قناطر المياه (عين الماء) التي أقامها أحمد بن طولون عام (٢٥٩هـ/ ٨٧٢م) بمنطقة المعافر جنوب شرق الفسطاط، والتي لم يكن لها نظير في ذلك الوقت. وكانت «عبارة عن برج للمأخذ مشيد من الآجر بداخله بئر مفرغ مفتوح إلى السماء، وعلى جانبيه غرفتان يغطيهما قبوان، وينقسم البئر إلى قسمين ويسحب الماء منها بواسطة ساقيتين ترفعانه إلى المجرى فوق ظهر البرج، ثم يسير منه في مجرى فوق القناطر التي تخرج من البرج في انحراف يبلغ (١٤) درجة على جانب البرج الشمالي، وبعد نحو سبعة عشر مترا ينحرف اتجاه القناطر من الشمال الغربي إلى الشمال بميل قليل نحو الغرب، ثم ينحرف مرة أخرى بعد (١٢٢) مترا نحو الشمال بميل إلى الشرق، ويمتد بعد ذلك في خط مستقيم نحو مأذنة شاهين آغا الحلواني، وعقود هذه القناطر التي تهدم أغلبها من النوع المدبب وتشبه عقود الجامع الطولوني، أي أنها عقود مدببة ذات مركزين» (٢٧).

وهذا يدل على عبقرية وضخامة هذا البناء، مع هندسة معمارية رائعة، تتماشى مع طبيعة المكان الذي بنيت فيه.

جامع ابن طولون

لم تكن هذه القناطر هي العمل الوحيد الذي قدمه سعيد الفرغاني لمصر، بل إنه يرجع إليه الفضل في بناء جامع أحمد بن طولون على جبل يشكر، ذلكم الجامع الذي مازال محتفظا بأغلب عناصره المعمارية، منذ أن شيده أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في الطرف الجنوبي لمدينة القطائع؛ والتي شيدها إلى الشمال الشرقي من مدينة العسكر لتكون عاصمة لدولته.

تذكر لنا المصادر التاريخية، أن أحمد ابن طولون عندما عزم على بناء مسجد جامع يحمل اسمه، ويكون مبنيا بطريقة فنية تحفظه من الغرق أو الحريق، ويكون في نفس الوقت أجمل ما بني من نوعه. استدعى المهندسين والخبراء وشاورهم في أمر بنائه، فرأوا أن الجامع يحتاج إلى حوالي ثلاث مئة عمود، ولا يمكن الحصول عليها إلا من الكنائس والمعابد المقامة في مصر. وعندما سمع ابن الفرغاني بهذا وهو بالسجن – ولم تذكر لنا المصادر التاريخية سبب سجنه – وخوفا على الكنائس والمعابد، كتب لأحمد بن طولون بأنه في استطاعته بناء الجامع بغير حاجة إلى أكثر من عمودين لا غير، وجعل دعائم من الآجر مكان الأعمدة المتبقية.

وقبل أن نواصل الحديث عن هذه الرواية، أقول: إنها رواية لا تعدو أن تكون أسطورة الغرض منها النيل من الإسلام والمسلمين عن طريق تصوير النصارى بأنهم كانوا مضطهدين تحت الحكم الإسلامي، وأنهم كانوا يعانون من تخريب كنائسهم للاستيلاء على عمدها واستخدامها في عمائر المسلمين. مع أن العكس هو الصحيح؛ فقد تمتع أهل الذمة بحرية كبيرة في ظل التاريخ الإسلامي عامة، وفي ظل الدولة الطولونية خاصة. فلم تسجل لنا رواية واحدة تم الاعتداء فيها على الكنائس أو المعابد اللهم إلا في أعمال فردية لا تعد شاهدا تاريخيا (٢٨).

يضاف إلى ذلك، أن ابن الفرغاني كان مسلما، وليس نصرانيا كما يدعي بعض الباحثين فلا حاجة للمسلمين في هدم الكنائس والمعابد. نعلم جيدا أن أبناء مصر من الأقباط كان لهم دور فني بارز ورائع في أعمال البناء والتشييد في العصر البطلمي والروماني والقبطي بل والإسلامي أيضا، ولكن لا يعني ذلك أن كل عمل فني رائع ينسب إلى أحد المهندسين الأقباط. فالحق أقول: إن سعيد ابن الفرغاني كان مهندسا مسلما، نشأ وتربى في مصر، وإن كانت أصوله ترجع إلى بلاد ما وراء النهر.

يضاف إلى ذلك، أن أحمد بن طولون قد بنى مسجده متأثرا بمسجد أبي دلف في سامراء، تلكم المدينة التي نشأ فيها أحمد بن طولون، وتربى في ربوعها وقد رأى جامعها قد بني من الآجر، ولم تتخذ فيه أساطين أو أعمدة رخامية. وهو نفس الأسلوب الذي استخدمه ابن طولون في بناء مسجده، أعني أن نفس المواد التي استخدمت في بناء جامع سامراء، هي بعينها التي استخدمت في بناء جامع ابن طولون.

وعلى ذلك فإنني أرى أن عدم اتخاذ ابن طولون أساطين الرخام في بناء المسجد، لا يرقى أن يكون دليلا على أن مهندسه نصراني.

نعود إلى بناء المسجد، فنجد أن أحمد بن طولون عندما سمع بفكرة ابن الفرغاني، استدعاه وقبل العمل بمشورته، ثم طلب منه عمل نموذج (مجسم) لذلك قبل تنفيذ البناء. وبالفعل صممه ابن الفرغاني من الجلد، يقول المقريزي: «فأعجب ابن طولون واستحسنه وأطلقه وخلع عليه» (٢٩)، ثم عهد إليه ببناء الجامع. ووضع ابن طولون تحت يده (١٠٠,٠٠٠) دينار، على أن تزاد عند الحاجة، وتعهد ذلك المهندس بالعمل إلى أن أتمه في رمضان سنة (٢٦٥هـ/ ٨٧٩م)، وبذلك يكون ابن الفرغاني هو أول من وضع فكرة عمل النماذج المجسمة المعمارية في مصر.

الهوامش

١- المقدمة: (٣/ ١٠١٧).
٢- ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢٧.
٣- المصدر السابق، نفس الجزء، ونفس الصفحة.
٤- فرغانة: مدينة واسعة ببلاد ما وراء النهر، كثيرة الخيرات تبعد عن سمرقند بنحو خمسين فرسخا، يرجع بناؤها إلى الملك كسرى أنوشروان، وتمتاز بأن الجبال والصحاري تحيط بها من جميع الجهات، ومع ذلك فالمصادر تجمع على أنها ذات نعم وفيرة، ومياه جاريه، وضياع كثيرة. وفي العصر الحديث وبالتحديد في عام ١٨٧٦م وقعت فرغانة تحت الاحتلال الروسي، وأطلق عليها «خانية خوقند». وبعد الثورة الروسية أعادت إليها الحكومة الروسية رسميا اسمها القديم فرغانة والتي مازالت تعرف به حتى اليوم. ياقوت: معجم البلدان: (٣/٧٠)، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية: (ص ٤٨٦).
٥- الفهرست: (ص ٣٣٩).
٦- إخبار العلماء بأخبار الحكماء: (ص ٢١٧).
٧- تاريخ مختصر الدول: (١/ ١٣٦).
٨- ابن خرداذبه: المسالك والممالك: (ص ١٩٣).
٩- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر: (١/ ١٤٠).
١٠- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: (١/ ٦٥).
١١- ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب: (ص ١٧٥)، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: (١/ ٣٤).
١٢- فضائل مصر المحروسة: (ص ٤١).
١٣- مروج الذهب: (١/ ٩٣).
١٤- المواعظ والاعتبار، المقريزي (١/ ٢ ٣).
١٥- القلقشندي، صبح الأعشى: (٣/ ٢٩٧)، ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة: (ص ١٤٨).
١٦- فتوح مصر والمغرب، (ص ٣٤).
١٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: (١/ ٣٧٦).
١٨- نفس المصدر: (١/ ١٠٨).
١٩- الخطيب البغدادي، المتفق والمفترق: (٢/ ١٥).
٢٠- د. فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٠م، (١/ ٣٨٩).
٢١- د. أحمد عبدالرازق أحمد، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م، (ص ٧٨).
٢٢- وفيات الأعيان: (٣/ ١١٣).
٢٣- د. أحمد عبدالرازق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٧م، (ص ٥٥).
٢٤- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: (١/ ٧٥).
٢٥- المسالك والممالك: (ص ١٦٥).
٢٦- د. محمود محمد خلف، بلاد ما وراء النهر في العصر العباسي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤م، (ص ١٨٦).
٢٧- د. أحمد عبدالرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية: (ص ١١٧).
٢٨- د. قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر العصور الوسطى، دراسة وثائقية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٧م، (ص ٤٥).
٢٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: (٤/ ٣٨).

محمد شعبان أيوب
باحث في التاريخ والتراث

مفتاح تزكية النفوس

يقف المسلم بين الجانبين المادي والروحي موقفا وسطا، منطلقا من وسطية الإسلام نفسه؛ ذلك أن غاية الإسلام تحقيق العبودية الكاملة والمطلقة لله عزوجل، على الوجه الذي يريد، ولا يصل المسلم إلى الوجه المرضي إلا باستقامة النفس وتزكيتها، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأحقاف:١٣).

وكما أفرد علماء الشريعة تصنيفا مسهبا في أبواب الاعتقاد وأصوله، والفقه وأصوله، فقد أفردوا حديثا طويلا ومهما عن الجانب الأخلاقي والقيمي في الإسلام؛ فجاءت مصنفات مكارم الأخلاق والزهد وتزكية النفس والآداب بابا لافتا من أبواب التصنيف في حضارتنا يؤكد على رسوخ هذا الجانب وأهميته وأولويته.

ولقد ساق الإمام ابن تيمية حديثا طويلا عن معنى تزكية النفس وتدسيسها حول قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ (الشمس:٩-١٠)، قال: «لن ينمو الخير إلا بترك الشر، والزرع لا يزكو حتى يزال عنه الدغل، فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكيا إلا مع ترك الشر؛ فإنه يدنس النفس ويدسيها. قال الزجاج: دساها: جعلها ذليلة حقيرة خسيسة. وقال الفراء: دساها؛ لأن البخيل يخفي نفسه ومنزله وماله. قال ابن قتيبة: أي أخفاها بالفجور والمعصية. فالفاجر دس نفسه؛ أي قمعها وخباها وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها» (١).

القلب في السنة النبوية

والحق أن مقومات تزكية النفس كثيرة ولافتة، والمتأمل في سنة رسول الله ﷺ وسيرته يجد أن أكثر ما يقوم النفس، ويصلحها مرتبط بصلاح القلب؛ فهو مدار الإنسان، يقول ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (٢).

إن القلب في التصور الإسلامي محل التقوى وباعثها، يقول ﷺ: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب، قال: ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات، قال ثم يقول: التقوى ههنا التقوى ههنا» (٣). الأمر الذي بسطه الإمام السيوطي بقوله: «أي أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وإنما تحصل بما يقع في القلب من خشية

الله ومراقبته وعظمته... والمقصود أن الاعتبار في هذا كله بالقلب» (٤).
ولا تقف السنة النبوية عند التأكيد على مكانة القلب في التزكية والزهد والتطهر، ومحلها من الخشية، وإنما تنحو منحى أكثر وضوحا في تحديد ماهية التقوى، وعمل القلوب، التي تصل بصاحبها إلى أعلى الدرجات والمنازل، فعن عبدالله بن عمرو قال: «قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد» (٥).
وإن صلاح القلب، يأخذ بتلابيب صاحبه إلى صلاح الجوارح، والإنسان في مشهد السنة النبوية قادر على التحكم في نفسه بما غرس الله فيه من الإرادة والقدرة على التغيير، الأمر الذي أجلاه نبينا ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه قائلا: «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليما، ولسانه صادقا، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وجعل أذنه مستمعة، وعينه ناظرة فأما الأذن فقمع، والعينُ مُقِرَّةٌ بما يوعي القلبُ، وقد أفلح من جعل قلبه واعيا» (٦).
ولما كان القلب ملك الجوارح والأعضاء، فقد كان نبينا ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. فكان بعض الصحابة يسأله: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء (٧).
فلا يتكئ المسلم الذي يريد تزكية نفسه وتطهيرها على مجهوده وعمله، بل لابد من صرف الأمر كله إلى الله، فقد بلغنا أن أقواما ظلوا يعبدون الله طيلة حياتهم حتى إذا جاءتهم لحظة النهاية ماتوا على السوء، ومثل ذلك ما يؤيده حديث النبي ﷺ: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار» (٨).
لأجل ذلك كان نبينا ﷺ ينهى أن يفتخر الرجل بعمله، أو يصرح به مخافة دخول الرياء إليه فيفسد، قائلا: «لا يقولن أحدكم: إني صمت رمضان كله وقمته» (٩). فالعبد كما أخبر ﷺ لا يبلغ المكانة العليا من التزكية إلا إذا ترك السفاسف أو بعض المباحات خوفا من الوقوع في الخطيئة والبأس، قال ﷺ: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به؛ حذرا لما به البأس» (١٠)؛ لأن التقوى الحقيقية هي التي يتنزه صاحبها عما يشغل سره عن الحق، كما ذكر الإمام الطيبي! (١١).
وإذا بلغ العبد درجة التقوى وهي أساس التزكية، فإنه يدخل الجنة بإذن الله؛ فقد سئل النبي ﷺ: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: «التقوى وحسن الخلق». وسئل ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: «الأجوفان: الفم والفرج» (١٢).

آداب النفوس!

وإن حياة النبي ﷺ وصحابته من بعده لترينا كيف أن الزهد والورع كان متمثلا فيهم تمثلا معجزا مبهرا، ولقد أفاضت مصنفات «الزهد» في الحديث عن أخلاقهم وتواضعهم وتقواهم، فقد روي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يقول: «ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» (١٣).
إن زهد أبي بكر رضي الله عنه وورعه لا يكاد يصدقه عقل المرء إذا تأمله، زهد وتقوى لا مثيل لهما؛ إننا لنرى زهده وورعه حتى آخر لحظات حياته حين يوصي من حوله وهو على فراش الموت: «انظروا ثوبَي هذين فاغسلوهما، ثم كفنوني فيهما؛ فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت» (١٤)!
لذا؛ أصر الصحابة على تجسيد هذه المعاني في أنفسهم، ونقلوها إلى التابعين فعلا وقولا، مقدمين لهم كافة السبل الممكنة لتزكية النفوس وتقويمها وصلاحها؛ فهذا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه يخطب في تلامذته قائلا: «إن الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء، مثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر إن لا يحذك يعبق بك من ريحه، وإن مثل جليس السوء كمثل صاحب الكير إن لا يحرق يعبق بك من ريحه، ألا وإنما سمي القلب من تقلبه، وإن مثل القلب كمثل ريشة بأرض فضاء تطير بها الريح ظهرا لبطن» (١٥).
ولقد وعى التابعون هذه المشاهد، وعرفوا بل أيقنوا أن الورع وتزكية النفس هما النجاة، يقول الضحاك رحمه الله: «لقد رأيتنا وما يتعلم بعضنا من بعض إلا الورع» (١٦).

الهوامش

١- مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة، ٦٢٩/١٠، ١٩٩٦م.
٢- صحيح مسلم (١٢١٩/٣ ح ١٥٩٩).
٣- مسند أحمد (١٣٤/٣ ح ١٢٤٠٤).
٤- شرح السيوطي على مسلم، تحقيق أبوإسحاق الحويني، دار ابن عفّان - الخُبر، ٥٠٨/٥، ١٩٩٦م.
٥- سنن ابن ماجه (١٤٠٩/١ ح ٤٢١٦).
٦- مسند أحمد (١٤٧/٥ ح ٢١٣٤٨).
٧- سنن الترمذي (٤٤٨/٤ ح ٢١٤٠).
٨- البخاري (١٢١٢/٣ ح ٣١٥٤).
٩- صحيح ابن حبان (٢٢٤/٨ ح ٣٤٣٩).
١٠- سنن ابن ماجه (١٤٠٩/٢ ح ٤٢١٥).
١١- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى، تحقيق عبدالحميد هنداوي، مكتبة نزار الباز - مكة المكرمة، ٢١٠٩/٧، ١٩٩٧م.
١٢- سنن ابن ماجه (١٤١٨/٢ ح ٤٢٤٦).
١٣- أحمد بن حنبل، الزهد، تحقيق محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٩٠.
١٤- السابق ص ٩٠.
١٥- هنّاد بن السّري، الزهد، تحقيق عبدالرحمن عبدالجبار الفريوائي، دار الخلفاء الراشدين، الكويت، ٥٨٣/٢.
١٦- هنّاد بن السّري، الزهد ٤٦٥/٢.

السنوسي محمد السنوسي
باحث دراسات إسلامية

منهج نفسي وسلوك عملي

تزكية النفس من المقاصد الأساسية التي قررها القرآن الكريم لإرسال الرسل والشرائع؛ فقال على لسان نبيي الله إبراهيم وإسماعيل، عليهما السلام، وهما يدعوان الله تعالى للنبي محمد ﷺ: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ (البقرة:١٢٩).

وقال سبحانه يمتن على عباده بنعمة الهداية والتطهير والتعليم: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١).

والتزكية مصدر الفعل زكَّى. و«الزاء والكاف والحرف المعتل: أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال» (١).

وأما «تزكية النفس» فتعني تنميتها بالخيرات والبركات؛ وبها يستحق الإنسان في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة. وهذه التزكية للنفس تتحقق بأن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيرها؛ وقد تنسب التزكية تارة إلى العبد لكونه مكتسبا لذلك، نحو قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس:٩)؛ وتارة تنسب إلى الله تعالى لكونه فاعلا لذلك في الحقيقة، نحو: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ (النساء:٤٩)؛ وتارة إلى النبي ﷺ لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم، نحو: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣)؛ وتارة إلى العبادة التي هي آلة في ذلك، نحو: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾ (مريم:١٩)، أي مزكى بالخلقة (٢).

وتزكية الإنسان نفسه ضربان؛ أحدهما: بالفعل، وهو محمود، وإليه قصد بقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (الأعلى:١٤). والثاني: بالقول، كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم أن يفعله الانسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ (النجم:٣٢)؛ ونهيه عن ذلك تأديب لقبح أن يمدح الإنسان نفسه، عقلا وشرعا؛ ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقا؟ فقال: مدح الرجل نفسه (٣).

والتزكية قد يراد بها مفهوم أوسع مما يظنه البعض، من مجرد ترقيق القلب وشغل اللسان بالذكر؛ وهو معنى التحقق بالإسلام نفسه، في مختلف توجيهاته وأوامره؛ ولذا ورد في «الكليات»: «التزكي: الإسلام» (٤).

وتطهير النفس شرط أساسي لقيامها بالتكاليف، وانتفاعها بها؛ ولذا قدمت على ذكر الله والصلاة في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾ (الأعلى:١٤-١٥).

قال ابن عاشور في تفسيره: «وقدم التزكي على ذكر الله والصلاة؛ لأنه أصل العمل بذلك كله، فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية؛ فعلمت منافعها، وأكثرت من الإقبال عليها. فالتزكية: الارتياض على قبول الخير؛ والمراد تزكّى بالإيمان» (٥).

حالة روحية وعقلية

التزكية وإن كانت بالأساس فعلا روحيا ونفسيا، يعنى بسمو النفس والعروج بها في مدارج الإيمان والإحسان، من خلال إقامة الفرائض والاستكثار من النوافل وتهذيب الباطن والظاهر؛ فإن هذا الفعل الروحي والنفسي - في الفهم الصحيح للتزكية - منضبط غاية الانضباط بأوامر الشرع التي لا تصادر العقل ولا تتجاوزه؛ بحيث لا يتحول الأمر إلى تهويمات وخرافات.

وقد شهدنا في مسيرة الفكر الإسلامي اتجاهين متضادين في هذا الأمر؛ اتجاها حوّل الإسلام لمعادلات رياضية جافة لا تزكي نفسا ولا تهذب خلقا، إنما تزرع الجدل والسفسطة. واتجاها آخر يظن العبادة شطحات روحية وتهويمات غير منضبطة بالأوامر والنواهي.

ولهذا، كانت الحاجة ماسة إلى العودة بهذين الاتجاهين اللذين انحرفا إلى المفاهيم الصحيحة؛ فالإسلام يحترم العقل ويدعو لتفعيله، ويجعل التفكر في آلاء الله وفي كونه الفسيح عبادة؛ تماما كما أنه يعنى بتزكية النفس وتهذيبها والرقي بها.

وقد لفت الإمام ابن الجوزي إلى خطورة

هذا الانحراف، مؤكدا أن «شرعنا مضبوط الأصول، محروس القواعد، لا خلل فيه ولا دخل؛ وكذلك كل الشرائع؛ إنما الآفة من المبتدعين في الدين أو الجهال» (٦).

وينصح ابن الجوزي بالحذر من «جمود النقلة، وانبساط المتكلمين، وجموح المتزهدين، وشره أهل الهوى، ووقوف العلماء على صورة العلم من غير عمل، وعمل المتعبدين بغير علم» (٧).

ويوضح الشيخ الغزالي أن طبيعة الإسلام أنه دين يبني عقائده - من ناحية الصحة العقلية - على أسس فكرية تشبه البدهيات في علوم الرياضة من حساب وجبر وهندسة؛ كما أنه دين عبادة تقوم على سلامة القلب، وشحنه بالإخلاص، والمحبة والأدب، وتجريده من الهوى والأثرة والغش. وأن سيرة صاحب الرسالة صلوات الله عليه مثل لهذا الازدواج بين يقظة القلب واللب، والتقائهما في سلوك واحد (٨).

سلوك مع الله والناس

سبقت الإشارة إلى أن «التزكية» بمفهومها الواسع تعني الإسلام؛ وإذا كان الإسلام سلوكا مع الله بالتوحيد والتنزيه والاستجابة للأوامر واجتناب النواهي، وسلوكا مع النفس بتطهيرها واستحضار المراقبة الدائمة لله، وسلوكا مع الناس بحسن معاملتهم وصون أعراضهم وأموالهم.. فإن التزكية ينبغي أن يكون لها حظ من هذا السلوك بمجالاته المتشعبة.

ومن الخطأ حصر التزكية في علاقة العبد بالله تعالى؛ إذ كيف يحسن معاملة الخالق من يسيء معاملة الخلق الذين جعلهم الخالق شهودا له في الأرض، كما جاء في الحديث؟! وكيف يتصف المرء بالعبودية لله بينما يمارس القهر والتجبر في حق عباده؟!

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا الأمر بقوله: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» (٩).

فهذا الحديث الشريف يحدد للمسلم ما ينبغي أن يكون عليه في علاقته بالله تعالى حيث التقوى والمراقبة، وفي علاقته بنفسه حيث التوبة والمسارعة في الخيرات، وفي علاقته بالناس حيث الخلق الحسن.

إذن، لا انفصال بين حسن الصلة لله والعبودية له، وحسن الصلة بالناس؛ بل تلازم هذين الأمرين هو الأصل، وهو الصورة المثلى التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم.

فالمسلم «رجل نير الذهن والقلب معا، حاد البصر والبصيرة جميعا؛ تتعانق فكرته وعاطفته في معاملته لله ومعاملته للناس، فلا تدري أيهما أسبق: صدق أدبه أم حسن معرفته! ولا تدري أيهما أروع: خصوبة نفسه الجياشة أم فطانة عقله اللماح!» (١٠).

ولذا، ساوى الحديث النبوي بين ثواب العبادة المحضة التي يتوجه المسلم بها لله سبحانه، وثواب حسن الخلق، فقال: «ما من شيء يوضع في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة» (١١).

أزمتنا المعاصرة

إذا كانت الحاجة للدواء تزداد بتفاقم المرض واستفحاله، فلاشك أن حاجتنا للتزكية - كمنهج نفسي وسلوك عملي - حاجة ملحة وضرورية؛ فلا يخفى على المتابع كم بلغت أزمتنا المعاصرة من الشقاء الروحي والانغماس في الملذات، ومن الاحتجاب عن معاني الطهر والصفاء، ومن الاغترار بالمتاع الفاني والعرض الزائل، بجانب ما ألم بمجتمعاتنا من صلات واهنة وأرحام مقطعة، ومن أكل أموال الناس بالباطل، واستهانة بحقوقهم ودمائهم المعصومة.

هذا، فضلا عما أصاب المجتمعات الأخرى بأضعاف ذلك، بسبب ما زينه الشيطان لهم من امتلاك ناصية العلم والمادة، وبلوغ حدود فائقة من النعيم والترف!

والأمر هكذا، فإن منهج التزكية، نفسيا وخلقيا، هو ما ينبغي أن نتمثله في حياتنا، أفرادا ومجتمعات، وأن نشيعه بين الناس، وأن نبرزه ونحن ندعو للإسلام.. فليس ثمة منهج يلبي حاجة النفس، ويبث الطمأنينة، وينشر الفضيلة، ويقوي العلاقات؛ مثل منهج الإسلام، الذي ارتضاه الله لعباده، على اختلاف الزمان والمكان.

فالإيمان في الإسلام شامل. وهو أكثر من مجرد عقيدة أو حالة من الوعي الروحي؛ إنه نظرة متكاملة لطريقه عيش تشتمل على جميع جوانب الطبيعة الإنسانية (١٢).

الهوامش

١- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، ٣/ ١٧، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٩٧٩م، دار الفكر.

٢- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ١/ ٢٨٢، مكتبة نزار مصطفى الباز، بدون تاريخ. بتصرف يسير.

٣- المصدر نفسه ، ص: ٢٨٢، ٢٨٣.

٤- معجم «الكليات» لأبي البقاء الكفوي»، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري. ص: ٢٥٣، ط٢، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، تفسير سورة الأعلى، «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

٦- صيد الخاطر، عبد الرحمن بن الجوزي، ص: ٩٧، ضبط وتحقيق الشيخ محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٩٨٨م.

٧- المصدر نفسه، ص: ١٠٣.

٨- الجانب العاطفي من الإسلام، الشيخ محمد الغزالي، ص: ٩، نهضة مصر، ط٣، ٢٠٠٥م. بتصرف يسير.

٩- رواه الترمذي من حديث أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح. وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

١٠- الجانب العاطفي، الغزالي، ص: ٩.

١١- رواه الترمذي، من حديث أبي الدرداء.

١٢- «حتى الملائكة تسأل»، د. لانج، ص: ٢٣٤، ترجمة د. منذر العبسي، دار الفكر، ط١، ٢٠٠١م.

القاهرة - عبدالله شريف،
محمد عبدالعزيز
دار الإعلام العربية

تزكية النفس.. نقاء للمسلم وحماية ولحمة لمجتمعه

في عالم اختلت فيه الموازين، وانتشرت المفاسد والملذات، وضعفت النفوس، زمن وصف فيه الرسول ﷺ «الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»؛ هنا تظهر الحاجة الملحة إلى تزكية النفس وتطهيرها مما شابها من دخل وظنون وفتن.. وفي السطور التالية تسلط «الوعي الإسلامي» الضوء على سبل تزكية النفس والنهج النبوي الشريف في ذلك، وانعكاسات ذلك على المجتمع المسلم كله.. مزيد من التفاصيل في السياق التالي:

فرض كفاية

تحدثت د. فاطمة رأفت فوزي حسين، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات جامعة الأزهر قائلة: يمكن تناول موضوع «تزكية النفس» من خلال خمسة محاور وهي:

المحور الأول: تعريفها، وهي في اللغة مصدر زكا يزكو زكاء وزكوا، ولها معنيان: الأول: التطهير، نقول «زكيت هذا الشيء أي طهرته.. أما المعنى الثاني فهو الزيادة، نقول زكا المال أي زاد ونما».

وعلى أساس المعنى اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي لتزكية النفوس، وهي من الأمور التي يجب أن يحرص عليها الإنسان المسلم في حياته لتطهيرها من الأدران والأوساخ، وتنميتها بزيادة الأوصاف الحميدة.. وقد وردت النفس في القرآن الكريم بثلاث صفات هي: «المطمئنة - اللوامة - الأمارة بالسوء».

وتطرقت إلى المحور الثاني: وهو حكم تزكية النفس، موضحة أن هناك أراء كثيرة لكن أقواها وأرجحها رأي الجمهور الذي قال: إن تزكية النفس ليست فرض عين إلا في حق من تحقق أو ظن وجود مرض من أمراض القلوب فيه، فيلزمه حينئذ تعلم سبل علاج ذلك المرض، وقالوا إن تعلم أمراض القلوب فرض كفاية على الأمة عامة، وليس فرض عين على كل أحد.

ودليلهم: بأن الأصل في الإنسان السلامة من الأمراض لقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (الروم:٣٠).

وانتقلت د. فاطمة إلى المحور الثالث، وهو أهمية تزكية النفس، موضحة:

● أن الله عز وجل قد أقسم على فلاح من زكى نفسه، فقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ (الشمس:٩).

● النفس هي أشد أعداء الإنسان لأنها تدعوه إلى الباطل وحب الدنيا.

د. فاطمة: النفس من أشد أعداء الإنسان.. وتزكيتها من شروط دخول الجنة

● أن تزكية النفس وطهارتها من شروط دخول الجنة.

● أن تزكية النفس بالتقرب إلى الله والابتعاد عن المعاصي في حد ذاتها سعادة لا يشعر بها إلا من جربها.

ثم أشارت إلى المحور الرابع، وهو أقسام تزكية النفس، فأوضحت د. فاطمة أنها تنقسم إلى قسمين: الأول: التحلية وهي أن تملأ النفس بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة.. أما الثاني فهو التخلية، أي تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة.

وانتقلت إلى المحور الخامس والأخير، وهو وسائل تزكية النفس، وأوجزتها فيما يلي:

١- العمل على تطهيرها من كل رذيلة كالبخل والشح والرياء والحرص والطمع.

٢- المحافظة على الفرائض، وهي أقرب وأقصر طرق التقرب إلى الله والسعي إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

٣- تدبر القرآن الكريم والعمل بما فيه.

٤- محاسبة النفس وتأنيبها عند اقتراف أي ذنب.

٥- الاستغفار فيه راحة وطمأنينة للقلب والنفس.

٦- التحلي بالصبر واليقين.

٧- الدعاء وهو سلاح المؤمن وطاعة

لله.
٨- تنقية العمل من حظوظ النفس وشوائب الرياء.

مراقبة الله

بدوره، قال د. عبدالناصر ثابت أستاذ الحديث في كلية دار علوم جامعة القاهرة، إن تزكية النفسية وتنقيتها وضبطها من الأمور التي تحتاج إلى تكاتف أكثر من علم لتوصيل مفهومها إلى الأجيال الحالية، مضيفا: «كل إنسان خلق بشهوة وبنفس متمردة، لكن بقوة إيمانه يمكنه ضبطها والتحكم فيها، يقول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ (الأعلى:١٤-١٥)، وقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٧-١٠).

وأضاف أن الرسول ﷺ كان يكثر من دعاء «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها»، مشيرا إلى أن هذا الحديث دليل على أهمية طلب المعونة من الله على النفس، التي قد يسبب إهمالها والبعد عن الله إلى تحولها إلى نفس أمارة بالسوء، وجاء في صحيح الألباني، قال رسول الله ﷺ «ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان: من عبد الله عز وجل وحده وأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه في كل عام وزكى نفسه، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال ﷺ: أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان».

وتابع د. عبدالناصر: «أقول لشبابنا إن علاقتكم بأنفسكم تشبه حرب الاستنزاف، تحتاج إلى مثابرة ومداومة، بينما الاستهانة وتركها للدنيا وإهمال الآخرة تفسدها، ومن أهم ما يعين الإنسان على تزكية نفسه مراقبة الله في كل قول وفعل، وعدم النظر إلى المحرمات، والمداومة على الفرائض والنوافل، وعدم التعلق بالدنيا، لأن النفس تتجه دائما إلى ما بين يديها من ملذات وهي محبة للدنيا، بينما مراقبة الله تحكمها حكما شديدا.. وفي المسند جاء أن رسول الله ﷺ علم حصين بن عبيد أن يقول: «اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي».

> **د. عبدالناصر: تحتاج إلى مثابرة.. وأهم ما يعين عليها مراقبة الله في كل قول وفعل**

وقال: أقول لشبابنا، إذا أهملت نفسك وتركتها تطغى عليك ستجعلك تنسى الله والآخرة، وتجرك الدنيا جرا، ولن تستطيع الخروج من تلك الدوامة إلا بتقوى الله والعودة إليه وتطهير نفسك من جديد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ (طه:١٢٤-١٢٦).

الرسل أطباء القلوب

ويقول د. محمد عبدالغفار بدوي أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر: عند ذكر تزكية النفس لابد من الحديث عن الأخلاق الحميدة والأخلاق التي تمرض النفس، ومن ثم لابد من ذكر شمس الدين ابن القيم الجوزية وكلمته: «تزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد، فمن زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والخلوة التي لم يجئ بها الرسل، فهو كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم والتسليم لهم».

> **د. عبدالغفار: الرياء والطمع والبخل والجبن والكذب أمراض قلوب تدمر النفس**

وأضاف أن من علامات ضعف النفس، اللهث وراء المال والنساء والنظر إلى ما بين يدي الناس، ومما يعين على التحكم فيها التأمل في قول رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

وتابع: «أطالب الشباب بالإخلاص في العمل الصالح وإن قل، وأطالب الآباء بالاهتمام بالأبناء منذ الصغر وتنشئتهم على ضبط النفس كما قيل:

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

ولابد من تذكيرهم بالموت دائما وعدم الأمن من مكر الله، وهذا مما يعين على احتواء محاولات النفس للتمرد.

وتابع: على الآباء تربية الشباب على الرضا بالقدر وعدم الرياء، والكرم والبعد عن الطمع والبخل والجبن والكذب، وكلها أمراض قلوب تدمر النفس، والتربية على ذلك ليس بالأقوال، فلا يمكن أن يكون الأب بخيلا ثم يقول لابنه لا تبخل!

وأضاف: من علامات صلاح النفس ظهور ذلك إلى العلن، فمن كانت علاقته فاسدة مع ربه فإن ذلك يظهر على تعاملاته وأخلاقه، ومن صلحت نفسه مع ربه حبب الله إليه خلقه، ورزقه راحة النفس، التي يشكو كثير من شبابنا منها في هذه الأيام، ولزوم الاستغفار دائما من أفضل الأعمال التي تطهر النفس، كما أن الحياء ومسامحة الناس ومراقبة الله من أهم علامات النفس السوية، فالمسلم عليه

أن يكون بسيطا سهلا لينا مع الناس، وأن يتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ الذي «ما خير في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها».

تقوي لحمة المجتمع

إلى ذلك، أكد د. نبيل السمالوطي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر، أن المسلم الحقيقي يعكس البهاء على المحيطين به إذا تمسك فعلا وليس قولا بسنة رسول الله ﷺ، فلا يظلم ولا يكذب، ولا ينظر إلى ما بين أيدي الناس، ويراعي محتاجهم ويعطف على من هم دونه، وهذا من شأنه أن يقوي لحمة المجتمع ويثبت أركانه ويحميه من عوامل الضعف والانهيار.

مضيفا: «لكن لابد من جلد الذات، فالمجتمعات الإسلامية الآن لا تهتم بالعلم ولا بالرحمة، فشابها القسوة وخيانة الأمانة والكذب والظلم والقتل والتدمير وليس التعمير».

وأشار إلى قول رسول الله ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»، موضحا: للأسف لم نلتزم بهذا التعبير، على الرغم من أن الابتسامة هي أهم حاجز أمام الضغوط وبها تمر لحظة الحزن وهي تعني الرضا بالقدر والقناعة».

وأشار إلى وجود عديد من السلوكات التي تعكس أمراض النفوس وانعكاساتها السلبية على المجتمع المسلم كالحسد، وقد عالج الإسلام هذا الداء في النفس، فقال رسول الله ﷺ: «إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال العشب»، وهذا حديث يتناول شعورا انتشر في مجتمعاتنا ويعني تمني زوال النعمة من الغير، حتى بلغ

د. نبيل السمالوطي: تقوي لحمة المجتمع وتحميه من عوامل الضعف والانهيار

الحال بالبعض أنه لا يتمنى الحصول عليها، بل يتمنى زوالها من الآخرين، وأصبح همنا على الدنيا، وهذا من أسباب البلاء الذي أصاب المجتمع المسلم، ولا سبيل إلى استعادة نقاء هذا المجتمع إلا بتزكية النفس باتباع ما أمر به الإسلام، واجتناب ما نهى عنه.

أوجاع نفسية

أخيرا، يؤكد د. محمد عبدالباقي، أستاذ علم النفس في كلية الآداب جامعة القاهرة أن لدراسة النفس مذاهب ومدارس عدة، وكلها تتضمن الخير والشر والتحول من طرف إلى آخر، مشيرا إلى أن العلم يدرس الحالة السلوكية والعاطفية التي يتمتع بها الشخص، ففي الحسد مثلا لكل إنسان طاقة حوله، فإذا أعجب بشيء أمامه عليه أن يقول: ما شاء الله، لأن الطاقة السلبية تنتقل وربما تصيبه إذا كان من ضعاف النفوس ممن يتأثرون بذلك.

وتابع: الحسد والرياء والبخل أوجاع نفسية وعاطفية، ونقص داخل الإنسان يحتاج إلى أن يكملها، بعضها يكمل بكثرة الحديث أو حب الظهور وأخرى تكمل بأن يتحول إلى سلوك عدواني يؤذي من أمامه، وهناك دراسة أعدت بين وزارة الصحة ومنظمة الصحة العالمية في مصر تبين أن الشباب في سن ١٥ عاما فأكثر، ١٧ مليونا منهم يعانون من أمراض نفسية، وهذا مؤشر خطير، وهناك إحصائية أخرى لمنظمة الصحة العالمية تشير إلى أن مرض الاكتئاب يصيب ١٤٩ مليون شخص في جميع أنحاء العالم، وكل هذه الأمراض، ينبغي ألا تكون موجودة بين المسلمين، لأن لديهم عقيدة وإيمانا قويا ومنهجا وضعه رسول الله ﷺ من سار عليه أفلح.

د. عبدالباقي: الأوجاع النفسية ضربت مجتمعاتنا بعد أن ابتعدنا عن وسائل الحماية

وطالب الشباب باكتساب المعرفة في كل العلوم، مشيرا إلى أنها الحل وراء تزكية النفس وسمو العقل.

وقال: «الانتحار» من أبرز علامات عدم تزكية النفس من الغل والحقد بالإضافة إلى البعد عن الله، وهناك إحصائية نشرت في نهاية ٢٠١٤م، جاء فيها أن معدلات الانتحار التقديرية في إقليم شرق المتوسط لمنظمة الصحة العالمية (الذي يضم ١٧ دولة عربية من ٢٢ دولة)، جاءت السودان في أعلى التقديرات بنسبة ١٧,٢ حالة لكل ١٠٠ ألف، وفي آخر ترتيب الدول العربية وأقلها تسجيلا لظاهرة الانتحار تأتي متساويتين كل من السعودية وسوريا.

وجاء ترتيب الدول العربية من الأعلى حتى الأقل لكل ١٠٠ ألف شخص، السودان: ١٧,٢، المغرب: ٥,٣، قطر: ٤,٦، اليمن: ٣,٧، الإمارات: ٣,٢، موريتانيا: ٢,٩، تونس: ٢,٤، الأردن: ٢، الجزائر: ١,٩، ليبيا: ١,٨، مصر: ١,٧، العراق: ١,٧، عمان: ١، لبنان ٠,٩، سوريا: ٠,٤، السعودية: ٠,٤.

وختم بأن الالتزام بالمنهج الرباني يسمو بالنفس ويخلصها من أدرانها ومن كل الأمراض النفسية المتفشية في مجتمعات الغرب، والتي انتقلت إلينا بعد أن ابتعدنا عن وسائل الحماية والوقاية التي تتضمنها تعاليم الإسلام.

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية

لا تحاسدوا..

يظن البعض أن مسألة الحسد والعين مسألة خلافية، أو وهمية، أو نفسية، أو خرافية، فلا يلقي لها بالا، ولا يكترث بها، ولا يحصّن نفسه تجاهها، مع أن مصائب كثيرة تقع بسبب العين، وقد يكون الذي أصابته العين إنسانا مستقيما، أو لا يضمر الشر للآخرين، ولكنه بخطأ منه يجلب العين لنفسه، فكيف ذلك؟

يكون ذلك؛ بأن يظهر ما عنده أمام الملأ وأمام الآخرين، أمام من لا يمتلك مثله، أو ممن هو محروم من ذلك، وأحيانا لا يكون بخطأ وغفلة منه، بل بقصد، فهو يظهر نِعَمه وتفوقه على الآخرين؛ ليعلو في نظر الناس ويخطف أبصارهم، ويتفاخر أمامهم بما يمتلك؛ ليحقق مرتبة عالية في أعين الناس، أو احتراما وتقديرا، أو غاية في نفسه،

فمثلا: مَن تصور بيتها، أو أولادها، أو سُفراتِها، ونزهاتها مع زوجها وأبنائها، أو حركات طفلها الصغير، وتنشر صورهم الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي: «كالفيسبوك، والواتساب، والسناب شات» وغيرها، ماذا تقصد وإلام ترمي؟ أفلا تخاف على أبنائها وبيتها ونفسها؟

وحين تتفاخر أمام الآخرين ببيتك وأثاثه، وبلاطه وتحفه، أو حين تلفت نظر المحتاجين إلى مركبتك ونوعها وتكلفتها، أو حين تتحدث لهم عن أرصدتك البنكية، وأملاكك، أو عن نجاحاتك الباهرة في عملك، ولا

تشعرهم ببعض مشاكلك وهمومك في العمل، فيظنون أن عملك به الراحة التامة والمال الوفير، فكل هذه السلوكات ألا تستجلب العين؟ ألا تعلم أن هذه طريقة غير مستحبة في الشرع، بل إن المنطلق الشرعي أن تشكر الله على نعَمه بينك وبينه، وأن تتواضع لله تعالى، وأن تتصدق ببعض ما أوتيت من النّعم، وألا تحاول إغاظة من حولك، وإظهار ما عندك، والافتخار، أو التكبر على الآخرين؛ لأنّ كل هذه أسباب الحسد، فكثير من النعم مُحقت بسبب عين حاسد، أو غافلٍ عن ذكر الله، أو بسبب متعالٍ ومتكبرٍ على الآخرين، واليوم كثيرون هم الذين يمرضون ويموتون بسبب العين، قال ﷺ: «لو كان شيءٌ سابق القدر لسبقته العين» . فاحذروا من أعين الناس فالعين حق.

أدلة شرعية على وجود الحسد

هذه بعض الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على أن العين حق، وأن الحسد وارد في الدين، قال سبحانه وتعالى مُخبرا عن يعقوب عليه السلام حين أوصى بنيه قبل سفرهم:

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف:٦٧)، فَلِمَ طلب يعقوب عليه السلام من أبنائه الدخول من أبواب متعددة وليس من نفس الباب؟ أليس بسبب خوفه عليهم من الحسد من أعين الناس لكثرة عددهم؟ ولِمَ ذكر الله تعالى هذا الموقف إن لم تكن العين حق؟

وقد ابتلي يوسف عليه السلام بحسد إخوته له حيث قالوا: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ (يوسف:٨)، فحسدوهما على تفضيل الأب لهما؛ ولهذا قال يعقوب ليوسف عليهما السلام: ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (يوسف:٥). أليس هذا هو الحسد بعينه؟

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ (البقرة: ١٠٩)، فقد ورد لفظ الحسد صريحا في هذه الآية الكريمة.

ومن الأحاديث النبوية عن الحسد

- قال رسول الله ﷺ: «العين حق ولو كان شيء سابق القدر، لسبقته العين».

- وعن أم سلمة رضي الله عنها أنّ النبي ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهها سفعة، فقال: «استرقوا لها، فإن بها النظرة». يعني: أصابتها العين.

فاسترقوا لها؛ أي: اقرؤوا عليها القرآن. فالعين لها أثر كبير في إيقاع الأذى بمن أصابته.

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ ، فسمع صوت صبي يبكي، فقال: «ما لصبيكم هذا يبكي، فهلا استرقيتم له من العين».

- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ «كان يأمرها أن تسترقي من العين، وأن تقرأ القرآن».

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «العين حق ونهى عن الوشم».

- وقال رسول الله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار».

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام».

أنواع الحسد

وهناك ثلاثة أنواع من الحسد بين الناس:

النوع الأول: من يكره لك بقاء النعمة ويتمنى زوالها عنك، وانتقالها أو عدم انتقالها له، المهم ذهابها عنك، وهذا هو الحسد المذموم وأسوأ أنواع الحسد، وهو من الشر الخالص وينم عن نفسية سيئة خبيثة لهذا الإنسان الذي لا يتمنى الخير إلا لنفسه، بل ويتألم لوجود النعم بيد غيره، أو أن يكون غيره أفضل منه، ومنطلقه التسابق والتنافس على الدنيا، فيكون سعيدا إن زالت النعمة عنك، وإن

لم تحصل له، لكن نفعه زوال الألم الذي في نفسه لكونك أفضل منه في هذا الجانب، فهذا الحاسد ليس له غرض في شيء معين، لكنّ نفسه تكره ما أنعم به على غيره، فيتمنى أن تزول عنه ليشعر بالراحة النفسية.

فالحاسد هنا: مخطئ، وآثم، وارتكب ذنبا كبيرا عند الله تعالى الذي يعلم ما في النفوس وخفاياها ونياتها، ويعتبر ظالما معتديا مستحقا للعقوبة إلا أن يتوب، ويُعتبر المحسود مظلوما مأمورا بالصبر، والتقوى، والعفو والصفح عنه.

والنوع الثاني: هو من يكره أن يرى النعمة على غيره بسبب أفعال المحسود التي تتضمن التعالي، والتكبر، والتفاخر عليه، وتعمد إغاظته مما يجعله يتمنى زوال النعمة عن صاحبها، ويكون مسرورا إن تم ذلك، وهذا ما أشرنا إليه سابقا بأن الإنسان نفسه يستجلب العين لنفسه، فالحاسد والمحسود هنا كلاهما مخطئ وآثم وعليه التوبة.

النوع الثالث: أن يحب أن يكون مثله، أو أفضل منه؛ ليفعل الخير، ولا يتمنى زوال النعمة عن الآخرين، فهذا حسد محمود وهو ما يسمى الغبطة، وقد سماه رسول الله ﷺ حسدا في الحديث المتفق عليه من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها، ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق» هذا لفظ ابن مسعود، ولفظ ابن عمر: «رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه في الحق آناء الليل والنهار». فهو يريد المال أو العلم؛ لينفقه في سبيل الله تعالى والدعوة.

حقيقة الحسد وعلاجه

الحسد عيب كبير في النفس، وقد يستحكم عليها ليصبح مرضا نفسيا لا مفرَّ منه، ويصبح يحسد كل أحد يراه، أو يعتقد أنه أفضل منه، فأصبح شريرا تعيسا في ذاته لأنه لا يرى نعم الله عليه، بل يرى نعم الله على الآخرين، فهو في حقيقته معترض على الله تعالى وما قسمه له، ولا يقنع بما أعطاه، وعلى الإنسان أن يراجع نفسه، ويحاسبها دوما قبل أن يُحاسَبَ، وأن ينظر إلى ما يملكه هو لا إلى ما يملكه الآخرون، فقد تكون فتنةً لهم وابتلاء، قد قال تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ (طه:١٣١)، ولو نظر الإنسان إلى ما لديه من نعم؛ لوجد أن الله تعالى أغدق عليه بالنعم ظاهرة وباطنة، وأنه أفضل من غيره في الكثير من الأمور ولن تضيق عينه على ما وهبه الله تعالى لغيره.

والنفوس غالبا لا تحسد إلا ذا النعمة، فإن كل ذي نعمة مغبون، فالناس يحسدون المتفوق عليهم بالمال، أو العلم والشهادات، أو المناصب والمراكز الدنيوية والجاه، أو الجمال الخَلقي، وقد يُحسد حتى المريض الذي لايُرى مرضُه، بل يُرى ماله، وسيارته، وحجم بيته، ورفاهيته، أو شكله الجميل.

ولذلك فإن فالعلاج يكون بما يلي:

- تجنب إظهار النعم التي أغدق الله بها عليك، وعدم التحدث عنها بشكل ملفت للأنظار، أو تصويرها ونشرها على الملأ وعلى وسائل التواصل الاجتماعي، وتجنب التعالي على الآخرين في ذلك، فلا تستجلب الحسد لنفسك.

- التزام الرقية الشرعية اليومية والتي تتضمن قراءة آية الكرسي، والمعوذات، وسورة الفاتحة، والأذكار الصباحية والمسائية، فإن لها أثرا عجيبا في حماية النفس والأبناء والزوج والبيت، بإذن الله تعالى.

- القراءة على المحسود، ففي زمن رسول الله ﷺ أصيب أحد الصحابة بعين كادت تودي به عندما كان يغتسل ورأى البعض بياض جسده، فأعجبه ذلك وذكره للآخرين، فمرض المحسود على الفور، فغضب رسول الله ﷺ عندما علم وقال: «هلا ذكرتم الله تعالى».

- لا يجوز تعليق التمائم كالخرز الأزرق، والكف، والتعليقات والحُجُب المحرمة، وغيرها، فهذه لا تقي من العين، بل هي من الشرك بالله تعالى ولا تنفع؛ لأنها اعتماد على الخزعبلات لا على الله تعالى خالق الكون، وهي تُغضب الله تعالى، ولا شيء ينفع كالقرآن الكريم وتلاوته دوما، والأدعية الواردة، فهذه الأمور هي التي تقي من العين وتحمي وتنفع بإذن الله تعالى.

- دعاء الله تعالى يوميا بأن يحميك وأبناءك، ويبعد عنكم شر الحُسَّاد، وشر طوارق الليل والنهار.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

صلاح الفرد وسلامة المجتمع

خلق الله الإنسان من طين، ونفخ فيه سبحانه من روحه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (الحجر: ٢٨-٢٩).

نقل ابن كثير-رحمه الله – في تفسيره عن أبي القاسم السهيلي قوله: إن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن، واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم، فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء، فحاصل ما يقول: إن الروح أصل النفس ومادتها، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن، فهي هي من وجه لا من كل وجه.

ولقد شرف الله سبحانه وتعالى «الروح» التي هي أصل النفس بنسبتها إلى نفسه، وشرف «النفس» بقسمه سبحانه وتعالى بها في سورة القيامة: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة:٢)، وفي سورة الشمس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ (الشمس:٧).

الرسل والأنبياء وتزكية الأنفس

بعث الله الرسل والأنبياء لإخراج الناس من ظلمات الشرك والضلال إلى نور التوحيد والإيمان، فأول مهمة من مهماتهم هي إبلاغ الشريعة الإلهية الموحي إليهم بها الله سبحانه وتعالى، فكان الأمر للرسول ﷺ ومن قبله كان الأمر ذاته لإخوانه من الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (المائدة:٦٧).

فالدعوة إلى التوحيد هي المهمة الرئيسية للرسل والأنبياء، ومن مقتضيات هذه الدعوة: التعليم والتذكير والتزكية ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٩).

فهذه دعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لذريته، وقد استجاب الله تعالى لدعوته ببعثة الرسول ﷺ ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:٢).

وكان أمر الله لموسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون ودعوته إلى التوحيد ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ (النازعات:١٧- ١٨).

قال الطبري في تفسيره: وقوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ فقل له: هل لك إلى أن تتطهر من دنس الكفر، وتؤمن بربك؟

كما حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: إلى أن تسلم. قال: والتزكي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (طه: ٧٦)، قال: من أسلم، وقرأ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ (عبس:٣) قال: يسلم، وقرأ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ (عبس:٧) ألا يسلم.

وهذه الآيات دليل وبيان على قيام الرسل والأنبياء بتزكية نفوس أتباعهم من أرجاس الشرك وأخلاق الجاهلية بدعوتهم إلى عبادة الله وطاعته، فتزكو قلوبهم بالإيمان وتسمو أخلاقهم بالاستقامة.

قال ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين: فإن تزكية النفوس مسلم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليما وبيانا وإرشادا، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، وتزكية النفوس أصعب من علاج الأبدان وأشد.

علم النفس وتزكية النفس الإنسانية

تناولت العديد من العلوم الإنسانية النفس البشرية بالبحث والدراسة، وفي مقدمتها علم النفس الذي جعل من النفس الموضوع الرئيس لدراسته، ووضع علماء النفس من أجل ذلك العديد من النظريات المفسرة للنفس

البشرية وأنماطها وكيفية التعامل معها وعلاج ما قد يعتريها من اضطرابات وأمراض، وهذه النظريات جميعها نظريات وضعية استمدت عناصرها من الواقع المشاهد للإنسان في مختلف أحواله، وترد في نشأتها إلى أصول مادية بحته أنكرت الدين في سمو النفس الإنسانية، بحكم ممارسات الكنيسة ورجالها ضد الشعوب الاوربية إبان العصور الوسطى.

ورغم الجهود الجبارة التي لعلماء النفس، إلا أنها فشلوا في فهم وتفسير النفس الإنسانية وعلاج مشكلاتها أو الحد منها، مما حدا بفريق منهم إلى مراجعة إنتاجهم النظري وموقفهم السلبي من الدين وأثره في سمو ورقي النفس الإنسانية وعلاج مشكلاتها.

ومن هؤلاء «يونج» الذي يقول: إنه لواضح في أي علم نفس يمس البناء النفسي للشخصية الانسانية لا يمكنه إغفال حقيقية أن الدين ليس فقط ظاهرة نفسية اجتماعية تاريخية، ولكنه كذلك يعتبر شيئا مهما للذات الشخصية لعدد كبير جدا من الناس. ويقول أيضا عن طائفة كبيرة من مرضاه: إن كل واحد منهم شعر بالمرض، لأنه فقد المعنى الديني للحياة في المرحلة العمرية التي يعيشها من هم في مثل سنه ،ولم يشف منهم الذي لم يتمكن من استعادة نظرته الدينية للحياة (١).

وهذه الاعترافات عن أهمية الدين والتدين في استقامة وفلاح النفس الإنسانية، انتقلت بالكثيرين إلى البحث عن الدين الحق الذي ينتقل بهم من الشقاء والبؤس النفسي رغم ما يتمتعون به من جاه وثروة إلى السعادة والراحة النفسية، والذي وجدوه في الإسلام.

منهج الإسلام في تزكية النفس الإنسانية

ينبثق منهج الإسلام في تزكية النفس الإنسانية من نظرته الشمولية للإنسان ودوره في الحياة الدنيا والتي خلق الله الإنسان من أجلها وهي توحيده وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦).

أنواع النفس الإنسانية

جاء في القرآن الكريم ذكر النفس على ثلاثة أنواع هي:

أولا: النفس المطمئنة، وهي أزكاها وأعلاها، قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر: ٢٧- ٣٠).

ثانيا: النفس اللوامة، وهي أقل منزلة من النفس المطمئنة، وفيها خير، قال تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة: ٢).

ثالثا: النفس الأمارة بالسوء، وهي أخبث أنواع الأنفس، وتقود صاحبها إلى النار، قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:٥٣).

وفي توصيف رائع لأحوال النفس الإنسانية، قال ابن تيمية -رحمه الله- في رسالة العقل والروح: وليس المراد أن لكل إنسان ثلاثة نفوس، وإنما المراد أن هذه صفات وأحوال لذات واحدة، فإذا غلب على النفس هواها بفعلها للذنوب والمعاصي فهي النفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة هي التي تذنب وتتوب، سميت لوامة لأنها تلوم صاحبها على الذنوب، ولأنها تتلوم؛ أي: تتردد بين فعل الخير والشر، والنفس المطمئنة هي التي تحب الخير والحسنات وتريدها، وتبغض الشر والسيئات وتكره ذلك، وقد صار ذلك لها خلقا وعادة وملكة (٢).

النفس الإنسانية موطن التغيير

حقيقة لا مراء فيها ولا جدال فهي فطرة الله في خلقه أن النفس هي موطن التغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ (الرعد:١١).

قال العلامة السعدي -رحمه الله- ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها، فيسلبهم الله عند ذلك إياها.

فأي تغيير لا بد أن يبدأ من الداخل الإنساني، أي من النفس، وما لم يصب التغيير النفس فلا أمل في إيمان حقيقي ولا إصلاح أخلاقي ولا حسن معاملة، وهذا التغيير في مكنون النفس الإنسانية هو الفيصل بين الإيمان والنفاق والكفر.

فلقد كانت دعوة الرسول ﷺ دعوة عامة للدخول في الإسلام ونبذ الكفر وعبادة الأوثان، فسارع من سارع من الصحابة للدخول في الإسلام، من أمثال خديجة بنت خويلد، أبو بكر، وعثمان، وعلي، وزيد بن حارثة، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعتبة ابن غزوان، ثم تلا هؤلاء وعلى مدار حياة النبي ﷺ دخول الصحابة تباعا في الإسلام -رضي الله عنهم أجمعين- فتغيرت أحوالهم جملة وتفصيلا لأنهم غيروا ما بأنفسهم من كفر وشرك إلى إسلام وإيمان بالله ورسوله.

وفي الوقت ذاته بقي أبو لهب وأبو جهل والوليد وأمية على كفرهم، فبقوا على ما هم فيه من جاهلية وكفر.

وفي المدينة كانت أروع الأمثلة في الإيمان والتضحية والإيثار من الأنصار رضي الله عنهم أجمعين، وظهر فريق من الناس لم يظهر في مكة من قبل

وهم المنافقون الذين أبدوا أقوالا وأفعالا ظاهرها الإسلام، على خلاف ما يبطنون من كفر وحقد على الرسول والمسلمين، وبقوا كذلك لأن أنفسهم لم تتغير إلى الإيمان بالله ورسوله.

أسس تزكية النفس الإنسانية في الإسلام

النفس لا تزكو ولا تصلح إلا بالاستقامة على أمر الله سبحانه وتعالى بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه، هذه الاستقامة تجعل له الخير في كل أمور حياته، حتى وإن بدا في ظاهره أنه ليس في مصلحته، ففي الحديث عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له» (رواه مسلم).

وجاء في الحديث عن عبدالله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان: من عبدالله عز وجل وحده لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام،...، وزكى نفسه، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان» (رواه الطبراني وصححه الألباني).

قال أهل العلم: في هذا الحديث تفسير للتزكية عن رسول الله ﷺ، ففي مراقبة العبد لربه زكاة لنفسه، فيطهرها من أرجاس المعاصي والذنوب، ويحملها على الطاعة، ويحرص على ألا يراه الله حيث نهاه، ويفقده حيث أمره.

وقد تحدث العلماء وصنفوا وفصلوا في وسائل تزكية النفس وهي كثيرة ومتنوعة لعل من أهمها: التوحيد، والصلاة، وهجر المعاصي، والاستغفار، والذكر، والصدقة، والدعاء.

ومن جانبنا نجتهد هنا في بيان الأسس الشرعية لتزكية النفس، ونوضحها على الوجه التالي:

أولا: التوحيد: وهو إفراد الله -سبحانه- بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات (٣)، وجاء التوحيد بمعنى الزكاة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (فصلت:٦-٧).

جاء في تفسير ابن كثير ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله. وكذا قال عكرمة.

وهذا كقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (الشمس: ٩ -١٠)، وكقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأعلى:١٤-١٥)، وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾ (النازعات:١٨)، والمراد بالزكاة هاهنا: طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك.

قال العلامة السعدي في تفسيره ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: أي الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها.

قال ابن القيم -رحمه الله- في إغاثة اللهفان: ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾: قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، والإيمان الذي به يزكو القلب فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته وإثبات ألوهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء. إلى أن قال: فأصل ما تزكو به القلوب والأرواح هو التوحيد (٤).

وهذا دليل على أن التوحيد الخالص يورث النفس تزكية وطهارة، يستعين بها المسلم على إقامة الدين وأداء العبادة.

ثانيا: الاتباع وعدم الابتداع: قال العلامة الشيخ بن باز - رحمه الله -: الاتباع هو اتباع الشرع واتباع ما جاء به الرسول ﷺ من الأوامر والنواهي، يقال له اتباع، لأن الله قال: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٣)، وقال جل وعلا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٨)

فنحن مأمورون باتباع النبي ﷺ وباتباع القرآن، فالتمسك بالقرآن بما قال الله والتمسك بما قال الرسول ﷺ أو فعل هذا هو الاتباع، والسير على منهاج النبي ﷺ وطريقه في الأوامر والنواهي هذا يسمى الاتباع، وهو واجب في الواجبات ومستحب في المستحبات.

ثالثا: التقرب إلى الله بالطاعات: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» (رواه البخاري).

فالتقرب إلى الله بألوان العبادات من فرائض ونوافل يورث الإنسان محبة الله سبحانه وتعالى، يقول الشيخ ابن عثيمين في شرحه لهذا الحديث: إن الله تعالى إذا أحب عبدا سدده في سمعه وبصره ويده ورجله، أي في كل حواسه بحيث لا يسمع إلا ما يرضي الله عز وجل، وإذا سمع انتفع، وكذلك أيضا لا يطلق بصره إلا فيما يرضي الله، وإذا أبصر انتفع، كذلك في يده: لا يبطش بيده إلا فيما يرضي الله، وإذا بطش فيما يرضي الله انتفع، وكذلك يقال في الرجل.

رابعا: تجديد الإيمان: في معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وأن زيادته تكون بالطاعة، ونقصه يكون بالمعصية، والإيمان يحتاج إلى تجديد، ففي الحديث: عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم» (رواه الطبراني، وحسنه الهيثمي).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه: «هلموا نزداد إيمانا» وفي لفظ: «تعالوا نزداد إيمانا» (رواه البيهقي)، وكان من دعاء بن مسعود رضي الله عنه «اللهم زدني إيمانا ويقينا وفقها» (رواه الطبراني)، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يقول: «اجلسوا بنا نؤمن ساعة» (رواه البخاري).

قال ابن حجر مبينا وجه دلالته على زيادة الإيمان ونقصانه: ووجه الدلالة منه ظاهرة، لأنه لا يحمل على أصل الإيمان لكونه كان مؤمنا وأي مؤمن، وإنما يحمل على إرادة أنه يزداد إيمانا بذكر الله تعالى (٥).

كما سئل الإمام أحمد –رحمه الله– عن زيادة الإيمان ونقصانه فقال: يزيد حتى يبلغ أعلى السموات السبع، وينقص حتى يصير إلى أسفل السافلين السبع (٦).

والإيمان يزيد بمعرفة الله بأسمائه وصفاته، والنظر في آياته الكونية والشرعية، وبكثرة الطاعات قولا وعملا، وينقص الإيمان بالجهل بأسماء الله وصفاته، والإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية، واقتراف المعاصي والآثام والإصرار عليها.

آثار تزكية الأنفس في حياة الأفراد والمجتمعات

النفس الزكية بزكاة الإيمان، نفس يتولاها الله بعونه وتوفيقه ورعايتهم، قال تعالى ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٧)، فترقى وتسمو بصاحبها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن شرور المعاصي إلى خيرات الطاعات، فيستقيم أمره وتعلو همته، ويعتبر الصحابة رضوان الله عليهم أصدق وأرفع مثال على آثار تزكية الأنفس وتحولها من حال إلى حال.

ونذكر أمثلة للدلالة على ذلك: عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل الإسلام كان حربا على دين الله، ومن أشد الناس كرها لرسول الله ﷺ، وبعد الإسلام صار الفاروق الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وكانت خلافته عدلا ورحمة.

ومصعب بن عمير رضي الله عنه قبل أن يسلم كان من أرغد أهل مكة عيشا وأنعهم ثيابا وأعطرهم، ولما أسلم وزكت نفسه بالإسلام ترك كل هذا وثابر وجاهد حتى استشهد يوم أحد.

وعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه الذي كان يوم توليه الخلافة يوما فارقا في حياته وحياة الأمة كلها، فزكت نفسه وترك الدنيا ومتاعها وزهد في نشوة الحكم وسطوته فملأ الدنيا عدلا.

كل هؤلاء الأعلام وغيرهم تحولت وتبدلت حياتهم، لأنهم يمتلكون نفسا زكية اهتدت بهداية الشرع، فأنقذوا أنفسهم من الكفر والضلال، وكان لهم أطيب الأثر في حياة مجتمعهم وأمتهم.

وواقعنا المعاصر أيضا يقدم لنا الأمثلة لآثار تزكية نفوس الذين يمن الله عليهم بالهداية إلى الإسلام فيدخلوا فيه أو من أصحاب البدع الذين يتوبوا عن بدعتهم فيتبعوا، كيف كانوا وكيف هم الآن؟!.

وما أحوج المسلمين اليوم وقد طغت المادية على حياة الكثيرين منهم، وانتشرت المعاصي بينهم وعمت، إلى وقفة صادقة ومجاهدة النفس وتخليتها من كل ما يعلق بها من آثار الذنوب والمعاصي، ثم تحليتها بالفرار إلي الله بالتوبة والطاعة ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ (الذاريات:٥٠)

الهوامش

١- صالح إبراهيم الصنيع: التدين والصحة النفسية، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ مـ)، (ص ٢٨).

٢- ابن تيمية: رسالة في العقل والروح، دمشق، دار الهجرة، (١٤٠٨هـ)، (ص ٤٣ - ٤٤).

٣- محمد بن صالح العثيمين: القول المفيد على كتاب التوحيد، دار ابن الجوزي، الإسكندرية، (ص ٨).

٤- إغاثة اللهفان: (٤٩/١).

٥- فتح الباري: (٤٨/١).

٦- طبقات الحنابلة: (٢٥٩/١).

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة الأوقاف الكويتية

قد أفلح من زكاها

في العصر الحديث طغت موجة من المادية، أصابت الأرواح بالجفاف والقلوب بالقسوة والنفوس بالوحشة، والواقع أن الإنسان على امتداد تاريخه كلما تعلق بالأرض وما عليها من زينة وغفل عن هداية الله كلما شعر بالحرمان والضيق.

والسبيل إلى الراحة المفقودة هو إعادة التوازن بين العقل والقلب والروح والبدن، والنظر بعين الاعتبار إلى الروح التي هي من أمر الله، فلا سعادة لها إلا بالالتزام بما أمر الله، لا سعادة لها إلا عندما تسعى إلى التزكية.

ولأهمية التزكية وعظيم منزلتها في الإسلام بين النبي ﷺ أنها الغاية من بعثته فقال: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (١).

ورغم الرصيد العظيم الذي يحظى به ديننا الحنيف فيما يتعلق بالدعوة إلى حسن الخلق وبيان الوسائل التي تساعد على تحسينه، إلا أننا نعيش أزمة أخلاقية تظهر آثارها كلما مددت البصر أو أعملت البصيرة.

المقصود بالتزكية

والتزكية التي نعنيها هي إزالة ما يعلق بالقلوب والأرواح من أدران النفس الأمارة بالسوء واتباع الهوى ووسوسة الشيطان، والسعي نحو مزيد من الرقي حتى يصل المسلم إلى مرتبة الإحسان التي قال عنها النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (٢).

التوحيد أكبر دافع للتزكية

وأسوء ما يقع في قلب هو الإشراك بالله تعالى، وكلما استقر التوحيد في قلب وتشرب هذا القلب حب الله عز وجل والعلم بأسمائه وصفاته وملاحظة آثارها في الكون والحياة والتاريخ وجزاء الصالحين وعقاب الفاسدين، كلما خطى بثبات نحو التزكية.

وعندما يستقر التوحيد في قلب يسعى نحو التطهر من الأخلاق الخبيثة، ومن أخبثها الكبر، فقد جاء في الحديث القدسي: «قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار» (٣).

فلا يليق بموحد يعلم عظمة الله وقدرته أن تتدنس نفسه بالتعالي على خلق الله وقد علم مقام ربه ومكانة نفسه.

وعندما يستقر التوحيد في قلب يتطهر من الخنوع والذل فربه تعالى عزيز لا يغلبه شيء، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين

لوازم التزكية

تحتاج التزكية إلى جهاد وصبر وحكمة، فإن النفوس المريضة تحتاج إلى طبيب حاذق يداوي بالمبضع أحيانا

فقسا لتزدجروا ومن يك حازما
فليقس أحيانا على من يرحم (٤).

وإصلاح ما أفسدته البيئة والشيطان ونزغات النفس، يحتاج إلى جهود متضافرة تبدأ من النفس كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١١)، والإنسان يحب الفوز في معاركه الحقيقية والوهمية، وأولاها بالحرص على الظفر هي معركته مع من يدنسون نفسه ويغيرون فطرته ويسعون لكي يخسر الجنة

والتزكية تتطلب معرفة بالنفس ودوافعها نحو العمل وموانعها من السعي وكيف نقوي الدوافع للخير ونجتاز الموانع.

الغاية من التزكية

محنة البشر أنهم مكلفون بالارتقاء إلى الملأ الأعلى على حين أنهم خلقوا من حمأ مسنون! وهم ليسوا مكلفين أن يكونوا ملائكة، فهيهات هيهات ما داموا محكومين بأجهزة هذا الجسد ومطالبه المتجددة، هم مكلفون أن يقاوموا الإسفاف بالتسامي، والنسيان بالذكر، والأثرة بالأخوة، هم مكلفون بعد ما وهبوا الحياة أن يجعلوها لله، فلا تكون أنفسهم شغلهم الشاغل، بل يكون واهب الحياة أملهم الماثل، وما فرضه هو مصدر نشاطهم، وأساس حراكهم وحماسهم) (٥).

وقد تبدوا هذه المهمة صعبة عند البعض ومستحيلة عند آخرين، وإنها ليسيرة على من يسرها الله عليه، وشعر بضرورة التزكية، وأن كل الناس إلى خسران، وكل عمل إلى بوار إلا من أتى الله بقلب سليم، والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض.

والتزكية مسؤلية يتحملها المسلم تجاه إخوانه من المسلمين، يقوم بها على علم وبصيرة ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ (يوسف: ١٠٨) وصحب ابن المبارك

رجلا سيء الخلق في سفر، فكان يحتمل منه ويداريه، فلما فارقه بكى، فقيل له في ذلك، فقال: بكيته رحمة له فارقته وخلقه معه لم يفارقه) (٦).

فأنت ترى ابن المبارك يتحمل سوء خلق صاحبه في السفر عله يتزكى أو يفكر في سوء حاله، وإنما كان ذلك منه شعورا بمسؤوليته في تزكية من حوله.

من وسائل التزكية:

١- الترغيب والترهيب

ومن الحكمة وضع كل واحد منهما في موضعه ومن أهل التزكية من يغلب الترهيب على الترغيب ظنا منه أن الخوف يعمل عمله في سوق النفوس إلى الحق، والتخلي عن الصفات الذميمة، وربما بالغ المربي في ذلك حتى تتفلت منه بعض النفوس، والحكمة في الاقتداء بهدي القرآن الذي يجمع بين الرغبة والرهبة ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء:٩٠)، وهذه طريقة الأنبياء في التزكية، وما من موضع ذكر فيه النار إلا وأعقبه أو سبقه حديث عن الجنة ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝﴾ (الشعراء:٩٠-٩١)

٢- المداومة على الذكر

والذكر خير معين على تهذيب النفوس واستحضار عظمة الله عز وجل، وأفضل الذكر تلاوة كلام الله تعالى، وقد (صلحت أنفس العرب بالقرآن إذ كانوا يتلونه حق تلاوته في صلواتهم المفروضة، وفي تهجدهم وسائر أوقاتهم، فرفع أنفسهم وطهرها من خرافات الوثنية المذلة للنفوس المستعبدة لها، وهذب أخلاقها وأعلى هممها، وأرشدها إلى تسخير هذا الكون الأرضي كله لها) (٧).

وقد كان رسول الله ﷺ يذكر الله آناء الليل وأطراف النهار، عن عائشة «أن النبي ﷺ إذا تضور -أي تقلب من الليل- قال: لا إله إلا الله الواحد القهار، رب السموات والأرض، وما بينهما العزيز الغفار» (٨).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا استيقظ -أي أحدكم- فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي، ورد علي روحي، وأذن لي بذكره» (٩).

إن (طول التأمل في هذه الأذكار لابد منه حين يعتل القلب، وتضعف بالله علاقته، فإن أثرها قوي في تعريف المرء بربه، وتبصيره بمعاني الأسماء الحسنى، إن الإيمان الغامض قليل الجدوى، والإيمان الفاتر أعجز أن يهيمن على السلوك، أو يكبح الهوى، والواقع أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يحتلوا في الإيمان مكان القمة، ولم يغيروا التاريخ الإنساني، ويقيموا حكما مكان حكم، وأخلاقا مكان أخلاق، إلا لقربهم من حياة الرسول، واقتباسهم من سناه، وسريان الإخلاص من قلبه إلى قلوبهم، وحب الله من فؤاده إلى أفئدتهم، هذه طباع الناس، ربما هاج أشواقهم الهامدة شوق حار، على ما قيل:

وذو الشوق القديم وإن تسلى
مشوق حين يلقى العاشقينا

وأرى أن الاستماع إلى النبي وهو يدعو، واستبطان عواطفه وهو يناجي يشعل البصائر المنطفئة، ويدفعها دفعا إلى الإقبال على الله) (١٠).

٣-ومن وسائل التزكية كذلك الدعاء

وهو يرقى بالعبد إلى أسمى الدرجات في سلم التزكية، عن قيس بن عباد قال: صلى عمار بن ياسر صلاة خففها، فقال له رجل: لقد خففتها، قال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قال: بلى، قال: أما إني قد دعوت -يعني فيها- بدعوات أو بدعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على خلقك، أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا يبيد، وقرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضا بعد القضا، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر في وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة» (١١).

٤- لابد من معرفة أمراض النفس وشدة حاجتها إلى التزكية، فمن لم يشعر بالمرض كيف يسعى إلى العافية؟!

٥- أخذ النفس بالمحاسبة، ومن حاسب نفسه أدرك العيوب فاجتنبها وسعى نحو الكمال سعي البصير بمواضع أقدامه.

٦- التطلع الدائم إلى الكمال، قال النبي ﷺ: «لا يشبع مؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة» (١٢).

٧- تقديم نماذج ممن ساروا في مدارج التزكية وغير الله حالهم إلى ما يحب سبحانه ويرضى.

الهوامش

١- مسند الإمام أحمد (٢/ ٣٨١)، وقال محققوه: صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث.

٢- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام.

٣- سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر.

٤- ديوان أبي تمام.

٥- فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء للشيخ محمد الغزالي (ص: ١٠).

٦- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣/ ٥٢).

٧- تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (١/ ٧).

٨- السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٣٥).

٩- السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٢٠).

١٠- فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء (ص: ١٦).

١١- مسند البزار.

١٢- أخرجه ابن حبان (٣/١٨٥، رقم ٩٠٣)، والحاكم (٤/١٤٤، رقم ٧١٧٥) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٨٦، رقم ١٢٣١).

استطلاع : علاء عبدالفتاح
تصوير : محمود السايس

أولى المكتبات في منطقة الخليج والجزيرة العربية:

مكتبة الكويت الوطنية.. نموذج رائد للصروح الثقافية

كامل عبدالجليل

مكتبة الكويت الوطنية لها تاريخ عريق، وتعتبر أولى المكتبات التي أنشئت في منطقة الخليج والجزيرة العربية، وقد بدأت باسم المكتبة الأهلية، وكانت مبادرة ضمت تسع شخصيات كويتية مرموقة من رجال العلم والأدب والفكر في ذلك التاريخ.

بداية عمل المكتبة الأهلية كانت عام (١٩٢٣م)، بعد أن أهديت إليها مجموعة كتب من الأهالي، إضافة إلى المكتبة الخاصة التي أهداها الشيخ ناصر الصباح ابن الشيخ مبارك الكبير، وكان الشيخ ناصر أديبا وشاعرا وجامعا للكتب التراثية العربية المتميزة، وقد أهدى المكتبة الأهلية حوالي ثلاثة آلاف كتاب.

مجلة (الوعي الإسلامي) زارت هذا الصرح الثقافي، وتجولت في أركانه بعدستها، فرصدت الكتب القيمة والأجهزة الحديثة التي تنسخها وتحولها إلى نسخ الكترونية يستفيد منها الباحثون بيسر وسهولة.

في البداية قابلنا مدير عام المكتبة كامل عبد الجليل الذي أكد اعتزازه بمجلة (الوعي الإسلامي) منذ صدورها الأول في عام (١٩٦٥م) قائلا: شرف لنا أن نسجل جميع إصداراتها رقميا، وهي لسان حال وزارة الأوقاف وما قدمته من عطاء تجاه الدعوة الإسلامية، وهي تنشر الكثير والكثير عن الوقف والخدمات التي قدمتها لجميع المساجد، لذلك نحن نعتز بهذا الرصيد الضخم من المعلومات ومن الوثائق التاريخية لدى المكتبة الوطنية.

وأوضح المدير العام لمحة تاريخية عن ذاك الصرح الثقافي المهم قائلا: بدأنا بالمكتبة الأهلية تميزت بكتب التراث

نصف مليون عنوان في ثلاثة طوابق تطل على الخليج

العربي وتفسير القرآن الكريم وعلوم الحياة وكتب الفقه والحديث، وإن كثيرا من الكتب التي صدرت في هذا التاريخ ضمتها المكتبة الأهلية كما ضمت الكتب التي وردت عن طرق الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست سنة (١٩١٣م) في دولة الكويت.

ويضيف عبد الجليل: نشر الوعي بالقراءة، جاء ذلك بعد إنشاء أول مدرستين بالكويت: المدرسة المباركية عام (١٩١١م)، والمدرسة الأحمدية (١٩٢١م)، فكان ضروري وجود مكان آخر لطلاب العلم لكسب أكبر كم من الثقافة.

ومن هنا كانت المكتبة الأهلية فرصة لتجمع الكويتيين، وتداول الحديث والمعرفة في كل ما هو جديد، وقد اشتركت المكتبة في جريدة الأهرام والقبس السورية وبعض الصحف العراقية، وكانت فرصة لاطلاع المجتمع

على أخبار العالم الخارجي المحيط به ومعرفة كل ما هو جديد خارج الكويت.

ثم أرادت الحكومة ممثلة بدائرة المعارف التي عرفت بعد ذلك بوزارة التربية أن تدعم هذه المكتبة وتعزز مقتنياتها وتقويها، وتوفر لها العاملين المتفرغين الذين لديهم القدرة على خدمة هذه المكتبة، فضمتها إلى دائرة المعارف بمثابة وزارة التربية، وغيرت اسمها إلى (المكتبة العامة) أو (مكتبة المعارف)، وتوسعت المكتبة وصار لها أفرع أخرى في منطقة المباركية والدسمة وحولي بعد أن دعمتها وزارة التربية سنة (١٩٦١م).

وفي عام (١٩٧٩م) صدر قرار مجلس الوزراء بنقل المكتبة العامة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وأصبحت منذ ذلك التاريخ تسمى بالمكتبة المركزية للدولة، فورثت دائرة المعارف بكتبها وكنوزها ومجلداتها القديمة النادرة والكتب ذات القيمة التاريخية الكبيرة والمخطوطات، وأخذت من مدرسة المباركية مقرا رئيسيا لها.

ويكمل المدير العام للمكتبة: بعد التحرير وبالتحديد عام (١٩٩٤م)، ومع التوجه لإبراز كيان ووجود دولة الكويت وتاريخها الثقافي وإرثها في الإنتاج الفكري الكبير وما يتمتع به شعب الكويت من مميزات نسبية في مجال الثقافة، تحولت المكتبة إلى مكتبة وطنية، فصدر القانون رقم (٥٢) لسنة (١٩٩٤م) بإنشاء مكتبة الكويت الوطنية، وصدر هذا القرار في عهد المغفور له سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح طيب الله ثراه أمير دولة الكويت، وبدأ العمل في إنشاء هذا المكتبة بأهدافها وإدارتها وتأسيسها على أسس سليمة كما هي في المكتبات الوطنية الكبرى في العالم.

أهداف متنوعة

ونسأل كامل عبد الجليل عن أهداف المكتبة المتنوعة، فيرد: نقدر أن نحدد أهداف مكتبتنا الوطنية بالإشراف على حفظ وتنظيم وإيداع التراث والإنتاج الفكري والأدبي والثقافي بمختلف أشكاله، والمصنفات ذات الصلة بتاريخ

تجهيزات فنية راقية تشجع كل باحث على الاطلاع

الكويت، سواء كانت كتبا أم مجلدات ودوريات، أم كانت أعمالا فنية من الإذاعة والتلفزيون، وكل ما يتعلق بتعزيز دور ومكانة الكويت في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية.

وتقوم المكتبة أيضا بالإشراف على نظام الإيداع للمصنفات والمحافظة على حقوق المؤلفين والمفكرين وذوي الإنتاج الإبداعي في مختلف المجالات بالثقافة والفنون والآداب بكل أنواعها، وبالإضافة للأعمال الفنية تهتم المكتبة بتقنية المعلومات وأي برامج ذات اختراعات معينة تحميها وتحمي مؤلفيها، كما تحمي المصنف نفسه وفق القانون الأخير الذي صدر بشأن المحافظة على حماية وحفظ حقوق المؤلف.

وماذا عن مسؤولية المكتبة الوطنية؟

يقول عبد الجليل: مسؤوليتها إعداد وتشغيل الفهرس الوطني الموحد للدولة، الذي يسهل على الباحثين وعلى القراء وطلاب العلم اللجوء إلى الفهرس لمعرفة الكتب والمراجع، ويقلل من عناء التعب والوقت والجهد ولدينا «مشروع الفهرس الوطني الموحد» الآن هو قيد التنفيذ سيجد الباحث فيه كل ما يتعلق بمكتبات الجامعة والجامعات الأهلية والمكتبات المتخصصة من خلال قواعد البيانات.

النظام الآلي

وهنا يكلف مدير عام المكتبة أحد الموظفين للقيام معنا بجولة تطلعنا على أحدث ما تضمه المكتبة، فنجد أن هناك نظاما آليا يقوم بتشغيل المكتبة الوطنية، ويوفر جميع بيانات الكتب والمعلومات بـ «كبسة زر» مما يسهل على العاملين من أمناء المكتبة خدمة الباحثين وتسهيل عملية البحث بقواعد البيانات والمراجع العلمية والدوريات القديمة جدا والحديثة.

وقد قمنا بتجربة البحث عن عدة

عناوين بأنفسنا، فوجدنا الأمر في غاية السهولة واليسر.
في ركن خاص وجدنا أوائل الدوريات من الصحف والمجلات التي صدرت منذ أول الثلاثينات، والتي تعبر فعلا عن هوية الكويت الثقافية، مثل مجلة الكويت ومجلة الكويت والعراقي ومجلة التوحيد، ثم مجلة البعثة التي صدرت في بيت الكويت في القاهرة أول الأربعينات، أيضا وجدنا مجلات كاظمة والرسالة والإيمان والرائد والفجر، ومعظمها صدر في الفترة من (١٩٣٠م) حتى نهاية (١٩٥٠م)، ثم الصحف الكويتية القديمة، مثل جريدة الكويت، حتى جريدة الرأي العام سنة (١٩٦١م)، ثم جريدة السياسة منذ العدد الأول (١٩٦٥م)، وبقية الصحف التي توالى إصدارها.
باختصار عثرنا على مخزون ثري من

تسعة آلاف كتاب وقصة للأطفال باللغة العربية والإنجليزية

الدوريات من المجالات الكويتية القديمة والكتب التراثية عن دولة الكويت، وفي مختلف صنوف المعرفة التي كتبت على أيادي كويتيين، وأيضا نشرت داخل دولة الكويت.

المعمل الإلكتروني

وفي صالة كبيرة بالطابق الثاني يمكن تسميتها بالمعمل الالكتروني، نطالع أحدث أجهزة الماسح الضوئي، ونعرف أن المكتبة الوطنية اتجهت إلى المصنفات الإلكترونية الرقمية بتحويل الكتب والدوريات والمجلات القديمة المحفوظة ورقيا إلى ملفات الكترونية رقمية يمكن الاطلاع عليها عن طريق شاشات العرض الموجودة في المكتبة في قاعات المطالعة الالكترونية.
وقد رأينا جهازين: جهاز لتصوير الصحف الكبيرة، وجهاز روبرت سريع لتصوير الكتب وحفظها رأسا ملفات (pdf) على الكمبيوتر، مما يحقق طفرة نوعية متطورة في مجال تكنولوجيا المعلومات داخل المكتبة.
نصل إلى هناك قاعة «كويتنا» وهي قاعة ذات تصميم خاص بطابقين، مختصة بحفظ كتب تاريخ وتراث الكويت في جميع المجالات، أي قاعة متخصصة بتاريخ الكويت، وهي تستقبل باحثين ومؤلفين وقراء وطلبة علم في مجال تاريخ الكويت.
ويبدو من الجولة أن كل غالبية الموظفين من العمالة الوطنية المدربة، إذ يبدو أن إدارة المكتبة وضعت نصب أعينها رفع مهارات العاملين الكويتيين، لأنهم الاستثمار طويل الأجل لهذه المكتبة، فحرصت على استقطاب خريجي المكتبات من الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب، يحملون البكالوريوس في علوم المكتبات والمعلومات، وإضافة قيمة بشرية قوية للمكتبة عن طريق حملة الماجستير خريجي جامعة الكويت، وهم يدخلون في كثير من المشاريع والأعمال التي تقدمها المكتبة.
كما يتضح أن المكتبة الوطنية تنقسم إلى خمسة إدارات، موزعة على ثلاث طوابق.
الإدارة الأولى: هي إدارة التزويد والفهرسة، ومسؤولية التزويد هو تنمية المقتنيات عن طريق الشراء المباشر في المعارض الخارجية والمحلية التي يتم المشاركة فيها باستمرار وانتظام، مثل معرض القاهرة الدولي- معرض الشارقة الدولي- معرض الرياض الدولي- معرض الكويت الدولي- ومعارض أخرى، وفي المستقبل هناك نية للمشاركة في معارض عالمية

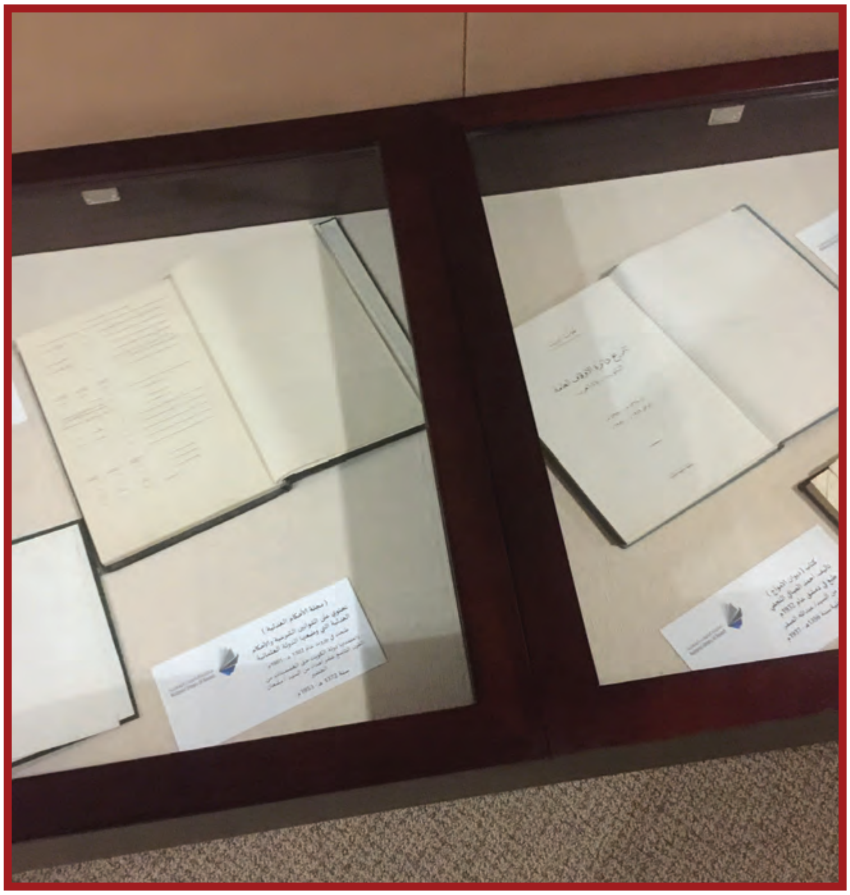

وضخمة، مثل معرض فرانكفورت الدولي.

الإدارة الثانية: الأرشيف الوطني والفهرس الوطني الموحد، وهي عملية جمع وتجميع وحفظ وتنظيم الأرشفة على مستوى الدولة وما نتلقاه من الأهالي لحفظها في المكتبة الوطنية للمستقبل.

الإدارة الثالثة: خدمات المعلومات والمكتبة الرقمية، وهي تعني بتقديم الخدمات للمراجعين، وتوجد مناقصة قريبا سوف تقوم بتزويد المكتبة الوطنية ببرنامج ضخم يستوعب عشرات الألاف من الكتب والمخطوطات والوثائق والصور والأفلام الوثائقية القديمة والعملات الكويتية وإصدارات الطوابع البريدية، وهو عبارة عن أرشيف إلكتروني ضخم، سوف يكون داخل المكتبة.

أما الإدارة الرابعة فتسمى إدارة المكتبات المتخصصة، وهي تضم مكتبة للطفل والناشئة، وهي مصممة بطريقة جذابة تجعل المكان بيئة محفزة محببة ومشجعة للقراءة والتسلية، وبها ألعاب تعليم تفاعلية بالشاشات وعروض سينمائية تقدم للأطفال، وبها تسعة آلاف كتاب وقصة للأطفال باللغة العربية والإنجليزية.

وهناك أيضا مكتبة للناشئة للشباب فيها ألفي كتاب، وهي من الكتب المحببة والقصص والروايات للشباب، ويوجد أيضا مكتبة للمكفوفين من ذوي الاحتياجات الخاصة، فيها جميع الكتب والدوريات بطريقة «برايل»، كسلسلة عالم الفكر وسلسلة عالم المعرفة وكتب عديدة، بالإضافة إلى وجود أجهزة تساعد المكفوفين على الاستماع عن طريق الاسطوانات المدمجة.

ووجدنا جهازا عالميا يكبر الحروف لضعاف البصر لمساعدة القارئ مهما كانت درجة إبصاره ضعيفة على إكمال القراءة بكل سهولة ويسر.

الإدارة الخامسة: تختص بمكتبة التراث العربية، فيها أمهات الكتب والمجلدات والمعاجم وموسوعات إسلامية وعربية قديمة، وهي عبارة عن كنوز حقيقية.

الإدارة الخامسة: تعنى بحق المؤلف، وهي تشرف على تطبيق قانون حق المؤلف وفيها عدة أقسام:

تمنح الترقيم الدولي والرقم المعياري الدولي للكتاب الذي يقوم بحفظ وتسجيل حقوق المؤلفين عالميا، وأيضا تشرف على إيداع الكتب التي تصدر داخل الكويت، وبالتالي ترصد الإنتاج الفكري والأدبي والفني في جميع صنوف المعرفة وتقنيات المعلومات من برامج جديدة في الكمبيوتر وأنظمة.

نصف مليون عنوان

قال مدير عام المكتبة الوطنية كامل عبد الجليل أن للمكتبة وسيلة لتزويد وتنمية المقتنيات وهي الإهداءات والتبادل مع المكتبات داخل وخارج الكويت، وهذه وسيلة أخرى تنمي المكتبة الوطنية ومخزونها من الكتب الذي يناهز الآن نصف مليون عنوان، وأضاف: ولدينا أيضا وسيلة الإيداعات، فبحكم القانون الخاص بالمطبوعات والنشر الذي تشرف عليها وزارة الإعلام، يجب على كل مؤلف ودار نشر بعد أن يصدر الكتاب في داخل دولة الكويت أن يودع في المكتبة الوطنية ثلاث نسخ من هذا المؤلف، وهي وسيلة أخرى لتنمية المقتنيات.

تصميم المكتبة

صممت ونفذت المكتبة الوطنية كأحد الصروح الراقية على المستوى العالمي مما يجعل العرب فخورين بها، وقد نشرت صورها في صحف أجنبية كثيرة، وتعتبر المكتبة الوطنية من أجمل مباني الكويت وأنسب بيئة للقراءة، فهي تجذب كل الباحثين وعموم الناس للقراءة لأنها من ناحية التصميم العمراني تغرس الراحة النفسية في زائريها، فالقاعات مصممة على أعلى مستويات الدقة والتراث العمراني الحديث.

د. بوعبيد الازدهار
أستاذ السيرة النبوية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية- المغرب

حاجة الأمة الحضارية إلى تعقل السنن الإلهية

يعد البحث في موضوع السنن الإلهية غاية في الأهمية، لما له من دور عظيم في تجلية معالم الماضي والحاضر والمستقبل، والوصل بين عناصرها جميعا، وتعتبر معرفة هذه السنن منارا هاديا لتسخير عناصر الكون، والاستفادة بكل ما فيه من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة، وتفتح المجال لامتلاك السبل والمداخل الموصلة إلى استشراف مستقبل زاهر للبشرية.
ولأجل ذلك لفت القرآن الكريم أنظار عباده المؤمنين إلى هذه الحقيقة، ودعاهم في أكثر من مناسبة إلى فقه السنن الإلهية، وزيادة الوعي بها.

وتأسيسا على ما سبق، فإن حاجة العقل المسلم إلى فقه السنن الإلهية وتعقلها والاهتداء إليها في استئناف الفعل الحضاري تبدو أكثر إلحاحا في وقتنا المعاصر، وتظهر هذه الحاجة جلية في الآتي:

فريضة شرعية وضرورة واقعية

يعد فقه السنن الإلهية من العبادات الواجبة شرعا، فقد تواردت الأدلة الشرعية والكونية على أهميتها وضرورة الاسترشاد بها في حياة الإنسان، باعتبارها فريضة من فرائض الدين، وركنا من عناصر الهداية التي يحتاجها في مسيرته الحضارية، فمن تركها كمن ترك ركنا من أركان الدين.

وما يؤكد مشروعية الأخذ بهذه السنن ودورها في التمكين لأمة القرآن ما أبداه الجيل الأول وتابعوهم من عناية فائقة بها وتعقلها والتصرف على هداياتها، وقد تبعهم في ذلك علماء الأمة وأئمة الدين، وتبعا لهذا عدها الشيخ محمد الغزالي من القسم المحمود الذي ينبغي أن تقبل عليه الأمة بشغف شديد، فهو «العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وسنته في خلقه، وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا. فإن هذا العلم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد، قصور عن حد الواجب، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم» (١).

وتحقيقا لهذا المقصد، فقد دعا القرآن الكريم العقل المسلم إلى النظر في عوالم الآفاق والكون وأمره بالسير في الأرض، كما حثه في كثير من المناسبات ليكتشف سنن الله تعالى ويتحقق من فاعليتها ونفاذها في المجتمعات البشرية، ويأخذ منها العبرة والعظة، وهو أمر متوقف بقدر كبير على استجابة هذا الإنسان للنداء الرباني:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام:١١)، والمراد أي: «سيروا لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين» (٢)، فهذه وغيرها من الآيات كثير، تحث المؤمن على الاعتبار بعد النظر بمن خلوا من الأمم والجماعات، وما حل بهم.

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: «إن الله تعالى حذر هؤلاء القوم بهذه الآية، بأن لا يغتروا بما وجدوا من الدنيا وطيباتها، وما وصلوا إليه من لذاتها وشهواتها، بل سيروا في الأرض لتعرفوا صحة ما أخبركم الرسول ﷺ عنه من نزول العذاب على الذين كذبوا الرسل في الأزمنة السالفة، فإنكم عند السير في الأرض والسفر في البلاد، لابد وأن تشاهدوا تلك الآثار، فيكمل الاعتبار، ويقوى الاستبصار» (٣).

إذن سبيل إلى التقدم والرقي والنهوض واستئناف الدورة الحضارية إلا بفهم هذه السنن وفقهها، وحسن التعامل معها، وإتقان تسخيرها واستثمارها، والاستنباط منها بقدر ما يخدم مقصد التمكين لدين الإسلام في المجتمعات البشرية، لأنه لو «أحسنا التعامل مع السنن لانطلقنا من نقطة انطلاق صحيحة صوب أهدافنا» (٤).

والناس في تعاملهم مع السنن الإلهية على صنفين:

منهم من اهتم بها ودرسها وتعامل بها، ومنهم من غفل عنها ولم يدرك أهميتها، وبالطبع فهما ليسا سواء،

كما يقول سيد قطب، بأنه «من اتبع هذه السنن أفلح وفاز، ومن حاد عنها ضل وخسر» (٥)، ثم أن الله تعالى ربط تقدم الأمم ونهوضها بقدرة أبنائها على الوعي بسنن الله واستثمارها، فمن علمها وأخذ بها تقدم، ومن جهلها وتنكب عنها تأخر.

من تمام الدين

من المقدر الثابت في الشريعة الإسلامية أنه لا يكتمل إسلام المرء ما لم يفقه سنن ربه الناظمة له ولسائر الموجودات من حوله، ومن أجل تنبيه الإنسان بهذه الحقيقة، ورد الأمر صريحا بالسير في الأرض واكتشاف هذه السنن في مواضع عدة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٧)، وتفيد هذه الآية أن النظر وتتبع سير الأمم الغابرة والاتعاظ بها، سبيل إلى فهم ومعرفة السنن والقوانين الحاكمة للأمم والجماعات، وبالتالي ففي رعاية هذه السنن وحفظها فهما وتطبيقا، حفظ للدين، لأنها أساس الاستبصار في إقامة نظام العمران وصلاح أحوال البشر، ولأهمية هذا الأمر فإن السنن الإلهية تشغل حيزا كبيرا من مفردات هذا الدين، إذ فهمها يشكل دعامة أساسية من دعائم الفهم الشامل للإسلام، بل إن فقهها من الواجبات الدينية لأنها «تبصر العبد بكيفية السلوك الصحيح في الحياة، وتبعده من المحاذير التي وقع فيها الأولون، وتنجيه من عقوبات خالقه التي رتبها على المخالفين، ويظفر حينها بما وعد الله تعالى به عباده المؤمنين» (٦).

وتبعا لذلك، فإن السنن التي أرشد إليها الله عز وجل في كتابه الحكيم وبينتها تشريعات الرسول الكريم ﷺ جديرة بالدرس والفهم والتدبر، نظرا لما لها من دور فعال في توجيه العقل المسلم وترشيده إلى استخلاص القوانين والقواعد الثابتة المطردة الحاكمة للأمم والجماعات، يقول تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، والمراد من قوله: ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: «بيانا وتفصيلا لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة ما يتعلق بأمور الدين، ومن جملته أحوال الأمم مع أنبيائهم» (٧).

ومن المقدر أيضا أن هذه القوانين لا تحيد ولا تميل عن مسارها، لا تجامل ولا تحابي أحدا، مؤمنا كان أو كافرا، تفعل فعلها مع الجميع دون أي تمييز، وهذا مما يجعلها محل نظر واستبصار وعظة، ومن ثمة فمعرفة هذه القوانين، معرفة لبعض الدين.

ومن الواضح أن فهم أحوال الأمم السابقة مع أنبيائهم التي اعتبرها الآلوسي بحق من جملة الدين، على اعتبار أن ما حل بهم من هلاك ودمار سببه عصيانهم ومخالفتهم لما جاء به رسلهم من الحق المبين، فما من رسول أو نبي اعترضه قومه أو عارضوه إلا ونفذت فيهم سنة الله وفق قانون الهدى والضلال، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ١١٥)، وفي الآية تهديد ووعيد لمن اتبع أهل الباطل في باطلهم، وتخلف عن أهل الحق ومجاراتهم، إذ في اتباع الطائفة الأولى عصيان وتمرد، وفي اتباع الثانية طاعة وتعبد.

فقه سنن الله تعالى في الأنفس والآفاق والاجتماع البشري من العلوم الموجهة للفكر والثقافة الإسلامية

إن معرفة السنن الإلهية من العلوم الوظيفية للعقل المسلم، بحيث توجهه من أجل اكتساب آليات معرفية ومنهجية ليسير عليها في رؤيته الإصلاحية، فهي ليست بدعا من العلوم، بل أصل في كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ، وعمل الصحابة والتابعين.

فقد كان الجيل الأول وتابعييهم من علماء الأمة وأئمة الدين على بصيرة بهذه السنن، فقد أخذوا بها وأعملوها في كل مجالات الحياة وتصرفوا على أساسها واتبعوا هداياتها، صحيح أنهم لم يؤلفوا علم السنن ويدونوه في مصنفات كما هو حال علم الفقه وأصوله والحديث والعقيدة وغيرها، ولكن ظل الوعي بها واستبصارها دوما في حياتهم، مما جعل أعمالهم موافقة لهذه السنن، ولما كانت حياتهم كذلك مكن الله لهم في الأرض وأسبغ عليهم من نعمائه وعطاياه.

وحال الأمة اليوم على خلاف ذلك تماما لما كان عليه الأولون السابقون، حيث أهملوا هذه السنن وحادوا عنها ولم يسخروها في حياتهم، فحق عليهم العقاب والضياع والخسران.

يقول رشيد رضا: «إن علماء الصحابة والتابعين وأئمة الأمصار الذين ورثوا الكتاب بالسليقة كانوا يفهمون هذه السنن الإلهية في الخلق ويهتدون بها وإن لم يضعوا لها قواعد علمية وفنية لتفقيه من بعدهم فيها؛ ثم زالت السليقة فصاروا يفسرون القرآن والدين بالقواعد والفنون والمعارف الموروثة من الشعوب التي أسلمت، ولم يكن علم الاجتماع قد دونه أحد، لذا لا نرى في تفسيرهم شيئا من هذه السنن الخاصة بسياسة الأمم، بل تنكبوا هداية القرآن فيها، فكانت عاقبة أمرهم ما نشكوا منه، ونحاول تلافيه» (٨).

غير أن استمرار هذا الوضع من الغفلة والجهل بسنن الله تعالى في وقتنا المعاصر، يتطلب أن يكون في الأمة طائفة من أهل العلم يفسرون هذا العلم كما فعلوا مع باقي العلوم، يقول صاحب المنار رحمه الله: «إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم،

لنستلهم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها، ومعرفة حقيقتها» (٩).

واستحضارا لما سبق، فإن الأمة الإسلامية بحاجة اليوم إلى فهم واسع للسنن الإلهية في الأنفس والآفاق وتبين حقيقتها وسبل الاستفادة منها في إقامة شهود حضاري يليق بالأمة الخيرة المستخرجة، وبما يقوي لدى أفرادها عناصر الحصانة العقدية والمعرفية التي تجعلهم يميزون بين الغث والسمين وبين الذي يصلح والذي لا يصلح من أجل تفعيل مقتضيات أمانة التكليف المنوطة بهم (١٠)، والأدوار الحضارية في إقامة الحياة السعيدة في كل مجالاتها على أساس الاعتدال والوسطية.

إن رؤية الحياة البشرية بغير حاكمية السنن الإلهية سيؤدي لا محالة إلى الفوضى والعبثية التي انتهى إليها فكر «سارتر» في الجاهلية المعاصرة؛ وهي ذاتها التي انتهى إليها فكر الجاهلية العربية قبل الإسلام.

وتجاوزا لهذه العبثية كان من الضروري أن نتأمل هذه السنن ونتوقف معها وقفات علمية وفكرية ونتتبع فاعليتها ونفاذها في المجتمعات والأمم السالفة، لعل ذلك يسعف العقل المسلم بأن يستعيد دوره الريادي وينطلق برؤية سننية كونية في أداء رسالته الاستخلافية على الوجه المطلوب.

تعقلها يورث العظة والاعتبار

إن أعظم فائدة تحصل لدارس سنة الله تعالى في الأنفس والآفاق، هي الاعتبار بعد النظر في وقائع القرون الخالية، وسنن الأمم الماضية، والتبصر في سيرهم، واستجلاء أخبارهم وأحوالهم، والسؤال عن أسباب صلاح الأمم وفسادها، وتحقق عادة الله عز وجل فيهم بالنظر في ترتب الآثار على الواقعات، واستقراء ما خلا فيهم من المثلات، وما مضى فيهم من النعم والنقم، والاتعاظ بكل ذلك، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الروم:٤٢)، فإذا حصل السير في الأرض، حسا ومعنى، قلبا وقالبا، فقد حصل الاعتبار بالوقائع والأخبار، وإذا تحقق ذلك، فقد حصلت العبرة بمعرفة أن ما ترتب من الجزاء على واقعات الغابرين. ومن عادة الله عز وجل في دراسة التاريخ، أن يترتب مثله على أمثالها في الحاضرين، فيحذر الناظر المعتبر أن يتلبس بأحوال الهالكين، فيصيبه من النقم والإهانة ما أصابهم، ويحرص على اتباع سنن الصالحين ليناله من النعم والكرامة ما نالهم، فذلك قوله تعالى آمرا بالاعتبار: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (يوسف:١١١) (١١).

ولهذا فإن الأمة الموعودة بالظهور والخلافة في الأرض كانت ولا تزال بحاجة إلى فقه سنة الله وأخذ العبرة من الأمم الغابرة والأقوام السابقة والحضارات البائدة، ولله در القائل:

اقرأ التاريخ إذ فيه العبر
ضل قوم ليس يدرون الخبر (١٢).

لكن، إذا لم تتحقق الاستفادة من دروس الماضي ولا التأمل في ما حدث للسابقين، ولم تأخذ العبرة مما لحق بهم جراء التنكب عن السنن والغفلة عنها، فإن أفعالهم وحركاتهم ستكون عبثا واضطرابا كلها، مما يوجب العقاب، على اعتبار أن الغفلة عن سنة الله «تجعل الإنسان يفقد ميزته الأساسية، وأمانته التي حمله الله إياها، والسلطان الذي أعطاه الله له، لتسخير ما خلق الله له، ويصير هذا الإنسان المكرم في أسفل سافلين، بل يصير الإنسان نفسه مسخرا للذين يعلمون سنن الله» (١٣).

وتحقيقا لمقصد الاعتبار فقد جعل الإسلام دراسة التاريخ وفهم قوانينه فارقا بين أولي الوعي والبصيرة، والغافلين الذين لهم أعين لا يبصرون بها، وآذان لا يسمعون بها، وقلوب لا يفقهون بها، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦)، ويجعل النظر في آيات الله في الكون، وآياته ونذره في الحياة البشرية فارقا بين المؤمنين وغير المؤمنين: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١) (١٤). واعتبارا لذلك كان لزاما على العقل المسلم الساعي إلى إخراج الأمة من جديد، أن يدرس السنن الإلهية، دراسة مستوعبة، حيث إن المتدبر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ليجد عناية بالغة بإبراز تلك السنن وتوجيه النظر إليها، واستخراج العبرة منها، والعمل بمقتضياتها لإعادة بناء وإخراج أمة سليمة، على أمر الله مستقيمة.

فقه السنن الإلهية من معالم الفقه الحضاري العمراني

إن الانحسار الحضاري الذي تعانيه الأمة في زمننا هذا كان من أهم أسبابه العدول عن اكتشاف السنن والانضباط بها، والذي أورثها الجمود وأوقف تقدمها العلمي، حيث لا يزال بعض الفرق الإسلامية تصر حتى اليوم، على نقل القدسية من أقوال العلماء الفقهية والفكرية وفعلهم التاريخي، حتى أوقعوا عقل المسلم في التقليد والتبرك من التراث دون أن يحاول الإسهام في قراءة مشكلات العصر وتقديم الحلول المعرفية والمداخل المنهجية الممكنة لحركة الحياة (١٥).

فلا غرابة، أن ابتعاد الفكر الإسلامي المعاصر عن التبصر بعواقب الأمور، والتدبر في آيات الله الشرعية والكونية وتنزيلها تنزيلا سننيا على واقع الحياة عبر فهم مقاصدي؛ أفقد الأمة الجدوى والفاعلية المطلوبة للتقدم والنماء (١٦)، على اعتبار أن أي حركة من حركات التاريخ وأي جماعة من الجماعات البشرية إلا وهي خاضعة لسنن الله، فمعرفتها بهذه السنن تحقق لها ولاشك السلامة من الوهن والتخلف وتخرجها من زمرة الأمم البائدة.

وقد ذهب محمد عبده وجمال الدين الأفغاني إلى أن أسباب المأزق الحضاري الذي تعانيه الأمة اليوم هو نتيجة جهلها بسنن ربها جلا جلاله، بحيث «ما ضاع ملك شعوب المسلمين، ولا سقطت من عرش عزها ولا بادت ومحي اسمها من لوح الوجود، إلا بعد نكوبها عن تلك السنن والجهل بها، والذي كان سببا لعدم الاهتداء بها في العمل، وما كان سبب هذا الجهل إلا الإعراض عن القرآن، ودعوى الاستغناء عن هدايته بما كتبه لهم المتكلمون من كتب العقائد المبنية على القواعد الكلامية المبتدعة، وما كتبه الفقهاء من أحكام العبادات» (١٧).

الهوامش

١- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (٤٢/١).
٢- انظر، تفسير الكشاف، الزمخشري، (٨/٢).
٣- مفاتيح الغيب، الرازي، (٤٨٨/١٢).
٤- الفقه الحضاري بين مناهج التعليم وأنماط التفكير- حوار مع د. عماد الدين خليل، حاوره د. محمد المستيري، مجلة رؤى، العدد (١٤)، السنة (٣)، شتاء (٢٠٠٢م)، (ص٦٧). وانظر، مفهوم السنن الإلهية في الفكر الاسلامي- السيد محمد رشيد رضا نموذجا، زكريا محي الدين حازم، (ص ١٣٣).
٥- في ظلال القرآن، سيد قطب، (١٨٠٧/٣).
٦- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، (ص ١٦-١٧) بتصرف. وانظر، أهل السنة والجماعة، معالم الانطلاقة الكبرى، محمد عبد الهادي المصري، (ص ٢٠٢).
٧- تفسير الآلوسي، (٢١٤/١٤)، وانظر تفسير الطبري، (٢٧٨/١٧).
٨- تفسير المنار، رشيد رضا، (٢٠٤/١٢-٢٠٥).
٩- انظر، الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، محمد عمارة، (٩٥/٥).
١٠- وحقيقة التكليف؛ كونه مظهرا من مظاهر العدل الالهي المطلق، حيث لا يصح غير ذلك على الله عز وجل، فكيف يصح عدلا أن يعط من لا يعمل، ويحرم من يعمل! وكيف يمكن للإنسان أن يستجيب لأمر دون معالم هادية، وأسباب موصلة إلى النتائج؟!، ولذلك ينبغي أن نعلم علم اليقين أن هذا الكون محكوم بسنن ثابتة صارمة ومطردة، فلا يمكن تسخيره والإفادة منه إلا وفق هذه السنن، والناس والأمم والدول في سائر تصرفاتهم لا يخرجون عن سلطانها. انظر المسلمون وفقه السنن، مقال لمحمد أمحزون، مجلة المنار الجديد- القاهرة، السنة السادسة، شعبان (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، العدد (٢٤)، (ص ٢٧-٢٨).
١١- للتوسع انظر، «فقه سنن النفس والمجتمع في السنة النبوية»، د. إدريس العلمي، أطروحة نيل شهادة الدكتوراه، (٢٠٠٣م).
١٢- ديوان شوقي، لأحمد شوقي، قصيدة رسالة الناشئة، (٢٠٠/٤).
١٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، (ص ١٨٣-١٨٤).
١٤- حول التفسير الإسلامي للتاريخ، محمد قطب، (ص ٦٧-٦٨).
١٥- فقد عرف المسلمون نقصا في المعرفة بسنن حركة التاريخ والحضارة، وإن عايشوا هذه السنن ومارسوها عمليا. ولذلك لم تظهر الاهتمامات بحقيقة السنن كأبحاث ونظريات إلا في عصور متأخرة، بدأت فيها نجوم الحضارة الإسلامية تغيب كما هو معروف في حياة ابن خلدون، الذي كان آخر مصباح اتقد فأنار تلك الفترة الأخيرة من العصور الذهبية للأمة الإسلامية. وكان آخر ومضة تألقت في تلك الحقبة التاريخية. وحتى مع ظهور هذه الومضات الفكرية العلمية، بقي فقه المسلمين لسنن الحياة متخلفا لا يتجاوب مع التكثيف القرآني لقصص الأمم البائدة. انظر، فقه التاريخ، عبد الحليم عويس، (ص ١١)، بتصرف.
١٦- ذلك أن اشتغال معظم النخبة العالمة على آيات الأحكام -بالرغم من قلة عددها من حيث ورودها في القرآن الكريم، وانصرافهم عن الآيات الكونية وآيات الأنفس والآفاق، أهدر جهود كثيرة، واستنزف طاقات المسلمين، ولذلك قال الشيخ محمد الغزالي في إحدى لقاءاته العلمية-التلفزيونية، أن « دراسة هذه القوانين والسنن أجدى لأمتنا من دراسات فروع الفقه، كأنواع النجاسة والطهارة، وأنواع الثمن والإجارة، وغير ذلك من عقود وعهود؛ فإن سنن الله الكونية وقوانينه الإلهية التي أثبتها القرآن الكريم أهم، لأنها أدل على معرفة الله وعلى فقه أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله بين عباده»، وقد وافقه غير واحد، من علماء الأمة، يقول الإمام الغزالي: «هكذا قال الشيخ رشيد رضا في المنار، ونقل ذلك عن حجة الإسلام الشيخ أبي حامد الغزالي، ونقل ذلك عن سلطان العلماء العز بن عبد السلام»، ونحن نلفت أنظار المسلمين في هذا العصر إلى ضرورة أن يدرسوا سنن الله الكونية في الكون، وسننه الحضارية في الحضارات والتاريخ، فإن هذه السنن تعطينا حكما نحن أحوج الناس إليها، والحكم الإلهية كثيرة. انظر خواطر الإمام محمد الغزالي التلفزيونية، «حول القرآن الكريم».
١٧- العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، إعداد وتقديم: سيد هادي خسروشاهي، (ص ٢١٣)، بتصرف، وانظر، تفسير المنار، رشيد رضا، (٣٨/١٠).

د. محمد المشطاوي
باحث في المركز العالمي للوسطية

حول استحضاره وتأثيره في الحضارة الإنسانية

اليوم الآخر وقيم العمران

إذا كان مفهوم العمران في أحد تجلياته ناتجا عن استخلاف الله لهذا الإنسان على الأرض ليستعمرها، فإن الله تعالى المستخلف لهذا الإنسان لم يتركه من دون أن يذكره بطبيعة هذا الاستخلاف الأرضي، وأنه استخلاف «اختباري»، بمعنى أن الإنسان مختبر في هذا الاستخلاف ومحاسب عليه ومسؤول عنه في يوم آخر هو يوم الجزاء، أو يوم القيامة، أيا كانت مسمياته التي لا يعنينا هنا استيفاؤها أو استقصاؤها، لكن ما يعنينا هنا هو كيف أن حضور هذا اليوم في ذهن المستخلف يؤديه إلى حسن الاستخلاف، وحسن الاستعمار والتعمير، وكيف أن المستخلف وضح طبيعة هذا الاستعمار المطلوب ممن استخلفه في الأرض، وأفاض في ذلك في كتابه العزيز.

ونحن هنا نحاول أن نلقي الضوء على بعض ملامح هذه الفكرة، بتتبع بعض الآيات القرآنية (١)، التي تناولت ذكر اليوم الآخر، مستهدفين أن نربط بين هذه الملامح بناظم ما، وهو تأثير تذكر اليوم الآخر على طبيعة العمران الإنساني.

ينطلق المسلم في تعميره وإعماره من إدراكه لحقيقة دوره في الدنيا، وحقيقة استخلافه فيها، وأنها خلافة مسؤولة محددة الوجهة والاتجاه، وهو مطالب في توجهه هذا بأن يعمر بفعل الإيجابي، وأن يعمر أيضا بعدم فعل السلبي، ويلعب تذكر الآخرة في هذا التعمير وهذا الفعل دورا مهما وواضحا في تحديد الوجهة، وفهم طبيعة العلاقة بين الدنيا التي يعيش فيها والآخرة التي هو مقبل عليها وسيستقر بها.

حقيقة الدنيا والآخرة

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنعام:٣٢). أجابت الآية السابقة عن عدة أسئلة: ما حقيقة الحياة الدنيا؟ وما طبيعة الحياة الآخرة؟ وما بين السؤالين والدعوة إلى التمسك بالآخرة تترك الآية للعقل -المكرم الذي استفزته واستنهضته للتدبر- الإجابة عن الدور المنوط به بعد فهمه وإدراكه لحقيقة الدارين: دار هي في حقيقتها لهو ولعب وزينة وتفاخر، ودار هي دار الحيوان ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (العنكبوت:٦٤). بهذا الإجمال الجمالي الجلالي للآيات يمكن لنا أن ننطلق.

والمنطلق والمدخل يكمنان في أن الأديان السماوية كلها دعت الإنسان وبصرته بحقيقة الدنيا وضرورة ارتباطه بالآخرة الدائمة، وأن هذا الارتباط يؤديه إلى سبيل الرشاد ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ (غافر: ٣٨-٣٩)، وأنه لا انفصام بين الحياتين الأولى والآخرة، وأنه لا بد من حضور القوانين الرابطة بين الحياتين، ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ (البقرة:٢٠٠-٢٠٢).

الله يريد لنا الآخرة، ولكن لنأخذها ونكون من أصحابها لا بد أن ننجح في الأولى لأنها دار الاختبار، ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ (الأنفال:٦٧). وما دامت الآخرة هي دار القرار والله يريدها لنا ويريدنا لها فلا بد إذن أن تكون أعمالنا وأخلاقنا مراعية لهذه الحقيقة الجلية.

وقد جبل الله الإنسان وفطره على هذه الحقيقة وإدراكها إذا كان سوي الفطرة مستقيمها، أما من تتعلق أذهانهم وقلوبهم بهذه الدنيا فلغة خطابهم وتذكيرهم بهذه الحقيقة تأخذ منحى يستبطن في أحد جوانبه الخطابية التهديد

والوعيد ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)﴾ (هود:١٥-١٦). وهذا التهديد يذكر الإنسان بأن ما يفعله إن لم يكن سليم الوجهة مستقيمها وفق إرادة الله فإن عمرانه في هذه الدنيا التي عرفه الله حقيقتها ليس له قيمة.

قوانين وأسس عمرانية

يأتي على رأس هذه القوانين والأسس أن العمران الإسلامي هدفه الإنسان ورقيه ونجاته، وفي سبيل ذلك يتم تذكيره بالآخرة دائما.

وإذا كان للعمران شق مادي ما يلبث أن يذبل، فإن العمران المرتبط بالإيمان هو الأبقى ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)﴾ (البقرة:١٧٧).

وربط الإنسان بالآخرة أمر فطري يدل عليه أننا نلمحه في مختلف الحضارات التي وقر في ضميرها هذا اليوم الآخر، إذ تراها تهتم بهذا اليوم، بل إن معظم البقايا المادية لهذه الحضارات كانت مرتبطة بشكل ما بالآخرة، كأهرام مصر ومعابدها والمعابد المختلفة للعديد من الحضارات.

ومن القوانين المؤسسة المهمة للفقه العمراني المستحضر للآخرة وجزائها والتي تشير إليها الآيات التي ذكرت الآخرة:

أن من لا يؤمن بالآخرة لا يستقيم فهمه وحكمه مع فقه العمران الإسلامي، لذلك لا ينتج إلا منتوجا قبيحا، ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٣) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤)﴾ (المؤمنون:٧٣-٧٤).

فعدم إيمانهم بالآخرة أو فهمهم المغلوط لها حرفهم عن الطريق السوي، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥)﴾ (النمل:٤-٥)، ولعل من حكمة الله تعالى أن جعلنا نطلب بقراءتنا لفاتحة الكتاب التي ذكرت أنه ﴿مالك يوم الدين﴾ (الفاتحة:٤) في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم السوي غير المحرف، وهو الصراط الذي تنكبت عنه أمم غضب الله عليها، وأمم ضلت طريقها.

أن رسالة الأنبياء العمرانية من مشكاة واحدة، تطلب منهم التوحيد الخالص لله، والارتباط باليوم الآخر، والاستعداد له بحسن العمل، وعدم الإفساد في الأرض ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦)﴾ (العنكبوت:٣٦)، فكل قيمة عمرانية لا تستبطن ولا تستظهر الخضوع لله ولا تستهدي به، لا شك مآلها إلى فساد أو إفساد.

إطلاق حرية العقل في الإبداع العمراني، بل الدعوة له لاستلهام النموذج الكوني الفسيح في هذا العمران، فالعقل السليم والفطرة السوية مع التدبر الهادئ، معينات على فهم هذا الكون وأسراره، الذي ما خلقه الله إلا لحكمة، وأوجدنا لنسأل عما نفعل في يوم مشهود. كما أننا لن نفتن بنماذج وقيم عمرانية بعيدة عن الله وعما أراده منا، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ (١٩٨)﴾ (آل عمران:١٩٠-١٩٨)، مع التحذير من

الركون إلى عقولكم المجردة فإنها مظنة مضلة وهي بعيدة عن الشرع ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الأنفال:٢٤).

ومع الدعوة إلى إعمال العقل تأتي الدعوة إلى إعمال الحواس في مسارها الصحيح، مسارها الذي يؤديها إلى الله، وإلى الإيمان به، وأن يقاوم الإنسان في حال اهتدائه بعض مركبات نقصه، وعلى رأسها القتر، وشح الإنسان بماله، واكتنازه، وعدم استغلاله الاستغلال الأمثل، إذ إن مثل هذه المركبات مهلكة لأي ملمح حضاري ممكن، ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ (الإسراء:٩٧-١٠٠)، بل إن اليوم الآخر وتذكر عذابه يطامن من غلواء الاندفاع لهذه الغرائز والحواس وتحكمها، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (النور:١٩).

والعقل مع الحواس والجوارح هي آلات الإنسان لصنع نهضته، أو الذهاب به إلى نكبته، فإذا ساقها هو في مراد الله كانت النهضة، وإذا استعبدته هي وصار هائما كالبهائم، لا هم له إلا إشباع هذه الآلات، وصارت هي الغاية والهدف كانت التعاسة. وكثيرا ما جاء التحذير من آلات معينة –كاللسان والفرج مثلا– لتأثيرها الشديد على مسار الإنسان وتوجهه. المهم هنا أننا إذا علمنا أن من استعبدنا سيتهرب منا يوم القيامة، بل سيشهد علينا، فإننا سنفكر آلاف المرات فيما سنؤديه بهذه الآلات، وما تقودنا إليه، ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (فصلت:١٩-٢٤).

والعقل والحواس في تحركها هذا لا بد أن تستلهم وتسترفد قوانين العمران ذات المنشأ الإلهي، فإذا كان لله الآخرة والأولى، فهو الحكم فيهما، وليس للإنسان ما تمناه أو تمنته حواسه وجوارحه المنفلتة، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النجم:٢٣-٢٥). فما دام المبدأ من الله، والمنتهى إلى الله، فلا بد أن يكون ما بينهما في المسار الذي حدده الله وارتضاه، فالعمران هنا متكيف مع الإرادة، ولا يضادها ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الملك:٢٤). ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (مريم:٣٩-٤٠).

التقنين لله، والتحليل والتحريم لله، فليس لبشر ما تحليل أو تحريم وفق عقله أو وفق أهوائه وما تمليه أو تزينه نزعاته ورغباته وحواسه. فالحضارة إذن مبنية على أسس ربانية، فهي متوافقة مع القوانين التي صاغتها، وحاكتها. ولو علم الذين يصوغون قيما ويسوقنها بعيدا عن مراد الله أنهم مسؤولون عن ذلك يوم القيامة، ولابس ذلك الشعور ضمائرهم، لانصرفوا عن كل ما يشين وعن كل قانون هادم.. وقليل ما هم، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (يونس:٥٩-٦٠).

مع المعمرين وأخلاقهم

وإذا كنا نريد أن نرى تأثير تذكر الدنيا على ملامح العمران الإسلامي، فلا أقل من أن نتطرق إلى أخلاق المعمرين في بعض نماذجهم المذكورة في القرآن، وذلك من خلال نماذج عمرانية تذكرت الآخرة، ونماذج أخرى أعرضت عنها وأرادت الدنيا «عوجا»، فما استقامت لهم دنيا مقننة، ولا آخرة مدخرة.

فمن قيم وأخلاق المعمرين الحقيقيين أن أحدهم في حركة تعميره وعمرانه يدرك أن أسمى أمانيه الآخرة، وهذا دافع ليعمل لغيره، ومن هنا تسود قيم أخلاق الإيثار لا الأثرة، وتسود قيم وأخلاق المنح لا الأخذ، ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ٢٦﴾ (الرعد:٢٦)، فلا فرح ببسط الرزق المطغي والدافع إلى القتر والشح، ولكن الفرح كل الفرح بفوز مدخر، وحياة دائمة في ظل رضوان من الله. المعمرون الحقيقيون صادقو الوجهة، مخلصوها، لديهم أولوياتهم التي حددها لهم ربهم، وهم في فعلهم على وجل من عدم إخلاصهم، أو قبول الله لأعمالهم ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ١٧ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ۞أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١﴾ (التوبة:١٧-٢١)، أرأيت عمرانا أفضل من عمران هؤلاء؟!

وهم في تصرفهم وفعلهم يميلون ويعزفون عن كل قضية لا ينبني عليها عمل، فهي قضايا لا تقدم للبشرية -إذا قدمت- إلا ترفا عقليا لا ينبني عليه أساس متين أو طريق مستقيم. ولكن لأننا بشر مختلفون، فهناك قضايا يحسن لتعمير الأرض أن نكل تبيينها وتجليتها إلى الله، والله قد حدد موعدا لذلك هو الآخرة، التي ستتجلى فيها الحقائق صرفة، بلا غبش أو تلوين، ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ (الكهف:١٠٣-١٠٥)، ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٩٢ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ (النحل:٩٢-٩٣).

أما أشد أعداء العمران الإسلامي، فهم المنافقون، إذ إنهم يهدون ويدمرون كل قيمة لعمران سليم، يشتتون الوجهة، ويصدون عن سبيل الله، ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨ كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ وَخُضۡتُمۡ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٩﴾ (التوبة:٦٧-٦٩). ولو قامت على أيديهم حضارة وعمران فهي «حضارة استمتاع» لا حضارة بناء ودوام، حضارة لذة لا حضارة وجهة.

ولكل عمران سلبي نماذج إنسانية «سلبية مشوهة»، تدور مع نموذجها العمراني وتتعبده وتتصنمه، وإن علمت ببطلانه لاستفادتها منه، فبعض المترفين الذين صنعهم العمران السلبي ويصنعونه يكونون عبئا وعائقا أمام هداية الآخرين، أعماهم عمرانهم وترفهم عن كل حق، وصدوا غيرهم وكانوا سببا في فتنته وضلاله ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ٣٣ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٣٤ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ٣٥ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ٣٦ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٣٧ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ٣٨ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ٤٠ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ بِٱلۡحَقِّ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ غُثَآءٗۚ فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤١﴾ (المؤمنون:٣٣-٤١).

أما نماذج العمران الحقيقي فكثيرة في القرآن، نذكر منهم

مثلا يوسف -عليه السلام- أحد رموز المبتلين، الذي كان حضور الآخرة وجزاؤها لديه حافظين له وواقين لنفسه من الفساد والإفساد، فأصلح حين ابتلائه، وأصلح بعد تمكينه، ولم يسع للتشفي والإفساد. وما أكثر من يفسدون ويهلكون الحرث والنسل بسبب ظلم وقع عليهم، ولو علموا أنهم مجزيون في الآخرة على صبرهم لما فعلوا ولحفظوا للمجتمعات عمرانها ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (يوسف:٥٦-٥٧).

وقد حفل القرآن بالتذكير بجزاء النموذجين الحضاريين: نموذج عمراني مبدئي تحكمه مبادئ، موصول بالآخرة ومربوط بها، ومتلهف لها، ومستمزج بنموذجها. ونموذج عمراني آخر لا يكون إلا حيثما تكون مصلحته ومتعته، تحكمه غرائزه وجوارحه وإمتاعها، ولو علم أن هناك آخرة كل مسؤول فيها لعدل من نموذجه أو عدل عنه، ولكن بعضهم ليريح نفسه -وما هو بمستريح- لا يؤمن إلا بما تقع عليه حواسه، يقول: أحيا وأموت وما أنا بمخرج.. ففيم أعني نفسي.. ولعل أحد تمظهرات وتجليات النموذجين يتضح من خلال ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ (غافر:٢٦-٢٧). ففرعون ونموذجه القيمي الموصول بمتعته أعماه عن اتباع نموذج موسى الرباني، بل إنه يستخف بالعقل الجمعي لأمته ويسخرهم ويسوقهم في متعته، مستغلا جبروته وسلطانه، وهذا ما فضحه موسى بما يمثله ويحمله من نموذج قيمي آخر؛ إذ ذكر هؤلاء المسوقين في متعة غيرهم بعلة هذا الفرعون من عدم الإيمان بالآخرة الحقيقية لا المزيفة، التي هي في ظنهم امتداد لما هم فيه وما هم عليه، وهو ما دفع بهذا الفرعون إلى التكبر والتجبر، ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ (ص:٤٩-٦٤).

إن كل طغيان وفساد، وكل سيادة للأخلاق الهادمة للعمران، مرجعه وأحد أسبابه غياب النظر إلى اليوم الآخر، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ (الإسراء:١٨-٢١).

الفعل والتخلق العمراني

والتخلق والفعل المراد هنا يمكن أن يكون تخلقا وفعلا بشكل: شخصي (٢)، أو جمعي، ثم إن هذا التخلق أو الفعل ربما يكون بشكل دائم، أو يتم التركيز عليه في أوقات محددة، وهي أوقات الشدة والرخاء.

وإجمالا نقول: إنه إذا حضرت الآخرة في الذهن وبصرت القلب وكانت سببا في يقظة الجوارح، حضر مع هذا الحضور خلائق إيجابية، وغابت خلائق سلبية: حضرت خلائق العمران، واختفت أو تلاشت خلائق الهدم والطغيان.

وأخلاق الإعمار أخلاق شخصية، وأخلاق جمعية، ومن أهم أخلاق الإعمار الأخلاق التي تتحكم وتزن العلاقة بين جنسي المعمرين: الرجل والمرأة، والعلاقة بين أجناس المعمرين: الأمم باختلافها وتنوعها والخلائق على تعددها، وموجودات الكون الفسيح الوسيع.

والعمران الحقيقي يكمن في الإنسان وأخلاقه لا في البنيان وأنساقه، والاهتمام بالإنسان هو الأساس، ولو أنصف المؤرخون لصرفوا النظر عن حضارات قامت على استعباد الحكام للناس فتركوا أثرا بنائيا هنا أو هناك، لكنهم في سبيل إنشاء هذا البناء حطموا البنيان الحقيقي للإنسان ماديا ومعنويا ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا

مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾» (الزخرف:٣٣-٣٧).

والعمران الحقيقي لا يتم ولا يكون ولا يثبت ويستمر إلا إذا كان فعل الإنسان وأداؤه بروح إيجابية، وبحب، وذلك لسمو من تعمر له وتستهدف ثوابه «قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾» (البقرة:٢٦٣-٢٦٥).

ويستعين المرء في رحلة تعميره بكل صحبة صالحة، الصحبة الصالحة التي تستحضر الآخرة وقيم العمران الحقيقي، الذي يهتم بالوصول بالإنسان إلى مستقره وديمومته الحقيقية «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾» (الممتحنة:١٣)، «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾» (فصلت:٢٥).

ورحلة التعمير وديمومتها تستدعي منا أن نعمل على إشاعة أخلاق العمران وأن نغرسها في النفوس. وعلى رأس هذه القيم والأخلاق: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ هي ضمانة وحصانة وحضانة دوام القيم العمرانية السوية وتعديل المسار إن انحرفنا، «لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾» (آل عمران:١١٣-١١٦).

ومن قيم الأمر بالمعروف العمرانية: الدعوة إلى الترابط ودوامه، والتماسك ونظامه، والتحاكم إلى أولي الأمر وطاعتهم؛ إذ إن ذلك أساس العمران المستحضر لليوم الآخر وحسابه «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾» (النساء:٥٩).

وأخيرا

أحيانا يكون سبب الهزائم حتى بعد النصر هو العزوف عن استحضار الآخرة، «وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾» (آل عمران:١٥٢).

كان لحكمة بالغة ذكر قضية الآخرة في أثناء حديث الآيات عن التعمير والعمران، «أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾» (الروم:٩-١٣).

الهوامش

١- اقتصرنا هنا على بعض الآيات القرآنية واضحة اللفظ والدلالة على اليوم الآخر؛ إذ يدخل في هذا أيضا -مثلا- كل حديث عن الجنة والنار، والجزاء، وطبيعة الدنيا، والآخرة، والمقارنة بين الدارين... إلخ. كما لم نتطرق هنا إلى الحديث النبوي، وفيه متسع لهذه القضية، ولعلنا نأتي عليه في يوم ما.

٢- كثرة المؤمنين بها والمعتنقين لها تحولها من خلق شخصي إلى خلق جمعي.

د. رضا عكاشة
أستاذ الإعلام - جامعة الأزهر

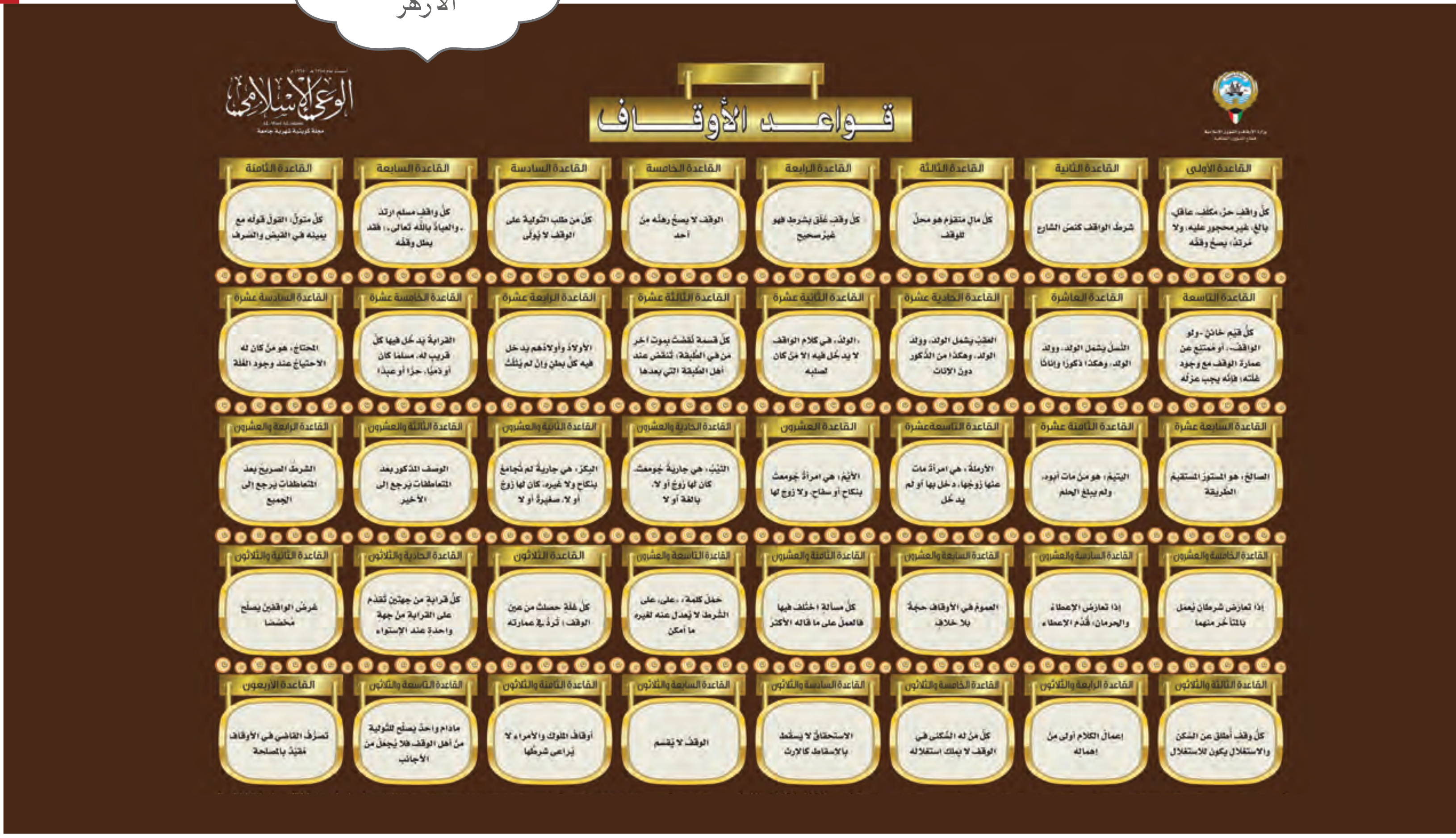

الوقف الإسلامي حل حضاري لخشونة الإعلام وقساوته

تجاوزات الإعلام تبدأ بـ «فتنة» رأس المال

المال الذي أحيا الأرض الموات قادر على إحياء المعرفة وتثقيف الذات والتحاور مع الآخر

نظام «إعلام الخير» يؤسس لـ:

- نمط ملكية ثالث وفريد
- رسالة متوازنة في ضوء فقه الأولويات
- رقابة صارمة في قلبها محاسبة الضمير
- خدمة الكون ونصرة المظلومين
- نسق أخلاقي يعلي المصداقية والإيثار وحفظ الأسرار

يدرك الخاصة والعامة من القائمين على وسائل الإعلام أو المكتوين بناره أنه يكاد ينطبق عليه المعنى الذي وصف الله به الخمر من أن إثمه أكبر من نفعه، وأن الأداء الإعلامي قد تجاوز المصطلح الذي صكه مساعد وزير الدفاع الأمريكي البروفيسور جوزيف ناي في عام (١٩٩٠م) من اعتباره أحد آليات «القوة الناعمة» (Soft Power) إلى أن صار أبرز أدوات القوة الخشنة القاسية التي تفتك بالإنسان كالسلاح في جسده وروحه!

قساوة الإعلام قد تبدو في الاصطفاف خلف القوة العسكرية، أو تمهد للصراعات المذهبية والإنسانية، وتصنع العدو الجاهز، وتسوق العنصرية تحت عناوين مطاطة. كما تبدو في التكاثر الرهيب لوسائط الاتصال كما تتكاثر الفطريات أو التهوين من شأن الثقافات الوطنية المتجانسة وغرور عدد من الإعلاميين الذين تحول أحادهم إلى «زعيم» ينثر الشقاق، ويدخل من يشاء في الدين والوطنية ويخرج من يشاء!

بيد أن أخطر أسباب خشونة الإعلام ودمويته مسألة التمويل المادي الذي يصرف على المحتوى الفضائي والإلكتروني والورقي، سواء داخل وطننا العربي والإسلامي الكبير أو في البعد الدولي العام.

ومما له دلالة أن إجمالي ما تم انفاقه في العام المنصرم (٢٠١٦م) على قطاع الإعلام بلغ نحو (١,٧) تريليون دولار من بين نحو (٨٢١) مليار دولار على الترفيه المنزلي والسينما السوقية.

ومما له دلالة أوضح أن هذا الرقم الإجمالي يعادل الرقم الذي أنفقه العالم في شراء السلاح القاتل (١,٦) تريليون، وكأن الكلمة والسلاح يتساويان معا في حجم الانفاق والتأثير والتدمير!

الفكر الإسلامي يقدم حلا مبدعا في هذا المجالي عبر إحدى خصوصيات المسلمين الحضارية وهي الوقف الخيري الإسلامي.

المال الوقفي هنا سوف يتفادى جل مظاهر طغيان المال الفردي على وظيفة الإعلام ويحرره من تحكم الايديولوجيات المتطرفة في عقول وأقلام بعض أهل الصحافة والثقافة.

مربع العطاء والإبداع

توظيف الوقف الإسلامي في مجال صناعة الكلمة والصورة سوف يؤسس لبناء نظام اجتماعي يعتمد في حدوده الدنيا على ما قد نسميه «مربع العطاء والإبداع» في دنيا الناس، وأعني به الإسلام كوعاء عقدي للفكر والتصرف عند الفرد والأمة حيث تؤمن وتعيش على هذا القانون، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢).

ثم «الوقف» كفلسفة قيمية واقتصادية لتوفير احتياجات المجتمع المادية والمعنوية.

ثم «الكلمة» كآلية كبرى للاتصال البشري حيث حملها الإنسان بعدما أبت السماوات والأرض والجبال.

ثم «المال» كوسيلة كونية للبناء والإعمار.

فالوقف باعتباره حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة كما يقول الإمام أبو حنيفة، أو كما يقول ابن قدامة في «المغني»: تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة. أو كما يقول القليوبي: حبس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه على مصرف مباح (١).

فهذا يعني ببساطة استثمار كل ما يعد مالا موقوفا في أصوله لله للصرف على صناعة الإعلام وتوظيفه لخدمة قضايا المجتمع الإسلامي والإنساني كله.

المال الخيري في مجال الإعلام هو إذن من البر الواجب علينا في مثل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: ٩٢)، ومن الخير في مثل قوله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج: ٧٧)، ومن الصدقة الجارية المحبوسة للنفع العام التي لا تنقطع بانقطاع صاحبها، وفي الحديث ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله، وتصديقا بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبولة في ميزانه يوم القيامة».

وقد أفرزت الخبرة الإسلامية الطويلة تجارب سامية في استخدامات المال الوقفي في مجالات الدعوة (الإعلام) والجهاد (بناء الدولة) وفي السقايا والمدارس والعقار والثمار وفي بناء الجسور والسكة الحديد وفي التسرية عن المريض وتوفير نقطة الحليب للرضع وتوفير المكتبات والحمامات وتحرير الأسرى، هذا وغيره يعنى من بين ما يعنى أن تحت يد المسلمين مؤسسة تمويلية جاهزة لصناعة المعرفة ونشر الكلمة الطيبة.

كما أن التكوين التاريخي لنظام الوقف أكسبه معالم مؤسسية وإيمانية بارزة مثل: اللاطبقية، الرقابة، الاستخلاف، الموارد

التطوعية، الضبط الاجتماعي، النمو التراكمي، الاستقلال، التوازن الاجتماعي، التوبة بالتصدق، اللامركزية، القانون الحاكم الذي يبدأ من حكم الشرع في الكسب والانفاق، ثم شرط الواقف الذي هو عقد اقتصادي كنص الشارع (٢).

وجميعها معاني رائعة يحتاجها إعلام اليوم في نعومته أو خشونته.

نمط ملكية فريد

في ظلال الممارسات الإعلامية القائمة يمكن التأكيد على أن أحد أهم الحلول الناجعة هو الاستفادة من العبقرية الإسلامية في توظيف مال الوقف الخيري في صناعات الإعلام.

وسوف تشير هنا إلى عدد من أوجه الاستفادة التي تؤكد خصوصية عطاءات المسلمين الذاتية كما تقدم نموذجا حضاريا للآخر:

١- مال الوقف الإسلامي بديل عملي ثالث لإشكالية نمط الملكية في المؤسسات الاتصالية: حيث يكاد يستقر الإعلام بين نمطين من أنماط التملك، وهما نمط الملكية الحكومة المباشر أو غير المباشر، ونمط الملكية الفردي حيث يتحكم الفرد في رأس مال المؤسسة وما يستتبعه من احتكارات مالية ضخمة تؤثر بالضرورة على ما يقدمه الإعلام للناس.

المال الوقفي نمط آخر في التملك والإدارة والوظيفة. فهو في الأصل ملكية فردية، ثم انتقلت بالحبس فصارت مملوكة لله، أي نفع عام، وهذا النفع مقيد برغبة الواقف كما في عقد الوقف، وهو أصول اقتصادية منتجة، تدر عائدا استثماريا، عبر إدارة مستقلة وأمينة، وهو مال يجمع بين الاستثمار العاجل والاستثمار الآجل في سياق عمليات

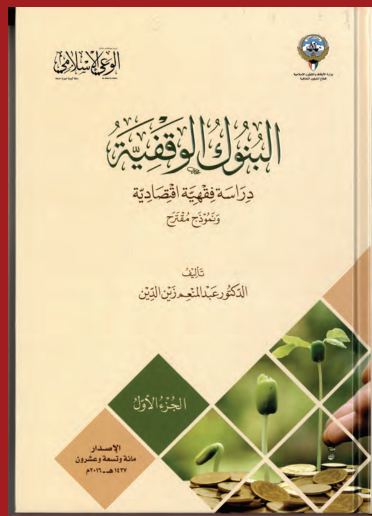

التنمية المستدامة، مصدره قد يكون مفروضا، مثل مال الزكوات، أو تطوعيا، مثل الصدقات، أو عقابيا مثل الكفارات.

وأغراضه واسعة لكل مجالات الخير، كما يجوز تعديلها بشروط في ضوء مقاصد الشرع ورغبة الواقف، كما أن لها إدارة فريدة سماها الفقه الإسلامي بالولاية أو النظارة على الوقف بهدف حراسته وتنميته، ولو قصر والي الوقف أو خان وجب سحب الولاية منه قهرا حتى لو كان الواقف نفسه كما ذكر العلماء.

هو إذن نمط فريد في دنيا الإعلام لم يسبقه إليه سابق.

٢- تجسيد مفهوم المسؤولية الاجتماعية للإعلام: فالخيرية الإسلامية في التعبد والإنفاق والأمر بالمعروف، تجعل الصحفي والمذيع المسلم مسؤولا مسؤولية كاملة أمام الله والناس، وفي سمعه وبصره، وفي ظاهرة وباطنة، وفي دنياه وآخرته.

المجال الإعلامي العام هو الترجمة الحقيقية للإعلامي المسؤول، الذي يخاطبه الحق بمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ (الإسراء: ٣٦)، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ (الحجر: ٩٢-٩٣)، ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

وقد حذرت مئات الدراسات العلمية من غياب المسؤولية المجتمعية عند كثير من أهل الكلمة والصورة، ومن خطورة سيطرة نظام «الإعلام السلطوي» بقيوده التي تصل إلى حد الطغيان أو نظام «الإعلام الحر» بتحلله الذي يصل إلى حد الفوضى القاتلة.

وعليه طرح عدد من العلماء في عالمنا الإسلامي والإنساني نظرية «المسؤولية الاجتماعية» كبديل لتجاوزات النظامين السابقين (٣).

وهو طرح مقبول، ولكنه بكل تأكيد مسبوق في النص الشرعي والفكر الإسلامي والواقع الاجتماعي في دنيا المسلمين.

٣- بناء ثقافة التعبير الحر واستقلال المؤسسات الإعلامية: فالمال الخيري المتنامي لن يجعل الإعلام واقعا تحت تأثيرات التوزيع والإعلانات والتمويل الخفي أو تحكمات رأس المال أو الاختراق الأجنبي المريب في غالبه.

وفي الخبرة الإسلامية حقق الوقف على المعاهد الدينية والمساجد أكبر قدر من استقلال العلماء، وقول كلمة الحق عند السلطان الجائر وغير الجائر.

وفي ذات الخبرة المعاصرة توقفت مجلات شديدة الأهمية والتأثير بسبب العجز عن التمويل، ولعل أبرز مثال على هذا توقف مجلة «الرسالة» التي أصدرها أحمد حسن الزيات في يناير (١٩٣٣م) ومجلة «المنار» التي أصدرها محمد رشيد رضا في شوال (١٣١٥هـ)، مارس (١٨٩٨م).

وسوف يتولد بالضرورة عن الحرية

والاستقلال المادي توسيع ثقافة الرأي العام وإيجاد كوادر بشرية قادرة على العمل بفنية وجرأة في التعبير عن الإسلام وقضاياه وترسيخ قواعد قانونية للممارسات المهنية دون إسراف أو تقطير.

إدارة الخير ومحاسبة الضمير

٤- تقديم نموذج إداري لمؤسسة الإعلام الوقفي: من خلال الإجراء النظامي الذي يزيد مصادر الدخل، ويشجع العمل الفردي التطوعي ويخدم نظم المجتمع الفرعية في مجالات عدالة التوزيع وحماية المال العام والاستثمار في مجال المعرفة والوعي.

في تصورنا أن العمل في المؤسسة الوقفية الإعلامية لن يتعرض لتقصير الإعلامي في دوره، أو خيانته في أداء رسالته، أو شدة البحث عن الأرباح وترهل الجهاز الإداري أو طغيان رئيس التحرير بكثرة العاملين وتعيين المحاسيب وأهل الرشا!

وقد تحدث علماء الاقتصاد عن «النظام المحاسبي المتكامل» الذي تطبقه أي مؤسسة وقفية، وهو نظام يعكس الدقة في الحساب المادي والخسائر والأرباح والرقابة المالية، ولكننا نضيف إليه أن المؤسسة الخيرية هنا تتمتع بأعظم نظام محاسبي في العالم وهو «محاسبة الضمير»، حيث المال لله، والكلمة لله، والأمر كله لله.

٥- تحريك دوافع العمل الخيري عند الأفراد، سواء الفقراء أو الأغنياء: فشعور المواطن العادي الذي يتلقى المحتوى الإعلامي أن المؤسسة الاتصالية الخيرية ملكه، وأنه مسؤول عن نجاحها، سوف يدفعه للتعامل معها بإيجابية، سواء في الدعم المالي أو في ارتفاع درجة

المصداقية فيما تقوله.

أيضا فإن هذا النموذج سوف يعالج واحدة من أخطر داءات العمل الإعلامي، وهو الصراع المالي بين أصحاب رأس المال وهو صراع يتجاوز مرحلة التنافس إلى مرحلة تكسير العظام والرمي بالخيانة والتحالفات المشبوهة التي شاهدناها في أكثر من دولة.

إن الإعلام الخيري سوف يلبي حاجات الإنسان المطلوبة في ضوء «فقه الأولويات»، وسوف يبتعد عن الشعار الفارغ الذي يرفعه بعض تجار الغرائز، وهو أن هذا ما يريده الناس، وسوف يتعامل مع الإنسان المتلقي في ضوء فهم الإسلام كله للإنسان كله، ومقاومة رغبته في الكنز أو الإسراف، كما يشجع الأثرياء على ما قد نسميه بالدفع الإعلامي بالتي هي أحسن، حيث يدرك في كل موقف أن ماله ووقته وكلماته هي للبناء وليس للهدم وأن الأمور لا تقاس بزيادة التوزيع أو كثرة المكاسب، بل هناك ميزان آخر يسعى إليه الإعلامي المسلم، وهو التماس الكلمة والصورة الطيبة والابتعاد عن الكلمة والصورة الخبيثة، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٦).

الإنسانية والنصرة المعرفية

٦- إنسانية الإعلام وعالميته في التصور الإسلامي: فاستخدام أموال الوقف الخيري في الانتاج الإعلامي والبرامجي ليس لخدمة المسلمين فقط، بل لخدمة المعرفة الإنسانية في قارات الدنيا الست.

ومن الأمور المحسومة في شريعتنا الحكيمة هو استفادة غير المسلمين من خدمات الوقف الإسلامي كما هو واقع في تاريخ الأمة، بل من سماحة الإسلام قبول أموال غير المسلمين، ومن الشواهد ذات الدلالة أن يؤرخ البعض لذلك بواقعة اليهودي الذي أوصى وهو يقاتل المسلمين في غزوة أحد: «إن قتلت فأموالي لمحمد ﷺ يضعها حيث أراد، فوقفها الرسول، ومن الأحكام التي خلص إليها قانون الوقف الكويتي إجازة الوقف من غير المسلمين بشرط أن يكون له شريعة كأهل الكتاب وأن يكون الوقف على جهة محللة في الشريعة الإسلامية» (٤).

إذا فالإعلام الوقفي إنساني عالمي بحكم عالمية الإسلام وإنسانية الوقف، لا يتوجه بالنفع لفئة دون فئة، ولا يقع ضحية التمييز العرقي أو اللغوي أو الديني. هو إعلام لا تقيده قيود الإيديولوجيات المتطرفة أو المذهبيات الضيقة أو العصبيات التي وصفها صاحب الرسالة بأنها «منتنة».

الإعلام الوقفي يؤسس للتعايش الحضاري وليس للصراع كما زعم الأمريكي (صامويل هنتنجتون)،

ويتقبل الآخر المخالف ولا يحكم عليه بالموت كما ادعا الأمريكي (فوكوياما) صاحب نظرية نهاية التاريخ، كما أنه إعلام لا يقوم على تأسيس الأوهام والأساطير كما قال عالم الاتصال الشهير (هربرت شيلر) في نظريته «المتلاعبون بالعقول».

في ذات البعد الإنساني أعتقد أن إعلام الخير أمامه وبشكل ملح أربع مجاهدات كبرى في مجال:

- تحسين صورة المسلمين ومناقشة الذين يروجون لفكرة «الإسلام فوبيا» التي عششت في عقول بعض الغربيين.
- تقديم النصرة المعرفية لإخواننا في العقيدة من أهل الأقليات الذين يمثلون نحو ٣٠ في المئة من إجمالي الموحدين في الأرض. ورب الكون يأمرنا: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ (الأنفال: ٧٢).
- التعريف بقضايا المسلمين الملحة وفي قلبها قضية القدس واللغط الحادث حول «التطرف» و«التخلف».
- الحوار المباشر مع النخب المثقفة من الساسة والمستشرقين وغيرهم بهدف توضيح الشبهات المتبادلة ورد المقولات المتجمدة في العقول منذ مئات السنين.

معايير خلقية حاكمة

٧- وضع منظومة قيمية للعاملين في حقل الصحافة والمواقع الإلكترونية والفضائيات.

وهذه المنظومة قد نسميها الفريضة الشرعية الغائبة، وقد غابت كما يدرك الكثيرون عن معاهد الإعلام وكلياته في حجرات العلم والدرس كما غابت في صالات التحرير والتصوير.

الخلفية الخيرية للإعلام الوقفي سوف تنقي من عقول الدارسين كثيرا من قيم الإعلام ومعاييره المعيبة، مثل الإثارة والصراع والسبق والسلبية والشهرة والجري وراء رغبات الجمهور وغرائزه وفلوسه، وهي القيم التي انعكست على العمل الإعلامي حيث رأينا هذا الكم من الكذب والاستعلاء والنفاق والتذبذب في المواقف والصوت العالي والاتجار في الغرائز والأنانية التي يتعامل بها بعض المذيعين وكأن جمجمة الواحد منهم هي مركز الكون!.

إننا بحاجة إلى ترسيخ مجموعة من المعايير الخلقية التي تعكس طبيعة المجتمع المسلم واحتياجاته، مثل المصداقية والإيثار ومقاومة الشح والتوازن في الاحتياجات والموضوعية والحرية والإعمار والاستخلاف في الأرض والشفافية والجرأة في قول الحق والطاعة في غير خنوع وصيانة الأعراض والأسرار ومقاومة النفس الإعلامية الأمارة بالسوء والمراجعة ونقد الذات.

ومن المعاني الرائعة في هذا السياق ما يذكره الدكتور محمد عمارة من أن مال الوقف مثل في وقائع عديدة ما نسميه بقيمة «توبة الدولة».

بهذا الوقف الخيري عادت الثروات من «ظلم الاغتصاب الفردي» إلى عدل الضابط الشرعي في توظيف المال (٥).

ترى لو طبقنا هذا المعنى على كل إعلامي ظلم بكلمة أو رسمة أو صورة، كم مليارا يمكن أن ترد إلى حق الله وحضن الأمة.

صندوق إعلام الخير

في نهاية هذه الإشارات الموجزة يمكن أن نضع بين يدي قادة الفكر الإسلامي والسياسي والاقتصادي فكرة إنشاء صندوق دولي للإعلام الخيري، يتوجه به إلى «الأمة» بكل ما تعنيه من وحدة عقدية وتعبدية ومن وحدة الشعائر والمشاعر والمصالح، ومن أهل الثراء والفقر حيث ينفق كل واحد من سعته، عبر أشكال الإنفاق الواسعة، بدءا من الفرائض والنوافل والنذور، ومرورا بالأراضي والأعيان، وانتهاءا بتجارب الأسهم والصكوك الوقفية ووقف الوقت والخبرة والجهد.

هذه الفكرة بيقين سوف تقدم دليلا عمليا على قدرة العقل المسلم على علاج كثير من هشاشة مؤسسات الإعلام وقساوته، وتوحش رأس المال وغروره وأجنداته التي تحيطها الفتنة من جوانب كثيرة.

الهوامش

١- الهداية شرح بداية المبتدئ، مع فتح القدير لابن همام، (٦/١٩٠) والمغني لابن قدامة مع الشرح الكبير (٦/١٨٥) وحاشية القليوبي على شرح جلال الدين المحلي (١/٣٧٨).

٢- محمد عبدالحليم عمر، أسس إدارة الوقف، ندوة نظمتها جامعة الأزهر وأمانة الأوقاف بالكويت، القاهرة، شوال (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م). ومحمد أبو زهرة، الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية، القاهرة، الفكر العربي (١٣٩٦هـ - ١٩٨٢م).

٣- دينيس ماكويل، الإعلام وتأثيراته، ترجمة عثمان العربية، الرياض، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

ومحمد حسام الدين، المسؤولية الاجتماعية للصحافة، الدار المصرية اللبنانية، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م).

ومحمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، القاهرة، مكتبة الخانجي، (١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م).

٤- إقبال عبدالعزيز المطوع، مشروع قانون الوقف الكويتي، الأمانة العامة للأوقاف، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، (ص١٤٠).

٥- محمد عمارة، دور الوقف في صياغة الحضارة الإسلامية، ندوة الوقف، الجمعية الخيرية، ذو القعدة (١٤٢٠ هـ) فبراير (٢٠٠٠م)، (ص١٢٩ -١٣٠).

أحمد علي صالح
باحث في التاريخ السياسي والاقتصادي

البنا وشعيشع أبرز تلامذته

الشعشاعي ثاني من قرأ بالإذاعة المصرية

ولد الشيخ عبدالفتاح محمود الشعشاعي في قرية شعشاع بالمنوفية في ٢١ مارس عام ١٨٩٠م، وقد سميت القرية باسم جده.

حفظ القرآن على يد والده الشيخ محمود الشعشاعي، فأتم حفظه عام ١٩٠٠م.

ولاشك أن الشيخ الشعشاعي ترسمت شخصيته وتأثرت بوالده، فسافر إلى طنطا لطلب العلم من المسجد الأحمدي في علم القراءات على المتخصصين من أبناء هذا البلد معقل علم القراءات وتعلم التجويد وأصول المد بالطريقة العادية.

ولتفوق الشيخ وتميز صوته فقد نصحه المشايخ بالسفر إلى القاهرة والالتحاق بالأزهر، ثم عاد بعد ذلك إلى قريته، وبين جوانحه إصرار أكيد على العودة إلى القاهرة مرة أخرى ليشق طريقه في زحام العباقرة نحو القمة، وكان في القاهرة حشد هائل من عباقرة التلاوة.

وعندما بدأ الشيخ الشعشاعي رحلته إلى القاهرة عام ١٩٤١م سكن بحي الدرب الأحمر.. كان أكثر المتفائلين يشك أن الشاب سينجح في كسب عيشه.. وقد كوّن الشيخ الشعشاعي فرقة للتواشيح الدينية.

ثاني قارئ للقرآن بالإذاعة المصرية

منذ عام ١٩٣٠م تفرغ الشيخ الشعشاعي لقراءة القرآن، وترك التواشيح إلى غيره من المشايخ، وفي عام ١٩٣٦م بدأ نجم الشيخ يتلألأ على الرغم من أنه رفض القراءة بالإذاعة المصرية خشية أن يكون هناك شبهة في حرمتها، ولكنه اقتنع عندما أفتاه شيخ الأزهر في ذلك الوقت الشيخ الظواهري بأنه ليس هناك في الشرع ما يمنع ذلك، وكان يتقاضى راتبا سنويا من الإذاعة المصرية قدره (٥٠٠ جنيه مصري).

ويعتبر الشيخ الشعشاعي ثاني قارئ يقرأ بالإذاعة المصرية بعد افتتاحها عام ١٩٣٤م، وكان الأول هو الشيخ محمد رفعت.

رحلته الأولى إلى العراق

يقول الشيخ أبوالعينين شعيشع: طلبت السفارة العراقية بالقاهرة إحياء ليلة في العراق بصحبة الشيخ مصطفى إسماعيل، فوافقت، وبحثت عن الشيخ مصطفى إسماعيل كثيرا فلم أجده، فتوجهت إلى السفير العراقي وأخبرته أنه من الصعب الآن الحصول على الشيخ مصطفى، فطلب مني أن آخذ أحد القُراء، فأخذت الشيخ الشعشاعي، وعندما وصلنا إلى مطار العراق اسِتُقبلنا ككبار الزوار، وبعدها أصبح للشيخ الشعشاعيٍ جمهور عريض بالعراق وأصبح من قُراء إذاعته.

قراءته للقرآن بالحرمين الشريفين

عين الشيخ الشعشاعي قارئا لمسجد السيدة نفيسة، ثم مسجد السيدة زينب عام ١٩٣٩م، ويعتبر الشيخ الشعشاعي أول من قرأ القرآن الكريم بمكبرات الصوت في الحرمين المكي والمدني، وعلى جبل عرفات عندما أدّى فريضة الحج عام ١٩٤٨م على مسامع عشرات الآلاف من الحجاج.

وفاته

توفي الشيخ عبدالفتاح محمود الشعشاعي صاحب الصوت الصداح العذب الذي حفر صوته واسمه في قلوب وآذان الناس وأصبح من مشاهير القراء المصريين في العالم، والذي ورث ذلك عن أبيه عن عمر يناهز الثانية والسبعين عاما، حيث رحل في ١١ نوفمبر عام ١٩٦٢م، وقد قضى هذا العمر الجميل في خدمة القرآن الكريم، ومن أبنائه القارئ الشهير إبراهيم الشعشاعي الذي خلفه في مدرسته.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٤)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم البيهقي

١- البيهقي (الحنفي) (ت٤٠٢هـ):

هو أبو القاسم أو محمد، إسماعيل بن الحسين بن عبد الله البيهقي، فقيه حنفي زاهد، كان إمام وقته في الفروع والأصول.

من مصنفاته: (الشامل في فروع الحنفية) جمع فيه مسائل وفتاوي، و(الكفاية مختصر شرح القدوري) (١).

٢- البيهقي (الشافعي) (ت٤٥٨هـ):

هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن

علي البيهقي، من أئمة الحديث، كان إماما فقيها حافظا، جمع بين معرفة الحديث وفقهه.

ولد في قرية من قرى (بيهق) بنيسابور سنة (٣٨٤هـ)، ونشأ بها، ورحل إلى بغداد والكوفة ومكة وغيرها، قال إمام الحرمين: «ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي؛ لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه، وتأييد آرائه». من مصنفاته: (السنن الكبرى)، و(السنن الصغرى)، و(الأسماء والصفات)، و(شعب الإيمان)، و(معرفة السنن والآثار)، وغيرها من المؤلفات المشهورة، توفي بنيسابور (٢).

٣- البيهقي (الكاتب) (ت٤٧٠هـ):

هو أبو الفضل محمد بن الحسين البيهقي، كاتب، مؤرخ.

كان كاتب الإنشاء في دولة السلطان محمود بن سبكتكين، من مصنفاته: (الناصري)، وطبع باسم (تاريخ البيهقي)، و(زينة الكتّاب)، وله نظم حسن (٣).

٤- البيهقي (ت٥٤٤هـ):

هو أبو جعفرك -كاف بآخره للتصغير بلغة الفارسية- أحمد بن علي بن أبي جعفر محمد البيهقي، لغوي، عالم بالقراءات، من أهل نيسابور، أصله من بيهق.

ولد سنة (٤٧٠هـ)، كان إماما في النحو واللغة والقراءة والتفسير؛ صنف التفاسير النافعة في ذلك، وانتشرت عنه في البلاد، وظهر له أصحاب نجباء، وتخرج به خلق، من مصنفاته: (ينابيع اللغة)، و(المحيط بلغات القرآن)، و(تاج المصادر) فارسي عربي (٤).

٥- ظهر الدين البيهقي (ت ٥٦٥هـ):

هو ظهر الدين أبو الحسن علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي الأوسي الخزيمي الشافعي، من سلالة خزيمة بن ثابت الأنصاري، ويقال له: ابن فندق، باحث، مؤرخ.

ولد من نواحي (بيهق) سنة (٤٩٩هـ)، رحل إلى مرو، وولي قضاء بيهق، وتفقه وتأدب واشتغل بعلوم الحكمة والحساب والفلك، من مصنفاته: (تاريخ حكماء الإسلام)، و(مشارب التجارب وغرائب الغرائب)، و(شرح نهج البلاغة)، و(تاريخ بيهق)، و(شرح مشكلات المقامات الحريرية) وغيرها، توفي في بيهق (٥).

المتفق والمفترق في اسم ابن دقيق العيد

١- تقي الدين بن دقيق العيد (ت٧٠٢هـ):

هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المالكي ثم الشافعي، المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العبد، قاض من كبار العلماء بالأصول، مجتهد.

ولد في ينبع على ساحل البحر الأحمر سنة (٦٢٥هـ)، وتعلم بدمشق والإسكندرية، ثم القاهرة، وولي القضاء في الديار المصرية، من تصانيفه: (إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام)، و(الإلمام بأحاديث الأحكام)، و(الإمام في شرح الإلمام) و(الاقتراح في بيان الاصطلاح)، و(تحفة اللبيب في شرح التقريب) وغيرها كثير. توفي بالقاهرة (٦).

٢- سراج الدين بن دقيق العيد (الأخ) (ت٦٨٥هـ):

هو سراج الدين موسى بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، أخو تقي الدين، فقيه، له شعر حسن.

ولد سنة (٦٤١هـ)، انتهت إليه رسائل الفتوى بقوص في صعيد مصر، كان فقيها نظارا شاعرا، من مصنفاته: (المغني في فقه الشافعية) نقل عنه ابن الرفعة، توفي بقوص (٧).

٣-ابن دقيق العيد (الابن) (ت ٧١٦هـ):

هو محب الدين علي بن محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، ابن العلامة تقي الدين ابن دقيق العيد.

ولد بقوص سنة (٦٥٧هـ)، وتفقه في مذهب الشافعي، وكان فقيها فاضلا، درس بالفاضلية والكهارية والسيفية بالقاهرة، من مصنفاته: (التعليق على التعجيز)، توفي بالقاهرة ودفن عند أبيه (٨).

الهوامش

١- ينظر الجواهر المضية (١٤٦/١) والطبقات السنية في تراجم الحنفية للتقي الغزي، رقم (٤٩٢) والأعلام للزركلي (٣١٢/١).

٢- ينظر الأنساب للسمعاني (٤٣٨/١) وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢١٩/٣) والأعلام للزركلي (١١٦/١).

٣- ينظر الوافي بالوفيات (٢٠/٣) والأعلام للزركلي (١٠٠/٦) ومعجم المؤلفين (٢٣٧/٩).

٤- ينظر بغية الوعاة للسيوطي (٣٤٦/١) والأعلام للزركلي (١٧٣/١) ومعجم المؤلفين (٤/٢).

٥- ينظر سير أعلام النبلاء (٢٨٤/١٢) والأعلام للزركلي (٢٩٠/٤) ومعجم المؤلفين (٩٧/٧).

٦- ينظر تذكرة الحفاظ (١٨١/٤) وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٢٩/٢) والأعلام للزركلي (٢٨٣/٦).

٧- ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٠٣/٢) والأعلام للزركلي (٣٢٥/٧).

٨- ينظر الدرر الكامنة (٣٨١/١) وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢٢٦/٢) والأعلام للزركلي (٣٢٥/٧).

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

دوام ليلي

أغلق الباب بهدوء، ومشى بحذر مبالغ فيه بين الأسرة التي يتعالى منها غطيط منتظم، وأحيانا همهمات غير مفهومة.

«صحيح أن الأدوية تساعدهم على النوم بعمق، مع ذلك كن حذرا وأنت تتجول بين الغرف، فإن صحا أحدهم فلن ينام حتى يستنفد كل ذكرياته، وحينها يكون الصباح قد طلع، ولن يكون بمقدورك أن تتزحزح من جانبه حتى يعود للنوم» كان هذا تحذير الممرض الذي دربه، علق كلامه في إطار في جزء بارز من عقله بحيث يقرؤه كل حين كما يقرأ اللافتات المعلقة على أبواب الغرف المسؤول عن قاطنيها.

أنهى دوريته التفقدية، وحين وصل إلى مكتبه القابع في نهاية ممر الدور الخامس، تهالك على كرسيه ملقيا برأسه إلى الوراء لأخذ استراحة قصيرة.

مضى على وصوله العاصمة برلين ثلاثة أعوام، قضاها موزعا وقته بين الدراسة والعمل الجزئي، صباحا يذهب للجامعة، ليقضي فترة المساء بعمل مّا يساعده على توفير مصاريف تعليمه وإقامته، يبدو العمل الحالي – ممرض في دار مسنين – جيدا مقارنة بالعمل السابق، وجد أن مصاحبة كبار السن أفضل حالا من العمل في أي مجال آخر، فلمسات أيديهم «المتعرقة» تغرق ذاكرته بلمسة أمه الحانية، وأصواتهم التي تبدو وكأنها قادمة من زمن آخر تتسلل إلى أذنيه حاملة معها صوت أبيه الدافئ.

لذا وبقدر الإرهاق الذي ينهك جسده عقب انتهاء كل نوبة عمل مع أول إشراقة شمس يوم جديد، يغادر الدار متخما بعبق الذكريات الجميلة لوالديه، فتخف عنه قسوة الأميال الطويلة التي تفصله عنهما.

يعود لغرفته ويرتمي على فراشه مستحضرا إياهما في أحلام جميلة لا يقطعها إلا صوت المنبه يذكره بموعد المحاضرات ويوم آخر طويل وشاق.

في كل ليلة وعقب إعطاء كل من في الدور الخامس الأدوية الخاصة بهم والاهتمام بمتطلباتهم كان يسعد بقضاء ساعات إضافية مع من يجافيه النوم منهم، أما الليلة فكل ما يتمناه، أن يحصل على بعض الهدوء، عله يراجع دروسه لامتحان الغد، ألقى نظرة أخيرة على جميع الغرف في طول الممر قبل أن ينزلق بهدوء حذر بين صفحات ملازمه.

«لا تتركاني أرجوكما.. لا تبتعدا، أنا أضعف من أن أعيش وحيدا».. انتزعه الصوت القادم من إحدى الغرف انتزاعا من أكثر الفقرات تعقيدا والتي احتجزته أكثر مما ينبغي، ترك ما بيده جانبا، وتحرك نحو الغرفة المدون على بابها «عائلة مولر»، حين دخل الغرفة الصغيرة كان العجوز يهذي بفزع، مادا يدا نحيلة، متشبثا بالعدم.. احتوى «ياسين» اليد الممتدة بين يديه وربت عليها بحنان، أجلس صاحبها وجلس إلى جانبه محتويا جسده الضامر بين ذراعيه.

«أيها الجد الطيب، أنا إلى جانبك، لا تخف، أنت بأمان هنا» قالها هامسا في أذنيه بصوت دافئ.

«من؟!.. من أنت؟!» قالها العجوز بصوت مرتعش وهو يحاول الخروج من كابوسه المفزع.

«ياسين.. أنا ياسين أيها الجد الطيب، هل نسيتني؟».

«ياسين!.. ياسين بني، كيف لي أن أنساك وذراعاك القويتان تنتشلاني من كوابيسي المريعة كل ليلة» قالها ممسدا اليد المحيطة به.

«يبدو أنك غافلتني هذه الليلة أيضا ولم تأخذ أدويتك».

«بل أخذتها، لكنه شوقي لولدَيّ يغالب كل الأدوية، كم أشتاق لهما، كم يتمزق قلبي لاحتوائهما، لماذا يقسوان علي ويمتنعان عن زيارتي وأنا الذي يذوب قلبي بحبهما؟!»

«لا عليك.. لابد أنهما منشغلان، سيأتيان في الزيارة القادمة حتما».

«مر عام كامل، ولو كانا يريدان رؤيتي لأتيا منذ زمن طويل»!

فتح ياسين فمه ليرد على العجوز لكنه تراجع والتزم الصمت، بماذا عساه أن يبرر، الرجل على حق، ولداه يقيمان في الجوار، كل ما يقومان به هو إرسال باقات ورد في عيد رأس السنة وكرت من الكروت التي تباع

في المحلات، ولا يكلفان نفسيهما حتى كتابة بعض الكلمات الصادقة لوالدهما الذي يعاني الوحدة والعزلة في هذه الدار.

«ماذا عنكم؟، هل ترمون العجائز في دور كهذه عندما لا يصبحون قادرين على العناية بأنفسهم؟!» تساءل العجوز في مرارة.

«نحن...؟»

رددها ياسين مستعيدا ذكرى يعجز عن نسيانها، كان صغيرا حينها، واقفا بين والده وعمه وهما يتشاجران، احتدم الشجار بينهما حتى تدخل الجيران لفضه، وأساس المشكلة أن كلا منهما يرى أحقيته برعاية والدتهما المقعدة، مدعيا أن الآخر أكثر انشغالا عن العناية بها!.

وأمام الجار الذي وقف حائرا بينهما، انبرى كل منهما في تعديد الميزات ومدى صلاحية بيته لراحة والدته، وأمام حججهما القوية لم يجد الجار المسكين بدا من ترك القرار للوالدة لتختار مع أيهما تعيش، لتسقط هي الأخرى في حيرة أشد..

«ياسين.. هل نمت؟!» أخرجه صوت العجوز من حيرة الجدة والجار وغضب والده وعمه..

«أنا معك!»

«لم تجبني!»

«على ماذا؟!»

«هل تعلم أنك مراوغ كبير»

«مممم.. ربما؟.. اسمع أيها الجد الطيب، وبما أني أنهيت استذكار كل دروسي سأغتنم الوقت المتبقي لتأخذني معك بجولة في ذاكرتك المتخمة، لعل ذهني أن يصفو لامتحان الغد» قال كاذبا «أنت من يفترض بك أن تحكي لنا»

«صحيح... لكن لا أمانع الاستماع طالما كان ذلك ممكنا، فأنا من قوم حين يتحدث كبيرهم يصمت صغيرهم إجلالا واحتراما، كما أنكم كبار السن لديكم ذكريات وقصص أكثر إمتاعا من أحاديثي المملة».

وبينما أخذ العجوز يعصر مخيلته كما هي عادته يتذكر أفضل اللحظات مع عائلته، أخذ ياسين يراقب الشمس من النافذة المقابلة وهي تصارع بحمرتها الناعسة سحب الشتاء الكثيفة، مرسلة تباشير يوم جديد، ورغما عنه حلق وجدانه بعيدا، ليعانق خياله أطياف والديه ويقبل رأسيهما وأياديهما.

نام العجوز الطيب قبل أن يكمل حكايته التي سيعيدها على مسامع ياسين ليلة الغد، وسيستمع هو إليه وكأنه لم يسمعها من قبل. وضع الرأس المثقل بالشجون على الوسادة برفق، قام ليصلي الفجر، وينطلق عائدا للبيت؛ يرتاح سويعات قبل أن ينطلق لجامعته.

هشام بنشاوي
باحث من المغرب

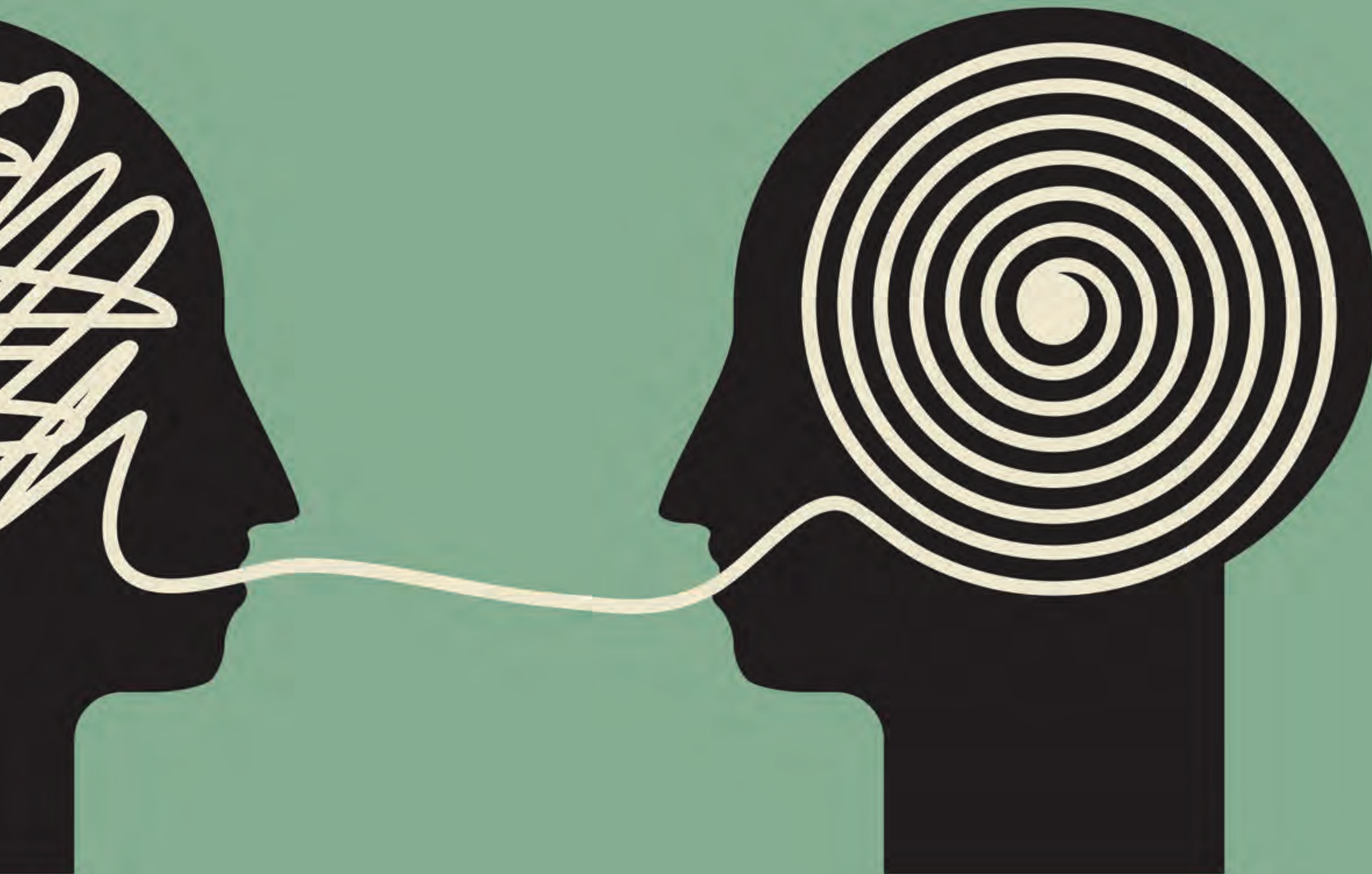

الترجمة.. كاستضافة الغريب

يعتبر بول ريكور الترجمة رهانا صعبا، وهو يستحضر عنوان كتاب أنطوان بيرمان «محنة الغريب»، وهذه الصعوبات يختصرها لفظ «محنة» ذي المعنى المزدوج، باعتبارها «معاناة مستديمة» و«امتحان». ولتوضيح هذه المحنة يقترح مقارنة «مهمة المترجم»، التي تحدث عنها فالتر بنيامين بالمعنى المزدوج الذي أعطاه فرويد لكلمة «عمل»، حين تكلم في إحدى مقالاته عن «عمل الذاكرة» وفي مقال آخر عن «عمل الحداد»، فأثناء عملية الترجمة نعمد إلى نوع من الإنقاذ وإلى نوع من التعويض عن الخسارة؛ يمكن معاينة نوع من التنازل على حساب اللغة المصدر أو اللغة الهدف حتى تتم عملية الانتقال، وتجد اللغتان نفسيهما في حالة مواجهة. وكلمة الغريب بالنسبة إلى أنطوان بيرمان تغطي العمل والكاتب ولغته، ومن جهة أخرى القارئ المتلقي للنص والعمل المترجم، وبين الاثنين يحاول المترجم، الذي يقوم بإرسال الخطاب، وتمرير الرسالة كاملة من لغة إلى أخرى. وداخل هذه الوضعية غير المريحة للوسيط تكمن مشكلة «المحنة».

الترجمة هي خدمة سيدين

الغريب داخل عمله، والقارئ ورغبته في التملك. الكاتب أجنبي وقارئ يسكن نفس اللغة التي يتكلمها المترجم. هذا التناقض يتعلق بإشكالية لا نظير لها، لأن المترجم يجد نفسه بين نارين:

رغبة الوفاء وشكوك الخيانة.
ولا يستهين بول ريكور بمقاومة القارئ، لأن التوق إلى الاكتفاء الذاتي ورفض وساطة الأجنبي التي غذتها في الخفاء المركزيات الإثنية اللغوية العديدة، والمحاولات العديدة للهيمنة الثقافية، ويستعير مصطلح «مقاومة» من التحليل النفسي، للتعبير عن هذا الرفض الذي يخفي نواياه تجاه محنة الغريب من جانب اللغة المستقبلة. ومقاومة عمل الترجمة، يصادفها المترجم من جانب لغة الأجنبي في عدة مراحل من عمله، حتى قبل أن يبدأه، على شكل حدس عدم قابلية الترجمة، وينتصب النص الأجنبي ككتلة جامدة مقاومة للترجمة. وتكتسي مقاومة الترجمة شكلا أقل تهويلا حين يبدأ عمل الترجمة، وثمة أصعدة غير قابلة للترجمة مزروعة في النص، تجعل من الترجمة مأساة حقيقية، فالشعر يطرح مشكلة خطيرة تتمثل في الاتحاد الذي لا انفصام له بين المعنى والصوت وبين الدال والمدلول، أما في النصوص الفلسفية التي تنطوي على دلالة صارمة فينكشف تناقض الترجمة بشكل جلي، وهناك من يعطي شكلا آخر عن عدم استحالة فكرة التوافق دون التطابق بين النصين، فنص الانطلاق ونص الوصول يجب قياسهما من خلال ترجمة جيدة بنص ثالث غير موجود، وهذا الشبيه غير موجود في أي مكان في شكل نص ثالث، ويحتاج إلى قارئ لا ينشغل بمدى تطابق النسخة مع الأصل، كما يقول عبد السلام بنعبدالعالي، وإنما قارئ مهموم بإذكاء حدة الاختلاف حتى بين ما بدا متطابقا، غير مولع بخلق القرابة، وإنما بتكريس الغرابة، ويبذل جهده لأن يولد نصا ثالثا بعقد قران بين النصين واللغتين.

وفي غياب هذا النص الثالث الذي يسكنه المعنى ذاته، ولن يبقى من مخرج آخر غير القراءة النقدية لبعض المختصين إن لم يكونوا من مزدوجي اللغة للقيام بقراءة نقدية معادلة لإعادة ترجمة خاصة، بواسطتها يستطيع القارئ المقتدر أن يعيد عمل الترجمة متحملا بدوره محنة الترجمة ومصطدما بنفس المفارقة لمعادلة دون تطابق.

على المستوى النفسي، حسب أنطوان بيرمان، فإن المترجم متعدد الاتجاهات ويريد اقتحام الجانبين، إجبار لغته على التشبع بالغرابة وإجبار اللغة الأخرى على النزوح إلى لغته الأم، بينما يشدد بنيامين على أن الترجمة لا تغني عن الأصل، فكل نص «يفصح عن حنينه إلى ما يتمم لغته ويكمل نقصها. لذا فالترجمة الحق شفافة لا تحجب الأصل».

ويتطرق بول ريكور إلى نص «مهمة المترجم»، حيث أحيا فالتر بنيامين المنظور الآخر للترجمة المثالية الذي يجد نفسه متجذرا في الانتظار المخلص، والذي يمكنه أن يكون مستهدفا هو اللغة الخالصة؛ فكل ترجمة تحمل في داخلها ما يشبه الصدى المخلص، وتحت كل هذه الأشكال يغدو حلم الترجمة المثالية معادلا لأمنية الربح في الترجمة، ربح يكون بدون خسارة، وانطلاقا من هذا الربح يجب قبول الاختلاف الذي لا يمكن تجاوزه بين الذاتي والأجنبي. والكينونة المستعادة تريد حذف ذاكرة الأجنبي وربما يدفع حب اللغة الذاتية إلى كره محلية اللغة الأم. ومثل هذه الكينونة تعمل على محو تاريخها الخاص وتجعل من الجميع أجانب منزوعي اللغة، نازحين عن اللغة ومنفيين تراجعوا عن البحث عن اللجوء إلى لغة استقبال أي رحل تائهين.

وعلى الرغم من العقيدة الميتافيزيقية المحتقنة التي تجعل مهمة المترجم دراماتيكية فإن هذا الأخير يجد سعادته فيما يمكن أن نسميه الضيافة اللغوية، فحتى داخل فعل الحكي فإننا نستطيع أن نترجم بكيفية أخرى دون أمل في ردم الفارق بين المعادلة والتطابق الكامل. وتعوض هذه الضيافة اللغوية، حسب ريكور، بما هي لذة التوطن في لغة الآخر بالاستقبال في بيته والاستقبال في منزله الخاص، كلمة الأجنبي.

إن هوس المترجم، كما يشير بنعبدالعالي، في كتابه «ضيافة الغريب»، ليس الوصل وخلق القرابة، ليس جر الآخر نحو الذات والتماهه، وإنما الذهاب نحوه، وفتح النص، فتح الثقافة على آخرية الآخر، وإثرائهما عن طريق التلقيح باللغة الأخرى و«استضافة الغريب».

د. عادل سالم عطية
كلية دار العلوم - جامعة الفيوم

المنهج الأخلاقي في «روضة العقلاء»

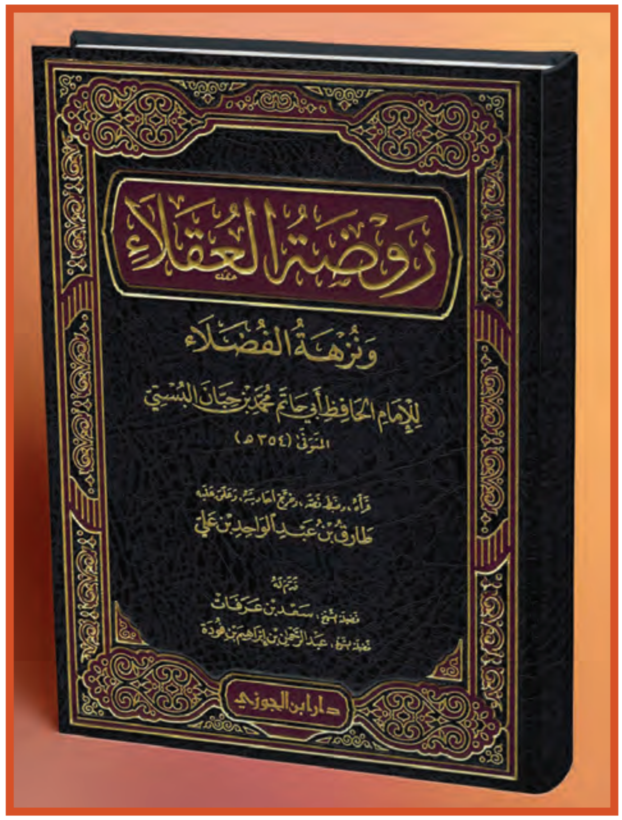

كان الإمام ابن حبان البستي (ت٣٥٤هـ) من أوعية العلم والأدب؛ حفظا وفهما وتدبرا، فقيها في الدين وأصوله، محيطا بفنون الأخبار، وأنواع الأشعار، كثير السفر والترحال في طلب الحديث وعلومه. وقد صنف -رحمه الله- كتابه «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» لبيان ما يحسن للعاقل والأريب استعماله من الخصال المحمودة، والآداب المرغوبة، ويقبح به إتيانه من الخلال والصفات المذمومة (١)، وذلك من خلال معنى لطيف، ولفظ وجيز، تاركا الإمعان في الإكثار والإسهاب، بغية الاختصار والإفهام.

وفي هذا الكتاب يتناول الإمام ابن حبان خمسين بابا من شعب الأخلاق ومتعلقاتها من المأمورات والمزجورات، وابتدأ هذه الأبواب بحديث عن تقوى الله - عز وجل - وإصلاح السريرة والقلب؛ وذلك لأن قطب طاعات المرء في الدنيا هو إصلاح السرائر، وترك إفساد الضمائر، ثم تطرق بعد ذلك للحديث عن طلب العلم، وفضله، والمداومة عليه، وأخلاقيات العالم، وآداب طالب العلم وسلوكياته التي يجب التحلي بها، وضرورة العمل بالعلم بقدر طاقة الإنسان، ثم بين أهمية حفظ اللسان، حيث إن في السكوت سلامة، والصمت يكسب المرء محبة ووقارا، أما فضول الكلام فإنه يقسي القلب، ومدعاة لكثرة الأخطاء والأغاليط؛ لذا فالعاقل - ذو الخلق المحمود - هو من يعود هذه الآلة (أي اللسان) على لزوم الصدق والازورار عن الكذب، ثم أبان -رحمه الله- عن جملة من المأمورات التي ينبغي فعلها بل والمداومة عليها حتى تصير خلقا وعادة، كلزوم الحياء، والتواضع، والحلم، وإظهار البشر والتبسم، وطلاقة الوجه، وكتمان السر، وصحبة الأخيار، وقضاء الحوائج، وقبول الاعتذار، وإسداء النصيحة، وملازمة الرفق والعفو والقناعة وطيب الكلام.. وذكر عددا من الرذائل والمنغصات التي ينبغي التخلي عنها، مثل: الكبر، والمداهنة، والغضب، والبخل، وعشرة الأشرار، والتجسس، وسوء الظن.

من أجل هذا كله، كان الإمام ابن حبان حريصا على طلب المعالي من الأخلاق، والبعد عن سفسافها؛ لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، بل إن الحر - حق الحر - من أعتقته الأخلاق الجميلة، كما أن أسوأ العبيد من استعبدته الأخلاق الدنيئة، ومن لزم محاسن الأخلاق أنتج له سلوكها وانتهاجها سرورا وحبورا، ومودة بين الناس (٢)، وصونا للأعراض (٣)، وزيادة في التواضع، ورفعا للخلاف، وتوقيا للمعائب والزلات.

أما عن منهجه الأخلاقي في هذا الكتاب فيتبدى في الأمور والأفكار التالية:

١- هو منهج نقلي عقلي، فهو لا يفتأ في كثير من صفحات كتابه يوظف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في خدمة هدفه الأخلاقي، فكل أفكاره تقريبا مستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة، والتابعين، والحكماء، والزهاد، ثم يعضد كلامه وحجته بالاستشهاد من الشعر العربي، وهذا ليس بغريب على إمام من أئمة الحديث وأربابه. لكن المدهش - في رأينا - أنه صاغ أفكاره صياغة عقلية، ومزج النظر العقلي التأملي بالحقائق الدينية، نحو تنبيهه على ضرورة لزوم العقل، فأول تمكن المرء من مكارم الأخلاق هو لزوم العقل، ثم يناقش صفة العاقل اللبيب، وتنويهاته بالأمور الواجبة على العاقل من شعب المأمورات والمزجورات،

مثل: ألا يستحقر أحدا، ولا يخفى عليه عيب نفسه، كما أن كمال العقل بطول التجارب، ثم نجده بعد ذلك يتطرق لآفات العقل: كالعجب والصلف والهوى، مبينا في الوقت نفسه فضائل ذوي العقول (٤).

٢- تغلب على الكتاب نزعة الحكمة والخبرة الحياتية المحنكة، التي تنم عن معايشة حقيقية للأخلاق الإسلامية، مثل قوله: «التقلب في الأمصار والاعتبار بخلق الله مما يزيد المرء عقلا» (٥). وقوله: «العقول تلقح العقول» (٦). وقوله: «عدم المال خير من عدم محاسن الأخلاق» (٧). وأيضا قوله: «إن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد» (٨). وقوله: «ما رأيت شيئا أدل على شيء، ولا الدخان على النار، مثل الصاحب على الصاحب» (٩).

٣- هذا الكتاب يعطينا تصورا شاملا لمناحي القيم والفضائل، ففيه تقف على منحى سياسي، مثل: باب سياسة الرعية ورعاية الرعية، وواجبات الحاكم تجاه رعيته. وآخر اجتماعي يتعلق بالأسرة والمجتمع، مثل: باب كراهية المعاداة للناس، وذكر استحباب التحبب إلى الناس، وذكر استحباب التفريج عن الناس بقضاء الحوائج، والحث على الضيافة وإطعام الطعام.

ولا يخلو الكتاب من جوانب علمية تربوية نحو الحث على تعلم الأدب ولزوم الفصاحة، ولزوم العلم والمداومة عليه، «فأفضل العمل الورع والتفكر» (١٠). وكذلك يوجد به جانب نفسي (سيكولوجي) كاعتداده بالنية وأثرها في تقييم العمل الخلقي، بل إنه يقدم للقارئ أنموذجا للتشريح الجسدي لقلب العاقل، وذلك في قوله: «ومثل قلب العاقل إذا لزم رعاية العقل، كأن قلبه شرح بسكاكين التقية، ثم ملح بملح الخشية، ثم جفف برياح العظمة، ثم أحيي بماء القربة، فلا يوجد فيه إلا ما يرضي المولى جل وعلا، ولا يبالي المرء إذا كان بهذا النعت أن يتضع عند الناس، ومحال أن يكون ذلك أبدا» (١١).

٤- يخلو كتاب «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» من المصطلحات غير الإسلامية أو من مصطلحات الفكر الوافد، كذلك خلا من التقسيمات والتفريعات اليونانية، كأقسام القوى والفضائل الخلقية، التي عرفها المسلمون بعد احتكاكهم بالثقافات الأجنبية، ولاشك أن خلو هذا المصنف من المصطلحات أو التقسيمات الأجنبية يؤكد إسلامية هذا الاتجاه شكلا ومضمونا.

٥- تظهر شخصية المؤلف واستقلاليته في أمرين: الأول هو كثرة تعليقاته الخلقية على الأحاديث والآراء التي يذكرها في كتابه «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»، فالناظر في كتابه لأول وهلة يقف على عدد كبير من التعليقات التي دونها الإمام ابن حبان بقلمه (١٢).

والثاني: في رفضه نقل الأحاديث التي وردت في العقل، وفي نفي الإكثار من زيارة الآخرين؛ لأنه يرى أن الأخبار التي وردت فيهما غير صحيحة، ولا يحتج برواتها، فهم من الضعفاء والمجروحين (١٣).

٦- توظيفه للألفاظ وضدها في خدمة هدفه الأخلاقي، وهذا واضح في قوله: «التجسس من شعب النفاق، كما أن حسن الظن من شعب الإيمان، والعاقل يحسن الظن بإخوانه، وينفرد بغمومه وأحزانه، كما أن الجاهل يسيء الظن بإخوانه، ولا يفكر في جناياته وأشجانه» (١٤).

٧- ربط الأخلاق بالعقيدة والتوحيد، كما في قوله: «الواجب على العاقل لزوم التوكل على من تكفل بالأرزاق؛ إذ التوكل هو نظام الإيمان وقرين التوحيد، وهو السبب المؤدي إلى نفي الفقر ووجود الراحة، وما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جل وعلا بما تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حوته يده إلا لم يكله الله إلى عباده وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب» (١٥).

يتبين من هذا أن الأخلاق ليست مجرد سلوك يمارسه الإنسان، وإنما لا يصدر السلوك إلا عن اعتقاد.

٨- يميل مؤلف الكتاب، كعادة المحدثين، إلى النزعة العملية، فهو يحاول أن يرسم للناس الطريق والمنهاج إلى اكتساب الفضائل، والتخلي عن الرذائل، وكأن الأخلاق لديه أضحت صناعة تستهدف علاج الأمراض الخلقية أو النفسية، وحفظ الصحة، وتتناول الفضائل وكيفية اقتنائها لتتحلى النفس بها، والرذائل وكيفية توقيها للتخلي عنها.

٩- لم يدع الإمام ابن حبان في مؤلفه إلى العزلة المطلقة عن الناس من دون سبب حقيقي موجب لها؛ لأنه يدري أن الإنسان خلق مدنيا بالطبع، أعني أنه لا يستغني في بقائه عن المعاونات الكثيرة من الناس الكثيرين، وأنه يعين غيره كما يعينه غيره؛ لتتم الحياة الصالحة له ولهم، ولهذا عنون بابا من أبواب كتابه بعنوان: «ذكر استحباب التحبب إلى الناس من غير مقارفة المأثم»، وهذه فلسفة اجتماعية ظاهرة للعيان.

الهوامش

١- انظر: أبوحاتم محمد بن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ، ص١٥.

٢- انظر: السابق، ص٢٥٢-٢٥٣. وقارن: ص٦٤.

٣- انظر: السابق، ص٦٥.

٤- انظر: السابق، ص١٦-٢٤.

٥- السابق، ص١٨.

٦- السابق، ص٢٦.

٧- السابق، ص٢٥٢.

٨- السابق، ص١٠٣.

٩- السابق، ص١٠٨.

١٠- السابق، ص٣٠.

١١- السابق، ص٣٠.

١٢- انظر على سبيل المثال لا الحصر، الصفحات: ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤١-٤٥، ٥٠، ٢٥٨، ٢٦٦.

١٣- انظر: السابق، ص١٦. وقارن: ص١١٦.

١٤- السابق، ص١٢٦.

١٥- السابق، ص١٥٣.

إبراهيم عبدالمعطي متولي
كاتب وباحث لغوي - مصر

الضرورة العلمية في اللغة العربية

يمتاز عصرنا بأنه عصر العلم والتقنية والثورة المعلوماتية، وتبدو بيننا وبين العالم المتقدم فجوة كبيرة في هذا المجال، فالمنجزات العلمية والتقنية تحمل بصمات الآخرين، والسبب في هذا أننا نكتفي باستهلاك ما ينتجه الآخرون، ولا نفكر في أن نبتكر من قرائحنا ما نضيفه إلى منجزات العالم العلمية، وهذا يقتضي أن نشعر بأننا جزء من هذا العالم، وألا نكتفي بدور المستهلك، وأن نحاول الانضمام إلى أصحاب الاختراعات والابتكارات والإضافات. لو حققنا بعضا من هذا سينظر إلينا الآخرون باحترام، لأن العلم قوة، ومن يملك القوة في هذا الزمن ينل احترام الآخرين، ولا قوة تجلب الاحترام مثل قوة العلم.

ولكي نزرع العلم في بيئتنا العربية، ونجعله راسخا لدينا، نحتاج إلى أن ننشر الثقافة العلمية بين جميع فئات المجتمع، صغارهم وكبارهم، حتى لا تصبح محصورة في فئة معينة من الناس، دون أن نصل إلى أن تكون ثقافة مجتمعية، وهذه الثقافة المجتمعية تتحقق بأن يتم تقديم العلم لجمهور الناس في كتب مبسطة، تجعلهم يفهمون حياتهم وما يحيط بهم من منجزات تقنية.

توفير المصطلحات العلمية

في سبيل الوصول إلى ثقافة علمية باللغة العربية نحتاج إلى توفير المصطلحات العلمية بلغتنا؛ لأن المصطلحات هي «مفاتيح العلوم»، وقد أصاب الخوارزمي الكاتب حين ألف كتابا في القرن الرابع الهجري حمل هذا العنوان «مفاتيح العلوم»، ولا بد لكل علم من مصطلحات تكون أساسا لفهمه ومفاتيح لاستيعابه.

ولتكوين المصطلحات في اللغة العربية عدة وسائل، منها الترجمة والتعريب والاشتقاق والمجاز...، والترجمة تعني: وضع الكلمة التي تقابل الكلمة الأجنبية باللغة العربية، والتعريب: هو إدخال الكلمة الأجنبية في اللغة العربية، سواء بلفظها أو مع تغيير فيها. وهناك من يفرق بين الكلمة المعربة والكلمة الدخيلة، فتكون الكلمة المعربة هي التي تخضع للتغيير بحيث تكون موافقة لقوانين اللغة العربية، مثل كلمة «الفلسفة» فهي على وزن عربي هو «الفعللة»، أما الكلمة الدخيلة فهي التي تدخل اللغة العربية دون تغيير، ومنها كلمة «التليفزيون» التي لم يحدث تغيير في صيغتها عند دخولها اللغة العربية.

نظرية الضرورة العلمية

يعني ما سبق أن المصطلحات تساهم في تطور اللغة، لأنها تؤدي إلى تكوين كلمات جديدة تضاف إلى الثروة اللفظية للغة، ويحتاج هذا التوسع في اللغة إلى الأخذ بالضرورات، وذلك من أجل إثراء المحتوى العربي من العلم، ولذلك أطلق الدكتور محمد هيثم الخياط على هذا الأمر «نظرية الضرورة العلمية» في كتابه «في سبيل العربية» الصادر عن دار الوفاء في المنصورة بمصر عام (١٩٩٧م)، وهي نظرية أفرد لها الخياط عددا كبيرا من الصفحات في كتابه، وفي تفصيل هذا يذكر أن الضرورة لدى العرب

القدامى نوعان: ضرورة شرعية، وضرورة شعرية، ويضيف إليهما: الضرورة العلمية، وحول هذه النقطة يقول: وهذه الضرورات الثلاث، تتصل فيما أرى بالمثل العليا الثلاثة التي تواطأ عليها الناس: الخير، والجمال، والحقيقة.

فالضرورة الشرعية: خروج على القواعد النافذة لوجه الخير.

والضرورة الشعرية: خروج على القواعد النافذة لوجه الجمال.

والضرورة العلمية: خروج على القواعد النافذة لوجه الحقيقة.

ويؤكد الخياط أن الخروج على قواعد اللغة من أجل الضرورة العلمية ليس بدعا، فقد سبق أن فعل هذا أئمة اللغة.

ويذكر أن العمل بالضرورة العلمية يسير في اتجاهين:

الأول: الإتيان بشيء جديد خارج عن القواعد المألوفة.

والثاني: عودة بالخارج عن المألوف إلى الأصل، حيث يشير إلى أن الضرورة «نوع مخصوص من الظاهرة، لأنه يتجلى في اتجاهين اثنين:

الاتجاه الأول: هو الخروج على الأصل اقتداء بما فعلته الجماعة اللغوية في بعض الأحوال.

والاتجاه الثاني: هو العودة إلى الأصل ببعض ما أخرجته الجماعة اللغوية عن أصله».

ويوضح الخياط أنه إذا كان جائزا للشاعر أن يخرج على الأصل اللغوي، فمن باب أولى أن يكون ذلك جائزا أيضا لأهل العلم للتعبير عن الحقائق العلمية. ويشير إلى أن مصطلح «الضرورة» ظهر على استحياء في قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومن هذه القرارات: «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم»، ومنها «اشتق العرب كثيرا من أسماء الأعيان، والمجمع يجيز هذا الاشتقاق للضرورة في لغة العلوم».

قضايا فرعية

من أهم المشكلات التي تتعلق بالمصطلحات العلمية عدم انتشارها انتشارا كافيا بين الناس، إذ يعتمد انتشارها على الاستعمال والتداول على الألسنة، ويتحقق هذا للمصطلحات عندما «تتبناها الجماعة اللغوية العلمية -إن صح هذا التعبير- فتستمد من السلطان الجماعي قوة كقوة الخارج على الأصل فيما أجرته الجماعة اللغوية عن أصله حتى أصبح أرسخ من الأصل».

وفي قضية التعريب يشير الخياط إلى أربع قضايا فرعية:

الأولى: عدم ضرورة التقيد بالأوزان العربية في المعرّبات، مع عدم فتح الباب على مصراعيه لاستعمال الكلمات الدخيلة التي لا تتوافق مع نظام الكلمات العربية، لأن نقل الكلمات ذات الأوزان الناشزة يحول دون جمعها والنسبة إليها والاشتقاق منها.

الثانية: لا ضرورة لإدخال بعض الأحرف على الحروف العربية، فالأمم الأخرى لا تخترع حروفا جديدة لرسم ما تقترضه من لغات أخرى، وإنما تكتب الحرف بأقرب حرف إليه من لغتها. ويشير إلى أنه «ينبغي أن تعرب الباء الفارسية (P) التي بين الباء والفاء «باءً» وتعرب ڤ (V) التي بين الواو والفاء «فاءً». أما الحرف المُشْكِل الذي بين الكاف والقاف (G) فقد نقلَه العرب الأقدمون غينا في الغالب، وهذا هو الذي يراه الخياط، ومع ذلك يميل إلى عدم التقيد الحرفي بهذا النقل، لأنه يولد بعض الكلمات التي تكون شديدة البعد عن الأصل، أو النابية عن الذوق العربي، أو النائية بالكلمة عن الاقتراب من موازين العرب، مما يؤدي إلى عُسر الاشتقاق منها عند الحاجة.

الثالثة: من الخير اختيار اللفظ الأسهل من بين مختلف اللغات الأجنبية لنقله إلى العربية بأخف ما يمكن على اللسان العربي، فنقول مثلا: «هيدروكسيد» لا «هايدروكسايد»، ونقول: «يورانيوم» لا «أورانيوم»، وهكذا.

وينبه الخياط إلى أنه من الخير الإكثار من استعمال الأحرف اللينة في الكلمات المعربة حتى لا يلتبس اللفظ، خاصة أن التشكيل غير معمول به إلى حد كبير في أيامنا.

الرابعة: في بدايات نقل العرب للعلوم إلى اللغة العربية لم يجعلوا المصطلح عائقا أمام النقل إلى العربية؛ لذلك كان النقلة يرتجلون تعريب كثير من الألفاظ التي لم يكونوا يجدون لها مقابلا عربيا.

وكان العلماء يتخلصون شيئا فشيئا من كثير من هذه المعربات المرتجلة كلما وجدوا لفظة عربية تصلح لها، فقد قالوا: «الأورطي» مثلا ليقابلوا بذلك شريان الجسم الأعظم، ثم وجدوا أن «الأبهر» يصلح لتأدية هذا المعنى فأحلوه محله.

وهكذا، نجد أن نظرية الضرورة العلمية التي طرحها الدكتور محمد هيثم الخياط تحل كثيرا من المشكلات التي تعترض وضع المصطلحات في لغتنا العربية، ومن شأن الأخذ بهذه النظرية أن يساهم في إثراء لغتنا بالكثير من المصطلحات العلمية التي نحتاج إليها في عصرنا الراهن من أجل التعبير عن العلوم المختلفة، خاصة أن عصرنا هو عصر العلم، ويجب ألا نُقصِّر في تزويد لغتنا بالمعارف والعلوم، حتى تجد الأجيال القادمة زادا من المعرفة بلغتها، ولئلا يأتي يوم لا تصلح فيه لغتنا لعصرها، فنكون بذلك قد ارتكبنا خيانة في حق لغتنا، وأي خيانة أكبر من خيانة اللغة التي شرفها الله عز وجل بنزول آخر كتبه بها وتعهده بحفظه إلى يوم الدين.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي

الرفق بالأطفال في السُّنة النبوية وتطبيقاته التربوية

تعتبر ظاهرة العنف ضد الأطفال في البيت والمدرسة والشارع من أبرز الظواهر الاجتماعية التي انتشرت بصورة كبيرة في الآونة الأخيرة، وسببت العديد من الآثار السلبية على الأطفال، مما يفرض على كل من يتعامل مع الأطفال البعد عن العنف؛ فالإسلام يأمر كل من في عنقه مسؤولية التوجيه والتربية، ولاسيما الآباء والأمهات منهم، يأمرهم جميعا بأن يتحلوا بالأخلاق العالية، والملاطفة الرصينة، والمعاملة الرحيمة، حتى ينشأ الأطفال على الاستقامة، ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية، وبالتالي يشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة، لذا يجب معاملة الأطفال بأساليب تربوية تقوم على الرفق واللين والرحمة، والإسلام بتعاليمه القويمة الخالدة، والسنة النبوية مليئة بهذه الأساليب.

إن من بين كل القيم التي تشتمل عليها منظومة القيم الأخلاقية الإسلامية، قيمة رفيعة القدر، بالغة الأهمية، تتصدر هذه المنظومة، وترتفع فوق قمتها، ألا وهي قيمة الرحمة، ولكننا نفتقد هذه القيمة العظيمة في كثير من تعاملاتنا اليومية، فالقسوة قد حلت محل الرحمة في كثير من علاقات الناس اليومية، وتعاملاتهم الحياتية، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها: الأب الذي يقسو على أبنائه (١).

ومن الأمور التي يكاد يجمع عليها علماء التربية، أن الطفل إذا عومل من قبل أبويه ومربيه المعاملة القاسية، وأدب من قبلهم بالضرب الشديد والتوبيخ القارع، وكان دائما الهدف في التحقير والازدراء، والتشهير والسخرية، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخلقه، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله (٢).

الرفق بالأطفال، والتلطف بهم، فلقد كان هذا من عادة النبي، وكان يؤتى بالصبي ليدعو له بالبركة، وليسميه فيأخذه فيضعه في حجره فربما بال الصبي، فيصيح به من يراه فيقول لا تزرموا الصبي بوله فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ من دعائه له وتسميته، ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده (٣)، وقد ذكر ابن حجر فوائد في شرح هذا الحديث منها رفق ورأفة النبي وحسن خلقه (٤).

وإنه من الصفات التي يجب أن يتحلى بها من يتصدى لتربية وتعليم الناس

وكذلك من يتلقى العلم بلين الجانب والأناة والرفق وترك الغضب وهذه الصفات هي من أبلغ ما يمكن أن يستخدمه المعلم وطالب العلم حتى يتحقق تلقي المعلومة بسهولة ثم النجاح والتفوق.

وفي رواية مسلم عن النبي قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» (٥)، فحري بالمعلمين والمربين مراعاة نفسيات الطلاب والرفق بهم، فإن النتائج المرجوة من حسن التعامل عظيمة جدا، فإن النفس البشرية تميل إلى الرفق ولين الجانب، وطيب الكلام وتأنس به، وتنفر من الجفوة والغلظة. كما يجب على المعلم والمتعلم المسلم التحلي بترك انفعال الغضب؛ لأنه يؤدي إلى الأخطاء وإلى أثار نفسية وجسمية لا تحمد عاقبتها (٦).

والمعاملة بالرفق هي الأصل في معاملة النبي للأطفال (٧) عن عائشة عن النبي قال: «إن الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله» (٨)، والرفق بالأطفال لا يتنافى مع تأديبهم، فالتأديب ضرورة تربوية تهذيبية تقويمية للطفل، وهذا يتطلب يقظة الوالدين والمربين في تعاملهم مع الطفل، وفهم طبيعته، واختيار نوع العقوبة، وطريقتها (٩).

على المربين أن يكونوا رحماء بالأطفال فالرحمة صفة من صفات المربي الناجح وهي من الوالدين لأبنائهما أخص، ورحمة الأولاد من أهم أسس نشأتهم ومقومات نموهم النفسي والاجتماعي نموا قويا سويا، فإذا فقد الأولاد المحبة نشئوا منحرفين في المجتمع لا يتعاونون مع أفراده ولا يندمجون في وسطه.

والمربي الذي ينقصه الحنان لا يصلح للتربية، الذي يغلب عليه التجهم، الذي يبخل بالابتسامة، الذي لا يمسح على رأس الطفل، الذي لا يعرف إلا العقاب، أما الثواب فلا حاجة به إليه، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا» (١٠) وأنه بذلك مخالف لرسول الله في مزاحه مع الصبيان، وتلطفه معهم.

على المربين التعامل مع الأطفال برفق ولين مع احترامهم وتقديرهم، فذلك يجعلهم أسوياء، ويعودهم على الاعتماد على النفس والثقة، ويربي فيهم حب الآخرين، والتآلف مع غيرهم والتآخي، ومعاملة غيرهم بالمودة والرأفة كما كانوا يعاملون، وكما تعودوا عليه (١١).

الهوامش

١- زقزوق، محمود حمدي الإنسان والقيم في التذوق الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، رمضان (١٤٣٦هـ)، (ص ١٥٩).

٢- علوان، عبد الله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، ط ١٩، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٠م)، (١/١٣٥).

٣- المرسي، كمال الدين: الدين والحياة -منهج في التربية الدينية، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، (٢٠٠٤م)، (ص ١١١).

٤- العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، (١٤١٠هـ)، (١/٣٢٥).

٥- أخرجه مسلم، رقم (١١٢٩).

٦- الصعيدي، فواز: الأساليب التربوية النبوية المتبعة في التوجيه وتعديل السلوك وكيفية تفعيلها مع طلاب المرحلة الثانوية بنين (تصور مقترح)، رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، (١٤٣٠هـ)، (ص٥٣).

٧- علوان، عبد الله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، ط١٩، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٠م)، (٢/٧٢٠).

٨- أخرجه البخاري، رقم (٦٩٢٧).

٩- الشحود، علي بن نايف: الأساليب الشرعية لتربية الأطفال وتأديبهم، دار جنى، القاهرة، (٢٠١٠م)، (ص ١٠٦).

١٠- رواه أحمد (٢/٦٤٤)، رقم (٦٧٣٣).

١١- البقعاوي، صالح: مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين، رسالة ماجستير منشورة، قسم التربية الإسلامية، كلية التربية، جامعة أم القرى، (١٤٢١هـ)، (ص ١٣٢).

د. أحمد إسماعيل
عبدالكريم
باحث دراسات إسلامية

منهج الرسول ﷺ في التعامل مع الأسرة

تعد الزوجة نواة الأسرة، التي هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، بل في بناء الأمم، وصلاح الأمم مكفول بصلاح هذه اللبنة، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع بأسره، ولاسيما أسرة القادة والدعاة، فإنها دائما ما تكون محط أنظار الجميع من أبناء المجتمع، فإذا كانت هذه الأسرة على قدر من المسؤولية، والالتزام بالعقيدة التي يدعو إليها قائدها، فإنها تحمل في طياتها سر النجاح والقبول، لأن فلسفة الناس تنطق بهذه العبارة: «ما كان له لينصحنا ويترك أهله»، ولقد كانت أسرة الرسول ﷺ مضرب المثل في تطبيق شرع الله عز وجل، لأن الرسول القائد غرس فيهم غراس التقوى، فآثروا ما عند الله على ما في الدنيا من رفات لم يكتب له البقاء.

الرسول ﷺ زوجا

البناء الأسري في صورة الزواج الصحيح هو الأساس الطبيعي لبقاء النوع البشري واستمرار الحياة، فالغريزة الجنسية ليست غاية في ذاتها بل هي وسيلة لثمرة، وتلك الثمرة هي استمرارية حياة البشر بصورة تنسجم مع الأولوية والكرامة الإنسانية التي قضى الله بها، وتعدد الزوجات في حياة رسول الله ﷺ لم يكن إلا لأهداف تتصل بالتشريع أو بتقويم بعض التقاليد المتصلة بالقبائل العربية، وقد أكد الشيخ محمد الغزالي أن النبي ﷺ بعد أن انتقلت السيدة خديجة رضي الله عنها إلى جوار ربها، وأحب أن يتزوج، لم يكن البحث عن الرغبة، هو الباعث له على تخير شريكته في حياته... بل الباعث الأول كان الارتباط بالرجال الذين آزروه في دعوته وعاونوه في رسالته، فاختار عائشة بنت أبي بكر - على صغر سنها - واختار حفصة على قلة وسامتها (١)... ولا غرو أن لكل زوجة من الزوجات الأخريات ظروفها الخاصة بها، ولابد أنها تتصل اتصالا وثيقا بالتأسيس لهذا الدين الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده (٢).

النساء شقائق الرجال

ولما كانت الأسرة تمثل اللبنة الأولى في بناء الأمم فإن المرأة هي التي تمثل مخرج هذه اللبنة، وإنها قسيمة الرجل في بناء المجتمع، وأكد الرسول ﷺ أن النساء شقائق الرجال، وانطلاقا من هذه الحقيقة المسلم بها كان يتعامل عليه الصلاة والسلام مع زوجاته، وقد استطاع

أن يؤقلم زوجاته على ما يرضي الله ورسوله، رضا واقتناعا لا تشوبهما شائبة تعكر هذا المنهج، وكان بما أوتي من حكمة يعرف كيف يسوس نساءه وكيف يملك عليهن حياتهن، فقد جعل القرب منهن وسيلة من الوسائل الدالة على اهتمامه بهن وحبه لهن، فقد كان ﷺ يلاطف نساءه ويشعرهن بقربه منهن واهتمامه بهن.

بالعدل والتقوى تستقيم الأسرة

وقد كان ﷺ بما أوتيه من حكمة خبيرا بالنفس البشرية، وما يصلحها وكان على دراية تامة بمفاتيح كل شخصية يتعامل معها، ولذا كان يعلم جيدا أن الدخول في قلوب الآخرين وامتلاك عواطفهم لن يكون بالمال أو بالجاه ولا بالسلطان، وإنما بالحب الخالص والمودة الصافية، وإنكار الذات والاعتراف بحق الآخر، وعدم تجاهله، وفوق هذا كله نشر العدل والمساواة، وقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في تحقيقه لقيمة العدل بين زوجاته فقد روت كتب السيرة أنه كان يعدل بينهن فلا يبقى عند أية واحدة منهن سوى يوم واحد في الأسبوع. وليس أبلغ من عدالته بين زوجاته من رعايته للأمور المعنوية التي يتجاهلها الكثيرون، ولم تكن في حسبان أحد من بني البشر، فيذكر أنه لو زار في إحدى الليالي إحدى زوجاته للسؤال عنها، فإنه كان يطوف على زوجاته الأخريات أيضا للسؤال عنهن، إذ لم يكن يظهر أي فرق من ناحية معاملته لهن، وكانت كل واحدة منهن ترى أنها أقرب إلى قلب الرسول ﷺ وكان هذا ينبع من مروءته التي لا مثيل لها. وهذا الخلق القويم الذي اتسم به جعله يحاسب نفسه فيستكبر الصغائر، من منطلق أن حسنات الأبرار سيئات المقربين، وهو أقرب المقربين من ربه سبحانه وتعالى.

وبلغ من عدالته مع زوجاته حدا لا يحلم به من اتصفوا بالعدل والإنصاف من بني البشر قاطبة، ففي الوقت الذي ينسى فيه كل شيء، وينشغل فيه الإنسان بنفسه، نرى رسول الله ﷺ وقد وافق فترة مرضه يوم زيارته للسيدة عائشة رضي الله عنها ولم يطل مرضه؛ إذ اشتد هذا المرض يوما بعد يوم، وبدأ يتقلب من ألم صداع شديد... وحتى في هذه اللحظات لم يترك سلوكه الرقيق تجاه زوجاته، فطلب منهن الإذن في البقاء في غرفة عائشة لعدم استطاعته زيارتهن، فوافقن على طلبه. وهكذا قضى الرسول ﷺ آخر أيامه في غرفة السيدة عائشة رضي الله عنها.

وبرغم حرصه الشديد على تحقيق العدالة المطلقة بين زوجاته فإنه كان يخشى على هذه العدالة هوى نفسه أو جنوح عواطفه نحو إحداهن وهو يكلف نفسه ما لا يطاق، لأن الإنسان قد يعجز عن التحكم في عواطفه أو هوى قلبه، ولذا كان يقول مستغفرا الله عز وجل: «اللهم هذه قسمتي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك» (٣). وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عظمته وأن في قلبه الخير الكثير، لأن من كانت هذه صفاته فإنه يرى كل ما يبذله قليلا مع أنه لا يألو جهدا في نشر الخير، بعكس الذي يظن أنه يفعل الخير وهو عنه براء، وقد زين له الشيطان أعماله، ولاشك أن هذا نابع من عقيدته الراسخة وإيمانه بأنه لن يفلت من عدالة الله عز وجل أحد.

حكمته ﷺ في التعامل مع زوجاته

قلنا إن الله عز وجل قضى أن تتعدد زوجات الرسول ﷺ لأسباب وحكم تتصل بالتشريع والتقاليد والموروثات التي يريد الإسلام استئصال شأفتها من رموز المجتمع، وقد قيض له أن يتزوج من مختلف الألوان والأجناس، ومع هذا التباين الشديد في الفروق الاجتماعية والنفسية والعمرية لزوجاته إلا أنه استطاع أن يقرب بينهن، ويصلح ما قد يتوارى من الضغائن في مهج قلوبهن، لأن المرأة لن تغفر لمن تشاركها زوجها، ولنا أن نتأمل جيدا كيف استطاع الرسول ﷺ أن يسوس زوجاته، فيطيب خاطر الضعيف من نسائه وذويه عليه الصلاة والسلام، فقد «كانت صفية أم المؤمنين رضي الله عنها يهودية النشأة، وفي أحد الأيام خاطبتها زوجتان من زوجات الرسول ﷺ، وهما تعيرانها بأنها كانت يهودية «يا بنت اليهودي» فاشتكت صفية ذلك إلى رسول الله فطيب خاطرها قائلا لها: «ألا قلت: فكيف تكونان خيرا مني وزوجي محمد وأبي هارون، وعمي موسى»؟! (٤). فلنتأمل كيف تعامل الرسول ﷺ في هذا الموقف وغيره بحكمة وحنكة، فلم يزجر أيا من الزوجتين المعيرتين لهذه الزوجة، وقد بدل حالها من المذلة إلى الاعتزاز، ومن القدح إلى المدح، وبهذا يكون ﷺ قد وضع حدا لما قد تتمادى فيه بعض الزوجات، لأن الطبيعة النسائية لا تفتأ تحرك في المرأة دفائن الطبيعة فيها؛ مهما بلغت من التقى والفضل والصلاح.

الهوامش

١- فقه السيرة، محمد الغزالي، دار الريان للتراث، ط ١/ ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٤٥٢.
٢- يمكن الاطلاع على هذا الحديث مفصلا في كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، ص ٤٥٢-٤٥٥.
٣- النسائي، عشرة النساء، ٢، وأبوداود، النكاح، ٣٧، ٣٨، الترمذي، النكاح، ٤٢، الطبقات الكبرى لابن سعد، ٢/ ٢٣١.
٤- الترمذي، المناقب، ٦٣.

المصطفى البوسعيدي
باحث دراسات تربوية

الاضطراب اللغوي عند الأطفال

تعتبر اللغة بصفة عامة، نبراس الإنسان الذي يخرجه من مرحلة اللغو إلى مرحلة التعبير الذي يستخدمه حوارا للتواصل بين الأفراد والأمم، واللغة ملكة بشرية، ومهارة اجتماعية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، يتعلمها منذ يكون طفلا في مجتمعه، فتفتح شخصيته القوية وتمنحه آفاقا وفضاءات شاسعة في مخاييله.

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ (طه:٢٥-٢٦). وقال الرسول ﷺ: «إن من البيان لسحرا» (١). فالكلام نعمة به يستطيع المرء أن يعبر عن كل ما يجيش في صدره، وما يتطلبه جسده، وقيل قديما: إن المرء مختبئ

وراء لسانه؛ فإذا تكلم ظهر. غير أن إصابة بعض الأطفال باضطرابات لغوية تفسد هذه الملكة الفطرية، وهو ما سنقف عنده من خلال هذه المقالة.

معنى الاضطراب اللغوي

اضطراب اللغة يعني خللا يصيب آلة اللغة الأساسية وهي الفهم، أو اضطرابات متصلة بالتتابع اللغوي، كتنظيم جملة وراء أخرى، أما اضطراب الكلام فيعني المتاعب التي يواجهها الفرد عند النطق بالكلمات، ويعرف عمر أوكان: «اضطرابات اللغة أو أمراض اللغة هي تلك الأمراض، أو الاضطرابات العصبية أو النفسية التي تؤدي إلى انقطاع يصيب عملية التواصل» (٢).

فاضطرابات اللغة، إذن، تتميز بوجود صعوبة لدى الطفل في مجال الاستيعاب والتعبير والاستخدام الاجتماعي للغة، وبصورة تشكل عائقا لاندماج الطفل في محيطه. ويمكن لهذه الاضطرابات أن تشمل الصعوبات اللغوية اللفظية التي تعتمد على المهارات المستقبلة عند الطفل (القدرة الاستيعابية)، أو المهارات التعبيرية (القدرة الإنتاجية)، أو قد تتضمن كلا النوعين من المهارات في الوقت نفسه، لأن التعبير مبني على الاستيعاب.

أعراض الاضطراب اللغوي

من الممكن أن ترتبط اضطرابات اللغة لدى بعض الأطفال بالإعاقة الجسمية أو الحسية، مثل: الشلل الدماغي أو الصمم أو الخلل العقلي وغيرها من الإعاقات الأخرى، في حين قد يكون هناك طفل طبيعي، ولكنه يعاني من مشكلة في اللغة، ومن خلال معرفة التباينات والفروق الفردية، يمكن القول بأن الأطفال ذوي اضطرابات اللغة تظهر لديهم الأعراض والمشكلات التالية بشكل أساسي:

– تأخر الكلام وضآلة عدد المفردات.

– احتباس الكلام بأنواعه التعبيرية والنسيانية.

أنواع الاضطراب اللغوي

استنادا لأعراض اضطرابات اللغة السالفة الذكر نميز في اضطرابات اللغة بين الأنواع الآتية:

عيوب دلالات الألفاظ

فالطفل المضطربة لغته يمكن أن تظهر عيوب في ثروته اللفظية أو التعبيرية، كما قد تبدو عليه بعض أشكال القصور أو الضعف في فهم العلاقات بين الألفاظ، أو في استخدامها في فهم المتضادات والمترادفات، وفئات المفاهيم كالأغذية، والملابس، والألوان، أو قصور في استخدام الكلمات ذاتها، وتعتبر المشكلات من هذا النوع عيوبا في نظام دلالات الألفاظ، أي المشكلات اللغوية التي ترتبط بالمعاني (٣).

العيوب التركيبية البنائية

تتضمن أشكال القصور في النظم التركيبية اللغوية مشكلات في ترتيب الكلمات أو في فهم واستخدام الأنماط المختلفة من الجمل.. ومن أمثلة هذه العيوب البنائية استخدام جمل قصيرة غير تامة، مع وضع الكلمة في الترتيب غير الصحيح لها في بناء الجملة، وقد يظهر الطفل صعوبة في فهم الجمل التي تصاغ في أسئلة أو في جمل منفية أو جمل تتضمن قواعد لا يكون الطفل قد اكتسبها بعد. وبطبيعة الحال يجب وضع العمر النمائي في الاعتبار عند تحديد ما إذا كانت أخطاء قواعد اللغة تعتبر شيئا غير عادي بالنسبة لطفل ما.

عيوب النظام المورفولوجي (الصرفي)

تشمل عيوب النظام المورفولوجي مشكلات فهم أو استخدام العلامات المختلفة للتشكيل أو الصرف في الأسماء والأفعال والصفات وما إلى ذلك. في مثل هذه الحالة قد يفشل الطفل في استخدام العلامات المطلوبة، أو قد يستخدم علامات خاطئة في بناء الجمل.

اضطرابات النطق

وهي الأكثر انتشارا، حيث تصل نسبة الإصابة بها عند الأطفال حوالي عشرة في المائة، وتتجلى هذه الاضطرابات بوجود تبديل، أو تشويه أو حذف لبعض الأصوات الكلامية، وتختلف حدة هذه الاضطرابات حسب الجنس والعمر والبيئة، وهي كالآتي:

- اضطرابات إبدالية: وهي إبدال حرف بحرف، كأن يأتي في الكلمة بحرف آخر لا لزوم له، يشوه عملية النطق، كأن يستبدل الراء باللام.
- اضطرابات تحريفية: وتنتشر هذه الاضطرابات لدى الأطفال الأكبر عمرا، وتكون في حالة ازدواجية اللغة لدى بعض الأطفال، كما تنتج عن شذوذ خلقي في الأسنان والشفاه والفك، وغالبا ما يصاحب

هذه الحالات ضعف عقلي، فيصاب تكرار الكلام بالقصور، أي أن المتكلم يصبح عاجزا عن القدرة على إعادة الكلمات (٤)، وتؤدي اضطراباته إلى فقدان الكلام الإرادي، وعدم القدرة على إعادة الكلمات، ويبقى فهم الكلمات المنطوقة سليما. وكذا فقدان القدرة على الفهم.

اضطراب حاسة السمع

إن اضطراب وإعاقة حاسة السمع يمنعان الفرد من التقاط المفردات بشكل صحيح، بسبب الإصابة الكلية لجهاز السمع، الأمر الذي يؤدي إلى الصمم ويمنع وظيفة الكلام، أو إلى الإصابة الجزئية التي تعيق عملية اكتساب اللغة، مما يؤدي إلى اضطرابات لفظية أو حركية في إنتاج الأصوات، وربط الحروف بعضها ببعض.

إصابة الجهاز العصبي

من أهم إصابات الجهاز العصبي التي تؤثر سلبا على عملية الكلام. تلك التي تصيب المناطق العصبية التالية، عصب الوجه الذي يحدد حركة الشفاه، والعصب الذي يصل سقف الحلق الرخو بالحنجرة، والعصب المتصل باللسان. وهذا يؤثر على نطق الحروف التي تعتمد على اللسان في إخراجها. ويكون العلاج في هذه الحالات منوطا بطبيب الأعصاب القادر على تحديد منطقة الإصابة ومعالجتها.

الأسباب النفسية

ونذكر على رأس قائمة الأسباب النفسية التي تؤثر سلبا على اللغة انفصام الشخصية الذي يعطل اللغة، ويقود إلى البكم المرضي، تليه الأسباب النفسية المختلفة، كالغيرة الأخوية والقصور الأموي والتربية المتشددة، وسوء المعاملة (٥). والتعنيف وفقدان أحد الوالدين، ومنع الأطفال من التعبير عن رأيهم، وحرمانهم من لذة تأكيد الذات وتفعيل قدراتهم الهجائية، ولتجاوز هذه المشاكل ينبغي اعتماد بعض المهارات كما يذكرها علماء اكتساب اللغة، ومنها:

- تنمية وعي الطفل الأصم للأصوات.
- تنمية مهارة التمييز الصوتي لدى الطفل الأصم، وخاصة بين الأصوات العامة غير الدقيقة.
- تنمية مهارة التمييز الصوتي، وخاصة الأصوات المتباينة الدقيقة.

الحبسة

الحبسة أو الأفازيا هي فقدان للقدرة على فهم وإصدار اللغة، وفي هذه الحالة لا يستطيع الطفل أن يفهم اللغة المنطوقة، كما لا يستطيع أن يعبر عن نفسه لفظيا بطريقة مفهومة. وتحدث الأفازيا بعد صدمة إصابة العروق الدموية الموجودة في الدماغ، وهي قليلا ما تكون لدى الأطفال، فتطورها يظهر بشكل ملازم للكبار حتى سن العاشرة. ويمكن أن نميز بين نوعين من حالة الأفازيا:

أ- أفازيا فقدان القدرة على فهم اللغة المكتسبة أو إصدارها، وتحدث للفرد بعد عملية اكتساب اللغة.

ب- أفازيا مشكلات التواصل الاجتماعي مع الآخرين، وتكون قبل اكتسابه اللغة. وتحدث - لا قدر الله - بفعل حوادث أو وقائع اجتماعية. ويترتب عنها احتباس الكلام لدى المتكلم، مما يؤدي إلى فقدانه اللغة أو الصعوبة في النطق، إذا فهم المعنى أو القراءة أو الكتابة (٦).

اللثغة

هي إبدال حرف بآخر، كإبدال حرف السين بحرف الشين، أو الثاء والراء باللام أو العين، أو القاف بالكاف أو الهمزة، لكن غالبا ما تختفي هذه المشكلة مع نمو وتقدم قدرة التكلم، كما تعطي نوعين من اللجلجة:

- لجلجة مؤقتة، وتظهر أثناء نمو الطفل، خاصة في مرحلة تكوين الجمل بين السنة الثانية والثالثة.
- لجلجة مستمرة أو مزمنة، وتبدأ عند محاولة الأطفال للتكلم، ومن أسبابها الوراثية تلف في مراكز الكلام بالمخ، والقلق النفسي وانعدام الشعور بالأمن والطمأنينة. كما قد تكون بسبب القسوة في المعاملة، أو الخوف الشديد من شخص ما، أو التهكم والسخرية أثناء التكلم.

منتهى القول، تبقى وراء الاضطرابات اللغوية عند الطفل عدة مشاكل يصعب معالجتها، منها ما هو خلقي، ومنها ما يرتبط بالتربية التي يتعرض لها في حياته، وما قد يصادفه من أهوال ناتجة عن وضعيات صعبة في بعض الأوقات، ناهيك عن السمات الوراثية التي تكون سببا في ظهور بعض هذه العاهات.

الهوامش

١- حديث نبوي شريف.
٢- عمر أوكان، اللغة والخطاب، ص ١٧، إفريقيا الشرق، المغرب، ط ٢٠٠١م.
٣- يمكن العودة إلى كتاب علم النفس النمو، الطفولة والمراهقة، حامد عبدالسلام زهران.
٤- انظر كتاب فاروق الروسان، سيكولوجية الأطفال غير العاديين.
٥- وفيق صفوة مختار، أمراض الكلام عند الأطفال وطرق علاجه.
٦- صبحي عبداللطيف، مجلة الأم والطفل، بتصرف.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- للمجلة حق الاختصار والتعديل بما يتوافق مع المساحة المتاحة.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

د. ناجي عبد الله الخرس
باحث دراسات إسلامية

معالم أصول التربية: وصايا لقمان لابنه (١)

التربية بالقرآن

١- تحقيق التوحيد

قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ (طه:١٢-١٤).

أولا: علمه الله سبحانه وتعالى الأدب في السلوك، فاخلع نعليك، فاستمع لما يوحى.

ثانيا: علمه سبحانه وتعالى الأدب في الحديث وهو الاستماع ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾.

ثالثا: ثم أوحى إليه بالتوحيد والشريعة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾.

لقد جمع لقمان في موعظته لابنه أصول الشريعة وهي:

الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس.

ومن خلال الآيات الكريمة يمكن القول بأن هذه المواعظ من لقمان هي وصايا خمس وهي على النحو التالي:

الوصية الأولى: توحيد الله تعالى ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ (لقمان:١٣).

الوصية الثانية: بر الأبناء لآبائهم ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ (لقمان:١٤).

الوصية الثالثة: مراقبة الله تعالى في حركاته وسكناته ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ (لقمان:١٦).

الوصية الرابعة: الأمر بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على تحمل المشاق ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧).

الوصية الخامسة: التواضع لعباد الله ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ (لقمان:١٨).

تلك هي وصايا لقمان الحكيم لابنه ذكرها القرآن الكريم للتفكر والاعتبار فهل من مدكر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ (ق:٣٧).

من هو لقمان؟

عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدا حبشيا نجارا، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة فذبحها، قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح هذه الشاة، فذبحها، قال: أخرج أخبث مضغتين

فيها فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرجتهما! فقال لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. (أخرجه الطبري بسنده ومتنه).

شرح الوصية الأولى: الدعوة إلى غرس عقيدة التوحيد

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾. فالأبناء أمانة في أعناقنا جميعا أيها الآباء وأيتها الأمهات، سنسأل عنهم أمام الله تعالى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ (التحريم:٦).

فالأبوان هما المسؤولان في الدرجة الأولى عن انحراف أبنائهم خلقيا واجتماعيا وعقديا، قال ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء» (البخاري ومسلم). هذا الحديث يدل على أهمية تأثير الأبوين (تنتج البهيمة بهيمة جمعاء = أي مجتمعة الأعضاء سليمة من أي نقص).

والمعنى: أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء، وإنما يحدث النقص بعد ولادتها. (شرح صحيح مسلم).

﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ ووجه كونه ظلما عظيما، أنه لا أفظع ولا أبشع ممن سوّى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوّى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوّى من لا يستطيع أن ينعم بمثقال ذرة من النعم، بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم، وأخراهم، وقلوبهم وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو.

فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ وهل أعظم ظلما، ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة. فجعلها في أدنى المراتب؟ فظلم نفسه ظلما كبيرا.

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ (إبراهيم:٣٥).

والمراد ببنيه: ذريته وما توالد من صلبه، ومعنى واجنبني: أي اجعلني في جانب والأصنام في جانب، وهذا أبلغ مما لو قال: امنعني وبني من عبادة الأصنام لأنه إذا كان في جانب عنها كان أبعد، فإبراهيم عليه السلام، يخاف الشرك على نفسه، وهو خليل الرحمن وإمام الحنفاء. (راجع: القول المفيد، ابن عثيمين، ص ٧٦).

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئا؛ دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا؛ دخل النار» (رواه مسلم).

«من» شرطية تفيد العموم، «لقي» فعل شرط «دخل الجنة» جواب الشرط، «شيئا» نكرة في سياق الشرط، فيعم أيّ شرك، سواء أكان الشرك أكبر أم أصغر أم خفي وسواء أكان بالقلب أو باللسان أو بالجوارح.

والسؤال هل أبناؤنا واقعون في الشرك أو بعضه أم أن الأمر الذي سأقوله لكم من باب العلم، والوقاية خير من العلاج.

الجواب: أنتم أيها الآباء وأيتها الأمهات تملكون الجواب من خلال هذه الأمثلة التي سأعرضها عليكم.

الآثار السيئة لـ «البلاي ستيشن»

١- اعتقاد أن في الكون قوى خارقة تستطيع فعل أي شيء ولا يقدر عليها شيء، وفيها أن نجاة العالم كله من التدمير النووي متوقفة على بطل اللعبة، ونحن المسلمون عندنا اعتقاد جازم أن الملك المدبر المصرف في الكون هو الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الاعراف:٥٤).

٢- محبة الكفار والميل إليهم وتعظيمهم، ويأتي ذلك عن طريق محبة بعض الشخصيات التي تقوم بدور البطولة في تلك الألعاب، بالإضافة إلى الاحتفاظ بصورهم ولبس ملابسهم وغير ذلك حتى اللغة.

٣- التشبه بالكفار، ومن يشاهد أبناء المسلمين اليوم يرى ذلك جليا، فمنهم من يلبس السلاسل والقلائد في العنق، ومنهم من يسير في الطرقات العامة باللباس القصير «الشورت» ومن النساء من تتشبه بالرجال في ملابسها ومشيتها وكلامها وقصة شعرها،

وقد قال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم» (أبوداود).

٤- كثيرا ما تظهر الكنائس والأجراس والصلبان في هذه الألعاب وفيها يقدسون الأحبار والرهبان وعباد بوذا، وبعض الألعاب يلبس بعض اللاعبين الصليب ويقوم بعضهم بالتثليث حال دخولهم الملعب أو إحراز هدف، وأقل هذه الآثار أنه سوف يعتاد على رؤية مظاهر الكفر ولا ينكرها.

٥- التعدي على الغيبيات، حيث يتم في بعض الألعاب موت بعض شخصيات اللعبة ثم يجعلون روحه تخرج عن جسده على هيئه كائن شفاف ذي أجنحة ملونة ثم يصعد هذا الكائن إلى أعلى، وفي ذلك تعد على الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء:٨٥). وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النمل:٦٥).

٦- الاعتقاد في الحظ والأبراج والسحر والسحرة وغيرها من أمور الدجل والشعوذة، وكلها أمور محرمة في الشرع، قال ﷺ: «من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» (رواه أحمد)، وقال ﷺ أيضا: «من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» (رواه مسلم).

٧- التعدي على الثوابت وإهانتها.

ناهيك عن الآثار الأخرى من تضييع الصلوات وعقوق الوالدين والعنف والتخريب وحب الانتقام ومشاهدة المناظر المخيفة التي تؤثر على نفسية الأولاد، وظاهرة السب والشتم والعري الفاضح.

بالإضافة الى الآثار الصحية: ضعف البصر، والسهر المهلك للبدن، ورعشة تصيب أصابع اليدين.

العلاجات

١- الدعاء، فإنه يذهب قليل الشرك وكثيره، قال ﷺ «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه وأستغفرك مما لا أعلم» (الأدب المفرد، وأبو يعلى من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأخرجه أحمد وغيرهم).

٢- النهي عن تعليق التميمة وغيرها، عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» (رواه أحمد وأبوداود). فالتمائم: شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين. وقد جاء عن عبدالله ابن عكيم مرفوعا: «من تعلق شيئا؛ وكل إليه» (رواه أحمد والترمذي). أي اعتمد عليه وجعله همه وصار يعلق رجاءه به وزوال خوفه به، وشيئا نكرة في سياق الشرط، فتعم جميع الأشياء، والحديث جاء فيه «من تعلق» ولم يقل: من علق، لأن المتعلق بالشيء يتعلق به بقلبه وبنفسه، وليس كذلك من علق.

من حكم لقمان

- قيل للقمان: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا (البحر المحيط).

- بينما كان يعظ الناس يوما وهم مجتمعون عليه، إذ مر به عظيم من عظماء بني إسرائيل فقال: ما هذه الجماعة؟ فقيل له: جماعة أجمعت على لقمان الحكيم فأقبل إليه فقال له: ألست عبد بني فلان؟ فقال: نعم، فما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة وتركي ما لا يعنيني. فانصرف عنه متعجبا وتركه (تفسير السمرقندي).

- ذكر القاسم بن عباد بإسناده عن عبدالله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقيه غلامه، قال ما فعل أبي؟ قال: مات، فقال: ملكت أمري، قال وما فعلت أمي؟ قال ماتت. قال: ذهب همي. قال فما فعلت أختي؟ قال: ماتت. فقال: سترت عورتي. قال فما فعلت امرأتي؟ قال: قد ماتت. فقال: جدد فراشي. قال: فما فعل أخي؟ قال: مات. قال: انقطع ظهري (تفسير السمرقندي).

- قال لقمان لابنه أكثِر من قول: رب اغفر لي. فإن لله ساعة لا يرد فيها سائلا.

- وقال لابنه: حملت الحجارة والحديد والحمل الثقيل، فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء. يا بني إني قد ذقت المر كله فلم أذق شيئا أمر من الفقر.

- وقال: يا بني إن العمل لا يستطاع إلا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله.

وقال لابنه: ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: الحليم عند الغضب، والشجاع عند العرب وأخوك عند حاجتك إليه.

د. بثينة الفقي
مستشار الأسرة والعلاقات الزوجية والتدريب

خلف الأبواب المغلقة..

سيدتي أنا رجل في أوائل الثلاثينات والابن الأصغر في أسرتي، وأرسل لك رسالتي هذه لعلي أجد لديك الحل، فقد تعبت من حياتي ومن كثرة المشاكل والشجار بين أمي وزوجتي، حتى أني قد كرهت البقاء في البيت الذي أعيش فيه مع أهلي وزوجتي.

وقصتي من البداية أنني تزوجت من فتاة من أسرة طيبة، رأيت فيها مواصفات الزوجة الصالحة، وعشنا مرحلة الزواج الأولى بسعادة وتفاهم، حتى حدث الحمل وبدأت المشاكل تظهر بين أمي وزوجتي، وأنا أحاول الإصلاح والتوفيق بينهما دون جدوى، وكلا منهما تشكو الأخرى على أمور تافهة، وترى أنها على حق وأنني أميل لهذه عن تلك، ورغم أن أخي متزوج من قبلي، ويسكن معنا في نفس البيت، فإن علاقة زوجته طيبة جدا مع أمي، فضلا عن أخواتي البنات اللائي يقفن في صف والدتي، وتغيرت علاقتهن مع زوجتي بشكل كبير، لقد أصبحت عصبيا لأقل الأمور، وضعف تركيزي كثيرا، وأثر ذلك تأثيرا سلبيا على عملي وعلاقاتي مع الزملاء والأصدقاء، وأفكر فعلا في الانفصال عن زوجتي أو ترك البيت والعيش بمفردي، حتى أرتاح مما أنا فيه.. فهل لديك حلا لمشكلتي؟

ولصاحب هذه الرسالة أقول: كان الله في عونك في محاولتك التوفيق بين والدتك وزوجتك، وإنهاء الصراع اليومي المتكرر والمزعج، فمن الواضح أن سبب المشكلة بينهما هي الغيرة عليك، ومحاولة كل واحدة الاستحواذ على قلبك واهتمامك، لأن لديك أخ أكبر يعيش معكم في نفس البيت، ولا يعاني من هذه المشكلة، وتتعامل زوجته مع والدتك بشكل طيب.

أنت في حاجة للمرونة والتعامل بحكمة وعقلانية وصبر ونفس طويل مع الأمر، ولا تفكر في الانفصال لأنه قرار خاطئ.

ويمكن لأخيك مساعدتك في ذلك، وإقناع والدتك بأن تعتبر زوجتك مثل ابنتها، وتعلمها أمور البيت التي لا تعرفها، وتصبر عليها مثلما تتعامل مع زوجة الأخ الأكبر، وتراعي أن حالة الحمل الأول تكون الزوجة فيه مضطربة وخائفة ومتوترة وكثيرة النوم بسبب تغير الهرمونات في الجسم، وكما تتمنى لبناتها أن يعاملن من قبل حمواتهن (عماتهن) معاملة حسنة، فلتعامل والدتك زوجتك كذلك.

أما زوجتك فهي من أسرة طيبة كما قلت، وعليها أن تطيع والدتك وتحترمها وتنفذ ما تطلبه منها، لأنها في مكانة والدتها، وكلمة (نعم) و(حاضر) مع ابتسامة الرضا والحب، لها فعل عظيم وكبير في تحسين العلاقات الأسرية، وأن تطبق معها مبدأ: «عامل الناس كما تحب أن يعاملوك» أو كما يقول المثل الصيني: «ضع نفسك مكان غيرك، ثم خبرني كيف تشعر»، فيوما ما ستصبح زوجتك حماة (عمة)، فكيف ترضى يومها أن تعاملها زوجة ابنها، هل تقبل أن تثير معها مثل هذه المشكلات؟ ويصبح البيت لا يطاق!

وأخيرا أدعو والدتك وزوجتك إلى الهدوء والتحلي بالعقل، والتفكير الصحيح والمرونة، ونسيان كل الخلافات السابقة، والبدء من جديد بحب وتسامح وصفاء متبادل، رحمة بهذا الابن والزوج الذي يتمزق بين حبه لأمه وبره بها، وحبه لزوجته وطفله القادم، وأمنيته في العيش في بيت هادئ ومستقر بلا منغصات، فالحب يمكن أن يشمل الجميع بلا أنانية أو صراع، بل بالمودة والرحمة والألفة والتعاون والتسامح، حتى نكسب أسرة سعيدة، تحيا في رعاية عائلة كبيرة ممتدة يعيش في ظلالها الجميع بسعادة واستقرار برعاية الأجداد والجدات والأعمام والعمات والأخوال والخالات والأبناء والأحفاد، ويكبرون أسوياء في تكوينهم الشخصي على المودة والحب والحنان والاحترام.

مع تمنياتي لكم بالسعادة وراحة البال.

محمد مرهف أسد
كاتب وباحث إسلامي

البحث عن السعادة

لا يخفى ما آلت إليه أحوال الناس النفسية من تخبط وعدم استقرار، وبعد عن الطمأنينة، حتى بات من أماني كل إنسان، أن يستعيد تلك الراحة النفسية، حتى يعود للنفس هدوؤها واستقرارها وراحتها.

لقد غدت ملامح الاكتئاب تكسو وجوه الناس عموما صغيرهم قبل كبيرهم، فشاخت النفوس وهرمت، قبل أن تشيخ الأبدان والأجساد، وصارت السعادة مطلبا بعيد المنال للجميع، حتى كادت أن تنضم إلى قائمة المستحيلات، وأصبح التشاؤم من سوء الحال ديدن الصغار والشباب والكبار، لتكون إجاباتهم عند سؤالهم عن السعادة، انعكاسا للضغوط التي يعيشون، فترى التنهد والأسى والبؤس، يتقاطر مع الإجابة النافية للسعادة عن أحوالهم.

ولأهمية هذا المطلب الذي نأى عن الأفراد والمجتمعات، سنحاول التعرف على بعض معالمه، وكيفية امتلاكه والوصول إليه.

ما هي السعادة؟

السعادة شعور ينبع من داخل النفس البشرية إذا شعرت بالرضا والسكينة والطمأنينة والبهجة والانشراح، وهي منحة إلهية نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر والباطن.

وهي من الأمور التي اختلف الناس حولها؛ واختلفت تصوراتهم باختلاف طباعهم واهتماماتهم وتطلعاتهم، وحتى تنوع واقعهم ومجتمعاتهم، فتنوعت تبعا لذلك تعابيرهم عنها.

فنرى كثيرا من الناس يفنون حياتهم - حسب تلك التصورات - في دروب الحياة الكثيرة بحثا عن السعادة، فمنهم من يراها قرينة اللذة أو الراحة أو الصحة أو المال أو المنصب أو الشهرة، وآخرون يعطونها معنى القرب من المحبوب والزوجة والأولاد، أو في الدراسة والعمل، وربما يراها آخرون في خلوة روحانية، أو في مساعدة فقير، أو سعي في حاجات الناس ومحاولة حلها.

فمدلول السعادة مختلف من إنسان إلى آخر، ويأخذ مناحي مختلفة بحسب اختلاف التصورات والأفكار والبيئات والمجتمعات.

ولعل اختلاف الناس ليس وليد العصور المتأخرة فحسب، فلو تتبعنا تعريفات الفلاسفة القدماء للسعادة لوجدنا كذلك تنوعا في التعاريف، يبقي المعنى متنوعا متحولا ليشمل العديد من الأمور والنواحي.

فقد اعتبر أفلاطون السعادة هي فضائل النفس (الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة) واعتبر أن الإنسان لا يسعد السعادة الكاملة إلا بعودة روحه إلى العالم الآخر.

أما أرسطو فاعتبر السعادة هبة من الله وهي تتكون من خمسة أبعاد:

١ - صحة البدن وسلامة الحواس.
٢- الحصول على الثروة وحسن استخدامها.
٣- النجاح في العمل وتحقيق الطموحات.
٤- سلامة العقل وصحة الاعتقاد.
٥- السمعة الطيبة والاستحسان من الناس.

وحتى نحاول الوصول لتحديد المفهوم، سنحاول التعرف على مقومات السعادة ومعالمها.

أركان ومقومات السعادة

للسعادة مقومات وأركان لا تقوم إلا بها، منها المعنوية ومنها المادية، وقد يستشعر المرء بعض ملامح السعادة إن امتلك

ما يلي:
١- أن يتمتع بطيب النفس، ونقاء الضمير، والإرادة الخيرة التي تجعل صاحبها مطمئنا واثقا بنفسه، متجها إلى الله سبحانه وتعالى في أقواله وأفعاله، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه:١٢٣-١٢٤).
٢- أن يقدر قيمة التعاون على البر والتقوى والتفاني في خدمة عباد الله سبحانه وتعالى، متجنبا التعاون على الإثم والعدوان، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (النحل:٩٧).
٣- أن يبتعد عن أمراض النفس كالتكبر والحسد والبغضاء والغضب، ويوقن بقيمة التواضع، والألفة والمودة بين الناس.

يا متعب الجسم كم تسعى لخدمته
أتعبت جسمك فيما فيه خسران
أقبل على الروح واستكمل فضائلها
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

٤- أن يؤمن الإنسان بالقدر خيره وشره، ويؤمن بأن ما يحدث له من أحداث أيا كانت فإنها مقدرة من الأزل، مع الأخذ بالأسباب دون الاعتقاد بها، مع إدراك أن الأسباب والنتيجة المترتبة عليها بيد مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، وفي هذا يقول المولى عز وجل في سورة الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ (الحديد:٢٢-٢٣).
٥- أن يوقن الإنسان أن الخير من منظور البشر قد يختلف أحيانا عما يريده الله سبحانه وتعالى له، وفي هذا يقول المولى عزوجل: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩).
٦- أن ينظر الإنسان إلى من هو أسفل منه ولا ينظر إلى من هو أعلى منه في الرزق والصحة وغيرها، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله» (رواه مسلم).
فبهذه النظرة يزول القلق والهم، ويزداد السرور بنعم الله عزوجل.
٧- ضرورة الاعتقاد أن السعادة ليست قاصرة على الجانب المادي فقط، فالجانب المادي وسيلة وليس غاية في ذاته، فلا ينبغي الاهتمام به على حساب جوانب قد تكون أولى منه في الاهتمام.

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

وقد لخص النبي ﷺ أسباب السعادة تلخيصا بليغا، لم يهمل فيه الجوانب المادية فيها، فقال ﷺ: «من بات آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها».
٨- ضرورة تجنب الوحدة والفراغ قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».
وروى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ، «نهى عن الوحدة: أن يبيت الرجل وحده، أو يسافر وحده».
وقد قيل:

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني
أحب إلي من لبس الشفوف

٩- الاهتمام بعمل اليوم الذي يعيشه المرء، وأن يترك التفكير بقابل الأيام أو ما أدبر منها، فذلك مدعاة لترك الخوف من المستقبل أو الحزن على الماضي، قال ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» (رواه مسلم).
١٠- العناية بذكر الله في السر والعلن، فإن ذلك من أكبر الأسباب لانشراح الصدر وطمأنينة القلب، وزوال الهم والغم، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).
بعد التعرف على مفهوم السعادة ومقوماتها، لايزال من الضروري إزالة اللغط حول الخلط الذي يقع به الكثيرون بين مفهومي السعادة واللذة، لاشتراكهما في بعض الخصائص، وعدم معرفة التمايز بينهما.
فهما يجتمعان من جهة أن كل منهما يدخل السرور إلى النفس، ولكنهما يفترقان حيث إن اللذة تنال بسرعة، وتذهب نشوتها فورا بعد الانتهاء من سببها، وربما حصلت بعدها ندامة وتعاسة، أما السعادة فتظل تصاحب صاحبها فترة ليست بقليلة.
وكمثال على ذلك، لذة الشهرة، فأن تكون مشهورا معروفا بين الناس، يقدمك الناس في المجالس ويمدحونك.. كل ذلك نوع من اللذة، لكن كم من صاحب شهرة أو مال أو منصب أو جمال، تراه كئيبا تعيسا، يقوده سوء حاله لينهي همه وغمه وتعاسته بالانتحار، وكم من أمثلة في واقعنا تبين ذلك وتوضحه.
سيظل الإيمان والوعي هما الأساسان الجوهريان في تمييز السعادة الحقيقية عن اللذة أو النزوة العابرة، لاسيما مع ما يضخه الإعلام بمختلف مناحيه لتسويق اللذات المختلفة على أنها عين السعادة وجوهرها، بهدف السيطرة على العقول والتحكم فيها.

سهير أبو بكر الشاذلي
باحثة وكاتبة صحافية

الطعام في الثقافة الإسلامية

تقديس الطعام يصل إلى منتهاه في رمضان حيث يتزامن وقت الصلاة مع تناول الطعام أو الامتناع عنه، فالدعوة إلى صلاة المغرب إيذان بتناول الطعام، والدعوة إلى صلاة الفجر إخبار بضرورة الامتناع عنه.

الطعام عطاء إلهي، منة ونعمة من الله، وسبب من أول أسباب استمرار الحياة، وهو في كثير من الأحيان رمز من رموز الأمم والثقافات، من خلاله يستطيع الراغب تمييز هذه الثقافة عن تلك، بل حتى داخل البلد الواحد، وفي الأكلة الواحدة يستطيع المراقب، الخبير، تمييز بهارات وطريقة إقليم عن إقليم، واختلافاته، فالطعام تاريخ يماشي تاريخ الأمم وليس مجرد مضغ وهضم يقي لسعة الجوع.

وللطعام في القرآن تفصيل واضح، لاسيما أنه ارتبط بالمعصية الأولى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (طه: ١١٥)، وبين سبحانه حلاله من حرامه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (المائدة: ٩٦)، وما على المسلم من حقوق: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١)، والآيات تؤكد على رمزيته وتوسله لإقامة الدين، فإذا ما تحول الى غاية غلبت حيوانية المسلم إنسانيته: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ (محمد: ١٢).

الطعام في السنة النبوية

قال ﷺ: «إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وإذا شرب فليشرب بيمينه، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله» (رواه مسلم).

وقال ﷺ: «سم الله وكل بيمينك، وكل مما يليك» (متفق عليه).

وقال ﷺ: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه (رواه أبو داود).

وقال ﷺ: «لا آكل متكئا» (رواه البخاري).

وقال ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية» (رواه مسلم).

وعلى هذه الأحاديث فإن للطعام في السنة النبوية آدابا كثيرة نذكر منها:

١- غسل اليدين قبل الطعام وبعده.

عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده» (رواه الترمذي).

٢- التسمية في أول الطعام ثم استحضار النية من الأكل، والدعاء بالمأثور.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله: إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإذا نسي أن يذكر الله تعالى في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره» (رواه أبو داود والترمذي).

٣- الأكل من الطعام الحلال الطيب، والحذر من الطعام الحرام كالمسروق والمشبوه والمأخوذ حياء.

عن كعب بن عجرة أن رسول الله قال: «كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به» (رواه الترمذي).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان لأبي بكر غلام، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يوما بشيء فأكل منه، فقال له الغلام أتدري ما هذا؟ فقال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لقوم فأعطوني. فأدخل أصابعه في فمه وجعل يقيء حتى ظننت أن نفسه ستخرج، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما حملت العروق وخالط الأمعاء» (رواه البخاري).

٤- الأكل من الطعام الجيد النظيف، والحذر من تناول الطعام الملوث أو المكشوف، أو تناول الخضار والفواكه إلا بعد غسلها بشكل جيد.

٥- الأكل باليد اليمنى، وبثلاث أصابع منها يلعقها قبل مسحها أو غسلها.

عن كعب بن مالك قال: «رأيت رسول الله يأكل بثلاث أصابع، فإذا فرغ لعقها» (رواه مسلم).

٦- الأكل مما يلي من الطعام، دون مد اليد إلى ما كان في جوار الآخرين، أو إلى وسط الإناء.

عن عمر بن أبي سلمة قال: «كنت غلاما في حجر رسول الله، فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي: يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» (متفق عليه).

٧- تصغير اللقمة، وإجادة المضغ، وعدم تناول لقمة أخرى قبل الفراغ من تناول اللقمة السابقة وابتلاعها.

٨- تجنب النفخ في الطعام الحار، وعدم تناول الأطعمة شديدة الحرارة وشديدة البرودة.

٩- تجنب الاقتراب بالفم فوق الإناء، لئلا يسقط فيه من الفم شيء.

١٠- الجلوس إلى الطعام باعتدال، وتجنب الأكل متكئا أو مائلا أو واقفا أو مضطجعا أو ماشيا.

عن وهب بن عبدالله قال: قال رسول الله: «لا آكل متكئا» (رواه البخاري).

١١- تجنب ذم شيء من الأطعمة، فهي من نعم الله تعالى، عن أبي هريرة قال: ما عاب رسول الله طعاما قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه (متفق عليه).

١٢- تجنب الاستهتار بالنعمة مهما قلت، والمحافظة عليها مهما دقت، والحذر من إلقاء ما بقي منها بعد الطعام في سلات المهملات.

عن جابر أن رسول الله أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة» (رواه مسلم).

١٣- تجنب الإكثار من الطعام والإسراف في تناوله إلى حد التخمة، لأن البطنة تذهب الفطنة وتورث الأمراض.

عن المقداد بن معد يكرب قال: قال رسول الله: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن لم يفعل فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» (رواه الترمذي).

١٤- تجنب التفاخر في أنواع الأطعمة، والتباهي في أطايبها، لأن في ذلك كسر لقلب الفقير، وتشبها بالكفار الذين لا يعرفون من الدنيا إلا اللذائذ والشهوات.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله: «كل واشرب، والبس وتصدق في غير سرف ولا مخيلة» (رواه أبو داود).

١٥- التحدث على الطعام بما يفيد من حكايات الصالحين، والأمر بالمعروف والخير.

١٦- تجنب الضحك والقهقهة أثناء الطعام، أو الاستهزاء بأحد أو استغابته، أو النظر في وجوه الحاضرين.

١٧- تجنب إدخال الطعام على الطعام مهما كان قليلا، لضرره الصحي البالغ.

١٨- تجنب النوم بعد الأكل مباشرة، أو الاستحمام أو القيام بأعمال جسدية أو فكرية مجهدة إلا بعد نيل قسط من الراحة.

ولعل أهم شيء يمنحه الله للإنسان الرزق أو النعمة، ويدعوه إلى أن يستفيد منه حسب ما تم تحليله وتحريمه. وكما أنه يمنحه له في الدنيا: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢)، فإنه يمنحه إياه الآخرة دون اشتراط العمل الذي يكسب به الإنسان الرزق في الدنيا؟ فصورة الجنة ترتكز على مكونين اثنين: الرزق (الثمرات) والحور العين. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥).

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة الزهراء

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الزهراء» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة الزهراء للشيخ محب الدين الخطيب، مجلة علمية أدبية اجتماعية شهرية، تعنى بوجه خاص بالأبحاث العربية والإسلامية والشرقية، قاومت التغريب ورموزه الذين أرادوا بثه في الأمة العربية، صدرت لمدة خمس سنوات فقط من عام (١٣٤٣ - ١٣٤٩ هـ) الموافق (١٩٢٤ - ١٩٣٠م). إلا أن عطاءها كان وافرا نافعا، وذلك بفضل مجهودات صاحبها وأصحاب الأقلام التي كتبت فيها وغردت على صفحاتها، فقد كتب فيها كوكبة من أدباء العرب والمسلمين في العصر الحديث أمثال: مصطفى صادق الرافعي، وشكيب أرسلان، والشيخ محمد الخضر حسين، وأحمد تيمور باشا، وعبدالعزيز الميمني الراجكوتي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، وخير الدين الزركلي وغيرهم كثير من أعلام الشعر والنثر في العالم العربي والإسلامي.

مؤسسها

هو محب الدين بن أبي الفتح بن عبدالقادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب، أصل أسرته من بغداد، هاجرت أسرته إلى «حماة» في بلاد الشام، ولد في دمشق بحي القيمرية سنة (١٣٠٣هـ) الموافق لـ(١٨٨٦م)، نشأ محب الدين الخطيب في هذه الأسرة الكريمة ذات الدين، والخلق، والعلم، فقد كان أبوه

الشيخ أبو الفتح الخطيب من أفاضل رجالات دمشق، وكان أمين دار الكتب الظاهرية، وتولى التدريس والوعظ في الجامع الأموي، له «مختصر تاريخ ابن عساكر» في خمسة أجزاء، و«مختصر تيسير الطالب» و «شرح للعوامل»، وأمه السيدة آسية الجلاد، تقية صالحة مشهورة بالفضل وعمل الخير، توفيت بعد أن أدت فريضة الحج، وكان محب الدين طفلا صغيرا، ماتت وهو في حجرها.

عند رجوعه إلى دمشق من رحلة الحج ألحقه والده وهو في السابعة بمدرسة «الترقي النموذجية» وحصل منها على الابتدائية، ثم التحق بمدرسة «مكتب عنبر»، وبعد سنة توفي والده، فترك المدرسة ولازم العلماء، وممن لازمه الشيخ طاهر الجزائري الذي كان له الأثر الكبير في تشكيل وبناء شخصية محب الدين، حتى كان يقول: من هذا الشيخ عرفت إسلامي وعروبتي.

وبعد أن أنهى الخطيب دراسته الثانوية عام (١٩٠٦م) في بيروت، انتقل إلى عاصمة الخلافة «إسطنبول» المعروفة يومئذ بـ «الأستانة»، وهي «القسطنطينية»، والتحق بكليتي الآداب والحقوق.

وبعد أن أنهى الشيخ ثلاث سنوات في الأستانة عاد إلى دمشق، ثم رحل إلى اليمن، وفي طريقه زار مصر والتقى الكثير من علمائها ورجالاتها، أمثال: محمد كرد علي ورشيد رضا.

وفي سنة (١٩١٣م) أسس رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد، فالتحق بها محب الدين ودرس فيها، وفي سنة (١٩١٨م) عاد إلى دمشق وتولى إدارة وتحرير جريدة العاصمة، وفي (١٩٢٠م) دخل الاحتلال الفرنسي دمشق، فغادر الشيخ إلى مصر، واستقر بالقاهرة، فعمل في جريدة «الأهرم» خمس سنوات، وأسس بعدها المكتبة السلفية ومطبعتها، وأسس مجلة «الزهراء» التي هي بين أيدينا، ثم أسس مجلة «الفتح»، التي دامت (٢٥) سنة.

وبعد ثلاث وثمانين سنة قضاها في البحث، والتحرير، والتأليف، ضد أعداء الإسلام والعروبة توفي الشيخ يوم (٢٢) شوال سنة (١٣٨٩هـ) الموافق لـ (٣٠) ديسمبر عام (١٩٦٩م)، بالمستشفى في مصر بعد إجراء عملية جراحية رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عما قدمه خير الجزاء.

أعماله

- تحرير جريدة المؤيد.
- إدارة وتحرير الجريدة الرسمية «العاصمة» بدمشق.
- تحرير جريدة «الأهرام» بمصر.
- أصدر مجلة «الزهراء» الشهرية.
- أصدر جريدة «الفتح» وهي مجلة إسلامية أسبوعية.
- تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر.

آثاره

على الرغم من حياة الترحال التي عاشها الشيخ، إلا أنه استطاع كتابة عشرات المقالات والأبحاث التي لم تجمع في كتب، وتمكن من التأليف والتحقيق والترجمة للعديد من الكتب. فمن أهم أعماله ما يلي:

١- كتاب توضيح الصحيح، وهو شرح الصحيح البخاري بقلمه.

٢- كتاب الحديقة، وهو مختارات في الأدب الإسلامي في مختلف العصور وفي مختلف الموضوعات.

٣- كتاب مع الرعيل الأول.

٤- كتاب اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب.

٥- كتاب البهائية.

٦- رسالة الجيل المثالي.

٧- حملة رسالة الإسلام الأولون.

٨- الغارة على العالم الإسلامي - ترجمة.

٩- تاريخ مدينة الزهراء.

١٠- الأزهر ماضيه وحاضره.

١١- مراسلات بينه وبين الأمير شكيب أرسلان، بلغت ألف رسالة.

وله تعليقات قيمة على كتب عديدة منها:

١- تعليقاته الرائعة على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي المالكي.

٢- تعليقات على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي.

٣- وتعليقات على مختصر التحفة الاثني عشرية للألوسي.

٤- وتعليقات على كتاب الإكليل للهمداني.

خرج أحاديث كتاب الأدب المفرد للبخاري، وكذلك طبع فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر، مع الإشارة إلى الأبواب التي تفرقت فيها الأحاديث، بالتعاون مع محمد فؤاد عبد الباقي.

والمئات من المقالات التي كتبها في موضوعات شتى خلال عمره المديد في الزهراء والفتح والأزهر وغيرها من الصحف والمجلات.

محتوى «الزهراء»

كما هو مطبوع على غلاف المجلة فقد احتوت مجلتنا هذه على موضوعات علمية وأدبية واجتماعية.

جاء في عددها الأول بعد الافتتاحية التي كتبت بخط منشئها محب الدين الخطيب؛ موضوع بعنوان «الحقيقة الواحدة»، وهو نص لأمير الشعراء أحمد شوقي في الرد على الملاحدة ومن تابعهم.

وكذلك نشر في نفس العدد موضوع «سكان البلاد العربية الأقدمون واللغة التي كانوا يتكلمون بها»، وهو موضوع تاريخي واجتماعي.

وبعده موضوع «العرب يجهلون ديارهم»، وهو موضوع يبحث في أسماء الأماكن في البلدان العربية والفرق بين نظرت من كتب عنها من العرب وبين من كتب عنها من غير العرب.

ثم جاء بعده موضوع في الشعر بعنوان «التخليط في الشعر»، وهو موضوع علمي عن مسألة الخلط في رواية الشعر ونسبته إلى قائله.

بعد ذلك «شباب العرب» وهي خطبة ألقاها الدكتور منصور فهمي في مدرسة روضة المعارف في القدس عام (١٣٤٢هـ)، إلى غيرها من المواضيع المختلفة.

ومن هذا نرى أن المجلة احتوت على مواضيع مختلفة ومفيدة ونافعة، وهذا طيلة مدة صدورها.

نسخة «الوعي»

تزين رفوف مكتبة المجلة بنسخة كاملة من أعداد هذه الدرة النفيسة، وقد جمعت أعدادها في (٥) مجلدات، وهي متاحة لقرائها الكرام.

المصادر:

مجلة الزهراء.

تاريخ الصحافة الإسلامية لأنور الجندي.

الأعلام للزركلي.

موقع شبكة الألوكة.

الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

د. عمرو عبد الكريم سعداوي
دكتوراه في الفكر الإسلامي

في قضايا حقوق الإنسان

جاءت الرسالة الإسلامية تحريرا كاملا للإنسان، تحريرا على مستوى الأفكار والمفاهيم والتصورات، فكان التوحيد الخالص قمة التحرر الإنساني من أوهام الشرك والعبودة لغير الله، وأساطير الأقوام السابقين، فحرر الإسلام العقل من أسر الخرافات والمفاهيم البالية، وحرر الإرادة الإنسانية من كل ما يحول دون كمالها واستوائها، وحرر مطلق الإنسان بأن عمل على تجفيف منابع الرق، وساوى بين البشر كما قال ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى».

كما كانت الرسالة الإسلامية تخفيفا ووضعا للأعباء والأحمال في باب التكاليف الشرعية عن الرسالات السابقة كما قال الله سبحانه: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٧٥)، كانت -أي الرسالة الإسلامية- كذلك تفكيكا لقيود وإسار كثيرا من الفئات الاجتماعية فقال ﷺ: «الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من التراب»، وذلك لتأكيد قيم المساواة بين الناس جميعا بحكم وحدة الأصل الإنساني.

وكانت الرسالة الإسلامية تحريرا للإنسان على مستوى الوجدان والمشاعر، فأكدت أنه لا خوف إلا من الله، ولا رهبة من سواه، ولا محبة إلا فيه، ولا كراهية إلا لمن عاداه وحاد شريعته، فحرر قلب الإنسان، وجعله محراب لا يعبد ولا يذكر فيه إلا الله، وجعل القصد والخوف والرجاء والخشية والرهبة والإنابة من قمم العبادات القلبية التي أمر بها، وحرص المؤمنين عليها حتى لا تصرف لغير الله، ولا يقصد بها إلا هو سبحانه.

شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين حركة دفع متزايدة تجاه قضايا حقوق الإنسان على مستوى العالم، ووقع العالم الإسلامي بين سندان واقع لا يعبر عن الإسلام من ناحية فلسفة ونوعية الحقوق والواجبات الإنسانية، وبين مطرقة الدعوات الغربية التي تريد أن تفرض عليه نمطا مختلفا لتلك الحقوق، ولا يمكن لهذا العالم المتعدد الدول والشعوب أن يساير الدعوات الغربية التي تحمل فلسفات عقدية وسلوكية مختلفة لتلك الحقوق، وهنا كانت أزمة كثير من بلدان العالم الإسلامي الحقيقية.

الرؤية الغربية

إن أخطر ما في الرؤية الغربية لقضايا حقوق الإنسان التي تقوم على تسويقها منظمات الأمم المتحدة ووثائقها المتعددة في هذا المجال: أنها تريد أن تفرض نمطا واحدا ووحيدا على مختلف بقاع المعمورة وحضاراتها، فعبر هذه المؤتمرات والوثائق تسعى الأمم المتحدة إلى إرساء قواعد كونية تنظم وتحكم السلوك البشري (الأخلاقي والقانوني) في العالم كله، في كل مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية وغيرها، حيث استهداف مظان التوجيه والسيطرة على السلوك الإنساني، سواء بصفته الفردية، أو في إطار الأسرة والمجتمع، بعد أن تعاد صياغتها بما يوافق الرؤية الغربية.

ولعل ذلك ما جعل الرؤية الغربية التي تسوقها الأمم المتحدة لقضايا ومفاهيم حقوق الإنسان لا تحظى بإجماع دولي إلا تحت أساليب الفرض والوصاية التي تمارسها القوى الدولية حيث الرغبة الجامحة في تسييد القيم والمفاهيم الغربية التي تقوم فلسفتها للإنسان، باعتباره كائنا ماديا يستمد قيمه وأفكاره من القوانين الطبيعية المادية، ويخضع لنفس الظروف المادية، وللحتميات الطبيعية دون غيرها.

وهي فلسفة في مجملها تمثل جوهر مفاهيم الحضارة الغربية، ونظرتها للإنسان والكون والحياة، وتصوراتها للخالق، ومساحات الثابت والمتغير في الحياة الإنسانية، حيث الصراع هو ما يحكم العلاقة بين البشر.

والفردانية (بمعنى النظر للإنسان كفرد، وليس كعضو في أسرة ولا مجتمع) هي ما تسود، فلا اعتبار لأسرة ولا مجتمع ولا مرجعية شرعية وتشريعية عليا، حيث الإنسان في التصور الغربي الكلي مشرع نفسه، وهو الذي يحدد حقه، رافضا أن يكون شرعه منزلا من

السماء، والمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة إلى درجة التماثل أو التطابق التام، تشمل جميع مناحي الحياة، كحل أوحد وأساس، تقوم على رفض حقيقة وجود تمايز في الخصائص والوظائف بين الرجل والمرأة.

الرؤية الإسلامية

أما التصور الإسلامي لقضايا حقوق الإنسان فهو: تصور شامل بشمول الشريعة التي يعبر عنها، كامل بكمال مصدريه الرئيسيين: قرآنا وسنة، يتواكب مع الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، يعبر عن أشواق الإنسان في الحرية والكرامة بقدر ما يعبر عن حقوقه في الاستناد إلى مرجعة إلهية تضمن سداده وتحمي خياره.

وأهم ما في الرؤية الإسلامية في قضايا حقوق الإنسان: أنها رؤية تقرن بين الحقوق والواجبات، فليس هناك نظام للحقوق لا يقابله نظام للواجبات، بل إن كل حق يقابله واجب، وهذه الفلسفة: فلسفة الحقوق والواجبات المتقابلة هي ما تمنح الشريعة الإسلامية كمالها واستوائها وديمومتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وهو ما يعبر عنه بخالدية الشريعة القائمة على خاتميتها.

إن شريعة الإسلام قد بالغت في ضمان حقوق الإنسان حتى جعلت من تلك الحقوق مقاصد عليا للشريعة وضرورات، ومن ثم أدخلها -كما تقول د. هبة رؤوف عزت- في إطار الواجبات، فالمأكل والملبس والمسكن والأمن وحرية والتعبير والمشاركة في صياغة النظام العام للمجتمع، كل هذه أمور نظر إليها الإسلام لا باعتبارها فقط حقوقا للإنسان يمكن السعي للحصول عليها والمطالبة بها، بل هي ضرورات واجبة للإنسان، والمحافظة عليها هي محافظة على ضرورات وجوده التي هي مقاصد الشرع، فضلا عن حفظ حاجيات هذا الوجود بوضع أحكام العلاقات الإنسانية في سائر المعاملات.

وأخيرا، حفظ تحسينيات الوجود الإنساني من مكارم الأخلاق ومحاسن العادات. أما على صعيد حقوق الإنسان الخاصة بالمرأة فمن منطلق رؤية كلية أعطى الإسلام النساء حقوقا كاملة في أربع دوائر مجالات:

المجال الإنساني: اعترف بإنسانيتها كاملة، لجعلها والرجل سواء بسواء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ (النساء:١)، وقال النبي ﷺ: «النساء شقائق الرجال» (رواه الترمذي).

المجال الاجتماعي: فتح لها باب العمل الاجتماعي من جميع جوانبه.

المجال الاقتصادي والقانوني: حيث أعطاها الإسلام الأهلية الكاملة بما لها من قدرات عقلية ونفسية وجسدية تؤهلها لهذا.

المجال الأسري: اعتنى الإسلام أيما عناية بالبنت قبل الزواج، فأوجب على الأب رعاية ابنته وحمايتها وتعليمها والإنفاق عليها إلى أن تتزوج، وأعطاها حق اختيار زوجها، واشترط موافقة الولي أو علمه عند زواجها لأول مرة؛ مساعدة لها في التأكد من صلاحية الزوج، وقدرته على القيام بمسئولياته؛ لغلبة عاطفتها، وعدم تجربتها الزواج من قبل، اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، (سيداو) (CEDAW) رؤية نقدية من منظور شرعي، اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل).

أما الفلسفة العامة التي تحكم الحياة والسلوك الإنساني خاصة بين الرجل والمرأة، فقد قامت على المساواة في الحقوق: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨) فقد خلقا من نفس واحدة، لهما مهمات مشتركة كنفس إنسانية واحدة، ومع ذلك فلكل منهما مهمات مختلفة (كذكر وأنثى)، وهي تفرقة في الأدوار أو الوظيفة الموكلة لكل منهما؛ نتيجة اختلاف تكوين كل منها في طبيعة الخلقة بدنيا ونفسيا، وعواطف ومشاعر وقدرات مختلفة، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ففي هذه الأمور ليس ثمة تماثل ولا تطابق بين الرجل والمرأة، وهو ما يحتم عقلا ومنطقا ومصلحة أن يكون لكل منهما وظيفة تلائم طبيعته، ولا تتنافر معها، وذلك حتى يكمل كل منهما الآخر داخل منظومة متعددة الوظائف، بدلا من أن يكرر كل منهما الآخر، مما يخلق مجتمعا أحادي الجانب خلافا لمقتضى الفطرة، ويؤدي إلى تفكك وانهيار الأسرة ثم المجتمع.

إن الرؤية الإسلامية لقضايا حقوق الإنسان الخاصة بالمرأة تقوم على أنها والرجل صنوان في الحقوق الإنسانية العامة، وفي خطاب التكليف، وفي الثواب والعقاب، كما وضع الإسلام قيما وضوابط وآدابا عامة لتنظيم العلاقة بينهما وضبطها، ويظل أهم ما يميز الرؤية الإسلامية عن الرؤية الغربية في باب حقوق الإنسان أنها: تنظر إلى هذه الحقوق على أنها عقيدة راسخة وركن من أركان الإيمان بالله الخالق والرب المنعم، وعلى أنها شريعة تعبدية يأثم من يتركها ويثاب من يدعم أسسها، وهي تجارة رابحة للنعيم الأخروي، ودعائم ثابتة للرقي الدنيوي.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

دار الحديث الدوادارية

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.
ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

وكانت أول مدرسة أنشئت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها، وسطع عندما تولى الملك، الصالح، الناصر، صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاث مئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ست مئة مدرس، وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء، والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم.

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها، إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟
ديار لسلمى عافيات بذي خال
ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر

بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، فمنها: (دار الحديث الدوادارية/ الدويدارية)

واقفها وتاريخ وقفها ومكانها

واقف هذه الدار هو الأمير علم الدين سنجر التركي الصالحي الدوادار. يقال: دوادار، ودويدار، وكلاهما بمعنى: الناسخ أو الكاتب، مأخوذة من كلمة: دواة، العربية، وكلمة: دار، التي معناها بالفارسية: ماسك، وقد ذكر ابن تغري بردي للدوادارية معنى آخر يختص بالجند والعسكر، فقال في نجومه الزاهرة: وأما الدوادارية، فـ...كان الذي يليها أولا غير جندي، وكانت نوعا من أنواع المباشرة، فجعلها الملك الظاهر بيبرس على هذه الهيئة، غير أنه كان الذي يليها أمير عشرة.

كان من نجباء الترك وشجعانهم وعلمائهم، وله مشاركة جيدة في الفقه والحديث، وفيه ديانة وكرم، وله في دمشق والقدس أوقاف كثيرة.

ولد سنة نيف وعشرين وستمئة، وكان مليح الشكل، مهيبا، كبير الوجه، خفيف اللحية، صغير العينين، ربعة من الرجال، حسن الخلق والخلق، فارسا، فاضلا، مليح الخط، حافظا لكتاب الله تعالى، وحفظ الإشارة في الفقه لسليم الرازي، وكان لطيفا مع أهل الصلاح والحديث، يتواضع لهم، ويحادثهم ويؤانسهم ويصلهم، وله معروف كثير، وكان مجلسه عامرا بالعلماء والشعراء والأعيان، وكان إذا خرج إلى غزوة خرج وإلى جانبه شخص يقرأ عليه أحاديث الجهاد، قدم من الترك في حدود سنة أربعين وستمئة، ثم قدم دمشق وعلت رتبته في دولة الملك لاشين، وقدمه على الجيش في غزوة سيس، وشهد الوقعة وهو ضعيف، فالتجأ بأصحابه إلى حصن الأكراد، وتوفي فيه ليلة الجمعة ثالث شهر رجب من سنة تسع وتسعين وستمئة للهجرة رحمه الله،

كان له رواق داخل باب الفرج في دمشق، فوقفه سنة (٦٩٨هـ) ليكون دارا للحديث ومدرسة،

تقع هذه المدرسة داخل باب الفرج -وهو أحد أبواب دمشق العشرة الشهيرة الموجود إلى اليوم بالقرب من القلعة في السوق التي يقال لها: المناخلية، والذي يركب بعضه على نهر بردى، وهو باب متين في الجهة الشمالية من دمشق القديمة، أحدثه الملك العادل نور الدين زنكي، وسماه بذلك تفاؤلا لما وجد من الفرج لأهل البلد بعد فتحه، وكان بقربه باب يسمى: باب العمارة، ومن جهة الدار الشرقية تقع العادلية الكبرى في الزقاق الضيق المقابل لزقاق المدرسة العصرونية الكبرى-.

وأما مكانها اليوم فقد درست هذه الدار وتلك المدرسة والرباط الذي فيهما، ولا يوجد لها جميعا أثر، إلا ما ذكره ابن بدران في منادمته قائلا: «ثم بعد كتابتي لهذا هدمت الحوانيت التي كانت هناك فظهر باب المدرسة وقد صارت دورا...، وهذا المحل كله قد اختلس، وصار دورا للسكنى، فيمكن أن يكون ذلك الأثر هو الدال على مكان المدرسة الدوادارية، ودار الحديث التي كانت بها، وعلى الرباط الذي بني بها؛ لأن ذلك المكان واسع يمكن أن يحتوي على جميع ذلك، والله أعلم» (اهـ).

شيوخها

أول من ولي مشيختها، ودرس فيها: الشيخ العالم الإمام المفتي الحافظ الزاهد الفقيه علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم بن داود ابن العطار الدمشقي الشافعي الجهني شيخ دار الحديث النورية، ومدرس القوصية وغيرها، ولد في دمشق يوم عيد الفطر سنة (٦٥٤هـ) في خلافة الدولة العباسية قبل سقوط بغداد بعام، حفظ القرآن قبل أن يبلغ الخامسة عشرة من عمره، ودرس الحديث والفقه على الإمام الكبير الصالح وبقية السلف، النحرير، صاحب التصانيف الكثيرة النافعة الغزيرة، فريد أهل زمانه، والذي تميز على أقرانه الشافعي الصغير أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الأذرعي الحوراني، رحمه الله تعالى، وكان ابن العطار يلقب بـ (مختصر النووي)، كما أخذ علوم العربية عن الإمام ابن مالك، وأفتى ودرس، وجمع وصنف وكان فيه زهد، وله أتباع ومحبون، أصيب بالفالج سنة (٧٠١هـ)، وكان يحمل في محفة إلى المدرسة والجامع الأموي، توفي يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة (٧٢٤هـ) وصلي عليه في جامع بني أمية ودفن بتربة خاصة على سفح جبل قاسيون، رحمه الله تعالى.

ودرس فيها أيضا، الشيخ الأصيل نور الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن الشيخ الكبير أبي بكر المعروف بابن القوام البالسي الأصيل الشافعي الدمشقي، المولود في شهر رمضان من سنة (٧١٧هـ)، سمع من جماعة كثيرة من العلماء ودرس وتفقه، ودرس بالمدرسة الناصرية البرانية عدة سنوات بعد أبيه، ودرس أيضا بالرباط الدواداري داخل باب الفرج، وكان يحب السنة ويفهمها جيدا، وكان حسن الخلق، توفي في ربيع الآخر من سنة (٧٦٥هـ)، رحمه الله تعالى.

حوارات

خديجة الغواص: جماليات الخط برسومات الضوء

القاهرة - مي الصباغ

كيف جمعت فتاة بين الطب والخط والضوء فأخرجت فنا لا يتقنه سوى ثمانية فقط على مستوى العالم؟ الإجابة بسهولة تجدها بين أنامل المصرية خديجة الغواص، ابنة الـ ٢٤ ربيعا، التي استطاعت أن تجمع بين دراستها لطب الأسنان والخط العربي والتصوير، فأتقنت بشدة فن الخط العربي الضوئي.

وإلى تفاصيل الحوار:

بداية.. ما هو سبب اهتمامك بالخط العربي الضوئي؟

- الاهتمام بالخط العربي أمارسه منذ الصغر، وتحديدا من المرحلة الابتدائية، وبالفعل أخذت جوائز على مستوى محافظتي، ودخلت مدرسة لتعلم الخط العربي. وفي عام ٢٠١٣م، عندما كنت أدرس فوتوغرافيا، أردت أن أدمج بين الخط العربي والتصوير، وبدأت بعدها أدرس فن الكتابة بالضوء من خلال المقاطع المصورة على موقع يوتيوب، والآن أنا أنظر إلى الخط الضوئي على أنه شيء يجمع بين كل اهتماماتي وكل ما أحب أن أمارسه، فهو يجمع بين التصوير والكتابة بالخط العربي في وقت واحد.

حدثينا أكثر عن هذا الفن.. كيف تكتبين بالضوء؟

- أولا هذا الفن غير معروف بشكل كبير في مصر والمنطقة العربية، أما عن كيفية الكتابة بالضوء، فأنا أستعد لها بالتدريب الجسدي المكثف لمدة لا تقل عن نصف ساعة بعد القيام باختيار الكلمة المناسبة ونوع الخط المناسب لها، مع حساب مجال طاقتها وبعد ذلك أقوم بكتابتها أمام الكاميرا في ٣٠ ثانية تقريبا، وأكرر العملية كلما اقتضت الضرورة.

ويمكن القول إن هذا الفن بالنسبة لي يتمحور حول مدى استيعابي الكامل لطاقة الحروف وقواعدها الصحيحة والمسافات المحددة للكتابة وتقنية التصوير المختارة.

ما أبرز الرسائل التي تحملينها بفنك؟

- رسالتي الأهم على الإطلاق هي أن تكون اللوحات مريحة لعين المتلقي وأن تبعث طاقة إيجابية لكل من ينظر إليها من خلال اختيار الأضواء الهادئة والمبهجة، وكذلك أن تكون الكلمة من الكلمات المحفزة، فهي تعطي طاقة إيجابية وقوة وجمالا للمتلقي، وكذلك هي مريحة، وقد تكون جزءا للعلاج من الكثير من الضغوطات النفسية، ففي فترة سابقة كنت أشارك في تعليم الأطفال المصابين بمرض التوحد من خلال تعليمهم الكتابة بهذا الأسلوب كنوع من العلاج وجزء منه.

ناجحون

«التميز العالمية» للكويتي كمال الشومر

الكويت - الوعي الشبابي:

نال البروفيسور الكويتي كمال الشومر أستاذ أمراض الغدد الصماء والسكر بقسم الباطنية بكلية الطب بجامعة الكويت، واستشاري ورئيس وحدة أمراض الغدد الصماء بمستشفى مبارك الكبير، جائزة التميز العالمية التي يقدمها الاتحاد الأمريكي للغدد الصماء لعام ٢٠١٧م بأمريكا AACE International Clinician Award 2017.

وجاء اختيار البروفيسور كمال الشومر بالإجماع من قبل لجنة الجائزة التي يمنحها الاتحاد الأمريكي للغدد الصماء سنويا لطبيب واحد، حيث يتم تزكيته من قبل عدد من الخبراء وترشيحه من أساتذة من عدة مستشفيات، نظرا لما قدمه من إنجازات دولية وأبحاث ودراسات عالمية وإضافات مهمة في مجال الغدد الصماء.

وسيستلم البروفيسور كمال الشومر الجائزة خلال المؤتمر السنوي الذي سيعقد في ولاية «تكساس» الأمريكية.

يذكر أن البروفيسور كمال الشومر يعد من الكفاءات الوطنية البارزة والمتميزة في مجال الغدد الصماء، ويعمل استشاري ورئيس وحدة الغدد الصماء بمستشفى مبارك الكبير - وزميل الكلية الملكية البريطانية للأمراض الباطنية والكلية الأمريكية لأمراض الغدد الصماء - ودكتوراه بأمراض الغدد الصماء «لندن»، وبروفيسور بكلية الطب جامعة الكويت.

نحو علاقة آمنة وإيجابية بين الأسرة والدواء

القاهرة - أمنية عادل

استهدف هذا الكتاب إلقاء الضوء على أخطار الدواء والعوامل التي تؤثر في حدوث الخطر وسبل الوقاية من أضراره، ولقد ناقش الكتاب بعض الموضوعات عن الدواء تمثل مشكلات صحية واجتماعية، مثل إدمان المخدرات والتدخين وسوء استخدام الأدوية في الحمل والرضاعة.

يتكون الكتاب من ثمانية فصول كل فصل يوضح أهمية الدواء وتاريخه، كما يقدم إرشادات للاستخدام الأفضل للدواء.

ويصف المؤلف دكتور عز الدين الدنشاري الدواء بأنه من أهم ضروريات الحياة، حيث يستخدم في علاج العديد من الأمراض والوقاية منها والتشخيص العلاجي. ويأتي الدواء في حياة الإنسان في المرتبة الثانية بعد الغذاء.

مشكلات الدواء

أما الفصل الأول فيوضح خلاله المؤلف مصادر الدواء ومشكلاته وأضراره، مستهلا بأهمية المنهج العلمي في اكتشاف تأثيرات الدواء واستخدامه، وتحدث عن مشكلات الدواء وأخطاره، مثل الإهمال في تنفيذ التعليمات المتعلقة باستعمال الدواء، وكذلك أخطاء قد تؤدي إلى الخطر كالإهمال في حفظ الأدوية بعيدا عن متناول الأطفال، فضلا عن إدمان الدواء الذي يعتبر من أخطر مشكلات العصر الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية، وهناك عوامل عديدة وراء انتشار هذه الظاهرة، من أهمها إطلاق المستحضرات الدوائية التي تحتوي على أدوية مخدرة أو مسكنة أو منشطة دون فرض رقابة صارمة على إنتاجها وتداولها.

وسائل مختلفة

أما الفصل الثاني فهو بعنوان «الوسائل المختلفة لاستخدام الدواء» ويقدم المؤلف خلاله السبل المثلى لاستخدام الدواء مثل كيفية استعمال المراهم والكريمات والهلاميات، كذلك قطرات العين للكبار والصغار وقواعد استخدام الأدوية الأخرى المختلفة.

فيما يقدم الفصل الثالث الإرشادات للاستخدام الأفضل للدواء، ويشير إلى معلومات ضرورية ينبغي معرفتها قبل الذهاب إلى الطبيب، كتنفيذ الإرشادات التي تلقاها المريض من الطبيب والصيدلي تنفيذا دقيقا، كذلك قراءة الإرشادات المكتوبة في الوصفة الطبية بعناية ودقة، فضلا عن الشرح الوافي لما يشعر به من أعراض للطبيب أو الصيدلي.

وإذا كان المريض غير قادر على شراء جميع الأدوية التي نصحه الطبيب باستعمالها، ولم يتمكن من استخدامها لأي سبب من الأسباب فينبغي عليه مصارحة الطبيب بذلك، كذلك حينما يشعر بأي تعب أو أعراض مرضية بعد استعمال الدواء عليه أن يتصل بالطبيب أو الصيدلي الذي يقدم له النصيحة، أما في حال انتهاء تاريخ صلاحية

أي دواء موجود بالمنزل، فيجب التخلص منه، ليس بإلقائه في القمامة لكن بإلقاء محتويات العبوة الدوائية في دورة المياه، حتى لا يعيد أحد استخدامها.

ويحمل الفصل الرابع من الكتاب عنوان «الدواء والتدخين والخمور أثناء الحمل والرضاعة»، فيما يأتي الفصل الخامس بعنوان «أدوية لها تاريخ»، متضمنا تاريخ بعض الأدوية وكيف تم اكتشافها، فهذا الفصل تاريخي أكثر منه إلقاء للضوء على الأدوية وتأثيرها.

أما الفصل السادس فيأتي بعنوان «سوء استخدام بعض الأدوية والطريق للإدمان» ويعتبر إدمان الدواء مرضا نفسيا وعضويا يصيب الفرد الذي يتعاطى لغرض غير طبي أحد الأدوية التي تؤثر في الجهاز العصبي المركزي، فهي إما أدوية مسكنة للألم أو أدوية منومة أو مهدئة أو مسببة للهلوسة أو أدوية منشطة، ولقد عرّفت منظمة الصحة العالمية الإدمان بأنه تسمم مزمن يلحق أضرارا جسيمة بالفرد والمجتمع، ومن أعراضه رغبة الفرد في تناول المخدر بصفة مستمرة، ومحاولته الحصول عليه بأي وسيلة؛ شرعية كانت أو غير شرعية، كما يتصف الإدمان باضطرار المدمن إلى الإكثار تدريجيا من مقدار الجرعة التي يتناولها حتى يصل به الأمر إلى تناول جرعة كبيرة من المخدر قد تسبب له أعراضا نفسية وبدنية يصعب علاجها، وقد يسبب في بعض الحالات توقف التنفس أو الإصابة بالتشنجات والوفاة.

عصر الجينات

ومن صفات الإدمان أن الشخص يرتبط ارتباطا نفسيا وبدنيا بالمخدر الذي أدمنه، بحيث إذا أقلع عن تعاطيه، فإنه يشكو من أعراض نفسية وبدنية تعتمد في شدتها على نوع المخدر وعلى مقدار الجرعة وعدد مرات التناول في اليوم الواحد وطول المدة التي تناوله فيها، وقد تكون هذه الأعراض جسيمة لا تحتمل.

ويوضح المؤلف في الفصل السابع «ميكروبات لصناعة الأدوية البيولوجية» ويشير إلى التطور المذهل في علوم الطب والصيدلة والزراعة والصناعة والبيئة وغيرها، ويعتبر اكتشاف مواقع الجينات في النبات والحيوان والميكروبات والإنسان ودراسة خواص هذه الجينات التي تتحكم في الصفات الوراثية للكائن الحي.. يعتبر هذا الاكتشاف من أهم الإنجازات التي تحققت في نهاية القرن العشرين والتي تعتبر الدعامة الأساسية للتطور غير المسبوق الذي شهده العصر الحديث، عصر الجينات.

ويختتم المؤلف كتابه بالفصل الثامن «الجينوميات الدوائية ومنع الحساسية للدواء والأعراض الجانبية الأخرى» إذ تعتبر الأعراض الجانبية من المشكلات الناجمة عن استخدام الدواء، والتي قد تحول دون الاستمرار في تعاطيه، وتعد أعراض الحساسية التي تسببها بعض الأدوية في عدد قليل من الأفراد من الأعراض الجانبية التي تمثل مشكلة علاجية.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

الخدمات والودائع البنكية والحسابات المصرفية

- الخلاصة الحكمية

- كل زيادة على الخدمات الفعلية في القروض محرمة لأنها من الربا المحرم شرعا.

- حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية بوجهيها الوقائي والعلاجي أمر مطلوب ومشروع، إذا استخدمت لتحقيقه الوسائل المشروعة.

- الأصل المنع من فتح حسابات جارية في البنوك الربوية مطلقا، بفوائد ربوية أو لا؛ إلا لحاجة يقدرها المفتي؛ بشرط عدم أخذ هذه الفوائد.

- ولا يحل للمسلم أن يودع أمواله في بنك ربوي بقصد تحصيل تلك الفوائد لإنفاقها في وجوه الخير تحصيلا للثواب بزعمه.

- كل قرض جر نفعا؛ فهو ربا.

● القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

● أولا: مجلس مجمع الفقه الإسلامي المنعقد في دورة مؤتمره الثالث بعمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من ٨-١٣ صفر ١٤٠٧هـ / ١١-١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦م.

بعد دراسة مستفيضة ومناقشات واسعة لجميع الاستفسارات التي تقدم بها البنك إلى المجمع، قرر ما يلي:

(أ) بخصوص أجور خدمات القروض في البنك الإسلامي للتنمية:

أولا: يجوز أخذ أجور عن خدمات القروض على أن يكون ذلك في حدود النفقات الفعلية.

ثانيا: كل زيادة على الخدمات الفعلية محرمة لأنها من الربا المحرم شرعا.

(ب) بخصوص عمليات الإيجار:

أولا: إن الوعد من البنك الإسلامي للتنمية بإيجار المعدات إلى العميل بعد تملك البنك لها أمر مقبول شرعا.

ثانيا: إن توكيل البنك الإسلامي للتنمية أحد عملائه بشراء ما يحتاجه ذلك العميل من معدات وآليات ونحوها مما هو محدد الأوصاف والثمن لحساب البنك بغية أن يؤجره البنك تلك الأشياء بعد حيازة الوكيل لها، هو توكيل مقبول شرعا، والأفضل أن يكون الوكيل بالشراء غير العميل المذكور إذا تيسر ذلك.

ثالثا: إن عقد الإيجار يجب أن يتم بعد التملك الحقيقي للمعدات وأن يبرم بعقد منفصل عن عقد الوكالة والوعد.

رابعا: إن الوعد بهبة المعدات عند انتهاء أمد الإجارة جائز بعقد منفصل.

خامسا: إن تبعة الهلاك والتعيب تكون على البنك بصفته مالكا للمعدات ما لم يكن ذلك بتعد أو تقصير من المستأجر فتكون التبعة عندئذ عليه.

سادسا: إن نفقات التأمين لدى الشركات الإسلامية، كلما أمكن ذلك، يتحملها البنك.

(ج) بخصوص عمليات البيع بالأجل مع تقسيط الثمن:

أولا: إن الوعد من البنك الإسلامي للتنمية ببيع المعدات إلى العميل بعد تملك البنك لها أمر مقبول شرعا.

ثانيا: إن توكيل البنك أحد عملائه بشراء ما يحتاجه ذلك العميل من معدات وآليات ونحوها مما هو محدد الأوصاف والثمن لحساب البنك، بغية أن يبيعه البنك تلك الأشياء بعد وصولها وحصولها في يد الوكيل، هو توكيل مقبول شرعا، والأفضل أن يكون الوكيل بالشراء غير العميل المذكور إذا تيسر ذلك.

ثالثا: إن عقد البيع يجب أن يتم بعد التملك الحقيقي للمعدات والقبض لها، وأن يبرم بعقد منفصل.

(د) بخصوص عمليات تمويل التجارة الخارجية:

ينطبق على هذه العمليات المبادئ المطبقة على عمليات البيع بالأجل مع تقسيط الثمن.

(هـ) بخصوص التصرف في فوائد الودائع التي يضطر البنك الإسلامي للتنمية لإيداعها في المصارف الأجنبية:

يحرم على البنك أن يحمي القيمة الحقيقية لأمواله من آثار تذبذب العملات بواسطة الفوائد المنجرة من إيداعاته، ولذا يجب أن تصرف تلك الفوائد في أغراض النفع العام كالتدريب والبحوث، وتوفير وسائل الإغاثة، وتوفير المساعدات المالية للدول الأعضاء وتقديم المساعدة الفنية لها، وكذلك للمؤسسات العلمية والمعاهد والمدارس وما يتصل بنشر المعرفة الإسلامية، والله أعلم.

انتهى القرار.

● ثانيا: مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السادسة

عشرة المنعقدة بمكة المكرمة، في المدة من ٢١-١٤٢٢/١٠/٢٦هـ الذي يوافقه من: ٥-٢٠٠٢/١/١٠م، قد نظر في موضوع حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية، وبعد استعراض البحوث التي قدمت، والمناقشات المستفيضة حول الموضوع، قرر ما يلي:

أولا: إن حماية الحسابات الاستثمارية في المصارف الإسلامية بوجهيها الوقائي والعلاجي أمر مطلوب ومشروع، إذا استخدمت لتحقيقه الوسائل المشروعة؛ لأنه يحقق مقصد الشريعة في حفظ المال.

ثانيا: يجب على المصارف الإسلامية أن تتبع في أثناء إدارتها لأموال المستثمرين الإجراءات والوسائل الوقائية المشروعة والمعروفة في العرف المصرفي، لحماية الحسابات الاستثمارية، وتقليل المخاطر.

ثالثا: إذا وقع المصرف المضارب في خسارة، فإن المجمع يؤكد القرار السادس له في دورته الرابعة عشرة، المنعقدة بتاريخ: ١٤١٥/٨/٢٠هـ، والقاضي بأن: «الخسارة في مال المضاربة على رب المال في ماله، ولا يسأل عنها المضارب إلا إذا تعدى على المال أو قصر في حفظه، وبذل العناية المطلوبة عرفا في التعامل به».

رابعا: يحث المجمع الجهات العلمية، والمالية، والرقابية، على العمل على تطوير المعايير والأسس المحاسبية الشرعية التي يمكن من خلالها التحقق من وقوع التعدي أو التفريط، كما يحث الحكومات على إصدار الأنظمة والتعليمات اللازمة لذلك.

خامسا: يجوز لأرباب الأموال أصحاب الحسابات الاستثمارية التأمين على حساباتهم الاستثمارية تأمينا تعاونيا، بالصيغة الواردة في القرار الخامس للمجمع في دورته الأولى من عام ١٣٩٨هـ.

انتهى القرار.

• **ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٢/ص٢٤٥/ف٣٧٤٦)؛ في موضوع «فتح حساب بدون فائدة في بنك ربوي»؛ ونصه: أرجو الإفادة عن الحكم الشرعي في وضع الراتب لدى أحد البنوك التجارية، ولكن دون أخذ أي فائدة عليه من البنك (حساب بدون فوائد).**

أجابت اللجنة بما يلي:

الأصل المنع من فتح حسابات جارية في البنوك الربوية مطلقا، بفوائد ربوية أو لا؛ لما في ذلك من الترابي أو المساعدة عليه.

فإذا وجدت حاجة لفتح حساب جار فيها فإنه يجوز بشرط عدم أخذ فوائد ربوية عليه، وعدم وجود بنك آخر غير ربوي يمكن فتح الحساب الجاري فيه على وجه يؤمن المصلحة المطلوبة؛ للقاعدتين الفقهيتين: «الضرورات تبيح المحظورات» و«الحاجة تنزل منزلة الضرورة»، فإذا وجد البنك البديل على الوجه المتقدم أو انتفت الحاجة كان فتح الحساب بفوائد أو بدونها ممنوعا على الأصل. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

• **رابعا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (٦٦٦٨/١٣٨/٢١)؛ في موضوع «إيداع الأموال الخيرية في بنوك ربوية بقصد الإنفاق من عوائدها على مصالح المسلمين»؛ ونصه: هيئة خيرية، ولديها بعض الأموال التي تعمل بها في هذه البلدان، فهل يجوز لها أن تضع هذه الأموال في بنوك ربوية لإنفاق ما يتحصل من زيادة على المرافق العامة في هذه الدول لمصلحة المسلمين هناك؟**

أجابت اللجنة بما يلي:

لا يحل للمسلم أن يودع أمواله في بنك ربوي بقصد تحصيل تلك الفوائد لإنفاقها في وجوه الخير تحصيلا للثواب بزعمه، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، ومن فعل ذلك فهو آثم بهذا القصد، لكن إن أودع أمواله لحفظها في بنك ربوي وترتب عليها فوائد يأخذها وينفقها في وجوه الخير تخلصا من وزرها ولا تحتسب من الزكاة ولا الصدقات، ولا يحل له أن يؤدي منها حقا عليه سواء كان للأفراد أو للدولة كالضرائب مثلا. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

• **خامسا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٢٢/ص١٤١/ف٦٩٨٦)؛ في موضوع «الفرق بين الوديعة في البنوك الإسلامية والربوية»، ونصه: ما مدى شرعية الدخول في حساب بنكي، حيث يتم السحب عليه كل فترة على جوائز، وقد يطلبون منك أن تضع مبلغا معينا من المال مع حرية سحبه في أي وقت؛ فما الفرق بين وضع هذا المبلغ، وما تتعامل به البنوك الإسلامية من ودائع؟**

أجابت اللجنة بما يلي:

شهادات البنوك المستفتى عنها التي تعني وضع مبلغ من المال في بنك ربوي مقابل الحصول على حق الدخول في سحب قد يربح فيه سيارة أو مبلغا من المال أو غير ذلك من الجوائز، مع الحق في استرداد المبلغ المودع في أي وقت أو بعد وقت معين هي قروض، والحق في دخول السحب المستفاد منها هو فائدة ومنفعة للمقرض، والقاعدة الفقهية تقول: «كل قرض جر نفعا فهو ربا»، وعليه فإن العملية المسؤول عنها هي عملية محرمة لما فيها من الربا، يضاف إلى ذلك أن في هذه العملية شبهة المقامرة وهي محرمة أيضا. والفرق بين الوديعة في البنوك الإسلامية والربوية: أن البنك الإسلامي لا يحل له تنمية المال بالربا، وإنما ينميه بالتنمية الشرعية كالمتاجرة أو غيرها، أما البنك الربوي فوسيلته للتنمية هي الإقراض والاقتراض، والربا محرم شرعا. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

إعداد: تركي محمد النصر
الباحث الشرعي

الصديقان الحافظان

كان الصديقان الحافظان: ابن عساكر، وأبو سعد السمعاني يمشيان في طلب الحديث ولقاء الشيوخ، فاستوقف الحافظ السمعاني شيخا ليقرأ عليه كتابا في الحديث، فبحث عن الكتاب في جعبته فلم يجده، فاغتم وضاق صدره... فقال له الحافظ ابن عساكر: ما الكتاب الذي تبحث عنه؟ فقال: كتاب (البعث والنشور) لابن أبي داود. فقال ابن عساكر: لا تحزن، ثم قرأه أو بعضه من حفظه.

(ذيل تاريخ بغداد: ١٤٢/٢١)

الاكفهرار

قال العلامة ابن حزم في رسائله: «التهويل بلزوم زي ما، والاكفهرار، وقلة الانبساط؛ ستائر جعلها الجهال أمام جهلهم».

(رسائل ابن حزم: ٣٥٠/١)

الأفضلية

قال العلامة ابن عبد البر رحمه الله تعالى: «لا أعلم خلافا بين العلماء أن من بكر وانتظر الصلاة، وإن لم يصل في الصف الأول؛ أفضل ممن تأخر، وإن صلى في الصف الأول».

(الاستذكار: ٣٧٨/١)

حسن الخلق

قال العلامة الماوردي رحمه الله تعالى: «إذا حسنت أخلاق الإنسان؛ كثر مصافوه، وقل معادوه، فتسهلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب».

(الاستذكار: ٢٤٣/١)

استوصوا بثلاثة خيرا

وخطب زياد فقال: استوصوا بثلاثة خيرا: الشريف، والعالم، والشيخ، فوالله لا يأتيني شريف بوضيع استخف به؛ إلا انتقمت له منه، ولا يأتيني شيخ بشاب استخف به؛ إلا أوجعته ضربا، ولا يأتيني عالم بجاهل استخف به إلا نكلت به.

(البيان والتبيين: ١٤٥/٢)

القراءة والمطالعة

عرض للفقيه أحمد بن محمد بن الرفعة (ت: ٧١٠هـ) وجع المفاصل، بحيث كان الثوب إذا لمس جسمه آلمه، ومع ذلك معه كتاب ينظر إليه، وربما انكب على وجهه وهو يطالع.

(الدرر الكامنة: ٢٨٧/١)

كتب الجواليقي

بيعت كتب ابن الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ) في بغداد، فحضرها الحافظ أبو العلاء الهمداني، فنادوا على قطعة منها: ستين دينارا، فاشتراها الحافظ أبو العلاء بستين دينارا، والإنظار من يوم الخميس إلى يوم الخميس. فخرج الحافظ، واستقبل طريق همدان، فوصل فنادى على دار له، فبلغت ستين دينارا. فقال: بيعوا. قالوا: تبلغ أكثر من ذلك. قال: بيعوا؛ فباعوا الدار بستين دينارا فقبضها، ثم رجع إلى بغداد، فدخلها يوم الخميس، فوفى ثمن الكتب، ولم يشعر أحد بحاله إلا بعد مدة.

(ذيل طبقات الحنابلة: ٣٢٨/٢)

ما رأيت مثل أحمد

قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى: «ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير، وكان رحمه الله يقول: (نحن قوم مساكين). ولقد رأينا الإمام أحمد نزل إلى سوق بغداد، فاشترى حزمة من الحطب، وجعلها على كتفه، فلما عرفه الناس ترك أهل المتاجر متاجرهم، وأهل الدكاكين دكاكينهم، وتوقف المارة في طرقهم يسلمون عليه، ويقولون: نحمل عنك الحطب، فهز يده، واحمر وجهه، ودمعت عيناه، وقال: نحن قوم مساكين، لولا ستر الله علينا لافتضحنا».

(حلية الأولياء ٩/١٨١)

أئمة الهدى

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن ظن بأبي حنيفة أو غيره من أئمة المسلمين أنهم يتعمدون مخالفة الحديث الصحيح لقياس أو غيره؛ فقد أخطأ عليهم، وتكلم إما بظن، وإما بهوى».

(مجموع الفتاوى: ٢٠/٣٠٤)

جمع الكتب

كان شافع بن علي العسقلاني (ت: ٧٣٠هـ) كفيفا، وكان مغرما بجمع الكتب، حتى إنه من شديد حبها إذا لمس كتابا منها يقول: هذا الكتاب قد ملكته في الوقت الفلاني، وإذا طلب منه شيء منها قام إلى خزانة كتبه فتناوله كما وضعه فيها.

(الدرر الكامنة: ٢/١٨٤)

العاصي

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «العاصي وإن تنعم بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب».

(الجواب الكافي: ص ١٢٠)

همم القدماء

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابا لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظمية؛ فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة، وكتب الحميدي، وكتب شيخنا عبد الوهاب، وابن ناصر، وكتب أبي محمد بن الخشاب -وكانت أحمالا- وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعد في الطلب».

(صيد الخاطر: ص ٤٥٤)

إعداد: علاء عبدالفتاح

بين القطة العمياء والبلاي ستيشن

مازالت العولمة تفرض نفسها على واقعنا إذ تمتد آثارها إلى اللغة والهوية والعادات والتقاليد والثقافة، بل وإلى الألعاب الشعبية التي مارسناها في مرحلة الطفولة، ومازال يمارسها بعض الأطفال، خاصة في القرى والأحياء الشعبية. وهناك مخاوف من سيطرة نموذج الألعاب الغربية على عقول أطفالنا وشبابنا، وخاصة ما يعرف بألعاب «بلاي ستيشن».

فمثلا تؤكد الباحثة هدية دندراوي - أستاذ مساعد التربية الموسيقية بجامعة جنوب الوادي بمصر قدرة الألعاب الشعبية على استعادة التوازن النفسي للطفل، والقضاء على ما يعانيه بعضهم من قلق اجتماعي، وإكسابهم الجرأة والشجاعة، وتقول إن ممارسة الألعاب الشعبية علاج ناجح لظاهرة الخجل عند أطفال المرحلة الابتدائية.

وقد أبدى الكاتب خيري شلبي أسفه على عدم قيامه بتسجيل الألعاب الشعبية التي كان يلعبها في الصغر، فالتأصيل الحقيقي لقيم المجتمع يأتي من خلال تحويل تلك القيم من إطارها النظري إلى فعل في لعبة محببة يمارسها الطفل بعفوية، ولاشك أن الألعاب الإلكترونية أصبحت تشكل خطرا نفسيا واجتماعيا وصحيا على الأطفال بسبب جلوسهم لساعات طويلة أمام الكمبيوتر والتلفاز لممارسة تلك الألعاب، وهنا لابد من العودة إلى الألعاب الشعبية التي كانت مصدر سعادة للأطفال من حيث اللعب الجماعي لألعاب من صنع أيديهم تكسبهم خبرات ومهارات كثيرة.

● **فوزي محمد - مصر**

حقوق المرأة قبل الزواج

من حق المرأة على وليها أن يبحث لها عن زوج صالح، وأن يعرضها عليه.. وهذا أمر مشروع، وقد عرض الرجل الصالح إحدى ابنتيه على موسى عليه السلام، عندما توسم فيه الصلاح كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ (القصص:٢٦-٢٧).

وطبق ذلك أصحاب رسول الله ﷺ، في عهده، كما عرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بنته حفصة حين تأيمت على عثمان فاعتذر، ثم عرضها على أبي بكر فسكت، ثم خطبها رسول الله ﷺ، وعلم عمر أن سبب اعتذار عثمان وسكوت أبي بكر، علمهما أن رسول الله ﷺ، قد ذكرها (راجع القصة في صحيح البخاري: ٦/١٣٠).

عدم الجواز

ولا يجوز للولي أن يمنع المرأة من الزواج، إذا كان الزوج المتقدم كفؤا لها، وهي راضية به، سواء أكان متقدما لها ابتداء - أي لم يسبق له أن تزوجها - أم كان زوجا لها فطلقها، وأراد خطبتها بعد انقضاء عدتها، وقد نهى الله تعالى عن عضلها نهيا صريحا، فقال تعالى:

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:٢٣٢).

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء:١٩).

قال القرطبي رحمه الله على قوله: فلا تعضلوهن:«روى معقل بن يسار كانت أخته تحت أبي البداح، فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها، ثم ندم فخطبها، فرضيت وأبى أخوها أن يزوجها، وقال: وجهي من وجهك حرام إن تزوجتيه، فنزلت الآية، قال مقاتل: فدعا رسول الله ﷺ معقلا، فقال: «إن كنت مؤمنا فلا تمنع أختك من أبي البداح» فقال: آمنت بالله، وزوجها منه، وروى البخاري عن الحسن أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها حتى انقضت عدتها، فخطبها، فأبى معقل فنزلت: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ (الجامع لأحكام القرآن: ٣/١٥٨).

انتقاء من كتاب أثر التربية الاجتماعية في أمن المجتمع الإسلامي للدكتور عبدالله قادري

● **ياسر سليمان**

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

info@alwaei.com

رمضان شهر السمو الروحي

لرمضان دور بارز في راحة النفوس وتهذيبها، فقد أثبت الطب أن الصيام له القدرة على السيطرة على النزاعات الحركية الثائرة وعلى التقلبات المزاجية الحادة، لأن الصوم يعني المعايشة التامة للجو الروحاني الذي فيه صفاء للنفس وطهارة للقلب وراحة للبال، والزهد عن كل شيء يتعلق بالماديات، ومعناه أيضا كظم الغيظ والعفو عن الناس والتسامح والتصالح مع الآخرين، كما أن شهر الصوم يعتبر وسيلة لترشيد الانفعالات النفسية، فالانفعال المعتدل الذي يتناسب مع المؤثر الذي يحدثه هو سمة الإنسان السوي نفسيا، والصيام ينمي في النفوس الكثير من القيم الأصيلة التي لابد أن نعود أنفسنا عليها وأن ننشئ النشء من خلالها، ألا وهي الأمانة والأخلاق الفاضلة وتحمل المسؤولية في العمل، بحيث يراعى وجه الله عز وجل في كل ما يقوم به الفرد المسلم، وهذه الفضيلة تقضي على أدران النفوس وتنقيها من رذائل الأخلاق كالمداهنة والرياء والنفاق، ولا تتحقق تلك الأمور إلا بمجاهدة النفس وتسييرها على طاعة الله، حيث جعلت للإنسان بغرض التغلب على الأمور الخارجية كالنزاعات والرغبات النفسية الشريرة.

إن الصوم يجلو الذهن ويقوي الفهم والإدراك والإرادة والعزم المتين ويعود الإنسان على التواضع والرحمة والصبر الجميل الذي يقود النفوس الصحيحة نفسيا وجسديا.. هذا إلى جانب ما يعوده من مراقبة العبد لربه سبحانه وتعالى في كل أمور حياته.

جعل الله صيامنا مقبولا وذنبنا مغفورا وحياتنا كلها سعادة وتقربا من وجه الله الكريم، وكل عام والأمة الإسلامية جمعاء بخير وسعادة، وكل عام والأسرة المسلمة الراعية ربها في كل أمور حياتها بخير وسعادة وتوفيق.

• **رفعت محمد بروبي**

من قضايا الهوية الوطنية

هو كتاب للدكتور عباس الجراري يعد الإصدار ٥٨ ضمن منشورات النادي الجراري وذلك تحت عنوان: من قضايا الهوية الوطنية، وقد جمع فيه الكاتب مجموعة من العروض والأبحاث التي شارك بها في مناسبات ثقافية مختلفة ينتظم بينها خيط رابط وهو الهوية الوطنية وما يرتبط بها من محاور كالمذهب المالكي والثقافة المغربية والجهوية والتعدد اللغوي.

وقد استهدف الكاتب إبراز حقيقة الهوية المغربية وما يكونها من قيم ومقومات وما يشكلها من تنوع وتعدد بعيدا عن كل تعصب أو حساسية أو موقف متشنج وبعيدا عن كل تجاهل للواقع وما فيه من معاناة تكاد تكون عامة، أو عن أي ادعاء لحل مشكلاتها بيسر وسهولة.

ومن دوافع إصدار هذا الكتاب حسب الكاتب في هذه الظرفية بالذات بعض التوجهات التي طرأت على المنطقة العربية التي تحركها وتثيرها أزمات طائفية ولغوية وعرقية لم تلبث أن أفضت إلى صراعات وصدامات عنيفة استفحل خطرها.

• **محمد البوزيد**

الرهاب الاجتماعي

أسبابه وظروفه وعلاجه

يشعر معظم الأشخاص بشيء من التوتر النفسي والانفعالات والخجل عند مواجهة الآخرين أو التحدث معهم، ويزيد هذا الشعور توترا عندما تتوجه الأنظار إلى الشخص بعينه، أو حين يطلب منه إلقاء كلمة على جمع من الناس قد يعرفهم أو لا يعرفهم، وهذه الحالة تسمى: الرهاب الاجتماعي (social phopia)، وهي تصيب عددا غير قليل من الأشخاص في مختلف المجتمعات البشرية، وعلى سبيل المثال لا الحصر: الخوف المرضي، حالة من التوجس تتبلور حول خطر محدد يكمن التحقق من وجوده في عالم الواقع، بحيث يمكن تقدير أهميته ومواجهته بشكل واقعي.

تشير بعض الدراسات إلى أن حالات الخوف الاجتماعي تمثل ٣ في المئة من الحالات العادية، كما تشير دراسات أخرى أن نسبة الانتشار بين الأطفال قد تصل إلى ٨ في المئة، وتزداد المخاوف المرضية لدى الإناث عن الذكور، فهي تصيب ما يقرب من ١٣ في المئة من الشعب الأميركي، وثم مقولة أخرى بالغة الأهمية ترى أن «الرهاب الاجتماعي» ليس مرضا عصيا على العلاج، بل هو اضطراب قابل للعلاج بمساعدة الاستشاريين النفسيين والمتخصصين في العلاج السلوكي.

وفيما يلي بعض النقاط التي لا يمكن أن تكون حلا قبل أن تجلس مع نفسك وتصارحها، وتثق بأنك قادر على التحسن يوما بعد يوم:

١- اقرأ وتثقف.

٢- ركز على قدراتك ومهاراتك.

٣- أعط لنفسك فرصة أخرى للحياة.

● **أيمن عبدالسميع حسن**

عقبات في طريق الحوار الحقيقي

إن الحوار أصبح قضية ملحة في وقتنا الحالي، وأداة لا محيد عنها لبناء جسور التواصل والتعارف والتعايش مع الآخر، كيفما كان معتقده وفكره ولون بشرته، إذ أن الله تعالى خلق البشر مختلفين في ألسنتهم وألوانهم ومعتقداتهم ونمط تفكيرهم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (الروم: ٢٢) وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) وقلما تجد بضعة أشخاص متفقين حول مسألة معينة، فلا بد أن تكون وجهات نظرهم متباينة، وتلك سنة الله سبحانه في خلقه.

وإزاء هذه الحقيقة الإلهية، ليس أمامنا من طريق للالتقاء مع الآخر المختلف، وسد بؤر التوتر، سوى الحوار السلمي، والتركيز على القواسم المشتركة بين مختلف الأديان في العالم.

لكن ونحن نتحدث عن مطلب الحوار، ينبغي ألا نغفل عن وجود عقبات متعددة تحول دون تحقيق حوار حقيقي مع الآخر، فالجميع في عالمنا اليوم ينادي بالحوار، وكم من مؤتمرات دولية عقدت للحوار بين أتباع الأديان، وكم من ندوات نظمت حول أهمية الحوار مع الآخر، إلا أن نتائجها بقيت حبرا على ورق، ولم يتم تفعيلها على أرض الواقع، وحتى لو حاولت أطراف الحوار تنزيلها على الواقع، فإنها تصطدم بعقبات كثيرة في طريق تحقيق أهداف هذا الحوار.

والمدخل الأساس للحوار هو معرفة الطرف الآخر معرفة شاملة، سواء عقيدته وثقافته، أو عاداته ونمط تفكيره، والإلمام بلغته، ودراسة تاريخ حضارته وغيرها من اللوازم الأخرى، وضرورة التحلي بالتسامح والحكمة أثناء الحوار، بعيدا عن أشكال التعصب للرأي، والانفعال الذي لا يؤدي إلى النتائج المرجوة من الحوار.

والعقبات الحائلة دون الحوار متعددة:

منها ما هو مرتبط بالجانب النفسي، ويتمثل في جملة المشاعر الداخلية التي يحملها الأشخاص كالجهل والحقد والتعصب الديني والكراهية للآخر، وتلك صفات متأصلة في النفس، تحتاج إلى علاج فعال.

ومنها ما هو مرتبط بالجانب المعرفي، وأعني به انعدام المعرفة الحقيقية بالآخر، فالصور النمطية التي يحملها غير المسلمين من يهود ومسيحيين وبوذيين...إلخ عن الإسلام والمسلمين، أو تلك التي يحملها المسلمون عن المخالفين من أتباع الأديان الأخرى، مردها إلى قلة المعرفة وسوء الفهم لحقيقة الآخر كما هي عليه، فالمعرفة بالآخر لا يعتمد فيها على ما تروجه وسائل الإعلام السمعية البصرية، أو ما يكتب عنه في الصحف والمجلات والكتب، ولا من المتخيل الذهني.

كما أن هناك عقبة كبيرة أرخت بظلالها على عالم اليوم، وهي السلطة التي باتت تستخدم الحوار لخدمة مصالحها الشخصية، وتقحم الشأن السياسي في الديني، بل إنها توظف الدين لخدمة الأهداف السياسية، وهذا أدى إلى طغيان خطاب الصراع والعنف على حساب خطاب التعايش والسلم.

● **البشير أسعير**

لا تطردوا أيمن من المسجد

هل سألت نفسك لماذا تجيء للمسجد خمس مرات في اليوم والليلة؟ هل لتنشر كل هذا الكم من الفوضى؟ وتضرب الصغار من أقرانك فتبكيهم؟ أم من أجل أن تكون طفلا مسلما صالحا؟ لم لا تقلد عشرات الأطفال ممن يأتون في سلام وينصرفون في أمان؟

بينما كانت كلمات الإمام في مسجد الحي الكبير تترى؛ فيما يحاول صاحبها جاهدا ألا يبدو أكثر انفعالا، كنت أرى نتيجتها في نفس الوقت على صفحة وجه صبي يقارب الحلم (أعرفه)، وأتعجب من حدث أراه.. فيما تتساب تداعياته أمام عيني في لحظة واحدة..

خيل إلي أن «أيمن» ثقل الكلام عليه إلى الحد الذي دفعه للهرولة، فاصطحب ورقة ودفترا كانا معه لسبب مجهول، فصلاة العشاء ليس يعقبها درس، وليس من حلقة علم خاصة بأقرانه، سحبهما وهرول خارج المسجد باكيا، عقبها مباشرة توقف خارج المسجد ذارفا المزيد من الدموع، ومنتظرا شيئا ما يعوضه عما حدث، (من طرف خفي)، تقدم أحد الآباء وهو يهم بالدخول للمسجد مصطحبا معه صغيره ليسأله عن سبب بكائه، وكان متعجلا اللحاق بالصلاة، فلما لم يجد أيمن ما يفتقد بذل مزيدا من الدموع، من مكانه المظلم ثم هرول ماضيا، ولم يسعفني الوقت للتدخل، على أي حال..

وفي الليلة التالية، لم يترك أيمن طفلا خرج من المسجد بمفرده أو دخله كذلك إلا وأبكاه، تجمع الآباء ساخطين وطارده الصبية.. لم تهزني أنا أيضا هذه اليد؟.. هل..؟

- أبي أنت نمت فيما تنتظر إقامة صلاة العشاء.

كانت يد بني الأصغر فيما أضاف:

- الإمام حدث «أيمن» كثيرا فيما أخشى أن يكون قد آلمه.. وقد نجحت في إعادته إلى المسجد بعدما غادره منذ ثوان.

لم يحتج الأمر وقتا طويلا لأتدخل، فقط منعت «أيمن» من الخروج ثانية، وكفكفت دموعه بل اعتذرت له بالنيابة عن الإمام، برغم تشاجره مع ابني بالأمس، ثم وعدته بحديث طويل عقب صلاة العشاء الليلة كي لا تأتي الليلة التي رأيتها في منامي البالغ القصر، تلك التي يضرب فيها كل صغارنا وما يدرينا بما سيفعله في الليالي التي لا حصر لشرها لا قدر الله تعالى عليه.

قلت له:

- عفوا لم جئت بالورقة والدفتر معك برغم عدم وجود درس الليلة بالمسجد؟.

- لأكتب أسماء جميع الصغار ممن هم في مثل سني بالمسجد لأنني أحبهم وأريد الاحتفاظ بأسمائهم.

ثارت أكثر من علامة استفهام بداخلي، أولئك الذين لا «يقصر» في إبكائهم، إلا أنني وجدت نفسي أجذبه إلي محاولا ضمه لصدري، مثلما أحب مع جميع الصغار، إلا أنه احتفظ بالمسافة القريبة التي تفصلنا، وأبدى تعجبا مما أريد القيام به، إن صغيري هذا لم يعتد أن يحتضنه أحد من عالم الرجال، وأخشى أن يكون في العالم كله من رجال ونساء، وحلا لعلامة الاستفهام الكبرى البادية على محياه اضطررت لأن أقبله في جبهته.

- اسمك أيمن؟

- أيمن محمود

- إذن فأبوك يحبك حبا جما.

- نعم يا عمي؟

- إنه لا يضربك على الإطلاق إذن؟

- بل إنه يضربني بمعدل خمس عشرة مرة كل شهر.

- ولم هذا العدد بالتحديد؟

- لأن أبي يقضي نصف الشهر في عمل مميز يقتضي الحزم مع المخالفين.

- لكن والدك شخص مهذب يحب فعل الصواب على الدوام؟

- تماما.

- لكن حاول ألا تضرب من حولك.

- بل إنني أمزح معهم.

ذهبت للإمام فبادرني بالاعتذار عما قاله لـ «أيمن» بل قال لي إنه قبل رأسه، إن من أمتنا من يستوعب الصغار وإن ضاق بهم حينا وقال لي:

- بل أخشى ان يفتك به الآباء هنا، بخاصة أن أباه ليس من مرتادي المسجد.

- هذا دورنا في زيارته بل إفهامه ضرورة حسن معاملة «أيمن» فقد فهم الأخير أن محبة الأقران تكون بالاعتداء بالضرب عليهم من كثرة ما ضربه أبوه.

- يا الله؟!

سنزوره معا متى جاء من عمله، ولعله نوع نادر جدا، وحتى هذا اليوم سأراعي «أيمن» في المسجد وسأتواصى مع المصلين كبارا وصغارا ألا نطرد «أيمن» من المسجد بل لعله يأتي بأبيه إليه.

● **محمد ثابت توفيق**

إحياء المشاعر الإنسانية ضرورة حياتية ودينية

تشغل المشاعر والأحاسيس حيزا هاما في حياة الانسان، بها يرتقي الإنسان ويصل إلى أعلى درجات السمو والكمال.

والمشاعر الإنسانية متعددة ومتنوعة، فمنها الغضب والفرح والإعجاب والحب والكراهية والاعتراف بفضل الآخرين وتقديم يد العون والمساعدة لهم، إلى آخر ذلك من صور الأحاسيس النبيلة والمشاعر الطيبة التي يحملها الإنسان، لكن مع الأسف الشديد، لقد تأثرت مشاعرنا وأحاسيسنا في هذا العصر بفعل الحضارة المادية التي صبت الناس في قوالب جامدة، الأمر الذي أسهم في تدمير الكثير من المشاعر والأحاسيس والعلاقات الهامة في حياتنا، سواء على المستوى الأسري أو الاجتماعي.

فعلى المستوى الأسري كانت العلاقات سامية، يسودها نبل المشاعر بين الزوجين، الزوج يقدر زوجته، يصفح عنها عند الخطأ، يلاطفها بحلو الكلام وطيب الحديث.

أما في هذه الأيام فنجد أن الصورة قد اختلفت، فيدب الخلاف بين الزوجين لأتفه الأسباب دون مراعاة لأي مشاعر أو أحاسيس بينهما، وهنا نشير إلى هذا القول الذي يدعونا إلى إحياء كل شعور طيب في حياة الانسان، (من ملك عاطفته، وملك عقله، ووزن الأشياء، وجعل لكل شيء قدرا، أبصر الحق وعرف الحقيقة)، وإذا تركنا الأسرة إلى محيط الأسرة الواسع (المجتمع) نجد أن المشاعر والأحاسيس أخذت طريقها إلى التقلص، وحلت مكانها أمراض السخرية من الآخرين والبغض والأنانية والشر والغضب والاندفاع وإثارة الشجن والحزن في نفوس الآخرين، دون أن ندرك مدى ما قد تسببنا فيه من مشاعر مؤلمة لهم قد سكنت وهدأت بفعل الزمن.

وهناك من يستسلمون لميولهم وأهوائهم في الحكم على الآخرين يظنون ظن السوء بهم، وقد تكون هذه الظنون ناتجة عن خيالات مريضة وأوهام ليس لها أي أساس من الصحة، كما يقول القائل: (يا أيها العاقل، اعط كل شيء حجمه، ولا تضخم الأحداث والمواقف).

إننا لو نظرنا لتعاليم ديننا الحنيف نجد أنه قد أعطى أهمية كبرى للمشاعر، ودعا إلى إشاعة روح المودة والمحبة والتعاطف والتراحم وغيرها من المشاعر والأحاسيس الجميلة بين المسلمين، كما دعانا إلى ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» (متفق عليه).

فالمسلم يحمل قلبا كبيرا ممتلئا بالمشاعر والأحاسيس النبيلة تجاه مجتمعه: يعطف على صغيره، ويوقر كبيره، ويرحم ضعيفه، ويشارك إخوانه المسلمين أفراحهم وأطراحهم، ويصفح عن زلاتهم، ولا يشمت في مصائبهم، ولا يسخر من عيوبهم.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم — فطالما استعبد الإنسان إحسانا

ولم تتوقف مشاعر المسلم عند حدود المسلمين فقط، بل نجده يفيض بالمشاعر الجميلة، والأحاسيس النبيلة تجاه الآخرين، حتى ولو لم يكونوا على ملة الإسلام، فهو مأمور بالبر والإحسان إلى الآخرين في إطار الإخوة الإنسانية، التي أكد عليها الخالق عز وجل في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، وقد تجلت هذه المشاعر الطيبة في أبهى صورها في معاملة الرسول ﷺ لأهل الكتاب، سواء كانوا يهودا أو نصارى.

فقد كان عليه السلام يكرمهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، بل ويشاركهم وجدانيا، فقد مرت به ﷺ جنازة فوقف لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال عليه السلام: «أليست نفسا» (رواه البخاري).

فهل عرفت البشرية على مدى تاريخها نبل مشاعر وأحاسيس مثل هذه، والآن تغافل أكثر المسلمين عن مثل هذه المشاعر الطيبة التي أظلهم بها الإسلام، فاستشرت بينهم الأدواء النفسية الخبيثة التي قتلت في نفوسهم كل مشاعر جميلة وأحاسيس نبيلة بسبب نسيان تعاليم ديننا الإسلامي التي أحوج ما نكون إليها في هذا العصر.

عزة أحمد محمد حامد

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

info@alwaei.com

@Alwaei_Alislami

مجلة الوعي الإسلامي

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
طوِّل
بالك
صلاتك_ميزانك
نفس
المشروع القيمي لتعزيز العبادات
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني
RedAwqaf

أسست عام 1385 هـ - 1965 م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٦٢٤) شعبان ١٤٣٨ هـ - أبريل - مايو ٢٠١٧ م

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

النقد الإيجابي.. خطوات للأمام

شعبان.. شهر تغفل الناس عنه

الأوقاف تشارك في برنامج الزمالة (feIIow ship) الثاني

أكاديمية إسطنبول للغات انتصرت للمحجبات

«الوعي الإسلامي» تحصد جوائز الإدارة المتميزة

هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (١٣)

هدية العدد: بوستر «من خصائص النبي ﷺ»

موقع مجلة الوعي الإسلامي

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعي الإسلامي

الافتتاحية

رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

النقد الإيجابي

الحمد لله المتوحد بكمال الجمال، المتفرد بتصريف الأحوال، سبحانه إليه الرجعى والمآل، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ (الرعد:٩)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال في كتابه المتصف بالكمال: ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرعد:١٧).

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المفضال، خصه الله بكريم الشيم ورفيع الخصال، وبما قل ودل من جميل المقال، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه أولي الصفات الحميدة، وكريم الفعال.

أما بعد، فقد اعتبر المنظور القيمي الإسلامي النقد قيمة إيجابية، وحث المسلمين على الالتزام بها، فقد أشارت بعض نصوص الكتاب العزيز إلى حيثية النقد المنهجي، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:١٨).

ومن نصوص السنة ما جاء من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» (الترمذي:٢٠٠٧).

كما تعددت إشارات النصوص الشرعية إلى العديد من أنواع النقد؛ كالنقد المعرفي المتمثل بأنماط التفكير التي سادت المجتمع الجاهلي، كـ «الكهانة» والنقد الاجتماعي، من خلال نقدها لبعض الظواهر الاجتماعية السلبية الجاهلية، كـ «وأد البنات»، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ (التكوير:٨-٩).

أما النقد الذاتي الإيجابي؛ فقد أشار إليه النص القرآني بقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:٥٣). وأما الصحابة رضوان الله عليهم فقد طبقوه واقعا، فالصديق رضي الله عنه قال في مستهل خطبة الخلافة: «يأيها الناس، إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني» (البيهقي:١٣٠٠٩).

ولاشك أن النقد الموضوعي من أنماط النقد التي قررها المنظور القيمي الإسلامي، لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» (مسلم:٣٤)، وهذا كله مبناه على النصيحة والتقويم.

هذا، ولابد أن تكون العملية النقدية وفق ضوابط محددة، ومنها: التمييز بين الأصول والفروع، والجمع بين الوحدة على مستوى الأصول، والتعددية على مستوى الفروع، يأتي ذلك ليحقق جانبا مهما من جوانب إقرار التعددية الذي هو أحد شروط إقرار النقد. وبما أنه لا عصمة بالأصالة لأحد بعد رسول الله ﷺ؛ وأن العصمة بالتبعية للجماعة وليست لآحاد الناس؛ فإنه يتقرر مبدأ إمكانية الخطأ الذي يستدعي النقد الإيجابي الذي يقوم ويبني.

ولا غرو في ذلك؛ فإن عملية النقد البناء مبنية على الإخلاص؛ فلا يكون النقد لأجل النقد وإظهار الذات، فالأمة تحتاج من حين لآخر إلى وقفات متأنية تكون فرصة حقيقية للمراجعة والتقويم والتصويب والبناء.

وختاما؛ فإن تجديد الدعوة إلى النقد والمراجعة، دعوة إلى تمثل المنهاج النبوي في صياغة حياة الإنسان وسلوكه وفق مقتضيات الشرع، لا وفق الأهواء، وبذلك نكون قد تمثلنا قوله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (مسلم:٩٥).

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٤ | شعبان ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
أبريل – مايو ٢٠١٧م

المراسلات
رئيس التحرير – مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت – هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ – ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي – ٣٠١
البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة – متفرع من شارع جامعة الدول العربية – المهندسين – الدور الأول – مكتب ١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥-٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ – فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ – فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٩٠٠/٨٠١ – فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨/٨١٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ – فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ – فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ – فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ – فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ – فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ – فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ – فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ – فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

كلمة العدد

حساسية النقد

الناقد – كما ورد في معاجم اللغة – هو من يعطي حكما على مزايا أو عيوب أو قيمة، أو صحة أمر ما وهو من يظهر صفات عمل ما من جودة ورداءة، وقديما كان يطلق على من يميز الدراهم جيدها من رديئها «ناقد». ومن هنا ندرك أهمية هذه الوظيفة في حياتنا، لتقدم المجتمعات إن صلحت النوايا وصفت القلوب ووضعت المنقودات على طاولة التشريح العلمي لا العاطفي.

إن الإسلام لم يفصل – كما هي حالته دوما – النقد عن الجانب العملي في حياة الإنسان، كما لم يهمل الجانب العاطفي، وفي حين وردت القصص والأخبار عن سهام نقد لاذعة وكما وردت أيضا الأخبار عن النصائح الخفية اللينة التي لا تفضح سلوكا شخصيا أمام الملأ.. وبين هذا وذاك نتوسط فلا نسمح للأخطاء أن تستمر ولا نسمح للضغائن أن تنتشر.. نحافظ على علاقاتنا طيبة ولا نقترب من حدود الظلم للنفس أو للغير.

ومن المؤسف أن بعض الناس من يترك النقد جلبا لراحة البال وظنا بأنه لن يفقد الأصدقاء طالما لم ينبه لأخطاء وقعوا فيها.. وهذا محض وهم. فالصديق من صدقك والصديق يتوقع منك عندما يصْدُقك ألا تتحسس من نقده أيضا.

مدير التحرير

فهد الخزي

د. محمد رشيد العويد
خبير تربوي

شعبان.. شهر يغفل الناس عنه

قبل أن يبدأ الرياضيون مبارياتهم في كرة القدم وكرة السلة والملاكمة والمصارعة وغيرها؛ فإنهم يقومون بتمارين خفيفة لتنشيط أجسامهم وتهيئتها لجهد كبير سيقومون به في تلك المباريات والمسابقات.

وتسمى هذه التمارين بـ «التحمية» أو «الإحماء»، وهذا لأنها تعد أجسامهم وتحميها من أن يلحق بها ضرر أو أذى إذا خاضوا تلك المباريات دون إعداد أنفسهم لذلك.

والمسلم الذي سيصوم شهر رمضان الذي يغير نظام طعامه وشرابه، بل نظام حياته، يحتاج إلى ما يشبه ذلك الإعداد للنفس والجسم بصوم بضعة أيام في شهر شعبان.

هذا ما كان يفعله النبي ﷺ حين يصوم أياما من شهر شعبان، بل إن شعبان كان أكثر شهر يصوم فيه ﷺ بعد شهر رمضان المبارك، ففي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان».

وفي رواية للنسائي والترمذي قالت: «ما رأيت النبي في شهر أكثر صياما منه في شعبان، كان يصومه إلا قليلا، بل كان يصومه كله». وفي رواية لأبي داود قالت: «كان أحب الشهور إلى رسول الله أن يصومه: شعبان، ثم يصله برمضان».

وهذه أم سلمة رضي الله عنها تقول: «ما رأيت رسول الله ﷺ يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان». ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «وكان أحب الصوم إليه في شعبان»،

ولشدة معاهدته ﷺ للصيام في شعبان قال ابن رجب رحمه الله: إن صيام شعبان أفضل من سائر الشهور.

وقال الإمام الصنعاني: وفيه دليل على أنه يخص بالصيام شعبان أكثر من غيره.

وذكر العلماء في تفضيل التطوع بالصيام في شهر شعبان على غيره من الشهور: أن أفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان: قبله وبعده، وذلك سيلتحق بصيام رمضان لقربه منه، وتكون منزلته من

الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها، فيلتحق بالفرائض في الفضل، وهي تكملة لنقص الفرائض.
وما أجمل ما قاله أبوبكر البلخي في هذه الأشهر الثلاثة المتواليات: رجب وشعبان ورمضان، قال رحمه الله: شهر رجب شهر الزرع، وشهر شعبان شهر سقي الزرع، وشهر رمضان شهر حصاد الزرع. وقال أيضا: مثل شهر رجب كالريح، ومثل شعبان مثل الغيم، ومثل رمضان مثل المطر.
ولقد كان السلف الصالح يعرف لشهر شعبان قدره حتى قال سلمة ابن كهيل: كان يقال: شهر شعبان شهر القراء، أي قراء القرآن الكريم فيكثرون تلاوته.
كذلك حبيب بن أبي ثابت كان إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القراء.
وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن.
ولقد أشار ﷺ إلى فضل شهر شعبان وإلى غفلة الناس عنه، وحثنا على الصيام فيه لأنه شهر ترفع فيه أعمال العباد إلى الله سبحانه، فعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال قال رسول الله ﷺ: «شعبان بين رجب ورمضان، تغفل الناس عنه، ترفع فيه أعمال العباد، فأحب أن لا يرفع عملي إلا وأنا صائم» (أخرجه النسائي والبيهقي وهو حديث حسن أورده الألباني في صحيح الجامع).
قال أهل العلم: هذا الحديث فيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة، وأن ذلك مما يحبه الله عز وجل، وقد كان بعض السلف يستحبون إحياء ما بين العشاءين بالصلاة، ويقولون هي ساعة غفلة. والمقصود بالعشاءين: المغرب والعشاء.
ولذلك حثنا النبي ﷺ على ذكر الله تعالى في الأسواق لأنها الأماكن التي يقل فيها ذكره سبحانه، فوعدنا على ذلك بأجر كبير.
قال ﷺ: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتا في الجنة» (رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما).

إخوتي الأحبة، أخواتي الفاضلات، لما كنا نعلم جميعا قيمة الوقت الكبيرة، وأهمية استثماره في إحراز مكاسب دنيوية كثيرة؛ فلابد أن نعلم أيضا كيف يمكننا استثماره في كسب المزيد من الحسنات والجوائز الأخروية الثمينة؛ من ذلك أن ننتبه جيدا إلى أن هناك أوقاتا وأزمانا شريفة، فضلها الإسلام على غيرها، وحثنا على كسب ما فيها من خير، وشهر شعبان هو أحد هذه الأزمنة، فهلا استنفرنا فيه أنفسنا، ونشطنا فيه هممنا، وشمرنا فيه عن سواعدنا، فأجرنا وأثبنا؟!
ثم من يدري فقد لا ندرك رمضان، فكم من الناس من يموت في شعبان ولا يدرك رمضان، فعسى أن يأجرهم ربهم على نيتهم بصيام رمضان وقيامه، وباستعدادهم وانتظارهم له في شهر شعبان، أليست الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى؟
عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه» (متفق عليه).
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» (متفق عليه).
والذي يصدق في نيته ينال من الأجر مثل ما ينال من يعمل العمل، فعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة (أي في غزوة) فقال ﷺ: «إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا، ولا قطعتم واديا، إلا كانوا معكم؛ حبسهم المرض»، وفي رواية: «إلا شركوكم في الأجر» (صحيح مسلم).
ويصل فضل النية وأجرها إلى درجة أن المسلم ينال أجر الشهادة إذا سأل الله تعالى بصدق أن يرزقه إياها حتى وإن مات على فراشه.
قال ﷺ: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق؛ بلغه منازل الشهداء، وإن مات على فراشه» (صحيح مسلم).
وهكذا نية صيام شهر رمضان في شعبان، عسى أن يكتب الله لصاحبها الأجر وإن مات في شعبان.

محمد جمال حليم
باحث دراسات إسلامية

من أخلاق الرسول الكريم ﷺ

لم تكن سيرة النبي ﷺ كسيرة غيره من الرجال، بل إن كل موقف من مواقفه يعد درسا وتشريعا للأجيال تستقي منه الدروس والعبر.

وبنظرة إلى سيرته الطاهرة تجدها حافلة بكل ما يضمد الجراح لأزمات الأمة اللاحقة، ملأى بالدروس والحكم، بها جواب عن كل سؤال، وتفسير لكل مبهم وتفصيل لكل مجمل، وبهذا قطعت حياة النبي الكريم وما بها الطريق على المتربصين ومن يدعون للتمرد على التراث الإسلامي بدعوى الجمود والرجعية وهأنذا ألفت النظر لبعض من أخلاقه ﷺ مما نحن في حاجة إليه لاسيما في عصر التقدم والانفتاح.

لقد تحلى الرسول ﷺ بعدد من الصفات التي نحن أحوج ما نكون إليها، انظر إليه وهو يتكلم عن زوجه خديجة رضي الله عنها وكيف كان شغفه بها ووفاؤه لها حتى بعد موتها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها، فأحسن الثناء، قالت: فغِرْت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها، قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها؛ قد آمنتْ بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء» (١).

نعم، كان رسولنا يحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، ولم لا وقد واسته، وساندته، وآزرته بنفسها ومالها حتى يبلغ رسالة ربه وينتشر بين ربوع الأرض سنا ضوئها، بل لقد كان يكرم صويحبات خديجة، إكراما لها فإذا ذبح، أو طبخ أهدى إليهن.

وفي يوم النصر، يوم الفتح، يوم التمكين وإعادة الحقوق لأصحابها، يوم أن عاد الرسول ﷺ إلى بلده، التي طُرد منها، فاتحا، برغم فرحة العودة إلى موطنه، لم ينس أصوات تعذيب المسلمين والتنكيل بهم، لم ينس غارات قريش المتوالية لصده عن سبيل دعوته، ولم ينس أيضا موقف خديجة التي ساعتَها كانت حائط الصد الأول، فتراه ﷺ يخترق هذا الموقف المهيب القدر العظيم الشأن بكلمات غاية في الروعة والجمال تجسد بحق خُلُقا ما أحوجنا إليه الآن فيقول: «اضربوا لي خيمة إلى جوار قبر خديجة» أوَتذكرها يا رسول الله والفرح ينسي، والوقت طال، وقد ماتت ولا يكاد يذكرها أحد، فكأنما يقول وهل نسيتها يوما، وكلماتها أمامي يوم أن عدت إليها مرتجفا فقالت: «لا يخزيك الله أبدا».

وفي موقف آخر يجسد فيه الرسول ﷺ أدب الحوار مع المخالف، فكلماته تقطر مسكا وإيحاءاته التى تبرزها الجمل تنثر عبيرًا، في مشهد يأسر القلب ويداعب الجنان بطمأنينة وهدوء تفتقدها معظم حواراتنا مع الآخر اليوم، وإن كان على ديننا،

فهذا عتبة بن ربيعة (٢) وقد جمع همته واستحضر قوته العقلية والبيانية وذهب في مهمة رسمية لو نجح فيها دانت له العرب والعجم، وكان ذا فضل عليهم ما حيوا وبعد مماتهم، ولو خسرها، فهو الخسران المبين، ذهب وقد نوّع أساليب كلامه بين الوعد والوعيد، والتشويق والتهديد؛ ليصد النبي عن دعوته، وليغريه بما لذّ من متاع الدنيا الفانية؛ راجيا أن يلقى قبولا وأن يجد لكلامه صدى، ولم لا، وهو من أعقل قريش وأذكاها، فكيف استقبله الرسول وكيف دار الحوار بينهما؟

بدأ عتبة حديثه وقد ذهب بمفرده ممتدحا شخص النبي: يا بن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَة (أي: المنزلة) في العشيرة والمكان في النسب.
ثم لوَّح قائلا: إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرّقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم، وعِبت به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، وسنعرض عليك أمورا، فاختر منها ما شئت.
ورسولنا يسمع ولا يقاطع، ثم يعقب وقد كنَّاه بكنيته: «قل يا أبا الوليد».
يقول عتبة: يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد به شرفا سوَّدناك علينا، حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئِيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه.
ومع كل ذلك ترك رسولنا الكريم عتبة ولم يقاطعه، ولو مرة واحدة، برغم ما جاء به من سفاهة ومساومة على الدين، تركه حتى فرغ تماما من حديثه، وبعد أن انتهى من حديثه وفي هدوء تام وعدم انفعال قال له: «أقد فرغت يا أبا الوليد»؟
أجابه عتبة: نعم.
وهنا طلب منه الرسول، بأدب، أن يسمع هو الآخر منه كما سمع هو فقال: «فاسمع مني».
قال عتبة: أفعل.
فلم يزد الرسول على أن تلا عليه بعضا من أول سورة فصّلت وقد احتوت على ما يشفي صدره ويبصره بموقف النبي ﷺ من عروضه ويحذره ومن وراءه من قريش بمآلات السابقين المكذبين من قوم عاد وثمود.
وأمام هذا الفيض الإلهي الذي أعجز بيانه وألقاه صريعا في محراب التسليم لصدق الرسول ﷺ وإن لم ينطق، وقد علم بقلبه وجنانه أن هذا ليس قول كذاب ولا ساحر، بل وما هو بقول شاعر، فقام فزعًا وقد وضع يده على فم الرسول ﷺ وهو يقول: «أنشدك الله والرحم، أنشدك الله والرحم» خشية أن تصيبه صاعقة أو يحل به العذاب، مالَكَ يا عتبة ألهذه الدرجة يا عتبة؟
ثم هرول إلى قومه، وقد بدا على وجهه الجواب قبل أن ينطق.
ما وراءك يا عتبة؟ ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكُه ملكُكم وعزُّه عزُّكم، وكنتم أسعد الناس به.

نعم لقد أوتي النبيُّ مجامع الكلم، وقد أوتي الحكمة ومن يؤتاها فقد أوتي خيرًا كثيرًا. أرأيتم بأعينكم كيف كان الحوار مع مخاطره، ومع عظم نتائجه وقد علقت قريش عليه الآمال؟ أرأيتم حلمه على المخالف مع إصراره ذلك المخالف على عرض التفاهات والمساومة على الرسالة الخالدة؟ أرأيتم صبره وتكنيته المخالف بأحب الأسماء، وجعله يتكلم أولًا دونما مقاطعة؟ يا لها من أخلاق سامية ما أحوجنا إليها وسط حوارات ونقاشات اتسمت بالشطط والتنكيل بالمخالف.
وإن كانت هذه أخلاقه ﷺ مع آحاد المشركين فإنها لم تختلف كثيرا مع الزعماء، والأمراء، والملوك الذين أرسل إليهم الكتب والوفود يدعوهم إلى الإسلام؛ فلقد حملت رسائله هذه عبارات الإشادة والتبجيل، فمن محمد بن عبد الله إلى «عظيم» فارس، وإلى «ملك» الروم إلى...إلخ، ما دعا أحدهم وهو المقوقس أن يكرم رسول رسول الله ويهدي إليه ﷺ هدايا، نعم هذه الأخلاق التي تظهر جوهر الإسلام دونما حاجة لكثير من الخطب والكلام، وصدق من قال:

أخلاقه غزت القلوب بلطفها
قبل استلال سيوفه ونباله

ومن لطائف حلمه ﷺ ما صنعه مع النعيمان.(٣) فقد روي أن أعرابيا دخل على النبي ﷺ وأناخ ناقته بفنائه، فقال بعض الصحابة لنعيمان: لو عقرتها فأكلناها، فإنا قد قرِمْنا (أي: اشتدت شهوتنا إليه) إلى اللحم، ففعل، فخرج الأعرابي وصاح: واعقراه يا محمد، فخرج النبي ﷺ فقال: «من فعل هذا»، فقالوا: نعيمان، فاتّبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب، واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد، فأشار رجل إلى النبي ﷺ حيث هو، فأخرجه فقال له: «ما حملك على ما صنعت؟» قال: الذين دلّوك على يا رسول الله هم الذين أمروني بذلك، قال: فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك، بحلم ولين، لم يمنعاه عن إعطاء الحق لأصحابه؛ إذ غرم ﷺ ثمن الناقة وأرضى الأعرابي من ناقته، وقال: «شأنكم بها»، فأكلوها، وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر صنيعه ضحك حتى تبدو نواجذه» (٤). فما أشد حاجتنا اليوم للتخلق بأخلاقه ومدارسة سيرته وأيامه، نستلهم منها الرشد، وننهض بها من كبوتنا وتكون مشعلنا إلى الجنة، فبالأخلاق نسمو وبها نعز، وصدق المعصوم حيث قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

الهوامش

١- رواه أحمد (١١٧/٦).
٢- هو عتبة بن ربيعة، سيد عبد شمس، ووجيه من وجهاء مكة، ومن حكماء قريش، وشخصية بارزة عند ظهور الإسلام.
٣- هو نعيمان بن عمر الأنصاري رضي الله عنه، وهو ممن شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها، وقد رويت عنه نوادر عجيبة وغريبة، في الدعابة أضحكت رسول الله ﷺ.
٤- أخلاق النبي ﷺ، لأبي الشيخ الأصبهاني (١٨٤/١)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر (٤٨٤/١).

التحرير
تصوير: هدايت الله أحمد

على هامش معرض إسطنبول الدولي الرابع للكتاب:
«الأوقاف» تشارك في ملتقى الزمالة بالجمهورية التركية

شارك وفد من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بملتقى الزمالة (fellow ship) الثاني على هامش معرض إسطنبول الدولي الرابع للكتاب بالجمهورية التركية.

وكان اتحاد الناشرين الأتراك قد أقام برنامج الزمالة (fellow ship) الثاني، على هامش فعاليات المعرض، المقام في الفترة من ٢٤-٢٨/٢/٢٠١٧م.

وقد شاركت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، في هذا البرنامج، متمثلة بقطاع الشؤون الثقافية؛ بغية مد جسور التواصل مع المسلمين في مختلف بلدان العالم الإسلامي بوفد ضم كلا من وكيل الوزارة المساعد للشؤون الثقافية المهندس داود عبدالوهاب العسعوسي ورئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» د. صالح سالم النهام والأستاذ ياسر سالم القربة رئيس قسم بإدارة الإعلام الديني، وكان الهدف من هذه الزيارة تفعيل دور وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الريادي في المحافل العلمية والثقافية والإعلامية، والوقوف على أبرز المعوقات المعاصرة التي تواجهها، إضافة إلى إيجاد قنوات اتصال لتبادل الأفكار التي تخدم المسلمين في كل

العسعوسي: طرح «الوعي الإسلامي» يدرك الماضي ويتماشى مع الواقع

من البلدين، وتنمية الثقافة الإسلامية بمفهومها الشامل بعيدا عن الصراعات الفكرية والمذهبية، مع السعي لتكامل الأدوار بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت، وبين المؤسسات والجامعات والهيئات الإسلامية في الجمهورية التركية، مع تعزيز نشر الثقافة الإسلامية المعتدلة بين المسلمين، من خلال ترسيخ قيم الوسطية والأخلاق الإسلامية، ونشر الوعي الديني الثقافي.

وضمن برنامج الزمالة الدولي، ألقيت العديد من المحاضرات والأبحاث العلمية، وكان من أبرزها: محاضرة بعنوان: مشروع التيدا (teda)، حاضر فيها مدير عام غرفة تجارة إسطنبول حمدي تورشجو ومحاضرة بعنوان: مجال النشر

في العالم العربي، ألقاها أمين عام اتحاد الناشرين العرب بشار شباور، كما أقيمت محاضرة بعنوان: إسطنبول (كتابكنت)، ألقاها عضو هيئة إدارة غرفة تجارة إسطنبول إلهان سويلو.. كما أجرى الوفد العديد من اللقاءات، منها لقاء مع رئيس اتحاد الناشرين طيفور أسن وقد جمعت اللقاءات العامة وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالوفود المشاركة في الملتقى والمعرض، وتم خلال هذه اللقاءات إهداء إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»، وإصدارات إدارة الإعلام الديني للجهة المنظمة، إضافة إلى العديد من الوفود المشاركة.

زيارة المعرض

وقد جال وفد الوزارة في صالات معرض إسطنبول الدولي الرابع للكتاب، الذي تميز هذا العام بحضور أكثر من ٣٥٠ دار نشر، منها ٧٠ دار نشر عربية، وأقيم على هامشه ندوات وأنشطة متنوعة.

كما زار الوفد مسجد السلطان أحمد، وتعرف من خلال هذه الزيارة على الأهمية التاريخية والدينية لهذا الصرح الإسلامي الضخم، حيث يعتبر «الجامع الأزرق» أحد أشهر وأهم المساجد في مدينة إسطنبول التركية، ويقع المسجد في ميدان السلطان أحمد، ويقابله

متحف «آيا صوفيا»، ويشتهر مسجد السلطان أحمد بعمارته المميزة، حيث يعد من أهم وأضخم المساجد في العالم الإسلامي.

وتعرف الوفد على تاريخ بناء المسجد الذي يعود إلى سنة: (١٠٢٦هـ)، حسب أحد النقوش على أحد أبوابه.. ومن النتائج المبهرة لزيارة وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على وجهها الأكمل، التنسيق مع اتحاد الناشرين العرب، والعديد من المراكز الإسلامية لإقامة

> **النهام: ضرورة الاستفادة من تبادل الخبرات في نشر الثقافة والمعرفة**

مشاريع مشتركة مستقبلية والتعرف على العديد من الشخصيات العالمية والعربية من خلال اللقاءات الفردية على هامش معرض إسطنبول الدولي الرابع للكتاب، كما تم خلال هذه اللقاءات تبادل الأفكار حول إصدارات قطاع الشؤون الثقافية، ولاسيما مجلة «الوعي الإسلامي» عن قرب، وقد أكد رئيس الوفد م. العسعوسي على الدور الدعوي والفكري للمجلة في العالم، حيث أبهرت الضيوف والمشاركين، وذلك لأهميتها الدينية والثقافية، وطرحها الوسطي الذي يدرك الماضي، ويتماشى مع الواقع، ويستشرف المستقبل لافتا إلى أهمية الارتقاء بالمجتمعات الإسلامية روحيا وإيمانيا، والحرص على بناء جيل مسلم واع قادر على العطاء والبذل في سبيل سعادة الإنسانية جمعاء.

كما أكد رئيس تحرير «الوعي الإسلامي» د. النهام على دور المجلة في خدمة المشروع الإسلامي، والحرص على الوصول إلى المجتمعات الإسلامية، ودعم الكتاب المسلمين في كل مكان من خلال نشر مساهماتهم وبناء علاقات إيجابية مع الآخر، مشيرا إلى ضرورة الاستفادة من التعاون المتبادل والخبرات في نشر الثقافة والمعرفة من خلال المشاركة في المعارض والندوات والمؤتمرات.

د. رضا عبدالحكيم إسماعيل
باحث في علوم الشريعة

٤٥ من مخطوطاتها في المتحف الدولي لثقافات المسلمين

تمبكتو.. حاضنة الإسلام في الصحراء الكبرى

يري الباحثون والخبراء أن المعالم والأعمال الفنية للصحراء الكبرى وإفريقيا الإستوائية التي تعادل مساحتها مساحة الشرق الأوسط والهند، لم تكن ضمن اهتمامات مؤرخي الفن الإسلامي على الإطلاق، وذلك لكونها أقصيت بعيدا عن مراكز العالم الإسلامي، وقد تم تشكيلها، كما لو كانت، في أقصى أطراف هذه الحضارة، وبقيت هذه الفنون كالشيء المختلف الأبدي، أي أنها موجودة، لكن ليس هناك من يلاحظها أو يعيرها أي اهتمام، فهي تعتبر ريفية وهامشية. والحقيقة أن فنون هذه المنطقة الشاسعة من إفريقيا تقع ضمن المدار الإسلامي تماما، وتقدم «تمبكتو» شهادة على ذلك التنوع الرائع للعقل والوعي، الذي وجد في الحضارة الإسلامية.

وتينبكتو أو تُمْبُكْتُو، وسميت قديماً تنبكت، مدينة في مالي، من أهم العواصم الإسلامية في غرب أفريقيا، وتلقب «بجوهرة الصحراء» المتربعة على الرمال، وهي البوابة بين شمال أفريقيا وغرب أفريقيا، وهي ملتقى القوافل البرية للقادمين من النيجر وليبيا، وكذلك تجار الملح القادمين من تودني، وقد أنجبت العديد من الفقهاء والعلماء، وازدهرت فيها الحركة الثقافية.

وقد وصفت تمبكتو بالمكان الذي يلتقي فيه الجمل بالقارب، فقد كانت بالفعل ميناء على طول الأطراف الجنوبية من إقليم الصحراء الكبرى، حيث كانت تمر من خلالها القوافل التجارية، ومن بينها تجارة الكتب، ويلتقي فيها عابرو نهر النيجر الجليل.

ومن المعروف أن تمبكتو كانت تعد مركزا مشهورا للتعليم، فقد جذبت الطلبة والباحثين من العديد من الدول والعرقيات.

إن واحة تمبكتو هي حاضنة الإسلام في الصحراء الكبرى، ومنارة للعلم فيها، ومجمع العلماء، وهي من أشهر المدن في غرب أفريقيا، خاصة منذ القرن الثالث عشر إلى أن دخلها المستعمر الفرنسي في أوائل القرن التاسع عشر، وسكان تمبكتو كلهم مسلمون.

بحسب المصادر حينما قصد حسن الوزان الشهير بـ (ليون الأفريقي) مدينة تمبكتو في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، كانت تلك ولا

شك هي الفترة الذهبية التي جعلت من تمبكتو أسطورة الصحراء وجوهرته، حتى عادت مضرب الأمثال، ومثار الخيال عند الرحالة الأوروبيين، الذين اقترنت في أدبياتهم بأقصى مكان في الأرض وأبعده.

واليوم لا تكاد تجد أوروبيا واحدا، لا يعرف تلك الجوهرة التي تغوص وسط رمال الصحراء الأزوادية شمالي جمهورية مالي.

عاصمة للعلم

إن أكثر ما ازدهرت به تمبكتو في ذلك الوقت هو التجارة فقط أكثر من أي شيء آخر، ولكن الأهمية ازدادت يوما بعد يوم، حينما صارت إلى جانب تلك الخاصية عاصمة للعلم، فصار فيها ذلك التزاوج الذي جعلها في مصاف كبريات مدن العصر في ذلك الوقت كقاهرة المعز، وآستانة، وفاس، وغيرها من المدن.

ويعتقد البعض أن ذلك النشاط تضاعف كثيرا بعد سقوط آخر معاقل الأندلس وهو مملكة غرناطة، وقد ظلت تمبكتو مع ذلك التميز صامدة أمام كل الأهوال التي تعصف بها على الدوام على يد أهلها خاصة.

وقد أعيد اكتشاف تمبكتو مرات الواحدة تلو الأخرى بفضل المستكشفين الأوروبيين، أمثال البريطاني «الماجور غوردون لينغ» في (١٨٢٦م)، وكذلك المستكشف الفرنسي «رينيه كاييه» في (١٨٢٨م).

قد بدأت تمبكتو بلفت الأنظار إليها كمركز إشعاع علمي بعد رجوع إمبراطور مالي «مانسا موسى» من رحلة الحج الشهيرة التي قام بها عام (١٣٢٥م)، ووزع في طريقه إليها آلافاً مؤلفة من سبائك الذهب، خاصة في القاهرة، مما تسبب في هبوط أسعار الذهب.

وقد أمر السلطان الشاعر الغرناطي الملقب بالسهيلي بتصميم جامع كبير والإشراف عليه، هو جامع تينبكتو القائم إلى يومنا هذا، وكانت تلك النواة الأولى لبناء صرح علمي في تينبكتو، حيث صار مع مرور الأيام مركزا للعلم، خاصة تبرع امرأة من سركولو، إحدى القبائل المالية، ببناء جامع آخر فيما بعد، وقد ازدهر العلم مع تقاطر الطلبة من شمال وغرب أفريقيا على تينبكتو، وقد ساعد على ذلك الإنفاق السخي الذي قام به التجار على دور العلم، فكان أروع تزاوج بين المال والمعرفة في عروس الصحراء، إذ وصل عدد المدارس في ذلك الوقت (١٨٠) مدرسة، تضم أكثر من (٢٥,٠٠٠) طالب، كما وصل مستوى التعليم في تينبكتو ذلك الوقت إلى نفس المستوى الذي وصل إليه في قرطبة وتلمسان والقاهرة.

٤٥ مخطوطة

عرض المتحف الدولي لثقافات المسلمين بالشراكة مع مكتبة «ذكرى ماما حيدرة» مجموعة عبارة عن ٤٥ مخطوطة من الآلاف التي اكتشفت أخيرا في مالي، هذه المخطوطات المغلفة بالجلد، والمكتوبة بخطوط دقيقة، ورسومات ملونة ومذهبة أيضا، تغطي تنوعا واسعا من الموضوعات من التجارة إلى السياسة ومن حقوق المرأة إلى اتفاقيات السلام، بما يعكس التنوع المبهر لتعابير الإسلام والفنون الإسلامية لجنوب الصحراء الكبرى الإفريقية.

يدخل الزائر معرض المتحف الدولي لثقافات المسلمين من خلال الأبواب الخشبية المزخرفة بالفضة واللافتة للأنظار، التي هي نسخ مطابقة للمداخل الرسمية لتمبكتو، ويواجه فور دخوله أنموذجا مصغرا للجامع الكبير في جينيه، كما توجد خريطة تفاعلية تتعقب آثار طرق أفريقيا عبر الصحراء الكبرى، وهناك مجموعة من الأشرطة المصورة التي تعرف الزائرين بتاريخ مالي وقصة الإسلام في إفريقيا.

ونظرا لأن التجارة عبر الصحراء الكبرى كانت بمنزلة جسر اقتصادي وثقافي لأنظمة عوالم البحر المتوسط وجنوب غرب آسيا، فقد كرست القاعة الأولى لطوارق الصحراء، الذين سيطروا على طرق القوافل الصحراوية لعدة قرون.

وقد عرضت مجموعة من السلع المنزلية المحمولة، وسروج الجمال والمنسوجات الجميلة، تحت خيمة مصنوعة من الجلود المدبوغة.

تناولت المخطوطات المعروضة في هذه القاعة موضوعات حول التحويلات الاقتصادية والسياسة، والمسائل القضائية، وقوائم الجرد، ورسائل التبريكات والسلامة في السفر، وتقدم تقارير عدد من رحالة القرون الوسطى، مثل ابن بطوطة، وحسن

الـوزان، مـن شـمـال إفـريقيا، شهادة على الحياة المسالمة المدنية في تمبكتو وأهمية تجارة الكتب فيها.

الغرفة الوسطى

أمـا الـغـرفـة الـوسـطـى مـن مساحة الـعـرض، فـقـد تـم تخصيصها للمخطوطات من مكتبة ماما حيدرة، خصوصا لتلك التي تركز على البعثات الـدراسـة واتـفـاقـيـات الـسـلام، مثل قوائم بحقوق المرأة والأطفال والعمال، ورسالة عن التنوع الديني، وأخرى في العمارة الإسلامية، حيث تشير فيها إلى مجموعة الموضوعات التي تناولها العلماء المسلمون.

ومما هو جدير بالملاحظة مخطوطة كتبها الشيخ كينتي، تتضمن دعوى للصلح بين طرفين متنازعين، يناشدهم فيها أن يحب بعضهم بعضا، وأن يصبحا حليفين ويتجنبا القتال.

وهـنـاك مـوضـوع آخـر رئـيـس في المعرض، وهو قيمة التعليم في أفريقيا الإسلامية، فلم تكن الكتب جزءا من الـتـجـارة، بل نـتـاج لـبـاحـثـين محليين وصانعي الكتب، وقد عرضت طاولات خشبية، وأوراق، وجـلـود، وأدوات ضـروريـة لـحـرفـة صـنـاعـة الكتب في منطقة خـصـصـت لـعـرض تفاصيل صناعة المخطوطات في مـالـي، بناء على تعليمات «أبي بكر سادلي»، فقد كان هو وتلاميذه ينسخون النصوص، ويرسمون تصاميم هندسية إسلامية جميلة لـتـزيـين صفـحـاتـهـا، ومـن ثم يربطونها ويؤطرونها بجلود مزخرفة يدويا.

وحيث تعد الفنون الزخرفية المعروضة بـوفـرة فـي عـرض المـتـحـف الدولي لثقافات المسلمين مركزية للتعبير عن الإسلام في إفريقيا.

يـخـرج الـزائـر مـن المـعـرض مـن خلال عدة قاعات تصور أثر تجارة الرقيق الأطلسية والدمار والمذلة التي كانت مـسـتـمـرة تـحـت تـأثـيـر الاستعمار الفرنسي.

وبـالمـرور مـن جــدار طـيـنـي مغطى بالجص، وهو عبارة عن نسخة من جزء من مسجد سـانكور، يـصـادف الزائر صورا وقطعا ونصوصا تفصل الحياة في مالي.

اليوم وقبل مغادرة المعرض تتاح للزوار فرصة زيارة مختبر تعليمي بأنشطة يدوية تركز على فن الخط الإسلامي والفنون الموسيقية، وقد تم الربط ما بـين مـنـشـديـن مـالـي ونمـط موسيقى البلوز في دلتا ميسيسبي.

إن المتاحف مكرسة لحفظ ونقل نقاط التواصل الفعلي مع الماضي، ولهذا فهي توفر للزائرين مساحة مشاركة حية وعملية مع هذه الأشياء، ويؤكد الخبراء أنها تساعدنا على التواصل مع التاريخ دون إجـبـار، وذلـك بجمعنا والأشياء الملموسة معا والتي تم إنتاجها في الماضي من خلال فاعلين اجتماعيين.

المتحف الدولي

كـان المـتـحـف الـدولـي لثقافات المسلمين أول متحف تم تمويله بشكل خاص في الولايات المتحدة الأمـيـركـيـة، وكـرس لفنون وثقافة الـعـالـم الإسـلامـي، قد أسـس في مدينة جاكسون، بولاية المسيسيبي، في قلب إقليم ديكسي.

لقد افتتحت أبوابه في مطلع الألفية الحالية، حيث استقبل ما يقارب من ١٠ آلاف زائر سنويا من جميع أنحاء العالم، ويظل هـذا المتحف الصغير واحدا من ثلاثة متاحف وحيدة في الولايات المتحدة تخدم الثقافة الإسلامية، إلى جانب ذلك الذي في فيلاديليفيا، والآخر في واشنطن دي سي.

لقد أصبح المتحف الـدولـي لثقافات المسلمين مصدرا قيما لنظام التعليم الابـتـدائـي والـثـانـوي والـجـامـعـي، ومن المزمع تقديم عرض متنقل في المستقبل الـقـريـب، وقـد تـم تـقـديـم منهج تعليم جديد، هو تقريب الثقافات: المساواة العرقية للرجال الأميركيين الأفارقة في مدارس جاكسون العامة، كما يؤكد رؤية الأفارقة المسلمين كأعضاء في التراث، ولهم إنجازات عظيمة ومشاركة فاعلة فـي تشكيل الحـيـاة الأمـيـركـيـة خلال الفترة الاستعمارية.

وطـبـقـا لمـصـادر المـتـحـف، يـوضـح إرث تمبكتو أن الأفـارقـة المـسـلـمـين كانوا مشاركين فـي الاقـتـصـاد العالمي، وقد كانوا منتجين لفن وتعليم استثنائيين.

وفـي قلب هـذا الـعـرض يكمن مفهوم «السلام العالمي»، وصنع السلام، من خـلال مـجـمـوعـة فـي الـنـصـوص التي تدعو لحل المنازعات والوساطات.

ويتمثل الأثر الأهـم للمتحف في كونه مكانا تعليما أقل رهبة من المسجد، ففي المتحف لا وجـود للتلقين، وهـذا ما يجعل من المتحف أحد أهم الوسائل لتثقيف الجماهير.

والمـلاحـظ أن ٨٠ فــي المـئـة من روادالمتحف قبل افتتاحه قبل ١٥عاما كانوا من غير المسلمين.

إن المسلمين في تمبكتو كانوا فقهاء عظماء وروادا في التسامح والتعايش السلمي وحفظ الـسـلام الـعـالمـي، وإن العالم الإسلامي اليوم بحاجة إلى مثل هذه النماذج.

المصدر

نقلا بتصرف واختصار عن: ديفيد. سي. ديفيس (ترجمة: ماجد سلطان) «تمبكتو في المسيسيبي. تصوير واستقبال الفنون الإسلامية في عمق الجنوب» محاضرة القيت في مؤتمر الفنون الاسلامية ١١: ١٤ إبريل (٢٠١٦م)، نشرتها مجلة الثقافة العالمية، العدد (١٨٥)، (ص ٩٤: ١٠٥).

whc.unesco.org/en/list/119/

https://ar.wikipedia.org/wiki/

www.moheet.com/.../.html

د. خالد برادة
باحث دراسات إسلامية

أهمية الصلة بين الإيمان والفكر

ليس من مكرور القول أو معاد الكلام، أن يُشِيد الباحث بجهود المصلحين المجددين الأعلام، الذين عملوا على صدّ الفكر الوافد، للحفاظ على ثقافة الأمة الإسلامية نقية من الشوائب، خالصة من كل ما يفسد على المسلم هويته، فأسهموا في تأصيل الثقافة الإسلامية من المرجعية الأولى: القرآن والسنة، لأنهما في مرتبة واحدة، وهذا ما نبّه إليه الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، ولم ينفرد بذلك وحده، بل تبعه في ذلك عدد غير قليل من الأصوليين، دونك مثلا: إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨هـ)، وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، وسيف الدين الآمدي (ت ٦٣١هـ)، وابن اللحام الدمشقي (ت ٨٠٣هـ)، وسواهم؛ وبهذا يُعلم أن اعتبار الكتاب والسنة في مرتبة واحدة ليس مما انفرد به الإمام الشافعي رضي الله عنه؛ وقد أكد ذلك الدكتور عبد العظيم الديب رحمه الله، في كتابه القيم: العقل عند الأصوليين (١).

لقد اكتفى علماؤنا - الذابرين عن موئل الشريعة الغراء - بالمنهج الإسلامي في تفسير النص الشرعي، بعيدا عن الزيف المفاهيمي، الذي اجتاح أفق الفكر الإسلامي، فأدرجوا كل بريق فكري زائف مضلل في أكفانه، واستنكفوا عن الارتماء في أحضانه، فصانوا أمتهم من أدرانه؛ ليحافظوا على أصالة الفكر الإسلامي، الذي لم يغفل الجمع بين إيمان المرء وفكره، حيث إن افترق أحدهما عن الآخر فذاك علامة على تنكب السبيل، مما يوحي بالتفكير العليل.

وإننا ننشد عودة الصلة الوطيدة بين الإيمان والفكر، لأن ذلك هو المأمن الحقيقي من التردي في مهاوي الانبهار بالحضارات الأخرى التي بلغ أصحابها شأوا في التقدم المادي، فباستحضار نتائج الارتباط بين الإيمان والفكر تنقشع عن النفوس مغبة التخلي عن تلك الرابطة، لما لذلك من أثر في وحدة الأمة، التي لا تقبل ثقافتها التعضية، لأنها بنية كلية؛ وإن قوة الأمة كامنة في استلهام مقوماتها من تلك الثقافة؛ وإنه من واجبنا في هذه المرحلة أن نهيئَ الفكر لدراسة الفكر الغربي، وذلك بإقامتنا لعلم الاستغراب، البعيد عن التحيز والأهواء، القائم على الموضوعية وليس على ردود الأفعال؛ فنتوسل به لمعرفة بنية التفكير الغربي، حتى نكون على وعي بحقيقة التفكير في العقل الغربي، فندرك أهمية الفكر الإسلامي، ونكون في حصن حصين من السير وراء سراب حضارة الغرب المادية - التي آلت إليها - بعد أن فصلت بين الدين والدنيا، بعيدا عن الأنس الروحي؛ بخلاف المنهج الإسلامي الجامع بين الدين والفكر، ذلك لأن الصلة بين قيام الفكر على أساس الدين، هي التي تعصم العقل المسلم من المفاسد الثقافية، فلا يتردى في مهاوي الانبهار بمن بلغ شأوا في التقدم المادي؛ وباستحضار مآلات الارتباط بين الإيمان والفكر تنقشع عن النفوس مغبة التخلي عن الرابطة التي تجمع بينهما، لما لهما من قوة مؤثرة في الأمة؛ كما تجدر الإشارة إلى أن توجيه الفكر برؤية قرآنية يزيد الإيمان، ويرشد عقل الحيران، لمعرفة الله تعالى وخشيته وتقواه؛ وهذا هو العلم المنشود، الذي يحقق الخشية من الله تعالى، القائل في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (فاطر:٢٨).

الهوامش

١- انظر: العقل عند الأصوليين، د. عبدالعظيم الديب، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط ١، ص ٩٠-٩٤، ٢٠١٣م.

استطلاع وحوار:
رئيس التحرير
د. صالح النهام
تصوير: هدايت الله أحمد

رغم حداثة إنشائها
أكاديمية إسطنبول.. إنجازات وتطلعات

رئيس التحرير د. صالح النهام محاورا مدير الأكاديمية د. أغير أقجه

«حرمان الفتيات التركيات من إكمال دراستهن الجامعية بسبب إصرارهن على لبس الحجاب.. والعمل على إحياء الحرف العربي بدلا من الحرف اللاتيني» كانا دافع إنشائها.. إنها أكاديمية إسطنبول للغات، التي استهلت نشاطها وفعاليتها منذ عام: (٢٠٠٦م).

ومع التحول الذي حدث في عام: (٢٠٠٩م) والسماح للدارسات المحجبات بدخول الجامعة، تحولت الأكاديمية إلى مركز للغات، وبذلك أصبحت أكبر مركز تعليمي خاص يعنى باللغة العربية في تركيا.

«الوعي الإسلامي» زارت الأكاديمية، وتجولت في أرجائها لاستطلاع أنشطتها عن قرب كما حاورت مديرها د. أغير أقجه.

لدى اقترابنا من مقر الأكاديمية رأينا لافتة كبيرة تحمل اسم الأكاديمية، وأرقام هواتف التواصل مع أقسامها، فالأول للراغبين في الالتحاق بدورات تعلم اللغة العربية، بينما منتصف اللوحة يحمل رقما للراغبين في تعلم اللغة التركية للناطقين بغيرها.

عند وصولنا إلى المبنى الحديث النشأة، طالعتنا واجهته الفخمة، على أحد جوانبها لافتة كبيرة بالجوار من اسم الأكاديمية البارز على الجدار، واللوحة بها صور لبعض طالبات الأكاديمية وأيضا شعارها.

لدى دخولنا هذا المقر الأنيق استقبلنا مدير الأكاديمية الدكتور محمد أغير أقجه وهو المدير العام لذات الأكاديمية الذي اصطحبنا في جولة في أرجائها.

بدأنا الجولة بقاعات الدرس التي وجدناها ذات مساحات وسعات مختلفة؛ ورأينا فيها من كل الأعمار؛ كبارا وصغارا، شبانا وفتيات، يجمع بينهم كلهم الرغبة في التعلم من نخبة مميزة من المدرسين؛ رجالا ونساء.

في القاعات رأينا تفاعلا لم نتوقعه بين الطلبة ومدرسيهم، فهذا الكهل يحاول قراءة بعض الأبيات من الشعر، وتلك الفتاة تستفسر من معلمتها عن جزئية أشكلت عليها. ثم عرجنا بعد ذلك على المكتبة، التي وجدناها تزخر بالكتب العربية والدينية، وأيضا بكتب تعنى بالناشئة بلغة سهلة ميسرة عليهم، كقصص للصحابة وبعض القصائد المشهورة.

الجو في المكتبة ساحر، تمتزج فيه الإضاءة الصناعية بالطبعية، جو يشجع على المطالعة، جو يسرق الوقت سرقة.

بعد زيارة المكتبة اصطحبنا الدكتور أغير أقجه إلى مكتبه ليدور بيننا حوار:

الدكتور أغير أقجه:
هدفنا هو جريان اللغة العربية على لسان كل تركي

الدورات التخصصية تغطي جميع المجالات
والملحقات التابعة للأكاديمية تضم دار نشر للغويات

• في البداية نود أن تحدثنا عن نفسك.

– الدكتور محمد أغير أقجه حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة مرمرة العريقة من كلية الإلهيات عام ٢٠١١م، وقد شغل العديد من المناصب الحكومية، وهو حاليا يشغل منصب المدير العام لأكاديمية إسطنبول منذ عام ٢٠٠٩م. الدكتور محمد أغير أقجه من بين المهتمين بتعليم اللغة العربية وعلومها، ولديه مشاركات مختلفة في المحافل الوطنية والدولية على حد سواء.

• حدثنا عن تاريخ إنشاء أكاديمية إسطنبول وما الهدف من إنشائها؟

– أنشئت الأكاديمية عام: (٢٠٠٦م) بهدف احتواء الطالبات التركيات اللائي أصررن على ارتداء حجابهن في مرحلة التعليم الجامعي فحُرمن من إتمام دراستهن بسبب قرار جائر يقضي بمنع دخول المحجبات في عموم جامعات تركيا.. بالإضافة إلى الرغبة في نشر تعلم الحرف العربي الذي كانت اللغة التركية تتألف منه قبل أن يتم استبدال الأحرف اللاتينية به عام: (١٩٢٨م)، ورغبة في أن يتم التواصل مع تراث العثمانيين الذي خلفته حضارتهم العريقة والذي انقطعت عرى التواصل معه بسبب عدم قدرة الأجيال المتلاحقة على القراءة بالحرف العربي.. أضف إلى ذلك أننا وضعنا خطة لاستهداف تعليم نحو خمسة ملايين مواطن تركي مبادئ اللغة العربية حتى يكونوا قادرين على قراءة القرآن الكريم وفهمه، ومن ثم يكونون نواة لتعليم الآخرين اللغة العربية في المجتمع التركي.

• ما الشهادات العلمية التي تؤمنها الأكاديمية للملتحقات بها؟

– من خلال اتفاقية أبرمناها مع جامعة أوروبا الإسلامية في هولندا لتدريس منهجها ومنح منتسباتنا درجة الليسانس؛ استطاعت الأكاديمية تأمين حصول طالباتها على درجة الليسانس في علوم اللغة العربية، وذلك تحت إشراف نخبة من الأساتذة المتخصصين الأكفاء، علما بأن مدة الدراسة أربع سنوات بما في ذلك السنة التحضيرية لرفع مستوى الدارسات في اللغة العربية.

• كم يبلغ عدد الطالبات المنتسبات لديكم في قسم الجامعة؟

– حتى الآن يبلغ عدد الطالبات المتخرجات من عندنا وتحت إشرافنا ١٠٠٠ طالبة، ويواصل الدراسة الآن في قسم اللغة العربية أكثر من ٢٠٠ طالبة في الدراسات الجامعية.

• إلى جانب ما ذكرتم، هل تقدم الأكاديمية دورات تعليمية لغير المتخصصين في اللغة العربية؟

– بالتأكيد، فالأكاديمية تعمل على تقديم دورات في تعليم اللغة العربية لكل شرائح المجتمع؛ متخصصين وغيرهم، على النحو التالي:

– الدورات العامة:

وهي موجهة إلى كل شرائح المجتمع التركي بقصد تعليم مبادئ اللغة العربية قراءة وكتابة وفهما، تقام خلال كل أيام الأسبوع، وقد انطلق العمل بهذه الدورات عام: (٢٠١٠م) وكان عدد المشاركين آنذاك يبلغ: (٤٠ طالبا)، وقد وصل عدد الطلاب الدارسين للغة العربية الآن في قسم الدورات أكثر من (٤٠٠ طالب)، ويكون عددهم عادة في الدورات المكثفة التي تقام في الفترة الصيفية ومنتصف السنة أكثر من ٦٠٠ طالب.

– دورات اللغة العربية التخصصية:

أقامت الأكاديمية دورتين تخصصيتين في اللغة العربية عام: (٢٠١٣م):

الدورة الأولى: في اللغة والمصطلحات العربية المستخدمة في الطب، بالاتفاق مع وزارة التنمية، وكانت بغرض رفع كفاءة وجودة الخدمات المقدمة للمرضى العرب الوافدين سنويا بمعدلات كثيرة من مختلف

د. النهام يطلع مع د. أقجه على مطبوعة في ركن من أركان المكتبة

البلدان العربية للتداوي والعلاج في المستشفيات التركية، وذلك بتوفير عدد من المترجمين والأطباء القادرين على التواصل معهم.

وقد التحق من الأطباء في هذه الدورة: (٤٥٠) طبيبا من كافة التخصصات، واستغرقت مدة الدورة: (٩٠) ساعة. والتحق بدورة الترجمة: (١٠٠) طالب وطالبة واستغرقت: (٤٨٠) ساعة.

الدورة الثانية: في لغة ومصطلحات الحج (الشرعية والإدارية والفنية) باللغة العربية، وكانت بغرض تدريب المرافقين لأفواج الحج والعمرة من الأتراك، القادرين على التواصل مع نظرائهم وإخوانهم في المملكة العربية السعودية.

شارك في الدورة: (٩٠) طالبا وطالبة واستمرت مدة: (٩٠) ساعة.

- دورات تدريبية للمعلمين العاملين في حقل تعليم اللغة العربية في مدارس الأئمة والخطباء للمرحلة الثانوية، بدأت منذ عام: (٢٠٠٩م) بمشاركة: (٧٥) معلما ومعلمة، وهي مستمرة كل عام.

• هل للأكاديمية منشآت أو ملحقات تابعة لها؟

- بالطبع، ففي عام (٢٠٠٩/٢٠١٠م) وجدنا أننا بحاجة إلى وجود كتب باللغة العربية في عموم تركيا تساعدنا على بلوغ هدفنا بشكل أسرع، فقامت الأكاديمية بإنشاء دار نشر وتوزيع للكتاب العربي خاصة بها، وذلك بغرض نشر الكتاب العربي في محيط المجتمع التركي، وبلغت مطبوعاتها: (١٢٠) كتابا.

كما قامت الأكاديمية بإنشاء مكتبات عربية تحتوي على: (٥٠٠) مطبوعة متنوعة في: عشرات المدارس من مدارس الأئمة والخطباء في مدينة إسطنبول.

• هل هناك نشاطات تعليمية أخرى؟

- نعم، تقوم الأكاديمية بتنظيم مسابقات رفيعة المستوى لتشجيع تعلم العربية، منها: المسابقة الدولية للغة العربية لمدارس الأئمة والخطباء. ويشارك في أقسام المسابقة المتنوعة عشرات الآلاف من الطلبة.. وأقسامها هي كالآتي:

مسابقة المعلومات اللغوية.

مسابقة تمثيل النصوص المسرحية.

مسابقة إلقاء الشعر العربي.

مسابقة أناشيد الأطفال.

مسابقة المناظرة.

مسابقة الخط العربي.

إضافة إلى ذلك، فالأكاديمية تنظم كل سنتين المؤتمر الدولي لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بمشاركة العديد من الخبراء من مختلف دول العالم.

• وماذا عن الأنشطة الترفيهية التي تروج وتشجع على تعلم اللغة العربية؟

- لدى الأكاديمية أنشطة ترفيهية عديدة ومتنوعة نعمل من خلالها على ترويج استخدام الحرف العربي، ونشجع على إتقان اللغة العربية. وفي هذا السياق، أقمنا المهرجان الإنشادي الأول في شهر حزيران من عام: (٢٠١٣م) لطلبة المرحلة المتوسطة من مدارس الأئمة والخطباء، وشارك فيه: (٢٢٥) طالبا وطالبة من مدارس إسطنبول.

• إلام تتطلع الأكاديمية في الأعوام المقبلة؟

- نتطلع إلى رفع عدد مقاعد المنح في الدراسة الجامعية إلى: (٢٠٠) مقعد للطالبات غير القادرات على دفع تكاليف رسوم الجامعة السنوية، ويرغبن في إتمام دراستهن الجامعية في العلوم الشرعية والدراسات العربية.

• وما هو طموح الأكاديمية؟

- تطمح الأكاديمية إلى نشر وتعليم اللغة العربية في جميع محافظات تركيا، وأن تجري اللغة العربية على لسان كل مواطن تركي، وقد وضعت في خطتها المستقبلية مشروعا أطلقت عليه «معلم لكل أسرة»، حيث يمكن للأسرة بكامل أفرادها أن تقيم مدرسة في بيتها لتعلم اللغة العربية.

كما نطمح إلى إنشاء مخبر لغوي حديث يساهم ويساعد في تعليم اللغة العربية وتيسيرها على المتعلم الناطق بغيرها، وأيضا إقامة مسابقات للغة العربية للطلبة الدارسين في كليات اللغة العربية في عموم جامعات تركيا.

تلك هي إنجازاتنا وهذه هي تطلعاتنا، ونسأل الله العلي الكريم أن يتقبل منا الإنجازات وأن يعيننا على تحقيق التطلعات.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

دعوة هادئة للإصلاح والتغيير

كثيرة هي الدعوات المنادية بالإصلاح والتغيير، ومتعددة ومتنوعة أيضا مناهج الداعين إليها، وأساليبهم التي يستخدمونها من أجل تحقيق أهداف دعواتهم الإصلاحية، ومردها في الأساس إلى معتقدات وأفكار تخصهم، فما من عصر من العصور ولا زمن من الأزمنة إلا ونجد فيه من ينادي بإجراء إصلاحات وتغيرات تغير من شكل الحياة ونظمها بكافة أنواعها، سياسية واجتماعية وتعليمية واقتصادية، هذا على مستوى المجتمع أو الدولة، وعلى مستوى الأفراد أيضا كانت الدعوة لإصلاح النفس وتهذيبها واستقامتها.

وقد تهدف هذه الدعوات إلى تحقيق إصلاح وتغيير كلي وشامل لكافة مناحي الحياة، بهدف إحكام قبضتها على مقادير الأمور، وبالتالي توجيه دفتها إلى حيث تعتقد أن فيها الصلاح والرشاد للمجتمع، أو قد تهدف إلى تحقيق إصلاح وتغيير جزئي ومرحلي مخطط له وموجه بحيث يتم التغير والإصلاح في نهاية الخطة.

وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة من أجل تحقيق الإصلاح والتغيير، إلا أن تاريخ البشرية وما مرت به من تجارب وما وقع بها من أحداث يؤكد على أن النقد البناء من أنجح المناهج والأساليب التي جنت البشرية ثمارها، وكان لها أكبر الأثر في إحداث تغيرات وإصلاحات قادت الأفراد والأمم إلى التقدم والرقي.

النقد البناء خلق إسلامي رفيع

تتباهى الحضارة الغربية بأنها حضارة تعلي من قيم الفكر والحوار، وأنها تتيح لأبنائها الفرصة للتعبير عن آرائهم في مختلف القضايا، والمشاركة في صنع القرار وفتح الأفق أمامهم لصنع مستقبل أفضل، وبناء دولة حضارية متقدمة، وذلك عن طريق النقد البناء والايجابي الذي يجمع ولا يفرق، يبني ولا يهدم، وهذا يجعله من الأهمية بمكان لدى الحكومات وصناع القرار، بحيث تضع في خططها الاستفادة منه في الحاضر والمستقبل.

وهذا الوضع جعل كثيرا من المسلمين يقفون مشدوهين معجبين بما وصل إليه الغرب، من حالة الحراك الفكري والمشاركة بين مختلف الأفراد، وعلى كافة المستويات والأصعدة، في بناء دولهم وصنع القرار فيها، والتعامل الإيجابي مع ما يفضي إليه النقد البناء من مقترحات وآراء، مما دفع أيضا إلى قولهم بأن علاج ما نحن فيه من مشكلات وتقدمنا، مرهون بالالتزام بالقيم والأخلاق الغربية!!!، وهذا الموقف بكل أسف ينم عن غربة كثير من المسلمين عن دينهم، وجهلهم بتعاليمه وقيمه وآدابه.

فالإسلام منذ البداية أعطى الحرية المنضبطة بضوابط الشرع، لإبداء الرأي والتفاعل مع قضايا ومشكلات المجتمع والمساهمة في حلها ومواجهتها

وتقدم الدولة عبر النقد البناء.

كما عمل الإسلام على تدعيم هذا الخلق من خلال مجموعة من المبادئ التي يجب أن يتربى المسلم عليها، وتكون ضابطة وحاكمة لأخلاقه ومعاملاته، منها:

أولا- التعاون على البر والتقوى

التعاون على البر والتقوى من الأمور التي أمر الله بها عباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة: ٢).

جاء في تفسير القرطبي رحمه الله: قال الماوردي: ندب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له؛ لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته، وقال ابن خويز منداد في أحكامه: والتعاون على البر والتقوى يكون بوجوه؛ فواجب على العالم أن يعين الناس بعلمه فيعلمهم، ويعينهم الغني بماله، والشجاع بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة، والمؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ويجب الإعراض عن المتعدي، وترك النصرة له، ورده عما هو عليه.

ثم نهى فقال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ وهو الحكم اللاحق عن الجرائم، وعن العدوان وهو ظلم الناس.

ثم أمر بالتقوى، وتوعد توعدا مجملا فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

قال العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله: التعاون على البر والتقوى، كلمة جامعة تجمع الخير كله، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتعاون على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، فجدير بكل مسلم وكل مسلمة في أنحاء الدنيا أن يحفظوا هذا العمل، وأن يعنوا به كثيرا؛ لأن ذلك يترتب عليه بتوفيق الله صلاح المجتمع، وتعاونه على الخير، وابتعاده عن الشر، وإحساسه بالمسؤولية، ووقوفه عند الحد الذي ينبغي أن يقف عنده.

ثانيا- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ (التوبة: ٧٠)، يقول العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وهو: اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

وجاء في الحديث عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: «خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأوصلهم للرحم» (رواه أحمد والنسائي والحاكم).

ثالثا- بذل النصح

النصيحة من الأخلاق والسلوكيات المهمة التي لا غنى عنها لفرد ولا لمجتمع، فكل منا في حاجة إلي النصح والإرشاد والتوجيه ففي حياة المسلم متى وجدت النصيحة كانت عونا له على مجاهدة النفس، فيستقيم حاله ويلتزم أمر الله وصراطه المستقيم، وفي حياة المجتمعات متى وجدت زالت المنكرات، واختفت البدع والمخالفات الشرعية بكل مظاهرها، فيعم المجتمع السكينة والأمن.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

رابعا- حسن الخلق

حث الإسلام على التحلي بالأخلاق الحسنة ورفعها مكانة عالية بجعلها من الأسباب الموصلة للجنة ومرافقة النبي ﷺ في الجنة، ومن الآيات التي جاءت في فضل حسن الخلق قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت:٣٤).

نقل الطبري رحمه الله في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم، كأنه ولي حميم.

خامسا- مسؤولية الكلمة

أعلى الإسلام من قيمة الكلمة، وأكد على أهميتها والتي هي أساس النقد البناء ومادته التي يعبر من خلالها عن هدفه ورسالته، فالكلمة مسؤولية أمام الله ثم أمام الناس، والإسلام أسس بذلك لقيمة النقد البناء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

والنقد البناء قول سديد في معانيه وأهدافه نحو التغيير والإصلاح، وآثاره في صلاح الأعمال ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾.

يقول العلامة السعدي رحمه الله في تفسيره: يأمر الله تعالى المؤمنين بتقواه، في جميع أحوالهم، في السر والعلانية، ويخص منها ويندب للقول السديد، وهو القول الموافق للصواب أو المقارب له، عند تعذر اليقين، من قراءة، وذكر، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وتعلم علم وتعليمه، والحرص على إصابة الصواب، في المسائل العلمية، وسلوك كل طريق يوصل لذلك، وكل وسيلة تعين عليه، ومن القول السديد: لين الكلام ولطفه، في مخاطبة الأنام، والقول المتضمن للنصح والإشارة، بما هو الأصلح.

كما أوضح الإسلام من خلال بيان نوعي الكلمة: طيبها، وخبيثها، أن هناك نقدا بناء، ونقدا هداما، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۢ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٖ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجۡتُثَّتۡ مِن فَوۡقِ ٱلۡأَرۡضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٖ ﴿٢٦﴾﴾ (إبراهيم: ٢٤- ٢٦).

فالنقد البناء معنى من معاني الكلمة الطيبة، ومظهر من مظاهرها.

وفي المقابل نجد أن النقد الهدام معنى من معاني الكلمة الخبيثة، ومظهر من مظاهرها، يقول ابن القيم رحمه الله عن الكلمة الخبيثة: «وإذا تأمل اللبيب أكثر كلام هذا الخلق في خطابهم وكتبهم وجده كذلك -أي خبيثا- فالخسران كل الخسران الوقوف معه والانشغال به» (١).

سادسا- ترك الجدال المذموم

والجدال المذموم: هو كل جدال أيد الباطل، أو أوصل إليه، أو شغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، أو كان بغير علم وبصيرة، فهو ناشئ عن جهل، وسوء خلق، وتعصب للرأي.

والغرض منه: الظهور والفخر، فصاحبه يتعصب لرأيه، سواء كان على صواب أو خطأ، وإن رد عليه بعض كلامه يغضب، ولا تهدأ نفسه حتى يتنازل من يناظره عن رأيه، والجدال المذموم آفة عظيمة، وداء عضال، وقع فيه كثير من المسلمين، وهو يذكي العداوة، ويورث الشقاوة، ويقود إلى الكذب، فإذا تجنبه المرء سلم من اللجاج، وحافظ على صفاء قلبه. قال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر:٥)

ولخطورة الجدل المذموم وسوء عاقبته حذر النبي ﷺ، ففي الحديث عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف:٥٨) (رواه أحمد والترمذي).

سابعا- الإيجابية

وهي شعور المسلم بمسؤوليته عن إخوانه من المسلمين حيثما كانوا، مما يدفعه للعمل وبذل ما في وسعه لتحقيق الخير والنفع لهم، قال تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (البقرة: ١٤٨)

فإيجابية المسلم تجعله متفاعلا مع المجتمع الذي يعيش فيه ساعيا إلى تقديم الدعم والعون له حسب قدراته وملكاته، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ (النحل: ٧٦)، والمثل في هذه الآية يوضح الفارق الكبير بين المسلم الإيجابي ونفعه لمجتمعه، وغيره وهو «الكل» غير الإيجابي عديم النفع.

وفي هذا السياق حوت آيات الذكر الحكيم الكثير من صور الإيجابية، مثل: مؤمن آل ياسين التي ورد ذكرها في سورة «ياسين»، ومؤمن آل فرعون التي ورد ذكرها في سورة «غافر»، كما جاء ذكر ضرب الأمثال للإيجابية أيضا بضرب الأمثلة لموقف نملة، صاحت في النمل تحذرهم وتنبهم خوفا عليهم من هلاكهم تحت أقدام نبي الله سليمان عليه السلام وجنوده، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ (النمل:١٨)

وجاء في السنة العديد من الأحاديث النبوية المطهرة التي تحض المسلم على الإيجابية والتفاعل مع قضايا وهموم مجتمعه فجاء في الحديث، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا» (رواه البخاري).

هذه المبادئ السبعة وغيرها من الفضائل والأخلاقيات التي حض عليها الإسلام، ضابطة وموجهة لعملية النقد، فلا يخرج عن هوى في النفس أو لأجل مصلحة شخصية، وهي تؤدي

إلى أن يكون نقدا بناء يستشعر قائلة المسؤولية تجاه عقيدته وأبناء أمته، وتجاه مجتمعه ودولته، فيكون نافعا لآحاد المسلمين وجماعتهم، ومعضدا لجهود الدولة والمجتمع المبذولة في كافة المجالات، ومحافظا على تماسكهما وداعما لقوتهما.

أثر النقد البناء

لقد كان للمسلمين تأثير كبير في تفعيل النقد البناء وتوجيهه بطريقة سليمة، في الوقت الذي عجزت فيه الملل والنحل الأخرى والفلسفات الوضعية عن ذلك؛ لأنها استنفدت طاقتها في جدال عقيم، أفضى إلى صراعات دامية بين شعوبها، ولعل أصدق مثال على ذلك حالة الاوربيون في العصور الوسطى.

فلقد استخدم المسلمون النقد البناء لإبطال العقائد الفاسدة وتصحيح المفاهيم الخاطئة وتقويم السلوكيات والأخلاقيات الهابطة، ودعم إصلاح حقيقي في كافة المجالات دعم من مكانة المسلمين وريادتهم الحضارية.

والقرآن الكريم علم المسلم كيف ينقد عقائد وأفكار الآخرين الفاسدة من خلال الحوار الهادئ المتكئ على قوة الإيمان بالله تعالى، كحوار نبي الله إبراهيم عليه السلام مع قومه ومع أبيه ومع النمرود.

ونكتفي منها بالإشارة إلى موقفه مع الأخير، وكيف أبطل عقيدة ادعائه الألوهية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

والصديق أبو بكر رضي الله عنه - في أول خطبة له بعد مبايعته بالخلافة- يؤكد على أحقية الرعية في توجيه النقد البناء إلى ولي أمر المسلمين بقوله: «فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني؛ وإن أسأت فقوموني».

حاجة المسلمين اليوم إلى النقد البناء

الواجب الشرعي، وما يحيط بنا من تغيرات وما يفرضه علينا التقدم التكنولوجي من انفتاح في مجال التواصل والاتصال مع الآخرين، والوقوف على ما لديهم من معتقدات وأفكار، يحتم علينا أن نعلي من ثقافة النقد البناء، ونشجع على نشرها بين كافة المستويات، الفرد والأسرة والدولة.

(أ) مستوى الفرد:

على مستوى الفرد لابد للمسلم من أن يقف وقفة حساب مع نفسه، ويضعها موضع النقد يفند مساوئها فيقومها، ويرى محاسنها فيقويها، وأن يكون يومه أفضل من أمسه، وغده أفضل من يومه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر:١٨).

(ب) مستوى الأسرة:

على مستوى الأسرة فإن الفرصة للحوار والنقد البناء، ولأن يستمع كل عضو من أعضائها لآراء ورؤية الآخرين فيما يخص الأسرة، يوفر البيئة الصالحة للسكن والمودة والرحمة، والتفاعل النفسي والاجتماعي والمعرفي بين الزوجين وبين الأبناء، فيتمكنوا من عبور الأزمات بهدوء، وحل مشكلاتهم بطريقة إيجابية بعيدا عن الشجار والنزاع، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١)

(ج) الدولة والمجتمع:

على مستوى الدولة والمجتمع فإن ما يمر به المسلمون اليوم من محن وابتلاءات، وما يحيط بهم من مؤامرات داخلية وخارجية، يجعلهم في حاجة ملحة إلى النصح والتوجيه وتبادل الآراء والأفكار، والانفتاح على الآخر، والاستفادة منه بما لا يخالف الثوابت العقدية، والنقد البناء له دور كبير في تحقيق كل هذه الأمور، ولا شك في أن إشاعة ثقافة النقد البناء بين أبناء المسلمين لن تأتي إلا عن طريق التربية والتنشئة السليمة على خلق النقد البناء بضوابطه الشرعية، وتدريبهم على توظيف النقد البناء لخدمة دينهم ومجتمعاتهم.

فالكثيرون من أبناء الأمة، لاسيما الشباب تعتريهم مشاعر الحزن والغضب لما تمر به دولهم من ضعف وتخلف، والواجب على المسئولين أن يستمعوا لهذه الآراء ويفسحوا لهم المجال ليعبروا عن رؤيتهم ونقدهم البناء لما يقع ويحدث، مع إتاحة الفرصة في المشاركة في إصلاح وتغيير مجتمعاتهم والشعور بأن لهم دور في ذلك.

والناظر في حال الأمة اليوم يجد أن إفساح المجال للمشاركة السياسية والمجتمعية من خلال النقد البناء دعوة هادئة للإصلاح والتغيير، وتوظيف وتوجيه لطاقات وجهود أبناء الأمة بما يفيد ويشبع حاجاتهم إلى العمل والمشاركة في بناء مجتمعاتهم، ويقطع الطريق على اعتناقهم لأفكار ومعتقدات مخالفة للشرع، يروج لها بين جموع الشباب على أنها أفكار إصلاحية، أو أن يكونوا فريسة سهلة لجماعات الغلو والتكفير.

الهوامش

١- ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تحقيق سعيد محمد نمر، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠١هـ، (ص٢٣٦).

التحرير

صدر عن «الوعي الإسلامي» عام ٢٠٠٦م

«النقد الذاتي» لـ ١١ كوكبا

ضمن سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي»، وتماشيا مع خطتها الاستراتيجية ورسالتها، حمل الإصدار الخامس عنوان: «النقد الذاتي»، وهو رؤية نقدية إسلامية لواقع الصحوة الدينية ورؤيتها للحاضر والمستقبل.
الكتاب جاء في ١٩٤ صفحة من القطع الصغير، واشتمل على مقدمة وأحد عشر مقالا لمجموعة من كبار مفكري العالم العربي والإسلامي، الذين تناولوا هذه المسألة من زوايا مختلفة في مقالات كان لـ «الوعي الإسلامي» سبق نشرها في أعداد سابقة.
قدم للكتاب رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» الأسبق الأستاذ أنور الحمد، الذي أشار إلى ضرورة الاهتمام بقضية النقد الذاتي عند الانشغال بالدعوة إلى الله والاستغراق في عملية البناء والتأسيس، وقطع الأشواط في تنفيذ البرامج والمناشط وعقد المؤتمرات وإقامة الورش والمنتديات التي يلتقي فيها دعاة الأمة ومفكروها لبحث سبل النهضة ورسم معالم المشروع الإصلاحي الأمثل.
وعملية النقد التي يقصدها الحمد هنا تتجه بالأساس إلى مراجعة مسيرة عمل الصحوة الإسلامية خلال العقود الأخيرة مراجعة نقدية تبرز إيجابياتها، وتنبه إلى مواطن الخلل والعثرات فيها، واستخلاص العبر والدروس من ماضي عمل هذه الصحوة، ترشيدا لها وتسديدا لخطاها لتحقق النتائج المرجوة منها على أكمل وجه.
يقول الحمد: «ما نريده ونسعى إليه هو النقد الهادف والبناء الذي يسعى إلى صقل التجربة وتحصين الذات وشحذ الهمم واستنهاضها، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١). وهنا تبدو الإشارة واضحة إلى أن مسألة التغيير والإصلاح مرهونة بالرجوع إلى الذات ومحاسبتها وأن التأخر والتقدم بأيدينا.

المقال الأول

جاء المقال الأول في الكتاب تحت عنوان «أزمة الخطاب الإسلامي المعاصر» للأستاذ محمد الصالح بن عمر عزيز، من تونس (نشر في العدد رقم ٣٢١).
استهل الصالح رؤيته بكلمة المفكر الجزائري مالك بن نبي، أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين «إن الكلمة لمن روح القدس، إنها تساهم إلى حد بعيد في خلق الظاهرة الاجتماعية، فهي ذات وقع في ضمير الفرد شديد، إذ تدخل إلى سويداء قلبه، فتستقر معانيها فيه، لتحوله إلى إنسان ذي مبدأ ورسالة»، مشيرا إلى أن شرارة التغيير تنطلق من الكلمة كلما كانت واعية منبثقة من معطيات الواقع الحضارية.
المقال الثاني كان للكاتب محمد علي الخطيب، من سورية، وحمل عنوان: «تجديد الخطاب الديني: ضروراته وضوابطه» (نشر في العدد رقم ٤٧٩).
يستهل الخطيب مقاله بتبيان المقصود

بالخطاب الإسلامي، فيقول: هو «كل بيان ينشر لتبيين حقائق الإسلام وشرائعه وتاريخه وتراثه في شتى مجالات الحياة عبر مختلف الوسائط والوسائل الإعلامية، وعلى رأسها المسجد، ولكنها لا تتحصر فيه، ويدخل في مفهوم الخطاب المحتوى والأسلوب كما يشمل الوسائل والتقانات».

ويشدد على ضوابط يجب التقيد بها عند توجيه النقد، منها ألا يؤدي إلى تغيير الثوابت أو التخلي عن المبادئ والأحكام، وأن ينصب التجديد على الخطاب لا الإسلام نفسه.

التطرف الفكري

المقال الثالث كان بقلم الأستاذ الدكتور محمد كمال شبانة، من مصر، وحمل عنوان: «التطرف الفكري في حياتنا: دوافعه وعلاجه» (نشر في العدد رقم ٤٧٢).

بدأ شبانة بتعريف التطرف بأنه حركة باطنية نفسية أو عقلية، أو هما معا، وهو نوع من العجز عن رؤية الجوانب الأخرى من الفكرة الواحدة، بحيث يتراءى للمتطرف أن زاوية رؤيته هي الوحيدة للنظر، مشيرا إلى أن هناك نوعين للتطرف، أحدهما عليل، والآخر صحيح.

أما المقال الرابع فكان بقلم الأستاذ إبراهيم نويري، من الجزائر، وحمل عنوان: «شروط ضرورية لأي تغيير أو بناء حضاري» (نشر في العدد رقم ٤٧٠).

بدأه نويري بالإشارة إلى أن الحضارة كلمة مختصرة لمنظومة دقيقة تنتظم عالم الأفكار وعالم الأشخاص وعالم الأشياء. بمعنى أنه إذا كانت هناك علاقة صحيحة بين هذه العوالم الثلاثة انبثقت حضارة صحيحة كذلك، وكلما اختلت العلاقة بين جوانب هذه المعادلة لدى أي أمة من الأمم اضطرب وضعها العام وساد القصور وضعف الأداء مختلف مناحي حياتها.

وجاء المقال الخامس بقلم الدكتور أحمد العمراني، من المغرب، وحمل عنوان: «الغلو في الدين وأثره السلبي على حياة الفرد والمجتمع» (نشر في عددين متتاليين ٤٧٥ و٤٧٦).

استهل العمراني كلامه بنص من وحي ربنا الكريم يحذر المسلم من أمر فشا وظهر، وعم وانتشر، وهو الغلو والإفراط أو اتباع غير الحق: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ (المائدة:٧٧).

تأصيل الفكر الإسلامي

المقال السادس كان بقلم الأستاذ الدكتور محمد سعيد باه، من السنغال، وحمل عنوان: «تأصيل الفكر الإسلامي خارج البيئة العربية: مفاهيم وآليات» (نشر في عددين متتاليين ٤٤٦ و٤٤٧).

استفتح باه كلامه بحكاية واقعية تعبر عن العجز عن إيجاد قنوات تواصل مع الناس لاسيما في المساجد.

وجاء المقال السابع بقلم الدكتور أحمد عيساوي، من الجزائر، وحمل عنوان: «الذات السوية معبر النهضة والتقدم: قراءة في الأزمة مع الذات والآخر» (نشر في العدد رقم ٤٨٣).

تناول عيساوي في مقاله كيفية معالجة حالة الانهيار القيمي والروحي والأخلاقي، التي مست بعمق جميع الميادين، واجتاحت بقوة مختلف المجالات والأنشطة.

أما المقال الثامن فجاء بقلم الأستاذ الدكتور محيي الدين عبدالحليم، من مصر، وحمل عنوان: «الأزمة ليست في الدعوة. ولكن في الدعاة أنفسهم» (نشر في العدد رقم ٤٧٦).

تحدث فيه عن العمل الدعوي بصورته الراهنة، واصفا إياه بأنه يعاني الركود والجمود والتحجر.

فقه النقد

المقال التاسع كان بقلم الأستاذ عبدالعزيز أنميرات، من المغرب، وحمل عنوان: «الصحوة والدعوة والحاجة إلى فقه النقد والمناصحة» (نشر في العدد ٤١٢).

بدأه أنميرات بالتشديد على حاجة الأمة الإسلامية إلى استعادة دورها في المسار الحضاري العام للإنسانية، حتي يكون بإمكانها القيام بدورها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تستحق صفة الخيرية مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران:١٠٤)

وجاء المقال العاشر بقلم الأستاذ الدكتور محمد عمارة، من مصر، وحمل عنوان: «من مظاهر الخلل في الحركات الإسلامية المعاصرة» (نشر في العدد رقم ٣١٦).

يرصد عمارة فيه الخلل الذي اعترى الحركات الإسلامية المعاصرة.

المقال الحادي عشر كان بقلم الأستاذ الدكتور محمد إقبال عروي، من المغرب، وحمل عنوان: «نحو فقه ترشيد الغضب الإسلامي» (نشر في العدد رقم ٤٨٧).

أشار عروي في مقاله إلى حالة الغضب التي اعترت العالم الإسلامي جراء الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، مبينا أنه نتج عنها ثلاثة خطابات:

- استعدائي؛ ينفر من كل حضور إسلامي.
- تحميسي؛ يذكي روح الغضب ضد الغرب ومؤسساته.
- ضعيف في شعبيته، قوي في مسوغاته وموضوعي في استدلاله، ومستقبلي في رؤيته.

القاهرة - عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

النقد الإيجابي.. يبني ولا يهدم

عندما تغيب الرؤية الموضوعية، ويرتفع صوت الجدل، تتزايد الحاجة إلى من يقدم النصيحة، ويقترح حلولا تبني ولا تهدم، من خلال النقد البناء، والذي عرفه العلماء بأنه النقد الذي يهدف إلى تحسين الشخصية وعطائها، ويمثل دافعا للتقدم إلى الأمام دون تجريح أو تقليل من شأن هذه الشخصية، بل وتبيان الأخطاء التي وقعت لتفاديها، معتمدا على عدة عوامل، منها اختيار الأسلوب اللائق والألفاظ الدقيقة، وذلك لجعل الطرف الآخر يتقبله بصدر رحب، وينتفع به إيجابيا، وقد حث الإسلام على ذلك، وأوصانا بالبعد عن الاختلاف والنقد الهدام.

«الوعي الإسلامي» تستعرض مع عدد من العلماء أهمية النقد الهادف، وكيف تبني الأمم من خلاله؟

نبدأ مع د. محيي الدين عفيفي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بمصر الذي قال: إن الاختلاف بين الناس الذي لا يورث الهوى والحقد ظاهرة طبيعية، ويهدي الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه، والإسلام كفل حق الاختلاف، لكن في الوقت ذاته نهى عن الاختلاف القائم على الجدل والتنازع والنقد الهدام، فقال الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦)، مؤكدا أن الإسلام في شرائعه يتسم بالقدرة على استيعاب جميع الاختلافات، ويبحث عما يقرب وجهات النظر، ولا يفرقها بين الجميع، الإسلام دين أنزل للناس جميعا، وليس للمسلمين خاصة.

د. عفيفي: آيات عدة تضمنت توجيها إيجابيا.. ما أحوج أمتنا إليه اليوم

وتابع: فقهاء الإسلام لم يحاربوا الوقائع التي دخلت عليهم بتتابع العصور، لكنهم تفاعلوا معها وطوروها، وكان نقدهم للغرائب منها نقدا إيجابيا.

نعم، لا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، وكل يصيب ويخطئ، لكن هناك أدبيات يجب أن تكون في هذا النقد.

ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ

عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ (الأنفال: ٦٧)، وقوله عزوجل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ (التوبة: ٤٣).

ضوابط

في السياق ذاته، أكد د. محمد الدسوقي أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، أن ما أصاب الأمة الإسلامية في الوقت الحالي من وهن وضعف سببه الجدل وقلة العمل، فقد قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»، (رواه أبو داود).

وأضاف أن الجدل والخلاف ضد النقد الإيجابي الذي حثنا عليه الإسلام، ومارسه علماؤنا على مر الزمن، الذين كانوا يعتمدون الأمانة في القول بذكر ما لهم وما عليهم، وفضائلهم ومساوئهم، ومن ثم الدقة ببيان كل ما له صلة بالنقد، ثم إصدار الحكم المناسب.

وتابع: كما وضع العلماء ضوابط للناقد منها الأهلية، وتحديد محل النزاع، وتوثيق النقد، وضبط الثوابت والمسلمات، وضبط المصطلحات والمفاهيم، ووضع الدليل بحيث ألا يكون عين الدعوى، وانتفاء التناقض، ومراعاة قطعية النتائج ونسبيتها، وإحكام النقض.

إعلام هادف

وقال د. ياسر عبدالعزيز، الخبير والمدرب في مجال الاتصال والإعلام: إن للإعلام دور أساسي في عرض المشكلات التي يواجهها المجتمع وتوجيهه للنقد البناء، واختيار المصادر المناسبة للتعليق عليها، وصولا إلى تعيين المخاطر واكتشاف الفرص، واقتراح الحلول المناسبة، مشيرا إلى أن هذه الممارسة تظل جزءا جوهريا من وظيفة الإعلام، كما تظل مرتكزا أساسيا لتحقيق التواصل والمشاركة.

وأوضح أن برامج «التوك شو» على سبيل المثال لها دور أساسي في إطار «النقد الإيجابي» لأنها تمثل الحصة الإعلامية الأكبر، وهي ملائمة لمستوى وعي معظم طبقات المجتمع، وتعتبر الأكثر نفاذا وقدرة على التأثير، مؤكدا أنه مطلوب من القائمين على هذه البرامج اختيار الموضوعات التي تصب مباشرة في أولويات الجمهور وعرضها بشكل موضوعي ومتناسب مع أهميتها وقيمتها، إضافة إلى انتقاء أفضل المصادر «الضيوف» القادرين على مناقشة الموضوع المطروح بطريقة علمية إيجابية.

د. الدسوقي: هدفنا البناء والترابط، لا الهدم والافتراق

مراحل

من جانبه، قال د. سمير عبدالفتاح، أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس: إن النقد يمر بمراحل عدة، بداية من الطفولة، مرورا بالمراهقة والكهولة، فلكل مرحلة عمرية طريقة معينة لتوجيه النقد إليها، والنقد البناء يعتمد على الإيجابيات التي تنفع الفرد والمجتمع، والتي تلعب دورا محوريا في التعليم غير المباشر، لأن النقد يمكن أن يكون من خلال عدة وسائل، منها: الإعلام وما يقدمه من «برامج وأفلام ومسلسلات»، ويمكن أن يكون من خلال الأصدقاء.

وتابع: النقد الإيجابي يبني المجتمع ويحوله إلى مجتمع صحي قادر على التفكير، ونجد اختلافات بين طبقات المجتمع في طريقة النقد، وإن كان رجال الإعلام والصفوة يتشاجرون على الهواء ويقدمون معلومات خاطئة فما حال العامة.

صدق النية

من جانبها، أكدت د. بسمة سليم، خبيرة التنمية البشرية، أن النقد البناء يختلف في كل مرحلة عمرية فيجب ألا نبالغ في المدح أو الذم طوال الوقت، موضحة لا يصح أن نقول طوال الوقت لأبنائنا أو لمن حولنا: أنت فاشل أو أنت عظيم، خصوصا إذا كان الفرد في مرحلة المراهقة، وهي المرحلة التي يتسم فيها سلوك الفرد بالتمرد والرغبة في إثبات الذات.. لكن ينبغي أن يكون الحكم وفق طبيعة كل موقف، فعند التصرف الإيجابي نشيد به، وعند التصرف الخاطئ نبين له الصواب ونلفت نظره إلى ما ينبغي عليه فعله، دون أن نصفق للأسلوب أو السلوك الخاطئ الذي اتبعه.

تفعيل مجتمعي

وأخيرا، أوضحت د. سلوى عبدالباقي، أستاذة علم النفس بجامعة حلوان، أن النقد البناء هو أن نتكلم عن نقاط الضعف مهنيا، بمعنى أن يكون النقد بعيدا عن شخصنة الأمور، فلابد أن تكون هناك ضوابط مهنية وعلمية وأخلاقية لمسألة من يستطيع أن يقدم نقدا بناء.

وبينت أن لدينا أزمة كبيرة في المجال الإعلامي، بحيث ظهر من ليس لهم هوية نقدية، ليتحدثوا بصفة الخبير والمستشار، فهناك حالة تردد في مستوى التعليم، وبالتالي ليس من الغريب أن نجد جيلا كاملا لا يعرف ما النقد البناء، وما معنى الخصومة الشريفة.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

المواهب في بيئة نقدية

طبعا كلنا نقرأ ونسمع بين الحين والآخر عن أسماء عربية نحتت اسمها على صفحات التاريخ، وأخذت مكانها بين رواد التغيير والتطوير والتنمية العلمية والمجتمعية، لكن للأسف غالبا هذه الأسماء لم تأت من بيئة عربية، إنما ممن استقروا في المجتمعات الغربية.
فهل اكتسبوا مواهبهم في مجتمعاتهم الجديدة أم هم موهوبون بالفعل؟!

من المؤكد أنهم موهوبون، فالنزول للشارع العربي، والتجول بين مدنه ومدارسه وجامعاته وحتى شركاته ومؤسساته يجعل المرء يقف مندهشا أمام كل هذه المواهب التي يشاهدها، لكن للأسف أغلبها وليس كلها، تعاني شيئا من الكبت؛ مواهب مدفونة تحت ركام ترسب لسنوات عدة، ربما تسبب به النقد القاسي، الكلمة الجارحة، التأنيب المستمر، اللوم والتثبيط المتواصل؛ لنحصل أخيرا على شخص لا يريد أن يبدع خوفا من الكلمات اللاذعة التي سيجدها من الوالد والمعلم والمدير وحتى الأصدقاء.

الجميع يوجه الانتقاد دون شعور بالمسؤولية ودون مراعاة لخطورة ما ينطقون به، يعمدون لتوجيه اللوم، والتركيز فقط على السلبيات، بل يصل الحد لخَطِّي العمل الظاهري ومحاكمة النوايا التي لا يعلم بها إلا الله وحده، ببساطة لأن هذه اللغة التي تعودنا عليها وطرقت مسامعنا منذ نعومة أظافرنا وحتى تجاوزنا سن البلوغ، وربما لأن الهدم أسهل من البناء، فيتجه الجميع نحو الطريق الأسهل!

للأسف الشديد غياب النقد البناء في مجتمعاتنا حرم الكثيرين من تحقيق طموحاتهم وآمالهم التي من شأنها أن تضمن للمجتمع الخروج من مربع الدول النامية إلى مربع الدول المتقدمة والفاعلة.. المربع الذي شغلناه حقبا طويلة من الزمن.

الطموحات والإبداعات الكامنة تم تقويضها عاما بعد عام، حتى أصبح لدى الغالبية مجرد هاجس يراود الروح بين الحين والآخر بشيء من الأسى، مجرد التفكير فيه يغرس سكينا من الألم في نفوس أصحابها، وهو يرى ركاب التطوير والنمو يحث الخطى، بينما هو لايزال في مكانه، يرمم أحلاما تم تكسير مجاديفها دون رحمة أو رأفة، ويعالج ضربات تلقتها نفسه الفتية بكلمة هي بقسوة الصخر.

وهنا أتساءل: هل حقا النقد السلبي يمكن أن يدمر الإنسان الموهوب؟ علما بأن كل إنسان يولد ولديه ميزة وموهبة قد لا تتوفر عند غيره، شيء خاص به، نسيج متميز لا مطابق له!

بالفعل يمكن للنقد أن يدمر، حيث تبدأ العملية برمتها من المنزل، فالبيت هو نواة المجتمع إن صلح صلح المجتمع، وإن خرب كان خراب المجتمع ككل.

لكن كيف!

بطبيعة الحال لا يوجد أب لا يحب أطفاله، ففي الأساس هو أنشأ الأسرة

وجَدّ واجتهد كي يكون له أولاد، لا يكاد يطيق صبرا حتى يحمل طفله الأول بين يديه، وينتظر الثاني والثالث وهكذا، لكن سريعا ما تمضي الأيام، ويكبر الأولاد وتبدأ شخصياتهم الخاصة بهم بالتكوين، وهي شخصيات مستقلة، والطفل ككائن جاء حديثا لهذا العالم الواسع، يقتله الفضول لمعرفة ما حوله، ولولا هذا الفضول ما مشى خطواته الأولى، ولا قال كلماته الأولى، ولا تعلم وتجاوز التحديات التي تواجهه.. الفضول بحد ذاته هو دافع للتعلم والاكتساب، كما أن مشاغبة الطفل وحركته الدائمة ما هي إلا محاولات لإثبات ذاته، ليقول للعالم حوله هأنذا، خاصة إذا ما بدأت الأنظار تتحول عنه.. إنه تعود الاهتمام منذ تفتحت عيناه ولا يريد لهذا الاهتمام أن يتحول عنه.

وهنا تبدأ المشكلة، التي ستتدخل بشكل أساسي في تكوين شخصية الطفل الجديدة، فما أن يبدأ بهذه التصرفات حتى تصدمه الانتقادات المتواصلة، قد تكون لينة في بداية الأمر لكن سرعان ما تتخذ هيئة الصرامة والقسوة: لا تبك بصوت مرتفع، لا تكسر هذا، لا تتصرف بسوء أدب، لا تفعل، لا تتحدث، لا... لا...، وقد ترفق أو تتبع بالضرب أو التوبيخ البدني.

كلمة «لا» المصحوبة بالانتقاد هي الكلمة التي يسمعها الطفل بمجرد أن يحاول القيام بتصرف ما، خاصة من الوالد الذي ما إن يكبر أولاده حتى يغيب ذلك الوجه الباسم الذي كان يلقاه بهم كل حين، ويصبح مثالا للصرامة والجدة، ويتحول دفعة واحدة من الأب الحنون إلى المربي القاسي، الذي لا يجيد سوى النقد، كأنه بغمضة عين يريد لأولاده أن يكونوا شبابا ناضجين، ولأجل هذه الغاية لا يكاد يخلو كلامه معهم من انتقادات، ولو على الأمور البسيطة، ناسيا أو متناسيا أنه احتاج مراحل طوالا للوصول إلى مرحلة النضوج!

ومن ثم يكبر الطفل بشخصية مهزوزة، ثقة منعدمة، ألم مكبوت، قهر يبقيه مستترا خلف بعض التصرفات الطائشة، وتساؤل بعلامة استفهام كبيرة: لماذا يتصرف معي والدي بهذه الطريقة؟ لماذا كل هذه الانتقادات؟

ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد، فما إن ينتقل للمدرسة حتى يجد نفسه في قوقعة أكثر ضيقا وظلمة، فعلى الأقل في البيت لديه مساحة صغيرة يتحرك فيها، أما في المدرسة فكل شيء يصبح أكثر صرامة، والمعلم يشعر أنه معني - فقط - بحشو عقول تلاميذه بالمنهج المقرر وكأنه قرآن منزل من السماء، لا مجال لمخالفته.. إن حاول أحد التلاميذ الخروج عن النص فلن يجد سوى التقريع والنقد الجارح.

ومجددا يكبت الطفل ألمه ويخفيه خلف التصرفات الطائشة، أو الهدوء الزائد وكلاهما قنبلة موقوته تنتظر الانفجار في لحظة ما، لكنه لا يستطيع أن يسمح لها بذلك، فإن فعل فلن يجد سوى مزيد من التقريع والانتقاد والتجريح، فلايزال أضعف من أن يرد، والنتيجة مزيد من الكبت وفقدان الثقة بالنفس، كل ما نحصل عليه هو شخصية مهزوزة، هشة، سهلة الكسر.

مع الوقت تبدأ الأشياء الجميلة في داخله بالاختفاء، فإن حاول تفكيك لعبته ليدرك كيف صنعت اتهم بالعبث وعدم المحافظة على أشيائه، وإن طافت برأسه رغبة لرسم منظر جميل بدأت خيوطه الجميلة بالتكون في مخيلته اتهم بالإهمال، وإن شعر برغبة للتعبير عن ذاته وخوض مناقشة عقلية جادة مع والده أو معلمه اتهم بالوقاحة وقلة الحياء.

ويستمر الحال حتى حين يتخطى مرحلة التعليم التي كانت دائما وأبدا مرحلة تكسير أشياء جميلة في داخله، نقد متواصل، تجريح سري وعلانية، وكالجميع يأخذ مكانه في ركاب العمل، يحاول جاهدا الخروج من القيود التي عاشها في المرحلة التي يفترض بها أن تكون أجمل سنوات حياته.

تواتيه رغبة للتحرر والانطلاق متجاوزا انعدام الثقة الذي استوطن جزءا بارزا في عقله وقلبه، يسعى جاهدا لإثبات أنه قادر على فعل شيء ما، أولا لنفسه ثم لجميع من حوله، وأخيرا إحساسه بأنه تخلص من جميع القيود يعطيه دفعة للقيام بشيء في أي مكان سيجد فيه فرصة للعطاء والبذل.

ما إن يستقر في عمله حتى يبدأ العمل والهمة العالية تحركه، يبدأ بممارسة مهامه بكل حيوية ونشاط، نشاط من يرغب بدفن ماضيه وينطلق للأمام محققا النجاح والتقدير الذي حرم منه لوقت طويل.

لكن سرعان ما يصطدم برئيسه الذي يتجاهله حين يحسن، وما إن يقصر أو حتى يخرج عن الدائرة المرسومة - ولو كان للأفضل - حتى يبدأ النقد المجحف بحقه دون مراعاة للعمل أو الجهد الذي بذله، وأمام كل هذا يجد نفسه أخيرا مضطرا للانزواء جانبا محطم الآمال، محبطا، متأكدا أنه مهما بذل أو اجتهد فلن ينظر لمحاسن عمله، إنما للسيئات.. وكأن رئيسه لن يشعر بأنه صاحب سلطة إلا إذا أثبت فشله هو، فيتحول لمجرد موظف يسمع النقد ممن هم أعلى منه ليعود لبيته وينتقد من هم أدنى مرتبة منه.

وأخيرا ما النتيجة المتحصل عليها؟

هذا الشخص الذي يعتبر ضحية مجتمع، وجزءا من مجتمع، والمجتمع ككل بنسخه المكررة، هو الزوج الذي لن يجيد سوى توجيه النقد واللوم لزوجته، والوالد الذي لا يتقن سوى توجيه النقد المستمر والتقريع لأولاده، هو المعلم الذي لا يجيد سوى التلقين والضرب بيد من حديد لكل من يفكر بالخروج عن النص، ورئيس فريق لا يعجبه أي شيء يقدمه مرؤوسوه.

ببساطة لأن الجميع تعب من تلقي النقد واللوم، ووجد أخيرا الفرصة للتنفيس عن مشاعره المكبوتة من خلال لوم والتفتيش عن أخطاء من هم دونه، وإن كانت الأخطاء غير موجودة فسيخلقها هو لأنه لابد أن ينتقد شخصا كما تم انتقاده هو.

والنتيجة؛ مجتمع تسوده علاقات متوترة.

د. آندي حجازي
كاتبة تربوية أردنية

النقد في الميدان... خطوات للأمام

وأنت تسير في معترك الحياة تجد الكثير من المواقف والمشكلات في الحياة تحتاج إلى التساؤل، والتفكير فيها، ونقدها، والنقدُ معناه تمييز الغث من السَّمين، بمعنى تفتّح الذهن نحو الأفكار والمعطيات، وجوانب القوة وجوانب الضعف، ومعرفة ما هو حقيقة وما هو خيال، وتوقع النتائج المحتملة.

والتفكير الناقد هو تفكير تأمُّلي وهادف ومسؤول ومعقول، يعمل على توجيه الفكر وتصحيح مساره، فهو تفكير يتصف بالحساسية للمواقف والمشكلات، يؤدي إلى استخراج الإيجابيات ومعرفة السلبيات، من أجل التطوير، والاقتراب من حلٍّ المشكلات وإيجاد الحلول الفعّالة.

أنواع النقد:

والنقد نوعان: أحدُهما: نقد مفيد صحيّ بَنَّاء. والآخر: نقد سلبي مؤذٍ هدام.

والنقد البناء: هو النقد الذي يتم عن وعي وإدراك لجوانب القوة والضعف في الموضوع، وإدراك المشكلة وجوانب النقص والحاجة، ويؤدي للتغيير.

ثم لا يكون نقدا بنَّاء بمجرد معرفة المشكلة، بل لابد من عرضها وطرحها على المسؤولين، أو من بيدهم صنع القرار والمسؤولية، ومن لديهم الصلاحية للتغيير، وقد قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء:١٤٨) فمَن يشعر بالظلم نتيجة النقص في الخدمات أو الحلول بإمكانه طرح المشكلة بالوقوف على الأخطاء والعيوب من أجل التصحيح، فمثلا من يذهب إلى مكان عام كأن يكون في مستشفى مثلا ويجد نفسه ينتظر طويلا وفي أماكن ضيقة غير متسعة وغير صحية للانتظار، فإنه سيكون نقده بناء لو قدَّم المشكلة بكتابتها كمقترحات للمسؤولين في هذا المستشفى (إدارة المستشفى) مع طرح بعض الحلول إن أمكنه ذلك، كاقتراح طريقة أخرى لأخذ المواعيد، أو أماكن أخرى للانتظار تكون أوسع وأرحب. حيث أن إيصال الصوت والفكرة الواقعية هو ما يحتاجه المسؤول، فكثير من المشكلات قد لا يعلم بها المسؤولون والإداريون، وقد يكون بتقصير منهم بعدم النزول للميدان أو نتيجة عدم القدرة على خوض الواقع من موقعه

كمسؤول، حيث غالبا ما يحاول مَن حوله إظهار الصورة وردية له؛ بأنَّ كل شيء على خير ما يرام وأنْ لا مشكلات تذكر أو جوهرية على أرض الواقع.

إن من ينزل للميدان الحقيقي ويختلط بالناس هو من يمتلك الحساسية للمشكلات الواقعية والقدرة على كشف جوانب الضعف والنقص، وكشف الحقيقة ومحاولة وضع الحلول وتغيير الواقع، ووضع الخطط المستقبلية والعلاجية.

والواقع أنّ الكثير من المسؤولين اليوم لا ينزلون إلى الميدان، وهنا يأتي دور النقد البناء وهو النقد الإيجابي الذي نحتاج، ولا نقصد بالإيجابي استخراج الإيجابيات، وغض الطرف عن السلبيات ومواضع النقص والخلل والمشكلات، ولكننا نقصد بالنقد الإيجابي النقد الذي يعرض ويطرح على الآخرين وعلى صُنَّاع القرار بطريقة إيجابية ويؤدي إلى حلول للمشكلات وتغيير في الواقع؛ بمعنى: أن تطرح المشكلة بأسلوب حلِّ المشكلات، فتقوم بداية بجمع أكبر قدر من المعلومات حول المشكلة وما يتعلق بها، ثم تعرضها على المسؤولين مع الحلول المناسبة المقترحة.

فالنقد يكون إيجابيا وبنّاء إذا استطاع صاحبه أن يقنع الآخرين بفكرته، وبأسلوب منطقي وحواري مهذب لا يتضمن الصراخ والانفعال وضرب الطاولة، وإنما يتضمن طرح الفكرة مع الحلول المقترحة والتي لا تتضمّن حلًا واحدًا ووحيدًا لا يرى صاحبه غيره، بل يتضمن عدة حلول وبدائل يمكن الاختيار من بينها للأفضل، أو الأوفر للوقت وللجهد والمال.

عالمنا العربي والنقد البناء

وما أحوجنا ونحن في العالم العربي للنقد البناء الذي يحل الكثير من مشكلاتنا في: التعليم، والمواصلات، والسكن، والطرق، والأزمات الاقتصادية، ومشاكل الفقر والبطالة، ونقص المياه، والتلوث، والتشرد ...إلخ، فكثير من المشكلات تعاني منها كثير من دولنا العربية في هذا العصر، وبالمقابل لدينا الكثير من العقول المفكرة التي تضع اليد على الثغرات، وتتحسس المشكلات، وتطرح الحلول بطريقة إيجابية وبنّاءة وفعّالة، ولكنها تحتاج إلى من يسمع لها وإلى من يتبنى فكرها وأفكارها ويأخذ بها ويطبقها على أرض الواقع منطلقا من حِسِّ المسؤولية وحب الوطن، لأن الكثير من المسؤولين اليوم غلبتهم السلطة وحب الذات، فطغت على المصلحة العامة، فأصبحنا مكاننا نسير إن لم نتراجع.

فتأتي العقول الناقدة وتطرح أفكارها عاليا، كأن يكون على قناة فضائية، أو بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي اليوم والتي أصبحت تصل مراسلاتها للصغير والكبير، والمسؤول، والمواطن البسيط. ومن هنا لم تعد بصعوبة بمكان الوصول لصُنَّاع القرار، أو طرح الفكر والبدائل ولكننا نحتاج إلى الأسلوب حتى لا نصطدم بالصد أو تتحول منهجيتنا إلى النقد الهدام والذي قد يحدث بقصد ووعي، أو بغير قصد، وبجهل بكيفية طرح الفكرة بحيث يتم رفضها ومحاربتها فورًا؛ لأن طريقة طرحها كانت خاطئة أو مبالغًا فيها أو جارحة، فعندها بدلا من التركيز على القضية يصبح تركيز الآخرين على الأسلوب الذي طرحت به وعندها ستضيع القضية وسينتفي الهدف الذي لأجله عرضت الفكرة، فأسلوب الطرح مهم حتى لا يكون نقدا هدّاما يثير المشكلات والنعرات ويقطع العلاقات مع الآخرين بقصد أو بدون قصد، وهذا ينطبق حتى في

التعامل الشخصي بين الأفراد عند توجيه النقد لهم.

أهمية النقد البناء

النقد البناء هو ما يؤدي إلى تصحيح المسار وإلى التطوير والتحسين، وما التطور البشري على مَرِّ الزمن إلا نتيجة النقد الهادف وقبوله. فمثلا ما اختراع السيارات، والقطارات، والطائرات، والمطارات، إلا نتيجة النقد البناء والتفكير الناقد، الذي يعمل على تقييم الوضع وإخراج جوانب الضعف والنقص والحاجة، ثم العمل على إيجاد الحلول الإبداعية. وكذلك الآلات، والأجهزة الكهربائية، وأجهزة الاتصالات، ماهي إلا نتائج التفكير الناقد البنّاء الذي يؤدي إلى التفكير الإبداعي المنتج، ولذلك فإن التوجهات الحديثة اليوم في التعليم في المدارس والجامعات تقوم على تشجيع تعليم وتدريب وتنمية التفكير الناقد الإيجابي، والتفكير الإبداعي، وتفكير حلِّ المشكلات.

ولكن جميع هذه الأنواع من التفكير وإن تم تعليمها وتنميتها والتدريب عليها ضمن المنظومة التعليمية في أي بلد من البلدان، فإنها لابد لها من حاضنة تحتضنها، أي لابد لها من أذن صاغية، وعقول واعية تأخذ بالآراء والأفكار، وتشجع على النقد البنّاء، ولا تكبته أو تقتله في مهده، كالجنين الذي يتم إجهاضه، فإن كنا كذلك، فستستمر الأحوال على ما هي عليه ولن يكون تطوير أو تحسن أو إنتاج.

وبالرغم من أن النقد المجتمعي البنّاء هادف وينم عن وعي وتحمل للمسؤولية المجتمعية، إلا أنه قد يتضمن التنافسية أحيانا بين فئات الشباب أو العاملين في ذات المجال، ولذا من المهم إعطاؤهم الفرص وتشجيعهم على النقد واستخراج طاقات الشباب والاستماع لأفكارهم وتبنيها؛ لأنه إن وجد لدى فئة الشباب أفكار مُجّدية، وأفكار تنموية ولم يجدوا من يستمع لها؛ فإن هذا – ومن الناحية النفسية- سيؤدي إلى الكبت والانعزال أو العدوان، وبالتالي سيكون التنفيس عن الطاقات الكامنة والأفكار التي لم يُستَمع لها ولم يسمح لها بالظهور أو التطبيق، بطريقة عدوانية انتقامية قد تثير المشكلات في المجتمع، فيؤدي إلى تفاقم المشكلات بدلا من إيجاد الحلول.

جلسات العصف الذهني

والعالم المتقدم اليوم تنبه إلى أهمية التفكير الناقد وأصبح يتبناه ليس فقط في منظوماته التعليمية ومؤسساتها وحسب، بل وفي وسائل إعلامه، كتشجيع البرامج الحوارية التي تثير التفكير الحساس للمشكلات والذي ينقد الواقع ويعمل على الإتيان بالحلول والتغيير في الواقع، وكذلك انتبهت الدول المتقدمة إلى توظيف التفكير الناقد في مؤسساتها الحكومية والخاصة، وأصبحت تشجع في اجتماعاتها العصفَ الذهني الي يقوم أساسا على نقد الواقع والإتيان بكل ما هو مفيد وجديد.

فمثلًا: المؤسسة التي تريد حل مشكلة ما تعاني منها، أو ترغب بتطوير منتجاتها، أو تحسس مشكلات موظفيها أو زبائنها، فإن مديرها (قائدها) يدعو موظفيه إلى اجتماع يطرحون فيه مشكلاتهم ويتم نقاشها، ثم يعقد اجتماعا آخر يتضمن جلسة عصف ذهني ليتم التفكير بشكل جماعي وبصوت مرتفع بالحلول لما تَمَّ انتقاده من مشاكل وثغرات في عمل مؤسسته، مما يؤدي إلى الوصول إلى الحلول من الموظفين أنفسهم، فلا يعود قائد أو مدير المؤسسة هو فقط المتحكم بالحلول والقرارات، بل هو بدايةً يقبل النقد من أجل التحسين، ويرغب بطرح الأفكار من أجل الوصول لأفضل الحلول والتي يتم الاختيار من بينها والتصويت على أفضلها وأقلها تكلفة أو أفضلها لتطوير المؤسسة، ما يعمل دوما على إشعار الموظفين بدورهم وبأهمية أفكارهم، وبأن المؤسسة تعتمد عليهم وتتبنى آراءهم ومقترحاتهم، وبالتالي يشعرون بكينونتهم وباحترامهم وتقديرهم لذاتهم، مما يؤدي إلى رفع مستوى الإنتاجية في المؤسسة، وهكذا تعمل المؤسسات الكبيرة التي ترقى بمنتجاتها وأفكارها وتعمل على تطويرها أوَّلا بأوَّل، كمؤسسات: سامسونج، وجوجل، وأبل، وفورد، ومرسيدس، والكثير في العالم.

نماذج إسلامية من النقد البناء

ومن الجميل جدا أن نرى – وعلى مَرِّ التاريخ الإسلامي – نماذجَ إسلامية تشجع التفكير الناقد البنّاء المؤدّي للتغيير. مثاله: ما جاء في الحديث عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم». رواه مسلم. ألا يعني هذا تشجيع التفكير الناقد البنّاء؟

ولَـمَّا بويع أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالخلافة في بيعة السقيفة تكلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فحَمِد الله وأثنى عليه ثم قال: «أمّا بعد أيها الناس: فإني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدقُ أمانة، والكذبُ خيانة، والضعيفُ فيكم قوي

عندي حتى أُريحَ عليه حقّه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله». فهذا السؤال عن استخراج عيوبه وإيجاد التصحيح المناسب لها، أو التأكيد على الوضع المثالي هو تشجيع للتفكير الناقد الذي يقود المسيرة إلى الأمام وفي الاتجاه الصحيح.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: «رحم الله من أهدى إلي عيوبي» (أخرجه الدارمي).

ويُروى أنّ الحسن والحسين رَأَيَا رجلا كبيرا في السن يتوضأ، وكان لا يحسن الوضوء، فأرادا تعليمَه، فذهبا إليه، فادَّعَيَا أنهما قد اختلفا: أيُّهما حَسَنُ الوضوء أكثر من أخيه؟ وأرادا منه أن يحكم بينهما، فأمر أحدهما بالوضوء، ثم أمر الآخر، ثم قال لهما: أنا الذي لا أعرف الوضوء، فعَلِّمَاني إياه.

فطريقتهما كانت تتضمن النقد بأسلوب بنّاء هادف للتغيير.

ومن النماذج الجميلة في الدين الإسلامي للنقد البنّاء هو ما يلقيه الخطيب في يوم الجمعة من مواعظ بناءً على الواقع وعلى ما يراه، فينتقد بعينه الثاقبة الوضع ويحاول أن يتلمس المشكلات والأخطاء التي يقع بها الشباب خاصة والناس عامة، فيعرضها بطريقة محببة للنفس ثم يقوم بتقديم الحلول والنصائح التي تعين على التحسين والتغيير للنفس والواقع، فإنه ينتهج منهج النقد البنّاء المفيد، وهو ليس كمن يتحدث في مكان مظلم مع نفسه ولا يُسمِع أحدًا ولا يُسهم في التغيير والعلاج. فخطبة الجمعة مناسبة أسبوعية متكررة وهي فرصة عظيمة للإصلاح وتغيير النفوس والواقع لِمَا هو أفضل ولِمَا فيه مصلحة البلاد والعباد.

أنواع النقد البناء

هناك النقد العلمي، والنقد الأدبي، والنقد المجتمعي، والنقد التربوي، والنقد السلوكي، والنقد المؤسسي.

فنحن بحاجة إلى النقد البنّاء في كل أمور حياتنا صغيرها وكبيرها، الخاصة والعامة، فمثلا حينما يرى الأب أو الأم سلوكيات خاطئة من أبنائهم، فإن عليهم توجيهها وتصحيحها بأسلوب مناسب يتضمن الحكمة والرَّوِيَّة والإقناع وهذا هو النقد البنّاء الذي يبني الأسرة والمجتمعات والنفوس، وهو وظيفة كل مصلح، وكل عالم في المجتمع، وليس فقط وظيفة النّقّاد الأدباء الذين ينقدون الشعر أو الأعمال الأدبية، بل هناك النقد العلمي البنّاء للمنتجات العلمية.

وهناك النقد البناء للسلوكيات الخاطئة في المجتمع، كمن ينتقد السَّير بسرعة بالسيارات، أو ظاهرة الاتجار بالمخدرات، أو التدخين، ويحاول طرح الحلول لمثل هذه السلوكيات والمشكلات التي تضر بالنفس وبالآخرين، فلولا النقد البنّاء لما تغير شيء في المجتمع، فهناك نقد لأخطاء الناس وسلوكياتهم التي تنتشر بين الناس وقد تؤدي إلى الإيقاع بهم أو إيذائهم.

وهناك النقد المؤسسي الذي يهدف إلى تحسين المؤسسات والعمل على كشف مشكلاتها وعيوبها ومحاولة تصحيحها وتدارك أخطائها (كما ذكرنا سابقا).

أسلوب النقد السليم الجذاب

ولكي يكون النقد بناء ومتقبلا وجذابا ومسموعا، فمن المهم طرح الأفكار البنّاءة بأسلوب مقنع جذّاب ليّن مهذّب ومؤيّد بالأدلة والبراهين والحجج المقنعة، ولابد أن يكون الشخص الطارح لأفكاره مستعدا للحوار والمناقشة، والإقناع وتقبل وجهة نظر الآخر، والبدائل المطروحة، ولا بد أيضًا أن يكون صادقا أمينا في نقده، وحريصا على المصلحة العامة لا على مصالحه الشخصية، مع احترامه للآخرين وعِلمِهم وسِنِّهم أثناء الطرح، فطرح الفكرة الإيجابية لا يعني التطاول والتجريح والتكبُّر على الأخرين، وإلا فستُرفض الأفكار وستُقابل بالرفض والنفور، ولن يكون الطرح جذّابا، وقد يؤدي إلى تدهور العلاقات الاجتماعية وتقطيعها، إن كان بغير الأسلوب المناسب.

ومما يُروى في ذلك: أن الخليفة المأمون وعظه واعظ، فأغلظ له في القول، فقال المأمون: يا رجل ارفُق، فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شرٌّ منّي وأمره بالرفق، فقال تعالى: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ۝٤٤﴾ (طه: ٤٣-٤٤)

وقد أمرنا الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة والنصح، فقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (النحل:١٢٥). وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ (فصلت:٣٤). وعن ابن عباس أنه قال: «الرأي الحسن، والهدي الحسن، جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة». فالنقد البنّاء يحتاج إلى أسلوبٍ بنّاء.

د. مجدي محمد حسن
وزارة الأوقاف الإسلامية
الكويت

النقد.. وفقه تتبع العثرات!

لقد كانت رسالة الإسلام سباقة إلى رتق فتوق المجتمع بكثير من الآداب والسلوكات الاجتماعية، والارتقاء بها إلى أعلى مدارج الكمال.

ومن ذلك رعايتها لجانب النقد الإيجابي البناء المثمر، وإقالة عثرات الناس من خلاله، والدفع بهم إلى إتمام المسيرة، وإكمال الجهود، وإنجاز الأعمال، وإحسان الوجهة، والحفاظ على حركة المجتمع بطريقة سوية صحية تضمن استمرار الأعمال على أحسن الوجوه.

أسس النقد البناء

إن النقد البناء بهذا التصور يمثل الحبل السري الذي تتغذى الأمة من خلاله، وتتوجه لتحيا حياة طيبة، ولابد إذن أن تتوافر فيه عدة أمور منها:

الأمر الأول: سلامة القصد

إن النقد الذي نرجوه نقدا بناء مثمرا، فلابد أن تتوافر فيه شروط وضوابط وآداب ليشق طريقه في أرض الواقع، ويجد قبولا عند الناس، منها: سلامة القصد، الذي يرتفع بالنقد من مجرد كلمات هادفة إلى عبارات يبتغى بها وجه الله تعالى، والقرآن الكريم وجه الأمة إلى التزام ذلك القصد، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة:١٦٢).

وقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (البينة:٥).

والنبي ﷺ علمنا أن كل عمل لابد له من نية نمحضها، ونخلصها لله رب العالمين، فقال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

فإذا كان القصد والدافع والحافز بهذه الشفافية النقية من كل شائبة كعنان السماء، فلاشك أن النقد يؤتي أكله وثماره في كل حين بإذن ربه.

الأمر الثاني: نبل الهدف

فالهدف من النقد البناء هو إقالة عثرة المسلم، وتصفية عمله من السلبيات والشوائب التي تشينه، وذلك من حقوق الأخوة في الله، ومن حقوق الأخوة في الإنسانية، وهو ضرب من المروءة والشهامة والرجولة وكرم الأخلاق.

والنصوص بين أيدينا تعجز الأوراق عن إدراكها والإحاطة بها، فمنها قوله ﷺ: «المؤمن مرآة أخيه». وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه». وقوله ﷺ: «من أقال مسلما أقال الله عثرته يوم القيامة». والنقد بهذا لا يقل شأنا عن النصيحة، وهي الدين كله، وجوامعه، لقوله ﷺ: «الدين النصيحة»، إن النقد بهذا أصبح ضربا من الأمانة يجب أن نؤديها على وجهها.

الأمر الثالث: الأخلاق الحميدة

إن النقد البناء التقى بهذه الأسس مع كليات الدين وأصوله، فيجب أن نلتزم فيه بالآداب الربانية، فنلتزم فيه بالحكمة والموعظة الحسنة، واللين والرفق واحترام الآخر ورعاية مشاعره، تلك الآداب التي رسخها القرآن الكريم في سلوكات أمة الإسلام.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران:١٥٩).

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥).

وقديما قال بعض مشايخنا: من نصح أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن نصح أخاه جهرا فقد فضحه وشانه.

من هنا كانت كلمات الإمام الشافعي برقتها وعذوبتها تؤكد هذا المعنى، فقال رحمه الله:

تعمدني بنصحك في انفرادي
وجنبني النصيحة في الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي
فلا تجزع إذا لم تعط طاعة!

وعلى درب القرآن نسير لنولِّي وجوهنا شطر القرآن الكريم، نرتشف من رقته وعذوبة ألفاظه، كأنها نسمات الهواء العليل تداعب أوراق الأشجار والثمار وقطر الندى على صفحاته، ورعايته لمشاعر الآخرين، وشفافيته في علاج الأمور وإقالة العثرات، وجزالة عباراته المختصرة في بيان المواقف المختلفة والأحداث المتجددة، كيف كان نقد القرآن لأبينا آدم عندما وقع في المخالفة؟ التمس له العذر: ﴿وَلَقَدْ

﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (طه:١١٥)، فلما تعثر أقال الله تعالى عثرته، وشرع له التوبة، وأعانه عليها: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة:٣٧).

لم يتركه على هذا الحال بل رفعه لطبقة المصطفين الأخيار، ومنحه رتبة النبوة، فقال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ (طه:١٢١-١٢٢).

وقد ذهب فرعون في طغيانه إلى أقصى دركات الطغيان والاستبداد والغرور، ولكن نقد القرآن وتوجيهه وعلاجه لهذه الحالة ورعايته للجوانب الإنسانية في النقد البناء، منحه كامل الفرصة ليعود إلى رشده، واحترام كيانه وشعوره برغم هذا الطغيان، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (النازعات:١٧-٢٠).

نقد بناء، وتوجيه وإصلاح، وبراهين وأدلة ومعجزات، بغض النظر عن فداحة جريمته، وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (طه:٤٣-٤٤). إن النقد البناء دائما يعين الآخر ويقومه ويسدد خطاه على طريق الحق.

وبعد غزوة أحد كانت عبارات القرآن اللطيفة تراعي مشاعر انكسار المؤمنين، فلم تشدد عليهم في اللوم والعتاب، بل رأفت بحالهم، وأشفقت لمصابهم، فقال تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران:١٤٠).

كانت ألفاظ القرآن الكريم بعيدة عن كلمات العنف، والخطاب الغليظ، فهذا ما يلم شعث النفوس، ويهديها سبل السلام.

وبرغم الإسراف في المعاصي فإن القرآن قذف الآمال والرجاء في قلوب عباد الله ونهاهم عن اليأس، وجعلهم قاب قوسين أو أدنى من رحمة الله، وعلق آمالهم بمفازة المغفرة، ولم لا والله هو الغفور الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (الزمر:٥٣).

ليكن النقد البناء سلوكنا في قاعات الدرس، وفي دواوين الأعمال، وعلاقتنا الاجتماعية، وفي الجدال الفكري والعلمي والثقافي، ولنتجنب مجرد الجدال والمراء الذي يؤدي بجهودنا إلى الفناء والفرقة، وتبديد الجهود، وإثارة الأحقاد.

هل نحن بحاجة إلى المقارنة؟!

البون شاسع بين النقد البناء والنقض والهدم وكسر النفس.. فالنقد البناء ليس مجرد الوقوف على السلبيات، بل بيانها وعلاجها وتقويمها وإعانة الشخص المستهدف في النقد على تخطي كبوته، وإصلاح حاله وإقالة عثرته.. وهو بهذا رديف للدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة.

أما النقض... فهو هدم وتدمير وتحطيم ومزيد من السقوط والضياع والضلال.. وليس في مرآة النقض إلا تتبع العثرات فحسب، ومثل هذا النقض لا يأتي بخير، فهو لا يرى إلا السلبيات، ويصبح صاحبه كجار السوء إن رأى شرا أشاعه، وإن رأى خيرا كتمه.

إن النقد البناء دوافعه واضحة بينة وهو علامة من علامات المنح، والعطاء، وكرم النفس، أما دوافع النقض فأغوارها سحيقة في الحقد والحسد، وسوء النية، وفساد الطوية، وكراهية الآخر، فالنقض بهذا سمة من سمات البخل والشح، فصاحبه شحيح حتى بكلمة طيبة، أو نصيحة، أو إرشاد.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

مرآة لتجويد الآراء

ليس خافيا على الناظر في أحوال الناس أن الله سبحانه قد قسم بينهم حظوظ الفهم والوعي والإدراك، وأن أحدا منهم لا يكون على صواب مطلقا ولا على خطأ مطلقا؛ بل يأخذ كل إنسان حظا من الوعي وعدمه، ومن الصواب والخطأ.

ومن هنا، كانت حاجة الناس بعضهم لبعض، في التحاور والتثاقف والتناصح؛ حتى تتكامل الآراء، وتتصوب وجهات النظر.

والجذر اللغوي لكلمة «النقد، أي النون والقاف والدال، أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه. ومن ذلك: النقد في الحافر، وهو تقشره. يقال: حافر نَقِدٌ: متقشر. والنقد في الضِّرس: تكسره. ونقْد الدرهم: وذلك أن يكشف عن حاله في جودته أو غير ذلك» (١).

وأما «البناء»، فالباء والنون والياء أصل واحد ، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض» (٢).

فالنقد البناء أسلوب يقوم المرء من خلاله بالكشف عن حقيقة الشيء من الصواب أو الخطأ، والصحة أو البطلان، ثم يضم المعنى إلى المعنى، والفكرة إلى الفكرة، لتتضح الصورة، ويستقيم التصور؛ وذلك بطريقة تبعث على الاقتناع والانقياد للحق، وتُجنب الآخرين الدخول في متاهات المعاندة والتكبر.

وهو بهذا المعنى مرادف لمفهوم النصيحة، والتي ترمي لإرشاد الآخرين لما يعتقده الإنسان من خير، أو نهيهم عن الشر، بأسلوب هين لين.

أما النقد السلبي فهو لا يراعي آداب النصح والتوجيه، ما يدفع المنقود ليزداد معه إصرارا على الخطأ وابتعادا عن الصواب؛ لأنه يشعر بأن النقد - حينئذ- متوجه لشخصه لا لفكره، ولذاته لا لقوله.

حاجتنا للنقد

كما أشرنا، فإن الناس متفاوتون في حظوظ الفهم والوعي، والخطأ والصواب؛ أي لا أحد معصوم من الخطأ إلا الأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين.

والأمر هكذا، فإننا محتاجون للنقد البناء الذي يقوم مقام المرآة بالنسبة لأفكارنا وآرائنا؛ فكما نحتاج المرآة لنبصر بها عيوب الهندام، نحتاج للنقد البناء لنرى من خلاله صواب ما نعتقده أو خطأه.

بل نحن محتاجون للنقد البناء لنجود الآراء، ولنزيدها صوابا؛ فإن العين الواحدة لا تبصر كل شيء، واليد المفردة لا تصفق، والعقل الواحد عاجز عن إدراك الصواب في كل وقت وفي كل مجال.

يقول مؤلف كتاب قوة النقد البناء: تقديم النقد للآخرين وتقبل النقد منهم بشكل إيجابي هو أمر جوهري لنجاح الأفراد والمؤسسات.. والنقد يؤدي دورا مهما وإيجابيا في عملية التقييم؛ إذ إنه يساعد الشخص على أن ينظر بشكل عملي إلى أهدافه وتصرفاته، ويكشف النقاب عن مصادر ومهارات جديدة (٣).

آداب النقد

حتى يؤتي النقد أكله، ويكون بناء لا هداما؛ من المهم أن تتوافر فيه عدة أمور، أهمها:

- أن يبتغي الناقد وجه الله تعالى؛ فلا يرائي بعمله، ولا يقصد الإساءة للآخرين؛ فذلك أدعى لاستجابتهم، فضلا عن أن الإخلاص شرط لقبول العمل عند الله، واستحقاق المثوبة عليه

حتى لو لم يستجب الآخرون.

- أن يتخير من الكلمات أرقها، ومن الألفاظ أعذبها، مظهرا الود والمحبة لمن ينتقدهم، من غير تعال ولا كبر؛ فإن النقد نوع من الدعوة ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أمرنا الله باتباع الحكمة في ذلك، بقوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥).

- أن يخبر المرء من يوجه لهم خطابه بأنه لا يريد إلا الحق، ولا يقصد مخالفتهم ومنازعتهم، كما قال نبي الله شعيب لقومه: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ (هود:٨٨).

قال ابن عاشور في توجيه معنى «المخالفة» بالآية: «والذي يظهر لي في معنى الآية أن المراد من المخالفة: المعاكسة والمنازعة؛ إما لأنه عرف من ملامح تكذيبهم أنهم توهموه ساعيا إلى التملك عليهم والتجبر، وإما لأنه أراد أن يقلع من نفوسهم خواطر الشر قبل أن تهجس فيها. وهذا المحمل في الآية يسمح به استعمال التركيب ومقاصد الرسل، وهو أشمل للمعاني من تفسير المتقدمين، حيث قالوا: أي لم أكن لأنهاكم عن شيء وأنا أفعله... فإن قومه ظنوا به أنه ما قصد إلا مخالفتهم وتخطئتهم، ونفوا أن يكون له قصد صالح فيما دعاهم إليه؛ فكان مقتضى إبطال ظنهم أن ينفي أنه يريد مجرد مخالفتهم، بدليل قوله عقبه: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ﴾. فمعنى قوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ ﴾ أنه ما يريد مجرد المخالفة كشأن المنتقدين المتقعرين؛ ولكن يخالفهم لمقصد سام وهو إرادة إصلاحهم» (٤).

- أن يوجه الإنسان همه للخطأ البين، والخطأ الأكبر؛ بحيث لا ينشغل بالهفوات التي لا تؤثر بشكل كبير في المسألة التي هو بصددها، وبحيث لا ينشغل بتوجيه النقد لكل ما يظنه غير صواب، فيمل الناس منه.

فمن فقه الأمر بالمعروف أن يهتم الداعي بمعالي الأمور وعظائمها، حتى لا يثقل على الناس، ولأن تصحيح الأخطاء الكبيرة من شأنه أن يصحح أخطاء أخرى تلقائيا، فيوفر الداعية جهده ويكون قوله أدعى للقبول عند من يوجههم.

عشرون نصيحة

في كتابه المهم «قوة النقد البناء» يقدم هندري ويسينجر عشرين نصيحة، لكي يكون النقد عملا بناء ذا ديناميكية في تفعيل الذات وقدرات الآخرين؛ وهي:

تآلف مع النقد. انقد بشكل استراتيجي. ركز نقدك على إيجاد الحلول. حافظ على احترام الشخص لذاته. اختر أنسب الكلمات. ضع ما تتلقاه من نقد في الميزان. اجعل الشخص الآخر يلعب دورا في عملية النقد. اذكر المزايا دون استخدام «لكن». أخبر من تنتقد بما تريد. تخير الوقت المناسب للنقد. اسأل على طريقة سقراط (أي أن تجعل الشخص يصل للحقيقة بنفسه عن طريق طرح أسئلة عليه). عندما لا تنجح الكلمات استخدم الأفعال (أي استخدم وسيلة عملية للتوجيه). استخدم توقعاتك. اعترف بأنه غير موضوعي (أي أن نقدك يعبر عن ذاتك أنت، وهو قابل للخطأ). اجعل من انتقادك حافزا. ادخل إلى عالمهم (أي استخدم مفردات وتشبيهات قريبة من اهتمامات من تنصحهم، حتى تحفزهم). المتابعة، المتابعة، المتابعة. تعرف على معاييرك النقدية. استمع لنفسك (أي اخل بنفسك للمراجعة ودراسة النقد). ابق هادئا ورابط الجأش (أي لا تغضب عندما تتعرض للنقد، ولا تقلق عندما توجهه).

خطورة الغياب

للأسف، فمن يتابع فضاءنا الفكري والإعلامي قلما يجد نقدا بناء يسعى للحقيقة لا الإثارة، ويهتم بالأفكار لا الأشخاص، ويبتغي التصحيح لا التجريح. بل على العكس من ذلك، سيجد نقدا هداما وافتراء، وجرأة على ادعاء امتلاك الحقيقة، وعلى تخطئة الآخرين، بل واتهامهم بلا أدلة! وسيجد أيضا حساسية مفرطة من أي نقد، وعدم قابلية للاستماع للرأي المخالف أصلا؛ دون إعطاء النفس فرصة لتنظر فيما يخالفها، وتقلب الأمر على أوجهه المتعددة!

إن بيئة فكرية وإعلامية يكون هذا هو مشهدها البائس لن تنتج فكرا صحيحا، وستكون لها آثار وخيمة، لاسيما على الشباب الذين سيفقدون الثقة فيمن يفترض فيهم أن يكونوا محل قدوة وتوجيه.

يجب أن نبادر لمعالجة هذا المشهد غير السوي، وأن نعمل على ترسيخ قيم وآداب النقد البناء، بحيث يكون هدفنا استجلاء الحقيقة، وغرس الفاعلية، وتقويم المسيرة؛ إدراكا منا بأن لا أحد يحوز الصواب المطلق، وبأن العقول ينبغي أن تتكامل لا تتنافر، وبأن الحوار هو السبيل لإدارة الاختلافات وإبقائها في دائرة الممكن والمشروع والمفيد.

ولاشك أن لمؤسسات المجتمع، خاصة التربوية والدينية والإعلامية، دورا كبيرا في غرس آداب النقد البناء، وإشاعة أهميته بين أفراد المجتمع. وينبغي أن تتضافر الجهود في هذا السبيل.

الهوامش

١- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٤٦٧، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.

٢- المصدر نفسه، ١/ ٣٠٢.

٣- قوة النقد البناء، هندري ويسينجر، مكتبة جرير، ط١، ٢٠٠١م، والنص من المقدمة، وهي غير داخلة في ترقيم الكتاب. (بتصرف واختصار يسير).

٤- «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، تفسير سورة هود، «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب». (بتصرف يسير).

د. محمد بن محمد الحجوي
أستاذ التعليم العالي - سلا

البيئة .. وجهود مؤسسات الوقف

إن عناية الإسلام بالبيئة تتجلى في العديد من الآيات البينات وأحاديث الرسول ﷺ وما قام به المسلمون على امتداد هذه القرون من جهود في إصلاح الأرض وتعميرها والحفاظ على المياه والنباتات والحيوانات، حتى أصبحت هذه الجهود علامة مميزة للحضارة الإسلامية في المشرق والغرب الإسلامي.

والوقف باعتباره مؤسسة تعنى بالشؤون الدينية والاجتماعية والفكرية والثقافية كان له اهتمام واضح بالبيئة، انطلاقا من الرؤية الإسلامية التي دعت للإصلاح في كل المجالات، واهتمت بكل ما يسعد الإنسان ويحافظ على صحته وفكره، لكون البيئة هي المجال الأوسع الذي يعيش فيه الإنسان بجانب مخلوقات كثيرة، تؤثر في مصدر عيشه وسلامة جسمه وفكره ومستقبله.

وقد انتبهت كل الأمم على المستوى الرسمي والهيئات المدنية في عصرنا الحديث لما للبيئة من أهمية في حياة الإنسان، فأخذت تدعو إلى وجوب المحافظة عليها بكل السبل والطرق

التي تجعل حياة الإنسان والكائنات الحية آمنة ومستقرة.

وعي المسلمين بأهميتها

أخذت البيئة حظا وافرا من العناية في كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، ومن فكر المسلمين على مدى القرون المنصرمة، إذ إن الحفاظ عليها جزء من المسؤولية التي تحملها الإنسان أمام الله ليحقق الخلافة في الأرض والقدرة على تحمل الأمانة بوعي وفكر ناضج، ولذلك كان خطاب الحفاظ على البيئة في الآيات البينات للناس جميعا، لأن الله جل وعلا أوجدها لكل المخلوقات الحية لتعيش في سلام وأمن، فالإقرار بهذه النعم وشكر الله عليها واجب على كل إنسان.

إرشادات إيجابية في القرآن

إن ما ذكره الله سبحانه وتعالى في وصف النعيم الذي أوجده في هذه الحياة الدنيا من أنهار وبحار وعيون وخضرة يانعة تستريح لجمالها العيون وتطمئن لها القلوب والنفوس، وأشجار ذات أغصان وارفة وثمار وفواكه متنوعة وظلال ممتدة، ورياح تسوق السحب لكل ارض ميتة لتعيد لها الحياة والبهجة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٣)، هي صور مرئية ومشاهدة عند الإنسان وممتعة لكونها تذكره بنعم الله التي هي حقيقة لا يمكن إنكارها، وهي بعض النعم التي أوجدها للإنسان ولكل الكائنات الحية.

والإنسان باعتباره المخلوق الوحيد الذي وهبه الله عقلا وإحساسا وشعورا ينبغي أن يقدر هذه النعم حق قدرها ويشكر الله عليها، ويجهد نفسه في الحفاظ عليها وصيانتها من كل أذى.

ومن هنا كانت دعوة القرآن الكريم الإنسان للنظر في هذا الكون بتبصر وحكمة وعقل، لكي يعرف قدرة الله من خلال هذه النعم، قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١٠)﴾ (ق:٧-١٠)، وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (الحج:٥)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (فاطر: ٢٧-٢٨).

هذه الآيات البينات هي تذكير للإنسان بنعم الله وبوجوب شكره والحفاظ عليها كما خلقها الله سبحانه وتعالى في بهائها وجمالها ورونقها.

دعوة الإسلام للحفاظ عليها

وقد تجلى مظهر الحفاظ على البيئة والعناية بها في الإسلام في كل عمل صالح يقوم به الإنسان في هذه الأرض، ويتجنب فيه كل فساد ولو بدا له هينا؛ فالإقبال على غرس النبات والأشجار وإصلاح الأرض وسقيها لكي ينتفع به الإنسان والحيوان يعد صدقة ينال فاعلها ثوابه الجزيل عند الله، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة» (١).

وأما البحث في مظاهر تكوين الطبيعة بجبالها وسهولها ووديانها ونباتاتها وأشجارها فكان لعلماء المسلمين نصيب وافر من الدراسات التي استفادوا منها في حياتهم العملية، وطوروا بها أبحاث الطبيعة، وقد كان لهذه الدراسات غايات وأهداف، منها ما هو ديني لأجل إظهار نعم الله على الإنسان ووجوب تقديرها، ومنها ما هو علمي محض من اجل تسهيل أمور معيشتهم، وكانت لهذه الجهود آثار إيجابية على تقدم العلوم وتطورها حينما بدأ الغرب نهضته.

لقد توصل الدارسون في العصر الحديث -على اختلاف اتجاهاتهم لما أشار إليه كتاب الله عز وجل ولما اهتم

به المسلمون طيلة قرون عديدة- في كون البيئة بمياهها وهوائها وحيواناتها ونباتاتها هي نعمة من نعم الله على الإنسان، والحفاظ عليها مسؤولية يتحملها كل فرد، هذه المسؤولية تبدأ من أصغر الأشياء إلى أكبرها، فإماطة الأذى عن الطريق، وتجنب رمي القاذورات في الطرقات والأماكن العامة مسؤولية يتحملها كل فرد، والعناية بشجرة أو نبتة، والحفاظ على المياه وتجنب تلوثها موقف أخلاقي وإنساني، يجازي الله عنه الإنسان أحسن الجزاء، وحفر بئر وشق نهر ليشرب منه الإنسان والحيوانات، وتسقى به الأرض والنبات والشجر، عمل جليل في الحياة الدنيا، وثوابه عظيم في الحياة الأخرى.

تعهدها أولوية إسلامية

إن الإسلام جعل العناية بالبيئة والحفاظ عليها من الأولويات في حياة الإنسان ومن القيم والمبادئ التي تتحقق بها إنسانية الإنسان في هذا الوجود، ولا يمكنه أن يقوم بواجبه الديني والأخلاقي والاجتماعي والعمراني ويسهم في بناء الحضارة بدون أن تكون البيئة التي يعيش فيها من أرض ونباتات وأشجار وسماء ومياه وحيوانات برية وبحرية وطيور سليمة من كل ما يؤذيها من تلوث ونفايات تقتلها ولا تساعدها على النماء والعيش بسلام.

ولذلك أوجب الإسلام الجزاء الأوفى لكل من يعمل عملا صالحا في حياته يفيد به كل المخلوقات، قال رسول الله ﷺ: «سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من علَم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورَّث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته» (٢).

والبيئة ليست مجال حياة الإنسان في حاضره فقط، وإنما هي مجال حياة الأجيال المقبلة، فالحفاظ عليها هو ضمان سلامة تلك الأجيال، وهذا ما بدأت تنبه إليه المنظمات والجمعيات.

فكل تأثير سلبي فيها قد يمتد لسنوات عديدة، مثل ما نرى من تأثير الإشعاعات النووية التي تتسرب من المفاعلات، فأثرها السلبي على الإنسان والطبيعة والكائنات الحية لا يتوقف لمدة محدودة، لا تسلم منه تربة ولا هواء ولا مياه، وما نراه من أمراض لم يألفها الإنسان من قبل ومن تشوهات خلقية للأجنة هو نتيجة مخلفات الحروب والإشعاعات النووية والإفراط في استعمال المواد المحرمة قانونيا.

وقد انعكس ذلك التأثير السلبي على التغيرات التي نراها في المناخ وفي التقلبات الطبيعية وفي اندثار بعض الحيوانات، فالفيضانات والأعاصير والكوارث الطبيعة غير المعتادة أصبحت ظاهرة كونية، وكل ذلك ينذر بعواقب وخيمة على هذا الكوكب الذي نعيش فيه، وهذه نتيجة من نتائج الآفات الحضارية المتوحشة التي تسعى للربح فقط، فلا يسلم أحد من آفاتها في البر والبحر والسماء، فدخان المصانع المتصاعد، والنفايات الكيماوية التي ترمى في الطبيعة أو في البحار والمحيطات والأنهار، كل ذلك خلَف آثارا سلبية على الإنسان والهواء والماء والخضراوات والفواكه وأسماك البحار والحيوانات التي تتناول لحومها.

تهديد للإنسانية

ولهذا السبب نرى كل الشرفاء في الأمم المتقدمة وغير المتقدمة الذين عرفوا أثر هذا الخطر على البيئة والمخلوقات يسعون بكل الوسائل الممكنة للحد من هذه الآفات التي انتشرت بشكل رهيب أو التقليل منها، شعورا منهم بأن الإنسانية والكائنات الحية مهددة بالزوال إذا استمر الوضع على ما هو عليه الآن.

ومن هنا نستحضر تعاليم الإسلام التي أوصت المسلم بالعناية بالبيئة وبكل كائن حي فيها، ونبهته بأن البيئة هي مصدر رزقه، ومكمن سعادته، ومجال نقاء فكره، وسلامة نفسه، فكلما حافظ عليها كان أمنه أوفر، وعيشه أرغد، وصحته أسلم، ولهذا السبب نبه الله سبحانه وتعالى الإنسان بأن الأرض هي مستقرة في هذه الحياة الدنيا ليعي دوره الإيجابي فيها.

ولذلك وجب عليه الحفاظ عليها وعلى كل ما وجد فيها بكل الطرق والسبل التي تتيح له ذلك بالعمارة والإصلاح وغرس الأشجار والعناية بالحيوانات والحفاظ على مياه الأنهار والبحار والهواء، فهذه الأعمال جزء هام من وظيفة الإنسان ودليل على أنه يستحق الاستخلاف في الأرض ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤).

إن الحفاظ على كل ما سخره الله للإنسان في هذه البيئة هو تكليف من أجل أن يقي نفسه من الأمراض، ويكون

قادرا على القيام بالعبادة التي أمره الله بها.

أما العناية بالحيوانات كلها، وبالأليفة منها خاصة، والتدبر في خلقتها ومنافعها، فالآيات التي أشارت إلى ذلك كثيرة في كتاب الله، تجعل الإنسان يفكر بعقله فيما سخر له الله من نعم لا تعد ولا تحصى في هذه الحياة الدنيا، ومنها الحيوانات التي تعينه على تحمل الصعاب، وتوفر له غذاءه وكسوته، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾ (النحل:٥-٦).

الإنسان القديم الذي لم يدرك حضارة الاختراع كان يقدر أثر هذه الحيوانات على حياته وقضاء حوائجه، فقد جعلها وسيلة لتنقله واتخذ من وبرها وصوفها ما يقيه زمهرير البرد وحر الصيف، وبخاصة في البيئة الصحراوية، حيث يصعب على الإنسان تدبر أموره بدون معين، فهو لا يستطيع التنقل في صحراء قاحلة بدون الحيوان الذي سخره الله له لهذه الغاية، ألا وهو الجمل، أنيس الصحراء، ورفيق البدوي في ظعنه وإقامته، فقال تعالى ينبه الإنسان لهذا المخلوق العجيب في خلقته وصبره ومنافعه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (الغاشية: ١٧).

وحينما عم الطوفان كل جزء في هذه الأرض أمر الله سبحانه وتعالى نبيه نوحا عليه السلام، أن يحمل معه الحيوانات التي تنفع الإنسان، لأن حياته لا تستمر إلا بها، فأصبح بذلك الحفاظ عليها واجبا شرعيا، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود:٤٠).

وقال أيضا في ذكر منافعها بتفصيل وتدقيق: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ (النحل: ٥-٨).

وقال رسول الله ﷺ يذكر جزاء من يحافظ عليها وما أعد الله له من أجر عظيم: «في كل ذات كبد رطبة أجر» (٣).

وقال عليه السلام: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا فدخلت فيها النار» (٤).

إن الإشارات التي جاءت في الكتاب والسنة لمنافع البيئة وما فيها من حيوانات ونباتات ومياه تدل دلالة قوية على وجوب العناية بالطبيعة وبالكائنات الحية التي سخرها الله للإنسان فضلا منه ورحمة، بل جعلت الشريعة فيها أجرا عظيما لمن يفعل ذلك، فأصبح الحفاظ عليها وصيانتها من أي ضرر يعد تكليفا شرعيا، يجازى من يقوم به، ويأثم من يقصر فيه.

جهود مؤسسات الوقف

ومن هذا المنطلق الشرعي والواجب الإنساني والخلقي والاجتماعي وجدنا مؤسسات الوقف في تاريخ الحضارة الإسلامية على امتداد هذه القرون تسهم في هذا المجال بشكل فعال وقوي.

لقد شعر المسلمون بدور البيئة وأهميتها في حياتهم، وما تجلب للناس من نفع عام كالأراضي المغروسة وغير المغروسة والأشجار والغابات والحيوانات والطيور وآبار المياه، فسارعوا لوقف أموالهم من أجل استغلالها والحفاظ عليها والعناية بها كي تستمر في العطاء، وقد حظيت كثير من الحيوانات بالوقف، وبخاصة التي عجزت عن القيام بالأعمال بعدما أدت دورها مثل الخيول التي لها دور في الجهاد وفي أعمال أخرى، والطيور التي تتعرض للانقراض، أو من أجل استمرارها وألفتها في أماكن معينة مثل طيور الحرمين الشريفين، وطير اللقلاق الذي يتعرض للآفات، فهذه الأعمال تبين شعور المسلمين بأهمية هذه الحيوانات والطيور وحرصهم عليها.

كما أوقفوا أموالهم على بعض النباتات والزهور حفاظا عليها وعلى منافعها، وعلى إصلاح الأراضي للزراعة وحفر الآبار وشق الأنهار لسقيها وشرب الدواب.

وأما العناية بالأشجار التي توفر للإنسان الثمار والظلال وتحافظ على

التربة من الانجراف فكان للوقف فيها جهود متواصلة وسعي دائم شعورا من مؤسسة الوقف بأن هذه الجهود بالإضافة إلى أنها تسهم في جعل البيئة نظيفة وخالية من التلوث، فإنها توفر للإنسان والحيوان الهواء النقي والعيش الكريم والأمن النفسي والفكري، وكل هذه الأعمال تنطلق من الرؤية الشاملة في الإصلاح والعمل المنتج الذي دعا إليه الإسلام ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦).

أما توفير الماء للشرب والسقي وحفظه من التلوث باعتباره عنصرا ضروريا في الحياة لكل الكائنات الحية، فقد كان لمؤسسة الوقف دور إيجابي في هذا الجانب، ونعمة الماء وأثره على كل كائن حي كان له ذكر وإشادة في الآيات البينات، مما جعل مؤسسة الوقف تعتبر هذا العمل واجبا دينيا واجتماعيا وإنسانيا، قال الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (يس: ٣٣-٣٥).

وقد أدركت الأمم في عصرنا الحاضر أهمية الماء وأثره على حياة الناس والكائنات الحية، وعلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي والتنمية الاقتصادية، وما يطرأ عن انعدامه أو قلته من اضطراب اجتماعي في المناطق التي تتعرض للجفاف أو التصحر، فسارعت بتوعية الناس بأهميته وبوجوب الحفاظ عليه بكل الوسائل والطرق، التي تجعل الأجيال الحاضرة والمقبلة تستفيد منه، كما أنفقت أموالا باهظة من أجل شق الأنهار واستخراج المياه الجوفية.

والأمم التي تعاني من قلة الأمطار وشح المياه السطحية والجوفية تدرك أثر هذه النعمة على أمنها الاجتماعي ومستواها الاقتصادي.

والدارس لتاريخ الحضارة الإسلامية يلاحظ أن المسلمين كانوا حينما يستقرون في أرض مَا يعملون جاهدين على الحفاظ على مقومات الحياة فيها، ولاسيما البحث عن العنصر الأساسي وهو الماء ثم غرس الأشجار والنباتات والعناية بالتربة وتربية الحيوانات التي توفر لهم الألبان واللحوم والصوف والجلود.

وقد تحوَّلت بجهودهم الصحاري القاحلة المقفرة إلى جنات خضراء ذات ظلال وأشجار وثمار، تجري فيها المياه في كل جهة، وكانوا يعتبرون هذا العمل من أقدس ما يقومون به شعورا منهم بمنافعه على الإنسان والحيوان في الحاضر والمستقبل، قال حازم القرطاجني يذكر فرحة الناس بما قام به الخليفة المستنصر حينما جلب المياه إلى حضرة تونس:

كأن به قد ساح وسط تونس
وصاح بالناس: ردوا ماء الندى
وزار أرضا طالما زرت على
لباتها أطواقه في ما خلا

قال شارح المقصورة الشريف السبتي مبينا معنى الأبيات: «والمعنى أن هذا الماء قد أوشك أن يصل إلى حضرة تونس، فيفيض وسطها ويسمع الناس عنه، فيردوه ويكثر ويعظم به انتفاعهم، وضرب الصياح لذلك مثلا، وسماه: ماء الندى، لإفضال هذا الأمير به على رعيته، وعظيم ما ظهر من كرمه في إنفاق الأموال العظيمة عليه، قصد انتفاعهم ورغبة فيما يعود بصلاحهم» (٥).

وفي الأندلس المسلمة كما في كل جهة استقر فيها المسلمون وأقاموا دولتهم بالعدل والمساواة أعطوا النموذج الأمثل بجهودهم وأعمالهم المتواصلة لكل العقلاء والمدافعين عن البيئة والكائنات الحية، إذ جعلوا الأرض التي عاشوا فيها جنة فيحاء، وارفة الظلال، يانعة الخضرة، غزيرة الثمار، تجري في كل جهة منها المياه العذبة.

وهذا النهج دعاهم إليه دينهم الذي يأمر بالإصلاح وتجنب الفساد، فكانوا عبرة لكل الشعوب والأمم بعملهم وسلوكهم وأخلاقهم وإصلاحهم.

الهوامش

١- صحيح البخاري، كتاب المزارعة.
٢- رواه البزار.
٣ - صحيح البخاري، باب الأدب.
٤ - صحيح البخاري، باب سقي الماء.
٥- رفع الحجب المستورة لأبي القاسم الشريف السبتي (٢/ ٤٤٥-٤٤٧)، تحقيق وشرح صاحب الدراسة. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط (١)، (١٩٩٧م).

د. إدريس سلطان صالح
أستاذ جامعي - مصر

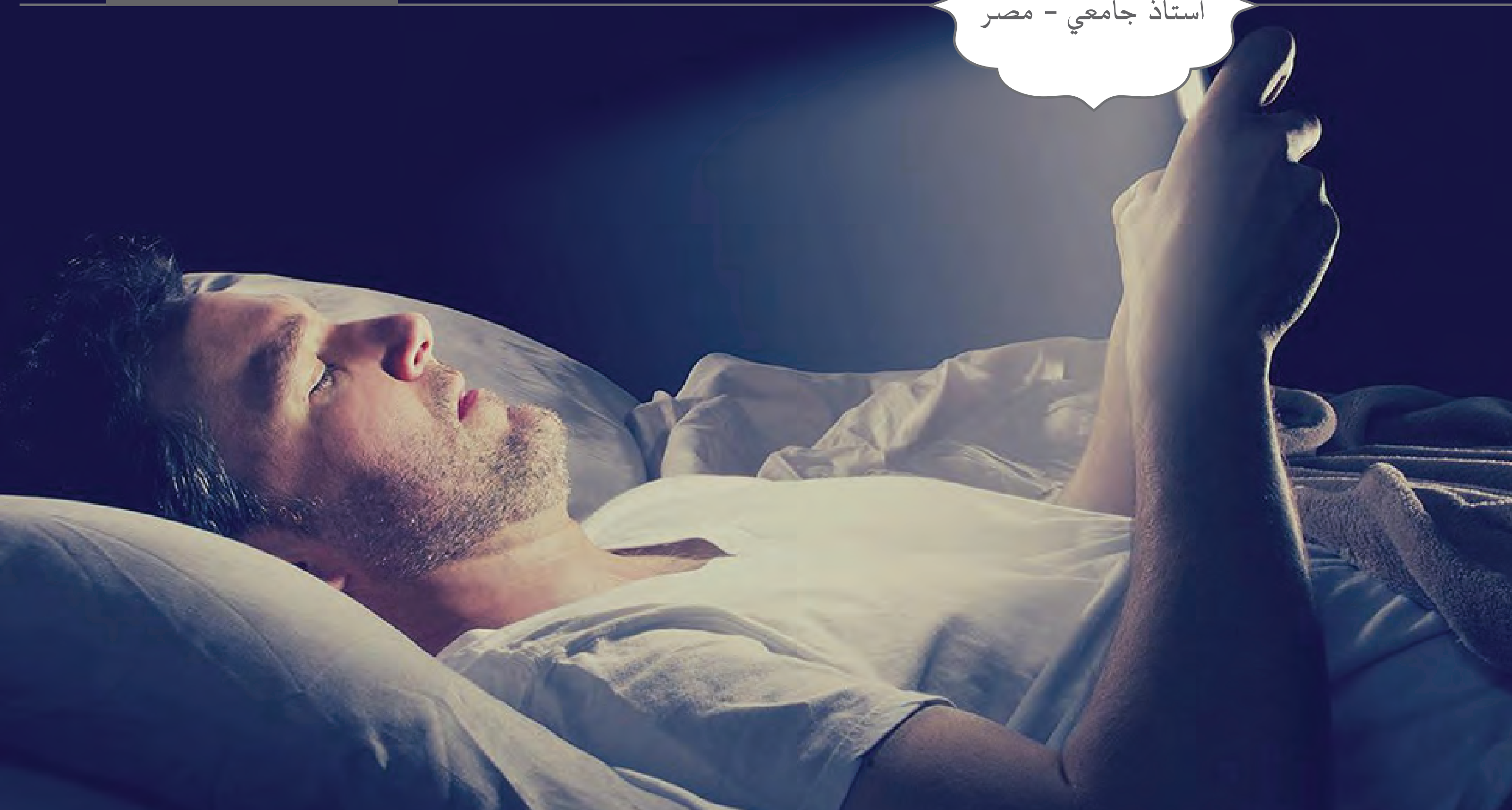

إمكانات تعليمية تواجه أخطارها وتستغل إيجابياتها

الهواتف الذكية

يشهد العصر الحالي تطورا متناميا في حقل التكنولوجيا باختلاف أنواعها وأشكالها، وانتشارا واسعا لتطبيقاتها في كل المجالات الحياتية، لدرجة أنها أصبحت جزءا مهما في أي عملية تخطيط وبناء في كافة المجتمعات، النامية والمتقدمة على حد سواء.

يعتبر قطاع الاتصالات من أكثر القطاعات التكنولوجية تطورا خلال السنوات الأخيرة، وخاصة صناعة الهواتف الذكية؛ نتيجة تزايد الطلب على اقتنائها واستخدامها في الحياة اليومية لدى مختلف شرائح المجتمع وفئاته الغنية والفقيرة معا.

فقد أظهر تقرير صدر عن مجموعة المرشدين العرب بعنوان «تحليل مؤشرات الأداء الرئيسية لمشغلي الهاتف النقال في الوطن العربي»، أن عدد خطوط الهواتف النقالة بلغ ٤١٤ مليون خط بنهاية مارس عام ٢٠١٥م، وأن هذا الرقم في تزايد مستمر (١).

وتحظى الهواتف الذكية بالعديد من التطبيقات التي جعلت المستخدمين يلجأون إليها كبديل سريع عن أجهزة الحاسبات الآلية والشخصية، مثل: الاتصال المسموع والمرئي، واستقبال البريد الإلكتروني وإرساله، واستخدام الشبكات الاجتماعية، وتصفح الإنترنت، والبحث في قواعد البيانات والمعلومات، وقراءة الكتب والمقالات والصحف والمجلات، والتقاط الصور واستقبالها وإرسالها، وتسجيل الفيديو، ولعب الألعاب، وغيرها من التطبيقات والأنشطة الإلكترونية المعتمدة عليها.

مخاطر الهواتف الذكية

تنتشر الهواتف الذكية بين الأطفال بدرجة كبيرة، وزاد وقت استخدامهم لها، سواء في المنزل وخارجه. ورغم الجوانب الإيجابية لاستخدام الهواتف الذكية، فإن الاستخدام غير

المقنن لها قد صاحبه ظهور عديد من المشكلات الصحية والسلوكية والاجتماعية والتعليمية لدى هؤلاء الأطفال، حيث أظهرت الدراسات التي تناولت تلك الأجهزة، ارتباطا كبيرا بين الوقت الذي يستغرقه الأطفال في استخدامهم للهواتف الذكية، وبين وجود آثار صحية خطيرة على الأطفال، مثل: الإصابة بالأمراض الدماغية والعصبية الناتجة عن الإشعاعات الصادرة عنها، وطول فترة الاستخدام، وكذلك اتباعهم لأسلوب حياة خاطئ، مثل: تناول المشروبات المنبهة، والمعاناة من قلة النوم، والتعرض للإرهاق والتعب، وأيضا فقدانهم للخصوصية، والانعزال الاجتماعي، وضعف قدرتهم على أداء المهام (٢).

فقد وجدت الدراسات أن الأطفال الذين يستخدمون الهواتف الذكية أكثر عرضة للمشكلات السلوكية، وأن ٨٠ في المئة منهم أكثر عرضة لمشكلات عاطفية، ومشكلات سلوكية، وفرط النشاط أو مشكلات مع أقرانهم (٣).

ورغم تنوع المشكلات المرتبطة باستخدام الأطفال للهواتف الذكية، فإن للأسرة دورا كبيرا في تلك المشكلات، نتيجة غياب المتابعة والتوجيه السليم للطفل في استخدامه للهاتف الذكي، وهذا ما أكدته دراسة تناولت تأثير الهواتف الذكية سلبا على سلوكيات الطلاب وتحصيلهم الدراسي، إذ اتفق أغلب الطلاب على أن الأثر السلبي يرجع لإهمال الأسرة في متابعتهم لكيفية استخدامهم للهواتف، مما يستدعي توعية الأسرة لخطورة ذلك الأمر (٤).

الهواتف الذكية والتعليم المتنقل

انعكس تطور الهواتف الذكية، وتنوع استخداماتها وتطبيقاتها على التعليم، وأدى إلى ظهور أشكال جديدة من نظم التعليم، ففي القرن الماضي ظهرت أدوات التعليم والتدريب المعتمدة على الحاسوب بشكل رئيسي، وعلى أساليب التفاعل المختلفة معه مستفيدة من الأقراص المضغوطة والشبكات المحلية، وخلال القرن الحالي تطور مفهوم التعليم الإلكتروني وتميزت أدواته باستعمال الإنترنت، أما هذه الأيام فقد تزايدت إمكانات استثمار تقنيات الاتصالات اللاسلكية عامة والنقالة خاصة ليظهر مفهوم جديد في الأوساط التربوية والتعليمية وهو أنظمة التعلم النقالة أو المتنقلة Mobile Learning Systems.

حيث يعتبر التعلم النقال أو المتنقل شكلا جديدا من أشكال نظم التعليم عن بعد، والذي يقوم على انفصال المحاضر عن الطلاب مكانيا وزمانيا، والذي بدأ تاريخيا منذ أكثر من مئة عام، وأخذ شكل المراسلات الورقية، ثم ظهر التعليم الإلكتروني موفرا للتعليم عن بعد طرائق جديدة تعتمد على الحواسيب وتقنيات الشبكات الحاسوبية، فتقنيات الشبكات اللاسلكية والنقالة يمكن أن توفر فرص تعليم مهمة للأفراد الذين لا تتوفر في مناطقهم البنية التحتية اللازمة لتحقيق فرص التعليم الإلكتروني، مثل المناطق الريفية أو النائية أو للأفراد المتنقلين دائما بسبب نمط عملهم والراغبين في التعلم (٥).

ورغم تنوع تعريفات التعلم المتنقل بتنوع الباحثين، فإن معظم هذه التعريفات تتفق على نقاط أساسية مشتركة للتعلم المتنقل، هي:

- تعلم محوره المتعلم.
- تعلم يتم أثناء التنقل في أي مكان وزمان.
- تعلم يتم باستخدام عدد متنوع من الأجهزة المحمولة التي تتميز بسهولة الحركة والتنقل (٦).

ويحظى التعلم المتنقل بأهمية كبيرة في التعليم والتعلم، لما له من مميزات متنوعة منها:

- شكل من أشكال التعلم الإلكتروني، يقوم على مبدأ انتشار التعلم وتجواله بحرية مخترقا حدود الزمان والمكان.
- تقديم مفهوم أعمق لما يعرف بأفضل إنجاز في أي زمان ومكان.
- التحول من مفهوم التعلم القائم على أي زمان ومكان إلى مفهوم التعلم في كل زمان ومكان.
- إمكانية توصيل المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية في الوقت الحقيقي عن بعد.
- التحكم في الاستجابة الشعورية للمتعلم وتنظيم تدفق المعلومات.
- توفير فرص التعلم الشبكي والاجتماعي، والتشاركي والتفاعلي الحقيقي عن بعد.
- توفير الوقت وعناء السفر والتنقل للمتعلم.
- سرعة التخزين وكفاءة التشغيل.
- وضوح الصوت والصورة والتصاميم العلمية والجداول والرسوم البيانية (٧).

ومن ثم انتشر التعلم المتنقل لما به من مميزات، وتنوع للأجهزة التي يستخدمها مثل الأجهزة اللاسلكية الصغيرة والمحمولة يدويا مثل الهواتف المتنقلة Mobile Phones، والمساعدات الرقمية الشخصية PDAs، والهواتف الذكية Smartphone، والحواسيب اللوحية الشخصية الصغيرة (التابلت) Tablet PC (٨).

وتعتبر الهواتف الذكية من أكثر أجهزة التعلم المتنقل استخداما وأهمية، حيث أكدت الدراسة المسحية لمنظمة بيرسون الأميركية أن معظم الطلاب لديهم قناعات بأن أجهزة التعلم

المتنقل ستحدث تحولا في عمليات تعلمهم، وتطويرا للخبرات التربوية التي يتعرضون لها، ولذلك يفضلون استخدام تلك الأجهزة عن المطبوعات الورقية التقليدية (٩)، حيث أظهرت نتائج العديد من الدراسات أن هناك اتجاهات إيجابية وقبولا متزايدا من الطلاب والمعلمين لاستخدام أجهزة التعلم المتنقل في التعليم والتعلم، وأن لديهم تصورات إيجابية نحو إمكانات استخدامها في العملية التعليمية، وفهم دورها في الشرح وتطوير أنماط التعلم لديهم. لذلك أوصت تلك الدراسات بتوفير البرامج اللازمة لتفعيل استخدام أجهزة التعلم المتنقل، وتوفير البيئة التعليمية الداعمة لاستخدامها (١٠).

مقترحات وحلول

للتغلب على مشكلات وأخطار الاستخدام غير المقنن للهواتف الذكية لدى الأطفال، والاستفادة من إمكاناتها التربوية والتعليمية، فهناك بعض المقترحات والحلول، ومنها:

- تقنين امتلاك الأطفال الصغار لهواتف ذكية.
- توعية الأسرة للطفل بالاستخدام الآمن للهواتف الذكية.
- تخصيص الأسرة وقتا محددا لتعامل الطفل مع الهواتف الذكية.
- توفير أنشطة رياضية واجتماعية تستثمر وقت الطفل وطاقاته وقدراته.
- البحث عن البرامج والتطبيقات والألعاب التي تنمي قدرات الطفل.
- متابعة استخدام الأطفال لتطبيقات الهواتف الذكية.
- ربط التطبيقات والبرامج بعمليات تعليمية وتعلم مفيدة.
- تصميم المدرسة لتطبيقات تعليمية مفيدة.
- استخدام المعلم للهواتف الذكية في بناء علاقات إيجابية مع الأطفال.

وفي ضوء ما سبق، يتضح أن الهواتف الذكية بقدر ما لها من عيوب ومخاطر، فإن لها أهمية وإمكانات لاستخدامها في التعليم للجميع، سواء الأغنياء بما يمتلكونه من أجهزة، والفقراء الذين تنقصهم إمكانات التعلم الإلكتروني وبنيته التحتية، وذلك من خلال ما تمتلكه من تطبيقات وبرامج متنوعة، بعضها قد توفره المؤسسات التعليمية مثل تطبيقات للمناهج والكتب الدراسية، وبعضها متاح عبر تلك الأجهزة، ويستخدم في التواصل مثل تطبيقات التواصل الاجتماعي، أو محركات البحث عن المعلومات.

ولذلك يمكن القول إن تجنب مخاطر الهواتف الذكية، والاستفادة من إمكاناتها وجوانبها الإيجابية، يرجع إلى الأسرة والمدرسة، من خلال المتابعة وتوفير البرامج والتطبيقات السليمة التي تستغل وقت الطفل وطاقاته في خبرات تربوية وتعليمية مفيدة.

الهوامش

1- The Arab Advisors Group. (2015م). A Scorecard of Key Performance Indicators of Cellular Operators in the Arab World. 2015. Available at: http://www.arabadvisors.com/reports/item/15554.

٢- محمد عمر محمد أبوالرب، وإلهام مصطفى القصيري (٢٠١٤م). المشكلات السلوكية جراء استخدام الهواتف الذكية من قبل الأطفال من وجهة نظر الوالدين في ضوء بعض المتغيرات، المجلة الدولية للأبحاث التربوية، جامعة الإمارات، (٣٥)، ١٧١-١٩٢.

3- Divan, H.A., Kheifets, L., Obel, C. و Olsen, J. (2012م). Cell phone use and behavioural problems in young children. Epidemiology Community Health, 66 (6), 524-529.

٤- محمد عمر محمد أبوالرُّب، وإلهام مصطفى القصيري (٢٠١٤م). مصدر سابق.

٥- محمد الحمامي (٢٠٠٦م) التعليم النقال مرحلة جديدة من التعليم الإلكتروني M-Learning - a New Stage of Learning، مجلة المعلوماتية السورية (التقانة في التعليم)، العدد (٦) متاح في: http://infomag.news.sy.

٦- ليلى الجهني (٢٠١٣م). فاعلية التعلم المتنقل عبر الرسائل القصيرة في تدريس بعض مفاهيم التعليم الإلكتروني وموضوعاته لطالبات دراسات الطفولة، المؤتمر الدولي الثالث للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٧- جمال علي الدهشان ومجدي محمد يونس (٢٠١٠م). التعليم بالمحمول Mobile Learning صيغة جديدة للتعليم عن بعد، المؤتمر الدولي الأول للجمعية العمانية لتكنولوجيا التعليم، سلطنة عمان، ٦-٨ ديسمبر ٢٠١٠م.

٨- أحمد محمد سالم (٢٠٠٦م). التعلم الجوال Mobile Learning رؤية جديدة للتعلم باستخدام التقنيات اللاسلكية. ورقة عمل مقدمة إلى المؤتمر العلمي الثامن عشر للجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، جامعة عين شمس، القاهرة.

9- Pearson Foundation. (2012م). Survey on Students and Tablets. Available online at: http://www.pearsonfoundation.org/downloads/PF_Tablet_Survey_Summary_2012.pdf.

١٠- أحمد صادق عبدالمجيد (٢٠١٤م). فعالية برنامج تدريبي مقترح قائم على التعلم عبر الموبايل لإكساب معلمي الرياضيات قبل الخدمة مهارات الانخراط في التعلم وتصميم كائنات تعلم رقمية. المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد ٣ العدد ١، ٢٠١٤م، ص ١- ٤٠.

د. عبدالله زبير محمود
دكتوراه في علوم التربية الرياضية

الرياضة في الفكر الإسلامي

ليس الإسلام مجرد عبادات وتشريعات، بل هو منهج حياة شامل، ينظم شؤون الدنيا بما يؤدي إلى سعادة الآخرة، ويهدف إلى خلق إنسان متوازن، روحيا وجسديا، عبر مجموعة كاملة ووافية من النظم والتشريعات.

ومن النظم التي أرسى الإسلام مبادئها التربية، فقدم لنا بناء تربويا متكاملا، تتجلى خصائصه في القرآن والسنة النبوية المطهرة، ويكوّن لنا نموذجا تطبيقيا متكاملا محوره الإنسان، فهو أصل قوة أي مجتمع متقدم، وبه يتحدد مدى صلاحية أي نظام ونجاحه.

ولا ريب أن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يفيضان بعناصر الفكر التربوي المؤدي إلى حسن تكوين المسلم روحا وجسدا.

والإسلام دين الفطرة، لأنه يلبي الحاجات الأساسية للإنسان، ويعمل على إسعاد بني البشر، ويربط كل كائنات الكون بعضها ببعض، ويؤلف بين كل في وحدة. متناسقة كلها عوالم لها نواميسها المحكمة والقوانين المنظمة لها، وهي إن اختلفت فإنها تلتقي في النهاية عند هدف أسمى، هو بقاء الكون في حالته المثلى شاهدا على قدرة الله الخالق.

والإسلام هو خاتم الأديان، ويتآلف مع النفس البشرية ويتوافق مع ميولها ونزعاتها نحو الأصلح لها دنيا وآخرة، والإسلام يعترف بحقوق الروح والبدن، ويقرر في وسطية ما فيه صلاح وكمال الدنيا والآخرة.

الجسم البشري يحتاج دومًا الى الرعاية والعناية والتقويم والتنمية كي يقوم بمهامه في الحياة بكفاءة واتزان، ولذا كانت ممارسة الرياضة سنة من سنن سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، فخير البشر اعتبر حفظ البدن ورعايته حق واجب على المسلم، ولعل دعاءه ﷺ ثلاث مرات صباحا ومساء: «اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في بصري، اللهم عافني في سمعي» يؤشر إلى أهمية وجود جسد سليم.

وقد اهتم الرسول ﷺ بالرياضة البدنية، وأنشأ لها ساحة رياضية، ومارس بنفسه كثيرا من فنونها، ورغب أصحابه في معالجة شؤونها، فدعاهم إلى تعلم الرماية والتدريب على أساليب الفروسية، وكان ﷺ مثلا يحتذى به في كل ضروب الرياضة، صارع (ركانة)، وكان رجلا شديدا ومعروفا في المصارعة والقوة، فصرعه النبي ﷺ مرارا فقال: «يا محمد، ما وضع جنبي أحد إلى الأرض، وما أنت بالذي تصرعني». ثم أعلن إسلامه، (رواه أبو داود في المراسيل عن سعيد ابن جبير).

وقد أجمع الفقهاء والعلماء من السلف الصالح على أن ما صح من أقوال وأفعال الرسول ﷺ مما نقله الثقات عبر القرون إنما هو من السنة الشرعية الشريفة، قال الله

تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ (المائدة: ٩٢)، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥﴾ (النجم: ٣- ٥).

وذكر ابن القيم أن رفع الأثقال عمل مباح والمصارعة ومسابقة الأقدام (الجري)، فقد أمر الرسول ﷺ بقوم يربعون حجرا، ليعرفوا الأشد منهم، فلم ينكر عليهم ذلك، وهكذا أقر الرسول ﷺ هذا التباري الشريف في (الربع)، وهي رياضة قديمة ولم ينكرها، ففي الصحيحين عن حديث ابن عمر: «أن النبي ﷺ سبق بين الخيل وفضل القرح في الغاية»، وفسر ابن القيم القرح على أنها جمع قارح، وهو الجواد الذي دخل عامه الخامس، ولقد روي عن النبي ﷺ مواقف وأحاديث تظهر إباحة الإسلام المصارعة والرماية والسباحة والجري وسباق النوق، كما تفيدنا أنه ﷺ نظم طريقة السباق، وأقام له ميدانا خارج المدينة، وجاء في البخاري عن أنس بن مالك أنه كان النبي ناقة تسمى العضباء، وكانت لا تُسبق فسبقها أعرابي، فاشتد ذلك على المسلمين فقال الرسول ﷺ: «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه»، وفي هذا الحديث تنبيه هام لأولئك المنهزمين في أي مسابقة، وعزاء جميل لهم يحول بينهم وبين الهم والألم للهزيمة.

ومن هنا يمكننا القول إن للرياضة في الإسلام أهدافا غير الهدف الذي تتخذه الفرق الرياضية والأندية في زمننا، وفي هذا العصر تتولد عن المنافسات عداءات غير محمودة وتتطور إلى التشاحن والتقاتل، مما يفقد الرياضة مبدأ هام من مبادئها التربوية، ألا وهو (احترام المنافس)، وفي البخاري حديث طريف عن اللعب بالحراب والدرق قالت عائشة رضي الله عنها: «لقد رأيت رسول الله ﷺ في باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب، فإما سألت رسول الله ﷺ وإما قال: أتشتهين تنظرين؟ قلت: نعم، فأقامني وراءه وهو يقول: دونكم يا بني الأرفدة، حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم. قال: فاذهبي».

انظر إلى رسول الله ﷺ كيف سمح بأن يتخذ من المسجد، وهو مكان عبادة ساحة مباراة وميدان رياضة، وفي هذا يشعر بأن ما يقوم به الإنسان من عمل يرفه به عن نفسه ويملأ وقت فراغه نوع من العبادة ما دام يحسن النية ويقصد به وجه الله، وهذا ما يقودنا إلى أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية والتدريب للجهاد في سبيل الله من مصارعة وعدو وسباحة ورماية وفروسية، لما لها من فوائد للمجتمع، ومن أجل أن تأخذ الامة الإسلامية بأسباب العزة والنصر والسيادة، ومن أجل أن تتم تربية أفراد الأمة جسميا ونفسيا على النصر والسيادة والعزة والكرامة، هذا ما دعا الفاروق عمر ابن الخطاب إلى أن يدعو المسلمين إلى أن يعلموا أولادهم السباحة والرماية وركوب الخيل، لأن تلك الممارسات منذ الصغر تربي في المسلم القوة الجسدية والإيمانية، وتكسبه الصلابة في مواجهة الصعاب، وتتصف بالحيوية لأنها عملية، فهي تعتمد على نظام قيمي واضح، يعبر عن آثار الممارسة الرياضية التي عرفها السلف الصالح وأدركها، فعندنا من علو الهمة وسعة العلم وعظيم الأهداف، ما يدفعنا للانشغال بكل ما هو جاد ونافع ومفيد، ولا يصح أن تكون حياتنا لهوا ولعبا فقط، فلكل مقام مقال.

ولنا في سلفنا الصالح أسوة حسنة، وقدوة طيبة، فقد كانوا يجلسون في حلقات العلم معلمين ومتعلمين، وإذا سمعوا النداء للصلاة حرصوا على إدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام، وإذا دعا داع للجهاد خرجوا يلبون النداء، ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل نصرة دينهم.

ويجب ألا ينسى المسلم الغرض الشريف الذي شُرعت الرياضة لأجله، وهو التقوي على الجهاد من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل في الأرض، وذلك بأن يعبد الله وحده، ويستقام على شرعه، حتى يسعد الناس في دنياهم وأخراهم، فلتكن الرياضة زيادة في حسناتنا، لا نقصا من درجاتنا.

أهم المراجع الأسانيد

الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري، مسلم، سنن أبو داود، ابن ماجه، موطأ مالك).
كتب التفاسير (ابن كثير، النسفي، الشعراوي).
١- ابن القيم الجوزية: الطب النبوي، دار العلمية، بيروت.
٢- ابن سينا: القانون في الطب ج١، مؤسسة بالقاهرة.
٣- أمين أنور الخولي: الرياضة والحضارة الإسلامية، دراسة تاريخية فلسفية للمؤسسة الرياضية الإسلامية، دار الفكر العربي (٢٠٠٠م).
٤- أمين ساعاتي: الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام مطبوعات تهامة، جدة، ج١١، (٢٠٠٧م).
٥- الفردوس محمد جبريل: صور تطور التربية الرياضية في الإسلام، معهد الدراسات الإسلامية، ماجستير (١٩٨٢م).
٦- حمدي عبد المنعم شلبي: بغية المشتاق في حكم اللهو واللعب والسباق، مكتبة ابن سينا، القاهرة، (١٩٩٥م).
٧- محمد أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، كتاب رياض الصبيان، دار الشعب، كتاب الشعب (١٩٦٩م).
٨- الغزالي: المستصفى، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج٢.
٩- محمود عبد الوهاب فايد: التربية في كتاب الله، ط٤، دار الاعتصام، القاهرة.
١٠- محمود محمد أبو سمره: أهداف التربية الرياضية في الدين الإسلامي، ماجستير، جامعة حلوان (١٩٧٧م).
١١- محمود أبو سمرة، تقنين بعض مظاهر التربية الرياضية وفقا للشريعة الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة حلوان (١٩٨٣م).
١٢- يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، ط٤، مكتبة وهبة، (١٩٨٩م).

التحرير

وكيل وزارة الأوقاف المهندس فريد عمادي يسلم مدير التحرير فهد الخزي جائزة الإدارة المتميزة، المركز الأول

منها المركز الأول في القيادة والعمليات

«الوعي الإسلامي» تحصد جوائز الإدارة المتميزة

حصدت إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» ثلاث جوائز متميزة على مستوى إدارات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عن عام: (٢٠١٥/ ٢٠١٦م).

وبعد أن تسلم رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي» الدكتور صالح سالم النهام، الدروع التذكارية في حفل نجاحات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الثامن - جائزة الإدارة المتميزة تحت رعاية معالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، ووزير الدولة لشؤون البلدية السيد محمد ناصر الجبري، وبحضور وكيل الوزارة المهندس فريد أسد عمادي.

أكد الدكتور النهام أن: «الوعي الإسلامي» حرصت هذا العام على تطبيق معايير الأداء ككل بأسلوب علمي وإداري ممنهج؛ أدى إلى انتشار المجلة في أكبر نقاط توزيع داخل الكويت وخارجها - من جهة - ومن جهة أخرى حقق هذا التطبيق مستوى متقدما من رضا العاملين وتفاعلهم.

وأضاف النهام: لقد انطلقت مجلة «الوعي الإسلامي» لتشكل رافدا من روافد المعرفة والفكر والأدب في العالم الإسلامي، فمنذ قرابة خمسة عقود؛ ظهرت المجلة كثمرة يانعة من ثمرات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت، وواجهة إعلامية لها، مرسخة قيم الوسطية والأخلاق الإسلامية، ناشرة للوعي الديني الثقافي، ومعتنية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، معززة بذلك للوحدة الوطنية، من خلال قيم:

وكيل الوزارة المساعد لقطاع الإفتاء والبحوث الشرعية عيسى العبيدلي يسلم رئيس التحرير د. النهام جائزة التّميز عن معياري: «القيادة والعمليات» المركز الأول

التميز والوسطية، والعمل المؤسسي، والشراكة، والشفافية، والمسؤولية؛ لتحقق رؤية الوزارة في: «الريادة عالميا في العمل الإسلامي».

هذا، وقد ركزت مجلة «الوعي الإسلامي» في مسيرتها المباركة على جانبين مهمين، سارا متجاورين خلال مسيرتها المباركة، وهما: الجانب الثقافي الفني المعياري، والجانب الإداري القيادي، وكانت النتيجة الطبيعية لهذه المسيرة مباركة. وأوضح رئيس تحرير «الوعي الإسلامي» أنه لولا حرص وزارة الأوقاف على متابعة إداراتها والعمل منذ سنوات على تطبيق سياسة التنافس المثمر عبر جائزة الإدارة المتميزة السنوية؛ لما شهدنا كل هذا التطور في أساليب العمل والنجاحات التي تحققها الإدارات المختلفة، لافتا إلى أن المركز الأول لجائزة الإدارة المتميزة كان من نصيب «الوعي الإسلامي» للمرة الثانية في الفئة «ج» مما يؤكد أننا نسير على النهج السليم.

كما حققنا «المركز الأول» في فئتي المعايير: ١. (معيار القيادة)، ٢. (معيار العمليات)، وما يندرج تحتهما، وهما من أهم المعايير التي تشكل أساسا لجائزة الإدارة المتميزة.

وأشاد النهام بـ «فريق عمل المجلة» متمنيا للزملاء العاملين معه مزيدا من النجاح والتوفيق؛ حتى تظل المجلة منارة للوعي الإسلامي، تربط بين الأصالة والمعاصرة، وتعالج قضايا الأمة الإسلامية وفق النهج الوسطي القويم.

وختم النهام: بأن مجلة «الوعي الإسلامي» لن تقف عند هذا الإنجاز المهم فحسب؛ بل ستسعى وفق خطة منهجية مدروسة لتحقيق أقصى ما يمكن من الإنجازات، حاملة على عاتقها نشر دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة، سائلين الله أن يوفق العاملين، ويبارك في جهودهم، ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (التوبة:١٠٥).

التحرير

وفد «الأوقاف» زارها وتبادل الخبرات معها:

الإطلاع على تجارب «سمرقند التركية»

في خطوة جديدة لتبادل الخبرات الإعلامية، زار وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عاصمة الجمهورية التركية إسطنبول خلال الفترة من ٣/١٥ إلى ٢٠١٧/٣/١٨م لبحث سبل التعاون المشترك مع شركة إعلامية متخصصة، هي شركة سمرقند التركية، التي تأسست سنة ١٩٩٧م، وهي مؤسسة ذات طابع وقفي، ينصب اهتمامها الأول على نشر الثقافة الإسلامية عبر امتلاك وسائل النشر المختلفة من إذاعة وتلفزيون ومجلات مختلفة ودور للنشر تعنى بنشر المطبوعات الإسلامية، ويبلغ عدد الممثلين للشركة الآن في تركيا وحدها ١٧٤ ممثلا، موزعين في كافة المدن التركية، و للشركة ممثلان في الولايات المتحدة الأميركية.

وقد جاءت هذه الزيارة بغية مد جسور التواصل مع هذه الشركة الرائدة في مجال الإعلام الإسلامي، وبحث سبل التعاون المشترك معها.

وقد ضم وفد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية كلا من: مدير التحرير بمجلة «الوعي الإسلامي» فهد الخزي، ويوسف علي العنزي.

ومن خلال زيارة الوفد جرت عدة فعاليات، منها زيارة مقر شركة سمرقند والاجتماع مع مجلس إدارتها. كما جرى لقاء عمل مكثف مع مدير قسم النشر والإعلام للشركة ياشار قره علي، وتم خلال هذا اللقاء مناقشة طرق النشر والإعلام وتربية الأطفال، وتنمية مهاراتهم، كما زار وفد «الأوقاف» عددا من المراكز العلمية والمعالم الإسلامية الأثرية

مدير التحرير فهد الخزي مع فريق سمرقند التركية

التي تزخر بها مدينة إسطنبول العريقة، وقام بجولة استطلاعية للتعرف على إصدارات الشركة التي بلغت ١٥٠ إصدارا، ما بين ثقافي وإعلامي وتأصيلي شرعي.

زار الوفد أيضا مقر الإذاعة الخاصة بالشركة، واطلع على الاستوديو وآلية العمل فيه.

كذلك زار التلفزيون الخاص بالشركة واطلع على العديد من البرامج الجماهيرية الخاصة بهم.

وقد أسفرت هذه الزيارة عن اتفاق الجانبين على المساهمة برعاية الثقافة الإسلامية وسبل تطويرها وتعزيز وتبادل الخبرات في مجالات الإعلام الإسلامي بينهما مع نشر ثقافة الطفل المبدع، وآلية تعامله مع الثقافة الإسلامية.

وتعزيز جوانب الارتقاء بإعلام الأطفال وفق جوانب تربوية وشرعية.

وأيضا إبراز جوانب إعلام الأطفال من خلال تعزيز الجانب القصصي.

وقد تم التأكيد خلال الحوارات بين الطرفين على دور الكويت في خدمة المشروع الإسلامي، والحرص على الريادة في تنمية المجتمعات الإسلامية، ودعم المسلمين في كل مكان، والاتفاق على وصول إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي» إلى شركة سمرقند التركية بشكل شهري منتظم.

دينا صلاح دربالة
القاهرة

..ورحل المؤرخ الداعية

قليلون هم الذين يذكرهم التاريخ بإجلال! يموت الإنسان فيندثر ذكره إلا أصحاب العلم، الذين تركوا بصماتهم واضحة على وجه دنيانا، وكلما كان نتاج الإنسان في دنياه ملموسا ومؤثرا، استعصى على الذاكرة الجمعية للأمة أن تنسى ما قدمه من خدمات وإسهامات، ليس للأمة المسلمة فحسب؛ لكن لكل البشرية التي أرسل الله عز وجل نبيه ﷺ رحمة لها فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠).

رحل عن عالمنا الإسلامي علم من أعلامه، فبعد حياة حافلة بالعطاء في مجالي الدعوة والتربية والتعليم، رحل عن دنيانا فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوي أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر.

مولده ونشأته

ولد الدكتور العدوي في الثاني والعشرين من يونيو سنة (١٩٣٨م) بقرية محلة حسن التابعة لمركز المحلة الكبرى، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة في كتاب القرية قبل أن يلتحق بمعهد سمنود الديني سنة (١٩٥٠م).

تدرج -رحمه الله- في التعليم بجد واجتهاد؛ فحصل على الإجازة العالية من كلية اللغة العربية بالقاهرة سنة (١٩٦٤م)، ثم حصل في العام التالي على دبلوم التربية وعلم النفس.

وفي سنة (١٩٦٨م) حصل على درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، ثم حصل في سنة (١٩٧٦م) على درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي بمرتبة الشرف الأولى.

حياته العملية

بدأ الدكتور العدوي التدريس بالمعاهد

الدينية في مصر منذ سنة (١٩٦٤م)، وحتى سنة (١٩٦٨م)، ثم أوفده الأزهر للتدريس بمعاهد التعليم الأهلي بالجزائر بمعهد عنابة والبليدة، وذلك في الفترة من (١٩٦٨م) وحتى (١٩٧٢م)، وكان الشيخ محمد متولي الشعراوي قد ترأس هذه البعثة منذ سنة (١٩٦٣م) لمدة سبع سنوات كاملة، كما أدرك الشيخ الغزالي فترة وجيزة هناك، فربطته بالشيخين وشائج متينة أثرت في مسيرته العلمية والدعوية.

خاض غمار التدريس في وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية في الفترة من (١٩٧٤م) حتى (١٩٧٨م)، ثم عاد إلى مصر ليبدأ عمله الأكاديمي، حيث عين أستاذا مساعدا وقائما بأعمال رئيس قسم الدعوة، ثم الثقافة الإسلامية في كلية الدعوة بجامعة الأزهر فرع طنطا، في الفترة من (١٩٧٨م) وحتى (١٩٨١م).

أعير العدوي أستاذا مساعدا فمشاركا بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، وعضوا للمجلس بالمعهد، في الفترة من (١٩٨١م) حتى (١٩٨٥م)، ثم عاد إلى مصر فعمل أستاذا مساعدا ورئيسا لقسم التاريخ سنة (١٩٨٥م) بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالمنصورة.

ثم لم يلبث أن أعير أستاذا لقسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض سنة (١٩٩٢م)، ثم أستاذا للاستشراق بكلية الدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة (١٩٩٥م).

مؤلفاته ودراساته العلمية

أثرى الدكتور العدوي المكتبة الإسلامية بعدة مؤلفات ودراسات في المجالات العلمية والدعوية المختلفة، أبرزها: «الوحدة الإسلامية في مواجهة التحديات المعاصرة»، و«العالم الإسلامي بين الماضي والحاضر»، و«محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلامية»، و«الخلافة والخلفاء الراشدون (أبوبكر الصديق)»، و«الرسول ﷺ بشيرا ونذيرا».

كما أجرى عدة دراسات مهمة في مجالها حول تاريخ المسلمين وأحوالهم في البلاد المختلفة منها: المسلمون في إندونيسيا، الولايات المتحدة الأميركية، أذربيجان، روسيا، أوزبكستان، طاجيكستان، تركمانستان، قرغيزيا، قلقاسيا، وهي الدراسات التي لقيت حفاوة شديدة من الإمام الأكبر جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر، فأسند إليه ملف المسلمين في آسيا الوسطى.

وفاته

وفي فجر يوم الأحد آخر أيام جمادى الآخرة سنة (١٤٣٨هـ) الموافق للسادس والعشرين من شهر فبراير لسنة (٢٠١٧م)، أسلم الأستاذ الدكتور محمد عبدالعليم العدوي الروح إلى بارئها، فتقاطر طلابه ومحبوه وشيع جثمانه في جنازة مهيبة، تليق بما قدمه للأمة الإسلامية من أعمال، نسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته.

سالم بن عميران
باحث أدبي

كيف تواجه الفصحى الألفاظ الدخيلة؟

حبا الله لغتنا العربية بخصائص وميزات لا توجد في أية لغة أخرى على وجه الأرض؛ مما جعلها لغة حية خالدة منذ آلاف السنين، وتعد ميزة التعريب أو (الاقتراض) من أهم الميزات التي تتميز بها الفصحى منذ ظهورها؛ بل هي الميزة التي تتمتع بها العربية وتكسبها قوة وحيوية ونموا مع الحفاظ على أصولها وثوابتها التي قامت عليها.

فقد كانت العلاقات التجارية والسياسية وثيقة منذ أقدم العصور بين العرب وجيرانهم من الفرس والروم والأحباش، وتلقف العرب عنهم كثيرا من الألفاظ التي أدخلوها في كلامهم وأشعارهم وأراجيزهم. ونظرا لكثرة استعمال الناس لهذه الألفاظ المقترضة؛ حيث صارت جزءا من مفردات العربية، وبسبب تطاول الزمن عليها ربما تنوسي أصلها الأجنبي، وأطلق عليها اللغويون اسم (المعرب)، ويستعمل العرب إلى جانب المعرب ألفاظا أعجمية تنطق كما هي في لغتها الأصلية، وقد أطلق عليها اسم (الأعجمي الدخيل)؛ استبعادا لها من العربية وتمييزا لها مما هو معرب أو عربي (١).

وفي العصر الحديث وبعد التقدم العلمي والتقني الكبير في مجال الاتصالات؛ بسطت العولمة جذورها في كل أنحاء العالم، وزالت الحواجز والحدود المصطنعة في العادات والأفكار بين الأمم والشعوب؛ ومن آثار ذلك زحف الألفاظ الدخيلة، وأصبحت تحاصر حصوننا اللغوية من كل مكان، وأضحت تزاحم الفصحى في كل ميدان؛ حتى صارت تستعمل بين الخاصة والعامة من الناس؛ وأخذ يختلط بعضها بالألفاظ العربية الفصيحة! ويكتسح طوفانها كل مجالات الحياة؛ الفنية والعلمية والأدبية.

ومن أمثلة تلك الألفاظ مما يدور على ألسنة الناس: سلطة، شوكولاتة، بيجامة، شورت، كريستال، موكيت، ستوديو، موبيليا، بوفيه، سكرتير، سيشوار، وغيرها.

وهناك تعبيرات متداولة مترجمة في الأصل من لغات أجنبية مثل: الخطوط الجوية، سكة الحديد، المدرسة الثانوية، الحساب الجاري، العملة الصعبة، تغطية أنباء، نصيب الأسد، عنق الزجاجة، بلورت الفكرة (٢).

إن المتأمل في هذا الكم الهائل من الألفاظ؛ يوقن بأن هذا الزحف بات يشكل تحد ظاهر تواجهه اللغة العربية؛ لما له من آثار وخيمة على مكانة الفصحى؛ فاستهين بها،

واعتدي عليها في وطنها وعقر دارها، وحبست داخل حلبة العلوم الدينية والأدبية، وتكريس فكرة أنها لا يمكن أن تصبح لغة للعلوم الدقيقة، وأنها لغة كسيحة وإعطاء الأولوية للغات الأجنبية (٣).

ومن الآثار المترتبة من سطوة الألفاظ الدخيلة: التأثير على السليقة اللغوية لأبناء العربية وتشويه النطق السليم للكلمات والتراكيب العربية إذا اختلطت مع كلمات أعجمية، يقول الشيخ أحمد شاكر: «إن شئت أن ترى هذا الخطر مصورا مجسما مهددا بتدمير النطق العربي الفصيح؛ فاستمع إلى قراءة شبابنا في هذا العصر، إذا ما قرأوا كلاما عربيا فيه أعلام أجنبية، تسمع العجب؛ حروفا عربية غير مستقيمة ولا فصيحة، وقواعد مهلهلة، ولحنا مستفيضا، ثم أعلاما أجنبية تعوج بها الألسنة، وتميل الأشداق، وتؤكل فيها الحروف» (٤).

بل ربما يصل تأثير استعمال هذه الألفاظ لدى الأجيال الصاعدة على الهوية اللغوية، واستبدالها بثقافات غريبة، فتنشأ أجيال لا ذاكرة لها ولا ماض ولا تاريخ (٥).

وهذه الآثار الفادحة تقودنا إلى التساؤل عن دور اللغويين للحفاظ على الفصحى من هذه الهجمة؟

لقد بذلت جهود كثيرة في مواجهة زحف الألفاظ الدخيلة؛ فقد قامت المجامع اللغوية بوضع ألفاظ بديلة عنها؛ وسعت في تعريب الألفاظ الفنية والعلمية التي يعجز من إيجاد مقابل لها في العربية، حيث وقف مجمع اللغة العربية بمصر بحزم أمام هذه الظاهرة، وبين ذلك د. رمضان عبدالتواب فقال: «ما استخدمه المولدون في مختلف العصور، وما أدخله بعض المحدثين في العصر الحاضر أو يرى إدخاله في اللغة العربية من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعات أو بالمصطلحات العلمية والفنية؛ رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله، لأن في اللغة العربية غنية عنه، ولأن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة الحسنة النغم والجرس الكثيرة الاشتقاق، مما يصلح أن يوضع للمسميات الحديثة بدون حدوث اشتراك، لهذا جوز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم» (٦).

ومن أمثلة الألفاظ الدخيلة التي قامت المجامع اللغوية بوضع البديل عنها مما يدور على ألسنة الناس:

اللفظ الدخيل	البديل عنه
بروفة	تجربة
فاتورة	قائمة حساب
كمبيوتر	حاسوب
تليفزيون	مرناة
ديكور	زخرفة
تلفون	هاتف
راديو	مذياع
لستة	قائمة
هاشتاق	وسم

وذكر د. عبد التواب ملحوظات جديرة بالاهتمام في هذا المجال وهي:

● أن اللغة العربية لا تفسد بالدخيل، بل حياتها في هضم هذا الدخيل؛ وأن مقدرة لغة ما على تمثل الكلام الأجنبي تعد مزية وخصيصة لها هي صاغته على أوزانها، وصبته في قوالبها، ونفخت فيه من روحها.

● يجب أن تعالج مشكلة الألفاظ الدخيلة معالجة حاسمة؛ ولا ينتظر حتى يشيع اللفظ الأجنبي، وتستخدمه العامة والخاصة، وتنشره وسائل الإعلام المختلفة، ثم يأتي السعي بعد فوات الأوان إلى محاربته والبحث عن بديل له عند العرب القدماء، وبذلك يولد هذا اللفظ ميتا؛ لاشتهار اللفظ الأعجمي وشيوعه على الألسنة، وكم من ألفاظ وضعتها المجامع اللغوية لمستحدثات الحضارة غير أنها لم تتجاوز أبواب المجامع!

● يجب تسمية مستحدثات الحضارة بأسماء عربية عند أول ظهورها، وعلى وسائل الإعلام أن تعمل على ذيوعه وانتشاره؛ ليرتبط في أذهان الناس بمسماه، ونقضي على هذه المشكلة من أساسها (٧).

ولا يقتصر هذا الدور على اللغويين فقط؛ بل أن الدور الأهم يكون على عاتق صناع القرار من أهل العربية من مسؤولين ورجال أعمال، وعلى كل فرد من أفرادها!

فعلى المسؤولين ضرورة اتخاذ إجراءات صارمة لحماية اللغة الفصحى، وذلك بسن تشريعات وقوانين تمنع استخدام المصطلحات الأجنبية في الإعلانات وأسماء المحلات التجارية والشوارع والفنادق.

وعلى رجال الأعمال أن يحملوا هم الحفاظ على اللغة الفصحى بأن يضعوا أسماء عربية خالصة لبضائعهم الصناعية، بالتنسيق مع الشركات المصنعة التي تتسم بالطابع التجاري.

وعلى كل فرد في هذه الأمة أن يحافظ على لغته الفصحى في كل معاملاته الرسمية وتواصله مع غيره، ولا يستعمل الألفاظ الدخيلة إلا للضرورة القصوى كما في المصطلحات العلمية؛ فقد كان السلف الصالح يكرهون الكلام بغير العربية بغير حاجة، وكره الإمام الشافعي -رحمه الله- لمن يعرف العربية أن يسمى بغيرها، وأن يتكلم بها خالطا لها بالعجمية، وهذا الذي ذكره قاله الأئمة مأثور عن الصحابة والتابعين (٨).

وبذلك يمكننا أن نحد من انتشار الألفاظ الدخيلة، ونرفع من مكانة لغتنا الحبيبة.

الهوامش

١- كاصد الزيدي، فقه اللغة العربية، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولى، (٢٠٠٤م)، (ص ٣٣٠-٣٣١).

٢- ينظر: بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (١٤١٨هـ)، (٤١٩/٣).

٣- انظر: حبيب عبدالرب سروري، اللغة العربية في مهب العولمة...مشروع إنهاض، مركز الجزيرة للدراسات.

٤- تعليقات الشيخ أحمد شاكر على المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم للجواليقي، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، (١٤٢٣هـ)، (ص ١٩).

٥- ينظر مقدمة كتاب الأمة: اللغة العربية تواجه التحديات، د. طالب عبدالرحمن، تقديم: عمر عبيد حسنة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، العدد (١١٦)، ذو القعدة، (١٤٢٧هـ)، (ص٢١-٢٢).

٦- د. رمضان عبدالتواب، بحوث ومقالات في اللغة، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، (١٩٨٢م)، (ص١٨٦- ١٨٧).

٧- د. رمضان عبدالتواب، المصدر السابق.

٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية الحراني، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٣٦٩هـ)، (٢٠٥/١).

محمد عباس داود
عضو اتحاد كتاب مصر

سبحان ربي

صبرًا فإن الصبر ينفع أينما ... ولّيتَ وجهك راجيًا متوسِّما

واسجد بقلبك للكريم مناجيًا ... وارجوه عند الحادثات تكرّما

لا تسألِ المخلوقَ واسأل ربَّه ... هو مَن أجاب السائلين فأنعما

واملك زمامك بالسّكوت فإنني ... ألفيتُ بابَ الصّمت دومًا أكرما

عِزّ النفوس هو الحياةُ فعزها ... أما الذليلُ يرى الطبيعةَ مأتما

عند النوائب لن تفيدك أحرفٌ ... مهما رجوت من القلوب تفهّما

وخضوعُ نفسك قد يفيدك مرةً ... لكنّ رأسك لن تعود إلى السَّما

فاصمد كريمًا للشّدائد صابرًا ... واملك زمامك هادئا متبسّما

واللهَ فاسأل أن يمدك بالهدى ... وارجوه يصنع من سقامك بلسما

رباه وحدك من يجود بعطفه ... ويداك تمنح من دعاك وسلّما

وحِماك يشمل كل قلب جاءه ... يرجو الهداية والتحصن بالحمى

سبحان ربي قد تفرد وحده ... بجميل عفوٍ لا يغادر مسلِما

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٥)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «الشاطبي»

١- الشاطبي (ت ٥٩٠هـ):

هو أبومحمد وأبوالقاسم القاسم بن فِيرة -اسم أعجمي بمعنى الحديد، وهو بكسر الفاء وسكون الياء وضم الراء مع تشديدها (١)- ابن خلف ابن أحمد الرعيني، الشاطبي الشافعي. إمام القراء.

ولد بشاطبة في الأندلس سنة (٥٣٨هـ)، كان ضريرا، وكان عالما بالحديث والتفسير واللغة والنحو والقراءات، من مصنفاته: (حرز الأماني) قصيدة في القراءات تعرف بالشاطبية، و(الرائية)

في الرسم، وقد عم نفع هاتين الرسالتين، وسارت بهما الركبان.
قال ابن خلكان: «كان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ، تصحح النسخ من حفظه». توفي يوم الأحد في شهر جمادى الأولى بمصر (٢).

٢- الشاطبي (ت٦٧٢هـ):

هو أبو عبدالله محمد بن سليمان ابن محمد المعافري الشاطبي الزاهد، نزيل الإسكندرية، عالم بالقراءات.
ولد بشاطبة سنة (٥٨٥هـ)، وكان من كبار مشايخ الثغر المشهورين بالعبادة والصلاح والانقطاع، تفقه وروى الحديث في الأندلس والشام والحجاز ومصر.
من مصنفاته: (اللمعة الجامعة في تفسير القرآن)، و(شرف المراتب والمنازل) في القراءات، و(النبذ الجلية في ألفاظ اصطلح عليها الصوفية).
وانقطع للعبادة في آخر عمره في الإسكندرية، فتوفي بها في شهر رمضان (٣).

٣- الشاطبي (ت٦٨٤هـ):

هو رضي الدين أبو عبد الله محمد ابن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي، مقرئ عالم باللغة. ولد ببلنسية سنة (٦٠١هـ)، وكان إمام عصره في اللغة.
قرأ لورش على محمد بن أحمد الشاطبي، وأخذ عنه الناس وروى عنه أبو حيان النحوي وجمال الدين المزي وغيرهما.
من مصنفاته: (حواش على الصحاح للجوهري)، وغيره، قال المقري: رأيت بخطه كتبا كثيرة بمصر وحواشي مفيدة في اللغة وعلى دواوين العرب.
توفي بالقاهرة في شهر جمادى الأولى (٤).

٤- الشاطبي (ت٧٩٠هـ):
هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ابن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي، أصولي فقيه، محدث، كان من أئمة المالكية.
من مصنفاته: (الموافقات في أصول الفقه)، و(الاتفاق في علم الاشتقاق)، و(أصول النحو)، و(الاعتصام) في أصول الفقه، و(المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية) (٥).

المتفق والمفترق في اسم (الهيثمي)

١- الهيثمي -بالثاء- (ت٨٠٧هـ):

هو أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشافعي، الزاهد الحافظ.
ولد في شهر رجب سنة (٧٣٥هـ).
صحب أبا الفضل العراقي وانتفع به، فسمع منه غالب مسموعاته، وكان كثير الحفظ للمتون والآثار، صالحا، خيرا.
من مصنفاته: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)، و(تقريب البغية في ترتيب أحاديث الحلية)، و(مجمع البحرين في زوائد المعجمين)، و(المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي)، و(موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان)، و(غاية المقصد في زوائد أحمد)، وغيرها.
توفي في شهر رمضان بالقاهرة (٦).

٢- الهيتمي -بالتاء- (ت٩٧٣هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، السعدي الأنصاري، الفقيه الشافعي.
ولد في محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر سنة (٩٠٩)، وإليها نسبته، توفي أبوه وهو صغير، فحفظ القرآن الكريم في صغره، وتلقى العلم في الأزهر.
من مصنفاته: (مبلغ الأرب في فضائل العرب)، و(الفتاوى الحديثية)، و(تحفة المحتاج لشرح المحتاج)، و(الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان)، و(الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة)، و(الزواجر عن اقتراف الكبائر)، و(الفتح المبين بشرح الأربعين)، وغيرها من المصنفات الكثيرة.
توفي بمكة ودفن فيها (٧).

الهوامش

١- ينظر تبصير المنتبه بتحرير المشتبه للحافظ ابن حجر العسقلاني (١٠٨٩/٣) وبغية الوعاة للسيوطي (٢٦٠/٢)
٢- ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦١/٢١) ووفيات الأعيان (٧١/٤) وبغية الوعاة (٢٦٠/٢) والأعلام للزركلي (١٨٠/٥).
٣- ينظر تاريخ الإسلام للذهبي (١٠٧/٥٠) والأعلام للزركلي (١٥٠/٦) ومعجم المؤلفين (٥٥/١٠).
٤- ينظر العبر في خبر من غبر للذهبي (٣٥٨/٣) ونفح الطيب (٢٦٢/٨) وشذرات الذهب (٣٨٩/٥) والأعلام للزركلي (٢٨٣/٦).
٥- ينظر نيل الابتهاج للتنبكتي (٣٤٦/١) والأعلام للزركلي (٧٥/١) ومعجم المؤلفين (١١٨/١).
٦- ينظر ذيل التقييد لتقي الدين الحسني (٢٢٩/٢) ولحظ الألحاظ لابن فهد (١٥٦/١) والأعلام للزركلي (٢٦٦/٤).
٧- ينظر شذرات الذهب (٤٧٠/٨) والأعلام للزركلي (٢٣٤/١) ومعجم المؤلفين (١٥٢/٢).

د. أبو المعاطي الرمادي
أكاديمي وناقد

الأدب .. والهوية الإسلامية

من أهم وظائف الأدب: المحافظة على هوية الأمة والملامح الكبرى المشكلة وجودها وكيان أفرادها، حتى تستطيع الصمود أمام التيارات المضادة والمتجددة باستمرار، تيارات التهميش، واجتثاث الذات، واستلاب الثقافة، وازدراء الحضارات، وهي وظيفة ارتبطت بالأدب (شعرا ونثرا)، كما ارتبطت بغيره من إبداعات الإنسان الحقيقية، ولعل مرد ذلك إلى طبيعة النظم الأدبي، وقوة تأثير صياغته، بما تحمل من عناصر إيقاعية وجمالية ونفسية، قادرة على استلاب روح الإنسان من واقعها المادي والتحليق بها في عوالم تخيلية يسهل فيها توجيهها وإعادة تشكيلها.

وقد اعتمدت الأمم الكبرى والأقليات المستبعدة على الأدب -بجوار أسلحة أخرى- اعتمادا كبيرا في إبراز كيانها، وتحديد ملامح هويتها التي تميزها عن غيرها، والمحافظة على هذه الملامح من الاندثار والذوبان في هويات أكثر قوة وأعرق حضارة، لكن اعتماد الأقليات على الأدب -مهما اختلف شكله- سلاحا يدافع عن هويتها من الاندثار، أمام نفسها على الأقل، يبدو أكثر وضوحا، وأعظم مادة.

ومن هذه الأمم الأمة العربية المسلمة في شتى بقاع المعمورة، فقد لعب الشعر -وما زال- دورا عظيما في تأكيد الوجود العربي الإسلامي كيانا له ملامح، منذ هاجر الرسول الكريم ﷺ من مكة إلى المدينة.

فلم يكن شعر حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك،

وغيرهم، حوائط صد تمنع هجمات الـراغـبـين فـي محـو الأمـة الوليدة، بقدر ما كان تأكيد وجـود، وتحديد ملامح هوية جديدة، بلور ملامحها الشاعر المسلم، الذي وقف «يستعرض العـقـيـدة الـصـافـيـة، وحـيـاة نبيها المرسل، وتصرفات أتباعها المؤمنين، والعلاقات السامية التي تربط بين أفرادها، وبينهم وبين الآخرين...كان يضع ملامح حياة جديدة، وحضارة جديدة تأخذ بالألباب والقلوب» (١).

وفـي الـعـصـريـن الأمـوي والعباسي ظهرت فنون أدبية أخرى غير الشعر، كان لها دورها الملحوظ في المحافظة على الهوية، مثل الخطابة، والمقامة، اللتين لعبتا بجوار الشعر دورا كبيرا في مقاومة تيار الشعوبية الذي بلغ أوجه في العصر العباسي الثاني، ونجحتا في استيعاب الكثير من الفنون الفارسية، والهندية واليونانية، وتغليفها بغلاف عربي استفاد منها ومنع تأثيرها الهدام، وبجوارهما كان الأدب الشعبي الذي امتدح البطل المسلم وبالغ في تصوير شمائله، صانعا له كيانا ذا سمات خاصة، يميزه عن غيره من الأبطال.

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين -عصر المد الإمبريالي الصليبي- نجح الأدب في المحافظة على الهوية العربية الإسلامية من الضياع بتركيزه على مقومات الشخصية الإسلامية، ودعواته للمحافظة على اللغة العربية -وإن اختلفت الغاية- من الانزواء خلف لغات الآخر الوافد، وتغنيه بأمجاد الأمة في عصور القوة، فغادر المحتل وبقيت العروبة، وبقي الإسلام.

لكن ما تركه الاحتلال بعد رحيله العسكري، من ثقافات وأفكار وعادات وتقاليد، روج لها أتباعه مستغلين طاقات الأدب، أنتجت احتلالا جديدا، تطلب أدبا جديدا قادرا على مقاومة رياح التغريب الداخلي العاتية المتخذة من الأدب سلاحا لطمس الهويات، وإشاعة الإباحية، وتبرير البعد عن المنهج الرباني السليم، ونشر الفكر الغربي (*) سواء المنادي بفردية الإنسان وحريته غير المحدودة بحدود، أو المنادي بذوبان الفرد داخل الجماعة المسؤولة عن تحديد عمله ورزقه، وأفكاره، وطريقة نظرته للحياة، لاختلافه مع طبيعة المجتمعات الإسلامية وثقافة المسلمين، فكان ما يعرف بالأدب الإسلامي، الذي نشأ بعيدا عن المؤسسات الرسمية.

وقد لعب الأدب الإسلامي (شعرا، ونثرا) دورا ملحوظا في مقاومة الأدبين: الغربي، والعربي المتغرب، بنصوص مضادة، ترفض الانحطاط الأخلاقي، والإباحية، والابتعاد عن منهج الحق القويم، وتؤكد وجود هوية إسلامية، اختفت ملامحها أمام جبروت مخططات صليبية سيطرت على العالم الإسلامي عقودا طويلة، ومازال تأثيرها السلبي مسيطرا على أقطار إسلامية عديدة، لكنها لم تنمح، ولن تنمحي؛ فمن المستحيل اجتثاث هوية أمة من الأمم اجتثاثا كاملا، قد يفرض الآخر لغته، وثقافته، وأفكاره، وعاداته، وتقاليده، لكن دوما هناك ماض متغلغل في الأنا، يبرز على سطح الذات كلما ازداد ضغط الآخر.

وكان لدور عبدالله النديم، ومصطفى صادق الرافعي، ومن بعدهما علي أحمد باكثير، ومحمد سعيد العريان، ومحمد إقبال، وأبو الحسن الندوي، ومحمد قطب، وعبدالرحمن رأفت الباشا، وأنور الجندي، ونجيب الكيلاني، وسعد أبو الرضا، ووليد قصاب، وعماد الدين خليل، ومحمد مصطفى المجذوب، وحلمي القاعود، وغيرهم، بالإضافة إلى عدد آخر ممن تولوا «تحويل الدعوة النظرية للأدب الإسلامي إلى واقع عملي يعبر عن نفسه في تطبيقات ميدانية وأدبية» (٢) عظيم الأثر في صناعة أدب يدعو إلى القيم السامية، ويعلي من قيم الدين الحنيف، ويحرص «على جعل الكيان النفسي للإنسان شيئا واحدا، يدل ظاهره على باطنه، كما يدل باطنه على ظاهره» (٣)، ويحافظ على هوية الأمة من الاندثار، يتكئ على تعاليم الدين الحنيف، والموروثين التاريخي والأدبي المعتدلين، بما يحتويان عليه من حكم، وحكايات، وأشعار، وأقوال مأثورة، والرؤية

المخالفة للسائد الداعي إلى التغريب وطمس الهوية..

حرص كُتّاب الأدب الإسلامي على صناعة نصوص مضادة «تقضي على البدع الفلسفية المستوردة التي أجهزت على الكثير من عناصر حضارتنا ومبادئنا» (٤) وتؤكد الهوية الإسلامية للأفراد والمجتمعات، وتختلف عن السائد في طريقة التناول، وفي نظرتها للأمور، تتغير فيها ملامح الصورة التي حرص المتغربون على إبرازها، تلك الصورة التي ظهر فيها علماء الدين تابعين لا يشغلهم غير رضا أهل السلطة، والمتدين إرهابي، والمرأة وعاء للجنس، والمثقف المنادي بالتمسك بالدين متخلفا ورجعيا، والمسجد وكرا للخارجين على المجتمع وقوانينه، والتخلص من الضيق بالهروب إلى الخمر ومجالس اللهو.

ففي روايات نجيب الكيلاني -على سبيل المثال- صورة للمجتمع المصري مختلفة جد الاختلاف عن صورة المجتمع نفسه في روايات نجيب محفوظ، وإحسان عبدالقدوس، ويوسف السباعي، وخيري شلبي، وغيرهم، صورة تؤكد الهوية العربية الإسلامية لهذا المجتمع، صورة تجمع بين الخير والشر، والحق والباطل، والشجاعة والجبن، والعدل والظلم، صورة حقيقية بلا تزييف، فيها إعلاء للقيم، وتقدير لدور الإيمان، وإبراز لجوهر العقيدة الربانية السمحة.

تكفي هنا الإشارة إلى أمرين:

الأول: صورة المسجد في رواياته، وهو مكان لا وجود حقيقي له في أعمال المتغربين المؤمنين بالواقعية الغربية، فلم يوظفوه إطارا لأحداث رواياتهم، ولم يستغلوه «بنية تساهم في تشكيل خطاباتهم الروائية، وإذا ما عمدوا إلى ذلك فإننا نجد صورته باهتة غير حقيقية، تغلفها أيديولوجية الكاتب» (٥)، فهو عند البعض مزرعة تنتج الخارجين على القانون والعرف الاجتماعي باسم الدين، وعند آخرين مركز التقاليد البالية غير المناسبة لطبيعة العصر المتطور، أو رمز للتدين الهش.

ولكن الأمر يختلف عند نجيب الكيلاني؛ فهو يعتمد على المسجد عنصرا فعالا من عناصر البناء الروائي «فيشارك في الأحداث، ويؤثر في الشخصيات، ويدفع عجلة البناء الروائي نحو الإكمال، وله وظيفة نفسية داخل العمل، فيلجأ إليه الأبطال لاستعادة قواهم الخائرة في خضم الأحداث فيحتضنهم ويؤثر فيهم» (٦).

والثاني: البطل المتدين، وهو في جل الروايات العربية درويش، أو متشدد يعاني من الالتزام، رافض للعمل، يكفر الحكومات والأفراد، ويسعى لتغيير القار بالبطش والقتل، ويقع في الخطيئة بسبب غرائزه المكبوتة، ينافق ويتملق، وينظر له المجتمع بسخرية، ويلفظه أقرب الناس إليه، يتقوقع داخل شرنقة جماعته، ليجنب نفسه الانغماس في المجتمع الكافر!

وهي صورة بعيدة جد البعد عن الحقيقة، تشوه الهوية الإسلامية للفرد المسلم، وتسلبها من المجتمع، لكن الصورة مختلفة في روايات نجيب الكيلاني، فالمتأمل في رواياته يجد البطل المتدين شخصا عاديا، وسطيا، محبوبا من المحيطين به، له دوره في تحريك دفة المجتمع نحو الإصلاح والصلاح، يميزه الإخلاص والتجرد لله، وموافقة أفعاله لأقواله، يتحلى بالشجاعة الأدبية، ولا يخشى في الله لومة لائم.

هناك أمور أخرى في روايات الكيلاني تؤكد الهوية الإسلامية للمجتمعات المسلمة، مثل صورة المرأة في أعماله، ونظرته للغة، وموقفه من التناقص القرآني، ورؤيته للعلاقة بين الأدب والمجتمع، وطبيعة المكان، بالإضافة إلى المضامين السامية التي يعالجها في رواياته.

خلاصة القول: إننا في حاجة إلى أدب إسلامي قادر على مقاومة المحاولات المتعمدة لطمس هويتنا، وتهميش دورنا، فكما اعتمدت الدعوة المحمدية على أدب مختلف عن السائد لتأكيد وجودها ورسم ملامح هوية المجتمع الإسلامي الحق منذ قرابة الخمسة عشر قرنا، يجب أن نعتمد نحن أيضا على هذا الأدب بعد شحنه بما يتناسب وروح العصر، لمقاومة الهجمة الاستعمارية الشرسة الهادفة إلى إقصائنا من الوجود.

الهوامش

* الإسلام لا ينفك عن العروبة أبدا، ذلك أن القرآن الكريم، وهو دستور المسلمين، لغته هي اللغة العربية، وكان الإسلام العامل الأول في بناء الدولة العربية والإمبراطورية فيما بعد. انظر محمد الغزالي «حقيقة القومية العربية» نهضة مصر، القاهرة، (١٩٩٨م)، (ص ١٢)، ويوسف خليل يوسف: القومية العربية ودور التربية في تحقيقها، رسالة دكتوراه، مخطوطة، كلية التربية جامعة عين شمس، (١٩٩٨م)، (ص ٨٠).

١- نجيب الكيلاني: آفاق الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، (١٩٨٥م)، (ص ١٣).

* يسيطر على الفكر العالمي تياران اجتماعيان كبيران، يسعى كل منهما جاهدا لبسط نفوذه: هما التيار الاشتراكي، والتيار الرأسمالي، وقد انبثق عن التيارين مجموعة من المذاهب الفكرية، مثل الوجودي، والواقعية، والسريالية، والرمزية، والبرناسية، اعتمدت على الأدب وسيلة للانتشار والسيطرة.

٢- محمد عبدالشافي القوصي: الأدب الإسلامي في مواجهة رياح التغريب والحداثة والعولمة، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، عدد (٥٣٢)، (٣/٩/٢٠١٠م).

٣-عبدالحميد بوزينة: نظرية الأدب في ضوء الإسلام، القسم الثاني، الأدب والمرأة، ط ١، دار البشير، عمان، الأردن، (١٩٩١م)، (ص١٨٢).

٤- آفاق الأدب الإسلامي: (ص ٤٠).

٥- الشريف حبلة: بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، (٢٠١٠م)، (ص ٢٣٣).

٦- السابق: (ص ٢٣٤).

محمود مصطفى حلمي
قاص مصري

صديق العمر

تجمعت الدموع الحارة التي تنبع من قلب يحترق ألما على ما فعلت صاحبته به، لقد خلعته بعد طول عشرة بينهما وطول حياة، قد رمت حجابها أرضا بعد عشر سنوات من إعفافه لها وتغطيتها عن العيون التي تكاد تخترق جسدها إذا نظرت إليها، كانت الأجمل بين قريناتها بزينة حجابها فكان وجهها يتلألأ نورا كأنه القمر في تمامه، ومنذ أن بدأت ترتاد هذا النادي الاجتماعي ذي المستوى العالي بدأ الحجاب يتساقط عنها يوما بعد يوم.. تعرفت على مجموعة سيدات السمة المشتركة بينهن جميعا هي خلع الحجاب.. في البداية لم تكن تتخيل أن تصير مثلهن، فقد نشأت على أن حجابها هو صديقها الذي لا ينبغي أن تفترق عنه أبدا إلى أن تدخل قبرها، ولكنها منذ أن عرفت هذا المكان وهؤلاء الصديقات بدأ الشيطان يطرق باب الضعف في قلبها، فما زلتِ صغيرة وجميلة والشباب يتهافت على هذا الجمال دوما.. فيجب ألا يغطى هكذا.. فهو كالوردة التي تحتاج إلى الشمس حتى تزهر.. لم تعلم أن هذا الجمال ربما يسلب منها في غمضة عين، أو ربما كانت تعلم ولكن الشيطان والغرور قد دفعاها لتتغاضى عن ذلك.. لقد كان صديقا عزيزا عليها، بل ربما كان أعز صديق، لم يعتقد أنها ستفرق بينه وبينها أبدا حتى الممات، فأنساها الشيطان الآية التي نشأت عليها دوما ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:٣١).

تركته وراء ظهرها معتقدة أنها ستجد السعادة بغيره، ظنا منها - خطأ - أن سيادة المجتمع لا تكون إلا بالتعري، لم تعِ أن أمهات المؤمنين وسيدات الأمم كن يتميزن بالعفة والحشمة بين غيرهن.. بدأت حياتها الجديدة، تعلو وجهها ابتسامة كاذبة تخفي وراءها إحساسا بالنقص يحيط قلبها، فقلبها يشعر بفقدان عزيز عليه ولا يعلم كيف سيحيا بدونه، بدأت تندمج في المجتمع الجديد معتقدة أنها ستجد ضالتها من النقصان فيه، ولكنها صدمت بما وجدت، فوجدت حياة مظهرية فقط، تعلن عكس ما تبطن وتظهر عكس ما تخفي، فما استطاعت المظاهر الخداعة أن تعوضها عفتها وحشمتها، وما روت مياه التحرر عطش قلبها المتشوق إلى رشفة حياء، ظلت هكذا أياما تناقض نفسها وتقاوم شعورها بالغربة عن هذا العالم، وقلبها يشتاق إلى صديقها القديم الذي غطته الأتربة في ركن دولابها الكبير، حتى ساقت الأقدار سيارتها إلى عطل ألجأها لركوب سيارة أجرة كان يقرأ في مذياعها أحد المشايخ بصوت عطر، أصغت أذناها لسماع القراءة العطرة وقلبها ينبض بقوة؛ فهو يستمع إلى أعذب وأكرم الكلمات، وكانت سورة النور هي ما يقرأ فيها الشيخ..

شعرت أنها تسمعها لأول مرة رغم حفظها القديم لها عن ظهر قلب، حتى وصل الشيخ للآية التي طالما كانت بعهدتها ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١).

نزلت الآيات على سمعها منزل الطلقة المقذوفة لتخترق قلبا ميتا فتحييه من غفلته، تسارعت دقات قلبها بقوة ورجفت يداها، تساكب الدمع من وجنتيها كأنه شلال ماء يغسل ما حل بجسدها من أوساخ المعصية، تذكرت صاحبها القديم، طلبت من السائق أن يعيدها إلى منزلها سريعا، دخلت مسرعة والدمع ينسكب من عينيها نقيا، فتحت دولابها بحسم، أخرجت صديقها القديم - حجابها - أخذت تقبله بحرارة وتعتذر له عما فعلته به، ويومها قطعت له عهدا ألّا تتركه أبدا حتى الممات.

عثمان إسماعيل حسين
كاتب وناقد مصري

الوصايا النضار في أدب الحوار

لم يعد «أدب الحوار» موضوعا دعويا تقليديا، ومادة خصبة تتمثل في الندوات والمؤتمرات والدروس الثقافية الدينية تتبارى بها الألسنة إلقاء وابداعا، لكنه بات من القضايا الشائكة والتي بلغت من آثارها وصعوبتها أقساها وأقصاها، وليس أدل على ذلك سوى الواقع الذي هو خير شاهد على آثار فقد أدب الحوار على كافة المستويات، وما يترتب عليه من العواقب الوخيمة والآثار السيئة وما يصاحبها من نفور وإخفاق.

والحوار تربويا: هو سلوك لفظي أو وسيلة لغوية يستخدمها الانسان مع الآخرين للتفاهم والوصول إلى حقيقة ما تقوده إلى نفع له آثاره في حياته وأسرته ومجتمعه.

وقد ورد لفظ الحوار صراحة في القرآن الكريم على سبيل المثال في قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة:١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ (الكهف:٣٤).

وجاء الحوار في القرآن الكريم بأشكال وصور مختلفة، كل منها له حكمته ودلالته، منها حوار الخالق عز وجل مع الملائكة، وحوار الرسل وأقوامهم، وحوار الأخيار مع الأشرار، وحوار الأب مع ابنه، وكلها اعتمدت على التلطف والتأدب واحترام أطراف الحوار، رغبة في إظهار الحقيقة والمعالجة الصائبة للأمر ذاته.

وما أروع الحوار القرآني القصصي أو القصة الحوارية التي كانت الطريق السليم إقناعا وحجة لما تهدف إليه من شمول الغاية وعموم المقصد.

ونظرا لإشكاليات الحياة المعاصرة ذات الظروف النفسية المفاجئة والمتقلبة والمتغيرة والمعقدة، إضافة إلى تغير طبيعة الأجيال، فقد تفجرت قضية أدب الحوار التي أجهضتها العوامل السابقة وما تولد عنها من تلك الفجوة الغريبة بين الأجيال وتباين الثقافات، وما نتج عنها من تباعد المسافات في العلاقات والصلات بين الأفراد.

والمقصود من أدب الحوار هو تلك السلوكيات الأخلاقية التي أحبها وفضلها العلماء أن تكون جوهر الحوار وزينته وحليته، فإذا ما توافرت أخلاقيات الحوار المحمودة كانت النتائج المرجوة والأهداف السامية، أما إذا فقدت كان النقص والخلل

والإخفاق.

وفي رؤية إسلامية عصرية تتضح لنا آداب الحوار الناجح، والتي تخضع لأسس لها الأثر الأكبر في تنشئة أبنائنا تنشئة تتفق وتعاليم ديننا الحنيف، التي تدعو إلى نبذ الحدة من ناحية، والتمسك بالتلطف والاحترام المتبادل من ناحية أخرى، فكانت تلك (الوصايا النضار في أدب الحوار):

● احترام قيمة الحوار، وسمو مكانته، واحترام أطرافه، وعدم سوء الظن بأحد، والبعد عن الشك في النية والقصد، خاصة عندما يكون الحوار من أجل وصية أو استشارة لإبداء الرأي في أمر ما، فلابد أن نضفي على الحوار سمة الهيبة والوقار حتى يتحقق الاندماج والاستغراق أثنائه وتتحقق الإفادة والاستفادة للطرفين.

● مراعاة الحذر والحيطة في (صوتيات الحوار) حيث الالتزام بخفض الصوت، لأن خفض الصوت طريق التفاهم والتريث في اختيار الأصوب من الآراء، وما هو مفيد من الحلول، والحذر من ارتفاع الصوت، لأنه طريق الاندفاع والتهور والتسرع إلى بلبلة الأفكار وعدم ترتيب الألفاظ وفقد التركيز حيال ما هو مطلوب مناقشته.

● الاكثار من ترديد عبارة التوحيد والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، لأنهما يضفيان على الحوار الهالة الدينية التي ترقي بالحوار إلى الصدق والشفافية وسمو الثقة وقوة الذاكرة وتجديد التذكر، بل ويفرضان على طرفي الحوار الاحترام والتقدير حوارا وشخوصا.

● الدقة في اختيار الألفاظ المناسبة لهوية الحوار موضوعا وأدبا وتأدبا لقيمة الحوار ما تهدف إليه، وما يمنحه من جديه واهتمام، لأن الخروج بالحوار إلى الهزه اللفظية والاضطراب اللغوي يفقد الحوار اتزان ورزانة سياقه، وما أروع من دليل على ذلك سوى قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ (طه: ٤٤)، فالقول اللين طريق ألفة الحوار، ومودة التواصل، وروعة النتائج.

● الاستماع لأطراف الحوار بأقصى درجات الاهتمام والتركيز، وعدم اللهو والعبث بأشياء أخرى من باب التجاهل واللامبالاة والاستهانة، حتى لا نقلل من قيمة الطرف الآخر.

● عند الاعتراض المفاجئ أثناء الحوار على كلمة أو رأي، يجب الاستئذان بلطف ورقة في المقاطعة مؤقتا بأدب جم واحترام متبادل... تهيئة واستمالة ورضا من أطراف الحوار.

● الرد على أطراف الحوار يكون بنفس قيمة ألفاظه، وروعة أفكاره، ملتزما التواضع أثناء إلقاء الرد الذي من أسسه تحقيق الغاية، وتواصل الحديث بما يمنح الأطراف الثقة في النفس، حتى يدلي كل بدلوه دون تردد أو شك.

● عدم المقاطعة أثناء الحوار بأية صورة أيا كانت حتى ولو كان هناك مؤثر خارجي مقصود أو مفاجئ، لأن المقاطعة تعني خلخلة وارتباط الحوار بما يدفع بالحوار إلى التأزم واضطراب سياق الحوار مما ينتج عنه انخفاض مستوي نتائجه وفوائده.

● اختيار الوقت المناسب للحوار، فليست كل الأوقات تصلح للحوار، فلا بد من مراعاة ملاءمة الظروف النفسية والوجدانية لأطراف الحوار انجاحا للمقصد وتحقيقا للهدف.

● أن يكون الحوار قائما على الحق والدليل والبرهان والاقناع والاقتناع والاستشهاد بالقرآن الكريم والسيرة النبوية وحياة الصحابة والتابعين لنأخذ منهم العظة والعبرة والقدوة.

● الحرص على تفعيل وسائل روعة الحوار مثل بشاشة الوجه والتواضع الفطري والتنازل بعض الشيء إزاء عثرة أو عائق وتقديم الاعتذار الرقيق والأسف الأرق كلما دعت الحاجة ومقتضي الحال.

● عدم التحدث إلا إذا طلب من الشخص ذلك، والبعد عن التطفل في فرض الذات على جلسة الحوار ادعاء وزعما بالعلم والمعرفة. قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

● إذا كان الحوار أسريا، فلا بد أن نترك للكبار آراءهم التي هي نتاج خبراتهم وتجاربهم، واحترام وجهة نظرهم لأنهم الأقدر والأحرص على قيادة السفينة إلى بر الأمان، والأخذ بمبدأ الشورى وإعطاء مساحات من الحرية للجميع لإبداء وجهات النظر تمهيدا لطريق الاقتناع والرضا من الجميع.

● وحقيقة الأمر أن قضية أدب الحوار ليست بالأمر الهين الذي ننظر إليه بمؤخرة أعيننا استهتارا وتجاهلا، فهي جديرة بأن تأخذ قدرها الأوفر من الاهتمام والدعوة والتفعيل، ودقة الممارسة من جانب المؤسسات التربوية المنوط بها صناعة وتربية والأجيال ووسائل الإعلام بعد أن بلغ فيها سوء الحوار مداه، وليكن الاتجاه أسريا في مبدأ الأمر تعلما وتعودا وتأكيدا على تأصيل وترسيخ تلك الفضيلة الغائبة التي أوشكت تغيب عنا، ويحل محلها حوار الجفاء والغلطة، والذي يجعلنا من الصعب والمستحيل الوصول إلى ما نريده، وينذر بانتشار أمراض نفسية واجتماعية خطيرة تنذر بعواقب وخيمة.

● تلك هي وصايا (أدب الحوار) في ظل ظروف عصرية وتغيرات نفسية حادة حيث وضع الاسلام الحنيف الدواء والشفاء من سقم الطيش والتهور إلى حياة الألفة والتواضع وراحة الأفئدة والتقاء القلوب.

عبدالله محمد الدرويش
إجازة في النقد والأدب

رحلة في رواية «وا إسلاماه»

عاش الإنسان في الستينيات من القرن العشرين حالة من اليأس والتخبط نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية، وبرز هذا الشيء في أعمال الأدباء، فمنهم اليائس، ومنهم الذين ساءتهم الحالة المزرية التي وصل إليها المجتمع، فحاولوا بكل ما أوتوا من فن وأدب ونظرة ثاقبة أن يحللوا أسباب فشل الأمة، وطرق النجاح للعودة بها إلى النهج القويم.

وكان من أولئك علي أحمد باكثير الذي عايش الظرف، واطلع على المؤامرات، فعاد إلى التاريخ مستلهما ومستوضحا، فوجد بغيته في فترات عصيبة من تاريخ الأمة حين تكالب الصليبيون والتتار على العالم الإسلامي، فأسقط واقعهم السابق على واقع الأمة الحاضر؛ فالدول الإسلامية متقطعة الأوصال، تتشابك علاقات الفساد في المجتمع في شرائحها المختلفة، مع تخلله الخلقي والتعاملي إلى كافة الطبقات.

فهذا الواقع يشبه ذاك الواقع، ولكن ألا توجد بارقة أمل في هذا السواد المدلهم؟! بارقة الأمل التي وجدها باكثير تتمثل في ثلاث:

١. وجود العالم غير المداهن الذي يصدع بالحق مهما كانت الظروف، ولا يبالي ما تجره عليه من عواقب، وكان ذلك في شخصية الشيخ عزالدين بن عبدالسلام الملقب بـ «سلطان العلماء» الذي وقف في وجه الفساد في بلده الأم دمشق، منددا بسلطانها الصالح إسماعيل، وفي وقفته في مصر في وجه الصالح أيوب الذي لم يتحرك لتنفيذ أمر الله بمنعه معصية ارتكبها وزيره ببناء غرفة على سطح مسجد لصيق بمنزله يستقبل فيها ضيوفه، فذهب الشيخ إلى بيته، وأتى مع أبنائه بالمعاول وهدمها، وأسقط عدالة الوزير، فلا تقبل له شهادة في القضاء.

٢. وجود القائد العسكري الذي يتعالى على الواقع المادي، ولديه هواجس الإصلاح والدفاع عن الأمة بتضحيته ماديا ومعنويا، وكان ذلك في شخصية «الملك المظفر سيف الدين قطز» الذي

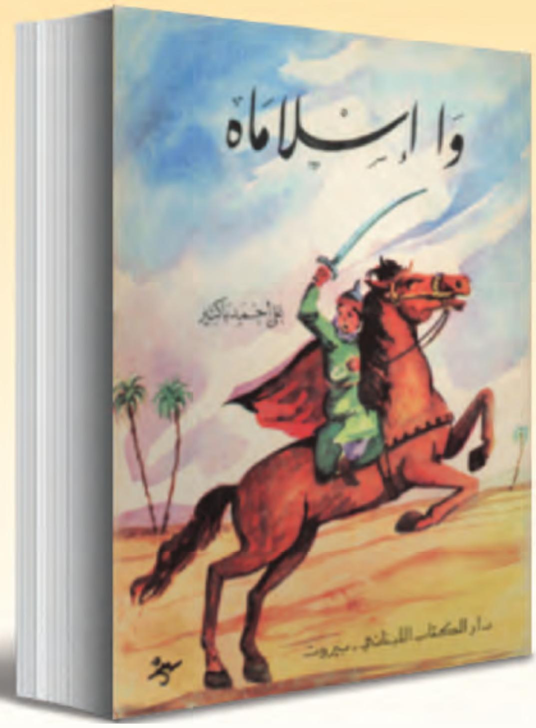

تربى منذ ولادته على الجندية، وجبل كيانه على بغض التتار وأعوانهم، مع رغبته الأكيدة في الإصلاح، وعدم تطلعه إلى الناحية المادية والشكلية إلا بقدر ما تخدم فكرته وتوصله إلى مبتغاه.

فعندما أفتى العز بمنع أخذ أموال الناس لتعبئة الجيش حتى تنفد أموال الخزينة، ولا يبقى مع أحد من الأمراء مال، ويتساوى الأمير بالعامي، عند ذلك يؤخذ منهم جميعا ما يكفي الجيش، كان هو أول المنصاعين للأمر، فنفذه على نفسه وعلى الأمراء من حوله.

وعندما وجد أن علي ابن عز الدين أيبك الذي يشاركه في السلطنة يعوقه عن أداء مهمته في الدفاع عن البلاد عزله..

وعندما انتصر في عين جالوت قرر

أن يتنحى عن القيادة لمن هو أقدر منه عليها شدة وضبطا..
٣. وجود رابطة قوية تجمع الأمة، وهي رابطة الإسلام التي أججت نار الحماس في قلوب الجند في عين جالوت فأسفرت المعركة عن خسارة التتار. وهذه الرابطة التي مكنتهم من إبطال تحالف الصالح إسماعيل مع الصليبيين.

وعنوان الرواية يعبر عن محتوى هذه الدعوة، ويشير إلى محوريتها بالنسبة لهذه الرواية.

المؤلف

علي أحمد باكثير، المولود في إندونيسيا عام (١٩١٠م)، ولكن والده أرسله إلى أعمامه في حضرموت، حيث تلقى ثقافته العربية والإسلامية، ثم ذهب إلى الحجاز فأقام مدة، ثم ذهب إلى مصر (١٩٣٣م) ليدرس الفقه في الأزهر، إلا أنه التحق بكلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، وتخرج منها عام ١٩٣٩م، زار مجموعة من الدول العربية والأجنبية كسورية، ورومانيا والاتحاد السوفييتي وإنجلترا، توفي عام (١٩٦٩م) له (٥٣) مسرحية، وأربع روايات، وثلاث مسرحيات مترجمة، وديوان شعر لم يطبع مجموعا.

مجمل الرواية

يحدثنا باكثير في هذه الرواية عن غزو الصليبيين والتتار للعالم الإسلامي، من خلال سيرة المظفر قطز، فيبدأ حديثه عن السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه الذي يترقب هجوم التتار على بلاده وانتزاعها منه، وما حل بوالده من قبله في منازعاته معهم وكيفية هربه للهند بعد وقوع أهله في الأسر، بعد حث ابن عمه إياه على الخروج لملاقاتهم ودحرهم وتمكين الحصون والأسوار قبل قدومهم.

وقبل الخروج للمعركة استشار منجمه فأعلمه بنبوءة تقول بانتصاره على التتار ثم انتصارهم عليه، ومجيء ابن من أسرته يعيد الكرة عليهم، وخلال ذلك تلد زوجته بنتا، وتلد أخته ولدا. ويخرج لملاقاتهم فينتصر عليهم.. ولا يلبث أن يأتيهم مدد عظيم فيكسر جيشه، ويحاول الهرب مع أسرته، فيتعقبونه إلى مشارق نهر السند، فيغرق النساء بطلب منهن، ثم يعبر مع جنوده إلى الطرف الآخر من النهر، ويؤسس مملكة صغيرة هناك، وتشاء الأقدار أن ينجو الطفلان مع أحد المقربين للسلطان، فتعاوده الحمية فيرجع كارا على التتار فيستعيد ما سلبوه، ولكن جنكيز خان يجهز جيشا قويا لمحاربة جلال الدين من جديد، ويسمع بذلك جلال الدين، فيرسل إلى حكام المسلمين طالبا نجدتهم، فمنهم من اعتذر بلطف، ومنهم من أهان مبعوثيه، فأثاره ذلك مع علمه بتكرر ذلك منهم، فقرر الإغارة عليهم قبل التتار، وقام بحملة فقتل كثيرا من الأبرياء، ثم أخبر بقرب وصول التتار، فقرر العودة لملاقاتهم، وفي الطريق فُقد الطفلان، فحاول بكل ما أوتي أن يجدهما فلم يفلح، فساءت حاله وتفرق الجند عنه، إلى أن قتله أحد الأكراد الذين أصابهم أذاه في حملته الأخيرة، وأخذ الطفلين وباعهما النخاس، ومن ثم باعهما النخاس في حلب حيث اشتراهما وجيه دمشقي، واعتنى بهما وأكرمهما إلى حين وفاته، فتسلط عليهما ابنه المشهور بفجوره فباع «جلنار» لمصر، وباع «قطز» لابن الزعيم في دمشق، مخالفا وصية أبيه في إعتاقهما بعد موته.

وتردد قطز خلال إقامته عند ابن الزعيم على الشيخ عز الدين بن عبدالسلام، واستمع لدروسه، وكان الشيخ صديقا لمالكه، فتوطدت صلته بالعز، فعرف العز تاريخه، فشجعه على التقيد بالآداب والتزام الشرع، وحبب إليه الجهاد..

في تلك الفترة كان صاحب دمشق الصالح إسماعيل قد عقد اتفاقيات مع الصليبيين يعطيهم بعض مدن الساحل وحصونه، ويسمح لهم بشراء السلاح من أهل دمشق على أن يقفوا في صفه لحرب الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر.

فوقف الشيخ عز الدين موقف العالم الذي لا يهادن في علمه، وخطب يوم الجمعة في مسجد بني أمية مبينا حكم الشرع في كل من يتفق مع أعداء الأمة، وأشار إلى كفر من يبيع الصليبيين السلاح معينا إياهم على إخوانهم المسلمين، وطلب من الناس قتل كل صليبي يأتي ليشتري السلاح، ولم يدع في آخر الخطبة للصالح إسماعيل، فجاء أمر السلطان بعزله، ولما تفاقم قتل الصليبيين سجنه في القلعة، ولم يكف الناس عن ذلك، فأطلق سراحه واضعا إياه في إقامة جبرية..

فتحايل أصحاب الشيخ على الوصول إليه، فأرسلوا «قطز» على أنه حلاق، فدخل بيت الشيخ، وسأله الشيخ عن أحوال الناس، ولما أعلمه بوقف قتلهم للصليبيين حزن وقال له أن يتابع الناس ذلك لأنه قربة لله وليس للشيخ..

ثم نفي العز من دمشق، فذهب في طريقه إلى الكرك، واتفق مع أميرها على الوقوف صفا في وجه الصليبيين، ثم تابع مسيره إلى مصر، فحرض الصالح نجم الدين على تخليص الشام من براثن الصليبيين.

وسار جيش من مصر، وساعده في الطريق صاحب الكرك، لملاقاة جيش الصليبيين وجيش الصالح إسماعيل.

وعند تجهيز جيش الصالح إسماعيل طلب قطز من سيده السماح له باللحاق بجيش مصر، ولكن سيده ابن الزعيم طلب منه القيام بعمل أكثر نفعا، وهو دخوله في جيش إسماعيل، وفي المعركة ينادي بصوت عال طالبا من المسلمين في صفوف هذا الجيش تركه واللحاق بجيش مصر لمقاتلة الكفار، ونفذ قطز ذلك، فكان فيه نصرا لجيش مصر، وهزيمة للصالح إسماعيل وحلفائه.

وعاد قطز لدمشق مبشرا سيده، ثم رجاه أن يرسل معه من يبيعه لسلطان

مصر، وبيع هناك، ولكن السلطان وهبه لأحد أتباعه وهو «عز الدين أيبك الصالحي»، وتحسنت علاقته بسيده الجديد، وأصبح من ذوي الحظوة عنده، فكان رسوله إلى السلطان، مما مكنه من معرفة مكان بنت خاله «جلنار» وهي في قصر السلطان، ولم يستطع الحديث معها إلا بعد موت السلطان في معركة فارسكور، حين غزو الصليبيين للمنصورة بقيادة «الكندارتوا» أخي لويس التاسع ملك فرنسا، ومحاولتهم دخول الحرم السلطاني، حيث وقف قطز مدافعا فقتل قائد الحملة وانهزم جيشه.

وبموت السلطان تسلم ابنه «توران شاه» الحكم، ولم تطل مدته حيث قتله صنائع أبيه، لأنه لم يكن مرضي السيرة، ثم نصبت زوجة أبيه شجرة الدر ملكة وخطب لها على المنابر بقولهم: اللهم وأدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح أيوب.. فعينت عز الدين أيبك على الأتابكية ومنصب التقدمة على العساكر، فثار عليها الملك الناصر صاحب حلب ثأرا لتوران، وأرسل الخليفة العباسي ببغداد يقول: إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا.

فنزلت عن الحكم لعز الدين أيبك، وصعد إلى القلعة قلعة الجبل، ولكن حساده من المماليك عينوا معه أحد بني أيوب وهو الملك الأشرف موسى ابن الملك مسعود، وعمره ست سنين، ثم خطبها عز الدين فماطلت حتى عزل الصغير وقبض عليه وأودعه السجن، والملك الصغير لا يدري لماذا أجلسوه على العرش، ولم أودعوه السجن.

ولكن منافسه أقطاي لم يرق له ذلك فعاث فسادا في البلد ليزعزع ثقة الناس بالملك العز، فاستقدم إلى القلعة وقتل بيد قطز، وأقسم أتباعه أن ينتقموا له، وسر الناس بقتله، وأعجبوا بشجاعة قطز، فعين نائبا للسلطان، وتزوج وقتها بنت خاله جلنار.

ولم تطل العلاقة بين شجرة الدر وزوجها المعز، فقتلته في الحمام، وعُين ابنه علي سلطانا وعمره خمسة عشر عاما، فأرسل شجرة الدر لأمه فقتلتها بالقباقيب.

بعد خروج أتباع أقطاي من مصر وعلى رأسهم بيبرس البندقداري حاول أن يحرض ملوك الأيوبيين على المعز ولكنه لم يفلح، وخصوصا عند تعاظم خطر التتار وعودتهم من جديد على يد هولاكو حيث عصفوا بالدولة الإسماعيلية في فارس، وزحفوا على بغداد فقتلوا الخليفة مع مليوني رجل، وقد ناصره صاحب الموصل الأمير بدر الدين لؤلؤ فأعانهم على مسلمي أربيل، وأرسل الناصر صاحب دمشق بهدايا له.

وتردد أثناء ذلك قطز على العز بن عبدالسلام فكان الشيخ يسأله عن استعداداته لملاقاة التتار فيبين له الصعوبات، ولاسيما بوجود الملك الصغير الذي لا يفقه إلا مناقرة الديكة، فأمره الشيخ بعزله، فعزله ولقب بالمظفر، واستقدم قطز بيبرس، وأقطعه بعض الأراضي على أن يناصره في حربه للتتار، وقام بالاستعدادات اللازمة لتقوية الجيش، وجهز فرقا للجهاد ألزمهم دعاتها بحفظ سورتي الأنفال والتوبة.

وجاءت رسل التتار إلى المظفر، فسأل أمراءه ماذا يجيبهم، فأشاروا عليه بإعطائهم ما يريدون كل سنة ليكفوا عنهم، فغضب منهم وذكرهم بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة:٢٩). وكيف عكسوها، ثم قتل أكثر مبعوثي هولاكو وأبقى غلاما، ورجلا لم يسمح لهما بالتجول في المدينة، فأعطى الرجل رسالة، وأخبره أن الغلام سيكون ملكهم.

وخلال عشرة أشهر كان الجيش جاهزا، على الرغم من معارضة الأمراء له، وسار بالجيش إلى عين جالوت فوصلها ليلة الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان، وفي المعركة كان الصبي التتري يدخل صفوف التتار فيقتل منهم ويعود، فلاحظته جلنار، وشكت به، حيث أتى خلفه خمسة رجال يريدون قتل قطز، صرع منهم قطز ثلاثة، وضربت زوجته من خلفه وهي ملثمة الصبي وأحد الرجلين الباقيين، ولكنها أصيبت بجرح قاتل، فعاد بها السلطان للخلف.. وعاد للمعركة وكان ينادي وا إسلاماه فبث العزيمة في صفوف المقاتلين إلى أن قتلوا كتبغا قائد التتار فتفرقت جموعهم وقتلوا عن آخرهم.

ثم حاكم الأسرى المسلمين الذين انضموا للتتار، فقتل الذين لا عذر لهم، وعفا عن الباقين، ثم تحرك إلى طبرية، ومن ثم إلى دمشق بعد أن راسل ابن الزعيم الذي كان مختبئا في بعض الضواحي بعد مصادرة أملاكه من قبل التتار، وتابع بيبرس فلول التتار، فنازلهم في حمص وقضى عليهم، وقتل هولاكو من كان عنده من أبناء الملوك أو الملوك الخونة ولم ينج منهم إلا واحد عشقته زوجة هولاكو، فكان طليقها.

في تلك الأثناء يرجع قطز بذاكرته ليرى زوجته المقتولة، ويشهد الضعف من نفسه، فيقرر أن يتنازل عن السلطنة حين عودته إلى مصر لبيبرس، ولكن بيبرس يظن منه تغيرا بعد منعه من إمارة حلب، مع إيغار الأمراء صدر بيبرس، فيقتله في الطريق عند متابعته لأرنب ليصطاده، ولكن بيبرس يندم على فعلته لما شهده من المظفر وهو يلفظ أنفاسه ويمنع خواصه من أذية سلطانهم الجديد بيبرس.

ويشعر بيبرس بصغاره عندما يقرأ في

أوراق المظفر رسالة ابن الزعيم التي يقول له فيها: يشهد الله أنك محمود ابن ممدود، ابن أخت السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، وزوج ابنته «جهاد».

المكان

تجري حوادث الرواية في بقعة شاسعة من الأرض، تشمل أكثر البلاد الإسلامية من بخارى وسمرقند إلى إيران فالهند فبلاد الشام فمصر..

وقد تطور المكان تبعا للحوادث، ووصف المكان يتبع أيضا لنفس الشيء، بحيث يمكن القول: إن وصف المكان موظف، بلا إسراف أو تقتير، فالمكان الذي يحتاج الوصف يوصف وإلا فلا، وكل ما لا يعين على تطور الحدث وإفادته فلا مكان له.

وقد نالت مصر من ذلك القسط الأكبر: ويبدو أن الكاتب قد اهتم بمصر باعتبار كونها في الستينيات أمل الأمة..

الزمان

لم يشر الكاتب إلى زمن الرواية خلال الحوادث، ربما اعتمادا على ذاكرة القارئ بسبب الحوادث الشهيرة التي تعرضها، وربما حتى ينزع من ذهن القارئ فكرة ربطها بزمن محدد تاريخيا.

ولا تتعدى حوادث هذه الرواية نصف قرن من الزمن في القرن السابع الهجري، فبدأت قبيل ولادة قطز، وانتهت عند وفاته سنة (٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م).

ولكن هذه السنوات لم تكن مليئة بالحوادث بحيث يتحدث عن كل سنة كحوليات تاريخية، فمرر خلال هذه الحوادث سنوات طويلة إما بالإشارة إلى حوادث طفيفة حدثت أو بتجاهلها..

الشخصيات

تمر في الرواية أسماء كثيرة بعضها فعال، وبعضها لاستكمال صورة العمل الأدبي، ومن أهم الشخصيات التي مرت:

● شخصية الملك جلال الدين: الذي امتاز بالقوة والتماسك في وقوفه في وجه التتار، مع اهتمامه بأقوال المنجمين، كما أنه تنقصه الحكمة والروية، ويظهر ذلك في مهاجمته لبلاد المسلمين عندما أساءوا الرد عليه رغم استعداد التتار لغزوه، ومن ثم فقده الطفلين وضياع عقله.

● شخصية الأمير ممدود ابن عم جلال الدين: الذي يعتبر العقل المفكر لجلال الدين وبفقده تخلخلت شخصية الملك.

● شخصية العز بن عبدالسلام: التي برزت من الناحية السياسية.

● شخصية الصالح إسماعيل: الذي يمثل الخيانة والتآمر.

● شخصية الصالح نجم الدين أيوب: الذي يمثل الحق والدفاع عنه.

● شخصية قطز: التي مرت بأربع مراحل:

الأولى: عندما كان في كنف خاله.

والثانية: في بيعه رقيقا ووجوده في دمشق.

والثالثة: في بيعه في مصر.

والرابعة: في وصوله إلى سدة الحكم وموته بعد ذلك.

ونلاحظ تشابها في مرحلة بداية الرق، ونهايته عند الموت، إذ الأولى عندما تابع أرنبا ليصطاده في صغره، والأخيرة حين تابع أرنبا ليصطاده.

● شخصية جلنار: بنت خال قطز التي تمثل الشق الآخر منه، فهما ولدا في وقت واحد وتربيا معا، وجمعتهما عاطفة واحدة طول مسار حياتهما، ورغم كونها لم تؤثر في الحوادث إلا في بعض المواقف القليلة، فإنها كانت دافعا لقطز، فتبعها إلى مصر بحثا عنها، وفي مصر عانى كثيرا حتى تمكن من الزواج منها، وكان في نهايتها اقتراب نهايته.

● شخصيات أخرى: كبيبرس وبعض الملوك... والنخاس، والأكراد، والجيوش.. أعطت الحوادث حركية.

المرأة

المرأة في الرواية محاطة بسياج من الكرامة والعفة والأخلاق الحميدة، قد تكون قادرة على الفعل كشجرة الدر فتصل إلى الحكم، وتحرك الرجال، وقد لا تكون قادرة على الفعل كزوجة الشيخ غانم المقدسي التي لم تتمكن من كبح جماح ابنها العاق فأبطل وصية أبيه في عتق قطز وجلنار.

ونلاحظ أن النساء كانت مصدر قلق للسلطان جلال الدين بسبب أسر أقاربه سابقا من قبل التتار، ولذلك يوافق على إغراق أهله عندما طلبوا منه ذلك.

لغة الرواية

استخدم الكاتب لغة الحوار في تطوير الحوادث، ومن خلال الحوار كان يذكرنا بالماضي، ويطلعنا على حوادث المستقبل.

ويلجأ خلال ذلك إلى السرد ليمرر زمنا أو وصف حدث.. وقد استخدم اللغة العربية الفصحى، ونحا بها نحو التبسيط، فلم يأت بالغريب من الكلام، ولم يعقد الجمل بحيث تستعصي على الفهم، وقد استفاد كثيرا من محفوظاته القرآنية في لغة الحوار.. وأتى بأشعار يغلب أن تكون من نظمه خلال وصفه لبيع الرقيق في حلب.

لم يتدخل في الحوادث مباشرة وإن كان يعلق على بعض الأعمال من خلال استنطاقه لذاكرة أحد الأشخاص، أو العقل الباطن للشخصية، وهذا ما فعله عندما تحدث على لسان الأمير ممدود عن المنجمين وكذبهم.

ولا أدري هل نجد في هذه الرواية ما يعيدنا إلى التدبر والتبصر للخروج مما نعانيه، أم تمر بنا مر الكرام، وكأننا مع مقولة «التاريخ يعيد نفسه» متخاصمون!.

خلف أحمد أبوزيد
باحث تربوي

الطفل.. والثقافة العلمية

لا شك أن أحد مؤشرات تحضر الأمم ورقيها هو مدى اهتمامها بمرحلة الطفولة خاصة، لأن الطفولة هي أساس المستقبل، لذا فهي حياة خاصة تحتاج إلى التعامل معها بصورة علمية ونفسية، على درجة من الدقة والحساسية، ففيها يمكن لنا أن نضع اللبنات الأولى للعباقرة والمبتكرين، لما تتصف به من خصوبة في تنمية التفكير الإبداعي.

وتؤكد الدراسات التربوية أن (٢٠ في المئة) من مساحات الذكاء، لأي إنسان كافية لإفراز المبدعين، أما (٨٠ في المئة) فيتم تحصيلها مع المكتسبات الأخرى، مثل الاجتهاد والبيئة والحفظ والتفكير.

وفي ظل موجات الثورات المعلوماتية والمعرفية المتلاحقة، التي تتضاعف بسرعة لاهثة، وتتغير في نواح لا يمكننا أن نتنبأ بها، والتي أطلت علينا مع بداية العبور إلى الألفية الثالثة، هي رسالة توجب علينا أن نهتم بتثقيف الطفل علميا، وتربيته على حب الثقافة العلمية، بما يحقق مطالبنا الاجتماعية في تكوين أجيال قادرة على إعمال العقل ومؤمنة بأهمية التطور الاجتماعي، ومتسلحة بمعارف وعلوم، وليست جامدة ولا ساكنة.

مفهوم الثقافة العلمية للأطفال

ونقصد بالثقافة العلمية للطفل، تعريفه بهذا التطور العلمي المذهل في مجال العلوم، بتناول موضوعات وأفكار علمية، تدور حول ما يحيط بنا من السماء والكواكب، والأرض من حيوان ونبات، وتحت الأرض من خفايا وأسرار، وفي الإنسان نفسه من أجهزة ودورات، وما نراه حولنا من تطور علمي في مختلف الميادين العلمية والتكنولوجية، تقدم للطفل وتعطي له فكرة مبسطة عن هذا الجانب المهم.

أهمية التثقيف العلمي للطفل

ولا نقصد من التثقيف العلمي للطفل هنا، مجرد إيصال المعلومات العلمية للطفل فقط،، وإنما الذي نهدف إليه هو اكتشاف موهبة الطفل العلمية في سن مبكرة، فالطفل الموهوب، كما تؤكد الدراسات التربوية والنفسية، هو طفل قادر على إنتاج أفكار جديدة وأصيلة حسب موهبته، لديه قدرة فائقة على الاستدلال والتعميم والتجربة والتحليل، وإدراك العلاقات والتفاصيل وتركيبها باستنتاج شيء جديد، محبا للاستطلاع والاستفسار، لديه ميول واسعة المدى في مجالات مختلفة.

ومن هنا تأتي أهمية التثقيف العلمي في إثراء مخيلة الطفل، وإيقاظ الجوانب النائمة في موهبته، وذلك عن طريق:

أولا: أن التثقيف العلمي يوسع مدارك الطفل، ويعود عقله على التفكير الواعي المتحرر، عن طريق إشباع نهمه المعرفي، والدفع بعقله إلى التفكير في آفاق أكثر انطلاقا وتحررا.

ثانيا: أنه يمنح الطفل نظرة أكثر شمولية، تعوده التعمق والدقة، مع المقدرة على تفهم الجديد، وعلى تقبل التطور والتغير، وليس الجمود عند قوالب فكرية بعينها.

ثالثا: يساعد أيضا على إيضاح الاتجاهات والأهداف الكامنة في أعماق النفس منذ الصغر، ومن ثم يعمل على بلورة الهوايات، وتأصيل وتعميق التعلق بنوع منها بالذات، والذي غالبا ما تكون له علاقة بالعلم.

رابعا: أنه الطريق الواضح المستقيم الذي يقود الصغير إلى حب العلوم، والتعلق بها، والبحث في مجالاتها، وكلها أمور تؤدي في النهاية إلى إحياء ملكة الاكتشاف والابتكار والخلق والإبداع، والتي هي من أهم صفات العالم.

كيف تقدم الثقافة العلمية للطفل؟

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا: كيف نقدم الثقافة العلمية للطفل؟ وهي ما تحمل من جفاف في المعلومات، قد تكون صعبة الفهم على الأطفال، في هذه المرحلة من حياتهم، التي يميلون فيها إلى القصص التي تخاطب مخيلاتهم وملكات الحس لديهم.

ونقول: إنه يمكننا تقديم الثقافة العلمية للطفل بنفس الأساليب المحببة للأطفال القريبة من عقولهم ونفوسهم في هذه المرحلة، وهي:

١. القصص العلمي:

تلعب القصص دورا كبيرا في جذب انتباه الأطفال، فهي عنصر مهم ومشوق لهم في هذه المرحلة، ويمكن لنا أن نستخدم الأسلوب القصصي بما يتصف به من خيال وصياغة أدبية بارعة، بتقديم حقائق العلم، عبر نوعين من القصص:

النوع الأول: القصص العلمي الذي يعرض حقائق العلم في صورة مبسطة ممتزجة بالمتعة الأدبية المحببة للأطفال، وهناك أمثلة كثيرة لهذه النوعية من الكتب والقصص، التي جمعت بين المعلومة العلمية والمتعة الأدبية، ولاقت رواجا كبيرا لدى الأطفال، نذكر منها على سبيل المثال: عقلة الأصبع في جسم الإنسان، بتهوفن يسمع بالعصا، أسلحة الحيوان، قلبك روعة في البناء وإعجاز في الأداء، شمعة تحترق، لقاء مع قطرة ماء، كيف تطير الطائرة؟ خفايا الحياة في مملكة النحل، وغيرها من الكتب والقصص العلمي، التي عرضت حقائق العلم وقربته من عقول وقلوب الأطفال.

أما النوع الثاني: ما يطلق عليه قصص وكتب الخيال العلمي، والتي لا يقل دورها هي الأخرى، عن كتب تبسيط العلوم للأطفال، من حيث أهميتها في إثراء مخيلة الطفل، وفتح آفاق جديدة أمامه للسؤال والتفكير، بما تحمل من أسئلة تحفز الخيال لاستجابة الإنسان، لكل تقدم في مجال العلوم والتكنولوجيا، سواء في المستقبل القريب أو البعيد، الذي يدفع بالطفل إلى حب الاستطلاع والاكتشاف على نحو ما نرى في أدب الخيال العلمي، وما يعرض من دروب العلم، ومختلف استخداماته، وحيله وآفاقه الجديدة.

٢- المتاحف العلمية ومراكز الاستكشاف العلمي:

كما تلعب المتاحف العلمية، ومراكز الاستكشاف العلمي، دور كبير، في غرس بذور الثقافة العلمية في نفس وعقل الطفل، بما تمتلك من تقنيات حديثة، وأساليب جذب بصرية وحسية للطفل، بعرضها للمجسمات العلمية على اختلافها، وبما تحوي من شرائط علمية ووثائقية، وتوفر من إمكانيات للموهوبين في مجال العلوم، ومن هنا يأتي دور الأسرة والمؤسسات التعليمية، بضرورة اصطحاب الأطفال في رحلات وجولات لهذه المتاحف العلمية، ليرى الطفل عن قرب المعلومة العلمية حية متجسدة أمامه، وحيث أن الأطفال في هذه المرحلة يغلب عليهم التفكير المتعلق بأشياء محسوسة ملموسة، أي التفكير بالصور أو التفكير الذي يستعين بالصور الحسية المختلفة، التي تساعد على تقريب المعلومة من نفسه، لتبقى بعد ذلك محفورة في ذاكرته، حية في أعماقه.

٣. الاهتمام بالثقافة العلمية في المؤسسات التعليمية:

وهذا جانب مهم ومؤثر جدا، لا يقل من حيث الأهمية عن الجانبين السابقين، فإحياء الثقافة العلمية في المؤسسات التربوية مطلب ضروري، تمليه علينا ظروف العصر، بما يحمل من تطورات مذهلة في ميادين العلم والمعرفة، ويمكن لنا عن طريق المؤسسات التعليمية، أن نبذر بذور العلم في نفوس الصغار، ونرغبهم في الثقافة العلمية، وذلك بوسائل متعددة، من أهمها: إيجاد المعامل العلمية الحديثة والمتطورة، التي يذهب إليها الأطفال لمشاهدة التجارب العلمية التي يدرسونها في مناهجهم بصورة عملية، هذا إلى جانب تشجيع نوادي العلوم، وجماعات النشاط العلمي، والتي تعمل على نشر الثقافة العلمية بين تلاميذ المدرسة، عبر مجلات الحائط والإذاعة المدرسية، فمثل هذه الأمور تساهم مساهمة فاعلة في إثراء الثقافة العلمية في نفوس الأطفال، وتحبب إليهم تبادل المعلومات وترغبهم في الاطلاع العلمي، الذي يعود عليهم بالنفع والفائدة في مستقبلهم.

وفي النهاية نقول: إن ديننا الإسلامي، دين العلم والمعرفة، ودعا إلى الأخذ بأسباب العلم والتقدم، ولقد أخذ المسلمون الأوائل بهذه الأسباب، فاستطاعوا إقامة حضارة عظيمة، أضاءت العالم في عصور الظلام.

ونحن الآن في القرن الحادي والعشرين، نرى الأمم والشعوب من حولنا، تقاس بمقياس العلم، ومدى تقدمه، وبجهد العلماء وتلاقح أفكارهم، وتتسابق في إعداد الطاقات الخلاقة المبدعة، التي تتعهدها بالرعاية والعناية منذ سنوات الطفولة، هذا الأمر الحيوي الذي يدعونا إلى تعهد أبنائنا بالرعاية والاهتمام منذ سنواتهم المبكرة، بل إن لم نكن مبالغين منذ لحظة استقبالهم لأولى نسمات الحياة.

إيمان مصطفى علي
باحثة - مصر

تشوش أفهام أطفالنا بدسها السم في العسل

أفلام الكرتون في قفص الاتهام!

مشهد يتكرر في بيوتنا يوميا: أطفال منهمكون بمشاهدة أفلام الكرتون في التلفاز، أم مشغولة، أب غير موجود! استطاع «الآخر»، من أسف، التسلل إلى تلك الفئة العمرية البريئة في هذه المرحلة، التي تكون مقتصرة على التلقي والتخزين، وبعد محاولات عديدة للتأثير على الأطفال بالذات تأثيرا يتناسب مع طموحات «الآخر» وآماله، فأنتجوا الرسوم المتحركة؛ أنتجوها بقالب إعلامي بريء، وبشكل جذاب، بحيث ينشرون ما يريدونه من دون أن يحس أحد بأن هناك خطرا، فهو أمر ظاهره الرحمة وباطنه الشر والوباء.

وفي دراسة علمية، هي الأولى من نوعها عن أفلام الكرتون، تناولت الباحثة هالة محمود سليمان الآثار السلبية لتلك الأفلام، فذكرت منها:

● إشغال الأطفال بها حتى أصبحوا لا يستغنون عنها، ولو يوما واحدا! فأكلت أوقاتهم، وبددت طاقاتهم، وشلت تفكيرهم، وزاحمت أوقاتهم في مراجعة الدروس وحفظ كتاب الله، فضلا عن أن يجلسوا مع أهلهم جلسة صافية، ليتلقوا منهم الأدب والدين والخلق.

● صاغت خيال فلذات أكبادنا وعقولهم وتفكيرهم، وشوهت عقائدهم وثقافاتهم بعيدا عن قيمنا.

- أفلام الكرتون سريعة التأثير؛ ولا تعتمد على حقائق ثابتة، وإنما على خرافات وأساطير ومشاهد غرائزية وتشكيك في المعتقدات. والطفل سريع التأثر.

● زعزعة عقيدة الطفل في الله واشتمالها على الكثير من الأخطاء العقدية الخطيرة، التي قد يعتاد عليها الطفل ويعتقد صحتها.

وأشارت الباحثة إلى كثير من الأخطاء العقدية المنتشرة في تلك البرامج، منها: آثار اجتماعية وأخلاقية ونفسية وصحية ومادية، على النحو التالي:

أ- الانحناء للغير.

ب- عبارات مخلة بالعقيدة، مثل: «أعتمد عليك»، و«هذا بفضلك يا صديقي العزيز».

ج- إظهار شعائر أهل الكفر ورموز أديانهم الباطلة، كالصليب، وبوذا، والمعابد المقدسة، وآلهة الحب والخير والشر والظلام والنور والشقاء والمطر، والاحتفال بأعيادهم، وكذلك الدعاء قبل الأكل بضم اليدين وأصوات أجراس الكنيسة.

د- اشتمالها على السحر.

آثار اجتماعية

أ- الإعجاب بشخصيات الكفرة عند عرضهم أبطالا في الأفلام،

والإعجاب بمجتمعاتهم وطريقتهم.

ب- تمرد الأبناء على الآباء.

ج- الانشغال عن إكرام الضيف.

د- إشاعة الكسل والخمول، وتعطيل الإنتاج بما تستهلكه من أوقات.

آثار أخلاقية

أ- دعوة المجتمع إلى إظهار العورات بأنواع الملابس الفاضحة واعتياد الظهور بها.

ب- الدعوة إلى إقامة علاقات بين الجنسين.

آثار نفسية

أ- اكتساب العنف والطبع العدواني من مشاهد العنف والمصارعة والدماء والأسلحة الحادة.

ب - زعزعة الأمن ونشر الخوف، حتى أن أحدهم ليهب من نومه مذعورا فزعا، وهو يصرخ مما رآه في نومه نتيجة مشهد علق في مخيلته.

ج - إفساد واقعية الأطفال ببعض المشاهد المنافية للواقع ولما جعله الله من النتائج المترتبة على الأسباب، وهذه اللاواقعية تؤثر على التصرفات في الحياة العملية.

آثار صحية

أ- الإضرار بحاسة البصر، وهي نعمة سيسأل عنها العبد.

ب- ما يحدث من أضرار بأجساد الأطفال الذين يقلدون السوبرمان والرجل الحديدي.. وغيرهما.

الآثار المالية والمادية

صرف المبالغ في شراء أجهزة وكماليات لا يحتاجون إليها، من جراء ما يعرض في الشاشة من المشاهد والدعايات.

وقد قال الرسول ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» (رواه البخاري ومسلم).

فهل إدخال مثل هذه الوسائل إلى البيت وعكوف الصغار عليها ليل نهار هو نصح للرعية أم غش لها؟

البدائل والحلول

وقد وضعت الباحثة عددا من البدائل والحلول التي يمكن الاستفادة بها في هذا الصدد؛ حماية لأطفالنا من البث الموجه أو المستورد، ومن هذه البدائل:

- الجلوس مع الطفل أثناء مشاهدة الكرتون، ومناقشة ما يأتي فيه، وتعليمه النقد وتمييز الصحيح من الخطأ، وتقرير العقيدة الصحيحة في نفوس أطفالنا، والتنبيه إلى الأخطاء العقدية التي تصدر في تلك الرسوم بشكل يناسب عقلياتهم.

- شراء كمبيوتر مثلا، والحرص على اختيار الألعاب العقلية التي تنمي عقل الصغير وتفيده.

- اجعل لأولادك الصغار مكتبة صغيرة خاصة بهم تحتوي على أشرطة خاصة للصغار من تلاوات للقرآن مناسبة لهم، وقصص ومواقف وأذكار.

- احرص على أن تجالس الأولاد، وأن تقضي بعض أوقات الفراغ معهم.

- تقرير المبادئ والأحكام الإسلامية العامة، مثل الحجاب وحكم الأعمال التي تسبب إزعاجا للآخرين، وغيرها وتوضيحها للطفل.

- محاولة إبعاد أبنائنا عن تلك الرسوم قدر الإمكان، بالذهاب بهم لحلقات تحفيظ القرآن والحدائق وزيارة الأقارب، مع ضمان عدم مشاهدتهم للرسوم هناك.

- إنتاج الرسوم المتحركة الجيدة التي تخدم أهدافا إسلامية وتربوية. ولقد وجدت في الأسواق بعض تلك الرسوم التي أنتجت لهذا الأمر مثل: محمد الفاتح، رحلة خلود (التي تقص قصة أصحاب الأخدود) وغيرها.

- تنبيه الإعلام العربي كافة على أمرين:

١ - فلترة برامج الرسوم المتحركة ومتابعتها قبل طرحها على المشاهد الصغير.

٢ - الدعم والمشاركة لإنتاج برامج كرتونية مناسبة تخدم أهدافا إسلامية وتربوية.

وفيق صفوت مختار
اختصاصي تربية وعلم النفس

عسر القراءة عند الأطفال

يعاني كثير من الأطفال من ضعف التحصيل الدراسي وصعوبات في القراءة، وغالبا ما يعتقد الوالدان أن طفلهما لديه تأخر دراسي، أو قد يُتهم الطفل بالإهمال واللامبالاة دون أن ينتبه الوالدان إلى أن الطفل لديه مشكلة حقيقية تتمثل في أنه يعاني من مشكلة الـ «ديسيلكسيا» «Dyslexia»، أو «عسر القراءة».

الديسيلكسيا ومدى انتشارها

تبدو مشكلة عسر القراءة «الديسيلكسيا» من أخطر المشكلات التي تندرج تحت صعوبات التعلم، على المستويين الدولي والعربي، من حيث الانتشار، ولقد قامت «الجمعية الكويتية للديسيلكسيا» بإجراء دراسات حول هذا المرض فتبين أن من بين كل خمسة أطفال، طفلا يعاني من صعوبات ذات علاقة بالقراءة، وهم ينتمون إلى ثقافات مختلفة، وبيئات فكرية متنوعة، ومستويات اقتصادية متفاوتة.

هذا، ويقدر أن ١٠ في المئة من تلاميذ المدارس البريطانية مصابون بعسر القراءة «الديسيلكسيا»، بينما تصل النسبة في مثيلاتها الأميركية إلى ما بين ١٠ و ١٥ في المئة.

وعلى مستوى الوطن العربي، فإن المشكلة تبدو من الخطورة بمكان، خصوصا من ازدياد حجمها وانتشارها، فمعدلات الأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم في مصر مثلا: تصل إلى أربعة ملايين طفل، وقد تم عمل مسح بمعرفة «الجمعية المصرية للديسيلكسيا» بالتعاون مع «الجمعية الكويتية للديسيلكسيا» للفرقة الأولى بأحد الأحياء الشعبية بالقاهرة، فوجد أن مؤشرات نسبة إصابة الأطفال تصل إلى ٨-٩ في المئة.

وفي الكويت قامت «الجمعية الكويتية للديسيلكسيا» بدراسة مسحية عن الأطفال، الذين يعانون من عسر القراءة في الكويت، أثبتت ازدياد نسبتهم، وقد قدَّرت الجمعية الكويتية أن حوالي: ٣-٦

في المئة من تلاميذ المدارس الابتدائية يعانون منه.

أسبابها

في البداية لابد أن نؤكد أن هناك ثلاث مهارات تحدد مدى القدرة على تعلم، أو عسر القراءة عند الأطفال:

١- التعرف على الحروف والوعي الصوتي بها عند استخدام الاختبارات التي تعالج معظم مهارات تحليل الكلمة المنطوقة.

٢- التسمية السريعة «Rapid Naming» لمصفوفة من الحروف، أو الأرقام، أو الألوان، أو الأشكال؛ للتعرف على القدرة الحالية، والتنبؤ بالقدرة المستقبلية عبر استخدام اختبارات سهلة تقوم على قياس سرعة المعالجة الذهنية في استرجاع مكونات لغوية.

٣- أن يطلب من الطفل تسمية رسومات، أو صور منفردة لأشياء متعددة.

أعراضها عند الأطفال

- في مرحلة الطفولة المبكرة (٣-٥ سنوات):

من خلال الدراسات على اللغات الأجنبية كالإنجليزية، لوحظ أن هناك أعراضا تظهر على الطفل مثل: تأخر أو عدم الكلام بوضوح، أو خلط الكلمات أو الجمل، وكذلك صعوبة في تنفيذ بعض الأعمال مثل: ارتداء الملابس بصورة طبيعية: كربط الحذاء، واستعمال الأزرار، وطريقة استعمال الأدوات، كأن تقع من يده الأغراض، أو اهتزاز الكوب الذي يحمله الطفل، فيتناثر ما به، وأيضا صعوبة إمساك الكرة أو رميها، وصعوبة التركيز عند الاستماع للقصص.

- في مرحلة الطفولة المتوسطة (٦-٨ سنوات):

صعوبة غير متوقعة في التحصيل الدراسي مع تحليهم بنفس قدرات التلاميذ العاديين، فأحيانا يكون لديهم بطء في التحصيل مقابل أوقات أخرى يظهرون فيها بحالة لا بأس بها، ومن أهم هذه الصعوبات: الفشل في تعلم القراءة والكتابة والتهجئة، وتكرار التبديل في الأرقام مثل: (١٢) لرقم (٢١)، أو حرف (ف) بحرف (ق)، كذلك صعوبة تحديد الاتجاه يمينا أو شمالا، وتذكر الأشياء المتتالية مثل: أيام الأسبوع، والأشهر، وأرقام الهواتف، مع استمرار صعوبة التركيز والمتابعة.

- في مرحلة الطفولة المتأخرة (٩-١١ سنة):

استمرار الأخطاء في القراءة، وأخطاء إملائية غريبة كنسيان حروف من كلمات، أو وضع الحروف في غير أماكنها، أو استغراق وقت أكثر من المتوسط في القراءة والكتابة، والافتقار للنظام في البيت، والمدرسة، وصعوبة نقل وكتابة المعلومات من السبورة، أو من كتاب بصورة دقيقة، وأيضا صعوبة في تذكر، أو تحليل التعليمات الشفهية وفهمها، وبالتالي ازدياد ضعف الثقة في النفس المؤدي إلى زيادة الحركة والفوضى والانطواء.

- في مرحلة المراهقة المبكرة (١٢-١٤ سنة) وما بعدها:

تستمر الأعراض السابقة كما هي، فلا تزال القراءة غير دقيقة، والأخطاء الإملائية متكررة، وتخبط ملحوظ في تلقي التعليمات الشفهية، أو تذكر أرقام الهواتف.

بينما تشير الدراسات العربية إلى أن مشكلة «الديسيلكسيا» إجمالا، توجد عندما يظهر واحد أو أكثر من الأعراض التالية:

- صعوبة في معرفة أصوات الأحرف داخل الكلمات، أو حذفها أو إضافتها، كأن يقول الطفل: قطتي، دون الـ «ق».

- خلط الحروف، أو الكلمات عند القراءة، أو الكتابة، فالطفل يقرأ أو يكتب كلمة «هل» بدلَ كلمة «له».

- عدم القدرة على التفريق بين الأصوات المتشابهة في النطق، مثل: «ث»، و«ذ»، و«س»، و«ز».

- صعوبة في معرفة قواعد التهجئة وتذكرها.

- صعوبة في معرفة الاتجاهات مكتوبة، أو منطوقة، ومعرفة اتجاه اليمين و اليسار.

- سوء الخط وعدم القدرة على رسم الخطوط.

الحلول المتاحة للتغلب عليها

● توفير مساندة عاطفية من جميع أفراد الأسرة، وعدم مقارنة الطفل بأقرانه في محيط العائلة، مع تفهم حالته، وبالتالي رفع ثقته بنفسه.

● توفير اختصاصي علم نفس في مدارس الأطفال يهتم بتخليص الأطفال من الضغوطات النفسية التي تتكون نتيجة الإحساس بالفشل والإحباط جراء عسر القراءة والكتابة.

● معظم الأطفال الذين يعانون من عسر القراءة «الديسيلكسيا» يستفيدون من التدريس الذي ينطوي على هذه السمات:

- التأكيد على العلاقة بين أصوات الكلام وحروف الكتابة تأكيدًا صريحًا.

- السماح بالمراجعة والوقت الكافي للممارسة العملية، ومساعدة الأطفال على نطق الكلمات وقراءتها قراءة دقيقة، وإتمام المهام الخاصة بالتهجئة والكتابة.

- الاعتماد على تجزئة المهام المطالَب بها الطفل إلى أجزاء صغيرة ومرتبة يسهل فهمها، وحفظها، والتعامل معها.

- استخدام الوسائط المتعددة التي تعتمد على الحواس جميعها، مثل: الحواس البصرية، والسمعية، والحركية واللمسية؛ لتعزيز المعلومات.

- مساعدة هؤلاء الأطفال على تهيئة المكان المناسب للدراسة حيث إنهم يتحلون بذكاء متوسط، أو فوق المتوسط - لديهم القدرة على التفوق في مجالات بعينها - ولكنهم لا يستطيعون مواكبة التواصل الدراسي في المدارس العادية.

هذا ويحدثنا التاريخ عن مشاهير كثر في مجالات عدة، عانوا إعاقة بطء التعلم، منهم على سبيل المثال: «وينستون تشرشل»، «بابلو بيكاسو»، «ألبرت أينشتاين»، «ليوناردو دافنشي»، «محمد علي كلاي»، وبالرغم من معاناتهم لهذا المرض الذي تبدأ أعراضه في المراحل الأولى من العمر، كان يمكن أن تتسبب في فشلهم، فإنهم تداركوا الأمر وحققوا إنجازات مهمة رفعت من قدرهم.

محمد شعطيط
باحث دراسات إسلامية

الطفولة والصداقة

من منا لا يتذكر أصدقاء الطفولة؟ ومن منا لا يجلس بين الفينة والأخرى ليتذكر من كان يلاعبهم ويجالسهم ويجري معهم، بل ويخاصمهم أحيانا ثم يلوح بأصبعه ليصالحهم؟ لماذا صداقة الطفولة أكثر براءة ورسوخا من غيرها من الصداقات التي تأتي بعد ذلك؟

تثبت الدراسات الحديثة أن الطفل يستطيع منذ وقت مبكر التمييز بين الأشخاص الطيبين وغيرهم، وهكذا منذ سنوات عمره الأولى يبدأ تفاعله مع الأشخاص المحيطين به، فيرتاح لمن يستشعر قربه منه، وينفر من الأشخاص الذين يعاملونه بفظاظة أو عنف أو تصدر عنهم ردود فعل سلبية، كما أنه يكدس في لا شعوره خبرات وتجارب تحدد علاقته بالآخرين.

كل كلمة، كل عبارة، كل قبلة، كل ضمة، تعني الشيء الكثير للطفل الصغير، وكل رد فعل من شخص راشد أو طفل صغير تحدد طبيعة العلاقة مع الآخر، وهل يدخل ضمن محيط الطفل ومشاريعه المستقبلية للصداقة أم لا.

دور الأبوين

في سنوات عمره الأولى يحتاج الطفل إلى بعض التوجيه والمساعدة لتكوين صداقاته الأولى، ولتكسير الجليد بينه وبين الطفل الآخر، وإدخال الطفل في علاقاته الاجتماعية الأولى؛ بداية بذكر الأسماء وتلطيف الجو وتوفير اللعب المناسبة والأجواء الملائمة مع المراقبة عن كثب لسير عملية الصداقة، والتدخل في الوقت المناسب عند أي سوء تفاهم أو محاولة أي واحد الاستئثار بلعبة ما أو إزعاج الآخر بسلوك معين.

كما أن على الأبوين ألا يسعيا إلى فرض صداقة معينة على أبنائهما بطريقة مباشرة، بل يتم ذلك بشكل عفوي؛ لأن الصداقات الأولى للطفل غالبا ما تكون عرضية، وتطغى عليها المزاجية، فتجد الطفل كما هو ملاحظ في الصف مثلا يقاطع أحد الأطفال، بل ويشتكيه إلى الأستاذ، ثم بعد برهة يسيرة يصالحه ويلاعبه ويضاحكه كأن شيئا لم يكن.

وتجدر الإشارة هنا إلى سلوكيات خاطئة يرتكبها الأبوان عند ذهاب طفلهما إلى المدرسة في بداياته الأولى، فتجدهم يحذرانه من الأطفال الآخرين، ومن أنهم سيسرقون أدواته ويمزقون كتبه، فعليك أن تكون حازما وحذرا، وهكذا بعد هذا الشحن يكتسب الطفل تصورا سلبيا عن زملائه، وقد يصبح عدوانيا تجاه الآخرين، بل من الأطفال من لا يضع حقيبته من على ظهره حتى وهو داخل الصف، وكثيرا ما يعطيه الأستاذ ضمانات أن لا شيء سيضيع منه وتجده مصرا على حراستها وأخذها معه إلى الساحة حتى أثناء فترة الاستراحة، كل ذلك بسبب الشحن السلبي للأبوين، مما يعكر صفو العلاقة بين الطفل وزملائه ومحيطه، وأخشى ما يخشاه المرء أن يكون هذا التحذير المتكرر من الآخر

بشيء مبالغ فيه هو ما ينمي نزعة الفردانية وتضخم الذات والأنانية، بل والتشكيك في الآخر، وصولا إلى إقصائه وإبعاده، بل وتكفيره ونبذه.
ولكي يكون الطفل صداقات آمنة مع أصدقائه يحتاج إلى الشعور بالأمان تجاه الآخرين، وأنهم لا يشكلون تهديدا له بأي وجه كان.

دور المدرسة

كل الأنشطة المدرسية داخل الصف تتم بشكل جماعي، مما يعزز علاقات الصداقة بين الأطفال، وينمي شعورهم الاجتماعي ويساعدهم على سرعة الاندماج واستحداث صداقات مختلفة داخل الصف أو خارجه.
فمن خلال العمل على شكل مجموعات أثناء الأنشطة التي تتطلب تقسيم الفصل إلى فرق صغيرة مكونة من (٤-٦) أفراد، ومن خلال المبادرات الجماعية والرياضية والتمارين البحثية والمواضيع والعروض التي تتطلب عملا تشار كيا؛ تبدأ علاقة الطفل بالتوسع والتمدد لتشمل أطفالا جددا، مما ينمي الحس الاجتماعي والعمل الجماعي ومتعة اللعب مع الآخرين، والدراسة في حد ذاتها لعب بشكل ضمني، لأن التدريس باللعب هي أيضا من البيداغوجيات الفعالة التي تساهم في جودة التعليمات.
من يلاحظ الأطفال في الساحة وهم يلعبون ويجرون ويتحلقون في دوائر ويغنون ويمرحون، يدرك ما للعب من قيمة عند الطفل في إبراز مواهبه وإخراجه من قوقعة الوحدانية والفردانية إلى عالم الصداقة والمشاركة والفاعلية.
ورب تلميذ انطوائي في الصف لا يشارك ولا يتفاعل مع زملائه وأنشطته الصفية، يصبح شخصا آخر في الساحة، بل وينقلب رأسا على عقب.
فدور المدرسة ذو فاعلية كبرى في تكوين نسق الطفل الاجتماعي، وإكساب الطفل القدرة على نسج علاقات وتكوين صداقات جديدة مفيدة بما توفره من جو الحرية الذي يفتقده بعض الأطفال داخل أسرهم.
تزداد علاقات الطفل وصداقاته كلما كبر في السن، وكلما اتسعت رقعة الصداقات والعلاقات اتسعت معها أفكار الطفل وثقته بنفسه واعتزازه بشخصه وبالآخرين، كما أنه يكتسب بهذه العلاقات أفكارا جديدة، ويدرك قيمته وقيمة العالم من حوله، يقبل الربح كما يقبل الخسارة، يصاحب بروح رياضية، يتموقع داخل محيطه، وينمي ذكاءه الاجتماعي في وقت مبكر، إضافة إلى صفات كثيرة، مثل الصبر واللطف والمحبة والإيثار والثقة واحترام الآخر، وهذه الصفات تحتاج إلى دعم من الأسرة والمدرسة والمجتمع لبناء مجتمع متكافل متضامن تسوده الأخوة والمحبة والتضامن والتسامح والتعايش والاختلاف، بدل الصراع والكراهية والبغضاء والعنف.

د. ناجي عبد الله الخرس
باحث دراسات إسلامية

معالم أصول التربية (وصايا لقمان لابنه)

بر الوالدين

قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ (لقمان:١٤)، هذه الآية من جملة وصية لقمان لابنه، ولكن ظاهرها الاستئناف على وجه الخبر من الله.

وتوصية الولد بالوالدين تتكرر في القرآن والسنة، ولم ترد توصية الوالدين بالولد إلا قليلا، لأن الفطرة وحدها كفيلة بتوصية الوالدين!

والآية فرقت بين أمرين: البر والطاعة، فالبر مع الوالدين مطلوب على كل حال ولو كانا كافرين، ولكن الطاعة مقيدة بطاعة الله.

فمن العار والشنار والويل والثبور أن يفاجأ الوالدان بالتنكر للجميل، كأن يتطلعان للإحسان، ويؤملان الصلة بالمعروف، فإذا بهذا المخذول قد تناسى ضعفه وطفولته، وأعجب بشبابه وفتوته، وغره تعليمه وثقافته، وترفع بجاهه ومرتبته، يؤذيهما بالتأفف والتبرم، ويجاهرها بالسوء وفحش القول، ويقهرهما وينهرهما، بل ربما لطم بكف أو رفس برجل، وكأني بهما وقد تمنيا أن لو كانا عقيمين.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء:٢٣).

وقال ﷺ: «رغم أنفه رغم انفه رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة»، وهذه العبارة كناية عن الذل والصغار، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ﴾ (الأنعام:٥١).

مصاحبتهما في الدنيا معروفا إذا كانا مشركين، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَاۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ (لقمان:١٥).

فضائل بر الوالدين

١- بركة في العمر والرزق، «من سره أن يبسط له في الرزق، أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه».

٢- بر الأبناء بركة في العمر والرزق.

٣- دعاؤهم مستجاب.

٤- تكفير الذنوب، لأن رجلا أذنب ذنبا كبيرا، وتساءل إن كان له توبة، فقال له رسول الله ﷺ: «ألك والدان؟ قال: لا. قال: فلك خالة؟ قال: نعم. قال: فبرها إذن» (رواه الترمذي).

من آثار العقوق

١- العقوبة في الدنيا، «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي، والعقوق».

٢- لا تقبل أعماله، «ثلاث لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا: عاق، ومنان، ومكذب بالقدر».

٣- لا يدخل الجنة، «لا يدخل الجنة عاق، ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر» (رواه أحمد).

شروط بر الوالدين

١- أن يؤثر الولد رضا والديه على رضا نفسه وولده وزوجه والناس أجمعين.

٢- أن يطيعهما في كل أمر يأمران

به، سواء وافق رغبته أم لا، إلا في المعصية.

٣- أن يقدم لهما كل ما يلحظ أنهما يرغبانه من غير طلب مع الشعور بالتقصير.

البر بعد الموت

١- الصلاة عليهما.

٢- الاستغفار لهما.

٣- تنفيذ وصيتهما.

٤- صلة الرحم التي لا توصل إلا بهم.

٥- إكرام صديقهما.

فعن أسيد مالك بن ربيعة الساعدي قال: «بينما نحن جالسون عند رسول الله ﷺ إذا جاء رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» (رواه أبو داود والحاكم وقال: صحيح الإسناد).

فوائد مهمة

- طاعة الوالدين فرض عين.
- عند تزاحم الحقوق تقدم الأم، وقيل: يقدم الأب فيما يرجع إلى التعظيم والاحترام، ويترجح حق الأم فيما يرجع إلى الخدمة.
- ذكر محاسنهما بعد الموت.
- الأفضل يقدم الدين على الدفن، لأن المؤمن محبوس بدينه.

صور من بر الوالدين

روي عن بعض ولد زيد بن الحسين أنه كان لا يأكل مع أمه على مائدة، فلما قيل له في ذلك وعن السبب في ذلك، فقال: «أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها، فأكون عققتها».

قال رجل لعبدالله بن أبي بكر: ما تقول في وفاة الوالد؟ قال: «صدع في الفؤاد لا يجبر».

وبكى إياس بن معاوية بكاء شديدا حيث ماتت أمه، فقيل له في ذلك، فقال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة فأغلق أحدهما، وحق لعين بكاها.

صلة الأبوين الكافرين

والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المال إن كانا فقيرين، والدعاء إلى الإسلام برفق. وقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق للنبي عليه الصلاة والسلام وقد قدمت عليها خالتها -وقيل أمها من الرضاعة- فقالت: «يا رسول الله، إن أمي قدمت علي وهي راغبة، أفأصلها؟ قال: نعم».

فالاختلاف في العقيدة لا يقطع حق الوالدين في المعاملة الطيبة والصحبة الكريمة.

وصاحبهما في الدنيا معروفا، وإن حرصا كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما.

محمد أحمد قنديل
باحث في الفلسفة الإسلامية

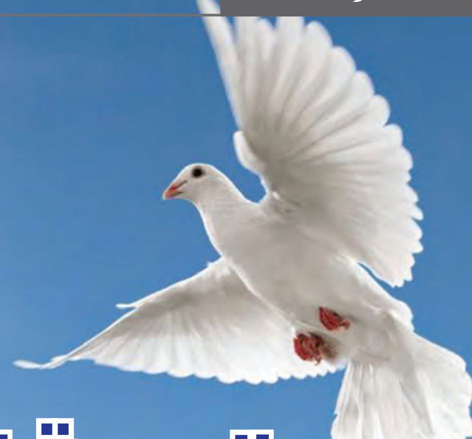

الحرية الفردية في الإسلام

ليس كل ما في العالم يصلح لنا، كما أن كثيرا مما لدينا لا نلزم به العالم، فنحن لا نلزم العالم أن يكون على ديننا، أو أن يكون نظام الأسرة عنده مثل نظامنا، أو مثل علاقتنا.
ولكن علينا أن نعرف أن كل عالم له قيم ومثل ومبادئ يحافظ عليها، بعض الناس عندنا يقولون إن هنالك شيئا يجب أن نقدسه وهو الحرية الفردية.

فنقول: إن الحرية الفردية على الإطلاق وبدون ضوابط، بهذا المعنى لا وجود لها، فلو دخلت إلى أوروبا لكنت مقيدا حينما تدخل، فتدخل وأنت تحترم القانون هناك، وتحترم رؤية المجتمع هناك، وتحترم تقاليد المجتمع هناك، فمن ذهب إلى أوروبا وأطلق لسانه لابد وأن يجد نفسه وراء القضبان.

نقول إن أوروبا لها تقاليد كما رأينا، لكن في بلادنا نحن فقط لنا الحرية - كما يريدها البعض - بالمعنى المطلق وبدون قيود، والذي يؤدي في النهاية إلى فوضى.

وليس معنى هذا انغلاق الأمة الإسلامية، بل هي منفتحة على كل القيم الفاضلة والجميلة والعادلة، مهما كان مصدرها، فقد شارك النبي ﷺ في حلف الفضول الجاهلي (١)، واستمر ثناءه عليه حتى بعد الإسلام في قوله: «أما لو دعيت إليه اليوم لأجبت» (٢) لكن هذا لا يعني استعدادها لتلقي ما عند الغير تلقيا أعمى يحرمها من حقها في تحليلها، وتتبع بصمتها.

عناية الإسلام بالحرية الفردية

الإسلام جاء باحترام الشخصية الإنسانية، والشخصية الإنسانية لا تكون إلا مع الحرية، حرية الإقامة وحرية الانتقال، وحرية التدين وحرية الفكر والرأي (٣).

والحرية شيء مما يدعو إليه الإسلام، فالإسلام هو دين تحرير الناس، فقد حررنا الإسلام من الأوهام، من عبادة غير الله، ومن الشرك، حررنا من كل الأشياء التي مازال الناس يخضعون لها، نحن تربينا في الإسلام على الحرية.

والدين كان دائما هو الأصل والمنشأ في الحرية، وعقيدة التوحيد فيه هي بالذات عقيدة التحرير من الخضوع لما سوى الله، والأنبياء هم المحررون الأوائل الذين أخرج الله بهم الناس من عبودية البشر وقوى الطبيعة والأوهام إلى فضاء الحرية والطلاقة، فكان موسى عليه السلام محررا بارزا انتشل شعبه من قهر فرعون وظلمه وغشمه ورفعه إلى مستوى الحرية والمسؤولية كما أمره ربه سبحانه، وهذا المراد هو الذي ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (القصص:٥).

والقناعات لا تفرض، والاستبداد بالرأي مذموم، قال تعالى حكاية عن استبداد فرعون بقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر:٢٩).

وكان محمد ﷺ محرر الناس الأكبر الذي فك عنهم قبضة الأسياد الأبديين، وثبت الأخوة الإيمانية، وقرن قيمة الإنسان بتقواه، وصلاحه وإيجابيته وقدرته على التحليق في سماء الفضيلة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣).

وفي المفهوم الإسلامي أن الإنسان

هو الذي بوسعه أن يقرر ويختار الخير من الشر والهداية من الضلال، والصعود من الانحدار والصلاح من الفساد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (الرعد:١١).

وأساس الحرية والاختيار مستبطن في فطرة الاستخلاف، ذلك أن الإنسان لما كان مسؤولا عن التقيد بأحكام المستخلف وهو الله سبحانه، فإن هذه المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى لا معنى لها إلا بالحرية والاختيار، وهذه الحرية والاختيار يمكن أن تفهم من جعل الإنسان خليفة لله تعالى الذي يتصف بالإرادة والاختيار، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المسؤولية التي تحملها الإنسان في آية (الأمانة): ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ (الأحزاب: ٧٢) وتلك الأمانة هي العقل، فإنه به يحصل تعلم كل ما في طوق البشر تعلمه، وفعل ما في طوقهم فعله من الجميل، وبه فضل الإنسان على كثير من الخلائق (٤)، وبناء عليه فالإنسان مفطور على إرادة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان:٣)، ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ (الكهف:٢٩).

المفهوم الإسلامي للحرية الفردية

لما كان الإنسان مختارا، انطلاقا من مبدأ الخلقة: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ (البلد:١٠)، فإنه لا يمكن الفصل بين الحرية والاختيار، بل إن الاختيار هو محور الحرية، إذ لا يمكن إطلاق وصف الحرية على إنسان ما، إذا لم يكن مختارا أصالة، وإلا انتفت الحرية، واعتبر القرآن الكريم الحرية أمرا مساويا للحياة ذاتها، ومن ثم جعل تحرير الرقبة كفارة للقتل الخطأ (٥).

وتفسير معنى الحرية: أنها كلمة أخذت من وصف الحر، فالحر والحرية متلاقيان في المؤدى، وإن كانت الحرية وصفا، والحر موصوفا، والحر حقا هو الشخص الذي تتجلى فيه المعاني الإنسانية العالية ويضبط نفسه، فلا ينطلق وراء أهوائه وشهواته، ولا يكون عبدا لها، فالحر يبتدئ بالسيادة على نفسه، وإطلاق إرادته وعقله من قيود شهوته (٦).

ومن أطلق العنان لأهوائه وشهواته، باسم الحرية، فهذا ينطبق عليه قول الحق تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا﴾ (الفرقان:٤٣).

وإنما حرية المؤمن مرتبطة بمرجعية الشرع، كما في الحديث: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» (٧).

إن الحرية قيمة إنسانية جميلة، لا يجوز أن تشخص في فعل يمثل في الإنسان ضعفا بشريا.

والإنسان الفرد مسؤول مسؤولية فردية في الإسلام، وهذا واضح كل الوضوح في القرآن الكريم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، ﴿كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾ (الطور:٢١).

ولكن عن أي حرية نتحدث، إذا كنا سنخل بتعاليم القرآن الكريم، فنحن مع القرآن الكريم طواعية واختيارا، نحن مسلمون، والقرآن هدايتنا ونورنا وفرقاننا، نحن نرجع إليه ونحاكم الأشياء إليه.

فمثلا الأسرة في بعض الدول الغربية تكاد تموت أو انتهت، فهي عندهم يمكن أن تتشكل من رجل وامرأة بلا عقد زواج، فمثل هذا النوع من الحرية لا يصلح لنا، لا يمكن أن نقبل بالزنا، فإن القرآن الكريم، وهو مرجعيتنا، لم يتهادن يوما ما مع الزنا، والبعض ممن ينادي بالحرية المغلوطة يقول: إن هذه حرية، ونحن نجيب أن الله حرم هذا في القرآن، فقال: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ﴾ (الإسراء:٣٢)، ونحن مسلمون ونتبع حكم الله.

تصحيح مفهوم الحرية الفردية عند الغرب

لا يوجد في أي ثقافة من الثقافات شيء اسمه الحرية بالمعنى السائد الذي يتحدث عنه الناس الآن، ويعتبرونه ميزة المجتمعات الغربية، باعتبارها لا تتدخل في حرية المعتقد، وفي حق الأفراد في فعل ما يحلو لهم بأنفسهم داخل المجتمع، هذا الكلام هو تغليط في فهم الثقافات الأخرى، نقول: إن الثقافات والحضارات الأخرى تنحاز في الوقت الحالي إلى المجتمع، ولا تعلي من شأن الفرد على حساب المجموع، بمعنى أنها تعطي السلطة العلوية للمجتمع، فالإنسان يبني بيته ولكن وفق منظور المجتمع وتخطيطه، فلا يجوز له أن يخالف في البناء أو في اللون الذي تختاره المدينة، فهو إذن محكوم برؤية المجتمع، وهكذا، فكل الممارسات تجدها محكومة بحرية

مجتمعية، والمجتمع هو الذي يقبل هذا أو يرفضه.

وفي المجالات الفكرية والتعبيرية، نلاحظ أن حرية التعبير في هذه المجتمعات ليست حرية فردية مطلقة، بل إنها مقيدة ومنضبطة.

وبعض الدول لا تسمح لأي كان بأن يسيء إلى علمها الوطني، لأنه بالنسبة إليها بمنزلة مقدس من المقدسات، وحينما يمزقه أو يطأه أحدهم بالأقدام، فإنه لا يمارس حريته، بل يكون في تلك اللحظة قد تغلغل في كيان المجتمع وأساء إلى الذهنية المجتمعية، ونحن لا نجد أبدا أن حرية بالمعنى الذي يريد أن يفرضه بعض الناس هي حق أساس للإنسان، لأنه حق يظلم أناسا آخرين، وهذه هي الحدود التي نتحدث عنها، أما ما يروج له البعض حول مفهوم الحريات الفردية وكونها مطلقة، مستدلين على ذلك بالمجتمعات الغربية، فهم إما لا يفهمون الثقافات الأخرى ولا يغوصون في أعماقها، وإما يعرفون ويغالطون ويريدون أن يدفعوا المجتمع إلى فوضى حقيقية سيدفع الجميع ثمنها.

لذلك نقول دائما: إنه لابد من اعتبار المجتمع، وهذا ما يدعو إليه الإسلام، فالإنسان إذا جاز أن يفطر لسبب شرعي سواء كان مسافرا أو مريضا يفعل ذلك شريطة احترام مشاعر الآخرين، كما لا يجوز له أن يسب آلهة المشركين، لأن القرآن نهاه عن ذلك، وكل هذه الأشياء هي جزء من الآداب الإسلامية.

إذن، الإسلام علم الناس أن يحسنوا التعايش، فمن نظر في طبيعة الإسلام جيدا تحقق صفاء سريرته من مقاصد تضرم في أحشاء أهله جمرة التعصب الباطل ضد ديانة أخرى، كما يزعم بعض من لم يسمعوا دعوته إلا من وراء حجاب (٨)، وهكذا عاش المسلمون مع الأغيار من غير المسلمين على أساس الاحترام المتبادل، لكن دعاة الحريات الفردية المطلقة يريدون الاستعلاء على المجتمع، وأن يجعلوا من أنفسهم شيئا أعلى من المجتمع، وهذا فكر خاطئ لا يقول به أحد في العالم.

تعبد لا استعباد

والإسلام إنما جاء لا ليضيق على الناس وعلى حرياتهم، بل ليكرمهم، وليرفع من مكانتهم، ليكونوا أناسا في مستوى مسمى عباد الله، وذلك حينما يضبط الحياة بتشريعاته.

وإن الإخفاق كان بسبب بناء الحرية على أساس عقائد دنيوية، فكانت الحريات بمختلف صيغها منقوصة فبدلت عبوديات بأخرى، عبودية للسوق أو القانون أو الرأي العام أو الحزب أو القائد... في حين أن الحرية في الإسلام تقتضي التعبد للحق وعدم العبودية للخلق، وسبيلها

تزكية النفس بالعمل الصالح، الذي بسببه يتخلص العبد من العبودية للخلق، والطريق الوحيد إلى تخليص الإنسان من كل أشكال الاستعباد هو الاجتهاد في التعبد لله.

وكلما زاد الإخلاص في التعبد لله يكون الطريق الأنجع للانعتاق من مظاهر الاستعباد الظاهرة والباطنة، إذ الإنسان الحر هو من تعلق بالإرادة الإلهية ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام:١٦٢- ١٦٣).

والتعبد لله نوعان: التعبد الاضطراري وهو أن كل المخلوقات تعبد الله لموجب قوانين وأسباب تخضع بها لسلطان الله القاهر، سواء وعت بذلك أم لا تعي، وسواء سلمت بذلك أم لم تسلم، ﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:٤٠)، وتعبد اختياري، وهو من كرمه الله من خلقه، بأن خيره في طاعته ابتلاء له، فإن شاء امتثل وإن شاء امتنع، فضلا عن كونه يتعبد له اضطرارا.

ويقول الراغب الأصفهاني: «فالإنسان يحصل له من الإنسانية بقدر ما يحصل له من العبادة التي لأجلها خلق، فمن قام بالعبادة حق القيام، فقد استكمل الإنسانية، ومن رفضها فقد انسلخ عن الإنسانية، فصار حيوانا أو دون الحيوان» (٩).

ويقول ابن خلدون: «إذا فسد الإنسان في قدرته على أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة» (١٠).

فمكانة الإنسان هي مكانة الخليفة- وهي وسط بين ادعاء السيادة في الكون، وصورة المجبر المجرد من أي سلطان- فهو سيد في الكون، لا سيد الكون.

والإسلام تميز بأنه حدد حدودا لدور الفرد في الكون في إطار واسع وشامل هو الاستخلاف، ولكننا نجد أن الفلسفات المادية في أحد أقطابها لغت وجود الفرد وهي الشيوعية، والقطب الآخر جعل الإنسان سيد الكون، وبالتالي ألغت المجموع وهي الرأسمالية، أما الإسلام فقد تميز بأنه جعل الإنسان سيدا في الكون، وكل ما في الكون مسخر لخدمته، وهو مستخلف ووكيل، وحريته محدودة بالاستخلاف، وهو بعبارة الإمام محمد عبده: «عبد لله وحده، وسيد لكل شيء بعده» (١١).

أما الاستعلاء والارتفاع على المجتمع فهذه نبرة يجب أن تواجه بوعي، ونقول: إن القرآن جمع كل ما يصلح للإنسان، وإن من ترك شيئا من أحكام الإسلام وجد أثره في الحياة بالسلب.

معايير الغرب المزدوجة للحرية

في جميع هذه الحالات، لا تكون دعوى ممارسة الحرية الفردية مبررا كافيا للخروج عن سلطة المجتمع واختياراته، وبهذا يتبين نفاق المنظمات والجمعيات التي تمضي في نسق احترام النظام العام والذوق المجتمعي في بلادها، لكنها تدعم محاولات الانتفاض على المجتمع في دول أخرى (١٢).

وحينما نحاول معرفة مقدار المساحة التي تمارس عليها الحرية الفردية في نفس المجتمعات التي تسوق الحرية الفردية، وتقايض عليها، وتتخذها مبررا لخلخلة قيم مجتمعات رخوة مصابة بسهولة الاستهواء، فإننا نلاحظ أن تلك المساحة تضيق تدريجيا.

وإن الذي يعنينا من كل هذا أن هذه محطة يجب علينا كمسلمين جميعا أن نقف عندها، فالشعوب الإسلامية تطالب اليوم مفكريها ومثقفيها، وكتابها وشعراءها أن ينحازوا لأمتهم، فالعديد منهم أساؤوا الى الإسلام باسم الحرية قبل أن يسيء إليه الغرب، وهاهم اليوم يقفون مبهورين عندما يتعامل الغرب مع مسألة حرية الرأي وحرية التعبير وحرية الصحافة بمكيالين، لقد حان الوقت لكتابنا وفنانينا وشعرائنا أن ينتجوا ويبدعوا لنا تحفا تبين قيمة الإسلام الحقيقي، وتاريخ الإسلام، وسيرة الرسول الكريم وصحابته، بدلا من أن يسيؤوا هم أنفسهم إلى الإسلام.

الهوامش

١- أخرجه أحمد (١٩٣/١)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم: (٥٦٧)، والحاكم (٢١٩/٢-٢٢٠).
٢- الفاكهي، أخبار مكة (٣ /٢٧٦).
٣- محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، (ص ٢٥٧).
٤- الألوسي، روح المعاني، (٧ / ٢٤٩).
٥- محمد عبدالله دراز، نخبة الأزهار وروضة الأفكار، (ص ٥٠) وما بعدها.
٦- محمد أبو زهرة، المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، (ص ٢٥٨).
٧- ابن أبي عاصم، السنة، (١٢/١).
٨- محمد الخضر حسين، الحرية في الإسلام، (ص ٦٦).
٩- الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، (ص ٦٩).
١٠- ابن خلدون، المقدمة (ص ٣٧٤).
١١- محمد عمارة، الخلافة والاستخلاف، مجلة التبيان، عدد (٥٤) عام (٢٠٠٩ م)، تفسير المنار (٢٥٤/١) وما بعدها مع التصرف.
١٢- مصطفى بن حمزة، مقال بين الحرية الفردية والتحرش بالدين، مجلة الفرقان المغربية، العدد (٧٠).

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٢)

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة الشهاب

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الشهاب» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

هي جريدة جزائرية دينية إصلاحية تصدر بالغة العربية كل أسبوع، تبحث في كل ما يرقي المسلم الجزائري، أنشأها العلامة عبد الحميد بن باديس سنة (١٣٤٣هـ ـ ١٩٢٤م)، وبعد أن صدر منها (١٧٨) عددا خلال أربع سنوات، أي منذ تأسيسها حتى عام (١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٨م)؛ حولت إلى مجلة شهرية، واستمرت في الصدور كل شهر حتى سنة (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م).

مؤسسها

هو الإمام المصلح المجدد الشيخ عبدالحميد بن محمد بن المصطفى بن المكي بن باديس القسنطيني الجزائري، رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، ورائد النهضة الفكرية والإصلاحية والقدوة الروحية لحرب التحرير الجزائرية.

ولد في مدينة «قسنطينة» -شرق الجزائر- عام (١٣٠٨هـ - ١٨٨٩م)، في أسرة ذات علم وجاه، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى العلم على يد علماء مدينته قسنطينة، ثم رحل إلى تونس سنة (١٩٠٨م)، والتحق بجامعة الزيتونة حيث تلقى العلم على يد ثلة مجموعة من العلماء.

وبعد مضي سنوات رحل إلى مكة حاجا، فزار مصر والتقى بالعديد من علمائها، ثم عاد الشيخ بعدها إلى الجزائر وهو يحمل في جعبته مشروعا إصلاحيا كبيرا، فشارك الشيخ في جريدة «النجاح» التي صدرت سنة (١٩١٩م)، فكان الشيخ من مؤسسيها وكتابها، ثم أنشأ جريدة «المنتقد» التي أغلقتها السلطات الفرنسية بعد أن صدر منها (١٨) عددا فقط، بسبب تبنيها فكرا ثوريا يستفز الاحتلال، ويثير حفيظته، فاستفاد الشيخ من هذا الدرس، وقام بإنشاء جريدة أخرى سماها: «الشهاب» معتمدا في ذلك على خبراته السابقة من مجلة «المنتقد»، فصدر أول عدد منها يوم الخميس (٢٥) ربيع الثاني سنة (١٣٤٤هـ) الموافق لـ (١٢) نوفمبر سنة (١٩٢٥م)، واستمرت في الصدور حتى سنة (١٣٥٨هـ) الموافق لـ (١٩٣٩م)، حيث قررت السلطات الفرنسية إغلاقها بسبب الحرب العالمية الثانية.

وفي يوم (١٦) أبريل سنة (١٩٤٠م) توفي الشيخ رحمه الله تعالى فتقرر إغلاقها نهائيا، فقد كانت مجلة فكرية، أدبية، إصلاحية، وطنية، سياسية، أنشأت بيئة ثقافية واسعة في الجزائر، لا يستغني عنها قراء العربية في تلك السنين، كما كانت المجلة تعبيرا وافيا عن مظاهر النهضة الأدبية، وأداة لنشر لغة عربية متينة بينة في أوساط واسعة من الطلبة والقراء في الجزائر وغيرها.

وبهذا ينتهي مشوار الشيخ الحافل بالعطاء والجهاد والدعوة إلى سبيل الله في فترة لم تكن باستطاعة أي إنسان أن يقوم بما قام به الشيخ عبد الحميد بن باديس، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

قال عنه أخوه الأديب الشاعر الجزائري «محمد العيد آل خليفة»:

بمثلك تعتز البلاد وتفخر
وتزهر بالعلم المنير وتزخر
طبعت على العلم النفوس نواشئا
بمخبر صدق لا يدانيه مخبر

أعمال الشيخ يرحمه الله

للشيخ عدة مؤلفات منها: العقائد الإسلامية، ومبادئ الأصول، وآثار ابن باديس،

وتفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير.

كما أسس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر.

محتواها

ومن خلال استقراء مواد مجلة «الشهاب»؛ نستطيع أن نحدد أهم الأساليب الإصلاحية التي سارت عليها المجلة وهي:

- تصحيح عقائد الناس وأعمالهم ونشر الفكر الإسلامي وفق الكتاب والسنة.
- الاهتمام بالتعليم.
- الاهتمام بالغة العربية والمحافظة عليها.
- الحفاظ على الهوية والوطنية ومقوماتها ومحاربة كل ما من شأنه أن يطمسها.

ومن المواضيع التي كانت تنشر في المجلة ما يلي:

- «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، وحديث البشير النذير»: وهو من تحرير الشيخ عبد الحميد، وهو في الغالب افتتاحيات للمجلة، يتناول فيها شرح آيات وأحاديث نبوية على طريقة الشيخ رشيد رضا في المنار.
- «في المجتمع الجزائري»: تعرض في لقضايا خاصة في المجتمع الجزائري.
- «رسائل ومقالات»: ينشر تحت هذا العنوان مختلف الرسائل التي ترد على المجلة.
- «نظرة في السياسة العالمية»: وهو يحتوي على مواضيع سياسية عن الشمال الإفريقي والشرق والغرب.
- «المباحثات والمناظرات»: وتحت هذا العنوان نجد المواضيع المختلفة في المسائل الفقهية أو القضايا اللغوية....
- «مجتنيات من الكتب والصحف»: وفيه تنشر مقالات وأحاديث لأبرز الكتاب والأدباء والمصلحين في البلاد العربية والإسلامية مثل: محمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، ومحب الدين الخطيب، ومصطفى صادق الرفاعي وغيرهم....
- «قصة الشهر وأخبار وفوائد»: حيث يحتوي على قصة وأخبار مختلفة وفوائد متنوعة.

نسخة مجلة الوعي

وللحفاظ على هذا الإرث التاريخي والثقافي جمعت أعداد مجلة الشهاب في مجلدات بلغت (١٦) مجلدا، ولله الحمد تتزين رفوف مكتبة مجلة الوعي بنسخة كاملة من هذا الإرث الثقافي، وهي متاحة لقرائها الكرام.

المصادر

مجلة الشهاب.
الأعلام للزركلي.
موقع الألوكة.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

د. عمرو عبدالكريم سعداوي
دكتوراه في الفكر الإسلامي

الرؤية التعددية الحضارية في العالم الإسلامي

تعني التعددية فيما تعني التسليم بالتنوع والاختلاف سواء في الخلق أو الخلقة، وسواء في الأصول الثقافية أو في المنجز الحضاري.

والفكرة الجوهرية لموضوعة التعددية الحضارية هي أن التعددية في الخلق والحضارات والأفكار والتصورات هي المقابل الموضوعي لفكرة وحدانية الخالق، فالله سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد، تعالى عن المثيل والشبيه والولد.

إن الرؤية الإسلامية قصرت «الوحدة»، التي لا تركيب فيها ولا تعدد لها على الذات الإلهية وحدها، دون سائر المخلوقات والمحدثات والموجودات، وقامت كل ميادين الخلق المادية والإنسانية، الحضارية والفكرية على التعدد والتزاوج والتركيب، وعلى التباين والاختلاف واعتباره اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.

وبهذا الموقف الثابت أو ما يمكن أن نطلق عليه «الثابت الاعتقادي» تكون الرؤية الإسلامية قد جعلت من التعددية في كل ظواهر الوجود المخلوقة، سواء في مكونات الكون المادية أو تنوعات الاجتماع الإنساني أو شؤون العمران «سنة» من سنن الله القدرية والشرعية، «سنة» في الخلق والموجودات جميعا، و«آية» من آيات الله الكونية التي لا تبديل لها ولا تحويل فيها كما يقول سبحانه: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (فاطر: ٤٣).

ومن ثم فالتعددية في الإسلام أصل من الأصول، في سائر مجالات الحياة، ومكونات الوجود، وأشكال الاجتماع وليس في الإسلام واحدية إلا له سبحانه، تفرد بالوحدانية، وأمرنا بالتوحيد، ووسم عالم المخلوقين جميعا بالتعدد والتعددية، حيث تتميز عوالم «الخلق» المتعددة عن ذات «الحق» الواحدة.

فتعدد أصول النوع الإنساني في إطار أصل جامع من أصول الوحدة هو من حقائق الإبداع الرباني ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام:٩٩).

وتعدد أنواع الموجودات دليل على العظمة الإلهية حيث يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾ (فاطر:٢٧- ٢٨).

وتعددية النوع الإنساني واختلاف عناصر انتمائه أصلا وعرقا وجنسا، من دلائل الإعجاز فيقول الله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ (الروم:٢٢)، أو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات:١٣).

وعالم الأفكار كعالم الخلْق، كلاهما قام على التعددية: سنّة وقانونا عاما لا تبديل لها ولا تحويل، حيث اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون

الاختلاف بين البشر سنّة من سننه الكونية، بل إن هذا الاختلاف بين الناس بلغ برأي بعض المفسرين إن اعتبروه حكمة الخلق «فقالوا: وللاختلاف خلقهم الله سبحانه وتعالى»، وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) (١).

ونشأ عن هذا الاختلاف في أصل الخلقة وانقسام الخلق إلى أمم وطوائف اختلاف الحضارات والأقوام والبلدان، فكانت التعددية الحضارية داخل عالم الإسلام تعددية مؤسسة على التميز والخصوصية، حيث كان الإطار التوحيدي الحاكم يمثل السلك الناظم لكل المكونات: الأقوام والأجناس والطوائف داخل واحدية الحضارة الإسلامية، ومن ثم فقد أطلقت ملكات الناس للإبداع والتميز ففي حين احتفظوا بهوياتهم الأصلية شكل الإسلام لهم إطارا جامعا للوحدة، ومعيارا للانتماء.

القبول بالتنوع

وعلى مدار تاريخ الأمة الطويل كانت تعددية اللغات والأعراق والأقوام أمرا مقرا ومعترفا به ومحترما داخل الحضارة الإسلامية ما دام داخل الإطار العام الجامع لوحدة الأمة.

وكانت قضية القبول بالاختلاف والتنوع من مسلمّات السياسة النبوية حيث بدأ بعد الهجرة النبوة مباشرة في تشييد معالم الحضارة الإسلامية بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء المسجد، وإنشاء السوق.

وثيقة المدينة

ثم كانت خطوة تشييد معالم الكيان الموحد داخل المدينة فكانت صحيفة المدينة أو دستور المدينة كأول وثيقة تأسيسية لضبط العلاقات بين المكونات الاجتماعية والدينية وتحديد الواجبات والالتزامات والحقوق لكل مكون وطائفة وفئة: «المؤمنون والمسلمون، من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس»، «وأن يهود أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم»؛ «وأن يهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. وأن على يهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم»؛ «وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله» (٢).

وفي هذا الإطار نجد أن وثيقة المدينة مثلت دستورا وعقدا اجتماعيا قام على زعامة الرسول وقعدت للتعددية الدينية من حيث إنها واقع موجود والاعتراف بالآخر والعيش المشترك.

يقول آدم متز المستشرق الألماني في كتابه القيم «الحضارة الإسلامية»: «إن أكبر فرق بين الإمبراطورية الإسلامية وبين أوروبا، التي كانت كلها على المسيحية في العصور الوسطى، وجود عدد هائل من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين، وأولئك هم -أهل الذمة- الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلا بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحدة سياسية. وقد ظلت كنائس اليهود والنصارى وأديرتهم أجزاء غريبة، واستند أهل الذمة إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود، وما منحوه من حقوق، فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين، وقد حرص اليهود والنصارى على أن تظل دار الإسلام غير تامة التكوين، حتى إن المسلمين ظلوا دائما يشعرون أنهم أجانب منتصرون، لا أهل وطن، وحتى إن الفكرة الإقطاعية لم تمت، بل كان وجود النصارى بين المسلمين سببا لظهور مبادئ التسامح عند المسيحيين، التي ينادي بها المصلحون المحدثون، وكانت الحاجة إلى المعيشة المشتركة، وما ينبغي أن يكون من وفاق؛ مما أوجد أول الأمر نوعا من التسامح، الذي لم يكن معروفا في أوروبا بالعصور الوسطى، ومظهر هذا التسامح نشوء علم مقارنة الأديان، أي دراسة الملل والنحل على اختلافها، والإقبال على هذا العلم بشغف عظيم» (٣).

الهوامش

(القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج ٩/ ص١١٥).

(مجموعة الوثاق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص ٥- ٢٠).

(الحضارة الإسلامية: ١/ ٧٥).

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

دار الحديث القلانسية

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.
ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

وكانت أول مدرسة أنشأت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها وسطع عندما تولى الملك الصالح الناصر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام.
ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية والرعاية؛ ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات ومنح كثيرة.
ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها.
ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟
ديار لسلمى عافيات بذي خال
ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، فمنها:

دار الحديث القلانسية

مكانها ووصفها

تقع في صالحية دمشق، على سفح جبل قاسيون، شرقي جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي، غربي الشيخة المدرسة العمرية دار آل قدامة، وشمال جامع الأتابكي ابن مبارك، وكانت تعرف بـ: (الخانقاه)، أما اليوم فتعرف بـ: (جامع التكريتي)، وتقع على حافة نهر يزيد، أو كان هو يجري في وسطها- على خلاف بين المؤرخين لها -، وكان بها رباط ومئذنة، وكان ينزل إليها من درج، قال ابن طولون:
«وهي موضع حسن يشتمل على مصلى بثلاثة شبابيك، أوسطها كبير جدا، مطلة على النهر المذكور ويدخل إليه من باب غربيه، ويسلك إليه على جسر النهر، ولضيق هذا الباب يصعد منه إلى مئذنة، ولها باب آخر من القبلة بالزقاق شمالي باب بيت ابن عبادة، وشمالي هذه الشبابيك ساحة مبلطة بمزي ومعذري على حافة النهر ينتفع بها الناس كثيرا، يتوصل إليها وإلى الجسر المذكور في سلم حجر طويل، بأعلاه فسحة بها الباب الخارج لهذه الدار، وشمالي هذه الفسحة سلم آخر يهبط منه إلى بيت الخلاء، وهو وإن كان فوق النهر لكنه بماء كثير، وبينه وبين تلك الساحة المبلطة بالمعزي والمعذري جنينة بشرقيها طريق يتوصل من كل منهما إلى الآخر أسفل السلمين، وشمالي هذه الدار رباط للنساء، كان قبل الفتنة الدوادارية عامرا ثم تعطل».
هذا وصفها في القرن العاشر الهجري، أما في أوائل القرن الرابع عشر فقد

جرى عليها تجديد وتغيرت ملامحها وصفاتها، كما ذكر ذلك ابن بدران في منادمته بقوله: «فتشت عنها أثناء كتابتي هذه الأسطر، وذهبت إلى الصالحية، فدللت على مكانها، فرأيت جيرانها قد اختلسوا أكثرها، وبقي منها بقية من جهة نهر يزيد، وتلك البقية كانت سابقا خربة ترمى بها الزبالة، فهيأ الله لها الشيخ: إسماعيل بن علي التكريتي الصالحي، فعمر تلك الخربة وجعل لها مسجدا لطيفا، وعمر الدرج الذي ينزل منه إليها، ثم إلى نهر يزيد بالحجر، فكان النهر تحت مسجدها ينزل إليه المصلون من طرف المسجد من الشرق، فيتوضؤون منه، وجعل لها صحنا لطيفا، وبجانبه مطبخ، وعمر بالعلو من الجانب الغربي والشمالي ثماني غرف، وأعدها لسكنى الفقراء الذين لا مأوى لهم، وجدد بابها وكتب فوق أسكفته:

مدرسة ذي عمرت
من بعد ما قد دثرت
أنعم بإسماعيل من
شيدها فظهرت
ابن علي التكريتي من
يؤجر ما قد بقيت
شاد لأن يبقى له
أجر مدى أن نفعت
أعطاه ربي أرخوا
أجرا ببره ثبت
دعى فأرخ الذي
حبى بجنة علت

فتاريخ بنائها سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف فجزى الله مجددها».

وقد استغرق تعميرها سنة كاملة، ابتدأت في محرم سنة (١٣١٥هـ)، وانتهى العمل عليها في ربيع الأول سنة (١٣١٦هـ)، وظل ينفق عليها إلى أن توفي رحمه الله.

واقفها

الصاحب عز الدين أبو المعالي أسعد ابن عز الدين غالب بن المظفر بن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن العضيد أبي يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي الشهير بابن القلانسي، أحد رؤساء دمشق الكبار، ولد سنة تسع وأربعين وست مئة، وسمع الحديث من جماعة وأسمعه.

قال ابن كثير: سمعنا عليه وله رياسة باذخة، وأصالة كبيرة، وأملاك هائلة كافية لما يحتاج إليه من أمور الدنيا، ولم تزل صناعة الوظائف معه إلى أن ألزم بوكالة بيت السلطان ثم بالوزارة في سنة ست عشرة وست مئة، ثم عزل وقد صودر في بعض الأحيان، وكانت له مكارم على الخواص والكبار، وله حسنات على الفقراء وعلى المحتاجين، ولم يزل وجيها معظما عند أرباب الدولة من الملوك والنواب والأمراء وغيرهم إلى أن توفي ببستانه سنة تسع وعشرين وسبع مئة عن ثمانين سنة، ودفن بتربته بسفح قاسيون.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمته: «كان محتشما معظما متنغما، عمل الوزارة وغيرها، وروى عن البرهان وابن عبدالدائم».

رحمه الله تعالى وغفر له.

شيوخها

قال النعيمي: «لم أقف على أحد ممن ولي مشيختها».

من أسمع الحديث فيها

١-أبو بكر بن محمد بن الرضي عبدالرحمن بن محمد بن عبدالجبار الصالحي القطان (٧٣٨هـ).

٢-الإمام يوسف بن الشيخ المقرئ زكي الدين عبدالرحمن بن يوسف المزي (٧٤٢هـ).

٣-مسندة الدنيا، أم عبدالله، الشيخة زينب بنت الكمال أحمد بن عبدالرحيم ابن عبد الواحد المقدسية الصالحية (٧٤٠هـ).

٤-عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن نصر الصالحي البزوري أبو محمد المعروف بـ: ابن قيم الضيائية (٧٦١هـ).

-وأذن فيها الشيخ: محمد بن أبي بكر ابن عبدالله بن جلال الدين الأسعردي الدمشقي الصالحي النشار ويعرف بابن الخياطة، وانقطع فيها إلى أن توفي (٧٦٦هـ).

ومما سمع فيها من الكتب والأجزاء:

١- كتاب الأربعين لابن المقرئ سنة (٧٣٢هـ).

٢- جزء فيه أمالي طراد الزينبي سنة (٧٣٤هـ).

٣- ستة مجالس من أمالي ابن البختري سنة (٧٢٣هـ).

٤- جزء فيه أحاديث منتخبة من أجزاء أحمد الخوجاتي سنة (٧٢٣هـ).

٥- مسند سعد بن أبي وقاص، لأحمد بن إبراهيم الدورقي سنة (٧٢٣هـ).

٦- جزء فيه من حديث الرافقي عن شيوخه سنة (٧٢٥هـ).

وغيرها الكثير، وخاصة أن الشيخة أم عبدالله مسندة الدنيا في وقتها كانت تسمع الحديث في هذه الدار.

خاتمة

وبعد هذه الإطلالة العابرة على دار الحديث القلانسية العريقة في صالحية دمشق الشام، والتي لم تكن وحيدة عصرها، بل كانت لها أخوات سبقتها، وأخرى أتت بعدها؛ تعرف ما كان عليه أهل ذلك العصر الفريد من العناية بالعلم، والعلماء، والدور، والمدارس، وما كانوا عليه من الاهتمام بالمدرس والدارس، والذي يرجع فيه الفضل بعد الله تعالى، إلى أناس أيقنوا أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض، ولا أن تتحرر، ولا أن تقود نفسها وغيرها من الأمم، إلا إذا اتخذت من العلم بجميع أنواعه وشتى مجالاته قائدا لها، وإلا إذا أولته كل اهتمامها، ففتح قلوب، وعقول العباد مقدم على فتح البلاد، والمهاد، فالاستنارة بنور الشرع هي الأصل والأساس، الذي يتفرع عنه فتح البلاد، وهداية العباد، فكانوا من رواد النهضة العلمية، الذين أعطوا العلم طابعا، ومنهجا لم يكن معروفا ولا مشتهرا من قبل، فرحم الله الجميع، وأعاد إلى تلك الدور، والمدارس، ومدنها، والمحابس، سالف عصرها الزاهر.

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

ابن ماجه

يعتقد كثير من الباحثين أن «ماجه» في اسم الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد الربعي بن ماجه القزويني (٢٠٩-٢٧٣هـ) بالتاء (ماجة).

ويرجعون هذا إلى ورود هذا الاسم في كثير من المعاجم في مادة: «موج»، ويعتقدون أن هذا الاسم مشتق من الموج.

ففي لسان العرب «مادة موج»: الموج: ما ارتفع من الماء فوق الماء، والفعل ماج الموج، والجمع أمواج... وماج الناس: دخل بعضهم في بعض.

وفي المعجم العربي الأساسي «مادة موج»: ماجة، ابن، محمد بن يزيد القزويني أبوعبد الله (ت ٢٧٣هـ / ٨٧٦م).

غير أنني أرجح أن اسم الإمام الحافظ ابن ماجه بالهاء وليس بالتاء؛ حيث ورد الاسم مضبوطا بالهاء في كتب الحديث، فضلا عن وروده مضبوطا بالهاء في القاموس المحيط (ص ٢٦٣)، يقول الفيروزآبادي: ماجه: لقب والد محمد ابن يزيد القزويني صاحب السنن، لا جده.

في الوقت الذي أرجح فيه أن هذا الاسم من الأعلام المنقولة؛ فابن ماجه من قزوين؛ ويؤكد هذا عدم ورود هذا الاسم في معجم أسماء العرب.

معجم أسماء العرب: (موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب)، الطبعة الثانية جامعة السلطان قابوس، سنة ١٤١١هـ.

د. محمد بلاسي

من أسباب النزاعات الزوجية

في مقدمة أسباب النزاعات الزوجية سلاطة لسان أحد الزوجين أو سلاطة لسانيهما معا.. وتأكد هذا لدي بعد استقبالي آلاف حالات الاستشارات الزوجية بحكم عملي مستشارا أسريا طوال السنين العشرين الماضية، ولهذا كان من أهم ما أوصي به الزوجين التوقف عن قول أي كلمة قاسية أو نابية أو جارحة، والحرص على تبادل ثلاث كلمات طيبات في اليوم على الأقل، مع متابعتهما طوال شهر على الأقل للتأكد من التزامهما معا بهذا.

ولقد تحقق توافق عجيب بين الأزواج الذين تبادلوا الكلام الطيب وامتنعوا عن الكلام غير الطيب، بينما استمرت النزاعات واشتدت بين الأزواج الذين استمروا في تراشق الألفاظ النابية والجارحة.

وكنت أسأل الأزواج الذين لم يعملوا بما أوصيتهم به عن سبب ذلك، فقال بعضهم: لم نترب على قول هذا الكلام، وقال آخرون: الكلام الطيب يظهرنا ضعفاء ونحن لا نحب ذلك، وقال سواهم: لا نستطيع أن نكذب فنقول كلاما طيبا لا يعبر عن الضيق الذي في صدورنا، وبرر سواهم عدم التزامهم بأن الطرف الآخر لم يساعده على ذلك باستفزازه المستمر.

أضع هذه القضية أمامكم إخوتي القراء والقارئات لبحثها ومناقشتها واقتراح السبل والوسائل التي تجعل الزوجين معا يحافظان على تبادل الكلام الطيب والتوقف تماما عن تبادل الكلام الجارح والمؤذي والنابي، بعد أن ازدادت حالات الطلاق وارتفعت نسبها، مع بيان ما يمكن للمسؤولين أن يقوموا به من أجل الحفاظ على استقرار الأسر من تنظيم دورات ومحاضرات وإعداد برامج وتقديمها وسوى ذلك، بعد أن أكدت الدراسات الآثار السلبية الكثيرة لاستمرار تلك النزاعات على الأطفال والإنتاج والاقتصاد.

• د. محمد رشيد العويد

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

مؤتمر.. يا سعد من تبناه!

خرج المؤتمر السنوي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة بمجموعة توصيات يمكن لجميع الدول الإسلامية تبنيها وتطبيقها على أرض الواقع، وعلى سبيل المثال:

- الإسلام دين يكفل حرية الاعتقاد كونها واقعا موجودا، وهو يقبل التنوع كما يحرم الاعتداء على الدماء والأعراض والأموال إلا ردا لعدوان ظاهر على الدولة ووفقا لما يقرره رئيسها والجهات المختصة فيها، فهذا حق للدولة وليس حقا للأفراد أو الجماعات.
- الإسلام يحترم العقل ويشبع الوجدان ويعانق بين الدنيا والآخرة وكل تصرف على غير ذلك مجاف لصحيح الإسلام.
- لا يصح أن يحتج على الإسلام بتصرفات بعض المنتسبين إليه، وإنه على جميع أتباع الديانات النظر للأديان الأخرى بمعيار موضوعي واحد دون تحميلها أخطاء أتباعها.
- إنكار طرد الناس من أوطانهم وسبي نسائهم بسبب اختلاف دينهم.
- تحريم ازدراء الأديان لما فيه من اعتداء على معتقد أتباعها ولما فيه من تكدير للسلم العام وما يترتب عليه من عنف.
- الإرهاب هو الجريمة المنظمة التي يتواطأ فيها مجموعة من الخارجين عن الدين والمجتمع وينتج عنها سفك دماء أو تدمير منشآت أو الاعتداء على ممتلكات.
- الخلافة هي وصف لحالة حكم سياسي متغير يمكن أن يقوم مقامها أي مسمى يحقق مصالح البلاد والعباد.

● **عبد الرحمن هاشم**

التعليم في عصر التحديات!

يمثل التعليم أحد العوامل الرئيسية التي تسهم في عملية التنمية بوجه عام، وخاصة تنمية الموارد البشرية، ويجمع الكثيرون على أن التعليم هو أفضل أشكال الاستثمارات في العنصر البشري؛ لما يحققه من مزايا عديدة اقتصادية واجتماعية وسياسية، وبمقدار ما تملك الأمة من علم ومعرفة وتحسن استخدامهما تتحدد المكانة التي تنشدها.

وفي هذا الإطار علينا أن نعترف بأن التعليم في الوطن العربي يعاني العديد من المشكلات، في مقدمتها التطورات العلمية المتسارعة والمتلاحقة، وعدم قدرة الثقافة المجتمعية على استيعابها، كما أن البنية التعليمية لم تعد -بوضعها الراهن- قادرة على مواجهة متطلبات عصر التحديات.

ورغم الإنجازات التي تحققت في مجال التوسع الكمي في التعليم في الدول العربية، إلا أن الوضع العام للتعليم ما زال متواضعا مقارنة بإنجازات دول أخرى؛ فالفلسفة التربوية العربية قائمة على التلقين وتضخيم المادة التعليمية على حساب مهارات التفكير الأساسية.

والتعليم السائد في مدارسنا العربية، إما تلقيني أو تقليدي يصنع عقولا راكدة، والقاسم المشترك بين هذين النوعين هو غياب السؤال النقدي في هذه المناهج حول (لماذا؟ وكيف؟).

ورغم تعاظم تكلفة التعليم فإن مردودها الاجتماعي لا يتناسب مع التكلفة، ويتمثل ذلك في ضعف أداء الخريجين، فالتعليم الناجح هو الذي يعزز ربط التنمية بالمجتمع وإقامته على أسس عصرية متطورة تشجع التفكير والإبداع.

وتأسيسا على ما سبق تأتي الأهمية البالغة التي ينطوي عليها موضوع التعليم في واقعه الراهن، وفي مستقبله القريب من عدة اعتبارات نوجزها في الآتي:

- إن التعليم يحتل المرتبة الأولى في سلم الاهتمامات العامة؛ لارتباطه بالتنمية ارتباطا عضويا يؤثر تأثيرا قويا في حياة المجتمع سلبا وإيجابا.
- إن معالجة مشكلات التعليم - وهي كثيرة ومعقدة وبعضها متوارث منذ عقود- هي المدخل الرئيسي لتصحيح الأوضاع العامة وتقويم المسار، إذ لا إصلاح إلا بإصلاح التعليم ولا تنمية حقيقية إلا بتطوير التعليم على نحو شامل.
- يشكو البحث العلمي في البلدان العربية من ضعف في مجالات البحث الأساسية، وشبه غياب في العلوم المتقدمة والحديثة، وانخفاض المخصصات المالية، وعدم توافر البيئة المواتية لتنمية العلم وتشجيعه. أما الإنتاج العلمي في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية فنجد أن حرية التعبير الفكري محدودة، وتتدخل فيها التوجهات السياسية بشكل مباشر أو غير مباشر.

التعليم إذا قضية مصير يتوقف على معالجتها وإيجاد الحلول العلمية لها، إصلاح أوضاع الأمة، فلا مستقبل لهذه الأمة، ما لم يرتق التعليم ويتطور بحيث يواكب متغيرات العصر في جميع الحقول المختلفة.

● **د. محمد إبراهيم شبير**

الهوية والانتماء

تعد قضية الهوية من القضايا المهمة، خاصة في فترة أعتقد أنها الأعقد في تاريخ بلادنا العربية. وجاء في تعريف الهوية كما طرحته موسوعة ويكيبيديا أنها: «مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات (كالهوية الوطنية أو الهوية الثقافية)». والهوية في تعريف آخر: «هي مجمل السمات التي تميز شيئا عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها. كل منها يحمل عدة عناصر في هويته. وعناصر الهوية هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى». ومن هنا وفي محاولة لتغليب عنصر على آخر من عناصر الشخصية العربية.

وللأسف فإن الأمية بصورها المختلفة التي تعاني منها شعوبنا العربية تجعل من أوطاننا أرضا خصبة لتلقف أي تيار تحت أي مسمى، وتجعله مهيأ لبث روح الفرقة، التي لن يستفيد منها سوى العدو الإسرائيلي الذي ينعم بما نحققه له، دون عناء منه.

إن أخطر ما يواجهه الوطن الآن هو ضعف انتماء أبنائه إليه، وهذا الضعف الذي أصاب الانتماء للوطن لم يكن وليد هذه الظروف، وإنما كانت ارهاصاته موجودة منذ عقود، مع هذه الأنظمة التي توالت على أبناء الوطن، تلك الأنظمة التي سلبت المواطن حقه في العيش الكريم، والحصول على ما يكفيه من نتاج وطنه، تحت دعاوى ومسميات لها روح العرف أكثر من انتمائها لقانون يقدم مبررا واحدا لهذا التمييز، الذي بث روح المنافسة غير الشريفة، امتدت حتى طالت البحث العلمي، فتكدست مكتبات الجامعات بأبحاث مزيفة أو مسروقة، أدت إلى تراجع جامعاتنا العربية في ترتيب التصنيفات العالمية. وليست المشكلة تتوقف عند هذا التصنيف أو ذاك، بل إن المشكلة الحقيقية تكمن في أن هذه الأبحاث يفترض أن يعول عليها في تقدم أي دولة تريد أن تضع نفسها بين مصاف الدول المحترمة.

ولما أن تغلغلت روح المنافسة غير الشريفة بين أبناء الوطن الواحد، صار أفراد المجتمع جزرا منعزلة، كل يبحث عن وسيلة نجاة تنقذه وحده، ولا عزاء لمن لم يجد وسيلة تنجيه مع من نجا.

ومن الخطأ أن نظن أننا نجونا، وقد غرق الآخرون.

● **د. أبو زيد بيومي**

التخويف من الإسلام

رغم ما تتنادى به الأدبيات الحديثة من ضرورة الواقعية في الحكم على الأشياء، ورغم تحول العالم إلى ما يشبه الحجرة القريبة الأركان، لا يصعب على ساكنها معرفة الصواب، إلا أن الواقع الأليم الذي صرنا نتعايش فيه اليوم هو ظاهرة ما عرف بـ (الإسلاموفوبيا)، وهي ظاهرة تسعى وسائل الإعلام الغربية بتبنيها وإشاعتها بين أفراد منهم لا يحاولون البحث عن الحقيقة؛ ثقة بما تقدمه هذه الوسائل والقائمين عليها.

لقد أسهم الاستشراق الأوربي في القرن الماضي في الحيلولة بين الإسلام والمواطن الأوربي، إما بالافتراء على أصول الإسلام، وإما بالسعي لرد ثوابته لأصول مشرقية أو غربية، وإما بتشكيك العقلية الإسلامية ذاتها بتصدير الشبهات.

في ظل تطور الوضع العالمي في الوسائل صار الأمر مختلفا، إذ تعمل ما يعرف بالميديا الغربية على مستوى الثقافة بمناحيها المختلفة، والسياسة على تبني موقفا سيئا تجاه الإسلام باتهامه بالإرهاب وتضخيم كل حادثة يكون طرفها بعض المسلمين للتدليل على ذلك، ولقد أعطتهم تصرفات بعض المسلمين ما مكنهم من تغذية الصورة على نطاق واسع.

السؤال هو: ما هو الدور المنوط بالفرد حتى يسهم في تبديد هذه الصورة؟ حتى نصل إلى مراد الله حيث يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن﴾ (الكهف: ٢٩) ثم نغلب ثقافة استحقاق العذاب على حبس هرة بلا طعام كما في الحديث.

● **د. محمد عزب**

ترجمة نصوص القرآن إلى اللغات الأجنبية

إن الله سبحانه وتعالى وعد بحفظ القرآن الكريم، تصديقا لقوله الحق ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ (الحجر:٩)، والحفظ المقصود هو الحفظ من التحريف والتشويه الذي طال الكتب السابقة، ونصوص القرآن تمثل توثيق كلام الله الذي انزله تبارك وتعالى على رسوله وحيا، وذلك باللغة العربية تحديدا... ونعلم أن رسالة الإسلام التي كلف بها المعصوم صلوات الله وسلامه عليه بنص القرآن ذاته موجهة إلى البشرية أجمعين، مهما اختلفت أماكنهم وأعراقهم وانتماؤهم، واللغات التي تعتمدها ألسنتهم.

ومع ظهور معضلة بث مبادئ الإسلام وشرائعه إلى الشعوب غير المحيطة بلغة العرب دق الحاجة إلى الترجمة، فهي لازمة لاطلاع الشعوب التي لم تدخل بعد في الإسلام على أصول الدعوة المحمدية ومعرفة حقيقتها، حتى إذا أكرمهم الله بالإسلام جعلوا لسان القرآن والرسول ترجمان الإسلام.

لقد دلت التجربة على أن الترجمة كانت وسيلة من وسائل التحريف في التوراة والإنجيل، وتلك وهدة سقطت فيها الأمم السابقة، وذلك نتيجة أن ثقافة النص الأصلي لم تكن حاضرة في النصوص المترجمة، مما أسفر عن عبث في الترجمات لتطفح النصوص الأجنبية بكل تحريف وتشويه وتغيير، سواء عن قصد أو غير قصد.

تتعدد البحوث والدراسات والفتاوى الشرعية وأراء المجتهدين المعاصرين حول «مادة ترجمة القرآن»، وأبرز ما يثير الاهتمام في هذا الموضوع الحيوي، مسألة «ترجمة النص القرآني المحكم»، وتلك معضلة يصعب إن لم يكن

من المستحيل تجاوزها والتغلب عليها، لسبب بسيط وهو أن لسان النص ذاته صادر عن رب العالمين باللغة العربية، والكلام الذي وثقه النص، وأراد عن الذات الإلهية بإرادتها وتوجهاتها، فلا نملك سبيل حيال كلامها سوى محاولات التفسير والتحليل والتأويل في ضوء المبادئ الشرعية المتعارف عليها... فكيف تقبل ترجمة كلام منسوب لرب العالمين يحاول فيه المترجم أن يحل محل مصدره مستلهما توجهاته الفكرية والثقافية!.

إن من السهل أن يترجم الروائي الفرنسي رواية انجليزية أو أن يترجم الصيني شعر أمريكي أو يترجم فنان مغربي أعمال فنان من الأرجنتين... لأنهم جميعا بشر، والمعادلة الفكرية البشرية متساوية بينهما، وتلك فرضية غير متوافرة لا مناص بين المترجم، أيا كانت مهاراته وثقافاته، كونه بشرا ناقصا، وبين الخالق المتعال المحيط بكل صغيرة وكبيرة، قال ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

ومن المؤسف أن نشاهد اليوم عبر شاشات البث الفضائي محطات للتلاوة القرآنية تضع أسفل نصوص السور المحكمة تراجم للنص القرآني... إن المعتبر في الترجمة هو ترجمات كتب التفسير وما نص عليه علماءنا، دون الاقتراب إلى «ذات النص المعجز بلغته الأم العربية المنزلة».

والقول بغير ذلك يفتح باب التحريف والعياذ بالله، والأمثلة كثيرة في هذا الخصوص فيما تناولته مؤلفات عدة.

● د. رضا عبد الحكيم إسماعيل رضوان

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

التحاليل.. والبصمة الوراثية

- الخلاصة الحكمية

- لا مانع شرعا من الاعتماد على البصمة الوراثية في التحقيق الجنائي، واعتبارها وسيلة إثبات في الجرائم التي ليس فيها حد شرعي ولا قصاص.

- لا يجوز شرعا الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب، ولا يجوز تقديمها على اللعان.

- لا يجوز استخدام البصمة الوراثية بقصد التأكد من صحة الأنساب الثابتة شرعا؛ صونا لأنساب الناس وأعراضهم؛ إلا في حالات معينة.

- الواجب على الأطباء أن لا يخبروا الوالدين بما تأكد لديهم من أن الولد ليس لأبيه بعد التحاليل العادية؛ لأن ذلك يؤدي إلى فضيحة، ولا يسقط نسب الطفل من أبيه بعد أن تم ثبوته بالفراش قبل ذلك.

■ القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

● أولا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته السادسة عشر المنعقدة بمكة المكرمة، في المدة من ٢١-٢٦/١٠/١٤٢٢هـ الذي يوافقه ٥-١٠/١/٢٠٠٢م، وبعد النظر في التعريف الذي سبق للمجمع اعتماده في دورته الخامسة عشر، ونصه: «البصمة الوراثية هي البنية الجينية، (نسبة إلى الجينات أي المورثات) التي تدل على هوية كل إنسان بعينه، وأفادت البحوث والدراسات العلمية أنها من الناحية العلمية وسيلة تمتاز بالدقة لتسهيل مهمة الطب الشرعي، ويمكن أخذها من أي خلية (بشرية) من الدم، أو اللعاب، أو المني، أو البول، أو غيره».

وبعد الاطلاع على ما أشتمل عليه تقرير اللجنة التي كلفها المجمع في الدورة الخامسة عشر بإعداده من خلال إجراء دراسة ميدانية مستفيضة للبصمة والاطلاع على البحوث التي قدمت في الموضوع من الفقهاء والأطباء والخبراء، والاستماع إلى المناقشات التي دارت حوله، تبين من ذلك كله أن نتائج البصمة الوراثية تكاد تكون قطعية في إثبات نسبة الأولاد إلى الوالدين، أو نفيهم عنهما وفي إسناد العينة (من المني، أو الدم، أو اللعاب) التي توجد في مسرح الحادث إلى صاحبها فهي أقوى بكثير من القيافة العادية (التي هي إثبات النسب بوجود الشبه الجسماني بين الأصل والفرع)، وأن الخطأ في البصمة الوراثية ليس واردا من حيث هي، وإنما الخطأ في الجهد البشري، أو عوامل التلوث، ونحو ذلك.

وبناء على ما سبق؛ قرر ما يأتي:

أولا: لا مانع شرعا من الاعتماد على البصمة الوراثية في التحقيق الجنائي، واعتبارها وسيلة إثبات في الجرائم التي ليس فيها حد شرعي ولا قصاص؛ لخبر: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»، وذلك يحقق العدالة والأمن للمجتمع، ويؤدي إلى نيل المجرم عقابه وتبرئة المتهم، وهذا مقصد مهم من مقاصد الشريعة.

ثانيا: إن استعمال البصمة الوراثية في مجال النسب لا بد أن يحاط بمنتهى الحذر والحيطة والسرية، ولذلك لا بد أن تقدم النصوص والقواعد الشرعية على البصمة الوراثية.

ثالثا: لا يجوز شرعا الاعتماد على البصمة الوراثية في نفي النسب، ولا يجوز تقديمها على اللعان.

رابعا: لا يجوز استخدام البصمة الوراثية بقصد التأكد من صحة الأنساب الثابتة شرعا، ويجب على الجهات المختصة منعه وفرض العقوبات الزاجرة؛ لأن في ذلك المنع حماية لأعراض الناس وصونا لأنسابهم.

خامسا: يجوز الاعتماد على البصمة الوراثية في مجال إثبات النسب في الحالات الآتية:

أ- حالات التنازع على مجهول النسب بمختلف صور التنازع التي ذكرها الفقهاء سواء أكان التنازع على مجهول النسب بسبب انتفاء الأدلة أو تساويها، أم كان بسبب الاشتراك في وطء الشبهة ونحوه.

ب- حالات الاشتباه في المواليد في المستشفيات، ومراكز رعاية الأطفال ونحوها، وكذا الاشتباه في أطفال الأنابيب.

ج- حالات ضياع الأطفال واختلاطهم، بسبب الحوادث أو الكوارث أو الحروب، وتعذر معرفة أهلهم، أو وجود جثث لم يمكن التعرف على هويتها، أو بقصد التحقق من هويات أسرى الحروب والمفقودين.

سادسا: لا يجوز بيع الجينوم البشري

لجنس، أو لشعب، أو لفرد، لأي غرض، كما لا تجوز هبتها لأي جهة، لما يترتب على بيعها أو هبتها من مفاسد.

سابعا: يوصي المجمع بما يأتي:

أ - أن تمنع الدولة إجراء الفحص الخاص بالبصمة الوراثية إلا بطلب من القضاء؛ وأن يكون في مختبرات للجهات المختصة، وأن تمنع القطاع الخاص الهادف للربح من مزاولة هذا الفحص، لما يترتب على ذلك من المخاطر الكبرى.

ب - تكوين لجنة خاصة بالبصمة الوراثية في كل دولة، يشترك فيها المتخصصون الشرعيون، والأطباء، والإداريون، وتكون مهمتها الإشراف على نتائج البصمة الوراثية، واعتماد نتائجها.

ج- أن توضع آلية دقيقة لمنع الانتحال والغش، ومنع التلوث وكل ما يتعلق بالجهد البشري في حقل مختبرات البصمة الوراثية، حتى تكون النتائج مطابقة للواقع، وأن يتم التأكد من دقة المختبرات، وأن يكون عدد المورثات (الجينات المستعملة للفحص) بالقدر الذي يراه المختصون ضروريا دفعا للشك.

انتهى القرار.

● ثانيا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٢٠/ص٢٩٥/ف٦٤٦٦)؛ في موضوع (ملاعنة الزوجة بناء على البصمة الوراثية)؛ ونصه: رجل جاءه ولد بعد فراش صحيح، فأراد أن ينفي نسبه منه باللعان، وثبت بتقرير البصمة الوراثية أن الولد المطلوب نفي نسبه هو من نسله، فهل يمكن من اللعان شرعا أم لا، ويبقى النسب ثابتا؟ نرجو بيان حكم هذه المسألة بيانا تفصيليا على ضوء المذاهب الفقهية وخصوصا المذهب المالكي، مع بيان حكم اللجوء إلى هذه الوسيلة (البصمة الوراثية) في مثل هذه الحالات. وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.

أجابت الهيئة بما يلي:

إذا ولد هذا الولد على فراش صحيح، واعترف الوالد به صراحة أو دلالة ولم ينفه عنه عندما أبلغ به، ثبت نسبه من أبيه شرعا، وليس للزوج الحق مطلقا بعد ذلك في نفي نسبه باللعان.

أما إذا لم يعترف به من وقت علمه بولادته، فإنه يكون سبيله في نفي نسبه عنه هو اللعان بشروطه الشرعية، ولا مدخل للبصمة الوراثية في ذلك. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

● ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٢١/ص٢٩١/ ف٦٨٠٦)؛ في موضوع (التشكيك الوالدين في نسب الأبناء اعتمادا على تحاليل مخبرية)؛ ونصه: أنا طبيب، رئيس مختبر للتحاليل الطبية، صادفتنا في المختبر حالة لطفل مصاب بمرض وراثي، وميزة هذا المرض أنه يتأتى وجوبا من الوالدين معا، ولكن بإجرائنا التحاليل للوالدين تأكد لنا أن الأم فقط مريضة، وأن الأب سليم، مما يعني أن الأب ليس بالفعل الأب الشرعي للطفل، ونحن نسأل في هذه الحالة: هل نعلم الوالد بالحقيقة، خصوصا وهو يلح في الحصول على نتائج التحاليل الخاصة به وبزوجته، أم نتكتم على الأمر، على أساس الحفاظ على أسرار المرضى؟ نرجو إفادتنا بحكم الشريعة في ذلك، ولكم جزيل الشكر.

أجابت اللجنة بما يلي:

الواجب على هؤلاء الأطباء أن لا يخبروا الوالدين بما تأكد لديهم من أن الولد ليس لأبيه؛ لأن ذلك يؤدي إلى فضيحة، ولا يسقط نسب الطفل من أبيه بعد أن تم ثبوته بالفراش قبل ذلك. والله أعلم.

■ تعليق مهم:

من مهمات القاضي في مجال الفصل في الخصومات: أن يسعى جاهدا لإثبات الحق، أو نفيه.

فالمدعي: مطالب بإثبات الحق المدعى به. والمدعى عليه: مطالب بنفي الدعوى المقامة ضده.

وطرق الإثبات التي نصت عليها الشريعة:

- الإقرار: وهو كما يقولون (سيد الأدلة) لانتفاء نسبة الاحتمال إليه، ثم الشهادة وهي شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين كما دلت النصوص الشرعية على ذلك.

وفي حالة عدم وجود إقرار، ولا شهادة، ولا بينة، وهي التي تسمى (الأدلة المباشرة)، فإن القاضي يلجأ إلى وسيلة أخرى غير مباشرة وهي المسماة بالقرائن.

والقرائن: جمع قرينة بمعنى المصاحبة والمقارنة والملازمة. ولم تفرد في فقه المذاهب في باب مستقل، وإنما تذكر في معرض الحديث عمن وسائل الإثبات في باب الدعاوى والبينات، كما يقول الإمام الزيلعي في «تبين الحقائق» (٢٩٩/٣): «وإن وصف أحدهما علامة -أي بالولد- فهو أحق به».

وهذا له أصل في الشرع كما في قصة يوسف عليه السلام: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (يوسف: ٢٦)؛ فالقرينة في هذا المعنى هي العلامة.

وعرفها مصطفى الزرقاء في «المدخل الفقهي العام» (٩١٨/٢) بقوله: «كل أمارة ظاهرة تقارن شيئا خفيا تدل عليه».

وللاستزادة: يرجى النظر في كتاب د. سعيد درويش الزهراني: (طرائق الحكم في الشريعة الإسلامية)، وذكر فيه من القرائن: البصمات، والتسجيل الصوتي، والصور الفوتوغرافية، وآثار الأقدام، والكلاب البولسية، والتشريح، والتحاليل المخبرية.

ناجحون

كويتي عضوا مؤسسا في «العالمية للطب الرقمي»

الكويت - الوعي الشبابي

اختارت الجمعية الطبية الصينية الطبيب الكويتي الدكتور أحمد باقر العلي، ليكون عضوا مؤسسا في الجمعية العالمية للطب الرقمي، حيث لبى الدعوة الخاصة لحضور المؤتمر التأسيسي في مدينة نانجيخ الصينية بمشاركة ممثلين عن ٢٣ دولة لإعلان انطلاق الجمعية والتصويت على لوائحها واختيار مناصبها التنفيذية، كما اختير أيضا في مجلس تحرير مجلتها العلمية.

وقال الدكتور العلي، في تصريح صحفي، «سعيد جدا بهذا الاختيار وبكوني العربي الوحيد الذي رشحته الجمعية ليكون في المجلس التنفيذي لها ومن مؤسسيها، وذلك استكمالا للجهد البحثي في مجال جراحة التجميل وتطبيقات الطباعة ثلاثية الأبعاد في هذا المجال».

واختير العلي بعد نشاط أكاديمي في المشاركة بتأليف كتاب مرجعي في جامعة لندن UCL، ورشح إلى جانب أشهر جراحي حروق التجميل في المملكة المتحدة، ويعد هذا الكتاب أحد المراجع الجديدة المهمة بمشاركة من أساتذة من أكسفورد وجامعة لندن وغيرهم.

جدير بالذكر أن العلي اعتمد أخيرا مُحَكَّمًا ومراجعا للأبحاث لمجموعة «نايتشر»، والتي تعتبر أبرز مجلة طبية حول العالم ويصعب النشر فيها، وهو الذي يشكل إنجازا غير مسبوق لطبيب شاب تميز في البحث العلمي.

عصير الكتب

«أي بني»..وصايا ملهمة إلى أجيال الحاضر والمستقبل

القاهرة - محمد عبد العزيز يونس

بكلمات موجزة، وأسلوب ماتع بليغ، يجمع الكاتب د. عطية الويشي، أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية القانون الكويتية العالمية، وعضو العديد من الهيئات والمؤسسات العالمية من بينها اتحاد المؤرخين العرب، والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، خلاصة تجاربه الحياتية في ١١١ وصية أودعها كتابه الجديد «أي بني: سطور في أدب الوصايا»، مجسدا من خلالها عمق مشاعره الأبوية والإنسانية، متجاوزا حدود الموصى إليه إلى فضاء مفتوح. بأسلوب نثري يحمل جماليات الفصحى موجزا ثمرة تجربته العلمية والفكرية والإنسانية.

ويقول الدكتور الويشي الذي صدر له من قبل عديد من المؤلفات من بينها «حوار الحضارات، أحكام الوقف، الخوف من الإسلام، الصراع في الفكر الغربي».

في مقدمة كتابه الصادر بطبعته الأولى عن دار «اقرأ للنشر والتوزيع» ٢٠١٧م في ١١٨ صفحة من القطع المتوسط: «كثير منا لا ينظرون إلى العالم من حولهم إلا في أضواء أهوائهم، فلا يرون إلا ما يريدون رؤيته، ولا تقع أعينهم إلا على ما يرضي أهواءهم، ويوافق أمزجتهم؛ رغبة في رضى عابر وراحة موقوتة، ويمضون إلى حياتهم وهم على ذلك دون نظر في عواقب أمورهم، فيما تبقى حاجتنا ماسة إلى التناصح بالخير، والتواصي بالحق، ذلك الدواء الذي نوقن بصلاحيته الأبدية في شفاء صدورنا، وسعادة قلوبنا، وسكينة نفوسنا، وراحة ضمائرنا، ورغد معيشتنا».

ويستطرد قائلا: «لكننا في أحايين كثيرة لا نستسيغ ذلك الدواء، ونعرض عن تعاطيه؛ جزعا من مرارته، وتخففا من ثقله على النفس، فإذا التفت إلينا ناصح أمين بنصيحة ودودة، أو توجيه رشيد؛ تصعرت الخدود تأففا وامتعاضا! وصارت الرؤوس مطايا للنفوس المعاندة! الأمر الذي يفرض علينا مراجعة أنفسنا ومواقفنا، وسائر مجالات تعاملاتنا في هذه الحياة؛ فماذا علينا لو استجمعنا بقايا فطرتنا، وشحذنا مروءتنا ونخوتنا وشجاعتنا الأدبية، فننصت إلى صوت العبرة، ونرخي جناح تواضعنا لتجارب من سبقونا بالخبرة على امتداد مسيرة هذه الحياة».

ويضرب الدكتور الويشي على موطن الداء قائلا: «وإنه غير خاف على كل متحسس لأحوال أمتنا الحرجة، ومستشعر لآلامها ومرارة واقعها؛ أننا في ظروف لا نحسد عليها؛ أفرادا وجماعات وشعوبا، ومن الأمانة مصارحة أنفسنا بالعيوب، والمكاشفة بما قد يقع من نقائص وذنوب في حق بعضنا من بعض.. وقد آن لنا تجديد مواقفنا الإيمانية، وتغيير نظرتنا إلى المجتمع من حولنا، والاعتراف بأخطائنا تجاه شركاء حياتنا الذين قسونا عليهم، وأسأنا الظن بهم، وانتقصناهم حقوقهم، أو ظلمناهم، أو أهملناهم، ولم يعد سوى المبادرة برد الاعتبار إليهم، وتقديرهم حق قدرهم، بل آن لنا أن نتلو بإخلاص صادق وترديد وقور: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:٥٣).

ويضيف الكاتب: «جرى في خاطري بتلك الوصايا على فترات متقطعة من العمر، وهي تعكس جانبا من خلاصة تجاربي في الحياة، وقد نبهني أحد الإخوة إلى ضرورة جمعها وترتيبها في كتاب منشور، أملا في استدامة نفعها، ورجاء لمثوبتها.. وهأنذا أضعها بين يدي قرائي الكرام من الرجال والنساء، والشباب والشابات، أجيال الحاضر والمستقبل».

الشاعر طه عدنان: أميل إلى القصيدة المعبرة عن حيرة الإنسان

القاهرة – أمنية عادل

أكد الشاعر المغربي طه عدنان أن مواقع التواصل الاجتماعي تتيح للناس فرصا هائلة للتعبير الفردي الحر والتواصل المستمر مع الآخر، ولكن في المقابل يتيه في ردهاتها الحوار العميق الهادئ ليعلو اللغط والزعيق.. مزيدا من التفاصيل في سياق الحوار التالي:

يعتبر البعض أن الساحة الأوروبية الأدبية والثقافية أكثر انفتاحا وتوفيرا للانفتاح الفكري.. فما رأيك؟

الهجرة أفادتني على مستوى اكتشاف ضآلة وجودي الشخصي. كما فتحت لي آفاقا أرحب للانتماء الشاسع لهذا العالم، الهجرة تجعلنا نحس بأننا جزء صغير من كل متشعب ومتعدد، ونجد أنفسنا نتفاوض مع عالم جديد ومناخات ثقافية جديدة.. نوع من الحوار الواقعي الذي لا يبقى معه الحوار مجرد رياضة ذهنية أو تحذلق فكري، إنه مسار يومي متعدد الأبعاد، له منطلقات فكرية ومعرفية حتما، لكن أيضا نتائج عملية ملموسة تختبر عمليا إمكانات التقارب الفعلي مع الآخر، هذا الحوار الإبداعي ممكن وضروري للخروج إلى منطق صياغة أفكار مشتركة، قابلة للاعتناء كل يوم بما يوفره الإنسان من انتصارات باهرة على المسافات والحدود بفضل الهجرة أولا، ثم الترجمة والتكنولوجيا وغيرها من أسباب التواصل الحديثة.

والأدب يبقى أرقى أشكال التواصل الإنساني بسبب اهتمامه بالأساسي والمشترك خارج ضغط الفضاء المغلق واللحظة العابرة.

يمتاز شعرك بالبساطة والمكاشفة والصبغة الإنسانية.. فما منابع إلهامك؟

التجربة الإنسانية مصدر ثر للإبداع، فبالرغم من أن الإبداع الشعري هو فعل ذاتي خالص، فإنه يبقى غير منفصل عن المحيط ولا عن السياق العام الذي أنتجه. لذا، يصعب على الشاعر أن ينكفئ تماما على ذاته مهما تضخمت هذه الأخيرة ليصبح محور العالم في نصوصه، وينشغل بأشيائه الصغيرة فحسب، لأنها ليست بالضرورة موضوعا شعريا شاملا.

هل ستجرب القصيدة النثرية رغم انتقادك لها؟

الإبداع هو تجريب بالضرورة، وسعي للمغايرة في القول الشعري مواكبة لتقلبات الذات وتحولات العصر. لكنني لا أعد نفسي معنيا بالتجريب في إطار ما يسمى بقصيدة النثر.

وأنا لا أعتقد أنه يمكن لشاعر عربي – حتى ولو كان شاعر قصيدة نثر– أن يكتب دون أن يكون ملما بالموروث الشعري والفني العربي، وإلا سيكون حاله كحال من لم يسبق له أن رسم قطا في حياته ويريد أن يصير، بضربة فرشاة، فنانا تجريديا.

فالشعر اليوم، أضحى يخفت داخل القصيدة، هكذا أصبحنا بفضل الإنترنت، ننتج كما هائلا من القصائد المنثورة هنا وهناك، قصائد لا يمت معظمها إلى القصيدة – ولا حتى إلى قصيدة النثر – بصلة، إنه نثر بلا قصيدة.

أشرت إلى الإبداع المنشور في مواقع التواصل الاجتماعي، فكيف تقيم حضورها في الترويج للمبدع؟

بقدرما تتيح هذه المواقع للناس فرصا هائلة للتعبير الفردي الحر والتواصل المستمر مع الآخر، بقدر ما يتيه في ردهاتها الحوار العميق الهادئ ليعلو اللغط والزعيق.

لذا، عندما أقرأ شعرا على الفيسبوك، أفرح بذلك.

فالشعر والأدب عموما، له هذه القدرة على ترسيخ القناعات الحرة والمستقلة للأفراد، ضمن خطاب منتج للمعنى الجماعي والقيم المشتركة.

إعداد: تركي محمد النصر

من عجائب الحفاظ

قال الإمام أبوبكر الجعابي (ت: ٣٥٥هـ): «دخلت الرقة، وكان لي ثم قِمَطْران كتب، فجاء غلامي مغموما وقد ضاعت الكتب، فقلت: يا بني لا تغتم، فإن فيها مئتي ألف حديث لا يشكل علي منها لا إسناده ولا متنه» (سير أعلام النبلاء ١٦/٨٩).

وقال عبدالواحد بن إسماعيل الروياني (ت: ٥٠٢هـ) من علماء الشافعية: «لو احترقت كتب الشافعي؛ لأمليتها من حفظي» (الأعلام للزركلي ٤/١٧٥).

وكان الإمام السرخسي (ت: ٤٨٣هـ) جبلا في الحفظ يتوقد ذكاء، ولما ذكروا له في أثناء طلبه للعلم أن الإمام الشافعي كان يحفظ ثلاث مئة كراس فقال: حفظ الشافعي زكاة محفوظي. فحسب ما حفظه؛ فكان اثني عشر ألف كراس .

(الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكوني، ص ١٥٨).

العلم

هناك فرق بين أن يدرس الإنسان العلم لمجرد الحصول على العلم، وبين أن يدرس العلم على أنه قائم بفرض، فالثاني تجده يحتسب الأجر عند كل كلمة يقولها أو يكتبها، وهذا في الحقيقة يفوتنا كثيرا .

(**شرح مختصر التحرير** ١/١٥).

سبب المصائب

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ومن المعلوم بما أرانا الله في الآفاق وفي أنفسنا من آياته، وبما شهد به في كتابه: أن المعاصي سبب المصائب، فسيئات المصائب والجزاء من جنس سيئات الأعمال، وأن الطاعة سبب النعمة، فإحسان العمل سبب لإحسان الله».

وقال رحمه الله تعالى: «أسباب الضلال والغي: البدع في الدين والفجور في الدنيا، وهي مشتركة تعم جميع بني آدم، لما فيهم من الظلم والجهل»

(طريق الوصول، للسعدي ص ٢٤).

(**الاستذكار**: ١/٣٧٨).

لا تلتفت إلى كلام الجهال

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «وكذلك ينبغي أن يستعد لآخر عمره بالمال، مخافة أن يحتاج فيذل أو يسعى، وقد كلت الآلة؛ ولأن يخلف لعدوه أولى من أن يحتاج إلى صديقه، ولا يلتفت إلى من يذم المال؛ فإنهم الحمقى الجهال الذين اتكلوا على خبز الراحة، فاستطابوا الكسل والدعة، ولم يأنفوا من تناول الصدقة، ولا التعرض للسؤال، وقد كان لكل نبي معاش، ولجميع الصحابة، وخلفوا أموالا كثيرة، فافهم هذا الأصل، ولا تلتفت إلى كلام الجهال»

(**صيد الخاطر** ١/٣٨١).

إخلاص واحتساب

صام داود الطائي أربعين سنة وما علم به أهله، وكان خرازا، وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم.

(**تاريخ بغداد** ٨/٣٥٠).

الصديق

قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- «ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب».
- قال الخليل بن أحمد: الرجل بلا صديق كاليمين بلا شمال.
- قيل للخليل: استفساد الصديق أهون من استفساد العدو؟ فقال نعم، كما أن تخريق الثوب أهون من نسجه.
- قال ميمون بن مهران: صديق لا تنفعك حياته؛ لا يضرك موته.
- قيل لابن المقفع: الصديق أحب إليك أم القريب؟ فقال: القريب أيضا يجب أن يكون صديقا.

(**الحديقة لمحب الدين الخطيب ١٣٠٢/٣**).

السريرة

قال ذو النون رحمه الله: «كان العلماء يتواعظون بثلاث، ويكتب بعضهم إلى بعض: من أحسن سريرته؛ أحسن الله علانيته. ومن أصلح ما بينه وبين الله؛ أصلح الله ما بينه وبين الناس. ومن أصلح أمر آخرته؛ أصلح الله له أمر دنياه»

(**سير أعلام النبلاء ١٤١/١٩**).

الحكيم والجاهل

كانوا يقولون: «إن لسان الحكيم وراء قلبه، فإذا أراد أن يقول يرجع إلى قلبه، فإن كان له قال، وإن كان عليه أمسك.

وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه، لا يرجع إلى القلب، فما أتى على لسانه تكلم به». وقال أبوالأشهب رحمه الله: «كانوا يقولون: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه»

(**الزهد والرقائق لابن المبارك ١/ ١٣١**).

مصيبة ونعمة

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى: «مصيبة تقبل بك على الله، خير من نعمة تنسيك ذكر الله»

(**جامع المسائل ٣٨٧/٩**).

الاستكثار من الأصدقاء

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: «ليس شيء من الفضائل أشبه بالرذائل من الاستكثار من الإخوان والأصدقاء، فإن ذلك فضيلة تامة متركبة، لأنهم لا يكسبون إلا بالحلم والجود والصبر والوفاء... إذا أحصيت عيوب الاستكثار منهم، وصعوبة الحال في إرضائهم، والغرر في مشاركتهم، وما يلزمك من الحق لهم عند نكبة تعرض لهم، فإن غدرت بهم أو أسلمتهم، لُوِّمت وذممت، وإن وفيت؛ أضررت بنفسك، وربما هلكت، وهذا لا يرضى الفاضل بسواه إذا تشبث في الصداقة، وإذا تفكرت في الهم بما يعرض لهم وفيهم من موت أو فراق أو غدر من يغدر منهم، كاد السرور بهم لا يفي بالحزن المُمِض من أجلهم»

(**مداواة النفوس لابن حزم، ص ١٨**).

رحلة إلى الماضي

لماذا لا يعود ذلك الزمن الجميل؟ لماذا لا يعود بلياليه، بمجالسه وحكاياته، ببطولاته وأساطيره، بعلمائه وحكمائه وفقهائه، بقادته وخلفائه وولاته، بنسائه وجواريه؟

لماذا نَحِنُّ إلى ذلك الزمن؟ هل لأن زماننا موحش، قفر وقاحل؟ لماذا تعودنا أن نقيس زماننا بذلك الزمن المتميز؟

هل توقفت عقارب الساعة عند ذلك الزمن؟ هل توقفت القوافل عند بغداد وقرطبة وبخارى وتلمسان؟ هل أغلقت أبواب الحكمة وضاعت مفاتيح العبقرية؟ هل جف مداد الإبداع وطمست حروف التنوير؟

لا أحد يملك الجواب.. أرغب في رحلة إلى الماضي، وأطلب التوقف عند ذلك الزمن لأقف على الإبداع وأسأل، فربما أحصل على الجواب الشافي! والأكيد أن الجواب جاهز لأن أولاد ذلك الزمن ملكوا الأجوبة لأعقد أسئلة العالم في الطب والهندسة والفلسفة والكيمياء والحرب والسلم.

لماذا هيمنت بغداد على العالم في زمن الرشيد والمأمون والمعتصم والمقتدر؟.. لماذا كانت حلم أي عالم أو أديب؟ لماذا كانت مسرحا لبطولاتنا وأساطيرنا؟ أجمل الحكايات ألف ليلة وليلة.. اختارت وأحبت «بغداد»! في زمن واحد، في عصر واحد، في حيز واحد اجتمع أربعة أئمة عظام أبوحنيفة، مالك، الشافعي وابن حنبل رحمهم الله، هؤلاء هم الأصول، ولا ننسى الفروع البخاري وابن ماجه والنسائي والترمذي... والجاحظ وأبا داود والكندي والمسعودي وابن سينا والأصفهاني...

لماذا تلح علينا الرغبة في الترحال إلى ذلك الزمن البديع؟ ألكي نهرب من هذا الزمن البائس؟ يقولون بأننا نهرب.. نحن لا نفر وإنما نرتحل لنرى أنفسنا منعكسة على مرآة ذاك الزمن الجميل! ذاك الزمن صندوق عبقريتنا، ومصدر نهضتنا، ومنه نستمد الثقة في أنفسنا، ونستمد منه الطاقة لكي نواصل الحياة والكفاح في زمن رديء، مظلم وبائس..

ذاك الزمن الذي قال عنه الكونت مونت كريستو: «كما يقول الشرقيون أساتذتنا في كل شيء، أولئك المحظوظون الذين رسموا لأنفسهم حياة من الأحلام وجنة من الحقائق».

نعم أبناء ذلك الزمن الجميل الشرقيون كانوا أساتذة الغربيين في كل شيء؛ من علوم الفلك والكيمياء إلى آداب الأكل.

وقال زوربا: «والمعلم الصالح لا يريد مكافأة أروع من هذه؛ أن ينشئ تلميذا يتجاوزه»، نحن معلمون صالحون، لكن لا نفرح ولا نسعد.. قد يفرحنا أحيانا تطور الغرب لكن يسيئنا دائما تنكره! الغرب تلميذ جاحد، أنكر جهود أسلافنا وعباقرتنا في الترقي الحضاري للغرب، وهو لا يفتأ يبذل الجهود الجبارة لكي يجعل من ذلك الزمن الجميل مستنقعا راكدا وأرضا مظلمة! وصل إلى قمة الرقي والمدنية لكن تفكيره لايزال ناقصا! يعتقد أن الحضارة انطلقت من روما وأثينا وتوقفت ألف سنة لتنطلق من جديد من لندن وباريس.. ألف سنة عبارة عن فراغ! لا يريد أن يعترف بأن ذلك الفراغ ما هو إلا ذاك الماضي الفاتن الذي تفتحت براعمه في بغداد ودمشق والقاهرة وبخارى وغزنة وقرطبة وتلمسان وفاس.

عبدالقادر رالة - الجزائر

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسـلامي» على نشر الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- للمجلة حق الاختصار والتعديل بما يتوافق مع المساحة المتاحة.

عدد خاص

العدد (٦٢٥) رمضان ١٤٣٨ هـ - مايو - يونيو ٢٠١٧ م

مرحبًا شهر الله الفضيل

- مدرسة الصوم النبوية
- العيادة الرمضانية
- الصدقة وقاية

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (١٤)

هدية العدد: بوستر الحديث الموضوع

مجلة الوعى الإسلامى · www.alwaei.gov.kw · info@alwaei.com · موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

جديدنا

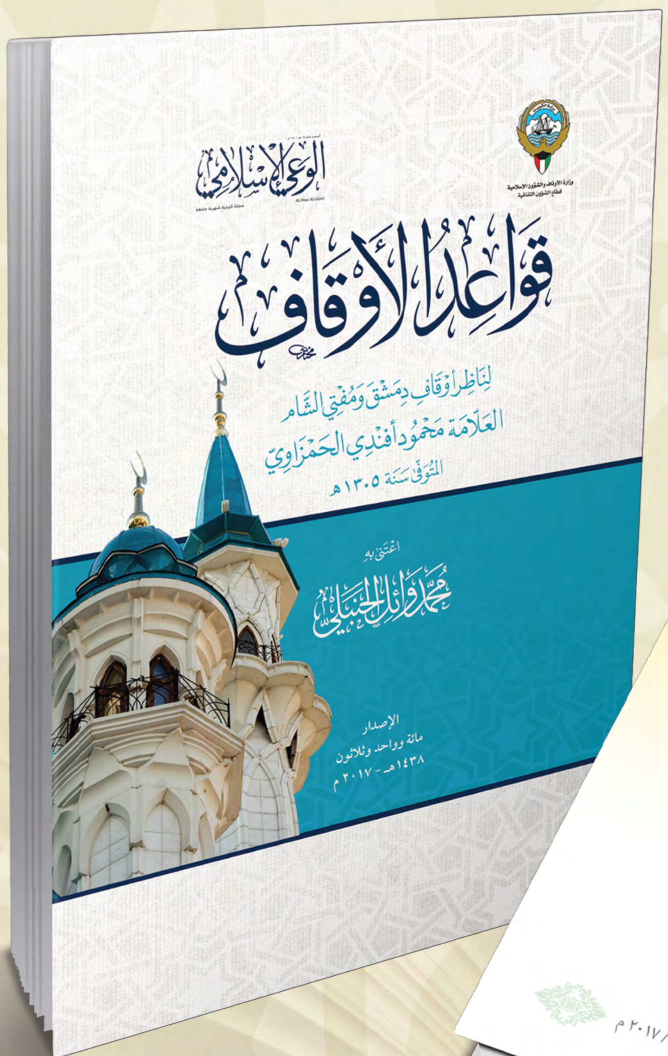

الافتتاحية

مضمار رمضان

الحمد لله الذي مَنّ على عباده بمواسم الخيرات؛ ليغفر لهم الذنوب ويكفر عنهم السيئات، ويضاعف لهم الثواب، ويرفع لهم الدرجات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واسع العطايا وجزيل الهبات، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل المخلوقات، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليمًا كثيرًا مادامت الأرض والسموات.

أما بعد، فقد جعل الله - سبحانه - تعاقب الأيام، وتقلب الأزمان، آية يتوقف المسلم عند بعض مناسباتها، فيتأمل في مسار حياته، ونتاج أعماله، هل حصل التغيير الذي كان ينشده، والفوز الذي كان يأمله، أم أنها حياة يراكم فيها ما يحاسب عليه في يوم تشخص فيه القلوب والأبصار، دون أن يعد لهذا اليوم عدته، ويعمل فيه بما يضمن منجاته؟ قال ميمون بن مهران رحمه الله: «لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه» محاسبة النفس لابن أبي الدنيا: (١/١٩).

ولاريب أن أعظم التغيير الذي تستوجبه المراتب العلية؛ أن تصوم - مع البطن - الجوارح، فلا ينطق اللسان إلا بالخير، مع تحفظ السمع والبصر، وكل هذا لا يتأتى إلا بصلاح القلب؛ لقوله ﷺ «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (البخاري:٥٢).

ولاريب أن اغتنام الفرص في رمضان له بعد مغاير، ومعنى عميق، يحتاج منا إلى سرعة فهمه واستنتاجه، وتتمحور بعض هذه الفرص في قوله ﷺ «إذا جاء رمضان؛ فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» (مسلم:٥٧٢)، ولا غرو في ذلك؛ فهو شهر القرآن: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ (البقرة:١٨٥).

هذا، وقد اعتبره سلفنا الصالح أساسًا وبداية للتغيير الإيجابي لمن ينشده، وإنه من أعظم المناسبات تأثيرًا في حياة المسلم؛ ففيه المفلحون الرابحون، وفيه الخاسرون النادمون؛ كلهم يتنافسون في مضمار رمضان. قال الحسن البصري، رحمه الله: «إن الله جعل شهر رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته، فسبق قوم ففازوا، وتخلف آخرون؛ فخابوا» لطائف المعارف: (١/٢٠٩).

وختامًا: فهذا الشهر المبارك هو خير مناسبة للسمو بالنفس أولًا، ثم للارتقاء بالأداء الاجتماعي للمؤمن ثانيًا، وقد حثت النصوص الشرعية على ذلك؛ فما أوضحها من دعوة للمصالحة الاجتماعية، وما أعظمها من نتيجة لو تحققت.

فشهر رمضان يمر بعجالة، وهكذا العمر ينقضي، فيفرح فيه الفائزون، ويخسر المبطلون، ورحم الله القائل:

غدا توُفَّى النفـــوس ما كـسبت ... ويحصد الزارعون ما زرعوا

إن أحسنوا فقد أحسنوا لأنفسهم ... وإن أساءوا فبئس ما صنعوا

رئيس التحرير

الدكتور صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٥ | رمضان ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
مايو - يونيو ٢٠١٧م

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الهلال للتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٩٠٠/٨٠١ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨/٨١٩	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

فرصة.. فاغتنمها

الصوم وقفة مع الذات وفرصة للتأمل وإعادة شحن للطاقة الإيمانية التي نواجه بها تحديات الحياة الدنيا ونطمع من خلال تلك المواجهة في زاد نوفره للحياة الأخرى، حيث لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي هذه الفرصة السنوية التي منّ الله بها علينا ولا ندري أنلحق بمثلها في العام المقبل أم لا - تجديد للنية أولا، ثم تصفية للنفس من الضغائن ثانيا، ثم اكتساب المزيد والمزيد من الحسنات عبر عمل ينفع الناس ويسعدهم. كم نحن بحاجة إلى وجه بشوش من موظف في جهة حكومية بدلا من تجهم بحجة الصوم والجوع والعطش وتبديل العادات اليومية.. وفي هذه الفرصة السنوية كم نحن بحاجة إلى مراجع متسامح مع أقرانه المراجعين مقدرا؛ لأنهم مثله في حاجة إلى تخليص معاملاتهم، وفي هذه الفرصة السنوية كم نحن في حاجة إلى أسرة مجتمعة يسأل أفرادها بعضهم بعضا عن أخباره تفصيلا وودا ورغبة في صلة الرحم، بعيدا عن الهواتف والألواح الإلكترونية.. التي تتدفق علينا سيول منشوراتها المهمة حينا وغير المهمة في معظم الأحيان.. في هذه الفرصة السنوية نسأل الله أن نحسن اغتنامها فنكون من الفائزين جميعا.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧،٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

أ.د. محمد بلاسي
أكاديمي وكاتب
ومفكر إسلامي

مرحبًا شهر اللّه الفضيل

يخلق الله ما يشاء ويختار؛ وقد فضل بعض الأمور على بعض؛ وفضل بعض البشر على بعض؛ حيث اصطفى منهم الأنبياء والرسل، وفضل بعضهم على بعضهم؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة:٢٥٣).

أيضا فضل بعض البلاد على بعض؛ حيث فضل مكة المكرمة على سائر البلاد.

أيضا فضل بعض اللغات على بعض؛ واختار من بينها اللغة العربية؛ لتكون وعاء لكتابه الخالد القرآن الكريم.

ومن بين ما فضل الله بعض الأيام على بعض: ففضل الله عزوجل، يوم الجمعة على سائر أيام الأسبوع.

وجاء شهر الله الفضيل (رمضان المبارك) على قائمة الأشهر؛ حيث فضله الله على سائر الأشهر، وفضله بفضائل ليست لغيره.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر» (١).

وفضل الله بعض الليالي على بعض؛ فجعل «ليلة القدر» خيرا من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم؛ كما ورد في الحديث الشريف عن النبي ﷺ (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٣).

ولذلك، فإن أفضل الليالي هي ليالي رمضان، وأفضلها العشر الأواخر؛ لذا كان النبي ﷺ يخصها بمزيد عبادة واجتهاد.

فقد ورد في الحديث عن عائشة، رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر: أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر» (٤).

وكان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، من أجل أن يتفرغ للعبادة، وينقطع لها.

فعن عائشة، رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله (٥).

هذا؛ وقد فرض الله عزوجل صيام شهر رمضان، وجعله أحد أركان الإسلام الخمسة؛ يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

ويقول عزوجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

﴿... تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).

ويروى عن عبدالله بن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا» (٦).

وقد أجمعت الأمة على وجوب صيام رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام التي علمت من الدين بالضرورة؛ فثبتت لذلك فرضية الصوم بالكتاب والسنة والإجماع.

هذا، ويستحب للصائم أن يراعي في صيامه الأمور التالية: (٧)

١- السحور: لقوله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة» (٨).

٢- تأخير السحور: لحديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحرنا مع النبي ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة. قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: قدر خمسين آية (٩).

٣- تعجيل الفطر: فيستحب للصائم تعجيل الفطر متى تحقق غروب الشمس؛ فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» (١٠).

٤- الإفطار على رطبات، فإن لم يجد فتمرات، وأن تكون وترا، فإن لم يجد فعلى جرعات من ماء؛ لحديث أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء» (١١).

٥- الدعاء عند الفطر، وأثناء الصيام: لقوله ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، والمظلوم» (١٢).

٦- الإكثار من الصدقة، وتلاوة القرآن، وتفطير الصائمين، وسائر أعمال البر: فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان؛ فيدارسه القرآن؛ فرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» (١٣).

٧- الاجتهاد في صلاة الليل، وبالأخص في العشر الأواخر من رمضان؛ فعن عائشة، رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله» (١٤).

٨- الاعتمار؛ لقوله ﷺ: «عمرة في رمضان تعدل حجة» (١٥).

٩- قوله: «إني صائم» لمن شتمه: وذلك لقوله ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله؛ فليقل: إني امرؤ صائم» (١٦).

هذا؛ وقد شرع الله الصوم لحكم عديدة وفوائد كثيرة، من بينها (١٧):

١- تزكية النفس، وتطهيرها، وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة؛ لأن الصوم يضيق مجاري الشيطان في بدن الإنسان.

٢- في الصوم تزهيد في الدنيا وشهواتها، وترغيب في الآخرة ونعيمها.

٣- الصوم يبعث على العطف على المساكين، والشعور بآلامهم؛ لأن الصائم يذوق ألم الجوع والعطش.

إلى غير ذلك من الحكم البليغة، والفوائد العديدة.

الهوامش

١- رواه مسلم.
٢- رواه ابن ماجه.
٣- متفق عليه.
٤- متفق عليه.
٥- متفق عليه.
٦- متفق عليه.
٧- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة، إعداد نخبة من العلماء، ص١٥٩ و١٦٠، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، سنة ١٤٢٤هـ.
٨- متفق عليه.
٩- رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم.
١٠- متفق عليه.
١١- رواه أبو داود والترمذي، وحسنه.
١٢- رواه الترمذي، وحسنه.
١٣- متفق عليه.
١٤- متفق عليه.
١٥- رواه البخاري ومسلم.
١٦- رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.
١٧- الفقه الميسر في ضوء الكتاب والسنة: ص١٥١.

حوار :
عبدالسلام حسن
ماجستير في الشريعة
الإسلامية

الصيام.. فرصة لا نضيعها

باب في الزمان على الخلود، ومدخل في المكان إلى الفردوس، ونقلة نوعية من قلق النفس إلى هدأة الروح، ومن فزع القلوب إلى سكن الجوارح؛ إنه شهر رمضان، شهر مبارك.. شهر صبر ورحمة ومغفرة وحب وارتقاء.

هنا حوار مع الباحث الإسلامي الأديب علاء الدين حسن، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو الجمعية السورية للعلوم التربوية، والخطيب منذ ثلاثين عاما، ومؤلف أكثر من ستة عشر كتابا، والحوار يتركز حول بعض معطيات هذا الشهر الكريم.

● بداية، ما غاية الصوم؟ وماذا ينبغي علينا إزاء هذه العبادة؟

– غاية الصوم التقوى. ومع التقوى يتفتح باب الخير، ويتسع عمل البر، وتستقيم الأمور، وينتظم السلوك. والتقي لا يكذب ولا يغش، لا يرائي ولا يرتشي، لا يغتاب ولا يعتدي، لا يظلم ولا يخون.. التقي يعطي لصاحب الحق حقه، التقي يبني ولا يهدم، يحب الناس ولا يعرف الحقد، التقي كريم معطاء.

● ماذا يتوضح أيضا في رحاب رمضان؟

– مما يتوضح في رحاب رمضان أيضا: مكرمة الصبر التي نحتاج إليها في معاناة الحياة.. مكرمة الصبر يتحصل عليها المؤمن في مدرسة رمضان، فهو صابر، لا خوفا ولا رهبا، وإنما طوعا واختيارا؛ لأن الله أمر بذلك، ولأن الصوم وقاية. ولقد صبر المسلمون في رمضان، فكانوا أقدر على التضحية، وحققوا ما أدهش العالم.

● القرآن الكريم نزل في رحاب ليلة القدر من هذا الشهر المبارك.. ما الأبعاد المستقاة من هذه الخاصية؟

– القرآن الكريم حافل بكل مقومات الحياة.. القرآن الكريم

أعطى الحواس مسؤولية كبرى فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (الإسراء:٣٦).

ونادى الإنسان أن يمعن النظر إلى خلائق الله فقال: ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا﴾ (الأنعام:١٠٤). وذم القرآن الكريم أولئك الذين يغلقون في أنفسهم منافذ العلم، فكان فتحا جديدا في تاريخ الفكر الإنساني، وثورة متقدة على التقليد؛ فهو يتقصى الجوانب القاتمة، ويتجه نحو الماضي والمستقبل، ويرسم لوحة أخاذة لحضارات متتابعة.

● هل من توافق بين هذا الكتاب العظيم وواقع المسلمين؟

– عظمة هذه الأمة تتمثل بهذا الكتاب الذي تحدث عن قوانين إن راعاها الإنسان وفق في الدنيا والآخرة.

● ما هذه القوانين؟

– من قوانين التيسير: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ (الليل:٥-٧). ومن قوانين التعسير: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ (الليل:٨-١٠). ومن قوانين النصر: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد:٧). وبقدر تطبيق الإنسان لهذه القوانين؛ يكون التوافق الذي أشرتم إليه.

● لقد قيل: إذا امتلأ القلب بالمحبة أشرق الوجه، وإذا امتلأ بالهيبة خشعت الجوارح، وإذا امتلأ بالحكمة استقام التفكير.. أين تجد ذلك في ربوع رمضان؟

– أجد ذلك في دقائق رمضان؛ حيث يمسك الإنسان طوعا عن الطعام والشراب، وبجواره طيب الغذاء، وأمامه بارد الماء، ابتغاء وجه الله.

والمؤمن ينجح في هذا الامتحان، وتنتصر روحه على الطين والصلصال والحمأ المسنون.. تنتصر أشواق الروح الصاعدة على غرائز الجسم الهابطة.

وقد قيل:

يا خادم الجسم! كم تشقى بخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران؟
أقبل على الروح واستكمل فضائله!
فأنت بالروح لا بالجسم إنسان!

● هل من معالم أخرى نتوخاها من هذا الشهر الكريم؟

– نعم، في هذا الشهر يشعر الإنسان بآلام الآخرين؛ حيث يذوق مرارة الجوع والعطش، فيعطف عليهم قلبه، وتنبسط إليهم يده، ولهذا عرف رمضان بأنه شهر البر والإحسان، وكان ﷺ أجود ما يكون في رمضان، فهو أجرى بالخير من الريح المرسلة.

ومن معالم رمضان أن العقول فيه تتجدد بالعلم، والقلوب تتجدد بالتقوى، ويتجدد المجتمع بالتواصل، وتتجدد العزائم بفعل الخيرات.

قال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه (عزوجل) في الحديث القدسي الجليل: «كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم؛ فإنه لي وأنا أجزي به».

وقال ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه».

والصوم لا يكتمل إلا بترك المحرمات:

«من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

إنه تربية وتكريم للعقل والإرادة، إنه واحة وارفة الظلال، موسم المتقين، ومتجر الصالحين، وميدان المتسابقين.

● ما أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في هذا الشهر المبارك؟

– من أهم الأحداث التي جرت في هذا الشهر الكريم: غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة، وقد تميزت بالصدق والإخلاص، فثبت الله المؤمنين، وأمدهم بملائكته، وتجلى عدل الخالق عزوجل.. وتجلى قصاصه من الظالمين.

وكذلك غزوة الفتح، وقعت في رمضان، في السنة الثامنة للهجرة، ووقتها انطلقت جحافل المؤمنين من المدينة المنورة، وقد بلغت اثني عشر ألفا تسلك سبيل الحق والحرية، وخفق قلب النبي الكريم لرؤية مكة المكرمة، ودخلها راكبا على راحلته في جلال المتواضع بين يدي الله، تظلله رايات الفتح العظيم.. ولما وصل إلى الكعبة المشرفة، استلم الركن وكبر، فكبر معه المسلمون حتى ارتجت أرجاء مكة.. ولاذ المشركون بالصمت، وتواروا وراء الجدر، وهم يسمعون أصوات المعاول تهوي على رؤوس الأصنام، فعلموا أنه نصر الله.

● ألا يدفعنا ذلك كله إلى انتهاز كبير لهذه الفرصة الثمينة؟

– بكل تأكيد، جدير بنا أن ننتهز فرصة رمضان؛ لنصل إلى ما قد وصل إليه أصحاب رسول الله الذين أشبعوا بروح العزيمة والشجاعة، فكان نهارهم تضحية وإيمانا، وكان ليلهم تضرعا وقرآنا، وصامت ألسنتهم عن اللغو والزور والكذب، وصامت آذانهم عن سماع الباطل والشر والفساد، وصامت أعينهم عن الحرام، وصامت أيديهم عن الظلم، وصامت قلوبهم عن الزيغ والضلال.

● بم تختتمون هذا اللقاء؟

– أختم فأقول: رمضان يعلمنا ضبط النفس، يعلمنا أن نعطي وأن نكون أقوياء العزيمة؛ فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.. رمضان يقرر ثبات الخلق، ويحول النفس إلى عالم كله سمو وضياء، رمضان يوسع مدارك التسامح، يحقق الحضارة على امتداد شموخها، فتغدو الحضارة برونقها الجميل أساس الارتقاء.

أحمد عتيق - المغرب
باحث في قضايا الإعلام والتواصل

من نسك العبادة إلى نسك الاستهلاك

صار من المعروف لدى كل متتبع/مشاهد، الدور الحيوي الذي أصبح يناط بالإعلان التلفزي بطبيعته التجارية والتحفيزية، من خلال استثارته لسيكولوجيا النفس وتهييج هيامها بالحاجيات والكماليات الزائدة المصيَّرة ضرورات. فلا تخبو لوعة الحاجة، ولا تنطفئ جذوة الرغبة، إلا حينما يبتاع المستهلك ما اشتراه أقرانه ويقتني ما اجتباه جيرانه من المساحيق والغسالات وصنوف الأطعمة والوجبات، وألوان الثياب والقماشات... مع العلم أن حاجة الفرد لا تتسع في العادة، إلا لثلة أساسيات، صاغها الاقتصادي الإنجليزي آدم سميث بقوله «معدة الإنسان لها مقدرة محدودة على استيعاب الغذاء» (١)، بينما يتلهف الإنسان بحرقة لا خفوت لها إلى الكماليات الزائدة من الأطعمة والألبسة والسيارات والتسليات التي تشكل عبئا ماديا ثقيلا على كاهله، لاسيما إبان شهر النسك والصيام.. شهر الروح والقرآن، الذي من المفترض أن يكون فترة زهد نفسي وإقلاع نسكي، ولو ظرفيا، عن متع الحياة وملذاتها الكمالية، فإذا به يتحول بجد إلى «مهرجان موسمي» عريض (٢)، لزيادة الاقتناء وحشو الموائد بأصناف المواد. مما جعله معرضا سنويا لثقافة السوق، وموئلا خصبا لصناع الاستهلاك ومنتجي الأفلام والمسلسلات.

إن هذا التحول الاستهلاكي المروج له بتدفق إعلاني في هذا الشهر، يجعل شهر رمضان فاقدا قيمته الروحية وثقافته النسكية، ويفرغه من نسمات التعالي الوجداني والتسامي العاطفي التي يتحين المسلم هبوبها بالتخلي والتحلي.

إنه تحول يصفه المصري جلال أمين بدليل على هزيمة ثقافية (٣)، لأن هجر قيم هذا الشهر، هو بالمحصلة، هجر لعادات وقيم وأنماط طبعت في الحس الشعبي والذوق الإسلامي للمجتمع، مما يعني تبدلا في التصور والممارسة، ونكوصا عن المقاصد والحكم التي من أجلها شرع الله تعالى رمضان، والمتمثلة في تقوى النفس وزكاتها وتطلعها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

لقد انقلبت مواسم رمضان الروحية إلى فرص للبيع وصفقات للشراء ومناسبات للدعاية، ويممت أعين الصائمين وجهتها من تلاوة وتدبر صفحات القرآن الكريم، إلى تعقب حلقات أضواء سينمائية رهينة بالتسويق لقيم الترفيه والتسلية «الجسدية الصرفة». وهذا قد يبدو أكثر سوءا ودراماتيكيا من مجرد التجارة، لأن مفاعيله الحضارية تمزيق النسيج الديني وهتك جسور التواصل التعبدي الرباني، الذي يحيل عليه كل سنة سطوع هلال رمضان.. ويتبدى لنا أنه تمزيق ينبع من العناصر الذرية للفلسفة البنائية السيبرنيطيقية (Cybernétique) المتناثرة هنا وهناك (٤)، التي تروم تفكيك القائم وضعضعة الموروث، حتى ولو كان روحيا نفسيا، عبر تسويق النسك في قوالب من الـ «الدنيوية» المجموجة بالاستهلاك والاقتناء والاطراح.

وكأنها مفارقة عجيبة تلك التي سودها الأميركي روجر روزنبلات لما أشار إلى أن مصطلح الاستهلاك (٥)، يحمل ضمن مشتقاته اللغوية، معنى التحطيم بواسطة؛ كالنار والمرض، فالمستهلك وفقا للإنجليزية والعربية كذلك، هو الشخص الذي يحطم ويبدد، أليس الاستهلاك من الهلاك والهلكة؟ أليس المشتري يستهلك السلعة ويهلك البضاعة؟ ومنه يهلك ويضيع تنسم رياح الارتقاء عن إكراهات الجسد وجاذبيته لخشاش الأرض، ليرتقي في درج السماء ويفيد من خيرات رمضان الموزعة على أطواره المباركة.

والحال، أن الزيارة الرمضانية الروحية، تغدو وتروح، ولا ننتظر منها إلا مناسبة للربح، وليس إلا الربح المادي فحسب، الأمر الذي سيفضي بدون شك، إلى انمحاء للقيم المعنوية ورمزيتها النفسية والإيمانية. والدليل على ذلك، غزارة الخطابات الإعلانية التي تغزو موائد الإفطار، وتنهال على روادها، وخصوصا رفقة المسلسلات والبرامج ذات الطابع الشعبي والتاريخي والكوميدي والدرامي...، التي تحظى بنسب متابعة جد عالية. وقد لا نكون مبالغين، إذا زعمنا أننا يمكننا أن نحسب عدد اللقطات في المسلسلات والبرامج المذاعة، المفصولة بالإعلانات المتوالية، بدل حساب الإعلانات المتخللة للبرامج والإنتاجات المعروضة لحظة الإفطار.

يزاد على ذلك، دور الرعاية (Parrainage) والمساندة (Sponsoring)، التي تقدمها الإعلانات لبعض الأفلام والبرامج. هذه الأخيرة، تكتسب بدورها صفة الصائم التقي والمفطر الذكي، بفضل التكرار والغرس المتوازي والممنهج.

إنه استهلاك منفتح على كل جديد، حيث لا يوجد قديم، أو بالأحرى ما كان قديما سيصبح جديدا عبر صيرورة زمنية متأرجحة بين الذوات المنفعلة بالواقع والتغير والحركة. ساعتها، يكون هم «الأنا» التمظهر «المادي» دون سواه.

إننا نعيش في عالم، أمسى شراء السلع يزاوج بأحد معانيها الرمزية؛ كربط أداء العمرة بوكالات الأسفار وبشركات الاتصالات، وغدا تهذيب النفس وتشذيب الروح متماهيا مع هذه الماركة من اللباس.. ونسي أولئك أو تناسوا، أن الغاية الأولى من استقبال رمضان والسباحة في ترانيم لياليه والتجوال بين جدران مساجده العامرة، هي تذوق شهد قيامه وجسر الوصال بقرآنه وتوطيد المقام بإيوان رحماته، حتى إذا لاح في الأفق رحيله، وآن للسفر أوانه، نظر المسلم في نفسه واعتبر في حاله، ألفاها قد ألقت عن نفسها دثار الخمول وخلفت وراء ظهرها وشاح الكسل ورسن النفس ولجام الشوق لحطام الدنيا وخشاش الأرض، واعتمل وجدانه حديث سيد الأنام ومربي الأنفس صلوت الله وسلامه عليه حين قال: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا» (٦).

الهوامش

١- جلال أمين، العولمة، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، القاهرة، ص ١٢٥.

٢- جلال أمين، مرجع سابق، ص ١٦٦.

٣- جلال أمين، مرجع سابق، ص ١٦٧.

4- Lise VIEIRA (1996) : «Les fonctions métaphoriques du multimédia», In Communication et langages, n° 109, 3ème trimestre, p. 106.

٥- روجر روزنبلات، مرجع سابق، ص ١٦١.

٦- رواه الترمذي برقم ٢٢٧٨.

د. مجدي محمد حسن
إمام وخطيب - الكويت

رمضان في الكويت رحمة وعفو وتسامح

شهر رمضان شهر الكف عن المباحات، فضلا عن الإمساك عن المحرمات، شهر رمضان الذي تلألأ بين الشهور، ففيه أضاء الكون كله.. وحي من نور بدد الظلمات، وأنار السبيل، وأشرقت الأرض بنور ربها.

تتفقون معي إذا قلنا إن شهر رمضان له في كل قطر آثاره النيرة التي لا تنكر، كذلك أقول إن الناس لهم آثارهم الخيرة في شهر رمضان.

فكل بلد وضع بصمته وثقافته على شهر رمضان، فشهر رمضان زاد على كونه شهرا للصيام والقيام والصدقة، بل أصبح فوق ذلك شهرا يكتظ بالعادات والتقاليد المنبثقة من أخلاق الإسلام، وسلوكاته.

ومن هنا أقول إن شهر رمضان في دولة الكويت مرآة تعكس أخلاق الناس ودينهم، بالاحتفاء بهذا الشهر احتفاء فوق العادة، واستقباله استقبالا رسميا متمثلا في هيئة الرؤية الشرعية التي تثبت ميلاد الشهر الجديد، وكأن ساعة انطلاق السباق قد بدأت، ويشرع الناس يتسابقون لفعل الخيرات، ويزدادون في عمارة المساجد بالصلاة فيها، وتلاوة القرآن، وحضور مجالس العلم، وصلاة التراويح رجالا، ونساء، وشيبا، وأطفالا، وتكون المساجد هي الوجهة والقبلة، ومركز الحياة الذي يريدونه، ويصدرون عنه، ويدورون في فلكه كما تدور الكواكب حول الشمس.

وقبل الغروب يجتمع المسلمون على موائد الرحمن لإفطار الصائمين.

كما يجتمعون للإفطار في البيوت، والديوانيات، ويجتمع الإخوة والأخوات، والأقارب والأرحام، والجيران، والأحباب.

صفو دائم يغشى القلوب، وتزكية عامرة تشرق بها النفوس، وروائح عطرة تزكي المجالس والمساجد.

ومن شدة اهتمام أهل الكويت بشهر رمضان تظن أن الحياة توقفت لأجله، لانشغال الناس به.. والحقيقة أن الأمر ليس كذلك فالحياة تمضي قدما في ظلال شهر رمضان، بيد أن الناس ينتهزون الفرصة لفعل الخيرات، وإطلاق الأيدي بالعطاء، التماسا للأجر، وسعيا لإرضاء الله تعالى.

العمل الخيري في رمضان

إن الأجر يضاعف لشرف الزمان والمكان، وأحاديث النبي ﷺ تحفز وتحصن وتحث أهل الاستطاعة والقدرة على العطاء، وعلى مد يد العون للمحتاجين.

فقد رسخ في عقول أهل الكويت التماس أجر إفطار الصائم من قول النبي ﷺ: «من فطر صائما كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيئا».

وربما نجد من يندس ويختلط مع الصائمين، من غير المسلمين، يلتمسون العطاء والإحسان، فلعلهم يحملون انطباعا طيبا عن الإسلام والمسلمين من خلال موائد الكويت العامرة، لعلهم يتعرفون على الإسلام وأخلاق الإسلام عن قرب.

ويحرص أهل الكويت على الإحسان بالزكوات والصدقات في شهر رمضان، تظاهرة من العطاء والمنح والهبات.. كل الناس يريدون أن يفوزوا بخيرية اليد العليا.

فهم يعلمون أن النصر، والمعية، وسعة الرزق تأتي بسبب الإحسان إلى المحتاجين.

فقد قال ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

وقال ﷺ: «ابغوني في ضعفائكم، فإنما ترزقون - أو تنصرون - بضعفائكم».

ونجد الجمعيات الخيرية تعمل على قدم وساق داخل البلاد بأنشطتها المتنوعة، وخارج البلاد كذلك، فخير الكويت طار في الآفاق لملاحقة أصحاب الحاجات ومعاونتهم، لاسيما من نزل بهم البلاء والمحن في شتى بقاع الأرض.

للصغار والكبار

ومن باب التواصل والتراحم والتقوي على العبادة كانت الغبقة - بعد التراويح وقبل الفجر -، مأدبة من أطعمة خفيفة مع المشروبات والعصائر والشاي والقهوة والتمر، وبعض الحلوى المرتبطة بشهر رمضان، وهي من العادات التي تنم عن الكرم الزائد الذي يتميز به أهل الكويت، للتواصل وصلة الرحم وتقوية الروابط الأسرية، والاجتماع على طيبات ما أحل الله تعالى للناس.

إن كثيرا من الناس تعود واستأنس لصيام شهر رمضان في دولة الكويت، ذلك لما يرى من مظاهر الخير، والرحمة، والاهتمام الزائد بالمساجد، من حيث صيانتها، ونظافتها، وعمارتها بالعلم، والعبادة، وتهيئة الأجواء لعمارها، ولهذا تفضل كثير من الأسر المقيمة بالكويت أن تصوم رمضان في رياض الكويت العامرة.

المسجد الكبير

وإذا كنا نتحدث عن المساجد، فلا يفوتنا أن نتحدث عن درة الكويت، ولؤلؤة المساجد، ونجم بيوت الله في الكويت، المسجد الكبير، والذي تفرد بسعته، وحسن تنظيمه، وتهيئته للرجال، والنساء، والأطفال، وبما فيه من استعدادات ضخمة بأطقم الطب والتمريض، وباصات النقل والمواصلات، وتوفير الماء، والمشروبات، والأطعمة، ليتمكن الناس من تناول السحور بلا تعب، ولا عناء.

مع اصطفاء إدارة المسجد الكبير لكوكبة متميزة من القراء، والعلماء، وإنشاء حلقات العلم، ومدارسة القرآن الكريم، وإقامة المسابقات لحفظ القرآن.

في ظلال العفو الأميري

وتتوج مظاهر الخير والرحمة في هذا الشهر المبارك بخلق طالما ارتبط بشهر رمضان، ألا وهو العفو عند المقدرة، ففي كل عام في العشر الأواخر من رمضان يتفضل حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح - وفقه الله لكل خير - بالعفو عن الآلاف من السجناء المحبوسين على مختلف القضايا من الوافدين والمواطنين على حد سواء.

وهي لفتة أبوية تدل على كريم أخلاقه، وسمو سجاياه، وليس ذلك أمرا غريبا على رمز البلاد، ووالد الجميع، وصاحب الأيادي البيضاء، والذي يعامل رعيته كوالد مشفق على أبنائه، يرعى مصالحهم، ويعمل جاهدا على إصلاح أحوالهم، ولم لا وهو قبطان السفينة، وقائد المسيرة، الذي يعمل على حسن سيرها، ورعايتها.

إن هذا العفو يهدف إلى الارتقاء بالأخلاق والسلوكيات، حيث يشير إلى قيم العفو عند المقدرة، وإشاعة المحبة، وتعميق جذور المحبة بين الحاكم والمحكوم، لما فيه من إثلاج الصدور، وتجسيد روح التسامح، حيث تبث روح الانسجام والوئام مع الأجواء المطمئنة في العشر الأواخر من شهر رمضان.

إن هذا العفو له الأثر الكبير الفعال في تحقيق الاستقرار والأمن، وإدخال البهجة والسرور، وجمع شمل الأسر الكويتية، وغيرها.

أليست هذه هي أخلاق الإسلام؟

اللهم اجعل الكويت رياضا نضرة، وبساتين زاهرة، وبلادا عامرة، ووفق أميرها، وولي عهدها لكل خير، واجعل بلاد المسلمين تفيض بالخير، وتنعم بالأمن والأمان، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان.

محمد مرهف بن حسين
كاتب وباحث إسلامي

مدرسة رمضان التربوية

في موعد سنوي لا يتخلف.. كتبه الله سبحانه وتعالى على عباده، هاهي مدرسة رمضان التربوية تفتح أبوابها، لينهل المسلمون منها ثمرات ما كان لهم أن ينالوها، دون تخطي عتباتها، والولوج في فصولها. مدرسة حق لهذه الأمة أن تفاخر وتباهي بها أمم الأرض، كيف لا وهي مدرسة التقوى والذكر والقرآن، وموسم الرحمة والمغفرة، والعتق من النيران.

وهي مدرسة تتبدل فيها المفاهيم والأفكار، وتتغير فيها مداخيل القلوب، فتحدث في المرء المسلم حيوية تسمو بمفاهيمه ورؤاه، وتتحرر أفكاره من المخلفات الدنيوية المشوهة، ليفهم كنه الأشياء ومدلولاتها، فتتحقق طفرة في واقع الناس وحياتهم، تتناسب مع استفادة الناس من روحانيات هذه المدرسة، وتنقص بزهدهم وابتعادهم عنها.

ولعل الخُطب في المساجد، والمحاضرات في الوسائل الإعلامية المختلفة لا تألو جهدا في بيان فضل هذا الشهر العظيم، وخيره العميم، على عموم العباد والعالمين، لكن حال الأولاد في رمضان لايزال يحتاج إلى مزيد بيان وإيضاح، ليتزودوا بشحنات إيمانية فياضة، تلهمهم معاني الدين الحنيف، وتثبِّت في نفوسهم صفات المسلم الحق، وتصوغ منهم الشخصية الإسلامية الفريدة.

لذلك كان لزاما على الآباء والأمهات والمربين اغتنام الفرصة؛ لتوظيف هذا الشهر لتتحقق غاية وجوده، وحكمة فرضه على العباد، طلبا للوصول إلى أسمى درجات الأخلاق، وأملا في الحصول على الأجر المضاعف من المولى عزوجل.

فشهر رمضان بتلك المعاني يمثل، بحق، فرصة لمزيد من الاهتمام والعناية بتربية الأهل والأولاد على البر والإحسان، وكريم الخصال والفعال، لما جعله الله سبحانه وتعالى في هذا الشهر من خصائص تجعل في النفوس استعدادا أكبر لتحين الفرص واستغلالها أكثر من غيره من مواسم البر والطاعة.

وهذه بعض البنود العملية التي ينبغي أن تغرس في قلوب وعقول أبنائنا من خلال حسن العرض، وجمال الأسلوب، فتعين المربين على استغلال هذا الشهر، والخروج منه وقد تحققت الأماني وبلغت الغايات:

- تعميق مفهوم الأسرة وبيان قدسيتها في الدين الإسلامي، وأنها الأساس الركين لبناء المجتمعات وتماسكها، ورمضان يوفر هذه الفرصة للمربين، فالأسرة المسلمة في رمضان مع تميزها في غيره إلا أنها فيه أكثر تعاضدا وتقاربا، لما فيه من اجتماع على مائدة واحدة، وأداء مناسك واحدة، تولد رحمة في القلوب، وسكينة وسعادة في النفوس، يستشعرها من اجتمعت قلوبهم على القرب من الله، والأنس به سبحانه وتعالى.

- التهيئة النفسية للطفل، فقبل أي عمل، وقبل قدوم أي مناسبة، لابد من التمهيد والتهيئة والتشويق، فمناسبة كمناسبة رمضان، تحدث لدى الكبير والصغير شعورا إيمانيا فياضا، بما ميَّز الله سبحانه وتعالى هذا الشهر العظيم من خصائص وميزات لاريب أنها ترقي النفوس وتهذبها، ليكون هذا الشهر منطلقا لأطفالنا لكل خير ورفعة.

- تعظيم شعائر الله سبحانه وتعالى، لاسيما عمادا الذي لا تقوم إلا به، وهو الصلاة والتعود على المكث في المسجد دون تشديد أو إجبار، من خلال بيان فضل لزوم الجماعة في أداء الصلوات الخمس المفروضة في المساجد وترديد الأذكار بعدها، مع بعض التشجيع والتحفيز، الذي يربط القلوب بتلك البقع المباركة، ويفتح باب الألفة والحرص على صلاة الجماعة، وعموم نشاطات المساجد العلمية والدعوية.

- قراءة القرآن الكريم وتدبره وتطبيق ما فيه، ولهذا البند خصوصيته لكون رمضان هو شهر القرآن ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ (البقرة:١٨٥). وفيه كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ كل ليلة فيلقاه، فيدارسه فيها القرآن.

فلو تم تحديد ورد يومي يقرأ، مع وضع جائزة يومية لمن أنهى ورده، وجائزة شهرية لمن ختم القرآن كاملا، مع حث الأبناء على المشاركة في الحلقات القرآنية في المساجد ودور التحفيظ، ليتعدى الطفل جانب القراءة إلى جوانب الحفظ والفهم والتدبر.

- ذكر الله سبحانه وتعالى، فهو من الأمور بالغة الأهمية التي يجب أن يرسخ الآباء مكانتها في قلوب الأبناء في رمضان، لما تولده في قلوب أبنائهم من حب لله عزوجل والشوق إلى القرب منه، فعندما يرى الأبناء آباءهم

يحرصون، على ذكر الله عزوجل، ويتمسكون ببعض الأذكار والأدعية المستحبة، فإنهم سيقلدونهم في ذلك. وينبغي للآباء ألا يغفلوا عن شرح سبب وماهية وكيفية ذكر الله تعالى وتنوعه، وتبيين الأجر العظيم المضاعف الذي يناله العبد على ذلك، لتتوق النفوس وتتحفز الهمم للمتابعة والاستمرار.

- الصدقة، لاريب أن حث الأبناء على تقديم الصدقة للفقراء والمساكين، وإطعام الناس، والبذل في نواحي الخير المختلفة، من أكبر الدوافع التي تعزز الشعور بالآخرين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة:٢٦٧).

ولعل من أفضل الطرائق التي يمكن للآباء تعليمها للأبناء أن يخصصوا جزءا بسيطا من مصروفهم، في رمضان فقط، أو على مدار العام، فإذا جاء رمضان، قدم المال المجموع للجمعيات الخيرية أو غيرها، أو يعطوا أبناءهم مبلغا من المال ويناقشوهم في أي وجوه الخير سيصرفونه، أو يعطوهم مبلغا يتوجه به أحدهم إلى أحد الفقراء أو المساكين الذين يجوبون الطرقات ويفترشون عتبات المساجد، أو إشراكهم في توزيع بعض السلل الغذائية على الفقراء والمحتاجين، ليبقى الإحساس حيا لدى الأبناء بضرورة التقديم والبذل على الدوام للمحتاجين، فتقل في نفوسهم نزعة التعلق بالمال، وتنتزع من قلوبهم خصلة البخل والأثرة، وليحل محلها الكرم والسخاء، وحب البذل والإنفاق، مع ما يحدثه كل ذلك من حب الأبناء للفقراء والمساكين والاجتهاد في العطف والتحنن عليهم.

- تنظيم الوقت، فكثيرا ما يعاني الآباء من تضييع أبنائهم لأوقاتهم فيما لا طائل دونه، ليأتي رمضان، فيوفر فرصة ثمينة للمربين، تأطر الأبناء على النظام أطرا، فكل حركة في رمضان مرتبطة بالأذان والصلاة، وحبذا لو طور هذا المفهوم وغرس عند الأبناء، من خلال وضع برامج متنوعة ممتعة، أثناء نهار رمضان وغيره، حتى يشغل وقتهم بما يفيد، لتحقيق ما ترنو إليه نفوس الآباء من انضباط واستغلال للأوقات والأعمار.

- التدريب على الصيام، حسب المرحلة العمرية التي يمر بها الأبناء، فالصغير يحتاج إلى أسلوب مختلف عن الفتى أو الشاب، فلكل مرحلة عمرية أسلوبها في التدريب، ولعل أحسن طرق التدريب على الصيام:

- تعليم الأبناء أن الصوم فريضة كتبه الله علينا كما كتبه على أمم من قبلنا، وأنه الركن الثالث من أركان الإسلام، مع بيان خصائصه وفضائله ومزاياه.
- محاولة إدخال مفهوم الندية في التدريب، فالأبناء يحبون أن يكونوا كبارا مثل آبائهم، وعلى اعتبار أن الآباء يصومون فالأبناء سيقلدون بشيء من المتعة والسرور، لأنهم يفعلون فعل الكبار، ويقلدونهم.
- عدم إهمال السحور للأبناء بأي حال، ففيه كل البركة والخير، لأنه يخفف أعباء الصيام عنهم، ويشعرهم بنوع من التغيير في أسلوب حياتهم.
- تنظيم أوقات الأبناء بإشغالهم بأنشطة متنوعة، تشغلهم عن تعب الصوم وعنائه.
- التشجيع المادي والمعنوي الدائم والمستمر للأبناء، كإعطائهم أشياء يحبونها، أو الكلام عن صومهم، وعدم فطرهم في حضرة الكبار ممن يزورونهم أو يجتمعون بهم.

فبهذه البنود يتبين أن رمضان فرصة متكررة، تمنح المربين فسحة لإعادة النظر في مزيد من الاهتمام بتربية النفس والأهل والأولاد على كريم الخصال والأفعال، ومناحي البر والتقوى والإحسان.

محمد فريد فرج فراج
المدير العام لمؤسسة طفرة
للبحث العلمي

رمضان بين الاجتهاد النبوي والفتور العصري!

بينما يعتبر «رمضان» في عصرنا لدى الكثيرين آية الكسل، وعنوان الفتور، ومبرر الخمول؛ فقد كان على العكس من ذلك تماما في حياة رسول الله ﷺ، وحياة المسلمين الأوائل؛ إذ كان «رمضان» ذروة الاجتهاد في جميع الطاعات، وأمارة التشمير لبذل الوسع في أنواع العبادات، وساعة الصفر للتنافس والتسابق في مختلف القربات.

فمع شدة اجتهاده ﷺ في الطاعة، هو والصحابة رضي الله عنهم؛ لكنه مع ذلك لم يعرف عنه ﷺ، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم من الاجتهاد ما عرف عنهم في مواسم البر ومن أهمها رمضان.

وحري بنا أن نتدارس شيئا من ذلك الاجتهاد المضاعف لنبينا ﷺ، وللصحابة رضي الله عنهم عساه أن يبدلنا بكسلنا همة، وبخمولنا عزيمة، وأن يشعل في نفوسنا لهيب الغبطة المحمودة، وأن يمدنا بوقود يدفعنا لأقصى الاجتهاد.

أولا: الاجتهاد في تلاوة القرآن وقيام الليل

إذ كان ﷺ يراجع القرآن كاملا مع جبريل كل رمضان، حتى راجعه في عامه الأخير مرتين؛ كما قال ﷺ: «إن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي» (١).

وأما قيام الليل. فقد كان ﷺ يقوم الليل طول العام، ولكن كان قيامه يتضاعف في رمضان.

ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم بمعزل عن الاجتهاد النبوي؛ بل كانوا مقتدين به ﷺ في كل شيء كما حكت أمنا عائشة: «أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل في رمضان، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس، فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه، فأصبح الناس، فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله ﷺ، فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، فتشهد، ثم قال: «أما بعد... فإنه لم

يخف علي مكانكم، لكني خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها» (٢).

وما أطول صلاته ﷺ! فلم تكن كصلاتنا الخاطفة بمعظم المساجد لإسقاط التراويح؛ بل يصلي فيها بالطوال؛ كما قال حذيفة رضي الله عنه: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران» (٣).

وما أروع تدبره ﷺ. إذ لم يكن همه ﷺ مقصورا على كثرة الختمات، وطول القراءة فحسب؛ بل كان يقرأ القرآن متدبرا خاشعا متفكرا في معنى كل حرف يقرأه؛ «فكان ﷺ يقرأ مسترسلا، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ» (٤). وكان يطيل ركوعه وسجوده إطالته في القيام ﷺ!

ألا فحذار من الاهتمام بالكثرة على حساب التدبر. فقد حذر السلف من ذلك كثيرا؛ ومن ذلك عندما جاء نهيك بن سنان إلى عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه؛ فقال: إني لأقرأ المفصل في ركعة.

فقال عبدالله: «هذا كهذ الشعر! إنما فصل لتفصلوا، إن أقواما يقرأون القرآن ينثرونه نثر الدقل لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود، إني لأعلم النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرن بينهن؛ سورتين في كل ركعة» (٥).

وجدير بالذكر أن اقتداء الصحابة رضي الله عنهم بنبينا ﷺ لم يكن قرين حياته فحسب. بل استمر بعد وفاته ﷺ؛ كما في الأثر عن عبدالرحمن بن عبدالقاري؛ أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ليلة في رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط.

فقال عمر: «إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد، لكان أمثل» ثم عزم، فجمعهم على أبي بن كعب.

ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: «نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» يريد: آخر الليل وكان الناس يقومون أوله (٦).

وهنا فائدة جليلة. أن الفاروق رضي الله عنه عندما قال: «نعم البدعة هذه» فإنه لم يخترع شيئا لم يسنه ﷺ.

إذ الأصل أن الرسول ﷺ هو من سن سنة الجماعة في التراويح، ولم يتوقف عنها إلا خشية أن تكتب فريضة على المسلمين! وبعد وفاته ﷺ زالت العلة المانعة من الجماعة، فأحياها الفاروق رضي الله عنه، هذا معنى الحديث، وليس كما يفعل بعضهم إذ يستدلون به على مشروعية الابتداع الحسن!

وكذلك فيه تفضيل صلاة النفل بالبيت عن صلاة الجماعة بالمسجد؛ لقول الفاروق رضي الله عنه: «والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون». وقد ورد هذا عنه ﷺ إذ يقول: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده، فليجعل لبيته نصيبا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا» (٧).

وفائدة ثالثة: وهي تفضيل الصلاة بآخر الليل عن أوله. للموقن من الاستيقاظ، أما من خاف النوم، أو الفوت، فأول الليل أفضل في حقه.

ألا فحري بنا أن نعيد همة الصحابة وعزيمتهم رضي الله عنهم في المسارعة لاقتفاء أثره ﷺ، والاتساء باجتهاده في القيام، والقرآن!

وليخبرني من لم يجتهد في رمضان متى يجتهد؟ وليخبرني من لم يقترن بالقرآن والقيام برمضان: ماذا يعني عندك رمضان؟

أخبرني بالله عليك!

ثانيا: الاجتهاد في الزهد

وعلى غير عادة الناس في التبذير والإسراف كان ﷺ مقتصدا في معيشته! وكان ﷺ يعجل بالفطر.. كما قالت عائشة: «كان ﷺ يعجل الإفطار، ويعجل الصلاة» (٨).

وكان يفطر على اليسير من رطب، أو تمر، أو ماء؛ كما حكى أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات، فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء» (٩). وهذا سبيل التيسير، والرضا عن الله عزوجل، وعدم التكلف في الأمور.

ثالثا: الاجتهاد في النفقة

فقد كان ﷺ أكرم الخلق، وأسخاهم نفسا، وأبذلهم يدا، ومع ذلك كان لمضاعفة التلاوة أثر على مضاعفة السخاوة؛ كما أخبر ابن عباس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان... فإذا لقيه جبريل كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» (١٠).

فدونك يا طالب الرضا الإلهي مقياسا تقيس به انتفاعك بالقرآن والقيام! فهذا نبينا ﷺ يجد للقرآن والقيام أثرا في سخاوة النفس فهل تجد الأثر نفسه لتلاوتك وقيامك أم يقتصر حظك منهما على الجوع والنصب عياذا بالله؟ فوالله لو تضلعت القلوب بنور القرآن والقيام لفاضت الأيدي بما وهب الرحمن عزوجل ألا فقس أثر القرآن والقيام بسخاوة نفسك وسموها؛ وإلا فما فائدة العبوديات الإلهية إذن؟!

رابعا: ذروة الاجتهاد واعتكافه ﷺ العشر الأواخر

لئن كان ﷺ يضاعف الاجتهاد برمضان، فإن الاجتهاد يصل ذروته في ثلثه الأخير، كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر، أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر (كناية عن ترك الجماع)» (١١).

وذلك الاجتهاد تحريا لليلة القدر؛ كما قال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم

من ذنبه» (١٢).

فكان ﷺ يعتكف آخر عشر ليال من رمضان تحريا لليلة القدر، وتفرغا للعبادة؛ كما أنبأت عائشة رضي الله عنها: «كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده» (١٣).

فقارن بين هذه الصورة الربانية وما يقع للكثيرين بآخر رمضان من ازدياد الفتور والخمول والكسل كأن رمضان قد ولّى!

وكان ﷺ يحض على الاجتهاد في الدعاء. لاسيما هذا الدعاء: «اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني» (١٤).

خامسا: أشق الاجتهاد في الجهاد

فعلى غير المشهور عن الناس في رمضان من الكسل، والتراخي تذرعا بالصيام؛ كان ﷺ يعتبر رمضان شهر الأعمال الشاقة؛ بل أشق أنواع الأعمال على الإطلاق: إنه شهر الجهاد في سبيل الله عزوجل: «حتى كان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبدالمطلب في شهر رمضان إلى سيف البحر» (١٥). ثم أرسل عددا من السرايا برمضان، منها: سرية غالب ابن عبدالله الليثي إلى الميفعة (الأرض المرتفعة) (١٦).

وسرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة سنة ست (١٧). كما أرسل خالد بن الوليد لهدم العزى، وأرسل عمرو بن العاص لهدم سواع، وأرسل سعد بن زيد الأشهلي لهدم مناة لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان (١٨).

كما كان أول لقائه في جهاد المشركين ببدر فأل البركة والنصر على الإسلام، والمسلمين يوم جمعة من رمضان (١٩)، وما فتح الله عزوجل عليه مكة إلا في رمضان (٢٠).

وكان ﷺ يأمر بالفطر للتقوي على مواجهة العدو؛ كما في قوله: «إنكم قد دنوتم من عدوكم، والفطر أقوى لكم» (٢١).

كما حكم على صيام من يضعفهم الصيام عن الغزو بقوله ﷺ: «أولئك العصاة، أولئك العصاة» (٢٢).

كما أثنى على المستعينين بفطرهم على خدمة الصائمين في الغزو، قائلا: «ذهب المفطرون اليوم بالأجر» (٢٣).

مع كونه كان يصوم إذ لم يمنعه الصوم عن الأعمال الشاقة كما قال أبوالدرداء رضي الله عنه: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في رمضان في حر شديد، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم، إلا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة» (٢٤).

ومن بعد وفاته ﷺ نصر الحق سبحانه المسلمين في معارك لا تحصى خاضوها في رمضان، فجمع الله عزوجل لهم بركة رمضان، وبركة ليلة القدر، وبركة الغزو في سبيل الله عزوجل، وبركة القرآن، وبركة سورة البقرة، ففازوا ببركة النصر الإلهي بالدنيا، وبركة الأجور المضاعفة بالآخرة.

ومن تتبع سيرة الصحابة، والتابعين وسائر السلف وجد سيرة مبهرة مبتوتة الصلة بما نحن عليه الآن، نسأله عزوجل صلاح الحال.

وبعد، فهذه نبذة يسيرة تبين قدر الاجتهاد الذي كان عليه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ، ألا فحري بنا أن نسير على الدرب المنير، ولله در القائل:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاح

وخير من هذا؛ يقول ربي عزوجل، وخير القول قول ربي عزوجل، ونعم القول قول ربي عزوجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢١).

الهوامش

١- (البخاري ٣٦٢٤ ومسلم ٢٤٥٠ وأحمد ٢٦٤١٣).
٢- (البخاري ٩٢٤ ومسلم ٧٦١ وأحمد ٢٥٣٢٦).
٣- (صحيح مسلم ٧٧٢ وأحمد ٢٣٢٤٠).
٤- (صحيح مسلم ٧٧٢ وأحمد ٢٣٢٤٠).
٥- (البخاري ٧٧٥ ومسلم ٨٢٢ وأحمد ٣٩٥٨).
٦- (صحيح البخاري ٢٠١٠).
٧- (صحيح مسلم ٧٧٨ وأحمد ١٤٣٩١).
٨- (صحيح مسلم ١٠٩٩ وأحمد ٢٤٢١٢).
٩- (صحيح البخاري ٩٥٣ وأحمد ١٢٦٧٦).
١٠- (البخاري ٦ ومسلم ٢٣٠٨ وأحمد ٢٠٤٢).
١١- (٢٠٢٤ ومسلم ٢٣٠٨ وأحمد ٢٤١٣١).
١٢- (البخاري ٣٥ ومسلم ٧٦٠ وأحمد ٨٥٧٦).
١٣- (البخاري ٢٠٢٦ ومسلم ١١٧٢ وأحمد ٢٤٦١٣).
١٤- (صحيح رواه أحمد ٢٥٥٠٥ والترمذي ٣٥١٣ وابن ماجه ٣٨٥٠).
١٥- الطبقات الكبرى (٣/٢).
١٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٣٠٣/٣). البدء والتاريخ (١٩٤/٤).
١٧- مغازي الواقدي (٥/١).
١٨- راجع مغازي الواقدي (٦/١).
١٩- السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان (١٥٧/١).
٢٠- سيرة ابن هشام (٤٣٧/٢).
٢١- (صحيح مسلم ١٣٩٨ وأحمد ١١١٧٨).
٢٢- (صحيح مسلم ١١١٤ وأحمد ١٤٥٢٩).
٢٣- (البخاري ٢٨٩٠ ومسلم ١١١٩ وأحمد ١٣٦١٩).
٢٤- (البخاري ١٩٤٥ ومسلم ١١٢٢ وأحمد ٢١٦٩٦).

أمين حميد عبد الجبار
شاعر يمني

قد جئت يا شهر الصيام

رمضان هذا العام نوح منارة
مقصوفة وتأوه المحراب

وشرود صُوّام على أرجائها
في عالم متوحش الأنياب

قد جئت يا شهر الصيام وأمة
الإمساك نهب عصابة النُّهاب

سلبوا الأمان عن الديار وأهلها
وسقوا عيون كرامها بالصاب

أوّاه يا دين الحنيفة كم بكى
شيخ فراق سكينة المحراب

وتأوهت بنت النعيم وقد غدت
محرومة من ساتر الأثواب

حتى البلابل وهي فوق غصونها
حنت لصوت بلالها المنساب

كُربٌ على كُربٍ وليل حالك
وفواقر مسنونة الأخلاب

لم يبق إلا الله من أمل لنا
فعساه يفتح مُغْلَق الأسباب

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

رمضان وثبة إلى الجنة

شهر رمضان من الشهور التي شرّف الله بها أمة الإسلام، بل إن شهر رمضان يعتبر الميلاد الحقيقي للأمة الإسلامية وذلك مع بداية نزول الوحي على النبي ﷺ وهو يتعبد في غار حراء ونزول أول آيات القرآن الكريم من سورة العلق: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ **(العلق:١-٥).**

وقد خص الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بخصائص انفرد بها عن بقية شهور العام مما يجعله حاضنة إيمانية لمن أراد التزود من الطاعة، وحاضنة تربوية لمن أراد أن يصلح من نفسه ويهذبها بالتوبة والأوبة إلى الله - وفي كل خير- ولذلك فإن الملك المكلف من قبل الله سبحانه وتعالى بالنداء ينادي في المسلمين عند أول ليلة من رمضان: يا باغي الخير أقبل، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفّدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة». (رواه الترمذي، وابن ماجه).

وهذا الحديث يصور لنا فيه النبي ﷺ البيئة الرمضانية والأجواء المصاحبة لها من أول ليلة من ليالي شهر رمضان، والتي تستمر طوال أيامه ولياليه، وهو تصوير يحفز أصحاب الهمم العالية على الزيادة في الجد والتشمير، كما أن فيه أيضا استنهاضا وإفاقة لمن غلبتهم شهواتهم، فضعفت همتهم

﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (النساء:١٨).
وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر» (رواه الترمذي)، وباب التوبة أيضا مفتوح مالم ينزل عذاب يستأصل الأمم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (غافر:٨٤-٨٥)، وباب التوبة أيضا مفتوح مالم تظهر علامات الساعة الكبرى وتخرج الشمس من مغربها، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، ورآها الناس، آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها، ثم قرأ الآية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٨).
والتوبة ندم العبد على ما فات وعزم على الإقلاع عن المعاصي والذنوب، والذل والانكسار بين يدي الله، رجاء أن يتوب عليه ويتقبله في الصالحين. والتوبة محلها القلب وهي من أعماله،

وفترت، فيسارعوا لاغتنام مواسم الطاعات والخيرات، فمن علت همته؛ طمح إلى الفردوس الأعلى من الجنة فيجود وضحّى بالنفس والنفيس وبكل ما يملك.

ولكي يلج المسلم إلى هذه البيئة الرمضانية ويتعرض لنفحاتها الربانية، فلا بد له من الالتزام بعدد من الضوابط الأخلاقية الشرعية التي تحرر المسلم من أسر الشهوات وتجعله يتحكم فيها وفي جوارحه:

أولا: التوبة

من رحمة الله بعباده أن شرع لهم التوبة، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١)، فما من إنسان إلا ويحتاج إلى التوبة، والتوبة بابها مفتوح مالم تصل الروح إلى الحلقوم ويوقن العبد أنه ميت، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ

فإذا صلح القلب، صلحت باقي الجوارح، ففي الحديث: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (متفق عليه).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه».

وقد أورد ابن رجب – رحمه الله – في جامع العلوم والحكم – أن الحسن قال لرجل: داوِ قلبك، فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم – يعني أن مراده منهم ومطلوبه صلاح قلوبهم –، فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله، وعظمته، ومحبته، وخشيته، ومهابته، ورجاؤه، والتوكل عليه، وتمتلئ من ذلك، وهذا هو حقيقة التوحيد، وهو معنى قول «لا إله إلا الله»، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له، ولو كان في السماوات والأرض إله يؤله سوى الله، لفسدت بذلك السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢).

ثانيا: هداية الجوارح وكف الشهوات

القلب على هذه الحالة تنقاد له الجوارح فيقودها ويرشدها إلى الحق والخير، فيستجيب إلى منادي الهدى «يا باغي الخير أقبل» يلبي القلب، فتلبي الجوارح وتستقيم باستقامته على أمر الله، فانحراف الجوارح وعكوفها على المعاصي؛ تبطل الصوم، وهذا ما حذر منه النبي ﷺ، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «رُبَّ صائم ليس له حظ من صومه إلا الجوع والعطش، ورُبّ قائم ليس له حظ من قيامه إلا السهر» (رواه أحمد).

وهذا الحديث فيه إجمال لأثر الجوارح في إفساد الصوم وضياع أجره، وفي أحاديث أخرى فَصَّل فيها النبي ﷺ أثر جوارح بعينها في إفساد الصوم، كاللسان، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «والصيام جُنّة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم». (متفق عليه).

وقد وعى الصحابة – رضوان الله عليهم – ذلك وعملوا بما أرشدهم إليه النبي ﷺ، وقد بوَّب ابن أبي شيبة في مصنفه: باب «ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب» أورد فيه جملة من أقوال الصحابة في هذا المعنى، فيقول عمر رضي الله عنه: «ليس الصيام من الطعام والشراب، ولكن من الكذب والباطل واللغو والحلف»، ويقول جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: «إذا صُمتَ فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك عن الكذب، والمآثم، ودع أذى الخادم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم صيامك وفطرك سواء»، وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه يقول: «إذا صمت فتحفّظ ما استطعت».

والجوارح في استقامتها، أو انحرافها تميز بين صوم القلب وصوم البدن، يقول العلامة الشيخ بن عثيمين – رحمه الله –: أما الذي يجب عنه الصوم: فلعلكم تستغربون إذا قلت: إن الذي يجب عنه الصوم هو: المعاصي، يجب أن يصوم الإنسان عن المعاصي؛ لأن هذا هو المقصود الأول في الصوم؛ لقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)، لم يقل: لعلكم تجوعون، أو لعلكم تعطشون، أو لعلكم تمسكون عن الأهل، لا، قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، هذا هو المقصود الأول من الصوم، وحقق النبي ﷺ ذلك وأكده بقوله: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» إذًا أن يصوم الإنسان عن معاصي الله عزوجل، هذا هو الصوم الحقيقي، أما الصوم الظاهري، فهو الصيام عن المفطرات، الإمساك عن المفطرات تعبدا لله عزوجل من طلوع الفجر إلى غروب الشمس؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ (البقرة:١٨٧)، هذا صوم نسميه الصوم الظاهري، صوم البدن فقط، أما صوم القلب الذي هو المقصود الأول: فهو الصوم عن معاصي الله عزوجل.

وعلى هذا: فمن صام صوما ظاهريا جسديا، ولكنه لم يصم صوما قلبيا؛ فإن صومه ناقص جدا جدا، لا نقول: إنه باطل، لكن نقول: «إنه ناقص جدا إذا لم يصم الإنسان عن معصية الله، لكنه مجزئ؛ لأن العبادات في الدنيا

إنما تكون على الظاهر» (١).

وثبة إلى الجنة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به» (متفق عليه).
وذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري:
- أن المراد بقوله: «وأنا أجزي به»: أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته، وأما غيره من العبادات فقد اطلع عليها بعض الناس. قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كُشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير، ويشهد لهذا رواية الموطأ، وكذلك رواية الأعمش عن أبي صالح في الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عزوجل: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به» أي: أجازي عليه جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠).
- أن الإضافة إضافة تشريف وتعظيم، كما يقال: بيت الله، وإن كانت البيوت كلها لله. قال الزين بن المنيِّر: التخصيص في موضع التعميم في مثل هذا السياق لا يفهم منه إلا التعظيم والتشريف (٢).
وتعظيما وتشريفا للصائمين فقد خصهم الله بباب من أبواب الجنة لا يدخل منه غيرهم، كما جاء في الحديث: عن سهل رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد» (متفق عليه).
وإذا كان الفوز بالجنة والرضوان هو مبتغى المسلم؛ فقد وعد الله سبحانه وتعالى الصائمين بمغفرة الذنوب، وفي مغفرة الذنوب وعد وبشرى بدخول الجنة.
ففي نهار رمضان وعد وبشرى بالمغفرة، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري).
وفي ليالي رمضان أيضا وعد وبشرى بالمغفرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن قام مع الإمام حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة» وفي هذه الأحاديث ترغيب من النبي ﷺ للمسلمين على اغتنام أيام وليالي رمضان، بصيامها وقيامها إيمانا بالله، وأداء لفريضة الصيام، واحتسابا للأجر عند الله سبحانه وتعالى، إخلاصا له وحده ودون رياء أو سمعة، رجاء مغفرة الذنوب.
ثم تأتي عطية الله ومنحته في الوتر من العشر الأخيرة من ليالي رمضان لمن صام وقام إيمانا واحتسابا، وهي ليلة القدر، قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر:٣).
وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غُفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه).

احذر أن تخسر رمضان

رغم كل هذه النفحات والمنح الربانية، وأبواب الرحمة والمغفرة على وسعها، إلا أن هناك من يضل الطريق، ويفشل في اغتنام هذه المنح ليغير من نفسه ويلزمها الصراط المستقيم، فيخسر رمضان، وما بعد رمضان، وهو ما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال: «آمين آمين آمين قيل: يا رسول الله إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين قال: إن جبريل أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله قل آمين فقلت: آمين...» (رواه ابن حبان).
ومثل هذا الصنف من الناس الذين خسروا رمضان، استجابوا لنداء أولياء الشيطان وجنده من شياطين الإنس والذين أخذوا على عاتقهم ألا يخلوا بين المسلم وبين عبادة ربه والرجوع إليه في رمضان، فأعدوا العدة، وشمروا، واجتهدوا لإفساد صوم الصائمين، وقيام القائمين، بمسلسلات وأفلام، وفوازير ومسابقات،...إلخ، أعدوها خصيصا لرمضان وقبل أن يأتي بشهور.
وقسم آخر من شياطين الإنس عمل على تصوير رمضان بأنه شهر طعام وشراب، وسهرات ومسامرات حتى الصباح.
والمسلم الحق هو الذي يعرف لرمضان قدره، فيصوم نهاره، ويقوم ليله متأسيا بالنبي ﷺ، ومستحضرا همَم الصحابة والتابعين، وسلف الأمة والصالحين أجمعين، ومتفقدا أحوالهم في رمضان وكيف كانوا، فيكون مثلهم، فيصوم رمضان صوم مودِّع لعله آخر عهده برمضان.

الهوامش

١- ابن عثيمين: لقاء الباب المفتوح، اللقاء رقم: (١١٦) في يوم الخميس، العشرين من شهر شعبان عام (١٤١٦هـ).
٢- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الصوم، (١٣٠/٤).

محمود على محمد
القاضي بالمحاكم المصرية

من مدرسة الصوم

لا يمكن لمسلم واع يدرك أهمية التربية الإسلامية في تنشئة الأبناء منذ نعومة أظفارهم، أن يغرب عنه ما في شهر رمضان من فضائل ومآثر طيبة، دون أن يستشرف منها فيوضات الخير التي تنمي لديهم الملكات الأساسية في فهم أمور دينهم، ونؤسس البنية اللبنية الأولى لغد ناظره قريب، ذاك الغد الذي يصلون فيه لسن الالتزام بالصلاة وبالصوم وكافة الفرائض الإسلامية، وهم قد أشربوا مبادئها، ومارسوها بالتقليد والمحاكاة والتجربة.

ومن هنا تؤتي التربية السليمة أكلها كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه.

القدوة وأثرها في التربية

هي إحدى وسائل الفاعلة والمؤثرة في تنشئة الأبناء، ذلك أن عيونهم معقودة بأبويهم، فالحسن ما استحسنوا والقبيح ما استقبحوا، فالمربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل والأسوة الصالحة في عينيه، يقلده سلوكيا ويحاكيه خلقيا من حيث يشعر أو لا يشعر بل تنطبع في نفسه وإحساسه وصورته القولية والفعلية والحسية.

ومن هنا يتضح الدور الفاعل في تحلي الأبوين بمكارم الأخلاق مسلكا ونهجا قولا وعملا وأداء للفرائض في صورتها المثلى، فمهما كان استعداد الابن للخير عظيما، ومهما كانت فطرته نقية فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير وأصول التربية الفاضلة ما لم ير المربي في ذروة الأخلاق وقمة القيم وأعلى المثل، ومن السهل على المربي أن يلقن الولد منهجا في مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى مربيه وموجهه غير محقق لهذا المنهج وغير مطبق لأصوله ومبادئه (١).

يقول الإمام الغزالي في الإحياء: «إن الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نقية ساذجة، وهو قابل لكل ما ينقش فيه، ومائل إلى كل ما يحال به إليه، فإن عوده الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة».

الصوم وتربية الأولاد

لا شك أن للفرائض الإسلامية عامة آثارا طيبة في تربية النفس وتقويمها، وللصوم خاصة أكبر الأثر بحكم ما يفرضه من حرمان للنفس من رغباتها ومشتهياتها ومما أحله الله لها، وهو ما ينمي في الإنسان فضيلة الصبر، ففي الحديث: «الصوم نصف الصبر» (٢)، كما أن ثوابه عظيم وفضله أعظم، فهو عبادة لا يطلع عليها إلا الله، وفي الحديث: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك»، وفي الحديث القدسي: «إنما يذر شهوته وطعامه وشاربه لأجلي، فالصوم لي وأنا أجزي به»، والأحاديث في هذا الشأن كثيرة.

ومهمة المربي هي اقتباس المعاني العظيمة وغرسها في نفوس الأبناء يوما بعد يوم، فمثلا يجب أن يعي الأطفال في طفولتهم، لماذا نصوم؟ وكيف نصوم؟ ومتى نصوم؟ وما الذي نتعلمه

من الصوم؟ وما أجر الصائم عند الله؟ وما جزاء من أفطر في رمضان؟ وهكذا العديد من الأسئلة حول الصوم والتي قد يطرحها الأبناء أحيانا، فيجب أن تكون إجابة الآباء على هذه التساؤلات بصورة مبسطة وعملية وسهلة، مع الاقتباس من السيرة النبوية وقصص الأنبياء وبعض الكتب التي تناسب أعمارهم، ففي ذلك ما ينمي مداركهم العقلية في فهم أمور دينهم حتى يشبوا على حبها وأدائها.

الصوم والصبر والأبناء

إذا كانت الطفولة ليست مرحلة تكليف، لكنها من أخطر المراحل العمر في مجال التكوين الشخصية وبناء الإنسان، ولذا فمطلوب فيها التدريب لتعويد النشئ على أداء الفرائض فيما قبل مرحلة التكليف بها، فيسهل على الصبي أداء الواجبات والفرائض وقد أدرك تماما معناها ومبناها.

وهذا هو منهج الإسلام، ففي حديث: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (٣). وهكذا خصص النبي ﷺ ثلاث سنوات متصلة لتأصيل أمر الصلاة استجابة للنداء القرآني، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه:١٣٢).

وقد أجمع العلماء على أن الصوم يجب على المسلم العاقل البالغ الصحيح المقيم، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس.

فإن كان الصوم غير واجب على الصبي قبل بلوغه إلا أنه ينبغي لولي الأمر أن يأمره به ليعتاده منذ الصغر ما دام مستطيعا له قادرا عليه (٤)، فعن الربيع بنت معوذ قالت: «أرسل رسول الله ﷺ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من كان أصبح صائما فليتم صومه، ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه، فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن - الصوف - فإذا بكى أحدهم أعطيناه إياه، حتى يكون عند الإفطار» (٥)، ونستلهم من الحديث أن تعليم النشئ الصوم قبل التكليف به أمر مطلوب مع مداعبتهم، ملاعبتهم وملاطفتهم حتى يعتادوه، ورحم الله من قال:

ينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوده أبوه

وما دان الفتى بحجىً ولكن يعوده التدين أقربوه

معان كثيرة

للمواقيت في رمضان دور في تحديد بدء الصوم وتناول الإفطار، فهي وسيلة طيبة يمكن للمربي أن يقتبس منها كثير من المعاني في الالتزام بالمواعيد، فيجعل من إيقاظ الأبناء لتناول السحور، ثم تدريبهم على الصوم ولو لساعات معدودة من النهار، حتى يتعودوا صوم اليوم كله ويستطيعوه، وفي ذلك فائدة لكبح جمح الطفل خاصة المدلل في طلباته ورغباته الدائمة وذلك تدرجا مع عمره وما يطيق.

ومن هنا يعرف معنى الصبر والحرمان من الطعام والشراب مع وجودهما، امتثالا لأوامر الله وطاعة له وأداء لفريضته.

هذا وفضلا عن تعويده أداء صلاة الفجر في المسجد مع والده، وهي أوقات طيبة وفيها من الهدوء والسكينة ما يمكن الطفل من التعلم السريع لما يلقي عليه من تعاليم ومبادئ دينه، سترسخ في ذهنه إذا ما استثمر المربي هذه الأوقات وبركتها.

برنامج يومي

رمضان هو شهر القرآن، وفيه تكثر أفعال الخير، ويمكن للمربي أن يستثمر أيضا في تغير بعض سلوكيات الأبناء، كالإفراط في مشاهدة برامج التلفزيون، بأن يعودهم على الصبر على عدم مشاهدتها، والاقتصار على برامج بعينها، ويستوجب هذا - برمجة برامج التلفزة - بأن تعد الأسرة أجندة بمواعيد البرامج التي ستشاهدها على مدار اليوم انتقاء مما تنشره الصحف والمجلات منها، وبما لا يتعارض مع مواعيد الصلاة وصلاة القيام.

وإذا تحقق ذلك أمكن في هذا الشهر الذي تطغى فيه برامج التلفزة المثيرة والمسلية عبر الشبكات المحلية والفضائية، وجلها لا يهتم إلا بقشور المعلومات، ويؤدي أغلبها إلى تهميش ثقافات الأبناء، وحشو عقولهم بكم من الأحداث والأسماء والنعوت التي لا جدوى من ورائها ولا طائل، فان ذلك سيبعد الأطفال رويدا رويدا من أمام التلفاز، وهذه فائدة عظيمة ستؤتي ثمارها الطيبة في قابل الأيام، وسيتعلمون عدم إضاعة الأوقات هباء منثورا.

تعميق الجانب المعرفي

تكثر في رمضان ساعات اجتماع أفراد الأسرة، ومن الممكن أن تجعل الأسرة من ذلك طريقا لتلقي العلوم والثقافات، بأن تعد الأسرة برامج ثقافية شيقة في صورة بعض الأسئلة الثقافية من واقع كتب السيرة والقصص النبوي وقصص الأطفال وبعض المعلومات البسيطة من تلك الكتب تناسبا من عمر الأبناء، وتؤدّى في إطار مسابقة على غرار برامج التلفزة مثلا وبطريقتها حتى تشتمل على جانب التشويق الذي يحبه الأطفال، وتقدم لهم الجوائز الرمزية لقاء إلمامهم بتلك المعلومات.

ومن هنا يمكن أن نجعل من رمضان موسما ثقافيا داخل كل أسرة بجماعية الاطلاع وتناول المعلومات وتلقيها، وستكون الفائدة أعم والثمرة أكبر، إذا تم ذلك التسابق المعرفي في إطار مجموعة من الأسر المتجاورة، أو الأقارب.

الهوامش

١- عبد الله ناصح علون -تربية الأولاد في الإسلام، (٢/ ٦١٠) دار السلام للطباعة والنشر.
٢- أخرجه الترمذي.
٣- رواه الحاكم وأبو داود.
٤- السيد سابق، فقه السنة، (١/ ٣٧١).
٥- رواه البخاري ومسلم.

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

فضل عظيم لا أضيّع أوقاته

رمضان شهر مبارك كريم به فضائل عظيمة اختص الله به أمتنا أمة محمد رسول الله ﷺ، لم يختص بها غيرها، فقد اختار الله تعالى شهر رمضان؛ لينزل به أفضل كتبه إلى خيرة خلقه، فقد أنزل القرآن الكريم إلى السماء الدنيا جملة واحدة أوّلًا في ليلة القدر، ثم نزل مفرّقًا حسب مقتضيات الأحوال، والمناسبات والوقائع، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: ١٨٥). ولم يكن أعظم بركة على هذه الأمة من نزول القرآن الكريم على أشرف خلق الله سيد البشرية سيدنا محمد ﷺ.

ومن فضل شهر رمضان أنه فيه أنزلت جميع الكتب السماوية، فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان» (رواه أحمد).

وقال ﷺ: «أتاكم رمضان شهر مبارك، فرض الله عزوجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغَلُّ فيه مردة الشياطين، لله فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرِم» (رواه النسائي)، فيا لها من رحمة وكرم عظيم من الله تعالى لخلقه.

خطبة آخر يوم من شعبان

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال، خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيها الناس: قد أظلّكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، شهر جعل الله تعالى صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، ومن تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه. وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزداد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيء، يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائما على مذقة لبن، أو شربة ماء، ومن أشبع صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمه، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار» (رواه الهندي في كنز العمال، حديث رقم: (٢٣٧١٤). فأبواب الخير كثيرة في رمضان وحسناته تتضاعف أضعافا مضاعفة.

فضائله لا تنتهي

ومن ميزات هذا الشهر أن جعل حال الصائم كله عبادة وطاعة لله، فصَمْتُه عن فضول الكلام طاعة لله، وإن نام ليتقوى على الصيام والقيام؛ فنومه عبادة، فعن عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نوم الصائم عبادة، وصمتُه تسبيح، وعمله مضاعف،

وذنبه مغفور، ودعاؤه مستجاب» (رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: (٣٩٣١).

شهر الغفران موسم عظيم كريم للتزود بالتقوى والحسنات، ومضاعفة الثواب وتثقيل الميزان يوم القيامة، فكان رسول الله يتأهب للقاء رمضان، فإذا دخل شهر رجب يقول: «اللهم بارك لنا في رجب وشعبان، وبلِّغنا رمضان»، وكان يحن ﷺ للقائه، فيقول: «اللهم أهلَّه علينا باليمن والإيمان، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله» (رواه الترمذي، حديث رقم: (٣٤٥١).

ومن أجمل ما قيل في فضل الصيام أن الله تعالى خص أمة نبيه بباب الريان، قال ﷺ: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد» (رواه البخاري، حديث رقم: (١٧٩٧).

وقد حذّر رسول الله ﷺ من الإفطار فيه بغير عذر فقال: «من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض، لم يقض عنه صوم الدهر كله، وإن صامه» (رواه الترمذي، حديث رقم: (٧٢٣).

لذة رمضان

فما أعظم هذا الشهر وما أجل قدره عند الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى ورزقه التوفيق والسداد استقبل رمضان بنفس منشرحة، وبسعادة غامرة، وبتوبة وقلب منيب، راجيًا الله تعالى الثبات والقبول، والتقوية على الطاعة، وشعر بلذته وبحلاوة طاعاته، بل وحرص على اغتنام كل لحظة من لحظاته دون إضاعتها فيما لا يفيد من مشاغل الدنيا، كقضاء الوقت على فنون الطبخ، وعلى الجوالات، أو على المقاهي والملاهي والمطاعم، أوعلى حضور المسلسلات التلفزيونية، ومتابعة برامج المسابقات، والبرامج الترفيهية في رمضان...إلخ، وهي في الحقيقة برامج إضاعة الوقت، والبعد عن طريق الصواب، وماهي إلا لمن لا يشعر بحلاوة رمضان، ولا يتذوق خيراته، وقد قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له» (رواه الترمذي، حديث رقم: (٣٥٤٥). وقد كان السلف الصالح يدعون الله تعالى من أول العام أن يبلغهم رمضان، فإذا تم لهم ذلك وصاموه؛ اجتهدوا بسؤال الله تعالى القبول حتى ينتهي العام.

فرمضان ماهو إلا دورة تدريبية مكثفة مدتها شهر، لها مواد دراسية، تحتاج إلى الجهد والاجتهاد من أجل التخرج بفائدة وشهادة، وتغيير وشحن للهمم، ودفعة للأمام بشكل إيجابي موفق، وهذه المتطلبات أو المواد الدراسية ماهي إلا العبادات، وقد أرشدنا رسول الله ﷺ لها وهي الأمور العشرة التالية:

الصيام، وصلاة قيام الليل، والإكثار من تلاوة القرآن الكريم، والإكثار من الدعاء فقد جاء بعد آية الصوم في رمضان: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)، والاعتكاف، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره». (رواه مسلم، حديث رقم: (١١٧٥)، والإكثار من ذكر الله تعالى والاستغفار، والإطعام، وبذل المال، والإكثار من الصدقات، فعن أنس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ: «أي الصدقة أفضل؟ قال: صدقة في رمضان» (رواه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم: (٣٦٣١)، وقيام ليلة القدر وإحياؤها بالطاعات: قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (القدر: ٣)، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وتغيير السلوكات السيئة، والصبر.

إعداد : نهى الفخراني
كاتبة مصرية

الصيام وتأجيل الإشباع للرغبات

الصوم له فوائده، ومقاصده، وأهدافه البانية، فهو يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها حيويتها ونشاطها، وهو أيضًا من أكبر وسائل العون على تقوى الله عزوجل، ويعد شهر رمضان المبارك بمثابة دورة تدريبية سنوية تعين المسلم على تقوية الإرادة وجهاد النفس، وللصيام فوائد سيكولوجية ونفسية عظيمة تعود على المسلم بكل الخير.

وبداية لابد من الإشارة إلى موضوع (الإشباع الفوري للرغبات) كمدخل لمعرفة فوائد الصيام النفسية.

فالصيام تأجيل لإشباع الحاجات والرغبات المُلحَّة منذ طلوع الشمس إلى غروبها، وهذا الامتناع يُعرِّفه علماء النفس بـ (تأجيل الإشباع)، والصيام كما نعلم هو الإمساك عن شهوتي البطن، والفرج، منذ بزوغ الفجر وحتى غروب الشمس، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧).

ويؤكد ذلك النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عزوجل: «كل عمل ابن آدم له، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لي،

وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي» (متفق عليه). واستعجال الإنسان في الحصول على شهوات النفس، صفة إنسانية، قال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (الأنبياء: ٣٧).

إن القدرة على إشباع الرغبات تميز بين ناضج الشخصية وغيره، وبين الطفل الصغير والراشد، فالطفل إذا رغب في الحصول على شيء ما، تجده يلح عليه بشده، ويبكي كثيرا حتى يحصل على الإشباع الفوري لطلبه، فهو لا يطيق الحرمان منه، وكلما كبر الطفل ينضج من الناحية النفسية، ويصبح أكثر صبرا على عدم حصوله على ما يلبي رغبته فوريا ويتفاوت ذلك من طفل لآخر، فالكبار كذلك يتفاوتون في درجة صبرهم على (تأجيل الإشباع)، ويرجع هذا التباين إلى نضج الشخصية الإنسانية، والصبر والكف عما تُلِحُّ به النفس من شهوات ورغبات.

وفي الصوم التزام بالصبر وتعويد عليه، وتربية للإرادة، وجهاد للنفس، وصبر على الطاعة، أو صبر عن المعصية، والصيام يتمثل فيه الصبران، وشهر رمضان هو (شهر الصبر)؛ لقول النبي ﷺ: «صوم شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وَحَرَ الصدور» (رواه الطبراني).

ومن حكم الصوم، إشعار الصائم بنعم الله التي لا تحصى عليه، ودفعه لشكر النعمة؛ لأن إلفَ النعم يفقد الإحساس بقيمتها، فلا يعرف مقدار النعمة إلا عند فقدها، ففي الحديث الشريف، قال النبي ﷺ: «عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوما وأجوع يوما، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك». (رواه أحمد والترمذي)

ولعل الالتزام بالصوم، والامتناع عن الطعام والشراب دون مقابل، إلا ابتغاء رضوان الله يجعل البقاء دون طعام وشراب لساعات طويلة أهون بكثير مما لو كان البقاء دون أكل وشرب ناتجا عن مانع من خارج النفس، كأن يمنعك شخص من الوصول إلى الطعام والشراب، ففي هذه الحالة يكون الجوع والعطش أشد، وهذا ما بيَّنتْه الاختبارات النفسية، حيث وجدت أن (الالتزام يغيّر الدافع)، وثبت ذلك في الاختبارات التي تكشف مدى انشغال النفس لا شعوريا بالعطش والجوع ، وقد تم هذا الاختبار بين فريقين: الفريق الأول طُلِب منه الاستمرار في الصوم الذي شرع فيه قبل القدوم للمختبر، فالتزموا بإرادة منهم - وإن كان بطلب من الباحثين - في حين أن الفريق الثاني قد تم تركه دون شراب أو طعام، بحيث بدا لهم أن الأمر غير مقصود، وقد بيَّن الاختبار أن الذين التزموا بالامتناع عن الطعام والشراب بإرادتهم كانوا أقل جوعا وعطشا من الذين تمت مماطلتهم بحيث صاموا الساعات نفسها، ولكن دون التزام منهم بذلك، فالصوم في الحقيقية هو قمة الالتزام بالصبر، وهو امتناع بقناعة ورضا لما أمرنا الله به.

وللصوم تأثير كبير في دفع الشهوات وكسر حدتها، ولهذا يقول النبي ﷺ: «الصوم جُنَّة» (أخرجه البخاري ومسلم) - والجُنَّة: درع واقية من الإثم في الدنيا، ومن النار في الآخرة-، وقال في الحديث الذي رواه عثمان ابن أبي العاص: «الصيام جُنَّة من النار كجُنَّة أحدكم من القتال».

ويؤثر الصوم في تقليل الشهوات الجنسية عند الإنسان، لا بإضعاف الجسد بالجوع والعطش، بل عن طريق تكوين ملكة التقوى التي تعصم الشخص عن الوقوع في المعاصي، وعن طريق التقليل مما يسميه علماء النفس «انشغالًا وسواسيًا» وفيه ينشغل البال بالأفكار، والخيالات الجنسية، وتعطله عن أن يوجه ذهنه في دراسته، أو عمله، وهذا الانشغال أمر متعب للنفس، ويستحوذ عليها، ويجد الإنسان صعوبة في التخلص منه، وهنا تظهر إحدى فوائد الصيام في أنه يقضي على هذا الانشغال الوسواسي دون أن يقضي على الرغبة نفسها، وبهذا يكون الصوم وِجاءً للمسلم إذا اقترن بغَضِّ البصر، والابتعاد عن دواعي الزّنا.

وللصوم أثره في العَزَب، من حيث هو عبادة مستمرة من الفجر إلى المغرب، والصائم إن نسي للحظات أنه صائم، فإنه لا يلبث أن يعود إلى جوِّ العبادة التي يعيشها، وهذا بدوره يجعله أقلّ رغبة في نظرة لا تحل له.

وتعد هذه الغريزة أخطر أسلحة الشيطان في إغواء الإنسان، ولهذا فقد وصف النبي ﷺ الصوم كعلاج فعّال للشباب الذي لا يجد نفقات الزواج فقال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أَغَضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (رواه البخاري).

والصوم كما جاء في شريعتنا أفضلُ أنواع الصيام التي عرفها البشر، ففيه إعلاء للجانب الروحي على الجانب المادي الذي يطغى على حياة الناس على مدار العام، وفيه انتصار للعقل على الشهوة، ولعل هذا سرُّ الفرحة اليومية التي يجدها الصائم كلما وُفق في إتمام صوم يوم حتى يفطر، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه».

السنوسي محمد السنوسي
باحث و صحفي
مصري

شهر يحمل رسالة الإسلام

لشهر رمضان الكريم في نفوس المؤمنين منزلة ومكانة؛ إذ فيه يستروحون نسيم الإيمان، ويستعيدون اللحظات الأولى لميلاد الأمة حين نزل القرآنُ فيه، ووُلدت بتنزُّله أمة الإسلام والقرآن.

رمضان... ما أجمله من شهر، وما أعطرها من أيام، وما أعظمها من نفحات، وما أكثر دروسه وعبره!

وإذا شئنا أن نوجز رسالة الشهر الكريم، فيمكن أن نقول: إن رسالة رمضان هي رسالة الإسلام ذاته.

تزكية النفس

فإذا كانت رسالة الإسلام تجديد للصلة بالله، وتزكية للنفس، وارتقاء بالروح، وتطهير للجوارح؛ فإن رسالة رمضان هي هذا كله أيضا؛ ولذا، كانت التقوى - وهي جماع هذه الصفات - هي الغاية التي حددها القرآن الكريم من فريضة الصيام، التي ترتبط برمضان ارتباطا وثيقا، فلا يُذكر أحدهما إلا بالآخر، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة:١٨٣).

وجاء الحديث الشريف ليبين أن الصوم لا يتم على الحقيقة بمجرد ترك الطعام والشراب، إنما يتم بالامتثال لأوامر الله، واجتناب نواهيه، وترك الكذب والجهل والسَّفه، فقال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في

أن يدع طعامه وشرابه» (١).
قال البيضاوي: «ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات، وتطويع النفس الأمَّارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك؛ لا ينظر الله إليه نظر القبول، فقوله: «ليس لله حاجة» مجازٌ عن عدم القبول، فنفى السبب وأراد المسبب» (٢).
لقد كان الصيام من أعظم وسائل تزكية النفس؛ لأنه يذكرها بجانبها الروحي، ويقطع عنها علائق المادة والشهوات، فيخفت داعي الباطل، وتتكسر وساوس النفس، ولا يجد الشيطان لنزغاته صدى.

توازن بين الروح والجسد

وإذا كانت رسالة الإسلام هي رسالة التوازن بين أشواق الروح ومتطلبات الجسد، بحيث لا يطغى الإنسان في تلبية حاجات أحدهما على الآخر؛ فإن شهر رمضان يغرس في المسلم هذا السلوك بطريقة عملية؛ إذ يمتنع فيه المسلم عن شهوتَي البطن، والفرج لساعات - حتى يزكي روحه وقلبه - ثم يلبي حاجة الجسد مع غروب الشمس، وقد نُهينا عن وصال الصيام أي: ألا يفطر الإنسان عند الغروب، ويستمر صائما بالليل حتى يصله باليوم الثاني.
فليس الصيام حرمانا للجسد من حقوقه، ومن الضرورات التي تقوم بها حياته، إنما هو تذكير للمسلم بأن غايته لا يجوز أن تنحصر في متطلبات مادته، وبأن لروحه حقوقا لا تقل أهمية عن حقوق جسده، بل تعلوها؛ إذ الإنسان من غير تحقيق الجانب الروحي فيه - بالعبادة والتقوى وصالح الأعمال - ينحط إلى دركات سفلى، ويفقد ما ميزه الله به عن سائر المخلوقات.
هذا التوازن الذي يقرره الإسلام بين الروح والجسد، هو ميزة كبرى من مميزات الإسلام، أكدها في الكثير من آياته وتوجيهاته وتشريعاته، بمثل قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:٧٧).

حقوق الله وحقوق الناس

إن رسالة الإسلام تعلم المسلم مراعاة حقوق الله تعالى، ومراعاة حقوق العباد أيضا؛ لأن الفرد لا يعيش وحده، بل يحيا وسط مجتمع، وينسج معه علاقات متشعبة.
ولأن الإسلام ليس دعوة للانعزال والانطواء، فقد اهتم بسلوك المسلم مع الآخرين، وأمره بإحسان العلاقة مع الناس، بل جعل هذا من علامات حسن إسلامه، وكمال إيمانه؛ وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٣).
ورسالة الصيام تسج على المنوال ذاته، فهي تهذب المسلم روحا ونفسا في علاقته مع الله، بمثل ما تُقَوِّمُ سلوكه، وأخلاقه في علاقته مع الناس، ولذا فهو مأمور - خاصة في صيامه - بالابتعاد عن سيئ الأخلاق، ورذيل الفعال، قال ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم» (٤).
بجانب ذلك، شُرع في شهر رمضان إفطار الصائم - ولو على تمرة - وإطعام الطعام، كما شُرعت صدقة الفطر، ممّا يدلل على أن رمضان ليس موسما للعبادة بمعناها الفردي فحسب - أي: علاقة المسلم بربه - إنما يمتد أثره ليظلل علاقات الناس بعضهم ببعض، فهو شهر الصفاء الروحي، والصفاء الاجتماعي معا.
وبهذا الالتفات المطلوب لرسالة شهر رمضان، من حيث تزكية النفس، وإقامة التوازن بين أشواق الروح ومتطلبات الجسد، والقيام بحقوق الله وحقوق الناس في آن واحد؛ يتبين لنا أن رسالة هذا الشهر الكريم هي رسالة الإسلام ذاته، وأن رمضان عنوان على ذلك البناء الضخم من القيم، والمعاني، والمفاهيم التي ينبغي أن تمتد في حياتنا طوال العام، وإن كانت في رمضان آكد وأكثر إلحاحا، وأعظم أجرا.

الهوامش

١- رواه البخاري من حديث أبي هريرة.
٢- فتح الباري، لابن حجر، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».
٣- رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك.
٤- رواه البخاري من حديث أبي هريرة.

محمد إبراهيم خاطر
كاتب ومدرب معتمد

التغيير المنشود

شهر رمضان بما فيه من نفحات ربانية ومضاعفة للأجور والحسنات، يعتبر فرصة ذهبية لكل من يريد التغيير سواء على المستوى الشخصي أو على مستوى الجماعة، وأنواع التغيير المنشود في هذا الشهر كثيرة، ويمكن لكل فرد أن يقرر ويحدد نوع التغيير الذي يريد، والتغيير الداخلي وإصلاح النفس وتزكيتها من الأمور التي دعانا إليها القرآن الكريم، يقول الله عزوجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١).

والتقوى هي أعظم ثمرات الصيام، يقول الله عزوجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

وآثار التقوى لا بد أن تظهر على الفرد والمجتمع، وهذه الآثار تتمثل في تغيير نمط حياة الأفراد، وتخليهم عن السلوكيات الخاطئة التي اعتادوا عليها طيلة العام، وتتمثل في تماسك المجتمع وتراحم أفراده فيما بينهم. والتقوى تتحقق بالاستقامة وضبط

النفس والتحكم في الشهوات والبعد عن الشبهات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الصيام جنة، إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله، أو شاتمه، فليقل: إني صائم، إني صائم» (رواه أبو داود).

وأثر التقوى يظهر في الأعمال الصالحة التي تنفع الناس، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عزوجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد «يعني مسجد المدينة» شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام» (رواه الطبراني).

ومن آثار التقوى حسن الخلق والرفق في التعامل مع الخلق، وصاحب الخلق الحسن في أعلى المراتب، فعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحسنكم خلقا» (رواه ابن حبان).

ومن الآثار التي يتركها الصيام على النفس الرغبة في البذل والعطاء ومساعدة الآخرين، وفي شهر رمضان نجد السخاء والإكثار من الصدقات وتفقد الفقراء وأصحاب الحاجات، وهي أمور يجب أن تستمر بعد رمضان.

وقدوتنا في السخاء والجود هو الرسول ﷺ، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» (رواه البخاري).

وصور التغيير المنشودة من شهر رمضان ومن فريضة الصيام كثيرة ونذكر منها:

تحلي المسلم بعد رمضان بالورع والتقوى وهما من لوازم الصيام ومقتضياته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

ومن صور التغيير في حياة المسلم المحافظة على الصلوات الخمس في جماعة وبخاصة صلاة الفجر التي يتكاسل الكثير من المسلمين عن أدائها في المسجد، فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن رب العزة: «قال الله عزوجل: افترضت على أمتك خمس صلوات، وعهدت عندي عهدا: أنه من حافظ عليهن لوقتهن؛ أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهن؛ فلا عهد له عندي» (رواه ابن ماجه).

ومن صور التغيير التي يحدثها الصيام في حياة المسلم بعد رمضان أن يكون له ورد يومي من القرآن الكريم حتى ولو كان يسيرا، حتى يظل المسلم على صلة بكتاب الله عزوجل ولا يكون هاجرا له، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠).

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره: «واسم الإشارة في ﴿هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ لتعظيمه وأن مثله لا يتخذ مهجورا بل هو جدير بالإقبال عليه والانتفاع به».

ومن التغييرات الإيجابية التي يحدثها الصوم على سلوك المسلم وتعامله مع الآخرين، التخلق بالأخلاق الفاضلة مثل الصبر، فالصيام يعلم الإنسان الصبر على الأذى والرفق بالآخرين، والصيام تدريب عملي على الحلم وكظم الغيظ.

ومن ثمرات الصيام تقوية وتعزيز الإرادة، فالصيام يقوي الوازع الديني، ويمنح الإنسان القوة التي تقهر الرغبات والشهوات، وهذه القوة الروحية والمعنوية تساعد الفرد على تغيير عاداته السيئة، وشهر رمضان يعتبر فرصة ذهبية للإقلاع عن التدخين والمسكرات والمخدرات.

ومن صور التغيير الإيجابي الذي يتركه الصيام في حياة الفرد المسلم تنظيم الوقت، فوقت المسلم في رمضان مقسم بين العبادة والعمل والراحة.

وشهر رمضان يعتبر فرصة لتغيير الأنماط الغذائية الخاطئة، فتنظيم أوقات الطعام وتقليل كميات الطعام في وجبتي الإفطار والسحور يمكن أن يسهم في تخفيف الوزن ومعالجة أعراض السمنة المفرطة التي يعاني منها الكثيرون.

وشهر رمضان مناسبة لتغيير نمط الحياة المعاصر الذي ينزع نحو الفردية، ووسيلة لعلاج القطيعة التي تعاني منها المجتمعات اليوم، لأنه يوفر فرصا أكثر للتلاقي بين أفراد العائلة وبين أفراد المجتمع، فالجميع متواجدون وقت الإفطار ووقت السحور، والجميع متواجدون في أوقات الصلوات وبخاصة صلاة العشاء والتراويح وصلاة الفجر.

د. عبدالمنعم مجاور
باحث دراسات إسلامية

آيات الصوم بين جمال الأسلوب وإعجاز العلم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (البقرة:١٨٣-١٨٧).

تلك هي آيات الصيام التي وردت في كتاب الله عزوجل، والمتأمل لموضعها في سورة البقرة يجد أنها وردت بعد آيات القصاص الذي يحمل في طياته التخفيف والرحمة؛ وإن ظن فيه البعض العنت والعذاب ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ﴾ (البقرة:١٧٨). ذلك القصاص الذي يُظن فيه الهلكة والقتل فإذا فيه الحياة ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (البقرة:١٧٩). ثم تطالعنا آيات الصيام الذي يُظن فيه أيضا التعب والمشقة فإذا فيه الخير من كل الوجوه ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾.. تبدأ الآيات بذلك النداء العلوي المحبب من الله الكريم تشريفا لعباده المؤمنين المأمورين بما بعد ذلك النداء الذي يفتح مغاليق القلوب قبل

الآذان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهي إشارة لطيفة تراعي الجانب النفسي للمؤمن الذي يسعده نداء الخالق له بما يحب، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فأرعه سمعك، فإنه إما خير يأمر به، أو شر ينهى عنه». ثم يأتي التقرير الذي يحمل الأمر بالصوم، ولكنه أمر مستبعد لأي اعتراض أو استنكار؛ لأن الصيام كتب عليكم كما كتب على الذين من قبلكم، وهو أمر مشفوع بالغاية والهدف ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ وهذا أدعى للطاعة والامتثال.

ويتوالى البيان والتوضيح؛ فتشير الآيات إلى أن هذا الصوم - صوم رمضان - هو أيام معدودات لا تضر بطول جوع ولا بلهفة عطش، وإنما يستريح فيها المسلم من فضول الطعام والشراب والجماع؛ فيصح جسمه، ويعتدل مزاجه، ويشفى من العلل الجسدية والنفسية؛ فالصوم جالب للسعادة والفرح، طارد للمآسي والأحزان، أخرج الإمام مسلم والإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «للصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه». والفرح يتصدر حالات الصحة النفسية، وهي أيضا «أيام معدودات» كي نحرص على الإفادة من نهارها وليلها، بل من كل ثانية فيها، وهي إشارة إلى سرعة انقضائها فيكون ذلك أدعى لاغتنامها والحفاظ عليها.

وتستمر الآيات الكريمات في بيان حكم المريض والمسافر وموقفهما من الصيام من حيث الأعذار والترخص بالإفطار، أو مواصلة الصيام وإكماله، وتختتم إحدى تلك الآيات بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وخيرية الصيام لا تتوقف على جانب دون آخر بل هي خيرية شاملة لكل النواحي؛ الصحية والوقائية والعلاجية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية السلوكية. يتقدم هذا كله الطمع في رضا الله وعفوه.. إنها تربية إيمانية عالية ترفع حالة المراقبة لله عزوجل إلى غايتها، وفي هذا شفاء لكثير من الأمراض والأدواء؛ أدواء النفاق والرياء، وأدواء الكبر والخيلاء؛ فالرب واحد والكل في الصيام أمامه سواء.

أما على الجانب الإعجازي فحدث ولا حرج، سواء من الناحية الطبية أو النفسية؛ ففي مجال الوقاية قال ﷺ: «الصيام جنة» أي وقاية وستر، فالصيام يقوي جهاز المناعة، فيقي الجسم كثيرا من الأمراض، حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا اللمفاوية عشرة أضعاف، كما تزداد نسبة الخلايا المسؤولة عن المناعة النوعية زيادة كبيرة، كما ترتفع بعض أنواع الأجسام المضادة في الجسم، وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني المنخفض الكثافة، هذا ناهيك عن الوقاية من أمراض السمنة وما ينتج عنها من تصلب الشرايين، وضغط الدم، وبعض أمراض القلب، وسواء كانت هذه السمنة ناجمة عن خلل في تمثيل الغذاء، أو ناتجة عن ضغوط بيئية أو نفسية أو اجتماعية، أو تعاونت كل هذه العوامل فيها فإن الصيام يقي منها؛ وذلك عن طريق الاستقرار النفسي والعقلي الذي يتحقق به ومن خلاله؛ فذلك الجو الإيماني الذي يحيط بالصائم، أو يحيط الصائم نفسه به من كثرة عبادة وذكر، وتلاوة لسور القرآن وآياته، وبعد عن الانفعال والتوتر، وضبط لنوازع النفس ورغباتها، وتوجيه للطاقات النفسية والجسمية توجيها إيجابيا نافعا.. كل هذا وغيره يقي من السمنة ومن غيرها من الأمراض، كما أن الصيام يقي الجسم من مخاطر السموم المتراكمة في خلاياه، وبين أنسجته.. هذا ناهيك عن علاج بعض أمراض الدورة الدموية، والتهاب المفاصل المزمن، وارتفاع حموضة المعدة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ يقول الرازي: إن الله تعالى أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر، وما أوجبه إلا في مدة قليلة من السنة، ثم ما أوجب هذا القليل على المريض ولا على المسافر (التفسير الكبير للرازي، ٨٢/٢ ط ٣ دار الباز). وانظر إلى تعريف كلمتي «اليسر والعسر» باللام؛ فهي إشارة إلى عموم ذلك اليسر الذي يريده الله للمسلم وشموله، وعموم ذلك العسر الذي يبعده الله عن المسلم ولا يريده له؛ حبا منه سبحانه لعبده المسلم المطيع، المنفذ لأوامره، المجتنب لنواهيه، لتتسق الآيات في نهايتها مع النداء المحبب في بدايتها، فسبحان من هذا كلامه.

وتختتم الآية الأولى في آيات الصيام بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كما تختتم آخر آية من آيات الصيام بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لتقع الآيات الكريمات بين دفتي كتاب التقوى الذي يريد الله لعبده المسلم أن يسطر صفحاته لينال رضاه، خاصة في مواسم الطاعات، وهل هناك موسم للطاعات أفضل من شهر كرّمه الله وشرّفه بنزل القرآن فيه؟!

د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك
جامعة المدينة العالمية

خُلق الصائم بين المعرفة والممارسة

الصيام أحد الأركان الخمسة للإسلام. وهو مدرسة لتهذيب النفس وإكسابها الفضائل، والسعي بها نحو الكمال الإنساني قدر المستطاع. وهو عبادة تتعلق في جانب الصحة منها بالبدن؛ إذ يظل المرء نهاره كله - طال أو قصر - يدافع شهواته الثلاث التي لو استجاب لواحدة منها لبطل صيامه، كما أنها تتعلق في جانب القبول بالنفس، إذ هو مدرسة إيمانية عملية للتدرب على كظم النفس وتعود الحميد من الأخلاق، وحسن العشرة والتعايش مع الناس.

والصيام مدرسة لا تخص طبقة دون غيرها، وليس هو ليشعر الغني بإملاق الفقير وعوزه وحاجته فحسب، إذ لو كان كذلك لما كلف الفقير به، حيث تكون الغاية والحكمة في حقه منتفية لا أثر لها، بل يكون كذلك الصيام لو صام صاحبه تطوعا، أما الصيام كواحد من أركان الإسلام فغاياته وأهدافه تتعلق بجميع المكلفين، فالكل محتاج لتهذيب نفسه، وتخليصها من رقها وشهواتها التي تنزل بها عما يراد لها، الغني والفقير على السواء.

رتب الإسلام على الصيام أجرا عظيما، فقد امتاز دون العبادات بإضافته للخالق عزوجل، وخصه المولى عزوجل دون الشهور بأعظم الليالي أجرا، وذكر النبي ﷺ أنه يشفع لصاحبه يوم القيامة، كما في الطبراني وغيره: «الصيام والقرآن يوم القيامة يشفعان للعبد...» (١).

وهو من أفضل ما يقوم به المجاهد في جهاده، فصيام يوم واحد في سبيل الله يباعده عن النار سبعين خريفا. وجعل الله التقوى - التي هي جماع كل خير - غايته العظمى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣)، والتقوى هي أعظم ما يتدثر به المرء في حياته قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ﴾ (الأعراف:٢٦)، وأعظم ما يصل به المرء لربه ويكون بها عنده تعالى كريما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ (الحجرات:١٣)، وأولياء الله تعالى هم المتقون قال سبحانه: ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ (الأنفال:٣٤).

لكن السؤال هو: هل معرفة ما مر وغيره يكفي في حيازة الأجر، ونيل الغاية المترتبة على الصيام؟

إن الشريعة دائما تربط بين المعرفة والعمل، وتربط بين الاعتقاد والسلوك، وتربط بين الإيمان والعمل الصالح ولا ترتب الأجر على مجرد المعرفة، ويأتي خطاب الله دائما في القرآن للذين آمنوا وعملوا الصالحات، بل إن الخطاب القرآني يصف أناسا بالفساد لما كان نصيبهم هو اليقين المجافي للإقرار والانصياع قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ

أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل:١٤) فكم من إنسان عرف فضائل الصيام، وعرف أهمية صيانة اللسان والجوارح، وعرف قيمة استقامة النفس وعدم التفات القلب، وأخذت تعجبه الخطب والمواعظ والقصص التي صان أصحابها نفوسهم عن المين والزيغ، ثم كان نصيبه من ذاك هو التأثر دون الاهتداء والاقتداء، وانظر إلى هذه القصة التي أوردتها كتب السير والتراجم، حيث تروي أن حسان بن أبي سنان مر بغرفة، فقال: مذ كم بنيت هذه؟ قال: ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليك مذ كم بنيت، تسألين عما لا يعنيك، فعاقبها بصوم سنة (٢). لقد رأى رحمه الله أن مخالفته لأدب من آداب النبوة - وهو الخوض فيما لا يعني - ذنب يستوجب معاقبة النفس، فتولى هو بنفسه المعاقبة، فأدب نفسه بالطاعة التي تردعه عن مسايرة الهوى، وهو الصيام المتتابع بشرطه طول العام.

إن أجر الصائم مربوط بأخلاقه وممارساته سائر يومه، ففي الصحيح عنه ﷺ قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه» (٣).

فحذر ﷺ من الزور والجهل أن يبدر واحد منهما أو هما معا من الصائم في يومه، والزور يأتي بمعنى الكذب والميل والشرك والباطل (٤)، والجهل يكفيه قبحا ونقصا بصاحبه أن من كانوا قبل البعثة نسبوا إليه، ولما عير صحابي أخاه قال له النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية» (٥). فكل صفة أو تصرف سوء هو من هذا القبيل على حسب إيغاله في السوء.

كما أن مما ينبغي الانتباه له أن هناك نفوسا تعد تأنيب النفس، بعد الفوت، محصلا للأجر، فهناك من يسمع النداء ولا يلبي، ثم بعد انصراف الناس يأخذ في تأنيب نفسه على ما فاتها، وهناك من ينهر الناس في عمله، أو يعطل أعمالهم وبعد انصرافهم يندم على صنيعه، ويظن أنه بهذا كفر عن تصرفه وسوء فعله نحوهم.. إن تأنيب النفس بعد فوت الطاعة وذهاب وقتها، أو بعد نهر نفوس الخلق والتقصير في حقوقهم بالتعطيل أو الإيذاء لا يستدرك به النادم فوتا، أو أجرا فاته تحصيله في حينه.

لقد قال النبي ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم» (٦). فإذا كان حسن خلقه يبلغ به هذا، فماذا لو كان حسن الخلق متجاورا مع الصيام؟! ثم ماذا لو تجاور سوء الخلق مع الصيام؟!

إن الأخلاق هي جماع الدعوة الخاتمة، حيث قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٧). وهي تشكل جزءا مهما من سلوك المسلم بشكل عام، وترتبط ارتباطا وثيقا بإيمانه ودينه، ومن يطالع ما وضعه العلماء تحت مفهوم الحديث النبوي: «الإيمان بضع وستون شعبة» (٨). يجد أن أكثره يدور حول أخلاقيات المرء، وهذا صاحب الصحيح الإمام البخاري يضع في الأدب كتابا كاملا يسمى بـ «الأدب المفرد»، وقد قيل: سمي كذلك لأن البخاري رحمه الله كان يعني الأدب المتعلق بشخص كل فرد من المسلمين في شؤون حياتهم اليومية التعبدية والمعيشية والمسلكية (٩). هذه الآداب لازمة للشخص في سائر حياته وهي في صيامه ألزم وأحرى. والصيام مدرسة التهذيب الكبرى، وقد جعلته الشريعة في بعض جوانب الكفارات جابرا مكفرا ورافعا للمؤاخذة كما في الأيمان والظهار، والنذر، وما ذاك إلا لتتهذب نفس الحالف أو المظاهر فتتكف نفسه عن اليمين والحيف.

إن الصائم في يوم صومه يدور بين الصحة والقبول.. هناك من يُعنى بقبول صيامه ويسعى حثيثا لينال ما يترتب عليه من أجر، فيصون لسانه ويصون جوارحه، ولا يطلق لها العنان تخوض في الأعراض أو تعطل مصالح عموم الخلق، وهذا هو المُمَارِس حقا لما ينبغي.

وهناك من لا حظ له سوى الجوع والعطش، فيومه في رمضان لا يختلف عن سائر أيامه التي يساير فيها أهواءه وشهواته وفلتات لسانه، وقد قال في مثله ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع...» (١٠).

ثم ليعلم الصائم حقيقتين، أولاهما: أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، لكن أفضل من التائب من لم يقارف ذنبا من الأساس فهو أصل التشبيه.

الثانية: أن يوم الصائم يستوي فيه الليل والنهار في ضرورة اجتناب الإثم، فإنما أبيح الفطر طول الليل رخصة لما كان الصائمون يختانون أنفسهم، فعليه أن يصون ليله بمثل ما يصوم نهاره، ولا يظن أن الصيانة في النهار دون الليل.

الهوامش

١- الطبراني برقم (١٤٦٧٢)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد» (١٨١/٣).
٢- حلية الأولياء، لأبي نعيم (٣/ ١١٥).
٣- (صحيح البخاري: ٥٧١٠).
٤- لسان العرب، لابن منظور، مادة (زور).
٥- (متفق عليه، البخاري: ٣٠، ومسلم:١٦٦١).
٦- (أبوداود: ٤٧٩٨، وصححه الألباني).
٧- (المسند، (٨٩٣٩)، وصححه الأرناؤوط).
٨- (متفق عليه، البخاري: ٩، ومسلم: ٣٥).
٩- الأدب المفرد، بتحقيق الشيخ خالد العك.
١٠- (أخرجه ابن ماجه: ١٦٩٠، وصححه الألباني).

د. نصر عبدالقادر
استشاري الأمراض الصدرية
- مصر

الصيام ومريض الصدر

لشهر رمضان الكريم المنزلة الأسمى في قلوب المؤمنين والمؤمنات، والجميع يحرص كل الحرص على الفوز بصيامه وقيامه وإحراز الدرجات العلى في الطاعات والقربات فيه.. وكيف لا، وهو الشهر الذي شرفه الله سبحانه بالقرآن الكريم، وجعل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

وكلنا نعلم ما لفريضة الصيام من أثر عظيم في بناء للجسد والنفس.. لذا كان رمضان موسما للتحرر من العبودية لكل نوازع البدن وأهواء النفس، والتفرد بالعبودية لفاطر السموات والأرض.. إنه موسم السمو الروحي والارتفاع فوق طين بشريتنا.. شهر الصحة والصلابة والعزيمة والسلام الداخلي.. وفيه تتم أعمال الترميم والصيانة السنوية لكل ما اعترى أجهزة وأعضاء الجسم من صدأ وأدران.. حتى تستعيد مرونتها وكفاءتها لاستئناف مسيرة الحياة لعام جديد. فكم في هذا الشهر الكريم من فيوض الرحمة والمحبة والرأفة والإغداق من الخالق العظيم لعباده بما يصلح نفوسهم وشؤون دنياهم وبعد ذلك يجزيهم من فيض رحمته وبره الجزاء الأوفى.

تساؤلات..

ومع حلول الشهر الكريم تتعالى تساؤلات إخوتنا وأخواتنا الذين يعانون من الأمراض الصدرية وخاصة الأمراض المزمنة التي تفرض على المريض علاجا مستمرا ونظاما خاصا. من أهم هذه الأمراض وأكثرها انتشارا مرض الربو الشعبي (Bronchial Asthma) وكذلك مرض الانسداد الشعبي المزمن أو السدة الرئوية (chronic obstructive pulmonary disease، COPD) ويندرج تحت هذه التسمية مرض الانتفاخ الرئوي (emphysema) ومرض الالتهاب الشعبي المزمن (chronic bronchitis).

وللتدخين أثر خطير وسيئ للغاية في نشوء وتفاقم هذين المرضين.. ويعتبر الاقلاع عن التدخين الشرط الأول في علاج هذه الحالات.. والصيام يقدم هذه الفرصة الذهبية للتخلص من هذا الخطر الداهم. ومجموعة الأمراض السابقة تتميز أعراضها بضيق في الشعب الهوائية، وقد تتداخل بعض هذه الأمراض وتتشابك أعراضها وتشخيصاتها كما تتداخل أيضا نظم العلاج والعقاقير في كثير من الأحيان.

ومن الأمراض الصدرية المزمنة أيضا مرض التليف الرئوي (interstitial pulmonary fibrosis) الذي قد يكون أوليا أي غير مسبوق بمرض محدد في الرئتين أو

ثانويا كمضاعفات لمرض التدرن الرئوي (السل الرئوي – TB) أو للعلاج الإشعاعي لبعض الأورام الخبيثة أو مصاحبا لمرض التلحم (sarcoidosis)، وغيرها.

وتشترك معظم الأمراض الصدرية في أعراض عامة تعتبر قاسما مشتركا بينها، أهمها:

ضيق التنفس على اختلاف درجاته ويظهر في صورة لهاث أو «نهجان» عند بذل جهد عضلي إذا كان خفيفا، أما في الحالات الشديدة فإن المريض يعاني من ضيق التنفس وهو مستريح ومستلق في سريره، وقد تحدث نوبات شديدة حادة من ضيق التنفس لمرضى الربو الشعبي كان يطلق عليها فيما مضى النوبة أو الأزمة الربوية المستمرة، وهذه تستدعي تدخلا خاصا وإجراءات معينة للسيطرة عليها. وغالبا ما يصحب ضيق التنفس حدوث أزيز في الصدر وهو أصوات حادة تشبه المزامير أو الصفير قد يسمعها المريض والمحيطون به، وتنتج بسبب تضيق الشعب الهوائية وتعرضها للانسداد الجزئي.

السعال (الكحة): وقد يكون سعالا جافا أي غير مصحوب بالبلغم أو رطبا أي مصحوبا بالبلغم الذي قد تتباين صفاته من حيث لونه ورائحته وكميته تبعا للحالة المرضية.

الإرهاق والضعف العام لعدم وصول كميات كافية من الأكسجين إلى أنسجة الجسم أو بسبب النشاط المرضي والميكروبي.

أصوم أم أفطر يا دكتور..؟

والإجابة على هذا السؤال الجوهري تتوقف على طبيعة المرض ودرجته ونوعية العلاج المستخدم والنظام العلاجي المتبع، ويمكننا أن نضع علامات ضوئية لإرشاد السادة المرضى نجملها فيما يلي:

أولا: في جميع الأمراض الصدرية الحادة مثل الالتهاب الرئوي الحاد والنزلات الشعبية الحادة التي تتميز بارتفاع في درجة الحرارة وسعال شديد وآلام جسمانية قاسية وبلغم صديدي أو متلون بالدم.. وكذلك في حالات التدرن الرئوي النشط أو المتكهف، وخراج الرئة والأورام الخبيثة..فيجب على المريض الإفطار حتى يستطيع أن يقاوم المرض وأن يتحمل وطأة العلاج المكثف، ويحصل على تغذية جيدة، ومقادير كافية من السوائل والفيتامينات والأملاح المعدنية.

ثانيا: عند حدوث نوبات حادة أو تفاقم حاد في مسار المرض المزمن (Acute Exacerbation) مثلما يحدث أحيانا لمريض الانسداد الشعبي المزمن أو حدوث نوبة (أزمة) ربوية شديدة لمريض الربو الشعبي.. مرة ثانية ننصح المريض بالفطر خاصة إذا استدعى الأمر إدخاله إلى المستشفى أو تكثيف البرنامج العلاجي، وإعطاء جلسات العلاج الاستنشاقي أو المحاليل الوريدية.

ثالثا: في الحالات المستقرة نسبيا من الانسداد الشعبي المزمن والربو الشعبي والتليف الرئوي والدرن الرئوي القديم غير النشط (old TB) فيمكن للمرضى الصيام دون مشقة أو خطر مع إجراء تعديلات بسيطة في مواعيد العلاج ونوعية العقاقير المستخدمة.. فمثلا المرضى الذين يتعاطون موسعات الشعب قصيرة الأمد أو الفاعلية يمكنهم استخدام أدوية ممتدة الفاعلية، فالذين يتعاطون دواء «فنتولين أو بريكانيل» يمكنه التحول إلى دواء «بامبيك أو بروبريك» مثلا، والذين لا غنى لهم عن مشتقات الكورتيزون يستطيعون اللجوء إلى كورتيزون ممتد الأثر مثل «اوربازون» ون الثيوفللين العادي إلى مركبات الثيوفللين ممتد الأثر وهكذا.

وهناك كثير من المرضى يعتمدون أساسا على العلاج بالاستنشاق عن طريق ما يسمى بالبخاخة أو الرذاذ (inhaler) أو عن طريق جهاز الاستنشاق «nebulizer» في الحالات الشديدة، ويمكن الانتقال من استنشاق أدوية قصيرة الأمد مثل فنتال وفنتولين إلى أدوية ممتدة الفاعلية مثل «فوراديل وسيريتايد» وغيرها. ويمكن تعاطي الأدوية سالفة الذكر قبل الفجر مباشرة حتى تؤتي أثرها المطلوب أثناء الصيام، كذلك يمكن تعاطي جرعة الاستنشاق قبيل الفجر لمن يحترزون من استخدامه أثناء الصيام.. وهنا لابد أن نطمئن الصائمين بأن استخدام البخاخات أثناء الصيام لا يفطر، وقد صدرت بذلك فتوى شرعية من علماء المملكة العربية السعودية وغيرها من البلدان الإسلامية.. فلا داعي للقلق بشأن أدوية الاستنشاق حتى لمن يضطر لاستخدامها عدة مرات يوميا.

أما المرض النادر الذي يتسم بالسمنة المفرطة المصحوبة بهبوط في الجهاز التنفسي والقلب ويسمى «مرض بيكويك» فإن صيام رمضان يقدم فرصة ذهبية لإنقاص وزن من يعاني من هذا المرض.. وقد لوحظ تحسن كبير في كل الحالات التي تم فيها إنقاص الوزن وتراجعت ملامح المرض بصورة ملحوظة وتحسن أداء الجهاز التنفسي، واستعادت عضلة القلب كفاءتها.

وختاما نسأل الله تعالى للجميع دوام الصحة وتمام العافية.

عبدالستار الحاج حامد
باحث وأكاديمي

في مذكرات الشيخ علي الطنطاوي:

رمضان دمشق

لمدينة دمشق سحر خاص يعرفه كل من عاش فيها أو زارها ولو لأيام، ويزداد سحرها أكثر في شهر رمضان المبارك، والذي كان يغمر أرجاءها كلها، يصبغها بصبغته، فتتحول فيه إلى مدينة فاضلة، تخلو من كل ما لا يرضي الله، وتسود فيها روح الألفة والمحبة والتسامح.

تجمع هذه المقالة ما ذكره الشيخ علي الطنطاوي في كتبه عن رمضان دمشق، التي ولد فيها سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، في أسرة علم ودين، ودرس في جامعتها الحقوق، وعمل فيها قاضيا شرعيا، وتدرج في الوظائف التعليمية والقضائية حتى بلغ فيها مكانة عالية، بيد أنه هاجر منها إلى المملكة العربية السعودية ١٩٦٣م ليعمل في التدريس في كلية اللغة العربية وكلية الشريعة في الرياض، فعاش بقية حياته غريبا عن دمشق، حيث توفي في جدة عام ١٩٩٩م (١).

ظل الطنطاوي طيلة أيام حياته – وعلى الرغم من انتقاله من مدينة إلى أخرى – أسير الشوق إلى مدينة دمشق، العاصمة الجميلة. وقد دفعه الحنين لذكرها في غير موضع من كتاباته، ومن ذلك قوله في إحداها: «هذي دمشق أقدم مدن الأرض وأجملها، هواؤها أطيب هواء، وماؤها أعذب ماء، وطعامها أمرأ طعام، ومنظرها أبهى منظر، ومخبزها أحسن مخبز، ولسانها أفصح لسان، وسكانها من أكرم السكان، فيها العلم والأدب والتقى والصلاح والحب، وفيها اللهو وفيها الفنون والجمال» (٢).

«صديق عزيز، لقيته وأنا طفل في دمشق، ثم افتقدته وأنا شاب أزرع الأرض وأضرب في بلاد الله، ففرحت بلقائه وأحببته، وألمت لفقده، وازداد حنيني إليه، فأين أنت يا صديقي رمضان؟» (٣).

بهذه الكلمات الجميلة يبدأ الشيخ الطنطاوي حديثه عن ذكرياته الرمضانية أيام طفولته في مدينة دمشق، واصفا شوقه وحنينه لتلك الأيام الخوالي، متحسرا على ضياع لذة تلك الأيام، باحثا عنها في أيامه من دون جدوى، مستذكرا شوقه لقدوم هذا الشهر الفضيل وفرحه به.

يقول الشيخ الطنطاوي: «كنت أرقب قدومه، وأحسب له الأيام والليالي على

مقدار ما يحسن طفل من الحساب. فإذا جاء فرحت به، وضحكت له روحي، لأني كنت أرى الدنيا تضحك له وتفرح بقدومه» (٤).

لعل الشوق والحنين إلى دمشق ورمضانها دفعا الشيخ الطنطاوي لتذكر تفاصيل أيام رمضان الدقيقة على الرغم من أنه كان طفلا صغيرا آنذاك، فقد حظي رمضان دمشق بنصيب وافر من ذكرياته الجميلة.

ويصف الشيخ الطنطاوي رمضان دمشق، وإقبال الدمشقيين على المساجد لأداء صلاة التراويح وقراءة القرآن ومتابعة الدروس التي تملأ مساجد دمشق، فلا يكاد يخلو مسجد فيها من درس رمضاني أو ما شابه: «رمضان القديم كان يغمر أرجاء دمشق كلها، فكنت تحس به حيث سرت؛ تراه في المساجد الممتلئة بالمصلين والقارئين والمتحلقين حول كراسي المدرسين» (٥).

ويقول في موضع آخر: «وكنت أذهب إلى المسجد بعد المغرب، وأنا طفل، فأراه عامرا بالناس ممتلئا بحلق العلم، كما كان عامرا بهم ممتلئا بها النهار بطوله، فأجول فيه مع صديقي سعيد الأفغاني خلال الحلقات نستمع إلى ما يقول المدرسون والوعاظ، وأشهد ثرياته وأضواءه وجماعاته، ومن صنع الله لهذا المسجد أن صلاة الجماعة لا تنقطع فيه خمس دقائق من الظهر إلى العشاء الآخرة في أيام السنة كلها، وقد بقي ذلك إلى اليوم على ضعف الدين...» (٦).

لم يقتصر تأثير رمضان في دمشق على الناحية الدينية، فقد تجاوزها إلى أكثر من ذلك، وانعكس على عادات المجتمع الإسلامي وتقاليده، وتقويم ما فيه من مخالفات، فقد وصف ما يحمله الناس في نفوسهم من احترام وتقدير لهذه الأيام الفضيلة، وكيف تتحول دمشق في رمضان إلى مدينة فاضلة، تخلو من الكذب والغش والسرقة وغيرها من المعاصي.

يقول الشيخ علي الطنطاوي: «وتراه في الأسواق؛ فلا تجد عورة بادية، ولا منكرا ظاهرا، ولا مطعما مفتوحا، ولا مدخنا، ولا شاربا.. تشتري البضاعة وأنت آمن من الغش والغبن، لأن أفسق البائعين لا يغش في رمضان. والمرأة تعمل مطمئنة إلى أنها مهما أخطأت فلن تسمع من زوجها كلمة ملام، لأن المسلم الصائم لا يشتم ولا يلوم في رمضان، والرجل يرجع إلى بيته وهو آمن أن يجد من زوجه نكدا أو إساءة، لأن المرأة المسلمة الصائمة لا تؤذي زوجها في رمضان. ولو تركت بيتك مفتوحا لما دخل المنزل لص، لأن اللصوص يضربون عن العمل ويتوبون عن السرقة في رمضان» (٧).

ويقول في موضع آخر: «كنت أراه في الأسواق، فالأسواق تعرض بضاعة رمضان وتفيض عليها روح رمضان فتمحو الغش من نفوس أهلها محوا ويملأها خوف الله ورجاؤه، وتقف ألسنتهم عن الكذب، لأنها جرت بذكر الله واستغفاره، وهانت عليهم الدنيا حين أرادوا الله والدار الآخرة» (٨).

ويحدثنا الشيخ الطنطاوي عن أثر رمضان على المدينة وأهلها، حيث تسود روح الألفة والمحبة والتسامح بين أفراد المجتمع الإسلامي الدمشقي في هذا الشهر: «ولقد كان أشد الناس بعدا عن الدين إذا سمع مدفع رمضان تاب وأناب إلى الله، ونزع نفسه الآثمة واستبدل بها نفسا زكية متعبدة، كما ينزع ثوبه الوسخ ويستبدل به ثوبا نظيفا، والبيوت التي كان يسودها الخصام، تتحول في رمضان إلى دور أمن وسلام، والمدينة تصير كلها أسرة واحدة، أو مدرسة داخلية، يأكل الناس فيها في وقت واحد، وينامون في وقت واحد، ويقومون في وقت واحد، إذا دنت ساعة الغروب رأيت الناس جميعا مسرعين إلى بيوتهم، هذا يحمل صحن الفول المدمس، وهذا يحمل الجرداق والبرازق، وتكون المائدة منصوبة، حتى إن أفقر الناس يجد في رمضان فطورا شهيا، لأن كل صائم في رمضان يتفقد جيرانه ومن حوله، فلا يأكل هو الطعام الطيب والألوان الكثيرة، وجاره لا يجد إلا الخبز والجبن» (٩).

ويقول في موضع آخر: «كنت أبصره في المدرسة، فالمدرسة في رمضان مسجد، ودرسها تلاوة وذكر، وأهلوها أحبة، ما فيهم مدرس يقسو على طلاب، وطلاب يكرهون المدرس، لأن رمضان وصل النفوس بالله فأشرق عليها من لدنه النور فذاقت حلاوة الإيمان، ومن ذاق حلاوة الإيمان، لم يعرف البغض ولا الشر ولا العدوان» (١٠).

ويروي لنا الشيخ الطنطاوي كيف تتحقق الغاية من رمضان في دمشق، فيشعر الغني بالفقير، ويستويان في الشعور بالجوع، ويتوجه الكل إلى الله بالحمد والشكر، ويستشعر عظم نعمة الخالق سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ الطنطاوي: «وكنت أبصر

رمضان يؤلف بين القلوب المتباينة، ويجلو الأخوة الإسلامية رابطة المسلم أخي المسلم فتبدو في أكمل صورها، فيتقابل الناس عند الغروب تقابل الأصدقاء على غير معرفة متقدمة، فيتساءلون ويتحدثون ثم يتبادلون التمر والزبيب، ويقدمون الفطور لمن أدركه المغرب على الطريق فلم يجد ما يفطر عليه، تمرة أو حبة من زبيب، هينة في ذاتها، تافهة في ثمنها، ولكنها تنشئ صداقة وتدل على عاطفة، وتشير إلى معنى كبير» (١١).

يصور لنا الشيخ حال الدمشقيين قبيل المغرب وبعد الإفطار فيقول: «شعور واحد يجمع الغني والفقير والأمير والأجير هو الجوع. أغنى الناس يشتهي قبل المغرب ملعقة من حساء، أو رشفة من شراب.

والأولاد يقفون على الشرفات أو على جوانب الطرق، فإذا رأوا مصباح المنارة أو سمعوا المدفع صاحوا بنغمة موزونة ولحن موقع: أذن أذن أذن... وطاروا إلى بيوتهم كما تطير العصافير إلى أعشاشها إذا رأت طلائع الليل، وتخلو الطرق، وتخف الأصوات، ثم ترتفع من كل مكان، من الكوخ ومن القصر على السواء، كلمة الحمد لله، كلهم شبع، وكلهم رضي، وكلهم شكر، الذي أكل السبعة ألوان، والذي أكل الخبز والمسبحة والفول» (١٢).

ولم ينس الشيخ الطنطاوي أن يخص النشاطات التجارية والترفيهية والتسوقية، التي تغص بها أسواق دمشق وشوارعها في ليالي الشهر الكريم بالشرح والإفاضة، خصوصا أن دمشق تفردت بهذا النوع من النشاطات، من بين المدن التي زارها الطنطاوي وعاش فيها وقتئذ.

يقول الطنطاوي: «وتكون الأسواق مضاءة، والأولاد مزدحمين فيها على بياع المثلجات إن كان الوقت صيفا أو بياع الفول، ومن أراد لهوا لم يجد إلا الحكواتي يقص قصة عنتر وكلها بطولة ونبل، لا كهذه القصص الآثمة الداعرة التي تغضب الكلاب» (١٣).

ولا يفوت الطنطاوي أن يتحسر على تلك الأيام الرمضانية الجميلة التي عاشها في رمضان ويتمنى عودتها، أو بالأحرى عودة الناس إليها.

يقول الشيخ الطنطاوي: «كان أهل دمشق في مثل طهارة الأطفال، لم تشوه أصباغ الحضارة طبيعة الحسن في نفوسهم، ولم تفسد الشبه والعصبيات جمال الأخوة بين أفرادهم، ولم تكن قد هتكت أستار الصيانة، ولا مزقت براقع الحياء، كانت المرأة لزوجها وولدها وربها، والرجل لزوجته وولده وربه، فكانوا رمضان كلهم، يرون هلاله في الأفق ونوره في القلوب وأثره في البيوت والأسواق والمدارس والمساجد.. فأين ذلك الرمضان؟ أين هو؟ دلوني عليه!» (١٤).

ويقول الطنطاوي في موضع آخر: «وسحر رمضان! إنه السحر الحلال، إنه جنة النفس ونعيمها في هذه الدنيا، وإني لأقنع من جنات الفردوس أن تكون مثل سحر رمضان، فأين ذهب رمضان؟ وأنى لي بأن تعود أيامي التي وصفت لأعود إليه؟

ذم المنازل بعد منزلة اللوى
والعيش بعد أولئك الأيام

إني لأتلفت أفتش في غربتي عن رمضان فلا ألقاه لا في المسجد ولا في السوق ولا في المدرسة، فهل مات رمضان؟ إذن فإنا لله وإنا إليه راجعون» (١٥).

المصادر والمراجع

١- دمشق، للشيخ علي الطنطاوي دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢- صور وخواطر للشيخ علي الطنطاوي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣- مقال «صديقي رمضان»، الشيخ علي الطنطاوي، (نشره في ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٨هـ الموافق ٦ نوفمبر ١٩٣٩م بمجلة الرسالة عدد (٣٣١).

٤- موقع قصة الإسلام، إشراف الدكتور راغب السرجاني.

الهوامش

١- انظر: موقع قصة الإسلام، إشراف الدكتور راغب السرجاني.

٢- انظر: كتاب دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها للشيخ علي الطنطاوي، ص٣٦.

٣- مقال «صديقي رمضان»، للشيخ علي الطنطاوي، ص١.

٤- المرجع السابق، ص١.

٥- كتاب «صور وخواطر»، للشيخ علي الطنطاوي، ص١٦٤-١٦٣.

٦- مقال «صديقي رمضان»، للشيخ علي الطنطاوي، ص٢.

٧- كتاب «صور وخواطر»، للشيخ علي الطنطاوي، ص١٦٤.

٨- مقال «صديقي رمضان»، للشيخ علي الطنطاوي، ص١.

٩- كتاب «صور وخواطر»، للشيخ علي الطنطاوي، ص١٦٤- ١٦٥.

١٠- مقال «صديقي رمضان»، للشيخ علي الطنطاوي، ص١.

١١- المرجع السابق، ص٢.

١٢- المرجع السابق، ص١٦٥.

١٣- كتاب «صور وخواطر»، للشيخ علي الطنطاوي، ص١٦٥.

١٤- المرجع السابق، ص١٦٧.

١٥- مقال «صديقي رمضان»، للشيخ علي الطنطاوي، ص٣.

سليمان خالد الرومي
سكرتير تحرير
مجلة الوعي الإسلامي

التربية الإيمانية والأخلاقية

إن الثمرة المرجوة لنشأة البيت المسلم هي إيجاد الذرية الصالحة من البنين والبنات، ولهذا شدد الإسلام على حسن تربية الأولاد، وهو من أكبر التحديات التي تواجه الأبوين في هذا الزمان؛ مع وجود عوامل كثيرة مؤثرة في سلوك الأبناء مثل الأصدقاء والأقرباء، والجيران، والمدرسة، والشارع، ووسائل الإعلام، وكلها لها تأثير على الطفل بشكل كبير وخطير، لذلك علينا أن نغرس في أبنائنا الأخلاق والآداب الإسلامية التي من هدفها الوقاية والحيلولة دون التأثير عليه سلبا.

وعلى الأب أن يكون حذرا في تصرفاته أمام أولاده، وأن لا يأمرهم بأمر لا يأتيه هو، أو أن ينهاهم عن أمر ويأتيه، عن الحاطب قال: سمعت ابن عمر يقول لرجل: «أدب ابنك، فإنك مسؤول عن ولدك ماذا أدبته؟ وماذا علمته؟ وإنه لمسؤول عن بره وطواعيته لك»، ولا ننسى أن ثمرة التربية الإيمانية للأبناء يمتد أثرها بعد وفاة الأبوين.. قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

ولذلك فإن الإسلام حمَّل مسؤولية تربية الأبناء للوالدين وخصهما قبل غيرهما بهذا الواجب، وجعلها أمانة في أعناق جميع الآباء والأمهات لغرس الإيمان في نفوس الأبناء.

قال ابن القيم: وصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ (الإسراء:٣١). فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة.. وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا، وكانت عاقبة أمرهم كما في القول الذائع: وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا.

إن القدوة الحسنة وعدم مخالفة الفعل للقول من صفات المربي الناجح، فقد كان السلف الصالح يتعهدون أبناءهم متمنين أن يكونوا طائعين لله وخير خلف لهم، وقد قال أحد الصالحين: يا بني، إني لأستكثر من الصلاة لأجلك.

إن مسؤولية الأبوين الالتزام بمنهج التربية الإسلامية كما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية الشريفة، ولنا في فعل النبي ﷺ ومنهجه في تربية الأطفال الأسوة الحسنة، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب:٢١).

إن التأديب والتربية على الأخلاق الحسنة من حق الأولاد على أبائهم، ومن أشكال التأديب تعليم الأطفال منذ الصغر النطق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وإفهامهم معناها عندما يكبرون.

عايد جاسم
إعلامي كويتي وباحث

اختيرت لمكانتها لدى المسلمين وقيمتها الدينية والتاريخية:

المدينة المنورة.. عاصمة السياحة الإسلامية ٢٠١٧م

لم يكن اختيار المدينة المنورة عاصمة للسياحة الإسلامية لعام ٢٠١٧م، إلا تأكيدا على مكانة هذه المدينة في قلوب المسلمين، وعلو قيمتها الدينية والتاريخية.

وفي موازاة فوز المدينة المنورة بهذا اللقب اتخذت المملكة العربية السعودية العديد من الإجراءات الهادفة لتطوير المدينة وجعلها موقع جذب لكل ما يهم المسلمين عبر تنفيذ العديد من المشروعات التنموية الكبرى وتطوير المواقع الأثرية والتاريخية.

واختيرت المدينة المنورة للفوز بلقب عاصمة السياحة الإسلامية لعام ٢٠١٧م من بين العديد من المدن في الدول العربية والإسلامية المتنافسة، بسبب ما تحتويه من معالم وآثار تاريخية متنوعة، إضافة إلى العديد من المواقع السياحية والتراثية المهمة من متاحف وقصور تاريخية ومواقع أثرية، ومساجد ارتبطت بأحداث السيرة والتابعين.

وجاء اختيار المدينة المنورة عاصمة للسياحة الإسلامية في ختام أعمال اجتماع وزراء السياحة في الدول الأعضاء لمنظمة التعاون الإسلامي، والذي عقد في نيجيريا بتاريخ ٢٣ ديسمبر ٢٠١٥م.

ونفذت المملكة العربية السعودية

العديد من المشاريع لتجعل المدينة المنورة مع مكة المكرمة، مواقع جاذبة لكل ما يهم المسلمين، سواء بالمعارض أو المؤتمرات، أو الفعاليات المتنوعة.

وشهدت المدينة المنورة تنفيذ العديد من المشروعات، من بينها تطوير مواقع الغزوات الكبرى: بدر وأحد والخندق، والمساجد التاريخية المرتبطة بالرسول الكريم محمد ﷺ والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، إضافة إلى ترميم عدد من المساجد التاريخية في المدينة المنورة. وكذلك العمل على تطوير المتاحف الجديدة ومن ضمنها متاحف المعارك الإسلامية، ومواقع التاريخ الإسلامي، ومتحف المدينة المنورة.

وتكشف برامج وفعاليات المدينة المنورة عاصمة السياحة الإسلامية ٢٠١٧م التي تستمر لمدة عام، الرغبة في زيادة نسبة الجذب السياحي لمنطقة المدينة المنورة، وتحقيق ظهور يليق بمكانة وقدسية هذه المدينة.

وأكد رئيس الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني في المملكة العربية السعودية الأمير سلطان بن سلمان ابن عبدالعزيز أن المدينة المنورة، تشهد انطلاقة كبيرة جدا في عملية تطوير المرافق، وجميع الخدمات، ومن ذلك مرافق الإيواء السياحي، ومطار المدينة الذي يتوسع بشكل كبير جدا، مشيرا إلى أن السعودية أطلقت برنامجا ومبادرة مهمة بمباركة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، وهي «السعودية وجهة المسلمين».

وأشار في كلمة له خلال فعاليات المدينة المنورة عاصمة السياحة الإسلامية إلى أن هناك الكثير من الأمور التي تجعل المدينة المنورة مكانا للزيارة والبقاء لمدد أطول، موضحا أن من أهم التحديات التي نواجهها في هذا العالم الجديد المتطور، أن نربط المسلمين وأبناءهم وأسرهم، والشباب منهم خاصة، بقصة هذا الإسلام العظيم، ومعرفة انطلاق هذا الدين العظيم من أرض الجزيرة العربية.

وتعتبر المدينة المنورة التي يلقبها المسلمون «طيبة الطيبة»، مأوى ومثوى رسول الله محمد ﷺ. وأول عاصمة في تاريخ الإسلام، وثاني أقدس الأماكن لدى المسلمين بعد مكة.

وتقع المدينة المنورة في غرب المملكة العربية السعودية وتبلغ مساحتها نحو ٥٨٩ كم(٢)، وتبعد حوالي ٤٠٠ كم عن مكة المكرمة في الاتجاه الشمالي الشرقي.

وتأسست المدينة المنورة قبل الهجرة النبوية بأكثر من ١٥٠٠ عام، وعرفت قبل ظهور الإسلام باسم «يثرب».

وورد في الحديث الصحيح أن النبي محمدا ﷺ نهى أن يقال للمدينة يثرب. وقال: من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله عزوجل هي طابة هي طابة.

وعن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله تعالى سمى المدينة طابة.

وتتنوع المعالم الدينية والسياحية بالمدينة المنورة، ومن أهمها:

المسجد النبوي

يعتبر المسجد النبوي الشريف ثاني الحرمين الشريفين وأحد الثلاثة المساجد التي تشد إليها الرحال، ويعد أهم معالم المدينة المنورة، وقد شارك النبي ﷺ في بنائه مع أصحابه، وأصبح مقر قيادته، وقيادة الخلفاء الراشدين من بعده. وتعتبر زيارة المسجد النبوي والصلاة فيه من القربات إلى الله سبحانه وتعالى، وقد ورد في شرعيتها عدة أحاديث نبوية، كما فيه الروضة الشريفة وهي المكان الواقع بين بيت النبي ﷺ والمنبر الشريف، وهي معروفة في المسجد النبوي ومميزة عن غيرها، وتقدر مساحة الروضة بـ٣٣٠م(٢) حيث يبلغ طول الروضة ٢٢م وعرضها ١٥م، وللروضة الشريفة فضائل جليلة، جاءت بها الأحاديث الشريفة.

> «طيبة الطيبة» تضم معالم دينية وسياحية متنوعة

مسجد قباء

مسجد قباء هو أول مسجد أسس على التقوى، وأول مسجد بني في الإسلام، يقع في جنوب المدينة المنورة. وقد جاء في الحديث: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له أجر عمرة» (سنن ابن ماجه).

السبع مساجد

تقع بالقرب من ميدان معركة الخندق من ناحية الجنوب وقد جمعت الآن في جامع حديث هو جامع الخندق، وبقي منها مسجد الفتح بالقرب منه وأكثرها كانت مصليات في معسكر المسلمين أثناء تلك الغزوة.

مسجد الجمعة

سمي بهذا الاسم لأن رسول الله ﷺ عندما خرج من قباء ضحى يوم الجمعة متوجها إلى المدينة في هجرته المباركة وأدركته صلاة الجمعة وهو في هذا المكان صلى الجمعة فيه فكانت أول جمعة في الإسلام يؤمها رسول الله ﷺ

بالمدينة المنورة.

مسجد القبلتين

يبعد عن المسجد النبوي خمسة كيلومترات قرب وادي العقيق، وسمي بمسجد القبلتين، لأن الصحابة صلوا فيه صلاة واحدة إلى قبلتين.

مسجد الميقات

ويعرف أيضا بمسجد الشجرة، وهي شجرة كان النبي ﷺ ينزل تحتها بذي الحليفة كما في صحيح مسلم، ويعرف أيضا بمسجد ذي الحليفة، وهو ميقات أهل المدينة المنورة ومن يمر بها.

البقيع

اتخذه أهل المدينة المنورة مقبرة لدفن موتاهم منذ عهد الرسول ﷺ، وبه قبور أهل بيت النبي وبناته، وزوجاته، إضافة إلى قبور أكثر من عشرة آلاف من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

مزارع التمور

تكتسب تمور المدينة المنورة شهرة عالمية ومن أشهر أصنافها «العجوة» التي قال في فضلها الرسول ﷺ من حديث عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه: «من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»، وهناك أصناف عديدة من التمور من أشهرها الروثانة والعنبرة، والربيعة، والصفاوي.

الجبال

تتعدد الجبال في المدينة المنورة، منها: جبل أحد، وجبل ثور، وجبل سلع، وجبل الراية، وجبل الرماة، كما يعد جبل الفقرة أحد الجبال المرتفعة الباردة ويبعد عن المدينة بحوالي ١٠٠ كم على طريق المدينة غربا وهو ذو طبيعة رائعة وجميلة، يوجد به وحدات سكنية مهيأة لاستقبال الزوار والسياح، كما توجد جبال أخرى مثل جبل ورقان، وجبل صبح، وجبل قدس، وتشتهر جبالها ووديانها بالأشجار الكثيفة.

جبل أحد

يعتبر جبل أحد من المواقع التاريخية في المدينة المنورة، ومن الأماكن المشروع زيارتها قبور شهداء أحد حيث دارت معركة أحد، وتوجد به قبور سبعين من أصحاب رسول الله ﷺ استشهدوا في المعركة، وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله.

الأودية

تتميز المدينة المنورة بخصوبة أرضها ووفرة مائها ومن أشهر الأودية فيها وادي العقيق، الذي وردت عدة أحاديث في فضله، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ بوادي العقيق، يقول: «أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك». وقد أقيمت على ضفافه في العصر الأموي وشطر من العصر العباسي قصور كثيرة، أشهرها قصر سعيد بن العاص، الذي مازالت آثاره قائمة حتى الآن، وقصر عروة، وقصر سكينة بنت الحسين. وتقع على ضفاف وادي العقيق مزارع خصبة تغطيها أشجار النخيل والفواكه، وهناك أودية أخرى مثل، وادي بطحان، وادي الرانوناء، وادي قناة، وادي مذينيب، وادي مهزور وجميعها تحيط بالمدينة المنورة وتمتلئ بالمياه عندما تكثر الأمطار.

تنفيذ العديد من المشروعات التنموية الكبرى لتطوير المدينة

حرة رهط

تعتبر حرة رهط متحفا جيولوجيا يضم أكثر من ٧٠٠ فوهة بركانية، ويعد الجزء الواقع جنوب المدينة المنورة أنشطها خلال الخمسة آلاف سنة الماضية.

الصويدرة

تأتي أهميتها آثاريا وحضاريا من مواقع المدونات الخطية والرسوم الصخرية المنقوشة على واجهات الكتل الصخرية القريبة منها، والتي تثبت الإرث الحضاري لهذه المنطقة.

الأماكن الترفيهية

تتميز المدينة المنورة بوفرة أماكن الترفيه التي يقصدها الزوار للترفيه والترويح وقضاء وقت ممتع، بالإضافة إلى أنه يمكن لزائر المدينة استئجار استراحات ومزارع معدة للإيجار اليومي وهي متوفرة وبكثرة في المدينة.

الحدائق والمتنزهات

تزخر المدينة المنورة بالمتنزهات الراقية، ومن أجملها متنزه الملك فهد، وحديقة النخيل، وحديقة جبل أحد، إضافة إلى العديد من الحدائق المنتشرة وسط المدينة والتي في غالبها تحتوي على عدد من الشلالات المائية التي تزيد من بهجة زائريها.

المرجع

الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني

صبحة بغورة
شاعرة وكاتبة جزائرية

لماذا ننتظر شهر رمضان؟

لم يستثن الله تعالى من المسلمين إلا المرضى ومن هم على سفر، فأجاز إفطارهم في رمضان، وما عداهم وجب عليهم صيام الشهر، ولم يفرق عزوجل في هذا الفرض بين الغني والفقير، والقوي والضعيف، والمتخم والجائع، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة: ١٨٣) فالعمومية واضحة في نص الآية، وكذلك صيغة الفرض بالأمر ﴿عَلَيۡكُمُ﴾.

وفي الصيام مشاركة فعلية لأحاسيس الفقراء وعناء المساكين للإشفاق عليهم، ودفع النفوس الطيبة إلى مساعدتهم والتصدق عليهم، لتحقيق هدف أسمى وهو الارتقاء بمستوى تكافل المجتمع الإسلامي وتراحمه، لتقوية لبنته وتماسك بنيانه، ولكن بعض الدهماء يتساءلون في خبث : كيف يستقيم هذا المعنى بالنسبة للفقراء والمساكين الذين يتجرعون قسوة الجوع ومرارة الحرمان طوال أيام السنة، بل ثم تراهم يهللون هم أنفسهم بحلول الشهر الكريم ويعظمون قدره ومقدمه برغم ما فيه من أمر إلهي لا جدال فيه باستمرار معاناتهم أكثر مع الجوع والعطش لأيام أخرى معدودات؟

إنه رمضان الذي يحييه جميع المسلمين وينتظرونه من العام للعام، وهذا الانتظار في حد ذاته أكبر دليل على أن الأمر لا يتعلق في الحقيقة بمسألة الامتناع عن الأكل والشرب، بل قد لا يبدو لهذا الامتناع أثره العميق في سيرورة الحياة ونشاط الإنسان، إلا ما يبدو من فضائل الأعمال التي يحرص عليها كل الصائمين، لاستغلال الفرصة كاملة لتقوية نفوسهم، من أجل الانصهار في بوتقة الطاعة، وسبكها على الإيمان، وإعادة تشكيلها في ظل التقوى، ولا فرق هنا بين غني وفقير.

هذا رمضان الذي يمثل كل عام تأريخا للزمان والمكان، ومحطة في حياة الإنسان، يجد فيها راحته الجسدية والنفسية، تتاح له فيه الفرصة لمراجعة النفس ومحاسبتها وتهذيبها وإعدادها لسلوك الطريق المستقيم بزاد كبير من الشفافية والتسامي الروحي، وهو مناسبة ثمينة لتعميق التأمل لرفع الهمة من أجل التقرب إلى الله، ومنه يتم التعالي عن صغائر الأمور والسمو على منغصات الحياة اليومية بالمزيد من إبداء روح التسامح وإفشاء السلام وتجسيد معاني التضامن الأسري والتكافل العائلي والتعاون الاجتماعي، فشهر رمضان المعظم تتجلى فيه أروع صور المساواة والتقارب.

هذا رمضان الذي يرسم صورا إنسانية رائعة المعاني للترابط الاجتماعي المستمدة من القيم الإسلامية، والباعثة على اطمئنان النفس البشرية وراحتها، هو معسكر لنقاء الروح، لتوظيف طاقتها للتقرب إلى الله تعالى، وترطيب اللسان بالذكر وبالباقيات الصالحات، للارتقاء أكثر في درجات سلم الإيمان، نحو إظهار خالص الخشوع وصادق الخضوع، ولتجديد نبض القلب وثورة الفكر نحو صيام الشهر إيمانا واحتسابا، شوقا إلى جنان الرحمن، ولا فرق هنا بين ذكر وأنثى.

هذا رمضان، منهج حياة النفوس المتجدد والمدرسة الربانية لتربيتها وتقويمها، حيث تكون أطوع ما تكون لجودة الصياغة بعد توخي الفرائض ودقائق السنة الشريفة، وتكون ألين لصواب التوجيه نحو معانيه التربوية السامية، فتصبح أكثر قابلية لحسن الإعداد من أجل قضاء ما تبقى من العمر صبرا على الشهوات وبعدا عن المحرمات في مرضاة الله عزوجل والمضي في رحلة الحياة بدون أخطاء أو زلات، وفي هذا يتساوى كل المؤمنين، لا فضل بينهم إلا بالتقوى.

لهذا كله ننتظر رمضان الكريم ونحن ننشد فيه النفحات الربانية أن يشملنا الله تعالى بلطائف رحمته، وبفيض عفوه، وواسع مغفرته، هذا ونحن لا نعلم بالضبط الأجر من صيامه، فوحده سبحانه وتعالى الذي يجزي به، لذلك تعجز الملائكة عن رصد وحصر حسناته لمن صامه مؤمنا محتسبا، فالملائكة لا تطلع على الأفئدة، ولا تعلم ما في الصدور وما في دخيلة القلب، وحده سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة، المطلع على النوايا، فنسكنا ومحيانا جميعها له عزوجل، وفي ذلك أيضا لا فرق بين متخم وجائع.

د. ناجي عبدالله الخرس
باحث دراسات إسلامية

معالم أصول التربية (وصايا لقمان لابنه)(٣)

في التواضع

يستطرد لقمان - عليه السلام - في وصيته التي يحكيها القرآن هنا عن الآداب الاجتماعية.

يقول تعالى حكاية عن لقمان - عليه السلام - وهو يعظ ابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ (لقمان:١٨-١٩).

فمن الآيتين الكريمتين يتضح أن الآداب المتضمنة في تلك المواعظ هي كالتالي: وهي أربعة آداب اجتماعية سلوكية وهي:

١ - ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾

أي: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارا منك لهم، واستكبارا عليهم، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، يقول: لا تتكبر فتحتقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك.

وقال مالك: عن زيد بن أسلم ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تتكلم وأنت معرض.

وقال ابن جرير: وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها فشبه به الرجل المتكبر، ومنه قول عمرو بن حني التغلبي:

وكنا إذا الجبار صعر خده
أقمنا له من ميله فتقوموا (١)

والقرآن يختار هذا الأسلوب للتنفير من الحركة المشابهة للصعر.

وهي حركة الكبر وإمالة الخد للناس في تعال واستكبار.

فالمعنى: أقبل عليهم متواضعا مستأنسا، وإذا حدثك أصغرهم فأنصت إليه حتى يكمل حديثه.

ولهذا قال ﷺ بما يوضح هذا المعنى: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا». فالتدابر الإعراض وترك الكلام والسلام ونحوه، وإنما قيل للإعراض تدابر؛ لأن من أبغضته أعرضت عنه ووليته دبرك، وكذلك يصنع بك.

فمعنى التدابر موجود في من صعر خده وبه فسر مجاهد.

٢ - ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾

أي: خيلاء متكبرا جبارا عنيدا، لا تفعل ذلك حتى لا يبغضك الله، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾، أي: مختال معجب في نفسه؛ فخور، أي: على تغيره.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء:٣٧) (٢).

والمشي في الأرض مرحا هو المشي في تخايل ونفخة وقلة مبالاة بالناس، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات، يتنفس في مشية الخيلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

- فالله تعالى لا يحب كل فخور على الناس بنفسه أو بما أتاه الله من قوة أو مال أو نسب أو جاه أو ذكاء أو جمال.
- والفخور: هو الذي يعدد ما أعطي ولا يشكر الله تعالى.

وبه قال مجاهد، فالمؤمن الصادق يتحدث بنعمة الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى:١١).

٣ - ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾

ومع النهي عن مشية المرح، بيان للمشية المعتدلة القاصدة: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾، والقصد هنا في الاقتصاد وعدم الإسراف، وعدم إضاعة الطاقة في التبختر والتثني والاختيال. ومن القصد كذلك المشية القاصدة إلى هدف.

لا تتلكأ ولا تتخايل ولا تتبختر، إنما تمضي لقصدها في بساطة وانطلاق. فلا تمش مشي المتماوت، ولا تثب وثوب الشياطين.

٤ - ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾
والغض من الصوت فيه أدب وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته.
وما يزعق أو يغلظ في الخطاب إلا سيئ الأدب، أو شاك في قيمة قوله، أو قيمة شخصه، يحاول إخفاء هذا الشك بالحدة والغلظة والزعاق.
إذن المعنى: لا تبالغ في الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه، ولهذا قال: ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾، قال مجاهد وغير واحد: «إن أقبح الأصوات لصوت الحمير.. وهذا التشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم» (٣).
وجملة ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ تعليل للأمر بالغض عن الصوت، أي أوحشها وأقبحها. قال قتادة: «أقبح الأصوات أي أوحشها وأقبحها». قال قتادة: «أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق، واللام في لصوت الحمير للتأكيد».
وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: «لو كان رفع الصوت خيرا ما جعله الله للحمير».
● والتشبيه في هذا بالحمير يقتضي تحريمه وذمه غاية الذم.

نهيق الحمير

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله؛ فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان؛ فإنه رأى شيطانا» (رواه البخاري:٣٢٣٣، ومسلم:٦٨٧٠).

فائدة

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ﴾ إشارة إلى الأفعال، ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ﴾ إشارة إلى الأقوال.

فنبه على التوسط في الأفعال وعلى الإقلاع عن فضول الكلام.

حقيقة التواضع

قال صاحب «المنازل»: التواضع هو أن يتواضع العبد لصولة الحق، يعني: أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له، والذل والانقياد، والدخول تحت رقه، بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف المالك في مملوكه، فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع، ولهذا فسر النبي ﷺ الكبر بضده، فقال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس» (مسلم).
فبطر الحق: رده وجحده.
وغمط الناس: احتقارهم، وازدراؤهم، ومتى احتقرهم وازدراهم دفع حقوقهم، وجحدها واستهان بها.
ولما كان لصاحب الحق مقال وصولة كانت النفوس المتكبرة لا تقر له بالصولة على تلك الصولة التي فيها، لاسيما النفوس المبطلة، فتقول على صولة الحق بكبرها وباطلها (٤).

التكبر من صفات الرب سبحانه

سمى الله سبحانه وتعالى نفسه بـ «المتكبر» في قوله تعالى ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ﴾ (الحشر:٢٣). والمتكبر هو البليغ الكبرياء والعظمة (٥). فالتكبر لا يليق إلا به سبحانه وتعالى، في صحيح مسلم عن أبي سعيد وعن أبي هريرة، قالا: قال ﷺ: «يقول الله عزوجل العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته» (٦).

هدي النبي

كان هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساما، متواضعا من غير ذلة، جوادا من غير سرف، رقيق القلب، رحيما بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم (٧)، وكان النبي يمر على الصبيان فيسلم عليهم (٨)، وكانت الأمة تأخذ بيده، فتنطلق به حيث شاءت (٩)، وكان إذا أكل لعق أصابعه الثلاثة (١٠)، وكان في بيته في خدمة أهله (١١)، وكان يخصف نعله، ويرقع ثوبه (١٢)، وكان يحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم ويجالس المساكين ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء.

عمر بن الخطاب

قال عروة بن الزبير، رضي الله عنهما: «رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا. فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها».

حكمة

العاقل إذا رأى من هو أكبر منه سنا تواضع له وقال: «سبقني إلى الإسلام»، وإذا رأى من هو أصغر سنا منه تواضع له وقال: «سبقته بالذنوب» (١٣).

أخيرا

هذه وصايا لقمان لابنه، وهي وصايا نافعة جدا، والمسلمون مدعوون للاقتداء بلقمان في ذلك.
وهي من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير، جـ٦ ص١١٦-١١٧.
٢- تفسير ابن كثير، جـ٦ ص١١٧.
٣- تفسير ابن كثير، جـ٦ ص١١٧-١١٨.
٤- مدارج السالكين، جـ٢، ص٢٧١.
٥- تفسير النسفي (٤/٢٤٥).
٦- مسلم (٢٦٢٠).
٧- البخاري ٤٦٤٧، ومسلم ٢١٦٨.
٨- البخاري ٦٠٧٢.
٩- مسلم ٢٠٣٤.
١٠- البخاري ٦٧٦.
١١- البخاري ٥٦٩٢.
١٢- أحمد (١٠٦،١٢١،١٦٧،٢٤٢) وهو صحيح.
١٣- روضة العقلاء، ص٩٣.

د. سعد عبدالله الجدعان
باحث أكاديمي

التحكيم في الإسلام

حتى نتبين أهمية التحكيم كنمط من أنماط التقاضي التي أقرها ديننا الإسلامي الحنيف، يجدر بنا أن نعرفه، ونبين شرائطه وبعضا من أحكامه، ثم نعرج إلى أهميته وخصائصه وميزاته.

فالتحكيم في اللغة هو: مصدر الفعل «حكم» بتضعيف الكاف، ومرجع مادتها إلى «الحكم» الذي هو المنع، ومن معانيه: التفويض.

قال صاحب مختار الصحاح: «ويقال: حكم بينهم يحكم بالضم حكما، وحكم له، وحكم عليه، وحكمه في ماله تحكيما، إذا جعل إليه الحكم فيه فاحتكم عليه في ذلك، واحتكموا إلى الحاكم وتحاكموا بمعنى، والمحاكمة: المخاصمة إلى الحاكم» (١).

أما في الاصطلاح الفقهي فقد تعددت تعريفات المذاهب الفقهية للتحكيم، إلا أنها لم تختلف في المعنى والمؤدى، وإن تغايرت في الصياغة.

ويجمعها تعريف مجلة الأحكام العدلية: «التحكيم: هو عبارة عن اتخاذ الخصمين حاكما برضاهما لفصل خصومتهما ودعواهما؛ ولذلك يقال: حكم بفتحتين، ومحكم بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الكاف المفتوحة» (٢).

فيتحصل من هذا التعريف ومن جملة تعريفات الفقهاء للتحكيم أن

من شرطه: أن يكون برضا وتوافق بين الطرفين المتخاصمين، وأن يكون المحكم طرفا ثالثا عنهما، وأن يحكم بينهما بما يحقق التوافق والإصلاح، ويرفع النزاع ويدرأ المفاسد، وفق ضوابط الشرع وقواعده العامة.

وقد عرف العرب التحكيم وسيلة وحيدة لفصل النزاعات وإحقاق الحق والعدل، وذلك منذ قرون عديدة قبل الإسلام، فكانوا يحتكمون إلى من يرتضونهم من السادة والكبراء، وينزلون على أحكامهم طواعية من غير حاجة إلى جهة تلزمهم بذلك.

ثم لما جاء الإسلام أقر رسوله محمد ﷺ هذا العرف القضائي؛ اعتبارا لما يحققه من مصالح اجتماعية معتبرة، وما ينقطع به من شرور ومفاسد، والإسلام إنما جاء دينا قيما ليحقق لأتباعه الخير، ويجلب لهم المصالح، وليدفع عنهم الشرور والمضار.

وهكذا واعتبارا بهذا الانسجام بين المقصد الشرعي العام وبين هذا الأسلوب القضائي الخاص، فقد تضافرت نصوص الوحيين على مشروعية التحكيم، بل وإلى الإرشاد إليه في النزاعات الأسرية، قال الله تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء: ٣٥).

قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: «وفي هذه الآية دليل على إثبات التحكيم» (٣).

وحين نزل بنو قريظة على حكم الله ورسوله بعد حصار رسول الله ﷺ لهم خمسا وعشرين ليلة، حكم عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ فيهم، فقال رضي الله عنه كلمته المشهورة: «لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم» ثم حكم فيهم أن تقتل رجالهم، وتسبى نساؤهم وذراريهم، وتقسم أموالهم» (٤).

فكان ذلك دليلا من السنة الفعلية والتقريرية على مشروعية التحكيم.

وفي عهود الخلفاء الراشدين التي تلت عصر النبوة لم يكد يخلو عهد منها من حادثة تمت الإحالة فيها على التحكيم، ومن ذلك مثلا ما روى ابن سعد في طبقاته، قال: «ساوم عمر بن الخطاب رجلا بفرس، فركبه عمر ليجربه، فعطب الفرس، فقال للرجل: خذ فرسك، فقال الرجل: لا، قال: اجعل بيني وبينك حكما، فقال الرجل: شريح، فتحاكما إليه، فقال شريح: يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت، أو رد كما أخذت، فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا؟ سر إلى الكوفة، فبعثه قاضيا عليها، قال: وإنه لأول يوم عرف فيه» (٥).

وعلماء المذاهب الفقهية الأربعة متوافرون على أن الأصل في التحكيم الجواز والإباحة، قال النووي رحمه الله تعالى: «وقد أجمع العلماء عليه (يقصد التحكيم) وإذا حكم بشيء لزم حكمه، ولا يجوز للإمام ولا لهم الرجوع عنه، ولهم الرجوع قبل الحكم» (٦).

غير أنهم شرطوا لصحة التحكيم شروطا في المحكم، وشروطا في المتحاكمين، فمن الشروط التي اشترطوها في المحكم: الإسلام، والبلوغ، والعقل، والذكورة، والعدالة، وسلامة الحواس، وأن يكون على علم بالأحكام الشرعية وبأصول التقاضي.

كما اشترطوا في المتحاكمين: الأهلية، والرشد، وأن يكون رجوعهم إلى التحكيم بمحض اختيارهم وبكامل رضا منهم.

ومن الشروط العامة للتحكيم: أن لا يكون في حق من حقوق الله تعالى الخالصة له جل وعلا كالحدود، وأن لا يكون في أمر قد بت فيه القضاء أو هو تحت نظره.

وختاما يمكننا الخلوص إلى أن التحكيم نمط قضائي عريق، أقره الإسلام وعدله وفق ضوابط شرعية يتحقق بها الحكم بالعدل والإنصاف بين المتحاكمين، وقد ظل محتفظا بمكانته متجددا عبر العصور المختلفة إلى أن جاء عصرنا الحاضر، فتبوأ التحكيم مكان الصدارة بين أنماط التقاضي، وأصبح المفزع لكثير من المتخاصمين ممن يضيقون ذرعا بطول المدد في المسار القضائي المتعارف لدى المحاكم، أو حتى ممن تقصر أيديهم عن تكاليفها الباهظة في غالب الأحيان.

بل إنه أكثر من ذلك أصبح الوجهة لشركات ومؤسسات عالمية عديدة تهرع إليه رغبة في أسلوبه الأسهل والأسرع والأقرب منزعا، وينتظر أن تتعزز مكانة التحكيم مع اكتمال العديد من الأبحاث والدراسات المقام بها عالميا، والتي ينتظر أن تسفر عن مقترحات علمية من شأنها الارتقاء به في وسائله وفي نمطه العام.

الهوامش

١- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، (١/ ٦٢)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت.

٢- مجلة الأحكام العدلية، تحقيق نجيب هواويني، (١/ ٣٦٥)، دار كارخانه تجارت كتب.

٣- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (٦/ ٢٩٧)، مؤسسة الرسالة.

٤- السنن الكبرى للنسائي، رقم: (٥٩٣٩)، مؤسسة الرسالة، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي.

٥- الطبقات الكبير لابن سعد، (٦/١/٦٥)، حققه: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي.

٦- صحيح مسلم بشرح النووي، باب جواز قتال من نقض العهد، (١٢/ ٩٢)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

جمعة رسول - سوريا
كاتب دراسات إسلامية

رمضان.. مدرسة الحياة المتجددة

هو شهر الرحمة والمغفرة، شهر البر والبركة والإحسان، وشهر التقوى والعبادة والاستكثار من الدعوة إلى الفضيلة، شهر فرض الله سبحانه وتعالى على من يشهده بأن يصومه، ويجتهد في عمل الخير والصلاح؛ طلبا في زيادة الأجر والثواب. إنه شهر رمضان المبارك.

الصيام لغة يعني: الإمساك والكف عن الشيء. وشرعا: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بالنية. ويشير الكثير من العلماء إلى أن كلمة «رمضان» مأخوذة من «الرمض»، وهو شدة الحر، بمعنى: رمض الصائم إذا حر جوفه من العطش. وصوم رمضان هو ركن من أركان الإسلام، تشير الحكمة منه إلى إعداد النفس الإنسانية لتقوى الله، وتربية الإرادة على كبح جماح شهواتها. والصيام كتبه الله تعالى علينا، كما كتبه على الأمم من قبلنا، إشعارا بوحدة الدين ومقصده، وتأكيدا لأمر هذه الفرضية وترغيبا فيها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة:١٨٣).

• من فضائل «رمضان» وخصائصه

خص الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بمجموعة من الفضائل والخصائص التي لا تعد ولا تحصى، نذكر من هذه الفضائل:

١- أن في هذا الشهر تفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين. قال رسول الله ﷺ: «هذا شهر رمضان جاءكم، تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتسلسل فيه الشياطين» (١).

٢- أن الله تبارك وتعالى أنزل فيه القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ (البقرة:١٨٥). والقرآن - كما هو معلوم - دستور الأمة الإسلامية، والصراط المستقيم لمن تمسك به واعتصم، وهو النور المبين لمن عمل به وتدبر، وهو الفاصل بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلالة، وقد تكفل سبحانه وتعالى لمن يقرأ القرآن ويعمل بما فيه؛ ألا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة.

٣- أن فيه ليلة عظيمة، هي ليلة خير من ألف شهر (ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر). ليلة القدر المباركة التي شرفها الله بإنزال القرآن، وتنزل الملائكة والروح فيها، فمن حرم أجرها، فقد حرم خيرا كثيرا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ (القدر:١-٥). وهذه الليلة محصورة في العشر الأواخر من رمضان، ينبغي للمسلم أن يجتهد في كل ليلة منها بالذكر والاستغفار والدعاء إلى الله تعالى.

٤- أن الله تعالى قد اختص الصوم لنفسه، وهو الذي يجزي به، فيضاعف الأجر بلا حساب، وأن الصيام يشفع للعبد يوم القيامة، وأن في الجنة بابا يقال له «الريان» يدخل منه الصائمون، وأن الملائكة تستغفر للصائمين حتى يفطروا. قال ﷺ: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا، غفر له ما تقدم من ذنبه» (٢).

٥- ومن فضائل شهر رمضان: الانتصارات التي حققها المسلمون خلاله، وأهمها: غزوة بدر الكبرى، في العام الثاني للهجرة، التي انتصر فيها المسلمون، وتنزلت الملائكة للقتال بجانب المؤمنين، فكان النصر حليفهم، والاندحار عاقبة المشركين. وكان فيه فتح مكة، العام الثامن للهجرة، حيث انبثق نور الإسلام شرقا وغربا، ودخل الناس في دين الله أفواجا. وفي رمضان فتح الله على المسلمين في مواقع ومعارك عدة، فانتصر خالد بن الوليد في اليرموك، وسعد بن أبي وقاص في القادسية، وطارق بن زياد في الأندلس، والملك قطز والظاهر بيبرس، ضد التتار، وكذلك في: حطين، وبلاط الشهداء، وعين جالوت وغيرها، والحمد لله من قبل ومن بعد.

ومن خصائص الشهر المبارك، كما يذكرها الكاتب يحيى بن موسى الزهراني:

١- أن من فطر فيه صائما، فله مثل أجر الصائم، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيئا، قال ﷺ: «من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء» (٣).

٢- فيه أكلة السحور، وهي ميزة صيام المسلمين عن صيام الأمم

السابقة، وفيها بركة وخير عظيم كما أخبر بذلك المصطفى؛ قال ﷺ: «فصل ما بين صيامنا، وصيام أهل الكتاب، أكلة السحر» (٤).

٣- أن العمرة فيه تعدل حجة مع النبي، ففي الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: «عمرة في رمضان تعدل حجة»، أو قال: «حجة معي» (٥).

٤- فيه صلاة التراويح، حيث يجتمع لها المسلمون، رجالا ونساء، في بيوت الله تعالى لأداء هذه الصلاة، ولا يجتمعون في غير شهر رمضان لأدائها. وأن الأعمال فيه تضاعف عن غيره، فلما سئل النبي: أي الصدقة أفضل؟ قال: «صدقة في رمضان» (٦).

٥- أنه ركن من أركان الإسلام، ولا يتم إسلام المرء إلا به، فمن جحد وجوبه فهو كافر، قال عليه الصلاة والسلام: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام» (٧).

٦- انتشار الخير وأهل الخير، وإقبال الناس على المساجد جماعات وفرادى، مما لا نجده في غير هذا الشهر العظيم. وهنا يستطرد الكاتب بقوله: «ويا له من أسف وحسرة وندامة أن نجد الإقبال الشديد على بيوت الله تعالى في رمضان، ولا نراه في غيره، فإلى الله المشتكى».

• الصيام.. آدابه وسننه

للشهر الفضيل آداب وسنن، وجب على المسلم الالتزام بها، ومنها:

١- السرور والاحتفاء والتبشير بقدومه، والاستعداد لاستقباله بالعزيمة الصادقة، والدعاء إلى الله تعالى بأن يبلغهم إياه، ويتم عليهم نعمة صيام أيامه وقيام لياليه وحفظه عما يبطله أو ينقصه.

٢- تجديد العهد مع الله تعالى على التوبة الصادقة، والالتزام التام بطاعته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فـ «الصيام جنة»؛ أي وقاية وستر. يقول رسول الله ﷺ: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش» (٨).

٣- المحافظة على الصلوات الخمس مع الجماعة، والإكثار من الدعاء والاستغفار والتضرع إلى الله تعالى.

٤- المحافظة على تلاوة كتاب الله ومراعاة حفظه وتفسيره وتدبره، فالقرآن يكون شفيعا لقارئه يوم القيامة.

٥- الاجتهاد بالطاعات والعبادات، والإكثار من ذكر الله، ومجاهدة النفس على الصبر والتحمل، وتعهد الفقراء والمساكين بالإحسان والرأفة.

٦- المحافظة على صلاة التراويح، وهي «نافلة» يصليها المسلم في كل ليالي الشهر بعد صلاة العشاء وقبل الوتر، والحرص على أدائها كاملة؛ احتسابا للثواب المرتب عليها بإذن الله، واقتداء برسول الله.

٧- الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان، وإحياء لياليه بالصلاة والذكر والاستغفار طلبا لليلة القدر، فقد كان ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، وكان يجتهد في العشر ما لا يجتهد في غيرها، وكان إذا دخلت يعتكف في مسجده.

٨- اجتناب المعاصي والمنكرات، وعدم مقابلة السيئة بمثلها، بل بالفعل الحسن والكلمة الطيبة، ليتم الصيام ويقبل العمل بإذن الله. قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل اللهم إني صائم» (٩).

٩- الحرص على تأخير السحور، وتعجيل الإفطار؛ قال ﷺ: «لا تزال أمتي بخير؛ ما قدموا الفطور وأخروا السحور» (١٠).

١٠- إخراج الصائم لصدقة الفطر عن نفسه، وعن كل من تجب عليه نفقته، وصدقة الفطر مقدار مالي محدد، تعطى للفقراء في شهر رمضان بنية التقرب لله. وهي تجب على كل مسلم: ذكرا كان أم أنثى، صغيرا أم كبيرا، غنيا أم فقيرا. ولعل أهم فوائد هذه الصدقة أنها تغني الفقراء والمحتاجين والمساكين عن السؤال في يوم العيد.

١١- الاحتفال بعيد الفطر في أول أيام شهر شوال، والذي يسمى أيضا عيد رمضان، والعيد الأصغر، والسعي لنشر البهجة والفرح والسعادة في المحيط الاجتماعي.

• مبيحات الإفطار

يشرع للمسلم الإفطار في رمضان في حالات معينة، وهي:

١- السفر لمسافات بعيدة: إذ يصعب على الصائم معه تحمل الجوع والعطش.

٢- المرض: قد يكون المريض بحاجة إلى تناول الدواء أو الطعام، لذلك أجاز الله تعالى للمريض والمسافر الإفطار في رمضان، ثم بعد ذلك عليهما القضاء إن استطاعا إليه

سبيلا، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ (البقرة:١٨٥).

٣- الحمل والإرضاع: يسمح للمرأة المرضعة أو الحامل بالإفطار؛ إذا خافت على نفسها أو على ولدها.

٤- كبر السن: الجواز لكبير السن الذي لا يطيق الصيام؛ الإفطار خشية الإصابة بالأذى.

٥- الجوع والعطش الشديدان اللذان يصعب تحملهما، وقد يؤديان بالصائم إلى الهلاك، فالإسلام دين يسر ورحمة ورأفة.

• من فوائد الصيام

للصوم فوائد كثيرة، يمكن أن نذكر منها:

١- تربية المسلم على المبادئ والقيم الأخلاقية، وتنمية الشعور بالمسؤولية، وتعلم الصبر ومعنى الإرادة، ومجاهدة النفس بحكم الإمساك عن المفطرات بأنواعها خلال فترة الصيام.

٢- السمو بالروح الإنسانية، وتطهير النفس من بعض أمراضها كالحقد والكراهية والحسد والكبر، فرمضان مدرسة الأخلاق والقيم الفاضلة، وبفضله يقاوم الصائم شهواته، ويحفظ جوارحه، ويتدرب على ممارسة الخلق الحميد، قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه» (١١).

٣- يذكر بالحرمان، ويعمق الشعور بمعاناة الفقراء، ويجعل الصائم أكثر إنفاقا في سبيل الله تعالى، وحرصا على تحقيق العدالة والمساواة. وقد كان رسول الله أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان.

٤- يعمل على تحقيق المساواة الاجتماعية، فيشعر المسلمون فيه - أكثر من غيره - بالأخوة والتعاون والتكافل، ويتعلمون نظام الحياة كما يجب أن تكون.

٥- ومن فوائد الصيام الصحية أنه وسيلة لراحة الجسم، ويساعده على التخلص من الخلايا القديمة، والزيادات الضارة.

٦- الصيام علاج ووقاية للعديد من الأمراض، كـ «السكري» عبر إعطاء غدة البنكرياس فترة راحة، كما يعطي للمعدة (بيت الداء) أيضا هذه الفرصة، وينظم عمل الجهاز الهضمي، ويقاوم الميكروبات المعدية.

٧- يقلل الصيام من إفرازات الأمعاء للسموم، ويقلص نسبة التخمر التي تسبب بعض المشكلات الصحية.

ويرتبط الشهر الفضيل في العالم الإسلامي بمجموعة من أصناف الطعام والعصائر والحلويات، التي - عادة - ما يكون إقبال الناس على تناولها في شهر رمضان أكثر من الشهور الأخرى.

ولعل أكثر المشروبات الرمضانية تناولا هو العرقسوس، والكركديه، والخروب، والتمر هندي، وقمر الدين.. وغيرها من المشروبات، وجميعها تحتوي على عناصر غذائية تبعث النشاط في الجهاز الهضمي والجسم بكامله، وهي ذات قيمة غذائية عالية، لذا ينصح الصائم بتناولها في رمضان.

• نصائح في رمضان

١- تنظيم الوقت: يمكن بعد صلاة الفجر الجلوس في المسجد، واستغلال الوقت في قراءة القرآن وأذكار الصباح حتى تطلع الشمس.

٢- ممارسة العمل اليومي بكل إخلاص، وعدم قضاء اليوم أو جله بالنوم، وذكر الله تعالى ذكرا كثيرا.

٣- قراءة أذكار المساء بعد صلاة العصر، وما تيسر من سور القرآن، بعد المغرب الراحة وتناول الطعام، ثم صلاة العشاء والتراويح، وعدم إطالة السهر ليلا.

٤- الحذر من الانشغال بالمسلسلات والأفلام التي تضج بها المحطات الفضائية في هذا الشهر، وبغيرها من المشغلات.

٥- الإكثار من الذكر والصلاة في وقت السحور، والدعاء والاستغفار لحين وقت صلاة الفجر.

الهوامش

١- أخرجه النسائي.
٢- متفق عليه.
٣- رواه الترمذي وغيره.
٤- مسلم.
٥- متفق عليه.
٦- الترمذي، والبيهقي.
٧- متفق عليه.
٨- رواه النسائي، وابن ماجه.
٩- متفق عليه.
١٠- رواه أحمد.
١١- رواه البخاري.

د. إبراهيم نويري
باحث دراسات إسلامية

في منظور الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي

وداع رمضان

لفت نظري، وأنا أطالع كتاب العلامة أبي الفرج عبدالرحمن بن رجب الحنبلي رحمه الله، الموسوم بـ «بغية الإنسان في وظائف رمضان»، تركيزه الواضح على وداع شهر رمضان المعظم، وبعد تأمل ونظر، وقفت على بعض مقاصد هذا التركيز. فإن الخصال البهية والفضائل الندية التي استأثرت بها الأيام الأخيرة من هذا الشهر الفضيل، تكاد تكون فريدة من حيث الثواب والمردود الإيماني على الإنسان المسلم، وهو مردود قد لا يجد له عوضا طوال أيام السنة.

تعريف موجز بأبي الفرج

ولد الإمام أبوالفرج زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي، المشهور اختصارا بابن رجب الحنبلي، في بغداد سنة ٧٣٦هـ، ونشأ في دمشق، وبها تلقى العلم على أكابر العلماء والفقهاء، أمثال الإمام شمس الدين ابن القيم، والإمام زين الدين العراقي والإمام ابن العطار وغيرهم.. وقد نبغ في علوم ومعارف كثيرة منها: الفقه والعقيدة والحديث والتاريخ، وعلى الرغم من اشتغاله بالوعظ فإنه كان ميالا إلى العزلة والانفراد والتأليف، كما كان كثير العبادة والتهجد وقراءة القرآن، وكان رحمه الله ذا ميل واضح إلى منهج السلف في الفهم والاجتهاد، وقد جعل مقالات وآراء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مرجعا له في الفتيا والترجيح، توفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ، ودفن في مقبرة الباب الصغير، وقد ترك ثروة علمية انتفع بها طلاب العلم من أبناء المسلمين، ومن أشهر تلك المؤلفات التي خلفها نذكر: كتاب «التوحيد» وكتاب «الاستخراج

لأحكام الخراج» وكتاب «القواعد» وكتاب «فضل علم السلف على علم الخلف» وكتاب «شرح صحيح البخاري» وكتاب «ذيل طبقات ابن أبي يعلى» وكتاب «الفرق بين النصيحة والتعيير» وكتاب «مختصر سيرة عمر بن عبدالعزيز»، وغير ذلك من الأسفار والمؤلفات النافعة التي تنم عن طول باعه في كسب العلم والمعرفة الشرعية.

الصوم استثناء وفرادة بين سائر العبادات

ورد الصوم بإطلاق في صورة حالة استثنائية لها مميزات متفردة بين العبادات والتكاليف الإسلامية، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف؛ الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف، قال الله عزوجل: إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي. للصائم فرحتان، فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك».

أما لفظ رواية الإمام البخاري فهو: يقول الله عزوجل: «لكل عمل كفارة، والصوم لي وأنا أجزي به».. كما خرجه الإمام أحمد من هذا الوجه ولفظه «كل عمل ابن آدم له كفارة، إلا الصوم، والصوم لي، وأنا أجزي به». فمما لاريب فيه أن هذا النص الشريف الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، يشير إلى تميز الصوم بين سائر العبادات والتكاليف، وهذا ما حدا بالإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي إلى عد الصوم من أعمال الصبر، وقد بنى فهمه أو استنباطه على كون الحديث الثابت في الصحيحين قد جعل الصوم استثناء من الأعمال المضاعفة، بحيث تكون «الأعمال كلها تضاعف بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف، إلا الصيام، فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله عزوجل أضعافا كثيرة، بغير حصر عدد، لأن الصيام من الصبر، وقد قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠). ولهذا ورد عن النبي ﷺ، أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر» (بغية الإنسان في وظائف رمضان، ص ٣).

وهذا فهم جيد وتخريج رائع بديع، وقد زاده بهاء، اعتماد الإمام الحافظ ابن رجب على القرآن، في تفسير الأحاديث الشريفة، سواء أكانت قدسية أو نبوية، وهو منهج ارتضاه مؤسس علم الأصول الإمام الشافعي رحمه الله، ورجحه على غيره من المناهج، ولا يعني ذلك بداهة لدى العارفين بالعلوم الشرعية، أن السنة المطهرة لا تستقل بالتشريع، لاسيما فيما سكت عنه القرآن الكريم.

شرف ليلة القدر

ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه»، وجاء في رواية للنسائي: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، بيد أن الحافظ ابن رجب الحنبلي يميل إلى أن ذلك ليس بإطلاق، وذلك بناء على أدلة أخرى، لأن التكفير عن الذنوب قد ورد مشروطا بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه، ففي مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن

النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان فعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ منه، كفر ذلك ما قبله»، ويعضد ذلك ما خرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر».

إن وقوع ليلة القدر في شهر رمضان، وتحديدا في العشر الأواخر منه، يزيد من بيان ما سبقت الإشارة إليه من تميز هذا الشهر الكريم، وكذا تميز الصوم عن سائر العبادات، كما أن إخفاءها في الأيام الأخيرة منه لاسيما الليالي الوترية، دليل على أهمية الإقبال على أسباب وموجبات الفوز، وذلك بالاجتهاد وكثرة الإقبال على الله بقراءة القرآن والتهجد والذكر والدعاء والتصدق على المحتاجين وذوي المسغبة، ورد المظالم، وتفقد صلة الرحم، وغيرها من أعمال البر والرشد والإحسان التي تعكس أثر التقوى الثاوي في أعماق أهل الإيمان وحقيقة تغلغله في سويداء الأرواح والقلوب والنفوس.

وداع رمضان ووقعه على روح المسلم

إن أفول وتصرم أيام وليالي رمضان أمر محزن حقا، إنه يَكْلم أفئدة المؤمنين الصادقين الذواقين لأريج بركة شهر القرآن والإيمان والتقرب إلى الله، وكيف يكون وقع وداع هذا الشهر سهلا على روح المسلم، وقد ألفت هذه الروح واستروحت فيه بركات القربى ونسمات الفوز والرضوان؟ فلا غرابة إذن أن تكون المشاعر حزينة خلال أيام الوداع، ولله در الشاعر المسلم الذي استشعر هذه المعاني فقال في تصويرها:

سلام من الرحمن كل أوان
على خير شهر قد مضى وزمان
سلام على شهر الصيام فإنه
أمان من الرحمن أي أمان
لئن فنيت أيامك الغر بغتة
فما الحزن من قلبي عليك بفان

وقال آخر، وهو يرسم ويجسد بالكلمات حقيقة هذه المشاعر الملتاعة، والأحاسيس الملتهبة، حزنا وأسى على سرعة تصرم أيام وليالي رمضان:

تذكرت أياما مضت ولياليا
خلت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوما من الدهر عودة
وهل لي إلى يوم الوصال رجوع
وهل بعد إعراض الحبيب تواصل
وهل لبدور قد أفلن طلوع

الحق أن هذه المشاعر والأحاسيس المعتقة بصفاء الإيمان والتقوى، كانت تسكن وتنتاب نفوس وأرواح أسلافنا الصالحين، حتى لقد روي عنهم أنهم يظلون ستة أشهر كاملة وهم يسألون الله أن يتقبل منهم رمضان، ثم يدأبون بعد ذلك فيظلون ستة أشهر أخرى يسألون الله أن يبلغهم رمضان. بمعنى أن رمضان له حضور دائم في ضمائرهم وأرواحهم، وما ذلك إلا لكونهم قد فقهوا وأدركوا حقيقة ما فيه من فضل وخير وبركة.

ولقد أحسن ابن رجب الحنبلي رحمه الله معالجة هذا الموضوع من زوايا متعددة، وزاد على ذلك فختم فصل «وداع رمضان» بخطبة بليغة مؤثرة، تتفطر لمعانيها القلوب وتتصدع لأثرها النفوس، ومن العبارات التي وردت فيها: «عباد الله إن شهر رمضان قد عزم على الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فمن كان منكم أحسن فيه فعليه بالتمام، ومن كان فرط فليختمه بالحسنى، فالعمل بالختام، فاستغنموا منه ما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملا صالحا يشهد لكم به عند الملك العلام، وودعوه عند فراقه بأزكى تحية وسلام.. أيا شهر رمضان ترفق، فدموع المحبين تدفق، وقلوبهم من ألم الفراق تشقق، عسى وقفة الوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق، عسى ساعة توبة وإقلاع ترقع من الصيام ما تخرق، عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق، عسى أسير الأوزار يطلق، عسى من استوجب النار يعتق» (ص ١٠٣).

إن هذه المعاني الجليلة المهيبة التي سكنت أرواح أسلافنا الصالحين، من شأنها أن تكون لنا نحن ولأبنائنا وناشئتنا ترياقا وإكسيرا، يمدنا بطاقة مضاعفة الأعمال الصالحة خلال شهر رمضان، ويجعلنا حريصين أشد ما يكون الحرص على أيامه وساعاته، بل على دقائقه وثوانيه.

هكذا هو الشعور النابع من الوجدان المسلم المفعم بروح الإيمان وأرائج العبادة الزاكية إزاء تصرم شهر الصوم والتقوى والقرآن، إنه شعور مرهف رقيق، تمتزج فيه الرغبة الصادقة في الغفران والعتق من النار والفوز برضا الرحمن، حتى ليتلعثم اللسان ويفيض الدمع وينكسر الخاطر ويُدمى القلب من شدة لوعة الفراق، ويبقى الرجاء منصبا والأمل معلقا ببلوغ شهر عام جديد، ليتجدد العهد مرة أخرى مع سائر الأعمال الصالحة التي يحرص عليها المسلم الحق، الواعي برسالة الإيمان، المدرك لمعاني الخلود في الجنان معضدة ومعطرة برضوان المنعم المنان.

محسن عبدالمعطي
شاعر وروائي مصري

إن أنس لا أنس دروس أستاذي ومعلمي شهر رمضان الكريم.. فهو المعلم الأقدر والصديق الأوفى الذي يقول الشاعر في شأنه:

إن صديق الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك

أذكر أنني أصبت يوما بالتخمة التي يسميها أطباء العلاج الطبيعي وأطباء المرض النفسي «مرض السمنة»، والتي حار الناس في شأنها، وذهبوا إلى الأطباء لعلاجها، وهاتفوهم بالجوال عبر شاشات التلفاز والإذاعات العالمية ومواقع الإنترنت، يستفتونهم في شأن «مرض السمنة».

وتدور الأيام، وتمضي الشهور، وتمر السنون، وما من شاف وما من مريض قد تم برؤه.

ذهبت إلى صديقي ومعلمي شهر رمضان الكريم في عيادته الربانية، فقال لي بفلسفة عميقة: اسمع جيدا وأصغ إليّ يا ولدي بأذنيك المرهفتين، وعينيك المتيقظتين، وقلبك البصير، كل الأصدقاء لا يحبون من أصدقائهم أن يستغلوهم، وأنا أقولها لك وبصراحة: استغلني يا أعز أصحابي، وسأكون الأسعد بهذا الاستغلال.

قلت: وكيف أستغلك يا صديقي وأنت لا تأتي إلا مرة واحدة في العام؟!

وقال: عليك أن تنتهز فرصة قدومي، وتحذر فوت هذه الفرصة، كل يا بني واشرب ولا تسرف، يتحقق لك التوازن النفسي والجسمي.

في هذا الوقت ستهرب السمنة من جسمك، ولا تصاحبك أبدا.

قلت بأدب واحترام: زدني من علمك أيها الشهر الأكرم.

قال: يا بني، كن نشيطا دائما في طاعة الله، من صلاة مفروضة ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ٨٠ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ٨١ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾ (الإسراء:٧٨-٨٢).

وكن نشيطا في مشاوير تقضيها في طاعة الله، من أجل إطعام المحرومين، ومساعدة الأرامل، والعطف على الأيتام، وكثرة الخطى إلى المساجد لانتظار الصلاة بعد الصلاة.

يا ولدي، لن تمسك الأمراض طول حياتك لا السمنة ولا غيرها، وبفضل الوضوء والاغتسال ستتحقق لك المناعة الجسمية والنفسية.

د. مصطفى أحمد قنبر
باحث في علوم اللغة
قطر

من إبداعات الدلالة القرآنية في آيات الصيام:

دقة التعبير عن مظاهر التيسير

مازالت آي كتاب ربنا العزيز تتنزل برحماته على عباده المؤمنين؛ لتكشف أمامهم بعضا من آفاق هذا النص الشريف، وتفيض ببعض من أسرار هذا التنزيل الحكيم، وما إن تلوح هذه الأسرار إلا وتنقطع النفس عن حظوظها لتعيش رحلة ماتعة مع تذوق ما تفيض به هذه الأسرار العجيبة من إبداعات فريدة في التعبير تغاير ما ألفه المبدعون والمتلقون على السواء. تلك حال من يعايش آي القرآن.. وسيظل هذا الإعجاز في ذلكم الكتاب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وكيف لا وهو «البحر الذي لا تفنى عجائبه، ولا يظمأ فيه راكبه، منه استخرجت درر المحاسن، واستنبطت عيون المعاني، وعرف كنه البلاغة، وتحقق سر الفصاحة» (١).

اليوم نعرض مظاهر التيسير في أحكام الصيام كما عبرت عنها بدقة ألفاظ هذا النسيج الشريف المعجز، فبعد أن وعت جماهير المتلقين خطاب ربها الحكيم بفرضية شعيرة الصيام من أول النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إلى بيان الهدف الأسمى جاء الخطاب التالي ليعرض بعضا من أحكامه، وهو غير منفصل عن الخطاب الأول؛ إذ يقع في نطاق أسلوب النداء الذي صدر به هذا البيان الرباني حيث يقول جل وعلا:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ ﴾(البقرة:١٨٣-١٨٤).

محدودية التكليف الزمنية

افتتحت الآية الكريمة بالحديث عن المدى الزمني الذي تستغرقه هذه الشعيرة من جماعة المؤمنين حتى يحظوا بثمارها ويتحقق فيهم أنهم أمة إجابة. إنها ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾ هي أيام ذلك الشهر الفضيل، وقد «عبر عن رمضان بأيام وهي جمع قلة، ووصف بمعدودات وهي جمع قلة أيضا؛ تهوينا لأمره على المكلفين، والمعدودات كناية عن القلة لأن الشيء القليل يعد عدا ولذلك يقولون: الكثير لا يعد، ولأجل هذا اختير في وصف الجمع مجيئه في التأنيث على طريقة الجمع بألف وتاء» (٢).

ولنتأمل معا عظيم فضل الله جل وعلا وجزيل عطاياه وما صرحت به أحاديث المصطفى ﷺ في هذا المقام، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يقول الله عزوجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (٣).

تطمين النفوس

ثم سارعت الآي بتنزيل مزيد من الطمأنينة في نفوس المتلقين لخطاب التكليف الرباني، فاستثنت مؤقتا فئات من جمهور المكلفين يشكل القيام بالشعيرة بالنسبة لهم مشقة تتعارض مع الهدف الأسمى الذي كتب الصيام من أجله، يقول العلامة ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ تعقيب لحكم العزيمة بحكم الرخصة، فالفاء لتعقيب الأخبار لا للتفريع، وتقديمه هنا قبل ذكر بقية تقدير الصوم تعجيل بتطمين نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال (٤).

والجملة شرطية أخر فيه معنى الشرط والجزاء أي من يكن منكم مريضا أو مسافرا فأفطر فليقض، وإذا قدرت فيه معنى الشرط كان المراد بقوله (كان) الاستقبال لا الماضي، كما تقول: من أتاني أتيته (٥).

مريضا أو على سفر

وفي التعبير عمن تشملهم رخصة الفطر ﴿مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ﴾ توسيع لدائرة التيسير التي من بها الشارع الحكيم على المكلفين، وهذا ما التفت إليه صاحب تفسير المنار قائلا: «وإطلاق كلمة (مريضا) يدل على أن الرخصة لا تتقيد بالمرض الشديد الذي يعسر معه الصوم، وروي هذا عن عطاء وابن سيرين وعليه البخاري؛ لأن أمثال هذه الأحكام تقرن بمظنة المشقة تحقيقا للرخصة، فرب مرض لا يشق معه الصوم ولكنه يكون ضارا بالمريض وسببا في زيادة مرضه وطول مدته، وتحقيق المشقة عسر، وعرفان الضرر أعسر. واستدل الجمهور على تقييده بالمرض الذي يعسر الصوم معه بقوله في الآية الأخرى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ (البقرة:١٨٥). ولا دليل فإنه تعليل لأصل الرخصة، وكمالها ألا يكون فيها تضييق. كذلك السفر يشمل بإطلاقه وتنكيره الطويل والقصير وسفر المعصية. فالعمدة فيه ما يسمى في العرف سفرا كسائر الألفاظ المطلقة في الشرع. والعرف يختلف باختلاف أسباب المعيشة» (٦).

وفي رحاب التيسير يرى الرازي أن التعبير عن السفر جاء مغايرا للتعبير عن المرض بقوله ﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾ ويعلل لذلك بأن «المرض صفة قائمة بالذات: فإن حصلت حصلت وإلا فلا، وأما السفر فليس كذلك لأن الإنسان إذا نزل في منزل فإن عدم الإقامة كان سكونه هناك إقامة لا سفرا، وإن عدم السفر كان هو في ذلك الكون مسافرا، فإذن كونه مسافرا أمر يتعلق بقصده واختياره، فقوله: «على سفر» معناه كونه على قصد السفر. والله أعلم بمراده» (٧).

التيسير في كيفية القضاء

ولم تنحصر مظاهر التيسير في

شعيرة هذا الركن العظيم في النأي عن العسر أو المشقة التي تصيب بعض فئات من مجتمع المكلفين؛ كونهم من المرضى أو من المسافرين فقط، بل امتدت مظلة التيسير لتشمل كيفية القضاء.

ويكشف الزمخشري عن علة مجيء اللفظة (عدة) نكرة فيقول: «كيف قيل (فعدة) على التنكير ولم يقل: فعدتها، أي فعدة الأيام المعدودات؟ قلت: لما قيل: فعدة، والعدة بمعنى المعدود فأمر بأن يصوم أياما معدودة مكانها، علم أنه لا يؤثر عدد على عددها، فأغنى ذلك عن التعريف بالإضافة» (٨).

وفي مظهر آخر من مظاهر التيسير التي من بها العليم الخبير على عباده المؤمنين يأتي التشريع الحكيم بما يؤكد على تماسك ووحدة هذا النسيج الشريف المعجز، يقول العلامة ابن عاشور: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ عطف على قوله: عليكم الصيام، والمعطوف بعض المعطوف عليه، فهو في المعنى كبدل البعض، أي وكتب على الذين يطيقونه فدية، فإن الذين يطيقونه بعض المخاطبين بقوله: كتب عليكم الصيام» (٩).

والجملة اسمية قدم خبرها (الجار والمجرور) وجوبا على المبتدأ النكرة لإفادة التخصيص، وقد عبرت الآية الكريمة عن هذه الفئة بجملة الصلة الفعلية ذات الفعل المضارع الذي يعبر عن الاستمرار، فمتى تحقق عدم القدرة على الصيام أفطر هؤلاء وعليهم الفدية (١٠). ويعلل الرازي قائلا: «وهي فدية بالتنوين فجعلوا ما بعده مفسرا له ووحدوا المسكين لأن المعنى على كل واحد لكل يوم طعام مسكين» (١١).

وبعد أن انتهت الآية من الحديث عن مظاهر التيسير تأتي جملة الشرط ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ لتغري جمهور المخاطبين بالاستزادة من الطاعات وتحصيل الدرجات، فيأتي الفعل ﴿تَطَوَّعَ﴾ الذي يفيد «التخيير في أمر الجواز بين الفعل والترك، وأن الفعل أفضل» (١٢) وفي اللسان: «التطوع: ما تبرع به من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه» (١٣) ويضيف أبو حيان: «ومن قرأ: ومن تطوع خيرا، على لفظ الماضي فمعناه للاستقبال» (١٤) وأرى أن اللفظ يحمل دلالات الماضي وكذا دلالات المستقبل، فمن تطوع بالخير فسيجد خيرا، ومن سيتطوع فسيجد خيرا؛ فباب الكريم جل وعلا أجل من أن يغلق.

ثم يأتي المفعول به (خيرًا) الذي يعبر عن كل ما هو حسن وشرف (١٥). ليحفز الفاعل على الفعل وإن كان غير لازم. «ويحتمل أن يكون انتصابه على أنه نعت لمصدر محذوف، أي: تطوعا خيرا، ودل وصف المصدر بالخيرية على خيرية المتطوع به» (١٦). وليس من المبالغة أن نفهم من ذلك أيضا خيرية المتطوع.

وتزداد درجة التحفيز والتحريض إذا علم الفاعل أن الجزاء من جنس العمل، يفهم هذا من جواب الشرط ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ والملاحظ هنا ما يكشف عنه التعبير القرآني من دلالات تعمق من قناعات المتلقي لهذا البيان في الرغبة في التطوع. فالجملة الاسمية المقترنة بالفاء للربط بين الفعل والجزاء تركيبا ومعنى، وكذا الإحالة القبلية في ضمير الغائب (هو) تؤكد هذا الربط، ولا يخفى ما يحمله التنكير الذي جاء في خبر المبتدأ (خير) من دلالات الشمول والتعظيم.

أما الجار والمجرور (له) الذي لحق بجملة الجواب فلاريب أنه يؤكد على تخصيص المتطوع بالجزاء دون سواه، وهو بدوره يمثل أداة من أدوات التحفيز والتحريض. ناهيك عن أن هذا الجواب جاء في ثوب الجملة الاسمية وهي التي توصف بأنها تقرر ثبوت شيء لشيء أو نفيه عنه، سواء كان هذا الثبوت أو النفي على وجه الإخبار أو الإنشاء (١٧).

الهوامش

١- أبوالإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ٧٠٤.

٢- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (٢/ ١٦١).

٣- صحيح البخاري (٩/ ١٤٣).

٤- التحرير والتنوير (٢/ ١٦٢).

٥- الفخر الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ٢٤٣).

٦- محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٢/ ١٢١).

٧- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ٢٤٤ - ٢٤٥).

٨- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٢٦).

٩- المرجع السابق (٢/ ١٦٦).

١٠- ناقش كثير من المفسرين الأحكام الفقهية المبنية على القراءات الواردة في جملة الصلة.. لا يتسع المقام لعرضها. ينظر في ذلك: الماوردي، النكت والعيون (١/ ٢٣٨)، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٥٢)، التحرير والتنوير (٢/ ١٦٦).

١١- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٥/ ٢٤٩)، و ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٥٢).

١٢- أبوحيان، البحر المحيط في التفسير (٢/ ١٩٢).

١٣- لسان العرب مادة (طوع).

١٤- البحر المحيط (٢/ ١٩٢).

١٥- التحرير والتنوير (٢/ ١٦٧).

١٦- المرجع السابق ٢/ ١٩٢).

١٧- انظر: د. عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مؤسسة الصباح، الكويت (د. ت) ص ١٢٩.

علاء الدين حسن
شاعر وكاتب سوري

من نسمات رمضان

انهض بعزم ثابت الأركان … رمضان أقبل هاديا بتفان

رمضان أقبل راسما ومبينا … درب التقى والبر والعرفان

فانهل بكل الشوق عذب بيانه … في محكم التنزيل في الفرقان

فهو الضمان حقيقة وبه الرضا … وبه يكون القلب باطمئنان

رمضان يلتئم الجميع بحسنه الـ … منساب في الأعماق والوجدان

هو نورنا ورجاؤنا وخلاصنا … هو ذروة الإغناء والتبيان

فاسلك سبيل الحق عهد نزاهة … واشكر بقلب صادق الإيمان

واحرص على التقوى بكل بسالة … وانبذ صغار الذل والخذلان

أجملت يا شهر السلام قلوبنا … بمحبة الإنسان للإنسان

يا خير ضيف كل عام مرحبا … هذا ثناء الخالق المنان

فارفع مقامك بالتواضع والرؤى … في عزة.. في موطن العمران

رمضان أقبل كي يعيد جماله … قبسات شوق الواله الظمآن

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٦)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، مع ترجمة موجزة لهم، حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «ابن الأثير»

١- ابن الأثير «المحدث» (ت ٦٠٦هـ):

هو أبوالسعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري الشافعي، المحدث اللغوي الأصولي.

ولد سنة ٥٤٤هـ، ونشأ في جزيرة ابن عمر، ثم انتقل إلى الموصل. من مصنفاته: «النهاية في غريب الحديث والأثر»، و«جامع الأصول في أحاديث الرسول»، و«الشافي

في شرح مسند الإمام الشافعي»، و«المختار في مناقب الأخيار».. وغيرها.
توفي بالموصل في شهر ذي الحجة بعدما أصيب بمرض النقرس (١).

٢- ابن الأثير «المؤرخ» (ت ٦٣٠هـ):
هو أبوالحسن عز الدين علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، من العلماء بالنسب والأدب.
ولد سنة ٥٥٥هـ، ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، وتجول في البلدان، من تصانيفه: «الكامل في التاريخ»، و«أُسْد الغابة في معرفة الصحابة»، و«اللباب في تهذيب الأنساب».. وغيرها.
توفي بالموصل (٢).

٣- ابن الأثير «الكاتب» (ت٦٣٧هـ):
هو أبوالفتح ضياء الدين نصر الله ابن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب، أديب، كاتب، من الوزراء. ولد في جزيرة ابن عمر سنة ٥٥٨هـ، وتعلم بالموصل، كان قوي الحافظة، من محفوظاته شعر أبي تمام، والمتنبي، والبحتري.
من مصنفاته: «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، و«الوشي المرقوم في حل المنظوم»، و«الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور»، و«كفاية الطالب في نقد الشاعر والكاتب» و«البرهان في علم البيان».. وغيرها، توفي في بغداد (٣).

المتفق والمفترق في اسم «الطبري»

١- ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ):
هو أبوجعفر محمد بن جرير ابن يزيد الطبري المؤرخ، المفسر، الإمام، الفقيه، الأصولي، المحدث، المجتهد.
ولد بآمل طبرستان سنة ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد، واختار لنفسه مذهبا في الفقه، عرض عليه القضاء فامتنع، وعرضت عليه المظالم فأبى، من مصنفاته: «جامع البيان في تأويل آي القرآن»، و«تاريخ الرسل والملوك»، و«اختلاف الفقهاء»، و«المسترشد في علوم الدين».. وغيرها من المؤلفات.
توفي ببغداد في شهر شوال (٤).

٢- أبوالطيب الطبري (ت ٤٥٠هـ):
هو أبوالطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري، قاض من أعيان الشافعية.
ولد في آمل بطبرستان سنة ٣٤٨هـ، واستوطن بغداد، وولي القضاء بربع الكرخ، وسمع الحديث بجرجان ونيسابور وبغداد.
من مصنفاته: «شرح مختصر المزني»، و«التعليقات الكبرى في فروع الشافعية»، و«جواب في السماع والغناء».. وغيرها.
وتوفي ببغداد في شهر ربيع الأول (٥).

٣- محب الدين الطبري (ت ٦٩٤هـ):
هو أبوالعباس محب الدين أحمد ابن عبدالله بن محمد الطبري المكي الشافعي، فقيه شافعي، محدث، من أهل مكة، ولادة ووفاة، وكان شيخ الحرم فيها.
ولد بمكة سنة ٦١٥هـ، وسمع من جماعة، وأفتى وصنف.
من مصنفاته: «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى»، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة»، و«السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين»، و«القِرى لقاصد أم القرى»، و«غاية الإحكام لأحاديث الأحكام».. وغيرها.
توفي بمكة المكرمة في جمادى الآخرة (٦).

الهوامش

١- ينظر: وفيات الأعيان (٤٤١/١)؛ والأعلام للزركلي (٢٧٢/٥)؛ ومعجم المؤلفين (١٧٤/٨).
٢- ينظر: وفيات الأعيان (٣٤٧/١)؛ والأعلام للزركلي (٣٣١/٤)؛ ومعجم المؤلفين (٢٢٨/٧).
٣- ينظر: وفيات الأعيان (١٥٨/٢)؛ والأعلام للزركلي (٣١/٨)؛ ومعجم المؤلفين (٩٨/١٣).
٤- ينظر: تذكرة الحفاظ (٣٥١/٢)؛ والأعلام للزركلي (٦٩/٦)؛ ومعجم المؤلفين (١٤٧/٩).
٥- ينظر: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٧٦/٣)؛ والأعلام للزركلي (٢٢٢/٣)؛ ومعجم المؤلفين (٣٧/٥).
٦- ينظر: شذرات الذهب (٤٢٥/٥)؛ والأعلام للزركلي (١٥٩/١)؛ ومعجم المؤلفين (٢٩٩/١).

محمود أحمد عبدالرحيم
مصر

لماذا رمضان؟

قد يأتيك السؤال على لسان طفلك وهو يرى التغيرات التي تطرأ على الأسرة في رمضان، فعندما يأتي شهر رمضان الهمم تعلو، والطاعات تكثر، وصلة الرحم بين الأقارب تقترب أكثر، وتكسوها المودة والحب، ويتبقى الدور الأسري تجاه أفرادها، فالصّغار في الأسر يحاولون تقليد الكبار في الصوم، وكان قديما في الريف يشجعون الأطفال على الصيام، ويقولون لهم: صوموا إلى الظهر، أو بعض ساعات من الصباح، وهذا هو التدريب الحقيقي للطفل على المواظبة على الصيام، والتعود عليه، كما هو مفتاح للدخول على الطاعات، فنرى الطفل يذهب إلى المسجد مع والده لكي يصلي التراويح، ويهتم بالأذان، ويردده في المغرب، فهذه كلها فوائد عظيمة في هذا الشهر الكريم، ونرى أيضا السلوك النفسي للطفل، وهو يرى كل من حوله يتعامل بسلوك مغاير للسلوك المعتاد، فالكثير من الناس تسيطر عليهم الهداية الربانية: من صلاة، وقراءة قرآن، والأوردة المختلفة، وكل ذلك ينتج عند الطفل شعورًا بمدى أهمية هذا الشهر، الذي يحدث تغيّرا ملحوظا في محيط الأسرة، وكل ما يحيط به من سلوكات حتى المكان بصفته، كالشارع، والمنازل، والمساجد كلها تتزين، وتكون مختلفة في هذا الشهر الكريم.

شهر رمضان شهر المودة، والحب، والتراحم، وتدعيم أواصر العلاقات بين أفراد الأسرة، والأقارب، الذين بعدت مسافات المعترك الحياتي بينهم، وتجافت القلوب مع بعد هذه المسافات؛ ليأتي هذا الشهر الفضيل كالبلسم، الذي يعالج الفتور الذي يصيب العائلة طوال السنة، فنرى كيف يقرب هذا الشهر الكريم التراحم في أوصال العائلة، التي كادت أوصالها أن تتقطع بانشغال الأقارب بالحياة، فيجتمع الأهل، والأقارب، على موائد الإفطار، وتتم الدعوات للإفطار بين الأصدقاء، والجيران، ويقوي الصوم لدى الصائم ملكة التقوى، والخشية من الله، ويؤكد في الإنسان معنى الإخلاص، فالصوم هو عبادة لا تظهر لها أي علامات؛ حتى تكون بعيدة عن الرياء، كما يقوم الكثير من الأغنياء، والميسورين الحال بتوزيع الصدقات على الفقراء، والمحتاجين، متمثلة في ما يسمونه «حقيبة رمضان»، وإيصال الطعام لمستحقيه في بيوتهم والمتعففين الذين يخشون التعرض للحرج بالجلوس على طاولة في السرادق التي تنتشر في الشوارع لتناول وجبة الإفطار.

شهر التوبة والمغفرة

هكذا هو شهر رمضان دائم الصدقات على المؤمنين، فهو شهر التوبة، وشهر المغفرة نجد كثيرًا من الأسر تغدق

بالصدقات على الفقراء، والأقارب، وتفتح القنوات الدينية، والإذاعات المختلفة للبث الدّيني، ونجدهم يرددون الأحاديث، كقوله ﷺ:

«من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

وقوله ﷺ: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» فصيام رمضان، وقيامه سببان لكي يغفر لك الله الذنوب، ويحط عنك الخطايا، فلقد وصف الله سبحانه الصوم بأنه فريضة له اختص بها نفسه، يجزي بها العباد، وقد اشتدت همم العباد له للتكليف الرباني.

وما إن يأتي شهر رمضان حتى تتوارد أبيات الشعراء كالعبير لرمضان، وتجد الشعر يتفجر عند بعضهم ابتهاجا بقدوم الصيام.

الأشعار

يقول ابن الجوزي:

الصوم جنة أقوام من النار
والصوم حصن لمن يخشى من النار

والصوم ستر لأهل الخير كلهم
الخائفين من الأوزار والعار

والشهر شهر إله العرش مَنَّ به
رب رحيم لثقل الوزر ستار

فصام فيه رجال يربحون به
ثوابهم من عظيم الشأن غفار

فأصبحوا في جنان الخلد قد نزلوا
من بين حور وأشجار وأنهار

ويقول الشاعر محمد الأخضر الجزائري عن هلال رمضان:

املأ الدنيا شعاعا
أيها النور الحبيب

اسكب الأنوار فيها
من بعيد وقريب

ذكر الناس عهودا
هي من خير العهود

وقال أبو تمام:

وأصوم بعدك عن سواك وأغتدي
متقلدا صومين في رمضان

من النوادر

جاء رجل إلى فقيه فقال: أفطرت يوما في رمضان؟ فقال له الفقيه: اقض يوما مكانه، قال: قضيت، وأتيت أهلي وقد صنعوا مأمونية – نوع من الحلوى الفاخرة – فسبقتني يدي إليها، فأكلت منها، فقال الفقيه: اقض يوما مكانه، قال الرجل: قضيت، وأتيت أهلي وقد صنعوا هريسة، فسبقتني يدي إليها، فقال الفقيه: أرى ألا تصوم بعد ذلك إلا ويدك مغلولة إلى عنقك.

حسن بن محمد
كاتب - تونس

الصيام .. و«دراما» رمضان

إن الغاية والمقصد الأسمى من الصوم هو وصول المسلم إلى أعلى درجات الإيمان والتقوى. وعلى المسلم أن يأخذ حذره من كل الملهيات والمفاسد التي قد تضيع وقت صيامه وقيامه في هذا الشهر وتجعله يندم يوم القيامة ندما عظيما؛ لأنه فرط في جنب الله عزوجل. وفي كل سنة، وبمناسبة حلول شهر رمضان المعظم، يعمل جل الفنانين والمنتجين الدراميين في عالمنا العربي والإسلامي على إغراق العديد من الفضائيات التلفزيونية بمنتوجاتهم الفنية الخليعة من مسلسلات ومسرحيات ومسابقات غنائية، تخدش الحياء وتعتدي على حرمة رمضان وقدسيته، وإن كثيرا من هؤلاء لا يرون حرجا في اعتماد لغة مبتذلة وأسلوب قبيح، وتصل بهم الجرأة في كثير من الأحيان إلى اللجوء إلى استعمال الكلام الخبيث والفاحش، ناهيك عن اللقطات المثيرة والخادشة للحياء، سواء كان ذلك تجسيدا أو عن طريق الإيحاء، فضلا عن اللباس الفاضح والرقص الماجن. واليوم، يقع العديد من الصائمين ضحية لبرامج هذه القنوات التي لم تراع حرمة هذا الشهر الفضيل ولا قدسيته، فبعد أن كانت في الماضي تعرض المسلسلات الدينية والتاريخية الهادفة التي تذكر بأمجاد هذه الأمة العظيمة وتعمل على استنهاض الهمم وبعث الأمل في غد أفضل لدى الجميع، فإن اليوم نجد أن أغلب المنتجين يسعون وراء الربح السريع، وذلك من خلال اللجوء إلى إنتاج فني رديء، يغلب عليه المجون والانحراف، وهو يدخل في باب إفساد الصوم على العديد من المسلمين، الذين هم بدورهم لا يراعون حرمة الشهر، بعد أن انساقوا وراء هذه القنوات. غير أن المسلم القوي هو الذي يستغل شهر رمضان استغلالا حسنا، وذلك بأن يهيئ نفسه لعمل الطاعات والبعد عن المعاصي ما ظهر منها وما بطن.

إن شهر رمضان هو شهر القربات إلى الله تعالى، حيث يسعى الصائم إلى التقرب إلى الله عزوجل بكل ما يستطيع حتى يغفر له ذنوبه، وقد ورد في صحيح الحديث أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه». فالمؤمن الحق عليه أن يتدارك ما فاته طوال العام في هذا الشهر الكريم؛ فيقوم ليله، ويصوم نهاره، ويلتزم بسننه وواجباته، ويكثر من العبادات والطاعات التي أمر بها الله تعالى، ويبتعد عن الملهيات والمعاصي التي تضيع عليه الثواب، وذلك حتى يخرج من الشهر وقد غفر الله له.

وعلى المسلم أن يأخذ حذره من كل تلك الملهيات والمفاسد، لأنه إن ضيع وقت صيامه بمتابعتها ومشاهدتها، فلاشك أنه سيندم يوم القيامة ندما عظيما لأنه فرط في جنب الله عزوجل. ومن هنا، فإنه على كل مسلم ومسلمة في هذا الشهر أن يبتعد قدر الإمكان عن كل تلك البرامج التلفزيونية التي لا تراعي حرمة الدين وتفسد الصوم.

خلدون إبراهيم إبراهيم
شاعر من سورية

شفيع الأمة الزين

سلمان يسأل: «هل في الركب ياسين؟
طال المطال وضج الرمل والطين

يا ليت لي نسمة تأتي فأسألها
فقد تبوح بشيء فيه تطمين

جد اللقاء، وفي القلب الحنين له
طاغ، ويفضح ما في الصدر مكنون

تجود غيثا على البلدان سيرته
لتشتهي نوره الصافي الأفانين

وإذ تحرك سلمانا خواطره
وتسلب الروح من حين أحايين

شعت ثريات بشرى زفها قمر
ما فسرت سحره من سحرها العين

ما ذاك إلا نبي الله بينهم
في الوجه نور، وفي العينين تبيين

قد اصطفاه إله الناس سارية
قبل الوجود له في الكون تكوين

شق الظلام بفجر كان منتظرا
فاخضوضر النخل وازدانت رياحين

ويابس الضرع قد عادت روافده
كما يعود إلى الإحياء عرجون

وحن الصخر فالتاعت عواطفه
شوقا إليه كما يلتاع مفتون

وسادت الأرض والدنيا رسالته
طوبى لمن فجرت في كفه العين

هذا المجد قد عمت سحائبه
لا الحر منها بمحروم ولا القين

قد وحد الخلق في صف سواسية
تحيا كفرد بدنياه الملايين

إن تكسر الريح غصنا فظّ عن عَنَد
سيهزم الريحَ غصنٌ درعه اللين

وعنده اللين فكر لمنا أمما
فلا شتات، وإن جارت خماسين

أحار في وصف من أوصافه اكتملت
ومن تحن بذكراه الشرايين

فهو الأمين، وللأرحام حارسها
وهو الصدوق بطيب النفس مسكون

قالوا ستخمد في النسيان جذوته
لم يصدقِ القولَ كهانٌ.. فراعين

لم يعرف اليأس والآمال ما فترت
لكفة الحق قد مالت موازين

أهدى إلى الدرب من ضاعت بهم سبل
فحطم النير والقيد المساجين

لا تأمن الروح ما قد لان ملمسه
تسقيك سما وإن لانت ثعابين

بل تأمن الروح من عمت شفاعته
فنالها تائب لله مسكين

حب الحياة لغير الله بادية
حتى وإن زانها العناب والتين

وحب طه بأن ترقى عواطفنا
فيحكم الناس إحسان وتليين

جُبُّ الجهالة قد جفت غياهبه
وفاض بالنور ما في النور مكنون

باق ضياء حبيب الله ما فتنوا!
لا ينقص البحر بالغرف المجانين

سيحصد الناس يوم الحشر ما زرعوا
لن تجني الخير بالشر الشياطين

عزة أحمد حامد
موجهة لغة إنجليزية - مصر

الصدقة وقاية للفرد والمجتمع

لقد دعا الإسلام إلى البذل والعطاء، وحض عليه بأسلوب يستهوي القلوب ويبعث في النفس الراحة والسكينة، ويثير فيها معاني الخير والبر والإحسان؛ قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ (البقرة:٢٦١).

ولقد امتن الخالق عزوجل على الكثير من الناس بنعمة المال الوفير، لكن نجد القليل منهم من يدرك أن هذا المال هو في الحقيقة مال الله ويعطي حق الله في هذا المال مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ (المعارج:٢٤-٢٥)، كما أن الصدقة عندما تكون خالصة لله فإنها تضفي على القلب سرورا وعلى الصدر انشراحا.

ولو يعلم كل متصدق مدى السرور والسعادة اللذين يدخلهما على قلب كل فقير ومحتاج لتصدق بكل ما يملك، ولو علم السعادة التي تنتظره في الدارين لتصدق أكثر؛ قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)، وفي الحديث: «الصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء».

وكثيرا ما نسمع عن أناس تعرضوا لحوادث مريعة ولكن كان سبب نجاتهم ما قدموا من خير بنية خالصة لله كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ (الإسراء:٨٤). ومعنى على شاكلته أي: على نيته، فهنيئا للمتصدق فالملائكة تدعو له.

كما عليك أيها المسلم أن تسعى إلى البذل والعطاء ولا تبخل حتى بأقل القليل كما يقول الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا تستحي من إعطاء القليل فالحرمان منه أقل». عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا». فهذه دعوة إلى الاجتهاد في البذل والعطاء والإنفاق والبحث عن الفقراء والمحتاجين وتقديم يد المساعدة والعون لهم.

والصدقة تعود على الفرد والمجتمع بالسعادة والخير، فعندما يجد الفقراء والمحتاجون من يقدم لهم يد العون ويقف بجانبهم تختفي من المجتمع أمراض الحقد والضغينة، وكل الأسباب التي تؤدي إلى ارتكاب الجرائم والفواحش، الظاهرة والباطنة، أعاذنا الله وإياكم.

من أجمل ما قالته السيدة خديجة، رضي الله عنها للرسول ﷺ في بذله وعطائه للفقراء والمحتاجين: «كلا، والله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر». انظر كيف استدلت بحسن الأعمال على حسن العواقب.

لقد يسر الإسلام الأعمال التي تكسب بها ثوابا وأجرا عند الله

إذا ما داومت عليها، فهذه الأعمال تجلب محبة الناس وتجعل المجتمع مترابطا متحابا، ومنها: تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال صدقة، وإماطتك الأذى عن الطريق لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وكل تحميدة وتهليلة صدقة، والكلمة الطيبة صدقة.

واحذر أن تكون من الذين يبطلون صدقاتهم: ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٢٦٤). وكن من ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:٢٦٢).

ولا ننسى ونحن نتحدث عن الصدقة ثواب الصدقة الجارية، فإن أثرها عظيم على الفرد والمجتمع كما قال النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». فهيا نزرع الأشجار في الأماكن المقفرة ليستظل بها الناس في وقت الحر، ونجعل ثوابها لمن فقدناهم، ونبني ونساعد في بناء المستشفيات وأسبلة المياه في الأماكن البعيدة التي يصعب على أهلها الانتقال إلى أماكن أخرى، ونفتح أبواب العمل للذين يعانون من البطالة وبذلك نساعدهم على بدء حياة جديدة.

والصدقات كثيرة وثوابها عظيم كما قال ﷺ: «سبق درهم مئة ألف درهم. قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مئة ألف درهم فتصدق بها» (رواه النسائي، وحسنه الألباني).

السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار.

والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار. ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل؛ «فنعم المال الصالح للمرء الصالح».

ما أجمل إسعاد الآخرين والتفكير في أمورهم فإن ذلك يجلب سعادة لا حد لها، وياحبذا لو تصحب أولادك معك ليروا ما تفعله ويعلموا أنك تتصدق على والديك فيعم الخير والبر المجتمع بأسره.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

واحة خضراء نسيمها عليل

عندما يطول طريق ما دون أي استراحة نسترد خلالها أنفاسنا، ونعيد ترتيب أفكارنا وحساباتنا، سريعا سنتعب وتنهك قوانا، ويسيطر علينا إحساس قوي بأننا ما عدنا نملك أي طاقة أو قوة للخوض أكثر في وعورة الطريق وحرارة الشمس المنكفئة على رؤوسنا دون هوادة، لذا قد نسقط أو قد نكمل المسير طالما نحن مجبرون على ذلك، لكن سيكون سيرنا بحيوية وحماسة أقل بكثير مما يسمح لنا بالوصول إلى نهاية الطريق مكللين بالشعور بالانتصار، لأن الكثير من الفرص فاتتنا، ونحن محاصرون بالشعور بالوهن، والعجز والإحباط وبأننا أضعف من أن نقوم بما ينبغي القيام به.

إذن..

كل ما نحتاجه وتتمناه أرواحنا هو جدار قوي نتكئ عليه ليقينا شر السقوط والاستسلام التام، نستند عليه لنأخذ أنفاسنا المنقطعة من طول السير، نغوص في عقولنا لترتيب أفكارنا المبعثرة وفي أعماقنا لنرتب مشاعرها، نلقي بنظرة متأنية لكل ما حولنا، ثم نواصل السير بطاقة متجددة وأفكار متأنية.

حسنا..

ماذا لو توفرت واحة واسعة، خضراء أشجارها، رقراق ماؤها، بارد نسيمها، تفتح لنا أذرعها لنستريح بين جنباتها أياما معدودة قبل أن نكمل المسير في طريق الحياة الطويل المرهق للروح قبل الجسد، ترى كيف سيكون سيرنا بعد أخذ تلك الاستراحة، وبأي قوة وطاقة سنمشي، وأي روح عالية سنكون عليها حين تتوالى علينا المحطات المتتالية في درب الحياة!

سيكون هناك فرق واضح، سنسترد أنفاسنا بعد كل جولة، ستترتب أفكارنا بعد سفر طويل، سنعيد ترتيب أولوياتنا وحساباتنا التي تتناسب مع المرحلة التالية، لأن أجسادنا وأرواحنا أخذت بعض الراحة التي تحتاجها.

وهذا باختصار هو شهر رمضان المبارك.

فإنما هو واحة خضراء نستظل تحت أشجارها ونعيد شحن طاقاتنا بين جنباتها يغلفنا الشعور العميق والمريح بأننا قريبون من خالقنا وصانعنا وأنه قريب منا، يستمع لمناجاتنا له ليل نهار، يرى سجداتنا الطويلة، ويعلم بجوعنا وعطشنا طوال النهار.

فإذا بالطاقة والقوة الكامنة في أعماقنا تطفو لأبرز نقطة في عقولنا، الجهد المضاعف الذي تبذله أجسامنا وأرواحنا في رمضان يجعلنا ندرك إلى أي مدى نحن أقوياء ومتينو البنية الجسدية والنفسية، فأي شيء حينها سيقف عائقا أمامنا!

لا شيء بكل تأكيد.

فرمضان هو شهر استنفار كل طاقتنا الظاهرة والكامنة، ثلاثون يوما كاملة

دون فاصل أو استراحة، الغريب في الأمر أننا مع اندماجنا مع الصيام والقيام، لا نشعر بالتعب أو الإنهاك كلما تقدمت الأيام، بالعكس فكلما مر يوم شعرنا بأننا أقوى من ذي قبل وأكثر قدرة على التحمل، وكأننا خطونا داخل آلة ضخمة، كلما مررنا بجزء منها زودتنا بالطاقة والقوة الروحية التي تنعكس إيجابا على الجسد.

باختصار ما يؤديه لنا شهر رمضان المبارك هو أنه يحفز جميع طاقاتنا الكامنة، فالإنسان عادة لا يستخدم إلا ١٠ في المئة من طاقته.. الـ٩٠ في المئة هذه تظهر أثناء المواقف الصعبة أو التحديات الكبيرة؛ ورمضان واحد من تلك التحديات التي تجعلنا ندرك مدى القوة التي نملكها وقلما نستخدمها.

فما إن نصل لنهاية رمضان ونفكر في عدد الساعات التي أمسكنا خلالها عن الطعام والشراب وعدد الصفحات التي قرأناها من القرآن.. عدد الساعات التي وقفنا فيها خلال صلاتي التراويح والتهجد، نقف مذهولين في بداية الأمر ونبدأ بالتساؤل:

هل حقا أنا قادر على فعل كل هذا، وأنا الذي إن فاتني الإفطار عجزت عن التركيز في عملي طوال اليوم؟!

«نعم أنت قادر على فعل هذا وأكثر.. فقط إذا قررت». هذه هي الإجابة الواضحة المختصرة التي يجيب بها شهر رمضان المبارك عن تساؤلنا لتكون بقية الإجابة هي...

بل وأنت قادر على تحقيق كل ما تريده في هذه الحياة، تستطيع العمل ساعات أطول، تستطيع إنجاز عمل أكثر مما تنجزه الآن، تستطيع دراسة مجالات أكثر من المجالات التي درستها، تستطيع مساعدة أناس أكثر ممن تساعدهم الآن، تستطيع أن تبدع أكثر مما تبدعه الآن، باختصار تستطيع إنجاز ما تعتبره الآن مستحيلا، لأنه لا وجود للمستحيل سوى في عقولنا، والجسد والروح والعقل الذين تكاتفوا فيما بينهم وأتموا صيام ثلاثين يوما كاملا وقيام لياليها وختم القرآن أكثر من مرة يستطيعون القيام بأي عمل آخر، وتحمل أي ضغط، وإنجاز أي مهمة، فقط حين يقررون ذلك.

ولهذا يتكرر شهر رمضان كل عام، لتذكيرنا بهذه الحقيقة، لترسيخها في أذهاننا، لإعادتها إلى الواجهة التي ربما سيطرت عليها بعض الأفكار السلبية أو الإحباطات التي قد نتعرض لها خلال مسيرتنا الحياتية الطويلة. يعيدنا إلى المسار الصحيح الذي ينبغي ألا نحيد عنه، إذا ما أردنا الوصول إلى وجهتنا بأفضل حالاتنا.

مصطفى يعقوب عبدالنبي
كبير باحثين بهيئة المساحة
والجولوجيا - سابقا

لماذا صمت عنها المؤرخون الغربيون؟

معركة عين جالوت..

تزخر كتب التاريخ بذكر مئات إن لم تكن ألوف المعارك الحربية، بعضها قليل الأثر والنتائج، وبعضها الآخر عظيم الأثر والنتائج، غير أن هناك عددا من الوقائع والمعارك الحربية يطلق عليها بأنها معارك فاصلة، وهي تلك الطائفة من المعارك التي تظهر وتدوم نتائجها على الأرض وتكتسب صفة الدوام. وعلى سبيل المثال: حروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق، فهي حروب لا تقاس بحجم الجيوش المتحاربة وإنما تقاس بنتائجها، فقد كان من نتائجها، أنه لم تمض سنة واحدة حتى كانت الجزيرة العربية تدين بالطاعة والولاء للإسلام ولأبي بكر خليفة رسول الله ﷺ (١). وقس على هذه معارك الفتوحات الإسلامية التي وطدت أركان الإسلام شرقا وغربا.

وعلى الرغم من فيض المؤلفات في التاريخ الحربي لمؤرخي الغرب الذين أفاضوا في مؤلفاتهم في ذكر عدد غير قليل من المعارك التي وصفوها بأنها معارك فاصلة، وعلى الرغم من عدم اتفاق المؤرخين على تعريف المعركة الفاصلة، إلا أنها على حد قول البعض مسألة ذاتية في أغلب الأحوال (٢). فإن هناك معركة صمت عنها مؤرخو الغرب، وبعضهم لم يذكرها إلا ذكر العابر المارّ، على الرغم من أنها إنصافا للحقيقة من أكبر المعارك الفاصلة في التاريخ، وهي تحديدا «معركة عين جالوت». ويقينا إن من يقرأ وقائع المعركة، ويحلل نتائجها، ويتأمل في تداعياتها البعيدة والقريبة سوف يدرك السبب الذي حدا بمؤرخي الغرب إلى الصمت المريب عنها. وقد جانب الصواب مؤلف «سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى» إذ لم يشر إليها من قريب أو من بعيد، وإن كان ذكر موقعة حطين، لا لسبب سوى تأثيرها المباشر على أوروبا حيث أنهت الوجود الأوروبي الصليبي في بيت المقدس حيث يقول: «كانت معركة حطين مفجعة، وعاجلة، ودائمة، فإن كثيرا من القلاع استسلمت دون مقاومة، كما سقطت عكا، وعسقلان، وفتحت بيت المقدس أبوابها لصلاح الدين» (٣).

المغول والحضارة الإسلامية

«لسنا نعرف أن حضارة من الحضارات في التاريخ كله قد عانت من التدمير الفجائي ما عانته الحضارة الإسلامية على يد المغول» (٤). هذا ما قاله مؤرخ الحضارات الشهير «وول ديورانت W. Durant» في مؤلفه الموسوعي «قصة الحضارة» بعد أن سرد جانبا من بعض ما حاق بمدائن الدولة العباسية على أيدي المغول، وكان مما قاله في هذا الشأن: «وسار جيش مغولي ثالث إلى «بخارى» وحرقها عن آخرها، وسبى آلافا من نسائها، وذبح ثلاثين ألفا من رجالها، واستسلمت له «سمرقند»، و«بلخ»، ولكنهما لم تنجوَا من النهب والمذابح العامة. وزحف ابن جنكيز خان بجيش اخترق به «خراسان» وخرب كل ما مر به من مدن، وكان المغول يضعون الأسرى في مقدمة جيوشهم ويخيرونهم بين قتال مواطنيهم، من أمامهم، أو قتلهم من خلفهم. وفُتحت «مرو» خيانة وأُحرقت عن آخرها، ودُمِّرت باللهب مكتبتها التي كانت

مفخرة الإسلام.
وفي «نيسابور» قتل كل من فيها من الرجال والنساء والأطفال، وكومت رؤوس القتلى في كومة مروعة، وخربت كذلك مدينة «الري» الجميلة ومساجدها البالغ عددها ثلاثة آلاف.
«ودخل هولاكو وجنوده بغداد، وأعملوا فيها السلب والنهب والقتل أربعين يوما كاملة، ونهبت أو دمرت في أسبوع واحد المكاتب، أي: المكتبات، والكنوز التي أنفقت في جمعها قرون طوال، وذهبت مئات الآلاف من المجلدات طعمة للنيران... إلخ» (٥). ولم يكتف المغول بهذا إذ دمروا مكتبة بغداد وكانت أعظم مكتبة في العالم، وألقوا بآلاف المخطوطات في نهر دجلة فاسودت مياهه من مدادها وكانت جسرا يعبر عليه المشاة (٦).
وهذا الدمار الهائل والشامل الذي أحاق بمدن الدولة العباسية مدينة إثر أخرى وصولا إلى العاصمة بغداد، يقول عنه ابن كثير في شيء من التفصيل في كتابه «البداية والنهاية» واصفا سقوط بغداد والخلافة العباسية بأكملها: «استهلت هذه السنة - يقصد سنة ٦٥٦ هـ - وجنود التتار قد نازلت بغداد، وكان قدوم هولاكو بجنوده كلها في نحو مئتي ألف مقاتل، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والشبان والمشايخ والكهول، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقني الوسخ، وكمنوا كذلك أياما لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون».
وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة، فقيل: ثمانمئة ألف، وقيل: ألف ألف وثمانمئة ألف، وقيل: بلغ القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين صباحا، وكان قتل الخليفة المستعصم يوم الأربعاء رابع عشر من صفر. ولما انقضت الأربعون يوما بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء، والوباء، والفناء، والطعن، والطاعون.
«ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقني والمقابر كأنهم الموتى، وقد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى... إلخ» (٧).
ويبدو أن رقم المليونين من القتلى هو الأقرب للحقيقة فقد أمر هولاكو بعد القتلى كما ورد ذلك في «السلوك» للمقريزي حيث يقول: «وأمر هولاكو بعد القتلى فبلغوا نحو الألفي ألف قتيل» (٨)
ومن الواضح لمن يقرأ صفحات التاريخ أنه سيجدها ليست كغيرها من الحروب، بل كان المغول يتبعون ما نسميه الآن في أدبيات الحروب؛ سياسة الأرض المحروقة، غير أننا لا نجاوز الحقيقة إن قلنا إن ما حدث لبغداد وما قبلها من مدن: مرو، وسمرقند، وبخارى، وغيرها على أيدي المغول، أنها أول حرب إبادة جماعية في التاريخ.
وإذ تركنا بغداد وما حل بها، وذهبنا إلى مصر لنجد أن الجيوش المصرية قد تأهبت واستعدت ليوم كريهة ونزال حرب، فقد هزمت الجيوش المصرية بقيادة «قطز، وبيبرس» وهما من أمراء المماليك جيوش المغول وطاردوها حتى بلاد الشام، كما هو معروف ومسطر في كتب التاريخ، وذلك في معركة من أجلّ وأعظم معارك التاريخ وهي معركة «عين جالوت» التي وقعت في سنة (١٢٦٠م).

الأسباب الحقيقية لصمت مؤرخي الغرب

وإذا كنا لسنا في معرض ذكر المعركة ووقائعها فهذا أمر قد أفاض فيه من أفاض من مؤرخي العرب قديما ممن عاصروا تلك المعركة، أو حديثا من الباحثين في التاريخ، غير أننا سوف نورد عددا من آراء مؤرخي الغرب ومستشرقيه سواء من مروا على ذكرها مرورا عابرا، أو من ذكروا في إشارة لا تخفى على أحد نتائجها البعيدة.
فمن المستشرقين الذين مروا على ذكر معركة عين جالوت مرورا عابرا: المستشرق الألماني الشهير «كارل بروكلمن C. Brocklemann» حيث يقول في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية»: «وكان الإعصار المغولي يجتاح الشرق الأدنى جميعا ويهدد مصر بالخراب الذي ما بعده، وكان قطز في قيادة طليعة الجيوش التي وجهها إلى فلسطين فهزم المغول عند عين جالوت ١٢٥٩م صدت سيلهم

الطامي لأول مرة وحولت مدهم إلى جزر، وهكذا يجب أن نذكر فضله العظيم على مصر لما جنبها ويلات الغزو المغولي الذي عطل سير التطور الثقافي في دنيا الإسلام كلها ما خلا الديار المصرية» (٩).
فـ «بروكلمن» لا يرى من نتائج عين جالوت سوى تجنيب مصر ويلات الغزو المغولي، دون أن يعمل فكره في أبعد من مصر، ولعله كان صادقا في قوله: «استطاع جنكيز خان أن يجتاح بجحافل المغول بلدان التمدن القديم في وحشية مدمرة متعطشة إلى الدم، عُرف بها هذا العرق، وكانت له طابعا» (١٠).
وعن أثر هذه المعركة وعن انتصار الجيوش المصرية يقول «ديورانت» فيما خفي على الكثيرين إدراك مغزاه ولعله أحد الأسباب التي حدت بمؤرخي الغرب على التعتيم - إن جاز التعبير - على هذه المعركة؛ لأن الحديث عنها سوف يكشف مدى الدين الهائل للمسلمين على أوروبا: «وزفت البشرى إلى كل مكان في بلاد الإسلام وفي أوروبا نفسها، وابتهجت نفوس الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، فقد حل الطلسم وذهب الروع؛ ذلك أن معركة حاسمة دارت رحاها بالقرب من دمشق، وكانت عاقبتها أن هُزم المغول، ونجت بلاد الشام، ولعلها أيضا احتفظت للمسيحية بأوروبا» (١١).
ولعل المعاني التي يمكن لنا أن نستخلصها من رأي «ويلز» و«ديورانت» ما نجمله في النقاط التالية:
١- أن العالم الإسلامي كان درعا بشريا أمام هجمات المغول، فحال بينهم وبين أوروبا، عندما تلقى وحده الضربات تلو الضربات في حروب هي أقرب ما تكون إلى حروب الإبادة، ولو كان للمؤرخين الغربيين ذرة واحدة من إنصاف لاعترفوا بفضل المسلمين ودورهم في إنقاذ الحضارة الغربية من المغول، ولكنهم لم يفعلوا، فلو قدر لجيوش المغول أن تنتصر على الجيوش المصرية لانفتح الطريق أمامها إلى العواصم الأوروبية ولحل بها ما حل على بغداد ومدن الخلافة العباسية من الخراب والدمار والفناء، لاسيما أن أوروبا ذات خصب وزروع ومياه وأنهار، وليست كمعظم بلدان العالم الإسلامي الواقع جغرافيا في المنطقة المدارية وهي منطقة يغلب عليها الجفاف، ولأصبحت المسيحية في أوروبا في خطر ما بعده خطر، ولاسيما أن هولاكو كان منتشيا بانتصاراته وكان هذا قبل عين جالوت، حيث طلب خضوع جميع ملوك وأباطرة أوروبا بالإضافة إلى البابا (١٢).
٢- إن عدم الحديث عن عين جالوت، وصمت مؤرخي الغرب حيالها باعتبارها معركة ضمن ألوف المعارك التي تماثلها أحيانا، أو تفوقها في التأثير أحيانا أخرى، مرجعه في الغالب الأعم إن لم يَرْقَ إلى حد اليقين والرجحان أنهم سوف يكتشفون أن أوروبا لولا هذه المعركة لفقدت المسيحية مكانتها ولأصبحت أوروبا في الغالب تدين بالإسلام، على الرغم من أن بابوات أوروبا حاولوا غير مرة تنصير المغول، فقد حاول البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤م) ذلك فأرسل جماعة من الرهبان للشرق الآسيوي من أهدافها دعوة حكام المغول ورعاياهم لاعتناق المسيحية، كما حاول لويس التاسع أثناء فترة وجوده بالشرق العربي أن ينجح فيما فشلت فيه البابوية ففي نهاية عام (١٢٤٨م) أرسل سفيره الراهب أندريه لونجيجمو لقادة المغول بغرض اجتذاب المغول إلى الملة المسيحية، ولكن المغول سخروا من هذه السفارة ولم يستجيبوا لدعوة الملك الفرنسي باعتناق المسيحية، بل أرسلوا له خطابا للحضور لتقديم فروض الطاعة والولاء لهم، ومن ثم ندم لويس التاسع أشد الندم على إرساله رسلا لهم» (١٣). ومن حسن الحظ أن التاريخ قد حفظ لنا نص رسالة خاقان المغول إلى البابا في نصها الفارسي وكذلك نصها اللاتيني الذي جاء على النحو التالي: «عندما يصلك أمرنا فإنك أيها البابا تحضر مع جميع الأمراء - يقصد ملوك الغرب الأوروبي - بصفة شخصية وحينئذ فإنني سوف أبلغك جميع أوامرنا» (١٤). وعلى الرغم من هذا كله وكما يقول الدكتور محمود سعيد عمران في كتابه «المغول وأوروبا»: «غير أن الإسلام بدأ ينتشر بين عامة المغول منذ مجيئهم إلى وسط آسيا الإسلامية حتى اعتنقه بعض قادتهم، بل لقد أصبح الديانة الرسمية للدولة المغولية في فارس، بل وساهم المغول بطرق عديدة في انتشار الإسلام في مناطق لم تعهد الإسلام من قبل» (١٥).
نخلص من هذا وذاك إلى أن أوروبا كان يمكن لها أن يحل الإسلام بها محل المسيحية، وهذا معنى ما قاله «ديورانت» باحتفاظ أوروبا بمسيحيتها، وهو ما تجنبه مؤرخو الغرب حتى لا يجدوا أنفسهم حيال فضل واضح وساطع ولا سبيل إلى إنكاره للمسلمين.
٣- إن المؤرخين الغربيين الذين يتهمون المسلمين زورا وبطلانا بالانحطاط، وأنهم ليسوا أهلا للمدنية المتحضرة، مما نرى صداه الآن في أدبيات الخطاب الإعلامي الغربي، قد نسوا أو تناسوا أن أكبر نكبة حلت بحضارة

من الحضارات هي نكبة الحضارة العربية الإسلامية من جراء غزو المغول، فالمغول قد دمروا العمارة والعمران، وأبادوا الحياة والأحياء، وأهلكوا البلاد والعباد، وفي هذا يقول ديورانت: «فلم يأتوا - يقصد المغول - ليفتحوا ويقيموا، بل جاءوا ليقتلوا، وينهبوا ولما ارتد تيار فتوحهم الدموي خلَّفَ وراءه اقتصادا مضطربا، وقنوات للري مطمورة، ومدارس ودورا للكتب رمادا تذروه الرياح. لقد كان هذا كله هو الذي بدل آسيا الغربية - يقصد العالم الإسلامي - من زعامتها على العلم، فقرا مدقعا، وخرابا شاملا وأحل محل مئات المدن العامرة المثقفة في الشام، وأرض الجزيرة، وفارس، والتركستان ما تعانيه في الوقت الحاضر من فقر وركود» (١٦).

وإذا كان لنا من تساؤل فإننا سوف نسأل هؤلاء المؤرخين، كيف سيكون الأمر إذا قدر للتتار الزحف على أوروبا عن طريق تركيا مثلا، وأن يفعلوا بها مع ما فعلوه في العالم الإسلامي؟ هل سيكون حكمهم على العالم الإسلامي هو نفس حكمهم الآن؟

٤- يعلق المستشرق «ألفرد جيوم A. Guillaume» تعليقا يشير فيه إلى مدى الاستفادة الكبيرة التي جنتها أوروبا من جراء انتصار الجيوش المصرية على المغول، وذلك بقوله: «ولو أن العرب كانوا برابرة كالمغول الذين أطفؤوا جذوة العلم إطفاء لم ينبعث من بعدهم البتة، بسبب ضياع دور الكتب وفقدان الآثار الأدبية، لو أنهم كانوا كذلك لتأخر عصر الإحياء عن موعده في أوروبا أكثر من قرن» (١٧)، ولعل هذا القول يمثل اعترافا صريحا بأن عصر النهضة الأوروبية قد اتكأ على الحضارة العربية الإسلامية.

نخلص من هذا لنقول: إنه لولا المسلمين وصدهم للتتار؛ لتأخرت الحضارة الإنسانية قرونا طوالا، ولعلنا لا نجاوز الصواب إن قلنا إن عصر النهضة الأوروبية التي يفاخر بها الغرب ويدل بها على العالم الإسلامي، هو من نتائج هذه المعركة، فلولا دماء الملايين من المسلمين، ولولا ذلك الدمار الذي ألحقه التتار بالعالم الإسلامي لتقدم المسلمون أشواطا بعيدة في مجال العلوم، ولتأخر بروز عصر النهضة حتى يلحق بما حققه المسلمون من علم.

ومن الغريب أن هناك شعوبا وقوميات تطالب دولا بعينها بالاعتذار عما ارتكبته تلك الدول في تلك الشعوب والقوميات من مجازر ومذابح حدثت في فترات مختلفة من التاريخ، فهل كثير على المسلمين أن يطالبوا الدول الأوروبية بالاعتراف بالفضل الذي أسداه المسلمون لأوروبا من جراء حمايتهم لتلك الدول من غول المغول ووحشيتهم؟ ولكن الأغرب كل الغرابة في مسار التاريخ الإنساني كله أن يلقى العرب والمسلمون، - وهم الذين حموا أوروبا من غزو المغول لبلادهم - من أوروبا جزاء سِنمَّار، ومن العجيب في الأمر أن مَعركة عين جالوت التي أنقذت أوروبا من جحافل المغول جاءت بعد الحروب الصليبية التي شنها الغرب على العالم الإسلامي والتي تعد من أطول الحروب في التاريخ، فأي مقارنة تلك بين رجل (أوروبا) يشن على آخر(العرب) حربا شعواء بينما هذا الآخر (أي: العرب) هو المنقذ له من دمار محقق، ليس هذا فحسب بل تلاها بعد حين الاستعمار الأوروبي للبلاد العربية، فأعجِب به من جزاء؛ أن يعضّ المسيء يد المحسن الذي أحسن إليه ونجّاه من خطر عظيم.

ولعلنا نضيف فنذكر أننا لا نريد اعترافا بفضل ولا مساعدة من هذه الدولة أو تلك رغم أحقية المسلمين فيهما وفق المعطيات السياسية في العصر الحديث، ولكننا نريد الإنصاف وإحقاق الحق، ووضع المسلمين في موضعهم الصحيح في تاريخ الإنسانية، وليس كما هو وارد في كتابات المستشرقين ومؤرخي الغرب من تلك الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين.

الهوامش

١- التاريخ الإسلامي العام، علي إبراهيم حسن، (ص٢٢٠).

٢- سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، جوزيف داهموس، ترجمة د. محمد فتحي الشاعر، (ص٥).

٣- المصدر السابق، (ص١٢٣).

٤- قصة الحضارة، وول ديورانت، ترجمة محمد بدران، (١٣/ ٣٨٠).

٥- المصدر السابق، (ص٣٧٨).

٦- في تراثنا العربي الإسلامي، د. توفيق الطويل، (ص٧٥).

٧- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي، تحقيق التركي، (١٧/ ٦٥٦).

٨- السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، (١/ ٤٩٩).

٩- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة نبيه فارس، ومنير البعلبكي، (ص ٣٦٦).

١٠- المصدر السابق، (ص ٣٧٥).

١١- قصة الحضارة، مصدر سابق (٣٧٥/١٣).

١٢- المغول وأوروبا، د. محمود سعيد عمران، (ص٢٩٤).

١٣- العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، د. عادل إسماعيل هلال، (ص١٦٨).

١٤- المصدر السابق، (ص٦٤).

١٥- المغول وأوروبا، مصدر سابق، (ص٢٦٧).

١٦- قصة الحضارة، مصدر سابق، (١٣/ ٣٨٠).

١٧- تراث الإسلام، ألفرد جيوم، ترجمة حسين مؤنس وآخرين، (١/ ٢٢٨).

عادل محمد أبو الهيثم
إمام وخطيب - مصر

لطائف في الصيام

إن الصيام لم يشرع لتعذيب العباد ولم يكن الحرمان من الطعام والشراب هو الهدف الذي قصد بافتراض الصوم على المسلمين، وإنما هو مظهر مادي للصوم تكمن وراء حكمته الحقيقية وهي: غرس خلق المراقبة وخلق الصبر في نفوس المؤمنين، وبهما تصدق النية وتقوى العزيمة فيثبتون لحوادث الدهر وما يعترضهم من عقبات، وفي الحياة نوازع الشهوة والهوى وفي الحياة دوافع الغضب والانتقام وفي الحياة التقلب بين النعماء والضراء وفي الحياة النزوح عن الأوطان ومفارقة الأهل والإخوان وفي الحياة جهاد في سبيل الله فما أحوجه أن يتذرع بخلق الصبر ليثبت ويحتمل (١).

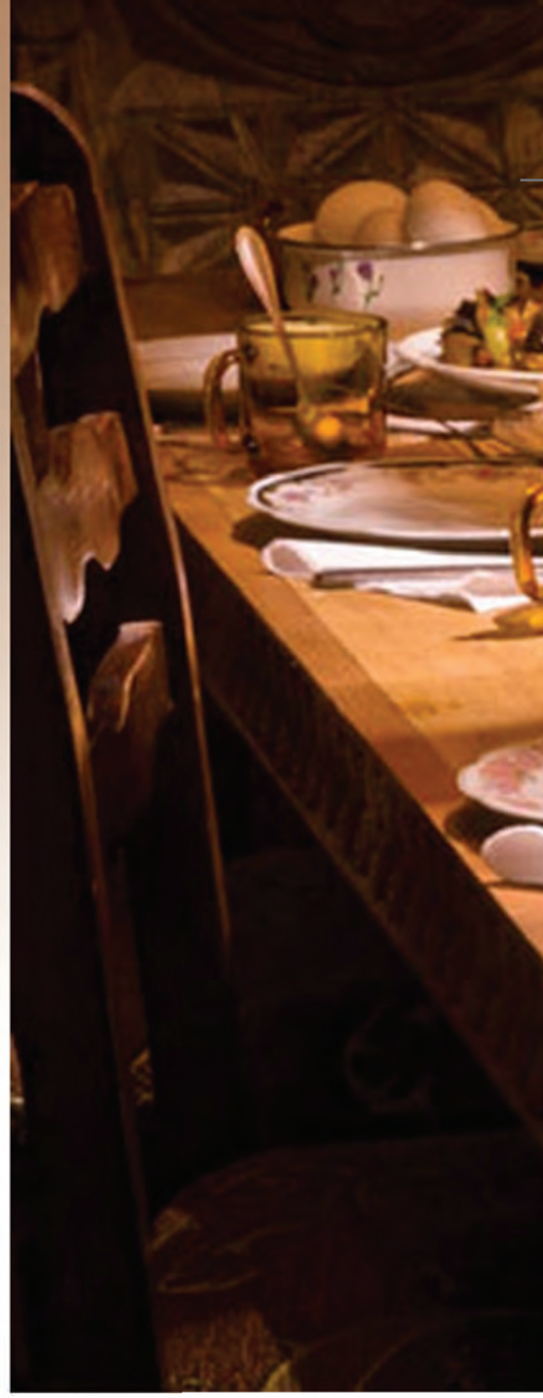

فالصيام كما قال أحمد شوقي عنه: الصوم: حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع، لكل فريضة حكمة وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة، يعود الناس الصبر، ويعلمهم خلال البر، فإذا جاع من ألف الشبع عرف الحرمان كيف يقع وألم الجوع إذا لذع (٢).

الإمساك

الإمساك، يقول ابن فارس في معجمه: الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان، والصوم أيضا ركود مثل ركود الريح (٣).

حكمة الصيام

على مر السنين ومضي الأعوام نرى الصيام شفاء من الأدواء وهذه حقيقة اعترف بها أهل الطب على اختلاف تخصصاتهم ومجالاتهم وإن تعجب فعجب أن الصيام وسيلة فطرية للوقاية والعلاج ليس للإنسان فحسب، بل لكل المخلوقات.. فقد لاحظ العلماء أن كثيرا من الكائنات الحية تمر بفترة صوم اختياري بالرغم من توافر الغذاء حولها، وبعض الحيوانات كالدب القطبي والضفادع تصوم في الشتاء لانخفاض الحرارة وقلة الغذاء.. وبعض الحيوانات تسكن في جحورها أياما بل شهورا متتالية تمتنع فيها عن الحركة والطعام، ومن الطيور ما يكمن في عشه ويمتنع عن الطعام في مواسم معينة كل عام، وبعض الطيور تصوم أثناء الهجرة التي تستغرق عدة أيام، والصيام يساعدها على سرعة الطيران وخفة الحركة.

هذه المشاهدات تدل على أن الصوم وسيلة فطرية وظاهرة فسيولوجية، وليست عملية اختيارية، فالله سبحانه وتعالى هدى هذه الحيوانات بالغريزة إلى ما يحافظ على حياتها ويساعد على استمرار نوعها، وهذا يعني أن الصوم ضروري لحياة هذه الكائنات وضروري لصحتها تماما كالطعام والشراب والتنفس والحركة والنوم، وما ينطبق على هذه المخلوقات ينطبق أيضا على الإنسان (٤).

كذلك لاحظ العلماء أن الصوم علاج فطري فأي حيوان عندما يشعر بالمرض فإنه يلتمس لنفسه مكانا هادئا يرتاح فيه ثم يمتنع عن تناول الطعام طوال فترة مرضه، فمثلا: الأبقار تترك الطعام حينما تكون مريضة بل إنها لتحكم إغلاق فكيها إذا حاول مربوها وأطباؤها إجبارها على تناول الطعام.

أما الإنسان فهو الكائن الوحيد الذي يتشبث بالطعام حينما يكون مريضا حتى ولو لم تكن له شهية للطعام، ومع أن الإنسان المريض يفقد الشهية ويرفض الطعام بغريزته التي فطره الله عليها إلا أن من حوله يحضونه على الاستمرار في تناول الطعام بدعوى المحافظة على قوته أو ليتمكن من مقاومة المرض، ولأن الإسلام دين الفطرة فإننا لا نعجب ونحن نقرأ حديث رسول الله ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن ربهم يطعمهم ويسقيهم» (٥).

تأثير الصيام على جسم الصائم

عندما يبدأ المسلم في الصوم يكون مستوى الجلوكوز في الدم ٨٠-١٢٠ ملجرام ويبدأ مستوى الجلوكوز في الهبوط بعد ست ساعات من الصيام ولكن يتم تعويضه من مخازن الجلوكوز في الجسم وهي الجلكوجين الموجود في الكبد والعضلات وبعد الإفطار يزيد مستوى الجلوكوز في الدم مرة أخرى، وعندما يصوم المسلم يحدث استرخاء في الجهاز الهضمي ويتحسن الجهاز الدوري تبعا لذلك، وبعد تناول الصائم لطعام الإفطار يتركز الدم المرفوع إلى المخ فيشعر الإنسان بثقل الرأس والخمول والرغبة في النوم وعند حلول شهر رمضان في شهور الصيف الحارة فإن العرق

يعمل على فقد الحرارة الزائدة عن الجسم عن طريق تبخير العرق من سطح الجلد، وعند حدوث ارتفاع في درجة الحرارة مع وجود رطوبة عالية فإن العرق لا يؤدي دوره بل يؤدي إلى فقد كمية كبيرة من السوائل والأملاح مثل كلوريد الصوديوم وكميات ضئيلة من عناصر البوتاسيوم والماغنسيوم، ووظيفة الكلى في الجسم هي ضبط كمية السوائل في الجسم وهي تحافظ على اتزان التركيب الكيميائي والبيولوجي لسوائل الجسم، فإذا زادت كمية السوائل داخل الجسم عملت الكلى على زيادة تدفق البول كما يحدث في شهر رمضان المبارك.. وقد أظهرت عدة أبحاث في مصر والسودان وتركيا وأميركا أن صوم الشخص السليم في أي وقت من السنة ليس لديه أية تأثيرات ضارة على صحته إكلينيكيا ومعمليا، خصوصا معدل الجلوكوز والبولينا في الدم كذلك يحدث انخفاض في مستوى الكولسترول وحمض البوليك (٦).

من مقاصد الصيام

ومن مقاصد الصيام أن لا يملأ الصائم جوفه وقت الإفطار بالطعام فما ملأ ابن آدم وعاءً شرا من بطنه.

ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس عن التقوى، فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي من وسائل الشيطان في العودة إلى الشرور، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان كل ليلة يأكلها لو لم يصم، فإذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلا فلن ينتفع بصومه.. بل من الآداب ألا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه (٧).

والصيام لكل هذه المعاني النبيلة والجليلة وغيرها فريضة عظيمة القدر جزيلة الأجر، تمد المؤمنين بأطيب ما يسلك بهم سبيل الفوز ويصل بهم إلى درجات الكمال، ويجعلهم من المتقين، ويكفي دلالة على ذلك أن الله تبارك وتعالى خص الصوم بأنه خالص له وأنه هو الذي يجزي به كما روي عن الرسول ﷺ أن الصوم عبادة لا يعادلها عمل، فعن أبي أمامه الباهلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قلت: يا رسول الله مرني بعمل، فقال: عليك بالصوم فإنه لا عدل له، قلت يا رسول الله مرني بعمل، قال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له» (٨)، ولكن هل صيام المسلمين اليوم يتفق مع ما يشير إليه القرآن من أغراض سامية؟ هل هذا الصيام يثمر التقوى في النفوس والخشية في القلوب والاستقامة في السلوك والتعاطف والترابط بين المسلمين؟ هل هذا الصيام تدريب عملي ونفسي للانتصار في معركة الحياة العزيزة القوية؟ هل يعد الصيام عند المسلمين اليوم إعدادا يخلق منهم قوة ضاربة عادلة تحمي الحق وتناصر الخير وتأخذ على أيدي البغاة والمفسدين؟ لقد أصبح رمضان اليوم موسما للإسراف والتبذير والكسل والإهمال والترفيه، فالناس يستعدون له بتخزين الطعام وينفقون فيه أضعاف ما ينفقون في غيره من الشهور، وكأنهم يستعدون بالصيام للإفطار ليعوضوا ما فاتهم من الطعام والشراب أضعافَ أضعافٍ.

ثم أن الناس كذلك يبحثون في رمضان عن التسلية والمرح ليخفف عنهم وطأة الصيام وشدة الحر، وكذلك فالناس في رمضان لا يستفيدون من تهذيبه للروح بل تجد الغضب وضيق الصدر وسوء الفهم والتصرف، فلا كظم للغيظ ولا حسن في التصرف. بحجة الصيام. والصيام بريء من ذلك كله، يقول الأستاذ أمين الخولي في كتابه «من هدي القرآن في رمضان»: إن صيام المسلمين اليوم تخريب لا تدريب، تخريب لمعاني الصيام السامية، تخريب للقيم الروحية والمثل الأخلاقية الفاضلة تخريب للإنتاج والاقتصاد، إن الصيام لم يفرض ليكون سبيلا للتبذير والتخمة والكسل ولا ليكون عذرا يبيح النطق بالكلمة النابية أو الانفعال الأحمق، وإنما الصيام في جوهره تربية روحية سامية وليس عادة صحية أو منهجا غذائيا (٩).

الفرق بين الصيام الطبي والصيام الإسلامي

ثم فرق بين الصيام الطبي (التجويع) وصيام رمضان، فهما يختلفان في:

١- أن الصيام الإسلامي فترة زمنية محددة بنهار اليوم ومتتابعة لمدة شهر ودورية كل سنة على وجه الإلزام للمسلم (صيام رمضان) ولعدة أيام متفرقة في بقية العام على وجه الاختيار.

٢- أما الصيام الطبي فهو امتناع عن الغذاء فترة زمنية متصلة تحدد لكل إنسان حسب ظروفه أو مرضه وهي على وجه الاختيار.

٣- الصيام الإسلامي يستطيعه كل المكلفين الأصحاء في شتى الأقطار

والأزمان وهو سهل ميسور وليس فيه أية أخطار على الجسم ولا يمثل أي شدة، والمسلمون يصومون طائعين فرحين محبين.

٤- أما الصوم الطبي فلا يستطيعه الناس جميعا وهو قهر شديد للنفس ويمثل مشقة وعنتا للجسم ولا يقبل عليه إلا من طغى عليه المرض أو استيقن بفائدة يجنيها من ممارسته ويصوم محاطا بالأطباء والممرضين وأجهزة الإسعاف والطوارئ.

٥- الصيام الطبي له أخطار ليست في الصيام الإسلامي فهو يحرم الجسم من الأحماض الدهنية والأمينية الأساسية مما ينتج عنه تحلل الأحماض الدهنية الموجودة في الجسم بكميات كبيرة مما يؤدي إلى ترسب الدهن بكثرة في خلايا الكبد الأمر الذي ينتج عنه حالة تشمع الكبد فتضطرب وظائفه ويصاب الجسم بالعلل.

أما الصيام الإسلامي - بفضل الله - فلا يحدث فيه ذلك، حيث يمد الجسم بالأحماض الدهنية الأساسية والأحماض الأمينية الأساسية في وجبتي الفطور والسحور ومن هنا ندرك الإعجاز في نهيه ﷺ عن الوصال وقوله ﷺ عن نفسه: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني» (١٠). إلى غير ذلك من الفوائد والمميزات الصحية للصيام الإسلامي (١١).

حكمة الصيام بالنهار

يقول الداعية الطبيب محمد علي البار: وقد جعل الله فترة الصيام من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ولم يجعله من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ولذلك حكم عديدة، منها: أن نشاط الإنسان إنما هو النهار وعملية الهدم للمخزون من الطاقة وإذابة هذه الشحوم إنما تتم في النهار، ومن المعلوم أن عمليات الهدم تكون على أبطئها في الليل، وعلى أشدها في النهار، فتكون الفائدة قليلة إذا كان الصيام في الليل بدلا من النهار، أما صوم النهار فإنه يؤدي إلى إذابة مخازن الطاقة بصورة أفضل وأكبر، ولذا فإن الذين يصومون رمضان ويقضون نهاره نياما فإنهم يفقدون كثيرا من فوائد الصيام وحكمه التي منها الصبر على الجوع والعطش وإذابة مخازن الطاقة الموجودة على هيئة دهون وجليكوجين قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ (البقرة:١٨٧)، وقال ﷺ: «إذا رأيتم الليل قد أقبل من هاهنا فقد أفطر الصائم» (١٢) - (١٣). وبذلك يتضح لنا فضل الله عزوجل علينا في الصيام ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٥٢).

وبعد:

فهاهي عجلة الزمان تدور وهاهو رمضان يطل علينا بوجهه المليح الأبلج، فماذا أعددت لرمضان من التوبة؟

قد مات أقوام على مدار العام كانوا يتحرقون شوقا إلى رمضان فلم تسعفهم الأقدار، وها أنت أخي قد أتاح الله لك ما حرم منه غيرك فهل تقبل هذه الفرصة من الله؟ فقد كان السلف الصالح رضي الله عنهم يدعون ربهم ستة أشهر أن يبلغهم رمضان وستة أشهر أن يتقبل منهم صيام رمضان. نعم، لمثل هذا فليعمل العاملون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

الهوامش

١- الإسلام عقيدة وشريعة، الإمام الأكبر محمد شلتوت، ص ١٠٩.
٢- الصيام بين الطب والإيمان، د. علي أحمد الشحات، ص ٩.
٣- مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣٢٣/٣).
٤- الإعجاز الطبي للصيام في القرآن والسنة، نقابة الأطباء بمصر ص ٤، ٥.
٥- أخرجه الترمذي في كتاب الطب - باب ما جاء: لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب (٢٠٤٠) (ج ٤/ص ٣٨٤) وابن ماجه في كتاب الطب- باب لا تكرهوا المريض على الطعام (٣٤٤٤) (ج ٢/ص ١١٤٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٤٣٩).
٦- صحتك في أحكام وتعاليم الإسلام، د. فتحي عبدالوهاب، ك المعارف الطبي ص ٢٢، ٢٣، ٢٤.
٧- الصوم وأمراض السمنة، د. محمد علي البار، ص ٦٨.
٨- صحيح: أخرجه النسائي في الصيام، باب فضل الصيام برقم (٢٢٢٠)، وابن خزيمة في الصيام، باب فضل الصيام وأنه لا عدل له من الأعمال برقم (١٨٩٣)، وقال ابن حجر في الفتح (١٢٦/٤): «إسناده صحيح»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٣٧).
٩- الصيام في القرآن، د. محمد الدسوقي، ص ٣٤، سلسلة أقرأ.
١٠- أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب الوصال ومن قال: ليس في الليل صيام، (٣٧/٣)، برقم: (١٩٦٤)، ومسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم، (٧٧٤/٢)، برقم: (١١٠٢).
١١- الصيام في القرآن، مرجع سابق، ص ٣٦، ٣٧، ٣٨، بتصرف يسير.
١٢- رواه البخاري في الصوم، باب: متى يحل فطر الصائم؟ (١٩٥٤)، ومسلم في: الصيام، باب: بيان القضاء وقت الصوم (١١٠٠).
١٣- الصيام معجزة علمية، د. عبدالجواد الصاوي، ص ١٠٠، ١٠١.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٢)

سلسلة الذخائر

مجلة الفتح

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات - خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي - فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة الفتح» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة الفتح للشيخ محب الدين الخطيب، مجلة إسلامية علمية أخلاقية أدبية أسبوعية، تعنى بوجه خاص بالدفاع عن الإسلام، قاومت التغريب ورموزه الذين أرادوا بثه في الأمة العربية، صدر أول عدد منها يوم ٢٩ ذي القعدة من عام ١٣٤٤هـ، الموافق ١٠ يونيو ١٩٢٦م، وقد تسلم رئاسة التحرير فيها الشيخ عبدالباقي سرور، ثم بعد ذلك تولى قيادتها الأستاذ محب الدين الخطيب - رحمهما الله - حتى إغلاقها عام ١٣٦٦هـ، الموافق لـ ١٩٤٨م.

مؤسسها

محب الدين الخطيب: هو محب الدين ابن أبي الفتح بن عبدالقادر بن صالح ابن عبدالرحيم بن محمد الخطيب، أصل أسرته من بغداد، هاجرت أسرته إلى «حماة» في بلاد الشام، ولد في دمشق

بحي القيمرية سنة ١٣٠٣هـ.
نشأ محب الدين الخطيب في هذه الأسرة الكريمة ذات الدين، والخلق، والعلم، فقد كان أبوه الشيخ أبوالفتح الخطيب من أفاضل رجالات دمشق، وكان أمين دار الكتب الظاهرية، وتولى التدريس والوعظ في الجامع الأموي، له «مختصر تاريخ ابن عساكر» في خمسة أجزاء، و«مختصر تيسير الطالب» و«شرح للعوامل»، وأمه السيدة آسية الجلاد؛ تقية، صالحة، مشهورة بالفضل وعمل الخير، توفيت بعد أن أدت فريضة الحج، وكان محب الدين طفلا صغيرا، ماتت وهو في حجرها.
عند رجوعه إلى دمشق من رحلة الحج ألحقه والده وهو في السابعة بمدرسة «الترقي النموذجية» وحصل منها على الابتدائية، ثم التحق بمدرسة «مكتب عنبر»، وبعد سنة توفي والده. فترك المدرسة ولازم العلماء، وممن لازمهم الشيخ طاهر الجزائري الذي كان له الأثر الكبير في تشكيل شخصية محب الدين وبنائها، حتى كان يقول: «من هذا الشيخ عرفت إسلامي وعروبتي». وبعد أن أنهى الخطيب دراسته الثانوية عام ١٩٠٦م في بيروت، انتقل إلى عاصمة الخلافة: «إسلامبول» المعروفة يومئذ بـ «الأستانة»، وهي «القسطنطينية»، والتحق بكليتي الآداب والحقوق. وبعد أن أنهى الشيخ ثلاث سنوات في الأستانة عاد إلى دمشق، ثم رحل إلى اليمن، وفي طريقه زار مصر والتقى الكثير من علمائها ورجالاتها، أمثال: محمد كرد علي ورشيد رضا. وفي سنة ١٩١٣م أسس رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد فالتحق بها محب الدين ودرس فيها، وفي سنة ١٩١٨م عاد إلى دمشق وتولى إدارة وتحرير جريدة العاصمة، وفي ١٩٢٠م دخل الاحتلال الفرنسي دمشق فغادر الشيخ إلى مصر واستقر في القاهرة، فعمل في جريدة الأهرام خمس سنوات وأسس بعدها المكتبة السلفية ومطبعتها، وأسس مجلة الزهراء، ثم أسس مجلة الفتح التي هي بين أيدينا، التي دامت ٢٢ سنة.
وبعد ثلاث وثمانين سنة قضاها في البحث والتحرير والتأليف ضد أعداء الإسلام والعروبة، توفي الشيخ يوم ٢٢ شوال سنة ١٣٨٩هـ الموافق لـ٣٠ ديسمبر عام ١٩٦٩م، بالمستشفى في مصر بعد إجراء عملية جراحية، رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عما قدمه خير الجزاء.

أعماله

- تحرير جريدة المؤيد.
- إدارة وتحرير الجريدة الرسمية «العاصمة» بدمشق.
- تحرير جريدة «الأهرام» بمصر.
- أصدر مجلة «الزهراء» الشهرية.
- أصدر جريدة «الفتح» (محور موضوعنا).
- تولى رئاسة تحرير مجلة الأزهر.

آثاره

على الرغم من حياة الترحال التي عاشها الشيخ، فإنه استطاع كتابة عشرات المقالات والأبحاث التي لم تجمع في كتب، وتمكن من التأليف والتحقيق والترجمة للعديد من الكتب. فمن أهم أعماله ما يلي:
١- كتاب توضيح الصحيح، وهو شرح لصحيح البخاري بقلمه.
٢- كتاب الحديقة، وهو مختارات في الأدب الإسلامي في مختلف العصور وفي مختلف الموضوعات.
٣- كتاب مع الرعيل الأول.
٤- كتاب اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب.
٥- كتاب البهائية.
٦- رسالة الجيل المثالي.
٧- حملة رسالة الإسلام الأولون.
٨- الغارة على العالم الإسلامي - ترجمة.
٩- تاريخ مدينه الزهراء.
١٠- الأزهر ماضيه وحاضره.
١١- مراسلات بينه وبين الأمير شكيب أرسلان (بلغت ألف رسالة).
وله تعليقات قيمة على كتب عديدة منها:
١- تعليقاته الرائعة على كتاب العواصم من القواصم لابن العربي المالكي.
٢- تعليقات على كتاب المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي.
٣- تعليقات على مختصر التحفة الاثني عشرية للألوسي.
٤- تعليقات على كتاب الإكليل للهمداني.
خرج أحاديث كتاب الأدب المفرد للبخاري، وكذلك طبع فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر مع الإشارة إلى الأبواب التي تفرقت فيها الأحاديث بالتعاون مع محمد فؤاد عبدالباقي. والمئات من المقالات التي كتبها في موضوعات شتى خلال عمره المديد في «الزهراء» و«الفتح» و«الأزهر» وغيرها من الصحف والمجلات.

محتواها

اشتملت مجلتنا هذه على عدة أبواب نذكر منها:
إحياء ذكريات المدنية الإسلامية.
صلاح الأصول الإسلامية الصحيحة للانطباق على مقتضيات كل عصر ومكان.
مقاومة الإلحاد ودعوى التجديد الكاذب، وبيان أن العلم الصحيح يتآخى مع الدين الإسلامي ولا يتنافى مع أصوله بحال.
أخبار العالم الإسلامي التي تتصل بالوجهة الدينية والاجتماعية.
نقل قطع مختارة من مؤلفات السلف المتعلقة بالروح الإسلامي.
بيان أسس التشريع في الدين الإسلامي، وبيان الحكم التي اشتمل عليها هذا التشريع.
تفسير القسم الاجتماعي والأخلاقي من القرآن الكريم والسنة النبوية.
فهذه هي الأبواب التي تشتمل عليها مجلتنا الغراء هذه، بحيث لا يخلو عدد منها من بحث باب أو بابين أو أكثر من هذه الأبواب.

نسخة مجلة الوعي

تزين رفوف مكتبة المجلة بنسخة كاملة من هذه الدرة النفيسة، وقد جمعت أعدادها في ١٨ مجلدا، وهي متاحة لقرائها الكرام.

المصادر

مجلة الفتح.
تاريخ الصحافة الإسلامية لأنور الجندي.
الأعلام للزركلي.
موقع شبكة الألوكة.
الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

زكاة الراتب، والعقارات، والأسهم، والمال النامي

- الخلاصة الحكمية

- الزكاة غير واجبة في أصول العقارات والأراضي المأجورة؛ وإنما تجب في الغلة.

- العقار المعد للتجارة هو من عروض التجارة فتجب الزكاة في رقبته وتقدر قيمته عند مضي الحول عليه..

- تجب زكاة الأسهم على أصحابها، وتخرجها إدارة الشركة نيابة عنهم إذا نص في نظامها الأساسي على ذلك؛ وإلا؛ فالواجب على المساهمين زكاة أسهمهم بأنفسهم.

- إذا باع المساهم أسهمه في أثناء الحول: ضم ثمنها إلى ماله وزكاه معه عندما يجيء حول زكاته.

- من كان مترددا في عقار؛ ما بين البناء عليها أو البيع، وقد تركها لأولاده على أنها إن غلت أثمانها؛ فإنه يبيعها، فلا يجب عليه زكاتها قبل بيعها مهما طالت المدة.

- زكاة الراتب الشهري النقدي لمن كان يملك أموالا تجارية؛ فإنه يضمه إليها في حولها، ويزكي عنه في آخر الحول معها. وأما الذي لا يملك غير راتبه، فلا تجب عليه الزكاة فيه إن أنفقه قبل حولان الحول؛ وإلا وجب إن ادخره، وبلغ نصابا، وتم عليه حول.

القرارات، والتوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

● **أولا: قرار مجلس الفقه الإسلامي المنبثق عن المؤتمر الإسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الثاني من (١٠ إلى ١٦ربيع الآخر١٤٠٦هـ) الموافق (من ٢٢ إلى ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٥م) بعد أن استمع لما أعد من دراسات في موضوع زكاة العقارات والأراضي المأجورة غير الزراعية، وبعد أن ناقش الموضوع مناقشة وافية ومعمقة، تبين منها:**

أولا: أنه لم يؤثر نص واضح يوجب الزكاة في العقارات والأراضي المأجورة.

ثانيا: أنه لم يؤثر نص كذلك يوجب الزكاة الفورية في غلة العقارات والأراضي المأجورة غير الزراعية.

وقرر ما يلي:

أولا: أن الزكاة غير واجبة في أصول العقارات والأراضي المأجورة.

ثانيا: أن الزكاة تجب في الغلة، وهي ربع العشر بعد دوران الحول من يوم القبض مع اعتبار توافر شروط الزكاة، وانتفاء الموانع، والله أعلم.

انتهى القرار.

● **ثانيا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من (يوم الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩هـ) الموافق (١٩ فبراير ١٩٨٩م إلى يوم الأحد الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩م)، قد نظر في موضوع زكاة أجور العقار، وبعد المناقشة وتداول الرأي قرر بالأكثرية ما يلي:**

أولا: العقار المعد للسكنى هو من أموال القنية فلا تجب فيه الزكاة إطلاقا لا في رقبته ولا في قدر أجرته.

ثانيا: العقار المعد للتجارة هو من عروض التجارة فتجب الزكاة في رقبته وتقدر قيمته عند مضي الحول عليه.

ثالثا: العقار المعد للإيجار تجب الزكاة في أجرته فقط دون رقبته.

رابعا: نظرا إلى أن الأجرة تجب في ذمة المستأجر للمؤجر من حين عقد الإجارة فيجب إخراج زكاة الأجرة عند انتهاء الحول من حين عقد الإجارة بعد قبضها.

خامسا: قدر زكاة رقبة العقار إن كان للتجارة وقدر زكاة غلته إن كان للإجارة هو ربع العشر إلحاقا له بالنقدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

انتهى القرار.

● **ثالثا: قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنعقد في دورة مؤتمره الرابع بجدة في المملكة العربية السعودية من (١٨-٢٣ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ) الموافق (٦-١١ شباط (فبراير) ١٩٨٨م)، بعد اطلاعه على البحوث الواردة إلى المجمع بخصوص موضوع زكاة أسهم الشركات، قرر ما يلي:**

أولا: تجب زكاة الأسهم على أصحابها، وتخرجها إدارة الشركة نيابة عنهم إذا نص في نظامها الأساسي على ذلك، أو صدر به قرار من الجمعية العمومية، أو كان قانون الدولة يلزم الشركات بإخراج الزكاة، أو حصل تفويض من صاحب الأسهم لإخراج إدارة الشركة زكاة أسهمه.

ثانيا: تخرج إدارة الشركة زكاة الأسهم كما يخرج الشخص الطبيعي زكاة أمواله، بمعنى أن تعتبر جميع أموال المساهمين بمثابة أموال شخص واحد وتفرض عليها الزكاة بهذا الاعتبار من حيث نوع المال الذي تجب فيه الزكاة، ومن حيث النصاب، ومن حيث المقدار الذي يؤخذ، وغير ذلك مما يراعى في زكاة الشخص الطبيعي، وذلك أخذا بمبدأ الخلطة عند من عممه من الفقهاء في جميع الأموال.

ويطرح نصيب الأسهم التي لا تجب فيها الزكاة، ومنها أسهم الخزانة العامة، وأسهم الوقف الخيري، وأسهم الجهات الخيرية، وكذلك أسهم غير المسلمين.

ثالثا: إذا لم تزك الشركة أموالها لأي سبب من الأسباب، فالواجب على المساهمين زكاة أسهمهم، فإذا استطاع المساهم أن يعرف من حسابات الشركة ما يخص أسهمه من الزكاة، لو زكت الشركة أموالها على النحو المشار إليه، زكى أسهمه على هذا الاعتبار، لأنه الأصل في كيفية زكاة الأسهم.

وإن لم يستطع المساهم معرفة ذلك: فإن كان ساهم في الشركة بقصد الاستفادة من ريع الأسهم السنوي، وليس بقصد التجارة فإنه يزكيها زكاة المستغلات، وتمشيا مع ما قرره مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الثانية بالنسبة لزكاة العقارات والأراضي المأجورة غير الزراعية، فإن صاحب هذه الأسهم لا زكاة عليه في أصل السهم، وإنما تجب الزكاة في الريع، وهي ربع العشر بعد دوران الحول من يوم قبض الريع مع اعتبار توافر شروط الزكاة وانتفاء الموانع.

وإن كان المساهم قد اقتنى الأسهم بقصد التجارة، زكاها زكاة عروض التجارة، فإذا جاء حول زكاته وهي في ملكه، زكى قيمتها السوقية، وإذا لم يكن لها سوق زكى قيمتها بتقويم أهل الخبرة، فيخرج ربع العشر ٢,٥٪ من تلك القيمة ومن الربح، إذا كان للأسهم ربح.

رابعا: إذا باع المساهم أسهمه في أثناء الحول ضم ثمنها إلى ماله وزكاه معه عندما يجيء حول زكاته. أما المشتري فيزكي الأسهم التي اشتراها على النحو السابق. والله أعلم.

انتهى القرار.

● **رابعا: ما عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج٢٣/ص٥٩/ ف٧٣٠٥)؛ في موضوع: «زكاة العقارات والأراضي المشتراة للسكن الشخصي أصلا»؛ ونصه: السؤال الأول: اشتريت قطعة أرض بنية البناء عليها لي ولأولادي ثم بعد ذلك ترددت ومازلت مترددا ما بين البناء عليها أو البيع أو التبديل بمساحة أكبر، فهل عليها زكاة؟ وكيف؟ السؤال الثاني: لدي عدد (٢) شقة في مدينتين أستغلهما للسكن لي ولأولادي، في نيتي أنه يمكن في أي وقت أن أبيع إحداهما حسب الظروف؛ فهل عليهما زكاة؟ وكيف؟**

أجابت اللجنة بما يلي:

العقارات والأراضي المشتراة لا تجب الزكاة فيها إلا إذا كانت مشتراة بقصد التجارة، ومادام المستفتي قد اشترى أراضيه هذه مترددا ما بين البناء عليها أو البيع، ولكن بقصد تركها لأولاده على أنها إن غلت أثمانها فإنه يبيعها، فلا يجب عليه زكاتها قبل بيعها مهما طالت المدة، فإن باعها فعلا ضم ثمنها إلى سائر أمواله الأخرى وزكاها معها، فإذا لم يكن له أموال غيرها لم يزكها حتى يمر عليها حول كامل من تاريخ بيعها، فإذا مر عليها حول زكاها لسنة واحدة. والله أعلم.

انتهت الفتوى.

● **خامسا: ما عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج١٢/ص١١٠/ ف٣٦٢٠)؛ في موضوع «زكاة الراتب الشهري»؛ ونصه: ما هي كيفية حساب زكاة مال الراتب الشهري الذي يتم تحويله لحساب التوفير في البنك؟**

أجابت اللجنة بما يلي:

الراتب الشهري النقدي هو جزء من أموال الإنسان التجارية، أو النقدية الأخرى - إن وجدت - فيضم إليها في حولها، ويزكى في آخر الحول معها.

أما الذي لا يملك غير راتبه، فلا تجب عليه الزكاة فيه إن أنفقه قبل حولان الحول، فإن ادخره أو ادخر جزءا منه، فإن بلغ ذلك النصاب، وتم عليه حول من تاريخ ملك النصاب؛ وجب عليه زكاته في نهاية الحول.

والحول هو عام هجري كامل، والنصاب هو قيمة مئتي درهم من الفضة وتعادل (٦٠٠) غرام منها، هذا مذهب أكثر الفقهاء، وذهب البعض إلى أنه يقوم بالأكثر رواجا من الذهب أو الفضة، ونصاب الذهب هو عشرون مثقالا، وتعادل الآن (٨٥) غراما، أما المقدار من النقود أو الأموال الواجب من الزكاة فهو ربع العشر أي (٢,٥٪) من مجموع ما يملكه من النقود أو الأموال التجارية، والله أعلم.

انتهت الفتوى.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

دار الحديث البهائية

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.
ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

وكانت أول مدرسة أنشئت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها، وسطع عندما تولى الملك، الصالح، الناصر، صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاث مئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ست مئة مدرس، وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء، والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم،

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها، إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟
ديار لسلمى عافيات بذي خال
ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، فمنها:

دار الحديث البهائية
اسمها وموقعها

«البهائية»: نسبة إلى واقفها الإمام بهاء الدين أبي محمد - وستأتي ترجمته - أما مكانها؛ فلم يختلف في كونها تقع في مدينة دمشق القديمة، داخل باب توما - أحد أبواب دمشق الشهيرة، ومازال هذا الباب موجودا، ومعروفا إلى اليوم -، كما أفاد عن مكانها صاحب «شذرات الذهب»، و«منادمة الأطلال»، و«الدارس في تاريخ المدارس»، وغيرهم، ولا شيء يدل على مكانها اليوم، فلم يبق منها عين، ولا أثر.

واقفها

الإمام، المسند، الشيخ، المحدث، بهاء الدين، أبومحمد، القاسم بن المظفر

ابن محمود بن أحمد بن الحسن ابن هبة الله، المعروف بابن عساكر، الدمشقي، الطبيب، المولود سنة (٦٢٩هـ)، في مدينة بعلبك، والمتوفى سنة (٧٢٣هـ)، تلقى الحديث عن كثير من علماء عصره، مثل العز ابن عساكر - صاحب الأنساب -، وممن أخذ عن المترجم له، الإمام الحافظ الذهبي، وكانت له عناية بالطب حتى صار لقب الطبيب من ألقابه، ولما كان في آخر حياته أوقف داره؛ لتكون دارا لقراءة، وكتابة، وإسماع، ونشر الحديث، فرحمه الله تعالى.

شيوخها

١- الإمام، المحدث، الفقيه، العالم، محيي الدين، أبي محمد عبدالقادر ابن محمد بن إبراهيم، المقريزي، البعلي، الحنبلي، عني بالحديث، وقرأ وكتب بخطه كثيرا، وخرج، وتفقه، قال الذهبي: «له مشاركة في علوم الإسلام، ومشيخة الحديث بالبهائية، وغير ذلك، علقت عنه فوائد، وسمع منه جماعة»، المتوفى سنة (٧٣٢هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية، بالقرب من قبر شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمهما الله تعالى.

٢- السيد الشريف المحدث المؤلف، شمس الدين، أبوالمحاسن، محمد بن علي بن الحسن الحسيني، الدمشقي، الشافعي، سمع من ابن عبدالدائم، والمزي، والذهبي، والبرزالي، والصلاح العلائي، وغيرهم، قال ابن حجر: «خطه معروف حلو، وكان سريع الكتابة»، وكان شاهد المواريث في دمشق، المتوفى سنة (٧٦٥هـ)، ودفن بسفح قاسيون بصالحية دمشق، رحمه الله تعالى.

٣- أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبدالله بن عبدالواحد بن عبدالغني ابن محمد بن أحمد بن سالم بن داود ابن يوسف بن جابر، الأذرعي نسبة إلى أذرعات الشام، ثم الدمشقي، ثم الحلبي، الشافعي، الإمام، العلامة، شيخ المذهب.

خاتمة

وبعد هذه الإطلالة العابرة على دار الحديث البهائية، العريقة في دمشق الشام، والتي لم تكن وحيدة عصرها، بل كان لها أخوات سبقتها، وأخرى أتت بعدها؛ تعرف ما كان عليه ذلك العصر الفريد من العناية بالعلم، والعلماء، والدور، والمدارس، وما كانوا عليه من الاهتمام بالمدرس والدارس، والذي يرجع فيه الفضل بعد الله تعالى، إلى أناس أيقنوا أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض، ولا أن تتحرر، ولا أن تقود نفسها، وغيرها من الأمم، إلا إذا اتخذت من العلم بجميع أنواعه، وشتى مجالاته قائدا لها، وإلا إذا أولته كل اهتمامها، ففتح قلوب، وعقول العباد؛ مقدم على فتح البلاد، والمهاد، فالقائدان: نور الدين زنكي، وتلميذه صلاح الدين - رحمهما الله -، ومن نهج نهجهما؛ أدركوا جميعا أن الاستنارة بنور الشرع هي الأصل، والأساس، الذي يتفرع عنه فتح البلاد، وهداية العباد، فكانا بحق، وكذا من لف لفيفهم، من أمثال الشيخ الإمام بهاء الدين؛ من رواد النهضة العلمية، الذين أعطوا العلم طابعا، ومنهجا لم يكن معروفا، ولا مشتهرا من قبل، فرحم الله الجميع، وأعاد إلى تلك الدور، والمدارس، ومدنها، سالف عصرها الزاهر.

فكرة مفيدة

«واحة القرآن».. مشروع تاريخي للعناية بكتاب الله

المدينة المنورة - تهاني العصيمي

«واحة القرآن» مشروع تقدم به رئيس الهيئة العامة للسياحة والتراث الوطني في السعودية، الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز، يهدف إلى ربط الماضي التاريخي للمصحف الشريف بمرحلة الانطلاق نحو المستقبل، وإيجاد مؤسسة تعليمية تعرض كل ما له علاقة بالقرآن الكريم، وتوفير الجانب التثقيفي والتشويقي الذي تقوم به الواحة من خلال النشاطات الاجتماعية والثقافية والمحاضرات والملتقيات العلمية والبرامج التعليمية للناشئة والأسرة، كما يضم أهم المخطوطات والمصاحف.

ويعد مشروع واحة القرآن الكريم مشروعا علميا وإثرائيا متخصصا، يضم عروضا متحفية ومعروضات تفاعلية، سمعية وبصرية، عن أهم الموضوعات ذات العلاقة بالقرآن الكريم، تصاحبها بيانات ومعلومات متكاملة بأسلوب يجعل من هذه الواحة معلما حضاريا ومعرفيا متميزا على المستوى العالمي، بحسب موقع الإخبارية السعودي.

ويشير الموقع الرسمي للواحة على الإنترنت إلى أن رؤية المشروع تقوم على أن «تكون واحة القرآن الكريم أهم مركز ثقافي في العالم، متخصص في البرامج والفعاليات المرتبطة بالقرآن الكريم وعلومه، وعلامة بارزة تعرف أبناء هذه البلاد وزوارها بتاريخ كتاب الله الكريم، وأن يكون من بين المباني العالية التميز في الأعمال التفاعلية على مستوى العالم، وأن تستخدم فيها آخر ما وصلت إليه تقنيات الاتصال والتعليم التثقيفي والمتاحف المتخصصة».

وأشار الموقع إلى أن من أهداف المشروع: «إنشاء مجمع متعدد التخصصات والنشاطات الثقافية والتعليمية والعلمية والترفيهية، وأن يكون معلما حضاريا وثقافيا بارزا على خريطة العالم الإسلامي، يعكس الأهمية الكبيرة للمكانة المرموقة التي تحتلها المدينة المنورة، وتسليط الضوء على دور القرآن الكريم في نشر الرسالة الإلهية للإسلام ونشر العلم والمعرفة للإنسانية جمعاء».

ومن الأهداف كذلك: «عرض ما يتعلق بتاريخ ومراحل القرآن الكريم والأحكام والإعجاز والقصص، وأيضا العلوم والمعارف المتصلة بالقرآن الكريم».

وتأمل هيئة تطوير المدينة المنورة أن تشتمل واحة القرآن الكريم على جميع المرافق المتعددة الأغراض والعناصر الثقافية المختلفة والتقنيات الحديثة، مما يجعلها «واحة» ذات قيمة عالية ومنفعة غالية للحضارة والثقافة، ووجهة تربوية وثقافية وترفيهية تاريخية لسكان المدينة المنورة وزوارها.

طور نفسك

عشرة أمور تقودك إلى التميز في البحث العلمي

الكويت - الوعي الشبابي

من منا لا يبهره شكل العلماء وهم في معاملهم يعملون في هدوء وتركيز شديد، فهم لهم عالمهم الخاص الذي لا يشبه الآخرين، حتى أمنياتهم مختلفة ولها أبعاد أخرى، وقد تجد أحدهم يرقص فرحا لأن تجربته التي أعادها عشرات المرات قد نجحت أخيرا.

العلماء هم بشر مثل غيرهم، ولكن حبهم للعلم جعل التفكير العلمي في حياتهم منهج حب وإخلاص، فتجدهم في كل أمورهم يستخدمون نداء العقل أكثر من القلب.

ما هو السر وراء تميز العلماء في البحث العلمي، وهل يمكنك أن تصبح مثلهم؟

الجواب: نعم، بالتأكيد. ووفق شبكة زدني للتعليم لابد أن تكون قد اخترت طريقك الأكاديمي الذي سيوصلك إلى أن تكون عالما، بالإضافة إلى عشرة أمور أخرى ستجعل منك عالما مميزا:

١ - أن تعشق العلوم

والشغف هنا أن تربطك علاقة حب وطيدة بالعلوم، وأن تحب ما تعمل، ويكون لديك إصرار على التحليل والتمحيص والابتكار.

٢ - أن تكون فضوليا جدا

العالم كثير التساؤل، ليس للآخرين فحسب، لا بل يسأل نفسه دائما، وهذا ضروري جدا للتعلم وتمرين العقل على التفكير والخيال.

٣ - أن تقوم بتجارب جديدة مبتكرة

كل الاختراعات والنظريات التي سمعنا بها لم تأت بالصدفة، بل كلها أتت بعد تجارب عدة من اختراع البنسلين إلى آخر اختراعات التكنولوجيا الذكية.

٤ - لابد أن تكون صبورا جدا

العلماء يقولون إنك يجب أن تتوقع أن ٩٠ في المئة من تجاربك قد لا تعمل، لذلك مع كل فشل لابد أن تكون صبورا في تدوين جميع البيانات التي حصلت عليها حتى تعاود بناء فرضيتك بطريقة أخرى تعمل بشكل أفضل.

٥ - أن تكون كالإسفنجة تمتص النقد وتستفيد منه

النقد العلمي للعمل هو أساس في بناء أو تطوير أي فكرة علمية، ويدفع العلماء للعمل بجد للوصول إلى نتيجة لفرضيتهم.

٦ - أن تتمرن دائما وتعمل على تطوير مهاراتك

لابد من التمرين الدائم على تطوير مهارات كتابة المقالات العلمية والمشاريع وعرض النتائج.

٧ - أن تعمل في فريق وتكون قادرا على إنشاء خطوط تعاون

٨ - أن تفكر خارج الصندوق

من خلال التمرين والجهد يصبح العقل يحل المسائل المعقدة بأسلوب سلس، ويسعى إلى الوصول إلى نتائج مبتكرة.

٩ - أن تكون أمينا على معلوماتك العلمية

من أهم الأمور التي تجعل من العالم عالما حقيقيا أمانته العلمية في نقل البيانات من معمله إلى الجمهور.

١٠ - أن توازن بين عملك وحياتك

وهذا من شأنه أن يريح الخلايا الدماغية.

حوارات

د. يمنى أبوالنصر: غياب القدوة الأسرية ساهم في انتشار الجهل

القاهرة - إسلام أحمد

أكدت الداعية الدكتورة يمنى أبوالنصر، أن القدوة هي الركيزة الأولى في صلاح الأسرة أو فسادها، موضحة أن انتقال حب الصلاة بسلاسة إلى الأبناء يأتي بالدرجة الأولى من خلال الاقتداء بالوالدين اللذين يحافظان على الصلاة. وفي المقابل، فإن التكاسل عن العبادات وانتشار الجهل والسلبيات هما أيضا نتاج قدوة سلبية، أو أسرة لم تقم بواجبها على الوجه الأمثل. ولفتت في حديثها مع «الوعي الشبابي» إلى أهمية علم النفس في إيصال رسالة الدعوة، متطرقة إلى الدعوة النسائية ومدى نجاحها.. وغير ذلك من التفاصيل التي نتعرف عليها في السطور التالية:

• تحتاج المرأة إلى عقلية تفهمها بشكل كبير وهذا قد لا يتأتى للرجل بقدر كبير.. فهل استفاد المجال الدعوي من الداعيات، خصوصا فيما يتصل ببنات جنسهن؟

- النوع ليس هو المُحدد للأمر، لكن يعتمد على طريقة توصيل المعلومة، لكن مما لا شك فيه أن الطبيعة العقلية والنفسية للمرأة تكون مشابهة لمثيلاتها، فعندما أسأل شيخا عن شيء يتعلق بأمور النساء تكون المرأة هي الأكثر توصيلا للصورة. والدعوة النسائية تغير في كيان الأسرة عن طريق الزوجة والأم التي تؤثر في أفراد عدة، لأن المرأة نصف المجتمع، وهي من تربي النصف الآخر، فبذلك أصبحت هي المجتمع كله. وبالتالي الحاجة إلى وجود داعيات مثل الحاجة إلى وجود طبيبات ومعلمات وأي نوع من أنواع العمل.

• يتميز كثير من الدعاة بأسلوب خاص.. فهل حرصت على أن يكون لك أسلوب يميزك؟

- أرى أن القرآن الكريم هو أساس كل شيء، وأننا يمكن أن نغير كل شيء من خلاله، وما نجح فيه النبي محمد ﷺ أنه غير قلوب مجتمع الصحابة من قمة الكفر إلى الإيمان، أننا يجب أن نتعامل مع القرآن الكريم بمنهجية مختلفة عن أننا نخرج حفظة يرددون فقط، ويتعاملون مع كلام الله كأنه مجرد كلام، بل يجب أن نتعامل معه كسلوك، وما يشغلني هو أن أربط القرآن الكريم، وأعتمد على مثل مقولة: «لا تحدثني عن الدين ولكن اجعلني أرى الدين في تصرفاتك»، وأريد أن يحضر جميع الناس الدروس، ويجب ربط الدين بالحياة، لأنه صالح لجميع الأوقات، ومن ثم تطبيقه على أرض الواقع، فأتحدث من القرآن عن السيرة والفقه والتربية والنفس وحلاوة التشريع ورحمة الله وحب الدنيا فما من شيء إلا في كتاب الله.

• وما أهم الموضوعات التي تركزين عليها؟

- الموضوعات الأخلاقية والاجتماعية، وأسقط تعاليم القرآن على المجتمع، فأعلم السيدة كيف تكون زوجة وأما جيدة وعضوا فاعلا في المجتمع، وذلك من خلال تفسير القرآن، فليس هناك ظاهرة أو مشكلة في المجتمع إلا ولها علاج من الكتاب والسنة.

• بعض الأمهات يجدن صعوبة في إقناع أولادهن وبناتهن بالمواظبة على الصلاة.. فبماذا تنصحينهن؟

- الصلاة من الأشياء التي يجب أن يعتاد عليها الناس منذ صغرهم، وفي الوقت ذاته القدوة من جانب الآباء، فمن شاهد أهله يصلون ستجده يصلي هو الآخر، ولكن هناك مرحلة عمرية سمجة تسمى المراهقة، تحدث فيها اضطرابات قوية جدا، ونجد فيها تمردا في كل شيء. والمنبت الأصلي، والنصيحة الجيدة، والترغيب في العبادة دون الترهيب أو التحدث بطريقة غير جيدة، علاوة على أن تكون الأم قدوة لأبنائها.. كل ذلك يجعلهم يصلون.

ونجد أن الإشكالية في الأخلاق، رغم صلاة البعض وصيامهم، وأصبحنا نحكم على الدين من خلال الشكل فقط، بينما الحقيقة «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» فكل مجتمع به الجيد والسيئ.

د. عمرو عبدالكريم
دكتوراه في الفكر الإسلامي

في مواجهة أفكار التطرف

جاء في لسان العرب أن الغلو لغة هو: مجاوزة الحد، وعرفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه: «مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق ونحو ذلك» (اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٢٨٩)، وعرفه الحافظ ابن حجر بأنه: «المبالغة في الشيء والتشدد فيه بتجاوز الحد» (فتح الباري: ١٣/٢٧٨).

ولمواجهة ظاهرة التطرف والغلو لابد من البحث في أسباب الظاهرة ثم بناء استراتيجيات التعامل معها تمهيدا لتحديد عدد من سبل العلاج.

وتعود أهمية البحث في أسباب الغلو والتطرف إلى عدة أمور

أولا: إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ولا يمكن مواجهة أفكار التطرف والغلو إلا بعد إدراك أسبابها، ففهم أي ظاهرة يتوقف على معرفة أسبابها وبواعثها، حيث تمكننا هذه المعرفة من التحكم بمصادرها وإمكانية مواجهتها والقضاء عليها.

ثانيا: إن إدراك أسباب الغلو يسهم في معالجة الأسباب الحقيقية لها، والكشف عنها وبيانها، وتخفيف حدة المواجهة ومعالجة جذور حالة الاحتقان التي تسود المجتمعات، ولاسيما مع تعدد أسباب ظاهرة الغلو وتشابكها في بنية النسق الفكري السائد وشبكة العلاقات الاجتماعية.

ثالثا: العامل الثالث يعود إلى أهمية معرفة مجموعة العوامل الحاكمة التي تمثل واسطة العقد والمتحكمة في منظومة الأسباب الأخرى؛ كما هي التي تشكل مجموعة الأسباب الأخرى وتحدد لها بوصلة المواجهة.

ومن المهم التأكيد على جملة مسائل

الأولى: إن أسباب الغلو تختلف في درجة أهميتها، وفي مدى تأثيرها تبعا لاختلاف حال المجتمعات العربية والإسلامية، وأحوال شعوبها الدينية، لذا فإن ما يصدق على مجتمع قد لا يصدق بالضرورة على غيره.

الثانية: الغلو من الظواهر الاجتماعية التي نشأت في ظل مركب من العوامل النفسية والاجتماعية، وتحت ظروف سياسية واقتصادية وثقافية معينة، وتشترك جميع هذه العوامل والظروف في إنتاج ظاهرة التطرف والغلو، ومن ثم، فإن أية معالجة جادة لهذه الظاهرة، تتطلب معرفة دقيقة بالعوامل والظروف التي تساعد على وجودها.

الثالثة: إن استيعاب أسباب التطرف والغلو ربما كان أمرا عسيرا في ظل تغلغل مظاهره في مختلف مجالات الحياة، وإذا كانت ظاهرة الغلو والتطرف نتاج عدد من العوامل النفسية والاجتماعية والظروف السياسية والاقتصادية، فإن أية معالجة جادة لها تتطلب إصلاحا حقيقيا في جملة هذه العوامل والظروف التي تساعد على إيجاد بيئة مواتية للغلو. وفهم ظاهرة التطرف والغلو في أي مجتمع، يتطلب فهم الواقع الاجتماعي والسياسي وإدراكه جيدا حتى يتسنى معرفة الآليات التي تنتجها، ومعالجة جذور الأزمات بحكمة وبطرح حلول موضوعية تسمح باستيعاب الجميع حتى لا يستبعد أحد خارج الأطر والنظم الدستورية والقانونية للدول؛ ففي أغلب مجتمعاتنا العربية والإسلامية يمكن أن تنتهي أفكار التطرف والغلو إذا تمت عملية تجفيف لمنابعه وإصلاح حال المجتمعات وتوفير شكل من أشكال

الحياة السوية أو قيام مجتمعات الكفاية وليس مجتمعات الكفاف.

مع التأكيد على أن معالجة ظواهر التطرف والغلو تحتاج جوا من الحريات يتمتع فيه الأفراد بالحقوق الإنسانية التي كفلتها الشريعة الإسلامية لأهل ديارها.

هذه الإصلاحات الفكرية والاجتماعية الشاملة هي التي تمثل واسطة العقد والتي توجه باقي أركان منظومة مواجهة أفكار التطرف والغلو.

كما أن هذا المشروع الإصلاحي الشامل يسهم في إصلاح الخلل الموجود ويؤدي إلى تخفيض مثيرات الغلو إلى أدنى مستوى وذلك من خلال منع الظلم على المستوى الفردي والاجتماعي، وإرساء العدل ومنع تفشي الفواحش والمنكرات وإرساء قواعد التكافل الاجتماعي ومحاربة الفساد.

وربما استلزم هذا إجراء نوع من المراجعات الفكرية في تراثنا العربي والإسلامي وتنقيته من الشوائب الفكرية التي راجت في عصور الاستبداد والجمود والتأكيد الشرعي على قيم التعددية، والحرية الفكرية، والدفاع عن دور المرأة المسلمة في المجتمعات، ونشر قيم الشورى.

المواجهة الفكرية لقضايا التطرف والغلو

إن أصل قضايا الغلو هي تصورات فكرية لها أبعاد سياسية واجتماعية، ولن تنجح أي مواجهة لتيارات الغلو لا تستند على تراث عميق من فقه الكتاب والسنة وتاريخ الخلفاء الراشدين، وفترات الرشد في تاريخنا الإسلامي.

كما أن الكشف عن دعاوى التطرف والغلو ودحضها عبر مواجهة فكرية شاملة هو أنجع سبل العلاج، حيث يقوم العلماء الربانيون بدورهم في هداية مجتمعاتهم وإعادة جموع شباب: أراد الحق فأخطأه كما سمى سيدنا علي الخوارج الذين ثبت عنده ضلالهم والذين استحلوا دماء المسلمين، وكان رضي الله عنه يقول فيهم: «إخواننا بغوا علينا». وأرسل لهم سيدنا عبدالله بن عباس فناظرهم، مع أنهم رفعوا السلاح في وجه سلطان الدولة الإسلامية إلا أنه راعى فيهم الحقوق الشرعية كاملة.

هذه المواجهة الفكرية الشاملة التي يقوم بها علماء راسخون لهم حجيتهم وشرعيتهم ومصداقيتهم هي السبيل الأنجح حيث تواجه الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، ويواجه الجهل البسيط والمركب بالعلم وبالحلم، حتى تنقشع ظلمات الجهل بنور العلم الصحيح والفهم المستقيم، وبذل المستطاع وفن الاحتواء والحوار والتوجيه.

تنمية ثقافة الحوار في المجتمع وتربية النشء عليها

من أهم سبل علاج التطرف والغلو هو تنمية ثقافة الحوار في المجتمعات، والإيمان بالحق في الاختلاف والإيمان بالتعددية الفكرية، واعتبار الاختلاف بين بني البشر في أفكارهم وآرائهم ومواقفهم وعاداتهم أمرا طبيعيا تقتضيه ظروف نشأة البشر.

وفي هذا الإطار تحتل البرامج التعليمية مكانة خاصة في أية استراتيجية لمواجهة أفكار التطرف والغلو، فمن الضروري أن تتضمن البرامج التعليمية التأكيد على قيم الحوار، والحق في النقد، وإمكانية التعايش السلمي بين المختلفين، والعمل وإقرار حقوق الآخرين، وربما كان من المهم هنا التأكيد على ضرورة مراجعة مناهج التدريس الديني وما يبثه من قيم والحاجة إلى تدريس أدب وفقه الخلاف وممارسته عمليا حتى يسود ويترسخ في مناهجنا الثقافية والدينية (١).

ولعل هذا من أعظم أسباب تهيئة مواطن صالح لنفسه ومصلح لمجتمعه، ذلك العنصر البشري الناضج الذي يفكر بقضايا التنمية وينطلق بمشروع نهضة حقيقي يصب في خير الدول والمجتمعات.

الهوامش

١- د. محمد الهواري، الإرهاب: المفهوم والأسباب، وسبل العلاج، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ٢٠٠٤م، ص ٢٥.

إعداد: تركي محمد النصر

أول من سن قيام رمضان

«عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل صاحب الفتوحات، يضرب بعدله المثل، تولى الخلافة بعد الصديق وبعهد منه، وهو أول من عس بالمدينة المنورة ليلا، وهو أول من حمل الدرة وضرب بها، وهو أول من سن قيام شهر رمضان، وهو أول من أرخ بالتاريخ الهجري، وهو أول من قدر رواتب العمال وحددها».

(الأوائل لأبي الهلال العسكري: ٢٥/٢)

خصوص الخصوص

«الصوم عموم وخصوص، وخصوص الخصوص.

فصوم العموم: هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة.

وصوم الخصوص: هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام.

وصوم خصوص الخصوص: هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية».

(المستطرف للأبشيهي: ٢٨/١)

لا يضر هذا الاختلاف

قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: «فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار، ومجالا للظنون، وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق عليها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف».

(الاعتصام: ٩٣/٣)

إخلاص واحتساب

«صام داود الطائي أربعين سنة وما علم به أهله (صوم تطوع)، وكان خرازا، وكان يحمل غداءه معه ويتصدق به في الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم».

(تاريخ بغداد: ٣٥٠/٨)

العدل في الخلاف

قال العلامة ابن أبي العز رحمه الله: «إذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف».

(شرح العقيدة الطحاوية: ص٣٦٣)

إلا الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به. والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم. إني صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

(البخاري ومسلم)

موعظة موجزة

«قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، قال لخالد بن صفوان، رحمه الله: عظني وأوجز. فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إن أقواما غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين.

قال: فبكى عمر ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى».

(الحلية: ٢/٤٨٥)

العالم العامل أنفع صحبة

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: «لقيت مشايخ، أحوالهم مختلفة، يتفاوتون في مقاديرهم في العلم، وكان أنفعهم لي في صحبته؛ العامل منهم بعلمه، وإن كان غيره أعلم منه.

ولقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون، ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها مخرج جرح وتعديل، ويأخذون على قراءة الحديث أجرة، ويسرعون بالجواب، لئلا ينكسر الجاه، وإن وقع خطأ».

(صيد الخاطر: ص١٥٨)

وعظ بليغ

قال ابن خيرة، وكان من أصحاب علي ﵁: «جزاء المعصية: الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل: وما التعسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلالا إلا جاء من ينغصه إياها».

(تفسير ابن كثير: ٣/٥٣٣)

إني أخاف أن نصطحب

أراد الحسن بن علي ﵁ الحج فطلب منه ثابت البناني أن يصاحبه؛ فقال: «ويحك، دعنا نتعايش بستر الله، إني أخاف أن نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه».

(مواعظ الصحابة ووصاياهم: ص٣٢٢)

نصيحة وتحذير

حذر بعض الحكماء صديقا له صحبة رجل، فقال: «احذر فلانا فإنه كثير المسألة، حسن البحث، لطيف الاستدراج، يحفظ أول كلامك على آخره، ويعتبر ما أخرت بما قدمت، فلا تظهر له المخافة، فيرى أن قد تحرزت، واعلم أن من يقظة الفطنة إظهار الغفلة مع شدة الحذر، فباثثه مباثثة الآمن، وتحفظ منه تحفظ الخائف، فإن البحث يظهر الخفي الباطن، ويبدي المستكن الكامن».

(زهرة الآداب: ٣/٨٧٠)

طريقة القوم

قال الإمام الشاطبي رحمه الله: «قال سهل بن عبدالله التستري: مذهبنا مبني على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال».

(الاعتصام: ٢/٣٥٠)

بريد القراء

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

هل للإبداع ضوابط

نلحظ اليوم اهتماما واسعا بالإبداع، والبحث عن حلول إبداعية وتهيئة مناخ إبداعي... بهدف كسر أغلال التصلب العقلي والخروج من دائرة الحلول النمطية والاعتيادية، نحو عملية تثمر ناتجا جديدا غير عادي يتماشى مع طبيعة المجتمع.

وكما نعلم أن العملية الإبداعية، لا تتجسد إلا من خلال ترك الإنسان لعنان فكره، وتوسيع دائرة ومجال إدراكه، وعدم حصر عقله عند فكرة معينة أو في زاوية ما، بمعنى آخر أن الحرية هي المحرك الأول في العملية الإبداعية.

هذا ما يدفعنا فعلا للتساؤل: هل هذه الحرية المتحكمة في العملية الإبداعية تتناقض والضوابط الشرعية؟ هل للمعايير الإسلامية تأثير على العملية الإبداعية وعلى المبدعين، خاصة ونحن كأبناء لهذه الأمة نحمل على عاتقنا عبء الرقي بأمتنا على جميع الأصعدة، وإيجاد مبدعين يشيدون مجدا يحاكي ما كان عليه الأوائل؟

فالمتأمل لديننا الحنيف سيجد فعلا مجموعة من الضوابط والأحكام التي وجدت بهدف توضيح الطريق للناس، لكنها في الوقت نفسه تمتاز بالليونة والمرونة والرحمة لكي تفسح المجال للعقول نحو عالم يمتاز بالتطور المستمر.

وبالتالي فإلى أي مدى تشكل هذه المرونة أرضية ومجالا مناسبا للإبداع؟ وهل يمكن اعتبار الوعود والمكافآت التي نجدها في ثنايا هذه الضوابط من الوسائل المحفزة والمشجعة على الإبداع؟

د. جميلة مرابط

شكرا

لمن علّمني حرفا، وكان سببا في فلاحي: شكرا

لمن داواني ساعة مرضي: شكرا

لمن قام فجرا ينظف شارع الحيّ: شكرا

لمن نصحني، وأرشدني حُبّا، وخوفا عليّ: شكرا

لمن جرحني، فعلّمني دروسا في الحياة: شكرا

لمن قال لي: بنا نصلي: شكرا، شكرا

لمن رعى اليتيم: شكرا

لمن زكّى أمواله: شكرا

لمن دعا لي في غيبتي: شكرا

لمن لا يرى في حياته ما يستدعي الشكر والحمد، راجع نفسك وقل: ألف شكر، وزد ألفا، أو أكثر، لمن رعاك حتى كبرت، وعلّمكَ، وتعب من أجلك.

صفوان العويان

حاجة الأمة لنهضة دينية حقيقية

المتمعن في حال الأمة العربية والإسلامية وما وصلت إليه اليوم من تهافت على ملذات الحياة، وتناحر وفرقة، يعتريه مزيج من الشعور بالشفقة والأسى مع كثير من القلق على حال الأمة الإسلامية، أين كنا وأين أصبحنا وإلى أين نتجه؟!

بعدنا عن منابع ديننا الرقراقة العذبة الصافية، وتاه أجيال أمتنا الفتية والشابة عن الهوية العربية والإسلامية وهم المعنيون بالأخذ بيد هذه الأمة الكريمة من متاهات التخلف عن ركاب الحضارة إلى أعلى مراتب التطور والتمكن الحضاري والأخلاقي بجوهره الراقي لا قشرته البراقة. ألسنا نحن من قال الله تعالى فينا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

info@alwaei.com

رمضان عادة أم عبادة؟

قبل حلول شهر رمضان بشهور يتم الاستعداد له بصورة كبيرة، وتبدأ الأُسَر في إعداد ميزانية خاصة به، نظرا لزيادة إنفاقها خلال شهر رمضان، فالواقع يشهد أن شهر رمضان يمثل موسما استهلاكيا من الدرجة الأولى عند غالبية الأُسَر المسلمة، ولاسيّما في عالمنا العربي، لدرجة أن حركة الاستيراد تنشط بدرجة كبيرة من أجل تلبية الاحتياجات، ولأجل إثارة نزعاتها الاستهلاكية أيضا.

فكثير من الأطعمة، والأشربة على اختلاف ألوانها وأصنافها؛ تعد خصيصا لرمضان ويرتبط ظهورها بمَقْدَمه، مع أنه من المفترض أن يكون رمضان شهر الاقتصاد في الإنفاق والتقليل من حد الاستهلاك، حيث إن وجبة الإفطار هي الوجبة الرئيسية، ووجبة السحور وجبة بسيطة.

وبالمقارنة بين رمضان كفريضة، وركن من أركان الإسلام، ورمضان على صورته الحالية عند كثير من المسلمين نجد أننا أمام السؤال التالي:

هل شهر رمضان شهر عبادة أم عادة؟

الإجابة على السؤال تحتاج إلى صدق مع الله ثم صدق مع النفس.

د. صلاح فضل توقة

ماذا نملك من أبنائنا؟

وأنا أتجول بين غرف البيت أراقب أبنائي بعد عودتهم من الجامعة والمدرسة كشأن كل أب يحمل رسالة إلى الناس، ويفقه معنى تكوين أسرة صالحة في الإسلام وولد صالح يدعو له ويفيد المجتمع، أطرق باب كل غرفة من الغرف لأستأذن بالدخول على كل ابن من أبنائي، لأجلس معه هنيهات، أسأله عن حاله وصحته وحاجياته ومتطلباته ويومه ودراسته وهل حصلت له مشاكل تذكر في مؤسسته لأناقشها معه على انفراد، أشعر بأنني ضيف غير مرغوب فيه البتة في تلك الهنيهات التي أود اختلاسها من أبنائي، وأشعر أن ابني يتمنى متى أخرج من عالمه الافتراضي السحري.

ويحصل الأمر مثله مع سائر الأبناء، كما يحصل المشهد نفسه أيضا لو طلبت من أحدهم أن يترك مخدعه ليخرج لشراء شيء واحد نسيه الأبوان من قائمة المشتريات الطويلة والمتنوعة والمتميزة، إذ تشعر أنه أصيب بالامتعاض والقلق ولربما حتى الضجر، ولولا مقولة العالم عبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ) - التي علمتها إياه عندما كان غضا طريا، كما علمته القرآن وأحكامه والسنة وشروحها. وقبل أن تفد علينا هذه الأجهزة والوسائط-: «إذا صار والداك يتخيران لك الألفاظ والعبارات، فاعلم أنك صرت عاقا لوالديك»، لاعترض على تنفيذ الأمر.

والسبب واضح وسهل وهو الإبحار الأعمى في مواقع التواصل الاجتماعي، والغرق في الشبكة العنكبوتية، والعكوف المرضي على الأجهزة الرقمية حد العبادة، أو نسيان حق الله على عباده.

والسؤال المحير هنا: ماذا نملك من أبنائنا؟ ومن يملكهم حقيقة؛ نحن أم شبكات المنتجين للمادة الثقافية التي يشتهونها؟ ومتى نستطيع استرجاع أبنائنا مما نصب لهم من غواية وانحراف؟

أ. د. أحمد محمود عيساوي

جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣)، أي: «لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم، لأن الجميع معترفون لكم بالفضل» تفسير ابن كثير (١/١٨١).

أمام هذا الحال الذي تعيشه الأمة، والانحدار الأخلاقي، القيمي، العلمي، والحضاري ينتصب سؤال يطرح نفسه بقوة: كيف سنكون شهداء لأنبياء الله ورسله على أممهم ونحن بهذه الحالة، وهي الحالة التي وصلنا إليها بسبب البعد عن كتاب الله تعالى ونكران هويتنا العربية والإسلامية!

الأمة العربية والإسلامية بحاجة إلى نهضة دينية حقيقية، وعلينا ألا ننشغل بالقشور البراقة على حساب أصول الإسلام وقواعده الكلية المتفق عليها.. وعلينا بالمنابع الصافية للدين الإسلامي الحنيف، حينها فقط سيصلح حالنا ونستعيد مكانتنا التي تليق بنا والتي شرفنا بها الله تعالى دون سائر الأمم منذ خلقت البشرية وحتى يوم البعث.

مياسة النخلاني

آفة التكفير

إن قضية التكفير أعظم فتنة أصابت الأمة الإسلامية قديما، وحديثا.

والغلاة التكفيريون ينطلقون من قاعدة مؤداها: أن الحاكم يحكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، والعلماء يسكتون عن ذلك، فهم كفار، والشعب رضي بذلك فهو شعب كافر!.

من هنا يرون أن الأمة كلها كافرة، وهم وحدهم الفرقة المؤمنة الناجية.

إن الحكم بالكفر لا يجوز إلا عند حدود مبيّنة في الشرع، كقوله ﷺ: «إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان». والرسول ﷺ يقول: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له مالنا وعليه ما علينا». أما الحكم بالكفر على من أقرَّ بثوابت الإسلام، وأقام الصلاة، وأدى الفرائض، ولم يجحد معلوما من الدين بالضرورة، إلا أنه تهاون، أو قصَّر في أداء شيء من دينه، لا جحودا ونُكرانا، فهذا لا يمكن تكفيره بحال، ومن كفَّره فقد رجعت عليه كلمة الكفر، كما قال رسول الله ﷺ في الصحيح: «أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه».

ولو وُجد سبب واحد من مئة سبب يُضعف حجة الكفر؛ أخذنا به، ولا نحكم بالكفر، كما جرى عليه الفقهاء ذوو الاختصاص في فهم أحكام الدين.

إذا كان الأمر كذلك، فمن الضروري - كمسؤولية مجتمعية - أن نجفف منابع التطرف من البداية، بتقديم الإسلام الوسطي الصحيح المعتدل، فالأمر قد ازداد خطورة في السنوات الأخيرة، حيث التكفير على أهون الأسباب، وأصبح من المعتاد أن ترى شابا حَدَثا يكفِّر أفرادا في مجتمعه؛ لأنهم تركوا أمرا مستحبا، أو سنَّة من السنن. فليشمِّر كل منَّا عن ساعد الجد للمساهمة في علاج هذه الآفة المهلكة.

يقول رسول الله ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين».

والله من وراء القصد.

نجاح عبدالقادر سرور

يوم استحوذت الأجهزة على العواطف والعقول

أصبحت أجهزة الهاتف المحمول (الموبايل)، وأجهزة الحاسب (الكمبيوتر)، وأجهزة (الآي بود) ملمحا رئيسيا من ملامح الحياة اليومية للملايين في المنازل، والمكاتب، والمدارس في جميع أرجاء العالم؛ فالأطفال الصغار في سن الخامسة يقضون - في المتوسط - ست ساعات يوميا أمام إحدى أنواع الشاشات، سواء شاشة التلفزيون، أو الحاسب، أو الهاتف المحمول، أو ألعاب الفيديو.

وفي الولايات المتحدة - على سبيل المثال - في عام ٢٠٠٩م، أمضى الكبار - متصلين بشبكة الإنترنت - ضعف عدد الساعات التي كانوا يقضونها في عام ٢٠٠٥م. وفي أوروبا، ازداد وقت الاتصال بالإنترنت لدى البالغين بمقدار الثلث تقريبا خلال الفترة نفسها، وفي المملكة المتحدة تقضي النساء العاملات نصف وقت فراغهن تقريبا في متابعة الإنترنت، ويقضي الشخص المتوسط ٤٥ في المئة من ساعات اليقظة أمام وسائل الإعلام والاتصال.

في مقابل ذلك في عام ٢٠١٠م، تبيّن أن الأفراد في الولايات المتحدة الذين تتراوح أعمارهم بين (٨ سنوات إلى ١٨ سنة)؛ يقضون في المتوسط ١١ ساعة يوميًّا أمام شاشة، سواء كانت شاشات التلفزيون، أم الحاسب، أم الهاتف المحمول، أم الآي بود، أو أمام شاشتين أكثر مما سبق في وقت واحد.

فالحقيقة أننا نتواصل وبشكل متزايد من خلال الرسائل النصية والبريد الإلكتروني أكثر بكثير من التواصل المباشر وجها لوجه، ولدينا مئات الأصدقاء على الإنترنت، ومع ذلك قد لا نعرف الجيران الذين يسكنون بجوارنا، فضلا عن أن أول مكان نبحث فيه عن المعلومات هو محرك البحث جوجل.

ويترتب على هذا الانتشار التكنولوجي الواسع، والطوفان الإلكتروني الغامر حدوث تحولات جوهرية في المواقف والسلوكات، وهذا ما ينبغي دراسته ومناقشته، أعني: كيف تغير الحقبة الرقمية عقولنا وبالتالي عواطفنا؟

عبدالرحمن هاشم

أبو عتاب

هو منصور بن المعتمر، أبو عتاب السلمي الكوفي من بني بهثة ابن سليم من رهط الصحابي والشاعر: «العباس بن مرداس السلمي».

وهو ابن عم حصين بن عبدالرحمن، وعتبة بن فرقد، والأول إمام من أئمة الحديث، والآخر صحابي، ومحمد بن علي السلمي أخوه لأمه.

أحد عباد مشايخ الكوفيين ونساكهم، كان صواما قواما، من أحسن الناس وأطولهم قياما في الصلاة، وكان إذا قام عقد لحيته في صدره، وإنما يعرف العالم بالعمل والعبادة، لا بالكلام والخطب والدعاوى.

ومن طريف ما يروى من أحوال منصور وعبادته، ما قاله العلاء بن سالم، قال: كان منصور يصلي في سطحه، فلما مات، قال غلام لأمه: يا أمه! الجذع الذي في سطح آل فلان، لست أراه!، قالت: يا بني، ليس ذاك بجذع، ذاك منصور، كان يقوم الليل!. وقد مات رحمه الله. ولم يطلب السطح لشهرة أو رياء لكن لضيق بيوتهم آنذاك.

كان من أهل الرباط، لا يتخلف عنه، شهد له سفيان بن عيينة، فقال: كان منصور في الديوان، فكان إذا دارت نوبته لبس ثيابه، وذهب فحرس.

وهو خير من تورم القدمين في طول القيام ومن ظمأ الهواجر في الصيام، وإن كان جمع بينهما، وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها».

فيا بشرى الحارس، وليطب نفسا، ولتهنأ عينه وتقر بحفظ الله لها في الدارين!. «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله». وشتان ما بين عين الحرس الذي يحفظ الحدود والحرمات ويحمي الذمار، وتلك العين الغافلة اللاهية أو الأخرى الخائنة التي تتبع عورات المسلمين، وتتجسس لمصلحة أعدائهم!.

هو إمام من أئمة الحديث، حافظ، ثقة من أثبت الناس، روى عن أبي وائل، وربعي بن حراش، وإبراهيم النخعي، وخيثمة ابن عبدالرحمن، وهلال بن يساف، وزيد بن وهب، وذر بن عبدالله، وكريب، وأبي الضحى، وأبي صالح باذام، وأبي حازم الأشجعي، وسعيد بن جبير، وعامر الشعبي، ومجاهد، وعبدالله بن مرة، وطبقتهم.

وينزل في الرواية إلى الزهري، وخالد الحذاء، ويفضلونه على الأعمش.

وقيل: أصح الأسانيد مطلقا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعود.

● **محمد الكاتب**

الشباب ثروة .. ولكن

المجتمع، مهما كان نوعه أو مذهبه أو جنسه أو دينه، يتألف من الفئات التالية:
الفئة الأولى الأطفال، وهم الذين دون سن العاشرة من العمر. والفئة الثانية المراهقون، وهم الذين بين العاشرة والخامسة عشرة من العمر. والفئة الثالثة الشباب، وهم الذين بين الخامسة عشرة والثلاثين من العمر. والفئة الرابعة الكهول، وهم الذين بين الثلاثين والستين من العمر. والفئة الخامسة الشيوخ، وهم الذين يعيشون بعد الستين من عمرهم.

وأرى أن الأطفال والمراهقين دون الخامسة عشرة هم العهدة الغالية التي على الأمة أن ترعاها بكل فئاتها، وتحسن تربيتها وإعدادها للمستقبل، فهم في الغد إن شاء الله تعالى قادة الأمة ورعاتها وعلماؤها وجنودها المدافعون عنها، ولكنهم بعد في حاجة إلى عناية تحول بين استقلالهم بقيادة أنفسهم أو بالمشاركة في قيادة الأمة، ولذلك يجب أن يربوا على عدم التدخل في أمور العامة، والاكتفاء بالمشاركة في تدبير أمورهم الشخصية فقط، على قدر طاقتهم وإمكاناتهم.

وأما الشباب، فهم مازالوا بحاجة ماسة إلى الرعاية، وإن كانت ملكاتهم بدأت بالتفتح ومحاولة الاستقلال عن مربيهم وقادتهم، وهنا يكمن موضع الخطر، فهم لم ينضجوا بعد، ومازالوا ناقصي الخبرة والاستيعاب لمصالح الأمة عامة، ولذا فإن واجبهم نحو أنفسهم ومجتمعهم أن يهتموا بتربية أنفسهم، إلى جانب عناية مربيهم بهم، بإعدادهم علميا وعمليا ونفسيا للعمل المستقبلي في خدمة المجتمع، كل منهم في تخصصه الذي يراه أوفق لحياته، وأصلح لنفسه وفكره، وأقرب لإمكاناته، في حدود الظروف المتاحة لهم. وعلى مربيهم معاونتهم في كل ذلك، وعدم التخلي عنهم بدعوى تمكينهم من استقلالهم بأنفسهم عن مساعدة أي أحد. وعلى الشباب أن يعزفوا عن الخوض في مشكلات المجتمع، ويتركوها لمن هم فوقهم في العمر من الكهول، ويكونوا لهم السند والمعين، لا الآمر الناهي.

ولا يعني هذا أن يعزلوا عن مشكلات الأمة، بل الواجب استعمالهم فيها من قبل أهل الحل والعقد، كلما دعت الحاجة إلى ذلك، خصوصا النابغين فيهم، على أن يكونوا موجَهين فيها لا موجِهين، وأفضل مثل على ذلك استعمال النبي محمد ﷺ بعض شباب الصحابة في بعض المهام الحربية، وفي غيرها أيضا.

أما من فوق الثلاثين (الكهول) فهم أصحاب الحل والعقد وإدارة المجتمع، كل في تخصصه، وما أهّل نفسه له سابقا، وهم أصحاب المسؤولية الأولى في إدارة المجتمع والدفاع عنه، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة، والنصح بعضهم لبعض بما يعود على الأمة بالخير، آخذين بعين الاعتبار دائما عقائد الأمة وخصائصها وتاريخها وتطلعاتها وإمكاناتها.

وأما الشيوخ، الذين تجاوزوا الستين من العمر، فما عليهم إلا أن يثقوا بالكهول، ويرتاحوا من مهمات إدارة المجتمع، ولا بأس بأن يشيروا بين الفينة والفينة على الكهول من خبراتهم السابقة بأشياء تتعلق في إدارة أعمال المجتمع، ولكن بحكمة وموعظة حسنة، دون قسوة أو أمر أو نهي، وعلى الشباب والكهول في هذه الحال أن يستمعوا إلى نصح الشيوخ ذوي الخبرات السابقة، ويستفيدوا منهم ما استطاعوا، ويقوموا بتوقير الشيوخ وخدمتهم وتأمين متطلبات حياتهم، على قدر الطاقة والإمكان.

فإذا ما أخذ الجميع بهذا الاقتراح عن قناعة وفهم، ووثقوا بصلاحيته لبناء المجتمع، واستطاعوا تطبيقه، ولو جزئيا، شيئا فشيئا، فأرجو أن يتحول المجتمع بذلك من مجتمع فوضوي متقاتل، إلى مجتمع متلائم متحاب ومتعاون.

وهذا كله في حق المجموع وليس في حق الجميع، فهناك من الصغار ما يعدل الأكبر منه أو يزيد عليه، ومن الكبار من لا يزيد عقله عن أصغر الناس، ومن الكبار من يزيد عطاؤه مهما كبر، وفي هذه الأحوال يعطى كل ذي حق حقه دون زيادة أو نقص.

والله تعالى من وراء القصد، وهو أعز وأعلم.

أ. د. أحمد الحجي الكردي

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية
فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
ترتيب نزول السور وموقف الطاهر بن عاشور منه - جمع ودراسة
د. شافي سلطان محمد العجمي
مفردة (مثل) في القرآن الكريم، دراسة تطبيقية لعلم الوجوه والنظائر
د. يوسف مرزوق الضاوي
ضوابط كتابة القرآن وتطبيقاتها المعاصرة في الميزان
ضوابط المكتوب به (المداد والأداة)
د. علي ذريان فارس الجعفري العنزي
تمويل العجز في الموازنة العامة بالقرض العام
دراسة فقهية أصولية
د. نجم الدين قادر الزنكي
تأثير الألعاب الإلكترونية في التكوين العقدي لدى الناشئة
د. عبدالله عوض العجمي
معالم إسلامية المعرفة عند أ.د. جعفر شيخ إدريس
الباحث/ ضاري عثمان الزهامل
آداب الضيافة
دراسة تطبيقية على قصة ضيف إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم
د. مريم نافل الدويلة
مفاتيح السرور والسعادة في ضوء سورة الشرح
د. عبدالرحمن يتيم الفضلي
تنوع الإعراب النحوي وأثره في فهم النص النبوي
د. سعد فجحان الدوسري
إزالة شعر المرأة غير المرغوب بالليزر دراسة فقهية مقارنة
د. إيمان يوسف المرزوق
محل رهن الأسهم بين الشريعة والقانون
د. أحمد معجب العنيبي
المصلحة المرسلة: دراسة في نشأة المصطلح وتطور المفهوم
د. نعمان جغيم
ثمن النسخة ٧٥٠ فلساً
جامعة الكويت
مجلس النشر العلمي
1966
ISSN: 1029-8908
العدد ١٠٨ - السنة ٣٢
جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - مارس ٢٠١٧م
العدد: مائة وثمانية - السنة: الثانية والثلاثون - جمادى الآخرة ١٤٣٨هـ - مارس ٢٠١٧م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة
AL-Waei AL-islami

العدد (٦٢٦) شوال ١٤٣٨ هـ - يونيو-يوليو ٢٠١٧ م

الشخصية الإسلامية التي نريد

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

هدية العدد: ذخائر الوعي الإسلامي (١٥)

هدية العدد: بوستر تدبر القرآن

- الفرح في العيد
- مراعاة الآخرين في السنة
- آداب الاختلاف

مجلة الوعي الإسلامي
www.alwaei.gov.kw
info@alwaei.com
موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا

الافتتاحية

الشخصية الإسلامية ومقوماتها

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وشرَّفنا باتباع خير الأنام، وهدانا للإيمان: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (الأعراف:٤٣).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا مانع لعطائه، ولا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الإسلام بتشريعاته وأحكامه يقصد إلى رفعة الإنسان وكرامته، ويهدف إلى النهوض بالبشرية وإسعادها وإعزازها؛ لذا حرص على إبراز شخصية المسلم، والأخذ بمقوماتها الإسلامية الأصيلة.

وبقدر تمسك الأمة بشخصيتها الملتزمة؛ بقدر ما تضمن مقومات حضارتها وأسباب عزتها وكرامتها، وبقدر تخليها عن مبادئ أصالتها، وقيم عراقتها؛ تتخلى عن عوامل نهضتها، وأسرار أمنها وقوتها ونصرتها.

ولقد جاء منهج ديننا مُحكَما في تحديد معالم شخصية المسلم؛ فرسم ملامحها، وأثبت دعائمها، وأرسى قواعدها؛ فعزت بعد ذل، واغتنت بعد فقر، وانتصرت بعد هزيمة، وقويت بعد ضعف.

وهكذا يريد الإسلام من أبنائه أن يعتزوا بدينهم، ويتمسكوا بمبادئهم، ويثبتوا شخصيتهم أمام المتغيرات؛ فهناك مقومات مهمة، تقوم عليها الشخصية الإسلامية، وتتميز بها عن غيرها:

أولها: التميز في العقيدة؛ فيستقي المسلم عقيدته الصافية من الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة، ولا يتخذ إماما غير القرآن، ولا هاديا غير النبي ﷺ القائل: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (البخاري:٨٦٧).

ثانيها: التميز في العبادة، وأداء الشعائر؛ فيؤديها المسلم من غير زيادة ولا نقصان، لا يشغله عنها شاغل، ولا يصرفه عنها صارف.

ثالثها: التميز في الفكر والتصور؛ فالمسلم يسير في أفكاره وتصوراته على ما يوافق الشرع المطهر؛ ففكره سليم، وتصوره متنزه عن كل فكر فاسد، ونظر مشوب.

رابعها: التميز في الأخلاق والسلوك، وهو متمثل بالقدوة الصالحة، في الأخلاق الفاضلة، والمعاملات الحسنة، والسجايا الكريمة؛ فبالسماحة ترقى الأخلاق، وبالصدق تستمر، وبالحياء تبقى، ورحم الله القائل:

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقي اللِّحاء

فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

وليست شخصية المسلم في وفرة المال وربح التجارة، وعالي الشهادة، وفخر النسب، بل بقدر سيره على تعاليم دينه، وبناء نفسه وأسرته على ذلك؛ فيقدم لأمته الخير الذي تريده، والصلاح الذي تنشده.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

رئيس التحرير

الدكتور صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٦ | شوال ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
يونيو - يوليو ٢٠١٧م

رئيس التحرير
د. صالح سالم النهام

مدير التحرير
فهد محمد الخزّي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
علاء الدين عبدالفتاح
تركي محمد النصر
هداية الله نثار أحمد

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥-٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

حساسية النقد

الناقد – كما ورد في معاجم اللغة – هو من يعطي حكما على مزايا أو عيوب أو قيمة، أو صحة أمر ما وهو من يظهر صفات عمل ما من جودة ورداءة، وقديما كان يطلق على من يميز الدراهم جيدها من رديئها «ناقد». ومن هنا ندرك أهمية هذه الوظيفة في حياتنا، وظيفة لا غنى لتقدم المجتمعات بدونها؛ إن صلحت النوايا وصفت القلوب ووضعت المنقودات على طاولة التشريح العلمي لا العاطفي.

إن الإسلام لم يفصل – كما هي حالته دوما – النقد عن الجانب العملي في حياة الإنسان، كما لم يهمل الجانب العاطفي، وفي حين وردت القصص والأخبار عن سهام نقد لاذعة وجهها أعراب إلى مواقف عامة. وردت أيضا الأخبار عن النصائح الخفية اللينة التي لا تفضح سلوكا شخصيا أمام الملأ.. وبين هذا وذاك نتوسط فلا نسمح للأخطاء أن تستمر ولا نسمح للضغائن أن تنتشر.. نحافظ على علاقاتنا طيبة ولا نقترب من حدود الظلم للنفس أو للغير.

من الناس من يترك النقد جلبا لراحة البال وظنا بأنه لن يفقد الأصدقاء طالما لم ينبه لأخطاء وقعوا فيها.. وهذا محض وهم. فالصديق من صدقك والصديق يتوقع منك عندما يصْدُقك ألا تتحسس من نقده أيضا.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. مولاي المصطفى البرجاوي
باحث في علوم التربية

ركائز التنمية في الإسلام

التنمية مفهوم شامل ومركب لجوانب عديدة: دينية واقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية وأخلاقية. إذ لا يقتصر مفهوم التنمية على زيادة دخل الفرد، فهذه الزيادة قد لا تضمن تحسين المستوى الصحي أو الثقافي أو التعليمي أو الأخلاقي أو المحيط البيئي للأفراد. كما لا تضمن المزيد من العدالة. كل هذه العوامل تمثل لبنات بناء التنمية وتحقيقها، ولا يمكن منح هذه الأشياء للأفراد كمعونة أو هبة، وإنما يجب أن تتاح لهم الفرصة أن يتعلموا كيفية تحقيقها، فالمثل الصيني يؤيد ذلك «لا تعطني سمكة ولكن علمني كيف أصطاد»، فالتنمية لا تعني تغذية الضعفاء وإنما كيفية جعلهم أقوياء.

إن نظرة الإسلام إلى الإنسان تختلف عن نظرة الأنظمة الوضعية، فبعض الأنظمة ترى في الإنسان عبئا ثقيلا، وترى في كل مولود جديد ضيفا غير مرغوب فيه، ترى فيه فما جديدا يضاف إلى الأفواه التي تطالب بالطعام، هذا هو الإنسان في ظل بعض الأنظمة. أما في ظل الإسلام، فالإنسان هو قوة حيوية ونشاط متوقد. فالقرآن الكريم يرى في الإنسان أقوى مخلوق على سطح الكرة الأرضية، ويرى فيه سر التقدم في الدنيا: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ (النجم:٣٩-٤١). فالرزق مضمون من الله، والسعي لتحصيله مرتبط بالإنسان:

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجى
هلكن إذن من جهلهن البهائم!

وضمان الرزق من الله لا يعني التواكل والقعود عن طلبه، وإنما هو وعد وضمان من الله للإنسان أنه إذا تحرك يتحقق المطلوب؛ جعل عبادة وتكليفا شرعيا في الرؤية الإسلامية (١)، وفق العدل الذي حذر ديننا الحنيف من مغبة التفريط فيه!

لهذا فمن أهم الركائز الأساسية لتحقيق التنمية في ربوع العالم الإسلامي ما يلي:

- الالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية: باعتبارها المنهج الشامل للحياة الذي ينظم السلوك الإنساني، علما وعملا وخلقا، ويوضح الحقوق والواجبات التي تمس المجتمع على مستوى الفرد والجماعة.
- الإيمان والتقوى: فليضحك العصاة بملء أفواههم، فإن الإيمان والتقوى من أعظم الأسباب لحل المشكلة السكانية. كيف ذلك؟ اسمع إلى الحق سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦).
- الاستغفار: يقول الحق سبحانه حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ﴾ (نوح:١٠-١٢).
- الاستغلال الأمثل للموارد بالعدالة في التوزيع، وبكسر الحاجز الجغرافي والنفسي الذي وضعه الاستعمار بين شعوب العالم الإسلامي؛ لتكون خطوة أولى على طريق التكافل والتكامل، لاسيما ونحن نعيش الآن عصرا يسمى بعصر التكتلات.
- دور الزكاة في التنمية: تعد الزكاة إحدى الأدوات لتحقيق الضمان الاجتماعي، وفي العصور الإسلامية الماضية كانت الزكاة ببيت المال مسؤولية الدولة لتوزع بالعدل ولسد الاحتياجات الأساسية للفقراء وتوفر لهم وسائل للعمل وكسب العيش. فهي أول مؤسسة للضمان الاجتماعي، وهي كذلك من أهم أدوات الحفاظ على المجتمع وإقامة العدالة الاجتماعية وتقليل الفجوات بين

الأغنياء والفقراء.

وقد نجحت الزكاة في تحقيق دورها بصورة رائعة في عصري عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز. ومن الملاحظ أن دور الزكاة لم يكن يقتصر على توزيعها على الفقراء فقط، إنما كانت تستخدم في بدء مشاريع للفقراء، مما يجعلها وسيلة مهمة لخلق فرص عمل. وبالتالي، فإن للزكاة دورا حيويا يجب أن يستغل استغلالا سليما لحل العديد من المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع في الوقت الحالي مثل مشكلة البطالة، والفقر، والديون، والفجوة الاقتصادية الفاحشة.

● إعداد الإنسان من أجل الإعمار والتنمية: جاء الإسلام من أجل سعادة الإنسان وحياته الكريمة لا في الآخرة وحدها بل في الدنيا قبل ذلك، ولذا فإن مما يهدف إليه الدين هو دفع الإنسان لكي يجعل من إيمانه واعتقاده منطلقا نحو سعيه في الحياة وبنائه لها وفق قواعد وأسس سليمة تقوم على الفضائل والأخلاق والمساواة والعدالة، والعمل الذي يعمر الأرض، وينتج الطيبات ويحقق الحياة الكريمة للإنسان، بل من أجمل ما قرأت حديث عجيب لن تعثر عليه في قواميس الاقتصاد والخبرة الدولية بل من وحي السماء؛ يقول الحبيب المصطفى ﷺ: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها؛ فليغرسها، وله بذلك أجر» (متفق عليه)، وبالتالي من سعى في الأرض واجتهد، نال جزاءه في الدنيا والآخرة وعم عليه الرخاء، ومن امتنع عن السعي والعمل، فليس من حقه أن يلوم الفقر والتخلف، بل يلوم نفسه أولا. وروى البخاري عن الزبير بن العوام أن النبي ﷺ قال: «لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره، فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه»، كما دعا الإسلام إلى تعمير الأرض والاستفادة من خيراتها يقول تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (هود:٦١)، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «استعمركم فيها أي جعلكم عمارا تعمرونها وتستغلونها» (٣).

وقال القرطبي: أي جعلكم عمارا للأرض، وليس هناك أدق من مفهوم التعمير للتعبير عن التنمية في مفهومها الإسلامي، إذ ليس المقصود من ذلك هو التعمير المادي الحسي، بل التعمير بمعنى التطوير والتنمية، وقد ذهب الفقهاء إلى أن التعمير أو التنمية بالمفهوم الدقيق واجب على كل مسلم، كما يشير إلى ذلك القرطبي في تفسيره لهذه الآية (٤).

والأمثلة على تأثير الاستثمار البشري في تحقيق التقدم والنمو الاقتصادي والاجتماعي متعددة، فنجد دولا قد حققت معدلات عالية للنمو الاقتصادي واستطاعت أن تتخطى حاجز التخلف وتتبوأ مكانة متقدمة بين دول العالم ارتكازا على ما لديها من موارد بشرية حرصت على تأهيلها وتنمية مهاراتها وقدراتها، كما أن ما يشهده العالم الآن من تطور علمي كبير، خصوصا في تكنولوجيا المعلومات المرتبطة باستخدامات الحاسب الآلي والاتصالات والإلكترونيات، يرجع إلى ما تم تأهيله من قدرات ومهارات عالية المستوى لأفراد من العنصر البشري. وتظل البطالة إحدى أبرز المشكلات العصيبة التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم. إنها إحدى الثمار المرة للتنمية الاقتصادية على الأصول الفكرية الغربية. البطالة ذلك الشبح الذي يهيمن ويدمر طاقات الشباب وقوتهم.

● التعليم ودوره في التنمية: وإذا كان الإسلام يجعل من التنمية واجبا على المسلمين، فإن رؤيته للتعليم لا تقل عن ذلك، بل يعتبر الدين الإسلامي أحد العناصر المؤثرة في التعليم، حيث اهتم الإسلام بالتعليم والتعلم وحض عليه.. يقول جوستاف لوبون في كتابه «حضارة العرب»: «إن فلاسفة العرب والمسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين» (٥). ولننظر حاليا إلى الدول التي اهتمت بالتعليم وشجعت مراكز البحث فيه لنعرف ما وصلت إليه، حيث كانت غارقة في التخلف، وحولها الاهتمام بالتعليم كقطب رحى إلى نموذج البلدان الصناعية الجديدة، ولا تنس أخي القارئ أن تلقي نظرة عكسية إلى بعض البلدان العربية التي صنفتها التقارير الدولية في ذيل القائمة، بسبب غضها الطرف عن هذا المجال الحيوي!

● التخطيط عملية مهمة في التنمية: ويعتبر تعلم التخطيط، الذي هو عماد الدراسات المؤسسة للتنمية، من المعارف التي حث الإسلام على تعلمها، فقد كان سمة الحياة الإسلامية، سواء كانت وقت السلم أو الحرب، بل هو سمة الرسالات السماوية في كل عهد، ولعل خطط رسول الله ﷺ في الدعوة الإسلامية وبناء الدولة مثال ناصع، والأولى الاقتداء بدل الجري وراء سراب النظريات التي أذبلتها عوادي الأيام!

فالموارد البشرية تعد من المقاييس الأساسية التي تقاس بها ثروة الأمم؛ باعتبار أن هذه الموارد على رأس المكونات الرأسمالية والأصول المؤثرة في الوضع الاقتصادي والاجتماعي للدول، حيث أصبح العنصر البشري ودرجة كفاءته هو العامل الحاسم لتحقيق التقدم.

خلاصة: المفهوم الإسلامي للتنمية له خصائص الشمولية والتوازن والعدالة، بحيث يشمل الجوانب المادية والروحية معا، ويلبي حاجة الفرد والجماعة في تناسق تام وتناغم وتعاون بين أفراد المجتمع.

الهوامش

١- أحمد ماهر البقري، الزكاة ودورها في التنمية، دار الدعوة، الإسكندرية، ط ٢، ١٩٨٥م، ص ٢١.

٢- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢، ص٤٥٠.

٣- انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١، ص٦٥.

٤- أثر المسلمين في الحضارة الأوروبية، أحمد علي الملا، ص١١٧.

أ.د. مجاهد بخيت
الجامعة الإسلامية
الماليزية (UIM)

الشجرة الباسقة المعمرة غزل وتسبيح

الغزل يكون بالذوات ممن تعلق بهن القلوب وتصوب نحوهن سهام النظر، ومن أبرز أغراض الشعراء: الغزل منذ العصر الجاهلي وإلى يومنا هذا، حتى إنه صار لأهميته في عرف النقاد من عمود الشعر في القصيدة العربية، بل صار حسن الاستهلال بالتشبيب والغزل من معايير الجودة للقصيدة العربية، وإذا كان ذلك يمثل تجربة واقعية عند بعض الشعراء، فإنه عند بعضهم يكون رمزيا كما قيل عن مطلع قصيدة لامية كعب بن زهير.

ويصرف البعض النظر ويكبح جماح النفس، ويأبى ويترفع عما يكون بعد النظر، فيستهل قصيده بضرب آخر من الغزل، ليس بالبيض بل بمطلب رفيع أعظم من ذلك كما عبر عن ذلك الشاعر الإسلامي الكميت.

وهناك من يتغزل بغير الذوات فيجعله غايته ومطلبه وديدنه وهِجِّيرَاه... ويعيش في تجربة شعرية لا تقل عن تجربة الغزل إثارة وضراوة، فتحفل القصيدة أو النص الأدبي النثري بالقيم الجمالية شعورا وعاطفة وصورا وخيالا، ويصوغ تجربته صياغة بارعة ويسوقها سياقا حافلا بالقيم الجمالية.

وقد كان هذا «الغير» شجرة ذات منظر ومخبر تملأ العين زهوا وجمالا، وتغذي القلب عاطفة وتسمو بالعقل خيالا، وأنى له ذلك؟ هل لعظم هذه الشجرة وضخامتها، وعراقتها وقدمها أو لدوحتها الباسقة ورفيف ظلها؟ إنه الجلال والجمال معا؟!

يقول عز الدين المناصرة: «للشجرة هوية وللكتاب هوية، لكن ثمة علاقة جدلية بينهما فالكتاب ابن الشجرة» (١). وإن تكررت كلمة «اقرأ» مرتين مع نزول أول وحي من السماء، فقد أقسم تعالى بالقلم أداة الكتابة، وجعل الرسول محمد ﷺ ثمن الحرية في تعليم القراءة والكتابة (٢).

فهذا شأن القراءة والكتابة وشأن العلم في الإسلام، ومن هوية القلم والكتاب أنهما من الشجرة.

ما أجملك! وما أبهاك! وما أحلاك! (٣). وما أعظم ساقك وأغلظها! لا جرم فأنت شجرة غلباء (٤).

وما أشد قصرتك (٥)، وأعمق أرومتك (٦)!

وما أكبر أغصانك وفروعك، وأدق شماليلك (٧)!

فأنت الربوض (٨) الهيكلة (٩) المعرق (١٠).

وأنت العادية العدملة العدولية (١١).

ما أكثر تشعب فننك وتشابكها،

وأقربها تداخلا واعتناقا، فأنت شجرة شعواء (١٢).

ما أقرب دنوك وصلتك بالأرض، وأشد حنوك على المستظل بك «حنو المرضعات على الفطيم» (١٣).

أكرم بها وأنعم من شجرة باسقة ذات ظلال فينانة.

أنعم بها وأكرم من دوحة محلال (١٤) ذات ظل وارف طويل.

ما أجمل حلتك البهية وثوبك القشيب!

إن كانت الشجرة ترجى للثمر فأنت قبل ذلك وبعده للظلال.

وكأن ظلك أعظم ثمرة في رمضاء الحر وحمارة القيظ!

وأنت على قارعة الطريق للصاعد والنازل من الشام إلى الحجاز.

وأنت محطة للغادي والرائح على طريق القوافل كالمنار في الليل المظلم، وكالفنار في البحر المتلاطم، وكالنجم في السماء، ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾ (النحل:١٦).

وأنت في وحدتك وتفردك علامة مضيئة على الطريق.

أأنت وحيدة غريبة؟! لا فلست في غربة مادام الناس يأنسون بك..

تشرئب نحوك الأعناق، وتشخص إليك الأبصار، وتلتفت نحوك أحداق العيون.

تتجه نحوك الأنظار من بعيد، قبل الوصول، ولا تبغي عنك الفراق بعد.

لقد مرت بك عصور ودهور، وأزمنة متوالية وآماد بعيدة، وأنت تزدادين بهاء وسناء.. ومازلت تتمتعين بشبابك وفتائك في إيراقك المستمر واخضرارك الدائم، وإن كان جذعك يزداد قوة ومتانة مع تقدم العمر والسنين فهو يزيد من نضارتك وإشراقك.

أتعرفين كم بلغت سنك، وما عدد سنوات عمرك؟ لقد جاوزت الألف (١٥)!

أنت شجرة طيبة تضربين بجذورك في باطن الأرض بأصل ثابت وفرع في السماء (١٦).

أتتذكرين من مر بك ووقف عندك؟ كم من العلماء والصالحين منحتهم فرصة الاستراحة تحت أغصانك، وحميتهم من هاجرة القيظ، وحرارة الصيف؟!

أتذكرين من مر بك ووقف عندك مستلهما ومستذكرا؟!

هذه الدنيا تدور، وظلام ثم نور.. ورحى الأيام تدور!

لله أنت من زرعك وسقاك، ومن رعاك وحفظك، ومد ظلك.

ولله أنت من فرع أغصانك ونوعها وشكلها وصنفها؟!

وقد صدق من نظر إليك متأملا فقال:

انظر لتلك الشجرة ذات الغصون النضرة
كيف نمت من حبة وكيف صارت شجرتي

ثم أجاب بعد إنعام النظر والتدبر قائلا:

ذاك هو الله الذي أنعمه منهمرة
ذو حكمة بالغة وقدرة مقتدرة (١٧)

الهوامش

١- النقد الثقافي المقارن، المقدمة ص ٥، ط دار مجدلاوي، الأردن ٢٠٠٥م.

٢- الإشارة لسورتي العلق والقلم، وإطلاق أسرى بدر بتعليم الأسير لعشرة من أبناء المسلمين.

٣- تقع الشجرة في منطقة الباقوعية (الصفاوي) على طريق الأردن إلى العراق على بعد ٢١٥ كم عن عمان، و١١٢ كم من الزرقاء، وعلى بعد ١٢ كم من الطريق الرئيس.

٤- إذا غلظت الشجرة ومنه قوله تعالى: ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ ﴾ (عبس:٣٠).

٥- القصرة: الأصل الذي يلي الأرض، والجمع قصر، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ٣٢ ﴾ (المرسلات:٣٢).

٦- الأرومة: أصل كل شجرة، في معجم مقاييس اللغة.

٧- الشماليل: والشماليل ما تفرق من شعب الأغصان في رؤوسها كشماريخ العذق، في لسان العرب.

٨- الربوض الهيكلة: صفتان للشجرة العظيمة، في لسان العرب الربوض الشجرة العظيمة، وفي الصحاح: وشجرة ربوض، أي عظيمة غليظة.

٩- الهيكل: في لسان العرب النبت الذي طال وعظم وبلغ وكذلك الشجر، واحدته هيكلة.

١٠- معرق أي عريق النسب أصيل، في لسان العرب. ويقال: أعرقت الشجرة، إذا ضربت عروقها فامتدت في الأرض، في معجم مقاييس اللغة.

١١- صفات للقديم من الشجر. العدمل في القاموس المحيط: كل مسن قديم، والضخم القديم من الشجر ومن الضباب. وشجر عدولي: قديم، واحدته عدولية؛ في لسان العرب.

١٢- شجرة شعواء: منتشرة الأغصان، في لسان العرب والقاموس المحيط.

١٣- مقتبس من قول أحمد يوسف المنازي ت ٤٣٧هـ:

نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم

الوافي ٣/ ١٢٤.

١٤- من صيغ التفضيل، لكثرة الحلول بها كالتلعة المحلال.

١٥- هذا إذا كان ثابتا ما ورد في كتب السيرة عنها، لكن اختبارات وزارة الزراعة تشير إلى أن عمر الشجرة بحدود ٥٢٠ سنة على أبعد تقدير راجع مقال: شجرة البقيعاوية لهاني العزيزي شبكة النت ١٠/٥/ ٢٠٠٩م. ورغم السنين لكنها لاتزال تتمتع بخضرتها ورونقها وجمالها، لا أثر للحياة حولها، تعيش وحيدة شامخة وسط صحراء مترامية الأطراف مخضرة أيام الربيع حيث لا خضرة سواها.

١٦- مقتبس من قوله تعالى: ﴿ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ ﴾ (إبراهيم:٢٤).

١٧- تنسب الأبيات للشاعر معروف الرصافي وليست في ديوانه بطبعاته المختلفة، لكن الأرجح أن تكون ضمن كتابه: الأناشيد المدرسية الذي صدر بالقدس عام ١٩٢١م.

القاهرة – عبدالله شريف
تصوير – رمضان إبراهيم
دار الإعلام العربية

كوّنه الأزهر وصقلته دار العلوم

الدكتور: محمد الدّسوقي.. رحلة عطاء لا تنضب

خصّ الدكتور محمد الدسوقي، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، مجلةَ «الوعي الإسلامي» بملامح من مسيرة حياته ورحلة عطائه، على الرغم من الظروف الصحية الصعبة التي يمر بها، موضحا أن علاقته بالمجلة بدأت قبل خمسين عاما وبالتحديد منذ العدد التاسع، وفيه كانت أولى مقالاته تحت عنوان: «حديث الصيام في القرآن الكريم» لتتتابع كتاباته فيها حتى بلغت نحو (١٠٠) مقالة.

مزيد من التفاصيل في سياق السطور التالية:

«بدأت رحلتي مع الحياة في إحدى قرى محافظة الدقهلية بدلتا مصر، وتحديدا في ٢٥ أكتوبر ١٩٣٤م، اليوم الذي ولدت فيه». بهذه الكلمات بدأ الدكتور محمد الدسوقي حديثه، موضحا أنه نشأ في أسرة متوسطة في بيئة ريفية متواضعة، وكانت الأسرة تضم أربعة إخوة يعملون في الزراعة، سوى أخ لهم كان حافظا للقرآن، ويجيد القراءة والكتابة، وأحد القضاة الذين يشاركون في التحكيم العرفي، وكان أفراد الأسرة معنيين بتوسيع ملكيتهم الزراعية عاما بعد عام حتى بلغت نحو (٤٠) فدّانا.

وأضاف: «في هذا المناخ الأسري الريفي، نشأت مُحبًا للعلم والقراءة، فحفظت القرآن الكريم في سن ثماني سنوات في كُتّاب قريتي، والتحقت في بداية مسيرتي العلمية كطالب بأحد معاهد الأزهر الشريف، وتحديدا في معهد طنطا، ومكثت به خمس سنوات، ثم انتقلت إلى معهد المنصورة؛ لأنه الأقرب إلى قريتي».

بين الخط والإنشاء

توقف لحظة ليلتقط أنفاسه ولاحت ابتسامة واهنة على شفتيه وهو يتذكر: «كنت أهتم كثيرا بالخط العربي، حتى من قبل أن ألتحق بالدراسة في معهد طنطا، وكنت شغوفا بالخط الحسن وأعتبره من أساسيات طالب العلم، حينها كان من يرسب في مادة واحدة في السنة الأولى والثانية؛ يعيد دراسة العام كله، وحصلت على درجات جيدة في جميع المواد باستثناء مادة واحدة فقط وهي «الإنشاء» فتنبهت حينها إلى ضرورة أن أكون قويا في «التعبير/الإنشاء»، وطبعا هذا تطلب مني قدرا أكبر من القراءة في شتى المجالات خاصة الإسلامية والثقافية، وقرأت الكثير من المؤلفات، وبدأت أصعد المنبر لخطبة الجمعة منذ الصف الثالث الابتدائي، وهذا ما جعلني أسلك الاتجاه الإسلامي، ولذلك لم أفكر سوى في الشريعة حينما التحقت بعد ذلك بكلية دار العلوم».

وتابع: «كنت أقضي أكثر ساعات اليوم في القراءة داخل معهد طنطا، وقبلها أيضا، حتى أنني حفظت في سن مبكرة كل كتب التراث الفقهي، وبدأت أولى تجاربي في الكتابة منذ كنت تلميذا في الصف الرابع الابتدائي لكن لم تُتَح لي وقتها فرصة النشر، وحصلت على الشهادة الابتدائية من التعليم العام والأزهري معًا، كذلك الثانوية الأزهرية، والعامة في الوقت

نفسه، وبدأت منذ الصف الأول الثانوي التفكير في طموحي العلمي كي أصبح دكتورا، وفي تلك المرحلة نشرت كتاب «عصارة خاطر» ووزعته حينها.

في دار العلوم

وأوضح أنه بعد انتهائه من الدراسة الثانوية بشقيها الأزهري والعام، فضّل الالتحاق بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، عن الالتحاق بجامعة الأزهر؛ لما لمسه في الأولى من آفاق أكثر سعة، وأضاف: دخلت كلية دار العلوم من خلال اختبار، وحصلت على المركز الأول في العام الأول والثاني، ثم المركز الثاني في العام الثالث، وحينها كتبت الكثير من المقالات، أذكر منها مقالة عن «البارودي الشاعر البطل»، وكذلك «مقالات عن الإصلاح»، «والإسلام رسالة البشرية».

وتابع: «وفقني الله في النقل من العام الثالث إلى العام الرابع، وحصلت على المرتبة الثانية على الدفعة، وتخرجت في كلية دار العلوم سنة ١٩٥٩م، وتم صرف مكافأة لي قدرها أربعة جنيهات مصرية اشتريت بها مجموعة كبيرة من الكتب، وعقب انتهائي من القراءة، تزايدت كتاباتي في عديد من المجلات آنذاك ومنها مجلة «الرسالة» وكانت أولى مقالاتي فيها بعنوان: «طهروا الأزهر من الحزبية»، وقبلت المجلة نشره، ولم تعترض عليه، أيضا كانت توجد صحيفة تسمى «منبر الشرق» كتبت فيها كثيرا.

مع العميد

وأضاف الدكتور الدسوقي: «بعد تخرجي عملت محرّرا علميًا بمجمع اللغة العربية، كان رئيس المجمع وقتها الدكتور: طه حسين، وفي أحد الأيام أخبرني مدير المجمع بأن الدكتور طه يريد مرافقا له؛ لأن سكرتيره سيتزوج،

نشرت أول مقالاتي في «الوعي الإسلامي» في العدد التاسع بعنوان: «حديث الصيام في القرآن الكريم»

فوجدتها فرصة طيبة للاقتراب من عالَمه وفكره، وفي أول لقاء لي مع عميد الأدب العربي سألني سؤالا واحدا هو: «في أي كلية تخرجت؟»، فأجبته بثقة: «في دار العلوم»، وعلى الفور طلب من مدير المجمع إعطائي إجازة لأبدأ العمل معه، والذي استمر من عام ١٩٦٤م إلى ١٩٧٢م، أي قبل وفاته بعام واحد».

وتابع: مكثت في مجمع اللغة العربية نحو عشر سنوات حصلت خلالها على درجتَي الماجستير، والدكتوراه من قسم الشريعة بكلية دار العلوم، لتبدأ بعدها رحلتي مع التدريس الجامعي، والفكر الإسلامي على مدى نصف قرن شاركت خلاله في أكثر من (٣٠) مؤتمرا وندوة علمية على مستوى العالم الإسلامي، ونشرت نحو (٤٠) بحثا في حوليات جامعية محكمة، ونحو (٤٠) مؤلَّفا في الدراسات الإسلامية، كما نشرت نحو (١٠٠) مقالة على مدى سنوات في مجلة «الوعي الإسلامي».

وراء مهارات التفكير

وعن سر اختياره قسم الشريعة عقب تخرجه في كلية دار العلوم دون غيره من الأقسام الأخرى أوضح قائلا: «بسبب أن الأزهر كان يضيق ببعض الأفكار، ومنها أن الشيوخ كانوا يريدون إعطاءنا مواد كثيرة دون أن يتيحوا لنا فرصة للتفكير في شيء، بينما كان الأمر في كلية دار العلوم مختلفا، فكان توجهنا نحو التفكير، وأذكر أنه كانت توجد مادة بحث تمكن الطلاب من تنمية مهاراتهم في التفكير العقلي والعلمي.

كوفئت على تفوقي في دار العلوم بـ(٤) جنيهات أنفقتها في شراء الكتب

وعمّا استفاده من دراسته الأولية في الأزهر الشريف أوضح قائلا: أذكر في هذا الصدد كلمة للدكتور محمد يوسف موسى حول دراستي في الأزهر، حيث قال عني: «كونه الأزهر ثم صقلته دار العلوم».

وبالفعل الأزهر ملأ عقلي بأفكار كثيرة ومعلومات جمّة، لكن لم نحسن آنذاك استخدامها كما يجب أن يكون، لكن حينما دخلت كلية دار العلوم وجدت الطريقة مختلفة، حيث كان الأساتذة يشاركوننا في الشرح، وأذكر أن أحد الأساتذة طلب مني أن ألقي درسا في السنة الثانية، وجلس هو في صفوف الطلاب، فضلا عن مادة البحث التي ساعدتني على أن أتعلم كيف أكتب بحثا جامعيًا، وساعدنا على ذلك الدكتور أحمد شلبي، الذي كان له مؤلفات حول الكتابة البحثية.

وأكد: هذا الأمر دفعني بعد ذلك إلى تأليف كتاب «منهج البحث في العلوم الإسلامية»، وبدأت كتابته حينما كنت مدرِّسا في جامعة طرابلس، وعهد إليّ حينها بتدريس الدراسات العليا، وكانت المادة التي تدرس للطلاب غير كافية وليس بها الروح الإسلامية، وكثير منها مترجم من المناهج الغربية، ومن ثم عمدت إلى تغييرها بما يتوافق مع الهوية العربية الإسلامية ».

التحرير

ضمن مشروع مجالس قراءة وسماع الصحاح والسنن والمسانيد:

الشؤون الفنية بالأوقاف الكويتية أنجزت شرح الجزء الرابع من صحيح مسلم

الشرح جاء بالإسناد المتصل إلى الإمام مسلم بن الحجاج.

مجلس القراءة والسماع في إحدى جلساته

نظم مكتب الشؤون الفنية بقطاع المساجد في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مشروع مجلس قراءة وسماع وشرح الجزء الرابع من صحيح الإمام مسلم ضمن سلسلة مشروع مجالس قراءة وسماع وشرح الصحاح والسنن والمسانيد.

انطلقت فعاليات المشروع في القاعة الكبرى بمبنى تدريب الأئمة والمؤذنين بقطاع المساجد بالرقعي خلال الفترة المسائية من السبت (١٣) مايو وحتى الخميس (١٨) مايو.

كان الوقار باديًا على الحضور الذين انقسموا إلى: فريق الشارحين والقراء يتقدمهم العلامة الدكتور سعد بن عبدالله بن عبدالعزيز الحميد من المملكة العربية السعودية، والعلامة المسند الشيخ إبراهيم بن يوسف الشيخ سيدي من جمهورية موريتانيا، وفريق المتابعين بالنظر إلى صحيح

سالم العنزي

الإمام مسلم من مختلف الأعمار، حتى لوحظ وجود نفر غير قليل من الشباب الدارسين وسط الأئمة وكبار السن.

مدير مكتب الشؤون الفنية بقطاع المساجد سالم عيادة العنزي صرح بأن عقد المجلس أتى برعاية كريمة من د. وليد عيسى الشعيب الوكيل المساعد لشؤون المساجد. وأن ذلك يأتي انطلاقا من رؤية الوزارة المتمثلة في الريادة عالميا في العمل الإسلامي وتلبية لرغبة الكثير من محبي سماع الحديث النبوي الشريف والسنة النبوية المطهرة، وطلاب العلم

سالم العنزي: هدف المجلس إحياء سنة النبي ﷺ قولا وعملا.

والمهتمين بدراسة الحديث وكذا تحقيقا لرسالة الوزارة في العناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية، لافتا إلى أن مجالس قراءة وسماع وشرح كتب السنة من الأمور التي من شأنها إحياء سنة النبي ﷺ قولا وعملا، وهو أمر لا ينفصل عن الدور التوجيهي لقطاع المساجد داخل المجتمع.

وأضاف العنزي بأن هذا المجلس يأتي ضمن سلسلة مجالس قراءة وسماع الصحاح والسنن والمسانيد، والذي سيخصص هذه المرة لقراءة وسماع وشرح الجزء الرابع من «صحيح مسلم»، بالإسناد المتصل إلى مؤلفه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري رحمه الله، على الشيخين الفاضلين.

وكان التسجيل للراغبين في المشاركة في المجلس قد بدأ من يوم الأربعاء الموافق (٢٦) أبريل، واستمر حتى الثلاثاء الموافق (٩) مايو، بشكل تقني غاية في التيسير كما هي عادة مكتب الشؤون الفنية بقطاع المساجد، وذلك فقط من خلال إرسال صورة البطاقة المدنية مكتوب عليها رقم الهاتف والمؤهل العلمي على البريد الإلكتروني.

ويحسب للقطاع إتاحة كامل التسجيلات مع البث الحي لكل الجلسات على حسابه بوسائل التواصل الاجتماعي، وأبرزها نشاطا لديه «تويتر» فعمت الفائدة واستطاع القاصي والداني متابعة هذه الجلسات المباركة في حينها والرجوع إليها وقت الحاجة، إذ إن روابطها كلها متوفرة أيضا على قناة «اليوتيوب».

وعلى سبيل المثال لا الحصر، استمع الحضور يوم الثلاثاء (١٦) مايو، لقراءة وسماع الأحاديث بداية من الحديث رقم (١٩٧٦) باب الفرع والعتيرة، وحتى نهاية كتاب اللباس والزينة، مع الشرح والتعليق والإيضاح لما أشكل من المعاني والألفاظ، وقد أدار الجلسة وقتها الدكتور: محمد محمدي النورستاني ، وفي اليوم التالي، الجزء الرابع من كتاب صحيح مسلم والذي ينتهي عند الحديث رقم (٢٢٧٥) نهاية كتاب الرؤيا، وذلك بالإسناد المتصل إلى مؤلفه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري رحمه الله تعالى، على العلامة المسند الشيخ إبراهيم بن يوسف الشيخ سيدي من موريتانيا، والدكتور عثمان الخميس من الكويت.

وبفرحة الإنجاز المخلوطة بنور المعرفة، والسير على هدى الرسول الكريم ﷺ اختتم مكتب الشؤون الفنية هذا المجلس الكريم على وعد بمجالس مقبلة بمشيئة الرحمن.

محمد جمال حليم
باحث دراسات إسلامية

أدب الاختلاف بين الماضي والحاضر

لقد أرسى الإسلام قواعده وفق ما اقتضته الحكمة الإلهية التي جاءت نورًا وهدى للناس، لكن المسلمين جنحوا - في كثير من الأحيان - للوراء وراحوا يجرون وراء إرضاء ذواتهم، وهو ما خلّف الأمة عن الركب، فتاهت بذلك زمنًا، وتخطفتها يد الأعداء، وها أنا ذا أشير لواحدة مما تميزت به شريعة السماء السمحاء؛ لنثوب لرشدنا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾(آل عمران:١٠٣).وقال عز من قائل: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾(الأنفال:٤٦).

فالاختلاف سنة كونية، لكنّ الإسلام وضع له أسسًا ومبادئ وآدابًا، وحث على رعايتها؛ لتعزّ الأمةُ وتنجوَ من عواصف التفرق والتحزب البغيض.

وإذا كان الكثيرون يتناولون هذه الآداب مجملة بُغية وضع عين القارئ عليها دفعة واحدة، فإنني نحوت نحوًا مغايرًا بسرد جزء من سير أعلام الأمة الأُول، وما وقعوا فيه من خلاف في مسائل خطيرة، وأدع المجال لقارئي الكريم لاستنتاج ما ينبغي أن يتحلى به المسلم من آداب حال خلافه من وحي ما رآه بعين بصيرته من مشاهد.

الخلاف والاختلاف

بادئ ذي بدئ نحرر مسألة كثر فيها الكلام بين اللغويين وغيرهم، وهي: الفرق اللغوي بين «الخلاف» و«الاختلاف»، فالخلاف لغةً: مصدر خالف، مشتق من الفعل الثلاثي المزيد بالألف خالف أي على وزن: «فاعل»، كما أن الاختلاف مصدر اختلف، مشتق من الفعل الثلاثي

في إدارة الصحابة الخلاف وكيفية التعاطي معه درس

المزيد بالهمزة والتاء، اختلف أي على وزن «افتعل»، والخلاف هو: المضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافًا، وتخالف الأمران واختلفا: لم يتفقا، وكل ما لم يتساوَ فقد تخالف واختلف، قال سبحانه: ﴿وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ (الأنعام:١٤١).

وفي الاصطلاح: «أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر».

أما في الاصطلاح الفقهي والعلمي، فالذي يستقرئ استخدام علماء وفقهاء المسلمين لهذين اللفظين؛ يجد أن عامتهم لا يفرقون بينهما عند الاستخدام، وإن كانوا يفرقون بين المسائل التي يسوغ فيها الخلاف مما لا يسوغ فيها، مع اختلاف تعبيراتهم عن هذه التفرقة.

وخلاصة القول: هي أن التفريق بين الاختلاف والخلاف وعدم التفريق بينهما مجرد اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح، والذي عليه عمل جمهور العلماء من الأصوليين والفقهاء في مصنفاتهم: عدم التفريق بينهما، فإنهم يستعملون أحدهما مكان الآخر.

خلافة الرسول

أراد النبي ﷺ أن يدع أمر الخلافة للصحابة دونما تدخل بتعيين شخص معين، ولم يحدد من يخلفه في إدارة شؤون الدولة الإسلامية حتى لا يعتقد البعض أن ذلك يعد سنة واجبة الاتباع، وإنما أراد أن يكون الأمر شورى بين المسلمين، لكنه أرسى نظاما عاما، إلا أن هناك قيدًا عامًا وهو ضرورة أن تتم مبايعة الحاكم، أو الخليفة من قبل الشعب.

وقبل الخوض في تفاصيل الخلافة، وكيف تم انتخاب الخليفة الأول لابد أن ندرك أولا الملابسات بعد انتقال النبي ﷺ والوقوف على طبيعة الأزمة آنذاك.

طبيعة الأزمة بعد موت النبي ﷺ

لم يمر على موت رسول الله ﷺ ساعات، إلا ولاحت في الأفق معضلة من يخلفه، والتي كادت أن تعصف بالأخضر واليابس لولا أن قيد الله لها قلوب صحابة فقهوا مراد الله ورسوله ﷺ، فتجاوزوا الأزمة بسهولة ومرونة برغم ضراوتها، فالخلافة ليست بالأمر الهين، وإن كنا نتحدث الآن عن الاختلاف، وكيفة التعاطي معه فلا أدل على هذا من تعاطي الصحب الكرام مع هذه الأزمة التي اختلفت وجهاتهم في تجاوزها في بادئ الأمر، وهو موقف برغم قلة زمنه، فإنه مهم جدًا لتعلقه بتنظيم شؤون الدنيا والدين، ففي إدارة الصحابة الخلاف، وكيفية التعاطي معه درس؛ لما دون ذلك من خلافات قد تنشب مع مرور الأيام بين آحاد المسلمين.

سقيفة بني ساعدة

لقد لخص عمر بن الخطاب الموقف، كما جاء في الصحيحين حيث قال: «انطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة، فإذا رجل مُزَمّل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ قالوا:

سعد بن عبادة».

يقول عمر: «قلت: ما له؟ قالوا: يوعك - أي مريض - فلما جلسنا قليلًا قام خطيبهم يتكلم فيهم، فلما انتهى تكلم الصديق».

كلمة أبي بكر تنهي الخلاف

لقد رتب الصديق كلمته في ثلاث نقاط: بدأ بكَرِّ محاسن القوم، يقول عمر: «فلم يدع الصديق شيئًا أنزل في الأنصار، أو ذكره رسول الله ﷺ إلا ذكره، ثم بعد أن سكنت النفوس، ثنى بحكمة بالغة بذكر الحق الذي ذكره الله ورسوله الكريم محمد ﷺ، فقال: «ولكن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، وهم أوسط العرب دارًا وأنسابًا».

وليعلم المجتمعون مهاجرين وأنصارا أن الصديق لم يك يقصد من وراء ما طرح من أن الخليفة من قريش أن يكون هو الخليفة، مع كونه أفضل المهاجرين، ثم ختم بالمحور الثالث، فقال: «وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم»، وأخذ بيد عمر بن الخطاب، وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بينهما».

ولننظر نحن إلى إدارة الحوار وإلى ما انتهى إليه بسهولة ويسر ثم ندع الفاروق عمر يعقب.

تعقيب الفاروق على كلمة الصديق

يقول عمر: «فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني إلا قال في بديهته مثلها، أو أفضل منها».

ثم استطرد معلقًا على موقفه من ترشيح الصديق له: «فلم أكره مما قال غيرها، والله لأن أقدم فتضرب عنقي، لا يكون في ذلك من إثم، أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر».

المناظرة بين الأئمة بقصد بيان الحق لا للتفاخر

ومما سبق يتبين بما لا يدع مجالاً للشك احترام الصحابة لبعضهم، واحتوائهم المواقف العظام وخروجهم من دائرة الخلاف الضيقة إلى آفاق الإسلام السمحة الرحبة، هكذا كان الصحابة رجّاعين للحق، طيّعين في يد الحكمة، سريعي العودة والأوبة، فخرجوا من محنتهم رافعي الرأس، شامخي البنيان؛ ليبنوا معًا مجد الإسلام، وليكملوا ما بدأوه مع رسول الله ﷺ في تحدٍ عجيبٍ لكيد النفس التي زينت لبعضهم حب الإمارة والسلطة.

أرأيتم كيف كان التعاطي رغم شدة المصاب؟، وإن تعجب لموقف الأنصار وسرعة استجابتهم للصديق، فعجبك من موقف الفاروق عمر أشد، ولنا في هؤلاء جميعا المثل والقدوة.

الاختلاف بين أئمة المذاهب

وبعد تطوافنا على بعض ما وقع بين الصحب الكرام، مسترشدين بهديهم في تجاوز الصعاب، ولينهم في أيدي بعضهم؛ تغليبًا للمصلحة العامة، تجدر الإشارة إلى ما كثر حوله اللغط من أن الفقهاء أصحاب المذاهب كانوا دائمي التناحر بغية فرض آرائهم، وحمل الناس على اتباع مذاهبهم، وهو ما ينكره الواقع، وتأباه طبيعة هؤلاء الأخيار الذين ما اختلفوا إلاّ للوصول للحق.

وببيان هذا لا تبقى حجة لمتعصب، ولا شبهة لمتأول في التقوّل على هؤلاء الكرام، كما يتضح كيف ربّى هذا الجيل أتباعه على آداب الخلاف، وحسن الأدب مع المخالف، وهو ما يفتقده مجتمعنا الإسلامي الآن إلى حد كبير، فلمَ اختلف الأئمة؟، بل وكيفٍ أداروا لخلاف بينهم، وما هي نظرة كل منهم لصاحبه برغم اختلافه معه؟.

بنظرة سريعة إلى بطون كتب سير هؤلاء الأعلام، يتبدد كل ما نسج عنهم من أوهام، فهؤلاء لم يكن الاختلاف لديهم غاية، لكنها الفهوم؛ كل منهم يريد نصرة الحق، وفهم مراد الل؛ه ولأنهم يعلمون ذلك أداروا الخلاف بينهم في الفقهيات، رغم كثرتها، بحكمة يقف أمامها كل صاحب عقل مشدوهًا، وكل صاحب هوى منكسرًا، وسأكتفي بذكر موقف مناظرة بين إمامين جليلين هما: الإمام محمد بن الحسن الشيباني، والإمام الشافعي، ثم أثني بذكر ما ذكره هؤلاء الأعلام أصحاب المذاهب في حق بعضهم؛ لنستخلص من هذا براءة هؤلاء من عصبيتهم لأقوالهم، وتقديرهم لمخالفيهم، ولنتعلم نحن أتباع هؤلاء أن الحق أحق أن يتبع ولو جاء على لسان مخالفك.

المناظرات بين الأئمة

لم تكن المناظرة بين الأئمة بابًا للتفاخر وحب الظهور والرغبة في إفحام المخالف، لكنها كانت بقصد بيان الحق ومقارعة الحجة بالحجة، وليهدأ في الوقت نفسه أصحاب القلوب المتعصبة من أتباع الأئمة حينما يرون كيف يتعامل الأئمة معًا من احترام متبادل، ومع هذا كان

باب المناظرة مغلقًا إلا فيما ندر ما اضطروا لذلك وكانوا يأبونه؛ إجلالاً من بعضهم لبعض، فالشافعي مثلاً ظل بدولة العراق أعوامًا ملازمًا لحلقة محمد بن الحسن الشيباني التي كانت تتسم بالهجوم على شيخه الإمام مالك، ولكن لفرط حيائه وأدبه لم يكن يستطيع أن يناقش محمد بن الحسن في آرائه المخالفة للإمام مالك إلا بعد أن ينصرف الشيباني، ليبدأ مناظرة تلاميذه، ولما علم الشيباني بذلك أصر على مناظرة الشافعي بنفسه، لكن الشافعي أبى احترامًا حين قال له: «بلغنا أنك تخالفنا في مسائل الغصب».

فلننظر إلى رد الشافعي، وقد كان بوسعه أن يجادل بما ملك من حجة ويغتنمها فرصة لمقارعة الإمام محمد، وهو الطالب منه، وإفحامه أمام طلابه؛ ليخلو له الجو ويشار إليه بالبنان، لكن الشافعي أبى إلا أن يسجل في التاريخ درسًا لنا جميعا في: كيف يكون الأدب أثناء الاختلاف.

فرد الشافعي بأدبٍ جم: «أصلحك الله إنما هو شيء أتكلم به في المناظرة، فإني أجلك عن المناظرة». وأمام إصرار محمد بن الحسن وافق الشافعي مضطرًا.

مثال لمناظرة هادئة بينهما: ما حكي أن الشافعي قال: «قال لي محمد ابن الحسن: أيهما أعلم: صاحبنا أَوْ صَاحِبُكُمْ؟، (يَعْنِي: مَالِكًا، وَأَبَا حَنِيفَةَ).

قُلْتُ: عَلَى الإِنْصَافِ؟ قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: فَأَنْشُدُكَ اللَّهَ، مَنْ أَعْلَمُ بِالْقُرْآنِ: صَاحِبُنَا أَوْ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ: صَاحِبُكُمْ، يَعْنِي: مَالِكًا ».

الأدب كان عنوان اختلاف الأئمة

يا لها من سهولة في التسليم والانقياد والإذعان للحق.

ويجدر هنا أن نذكر طبيعة العلاقة بين هؤلاء الأعلام، وفي بيان ذلك حجة على متعصبي المذاهب الآن ومن نحا نحوهم ممن أعمتهم عصبيتهم، وارتفع صوتهم، وهي أيضًا حجة أمام كل صاحب هوى أن يرى بعينه كيف تعامل هؤلاء معًا وهم أئمة المذاهب، وهم أولى أن يتعصبوا لآرائهم من أتباعهم.

يقول الشافعي: «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة».

ويقول أيضا: «مالك حجة الله تعالى على خلقه بعد التابعين».

ويقول الإمام أحمد عن الشافعي لأحد أصحابه: «اقتبس من هذا الرجل فإنه ما رأت عيناي مثله فإن فاتنا فلن نعوضه أبدًا».

ويقول الإمام مالك: «لم يأتني قرشي أفهم من الشافعي، فهو أجدر الرجال بأن يكون عالم قريش، الذي يملأ طباق الأرض علمًا».

ويقول الإمام الشافعي في حق الإمام أحمد: «خرجت من العراق فما خلفت فيها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أتقى لله منه».

ويقول محمد بن الحسن الشيباني: «إن كان أحد يخالفنا ونثبت له، فالشافعي رضي الله عنه، قيل: لمَ؟ قال: لتأنيه وتثبته في السؤال والاستماع».

أما الشافعي فيقول: «ما ناظرت أحدًا إلا تغير وجهه، ما خلا محمد ابن الحسن».

بل زاد الأمر رِيًا أن أنشأ الشافعي شعرًا في مدح أبي حنيفة:

لقد زان البلاد ومن عليها
إمام المسلمين أبو حنيفة
بأحكام وآثار وفقه
كآيات الزبور على الصحيفة
فما بالمشرقين له نظير
ولا بالمغربين ولا بكوفة
فرحمة ربنا أبدا عليه مدى
الأيام ما قرئت صحيفة

هكذا كانت سيرتهم، وبهذه الروح الجميلة، والتعالي عن الدنايا تمسكوا، لم تغلبهم شهوة الانتصار لأقوالهم من أن يذعنوا للحق، ولو جاء على لسان طلابهم، فعزوا وسادوا وخلد ذكرهم، فيا ليت قومي يسمعون، وياليت من يعقدون المناظرات طمعًا في استحواذ كلمتهم يفقهون، وياليت من يتعصبون لآرائهم وترتفع أصواتهم وتحد نبرتهم يفقهون ما كان عليه السابقون من الصحابة، والتابعين وأئمة المذاهب الذين ملؤوا الأرض علمًا من آداب للخلاف، ونحن على سنا ضوئهم نسير.

وبعد ذكر ما كان عليه الأئمة رحمهم الله من تواضع وأدب، وكيف تعاملوا مع المسائل الخلافية، رغم تعددها مع كثرة الأحداث، لا يبقى مكان لمتقول، أو حجة لمتأول، فالأدب وحده هو عنوان اختلافاتهم وصولاً لحق يبغونه، متجردين لله، متمسكين بما حثهم عليه الإسلام من أدب في التناول، وسهولة في الانقياد للحق، وعدم التعصب لرأي، أو مذهب، همهم الله والدار الآخرة، فرضي الله عن الصحابة الكرام ورحم الله أئمتنا الأعلام، ووفقنا لقول الحق والعمل به بأدب وتواضع، ولنا في هؤلاء القدوة والأسوة.

القاهرة - إسراء طلعت
دار الإعلام العربية

أفكار بسيطة للحصول على سعادة إيجابية

في العيد.. افرح وفرحهم

«بهجة العيد» فرحة ينتظرها الكبير والصغير، بعد صيام الشهر الكريم، حيث تتجلى في العيد كثير من معاني الإسلام السمحة من تواد وتراحم وتعاطف وتعاون وتكافل. وفي هذه المعاني والقيم تتجلى الفرحة الإيجابية بالعيد، فهذه فتاة وجدت سعادتها الحقيقية من خلال إدخال السعادة على عدد من الأسر الفقيرة، وهذا شاب يقوم مع أصدقائه بمجموعة من الأعمال التطوعية التي تضفي على حياتهم وحياة من حولهم ملمحا من ملامح السعادة النابعة من قيم ديننا الحنيف. والنماذج من حولنا كثيرة، تعالوا نتعرف على كيفية الاستمتاع بالعيد بشكل إيجابي.

«ليس هناك أجمل وأرقى من سعادة ناتجة عن إدخال الفرحة على قلب مسلم، خصوصا في اليوم الأكثر تميزا وأهمية لنا نحن المسلمين، يوم العيد».. بهذه الكلمات عبرت الناشطة الاجتماعية نهلة عبدالرحمن، موضحة أنها تجد سعادتها الحقيقية من خلال رسم البسمة على شفاه الآخرين.

السعادة في عيونهم

وأضافت نهلة: العيد الماضي كان الأكثر تميزا بالنسبة لي، حيث بدأت أخطط له منذ بداية رمضان، حاولت أن أجعله فريدا قدر ما أستطيع، رغم أنه أخذ من وقتي الكثير، لكن النتيجة كانت أكثر من ممتازة بالنسبة لي وأنا أرى السعادة مرتسمة في عيون الأطفال

فريق شبابي يجمع الزكاة وينظف الطرقات وينظم صلاة العيد ويعود المرضى

البريئة.. فقد قمت مع مجموعة من زميلاتي باختيار مجموعة من الأطفال من أسر فقيرة وقمنا بتوفير كسوة العيد لهم، إضافة إلى تقديم بعض الهدايا الرمزية والعيديات.. ولم أشعر أنا وزميلاتي بالسعادة يوما بقدر ما شعرنا بها من خلال السعادة المرتسمة على وجوه هؤلاء الأطفال ودعاء أمهاتهم لنا.. لقد شعرنا بأننا نعيش يوما استثنائيا وعيدا بهيجا.

فعاليات بسيطة

في السياق ذاته، قال محمد عبداللطيف أحمد (خريج جامعي)، إنه يخطط وبعض أصدقائه لمجموعة من الفعاليات البسيطة في العيد، تبدأ منذ اليومين الأخيرين في رمضان بتجميع زكوات الفطر وتحضير كشوف بأسماء مستحقيها في الحي، ومن ثم إيصالها لهم بشكل كريم يحفظ لهم عفافهم وإنسانيتهم، ومن ثم القيام بحملة نظافة موسعة في الحي ووضع ملصقات تشير إلى أهمية النظافة في

فتيات وجدن سعادتهن في توفير كسوة العيد وهدايا رمزية للأسر الفقيرة

الإسلام، وكيف أن إماطة الأذى عن الطريق صدقة. وبعدها يشرف هو وزملاؤه على تنظيم صفوف المصلين في الأماكن المخصصة لصلاة العيد وتوجيههم إلى الأماكن المخصصة حتى لا يحدث تكدس أو زحام، مع تقديم هدايا للأطفال المتواجدين، وأخيرا القيام بجولة على مستشفى المدينة لعيادة المرضى وتهنئتهم بالعيد وتقديم بعض الهدايا الرمزية لهم.

استثمار العيد

إلى ذلك، قال د. أسامة فخري الجندي، مدير إدارة المساجد في وزارة الأوقاف المصرية، إنه يجب على المسلم أن يستثمر في العيد ما كان عليه في رمضان، من خلال إضفاء الفرحة الإيجابية بالتراحم والتكافل بيننا، فلابد من المشاركة في الفرح بما أرشدنا ودلنا عليه الإسلام من تعاون على البر والتقوى، والقضاء على أسباب الفرقة، ونبذ الاختلاف، والعمل على أمة الجسد الواحد، ولنقض على كل خلاف أو خصام ونحقق مجتمعا مترابطا، موضحا أهمية استغلال العيد في إدخال الفرحة على غير القادر بالنفقة والعطاء، أو بالعون إن كان ضعيفا، أو بقضاء مصالحه والسعي في قضاء حاجته، أو الإصلاح بين المتخاصمين، وهكذا، فالإسلام يدعونا إلى أعمال صالحة تتعانق، تأخذ بيدك حتى تدخلك طريق السعادة والنجاة، لافتا إلى أنه من الفرحة الإيجابية

د. فخري: ابتسم وسامح ونق نفسك من الحقد واكتسب إيجابيات رمضان
د. أمين: استثمر في اللقاءات النافعة وزيارة المرضى والأيتام وإصلاح ذات البين

استثمار الأعياد لا بكثرة اللعب واللهو البريء بل بتأسيس رصين على القيم والأخلاق، فإن أدوات صناعة الجمال في الكون التزام الأخلاق والقيم.

وطالب د. فخري باستغلال المناسبات الدينية كالأعياد في نشر ثقافة الوجه الطلق، لنؤكد قيم السماحة والرحمة والأخوة والترابط والسعادة بيننا، تأسيا بقول رسول الله ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (صحيح مسلم)، موضحا أن الإسلام ليس تشددا ولا خشونة ولا تجهما، بل إن سمته الرئيسية هي الرحمة وما يندرج تحتها من معان سامية تشمل الصلة وقبول الآخر والعفو والتسامح والصفح وكظم الغيظ وتصفية النفس من بواعث الحقد والكراهية والبغض، والبحث عن أسباب الائتلاف لا الاختلاف، وتأصيل ثقافة الألفة لا الفرقة، وبذر بذور التعايش ونبذ بذور العنف والفتن، مشيرا إلى أنه من هنا كانت رسالة الإسلام الأصيلة، وإذا كنا بصدد أيام عيد الفطر، وهو يوم فرح وسرور، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨)، فإن الفرحة الإيجابية التي ينبغي أن يرسمها كل مسلم، هي أن يترجم كل ما عاشه في شهر رمضان من نفحات ورحمات وروحانيات ويستمر عليها فيما بعد.

لا تغرد منفردا

وعن المفهوم الحقيقي للعيد، قال د. أسامة أمين، الأستاذ في كلية أصول الدين جامعة الأزهر، إن العيد زاد إنساني واجتماعي ونفسي، تتجدد فيه الأفراح، وتتلاقى فيه الأرواح، مشيرا إلى أنه إذا كانت الأعياد ظاهرة اجتماعية مشتركة بين جميع الأديان السماوية والوضعية فإن طبيعتها في الإسلام فريدة متميزة، فإنها أرقى من مجرد فرحة عابرة، وأسمى من مجرد نزوة راحلة؛ لأنها فرحة جماعية وليست فردية، فرحة إيجابية وليست سلبية، فليس الفرد وحده هو المغرد بالسعادة في صومعة نفسه، بل المجتمع كله يتسابق في رسم البسمة وإحياء الفرحة في قلب كل من حوله، وخذ على ذلك مثالا لتكامل الصورة الإنسانية والنفسية والاجتماعية والروحية في مظاهر الاحتفال الإيجابية بالعيد في الإسلام، كالدعوة إلى إخراج زكاة الفطر قبل الخروج إلى مصلى العيد، حتى لا يبقى فقير ولا مسكين ولا يتيم ولا صاحب حاجة إلا ووجد ما يغنيه ويكفيه ويسد حاجته ويحفظ مروءته عن السؤال في هذا اليوم، ففي الصحيحين عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعا من تمر، أو صاعا من شعير على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة».

وتابع: «كأن هذه دعوة إلى إذابة كل معوقات السعادة عن الضعفاء والفقراء وأصحاب الحاجات، وتهيئتهم نفسيا وماديا؛ ليتمكن الجميع من الاحتفال بالعيد قلبا وقالبا، وكذلك الدعوة إلى التزاور والتراحم لمن حال بينه وبين شهود الصلاة حائل، كمرض وعجز ونحوه، وقضاء حوائجهم، فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه. وكذلك تهنئتهم بالعيد، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك».

د. خطاب: للتكافل مدلول إيجابي يقضي على «الأنا مالية» والسلبية والاكتئاب

وشدد على أهمية استثمار أيام الأعياد في إقامة الاجتماعات النافعة كالولائم والأمسيات، واللقاءات على مستوى الأسرة أو الحي أو المدينة، أو المسابقات الترفيهية، ومشاركة الأطفال في الزيارات العامة للمستشفيات والمصحات النفسية ودور الأيتام ليستشعروا نعمة الله عليهم، وتنغرس فيهم مشاعر الأخوة والحب والعطاء، وكذلك السعي في إصلاح ذات البين والصلح بين المتخاصمين وفض الخلافات الزوجية والعائلية، لتسود المجتمع كله مشاعر الحب الصادق والإخاء النقي.

انعكاسات نفسية

وأخيرا، يؤكد أستاذ علم النفس د. محمد خطاب، أن الإنسان بفطرته كائن اجتماعي لا يستطيع أن يعيش من دون الآخرين، ولا تكتمل سعادته إلا بسعادة من حوله، لاسيما أن رؤية السعادة في عيون الآخرين تحقق الشعور بالرضا، فالإنسان يشعر بالسعادة لذاته وعن طريق الآخرين أيضا، موضحا أن الشعور بالتكافل مدلول إيجابي، الهدف منه صناعة الأمل وتصدير التفاؤل والمشاركة النفسية والدعم النفسي الذي يحافظ على الصحة النفسية للإنسان التي تحقق النضج النفسي أو الانفعالي وتحميه من الاضطرابات النفسية.

وأكد أن مشاركة الفئات المهمشة، التي تعاني من الحرمان، كزيارة الأيتام ومساعدة الأرامل والفقراء والمرضى والتبرع بالدعم في الأعياد، تقضي على الشعور بما يسمى بـ «الأنا مالية» والسلبية، ومن ثم تتحول الحالة المزاجية للفرد من الاكتئاب إلى السعادة، ومن شأنها أن تحمي المجتمع من الأمراض النفسية، لاسيما أن المشاركات الوجدانية تحمي المجتمع من الإرهاب والتطرف والعنف بكل أنواعه.

د. صلاح فضل توفة
باحث أكاديمي

المكون العقدي لشخصية المسلم

الأمة الإسلامية أمة مميزة بين الأمم، قائدة لا تابعة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣).

قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره: «إنما وصفهم بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه -غلو النصارى الذين غالوا بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه- ولا هم أهل تقصير فيه -تقصير اليهود، الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم وكفروا به- ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه».

هذا على مستوى الأمة، أما على مستوى أبنائها كأفراد، فإن شخصية المسلم الملتزم تكون انعكاسا؛ في تفاصيلها وإجمالها، لوسطية الأمة، وعالميتها في قيادة الإنسانية جمعاء إلى الخير والفلاح، وتسليم الأمر لله رب العالمين، فتتحقق بذلك عبوديتهم لله التي لأجلها خلق الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات:٥٦).

وبهذا فإن شخصية المسلم تختلف عن غيرها من شخصيات غير المسلمين، فهي: منظومة عقلية، جسمية، ثقافية تشبعت بقيم الإسلام وروحه ومبادئه. وبناء عليه، فالشخصية المسلمة عبارة عن: بنية موحدة متماسكة ذات صبغة متميزة تشتق مقوماتها من العبودية، والتقوى، والإحسان، ومقام هذه المقومات الكرامة، والحرية واستقلال الإرادة، وكرامة الوجود (١).

وهي مجموعة الصفات الاعتقادية، والروحية، والأخلاقية، والاجتماعية، والإرادية، والصحية، والعقلية، والعلمية والإبداعية (٢).

المكون العقدي للشخصية المسلمة

(أ) السلوك الإنساني دليل على الشخصية:

يركز البعض على الجوانب الظاهرة من الشخصية الإنسانية ويتخذها كمكون من مكوناتها التي تؤثر على صاحبها، ولكن هذه كلها مجرد مظاهر لا تؤثر في الشخصية الإنسانية، وقد تكون من مظاهر الخداع التي يلجأ إليها البعض لجذب الناس إليهم من خلال المظهر الخارجي. وقد قال الله تعالى في شأن المنافقين والتحذير من الاغترار بمظاهرهم الخارجية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ (المنافقون:٤).

يقول الطبري، رحمه الله، في تفسيره: «المنافقون لا خير عندهم ولا فقه لهم ولا علم، وإنما هم صور بلا أحلام، وأشباح بلا عقول».

وجاء في السنة المطهرة، عن أبي هريرة

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (مسلم).
وعنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «رب أشعث، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره» (مسلم).
ويقع السلوك الإنساني من الأهمية بمكان في دراسة الشخصية، ففي الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص، رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» (متفق عليه).
وفي هذا الحديث لفتة نبوية تبين أهمية المعتقدات في سواء السلوك أو انحرافه، فالسلوك السوي في تعامله مع الآخرين، دلالة على استقامة المسلم امتثالا لأمر الله ورسوله، واجتنابا لما نهى عنه الله ورسوله.
والإسلام في عدم اعتداده بالمظهر الخارجي كأساس لتقييم الشخصية الإنسانية، يؤكد على أهمية السلوك الإنساني في فهم وتحليل الشخصية وتقييمها، لدلالاته الظاهرة على معتقدات وأفكار صاحبه، فالسلوك هو انعكاس لهذه الأفكار والمعتقدات.
فأم المؤمنين السيدة عائشة، رضي الله عنها، تبين لسائلها عن خلق رسول الله ﷺ: «كان خلقه القرآن»؛ وهذه الإجابة تعكس فقه أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - فهي في إجابتها لم تعط وصفا ولا تفصيلا لخلق الرسول ﷺ، وإنما بينت للسائل أصل القاعدة التي ينبغي أن يقوم عليها سلوك المسلمين، كما كان عليه سلوك الرسول ﷺ، وهي الكتاب والسنة الموضحة والمفسرة لما جاء بالقرآن الكريم، فعن سعد بن هشام، قال: سألت عائشة، رضي الله عنها، عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «كان خلقه القرآن» (البخاري).
و«الخلق» على هذا النحو يقابل «السلوك» في مصطلح علم النفس، وهو: «كل الأفعال والنشاطات التي تصدر عن الفرد، سواء كانت ظاهرة أم غير ظاهرة».

الخلق هيئة راسخة للنفس بدون حاجة إلى فكر وروية

وهو ما تضمنه أيضا تعريف «الخلق» لغة واصطلاحا، فيعرف «الخلق» لغة بأنه: الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها (٣).
واصطلاحا؛ بأنه: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا (٤).
والشواهد التي تؤكد ذلك، لدينا كثيرة لاسيما في حياة الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، الذين تميز مظهرهم بالبساطة والزهد، في الملبس والمأكل والمركب والمسكن، ومع ذلك كانوا عظماء الدين والدنيا، وقد وصفهم عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بأنهم: «كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا»، ولعل موقف الصحابي الجليل الربعي بن عامر رضي الله عنه مع رستم قائد الروم، مثل من أمثلة كثيرة تؤيد هذا الطرح.
(ب) العقيدة الصحيحة ضابطة وضامنة لشخصية المسلم:
تتحكم في السلوك مجموعة من الأفكار والمعتقدات، وهذه الأفكار والمعتقدات موطنها العقل، والعقل من النعم التي فضل الله بها الإنسان على سائر المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾ (الإسراء:٧٠). يقول العلامة السعدي، رحمه الله، في تفسيره لهذه الآية: «وهذا من كرمه عليهم وإحسانه، الذي لا يقادر قدره، حيث كرم بني آدم بجميع وجوه الإكرام؛ فكرمهم بالعلم والعقل، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وجعل منهم الأولياء والأصفياء، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة». فهذه الآية تفيد تكريم الإنسان مطلقا، البر والفاجر، المطيع والعاصي.
والعقل هو مناط التكليف، ففي الحديث عن عائشة، رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يفيق» (النسائي، وصححه الألباني).
قال الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله، في فتاويه: لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله تعالى على الوجه الذي يرضاه ويحبه، وكذلك لا يستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها، إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده، كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب لإصلاح الخلق، وإقامة الحجة عليهم، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ (النساء:١٦٥).
وقد أتم الله الدين ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين وأشرفهم محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى

﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ (الأعراف:١٥٨). فالإسلام هو الدين الخاتم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ (آل عمران:١٩)، ولن يقبل الله من الناس دينا سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ (آل عمران:٨٥).

فالإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده، وهو الدين الذي فطرهم عليه، قال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ (الروم:٣٠).

قال ابن كثير، رحمه الله، في تفسيره: إنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك؛ ولهذا قال ابن عباس، وغيره، في قوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: لدين الله، وقال البخاري: قوله: ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾: لدين الله، خلق الأولين: دين الأولين، والدين والفطرة: الإسلام.

وفي الحديث: عن عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله، تبارك وتعالى، قال: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا» (مسلم).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء».

ثم يقول أبوهريرة رضي الله عنه: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون». (البخاري ومسلم واللفظ للبخاري).

الجانب العقدي للشخصية المسلمة هو الذي أخرج لنا الجيل الأول من الصحابة

والشخصية الإنسانية كي تكون شخصية سوية فإنها في حاجة إلى قاعدة واحدة، تستمد منها تصوراتها وأفكارها وسلوكها، وتحقق التوازن بين رغاباتها، وتكون في الوقت نفسه صالحة للتحاكم إليها والقياس عليها.

ومثل هذه القاعدة اجتهد العلماء في وضعها على أمل تحقيق الشخصية الإنسانية السوية، ولم يستطيعوا الوصول إلى هذه القاعدة رغم التقدم الكبير في مجال العلوم الإنسانية والطبيعية، وأرى أنهم لن يستطيعوا مهما أوتوا من أسباب وحصّلوا من علوم لأنهم يجهدون عقولهم فيما لا طاقة لهم به، فكانت حصائد جهودهم قواعد لا قاعدة، ومقاييس لا مقياسا، هذه كلها استهلكت طاقات الإنسان وشتت أفكاره، وأحدثت صراعا داخليا بين الإنسان وذاته، فأصابته بالأمراض النفسية والعقلية، التي فقد معها كثيرا من إنسانيته وحياته.

والعقيدة الإسلامية هي العقيدة الموافقة لفطرة الإنسان، وهي القاعدة التي تحكم تصوراته وأفكاره وسلوكه، وهي المقياس الذي يقيس عليه أفعاله الظاهرة والباطنة، وهي وحدها القادرة على إحداث التوازن الداخلي للإنسان وبين الإنسان وعالمه المحيط به، فيشعر بالرضا والسعادة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ (الأنعام:٨٢).

والعقيدة الإسلامية تصوغ الإنسان صياغة كاملة شاملة لمختلف جوانب الشخصية، فتكون شخصيته شخصية سوية متميزة، ووحدة متكاملة قائمة على تداخل وامتزاج وتشابك دقيق الحبكة بين المادة والروح، وليس في الإسلام انفصال بين الروح والجسد أو انشقاق بين العقل والمادة. (٥).

قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩﴾ (المؤمنون:١-٩).

فالإسلام ينظر إلى الشخصية المسلمة كتركيب عضوي، نفسي، فكري، اجتماعي، روحي متكامل.

● الجانب العقلي والفكري للشخصية المسلمة: ويشمل الأفكار والمعتقدات، نجد أن إقرار المسلم بالعبودية وتوحيده لله تعالى، يشكلان قاعدة فكرية يستطيع من خلالها أن يميز بين الأفكار الصحيحة والأفكار الخاطئة، فيحمي نفسه من الوقوع

في براثن الأفكار والمعتقدات الهدامة، لأنه يرد كل ما يعرض على عقله وفكره إلى مقياس العقيدة الصحيحة بفهم الصحابة وسلف الأمة، رضوان الله عليهم، ونقلها عنهم أهل العلم الأثبات.

● الجانب الفسيولوجي للشخصية المسلمة: ويشمل الغرائز والشهوات والحاجات العضوية، وكلها خصائص إنسانية فطرية، وقد تعاملت العقيدة الإسلامية مع هذه الخصائص بطريقة متوازنة، فلم تطلقها ولم تكبتها، وإنما نظمت إشباعها بطريقة شرعية، فعلى سبيل المثال: عالجت العقيدة الإنسانية الغريزة الجنسية لدى الإنسان وأوجدت النطاق الشرعي لإشباعها من خلال الزواج، وتحريم الزنا، ومن خلال مجموعة من الآداب والسلوكيات التي تساعد المسلم على التحكم في رغباته الجنسية، فأمره بغض البصر، وحرم الاختلاط بين الجنسين وغيرها من الآداب.

● الجانب الاجتماعي للشخصية المسلمة: ويشمل كل ما يخص سلوكياته وتعاملاته في الحياة، في المنزل، في التعليم، في العمل؛ وحكمتها العقيدة من خلال بيان الحكم الشرعي في كل ما يخص المسلم.

وهذا الجانب العقدي للشخصية المسلمة هو الذي أخرج لنا الجيل الأول من الصحابة، رضي الله عنهم، الذين تربوا على يد النبي ﷺ فكانت هي الملمح المشترك في عظمة هذا الجيل.

أهمية المكون العقدي للشخصية المسلمة

تمثل العقيدة الصحيحة سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والفوز بالجنة والنجاة من النار في الآخرة، ويتحقق ذلك عندما يحقق المسلم إيمانه التام بها كما أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ، وقد جاء في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبريل،عليه السلام، سأل النبي ﷺ عن الإيمان (فأخبرني عن الإيمان)، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت (٦).

وتظهر أهمية العقيدة الصحيحة بالنسبة إلى الشخصية المسلمة في الأمور التالية:

١- أن جميع الرسل أرسلوا بالدعوة للعقيدة الصحيحة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾(الأنبياء:٢٥).

٢- أن تحقيق توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة هو الغاية الأولى من خلق الإنس والجن، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات:٥٦).

٣- أن قبول الأعمال متوقف على تحقق التوحيد من العبد، وكمال أعماله على كمال التوحيد، فأي نقص في التوحيد قد يحبط العمل أو ينقصه عن كماله الواجب أو المستحب.

٤- أن النجاة في الآخرة -ابتداء أو مآلا- متوقفة على صحة العقيدة، مما يبرز أهمية تعلمها واعتقادها على المنهج الصحيح. قال ﷺ: «إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» (متفق عليه).

٥- أن هذه العقيدة تحدد العلاقة بين العبد وخالقه: معرفة، وتوحيدا، وعبادة شاملة لله تعالى: بالخوف والرجاء، والمراقبة والتعظيم، والتقوى والإنابة... ورعاية تامة من الله للعبد: نطفة، وصغيرا، وكبيرا، في البر والبحر، رزقا وإنعاما، وحفظا وعناية.

٦- أن السعادة في الدنيا أساسها العلم بالله تعالى، فحاجة العبد إليه فوق كل حاجة، فلا راحة ولا طمأنينة إلا بأن يعرف العبد ربه بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

٧- أن هذه العقيدة تجيب عن جميع التساؤلات التي ترد على ذهن العبد، ومن ذلك: صفة الخالق، ومبدأ الخلق، ونهايته، وغايته، والعوالم الكائنة في هذا الوجود، والعلاقة بينها، وموضوع القضاء والقدر.

٨- تركيز القرآن والسنة على موضوع العقيدة: بيانا وتقريرا، وتصحيحا، وإيضاحا، ودعوة (٧).

٩- أن العقيدة الصحيحة سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين، فالطائفة المتمسكة بها هي الطائفة الظاهرة والناجية والمنصورة التي لا يضرها من خذلها. قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (مالك).

١٠- العقيدة الصحيحة هي ما يعصم المسلم من التأثر بما يحيط به من عقائد وأفكار فاسدة (٨).

الهوامش

١- السيد محمد عبدالعال، السلوك الإنساني في الإسلام، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٧م ص ١١٤.

٢- محمود عبدالله الخوالدة، علم النفس الإسلامي، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٤م، ص ٨٦.

٣- ابن منظور، لسان العرب، مادة «خلق»، ٨٦/١٠.

٤- الجرجاني، التعريفات، باب الخاء مع اللام والميم والنون، ص٨٩.

٥- إبراهيم محمد السرخي، السلوك وبناء الشخصية بين النظرية الغربية وبين المنظور الإسلامي، (المطبعة العلمية، ١٤٢٣هـ)، ص١٤٨.

٦- جزء من الحديث: أخرجه الخمسة إلا البخاري

٧- أحمد محمد المومني، الثقافة الإسلامية دراسات ومفاهيم حديثة، دار المجدلاوي للطبع والنشر، عمان، ٢٠١٠م، ص٥٣.

٨- محمد بن عبدالله بن صالح السحيم، تعريف العقيدة الإسلامية، وبيان أهميتها، alukah.net.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحفي

الشخصية الإسلامية والأبعاد المطلوبة

حينما أذن الله سبحانه بظهور الإسلام، وأنزل القرآن الكريم على قلب نبيه محمد ﷺ؛ فإن الإسلام لم يكن ترميما جزئيا لمسيرة الإنسان، يهتم بمعالجة ناحية من النواحي، أو بمجال من المجالات؛ بل كان الإسلام بناء كليا يمد المسلم بمجموعة من القيم والمعاني تشمل المجالات كافة، وتنظم له شؤونه المختلفة.

صنع الإسلام لأتباعه شخصية متكاملة (١)، ونشأها على عينه، ورفدها بكل المقومات، وجعلها في أحسن تقويم وأجمل صورة؛ حتى صار العرب خلقا آخر، ورأت منهم فارس والروم ما لم يعهدوه من قبل على تلك القبائل؛ التي كان بعضها منعزلا في صحراء الجزيرة، والآخر يدين لهم بالولاء والطاعة.

مقومات متفردة

هذه الشخصية الفريدة التي أنشأها الإسلام ورباها، لها معالم تعرف بها، وركائز تستند إليها، ومقومات تستمد منها عوامل الفاعلية والتفرد؛ روحيا، وخلقيا، وبدنيا، وماليا، واجتماعيا، وجماليا؛ وهي المجالات التي تتشكل منها الشخصية عموما (٢).

فأما روحيا: فقد قرر الإسلام أن الروح هي أسمى ما في الإنسان، وأن الناس لا يتفاضلون بأبدانهم وصورهم، وإنما بالعناية بتلك اللطيفة الربانية التي نفخها الله في الإنسان، وجعله بها محلا للتكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ (الشمس:٩-١٠). ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام:١٢٢).

وأما خلقيا: فالأخلاق في الإسلام هي ثمرة العبادات، وما لم تنعكس العبادة على السلوك فإنها تفقد الثمرة المرجوة منها، وتدل، حينئذ، على أن صاحبها لم ينتفع بها. ففي الحديث الشريف: «رب صائم حظه من صيامه الجوع، ورب قائم حظه

من قيامه السهر» (٣).
وقد جعل الإسلام هذه الأخلاق واجبة على المسلم تجاه الإنسان عموما، وتجاه الحيوانات والجمادات؛ قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة:٨٣). وقال ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (متفق عليه).
بجانب ذلك، جاء الإسلام بمفهوم متميز للبدن وحقوقه؛ فهو لا يحتقر هذا البدن ويحرمه من حظوظه ومتعه، مثلما هو يرفض الانغماس في ملذاته والانحصار فيها ببهيمية تحجب الإنسان عن رسالته وغايته: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأعراف:٣١-٣٢).
وفي جانب المال: أوضح الإسلام أن المال ملك لله تعالى، والإنسان مستخلف فيه؛ وبالتالي لا يجوز للخليفة أن يتصرف على هواه، متجاهلا ما يريده مالك المال على الحقيقة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ (البقرة:٢٦٧).
وأما اجتماعيا: فقد شرع الإسلام كل ما من شأنه أن يحفظ للمجتمع المسلم وحدته، وقوة نسيجه، وترابط أفراده؛ فحرم الغيبة، والنميمة، والسعي في الأرض فسادا؛ وندب إلى صلة الأرحام، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، وإجابة الدعوة، وإسداء النصيحة، وقضاء حاجات المعوزين، وتفريج الكربات، والرفق بضعفاء الناس؛ كما نفّر من الكبر، والتعالي، والمباهاة، وغلظة القلب.
وسورة الحجرات وغيرها توضح هذه العناية الشديدة بوحدة نسيج المجتمع الإسلامي وتماسكه.
ثم تأتي عناية الإسلام جماليا؛ حيث التربية الجمالية، والذوق أمر يراعيه الإسلام في تشريعاته وتوجيهاته وآدابه؛ بدءا من العقائد وتنزيه الله سبحانه عما لا يليق به، وانتهاء بالثياب والهندام الحسن. وفي الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال» (٤).
بهذه المقومات، التي أشرنا إليها باقتضاب، نرى كيف أنشأ الإسلام شخصية متفردة في كل المجالات.

احتضان التراث والاشتباك مع الواقع والتفاعل مع الآخر عوامل إنطلاق الشخصية الإسلامية

أبعاد ثلاثة

وإذا أردنا البحث فيما يجب أن تكون عليه الشخصية الإسلامية، حتى تتحقق بالفاعلية والحيوية التي فقدت الكثير منها بفعل أسباب كثيرة؛ من الوهن، والغفلة، وتسلط الأعداء.. فيمكن أن نقول: إن ثمة أبعادا ثلاثة رئيسة كفيلة -عند الانطلاق منها، والدوران حولها - بأن تعيد للشخصية الإسلامية حالة الألق التي تميزت بها في عصور نهضتها وانطلاقتها.
وتتمثل هذه الأبعاد الثلاثة في: احتضان التراث، والاشتباك مع الواقع، والتفاعل مع الآخر.

احتضان التراث

ونعني باحتضان التراث: الاعتزاز به، واستيعابه، وغربلته، والإفادة منه، والبناء عليه. والتراث هنا هو هوية الأمة التي تشكلت من خلالها، وجذورها التي تمتح منها أسباب الحياة؛ فلا يمكن لأمة أن تستعيد ماضيها الذي تفخر به وهي في انقطاع حضاري عن تراثها.
الشخصية الإسلامية المعاصرة ينبغي أن تتصل اتصالا وثيقا بتراثها؛ لغة وفكرا وأدبا؛ لأنها إن استجابت لمحاولات فصلها عن هذا التراث، فلن تكون إلا مسخا مشوها من تجارب الآخرين، ولن تفلح في إنجاز أي نهوض!
ومازال تراثنا قادرا على العطاء، وسيظل ما كان متصلا بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية؛ وهما مصدر التلقي والتوجيه للمسلم على اختلاف الزمان والمكان. وبقدر اتصال تراثنا بهذا المنبع تكون أهميته في حياتنا الراهنة.
ولذا، نحن بحاجة لعين مبصرة تميز وتفحص وتغربل؛ لنستبقي من هذا التراث ما يصح أن يكون زادا لحاضرنا ومستقبلنا، وهو كثير جدا؛ دون أن ننجرف وراء دعاوى إهالة التراب على التراث، بزعم انتمائه للماضي، وتجاوز الزمان إياه!

الاشتباك مع الواقع

الشخصية الإسلامية لا مناص لها من الاشتباك مع الواقع، والتفاعل معه؛ حتى تكون شخصية ذات تأثير وإسهام فيه؛ فليس من المعقول أن نطالبها بأن تتحلى بالفعالية والحيوية وهي منعزلة عن محيطها، غير مدركة لواقعها؛ فكريا واجتماعيا،

وبكل نواحيه المتشعبة.

لقد جاء الإسلام للحياة، ولا يمكن حصره بين جدران المساجد؛ بل جعل المساجد لتكون محطات يتزود منها المسلم لحركته في الحياة؛ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ١٠﴾ (الجمعة:١٠).

وهل وصف الله تعالى كتابه الكريم بأنه تبيان لكل شيء، في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩﴾ (النحل:٨٩)، وشرع المعاملات والحدود، وأمر بالعدل والقسط، وتحكيم ما أنزل.. هل جاء كل ذلك ليكون الإسلام محصورا في مساحة ضيقة من الحياة لا يتخطاها، أم ليظلل بهديه وتوجيهه نشاط الإنسان كافة؛ في نفسه وبيته وسوقه، في عباداته ومعاملاته وخصوماته؟!

وهذا الاشتباك الذي يراد للشخصية الإسلامية يتطلب منها أن تدرك مشكلات الواقع بدقة، وأن ترتب أولوياتها فيه بعناية، وأن تفهم جيدا معادلات الثوابت والمتغيرات، والأصول والفروع، والكليات والجزئيات، والفروض والنوافل؛ حتى لا تختلط الأوراق، وتتشوش المفاهيم؛ فيتقدم ما حقه التأخير، ويتأخر ما حقه التقديم!

التفاعل مع الآخر

لا يستطيع أحد أن ينكر حالة التراجع الحضاري التي يعيشها العالم الإسلامي منذ قرون، وأن الآخرين قد سبقونا في مختلف مجالات الحياة، بآماد طويلة. وإذا استكانت الشخصية الإسلامية لحالة التراجع هذه فستظل شخصية هامشية لا وزن لها ولا تأثير؛ ولن يكون بإمكانها – حينئذ – أن تزعم أنها تعكس صورة دقيقة للإسلام الذي تنتمي إليه.

ذلك أن الإسلام يجعل العلم فريضة من فرائضه، ولا يرضى للمسلم إلا بأن يكون في مقدمة الحياة؛ آخذا بزمامها، موجها لحركتها وفق ما يريد الله: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٠﴾ (العنكبوت:٢٠).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ٢٥﴾ (الحديد:٢٥) (٥).

و«الحديد» هو أساس الصناعات الثقيلة وغيرها، التي تشكل العمران المادي للحياة؛ وقد أنزله الله مع «الكتاب» و«الميزان» وهما العمران المعنوي؛ حتى تستقيم الحياة روحا ومادة على المنهج.

ومن هنا، فلا مفر من التفاعل مع الآخر، والإفادة من تقدمه، والبحث عن الحكمة فيما لديه. لكن من المهم أن ندرك الفرق بين ما يمثل هوية للذات وللآخر، وفيه تقل مساحة النقل والاقتباس؛ وما يمثل قاسما مشتركا بين الأمم والحضارات، وهو مجال رحيب للإفادة والتواصل.

هكذا فعل المسلمون إبان نهضتهم الأولى؛ فلم ينقلوا كل تراث الأمم السابقة عليهم، بل أخذوا ما يفيدهم ويتوافق مع ثوابتهم؛ مثل تدوين الدواوين، وعلوم الطب والفلك والرياضيات؛ دون الفلسفات والأديان، التي حين انتقل شيء منها للعقل المسلم بعد ذلك أحدث له إرباكا شديدا.

ولذا، ينبغي أن نقف موقفا وسطا بين دعوات الذوبان في الآخر، ونقل كل ما لديه من خير وشر، كما يريد دعاة التغريب في بلادنا الإسلامية؛ ودعوات الانغلاق والانعزال وعدم التعرف على الآخر والإفادة منه.

بهذه الأبعاد الثلاثة تتشكل الشخصية الإسلامية النابضة بالحياة؛ التي تمتد جذورها إلى تراثها الزاخر، وتتشابك فروعها مع واقعها الراهن، وتستفيد من حكمة الآخرين.. في اعتزاز بالتراث لا جمود معه، وفي تفاعل مع الواقع لا ذوبان فيه، وفي إفادة من الآخر مع انتقاء واع على بصيرة.

الهوامش

١- «الشخصية» بوجه عام هي: الفرد المتفوق أو الذي له سلطان. وفلسفيا: وحدة الذات بما فيها من وجدان وفكرة وإرادة وحرية واختيار. انظر: «المعجم الفلسفي»، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص: ١٠١، ١٠٢، ١٩٨٣م.

٢- راجع المزيد عن مفهوم الشخصية وأبعادها في: «مشكلة غياب الشخصية والهوية الإسلامية»، د. مقداد يالجن، ٢٥ وما بعدها، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٩٩٤م.

٣- أخرجه الحاكم في المستدرك، من حديث أبي هريرة، وقال: «حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه».

٤- رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود. راجع المزيد في مقالي: «الجمال.. خيط ناظم لتجليات الإسلام»، مجلة «الوعي الإسلامي»، العدد (٦٠٧).

٥- جاء في التحرير والتنوير: وجملة «إن الله قوي عزيز» تعليل لجملة «أرسلنا رسلنا بالبينات» إلى آخرها؛ أي: لأن الله قوي عزيز في شؤونه القدسية، فكذلك يجب أن تكون رسله أقوياء أعزة، وأن تكون كتبه معظمة موقرة. وإنما يحصل ذلك في هذا العالم، المنوطة أحداثه بالأسباب المجعولة، بأن ينصره الرسل وأقوام مخلصون لله، ويعينوا على نشر دينه وشرائعه. انظر: «التحرير والتنوير»، ابن عاشور، تفسير سورة الحديد، من «المكتبة الإسلامية»، موقع «إسلام ويب».

سيد الطيب
كاتب مصري

صناعة التسامح

الأرباح العائدة من صناعة التسامح (المنتجة في عضلة القلب) لا يمكن تقديرها؛ لأن الحسابات تتم تحت إشراف إلهي مطلق، والقانون المسير للوارد والصادر يتلخص في بنود، منها: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ولعل النماذج التي خلدها التاريخ في الإشادة بهذه الصناعة تشهد برفعة المنتج وجودته؛ ولم يكتسب هذه الصنعة إلا الأفذاذ الذين عبروا عنها في أسمى نتاج بشرى؛ فالكريم ابن الكريم (يوسف الصديق) سامح إخوته وعافاهم من الحرج، وبرر لهم ما صنعوه معه لأسباب نتجت من نزغ الشيطان.

ولقد خرجت صنعة التسامح في أجمل هيئتها من الصادق الأمين، وخاتم النبين؛ محمد ﷺ الذي قننت رسالته وأصلت لهذا المنتج في عدة مسائل منها: الفتوحات ومعاملة الأسرى والإصلاح بين المتخاصمين. ولقد ضرب بنفسه أروع الأمثلة للتسامح والصفح عن أهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وهو في أوج قوته وعتاده وجنده يوم الفتح، وبعد رحلة ممتدة من الإيذاء النفسي والاستضعاف.

صناعة التسامح تتوقف عند الحرمات موقفا حازما، وقد شرع الله للمظلومين القصاص العادل دون مؤاخذة أو توبيخ، ثم رغبهم في التسامح والعفو والصفح بما عنده من جنات ونهر ورؤية وجهه الكريم.

د. مجدي محمد حسن
وزارة الأوقاف الإسلامية - الكويت

القرآن وتربية الشخصية المبدعة

القرآن الكريم لم يكتف بذكر العقل وفضله، وتعقله وتدبره لـلأمور، بل دعا العقل المسلم إلى التفكر، وإعمال الفكر، والتدبر، وإطلاق آفاق الفكر فيما حوله من الكون الرحيب، وأخذ العقل المسلم ليضعه على عتبة الإبداع، ومحاولة الاختراع، والترقي، والتطور في الأعمال والصناعات.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ (آل عمران:١٩٠)، وأولو الألباب هم أصحاب العقول الذين ينظرون إلى لب الأمور، وجوهرها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (البقرة:١٦٤).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ (الرعد:٣-٤).

وفي سورة النحل آيات تستدعي العقول للتفكر، والتعقل، ثم الاعتبار، قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً

﴿ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ ﴾ (النحل:١١-١٤).

هذه نماذج من آيات القرآن الكريم تستحث العقل على الفكر والعمل الفكري، والنظر والتأمل والتدبر؛ ليتربى العقل على عمله الحقيقي، وينشأ عليه، لا أن يترك هملا معطّلا عن الحركة الفكرية التي تطوره وتنميه وتزكيه، وتجعله يمضي قدما في الفكر والإبداع، ويطور حياته على ظهر هذا الكوكب، وهو الجانب العملي الذي تفرد به الإنسان عن سائر المخلوقات، فهو أسبق بفكره، وإبداعه.

إن الحث والتحفيز من بعض آيات القرآن الكريم على تدبر القرآن يوصل إلى أسراره المكنونة، وإن الوصول إلى أسرار القرآن توصل حتما إلى مغاليق الكون.

ورسخ القرآن الكريم في الشخصية المسلمة أن الله تعالى هو البديع، قال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ (البقرة:١١٧)، أي خالقهما على غير مثال سابق، خلق، وإبداع، واختراع، لم تر الكائنات والمخلوقات مثله.

ألا يدعو ذلك الإنسان المسلم إلى أن يكون كذلك في عالمه الأرضي، فيكون مبدعا بما وهبه الله تعالى على قدر طاقته، واستطاعته، وقدرته، وإرادته.

الإبداع الإنساني عبر التاريخ

هناك موروثات حضارية كثيرة كانت ناتجة عن هذا الإبداع الإنساني، قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ﴾ (الفجر:٦-١٠).

وقوم عاد، قال الله تعالى عنهم: ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ ﴾ (الشعراء:١٢٨-١٢٩)

والمصانع: الحصون والقصور، أو أبراج الحمام، وقيل: حياض لجمع الماء.

وقوم ثمود، قال الله تعالى عنهم: ﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ١٤٧ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ١٤٨ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ١٤٩ ﴾ (الشعراء:١٤٦-١٤٩).

الهضيم: الرطب اللين، فارهين: حاذقين بنحتها تجبرا وتكبرا.

إن الإنسان في سائر أطوار حياته كان مبدعا غاية الإبداع، فطوّر الأرض، وعمرها بسائر الأعمال والصناعات، ولا تكاد أمة لا تضع بصماتها في عالم الإبداع والتقدم والإنجازات الحضارية، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ﴾ (الروم:٩).

إن القرآن الكريم لم يرد من المسلم أن يكون في فكره مثاليا ومغرقا في الخيال، يجنح بفكره عن الواقع، ويسبح به في دنيا الخيال والأحلام، بل لابد أن يتعانق هذا الفكر مع الواقع، ويحتضنه ويباشره ويلامسه، من هنا كانت دعوة القرآن الكريم إلى العمل والإبداع.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ (التوبة:١٠٥)

وطالبنا القرآن بالحركة في الأرض بصور مختلفة، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ (الملك:١٥)

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ ﴾ (الجمعة:١٠)

وقال سبحانه: ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ (المزمل:٢٠)

والنبي ﷺ علمنا أن لا حدود للعمل والسعي والانتشار في الأرض، فساعة العمل تبدأ منذ لحظات القدرة عليه، وتوافر الاستطاعة، أما وقت الانتهاء من العمل وعمارة الأرض فغير معلوم لنا، وغير محدود.

والنبي ﷺ يقول: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد).

والله تعالى كما أمرنا بالعمل؛ أمرنا بالإحسان والإتقان، فقال تعالى: ﴿ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾ (البقرة:١٩٥).

ويعلمنا الإتقان من خلال المبدعين الأوائل الذين خلّد القرآن ذكرهم، فقال عن النبي داود عليه الصلاة

والسلام، وقد علمه الله تعالى صناعة الدروع: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ (الأنبياء:٨٠)، وقال تعالى: ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ (سبأ:١١)، أي: أن يكون هناك تناسب بين المسمار والحلقة، فلا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فلا تمسك، أو لا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فلا تلتئم، تماما كحال الأزرار وفتحاتها في ثيابنا اليوم، فارتداء دروع الحرب لابد من ضبطه على الجسد كما يضبط سائر الثياب.

وهذا نبي الله سليمان يبدع في بناء صرح (قصر) بطريقة بلغت الذروة في الروعة والجمال، غير مسبوق في ذلك: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النمل:٤٤).

وبعض العلماء فسروا الصرح بأنه قصر، قالوا كان قصرا من البلور، أقيمت أرضيته فوق الماء، وظهر كأنه لجة، فلما قيل لها: ادخلي الصرح حسبت أنها ستخوض تلك اللجة، فكشفت عن ساقيها.

وبعض العلماء قال: إن بلاط القصر اتخذ من زجاج وجعل تحته ماء وأسماك، فلما رأته حسبته لجة، أي: ظنته ماء كثيرا، فلذلك كشفت عن ساقيها لتخوض في الماء، كان ذلك من هول المفاجأة وشدة الاندهاش، مما جعلها تخالف المراسم الملكية، فتكشف عن ساقيها، وهو أمر غير معهود في المواكب الملكية والرسمية، فأخبرها النبي سليمان عليه السلام ﴿ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ (النمل:٤٤).

والمرد هو: الملس، ومنه الأمرد: الذي لم تنبت لحيته بعد إدراكه، وشجرة مرداء: لا ورق فيها.

ولقد كان النبي سليمان سابقا لعصره في هذه الهندسة الإنشائية المعمارية.

كذلك ما فعله ذو القرنين عند بناء الجدار، وإقامة الردم من إضافة النحاس إلى الحديد؛ ليكون الحديد أشد ما يكون من الصلابة والقوة، وهو ما وصل إليه العلم حديثا، حتى إنهم لم يستطيعوا تسوّره، أو خرقه.

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ ﴾ (الكهف:٩٥-٩٦).

رسخ القرآن الكريم للفكر الإبداعي في ثنايا آياته الكريمة

الإبداع الكامن والتفاعل المأمول

هذه النماذج الفكرية الإبداعية جعلها الله تعالى في كتابه الكريم؛ لتكون نبراسا وسراجا منيرا لخير أمة أخرجت للناس، حتى لا تنزلق في الفكر المغرق في الخيال، كما هو الحال في الفلسفة الإغريقية القديمة، أو تفتن بالطبيعة، والمادة ولا ترى وجودا لشيء سوى المادة، إنما لتخرج للناس إبداعا مفعما بالإيمان، وتقدما تكنولوجيا يجمع بين الدين والدنيا، بين إقامة الدين وشعائره، وبين عمارة الأرض للحياة والأحياء، فذاع صيت المسلمين في عالم الابتكار والإبداع: جابر بن حيان في الكيمياء، ابن سينا في الطب، والزهراوي والرازي في الطب والكيمياء، وابن البيطار في الأدوية والأغذية، والكندي في العلوم الحكمية والهندسة، وغيرهما، والخوارزمي وضع علم الجبر والحساب، وابن الهيثم في الرياضة، والهندسة، والطبيعة، وغيرهم الكثير لا نستطيع ذكرهم ممن ذاع صيتهم، وعلا نجمهم في عالم الإبداع، والابتكار، والتكنولوجيا.

الحضارة المعاصرة

إن نتاج الحضارة المعاصرة في بلاد الغرب لم تكن حكرا على علماء الغرب فحسب، بل إن المسلمين والعرب شاركوا في بزوغ الحضارة المعاصرة بدءا من تأثير الحضارة الإسلامية في بلاد الأندلس، وأخذ الغرب من علماء المسلمين ومصنفاتهم ما أسسوا به للحضارة المعاصرة، وانتهاء بوجود الكثير من الأكاديميين، والباحثين في جامعات الغرب، ومن أبرزهم: د. فاروق الباز، د. أحمد زويل، وغيرهم الكثير ممن يشغلون المراكز العلمية، والبحثية في بلاد الغرب.

كيف نعمل على إيجاد المبدعين

لابد من أن توجد مفاهيم الإبداع، والابتكار، والاختراع في مفرداتنا الثقافية، وأن تشغل حيزا في الفكر الإسلامي المعاصر.

كما أنه يجب أن تحفل بذلك قاعات الدرس في المدارس، والجامعات للعمل على إيجاد جيل مبدع يكمل المسيرة الإنسانية في الإبداع.

لقد رسخ القرآن الكريم للفكر الإبداعي في ثنايا آياته الكريمة: يحفز، ويدعو، ويحث، ويلفت الانتباه.

بقي أن يكون الإبداع عندنا نوعا من الممارسة، والتدريب، والتمرين، وكثرة المران والتمرس حتى نصل بالفعل إلى الإبداع، والتقدم، والعطاء، والتكنولوجيا؛ ليكون سلوكا علميا، وتربويا.. لابد من آلية عمل في تربيتنا العلمية تجعل الإبداع سلوكا علميا واعدا في الشخصية المسلمة.

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية تربوية

الشخصية الإسلامية التي نريد

إن مما يتبادر إلى الذهن ونحن المسلمون نسعى في فلك العالم اليوم كباقي الأمم؛ هل نحن المسلمون نمثل الشخصية الإسلامية الحقة التي أرادها الله تعالى لنا؟ وهل نحن نمثل الشخصية المميزة والرائعة التي يرنو الآخرون ويتطلعون بأبصارهم نحوها ليكونوا مثلها؟!

قد يقول قائل إننا أبعد ما نكون اليوم عن الشخصية الإسلامية التي أرادها منا ديننا القويم، وقد يكون في هذا جانب من الصحة. أتدرون لماذا؟ لأننا فقدنا ثقتنا بأنفسنا وبقدراتنا وباعتزازنا بتراثنا وتعلمنا من ماضينا العريق، وابتعدنا عن تعاليم ديننا، ولم نفهم إسلامنا بشكل صحيح، وأضعنا البوصلة فابتعدنا عن الأهداف والسمات المطلوبة،

فكما قال الأديب والمربي علي الطنطاوي، رحمه الله، يوما: «أتدرون ما هو أعظم خطب يمكن أن ينزل بنا؟ وما هي أدهى مصيبة يخشى أن تصيبنا؟ يجيب: لا ليس الاستعمار لأننا سنقاومه حتى لا يبقى في ديار العروبة ومنازل الإسلام، وإنما المصيبة أن نكفر بأنفسنا وبذاتنا، وأن نجهل أقدارنا (قدراتنا وتقديرنا لذاتنا)، وأن لا نعرف فوق الأرض مكاننا، وأن نحسب أننا خلقنا

لنكون أبدا أضعف من الغربيين وأجهل منهم، وأن ننسى أن الأيام دول وأن الدهر دولاب يهبط العالي ويعلي الذي هبط» (من كتاب روائع الطنطاوي).

من أين نبدأ؟

علينا أولا أن نعتز بأنفسنا ونزرع في نفوسنا ونفوس أبنائنا أننا أمة قوية جاءت بدين الحق والعدل والتطور والإعمار للأرض، دين متكامل صالح لكل زمان ومكان، دين حيوي ديناميكي، يراعي كل جوانب الحياة (الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والروحية والعلمية والثقافية) فهو لا يعارض أيا منها.

علينا أن نتذكر أننا حينما تمسكنا بديننا حملنا المنار الهادي للأرض في ليل الجهل والضلال، وحينما التزمنا بديننا نصبنا موازين العدل يوم كانت الأمم، ومازالت، يأكل قويها الضعيف، وأننا بديننا العظيم أعلنا المساواة والعدل بين بني البشر، بل طبقناهما فعلا، ولم ننتظر موت ملايين البشر ودمار بيوتهم لنعلن حقوق الإنسانية ولا نطبقها أو نطبقها بمكيالين!

علينا أن نتذكر أننا حينما فهمنا ديننا بشكل سليم كان منا القادة والأساتذة والعلماء والمفكرون والأطباء والمخترعون والمكتشفون وأعمدة الحضارة، وحينما ابتعدنا عن فهم الدين فصلناه عن واقع الحياة وجعلنا الدين عبادات لله فقط، بل حتى هذه العبادات بمرور الوقت تخلينا عنها وأصبحت دربا من المشقة والتعقيد والرجعية كما يتصورها البعض! فاليوم كثير من المسلمين أصبحوا بلا عبادة، وبلا أخلاق إسلامية، وبلا سمة تميزهم!

الشخصية الإسلامية تشتق قوتها من صلتها بخالقها وبدينها

وهذا يعيدنا إلى السؤال الأساسي: ما الشخصية الإسلامية التي نريد؟ في اللغة العربية الشخصية، هي: لفظ يطلق على كل جسم له ارتفاع وبروز وظهور. وعند علماء النفس والتربية، هي: مجموع الصفات والخصائص الجسدية والعقلية والعاطفية والميول والرغبات والقيم الأخلاقية والإمكانات والمواهب والقدرات والسلوكيات التي يتصف بها الفرد، والتي تحدد تفاعله مع نفسه وغيره من الناس، وتعينه على التكيف مع بيئته والتأثير فيها.

ومن هنا، فإن الشخصية الإسلامية التي نريد هي التي تتصف بالصفات التالية:

أولا - ذات هوية إسلامية واضحة

يفترض بالمسلم أن تكون له هوية واضحة تميزه عن غيره في سلوكاته وأفعاله وأقواله ورغباته وفي شكله ولباسه الساتر والمحتشم، ولكن اليوم، وللأسف، فقدنا الكثير من الاعتزاز بثقافتنا وديننا، فأصبحنا نقلد الأجانب في كل شيء؛ في سلوكاتهم وكلامهم وميولهم وحركاتهم ولباسهم وقصات شعرهم، ذكورا وإناثا، وفي كل ما هو أصله مظاهر خداعة، وليتنا اقتدينا بهم في اهتمامهم بالعلم والتعلم، وفي إتقانهم لعملهم، وفي إنتاجهم الفكري والتكنولوجي والعلمي، أو في احترامهم للوقت والنظام!

عن حذيفة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا» (رواه الترمذي).

فهويتنا المسلمة اليوم ضائعة ذائبة في كثير من الأحيان، ليس لها طعم أو لون أو رائحة!

ثانيا - ربانية قريبة من الله

الشخصية الإسلامية الحقة شخصية سوية واعية مخلصة لله، ملتزمة بدين ربها، متزنة، لها ذاتيتها المستقلة التي تميزها عن غيرها، ولها عبادة ربانية تقربها من خالقها في صلاتها، وصيامها، وطاعتها لله ودعائها له، وتوكلها على الله في أغلب شؤونها. فأساس ذلك كله إيمانها بعقيدتها ومبادئ دينها الحنيف، وأنه عماد حياتها وقوام وجودها.

فالإسلام هو الخضوع والاستسلام لله تعالى في كل أمر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ (الأنعام:١٦٢- ١٦٣).

ثالثا - أهدافها سامية وعالية الهمة

الشخصية الإسلامية الحقيقية عالية الهمة والإرادة، ذات عمل جاد ونشاط، وضعت لنفسها أهدافا راقية عظيمة كالمساهمة في رقي أمتنا الإسلامية وتطويرها وتحسين بلادها. الشخصية الإسلامية تشتق قوتها من صلتها بخالقها وبدينها، ومن فهمها لسبب وجودها على الأرض، فالله تعالى لم يخلق الإنسان إلا لعبادته وإعمار الأرض، ولذلك سخرها له ويسر له العيش بها.

وعبادة الله تعالى لا تعني أن يقف المسلم طوال وقته في مصلاه يتعبد لله تعالى، بل قد يستطيع أن يقصد وجه الله تعالى في كل عمل يقوم به؛ فالمسلم وهو يؤدي عمله ووظيفته إن أراد إنجاز المطلوب والتحسين والتطوير للبشرية فيما يرضي الله تعالى والإضافة والإتيان بشيء جديد؛ قاصدا إعلاء اسم الدين عاليا وإعطاء فكرة رائعة عن المسلم الحقيقي وهادفا لتقدم أمته الإسلامية وحل مشاكل في بلاده، فإنه بذلك قد يصل إلى مراتب المجاهد في سبيل الله وأعلى الدرجات؛ لأنه يرضي الله تعالى، وقد يدخل كثيرون في دين الله من غير المسلمين بسبب سلوكاته وإنجازاته، وهذا ما نأمله لأن نعود كما كان عظماؤنا الأوائل.

رابعا - تتقن العمل وتنتج العلم

إن مما نعاني منه اليوم، وأقصد كمسلمين، أننا وكثير منا لم نعد نضع تقوى الله تعالى نصب أعيننا في أعمالنا ووظائفنا المطلوبة منا، ولم نعد نرقب عين الله علينا، بل أصبحنا ننجز جيدا حينما نشعر بوجود الرقيب، وحينما يكلفنا المدير بمهمة فإننا نقدمها على أفضل ما نستطيع، وإن غاب الرقيب فإننا نؤخر ونؤجل وننجز بأقل من قدراتنا وبأقل جهد ممكن للأسف!

وإن قارنا بيننا وبين الموظفين الأجانب في الدول المتقدمة، نجدهم يحبون عملهم، ويتنافسون فيه، ويبحثون عن كل جديد وعما يطور إنتاجاتهم، ويقدمون الخبرات ويتبادلون التجارب فيما بينهم؛ لذلك أتقنوا عملهم بوجود الرقيب أو عدمه، وأبدعوا وأنتجوا واخترعوا واكتشفوا، واعتزوا بأنفسهم وبقدراتهم، وسيطروا وتحكموا في العالم كله.

وإننا ننصح: اتخذ تقوى الله تجارة يأتك الربح بلا بضاعة.

خامسا - تتصف بالأخلاق الإسلامية

لا يوجد دين يحث على الأخلاق السامية بهذا الكم الهائل والمواقف التربوية العظيمة كالدين الإسلامي، فكم من السلوكات والأخلاق في ديننا! وإننا والله إن التزمنا بها لأصبحنا أعظم الشخصيات، وأعظم الأمم، ولغدونا كما كان الصحابة الكرام والتابعون وغيرهم في سمو أخلاقهم! فهل انتشر الإسلام في كثير من بلاد آسيا إلا بالأخلاق الإسلامية للتجار؟!

فانظر مثلا للحث على الأخلاق في التعامل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تدابروا، ولا يبع أحدكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا (ويشير إلى صدره ثلاث مرات)، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (رواه مسلم).

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا» (رواه الترمذي).

وفي الحديث الشريف أيضا: «إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» (الألباني في السلسلة الصحيحة).

ولكن الغريب أن في هذا الزمان، وللأسف، انتشرت بين المسلمين الكثير من الأخلاق السيئة؛ كالكذب والغش والخداع والتحايل والسرقة والتكبر والفساد الديني والفساد الأخلاقي وقبول الرشوة وقبول الربا. واعتبر كثير من تلك الأمور من المباحات ومن الحلال ومن الذكاء و«الفهلوة»! فصرنا أبعد ما نكون عن سمات الشخصية المسلمة.

سادسا - تتبع قدوة راقية

مما نعجب منه في هذ الزمان أن أبناءنا، بل بعض كياننا، اتخذوا قدوة لهم أقل ما يقال عنها أنها سخيفة دونية لا أهداف سامية لديها، بل إن أهدافها الإفساد والضلال! وتركنا قدواتنا العظيمة من الصحابة الكرام العظماء الفاتحين الذين لولاهم لما انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية!

كيف تركنا أعظم قدوة وهو نبينا العظيم الذي إن اتبعناه أصبحنا أعظم الأمم وأرقاها بكل النواحي الاجتماعية والأخلاقية والسياسية والعلمية والاقتصادية، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب:٢١).

فالدارس لسيرة رسول الله ﷺ يدرك كم كان رسول الله عظيما بأخلاقه وبأقواله وأفعاله وتوجيهاته، فهو أروع قدوة على مر التاريخ. وحينما كتب مايكل هارت كتاب أعظم مئة شخصية تأثيرا في التاريخ لم يجد بدا من وضع محمد بن عبدالله أول شخصية عظيمة في التاريخ وأن يجعله على رأس أعظم مئة من بين مليارات البشر الذين مروا على الكرة الأرضية، جمعنا الله وإياه ﷺ في جنات النعيم.

سعيد الشوي - المغرب
باحث في الدراسات
والعلوم الإنسانية

فطرية الموازنة بين المصالح والمفاسد في شخصية الإنسان

لقد شاءت حكمة العلي القدير أن خلق الإنسان على تركيب خاص في جسمه، وعلى بناء قويم في نفسه، وعلى هيئة حكيمة في عقله؛ تكون في مجموعها الفطرة التي خلق عليها الإنسان، وعلى أساسها تم تكليفه بالدين (١). والفطرة هي الخلقة، أي: النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق. ففطرة الإنسان هي ما فطر، أي: خلق عليه الإنسان ظاهرا وباطنا، أي: جسدا وعقلا. فمشي الإنسان برجليه فطرة جسدية، واستنتاج المسببات من أسبابها والنتائج من مقدماتها فطرة عقلية (٢).

ولقد عولت الشريعة الإسلامية في كثير من أحكامها على الوازع الجبلي، الذي يزع الناس عن ارتكاب المفاسد أو التفريط في المصالح؛ إذ كان ذلك كافيا لها من الإطالة بالتشريع للمنافع التي تتطلبها الأنفس من ذاتها، وبالتحذير من المفاسد التي يكون للنفوس منها زاجر عنها (٣)؛ لأن حكمة الحكيم الخبير حكمت أن قيام الدين والدنيا إنما يصلح ويستمر بدواع من قبل الإنسان تحمله على اكتساب ما يحتاج إليه هو وغيره (٤).

ولهذا نجد العلماء كثيرا ما يعولون على الجبلة في العديد من المسائل الفقهية، ويقولون: «وازع الطبع أقوى من وازع الشرع»، أو بعبارة أخرى: «وزع الطبع أقوى من وزع الشرع». فينزلون، مثلا، قول الواحد منزلة قول العدد لقوة الوازع، في مثل إقرار المرء بما يختص إضراره به، كإقراره على نفسه بحد أو قصاص أو مال؛ فيقبل قوله فيه؛ لأن وازعه عن الكذب طبعي، ووازع الشهود شرعي، والوازع الطبعي أقوى من الوازع الشرعي. وكإقرار المكلف على نفسه بما يشد ضرره عليه مع كونه يضر بغيره؛ فيقبل قوله لقوة الوازع عن الكذب. وكذلك يقدمون الإقرار على البينة؛ لأن الظن المستفاد منه أقوى من الظن المستفاد من شهادة الشاهد؛ لأن وازع المقر عن الكذب في إقراره طبعي، ووازع الشاهد شرعي، والوازع الطبعي أقوى من الوازع الشرعي، ولذلك يقبل الإقرار من المسلم والكافر والبر والفاجر؛ لقيام الوازع الطبعي (٥).

وقد اعتبر العز بن عبدالسلام، رحمة الله عليه، الموازنة من الصفات الجبلية التي فطر عليها الإنسان، فهي صفة مركوزة في الطباع العباد كما قال، رحمة الله عليه: «واعلم أن تقديم الأصلح فالأصلح ودرء الأفسد فالأفسد مركوز في طبائع العباد، نظرا لهم من رب الأرباب» (٦)، وقد مثل لذلك، رحمة الله عليه، بالصبي الصغير لو خير بين اللذيذ والألذ لاختار الألذ، ولو خير بين الحسن والأحسن لاختار الأحسن، ولو خير بين فلس ودرهم لاختار الدرهم، ولو خير بين الدينار والدرهم لاختار الدينار. وأكد، رحمة الله عليه، على أنه لا يخرج عن هذا المنهج في الموازنة؛ فيقدم الصالح على الأصلح إلا جاهل بفضل الأصلح، أو شقي متجاهل لا ينظر إلى ما بين الرتبتين من تفاوت (٧).

وقد أشار، رحمة الله عليه، في

موضع آخر إلى أن الله تعالى قد طبع عباده على إيثار أفضل الأغراض فأفضلها، وعلى طلب أمثلها فأمثلها، وعلى دفع أعظم الضررين بأدناهما؛ فلا يقدم المفضول على الفاضل إلا غبي جاهل برتب الفضائل، أو شقي غافل عن أعلى المنازل (٨). فمن عرف إذن مصالح الدارين وشرفهما حثه طبعه على طلب أحسنها فأحسنها، وأفضلها فأفضلها، كما يحثه على دفع أقبحها فأقبحها، وأرذلها فأرذلها (٩)؛ لأن الله تعالى خلق في أكثر الناس من الأخلاق ما يحثهم على كل حسن، ويزجرهم عن كل قبيح؛ لينتفعوا بذلك في الفترات بين الرسل، ويعرفوا الحكمة فيما جاءت به الرسل؛ ليشكروا على ذلك (١٠). وقد ذكر العز، رحمة الله عليه، بعض الأخلاق التي جبل وفطر عليها الإنسان، والتي تدعو إلى ما تدعو إليه الشرائع، وتحث عليه كرام الطبائع، فمن وافقها صلح ومن خالفها فسد، ومنها (١١):

- الحياء فإنه يحث صاحبه على كل حسن، ويزجره عن كل قبيح.
- السخاء فإنه يدعو صاحبه إلى بذل الأموال والمنافع في جلب مصالح الدنيا والآخرة.

الحياء يحث صاحبه على كل حسن ويزجره عن كل قبيح

- الغيرة فإنها تحث على صون الحرم عن الفواحش وأسبابها، قريبها وبعيدها.
- الشجاعة فإنها تحمل صاحبها على نصرة الدين بقتال من يجب قتاله من البغاة والعصاة والصوال والمشركين.
- الرحمة والرأفة اللتان تحملان صاحبهما على الإحسان إلى الضعفاء والفقراء والمرضى والمحتاجين.

ومن براعة العز، رحمة الله عليه، وفطنته أن تمكن من الربط بين صفات الله تعالى وفقه الموازنات، إذ اعتبر الموازنة بين المصالح من مستلزمات التخلق بصفتي الله تعالى: المقدم والمؤخر. إذ أفرد فصلا خاصا في التخلق بالتقديم والتأخير، ذكر فيه أن «المقدم والمؤخر؛ ثمرة معرفتهما المهابة والإجلال، والاعتماد عليه في تقديمه وتأخيره، ورجاء أن يقدمك بطاعته، وخوف أن يؤخرك بمعصيته.

والتخلق بهما بتقديم ما أمرت بتقديمه، وتأخير ما أمرت بتأخيره؛ بأن تقدم الأماثل على الأراذل، وأن تقدم أوجب الطاعات على واجبها، وأفضلها على فاضلها، ومضيقها على موسعها، وبأن تقدم القربات والطاعات إلى أوائل الأوقات، فإن الله مدح الذين يسارعون في الخيرات» (١٢).

وعليه، فالموازنة لمعرفة الأوزن في ميزان الشرع؛ لتقديم الأصلح فالأصلح، ودرء الأفسد فالأفسد هي استجابة لأوامر الله التكوينية والتشريعية؛ لأنه تعالى من رفقه بنا أنه أمرنا إذا اجتمعت مصلحتان: قاصرتان أو متعديتان، فإن عجزنا عن تحصيلهما حصلنا أعلاهما. وإن اجتمعت مفسدتان: قاصرتان أو متعديتان؛ أن ندفعهما. فإن تعذر دفعنا أقبحهما وأكثرهما.

الهوامش

١- ينظر: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة للدكتور عبدالمجيد النجار، ص:٨٧.
٢- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور، ص:٥٥.
٣- ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للطاهر بن عاشور، ص:١٢٣.
٤- ينظر: الموافقات للإمام الشاطبي: ٢/١٣٣.
٥- ينظر: قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام: ٢/٩٠ - ٢٤٢ - ٢٦٦ - ٣٥.
٦- ينظر: قواعد الأحكام: ١/٩.
٧- ينظر: قواعد الأحكام: ١/٩.
٨- ينظر: شجرة المعارف، ص: ٥٨- ٥٩.
٩- ينظر: قواعد الأحكام: ١/١٦٤.
١٠- ينظر: قواعد الأحكام: ١/١٦٤.
١١- ينظر: قواعد الأحكام: ١/١٦٤- ١٦٥.
١٢- شجرة المعارف، ص: ٩٠- ٩١.

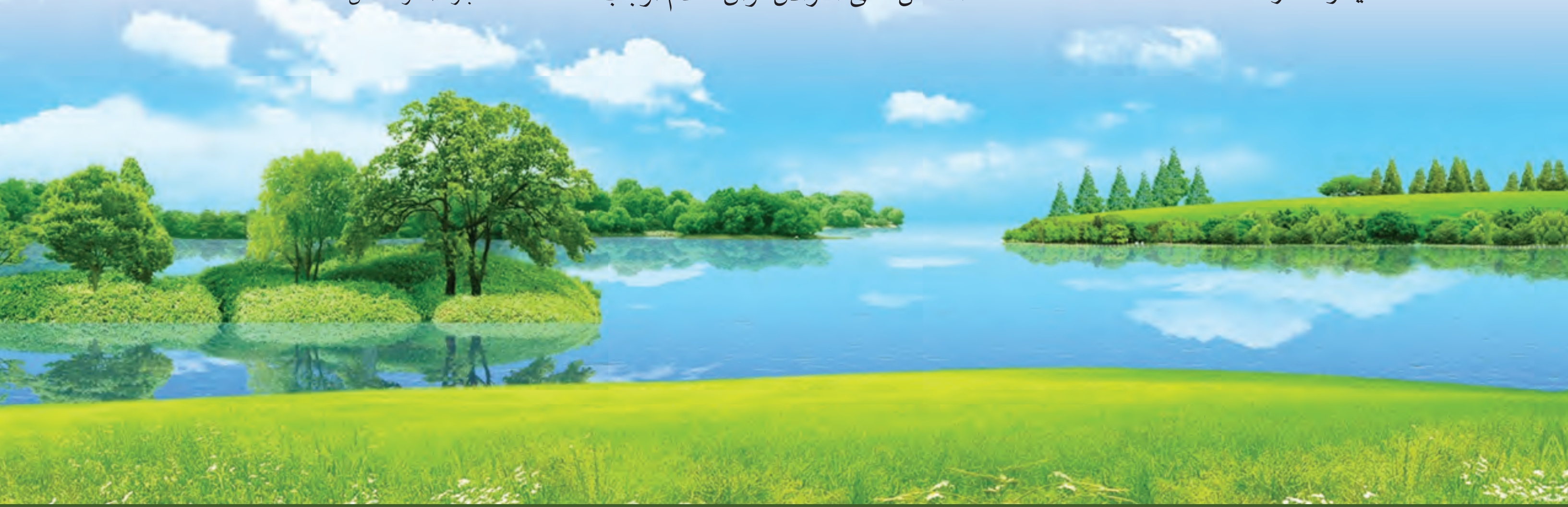

أشرف صلاح علي
متخصص في علم الحديث والسنة النبوية

بيان خطأ من أخطأ على الشافعي رحمه الله تعالى

الشافعي هو أستاذ علم الاستدلال، وربان سفينة علم أصول الفقه، وفاتح مغاليقه، ومؤسس أصوله، ومرتب أركانه، ومنسق فروعه، وهو مجدد المئة الثانية كما ذكر ذلك غير واحد منهم السيوطي في منظومته في المجددين والتي أولها:

الحمد لله العظيم المنة
المانح الفضل لأهل السنة
ثم الصلاة والسلام نلتمس
على نبي دينه لا يندرس
لقد أتى في خبر مشتهر
رواه كل حافظ معتبر
بأنه في رأس كل مئة
يبعث ربنا لهذي الأمة

وفيها:

والشافعي كان عند الثانية
لما له من العلوم السامية

ولقد كان رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا والعافية للناس كما قال أحمد، جاء وأهل الرأي في غاية العلو والظهور، يتعالون على أهل الحديث ويتهمونهم بقلة الفهم في الأدلة، وعدم القدرة على إقامة الدليل وضبط التعليل، حتى جاء الشافعي رحمه الله تعالى ووضع الرسالة ونصر أهل الحديث فلقبوه بـ «ناصر الحديث».

وعلم الأصول كما يعلم أهله، لا يعلق بصاحبه علوقا تاما حتى يكون من المتقدمين في الوحيين والعربية لما بينها من اتصال وتمازج إلى الغاية القصوى، ولقد كان للشافعي رحمه الله تعالى النصيب الأوفى والقدح المعلى في تلك العلوم.

ثم إنه وفي سنة (١٩٣٩م) أخرج لنا الشيخ أحمد شاكر كتاب «الرسالة» محققا مضبوطا، ففرح به أهل العلم أيما فرح، وشكروا له صنيعه وعمله، غير أنه وفي أثناء تحقيقه للكتاب وقف عند قول الشافعي رحمه الله تعالى في سياق استدلاله لفرض الله في كتابه اتباع سنة نبيه: «وضع الله رسوله من دينه وفرضه وكتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ﴾ (النساء:١٧١)، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ (النور: ٦٢) (١).

فقال الشيخ أحمد شاكر معلقا على قول الشافعي رحمه الله تعالى: والعصمة لله ولكتابه ولأنبيائه، وقد أبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، كما قال بعض الأئمة من السلف، فإن الشافعي رحمه الله ذكر هذه الآية محتجا بها على أن الله قرن الإيمان برسوله محمد ﷺ مع الإيمان به، وقد جاء ذلك في آيات كثيرة من القرآن، منها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ (النساء: ١٣٦)، ومنها: قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ (الأعراف:١٥٨)، ومنها: قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ (التغابن:٨)، ولكن الآية التي ذكرها الشافعي هنا ليست في موضع الدلالة على ما يريد، لأن الأمر فيها بالإيمان بالله وبرسله كافة.

المستقر عليه في علم القرآن والقراءات أن ثمة اختلافات في بعض الأحرف بين مصاحف الأمصار

ووجه الخطأ من الشافعي رحمه الله: أنه ذكر الآية بلفظ: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بإفراد لفظ الرسول، وهكذا كتبت في أصل الربيع، وطبعت في الطبعات الثلاث من الرسالة، وهو خلاف التلاوة، وقد خيل إلي بادئ ذي بدء أن تكون هناك قراءة بالإفراد، وإن كانت -إذا وجدت- لا تفيد في الاحتجاج لما يريد؛ لأن سياق الكلام في شأن عيسى عليه السلام، فلو كان اللفظ: (ورَسُوله) لكان المراد به عيسى، ولكني لم أجد أي قراءة في هذا الحرف من الآية بالإفراد، لا في القراءات العشر، ولا في غيرها من الأربع، ولا في القراءات الأخرى التي يسمونها: القراءات الشاذة.

ومن عجب أن يبقى هذا الخطأ في الرسالة، وقد مضى على تأليفها أكثر من ألف ومئة وخمسين سنة، وكانت في أيدي العلماء هذه القرون الطوال، وليس هو من خطأ في الكتابة من الناسخين، بل هو خطأ علمي، انتقل فيه ذهن

المؤلف الإمام، من آية إلى آية أخرى حين التأليف، ثم لا ينبه عليه أحد، أو لا يلتفت إليه أحد!

وقد مكث أصل الربيع من الرسالة بين يدي عشرات من العلماء الكبار، والأئمة الحفاظ، نحوا من أربعة قرون إلى ما بعد سنة (٦٥٠هـ) يتداولونه بينهم قراءة وإقراء ونسخا ومقابلة، كما هو ثابت في السماعات الكثيرة المسجلة مع الأصل، وفيها سماعات لعلماء أعلام، ورجال من الرجالات الأفذاذ، وكلهم دخل عليه هذا الخطأ، وفاته أن يتدبر موضعه فيصححه.

ومرد ذلك كله -فيما نرى والله أعلم-: إلى الثقة، ثم إلى التقليد، فما كان ليخطر ببال واحد منهم أن الشافعي، وهو إمام الأئمة، وحجة هذه الأمة يخطئ في تلاوة آية من القرآن، ثم يخطئ في وجه الاستدلال بها، والموضوع أصله من بديهيات الإسلام، وحجج القرآن فيه متوافرة، وآياته متلوة محفوظة، ولذلك لم يكلف واحد منهم نفسه عناء المراجعة، ولم يفكر في صدر الآية التي أتى بها الشافعي للاحتجاج، تقليدا له وثقة به، حتى يرى إن كان موضعها موضع الكلام في شأن نبينا ﷺ أو في شأن غيره من الرسل عليهم السلام.

ونقول هنا ما قال الشافعي رحمه الله فيما مضى من الرسالة في الفقرة (١٣٦): وبالتقليد أغفل من أغفل منهم، والله يغفر لنا ولهم (٢).

قلت: وقد اشتهر هذا الإنكار وراج بين طلبة العلم، حتى ضرب به بعضهم مثلا على عدم عصمة الإنسان، ووجوب التثبت من أقوال أئمة الدين ونحو هذا، وقد هالني هذا الكلام وأزعجني ليس غلوا في الشافعي بقدر ما هو استبعاد لأن يقع في هذا الخطأ الذي لا يقع فيه آحاد طلبة العلم، الأمر الذي حداني إلى النظر في كلام الشافعي وإنكار الشيخ شاكر عليه، فاتضح لي خطأ ما حرره الشيخ شاكر وصحة كلام الشافعي

رحمه الله تعالى.

ولعمري لقد كان للشيخ شاكر رحمه الله تعالى فسحة من هذا القول وتلك الورطة لو أنه تأمل بعض التأمل، فلو ادعى مدع أن ثمة إجماعا سكوتيا من الأمة أجمع على صحة قراءة الشافعي لتلك الآية، وأنها على الصواب لا خطأ فيها، لا من جهة النساخ ولا من جهة الشافعي، ما أبعد، وبيان ذلك من وجهين: أحدهما إجمالي، والآخر تفصيلي:

أما الوجه الإجمالي: فهو نص في المقصود، وهو قاض على تلك الشبهة التي عرضت للشيخ شاكر بالكلية وبيانها:

أن المستقر عليه في علم القرآن والقراءات أن ثمة اختلافات في بعض الأحرف بين مصاحف الأمصار، منها تلك اللفظة التي أنكرها الشيخ شاكر بعينها، فقد قال ابن أبي داود: سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: بين مصحف أهل مكة وأهل البصرة اختلاف حرفين، ويقال: خمسة أحرف، عند أهل مكة في آخر النساء: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وعند البصريين: ﴿وَرُسُلِهِ﴾... (٣).

وقال العكبري: قوله ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾، يقرأ ﴿وَرَسُولِهِ﴾ على الإفراد، يراد به محمد ﷺ، ويجوز أن يراد به عيسى، أي آمنوا أنه رسول لا ولد (٤).

وعنهما ذكره الدكتور عبداللطيف الخطيب في معجم القراءات قائلا: في مصحف أهل مكة ﴿وَرَسُولِهِ﴾ مفردا، وقد عزيت إلى ابن منذر، وفي مصحف أهل البصرة ﴿وَرُسُلِهِ﴾ على الجمع، وقرأ الحسن ﴿وَرُسْلِه﴾ بسكون السين للتخفيف، وقراءة الجماعة بضمها (٥).

فإذا علمت أن الشافعي رحمه الله تعالى مكي اتفاقا، فقد دخلها وهو ابن سنتين، وحفظ فيها القرآن وهو ابن سبع، تبين لك صحة قراءته وكتابته وإملائه، وتبين حكمة سكوت أئمة الدين على مر العصور والدهور على هذه القراءة وعدم إنكارها.

أما التفصيلي فهو تنزل منا، وهو من وجوه عدة كلها قاضية بتزييف هذا الزعم وهاك البيان:

الوجه الأول: أن الشافعي إنما وضع رسالته استجابة لطلب الإمام الحافظ الناقد عبدالرحمن بن مهدي، فقد قال أبو ثور: كتب عبدالرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتابا فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة... (٦).

وقد طار أهل الحديث بهذه الرسالة كل مطار وفرحوا بها وتداولوها بينهم، حتى قال عبدالرحمن بن مهدي: ما أصلي صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها.

وقال: لما نظرت الرسالة للشافعي

أذهلتني، لأنني رأيت كلام رجل عاقل فصيح ناصح، فإني لأكثر الدعاء له.

فهل يعقل بعد هذا المدح المقتضي لحصول التدقيق والتمحيص لكل كلمة في تلك الرسالة، أن عبدالرحمن بن مهدي وجميع من وقعت له من أهل الحديث لم يلفت نظرهم هذا الخطأ في التلاوة؟

وقد يقول قائل: إنما تركوا الإنكار هيبة له؟!

ونقول: وهل تقبل عدالتهم ودينهم أن يسكتوا عن خطأ كهذا، بل إن مقتضى الفقه والفهم والمعرفة لأصول الشريعة ليحتم عليهم البيان والإنكار، فخطأ الكبير كبير، وخطأ المشهور مشهور، ولذا وجد منهم الكلام في نفر من الكبار كي لا يغتر الناس بهم ويقلدوهم فيما أنكروه عليهم.

ومن جهة أخرى فلم يكن يمنع مقدار أحد أو معزتهم له أن يتكلموا بحق علموه، وهذا ابن المديني يضعف أباه ويقول: هذا هو الدين، أبي ضعيف (٧).

فهل تكون تلك طريقهم وطريقتهم ثم يتركونها مع الشافعي رغم تحقق خطئه هيبة له؟!

الوجه الثاني: أن الشافعي رحمه الله تعالى قد كتب هذه الرسالة إلى عبدالرحمن بن مهدي إبان كان شابا، ومعنى ذلك أنه لم يكن قد بلغ ما بلغه من الشهرة والهيبة، فما الذي يمنعهم من الرد على شاب أخطأ في آية وإن برع في الفقه والاستدلال؟!

الوجه الثالث: أن الرسالة قد أملاها الشافعي على الربيع بن سليمان، وهذا ما رجحه الشيخ شاكر قائلا: وأنا أرجح ترجيحا قريبا من اليقين أن الربيع كتب هذه النسخة من إملاء الشافعي لما بينت فيما مضى، ولأنه لم يذكر الترحم على الشافعي في أي موضع جاء اسمه فيه، ولو كان كتبها بعد موته لدعا له بالرحمة ولو مرة واحدة، كعادة العلماء وغيرهم.

قلت: ويعلم أهل العلم أن الإملاء أدعى للتدقيق والتيقظ لقيام عقلين في وقت واحد بمراجعة المكتوب، ولذلك قالوا: الكتاب إذا لم يعارض خرج أعجميا، فهل مضى الوهم على الشافعي والربيع معا؟!

الوجه الرابع: أن الشافعي صنف رسالته مرتين، ولذلك يميزهما العلماء بالرسالة القديمة، والرسالة الجديدة، فالأولى صنفها ببغداد، والثانية بمصر، كما قال الفخر الرازي (٨).

والسؤال: هب أن الشافعي أخطأ في الرسالة الأولى في الآية، فهل أخطأ أيضا في المرة الثانية وانتقل نظره أو ذهنه كما قال الشيخ شاكر، وهل تمنع هيبته الناس من أن ينكروا عليه وهو يقرأ القرآن على غير الوجه المعتمد في المرة الأولى والثانية؟!

الوجه الخامس: أن الربيع بن سليمان راوي الرسالة هو كاتب النسخة التي قرأها على الشافعي، وهذا بين من كتابته إذن النسخ في آخر الرسالة في ذي القعدة سنة (٢٦٥هـ).

فهل يعقل أن يمر هذا الخطأ على الربيع دون أن يراجع الشافعي فيه ولو مرة واحدة، والعارف بالربيع وترجمته يعلم أنه كان من اللصوق بالشافعي والالتزام له بحيث لا يخشى أو يتهيب سؤاله في أمر عجيب كهذا لا يقع فيه آحاد طلبة العلم؟ وهل يعقل أن لا يوقف أحد الربيع ممن قرأ عليه الرسالة ولو على هيئة الاستفهام فقط؟

الوجه السادس: أن نصوص العلماء قاضية بأنهم راجعوا الرسالة مراجعة دقيقة، بل بحثوا في كل تفاصيلها، فقد قال أبو حاتم الرازي الإمام العلم المجتهد:

إذا قال الشافعي رحمه الله في كتبه: أخبرني الثقة عن ابن أبي ذئب فهو ابن أبي فديك، وإذا قال: أخبرني الثقة عن الليث بن سعد فهو يحيى بن حسان، وإذا قال: أخبرنا الثقة عن الوليد بن كثير فهو عمرو بن أبي سلمة، وإذا قال: أخبرنا الثقة عن ابن جريج فهو مسلم ابن خالد الزنجي، وإذا قال: أخبرنا الثقة عن صالح مولى التوأمة فهو إبراهيم بن أبي يحيى.

فالذي يقف على هذه الأمور ويفصلها ذاك التفصيل، أيعزب عن علمه ذاك الخطأ الظاهر - بحسب ظن الشيخ شاكر- في القرآن؟

الوجه السابع: أن المزني رحمه الله تعالى وهو من كبار تلاميذ الشافعي رحمه الله تعالى وصاحب المختصر عنه قال: قرأت الرسالة للشافعي خمسمئة مرة، ما من مرة منها إلا واستفدت فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى.

وقال أيضا: أنا أنظر في كتاب الرسالة عن الشافعي منذ خمسين سنة، ما أعلم أني نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئا لم أكن عرفته.

ومن شدة احتفاله بها يصرح بأنه كتبها بيده فيقول: كتبت الرسالة منذ زيادة على أربعين سنة، فهل يعقل أنه ما التفت إلى هذا الخطأ حين قراءته أو كتابته لها؟

الوجه الثامن: أن العلماء قد تتابعوا على قراءة الرسالة على شيوخهم، وهم علماء كبار حفاظ أفذاذ فمنهم: الحافظ الحميدي، والحافظ ابن ماكولا، والحافظ أبو الفتيان الدهستاني، والحافظ ابن عساكر، والحافظ الرهاوي، والحافظ تاج الدين القرطبي، والحافظ زين الدين البرزالي، وأخوا الحافظ ابن عساكر: محمد وأحمد، وابناه: القاسم والحسن، وحفيداه: محمد وعلي (ولدا القاسم)، وأبناء أخيه: عبدالله وعبدالرحمن ونصرالله وعبدالرحيم (أبناء محمد ابن الحسن)، وأسرة الخشوعي: الحافظ طاهر بن بركات بن إبراهيم الخشوعي وابنه إبراهيم، ثم بركات بن إبراهيم، ثم إبراهيم وأبو الفضل وعبدالله أبناء بركات بن إبراهيم، ثم عثمان بن عبدالله ابن بركات (٩)، وابن الأكفاني (١٠).

بل يحتفل ابن عساكر بها احتفالا خاصا فيكتب على طرتها سماعه أربع مرات: سمع جميعه وعارض بنسخته علي بن الحسن بن هبة الله (١١)، وينص بعض العلماء على أنهم سمعوها مرات فيقول الحافظ ابن العماد على نسخته: بلغ مقابلة على أصل سمع مرات، تاريخه من حين نسخ ثلاثمئة وثماني وخمسين سنة (١٢).

وينص الشيخ شاكر نفسه على أن السماعات الموجودة على نسخة الربيع يزيدون على ثلاثمئة نفس منهم حفاظ وعلماء، فهل بعد كل هذا يتصور مرور هذا الخطأ على هؤلاء الكرام جميعا؟!

الوجه التاسع: أن كثيرا من العلماء قد توفر على شرح رسالة الشافعي كأبي بكر الصيرفي المتوفى سنة (٣٣٠هـ) (١٣)، وأبي الوليد النيسابوري المتوفى سنة (٣٤٩هـ) (١٤)، والقفال الشاشي الكبير المتوفى سنة (٣٦٥هـ) (١٥)، وأبي بكر الجوزقي المتوفى سنة (٣٨٨هـ) (١٦)، ثم الإمام الجويني عبدالله بن يوسف المتوفى سنة (٤٣٨هـ) (١٧)، وغيرهم كثير، ومع ذلك فلم نسمع عالما واحدا من هؤلاء أنكر على الشافعي ما أنكره الشيخ شاكر، فهل يتصور أن هؤلاء جميعا هابوا الشافعي، أو أن الأمر مر عليهم هكذا مرور الكرام.

الوجه العاشر: أن الشافعي رحمه الله تعالى من علماء الأمة الكبار وحفاظها الذين لا يشق لهم غبار حتى قال أبوزرعة الرازي: الشافعي لم يخطئ في حديث، وحفظ الحديث أشق وأشد وعورة من حفظ القرآن، ذاك أن نصفه إنما هو أسماء الرجال، وهو ما لا يجري فيه قياس ولا شبه، فمتى لم يتقنه كاسمه أخطأ فيه، فالذي يحفظ هذا ولا يخطئ فيه البتة يخطئ في تلاوة آية؟! وفي تصنيف تعرض لتلك المعارضات والمقابلات!

الوجه الحادي عشر: أن المشهور عن علماء العربية على اختلاف طبقاتهم أنهم يعدون لغة الشافعي حجة: فهذا ابن هشام وقد عاصر الشافعي يقول: طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنة قط، ولا كلمة غيرها أحسن منها.

وقال: جالست الشافعي زمانا فما سمعته تكلم بكلمة إلا إذا اعتبرها المعتبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها.

وقال أيضا: الشافعي كلامه لغة يحتج بها.

وقال الزعفراني: كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية، فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟

قالوا: نسمع لغة الشافعي.

وقال الأصمعي: صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي.

وقال ثعلب: العجب أن بعض الناس يأخذون اللغة عن الشافعي وهو من بيت اللغة، والشافعي يجب أن يؤخذ منه اللغة، لا أن يؤخذ عليه اللغة.

أما الجاحظ فقال: نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم، فلم أر أحسن تأليفا من المطلبي كأنه لسانه ينظم الدر (١٨).

فهل غفلوا جميعا عن أن هذا اللغوي الكبير –ويعلم أرباب القراءات والقرآن ما بين اللغة والقرآن من اتصال وارتباط– لم يقفوا على هذا الخطأ، أيعقل أن يحضر له اللغويون ثم لا يقرؤون كتابه ولا يقفون على هذا الخطأ فيصححونه؟!

والجاحظ مبرز الأدباء المعتزلي وموقفه من أهل السنة والحديث ومعاداته لهم مشهورة، والشافعي من كبراء القوم، أفلا وقف على هذه اللفظة وعيرهم بها، فكبيرهم الذي علمهم الاستدلال وأوقفهم على أصول الفقه وقواعده يخطئ في قراءة القرآن، وبخاصة مع أوصافه الكثيرة لأهل الحديث بأنهم حشوية وصغار...إلخ الخ (١٩)؟!

فالحاصل أن الأمر كيفما تقلب فهو للشافعي، ولا يساعد الشيخ شاكر في مدعاه البتة، ولعل في هذا فائدة لطلبة العلم وأهله من جهتين:

الأولى: أنه لا ينبغي لمن أشكل عليه شيء رآه لأحد الأئمة، أن يسارع إلى الإنكار بمجرد خلو ما تحت يديه من المراجع بما يثبت أو يساعد كلام الإمام... يحتاج الأمر إلى تريث شديد، وإذا كان هذا قد وقع للشيخ شاكر وهو من هو فما بالك بغيره.

الثاني: أن العلم متسع متناثر في الكتب ولا يكفي أبدا لادعاء العالمية في علم معين أن يقرأ المتعلم في كتب التخصص المعروفة المشهورة، بل لابد أن يكون صاحب استقراء تام لفروع هذا العلم وكتبه ومصنفاته، وقد سألت عدة من المتخصصين في القراءات، فكلهم نفى أن يكون ثمة قراءة بهذا اللفظ، وصوبوا كلام الشيخ شاكر، وراجعت الكتب الأمهات في علم القراءات فلم أر من نص على هذا أيضا، في حين أنها في كتاب المصاحف لابن أبي داود وإعراب شواذ القرآن، وكلاهما ليس من الكتب الأصيلة في باب القراءات.

الهوامش

١- الرسالة، (٧٣) فقرة رقم (٢٣٧).
٢- الرسالة التعليق على الفقرة (٢٣٧) (ص ٧٣).
٣- المصاحف (١٥٤).
٤- إعراب شواذ القرآن (٤٢٣/١).
٥- معجم القراءات (٢٠٧/٢).
٦- معرفة السنن والآثار (٨٣).
٧- المجروحين (١٥/٢) وميزان الاعتدال (٤٠١/٢).
٨- مناقب الشافعي (٥٧).
٩- مقدمة الرسالة (٢٠).
١٠- طرة الرسالة الورقة الأولى.
١١- التوقيع رقم (٣٩) على طرة الرسالة المخطوطة، وقدمة الشيخ شاكر (٢١).
١٢- مقدمة الرسالة (٢٢).
١٣- طبقات الشافعية الكبرى (١٦٩/٢).
١٤- طبقات الشافعية الكبرى (١٩١/٢).
١٥- طبقات الشافعية الكبرى (١٧٦/٢).
١٦- طبقات الشافعية الكبرى (١٦٩/٢).
١٧- طبقات الشافعية الكبرى (٢٠٨/٣).
١٨- كل تلك الآثار في ترجمته من السير (٥/١٠) وما بعدها.
١٩- كما في مواطن من رسائله.

عبد العلي الوالي
كاتب مغربي

مقومات الحضارة من منظور قرآني

إن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، هو هل يمكن لحضارة راقية ومنسجمة مع فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، أن تقوم في مبعد عن كتاب الله تعالى؟!

إن إطلالة سريعة على ما عاشته البشرية بعد نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ إلى يومنا هذا، تجعل الجواب يهون، والإشكال يزول، إذ المعروف تاريخيا أن اقتراب الأمة من تعاليم القرآن الكريم وتطبيقها له على أرض الواقع، يمكنها من الأخذ بزمام الأمور والسير في طريق الازدهار والتطور، أما إن تخلت عن كتاب ربها فتلك هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، ظلمات بعضها فوق بعض.

هذا يجعلنا نؤمن إيمانا جازما أن خروج الأمة مما هي فيه، لا يتأتى إلا بالعودة إلى الفرقان الذي يفصل بين الحق والبطلان، وقد ورد في الأثر: «ألا إنها ستكون فتنة»، فقال علي بن أبي طالب: «ما المخرج منها يا رسول الله؟»، قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله» (١).

أولا: مفهوم الحضارة والمصطلحات

١- الحضارة لغة واصطلاحا

الحضارة في اللغة: الإقامة في الحَضَر، والحضَر والحضْرة والحاضرة والحضارة بفتح الحاء وكسرها سكون الحضر، وهي خلاف البادية.

وحين تذكر الحضارة في اللغة فإنه يقصد بها ما هو عكس البداوة، أي سكنى المدن والقرى (٢).

واحتفت المعاجم المختصة بمفردات القرآن الكريم بكلمة الحضارة، فالأصفهاني (٥٠٣هـ) استعرض الفعل الثلاثي حضر وما اشتق منه في القرآن الكريم، قال: «الحضر خلاف البدو، والحضارة والحضَارة: السكون بالحضر» (٣).

الحضارة في الاصطلاح: إن أول من تحدث عن الحضارة بشكل موسع، وفرق بينها وبين مصطلح البداوة، هو المؤرخ العربي المشهور عبدالرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، حيث رأى أن الناس حين تخطوا في كسبهم للمعاش ما هو ضروري، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها، وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر، ثم تزيد حالة الرفه والدعة، فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأنق في علاج القوت، واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالاة البيوت والصروح... فيتخذون القصور والمنازل ويجرون فيها المياه،... وهؤلاء هم الحضر (٤).

فابن خلدون إذن يرى أن الحضارة ما هي إلا تفنن في الترف والصناعة المستعملة (٥).

> **من الكتاب من ربط الحضارة في مفهومها بالأخلاق**

وقد وردت تعريفات اصطلاحية كثيرة جدا للحضارة، كلها متشابهة وقريب بعضها من بعض، أكتفي بحول الله تعالى بواحد منها أراه مناسبا لها.

قال رالف لنتون: «الحضارة مجموعة منظمة من الاستجابات التي تعلمها الأفراد وأصبحت من مميزات مجتمع معين» (٦). والمقصود بكلامه هذا أن الحضارة في رأيه عبارة عن طراز العيش الذي يسود مجتمعا من المجتمعات.

ومن البديهي أن كل حضارة تحاسب على معتقداتها، وتحاكم وفق تصوراتها، ولذلك فالحضارة تتضمن في محتواها ما يعكس تصور ومعتقد أهلها، أيا كان نوع وشكل هذا التصور.

وهذا ما يفسر قول بعضنا لبعض حين يتصرف تصرفا غير لائق: «هذا سلوك غير حضاري». وإذا سلك مسلكا حسنا، قيل: «هذا سلوك حضاري».

وجدير بالذكر أن من الكتاب من ربط الحضارة في مفهومها بالأخلاق، فهذا الإمام الزمخشري وهو يحلل مفهوم الحضارة، قال: «وقريش والأنصار، وثقيف أهل حضر، وهم أعرف بمكارم الأخلاق» (٧).

٢ - المصطلحات ذات الصلة

من المصطلحات المماثلة لمصطلح الحضارة:

- الثقافة: تطلق كلمة الثقافة في اللغة: ويراد بها معان كثيرة، فهي تفيد الفطنة والذكاء، يقال: ثقف الشيء إذا أدركه وحذقه ومهر فيه. ورجل ثقف لقف أي سريع الفهم لما يرمي إليه من كلام باللسان، وسريع الأخذ لما يرمي إليه باليد (٨).

وتستعمل ثقف فيما هو حسي، فيقال:

تثقيف الرماح بمعنى تسويتها، وتقويم اعوجاجها، وتستعمل أيضا فيما هو معنوي، كتثقيف العقل: أي تهذيبه وتأديبه (٩).

وعلى المستوى الاصطلاحي: فقد اختلف الكتاب في تحديد معناها، فأحمد علي الملا يجعلها مرادفة للحضارة، حيث قال: «الحضارة والثقافة تدل على مجموع ما خلفته الأمة من آثار حضارية وفكرية وفنية وأدبية، في جميع المجالات المادية والمعنوية» (١٠).

أما الدكتور علي بن إبراهيم الناجم فيقتصر في تعريفها على ما يتصل بالقيم الروحية، والإنتاج الفكري، والإبداع الأدبي والفني، أي كل ما يتصل بالمعنويات (١١).

ويعتبرها الدكتور حسين مؤنس ثمرة كل نشاط إنساني محلي نابع عن البيئة ومعبر عنها، أو مواصل لتقاليدها في هذا الميدان أو ذاك، في حين أن الحضارة عنده هي: ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية، ويشير إلى أن الثمرة لابد لها من زمن كي تتحقق (١٢).

● المدنية: في اللغة يقال مَدَنَ بالمكان أي أقام به، ومنه المدينة وتجمع على مدائن ومدن، وهي الحصن يبنى في أُصْطُمَّة (١٣) الأرض، وكل أرض يبنى بها حصن فهي مدينة (١٤).

وخلت المعاجم القديمة على ما أعلم من كلمة «مدنية»، وعرفها مجمع اللغة العربية بالقاهرة: أنها «الحضارة، واتساع العمران» (١٥).

واصطلاحا فأجدني أمام عدد مهم من التعريفات لهذه الكلمة، منها: أن هذا المفهوم في جوهره، يدور حول نمط حياة المدينة بما يعكسه من قيم، وسلوكيات، ونظم، ومؤسسات (١٦).

وفي علاقتها بالحضارة عدها بعض الكتاب هي والحضارة سواء (١٧).

واعتبرها البعض الجانب المادي من الحضارة، كالحرف، والمكاسب، والصناعات، والوسائل المادية، والأساليب العلمية (١٨).

وهناك من عد المدنية نهاية لمطاف الحضارة (١٩).

وفيما يتعلق بعلاقة مفهومي الثقافة والمدنية بمفهوم الحضارة، فأجنح إلى ما يلي:

● الثقافة إنتاج محلي يحدد خصوصية كل أمة على غيرها، أما الحضارة فتعبر عما تشترك فيه الأمم، وهكذا فكلما كانت الظاهرة الحضارية أكثر التصاقا بطبيعة البلد الذي قامت فيه فهي ثقافة (٢٠).

● المدنية هي الجانب المادي من الحضارة، وهي بالتالي الجانب الخلاب منها، ولا أستبعد أن تكون نهاية مطافها.

ثانيا: مقومات الحضارة في القرآن الكريم

إن الواقع التاريخي يشهد بجلاء أن المسلمين أقاموا حضارة إنسانية تناولت مختلف جوانب الحياة المادية والمعنوية، فكانت مركز إشعاع على العالم كله، ولاشك أن عمدتهم الأول في بناء هذا المثال الذي يحتذى به، هو كتاب الله تعالى. فما هي مقومات الحضارة في دستور المسلمين؟

العقيدة الصحيحة

لقد قامت الحضارة الإسلامية بالأساس على الوحدانية المطلقة للخالق عزوجل، فهي أول حضارة نادت بالإله الواحد الذي لا شريك له في ملكه وحكمه، هو وحده الذي يعبد، وهو وحده الذي يقصد ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥)، وهو الذي يعز ويذل، ويعطي ويمنح، وما من شيء في السموات والأرض إلا وهو تحت قدرته وفي متناول قبضته.

هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان، وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأقوياء ورجال الدين، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده، وهو خالق الخلق ورب العالمين.

> **اشتملت سورة الإخلاص على توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات**

وقد اشتملت سورة الإخلاص على توحيد الألوهية والربوبية، والأسماء والصفات، كما نزهت الخالق عن الأشباه والنظائر، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ (الإخلاص: ١-٤).

والمقصود بتوحيد الربوبية أن نوحد الله تعالى في أفعاله (٢١)، فهو عزوجل صاحب الأمر كله، وبيده الخير كله، ولا شريك له في ملكه.

أما توحيد الألوهية، فمعناه أن نوحد الله تعالى في أفعالنا (٢٢)، وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادات، ونفي العبادة عن كل ما سواه، ويلخص هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣).

وتوحيد الله في صفاته، يعني الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى يتصف بالكمال، ومنزه عن النقص، وذلك بإثبات ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب والسنة، دون تحريف أو تعطيل أو تشبيه بصفات المخلوقين (٢٣).

ويعتبر الإسلام الكون بما فيه من جلال دالا على ذي الجلال، والقرآن باعتباره حكيما دالا على الله العليم الكريم. فهما في دلالتهما على الخالق كأن أحدهما يوازي الآخر، فعندما أراد الله تعالى أن يمتن على عباده بنعمه ذكر القرآن الكريم فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان:١).

وذكر الكون مرة فقال: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك:١).

وعموما فإن التربية التوحيدية في الإسلام، هي عملية تقوم على جعل التوحيد العقدي، شعورا حاضرا، عند التدين، فهما وتنزيلا... فالفهم لا يكون إلا عن الله، وكما أراد الله... والعمل لا يكون إلا كما أمر الله، ولا يقصد به غير وجه الله (٢٤).

العلم والتعلم

يتضمن القرآن الكريم حسب بعض المراجع نحو (٧٧٤٣٧) كلمة، لكن اللافت للنظر أن أول كلمة نزلت على محمد ﷺ هي قول ربنا: ﴿ٱقْرَأْ﴾، والحق أن تقديم هذه الكلمة على غيرها لم يأت عبثا، بل لما لها من دور في تنبيه الأمة إلى ضرورة طلب العلمين الديني والدنيوي، ذلك أن إلهنا عزوجل قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ (العلق:١)، فدعا أولا إلى معرفة الخالق، واستكشاف عظمته في المخلوقات، وعلى رأسها الإنسان وما بث فيه من عجائب، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق:٢).

ثم دعا إلى تعلم العلوم الأخرى، من رياضيات وفيزياء وكيمياء وفلك... في قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق:٥).

وقيمة الإنسان في التصور الإسلامي، بعد الإيمان بالله تعالى، تتجلى في قدراته العلمية، لأجل ذلك قال ربنا عزوجل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ (المجادلة:١١).

وفرقت الحضارة الإسلامية بين أمة تقدمت علميا، وأخرى لم تأخذ نصيبها من العلم، فقال عزوجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر:٩).

وورد في الحديث الشريف ما يؤكد هذا المعنى، عن عبدالله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فرأى مجلسين، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمون، فقال رسول الله ﷺ: «كلا المجلسين على خير، أحدهما أفضل من الآخر، أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه، إن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما، وهؤلاء أفضل»؛ وأتاهم حتى جلس إليهم (٢٥).

ولا فرق بين المرأة والرجل في مجال التربية والتعليم، فقد كان النساء يحضرن مجالس رسول الله ﷺ، ويسمعن إرشاده وتوجيهه، وهذه عائشة أم المؤمنين عُدت من السبعة المكثرين في رواية الحديث، وقد بلغ عدد ما روت ألفين ومئتين وعشرة أحاديث، وأخرج لها الشيخان نيفا وسبعين ومئتي حديثا غالبها في الأحكام (٢٦).

من مهام الأنبياء والرسل تثبيت مفهومي الحرية والانعتاق وتمثلهما في الواقع

وهذه بنت سعيد بن المسيب التي لما دخل بها زوجها وكان من أحد طلبة والدها، فلما أصبح أخذ رداءه يريد الخروج، فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟ فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: اجلس أعلمك علم سعيد (٢٧).

وخلاصة القول أنه لم تقم للعلم قائمة باسقة حقيقية، ولا اشرأبت له عنق إلا في ظل الحضارة الإسلامية، وفي محضن القرآن الكريم، وبه كانت مرحلة ربيع العلم، وما دونها خريف مصفرة أوراقه.

ولندع الفرصة لـ «جربريت فون أورياك» الذي ارتقى كرسي البابوية في روما عام ٩٩٩م، ليعبر عن مشاعره عندما رأى مكتبة الخليفة في القاهرة تزخر بالعلوم، وفيها مليونان ومئتا مجلد، فقال: «إنه لمن المعلوم تماما أنه ليس ثمة أحد في روما له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل بوابا لتلك المكتبة» (٢٨).

الحرية

الحرية في الإسلام منحة إلهية، وحق طبيعي للإنسان لممارسة أعماله والقيام بوظائفه، ولذا كان من الطبيعي أن يجعل هذه الحقيقة أساسا مرجعيا في تشريعاته، ويوثق علاقة الإنسان بالله وحده ويفك قيود عبوديته للبشر، قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ (الأعراف:١٥٧)، لاسيما وقد جعل الله عزوجل الإيمان به سبيلا للتحرر والانفكاك عن الظلم والتسلط والاستبداد والتأله.

وهكذا انحصرت مهمة الأنبياء والرسل في تثبيت مفهومي الحرية والانعتاق وتمثلهما في الواقع، فكانت عبارتهم المتداولة والمكررة هي قولهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (الأعراف:٥٩).

وباعتبار أن الحرية مبدأ متجذر في الإسلام، فقد أعطى الإنسان الحق في قبول حريته وانعتاقه، ولذلك جعل مهمة النبي ﷺ التبليغ والبيان، وعدم الإجبار، فقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ (ق:٤٥)، وقال أيضا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩).

وقد يسأل سائل عن مغزى العقوبات في الإسلام، وما قد يتوهم فيها من تضييع للحرية؟ لكن هذا الإشكال يزول، إذا علمنا أن ضرورة رفع الظلم والعنت عن المجتمع، اقتضت سن ما يسمى عندنا بالتشريع الجنائي الإسلامي، والقصد هو الحد من السلوكيات التي تضر بحرية الناس وحقوقهم، وقد ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية ما يبين هذا المعنى: «فهو أن الطباع البشرية، والشهوة النفسانية مائلة إلى قضاء الشهوة، واقتناص الملاذ، وتحصيل مقصودها ومحبوبها من الشرب والزنى، والتشفي بالقتل، وأخذ مال الغير، والاستطالة على الغير بالشتم والضرب، فاقتضت الحكمة شرع هذه الحدود حسما لهذا الفساد، وزجرا عن ارتكابه، ليبقى العالم على نظم الاستقامة، فإن إخلاء العالم عن إقامة الزاجر يؤدي إلى انحرافه، وفيه من الفساد ما لا يخفى» (٢٩).

العدل

من القيم الإسلامية التي دعا إليها ديننا الإسلامي الحنيف، قيمة العدل، فبالعدل قامت السموات والأرض، وبالعدل تقوم الحكومات والمؤسسات، وبالعدل تتحقق السعادة للأفراد والجماعات، وبالعدل وإقامته بين الناس يكون النصر وتقوم الدول...

وإن المتدبر في كتاب الله تعالى ليلفيه قد اعتنى بهذه القيمة أيما عناية، فكثير من الآيات الكريمة تأمر بالعدل، وتحث عليه في كل القضايا والمجالات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل:٩٠)، قال ابن عطية رحمه الله مفسرا هذه الآية: «العدل هو كل مفروض، من عقائد وشرائع في أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف، وإعطاء الحق. والإحسان هو فعل كل مندوب إليه؛ فمن الأشياء ما هو كله مندوب إليه، ومنها ما هو فرض، إلا أن حد الإجزاء منه داخل في العدل، والتكميل الزائد على الإجزاء داخل في الإحسان» (٣٠).

ومن مظاهر العدل في آي القرآن الكريم نذكر:

● العدل في القول: قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:١٥٢) أمر تعالى في هذه الآية الكريمة بالعدل في القول، ولو كان على ذي قرابة، وصرح في موضع آخر بالأمر بذلك، ولو كان على نفسه أو والديه، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء:١٣٥).

● العدل في الحكم: أمر الله عزوجل عباده بالحكم بين الناس بالعدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨).

الهوامش

١- أخرجه الترمذي في سننه، رقم الحديث: ٢٩٠٦، قال الترمذي: «إسناده مجهول».
٢- لسان العرب، فصل الهاء المهملة، ص: ١٩٧/٤. والمصباح المنير، مادة: ح ض ر، ص ١٤٠.
٣- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني، دار القلم، ص ٢٤١.
٤- المقدمة لابن خلدون، تحقيق محمد الدرويش، دار يعرب، ٢٤٤/١.
٥- المصدر السابق، ٣٣٨/١.
٦- شجرة الحضارة لرالف لنتون، ترجمة أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، ١/ ٦٥.
٧- الفائق في غريب الحديث، دار المعرفة، ط ٢ ٤/ ٣٧.
٨- لسان العرب لابن منظور، فصل الثاء المثلثة، مادة: ثقف، وفصل اللام، مادة: لقف.
٩- تاج العروس لمرتضى الزبيدي، مادة: ث ق ف.
١٠- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، ص ١٢.
١١- مقالة تحت عنوان «الحضارة الإنسانية في الإسلام مفهومها، أساسها، مقوماتها»، موقع اليوم، ورابط المقالة هو: http: //www.alyaum.com/article/١١٠٦٩١٩
١٢- الحضارة، العدد الأول من عالم المعرفة، ص ١٣، وص ٣١٨.
١٣- أصطمة الشيء: معظمه ووسطه (تاج العروس، مادة: صطم).
١٤- لسان العرب، مادة: مدن.
١٥- المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج: ٢/ ص ٨٥٩.
١٦- الحضارة، الثقافة، المدنية، لعارف نصر محمد، المعهد العالمي للفكر، ص ٣٤.
١٧- قصة الحضارة لديورانت، دار الجيل، ص ٣/١. ودائرة معارف القرن العشرين؛ دار الفكر، ٨/ ٥٥٣.
١٨- دراسات في الفكر العربي الإسلامي للكيلاني، ص ٢٤٧.
١٩- تدهور الحضارة الغربية لاشبنغلر أسوالد، ترجمة أحمد الشيباني، دار مكتبة الحياة ١/ ٨٧.
٢٠- الحضارة لحسين مؤنس، ص ٣١٨.
٢١- أسس في التصور الإسلامي للدكتور محمد أبي فارس، دار الفرقان، ص ٤٢.
٢٢- المرجع السابق، ص ٤٥.
٢٣- الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين، دار عمر بن الخطاب، ص ١٠.
٢٤- التوحيد والوساطة في التربية الدعوية لفريد الأنصاري، كتاب الأمة، ع: ٤٧، ص ٣٩.
٢٥- المعجم الكبير للطبراني، مكتبة ابن تيمية، ٥١/١٣.
٢٦- ما لا يسع المحدث جهله للميانشي، الوكالة العربية، ص ٢٨.
٢٧- حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية للدكتورة نوال العيد، ص ٢٢٩.
٢٨- شمس العرب تسطع على الغرب لزيغرد هونكة، دار صادر، ص ٣٥٣.
٢٩ صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ١٣١/١٧.
٣٠- تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية: ١٦٥/١٠.

د. عبد الله زلطة
أستاذ الإعلام بجامعة بنها المصرية

الإمام البخاري شخصية لها تاريخ

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري، كان أجداده فُرْسًا على دين المجوس، وأول من أسلم من أجداده «المغيرة بن بردزبه»، وكان إسلامه على يد اليمان الجُعفي والي مدينة بخارى آنذاك.

أما والد الإمام البخاري «إسماعيل بن إبراهيم» فقد كانت حياته مطلع النباهة والعلم والمعرفة والثقافة الإسلامية للأسرة؛ إذ شارك في الحياة العلمية مختارا أهم جوانبها في عصره وهي: دراسة أحاديث الرسول ﷺ وتدريسها.

وكان هذا الرجل تقيا عالما محدثا، اشتهر بين قومه بحسن السلوك والورع والاستقامة، أما والدة الإمام البخاري، فيذكر بعض الباحثين أنها كانت سيدة صالحة عابدة تقية نقية، رزقت قسطا وافرا من الابتهال إلى الله والدعاء إليه.

مولد الطفل الثاني

في الثالث عشر من شهر شوال سنة مائة وأربع وتسعين من الهجرة، رزقت الأسرة بعد صلاة الجمعة طفلا كان ترتيبه الثاني بعد شقيقه أحمد، وبعد سنوات قليلة رحل الأب إلى جوار ربه فكفلت الزوجة طفليها الصغيرين ويمَّمت الأسرة وجهها شطر مكة، وكان عمر الإمام البخاري آنذاك ستة عشر عاما، فحطت رحالها وأكرمها الله بأداء فريضة الحج سنة مائتين وعشر، ثم عادت الأم وابنها أحمد إلى موطنهما في مدينة بخارى حيث انتقل الابن الأكبر أحمد إلى جوار ربه، بينما بقي الابن الثاني في مكة حيث شرع في حضور مجالس العلم لشيوخ كبار من بينهم: عبد الله بن يزيد، وإسماعيل بن سالم الصائغ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير، وغيرهم.

وقد نشأ الإمام البخاري في النصف الثاني من العصر العباسي حيث ازدهار الثقافة، وقوة سلطان الخلفاء الذين كانت لهم الكلمة العليا، والسيادة على جميع أنحاء العالم الإسلامي، عدا بلاد الأندلس، وامتازت تلك السنوات بأن من تولى فيها الخلافة من بني العباس كانوا يعقدون مجالس العلم ويشاركون بالحوار والمناقشة، ويكرمون العلماء ويقربونهم إلى مجالسهم ويعوّلون على آرائهم، في ذلك العصر بالذات ازدهر تدوين الحديث النبوي وجمعه والتفريق بينه وبين فتاوى وأقوال الصحابة والتابعين، وأصبح للحديث كتب مستقلة، وظهر أئمة كبار أمثال: البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وغيرهم؛ لذا فقد أطلق بعض الباحثين على هذا العصر بأنه عصر ازدهار الحديث والمحدثين.

شيوخ البخاري

تتلمذ البخاري على أيدي شيوخ كبار في ذلك العصر، وفي مقدمتهم محمد بن سلام البيكندي الذي قال عنه الإمام أحمد أنه روى خمسة آلاف حديث، كما تتلمذ على يد الإمام عبد الله بن محمد المسندي الذي كان أحد أئمة الحديث في عصره، وهو حفيد اليمان الجعفي الذي أسلم على يديه جد الإمام البخاري، أما ثالث شيوخه فهو إبراهيم بن الأشعث أحد علماء بخارى المعدودين في علم الحديث وحفظه وروايته، ويصنف بعض الباحثين والمؤرخين أساتذة ومشايخ الإمام البخاري في خمس طبقات: الطبقة الأولى: من حدثه عن التابعين. الطبقة الثانية: من كان في عصر هؤلاء ولكنه لم يسمع من ثقات التابعين. الطبقة الثالثة: وهي الطبقة الوسطى من مشايخه، وهم من لم يلق التابعين بل أخذ عن كبار تبع الأتباع. الطبقة الرابعة: رفقاؤه في طلب العلم. الطبقة الخامسة: قوم في عداد طلبته في السن والإسناد، سمع منهم للاستفادة والفائدة.

وقد روي عن البخاري قوله: «لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه، ومن هو مثله، ومن هو دونه».

رحلات البخاري

تذكر بعض المراجع أن الإمام البخاري، فقد بصره مرتين: الأولى: في صغره وهو ما ذكره المؤرخون في مناقب والدته التي كانت مستجابة الدعاء. والثانية: أيام رحلاته العلمية الكثيرة التي قطع فيها المسافات الطوال تحت شدة حرارة الشمس داخل خراسان، فنصحه ناصح بأن يحلق رأسه ويستره برداء يطلق عليه الخطمي، فأكرمه الله وأعاد إليه بصره.

وفي عام (٢١٢هـ) توجه الإمام البخاري إلى المدينة المنورة، وكان عمره وقتها (١٨) عاما، فتتلمذ على أيدي عبدالعزيز بن عبد الله الأويسي، وإبراهيم بن المنذر، ومطرف بن عبد الله، وإبراهيم بن حمزة، وأيوب بن سليمان بن بلال، وغيرهم. واستطاع

البخاري في تلك الفترة أن ينجز مسودة كتابه «التاريخ الكبير».
ومن المدينة رحل إلى البصرة التي كانت تعد واحدة من أهم المراكز العلمية آنذاك، ومنها إلى بغداد حيث تتلمذ على أيدي: الإمام أحمد ابن حنبل، ومحمد بن عيسى الطباع، ومحمد بن سابق، وغيرهم، ثم رحل إلى بلاد الشام، وهناك نهل العلم على أيدي علماء أجلاء مثل: آدم بن أبي إياس، وأبي اليمان الحكم بن نافع، ومحمد بن يوسف الفريابي، وأبي نصر إسحق بن إبراهيم، وغيرهم من أئمة ذلك العصر، ثم رحل الإمام البخاري من الشام إلى مصر، حيث درس على أيدي أبرز شيوخها، ثم ترك مصر ليرحل إلى مدن خراسان حيث التقى أهل العلم وشيوخه مثل: علي بن حسن، وعبد الله ومحمد ابنا مقاتل، ويحيى بن موسى، وقتيبة وأحمد ابنا يحيى، وبشر بن الحكم، وإسحق بن راهويه، ومحمد بن رافع، وغيرهم من المعاصرين آنذاك الذين روى عنهم روايات عديدة، وهكذا تعددت رحلات الإمام البخاري لتشمل أقطارا عديدة نهل خلالها من علوم السيرة والحديث.

مؤلفات البخاري

ترك الإمام البخاري ثروة قيمة، من بينها:

١- كتاب «التاريخ الكبير» الذي ألفه في سن الثامنة عشرة بمكة المكرمة، في بداية رحلة تلقيه العلم وتدوينه، وهو كتاب فريد يحوي أسماء الرجال الذين روى عنهم الحديث من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء، فإن وجد أسماء مشتركة، راعى ترتيب حروف الهجاء في أسماء آبائهم، فإن لم يعرف أسماء آبائهم كالموالي وغيرهم كتبهم تحت عنوان «من أفناء الناس».

٢- كتاب «التاريخ الأوسط» روى هذا الكتاب عن الإمام البخاري كل من عبدالله بن سلام الخفاف، وزنجويه ابن أحمد اللباد، والثاني من أهل نيسابور وتوفي عام (٣١٨هـ).

٣- كتاب «التاريخ الصغير» وهو كما ذكر البخاري في مقدمته كتاب مختصر من تاريخ النبي محمد ﷺ والمهاجرين والأنصار وطبقات التابعين لهم بإحسان، ومشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وسنوات وفاة كل منهم ونسبهم، وقد رتب الإمام البخاري تأليف هذا الكتاب حسب السنين، فإذا انتهى من سنة وذكر وفيات المشاهير وغيرها من الأمور المهمة بدأ بسنة أخرى.

٤- كتاب «الجامع الصحيح» هو الكتاب المعروف بصحيح البخاري، وقد استغرق تأليفه (١٦) سنة، وروي أن الإمام البخاري رأى الرسول ﷺ في المنام وبيده مروحة يذب عنه، فسأل بعض المفسرين المقربين منه عن تفسير الحلم، فقالوا له: أنت تذب عن رسول الله ﷺ الكذب، حيث كان ينسب لرسولنا الكريم أحاديث غير صحيحة، مما شجع البخاري على إخراج «الجامع الصحيح»، ويذكر بعض المؤرخين أن البخاري صنف كتابه في المسجد الحرام بمكة المكرمة وأكمله في المدينة وبخارى والبصرة.

ويروى عنه أنه ما أدخل فيه حديثا إلا بعد أن استخار مولاه جلَّ وعلا واغتسل وصلى ركعتين وتيقن من صحته، وقد وصف النسائي هذا الكتاب بقوله: «ما في هذه الكتب كلها أجود من كتاب محمد بن إسماعيل البخاري».

ووصفه الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الأسبق في أكثر من حديث له بأنه أهم كتاب بعد كتاب الله عز وجل «القرآن الكريم».

وقال عنه ابن خلدون في مقدمته: «ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا يقولون: شرح كتاب البخاري دين على الأمة وهو قول حق؛ فقد جمع فيه الإمام الأحاديث الصحيحة التي لا يشك فيها أحد قط، وصنفه الإمام من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة وجعله حجة فيما بينه

وبين الله».
ويذكر ابن خلدون كذلك أنه كان يصلي ركعتين بين قبر النبي ومنبره لكل ترجمة من تراجم الجامع الصحيح، ويقول أيضا أنه في أثناء تحويله التراجم، كان إذا أخرج حديثا تحت أي ترجمة اغتسل واستخار الله.
ويذكر بعض الباحثين في تاريخ أئمة علم الحديث النبوي أن الإمام البخاري كان يرمي من هذا الكتاب إلى انتخاب الأحاديث التي اتفق على صحتها المحدثون قبله أو المعاصرون له وكذلك استنباط المسائل الفقهية.
وحرص البخاري على أن لا يتكرر المتن والإسناد معا، بل التكرار في مضمون الحديث فقط، ولكثرة الأسانيد يرتفع الحديث من الآحاد إلى الشهرة أو التواتر المعنوي، كما كان يتبع أسلوبا حسنا في استنباطه للمسائل بمراعاة التطابق والتوفيق بين الآية القرآنية والحديث النبوي وفي طياته تفسير الآية بالحديث أو الحديث بالآية.
ومما يذكر في تاريخ الإمام البخاري أنه كان يشترط أن يكون راوي الحديث غير مدلس، متصفا بصفات العدالة، متحفظا، سليم الذهن، قليل الوهم.

جوانب من صفاته وخلقه

أجمع المؤرخون والباحثون الذين تناولوا سيرة الإمام البخاري أنه كان سمحا، رحيما، كريما، معطاء يساعد أهل العلم وطلبته، كما كان ينفق من دخله الوافر الذي ورثه عن آبائه على الفقراء والمساكين.
وكان يتصف بالصبر وقوة الاحتمال، وابتعد عن شهوات الدنيا، واشتهر بغنى النفس، والرضا، والورع، والتقوى، ونقاء النفس والسريرة، والبعد عن الغيبة والنميمة، والتعصب، كما ابتعد عن مخالطة الأمراء والخلفاء رغم أن العصر العباسي اشتهر بمجالس الخلفاء العباسيين. وكان يتجنب تملق الحكام ومدحهم.
ومما يروى عنه أنه لما استقر في بخارى واتجه إليه طلبة العلم أفواجا للاستفادة من ينابيع علمه، وذاع صيته في أرجاء العالم، بعث إليه أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلي رسولا لاستدعائه إلى القصر ليسمع منه الحديث، لكن البخاري رفض طلب الأمير وقال لرسوله: «إني لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب السلاطين».
فأرسل الأمير رسوله إليه مرة أخرى حاملا رسالة فحواها أنه إن كان لا يحب أن يأتي إلى القصر الأميري فليعين وقتا خاصا للأمراء لا يشترك فيه بقية الناس، لكن الإمام البخاري أبى الموافقة على هذا العرض وطلب من الأمير أن يحضر دروسه في داره أو في المسجد إن كانت له حاجة إليها.
وقال في رسالته لأمير بخارى: «فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة أني لا أكتم العلم».
ولم يكن من الأمير الذي غضب من الرد إلا أن حاول إخراجه من المدينة لكن الناس التفوا حول البخاري لعدم إخراجه، فأوعز الأمير إلى أناس لاتهامه بتهمة تغضب أهل المدينة وتشيع أنه ليس أهلا للإفتاء، فأشاع حاسدوه أنه أفتى بأن طفلين لو رضعا من لبن شاة واحدة ثبت لهما حرمة الرضاعة، أي: يصبحا أخوين.
كما أوعز الأمير إلى حريث بن أبي الورقاء، أحد كبار فقهاء الحنفية في بخارى وقتئذ، وأناس آخرين معه، أن يتهموا البخاري بتهمة تمحو محبته في قلوب العباد، فأشاعوا بين الناس أنه يقول: إن ألفاظ القرآن مخلوقة.
وما إن انتشرت الفرية الظالمة في المدينة حتى استفحلت الفتنة وصدر الأمر للبخاري بالمغادرة، فغادر بلدته وهو يردد: «اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم».

الأيام الأخيرة في حياة البخاري

بعد أن خرج البخاري مطرودا من بلدته بخارى، لم تستمر حياته طويلا، فقد اتجه إلى بلدة تدعى «بيكند»، وهناك وجد الإشاعة الكاذبة سبقته، ووجد أهلها منقسمين إلى فريقين: أحدهما يبرئه من التهمة الظالمة، وفريق آخر مصدق لها، فاضطر الرجل للمغادرة إلى سمرقند، ونزل بقرية تدعى «خرتنك»، وبعد أيام جاءه رسول من أهل سمرقند يطلبون لقاءه بعد أن تيقنوا من كذب الفرية التي ألصقت به، فلبس خفيه وتعمَّم، وبعد أن سار نحو عشرين خطوة متجها إلى الدابة ليركبها، إذ به يحس بالضعف والوهن ثم اضطجع فقضى نحبه وعرق غزير يسيل منه، وكانت وفاته ليلة عيد الفطر سنة (٢٥٦هـ) بعد حياة حافلة بالمعاناة والكفاح والعلم والسفر والرحيل استمرت (٦٢) عاما إلا (١٣) يوما، ودفن الإمام البخاري رضي الله عنه في قرية «خرتنك» إحدى قرى سمرقند، التي توفي فيها، وكان الدفن يوم عيد الفطر بعد صلاة الظهر، ويروى أنه بعدما دفن في قبره، خرجت منه رائحة ذكية شبهها المؤرخون بالمسك والعنبر، وذاعت تلك الحكاية، فصار الناس يأتون إلى قبره من أماكن بعيدة للتأكد من هذا الخبر، فأحاط أهل القرية القبر حفاظا عليه.

وختاما

فإننا نادرا ما نجد في التاريخ الإسلامي - بعد الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم - شخصية كتلك الشخصية الفذة الصابرة المثابرة الناهلة من العلم. إنه الإمام البخاري يرحمه الله تعالى.

وليد خالد الربيع
استاذ الشريعة في
جامعة الكويت

مراعاة الآخرين في السنة المطهرة

يظن بعض الناس أن التدين حالة فردية، بمعنى أن المطلوب من المسلم أن يصلح ما بينه وبين ربه تعالى فقط؛ فعليه أن يصحح عقيدته، ويحسن عبادته، ويتقي المحارم لا غير، في حين أن التدين الحقيقي يعنى بالقيام بحقوق الله تعالى وحقوق العباد أيضا، فالإسلام يرسخ في أتباعه الشمول والتكامل، فالدين يأمر بأداء حقوق الله سبحانه من التوحيد وإخلاص الدين له، والبراءة من الشرك والكفر والنفاق، والقيام بأنواع العبودية الخالصة القلبية والقولية والبدنية والمالية والجامعة، وترك المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وفي الوقت نفسه يحث المسلمين على أداء حقوق الناس؛ ومن تلك الحقوق مراعاة الآخرين، واحترام مشاعرهم، وعدم إيذائهم بالقول أو العمل، بقصد أو بغير قصد.

فعن ابن عمر قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» (١).

فهذا نهي صريح عن إيذاء المسلمين، وهذا النهي يشمل الإيذاء البدني والمعنوي.

وفي السنة المطهرة أمثلة كثيرة من قول النبي ﷺ وفعله تقرر هذا المعنى الدقيق، وتؤكد هذا الخلق الأصيل، الذي يجلي بوضوح أن الإسلام ليس دين الفظاظة والغلظة، بل دين الخلق القويم، والأدب الرفيع.

١- فمن ذلك أن رد السلام واجب بالاتفاق (٢)، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز» (٣).

قال الحليمي معللا الوجوب: «إنما كان الرد واجبا؛ لأن السلام معناه الأمان، فإذا ابتدأ به المسلم أخاه فلم يجبه فإنه يتوهم منه الشر، فيجب عليه دفع ذلك التوهم عنه». ففيه مراعاة شعور الأخ الذي سلم عليه.

٢- وكان ﷺ يراعي الناس في سلامه بحيث يحقق المقصود ولا يزعج الآخرين، فقد قال المقداد بن الأسود: «كان النبي يجيء من الليل فيسلم تسليما لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان» (٤).

قال النووي: «فيه آداب السلام على الأيقاظ في موضع فيه نيام أو من في معناهم، وأنه يكون سلاما متوسطا بين الرفع والمخافتة، بحيث يسمع الأيقاظ، ولا يهوش على غيرهم» (٥).

٣- وفي الصلاة كان ﷺ يراعي أحوال المصلين حتى إنه كان يراعي الأم من أجل طفلها، فعن أنس أن النبي ﷺ قال: «إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه» (٦).

قال ابن حجر: «فيه شفقة النبي ﷺ على أصحابه، ومراعاة أحوال الكبير منهم والصغير» (٧).

٤- وتبرز مراعاة الآخرين في صلاة الجماعة كما قوله ﷺ: «إذا كان أحدكم في صلاة، فإنه يناجي ربه؛ فلينظر أحدكم ما يقول في صلاته، ولا ترفعوا أصواتكم فتؤذوا المؤمنين» (٨).

وعن أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: «ألا إن كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضا، ولا يرفعن بعضكم على بعض بالقراءة. أو قال: في الصلاة» (٩).

ولاشك أن رفع الصوت بالقراءة والذكر والدعاء فيه تشويش على المسلمين، سواء أكان ذلك في صلاة الجماعة أم في المسجد ونحو ذلك، فالشرع يريد أن تكون العبادة وسيلة لتزكية النفس وترسيخ الأخوة، لا أن تكون سببا للعداوة والقطيعة.

٥- ومما يؤكد مراعاة شعور الآخرين النهي عن النجوى فقد نهى النبي عن ذلك فقال: «لا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يؤذي المؤمن، والله يكره أذى المؤمن» (١٠).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه» (١١).

قال الخطابي: وإنما قال: «يحزنه؛ لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هي لسوء رأيهما فيه أو لدسيسة غائلة له». وقال ابن بطال: «وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا» (١٢).

٥- ومن مراعاة شعور الآخرين النهي عن إيذاء المسلم ولو بسب قريبه الكافر، فلما شكا عكرمة بن أبي جهل إلى رسول الله ﷺ أنه يقال له: ابن عدو الله، قام خطيبا فقال: «لا تؤذوا مسلما بشتم كافر» (١٣)، وقال: «لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء» (١٤).

قال المناوي: «لا تسبوا الأموات المسلمين، فتؤذوا الأحياء من أقاربهم» (١٥).

٦- وتجلى خلق النبي ﷺ في مراعاة شعور الآخرين حتى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أنس قال: كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال النبي ﷺ: «أميطي عنا قرامك هذا، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي» (١٦).

قال الشيخ ابن عثيمين فيه: «حسن خلق النبي ﷺ حيث إنه لم يزل هذا القرام بنفسه؛ لأنه لو أزاله بنفسه لكان في ذلك مشقة عليها، لكنه أمرها أن تزيله؛ لأنها هي التي وضعته» (١٧).

٧- وروى المهاجر بن قنفذ رضي الله عنه قال: «أتيت النبي ﷺ وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى توضأ ثم اعتذر إلي فقال: «إني كرهت أن أذكر الله تعالى إلا على طهر». أو قال: على طهارة» (١٨).

فالحديث فيه حسن خلق النبي ﷺ، وتطييبه لخاطر المهاجر ببيانه سبب تأخر جواب سلامه، حتى لا يخطر بباله أنه، عليه السلام، قد تغير عليه، وهذا من آدابه عليه السلام ومراعاة لشعور الآخرين.

٨- وكان ﷺ يراعي شعور من أهدى له هدية فيها مخالفة شرعية فيرد هديته مع تطييب خاطره، فقد أخرج مالك عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: أهدى أبوجهم بن حذيفة لرسول الله ﷺ خميصة شامية لها علم فشهد فيها الصلاة، فلما انصرف قال: «ردي هذه الخميصة إلى أبي جهم فإني نظرت إلى علمها في الصلاة فكاد يفتنني» (١٩).

وجاء في رواية قالت: قام رسول الله ﷺ يصلي في خميصة ذات أعلام فنظر إلى علمها فلما قضى صلاته قال: «اذهبوا بهذه الخميصة إلى أبي جهم بن حذيفة وأتوني بأنبجانية فإنها ألهتني آنفا في صلاتي» (٢٠).

قال الشيخ ابن عثيمين: «حسن خلق

النبي ﷺ، حيث إنه لما رد على أبي جهم هديته طلب ما عند أبي جهم، وهي الإنبجانية، ووجه كون ذلك من حسن الخلق أنه إذا طلب النبي ﷺ منه الإنبجانية طاب قلبه، ولم ينكسر خاطره، وهذا أمر يجب على الإنسان أن يراعيه فيما إذا حصل ما يوجب كسر القلب أن يحرص على التئام القلب» (٢١).

٩- وعن عبدالله بن عباس أن الصعب بن جثامة الليثي أهدى لرسول الله ﷺ حمارا وحشيا وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه، فلما رأى ما في وجهه (أي: من الكراهة) قال: «إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم» (٢٢).

قال ابن حجر: «وفيه الاعتذار عن رد الهدية تطييبا لقلب المهدي» (٢٣).

وقال النووي: «وفيه: أنه يستحب لمن امتنع من قبول هدية ونحوها لعذر أن يعتذر بذلك إلى المهدي تطييبا لقلبه».

٩- وكان ﷺ يراعي مشاعر الصغار كما يراعي مشاعر الكبار، فعن سهل ابن سعد رضي الله عنه قال: أتي النبي ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال: «يا غلام، أتأذن لي أن أعطيه الأشياخ؟» قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحدا يا رسول الله ﷺ. فأعطاه إياه (٢٤).

فلم يقدم الكبار على الغلام وإنما استأذنه جبرا لخاطره، قال القاضي عياض: « وفي بعض الروايات: «عمك وابن عمك أتأذن لي أن أعطيه»، وفعل ذلك أيضا تألفا لقلوب الأشياخ، وإعلاما بودهم وإيثار كرامتهم إذا لم تمنع منها سنة، وتضمن ذلك أيضا بيان هذه السنة، وهي أن الأيمن أحق، ولا يدفع إلى غيره إلا بإذنه ، وأنه لا بأس باستئذانه.

١٠- ومراعاة شعور الآخرين تمتد إلى العمال والخدم، لأنهم بشر لهم كرامة ومشاعر محترمة، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين فإنه ولي حره وعلاجه» (٢٥).

قال ابن حجر: «قد تقدم أن العلة في الأمر بذلك أن تسكن نفس الخادم بذلك» (٢٦).

١١- وتستمر مراعاة شعور الآخرين حتى في المعاملات المالية والأحوال الأسرية، ففي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يبيع المؤمن على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه»، وفي رواية لمسلم: «لا يسم المسلم على سوم أخيه ولا يخطب على خطبته» وخرجاه من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له»، وخرج مسلم من حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر». فلا يحل أن تخطب حتى يأذن أو يترك.

وخلاصة الأمر أن السنة المطهرة ممتلئة بالأمثلة الرائعة من هدي النبي الكريم ﷺ في قوله وفعله وما دلا عليه من مراعاة مشاعر الآخرين في العبادات والمعاملات والمباحات، وأن ذلك خلق أصيل، وأدب رفيع يرسخ الأخوة الإيمانية ويدفع أسباب التباغض والقطيعة، وبالله التوفيق.

الهوامش

١- أخرجه الترمذي في باب ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث (٢٠٣٢).
٢- نقل الإجماع على ذلك القرطبي وابن عبدالبر وابن حجر وغيرهم (الجامع للقرطبي٥/٢٩٨، فتح الباري١١/٤، شرح مسلم للنووي ص١٦١٩).
٣- أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز برقم: (١٢٤٠)؛ ومسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم: (٢١٦٢).
٤- أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٢٨)؛ ومسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره (٢٠٥٥).
٥- شرح مسلم للنووي.
٦- أخرجه البخاري، أبواب صلاة الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي (٧٠٩)؛ ومسلم، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (٧٢٣).
٧- فتح الباري ٢/٢٠٢.
٨- أخرجه أحمد، وصححه الألباني، ص.ج رقم ٧٥٢.
٩- أخرجه أبو داود، كتاب التطوع، باب رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، حديث (١٣٣٢) وصححه الألباني.
١٠- أخرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء لا يتناجى اثنان دون ثالث، حديث (٢٨٢٥).
١١- أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة، حديث (٦٢٩٠)؛ ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث، حديث (٤٠٦٠).
١٢- فتح الباري١١/٨٤.
١٣- أخرجه الحاكم والبيهقي.
١٤- أخرجه الترمذي.
١٥- التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/٤٩٣.
١٦- أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب إن صلى في ثوب مصلب أو تصاوير هل تفسد صلاته، حديث (٣٦٧).
١٧- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ٢/٥٠٤.
١٨- أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم بأسانيد صحيحة.
١٩- أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب النظر في الصلاة إلى ما يشغلك عنها، حديث (٢٢٠).
٢٠- أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا صلى في ثوب له أعلام ونظر إلى علمها، حديث (٣٦٦).
٢١- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام ٢/٥٠٦.
٢٢- أخرجه البخاري، في (الحج)، باب إذا أهدي للمحرم حمارا وحشيا حيا لم يقبل برقم ١٨٢٥؛ ومسلم، في (الحج)، باب تحريم الصيد للمحرم برقم ١١٩٣.
٢٣- فتح الباري٤/٣٤.
٢٤- أخرجه البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب في الشرب حديث (٢٢٢٤)؛ ومسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، حديث (٢٠٣٠).
٢٥- أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم (٥٤٦٠).
٢٦- فتح الباري ٩/٥٨٢.

الدكتور أحمد بوعود
جامعة عبدالمالك السعدي- المغرب

عدو الإنسان في القرآن الكريم

لقد تكفل القرآن الكريم ببيان ما يهم الإنسان، ووصف خلقه، وبين له غايات وجوده ومصيره بعد هذه الحياة، كما نبهه إلى طبيعته وصفاته السلبية، كما أنه لم يغفل عن تنبيهه إلى عدوه حتى يحذره، وذلك لئلا يصرفه عن غاياته ومقاصد وجوده، لأن افتتان الإنسان بالعدو وانشغاله به يلهيه عن عمله، ويدخله في معارك تبعده عن قصده، فمن يكون عدو الإنسان يا ترى؟ وما خصائصه؟ وما تجليات عداوته للإنسان؟

صفات الشيطان

لكل كائن صفات، وصفات الشيطان هي:

أولا: مخلوق من نار، لقوله تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ (ص:٧٦).

ثانيا: لا يرى للإنسان، لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ﴾ (الأعراف: ٢٧).

إن هذه الصفة جعلت شياطين الجن قادرين على رؤية ما لا يراه الإنسان، كما حدث يوم غزوة بدر عندما رأى إبليس الملائكة فولى هاربا وتخلى عن المشركين فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ (الأنفال:٤٨).

ثالثا: الاستكبار والكفر والعصيان، يقول تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤)، وهذه الصفة كانت كافية لطرده من الجنة، وقد سبق الحديث كيف أن اغتر الشيطان بأصله واستكبر وأبى السجود لآدم عليه السلام، لا لشيء، وإنما لكون أصله نارا، بينما آدم أصله طين، وهنا تتضاف صفة أخرى هي العصيان لرفضه أمر الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾ (مريم:٤٤).

رابعا: اللعن والرجم، هاتان صفتان اكتسبهما إبليس لما عصى ربه استكبارا وكفرا بعدم السجود لآدم، تعنيان الطرد من رحمة الله واللعنة والنقص.

الشيطان خذول للإنسان

يوضح ابن عاشور معنى الخذل فيقول: «والخذل: ترك نصر المستنجد مع القدرة على نصره... فإذا أعان على الهزيمة فهو أشد الخذل، وهو المقصود من صيغة المبالغة في وصف الشيطان بخذل الإنسان؛ لأن الشيطان يكيد الإنسان فيورطه في الضر فهو خذول» (١).

وهذا يبين حقيقة خذلان الشيطان للإنسان، ويتفق مع قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ (إبراهيم: ٢٢)، وذلك يوم القيامة حين يتبرأ الشيطان من أتباعه.

ونفسه عندما تبرأ منهم في غزوة بدر؛ فقد دفع الشيطان هؤلاء المشركين للحرب وحفزهم على ذلك، ولكن لما بدأت المعركة ورأى الملائكة تعزز صف المسلمين تخلى عنهم وخذلهم، لأنه يرى ما لا يرون، وادعى خوفه من الله، وكذلك عند أمره للإنسان بالكفر ثم التبرؤ منه.

إن معنى الخذلان يمكن إجماله في تزيين الشيطان المعاصي للإنسان، وحتى إذا ما استيقن من تمكنها منه تخلى عنه وتركه وحيدا يواجه الحسرة والندم، ثم يتبرأ مما يفعله ويتبرأ من أي سلطة له عليه.

وقد بين القرآن هذا الخذلان وصوره وكأن القارئ يراه رأي العين حتى ينتبه لخطورته؛ إذ الشيطان لا يحب الخير للإنسان مطلقا، بل إنه عدو له كما سنبين فيما يلي.

الشيطان عدو للإنسان

يتحدث القرآن الكريم عن الشيطان باعتباره عدو الإنسان؛ ذلك لأنه يخذله

كما سبقت الإشارة، ويتسبب في هلاكه وإفساده. وقد تحدث عن ذلك القرآن في ثلاث آيات منها قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (يوسف:٥).

والعدو من العداوة، وهو ضد الصديق. وعلاقة الإنسان بالعدو دائما علاقة حرب وتطاحن وصراع؛ ذلك أن العدو لا يهدأ له بال حتى يرى آماله العدوانية تحققت في عدوه. إنه لا يريد له إلا الشر والهلاك.

ويمكن إجمال مظاهر عداوة الشيطان للإنسان كما يصف القرآن، فضلا عن الخذلان، فيما يلي:

أولا: الفتنة.

ثانيا: الإزلال.

ويعني «جعل الغير زالا، أي قائما به الزلل. وهو كالزلق، أن تسير الرجلان على الأرض بدون اختيار لارتخاء الأرض بطين ونحوه، أي ذاهبة رجلاه بدون إرادة. وهو مجاز مشهور في صدور الخطيئة والغلط المضر، ومنه سمي العصيان ونحوه الزلل» (٢).

ثالثا: الإضلال.

رابعا: التزيين والتسويل.

إن هذه الأفعال، وغيرها كثير، نجدها مجسدة في قصة آدم عليه السلام عندما أغواه وزوجه بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها. لقد زين لآدم عليه السلام الأكل من الشجرة لأنه يضمن لهما الخلد، وأضلهما عما أمرهما الله به، وأزلهما عن طريق الحق. إنه بهذا فتنهم عما كانا فيه من هداية، ولو كانا معصومين من الشيطان لما انحرفا عن الحق.

خامسا: الإنساء.

يقول تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (المجادلة:١٩). يوضح القرطبي معنى هذا الإنساء فيقول: «فأنساهم ذكر الله: أي أوامره في العمل بطاعته، وقيل: زواجره في النهي عن معصيته، والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة، وقد يكون بمعنى الترك، والوجهان محتملان هنا» (٣). لكن هذا الإنساء لا يكون إلا فيمن استحوذ عليهم الشيطان وتمكن منهم فأسلمهم للغفلة.

سادسا: التمنية والإملاء.

لقد بين الحق سبحانه أن هذا الإملاء والتسويف هو من فعل الشيطان، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ (محمد:٢٥). يقول الألوسي مبينا معنى الإملاء: «وأملى لهم: أي ومد لهم الشيطان في الأماني والآمال، ومعنى المد فيها: توسيعها وجعلها ممدودة في نفسها أو بزمانها بأن يوسوس لهم بأنكم تنالون في الدنيا كذا وكذا مما لا أصل له حتى يعوقهم عن العمل، وأصل الإملاء: الإبقاء ملاوة من الدهر أي برهة، ومنه قيل: المعنى وعدهم بالبقاء الطويل» (٤).

سابعا: التخويف.

إن الشيطان يخوف الإنسان من أي شيء فيه نفعه، فيخوفه من الإنفاق في سبيل الله بالفقر، كما يخوفه من الموت عموما، وفي سبيل الله خصوصا. بل إنه يخوفه من أية عبادة فيها جزء يسير من المشقة فيصور له حتمية الهلاك إن هو أقدم عليها. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٧٥).

إن الشيطان «يخوف أولياءه الذين يطيعونه ويؤثرون أمره، فأما أولياء الله، فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم ولا ينقادون لأمره ومراده منهم» (٥).

ثامنا: النزغ.

وردت لفظة النزغ في القرآن الكريم في أربعة مواضع كلها مرتبطة بالشيطان. ويتضح معنى النزغ أكثر عندما نستحضر الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٣٦﴾ (فصلت:٣٤-٣٦).

هذه الآية التي جاءت في سياق دفع العداوة والخصومة والغضب باللين والقول الحسن، لأن الشيطان هو من يؤجج هذه العداوة بالاستفزاز والتحريض.

الخلاصة

والذي يلفت نظر القارئ هو أن القرآن الكريم عرف الإنسان منذ أبيه آدم بهذا العدو حتى يحتاط منه ويحذره، فقد عرفه بطريقة وسوسته وسبل غوايته، كما بين أيضا طريقة اتقاء مكره وشره.

لكن، رغم ما للشيطان من مواصفات وقدرات هي أكبر من قدرات الإنسان، فإن القرآن لم ينف عن الإنسان مسؤوليته عن أفعاله السيئة، بل لن يقبل منه عذر يوم القيامة إن هو نسب ضلاله إلى الشيطان. وكم من إنسان في واقعنا يرتكب المعاصي والآثام ويسيء إلى الناس ثم ينسب كل ذلك للشيطان، وما هذا إلا تهرب من تحمل مسؤولية تصرفاته.

الهوامش

١- ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، (١٧/٢٠).

٢- التحرير والتنوير (٤٣٤/١).

٣- القرطبي، الجامع لأيات الأحكام (٣٠٩/١٧).

٤- الألوسي، روح المعاني (١١٢/١٤).

٥- الرازي، التفسير الكبير (٨٣/٥).

د. أحمد إسماعيل
عبدالكريم
دكتوراه في العلوم اللغوية

برغم التحديات.. اللغة العربية.. التاريخ والحاضر والمستقبل

اللغة ليست أداة اتصال وتواصل فحسب، بل إنها بوتقة فكر ووعاء علم، فاللغة العربية هي أبرز مظاهر الثقافة العربية، وهي تمثل ذاكرة الأمة، وهي أداة الاتصال الاجتماعي، ولهذا كله فاللغة العربية تعد من أكثر الميادين أهمية، ففيها الخصوصية القومية والوحدة الثقافية، والتراث والاستمرارية الثقافية، وحيوية الفكر العلمي والإبداع الأدبي والمعتقد الديني (١)، ولذلك فاللغة العربية هي هويتنا، وهي «أداؤنا لكي نصنع المجتمع واقعا.. وثقافة كل أمة كامنة في لغتها ومعجمها، واللغة العربية هي أكثر لغات العالم ارتباطا بالهوية، وهي اللغة الوحيدة التي صمدت سبعة عشر قرنا سجلا أمينا لحضارة أمتنا في ازدهار، وشاهدا على إبداع أبنائها» (٢).

واللغة، أية لغة، مادامت تملك خصائصها التي تمكن لها الاتصال والتواصل، وحيثيات الفكر وتدوين التراث وتسجيله، فلا يوجد ما يحول بينها وبين أن تكون أداة للعلم والدراسة والتحصيل والنهل من شتى العلوم والمعارف، فليس من المعقول أن يكون ثمة لغة للاتصال والتواصل، والمناقشة والحوار، ويحكم عليها بالخمول وعدم الصلاحية للعلم، ومما يثير قريحة الدارس أن كثيرا من البلاد الإسلامية - غير الناطقة بالعربية - تجعل العربية قرينة اللغة الأم، وتحظى بالمكانة السامقة لديها، كماليزيا وغيرها من البلاد الإسلامية، ومما يندى له جبين الإنسانية أننا في العالم العربي المعاصر صرنا نتعلم لنقرأ، على حين أن غيرنا يقرأ ليحظى بنصيب وافر من العلم، أما نحن فنتعلم الإنجليزية لنقرأ من خلالها العلوم، فتضيع في سبيل ذلك أعمار الأجيال، وما سبب ذلك إلا استسلامنا لعقول أعدائنا وفكرهم، واعتبرنا خداعهم نصحا، حتى اقتنع صانعو القرار في العالم العربي بأن العربية الفصيحة ليست لغة علم، وأن سبب تأخرهم تمسكهم بها، وأنها لا تتسع للعلم ولا تكون وعاء للعلوم البحتة، ولذلك قرروا تدريس العلوم في الجامعات باللغات الأجنبية، واستجيب لهذه الدعوات منذ عقود، ولهذه اللحظة يتم تدريس العلوم بالإنجليزية أو الفرنسية في الدول العربية برمتها إلا ما رحم ربك، منذ سنوات معدودة.

العربية وخصائصها الفريدة

إن اللغة العربية لا تضاهيها أي لغة، لا في السعة ولا في المرونة، ولا في المتانة وقوة العبارة، ولا في الفصاحة والبيان، فغيرها من العجمة بمكان، وكما اختار الله لرسالته خير البشر رسولا، اختار خير اللغات وأفضلها وعاء لكتابه الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وليست هذه البدهيات خافية على أحد، فهي حقائق ثابتة يعرفها القاصي والداني، يعرفها أعداء العربية والإسلام، قبل العرب والمسلمين أنفسهم، وذلك سبب حقدهم عليها.

إن لغة اتسعت لكتاب الله، لابد أن تكون أكثر اللغات سعة واستيعابا لشتى العلوم، لأن كتاب الله قد حوى علوما مختلفة وفي شتى الميادين، أليست اللغة العربية وعاء كلام رب العالمين.

إن العلوم العربية التي دونت بالعربية

في عصر ازدهار الدولة الإسلامية في العلوم المختلفة، والتي أفاد منها الغرب ومازالت تدرس في أعرق جامعات أوروبا هي نفسها اللغة التي يمكن أن تكون وعاء العلوم المختلفة في هذا العصر، ولقد نجحت سورية في تعريب التعليم كله في مدارسها وجامعاتها، وقد أثبتت التجربة نجاحا طيبا وكانت النتائج العلمية أفضل، يقول الدكتور إحسان النص مؤكدا أن اللغة الأم تكسب الطلبة قدرة فائقة على الاستيعاب: «إن اللغة العربية يمكن أن تواكب العصر، والدليل على ذلك أن طلابنا ينجحون بسهولة وبتفوق في الجامعات الأجنبية، وقد درسوا العلوم باللغة العربية، لكن أيضا درسوا اللغة الأجنبية، نحن أجرينا تجربة فدرسنا الطب بالعربية، ثم درسناه بالإنجليزية في إحدى الكليات، والنتيجة أن الطلاب لم يستوعبوا المادة بالإنجليزية في حين أنهم استوعبوها بسهولة حينما درست بالعربية» (٣).

عالمية العربية والإسلام

لم يكن ثمة ما يقلق أصحاب الدعوات المشبوهة في البلاد العربية إلا نشر اللغة العربية الفصيحة، لأنها ترتبط بالإسلام فتكتسب عالميتها من عالميته، وتحظى بخصائصه التي تتجلى في حفظ كتابه، حيث وعد الله بذلك فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩). فإذا كتب لهذه اللغة البقاء فإنها ستغزو العالم، ولذا فهم يعلمون علم اليقين مكانة العربية وقدرتها على مواكبة العصر، بل كل العصور، ولكنهم يحاولون دحرها من الوجود، لأن لغة قوية مثل العربية ستضفي على العرب والناطقين بها قوة وعزا؛ ولكنهم يريدون أن يغرسوا في عقلية أبناء العربية أن لغتهم أضعف وأوهى من غيرها، وهي لا تصلح للعلم وليست قادرة على استيعاب العلوم، وأن اللغات الأجنبية هي الأقوى والأصلح، مما يفقدهم الهوية والانتماء والعقيدة غالبا، ويباعد بينهم وبين الانتماء كبعد المشرقين.. «إن قضية التعليم باللغة الوطنية ليست قضية انتماء وولاء فقط، بل هي قضية تنموية في نفس الوقت، بدونها من الصعب أن نصل إلى مرحلة الإبداع في العلم، وفي العمل» (٤).

كانت اللغة العربية ومازالت جوهر الهوية الثقافية

العربية ركيزة الهوية

إن اللغة من أقوى الركائز التي يقوم عليها صرح الهوية، وهكذا شأن العربية، باعتبارها لغة عالمية تستمد حيويتها وقوتها من الإسلام، فهي لا تتوقف عند الحدود الجغرافية ولكن امتدادها يرتبط بامتداد الإسلام، إذ إنها توجد حيث يوجد الإسلام، وبالإضافة إلى أنها جعبة الهوية، فهي أيضا ركيزة أساسية للوجود العربي، فالوحدة اللغوية والثقافية بين البلاد العربية لا تتم إلا بالمحافظة على اللغة العربية التي تؤدي إلى وحدة الشعور والفكر (٥)، ولهذا كانت اللغة العربية ومازالت جوهر الهوية الثقافية، فهي لغة القرآن، كما أنها لغة ثرية في محتواها ومفرداتها، وقد حافظت اللغة العربية على استمرارية الأمة العربية، لذا فإن إتقان اللغة العربية يساعد على الانسجام والتناغم بين أفراد المجتمع، بل والاعتزاز بهويتهم؛ لأن أبناء اللغة الواحدة يشكلون قوالب فكرية وثقافية مشتركة، لذا فاللغة والثقافة تسهم مساهمة فعالة في الحفاظ على الهوية الثقافية العربية والإسلامية (٦).

وهكذا يبدو جليا ما للعربية من أثر بالغ في المحافظة على الهوية والمساهمة في التقدم والإبداع واللحاق بركب الحضارة والقيادة، واستعادة أمجادنا والعودة بالأمة إلى سابق عهدها وتبوئها موقعها اللائق بها؛ حيث تحقق لها ذلك لعدة قرون، في ظل تمسكها بلغتها وأصولها، وذلك واجب يفرضه الواقع والعقل والدين.

الهوامش

١- عبدالسلام المسدي، الخطاب العربي وكونية الثقافة، مجلة سطور، القاهرة، دار سطور، فبراير ١٩٩٩م، ص ٤٠.

٢- نبيل علي، استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعريف بالهوية العربية وإثرائها والتحدي الإسرائيلي المعلوماتي، المجلة العربية للتربية، ع ٤٦، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مارس ٢٠٠٥م، ص ٧- ١٤.

٣- ينظر: د. السيد خضر، اللغة العربية ومشكلاتها وسبل النهوض بها، ص ١٠٣- ١٠٤، من لقاء مع الدكتور إحسان النص في الأهرام بتاريخ ١/ ٥/ ٢٠٠١م، وهو أستاذ الأدب العربي، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

٤- ينظر: د. السيد خضر، اللغة العربية، ص ١٠١، د. محمد يونس الحملاوي، اللغة بين الانتماء والفناء، الأهرام في ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٠م.

٥- صفاء محمد محمود، تصور مقترح لمقرر اللغة العربية لغير المتخصصين في تدريسها في ضوء أبعاد الهوية في نظرية «فيرث» اللغوية، مؤتمر «مناهج التعليم والهوية الثقافية»، ص ١٢٩١.

٦- عبدالرحمن عمر الماحي، العولمة واستلاب الهوية الثقافية للمسلم، المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، في الفترة ٢٧-٣٠ مارس ٢٠٠٧م، ص ٦٥٥.

د. محمد حسن بدرالدين
باحث في الفكر الإسلامي
تونس

ملامح الحكمة القرآنية في كتابات العقاد الإسلامية

كان الأديب المصري عباس محمود العقاد (١٨٨٩-١٩٦٤م) رحمه الله، رجلا موسوعيا، كتب في الأدب والفلسفة والتاريخ والأديان، رغم أنه لم يحصل على مراحل تعليم متقدمة، فقد اكتفى بالحصول على الشهادة الابتدائية، لكنه عكف على القراءة وطلب العلم، وثقف نفسه بنفسه. وفي هذا درس عظيم في الإرادة والعزم، والتحلي بالهمة العالية.

لكن كتابات العقاد في الإسلاميات كانت هي الأهم والأفضل، ليس لأنه قدمها في أسلوب معاصر يراعي طبيعة اللغة السائدة في زمانه، ويتماشى مع المستوى الفكري الذي عليه عموم الناس، ولكن بسبب طرحه العميق، وأفكاره الرائدة في فهم الإسلام ومضامينه، وتقديمه بأسلوب جديد، ومنطق ملائم للعصر الذي عاش فيه. فكانت عبقرياته فتحا مهما في عالم الدراسات الإسلامية، وتناول الشخصيات الإسلامية بأسلوب العالم الضليع، والأديب البليغ. ولأن العقاد متعدد المواهب والجوانب، اخترنا أن نعرض جانبا واحدا من إبداعه، وهو المتعلق بقراءة أبعاد الحكمة القرآنية، وتجلية مضامينها الفسيحة والعميقة.

القرآن روح الأمة الإسلامية

اخترنا كتابه الذي جعل عنوانه: «الفلسفة القرآنية»، واستوقفتنا أولا دلالة العنوان، فهل للقرآن فلسفة؟ لقد أجاب العقاد عن هذا السؤال، مبينا أن محور القرآن هو صلاح العقيدة الإسلامية، أو الحكمة القرآنية اللازمة لحياة الجماعات البشرية، التي تدين بها، وتستمد منها حاجتها من الدين، الذي لا يمكن الاستغناء عنه، كما لا يمكن الاستغناء عن العلم والحضارة (١).

قصد العقاد من هذا الجواب أن المسلمين كما يحتاجون في كل زمان إلى ضروب من الحضارة والعمران وشؤون المعيشة، فإنهم يحتاجون دوما

إلى رسالة القرآن وتوجيهاته؛ لتزودهم بنظرة واضحة وسليمة لمفهوم الحياة، ودورهم في الوجود. فالقرآن زودهم بالحكمة والصلاحية اللازمة للنجاح في الحياة. وبمعنى آخر، هي فلسفة الحياة، حيث لكل أمة أو جماعة فلسفة وحكمة، وروح عامة يرجعون إليها، ويقتبسون من أنوارها. والقرآن الكريم هو روح الأمة الإسلامية، وفق ما ورد في الذكر الحكيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى:٥٢-٥٣).

إن هذا الطرح، الذي أراد العقاد الحرص عليه وتبليغه، يتماشى مع كتاب آخر له، هو: «التفكير فريضة إسلامية»، فكأنه أراد أن يقول للناس: إن رسالة القرآن وآياته تقوم على البحث والتأمل في النفس والكون، وتشتمل على مباحث فكرية، عالجها الفلاسفة من قديم الزمان لا محالة، ولكن القرآن الكريم تكفل بتصحيحها وتصويبها. وعلى هذا الأساس، فإن المضامين القرآنية وأبعادها الفكرية والتشريعية والاجتماعية، تغني الجماعة الإسلامية في باب الاعتقاد بالخصوص، لأنها موافقة لدواعي الحياة، ومطالب الفكر وخلجات الشعور (٢).

تناول العقاد في كتاب الفلسفة القرآنية عشرين مسألة، اعتبرها من أمهات المسائل في الفكر الإسلامي، وكلها لها علاقة بفهم القرآن ومحتوياته، واستشراف أبعاده الفكرية والحضارية، في النفس والمجتمع، أو على نطاق الفرد والجماعة، مثل: القرآن والعلم، والأخلاق في القرآن، والعقوبات والحياة الآخرة، والزواج والميراث، والروح والقدر. وإذا ربطنا بين هذه المسائل، وجدناها تعالج مسائل عقدية واجتماعية وتشريعية وسياسية وعلمية، وكأنه يريد أن يقرر أن القرآن هو كتاب الحياة، لأنه عالج كل القضايا التي تهم الإنسان في حياته ومجتمعه، وضبط صلته بربه، وتحديد علاقته بالناس.

القرآن الكريم يدعو إلى تجاوز عبادة الأسلاف والمقررات الجاهزة والجامدة

قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون

بدأ العقاد في مبحث القرآن والعلم ببيان أن القرآن كتاب عقيدة يخاطب الضمير. وخير ما يطلب من كتاب عقيدة أن يحث على التفكير، ولا يتناول المسائل مجزأة، لأن ذلك يحد من حركية الاجتهاد. وقد جعل القرآن الكريم من التفكير، والنظر الصحيح في آيات الله، وسيلة من وسائل الإيمان وتقريره، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:١٦٤).

حث القرآن المسلمين على أن يتفكروا في عالمي النفس والطبيعة، باعتبارهما طريقا إلى الملاحظة والتدبر، وبالتالي سبيلا إلى الحق والالتزام به. وهو منهج ثنائي الفائدة، يعصم الذهن والقلب من الوقوع في الزلل، مع تحقق مقام استحضار عظمة الله، والاعتبار بالأمم والتواريخ السابقة، واستنهاض الهمم نحو السعي الحضاري، والعمل الصالح، وتحقيق العبودية لله، وعمارة الكون وفق مبادئ الاستخلاف، التي قررها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الروم:٨-٩).

اعتمد العقاد في استخلاصه لمعالم حكمة القرآن ومضامينها وأبعادها، منهج عرض الآيات، وجعله حاكما على الموضوع المدروس، فهو يقر بالمزج اللازم بين النقل والعقل، أو الانطلاق من النص ليكون محلا للتدبر، تماشيا مع قوله تعالى في التفصيل الإلهي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ (الأنعام:٩٧-٩٨).

والتفصيل هنا كما بينه الإمام ابن عادل النعماني (٦٧٥-٧٧٥هـ) يتعلق أيضا بصفات قوم يتفكرون ويتأملون، ويستدلون بالمحسوس على المعقول، وينتقلون من الشاهد إلى الغائب (٣).

ظل القرآن الكريم، بسبب التزامه بهذه الواقعية، متوافقا مع حركة العلم الصحيح، على الدوام، لأنه يدعو إلى التفكر والتدبر، وتجاوز عبادة الأسلاف، والمقررات الجاهزة والجامدة،

التي تقف في وجه العلم والاجتهاد والتجديد. وتلك هي إحدى فضائل الإسلام الكبرى في نظر العقاد، فقد فتح للمسلمين أبواب المعرفة، وحثهم على ولوجها والتقدم فيها، وقبول كل مستحدث من العلوم النافعة، على مر العصور والأزمنة (٤).

سنن الله لا تحابي أحدا

عرض العقاد لمسألة الأسباب والسنن في القرآن، وفق المنهج السابق، أي معاضدة المنقول بالمعقول، وقرر أن القرآن الكريم يقول بقانون السنن والسببية، التي تحكم العالم الطبيعي والإنساني. وقد جعلها البارئ سبحانه قوانين جارية، وآيات سارية، تمضي الحياة بأسرها وفق نظام خلقها، من الذرة إلى المجرة، تماشيا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ (القمر:٤٩-٥٠).
توضح آيات الكتاب المبين أن الخلق المباشر مرجعه إلى الله وحده سبحانه، خالق جميع السنن والقوانين، وما ينطبق على الطبيعة ينطبق على الأفراد والجماعات، لأن سنن الله لا تحابي أحدا: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ (الأحزاب:٣٨).
رد العقاد في هذا السياق على القائلين باستقلالية الطبيعة والقوانين، وبين أن الحوادث، كبيرها وصغيرها، لا يمكن أن تحدث إلا بأمر الخلق المباشر، من إرادة الله، لأن القوانين لا تملك وحدها قدرة الانطباق والتوافق على نسق واحد. فقوله سبحانه كن فيكون، إنما هو تقريب إلى الذهن البشري، وإلا فإن الأمر أهون من ذلك جدا في إرادة الخلاق سبحانه وتعالى (٥).
تعرض أيضا في هذا المقام إلى موضوع المعجزات، ورأى أنها لا تخالف العقل، ولكن تخالف المألوف والمتواتر، في المحسوس والمشاهد، وهي لا تساق لغير ضرورة، وإنما تساق لإقناع المكابرين والمعاندين، حتى تقام عليهم الحجة. ونلاحظ من خلال تدبر الآيات أن الله سبحانه، رد القدرة الفائقة إليه وحده، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (البقرة:١٠٢)، وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ (آل عمران:٤٩).
لم يستعمل القرآن مصطلح المعجزات لا محالة، لأنه لا يعجزه شيء، وإنما استعمل مصطلح الآيات، لما فيها من بلاغة ودقة، وحتى في السنة النبوية، نجد تعبير الآيات، باعتبارها ظواهر طبيعية، بيد الله وإذنه، كما في قول الرسول ﷺ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله» (٦).

> **جملة الأخلاق والقيم تستمد وجودها من الصفات التي اتصف بها الخالق سبحانه وتعالى**

من مبتكرات القرآن: عزم الأمور

عرض العقاد أسس الأخلاق القرآنية، وبين أنها ليست مرتبطة بتحقيق المصلحة أو القوة أو المنفعة، كما في بعض الثقافات القديمة والحديثة، وإنما مصدرها الرقابة الإيمانية العالية، والمسؤولية الفردية الواعية، وقد رآها متحققة ومتمثلة في مصطلح قرآني بديع، هو: عزم الأمور، الذي من مبادئه وسماته: ضبط النفس، واتخاذ الوازع الديني مرجعا له، في حالات الغضب والشدة والانفعال. فإذا ما غضب المؤمن، احتكم إلى مبدأ عزم الأمور، فاتجه إلى رحاب المغفرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ (الشورى:٣٧).
وقد ربط القرآن الكريم بين الصبر والمغفرة والعزم، برباط وثيق، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).
يعتبر ذلك الربط من أهم دعائم التوازن في الشخصية الإسلامية القادرة على تحقيق الوعي الإسلامي الرشيد، الذي يؤدي بدوره إلى سبل الاعتدال، وعدم الاعتداء، وخفض الجناح، والقول الحسن، وغيرها من فضائل الأقوال والأعمال التي دعا إليها القرآن، وجسدها النبي الكريم قدوة للمسلمين على مر الأزمان.
وقد رأى العقاد أن جملة تلك الأخلاق والقيم، إنما تستمد وجودها وأصلها ومعانيها من الصفات التي اتصف بها الخالق سبحانه وتعالى، في أسمائه الحسنى. وكلها مما يحمد للإنسان أن يروض نفسه عليها، وأن يأخذ منها أوفى نصيب يتاح للمخلوق المحدود، باستثناء الصفات التي اختص بها الخالق وحده، دون سواه. وليس في تعلق الإنسان بتلك الصفات من غاية سوى حبه للجمال، وشوقه إلى الكمال، وكلاهما نفحة من الخالق، يهتدى بها إلى معارج الرفعة والارتقاء (٧).

الهوامش

١- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، دار العلوم للطباعة، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٧.
٢- المرجع السابق، ص٩.
٣- ابن عادل النعماني، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ٨، ص٣١٤.
٤- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، ص١٣، سبق ذكره.
٥- المرجع السابق، ص١٨.
٦- الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: علي حسين البواب، دار ابن حزم، الطبعة: الثانية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٢، ص١٣.
٧ - عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، ص٢٩، سبق ذكره.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- للمجلة حق الاختصار والتعديل بما يتوافق مع المساحة المتاحة.

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

شك ويقين

«الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى».

ظل لسان مصطفى يرددها طول الطريق إلى منزل أخيه حيث يقطن، دخل غرفته دون أن يكلف نفسه عناء الحديث مع أحد، كل ما أراده حينها بعض الخلوة مع نفسه، ومراجعة حساباته التي أوشكت أن تنحرف عن مسارها قبل ساعات.

بإنهاك ارتمى على سريره، وبينما عيناه تتابعان مشاهد «لا مرئية» تشكلت بصمت على السقف المعتم، راح عقله يعيد عليه بعض تفاصيل يومه الحافل.

حين غادر بلده المحافظ ليعيش في أوروبا، المنفتحة أبوابها على مصراعيها على عالم الملذات والانحلال، لم يكن يفكر حينها إلا في العملية المقرر له إجراؤها في ركبته.

وحين بدا أن فترة علاجه ستطول لم يكن هناك مجال أمامه إلا الالتحاق بجامعة ليكمل دراسته، ومادام أنه يعيش في منزل أخيه فلم تكن أمامه أية صعوبات تذكر؛ كل ما عليه أن يشمر عن ساعديه ويركز أكثر في الدراسة.

لكن، مع مرور الوقت، بدأ يراقب العالم حوله، والذي يختلف جذريا عن مجتمعه المحافظ -في البداية- دون اهتمام، ثم لم يستطع منع نفسه من طرح السؤال الذي حيره: «لماذا.. لماذا يحق لهم التمتع بحياتهم ونحن لنا الحرمان؟!».

سريعا يستغفر ربه، لكن لا يفتأ السؤال يعيد نفسه مرارا وتكرارا، قاذفا إياه في متاهة لا يكاد يسحب نفسه منها إلا بجهد ومشقة، وما عاد يقدر على التخلص منها حين طالت الإقامة وتوسعت دائرة الصداقات بين زملائه الأجانب، بينما تقلصت جدا بينه وبين رفاقه المسلمين، بل أصبح مدعوا كل يوم تقريبا إلى سهرات الشراب أو الحفلات المشتركة بين الطلاب والطالبات، والتي لا تخلو من مجون وانحلال، مصحوبة، بطبيعة الحال، بالمتعة. ودائما «المتعة» هي الكلمة التي ترتسم على ملامحهم قبل ألسنتهم حين يعودون إلى مقاعد الدراسة بعد حفلاتهم الصاخبة وسهراتهم الطويلة، ودائما تكون إجابتهم: «وااو، استمتعنا كما ينبغي، ليتك كنت معنا يا مصطفى».

كثرت اعتذاراته، وألجمت تبريراته السطحية. لم يكن قادرا على التملص منهم أكثر؛ ببساطة لأنه أصبح غير مقتنع بهذه المبررات. «ولماذا لا يحق لي الحصول على بعض المتعة؟!» سأل نفسه!!

«حسنا، سآتي معكم الليلة»!

كان جوابه على دعوة صديقه، بينما أكمل بقية الإجابة في أعماقه: «وسأحصل على بعض المتعة»؛ لن يتمادى كثيرا بحيث يصبح آثما، فقط سيذهب ليرى كيف يقضون وقتهم.

أقنع نفسه بهذا «المسوغ»، وألجم بقسوة كل عتاب عقله وصراخه.

صم أذنيه أمام كل توسلاته، أخذه من يده ورمى به في زاوية مظلمة، ولم ينس أن يغلق الباب جيدا عليه، سيقضي بعض الوقت مع رفاقه ثم يخرجه مجددا، سيعتذر له وسيعود إلى وضعه السابق.
في المساء، وحسب الموعد المحدد، جاء أصدقاؤه ليصطحبوه معهم إلى البار؛ كذب على أخيه وأخبره أنهم ذاهبون إلى مكتبة ليلية وسيتأخر عند العودة إلى البيت. رغم نظرة الشك التي لمحها في عيني أخيه الأكبر، لكن الأخير لم يسأل عن هذه المكتبة أو يستفسر؛ ربما أراد أن يختبر إيمان أخيه الذي يتفاخر به عليه أمام الجميع.
«حسنا، وماذا إن خيب ظن أخيه؟!».
سؤال طرح نفسه عليه بقوة، قرأ السؤال سريعا ثم قذف به في ذات الزاوية المظلمة، وعلق لوحة عريضة بعنوان: «سأقضي بعض الوقت معهم فحسب».
طول الطريق، وبينما الجميع يغنون ويمرحون، ظل هو صامتا؛ ربما سمع أنينا متصاعدا من ذلك الركن الذي حبس فيه عقله، بل هو متأكد أنه سمع أنينا.
«ليكن... سأذهب»، وحتى لا يواصل الاستماع للأنين المتصاعد، انخرط في الصخب الذي يحدثه أصدقاؤه حوله.
حين وصلوا أخيرا، تسمر أمام البار المتقد الأضواء، والأصوات النابعة من الداخل تطرق أذنيه. باختصار، ورغم كل الوعود التي أطلقها، يعلم جيدا أنه إن أمضى الليلة خلف هذه الأبواب فحين يخرج منها في الساعات الأولى من صباح الغد لن يعود «مصطفى» السابق.

«ليكن!»، رددها بعناد ودخل.. حين أصبح في الداخل، شعر برجفة في قلبه، انقبض صدره وشعر برئتيه تصرخان للحصول على بعض الهواء النقي؛ تخلص من قبضة صديقه وانسل هاربا إلى الخارج، وحين أمسكه الأخير من كتفه رد عليه بإيماءة بأنه يختنق ويريد تنفس بعض الهواء النقي.
أصبح في الخارج أخيرا، كان يشهق ويسعل بكل قوته، وكأنه تخلص من يد تحاول إغراقه في بحر كثيف الملوحة.
مضت لحظات قبل أن يستعيد قدرته على التنفس، اشترى ماء معدنيا من «السوبر ماركت» القريب وجلس على الرصيف يشرب الماء ويتنفس.
حدق مليا في البار الصاخب أمامه، سيعود إلى هناك ويكمل الليلة، وقف مترنحا بعد نوبة السعال التي انتابته، لكنه مشى في الاتجاه المقابل، مبتعدا عن البار والشارع كله، مشى على غير هدى؛ حتى أصبح بعيدا، بعيدا جدا.
اتخذ طريقه عائدا إلى البيت، لا يفكر بشيء، ولا حتى يحاول أن يفعل؛ كل ما يريده أن يحصل على بعض النوم، بعدها سيفكر بكل شيء.
بمجرد أن دخل الحي الذي يقطنه، تناهى إلى سمعه صوت صراخ وزعيق امرأة مصحوب بتوسلات وبكاء رجل، تبع مصدر الصوت ليجد نفسه أمام بيت أستاذه في الجامعة، زاره رفقة زملائه أكثر من مرة؛ لذا أصبح يعرف البيت جيدا. تقدم بخطوات سريعة لتقديم المساعدة إن أمكنه ذلك، كانت زوجة معلمه تقف على الباب، وتحت قدميها أحدهم متشبث بها، وهي تركله بقسوة.
«ما الخطب سيدتي؟»، سألها مستفهما، منتظرا الإشارة منها ليجر

هذا المتطفل من شعر رأسه؛ فهي زوجة المعلم الذي يكن له عظيم مشاعر الاحترام ويعتبره قدوته وموجهه.
«خذ هذا بعيدا، لا أريده في البيت وهو مخمور بهذا الشكل»!
أمسك الرجل من كتفيه ليبعده عنها، لكن شلته الدهشة عندما عرف من يكون، بينما زاد الرجل تمسكا بقدميها وهو يرجوها أن تسمح له بالدخول.
«سيدتي، إنه البروفيسور!»، سألها غير مستوعب ما يحدث.
«وماذا في ذلك؟! أنت لا تعرفه حين يعاقر الشراب؛ سيدخل ويظل يصرخ ويحطم كل شيء، وسيسمعني ويسمع أولاده والجيران البذاءة بعينها.
خذه بعيدا، وحين يفيق ويصبح إنسانا يستطيع أن يعود، أما الآن فلن أسمح لأولاده أن يروه وهو بهذه الحالة».
أمام إصرارها، أمسك بمعلمه وجره بعيدا، وطوال الطريق حاول جاهدا منع نفسه من توجيه صفعة له، بل صفعات، مقابل السباب والشتائم التي كان يتفوه بها والتي لا تليق بشخص بمثل مقامه.
وضعه على كرسي في الحديقة العامة، ظل بجانبه بعض الوقت، في الغد سيعود المعلم إلى بيته، يغتسل ويغير ثيابه ويذهب للجامعة بكل هيبته التي مرغها الآن بالتراب أمام زوجته وأمامه وأمام الجيران؛ هل هذه هي المتعة التي يتباهى بها الجميع أمامه؟! هل هذا ما كان سيبيت عليه لو أكمل سهرته في البار؟!
«يا الله»، همس بها وهو يغادر الكرسي، شاكرا الله أن هداه قبل أن يتوغل أكثر في الوحل فيفقد نفسه واحترامه لها، متأكدا أنهم هم المحرومون لا هو.

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٧)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، خصوصا طلاب العلم، وترجمت لهم ترجمة موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم الغزالي:

١- أبو حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ):

هو حجة الإسلام أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الطوسي الغزالي الشافعي.

وشهرته الغزالي بتشديد الزاي (نسبة إلى الغزال على عادة أهل خوارزم وجرجان) أو بتخفيفها (نسبة إلى غزالة من قرى طوس). قال صاحب اللباب: والتخفيف خلاف المشهور.

فقيه، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف.

ولد في طوس بخراسان سنة ٤٥٠هـ، ثم رحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، ثم الحجاز، ثم بلاد الشام، ثم مصر، وعاد إلى بلدته.

من كتبه: «إحياء علوم الدين»، و«تهافت الفلاسفة»، و«الاقتصاد في الاعتقاد»، و«إلجام العوام عن علم الكلام»، و«المستصفى من علم الأصول»، و«الوجيز» و«الوسيط» و«البسيط» في فروع الشافعية.

توفي رحمه الله تعالى بطوس (١).

٢- مجد الدين الغزالي (ت:٥٢٠هـ) (الأخ):

هو مجد الدين أبو الفتوح أحمد بن

محمد بن محمد بن أحمد، الطوسي الغزالي، وهو أخو الإمام أبي حامد الغزالي.
طاف البلاد، وعقد مجالس للوعظ، وازدحم عليه الناس.
درس بالنظامية نيابة عن أخيه لما ترك التدريس زهادة فيه.
من مصنفاته: «الذخيرة في علم البصيرة» (تصوف)، و«لباب الإحياء» (اختصر فيه إحياء علوم الدين لأخيه أبي حامد الغزالي)، و«التجريد في كلمة التوحيد»، و«بوارق الإلماع في الرد على من يحرم السماع».
توفي رحمه الله تعالى بقزوين (٢).

٣- علاء الدين الغزالي (كان حيا سنة:١٠١٢هـ):

هو علاء الدين علي الغزالي الشافعي.
من مصنفاته: «طرف الموافاة وظرف المكافاة» أهداه للسلطان محمد بن مراد العثماني (٣).

٤- تاج الدين الغزالي (ت:١١٦٩هـ):

هو تاج الدين أحمد الغزالي المصري، وهو صوفي، أخذ عن الشيخ البيومي.
من تصانيفه: «النفحات الربانية والفيوضات الإلهية الصمدانية» في التصوف (٤).

المتفق والمفترق في اسم العراقي:

١-أبو إسحاق العراقي (ت: ٥٩٦هـ):

هو أبو إسحاق إبراهيم بن منصور ابن المسلم العراقي، المصري. فقيه شافعي، وإمام وخطيب الجامع العتيق بمصر.
ولد بمصر، ورحل إلى العراق.
من مصنفاته: «شرح المهذب لأبي إسحاق الشيرازي» في ١٠ أجزاء في فروع الشافعية، وله «ديوان خطب»، وتوفي في ١١ جمادى الأولى (٥).

٢- زين الدين العراقي (ت:٨٠٦هـ) (الأب):

هو زين الدين أبو الفضل، عبدالرحيم ابن الحسين بن عبدالرحمن، المعروف بالحافظ العراقي، من كبار علماء الحديث.
أهله من الكرد، ولد في «زاريان» من أعمال إربل سنة: ٧٢٥هـ، تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز، والشام، وفلسطين، وعاد إلى مصر.
من مصنفاته: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، و«شرح الألفية في مصطلح الحديث»، و«ذيل على ميزان الاعتدال»، و«تقريب الأسانيد وترتيب الأسانيد»، و«طرح التثريب في شرح التقريب»، و«التقييد والإيضاح» شرح مقدمة ابن الصلاح، و«شرح سنن الترمذي».
توفي في القاهرة (٦).

٣- ولي الدين العراقي (ت:٨٢٦هـ) (الابن):

هو أبو زرعة ولي الدين أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين الكردي المصري، قاضي الديار المصرية.
ولد سنة ٧٦٢هـ، رحل به أبوه الحافظ العراقي إلى دمشق فقرأ فيها، وعاد إلى مصر فارتفعت مكانته، إلى أن ولي القضاء سنة ٨٢٤هـ بعد الجلال البلقيني، وحمدت سيرته، ولم يدار أهل الشأن فعزل قبل تمام العام على ولايته.
من مصنفاته: «البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح»، و«فضل الخيل»، و«رواة المراسيل» و«حاشية على الكشاف»، و«أخبار المدلسين» و«مبهمات الأسانيد» في الأزهرية، و«تحرير الفتاوى».. وغير ذلك (٧).

٤- العراقي (ت:١٢٨٨هـ):

هو عبدالقادر بن أبي القاسم بن عبدالله الحسيني العراقي، فقيه مغربي.
له مصنفات، منها: «رفع الخفاء»، و«المنحة المودودة على تحفة ابن عاصم وشرح ابن سودة»، و«مصباح السالك إلى ألفية ابن مالك» (٨).

٥- العراقي (ت:١٣١٤هـ):

هو عبدالرحمن بن العباس العراقي الحسيني المغربي، فاضل من المالكية.
له نظم، منه «الهمزية» عارض بها البوصيري، ومنظومة في «آداب الدعاء وشروطه»، وأخرى في «التوحيد»، وأخرى في «شمائل المصطفى» (٩).

الهوامش

١- ينظر طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١٠١/٤)، وشذرات الذهب (١٠/٤)، والأعلام للزركلي (٢٢/٧).
٢- ينظر طبقات الشافعية الكبرى (٥٤/٤)، وشذرات الذهب (٦٠/٤)، والأعلام للزركلي (٢١٥/١).
٣- ينظر هدية العارفين (١٧٥/١)، ومعجم المؤلفين (٣٩/٢).
٤- ينظر إيضاح المكنون (٨٤/٢)، ومعجم المؤلفين (١٦٤/٧).
٥- ينظر سير أعلام النبلاء (٧٠/١٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢٠١/٤)، ومعجم المؤلفين (١١٦/١).
٦- ينظر الضوء اللامع (١٧١/٤)، ومعجم المؤلفين (٢٠٤/٥)، والأعلام للزركلي (٣٤٥/٣).
٧- ينظر الضوء اللامع (٣٣٦/١)، والأعلام للزركلي (١٤٨/١).
٨- ينظر الأعلام للزركلي (٤٢/٤).
٩- ينظر اليواقيت الثمينة (٢٠٠/١)، ومعجم المؤلفين (١٤٢/٥)، والأعلام للزركلي (٣٠٩/٣).

د. إسماعيل عبدالفتاح
عبد الكافي
دكتوراه في الفلسفة والعلوم
السياسية

الأبعاد التربوية في تطوير أدب الأطفال

إذا كان المستقبل هو هدف الحاضر، فإن الأبعاد التربوية هي التي تحدد مستقبل أدب الأطفال العربي، ولم لا؟!، فأدب الأطفال هو أدب تربوي في المقام الأول، بل إن الأسس التربوية هي التي تصنع مجالات وواقع ومستقبل أدب الأطفال، كما أن أدب الأطفال وسيلة تربوية ناجحة في العالم المعاصر للوصول إلى عقل وقلب الأطفال، ولذا، فإن أي تطوير بهذا الأدب لابد وأن يمر عبر البوابة التربوية، ولذلك ونحن نتحدث عن أدب الأطفال، لابد وأن نتحدث عن المستقبل، لأنه أدب مستقبلي بناء ورفيع، وإذا كنا تحدثنا عن معايير تطوير أدب الأطفال بصفته من المعايير البنائية في العالم المعاصر، فلابد وأن نعرج الآن على نظرة تطويرية مستقبلية لأدب الطفل العربي، وللكتاب الخاص بالطفل العربي، ويا ليتنا نبدأ من الكتاب المدرسي، فإذا طورنا الكتاب المدرسي بمواصفات كتاب الطفل لأصبحنا بالفعل وبالقول وبالممارسة أمة متقدمة، لأن كتاب المدرسة مازال متخلفا بدرجة كبيرة جدا، وما زال يمثل الجزء المهدر من إمكانياتنا، ولتطوير أدب الطفل في العالم العربي، لابد وأن نتناول الرؤى التطويرية التربوية من خلال النقاط التالية:

١- تنمية طوابع أدب الأطفال: أدب الأطفال ضرورة وطنية وشرط لازم من شروط التنمية الثقافية المنشودة في عقدها الدولي الذي انقضى دون فائدة كبيرة، بل إن تنمية ثقافية تتجاهل أدب الأطفال أو تهمله، ناقصة، وتفتقر لجذورها، لأسباب تتعلق بطبيعة التكوين المعرفي والتربوي للإنسان.

وغني عن القول، أن أدب الأطفال سبيل لا غنى عنه لتسريع عملية التنمية الثقافية والاجتماعية مما يتطلب بذل المزيد من الجهد لتأصيل أدب الأطفال وتدعيمه في التربية والمجتمع في مختلف المؤسسات، وهي عملية تحتاج إلى تخطيط شامل، في صلب التخطيط للثقافة العربية، يراعي خصوصيات أدب الأطفال، وينهض بمسؤولياته على أنه ادخار مضمون في كسب معركة الحياة العربية. ولهذا كله، نجد في أدب الأطفال سبيلا أمثل لبناء الذات، مكونا رئيسا للشخصية، وتتبدى قابلية أدب الأطفال لأداء فاعليته

فيما يلي (١):

● الطابع التربوي لأدب الأطفال، فلا ينكر أحد اليوم عظم الأدوار التربوية التي يؤديها أدب الأطفال، بل إن أدب الأطفال تربوي بالدرجة الأولى، بمعنى أن الاعتبارات التربوية هي الأساس المكين لإنتاج أدب الأطفال أو إعادة إنتاجه في الوسائط الثقافية الكثيرة والمتنوعة، ولاسيما اعتبارات النمو واللغة والخلد والبيئة والمجتمع.

● الطابع الشعبي لأدب الأطفال، لأن أدب الأطفال هو أكثر المبدعات الفنية والأدبية استلهاما للتراث الشعبي والمأثورات الشعبية، فهو داعم للبحث في الهوية، ومسعف الذاكرة بخصائصها الباقية، ومجدد وسائل التعبير في مخاطبة الأطفال بما هو أقرب إلى وجدانهم.

● الطابع الإيديولوجي لأدب الأطفال، فقد دخل أدب الأطفال ميادين الصراع الفكري منذ وقت ليس بقصير، ويعد أدب الأطفال اليوم أخطر مجال للتبعية الثقافية والإعلامية، إذ يستخدمه الآخر لغزوه الثقافي والإعلامي، ويتلقى الطفل العربي المنتجات الأدبية والفنية الغزيرة، وفي شتى الفنون والوسائط بقصد التأثر على تكوين الناشئة، والترويج للنمط الثقافي التابع.

● ولابد من إدماج أدب الأطفال في العمل الثقافي العربي، وكذا إدماج أدب الأطفال في استراتيجية التربية العربية، ومن خلال التكامل التربوي في إطار الوحدة والتنوع.

٢- الأهمية المستقبلية لتطوير أدب الأطفال العربي: مطلوب تطوير أدب الأطفال العربي وفق مقاييس نقده ومعايير جودته، بما في ذلك كتاب الطفل العربي لأهميته التربوية والاجتماعية والسياسية، ونحتاج لتطوير أدب الأطفال وتطوير الكتابة للطفل في أجناسه وعبر وسائطه المختلفة (٢).

فالتخطيط الثقافي الشامل هو المدخل للعون اللازم للنهوض بأدب الأطفال العربي، في بحوث أدب الأطفال، وتعليمه والتأليف له وإنتاجه وإعادة إنتاجه في الكتاب والصحافة والخيالة والإذاعتين المرئية والمسموعة والمسرح وسوى ذلك من وسائط، ويتطلب ذلك قيام هيئة عربية ترعاها وتوجهها وتمولها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ولها مركز أو أكثر حسب الاختصاص (مركز بحوث أدب الأطفال، معهد إعداد للعاملين في أدب الأطفال، كلية جامعية لتدريس أدب الأطفال، مركز التراث الشعبي للأطفال، مركز برامج الأطفال الإذاعية، مؤسسة خيالة الأطفال، مركز كتاب الطفل، دار قومية لصحافة الأطفال...) إلخ (٣).

٣- كيف نطور أدب الأطفال العربي؟

إذا نظرنا نظرة فاحصة نجد أن ثقافة الأطفال مستمدة من ثقافة الكبار، والشجرة التي لا تمتد جذورها عميقة في الأرض يسهل اقتلاعها، لذا لابد أن يكون للأطفال ثقافة عميقة وأصيلة تغوص في التراث، وفي الوقت نفسه نفتح لهم نوافذ على العصر.

ونحن في حاجة إلى إعادة النظر في أدب الأطفال من أجل تطويره، من أجل إدخال أشياء جديدة وحديثة عليه، من أجل تحديث مساره وتحقيق الفائدة على الصورة الأمثل والأفضل.

نحن في حاجة إلى مزيد من الاهتمام بثقافة الأطفال على كل مستوى وفي كل الفنون والأجناس.

نحن في حاجة إلى التدقيق في وسائل إيصال إبداعات الكتاب ونصوصهم الإبداعية (الشعرية والقصصية والمسرحية)، وأن نوفر السمات الفنية والشكلية القادرة على جذب الأطفال إلى هذه النصوص الإبداعية.... ولابد من تحقيق الفن (الذي فيه المتعة والأسلوب واللغة والخيال والشخصية) ولابد من تحقيق القيم (التي تعني وجود الهدف الواضح المرغوب فيه أو المرغوب عنه) ثم هناك الإيصال (والمقصود فيه المقدرة على استخدام وسائل التوزيع والطباعة واللوحات).

وهناك قيم وطنية، وقيم شخصية، وقيم خلقية، وقيم اجتماعية، وقيم ترويحية، والمشكلة الكبرى هي تعدد الجهات التي تحاول غرس هذه القيم في الأطفال (المدرسة تغرس، والتلفاز يغرس، والبيئة تغرس، والقصص تغرس) والقيم إما أن تكون قيما صريحة تطرح مباشرة (حث الطفل على التعاون مثلا) أو أن تكون قيما ضمنية يطرحها الكاتب طرحا غير مباشر (دعوة الطفل إلى العمل) يستنبط الطفل ذلك من ثنايا القصة أو الأثر الأدبي، وربما تكون القيم إيجابية (تدعو لما هو مرغوب فيه - الصدق - الأمانة) وربما تكون الدعوة سلبية (تدعو لما هو مرغوب عنه - الإساءة والأذى).

يفضل دائما في أدب الأطفال طرح القيم الضمنية

ويفضل دائما في أدب الأطفال طرح القيم الضمنية (لأن طرح القيم الصريح يتنافى ومعطيات التربية وأدب الأطفال) حتى يكون التوجيه أسلوبا تربويا ناجحا.

٤- المحاور المختلفة لتطوير أدب الأطفال:

هذه المحاور متنوعة ومختلفة، نستعرضها من قراءاتنا المتعددة، ومن بحث مستقبلي وضعته إحدى المؤسسات العالمية العاملة في مجال الطفولة على النحو التالي (٤):

● تفعيل الكتاب المدرسي وتطويره: ليكون جزءا مهما من منظومة أدب الأطفال العربي.

● تفعيل المكتبات وتعزيز مهارات أمناء المكتبات والمعلمين: لابد وأن تشمل المشاريع الخاصة بتطوير أدب الأطفال العربي إنشاء مكتبات عامة ومكتبات جديدة، في جميع الأحياء وفي جميع المدارس والمعاهد التعليمية التابعة لمختلف الجهات، وكذلك تنشيط تلك الموجودة.

● إنتاج وتوزيع الكتب: مثل إنشاء «جائزة اقرأ في كل مكان» على مستوى الفصل ثم الصف ثم المدرسة ثم المنطقة التعليمية ثم المحافظة ثم الدولة كلها ثم على مستوى الدول العربية كلها، ومن ثم (مستوى آخر: العمارة أو البيت ثم الشارع ثم الحي ثم المدينة ثم المحافظة ثم الإقليم ثم الدولة ثم العالم العربي كله) والجائزة عن هذه الكتب يجب أن تكون متكاملة (بما فيها الرسوم والتصميم والتحرير والغلاف... إلخ) غير منشورة، عربية، وغير مترجمة، والجائزة تتمثل في: شراء نسخ من الكتب الفائزة، وتوزيعها على مكتبات أطفال في المكتبات.

● التعاون والتبادل الجامعي: لابد من إدخال الجامعات ومراكز البحوث كطرف في التطوير بدءا من التعرف على الوضع الراهن لأدب الأطفال كمادة في الجامعة.

● إتاحة الفرصة لمسرحيات جديدة هادفة، ومرحة غير مباشرة، موجهة للعائلة تتناول موضوعاتها، البيئة، حب الوطن، مشاكل المطالعة والتدخين، هموم الطفل وعلاقته بالبيت والمدرسة، وتعرض من قبل رواد المكتبة من اليافعين، على المدارس ودور الأيتام.

● انتقاء الأفضل من الأدب المترجم وتوثيق القصص المترجمة، ولاسيما في الصحف ونسبتها إلى أصحابها.

● دعم الدولة المباشر لتنمية صناعة كتاب الطفل، من توفير مواد الخام وإلغاء كافة الضرائب على كتب الأطفال. وما إلى ذلك.

● التزام الجهات التعليمية والثقافية بشراء كتب الأطفال تدعيما لها.

● الوصول إلى فئاتنا المستهدفة: من خلال معارض كتاب الأطفال في كل مدرسة وحي ومركز شباب، من خلال الكتاب الذي استهدف الأطفال بشكل مباشر، أو المعلمين وأمناء المكتبات الذين سيستخدمون مهاراتهم المكتسبة في الاتصال المباشر مع الأطفال وأولياء الأمور.

● التعاون بين الوزارات مثل التعليم والثقافة والشباب والإعلام.

٥- نحو أدب أطفال عربي موحد: صدرت الخطة الشاملة للثقافة العربية عام ١٩٨٦م، بعد عمل دؤوب استمر أربع سنوات تقريبا ١٩٨٢-١٩٨٥م، وتتبع أهمية هذه الخطة من أنها أول تقنين للهوية العربية الإسلامية تصدره جامعة الدول العربية، ويحظى بموافقة الوزراء المسؤولين عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي. وقد روعي في

وضع الخطة: عدد خمسة أمور تلبي الحاجة إلى التنمية الشاملة، وهي (٥):

أ- تحديد المنظور المستقبلي العربي، والرؤية الواضحة لنوع الإنسان الذي نريد، وشكل المجتمع الذي نبني. وبناء نظرية ثقافية متكاملة تعد إطارا مرجعيا للسياسات الثقافية العربية في تنويعاتها القطرية، وفي مواجهة تحديات المستقبل ومتغيراته.

ب- تطوير الثقافة العربية لتصبح ثقافة علمية معاصرة محافظة على تراثها وهويتها، مسهمة في الوقت نفسه في التقدم العربي والبشري.

ت- الاستجابة للأعمار كافة، من المهد إلى اللحد، بمرونة قادرة على التكيف مع تنوع البيئات العربية وحاجاتها المتجددة.

ث- الاستجابة لتحديات المعرفة والتقنية المتزايدة، وللصراع مع الثقافات المالكة لها.

ج- الاستجابة لحاجات الأطفال والناشئين الثقافية بإقامة توازن بين الثقافة التي يجري إعدادها لهم من تراثنا وعصرنا، والثقافة التي يحتاجون إليها في المستقبل.

ولقد جسدت الخطة الشاملة للثقافة العربية الأمور الخمسة

السابقة، فحددت الهوية الثقافية العربية، ووضعت الأهداف والمبادئ الأساسية، وفصلت في أسس العمل ووسائله، ورسمت عناصر السياسات والبرامج الإقليمية.

كما حددت الجوانب الأربعة للمنظومة المحتوى القيمي للثقافة العربية، وشكلت الإطار المرجعي له. كما راعت مكونات الهوية العربية الإسلامية من تراث روحي وثقافة وشخصية اجتماعية محددة، مستندة في ذلك إلى عراقة الثقافة العربية، وسماتها الإنسانية، وقابليتها للنمو والإبداع والتطور، وأصالتها التي منحتها القدرة على التلاقح ومواجهة الغزو الثقافي.

والخلاصة

● أن المعايير اللغوية والتربوية والاجتماعية لأدب الطفل مهمة.

● الفرق بين أدب الأطفال وأدب الكبار يوضح بجلاء البون الشاسع بين هذا الأدب وذاك الأدب العام للكبار. ولابد أن يقوم كبار الأدباء العرب بواجبهم المعنوي والعربي والإسلامي، وذلك بالقيام بالكتابة للأطفال العرب.

● تتعدد معايير انتقاء واختيار كتب الأطفال، لأهميتها القصوى، مثل معايير اختيار كتب مكتبات الأطفال العامة، والمعايير العامة والخاصة لاختيار كتب الأطفال.

● أهمية المحددات والضوابط المختلفة لأدب الأطفال، ومنها: معايير تقييم كتب الأطفال في مكتبات المدارس، ومعايير ومحددات وضوابط خاصة بكتب الطفولة المبكرة، ومعايير صناعة الكتاب العربي، ومعايير انتقاء كتب الأطفال، ومحددات وضوابط خاصة بشعر الأطفال، وأخطاء كتاب الأطفال من وجهة النظر الاجتماعية والإسلامية، ومحددات الجودة في أدب الأطفال في المضمون الإسلامي.

● كيف نكتب للأطفال؟ وهذا يؤكد على أن الكتابة للأطفال بين العلم والفن، وأن هناك بواعث الحاجات إلى الكتاب لدى الطفل العربي. وأن واقع كتاب الطفل في الدول العربية، واقع يؤكد الحاجة الماسة لتطوير أدب الأطفال عندنا.

● هناك تأخر في أدب الأطفال العربي ويعود ذلك لأسباب النقدية، وللقيود التعبيرية في ترجمة أدب الطفل العربي. وأهمية الوصول من النظرة النقدية إلى التطوير الشامل والمتكامل لأدب الأطفال العربي (رؤية مستقبلية)، وضرورة التعاون الإقليمي العربي في هذا المجال.

● لابد من الدعوة لتقديم أدب عربي موحد للأطفال والاستفادة من التجارب القطرية العربية لتقديم أدب فعال عربي للأطفال، وعلى نطاق واسع.

شروط كاتب الأطفال

أن يكون واسع الاطلاع.
أن يكون ملما بأصول التربية التربية النفسية للأطفال.
أن يكون عريقا في عالم الطفولة.
أن يفهم عالمهم فهما صحيحا.
أن يتقمص شخصية الطفل ويبدأ بالكتابة ولا ينظر إليه من فوق.
أن يعيش الكاتب الطفولة بأحلامها وتطلعاتها.
أن يعنى بفنون الأطفال (شعر-قصة -مسرح).
أن يراعي مجموعة القيم التي يسعى إليها المجتمع.
أن يعمل على ترسيخها.

. الاهتمام بالترجمة في أدب الأطفال، وزيادة فعالية الترجمة من العربية للغات الأخرى، من أجل الوصول لطفل الآخر، بالإضافة إلى غربلة الترجمات من اللغات الأخرى للغة العربية.

كل ذلك من أجل الارتقاء بأدب الأطفال العربي والله الموفق.

الهوامش

١- راجع: إسماعيل عبد الفتاح وزانيا حسن أبو العينين، معايير قياس الجودة في كتب الأطفال، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، (٢٠١١م).

٢- د. سمير روحي، أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية، العين، (١٩٩٨م)، الفصل الثاني.

٣- د. سمر روحي، تنمية ثقافة الطفل العربي، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، الكويت، (١٩٨٨م). وأيضا: د. هادي نعمان الهيتي، ثقافة الأطفال، عالم المعرفة، (١٢٣)، الكويت (١٩٨٨م).

٤- مؤسسة أما ليند الأورو- متوسطية للحوار بين الثقافات/ البرنامج الإقليمي لتطوير أدب الأطفال/ الإنجازات منذ بداية البرنامج وحتى يناير/ كانون الثاني (٢٠٠٩م).

٥- أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية - د. سمر روحي الفيصل/ دراسة - من منشورات اتحاد الكتاب العرب - (١٩٩٨م)، ٢٢ سبتمبر (٢٠٠٣م)/ وأيضا: الأمور الخمسة مستمدة من تصدير الخطة الشاملة للثقافة العربية- (ص ٢٥/٢٤) -الطبعة ٢- تونس (١٩٩٠م). ولقد عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ندوات عدة لمناقشة الخطة الشاملة للثقافة العربية، وانظر أيضا: الخطة الشاملة للثقافة العربية، تونس، (١٩٨٦م)، (ص ٥٤) وما بعدها.

٦- نزار نجار، موقع صحيفة الفداء حماة سوريا، كيف نطور أدب الأطفال؟، ثقافة، الاثنين: ٢٨-١-٢٠٠٨م.

عبد المجيد إبراهيم قاسم
باحث دراسات إسلامية

كيف تربي الأسرة أطفالها ثقافيا؟

على الرغم من التطورات الهائلة في وسائل الإعلام، وتعدد المؤسسات التربوية والتعليمية التي تتشارك في تربية الأطفال، تبقى الأسرة أهم البيئات التربوية التي تعنى بتنشئة الطفل، وتسهم في تكوين شخصيته وبلورة ملامحها، وإنمائها من النواحي العقلية والنفسية والاجتماعية والسلوكية. فالأسرة عبر ممارساتها اليومية لعملية التربية، تهدف - عموما - إلى التأسيس لشخصية طفلية فاعلة في مجتمعها، وقادرة على التكيف والانسجام.

والثقافة بصفتها المرآة التي تعكس خصوصية الإنسان، وتدون استمراريته على العطاء والإبداع، والوسيلة التي تملك دورا رئيسيا في تنمية المجتمعات الإنسانية وتطويرها، تعني في إطارها العام بحسب د. عيسى الشماس: «كل ما توصل إليه جماعة من الناس من أفكار وعادات وعقائد وقيم ومناشط سلوكية مختلفة ونتاجات فنية وأدبية وعلمية، وما تتخذه من أساليب ووسائل لنقل هذه المعلومات والخبرات إلى أجيالها المتعاقبة، بحيث لا يمكن فهم أي تنظيم اجتماعي لأية مجموعة من الناس فهما دقيقا، إلا عن طريق معرفة ثقافة هذا التنظيم، وطبيعة هذه الثقافة وإدراك عناصرها المختلفة».

أما ثقافة الأطفال فهي فرع من فروع الثقافة، نعني بها: مجمل الأعمال الأدبية والتعليمية والترفيهية الموجهة للأطفال، التي يضعها الراشدون غالبا، وتهدف عموما إلى تنمية مكونات شخصياتهم، والارتقاء بقدراتها ومدركاتها بصورة متوازنة ومتكاملة.. حيث إنها تسعى لإثراء تفكيرهم وخبراتهم، وتنمية لغتهم وأخيلتهم، وتعديل سلوكهم وتصرفاتهم.

يتضح من التعريف السابق أن «ثقافة الأطفال» ليست تصغيرا عن ثقافة الكبار، ولا يعني جملة الإجراءات المقصودة التي تستهدف التبسيط عنها، إنما هي إستراتيجية مستقلة بذاتها، لها سماتها وخصائصها وأدواتها، وهي تحظى بكل الرعاية والاهتمام من قبل الأمم التي تقدر ثروتها في الطفولة حق قدرها. بمعنى أننا لا نعني بهذا التخصص الثقافي كم المعارف والمعلومات التي يتلقاها الطفل فحسب، وإنما منظومة تربوية متكاملة، تشمل نواحي حياتهم كافة، والبوابة الشاسعة التي تضعهم على أعتاب الحياة، التي تملأها الصحة والسعادة والطمأنينة.

إن أهمية التربية الثقافية كجزء لا يتجزأ من الرعاية الشاملة للأطفال، تنبع من كون الطفل يمثل حجر أساس في عملية تنمية المجتمعات، ومن يعول عليه لتحقيق هذا الهدف. والسؤال هنا: كيف يتجسد دور الأسرة في الرعاية الثقافية للأطفال؟

إن من أهم واجبات الأسرة كمركز لتشكيل المفهوم الثقافي لدى الطفل، أن تسعى - أولا - لتعليمه مبادئ القراءة ومهاراتها، وتمكن هذه الفضيلة في نفسه بالوسائل المتاحة. فالقراءة تشكل أهم دوافع الطفل للتساؤل والاستكشاف، وتغرس فيه حب الاطلاع واكتساب الخبرات. وبالوقت نفسه - عليها - أن تتيح له فرص اختيار المادة المقروءة التي يهواها، والوقت الذي يناسبه لممارسة هذه العادة. وأن توجهه نحو حب الكتاب، وتسعى لتوفير الكتب والمجلات الملائمة والمثيرة لاهتمامه.

ولعل نجاح الأسرة في مهام «تثقيف الطفل» يتوقف على قدراتها في تفعيل هذه الثقافة أولا، ومدى إسهامها في إثرائها وتنميتها ثانيا. يقول الباحث فاضل الكعبي: «من الخطأ الكبير تجاهل هذه الثقافة، لأن هذا التجاهل سيؤدي إلى خلل كبير تصعب معالجته في البنية السلوكية والتركيبة الاجتماعية والتربوية والثقافية للمجتمع ككل.. فإذا ما أهملنا قيمة ووظيفة ثقافة الأطفال في حياة أطفالنا، فقد يترتب على ذلك العديد من الانعكاسات السلبية الخطرة على مستقبل السلوكية الثقافية للمجتمع».

وفي إطار مساعيها لتنمية وعي الطفل الثقافي، يجب على الأسرة توظيف أدب الأطفال كدعامة أساسية لذلك، لأنه يسهم بتزويده بالمعارف والقيم والاتجاهات المرغوبة، ويتيح له فرص التعبير والمشاركة والإبداع. وأدب الأطفال هو فرع أدبي حديث نسبيا، يتمتع بخصائص تختلف عن خصائص أدب الكبار، إذ يراعى في نتاجاته اعتبارات تربوية ونفسية وفنية عامة وخاصة.

وفي الحقيقة كلما كانت مادته غنية بأهدافها وقيمها، وجذابة بأسلوبها وطريقة عرضها، كانت أكثر تحقيقا للأهداف المرغوبة، فعلى الأسرة أن تقدم لطفلها ما أمكن من أشكاله، وتوفر له نماذج أدبية جيدة، لأنه بالعموم حالة ثقافية ومعرفية وأخلاقية عالية الأهمية والقيمة.

ومن أهم واجبات الأسرة أيضا: الحرص على استمرار تواصل أطفالها مع البرامج الثقافية الموجهة لهم،

وتعزيز تذوقهم للقصائد والأناشيد والأغاني الموجهة إليهم.. وتشجيع زياراتهم إلى المتاحف، ومشاركاتهم في النوادي والرحلات التعليمية والتثقيفية والمسابقات الثقافية، والعمل على إغناء محيطهم بالمؤثرات الثقافية، وتحفيزهم لامتلاك المهارات التي تزيد خبراتهم بأساليب التثقيف الذاتي وتنميتها. وتهيئة الوسائل المناسبة لهم لممارسة الأنشطة الفنية المختلفة كالرسم والزخرفة وأنواع الفنون الأخرى، وتشجيعهم على ارتياد المعارض والفعاليات الفنية.

كما أنها مطالبة بالحرص على توفير البيئة المناسبة لتعليم الطفل: كيف يتعلم البحث اعتمادا على نفسه، وينجز بعض البحوث المناسبة لقدراتهم. ومن الضروري – أيضا – المناقشة والحوار معهم بهدف اختيار أفضل القنوات الثقافية وأساليبها، بما يستثمر طاقاتهم ويوسع آفاق تفكيرهم الحر والمبدع.

ومن المهم أن تتيح الأسرة التنويع الممكن لوسائط نقل الثقافة، واستغلالها بصورة فعالة.. والوسيط في الثقافة قد يكون كتابا أو مجلة، أو فيلما سينمائيا، أو وسيلة أخرى.

ومن أهم خصائصه: أن يراعي الاعتبارات التربوية والنفسية الخاصة، القادرة على تحقيق أهداف التربية الثقافية. ثم أن يكون واضحا في العرض، قادرا على الإقناع، ومحوطا بأسباب الجاذبية والإمتاع. يقول عبدالحكيم عسكر: «إن على الأهل والمؤسسات التي تهتم بالأطفال وتقوم على تثقيفهم، أن تدرك دوافع الاختيار الطفلي وتؤسس عليه، حينئذ يأتي التأسيس ملائما لبنية الطفل السيكولوجية، ومتطابقا مع اهتماماته الشخصية، فيترسخ في ذاكرة الطفل، ويصبح جزءا من ثقافته الشخصية، شريطة أن يكون التأسيس في صيغة تثير انتباه الطفل، وتحمل من العناصر ما يجعلها مفهومة وجذابة وملبية لحاجاته الشخصية».

تؤدي ثقافة الوالدين دورا رئيسيا في توجيه الطفل، وإكسابه الأساليب التثقيفية السليمة، وكلما بكرا في تثقيفه، وعملا على إثراء خبراته، كان استعداده للتعلم والتثقف أفضل وأيسر، لذا فإن عليهما أن يبدآ مبكرا للتأسيس لهذا النوع من التربية. ولعل مسألة غرس حب القراءة والمطالعة في نفوس الأطفال – كما أسلفنا – مسألة بالغة الأهمية لتفتيح الأبواب أمامهم نحو المعرفة والارتقاء الفكري. وإلى جانب دور الوالدين هناك عوامل أخرى مؤثرة في عملية تثقيف الطفل داخل الأسرة، كالمستوى التعليمي والاجتماعي أو الظروف الاقتصادية والصحية، ناهيك عن تفاوت المكتسبات الثقافية للأطفال من منطقة إلى أخرى ومن مجتمع لآخر.

من مهام الأسرة لتنمية قدرات الطفل ثقافيا: تزويده بالمفاهيم التي تتماشى مع مستجدات العصر ومتغيراته، وتمكينه الاستفادة من الوسائل الحديثة اللازمة لمواجهة تلك المتغيرات، التي يعد التطور التكنولوجي والمعرفي المذهل، والتطور الحاصل في أساليب التعليم والتثقيف من أهمها.

ومن واجباتها أيضا: إشراك طفلها في صناعة ثقافته، والاعتماد على آرائه في اختياراته الثقافية، والتخطيط لها انطلاقا من قدراته وميوله وطرائقه التعبيرية التواصلية الخاصة، عبر محاولات فهم طبيعة الطفولة واستيعاب احتياجاتها المتنامية. تقول د. ليلى كرم الدين: «نظرا لأن جميع نظريات النمو المعرفي العقلي للطفل قد أكدت أن أصل الذكاء الإنساني يكمن فيما يقوم به الطفل من أنشطة حسية/ حركية، خلال المراحل المبكرة من عمره، فقد أصبح من الضروري عند إعداد كل المواد الثقافية للطفل والتوجه له بشكل عام؛ استثارة حواسه المختلفة من جهة، وجعله يمارس مختلف الأنشطة الحركية لتحقيق النمو والتنمية العقلية من جهة أخرى».

ولكي يكون العمل الثقافي الموجه للطفل متكاملا ومتوازنا؛ يجب ألا ننسى دور المؤسسات أو الوكالات الاجتماعية الأخرى التي تقوم على تربيته ورعايته، إذ للمدرسة دور هام وأساسي في تثقيف الطفل، وبلورة طبيعة تعاطيه مع المجتمع الذي يعيش فيه. إضافة إلى جهات أخرى، لها أدوار مكملة في هذا المجال، كجماعة الرفاق والمراكز والأندية الثقافية وغيرها، إلا أنها – جميعا – لا يمكن أن تحل محل الأسرة في الوظائف الحيوية المسندة إليها، أو تغير شيئا في حقيقة أن التربية الثقافية هي أحد أهم جوانب الاهتمام الأسري بالطفل.

خلاصة القول: إن مهام الأسرة وواجباتها لتحقيق تثقيف الطفل؛ تثقيفا جديرا بأهمية المرحلة التي يعيشها، تتطلب – حتما – تضافر جهودها مع جهود العاملين كافة في الميادين ذات الصلة، وتكاملها بهدف تحقيق الغايات المنشودة.

هبة محمد أبوالفتوح
كاتبة مصرية

طفلي فوضوي ومهمل.. ماذا أفعل؟

تعاني كثير من الأمهات من فوضى وإهمال أبنائهم، وعدم ترتيبهم للأشياء الخاصة بهم في غرف نومهم، وخزائن ملابسهم وبعثرتها في كل مكان، بالإضافة إلى عدم التزامهم بالنظام، أو التعليمات في أي مكان يتواجدون فيه.

والحقيقة أن الأمر لا يستدعي أن تقابله الأم بالعصبية، أو اليأس من الحل؛ لأنه يتلخص في تطبيق بعض النصائح والإرشادات، ومحاولة تعديل سلوكات موجودة لدى الطفل، والأم، وجميع أفراد الأسرة؛ لأنه كما يقول المتخصصون بعلم النفس: «إن الأولاد الذين يعانون مشاكل سلوكية يأتون من بيوت تسود فيها الفوضى والإهمال، حيث لاتوجد قوانين وتنظيمات ثابتة في حياة الأسرة لتنظيم مجرى الأمور بشكل يمنح الأولاد الثقة والتعاون، وتعويدهم العطاء وحب الخير ومحبة الآخرين، فطفلك بحاجة لمن يضع له حدودا في كل مجالات حياته اليومية، فهو يحتاج إلى أن يعرف متى يأكل، ومتى يأتي للاستحمام، ومتى يذهب إلى سريره، وكذلك ترتيب أغراضه».
هذه الحدود التي يضعها الوالدان تعطي شيئا من الانضباط داخل الأسرة، وهذا الانضباط يعطي لطفلك شعورا بأن هناك من يحميه ويهتم به ويرعاه، ويصبح مطمئنا بأنه محل رعاية واهتمام.

لماذا يصبح الطفل فوضويا

إذا أنعمنا النظر في حال الأمهات مع أطفالهن في قضية الترتيب والنظام والانضباط؛ نجد أنهن على حالين:
الأول: من الأمهات من لاتبدي لطفلها أي ضيق من عدم ترتيبه لأغراضه في غرفته، أو عدم اهتمامه بمظهره الشخصي، وإهماله في ملبسه ومظهره ونظافته، وعدم الحرص على تنظيم كتبه وأدواته، وتقوم هي بترتيب كل شيء، ويتكرر ذلك مهما تكررت فوضى طفلها وإهماله، بحجة أن جميع الأطفال فوضويون ومهملون عندما يكونون صغارا، وأن طفلهم سيتعلم النظام بعد أن يكبر قليلا، وهذا القول خطأ بالتأكيد؛ لأنه يجب تعويد الطفل على النظام منذ الصغر، ولأنه قد يصبح الإهمال والسلوك الفوضوي أحد أطباع الإنسان مدى الحياة.
الثاني: من الأمهات من تثور ثائرتها، فتصرخ في وجه طفلها بكلمات تزيد من سلوكه السيء، وتضعه في دائرة الكسالى، أو تقوم بضربه، أو توجيه اللوم له والتأنيب، فعقاب الطفل على الفوضى والإهمال بالضرب، أو الانتهار، أو الصراخ في وجهه، لا يحل المشكلة؛ لأن الطفل لا يدرك أنه غير منظم، ولا يشعر أن سلوكه خاطئ، خاصة إن كان هذا السلوك موجودا بطبيعة الحال من حوله.
وكلتا الحالتين جانبهما الصواب؛ فالأم الأولى: تنشئ طفلا اتكاليا ومهملا، والثانية: تقهر طفلها دون أن تسلك به مسلك التعليم، وما ينبغي أن يفعله طفلك هو إعادة ترتيب غرفته، وأن يشعر أيضا أنه فرد مهم من أفراد الأسرة، وعليه واجبات كغيره من باقي أفراد الأسرة سواء كانوا كبارا أم صغارا، وأن من أهم واجباته ترتيب أغراضه، وإعادة الأشياء لأماكنها بعد استعمالها.

يجب على الأم أن تحترم مشاعر طفلها ولا تستفزه

العلاج لسلوك الطفل الفوضوي

ومن أجل تعويده على احترام تلك الأمور ينصح خبراء التربية باتباع مايلي:
- على الأم أن تبدي انزعاجها من إهمال طفلها، أو سلوكه الفوضوي أمامه، ويجب أن تشعره أن ما يقوم به خطأ، ولكن دون أن توجه له أي عقاب نفسي، أو بدني، وأن تحاول تبسيط عملية الترتيب والنظام لطفلها بتقسيمها إلى مراحل، وأن تشجعه على احترام النظام والترتيب، وأن تعده بمكافأة إذا قام بترتيب ملابسه، أو كتبه، أو لعبته، أو سريره، وعليها أن تتجنب ترتيب أغراضه بنفسها كلما قام ببعثرتها حتى لا تنمي في نفسه الشعور بالاتكالية، واللامبالاة.
- على الأم العمل على تعويد طفلها أن يتحمل بمفرده المسؤولية عن إنجاز عمل ما، كترتيب أغراضه، بعد أن تحدد له أهداف هذا العمل، وما ينتظر منه أن يعمله، كما يجب على الأم أن تنمي حس التعاون لدى طفلها من خلال تخصيص عمل ما يقوم بإنجازه جميع أفراد الأسرة معا، كتنظيف وترتيب

المنزل مع تقسيم المهام على الأفراد بما فيهم الطفل، لإشعاره بأن عليه واجبات مثل غيره من أفراد الأسرة.

– من المهم أيضا أن يعمل الوالدان على تعزيز السلوك الإيجابي عند الطفل؛ بإبداء مشاعر الفرح إن قام بعمل جيد، ونجح في التخلص من السلوكات غير الإيجابية، ومدحه والثناء عليه حتى يشعر برغبة بتكرار هذا السلوك، ومحاولة تحفيزه على فعل السلوك الصحيح، ووضع قواعد سليمة للطفل، والاتفاق معه أنه كلما التزم سيفوز بجائزة تتمثل في زيادة مصروفه مثلا، أو بإحضار لعبة يحبها، أو الخروج معه إلى الملاهي، وإذا لم يلتزم، فسوف يتعرض للعقاب ويفقد كل هذه الأشياء، مع التزام الوالدين بتقديم النموذج، والمثل الأعلى أمام الطفل داخل المنزل.

– كما يجب على الأم أن تحترم مشاعر طفلها، ولا تستفزه عندما ترى منه سلوكا يتسم بالإهمال واللامبالاة، بل يجب أن تتعامل معه بهدوء، ولا بد من تكرار متابعتها له، فهو يحتاج إلى التنبيه، والتكرار عليه مرات عديدة لكي يفهم ويدرك ويتعود على ممارسة النظام والترتيب.

– على الأم أن تنتبه لما تفعله ربما يكون سببا في تعليم أطفالها الإهمال واللامبالاة، فعندما لا تبالي الأم بما يحدثه طفلها من فوضى في غرفته، وتقوم بترتيب ما أفسده دون توجيهه، أو إرشاده، وأيضا قد لا تتصف بعض الأمهات بالنظام، فتعطي رسالة سلبية للأطفال، فمثلا لا تقوم هي بالترتيب والنظام في منزلها إلا عند حضور الضيوف، فالطفل الذي ينشأ في مجتمع فوضوي سواء كان هذا المجتمع متمثلا في الأسرة، أو المدرسة سيتعلم الطفل سلوكاته من المحيطين به، فيصبح مثلهم بتقليدهم، أي: حال غياب القدوة والمثل الأعلى.

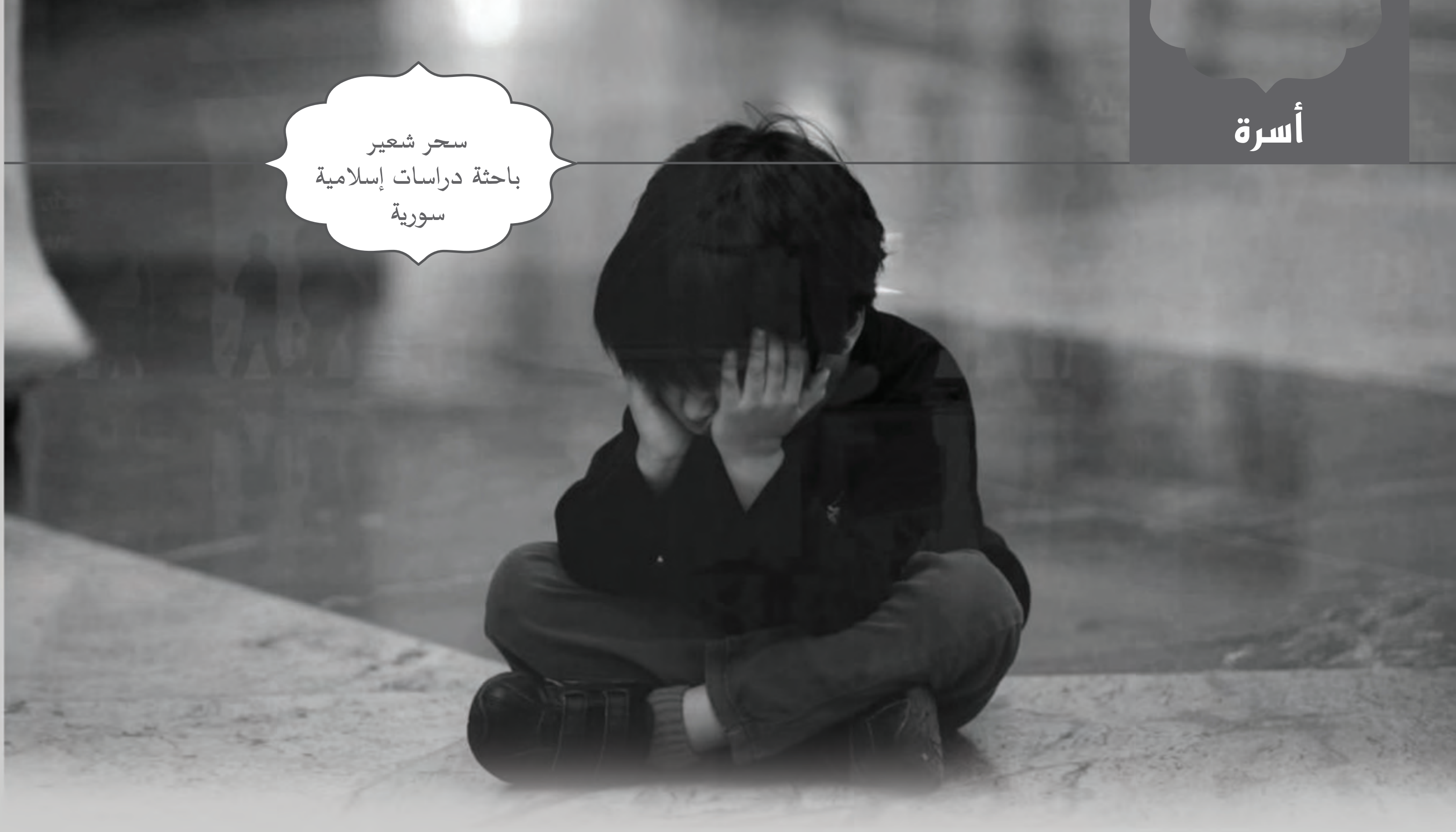

سحر شعير
باحثة دراسات إسلامية
سورية

الإهمال في التربية.. عقوق في حق الأبناء

الولد هبة وعطاء، ونعمة عظيمة من نعم الله تعالى تستوجب الشكر، ومسؤولية تستلزم القيام بها على أكمل وجه، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته» (متفق عليه).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده».

ويعد الإهمال في تربية الأبناء مظهرا من مظاهر التفريط في حقهم وعدم البر بهم؛ فإتقان التربية الإسلامية التي تستمد منهجها وقواعدها من الكتاب والسنة هو آكد حقوق الابن على أبيه، وهو أيضا واجب الوقت في زماننا، وهو السبيل الحقيقي لاستعادة مجدنا وقوتنا، يقول أحد العلماء:

«إن البيت قلعة من قلاع هذه العقيدة، ولابد أن تكون قلعته متماسكة من داخلها، حصينة في ذاتها، كل فرد منها يقف على ثغرة لا ينفذ إليها، وإلا تكن كذلك؛ سهل اقتحام العسكر من داخل قلاعه؛ فلا يصعب على طارق، ولا يستعصي على مهاجم».

حق الطفل في السنوات الأولى أن يحظى بأكبر قدر من العناية

لو تأملنا معنى كلمة «التربية» في اللغة لوجدنا أنه لا يتحقق إلا بشدة العناية والاهتمام، يقول الراغب الأصفهاني: الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربه، ورباه وربيه، وقال البيضاوي: التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئا فشيئا.

ومن هذا التعريف يتبين لنا أن التربية الصحيحة لا تتم إلا بشدة العناية والاهتمام، ودقة الملاحظة، ودوام المتابعة، وتتبدد العملية التربوية ولا تحقق أهدافها إذا قوبلت من الوالدين والمربين بالإهمال واللامبالاة.

ولو تأملنا في نصوص القرآن الكريم لوجدنا وصية الله سبحانه وتعالى للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، قال تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ (النساء:١١) أي: بالعدل بينهم، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ (التحريم:٦).
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تفسيرها: علموهم وأدبوهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار.

البدء باختيار الأم الصالحة

من بر الوالد لولده أن يحسن اختيار أمه التي ستتولى رعايته وتربيته، وليس هناك أفضل من المرأة الصالحة أُمًا ومربية للأبناء، ولقد أوصى النبي ﷺ بأن تكون صفة «التدين» هي الأساس القويم لاختيار الزوجة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (رواه البخاري ومسلم)، ففي الحديث بيان لما جرت عليه عادات الناس في اختيار الزوجة، ثم اختار منها ﷺ الدين؛ فاصطفاه وقدمه على غيره ليكون هو الأساس الأول الذي لا يصح أن يتنازل عنه المسلم أبدا «فاظفر بذات الدين تربت يداك».. فذات الدين والخلق الكريم أهل لإنجاب أطفال مؤهلين للصعود في معارج الكمال (١).

في السنوات الأولى

تربية الأولاد تبدأ مبكرة جدا عما نتخيل؛ فعلى الرغم من أن أغلب الناس يهتمون بالطفل من ناحية نموه الجسدي وسلامته الصحية

متابعة أداء الأبناء لشعائرهم الدينية ومواظبتهم عليها ضرورة

فقط، ويرجئون الكثير من إصلاحه إلى أن «يكبر»، نجد أن الدراسات التربوية قد أثبتت أن ٩٠ ٪ من شخصية الطفل تتشكل في السنوات السبع الأولى، ولعل هذه الحقيقة تعكس إعجاز النبوة في الاهتمام بتلك المرحلة من عمر الطفل، فأول ما يقرع سمع المولود ألفاظ الأذان التي تنطق بالتوحيد، وعندما يبدأ في القدرة على الكلام وينطق؛ يلقن أيضا كلمة التوحيد، قد ورد في الحديث أن النبي ﷺ أذن في أذن الحسن حين ولدته فاطمة رضي الله عنهما.. حسن الترمذي هذا الحديث، بل وقال: العمل عليه عند أهل العلم. ثم يدرب على الصلاة من عمر السابعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعا، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه البزار في مسنده: ٩٨٢٣).
ولنتأمل كيف كان المربي الأعظم ﷺ يهتم بالصغار من الصحابة، ويتابع بدقة أداءهم للعبادات في أوقاتها، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «بت عند خالتي ميمونة رضي الله عنها فجاء رسول الله ﷺ بعدما أمسى فقال: أصلى الغلام؟ قالوا: نعم. فاضطجع حتى إذا مضى من الليل ما شاء الله قام فتوضأ ثم صلى سبعا أو خمسا أوتر بهن، لم يسلم إلا في آخرهن» (أبوداود في سننه: ١٣٥٦). وفيه من الفوائد التربوية تفقد أحوال الأبناء ذكورا وإناثا، والسؤال عن صلاتهم.

فحق السنوات الأولى أن تحظى بأكبر قدر من العناية والاهتمام من الوالدين، ولا تقابل بالإهمال واللامبالاة.

إحاطة الأبناء بالاهتمام

يقول ابن القيم، رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى؛ فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه؛ فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا، كما عاتب بعضهم والده على العقوق فقال: ياأبت! إنك عققتني صغيرا فعققتك كبيرا، وأضعتني وليدا فأضعتك شيخا» (٢).
وصدق ابن القيم رحمه الله تعالى؛ فإن أي انحراف يعتري أفكار الأبناء أو سلوكهم لا يأتي في لحظة واحدة أو بين عشية وضحاها، وإنما تتسلل الأفكار إليهم رويدا رويدا، ولا تتمكن منهم إلا تحت مظلة الإهمال الأسري، وعدم متابعة الوالدين لهم، ولذلك لا نتعجب إذا قرأنا عن إحدى الفتيات اللاتي عبدن الشيطان في مصر منذ عدة أعوام أنها قالت في التحقيقات: «إن أبي وأمي لم يدخلا غرفتي منذ سنة ونصف»!
وهذه هي النتيجة الطبيعية إذا تركنا الأبناء هملا لا ندخل إلى حجراتهم، لا نعرف نوعية الصور التي يعلقونها أو الكتب التي يقرأونها، ومن هم أصدقاؤهم الذين يختلطون بهم، وما هي أفكار هؤلاء الأصدقاء؟، وما هي البيئة الأسرية التي أتوا منها؟
كذلك يؤدي إلى مثل هذه النتيجة

عدم متابعة أداء الأبناء لشعائرهم الدينية، ومواظبتهم عليها، واحترامهم لها، ومدى اهتمامهم بدراستهم، ودرجة انتظامهم فيها، وما يقابلهم من مشاكل أو عقبات، وكيف يواجهونها.
كذلك عدم متابعة أموالهم التي معهم، وهل زادت أم نقصت، ورصد ما يتلفظون به من ألفاظ، والتصحيح الفوري ونبذ ورفض القبيح منها، وعلى علاقتهم بالجنس الآخر، ووسائل الاتصال الحديثة التي باتوا يملكون ناصيتها، ما هي المواقع التي يدخلونها على شبكة الإنترنت؟ وما هي أنشطتهم على مواقع التواصل الاجتماعي..
أعزائي.. إننا لا نعني بذلك أن نتسلط على الأبناء، أو نشعرهم أننا نراقبهم بعدسة مكبرة ونقف لهم بالمرصاد، بالطبع لا، ولكن المتابعة تعني أن نعطي لأبنائنا حيزا كبيرا من أوقاتنا بشكل يومي، بالمعايشة الطيبة والتوجيه الحسن، بشكل طبيعي يجعلنا على دراية تامة بتفاصيل حياتهم عن قرب، ولا نتركهم هملا لشياطين الإنس والجن يعبثون بهم كيفما شاؤوا (٣).

متابعة الأداء الدراسي

قد يملك الطفل عقلا ذكيا، وذهنا حاضرا، ولكنه متأخر دراسيا، ولو بحثنا عن السبب لوجدنا إهمال الوالدين لمتابعة وتنمية مستواه الدراسي هو سبب هذا التأخر، ولذلك تعد متابعة دراسة الأبناء والارتقاء بمستواهم فيها من أهم صور المسؤولية التربوية، ويتضمن ذلك متابعة أدائهم للواجبات الدراسية والاستعداد للاختبارات داخل المنزل، إلى جانب التواصل الجيد مع المدرسة، وحل أي مشكلة قد يتعرض الابن لها.
ومن صور الاهتمام أيضا زيارة الوالدين المستمرة للمدرسة؛ فهي تكشف عن جوانب هامة من شخصية التلميذ، كالجانب الصحي، النفسي، الانفعالي؛ والتي قد لا يتمكن المعلم من اكتشافها في حجرة الدراسة، وإنما من خلال مثل هذه اللقاءات مع والديه.
إن التعاون بين الأسرة والمدرسة بات أمرا ضروريا؛ لأن حياة التلميذ الدراسية لا تنفصل عن حياته اليومية في البيت، وتعد المدرسة شريكا أساسيا في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، بل وتعتبر الفاعل المؤثر الأكثر أهمية في حياته.
وهذه المهمة تضطلع بها الأم غالبا.. نظرا لتواجدها في المنزل لفترة أكبر من الأب، فتتولى الاهتمام أكثر بأبنائها ومتابعة سير خطتهم الدراسية اليومية بدقة، مع ملاحظة أن مساعدة الأب لابنه في حل واجب معين، أو حفظ قصيدة، أو حتى حل مسألة رياضيات، ستعزز من قوة العلاقة بينهما، كما ستشجع الابن على أن ينظر إلى والده كصديق وقدوة صالحة يتشرب منها كل ما هو جيد (٤).

وأخيرا..

لنتذكر أن الإهمال في تربية الأبناء، وعدم المتابعة الجيدة لهم في كل شؤونهم تقصير في المسؤولية التي حمّلها الله تعالى للمربين، وتضييع للنعمة التي منحهم إياها، وهم مسؤولون عنها بين يديه يوم القيامة، عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ ذلك أو ضيعه» (رواه الطبراني).
والاهتمام وحسن المتابعة من تمام النهوض بالمسؤولية التربوية تجاه الأبناء، وبذلك نكون قد أدينا ما لهم علينا من حق أمام الله تعالى، مع دعائنا لهم بالهداية والتوفيق.

الهوامش

١- محمد إسماعيل المقدم، عودة الحجاب، ص ٢٣٩.
٢- ابن القيم، تحفة المودود بأحكام المولود، ص٣١.
٣- محمد سعيد مرسي، كيف تكون أحسن مربي (هكذا) في العالم؟، ص ١٠١. (بتصرف).
٤- مصطفى الجبالي، أهمية التواصل بين الأسرة والمدرسة «مجلة المعرفة» شبكة الإنترنت.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي وأكاديمي

دور الأسرة في التنشئة التكنولوجية للأطفال

أصبحت التكنولوجيا متطلبا أساسيا في حياتنا وحياة الأطفال، فلا حياة بلا تقنية، ولا مستقبل بدونها؛ لذا يجب توفير النصيب الأعظم منها لأطفالنا في الحاضر والمستقبل.

ولقد أصبح الأطفال الصغار محاطين بالتكنولوجيا في بيوتهم، وفي مدارسهم، وفي المجتمع من حولهم، ويستخدم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في تطبيقات عدة، خاصة في مجال الاكتشاف وتوظيف النماذج والأشكال في تمثيل المفاهيم المجردة واختيار نمط التعليم المناسب وتلبية احتياجات وميول وقدرات الأطفال، ولذلك لابد من التخطيط السليم والدقيق لعملية توظيف هذه التكنولوجيا لمساعدة الأطفال على اكتشاف فرص جديدة للتعلم.. ويحاول هذا المقال إلقاء الضوء على دور الأسرة في التنشئة التكنولوجية للأطفال من خلال بيان: ماهية دور الأسرة في التنشئة التكنولوجية - واجبات الأسرة في التنشئة التكنولوجية للأطفال.

أولا: ماهية دور الأسرة في التنشئة التكنولوجية

يقصد بدور الأسرة في التنشئة التكنولوجية: مجموعة المهام التي يقوم بها الوالدان، والتي تم ترجمتها إلى مجموعة من السلوكات التي ينفذها الوالدان في تنشئة أطفالهم تكنولوجيا باستخدام الأدوات التكنولوجية المختلفة.

فللأسرة دور فعال في دعم وتنمية الطلاقة التكنولوجية من خلال الحوسبة الإبداعية، ويتمركز دور الأسرة حول إيجاد بيئة غنية بالأنشطة واستخدامات التكنولوجيا، وتلبية حاجات الأطفال للمتعة والتعلم، وهنا يكون دور الوالدين أقل انغماسا في عملية التعليم؛ ليصبح موجها ومسهلا لعملية التعلم لتوجه الطفل نحو التفكير والاكتشاف والابتكار.

ثانيا: واجبات الأسرة في التنشئة التكنولوجية للأطفال

تتمثل أدوار واجبات الأسرة في التنشئة التكنولوجية للأطفال؛ من خلال قيامها بما يلي:

- تشجيع الأطفال على استخدام التكنولوجيا واستخدام المزيد من التطبيقات التكنولوجية المناسبة للأطفال مع مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال، والحرص التام عند استخدامها مع ذوي الاحتياجات الخاصة.
- تقديم الوسائل التكنولوجية المناسبة لأعمار الأطفال، ووضع أهداف مناسبة تسعى الأسرة إلى تحقيقها مع أطفالها وتناسب أعمارهم وقدراتهم.
- فحص محتوى الألعاب الإلكترونية، والتحكم في عرضها، والموازنة بين الجد واللعب، كما أن على الأسرة شراء الألعاب التربوية شريطة أن يكون محتواها مفيدا.
- تحديد مدة زمنية للعب، ومتابعة الألعاب ووسائل التكنولوجيا، وإبعاد الوسائل التكنولوجية عن سرير نوم الأطفال.
- على الأسرة أن تشرح لأطفالها وسائل الأمن والأمان عند استخدام الوسائل التكنولوجية المختلفة بما يوفر الرعاية الصحية للأطفال.
- تنمية الإدراك الحسي للطفل للتعرف على الأدوات التكنولوجية، ومناقشة الأخطار التي تنتج عن استخدامها، وتدريب الأطفال على وصف الآلة التكنولوجية، وطريقة عملها.
- متابعة مدى تحقيق أهداف التعليم التي خططت لها الأسرة عند شراء الأجهزة الإلكترونية.

وحتى تقوم الأسرة بدورها بصورة مثلى في التنشئة التكنولوجية للأطفال، توصي الدراسات العلمية بما يلي: عقد دورات متخصصة لتوعية الأسرة بدورها في تنشئة أطفالها تكنولوجيا، إعداد برامج تلفزيونية تهتم بالتنشئة التكنولوجية للأطفال، وتكون موجهة للأسرة.

عثمان إسماعيل محمد
باحث دراسات إسلامية

وصية أم لابنتها قبل زواجها

بقراءة متأنية لتراثنا الأدبي، شعره ونثره، نجد أنه يزخر بكنوز تربوية ثمينة تحتاج إلى من ينقب عنها ويخرجها من مكامنها إلى النور ليضعها على مائدة القراءة والبحث، صقلا ودراسة وتحليلا، لجني ثمارها التي نحن في مسيس الحاجة إليها، رغم تباعد المسافة الزمانية واختلاف طبيعة المكان وقتها، لكنها الآن تمثل لنا ملجأ وملاذا لما نعانيه من عثرات اجتماعية تبحث عمن يجد لها الدواء والعلاج أو من يجتهد باحثا عن الحل والمخرج.

ومن أروع ما أمتعتنا وجادت به كنوز تراثنا الأدبي تلك الوثيقة التربوية في «التربية الزواجية»، والتي يرجع تاريخها إلى العصر الجاهلي، والمتمثلة في تلك «الوصية» ذات الأهمية البالغة التي جاءت تحت عنوان «وصية أم لابنتها قبل زواجها».

وهي مجموعة من النصائح للأم أمامة بنت الحارث، تسديها، بحرص شديد ودقة بالغة، إلى ابنتها أم أياس بنت عوف الشيباني عند زواجها من عمرو ابن حجر ملك كندة.

وكعادة الأمهات وعلاقتهن ببناتهن، وفي جلسة خاصة تجمع بين الأم - وحرصا على نجاح ابنتها كزوجة حتى تمنح شرفا وعنوانا كريما لها ولأسرتها وقبيلتها نموذجا صادقا في تربية كريمة لها - وبين ابنة تتطلع إلى حياة مثالية تتمثل في صون الزوج ورعايته وإعمار البيت والحفاظ عليه حتى تنجح بجدارة في امتلاك قلب زوجها، تقديرا وحبا وإعجابا.

ولم تشأ الأم أن تدخل إلى عالم الوصية ومضمونها مباشرة، بل بلغت من المهارة النفسية والذكاء اللغوي «الفطري» ما نقرأ في تمهيدها لتلك النصائح بما ملكت من روعة الاستمالة والتشويق قائلة: «أي بنية، إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل. ولو أن

يجب مراعاة معاناة الزوج في عمله من عناء وكد وتعب

امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال».

تلك مقدمة الوصية، التي بلغت من روعة الأسلوب ما بلغت، حيث النداء الذي يوحي بقرب ابنتها منها وإلى التصغير في «بنية» الذي يوحي بحاجة الابنة إلى الوصايا والتمسك بها، وهذا ما هيأ من الجو النفسي إزاء تلك العلاقة الثرية بالمودة والحب بين الأم وابنتها، مما يجعل من القبول والاستجابة للقول والثقة فيه طريقا للسعادة والأمان الأسري.

هنا بدأت الأم في وصاياها قائلة: «أي بنية، إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت، إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فاحفظي له خصالا عشرا، يكن لك ذخرا»، هذا أيضا تمهيد امتدادا لتمهيد سابق هدفه الإنصات والاهتمام والتأمل وإدراك مقول القول، حيث نجحت الأم بسياقها الأسلوبي التربوي، وبمهارة فائقة، في جذب انتباه ابنتها

لتتأكد من إنصاتها ومعايشتها لحظات ما وراء اللفظ لتتأمل العش، الذي هو بيت أبيها والذي يوحي بالأنس والسعادة والحياة، مقارنة بـ «الوكر»، الذي هو بيت الزوجية، والذي يمثل لها عالم المجهول والمستقبل الغامض الذي لا تدري عنه شيئا، مما جعلها في حيرة وتطلع لتحديد هوية هذا الغد الذي ينتظرها وتنتظره. وفي تحد صارم لإثبات الذات ومواجهة هذه المهمة بنجاح وتفوق، بعدها تبدأ أمامة بنت الحارث في إسداء وصيتها لابنتها:

«أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواقع عينيه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله. وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرا، ولا تفشين له سرا، فإنك إن خالفت أمره، أوغرت صدره، وإن أفشيت سره، لم تأمني غدره، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مهتما، والكآبة بين يديه إن كان فرحا».

والقارئ المتأمل لتلك الوصية يستطيع استحضار صورة المشهد الواقعي لها، مما يدفعه إلى ترجمتها واقعا عمليا، واعتبارها من أهم وثائق التربية الزواجية، التي ينبغي لكل فتاة أن تلتزم حيالها، صدقا وفعلا، وأن تضعها نصب عينيها، دليلا وطريقا، إدراكا وفهما، إصرارا عليها وممارسة لها، وأنها أمانة لابد أن تتقن حملها وتأديتها.

ويمكننا تحليل تلك الوصية إلى لغة عملية أسرية تحمل في بساطتها وسهولتها الرغبة في استيعابها وتنفيذها بكل شغف وحرص واهتمام

حفظ أسرار الزوج حفظ لأمن الزوجة والثقة بها

أملا في غد ترفرف عليه ظلال المودة ودوام العشرة الطيبة، فالأم تريد من ابنتها:

- استمرارية الالتزام بمبدأ القناعة، ومواصلة ممارسته، والرضا بما قسمه الله من رزق، يقينا بأنه سبيل راحة النفس واطمئنان القلب وهدوء البال واستقرار الأحوال بعيدا عن كل جحود ونكران، وأن النعمة لا تدوم إلا بالشكر، إضافة إلى حسن الاستماع إلى الزوج والاهتمام بما يقوله، وعدم إشعاره بالتهميش واللامبالاة؛ احتراما لرأيه، وإعلاء لهيبته ومكانته وصواب رأيه، مما يزيد العلاقة إعزازا واعتزازا وتعميقا لروح المودة بينهما.
- أن تحافظ على مظهرها الجمالي أمام زوجها بكل سبل التزيّن وما يحبه وما يريده، وذلك لتقوية علاقة الإشباع العقلي والعاطفي؛ العين وما تتمنى رؤيته دائما على هذه الحال الطيبة المريحة، والأنف وما يعشق من رائحة طيبة تريح النفس قربا وجاذبية. وهذا ما يجبر الزوج أن يمارس السلوكيات نفسها، فقد يصلان معا إلى درجة المثالية في التقاء الفكر والوجدان.
- مراعاة معاناة الزوج في عمله من عناء وكد وتعب؛ بغية إسعاد الأسرة وضمان توفير حياة أسرية كريمة، مما يتطلب معه توفير سبل الراحة التي تكفل له مناخا أسريا ونفسيا تعويضا عن عناء ومعاناة العمل. والحذر كل الحذر من التقصير في واجباتها المنزلية، خصوصا إعداد الطعام ووقت تقديمه، لأن الضد منه يؤدي إلى الانفجار والدمار.
- أن تكون بالغة الحرص على مال زوجها، راعية له، وأمينة عليه، ومدبرة إياه بما تملك من فطنة وحسن تصرف بعيدا عن التبذير والاستهتار المادي، إضافة إلى عدم التهاون التربوي تجاه أبنائها والاهتمام بهم بأساليب التربية المختلفة، التي تجني ثمارها الطيبة في ذرية يتمناها العقل ويزهو بها الفؤاد.
- أن تملك القوة والتماسك في حفظ أسرار زوجها وعدم البوح بها لأقرب الناس إليها؛ لأن في حفظها أمنا وأمانا أسريا وازدياد الثقة بها مدى الحياة، وذلك لأن في إفشائها للأسرار كارثة تقودها إلى ما يملأ قلب الزوج ضغينة وكمدا وغيظا عاقبتها الندم والتحسر على أمانته وثقته فيها.
- أن تحرص على مراعاة مشاعر الزوج ومشاركته وجدانيا، فرحا وحزنا، وتعيش حالته وتشاركه روحه ووجدانه وتبشره بالخير وتعطيه الأمل والتفاؤل إن رأته فرحا، وتواسيه وتشد من أزره حيال حزنه بكل ما تملك من لغة المواساة والعطف والصبر، عسى أن يبدل الله الأحوال ويجعل بعد كل كرب فرجا.

إن تلك الوثيقة التربوية، رغم بعد مسافتها الزمنية، جديرة بالدراسة والاهتمام؛ لكونها دستورا ومنهجا في أخلاقيات التربية الزواجية، وهي دعوة إلى المؤسسات المنوط بها إيقاظ الوعي الأخلاقي والتربوي والأسري أن تضعها نصب أعينها وتجعلها مادة تعليمية ودعوية وثقافية لإعداد زوجة صالحة؛ تصون زوجا، وتبني بيتا، وتعد أجيالا يرقى بهم المجتمع لينشد الأمان النفسي والاستقرار الأسري.

غير أن تلك الوصية ما هي إلا نداء عاجل لكل أم أن تهيئ ابنتها زوجة صالحة بناء على ما تحويه تلك الوصية؛ حرصا وتأكيدا لميثاق السعادة وروعة الحياة وضمان استمراريتها، مما يدفعنا إلى التساؤل: كيف تكون أحوالنا وأحوال منازلنا وما يدور داخلنا لو تفهمت كل أم وكل فتاة تلك الوصية وعاشتها، فهما وإدراكا وممارسة؟!

جميلة محمد
باحثة لغوية سورية

مسرح الطفل ودوره التربوي

تكمن أهمية الطفولة بوصفها مرحلة النشاط، والحركة، والحيوية في أنها «الحجر الأساس» للحياة الإنسانية، والطور الأكثر أهمية في بنائها وإعدادها إعدادا سليما، والتي تترك – بطبيعة الحال – آثارها واضحة في جميع المراحل التالية.

حقيقة حفّزت الشعوب والأمم لكي تحرص على رعاية أطفالها كل الحرص، وتعمل على تحقيق احتياجاتهم المتنوعة. والطفولة هي بهجة القلوب، ومبعث الأمل والتفاؤل، والطاقة الكامنة التي لا تتفتح كما ينبغي إلا إذا وجدت من يعينها على ذلك. فهيأت لهم – الشعوب والأمم – كافة الأجواء؛ لينشؤوا مزوّدين بما يشحذهم إلى المزيد من التعلم، والمعرفة، وحب الحياة. يقول شارلوت جراي: «طفلي العزيز سأعتني بك وأرعاك وأحميك حتى تكبر، ثم أطلقك حرا طليقا، لكنني أحبك دائما».

«مسرح الطفل» كفنٍّ يجمع بين أنواع عدة من الفنون، ووسيلة تربوية، وتثقيفية، وتهذيبية بامتياز، لا تكاد تضاهيها وسيلة أخرى، إنما يؤدي دورا هامًا في عملية بناء الطفل بناء متكاملا متوازنا، وتنمية مكوناتها المختلفة، من خلال مجموعة الأهداف التي يحققها. يعرِّفه الباحث قاسم محمد بأنه: «مسرح من أجل الطفل، يقدم فيه راشدون محترفون أعمالًا مسرحية ينفعل بها الأطفال المتفرجون، وهذا المسرح يكتبه مؤلف متخصص، ويخرجه كذلك ويمثّله راشدون متخصصون».

ولعل من أهم الفوائد التربوية والنفسية لمسرح الطفل، أنه يسهم في نمو الأطفال الاجتماعي، والعقلي، والعاطفي، وتنمية قدراتهم في التعبير، والتفكير، والتخيّل، وتربية الإبداع، والابتكار، والتذوق الفنّي. ناهيك عما يحققه من الترفيه، والتسلية، والاستمتاع بمرح الطفولة وانطلاقها. كما أن هذا النوع من المسرح يكسر قاعدة التربية التقليدية؛ التي تركز على أهداف التهذيب، والتوجيه فحسب، لتشمل أهدافه الجوانب الأخرى في شخصية الطفل؛ إذ يسمو بحسِّه وعاطفته، ويكشف عن مشاعره وانفعالاته. ويعزز صحته النفسية، حتى أن مارك توين وصفه بأنه: «أقوى معلِّم للأخلاق، وخير دافع للسلوك الطيب اهتدت إليه عبقرية الإنسان؛ لأن دروسه لا تلقَّن بالكتب بطريقة مرهقة، أو في المنزل بطريقة مملة، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماسة، وتصل مباشرة إلى قلوب الأطفال».

والجدير بالذكر أن هذا المسرح يعد من أنجح وسائل تحقيق الأهداف العامة للتعليم، وتزويد جمهوره بمجموعة مناسبة من الخبرات والمعلومات، وإكسابهم العديد العادات الإيجابية: كالعمل الجماعي، والتعاون، والتحلي بروح المسؤولية، ...إلخ، إضافة لكونه يساعد في تأمين التكيُّف الجماعي والاندماج الصحيح مع الآخرين،

ويكسبهم مهارات مختلفة: كالتواصل، وتعزيز التثقيف الذاتي، وغيرها.

يقول الكاتب محمد منذر لطفي: «إنه يحقق الهدفين الرئيسين معا، فهو يجمع بين العملية التربوية التعليمية السليمة للأطفال، وإدخال البهجة والسرور، والتسلية والمتعة إلى قلوبهم، ونفوسهم، وعقولهم، ومخيلاتهم على حد سواء، وهذان الهدفان المذكوران هما من أهم ما يحتاج إليه الأطفال في تلك المرحلة البالغة الحساسية والدقة من حياتهم، ومن هنا تكمن أهمية مسرح الأطفال، ويكمن معها سرّ قيمته العملية في مجال التربية الحديثة».

تتألف المسرحية عموما من جملة من العناصر المتوافقة مع بعضها، وأهمها:

١- الفكرة: ويجب أن تنطوي مسرحية الأطفال على قيم تربوية وأخلاقية مناسبة لعمر الطفل وبيئته، ويجب أن تتسم بالبساطة والوضوح.

٢- الصراع: يجب أن يكون صراعا واضحا بين الخير والشر، وأن ينتصر الخير على الشر.

٣- الشخصيات: يجب أن تكون شخصيات واضحة، وأن تمثل كل شخصية قيمة أخلاقية محددة.

٤- الحبكة: يجب أن تكون بسيطة وسهلة وغير معقدة في مقدمتها، ووسطها، ونهايتها.

٥- الحوار: يجب أن تكون لغته سهلة، وميسّرة، ومفهومة، بحيث تكون كل كلمة دالة على معنى ثابت، وأن تعبِّر اللغة عن الشخصيات على نحو واضح.

وباعتقادي فإن من أهم خصائص النص المسرحي: أن تكون الفكرة قريبة من حياة الأطفال، مرتبطة بمشاغلهم، وأن تكون الموضوعات مرحة، تتخللها الفكاهة، وتميزها الحركة. وأن تحمل مجموعة من الخبرات تلبي احتياجاتهم المعرفية، والنفسية، والتعليمية، وأن يكون الحوار بسيطا وسَلِسًا، واللغة سهلة واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

يجب أن تنطوي مسرحية الأطفال على قيم تربوية وأخلاقية

مع مراعاة النص لمستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية لبيئة الطفل. إضافة إلى تميُّز العناصر المادية لمسرح الطفل: كالديكور، والملابس، والإضاءة، والماكياج، والإكسسوار، واحتياجات العرض الأخرى، وما تبث جميعا من الجاذبية والتشويق.

أما عن شروط العرض في مسرح الطفل فيقول الكاتب المسرحي أحمد إسماعيل: «المسرح في منظور الطفل فرحة ومتعة وحسب، أما الفائدة فهي غايتنا نحن الكبار، ولا تتحقق الغاية الأولى، ومن ثم الثانية مسرحيًا، إلا بالعرض المسرحي، والعرض الجيد تحديدا، المتكامل فنيًا: نصًا، وإخراجًا، وتمثيلًا، ومتمّمات فنية، المنسجم والمتوافق مع وعي المتفرّج الصغير، ونفسيته واحتياجاته. ومن أهم شروط العرض الناجح: الاعتماد على الحركة أكثر من الاعتماد على الحوار، وإن تألق وتميّز.

بالمحصلة فإنه لا يمكن إبداع عرض مسرحي للأطفال مستوفٍ شروطَ نجاحه - كما يقول إسماعيل - إلا بتضافر جهود صُنّاع العرض المسرحي من: مُخرج، وممثّل، وفني.

- المخرج: لا شك في أن مسؤولية نجاح العرض، أو فشله تقع بالدرجة الأولى على المخرج؛ لأن المخرج هو مهندس العرض المسرحي، وهو الوسيط الأكثر فاعلية بين العمل الفني، وجمهور الأطفال، الأمر الذي يتطلب منه فهم طبيعة وماهية قطبَي العلاقة المسرحية بشكل جيد، واختيار أفضل الوسائل والأساليب لمد الجسور بينهما.

- الممثل: المسرح فعلٌ يؤديه الممثل وحده أمام الجمهور، فهذا العنصر المحوري في العملية المسرحية، والذي يختزل في أدائه جهود كلّ صُنّاع العرض، هو حامل رسالة العمل المسرحي، ورسوله إلى المتلقي.

تتعدد أشكال المسارح للأطفال: كالمسرح التقليدي الذي يقدم عروضه على خشبات دُور الثقافة ومراكزها، ومسرح العرائس والدُّمى، وخيال الظل، إلا أن أهم هذه الأنواع - بحسب الكثير من الباحثين - هو المسرح المدرسي، هذا النوع الذي يطوع التمثيل في إطار المؤسسة التربوية، ويشرف عليه مسؤول من داخل هذه المؤسسة.

يستهدف هذا النوع من المسرح جوانب هامة في الشخصية الطفولية وإشباع حاجاتها. ويتمتع بأهمية بالغة من خلال تلقين الطفل المعلومة المعرفية، والتعليمية بواسطة مشاركة الطفل نفسه، وتعميق فهمه، أو حفظه للنص المسرحي المقدّم، والمتعلق بالمادة التي يدرسها. ويسهم المسرح المدرسي في تحويل مقررات دراسية إلى ألعاب معرفية يتداولها الأطفال فيما بينهم بطرائق شيقة وممتعة، إلى جانب تعلم الإلقاء الصحيح، وإخراج الحروف من مخارجها، سواء للمشارِك أو المتفرّج.

إن مسرح الطفل هو واحد من الوسائل التثقيفية التي تسهم في إغناء شخصية الطفل، وتوفر له فوائد نفسية، وجمالية، وإبداعية، تعمل بمجملها لإيجاد توازن مناسب يحصن قدرته على مواجهة المستقبل وتحدياته. يقول الكاتب الروسي ميخالكوف: «إن على الأدب بعامة، ومسرح الأطفال بخاصة، أن يجعل الأطفال عالِمين بالأخطار الكبيرة التي ما تزال موجودة في عالمنا الذي نعيش، لكن على ذلك الأدب، وهذا المسرح أن يقوِّيَا اعتقادهم بأنه يمكن التغلب على تلك الأخطار، وأن يساعدهم على معالجة مشكلاتهم، وفهم أوضاعهم، وأنفسهم، ومجتمعهم، ودورهم النبيل المضيء في هذه الحياة».

د. ناجي عبد الله الخرس
باحث دراسات إسلامية

معالم أصول التربية (وصايا لقمان لابنه)(٤)

مراقبة الله تعالى

قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ (لقمان:١٦).

المعنى الإجمالي في الآية الكريمة يعلم لقمان ابنه مدى قدرة الله تعالى وسعة علمه عز وجل عندما قال ابن لقمان لأبيه: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله؟

فقال لقمان: «يا بني إنها إن تك...» الآية.

ولهذا ختمت الآية باسمين عظيمين من أسماء الله الحسنى وهي اللطيف والخبير، فهو سبحانه لطيف باستخراجها خبير بمستقرها (١). فهي صفتان لائقتان بإظهار غرائب القدرة (٢).

الوقفة الأولى

مراقبة الله تعالى، والعمل بطاعته ما أمكن والترهيب من عمل القبيح قل أو كثر.

ولهذا كان الإمام أحمد ينشد هذه الأبيات فيقول:

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل
خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأن غدا للناظرين قريب

الوقفة الثانية

في هذه الآية الكريمة أربع إشارات تدل على شمول المعنى ومناسبة ختم الآية باللطيف الخبير، نجد أن في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ إشارة إلى الصغر، وفي قوله تعالى: ﴿فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ﴾ إشارة إلى الحجاب، وفي قوله تعالى: ﴿أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إشارة إلى البعد. فإنها أبعد الأبعاد، وفي قوله تعالى: ﴿أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إشارة إلى الظلمات، فإن جوف الأرض أظلم الأماكن.

- من خردل: نبات معروف، وحبه من أصغر أنواع الحب. كم تزن حبة الخردل؟ إنها أشبه بالهباءة التي لا تزن شيئا، وهذه الحبة الصغيرة الضائعة «في صخرة» صلبة محشورة فيها لا تظهر «أو في السموات» الهائلة الشاسعة التي يبدو النجم الكبير فيها نقطة سابحة أو ذرة تائهة أو في الأرض ضائعة في ثراها وحصاها، هذه ذرة الخردل «يأت بها الله» علمه مطلع عليها، وقدرته لا تغفلها (الظلال ٢٧٨٩/٥، الرازي، جـ ٢٥ ص ١٢٢).

الوقفة الثالثة

تعظيم الله تعالى لأنه أهل أن يخشى

- قال تعالى ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ (المدثر:٥٦) فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه، لما يستحقه من الإجلال والإكرام، وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس (٣).
- والتقوى أصلها أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.
- ولهذا جاء اسمه الأعظم وهو «الله» مرتين في هذه الآية وهو قوله تعالى ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ وهذا فيه تنبيه على استحضار العظمة وتعميما للحكم (٤).

الوقفة الرابعة

أن يتقي العبد ربه في السر والعلانية لقوله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت»، وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «أسألك خشيتك في الغيب والشهادة» (رواه النسائي (٥٤/٣-٥٥) وصححه ابن حبان (١٩٧١).

- وكان وهيب بن الورد يقول: خف الله على قدر قدرته عليك، واستح منه على قدر قربه منك، وقال له رجل: عظني، فقال: اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك.
- راود بعضهم أعرابية وقال لها: ما يرانا إلا الكواكب، قالت: فأين مكوكبها!
- وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر، قال: بعلمك أن نظر الله إليك أسبق عن نظرك إلى ما تنظره.

الوقفة الخامسة

إنما قصد لقمان من هذا القول إعلام ابنه بقدر قدرة الله، وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه، لأن الحس لا يدرك للخردلة ثقلا، إذ لا ترجح ميزانا، وقد نطقت هذه الآية بأن الله تعالى قد أحاطها علما (٥).

أي لو كان للإنسان رزق مثقال حبة من خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقة (٦).

الوقفة السادسة

﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾

أي يحضرها الله يوم القيامة حيث يضع الموازين القسط، ويجازي عليها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:٤٧).

ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة في داخل صخرة صماء، أو غائبة ذاهبة في أرجاء السموات والأرض، فإن الله يأتي بها، لأنه لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي: لا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت، «خبير» بدبيب النمل في الليل البهيم.

● وصدق من ناجى ربه قائلا.

يا من يرى مد البعوض جناحها
في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها
والمخ من تلك العظام النحل

الفائدة الثامنة

اللطيف

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة

دليل من الكتاب: قال تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الأنعام:١٠٣).

وفي السنة: من حديث عائشة رضي الله عنها في تتبعها للنبي ﷺ لزيارة البقيع، وفيه قال: «مالك يا عائشة حشيا رابية؟ قالت: قلت: لا شيء، قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير» (رواه مسلم ٢٢٠٩، ٩٧٤) كتاب الجنائز، وهو مأخوذ في اللغة من الرفق في العمل، وهو بحسب ما أضيف إليه من الكلام.

وفي الشرع: نجد أن العلماء وإن تنوعت عباراتهم فهي لا تخرج عن ثلاثة معان قال الطبري، رحمه الله: اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم. جامع البيان (١٢/١٦٨).

وقال الخطابي رحمه الله: هو البر بعباده، الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون، ويسبب لهم من مصالحهم من حيث لا يحتسبون، كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (الشورى:١٩). (شأن الدعاء ص: ٦٢).

وقال ابن كثير، رحمه الله: اللطيف معناه سعة علمه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (الحج:٦٣)، أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت (تفسير ابن كثير ٣/٢٤٥).

وقال الشوكاني، رحمه الله: لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل ما خفي (فتح القدير ٤/٢٣٩).

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم، رحمه الله، قد جمع هذه المعاني في النونية قائلا:

وهو اللطيف بعبده ولعبده
واللطف في أوصافه نوعان
إدراك أسرار الأمور بخبرة
واللطف عند مواقع الإحسان
فيريك عزته ويبدي لطفه
والعبد في الغفلات عن ذا الشأن

(النونية، ص ١٤٤).

ولهذا كان اللطيف في أوصاف الله تعالى على قسمين.

أحدهما: العلم، علم الله تعالى وخبرته (إحاطة علمه بالمعلومات).

والمعنى: خبرته تعالى وإدراكه لأسرار الأمور وخفايا الصدور، ومغيبات الأمور، وما لطف ودق عن كل شيء.

الثاني: إيصال مصالح العباد لهم والإحسان إليهم (اللطيف عند مواقع الإحسان).

والمعنى: لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه، فييسره لليسرى ويجنبه العسرى (التوضيح المبين لابن سعدي، ص ٩٥).

كما قال تعالى ليوسف (عليه السلام) ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ (يوسف:٢٤).

الوقفة التاسعة

الخبير

من أسماء الله تعالى الحسنى الخبير، وقد ورد هذا الاسم في كتاب الله تعالى في خمسة وأربعين موضعا.

قال ابن جرير في قوله: ﴿نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ العليم بسرائر عباده وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم الذي لا يخفى عنه شيء.

خبير بالحقائق والمعاني
عليم لا يمارى أو يجازى
محيط لا يفوت عليه شيء
ولا يخفى عليه ما توارى

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم

١- أن يحاسب المؤمن نفسه على أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، لأنه سبحانه محيط بكل صغيرة وكبيرة.

٢- أن يوقن أن أعماله سيجازى عليها يوم القيامة إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء:٤٧).

٣- ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أن يحرص المؤمن أن يكون له حظ منه فيتلطف مع العباد، وخصوصا في دعوته العصاة إلى الحق، ليجلبهم بلطيف أخلاقه، لأن الرفق واللين ما كان في شيء إلا زانه.

الهوامش

١- النسفي جـ ٣ ص ٤٠٨.
٢- المحرر الوجيز، ابن عطية جـ ٤ ص ٣٥٠.
٣- جامع العلوم والحكم، جـ ١ ص ٣٩٨.
٤- تفسير نظم الدرر للبقاعي.
٥- المحرر الوجيز، جـ ٤، ص ٣٥٠.
٦- تفسير ابن كثير، ج ٦ ص ١١٥/١١٦.

إيمان نايل عبيد
باحثة دراسات إسلامية
سورية

جهود العرب في علم الفلك

يعرف علم الفلك بأنه الدراسة العلمية للأجرام السماوية، أي دراسة الأجسام والمواد الموجودة خارج الغلاف الجوي مثل «النجوم والكواكب والمذنبات والمجرات»، ودراسة خصائصها الفيزيائية والكيميائية.

وعلم الفلك من العلوم القليلة التي ساهم الهواة بدور هام فيها، فكان بعضهم من خلال متابعته الشخصية، يرصد أو يكتشف بعض الظواهر العابرة.

وقد تطورت أساليب البحث وتقنيات الرصد، ففتحت الآفاق واسعة من الأرض إلى الفضاء، وبما أن علم الفلك يتكئ على العلوم الأخرى ويتداخل معها، لذلك وجب على الباحث فيه إتقان الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والإلكترون والحاسوب وغيرها من العلوم التي يحتاجها لأبحاثه.

وحتى القرن العشرين كان علم الفلك شاملا، وبعدها تم الفصل بين علم الفلك الرصدي وعلم الفلك النظري، فكان الأول يدرس المراصد، سواء الموجودة على الأرض، أو التي أرسلت إلى الفضاء، ويتم فيه جمع المعلومات والصور وتحليل البيانات عبر أنواع التلسكوبات منها: «تلسكوب الأشعة تحت الحمراء، وتلسكوب أشعة غاما، وتلسكوب الأشعة السينية»، ومن نتائج هذه الدراسات ينشأ علم الفلك النظري الذي يهتم بصياغة النظريات، وتطوير نماذج العمليات الفيزيائية الحاصلة في النجوم والمجرات وسائر الأجرام السماوية، وبهذا يتم تفسير الظواهر الفلكية وعلاقتها بالأرض وساكنيها وتأثيرها عليهم. فيمكن من خلال دراسة نشوء وحياة وموت النجوم، وضع نتائج محتملة لما يمكن أن يحدث لشمسنا في المستقبل.

أهم فروع علم الفلك الحديث

١- قياس مواقع النجوم: فقياس مواقع النجوم في السماء بدقة، كفيل برصد تحركاتها فيما بعد.

٢- الميكانيكا السماوية: ويختص هذا الفرع برصد حركة الكواكب والأقمار في مجموعتنا الشمسية، ووفق قانون الجاذبية، يمكن التنبؤ بتلك الحركات قبل عشرات السنين من حدوثها، مثال ذلك حساب وتحديد زمن خسوف القمر.

٣- الفيزياء الفلكية: وهي دراسة طبيعة الكواكب وفيزياء النجوم، ودراسة محيط ما بين النجوم.

٤- فيزياء الكون: وهي دراسة الكون ومكوناته بمجملها، وما يمكن أن يحدث في مستقبله.

جهود العلماء العرب في علم الفلك

في العصر الجاهلي بقي الاهتمام بعلم الفلك في حدود الفطرة والفراسة، لحاجتهم للاعتماد على النجوم كدليل في صحرائهم المترامية الأطراف، وكانوا يشركون معه علم التنجيم بما لديهم من خرافات وشعوذة.

بعد أن ثبتت الدولة الإسلامية أركانها، اهتم العلماء فيها بعلم الفلك، فجمعوا وترجموا ما كان منه عند اليونانيين والفرس والهنود والصينيين والكلدانيين والسريان، وأول ما ترجم من الكتب كتاب «مفاتيح النجوم» المنسوب إلى هرمس الحكيم من اليونانية إلى العربية أواخر عصر الدولة الأموية، ويعد كتاب المجسطي لبطليموس المترجم عن اليونانية أيضا في العصر العباسي من أهم الكتب المختصة في هذا العلم.

ويعود الفضل للحضارة العربية الإسلامية بالنسبة لعلم الفلك، بحفظ علم من سبقها من أمم وحضارات وتصحيح ما كان فيه من مغالطات.

كما كان لعلماء المسلمين الفضل في التفريق بين علم الفلك و«التنجيم» إذ اعتبروا أن علم الفلك علم يقينا والتنجيم تخمينا، فالتنجيم نظام يعتقد أن هناك علاقة بين الشؤون الإنسانية ومواضع الأجسام السماوية، ويشترك مع علم الفلك باستخدام التقويم الفلكي، وقد انحرف به الكثيرون إلى الدجل والشعوذة.

بعد مرحلة الترجمة والتصحيح، بدأت مرحلة الإبداع والابتكار، فقد بنى بعض علماء الدولة الإسلامية مراصد خاصة بهم، كانوا يتابعون بواسطتها حركة الكواكب والنجوم، ويسجلون مشاهداتهم بدقة علمية جعلتهم فيما بعد مراجع لعلماء أوروبا والغرب، حيث اعتمد علماء أوروبا في عصر النهضة وما بعده على البحوث الفلكية التي قامت بها المراصد الفلكية العربية والإسلامية بدقة قريبة جدا من الاكتشافات الحديثة.

أشهر المراصد الفلكية العربية والإسلامية

- مرصد جبل قاسيون في دمشق، الذي أمر بإنشائه الخليفة المأمون.
- مرصد باب الشماسية في أعلى ضاحية من بغداد، أيضا أنشئ في عهد الخليفة المأمون.
- مرصد ابن الشاطر في الشام.
- مرصد الدينوري في أصفهان.
- مرصد أولغ بك في سمرقند.
- المرصد الذي أقامه أبناء موسى بن شاكر في بغداد، وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر.
- مرصد نصير الدين الطوسي في مراغة في بلاد فارس، الذي يعد من

أشهر المراصد وأكبرها، فقد اشتهر بدقة آلاته وتفوق المشتغلين فيه على غيرهم.

وهنالك ما يزيد عن مئة وخمسين اسما ومصطلحا أطلقها العلماء العرب على نجوم وكواكب كثيرة، مازالت معروفة حتى عصرنا الحالي بالأسماء العربية القديمة ذاتها، منها:

العنقاء: Anka

بيت الجوزاء: Bet – Elgeuse

الدبران: Aldebran

المقنطرة: Al – Mucantar

السموت: Azimuth

الطائر: Altair

فم الحوت: Familheut

الذنب: Deneb

العلماء العرب وجهودهم في علم الفلك

يعتبر عبدالرحمن بن عمر بن محمد ابن سهل الصوفي الرازي (ت ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) ثالث ثلاثة من العلماء العظماء الذين كتبوا في الكواكب الثابتة. فمنزلته بين بطليموس وأرغلندر، ولم يكتف في كتابه «الكواكب الثابتة» من متابعة بطليموس في كتابه «المجسطي» لكنه قام برصد النجوم نجما نجما وبدقة شُهد له بها فيما بعد، فقد عين أقدار النجوم وأماكنها، ووضح بالرسوم الملونة للأبراج والأجسام السماوية – على شكل أناس وحيوانات – ما كان قد ذكره في كتابه، وسماها بأسماء عربية مازالت مستعملة حتى الآن، منها: الحوت، العقرب، الدب الأكبر، الدب الأصغر.

ولمحمد بن الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م) مؤلف «مقالة في علم الهيئة» الذي يعد النسخة الأصلية لنظرية بويرباخ النمساوي التي أخذ عنها تلميذه رجيومونتان ومن بعده كوبرنيكوس. ولقد أُطلق عليه بطليموس الثاني لما أبدعه في علم الهيئة من مقالات؛ وصل منها سبع عشرة مقالة، كتب فيها عن أحجام وأبعاد الأجرام السماوية وكيفية رؤيتها، وعن ارتفاع القطب والرصد النجومي...إلخ. وهو من اخترع أول كاميرا في التاريخ وسماها «الخزانة المظلمة ذات الثقب»، وقد استعملها علماء الفلك العرب في مراصدهم، مما ساعدهم على معرفة نسب النجوم والكواكب وأحجامها، وعلى اكتشاف نجوم جديدة نتيجة متابعتهم واهتمامهم بهذا العلم.

أما أبوالريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، فقد كان يجيد إضافة للغة العربية الفارسية واليونانية والسنسكريتية والسريانية، لذلك فقد اطلع على المراجع الفلكية من مصادرها وليس من ترجماتها. ومن أهم كتبه في علم الفلك الكتاب الذي ألفه للسلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين في الهيئة والنجوم والجغرافيا، بعنوان «كتاب القانون المسعودي»، وتعود أهمية هذا الكتاب للجهد الذي بذله مؤلفه في ذكر ما توصل إليه علماء الفلك في الحضارات السابقة والمعاصرين له، إذ لم يكتف بما قرأه عنهم، بل كان يتحقق من ذلك، سواء بقيامه بإعادة الحسابات بنفسه، أو بالرصد من جديد ولأكثر من مرة. وكان أول من استحدث المنهج التجريبي في علم الفلك، فقاد أبحاثا تجريبية متعلقة بظواهر فلكية، واكتشف أن مجرة درب التبانة هي عبارة عن مجموعة نجوم سديمية، كما اكتشف أن التجاذب يحدث بين الأجرام والفلكات السماوية منتقدا بذلك أرسطو الذي يعتبر أن تلك الأجرام لا تملك خفة أو جاذبية.

ومحمد بن جابر بن سنان البتاني (ت ٩٢٩هـ)، ألف جداول لمدارات الشمس والقمر، أكد فيها أن ما ذكره بطليموس عن منحى شذوذ الشمس متغير وليس ثابتا، كما عمل على حساب وقت أول ظهور للهلال بعد القمر الجديد، وقياس طول السنة الشمسية والسنة الفلكية، وتوقع زمن الخسوف.

اخترع علماء الفلك العرب آلات ومعدات لم تعرف من قبلهم، استعانوا فيها في مراصدهم، منها آلة الربع المجيب، الربع المقنطر، ذات الشعبتين، ذات السمت والارتفاع، الحلقة الاعتدالية، مزاول لقياس الوقت. وطوروا الأسطرلاب اليوناني بما يتفق مع اكتشافاتهم الفلكية، فصنعوا الأسطرلاب الكروي والأسطرلاب الزورقي.

أتقنوا صناعة الجداول الرياضية العددية (الأزياج) لأنها من أهم مستلزمات الرصد الفلكي، فبواسطتها تحدد مواقع الكواكب وأوضاعها من حيث الارتفاع والانخفاض والميول والحركات في أفلاكها.

رصد العالم الفلكي المصري علي بن رضوان في عام ١٠٠٦م، أكثر المستعرات العظمى سطوعا في التاريخ، ووصف بدقة النجم المؤقت، فقال أنه أكبر بمرتين أو ثلاث من قرص الزهرة، أما سطوعه فيعادل ربع سطوع القمر.

وهكذا نرى أن للعرب فضلا في تطوير وتصحيح مفاهيم علم الفلك.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة المعرفة

أول مايو سنة ١٩٣١
ذو الحجة سنة ١٣٤٩

المعرفة

الجزء الأول
السنة الأولى

مجلة شهرية جامعة
لصاحبها ومحررها
عبد العزيز الإسلامبولي

شعارها : إعرف نفسك بنفسك

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المحرر

باسمك اللهم نفتتح باب « المعرفة » ونصلى ونسلم على نبيك القائل « من عرف نفسه فقد عرف ربه »

وبعد فها هى (المعرفة) تطالع قراءها ، بأول جزء من أجزائها ، راجية أن يجدوا فيه ، مايدفع إلى نفوسهم فكرة مما أردنا لها القيام بتحقيقه . مما لا نود أن تتلوه عليهم بيانا طويلا ، أو نرسمه لهم منهاجا عريضا . لنسرد فى الأول ما يجول بخاطرنا من رغبات وأمان ، أو نرسم فى الثانى ما تترقرق به جوانحنا من نزعات وآمال . فلا تكون إلا قولا مسطورا ، أو تصبح عهدا مقروءا ، يهب مع الريح أينما تهب

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي مجلة «المعرفة» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة مصرية شهرية جامعة، احتوت مختلف العلوم والمعارف في شتى المجالات، وقد صدر أول عدد منها في أول مايو سنة ١٩٣١م الموافق لـذي الحجة سنة ١٣٤٩هـ، على يد صاحبها ومحررها: عبدالعزيز مصطفى الأسلامبولي.

الغرض من المجلة

لقد كان لمجلتنا هذه أغراض متنوعة من إنشائها، وقد دون هذا مؤسسها في عددها الأول، حيث ذكر بعضا من أهدافها، نذكر منها ما يلي:

- ربط البلاد الشرقية بعضها ببعض أولا، ثم ربط الشرق بالغرب ثانيا، وذلك عن طريق نشر المعارف بينها.
- استخلاص النافع من علوم الغرب واستصفاء ما يصلح للبلاد الإسلامية والعربية ونشره.
- نشر المعرفة العامة، فهي باب للمعرفة؛ فتجد فيها مواضيع في علوم شتى وفنون مختلفة، فقد احتوت على: الفلسفة والأدب والرد على المستشرقين والملحدين، وذلك بالإتيان بما قرروه من قضايا وأوضاع، فتتولاها المجلة بالبحث والتمحيص، والنقد والتحليل، فما كان منها سليما صحيحا أخذت به، وما كان مخالفا للحق نقضته.. ولم تغفل المجلة أبوابا مثل الفكاهة، والشعر، والتاريخ، وعلم الاجتماع، ومواضيع إسلامية، وسير وتراجم لبعض الشخصيات...

محتوى العدد الأول من «المعرفة»

لقد احتوت مجلتنا هذه على مواضيع كثيرة ومتنوعة، ولملاحظة هذا التنوع نذكر بعض ما جاء في عددها الأول.

فبعد كلمة رئيس التحرير (عبدالعزيز مصطفى الإسلامبولي) جاء موضوع: الأخلاق وفلسفة الجبر للدكتور منصور بك فهمي، وهو موضوع يناقش المذهب القائل: بعجز الإرادة والعقل عن تشييد شؤون حياة الإنسان.

ثم جاء بعده موضوع: رابعة العدوية للأستاذ مصطفى بك عبدالرازق، أستاذ الفلسفة الإسلامية، وهو بحث تحليلي فلسفي تاريخي.

بعد هذا جاء موضوع: مسألة المعرفة، حيرة الفلاسفة فيها قديما وحديثا، للأستاذ الفيلسوف محمد فريد بك وجدي.

بعده موضوع: كيف يستعاد مجد الإسلام، للأستاذ الجليل محمد الغنيمي التفتازاني. ثم جاء بعده موضوع: الفلسفة والدين عند فلاسفة الإسلام، للأستاذ عثمان أمين.

بعد عدة فواصل من أبيات شعرية وصور جاء موضوع: اعرف نفسك بنفسك، وهو موضوع فلسفي بقلم الأستاذ عبدالواحد يحيى. ثم موضوع: في الأدب العربي - مهيار الديلمي - دراسة تحليلية لحياته وشعره، بقلم الأستاذ حامد عبدالقادر. بعده مقال بعنوان: حرية المرأة في الإسلام، بقلم رئيسة تحرير مجلة «فينكس»، السيدة «دي سان بوا»، وذلك بطلب من إدارة تحرير مجلة المعرفة. ثم جاء بعده مقال في تاريخ اللغة العربية بعنوان: ترتيب حروف الهجاء، للأستاذ حسن عبدالجواد. ثم جاء بعده مقال بعنوان: رحلة ابن بطوطة، تلخيص وتعليق، للأستاذ محمد إسماعيل إبراهيم... وغيرها من المواضيع.

كما تخلل المواضيع فواصل قصيرة احتوت أمثالا وحكما، أو أبيات شعرية، أو معلومات عن بعض الشعوب في مناطق مختلفة من العالم. وعلى هذا المنوال سارت المجلة، فكانت بحق بوابة للمعرفة والعلوم.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذا الصرح المعرفي، والتي تتكون من ٩ مجلدات.

وهي في متناول محبي المعرفة والعلوم.

المصادر:
مجلة المعرفة.

إعداد: د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

توسعة المطاف والمسعى، والجمرات، والبناء عليها أدوارا بسبب الزحام

- الخلاصة الحكميّة:

- الأصل في تحديد المشاعر التوقيف: ومن نظائر ذلك أوقات الصلوات الخمس.

- يجوز بناء طابق على شارع الجمرات ورفع الشاخص وجدار الجمرة.

- يجوز الرمي من فوق الطابق لفعل عمر رضي الله عنه.

- لا يجوز بناء حوض خارجي أوسع من الحالي بناء على قاعدة سد الذرائع.

- للسعي فوق سقف المسعى حكم السعي على أرضه؛ فيجوز؛ بشرط ألا يخرج عن مسمى السعي بين الصفا والمروة.

- المسعى بعد دخوله ضمن مبنى المسجد الحرام لا يأخذ حكم المسجد ولا تشمله أحكامه، لأنه مشعر مستقل.

القرارات، والتّوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع:

● أولا: قرار رقم (١١) ممّا جاء في أبحاث اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: بناء على خطاب صاحب السمو الملكي أمير منطقة مكة المكرمة، ورئيس لجنة الحج العليا رقم (٥٩/٥/٧/أم)، وتاريخ ١٣٩٣/١/٤هـ، الوارد إلى رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عن طريق وزارة العدل، والذي يطلب فيه إبداء الوجهة الشرعية، وبيان الحكم فيما اقترحته لجنة الحج العليا من بناء طابق على شارع الجمرات، ورفع شاخص الجمرات، ورفع جدار حوض كل جمرة إلى منسوب يمكن معه رمي حصى الجمار من أعلى الطابق ومن أسفله بسهولة.

ويمكن أن يستخلص مما جاء في البحث ما يلي:

١ - يجوز بناء طابق على شارع الجمرات ورفع الشاخص وجدار الجمرة بناء على قاعدة: «المشقة تجلب التيسير».

٢ - يجوز رمي الجمرة من فوق الطابق؛ لفعل عمر رضي الله عنه، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، وقول عبدالله بن عمر رضي الله عنه محمول على الأفضلية، ولأن من ملك أرضا ملك تخومها وهواءها، هذا هو المقرر شرعا.

٣ - بدء مشروعية الرمي، وبه تحدد موضع الرمي، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمار الثلاث في حجة الوداع والصحابة معه، وقال صلى الله عليه وسلم: خذوا عني مناسككم، وتلقى الصحابة رضوان الله عليهم ذلك عنه صلى الله عليه وسلم، وتلقى ذلك عن الصحابة التابعون ومن بعدهم إلى يومنا هذا.

٤ - ما سبق من النقول يدل على أن المرمى هو مجتمع الحصى.

٥ - ما قرره الطبري من تحديد مجتمع الحصى بأنه ما كان بينه وبين أصل الجمرة ثلاثة أذرع.

٦ - أن الأصل في تحديد المشاعر التوقيف: ومن نظائر ذلك أوقات الصلوات الخمس.

٧ - مما يدل على بقاء الوضع الحالي للجمار باعتبار المساحة استصحاب العكس.

٨ - لا يجوز بناء حوض خارجي أوسع من الحالي بناء على قاعدة سد الذرائع.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

انتهت النتائج.

● ثانيا: بناء على الخطاب الوارد لفضيلة رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد من معالي وزير العدل رقم(٢٦٧)وتاريخ١٣٩٣/٣/٢٣هـ، المبني على خطاب سمو نائب وزير الداخلية رقم (١٠٦١٢/٢٦) وتاريخ ١٣٩٣/٣/٢١هـ، بخصوص الرغبة في إبداء الحكم الشرعي في «حكم السعي فوق سقف المسعى» ليكون وسيلة من وسائل علاج ازدحام الحجاج أيام الموسم، وبناء على ما رآه فضيلته من إدراج هذا الموضوع في جدول أعمال هيئة كبار العلماء في

دورتها الرابعة فقد تم إدراج ذلك، وفي تلك الدورة جرى الاطلاع على أوراق المعاملة المتعلقة بالاستفتاء، كما جرى الاطلاع على البحث المقدم من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، والمعد من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

وبعد دراسة المسألة، واستعراض أقوال أهل العلم في حكم الطواف والسعي والرمي راكبا، والصلاة إلى هواء الكعبة أو قاعها، وكذا حكم الطواف فوق أسطحة الحرم وأروقته، وحكمهم بأن من ملك أرضا ملك أسفلها وأعلاها.

وبعد تداول الرأي والمناقشة انتهى المجلس بالأكثرية إلى الإفتاء بجواز السعي فوق سقف المسعى عند الحاجة، بشرط استيعاب ما بين الصفا والمروة، وأن لا يخرج عن مسامتة المسعى عرضا لما يأتي:

١ - لأن حكم أعلى الأرض وأسفلها تابع لحكمها في التملك والاختصاص ونحوهما، فللسعي فوق سقف المسعى حكم السعي على أرضه.

٢ - لما ذكره أهل العلم من أنه يجوز للحاج والمعتمر أن يطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة راكبا لعذر باتفاق، ولغير عذر على خلاف من بعضهم، فمن يسعى فوق سقف المسعى يشبه من يسعى راكبا بعيرا ونحوه، إذ الكل غير مباشر للأرض في سعيه، وعلى رأي من لا يرى جواز السعي راكبا لغير عذر، فإن ازدحام السعاة في الحج يعتبر عذرا يبرر الجواز.

٣ - أجمع أهل العلم على أن استقبال ما فوق الكعبة من هواء في الصلاة كاستقبال بنائها، بناء على أن العبرة بالبقعة لا بالبناء، فالسعي فوق سقف المسعى كالسعي على أرضه.

٤ - اتفق العلماء على أنه يجوز الرمي راكبا وماشيا، واختلفوا في الأفضل منهما، فإذا جاز رمي الجمرات راكبا جاز السعي فوق سقف المسعى، فإن كلا منهما نسك أدي من غير مباشرة مؤدية للأرض التي أداه عليها، بل السعي فوق السقف أقرب من أداء أي شعيرة من شعائر الحج أو العمرة فوق البعير ونحوه؛ لما في البناء من الثبات الذي لا يوجد في المراكب.

٥ - لأن السعي فوق سقف المسعى لا يخرج عن مسمى السعي بين الصفا والمروة؛ ولما في ذلك من التيسير على المسلمين والتخفيف مما هم فيه من الضيق والازدحام، وقد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

مع عدم وجود ما ينافيه من كتاب أو سنة، بل إن فيما تقدم من المبررات ما يؤيد القول بالجواز عند الحاجة.

وقد ذكر ابن حجر الهيتمي رحمه الله رأيه في المسألة: فقال في حاشيته على «الإيضاح» لمحيي الدين النووي (ص١٣١): «ولو مشى أو مرَّ في هواء المسعى فقياس جعلهم هواء المسجد مسجدا، صحة سعيه».اهـ.

أما المشايخ: محمد بن حركان، وعبدالعزيز بن صالح، وسليمان بن عبيد، وصالح بن لحيدان، وعبدالله ابن غديان، وراشد بن خنين - فقد توقفوا في هذه المسألة.

وأما الشيخ محمد الأمين الشنقيطي فيرى عدم جواز ذلك، وله وجهة نظر في المنع مرفقة.

انتهى القرار.

• ثالثا: قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته الرابعة عشرة المنعقدة بمكة المكرمة التي بدأت يوم السبت ٢٠ من شعبان ١٤١٥هـ ١٩٩٥/١/٢١م؛ قد نظر في هذا الموضوع، فقرر بالأغلبية:

أن المسعى بعد دخوله ضمن مبنى المسجد الحرام لا يأخذ حكم المسجد ولا تشمله أحكامه، لأنه مشعر مستقل، يقول الله - عزوجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ (البقرة:١٥٨)، وقد قال بذلك جمهور الفقهاء، ومنهم الأئمة الأربعة، وتجوز الصلاة فيه متابعة للإمام في المسجد الحرام، كغيره من البقاع الطاهرة، ويجوز المكث فيه والسعي للحائض والجنب، وإن كان المستحب في السعي الطهارة. والله أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. والحمد لله رب العالمين.

انتهى القرار.

وللاستزادة في موضوع توسعة المسعى يرجى مراجعة:

- «تحفة الألمعي بمعرفة حدود المسعى، وأحكام السعي»؛ للدكتور أحمد بن عمر بن سالم بازمول، ومعه: «رسالة في توسعة المسعى»؛ تأليف العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

- و«توسعة المسعى عزيمة لا رخصة»؛ تأليف أ. د. عبدالوهاب أبوسليمان، طبعة مؤسسة الفرقان، الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ.

سلامة عبدالقادر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

دار الحديث العروية

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.
ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

وكانت أول مدرسة أنشئت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها، وسطع عندما تولى الملك، الصالح، الناصر، صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاث مئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ست مئة مدرس، وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء، والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم،

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها، إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟
ديار لسلمى عافيات بذي خال
ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، فمنها: دار الحديث العروية.

مكانها

كانت زمان وجودها بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي – وقيل: كانت بالجانب الغربي – في المشهد الذي كان يعرف قديما بـ: مشهد علي، وعرف بعد ذلك بـ: مشهد عروة، ويسميه الناس اليوم بـ: مشهد الحسين.

قال ابن كثير: «إن الناس يقولون (مشهد عروة) بالجامع الأموي، وإنما نسب إليه؛ لأنه أول من فتحه بعد أن كان مشحونا بالحواصل (أي: الآلات المتعلقة بمصلحة الجامع) المجموعة للجامع، وبنى فيه البركة، ووقف فيه على الحديث دروسا، ووقف خزائن كتبه فيه، وصنع له محرابا، وبَيَّضَه».

قال ابن بدران: «إذا وقفت عند باب جيرون متجها إلى الغرب، كان عن يسارك مشهد كبير يسميه الناس اليوم مشهد الحسين، وبجانبه من الجهة الشمالية آثار بناء قديم، وفي

زاوية نهاية المكان باب فتحه بنو الغزي لبيتهم، وبجانبه في الحائط الشمالي التربة الكاملية، وهي أيضا منضمة إلى دار بني الغزي، ووراء ذلك الحائط المدرسة السميساطية، ثم الأخنائية، ثم دار بني الغزي، فيمكن أن تكون العروية أدخلت في المشهد الحسيني، أو هي والحلبية أدخلتا في الدار المذكورة؛ لكونها عظيمة متسعة جدا».

واقفها

شرف الدين محمد بن عروة الموصلي، كان مقيما بالقدس، وكان من خواص الملك المعظم، ثم انتقل إلى دمشق بعد أن تم تخريب سور بيت المقدس، وظل مقيما فيها إلى أن توفي سنة (٦٢٠هـ)، وقبره موجود عند قباب «طغتكين» قبلي المصلى.

شيوخها

أول من ولي مشيختها:

١- الإمام فخر الدين عبدالرحمن بن محمد بن الحسين بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي، شيخ الشافعية، المتوفى سنة (٦٢٠هـ)، ودفن بمقبرة الصوفية.

٢- ثم الحافظ الكبير الرحال زكي الدين محمد بن يوسف بن محمد البرزالي الإشبيلي، المتوفى سنة (٦٣٦هـ).

٣- ثم وليها فخر الدين عبدالرحمن ابن يوسف البعلبكي الحنبلي، قال ابن كثير: كان يفتي ويفيد الناس، مع ديانة وصلاح، وعبادة وزهادة. المتوفى سنة (٦٨٨هـ).

٤- الإمام الحافظ الكبير الشمس الذهبي - كما ذكره ابن قاضي شهبة - المتوفى سنة (٧٤٨هـ).

٥- الشيخ الإمام الحافظ المفيد شرف الدين عبدالله بن محمد بن إبراهيم ابن محمد ابن الواني الحنفي، المتوفى سنة (٧٤٩هـ)، نزل له الذهبي عنها في مرض موته، وكذلك نزل له عن تدريس دار الحديث النفيسية في نفس الوقت.

مشايخ وعلماء أسمعوا الحديث فيها

١- علي بن الحسين بن علي البغدادي، المشهور بـ: ابن المقير، المتوفى سنة (٦٤٣هـ).

٢- محمد بن علي بن مظفر بن قاسم النشبي، المتوفى سنة (٦٧٠هـ).

٣- محمد بن أسعد بن الهمداني الدمشقي، حدث بصحيح البخاري سنة (٦٦٦هـ).

٤- عبدالرحمن ابن نصر البعلبكي المتوفى سنة (٦٨٨هـ).

٥- علي بن إبراهيم بن داود ابن العطار الدمشقي الشافعي (مختصر النووي)، المتوفى سنة (٧٢٤هـ).

٦- محمد بن إبراهيم بن داود ابن العطار الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة (٧٣٠هـ).

كتب تمت قراءتها في الدار

١- جزء فيه من حديث ابن البهلول الأزرق الكاتب، سنة (٦٣٢هـ).

٢- الفوائد المنتقاة عن الشيوخ العوالي لابن شاذان، سنة (٦٦٨هـ).

٣- حديث ابن أبي ثابت، سنة (٦٦٨هـ).

٤- كتاب المحبة للختلي، سنة (٦٧١هـ).

٥- الجزء الثاني من حديث المحاملي، سنة (٦٧١هـ).

٦- جزء العيدين للفريابي، سنة (٦٧١هـ).

٧- جزء من حديث أبي مسلم الكاتب، سنة (٧١٣هـ).

٨- كتاب تحفة عيد الفطر للإمام الشحامي، سنة (٧١٩هـ).

٩- الجزء السابع والحادي عشر من أمالي الجوهري، سنة (٧١٩هـ).

خاتمة

وبعد هذه الإطلالة العابرة على دار الحديث العروية العريقة في دمشق الشام، والتي لم تكن وحيدة عصرها، بل كانت لها أخوات سبقتها، وأخرى أتت بعدها؛ تعرف ما كان عليه أهل ذلك العصر الفريد من العناية بالعلم، والعلماء، والدور، والمدارس، وما كانوا عليه من الاهتمام بالمدرس والدارس، والذي يرجع فيه الفضل بعد الله تعالى، إلى أناس أيقنوا أن الأمة لا يمكن لها أن تنهض، ولا أن تتحرر، ولا أن تقود نفسها وغيرها من الأمم، إلا إذا اتخذت من العلم بجميع أنواعه وشتى مجالاته قائدا لها، وإلا إذا أولته كل اهتمامها.. ففتح قلوب وعقول العباد مقدم على فتح البلاد والمهاد، فالاستنارة بنور الشرع هي الأصل والأساس، الذي يتفرع عنه فتح البلاد، وهداية العباد، فكانوا من رواد النهضة العلمية، الذين أعطوا العلم طابعا، ومنهجا لم يكن معروفا ولا مشتهرا من قبل، فرحم الله الجميع، وأعاد إلى تلك الدور، والمدارس، ومدنها، والمحابس، سالف عصرها الزاهر.

فكرة مفيدة

شاب يحول الإطارات المستعملة إلى أثاث عصري بأسعار رمزية

أبوظبي - الوعي الشبابي:

«كراسي» مشروع منزلي ابتكره الشاب الإماراتي المهندس فيصل بن دية، يقوم من خلاله بتحويل الإطارات المستعملة إلى قطع أثاث تتألف من مقاعد وطاولات، مستخدما أنواعا من الجلد الصناعي والأقمشة تصلح للاستخدام في غرف الجلوس والصالونات وبأسعار رمزية.

ويهدف المشروع، بحسب ابن دية، إلى الاستفادة من التدوير والتخلص من مخلفات ونفايات منتجات المطاط، مثل إطارات السيارات والبراميل المستعملة، وتحويلها إلى كراسي وطاولات تصلح للاستخدام المنزلي والحدائق والمطاعم بدلا من حرقها أو رميها في الطرقات.

وقال ابن دية: «استخدمت الإطارات في صنع الأثاث لأن المطاط يعتبر من المواد التي لا تتحلل وتمثل تلوثا شديدا للبيئة، ومعظم مخلفات هذه المادة تتمثل في إطارات السيارات، كما أن الطريقة التقليدية للتخلص منها هي عن طريق الحرق، الأمر الذي ينتج عنه غاز ثاني أكسيد الكربون وأبخرة أخرى سامة وضارة ناتجة من المواد الكيميائية الداخلة في صناعة المطاط».

طور نفسك

كيف تحمي معاملاتك البنكية عبر الأجهزة الإلكترونية؟

الكويت - الوعي الشبابي:

يوما بعد يوم تزداد شعبية الخدمات البنكية عبر الإنترنت، والتي تتيح للمستخدمين الوصول الفوري إلى حساباتهم البنكية من خلال تطبيقات الهواتف الذكية أو أجهزة الكمبيوتر.

وإليكم بعض النصائح لحماية حساباتكم البنكية عبر الهواتف الذكية:

١- قم بتأمين وحماية هاتفك الذكي بالاعتماد على PIN code أو البصمة أو أي وسيلة حماية أخرى.

٢- اعتمد على تطبيق جيد لمكافحة الفيروسات والبرمجيات الخبيثة، ومن حسن الحظ أن كبرى الأسماء في هذه الصناعة توفر تطبيقات مجانية على الهواتف الذكية.

٣- لا تعتمد على أي مصادر مجهولة وخارجية لتحميل التطبيقات البنكية، بل اعتمد على الموقع الرسمي للبنك.

٤- يفضل دائما الاعتماد على الخدمات البنكية عبر الإنترنت عند اتصالك بشبكات WiFi آمنة مثل شبكة المنزل أو العمل.

٥- إن اضطررت إلى إجراء معاملات بنكية بواسطة هاتفك الذكي خارج المنزل، فتأكد من تفعيل خدمة VPN موثوقة على هاتفك.

٦- لا تحتفظ باسم المستخدم وكلمة المرور الخاصة بالخدمات البنكية على الإنترنت داخل محفظتك الشخصية أو إلى جانب بطاقات الائتمان الخاصة بك.

٧- فعِّل ميزة التحقق بخطوتين إن كانت متاحة من قبل البنك الذي تتعامل معه، فهي ستوفر عليك الكثير من العناء والمتاعب.

٨- احذر من رسائل البريد الإلكتروني المزيفة، التي تبدو كأنها قادمة من البنك الرسمي وتطلب منك إعادة تعيين كلمة المرور بسبب حدث أمني أو غيرها من رسائل التصيد، وتذكر أن البنوك لا تفعل ذلك من تلقاء نفسها.

٩- احرص على تحديث نظام التشغيل الخاص بهاتفك الذكي وتحديث التطبيق البنكي لآخر إصدار.

١٠- أغلب البنوك تقدم ميزة الرسائل القصيرة SMS التي تخبرك من خلالها بأي حركة تمت على حسابك، إن كان البنك الذي تتعامل معه يقدم هذه الخدمة فاحرص على الاشتراك بها حتى تضمن سلامة جميع الحركات.

تواصل اجتماعي

٥ مزايا يمكن أن تحققها من منصات التواصل الاجتماعي

الوعي الشبابي - كمال المصري:

منصات التواصل الاجتماعي أصبحت واقعا وحقيقة لا مناص من قبولها في حياتنا، شئنا أم أبينا، يكفي أن نلقي نظرة على الأرقام التالية على أشهر منصات التواصل الاجتماعي لنتأكد من هذه الحقيقة:

فيسبوك

هناك أكثر من مليار ونصف المليار مشترك في فيسبوك (ما يقترب من ٥٠ في المئة من عدد مستخدمي الإنترنت في العالم)، وتجري أكثر من ٤,٥ مليارات تحديثة يوميا.

غوغل بلس

هناك أكثر من مليار مشترك، ومعدل الضغط على أيقونة غوغل بلس هو ٥ مليارات ضغطة يوميا.

تويتر

هناك أكثر من ٣٠٠ مليون مشترك فعال في تويتر بمعدل ٥٠٠ مليون تغريدة يوميا.

انستغرام

هناك حوالي ٥٠٠ مليون مشترك، ويتم نشر أكثر من ٧٠ مليون صورة وفيديو يوميا.

لينكدإن

هناك حوالي ٥٠٠ مليون مشترك، منهم أكثر من ٥٠ مليون مشترك متخرج حديثا أو ما زال يدرس.

أما وقد ثبت رسوخ منصات التواصل الاجتماعي في حياتنا، فلم يعد أمامنا إلا محاولة تحقيق أكبر قدر من الاستفادة منها.

مجالات الاستفادة من منصات التواصل الاجتماعي:

١- القراءة والمطالعة

تطوير الذات مرتبط ارتباطا وثيقا بالكتب؛ لذلك يجب جعل القراءة عادة يومية نمارسها بشغف، ومنصات التواصل الاجتماعي أتاحت الكثير من الكتب؛ بل هناك أيضا ملخصات، وتقييمات، وترشيحات، ومجموعات متخصصة، وهذه كلها تسهل اختيار الكتاب المناسب.

٢- الدورات والبرامج التدريبية

منصات التواصل الاجتماعي حافلة بالدورات، بدءا من إدارة الذات والوقت والاجتماعات والفريق والتحفيز، مرورا بمهارات التعامل مع الآخرين وكيفية قراءة الآخر ولغة الجسد ووسائل الإقناع وكيفية إدارة الحوار، وصولا إلى تعلم اللغات واللهجات.

يمكنك من خلال هذه البرامج معرفة ذاتك وتقييمها، واستكشاف ملكاتك الحقيقية وتنميتها، واكتساب مهارات وملكات كثيرة.

٣- تكوين العلاقات والتشبيك مع الآخرين

وهذا يفتح لك أبواب الدنيا ليصلك كما لا حدود له من معرفة العالم، وتقاليد الشعوب، وثقافات الأمم، وتاريخ الحضارات، وما يتمايز به بلد عن بلد وأمة عن أخرى.

يضاف إلى ذلك تكوين الصداقات، وتنمية مهارات التواصل بالممارسة والحديث.

٤- الاطلاع على العالم واستشراف اتجاهاته

أتاحت منصات التواصل الاجتماعي وصول المعلومة إلينا بمجرد أن ندخل أي منصة منها، كما مكنتنا هذه المنصات من اختيار مجالات الأخبار التي نريد، نريدها عامة عالمية أو إقليمية أو محلية.

كما أتاحت لنا القدرة على استشراف الاتجاهات وفق ما ينشره الناس على هذه المنصات، وما لقي إقبالا أكثر، وشهد نقاشا أكبر.

٥- ممارسة الهوايات

يخطئُ من يظن أن ممارسة الهوايات أمر تكميلي نمارسه في فضول أوقاتنا، ممارسة الهواية أمر لا غنى، ولها فوائد جمة؛ فهي تتيح لنا الخروج من ضغوط العمل والحياة، وتعطينا الانتعاش لاستكمال أعمالنا، وتغير من حالتنا المزاجية للأفضل، وترفع روحنا المعنوية.

ممارسة الهوايات هي كحاجة الإنسان إلى النوم، إنها الطاقة الدافعة للانطلاق من جديد، ومنصات التواصل الاجتماعي مجال خصب لممارسة هذه الهوايات بأنواعها، وفيها مجموعات لكل أشكال الهوايات.

والهوايات التي تنمي العقل أو ترفع مستوى الذوق العام، هي أفضل الهوايات التي تساعد في بناء الذات وتطويرها.

علاء الدين حسن
كاتب وباحث سوري

وقفات مع العيد

الأعياد وسيلة لتواصل الأقارب والأصدقاء، ومناسبة وجيهة لاجتماع العوائل وتصافي النفوس، وهي فرصة عظيمة ليتوافق مكنون القلب مع ما يظهر على المحيا من ابتسامة وبراءة.

والصغار من أجمل معاني العيد؛ لأن حياتهم كلها مسرات ونصاعة قلب. وليس أغلظ من ولي أمر لا يشيع السرور في نفوس صغاره في هذا الموسم البهيج، ولا أقسى من أب لا يعرف عن أطفاله شيئا حتى في العيد.

العيد شعيرة دينية جليلة، ومناسبة إيمانية جميلة. العيد موعد ولقاء تتجلى فيه المعاني الإنسانية والاجتماعية والنفسية. العيد مظهر من مظاهر العبودية لله، صلاة وذكر ودعاء، تصافح وتآلف وتألق، ود وصفاء وأخوة ووفاء.

العيد واحة سرور، وبهجة وسط صحراء الحياة، واحة وارفة، نستقبله بالمسرة والابتسامة والهناء؛ إنه عيد يغمر نفوس الصغار بالفرح والمرح، ويشرح صدور الكبار بالشكر والذكر، يملأ القلوب بهجة وأنسا، ويملأ النفوس صفاء وحبا، فتنسى فيه الأحقاد والضغائن، ويحصل الجمع بعد الفراق، والصفاء بعد الكدر، والتصافح بعد التقابض، وفيه وبه تتجدد أواصر الحب ودواعي القرب.

العيد يأتي ويعود؛ يعود ليلقي بظلاله على العالم، ولينشر شذاه عبر الأثير، فيحتفي من اهتدى، ويحار من أعرض عن طريق الهدى.

يعود العيد، ومن الناس من آمن وعمل عملا صالحا، ورضي بما قد قضى الله وقدر، وأخلص المقصد لوجهه الكريم وتحمل وصبر، وتابع مسيرة التقوى وما مل ولا ضجر. وفي المقابل، من الناس من أعرض ونأى واستكبر، ولم تنفعه الآيات ولا العبر. وفي كل حال؛ فإن العيد يدفعنا إلى قصد الخير وفعله، ويرفعنا بالروح الإيجابية، ويعلمنا كيف نكره الكره، ونبغض البغضاء، وندفع عن أنفسنا الشحناء والرعناء، ونصبر على الشدة واللأواء.

مناسبة وسيمة

العيد مناسبة وسيمة كنا نجد طعمها

يوم أن كنا صغارا، ثم توارثها من بعدنا الأطفال، فهم ينتظرونها بفارغ الصبر ويسألون عنها، لا لشيء وإنما ليلهوا ويلعبوا مع أقرانهم ويلبسوا ثوبا جديدا. ولعل من أبرز جمالياته: القلب الذي يحمله الطفل بين جنبيه، فهو قلب نظيف طيب نقي، لا يشوبه غل ولا حقد ولا حسد.

والعيد ضيف خفيف الظل، وزائر لا يتخلف عن ميعاده، ورديف كريم لمواسم الله وأيامه، فلا مناص من حسن استقباله بكل خير ولهو مباح، وبما يجمع ولا يفرق، وبالمعروف المقبول من ألوان المباهج والزينة. وإن الإبداع كل الإبداع أن تكون المحبة في العيد غامرة، والسعادة به سابغة.

والعيد في معناه الاجتماعي يجمع الناس على التسامح والتزاور، ويجدد فيهم أواصر الحب ودواعي القرب. وهو يوم تتناسى فيه النفوس الكريمة أضغانها، فتجتمع بعد افتراق، وتتصافى بعد كدر، وتتصافح بعد انقباض.

وفي هذا كله تجديد للرابطة الاجتماعية على أقوى ما تكون من الحب، والوفاء، والإخاء. وفيه أروع ما يضفي على القلوب من الأنس، وعلى النفوس من البهجة، وعلى الأجسام من الراحة. وفيه من المغزى الاجتماعي أيضا تذكير لأبناء المجتمع بحق الضعفاء والعاجزين؛ حتى تشمل المسرة بالعيد كل بيت، وتعم النعمة كل أسرة.

وإلى هذا المعنى الاجتماعي يرمز تشريع صدقة الفطر في عيد الفطر، ونحر الأضاحي في عيد الأضحى؛ فإن في تقديم ذلك - قبل العيد أو في أيامه - إطلاقا للأيدي الخيرة في مجال الخير؛ فلا تشرق شمس العيد إلا والبسمة تزين كل وجه، والبهجة تغمر كل قلب.

العيد سكينة ووقار، وتعظيم للواحد القهار، وبعد عن أسباب الهلكة ودخول النار.

العيد في أبعد معانيه: جمال، وجلال، وتمام وكمال، وربط واتصال، وبشاشة تخالط القلوب، واطمئنان وانشراح، وهجر للهموم.

قلوب تتصافح

في العيد قلوب تتصافح، ونفوس تتصافى، ود وإخاء، اجتماع وتراحم. عهد إخاء يتجدد تعاونا على البر والتقوى، وتواصيا بالحق والصبر.

والعيد، تطلع لغد مشرق، وابتسامة أمل، وتفاؤل مقرون بالعمل المتعدي حدود الأماني والأحلام.

وإن الذي بيني وبين بني أبي
وبين بني عمي لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالي إن تتابع لي غنى
وإن قل مالي لم أكلفهم رفدا

ومن مقاصد العيد: إعفاف الفقراء والمحتاجين، وعدم تعريضهم لذل السؤال.

ومن مقاصد العيد: التوسعة على النفس والأهل والأولاد، والترفيه البريء، يرشدنا إلى هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد دخل على عائشة - رضي الله عنها - في يوم عيد ووجد عندها جاريتين تغنيان، فأنكر عليها ذلك، فقال له ﷺ: «يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا» (١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة المنورة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال ﷺ: «ما هذان اليومان»؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. قال ﷺ: «إن الله قد أبدلكم بهما خيرا منهما: يوم الفطر، ويوم النحر» (٢).

مشروعية التجمل

كان الصحابة، رضي الله عنهم، يخصون العيد بمزيد من التجمل، فقد صح عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين (٣) وكان يغتسل قبل صلاة العيد (٤).

ويشرع للذاهب إلى المصلى أن يذهب من طريق، ويرجع من طريق آخر ماشيا. عن جابر رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق» (٥).

وعن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، قال: «من السنة أن تخرج إلى العيد ماشيا، وأن تأكل شيئا قبل أن تخرج» (٦).

مشروعية التكبير

بعد إكمال الصيام، شرع لنا التكبير، ويشرع لكل أحد أن يجهر بالتكبير عند الخروج إلى العيد، وهذا باتفاق الأئمة الأربعة (٧). ويسن للرجال الجهر بالتكبير، فقد كان ابن عمر، رضي الله عنهما، إذا غدا يوم الفطر ويوم الأضحى، يجهر بالتكبير حتى يأتي المصلى ثم يكبر حتى يأتي الإمام (٨). وصلاة العيد مشروعة للرجال والنساء.

الهوامش

١- رواه البخاري في صحيحه، ٢٠/٢.
٢- أخرجه أحمد (١٣٣٣١)، والنسائي (١٥٥٧).
٣- كما في فتح الباري، ٤٣٩/٢.
٤- الموطأ لمالك بن أنس، ١٧٧/١.
٥- البخاري - حديث رقم (٩٧٤).
٦- رواه الترمذي برقم (٥٢٩) وقال: هذا حديث حسن.
٧- مجموع الفتاوى ٢٢٠/٢٤.
٨- رواه الدارقطني والبيهقي، وهو ضعيف، (نصب الراية ٢٠٩/٢).

لكل شيء شين

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: «لكل شيء شَين، وشَين العلم الطمع، لو كان علم المرء وقر جمل لم ينفع إلا بحسن العمل».
وقال الشافعي رحمه الله:
«لا يطلب هذا العلم أحد بالتملّك وعزِّ النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش، وخدمة العلم؛ أفلح».

(الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد، ص:٥٥)

لحوم العلماء مسمومة

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «لحوم العلماء مسمومة، من شمَّها مرض، ومن أكلها مات».
وقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله تعالى: «اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن نخشاه ونتقيه حق تقاته، إنَّ لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقديهم معلومة، وأنَّ من أطلق لسانه في العلماء بالثلب؛ بلاه الله بموت القلب.
قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(النور:٦٣).

(الدر النضيد، ص:٥٨)

أمة الحفظ

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «إن الله عزوجل خص هذه الأمة بحفظ القرآن والعلم، وقد كان مَن قبلنا يقرؤون كتبهم من الصحف، ولا يقدرون على الحفظ، فلما جاء عزيرٌ فقرأ التوراة من حفظه، قالوا: هذا ابن الله، فكيف نقوم بشكر من خوَّلنا أنَّ ابن سبع سنين منَّا يقرأ القرآن عن ظهر قلب، ثم ليس في الأمم ممن ينقل عن نبيه أقواله وأفعاله إلا نحن».

(الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ، ص:٢٣)

الشهادة والرواية

قال العلّامة ابن القيم رحمه الله: «الفرق بين الشهادة والرواية أن الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على ممر الأزمان، والشهادة تخص المشهود عليه وله، ولا يتعداهما إلا بطريق التبعية المحضة، فإلزام المعين يتوقع منه العداوة وحق المنفعة والتهمة الموجبة للرد، فاحتيط لها بالعدد والذكورية، ورُدّت بالقرابة والعداوة وتطرُّق التهم، ولم يفعل مثل هذا في الرواية التي يعم حكمها ولا يخص، فلم يشترط فيها عدد ولا ذكورية، بل اشترط فيها ما يكون مغلبا على الظن صدق المخبر وهو العدالة المانعة من الكذب واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط».

(فرائد الفوائد، ص:١٧).

مزارع الألسن

قال الإمام الشافعي رحمه الله:
إن الأفئدة مزارع الألسن؛ فازرع الكلمة الكريمة فيها؛ فإنها إن لم تنبت كلها؛ نبت بعضها.

(مناقب الشافعي للبيهقي، ٧٦/٢).

قرآن نافع وسنة ماضية

لقي ابنُ عمر جابر بن زياد في الطواف فقال:
يا جابر إنك من فقهاء البصرة، وإنك تُستفتى، فلا تفتين إلا بقرآن ناطق، أو سنة ماضية، فإن لم تفعل؛ هلكت وأهلكت.

(تذكرة الحفاظ، ٧٢/١).

من عجائب الحفاظ

يقول الإمام أبو بكر الجعابي (ت:٣٥٥هـ) رحمه الله تعالى: «دخلت الرَّقَّة، وكان لي ثَم قمطران كتب، فجاء غلامي مغموما وقد ضاعت الكتب، فقلت: يا بني، لا تغتم، فإن فيها مئتي ألف حديث لا يُشكل علي حديث منها لا إسنادُه، ولا متنه».

وقال عبد الواحد بن إسماعيل الرُّوياني (ت:٥٠٢هـ) رحمه الله: «لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي».

وذكروا في ترجمة الإمام السَّرَخْسي (ت:٤٨٣هـ) رحمه الله، أنه كان إماما جبلا في الحفظ يتوقد ذكاء، ولما ذكروا له في أثناء طلبه للعلم أن الإمام الشافعي كان يحفظ ثلاثمائة كُرَّاس؛ قال: «حِفظُ الشافعيِّ زكاةُ محفوظاتي»...فحسب ما كان يحفظ؛ فكان اثني عشر ألف كراس.

ودخل على الإمام البُلقيني أحد تلاميذ ابن تيميّة رحمه الله – وهو ابن قاضي الجبل – فقال: «أيهما أحفظُ، أنا أم أنت؟» فبدأ البلقيني بسرد الأحاديث على الأبواب الفقهية من بعد العشاء إلى أن طلع الفجر، وقد وصل إلى كتاب النكاح، فقام تلميذ ابن تيمية وقبَّل بين عينيه، وقال: «ما رأيت بعد شيخنا ابن تيمية أحفظ منك».

(قوة الحافظة وكثرة المحفوظات للغزي، ص:٧)

بين الخير والشر

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى:
ولاريب أن في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور مالا يعلمه إلا مَن أحاط بكل شيء علمًا، لكن كل شر يكون في بعض المسلمين فهو في غيرهم أكثر، وكل خير يكون في غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم.

(مجموع الفتاوى، ٢٣/٤).

التنقيب عن النصوص المتضمِّنة

كانت حالات النقل والاحتواء مجالا للبحث والاستقصاء عند العلماء، وكان بعضهم للبعض بالمرصاد، يرجعون الأقوال والنصوص إلى مصادرها الأصلية؛ فابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، مثلا في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» يقول: «اختصر ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) في كتابه «غريب الحديث» من كتاب الهروي (ت:٤٠١هـ) وانتزع منه أبوابه شيئًا فشيئا، ولقد قايست ما زاده في كتابه على ما أخذ من الهروي فلم يكن إلا جزءا يسيرا».

وقد أصبحت هذه الظاهرة مجالا للدراسات النصية في عصرنا، ومن نماذجها: منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب «الحيوان» نصوصا ودراسة.

(النهاية لابن الأثير، (١/١٠)، كشف الظنون، ١٢٠٦/٢).

محمد سعد الحداد
صحفي مصري

وداعا.. الطاهر مكي

كان الطاهر أحمد مكي الحارس على الأدب الجاد الهادف الأصيل، وتعددت دراساته العلمية، واتسعت إسهاماته؛ لتضيف إلى المكتبة العربية والإسلامية منجزا فكريا ستظل الأجيال تتوارثه جيلا بعد جيل، فما أجمل أن يهب الإنسان حياته للعلم، حتى إذا رحل ظلت أعماله ترسخ فهما، أو تصحح خطأ، أو تزيل لبسًا.

كان منزل الرجل بضاحية الدقي بالقاهرة مقصدا لكل المثقفين وطلاب العلم على اختلاف توجهاتهم، يلقى الجميع بابتسامة بشوشة، وسرعان ما يقوم على خدمتهم بنفسه، كان الرجل التسعيني يقوم فيعد لضيوفه الطعام والشراب في حفاوة بالغة تعيد إلى الأذهان سيرة العلماء الأوائل في تواضعهم، كم كان قلبه ناصع البياض لا يعرف الحقد والمدارة

شيء من سيرته

هناك في أقاصي الصعيد بجنوب مصر، وفي عائلة تنتمي لقبائل عرب المطاعنة، ولد الطاهر أحمد مكي في السابع من أبريل سنة (١٩٢٤م) في قرية «كيمان المطاعنة» بمركز «إسنا» الذي كان تابعا لمحافظة «قنا» آنذاك قبل أن تنتقل تبعيتها الإدارية إلى محافظة الأقصر الشهيرة.

تلقى الطاهر تعليمه الأولي «بقنا» فتحصل على الابتدائية الأزهرية من المعهد الديني «بقنا»، ثم انتقل إلى القاهرة، فحصل على الثانوية من هناك، والتحق بكلية دار العلوم بالقاهرة فحصل على الليسانس الممتازة عام (١٩٥٢م)، ثم ذهب إلى إسبانيا في بعثة علمية حيث حصل على الدكتوراة في الأدب والفلسفة بتقدير ممتاز من كلية الآداب بالجامعة المركزية بمدريد عام (١٩٦١م).

عاد الطاهر إلى مصر ليتدرج في السلك الوظيفي بكلية دار العلوم التي كانت - ولا تزال - مقصد المحافظين الحريصين على الأصالة والهوية، فعمل مدرّسا، فأستاذا مساعدا، فأستاذا، ثم رئيسا لقسم الدراسات الأدبية، وتولى وكالة الكلية لشؤون الدراسات العليا والبحوث.

لم يقتصر عمل الطاهر على بلده مصر، وإنما كانت له سفراته التي أفاد منها كثيرون، وأفاد هو أيضا في اطلاعه على ثقافات أخرى، فعمل أستاذا زائرا بجامعة «بوغوتا» الكولومبية، وجامعات إسبانيا، فأتيح له الاطلاع على الإبداع الأدبي باللغة الإسبانية، كما عمل في عدة دول عربية منها: تونس، الجزائر، والمغرب، والأردن، والإمارات.

وفاته

وفي يوم الأربعاء (٩رجب ١٤٣٨هـ)، الموافق (٥أبريل٢٠١٧م) صعدت روح عاشق الأندلس، وعميد الأدب الإسلامي المقارن الأستاذ الدكتور الطاهر مكي بعد عقود قضاها في محراب العلم، فتخرج على يديه أساتذة كبار ملؤوا الأرض علما، وحمل جثمانه إلى مسقط رأسه بمصر العليا ليُوارى الثرى حسب وصيته، ويظل الكُتَّاب الذي أنشأه لتحفيظ القرآن الكريم في بيته شاهدا على حب الرجل للقرآن وأهله، كما أعد الدور الثاني من الديوان ليكون مكتبة عامة لأبناء قريته، تنقل إليها مكتبته الخاصة بعد وفاته، كما قرر أهله إنشاء جائزة باسمه لحفظة القرآن الكريم، وجائزة أخرى بحثية لأحسن عمل أدبي، وأحسن رسالة علمية، بوديعة من ماله الخاص.

القاهرة - د. هند
عبدالحليم محفوظ
كلية الدراسات الإنسانية
جامعة الأزهر

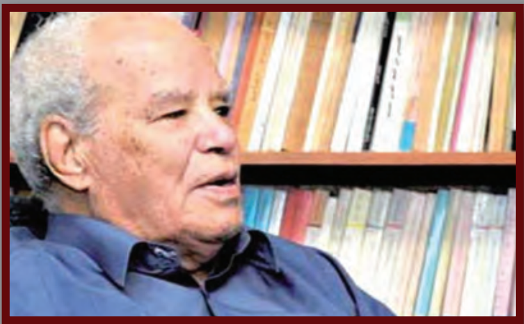

رحيل رائد الأندلسيات في العالم العربي

غيب الموت الدكتور الطاهر مكي، رائد الدراسات الأندلسية في العالم العربي وعميد الأدب المقارن وأستاذ النقد الأدبي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، عن عمر يناهز الثالثة والتسعين عاما. وقد ولد في العام ١٩٢٤م في قرية تسمى «المطاعنة»، تابعة لمركز إسنا (محافظة الأقصر حاليا). وبرحيل الدكتور الطاهر مكي تفقد الثقافة العربية آخر الرواد الذين نقلوا لنا كنوز التراث الأندلسي إلى العربية، بعد رحيل أحمد ضيف، وحسين مؤنس، ومحمود مكي، ومحمد عبدالله عنان والدكتور عبداللطيف عبدالحليم. فالدراسات الأندلسية في عالمنا العربي مظلومة، وأصحابها يحفرون في الصخر بأظافرهم؛ لعدم اكتمال أدوات البحث والنظر لدى أغلبهم، لأن الحقل لا يزال بكرا، وطارقيه المؤهلين له محدودون، مع اشتداد أهميته في تلك الظروف المتعاقبة التي نعيشها حاضرا. تخرج الطاهر مكي في كلية دار العلوم عام ١٩٥٢م، وسافر إلى إسبانيا نهاية خمسينيات القرن الماضي، وحصل على دكتوراه الدولة من جامعة مدريد المركزية، وكان تقديره «امتيازا».

والدراسات الأندلسية حقلها عسير وغامض، وتوقف أغلب الناس عند الأسى العاطفي الذي يغمرنا حين نتناول الأندلس، فإذا به (مع هذا الأسى العاطفي) يعرف الطريق جيدا، فتصدى للدراسات الأندلسية التي عاناها المستشرقون الإسبان والفرنسيون والألمان، وترجمها من لغتها الأصلية أو من لغات وسيطة، فحقق لنا كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم الأندلسي، الذي ترجمته اليونسكو إلى كل لغات العالم، آخرها اللغة اليابانية، ولقي رواجا هائلا في اليابان، ويعد الكتاب دستور المحبين والعشاق، في كل زمان ومكان، حيث يتحدث عن العاطفة ونشأتها وجمالها وبهجتها، ويضرب الأمثلة على ذلك من حياة ابن حزم نفسه ومن حياة أصدقائه، واصفا السعادة التي يعيشون فيها، والهدايا التي يقدمونها، ووسائل التلاقي بين المحبين. والكتاب لا يتحدث عن الحب فقط، ولكنه قمة من قمم الفكر الإسلامي، فهو ليس كتاب إثارة، ولكنه تشريح علمي لعاطفة الحب. كما ترجم كتاب «الفن العربي في إسبانيا وصقلية»، وهو ترجمة لكتاب المستشرق الألماني فون شاك. كما ترجم كتاب «التربية الإسلامية في الأندلس»، وهو ترجمة لكتاب المستشرق الإسباني خوليان ريبيرا، و«الشعر الأندلسي في عصر الطوائف»، وهو ترجمة لكتاب المستشرق الفرنسي هنري بيريس، والأدب الأندلسي من منظور إسباني.. دراسات لكبار المستشرقين الإسبان. و«ابن حزم القرطبي»، وهو ترجمة لكتاب المستشرق الإسباني الكبير آسين بلاثيوس. كما حقق كتاب «تحفة الأنفاس وشعار سكان أهل الأندلس» لابن هذيل الأندلسي. وكان الطاهر مكي بحواشيه القيمة يضيف إلى النص ويقوي الرأي، ناقدا ومعللا، ومضيفا في تواضع جم، وإنصاف حصيف.

كان مكي مؤلفا ومترجما، واستطاع أن يوازن بين هاتين الملكتين في وفاق عجيب، ليؤكد أن الثقافة الإنسانية واحدة حين تمتزج في عقل مثل عقله. والطاهر مكي كان يترجم ويكتب في الأدب والسياسة. لديه كتاب عمدة في الأدب الجاهلي بعنوان «امرؤ القيس حياته وشعره»، الذي يعد أقدم شاعر وأول مجحود، فكان امرؤ القيس شاعر نفسه، انطوى داخلها وفاض عنها، فلم يشارك في مدح أو هجاء أو رثاء، فحفظ الطاهر مكي للشاعر مكانته في قبيلته كندة في اليمن، ويعد بالقبيلة إلى موضوعها من الشعب، ويأخذ الشعب مكانه في أمة سكنت قديما ذلك المستطيل من الأرض تطوقه مياه المحيط والبحار من جهات ثلاث، عرف عبر التاريخ باسم شبه الجزيرة العربية.

كما قدم للمكتبة العربية كتابه العمدة في مجال الأدب المقارن تحت عنوان: «الأدب المقارن.. أصوله، مناهجه، تطوره»، وهو كتاب لا مثيل له، استغرق تأليفه خمسة عشر عاما. عرض فيه لنشأة التيارات الأدبية العالمية المختلفة والتأثير والتأثر بين الآداب العالمية.

لقد حرص الطاهر مكي في كل مراحل حياته على أن يكون نموذجا للعالم الحقيقي والباحث القدوة والرائد الذي يأخذ بأيدي مريديه وتلامذته إلى آفاق جديدة غير مطروقة. رحمه الله رحمة واسعة.

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

هل هي نهاية عهد الكتاب الورقي لدى النخبة؟

إن الوقوف على هذه القضية المراد إثارتها ليس من باب التخمين أو الظن أو الحدس أو حتى من باب الملاحظة والإشارة العابرة، بل هي من صميم وخلاصات نتائج الدراسات والأبحاث التطبيقية والميدانية العلمية الواقعية التي أفرزتها الأطراف المتعاملة مع هذا المنتج المعرفي المسمى بالكتاب الورقي، ومع الجهة الأخرى المقابلة من المستهلكين له، سواء أكانوا نخبا أو من عامة المثقفين والمتعلمين.

والملاحظ أن النخب وغيرها قد ارتمت منذ عقد من الزمن على الكتاب الإلكتروني، مديرة ظهرها للكتاب الورقي، الذي صار منتجا وبضاعة غير مقصودة لذاتها كما كان من قبل، بحكم تعويض الكتاب الإلكتروني في عهد ما يسمى - تجاوزا - بعصر أو زمن «المعرفة».

غير أن النتائج البحثية الميدانية التي أجريت على النخب (أساتذة، باحثين، مثقفين، طلبة...) وعلى وتيرة المقروئية لديهم، بينت تراجع نسبة ووتيرة ونوعية وكمية ودافعية المقروئية لديهم.. إذ بينت أنها تدنت إلى مستويات مقلقة ومثيرة لتوجيه التحذيرات والتنبيهات لمصير ومستقبل الكيانات والشعوب العربية والإسلامية المعرفي والعلمي والثقافي.

هذه النخب - للأسف - التي أساءت استخدام الوسائط الحديثة، وأخطأت التعامل مع المنجز الإلكتروني، إذ تحولت تلك النخب - كسائر الجمهور الاتصالي الاعتباطي - عن القراءة والبحث والاكتشاف والتعلم والارتقاء.. إلى التسلية والترفيه والتواصل المرضي والأرعن، مبددة بذلك أفضل وأقدس ما عندها من جهود وطاقات وزمن حضاري فاعل ومنتج.

والإشكال الكبير المطروح اليوم هو: مدى استفادتنا وتقدمنا ونهضتنا من الكتاب الإلكتروني الذي ظننا أنه عوض الكتاب الورقي؟ وغيره من الأسئلة الكثيرة والمحيرة: عن ما آل إليه وضعنا (النخب العلمي والفكري والثقافي والأدبي واللغوي والاقتداري.. في ظل إضاعة وإهدار الطاقات والزمن؟ وعن مستقبلنا كأمة تحمل رسالة سماوية ومقدسة إلى العالم؟

• أ.د. أحمد محمود عيساوي

هل للتحديات دور في زيادة صلابة الإنسان؟

إن من أروع ما في الشخصية الإنسانية تلك الرغبة في تحدي المستحيل التي تدفع بقهر الصعاب.

موقف تتخذ فيه قرارا - تكون أو لا تكون - في اللحظة لن تنتظرك طويلا، وقد لا تعود إليك مرة أخرى، وتبقى في ما بقي من عمرك تبحث عن ذاتك، ومعنى لوجودك.

ربما هذه التحديات تتجاوز قدرتنا، ونقول لأنفسنا إنه ليس بمقدورنا عمل الكثير لمواجهتها، إلا أنها تظل تؤثر علينا تأثيرا عميقا، وربما دون أن ندرك مدى عمق تأثيرها، ومن هنا علينا القيام بتشخيص وصفي للعلاقة السببية الناشئة عن مدى زيادة صلابة الفرد في خوض غمار التحديات، وهل فعلا الوقوف كثيرا بسكون لا يعلمنا أن نعدو بشكل جيد؟ وماذا عن السقوط المتكرر، هل يكسبنا القدرة على اجتياز المصاعب؟

يقال أن الإصرار، والرغبة، والتجارب، تعمل على تكوين المخزون العقلي الذي يساعد الفرد على تجاوز وقهر الظروف الصعبة، على أن تكون مصحوبة بقدرة مسبقة على الوصول للهدف حتى لو تعرض الفرد للفشل فإنه يستطيع أن يكرر التجربة؛ بمعنى: أن ثمة قوانين طبيعية تمارس عملها بطريقة آلية، وهذه القوانين، أو المبادئ تنبع من استقامة الشخصية، والتعلم الجيد، والمهارات، و العلاقات التي تتطور مع الوقت، والنزاهة، والصدق، والعمل الجاد، والرحمة بالآخرين؛ لهذا نتساءل عن مدى نجاعة هذه القوانين لتشكل دِرعًا صلبا يحتمي به الفرد في خوض غمار تحديات الحياة.

جميلة مرابط

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

أخي المسلم الغربي: قلها بفخر: أنا مسلم

لنا إخوة يعيشون في بلاد الغرب، يتعرضون لنظرات من الشك والريبة، لهي والله أشد على نفوسهم من وقع الحسام المهند، لا لشيء إلا لأنهم يدينون بالإسلام. ومعلوم أن السبب الرئيس في هذه النظرة الموجعة هو ارتكاب قلة من الغلاة عدة حوادث هنا أو هناك في بلاد الغرب، فإذا بالكثيرين من أهل الغرب يعمّمون الحكم على كل من ينتسب إلى الإسلام.

فما أحوج إخواننا المسلمين هناك - وهم بالملايين - إلى الدعم المعنوي منّا، كي يثبتوا على الدين الحق، دين السلام والمحبة.

أخي المسلم الغربي:

من الفخر أن تكون مسلما، ومن قال بصدق وفخر: أنا مسلم؛ فقد تناغم مع منظومة الوجود، وأدرك الغاية ألا وهي: التسليم لرب العزة والجلال، فكل شيء - كل شيء - ينطق ويقول: أنا مسلم.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (آل عمران:٨٣). فيامن سلَّم أمره لله، وتوكل على سيده ومولاه، وفوّض أمره كله لمشيئته، وآمن بقضائه ورضي بقدره، ويامن سلم الناس من لسانه ويده، واستقام على المحجة البيضاء، والنقية السمحاء، هنيئا لك الإسلام، وهنيئا لك الفخر بالإسلام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣). ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة:١١٢).

إنها والله كلمة طيبة، وشجرة طيبة، أغصانها باسقة، وثمارها شهية، ولِمَ لا وجذرها الإسلام؟ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (إبراهيم:٢٤-٢٥).

هذه الشجرة الطيبة التي امتدت أغصانها إلى هناك منذ زمن بعيد تحتاج منّا أن نرويها بدعم معنويات إخواننا هؤلاء حتى يثبتوا على دينهم، دين الحق، والخير، والسلام. فليفكر كل منّا: كيف السبيل إلى دعمهم وتثبيتهم؟ والله من وراء القصد.

نجاح عبد القادر سرور

علماؤنا بين سخرية الألقاب وذيوع الكنى

لا يخفى على كثير ممن أعطاهم الله من فضل علمه شهرةَ كثيرٍ من علمائنا وشعرائنا بألقابهم أو ذيوع صيتهم بكناهم، وهو أمر قد يستطرفه البعض، وقد يتندرٌ به البعض غير ملق بالا لما قد يستتبع ذلك من سخرية من عالم جليل قدم لأمته ولدينه من العلم ما فتح الله به عقولا مغلقة وقلوبا مؤصدة؛ فكثيرا ما نردد لقب «الجاحظ» وإذا ذهبت لتسأل عن سبب إلصاق هذا اللقب بصاحبه فستأتيك جل الإجابات على الفور: «لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه» فإذا سألت عن اسم صاحب هذا اللقب ارتد إليك السؤال، غالبا، وهو حسير، فإذا استزدت من المعرفة بالسؤال عن مولده أو وفاته أو أهم مؤلفاته أو أسلوبه في الكتابة والتأليف فلن تعود بكبير طائل!

ولا يقف الأمر عند «الجاحظ» بل يتعداه إلى كثير غيره من علمائنا وشعرائنا الذين كانوا نبراسا لمن بعدهم في شتى العلوم والمعارف، وخذ على سبيل المثال لا الحصر ألقابا وكنى من مثل: «الأخفش - الأعرج - الأعمش - ابن خروف - سحنون - الثعالبي - ابن طباطبا - قطرب - ابن مقلة - الرفاء - الببغاء - ابن الشجري...إلخ» والقائمة تطول، ولكل لقب من هذه الألقاب ولكل كنية سبب أو قصة ليس هنا مجال الاستفاضة فيها.. وإنما ما يشغلنا هو أن يرتبط ذهن الناشئة بالألقاب والكنى التي تساق في سياق الذم أو السخرية؛ فترسخ في أذهانهم صورة أو فكرة فيها من الاحتقار أو السخرية من عالم أو شاعر كان الأجدر بنا أن نجله ونحترمه، ونعلم أبناءنا قيمة العلم في أشخاص هؤلاء العلماء والشعراء، وأن نلقي الضوء على بعض مؤلفاتهم، وعلى تجردهم في طلب العلم وسعيهم الدؤوب في تحصيله، فيكون ذلك داعي همة في نفوسهم لا داعي سخرية واستهزاء.

والعجيب الغريب أنك تجد السياق سياق تندر من قبل البعض دون أن تتحرك شفتاه بالدعاء والترحم على من أسدوا إلى الأمة خدمات جليلة رهنوا لها أعمارهم، ووقفوا عليها حيواتهم!

إننا بحاجة إلى إعادة نظر في طريقة تناولنا لعلمائنا وأسلوب تعاطينا مع قضايا تراثنا.. وإني أقدر رأي من يقول بأن كثيرا من العلماء طغت ألقابهم أو كناهم على أسمائهم؛ فبهذه الألقاب عرفوا، وبها ذاع صيتهم، فعلقوا في أذهان المتعلمين، ولكن هذه مرحلة ولابد أن يعقبها بث روح التوقير والتبجيل في نفوس المتعلمين، ولنبق على تلك الألقاب والكنى التي تحمل معاني المدح والتعظيم، أما تلك التي تحمل في طياتها سخرية أو تقليلا من القدر فعلينا أن نقف عندها تصحيحا لمفاهيم، وإبعادا لمظنة استخفاف، ولنتبع اللقب أو الكنية بالاسم؛ خاصة وكثير من الألقاب والكنى مشتركة بين أكثر من عالم أو أديب أو لغوي أو نحوي.

وأخيرا فليكن آخر شعارنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (الحجرات:١١). رحم الله علماءنا وجزاهم الله خيرا عما قدموه خدمة لدينهم ولأمتهم.

د. عبد المنعم مجاور

جديدنا

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
الوعي الإسلامي
Al-waei Al-Islami
مجلة كويتية شهرية جامعة
ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (١٥)
التحجي
في حروف التهجي
للإمام الشيخ إسماعيل حقي الإستانبولي
(١٠٦٣ - ١١٣٧هـ)
تحقيق
الأستاذ الدكتور
محمد السيد علي بلاسي
عضو المجلس العالمي للغة العربية
الإصدار: مائة وثمانية وثلاثون
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

العدد (٦٢٧) ذوالقعدة ١٤٣٨ هـ - يوليو - أغسطس - ٢٠١٧ م

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

الشباب محور تقدم الأمم

- الكويت عاصمة للشباب العربي
- وتعاونوا على البر والتقوى
- أمجاد العرب المسلمين

هدية العدد: بوستر علم الثقافية

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

مجلة الوعى الإسلامى | www.alwaei.gov.kw | info@alwaei.com | موقع مجلة الوعي الإسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا

الطبعة الثانية

المذهب عند الحنفية - المالكية - الشافعية - الحنابلة

يُعتبر هذا الكتاب من الكتب القيّمة المفيدة لطلاب العلم؛ حيث يُمثل مدخلًا إلى المذاهب الفقهية الأربعة، ويُبرَز فيه المراحل التي مرَّت بها هذه المذاهب، وأهم الكتب التي صُنِّفت في هذه المراحل، وأبرز علماء كل مرحلة، وما استقرت عليه الفتوى في كل مذهب.

الافتتاحية

الشباب عماد الأمة وركن حضارتها

الحمد لله الذي أنعم على الإنسان بمرحلة الشباب، وفتح له فيها من أسباب الهداية كل باب، والصلاة والسلام على نبينا محمد، بعثه الله بالهدى، وأيده بالشباب، وأرسله بالتقى، وزينه بالحكمة وفصل الخطاب.

أما بعد؛ فإن الله عزوجل قد مدح الشباب في القرآن؛ فسماهم فتية، فقال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ (الكهف:١٣). فهم عماد الأمم وكنزها الثمين وركن حضارتها وأملها المشرق، وهم الذين اتبعوا الرسل وصدقوهم، ولاسيما إذا نشأ هؤلاء الشباب في طاعة الله، ليكونوا ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: «شاب نشأ في عبادة ربه» (رواه البخاري:٣٤٨).

لا ريب أن الإسلام قد أولى الشباب كامل العناية والاهتمام، ولا غرو في ذلك؛ فإذا كانت قضية الاهتمام بالشباب وتحصينهم مهمة في كل زمان ومكان؛ فإنها تزداد أهمية في هذا العصر الذي تتابع فيه الغزو الفكري، وتعددت قنواته، وتنوعت وسائله.

إن وجود أجيال من الشباب دون حصانة حقيقية؛ لهو قصور في حقهم وحق المجتمع، وجناية على الأمة بأسرها؛ لذلك كان حقا على أهل الإسلام أن يقوموا بمسؤولياتهم في تحقيق هذا الأمر بكل ما أوتوا من إمكانات، وأن يغرسوا في نفوس شباب الأمة العقيدة الصافية والفكر الوسطي السليم، متمثلين في ذلك قول نبينا ﷺ: «كلكم راع، ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته» (رواه البخاري: ٢٥٥٨).

فينبغي على شباب الأمة التمسك بقيم الدين وخلقه الرصين، والانتقال من أزمات الوعي إلى وعي الأزمات، وعدم الانشغال بالأسماء عن المسميات، وأن يكون لهم في سلفهم من شباب الأمة أسوة حسنة، فكتب التاريخ عجت بأخبارهم، ومصنفات السير امتلأت بأفعالهم، كابن عباس، ومعاذ ابن جبل، وأسامة بن زيد، رضي الله عنهم، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهم الله.. وغيرهم.

وعليه؛ فإن من أولى ما يجب الاهتمام به في هذه الآونة العصيبة تحصين مدارك الشباب وثقافاتهم؛ فعن ابن الماجشون قال: قال لنا ابن شهاب، ونحن غلمان أحداث: «لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يبتغي حدة عقولهم» (رواه البيهقي في الكبرى:٢٠٣٣١).

لقد كثرت مساعي أعداء الأمة لعزلها عن تاريخها العاطر، حتى خرجت أجيال لا تحمل هم الدين، ولا تكترث لحاله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ (البقرة:٢١٧).

إن أهمية مرحلة الشباب تكمن في تمحور السؤال عنها يوم القيامة؛ فعن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم» (رواه الترمذي:٢٤١٦).

فليعمل الشباب وليجتهدوا، وليشحذوا هممهم؛ فنهضة الأمة لن تقوم إلا على أكتافهم، ورحم الله من حثهم بقوله:

رجالَ الغد المأمول إنا بحاجة ... إلى قادة تبني وشعب يُعمِّر
رجالَ الغد المأمول إنا بحاجة ... إلى عالم يدعو وداع يُذكِّر
فكونوا رجالا عاملين أعزة ... وصونوا حمى أوطانكم وتحرروا

رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٧ | ذوالقعدة ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
يوليو - أغسطس ٢٠١٧م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

التوزيع

وكيل التوزيع «الكويت»: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع
هاتف: ٢٢٦١٢٤٠٥- ٢٢٦١٢٤٠٦ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٦١٢٤٠٢ (٠٠٩٦٥)

• المملكة العربية السعودية: الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٦١٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٨٧٠٨٠٩	• مصر: مؤسسة أخبار اليوم هاتف: ٠٠٢٠٢٢٥٨٠٦٤٠٠ - فاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٧٨٢٥٤٠
• مملكة البحرين: مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٣٣ - فاكس: ٠٠٩٧٣١٧٤٨٠٨١٨ ٠٠٩٧٣١٧٦١٧٧٤٤	• السودان: دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٢ - فاكس: ٠٠٢٤٩١٨٣٢٤٢٧٠٣
• قطر: دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨٠٩/١٠/١١ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٥٥٧٨١٩	• لبنان: مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦١١٦٦٦٦٦٨ - فاكس: ٠٠٩٦١١٦٥٣٢٦٠
• الإمارات العربية المتحدة: دار الحكمة للنشر والتوزيع هاتف: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس: ٠٠٩٧١٤٢٦٦٩٨٢٧	• المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف هاتف: ٠٠٢١٢٥٢٢٥٨٩١٢١ - فاكس: ٠٠٢١٢٥٢٢٩٧٦٨٣٢
• سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع هاتف: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٢٩٣٦ - فاكس: ٠٠٩٦٨٢٤٤٩٣٢٠٠	• تونس: الشركة التونسية للصحافة هاتف: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٣٠٠٤
• الأردن: وكالة التوزيع الأردنية هاتف: ٠٠٩٦٢٦٥٣٥٨٨٥ - فاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٣٧٧٣٣	

سعر النسخة

• الكويت: ٥٠٠ فلس • السعودية: ٥ ريالات • البحرين: ٥٠٠ فلس • قطر: ٥ ريالات • الإمارات: ٥ درهم
• سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن: دينار واحد • مصر: ٢ جنيه • السودان: ٠,٥ جنيه • لبنان: ٢٠٠٠ ليرة
• المغرب: ١٠دراهم • تونس: دينار واحد تونسي.

المحتويات

كلمة العدد

الشباب ونهضة الأمة

الشباب هم قلب الأمة النابض وحاضرها الزاهر ومستقبلها الواعد، على أكتاف الشباب تبني الأمم نهضتها، وتقيم الشعوب حضارتها، ولم تقم حضارة الإسلام في الأرض، ولم ترتفع رايته، ولم تنتشر في العالمين دعوته إلا على أيدي الشباب، فالذين دخلوا في الإسلام وحملوا عبء الدعوة منذ ظهوره كان معظمهم من الشباب، إذ كانت تتراوح أعمارهم ما بين السادسة عشرة وحتى الثلاثين.

وإذا أردت أن تعرف مستقبل أمة فسل عن رصيدها من الشباب، فإن رأيت شبابا أصحاب همة عالية وطموح بعيد واهتمام بشؤون أمتهم، وانصراف عن حياة الدعة والراحة والخمول، فاعلم أنها أمة ذات مستقبل باهر، وإذا رأيت شبابا خاملا كاسف البال منصرفا إلى شهواته وملذاته منكفئا على نفسه فقل على هذه الأمة السلام.

شباب قنع لا خير فيهم

وبورك في الشباب الطامحينا

نريد من الشباب أن يدركوا عظم المهمة الملقاة على عاتقهم في ظل الظروف العصيبة التي تحياها الأمة، وأن يكون منهم بناة مجد الأمة واستعادة ريادتها في العالمين.

مدير التحرير

فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).

● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. محمد عطية متولي
إمام وخطيب أول بوزارة
الأوقاف الكويتية

وتعاونوا على البر والتقوى

تتميز شخصية المسلم بمجموعة من القيم تشكل وجدانه وترسم مساره في الحياة، هذه القيم نابعة من دينه لتحقق وظيفة الإنسان في عبادة الله وعمارة الكون، ومنها قيمة التعاون.

انفرد الله سبحانه وتعالى بوصف الغنى المطلق وفطر عباده على حاجتهم إليه سبحانه وتعالى فلا يستغنون عن معونة الله عزوجل لحظة من ليل أو نهار.

خلق الله الخلق ورزقهم من فضله قدرات عقلية وبدنية ونفسية متفاوتة فمن الناس من هو قوي البدن لكنه لم يبلغ من الذكاء ما يستطيع به تدبير أمور نفسه ومن الناس من هو صاحب عقل كبير لكن بدنه ضعيف يحتاج لمن يجلب له حاجاته وهكذا.. فلا تتم حياة البشر بدون التعاون.

الناس للناس من بدو وحاضرة

بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

وإن لقمة واحدة من خبز كفيلة ببيان حاجة الإنسان إلى التعاون عندما تتأمل في هذه اللقمة تجد كم تعاون فيها من أشخاص وعلوم وصناعات حتى تصل إلى فمك.

إذا سلكنا الطريق من بدايته نجد من انتقى الحبة لكي تكون بذرة صالحة مثمرة منتجة ومن هيأ الأرض لتصلح للزراعة والآلات التي ساعدت على تهيئة الأرض والعلوم التي أدت إلى اختراع هذه الآلات والصناعات التي قامت بإنتاج هذه الآلات ومن بذر البذرة ومن تعهدها بالري والآلات المستخدمة في الري والعلوم التي أدت إلى اختراع آلات الري والصناعات التي أنتجتها والعلوم التي تنظم وصول الماء؛ ماء الأنهار أو ماء المطر أو ماء الآبار عبر القنوات حتى يصل من منبعه إلى البذرة.. كل ما سبق وغيره مما لم نذكره لكي تصل لقمة واحدة إلى فمك.. كل هذه العلوم والصناعات والأشخاص تعاونت فيما بينها لكي توفر لنا لقمة خبز.

حث السنة النبوية على التعاون

حثت السنة النبوية على التعاون في جملة من أقوال النبي ﷺ منها «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه» صحيح البخاري.

ومنها قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» صحيح مسلم. فالنبي ﷺ يشبه علاقة المؤمن بغيره من المؤمنين بالبنيان الذي لا يكتمل إلا بتعاون أعضائه فيما بينهم، واللبنة الواحدة لا تحمي من الحر ولا البرد ولا تستر شيئا، لكنها إذا انضمت لغيرها سترت وآوت وحمت من بداخلها. قال القاضي عياض: فتشبيهه المؤمنين بالجسد الواحد.. فيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضا (١).

كما يشبه النبي ﷺ علاقة المؤمن بغيره من المؤمنين بعلاقة أعضاء الجسد الواحد الذي تربطه وصلات عصبية قوية تنقل الإحساس بالألم من أقصى الجسد إلى أقصاه كما تعين

بقية أجزاء الجسد السليمة الجزء المصاب وتظل على هذه الحال مهما كان الجهد المبذول في هذا التعاون وإن حرمها الراحة حتى تعود العافية إلى الجزء المصاب، ونفهم من ذلك أن البناء الحضاري لا يمكن أن يتم دون الشعور بأن الناس جميعا جسد واحد وأن الجسد الواحد لا يمكن أن يتجه إلى غايته وبعضُه مصاب بما يعرقل عمله، وأن الواجب على المسلمين أن يتعاون بعضهم مع بعض كما تتعاون أعضاء الجسد بعضها مع بعض.

منزلة التعاون من الإيمان

البعض ينظر إلى تعاونه مع الآخرين على أنه فضل منه، فإذا قام به انتظر الشكر وإن لم يقم به فلا شيء عليه، ولا يلام ولا يعاتب، لكن النبي ﷺ يصحح هذه النظرة ويقرن بين الإيمان والعمل الصالح للنجاة من النار، ويضرب أمثلة للعمل الصالح عندما نتأملها نجدها كلها تأتي في مجال التعاون بين الناس.. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ ماذا ينجي العبد من النار؟ قال: «الإيمان بالله» فقلت: يا نبي الله مع الإيمان عمل؟ قال: «أن ترضخ مما خولك الله أو ترضخ مما رزقك الله» قلت: يا نبي الله، فإن كان فقيرا لا يجد ما يرضخ؟ قال: «يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر» قلت: إن كان لا يستطيع أن يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر؟ قال: «فليعن الأخرق (العاجز)» قلت: يا رسول الله، أرأيت إن كان لا يحسن أن يصنع؟ قال: «فليعن مظلوما» قلت: يا نبي الله، أرأيت إن كان ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟ قال: «ما تريد أن تترك لصاحبك من خير، ليمسك أذاه عن الناس» قلت: يا رسول الله، أرأيت إن فعل هذا يدخل الجنة؟ قال: «ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة» (٢).

أول مظاهر التعاون التي يطلبها النبي ﷺ من المسلم لكي ينجو من النار الإنفاق في سبيل الله، فإن عجز البعض عن توفير مال يتصدق به فأمامه باب آخر من أبواب التعاون وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو باب عظيم من التعاون المعنوي، به يصحح المسلم مسار إخوانه ويأخذ بأيديهم إلى طريق الصواب ويعينهم على السير فيه، وهو أعظم ألوان التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله به، وفي توجيه آخر للتعاون بين المسلمين يرشد النبي ﷺ صاحب القدرة على الإعانة أن يتوجه إلى الذي لا يستطيع أن يقوم بأمر نفسه، ويمكن أن يضاف لهم أصحاب الاحتياجات الخاصة، على أن معاونة هؤلاء وتعليمهم كيف يقومون بأمور أنفسهم بل كيف يعاونون غيرهم وتحويلهم من حمل ثقيل على أهليهم ومجتمعاتهم إلى طاقة منتجة تسهم في البناء والتنمية، من أعظم القربات.

فإن لم يمتلك مهارات يستطيع من خلالها أن يقدم دعمه للمحتاجين يفتح له النبي ﷺ بابا آخر للتعاون وهو باب معاونة المظلومين، وبذلك نرى أن الإنسان المسلم ينبغي عليه أن يعاون إخوانه حسب قدرته، وأنه مهما كانت قدراته يمكن أن يقدم للآخرين معونة تنفعه عند الله وتثمر عند الناس.

تعاون فكري

قال رسول الله ﷺ: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» قال: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما؟ قال: «تأخذ فوق يديه» صحيح البخاري. هذا تعاون في نصر الإنسان على أفكاره التي تضره، فإن الإنسان إذا أطاع هواه وسار في طريق الظلم وقعت عليه العقوبة إما من الله تعالى لأن الله عزوجل يجيب دعوة المظلوم وإما من الله تعالى ومن الناس بأن يسعى المظلوم في أخذ حقه بالطرق القانونية أو يتجاوز القانون ويأخذ حقه بيده، وفي كل الأحوال الضرر يقع بالظالم فعندما تمنعه عن الظلم ببيان أضرار الظلم عليه في الدنيا والآخرة تكون بذلك قد نصرته، لكنه لا يرى هذه الأضرار أو يراها لكن نفسه تغلبه، فعندما تعاونه في عصيان هواه وشيطانه تكون بذلك قد نصرته أعظم نصر. «وفسر (نصره ظالما) بأن تمنعه من الظلم؛ واعلم أن من منع شخصا من الظلم فقد نصره على هواه ونفعه بالمنع كما ينفعه بالنصر» (٣). و«إذا نهاه ووعظه فقد نصره على شيطانه ونفسه الأمارة بالسوء» (٤). وكم من أصحاب المعاصي من يحتاج إلى معونة تقدم إليه ودعم نفسي يحتاجه ليتغلب على الشيطان والهوى ورفقة السوء، وأخص منهم من ابتلي بداء المخدرات وفي هؤلاء من مازال فيه خير لكنه يحتاج إلى تعاون الجميع معه؛ أهل الطب وأهل الدين والاختصاصيين النفسيين، ويحتاج قبل هؤلاء إلى علاج المشكلة التي أوقعته في الإدمان، وإلا حتى لو شفي من الإدمان فإنه قد يعود مرة ومرات طالما بقيت المشكلة التي أدخلته هذه الدوامة موجودة.

أخلاقيات التعاون

عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ بعث معاذا وأبا موسى إلى اليمن قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا» صحيح البخاري.

يضع النبي ﷺ أساسا لابد أن يقوم عليه التعاون وهو التطاوع فإذا أجرى الله الحق على لسان أحد الأطراف فينبغي على الآخرين أن يقبلوه، ولا يحرص كل منهم على أن يظهر بمظهر الحكيم الذي قوله الحق وحكمه الفصل، فإن هذه الرغبة تقضي على آفاق التعاون، وإذا سار كل منهم في اتجاه فمتى يلتقيان؟ وكيف يحدث التعاون مع الافتراق الذي سببه الرغبة في الانتصار للرأي وفرضه على الآخرين وإن كان غيره خيرا منه؟.

الهوامش

١- فتح الباري، ابن حجر (١٠/ ٤٣٩).
٢- شعب الإيمان ٥/ ٣٤.
٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين (ص ٨٥٤).
٤- مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ٣٢٩).

أيمن دراوشة - قطر
مدرس التربية الخاصة
وكاتب إعلامي

من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري

بيت المال.. نشأته وتطوره

بيت المال عند المسلمين هو الدار التي يحتفظ فيها بأموال الأمة التي للإمام التصرف فيها أو حيازتها لأهلها. وقد نشأ بيت المال منذ أيام النبي ﷺ، فقد وضع على الأموال أمينا، ووضع صاحب جزية وصاحب عشر وصاحب خراج وعامل زكاة وخارصا (مخمنا)، وعين خزنة وضرب المكاييل.

وفي عهد عمر رضي الله عنه دونت الدواوين لاتساع رقعة الإسلام وكثرة الأمة وتشعب الاحتياجات؛ فوضع ديوان الأنساب، وديوان الجند، وديوان الجزية، وديوان الخراج، وديوان الصدقات.

وبعد انتشار الإسلام في الشام والعراق نشأ ديوان الاستيفاء وجباية الأموال. وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية.

ومن أهم موارد بيت المال: الفيء، وخمس الغنيمة، والعشور، والجزية، والصدقات، والخراج، والمال الذي لا وارث له، والمصادر العامة (المعادن ونحوها).

ولابد لنا من الإشارة إلى أن تناول هذا الموضوع يعد من المواضيع الشائكة والمعقدة؛ لندرة مواده المتناثرة في بطون المصادر وثناياها، وقد اعتمدنا في دراستنا الموجزة على كتاب: «بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول حتى القرن الرابع الهجري» لمؤلفته خولة شاكر الدجيلي.

تأسيس بيت المال وتطور السياسة المالية

ذكرنا في المقدمة أن تأسيس بيت المال كان نتيجة الفتوحات الهائلة التي تحققت للمسلمين، فكان لابد من وسيلة لحفظها، فأسس «بيت المال»، وهو المصطلح الذي أطلق على المؤسسة التي قامت بالإشراف على ما يرد من أموال وما يخرج منها في أوجه النفقات المختلفة، وحينما نضجت النظم الإدارية والمالية في العصر العباسي أصبح بيت المال يشرف على الرقابة المالية، وكذلك المعاملات المتعلقة بالمصروفات، وقد سمي بيت المال بـ «البيت السامي»؛ لأن «أصل الدواوين ومرجعها إليه» وهو بهذا يشبه وزارة المالية في الوقت الحاضر، وصاحبه يقوم بمهمة وزير المالية، وبتعبير آخر الخزانة العامة، وتتكون الأموال التي يستحقها المسلمون من ثلاثة موارد هي: الفيء، والخمس من الغنيمة، والصدقة (الزكاة).

تطور بيت المال والتنظيم المالي

أ- في عهد الراشدين:

تكونت نواة بيت المال في عهد الخليفة

أبي بكر الصديق بفضل فتح بعض أقاليم بيت الشام والعراق، وازدادت الأموال الواردة للمدينة، «وقيل إن أبابكر سبق عمر في ترتيب بيت المال». وازدادت حركة الفتوح في عهد عمر بن الخطاب، وكان من الطبيعي احتكاك العرب بشعوب هذه الأمم وبتنظيماتها الحضارية.

وهكذا تطور بيت المال حتى آخر الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان طبيعيا أن يشهد بيت المال تطورا ملحوظا بتعاقب الخلفاء الراشدين.

ب - في عهد الأمويين:

بقيت في العراق والشام نتيجة الفتح أراض شاسعة من دون مالك، وهي الصوافي، فلما جاء معاوية بن أبي سفيان فصل «الصوافي» عن بيت المال وجعلها للخليفة، وحدثت تطورات هائلة في بيت المال في عهده، كزيادة الجزية وإرجاع بعض الضرائب الساسانية، كما كان أول من أخذ الزكاة من الأعطية وعمل على تطوير هائل في بيت المال فزاد من الجزية، وكذلك فعل عبدالملك ابن مروان، وعمر بن عبدالعزيز في التطوير والتعديل.

ج - في عهد العباسيين:

وجه العباسيون عنايتهم إلى السواد، واستحدث المنصور على الحوانيت خراجا، فقد أمر بإخراج الأسواق من مدينته إلى جهة الكرخ، ووضع عليها الضريبة. كما أوجد المهدي ديوان الأزمة، الذي يشبه ديوان المحاسبة اليوم، وقد أثرت الأحداث السياسية كثيرا في النظم المالية آنذاك، وازدادت الأمور سوءا بتولي المطيع الخلافة عام ٣٣٤هـ.

إدارة بيت المال

يعد ديوان بيت المال من أهم دواوين الدولة، ولما كان الخليفة هو مصدر جميع السلطات، وعنه تصدر جميع الأوامر الخاصة بشؤون الدولة، فقد كان له حق التصرف المطلق في أنواع الدخل، ويبدو هذا واضحا في ضروب الإسراف المفرط، وكذلك بناء القصور والبساتين، وفي الهبات التي تثير العجب، إضافة إلى الحفلات والمناسبات وغير ذلك من ضروب الإسراف والتبذير.

ميزانية بيت المال

الواردات، وأهمها: الفيء وهو كل ما وصل من المشركين عفوا دون قتال، ولا بإيجاف خيل ولا ركاب؛ وكذلك الخراج (أي: خراج الأرض)؛ والجزية (وهي الأموال المأخوذة من أهل الذمة)؛ والزكاة؛ والعشور (وهي الضريبة المفروضة على الأموال التجارية الصادرة والواردة إلى الدولة الإسلامية والمواريث؛ وريع المنشآت العامة.

المصروفات وأوجهها

العطاء والأرزاق والنفقة على المنشآت العامة والخدمات العامة، والنفقات العسكرية والخدمات السرية.

وظائف بيت المال

لبيت المال وظائف عديدة نوجزها بما يأتي:

أولا - الوظائف الدينية

١ - مال المسلمين ومال الخليفة، حيث التفريق بينهما بقي في عهد الخلافة الراشدة حتى جاء خلفاء بني أمية فلم يعطوها أي أهمية.

٢ - إشراف القاضي على بيت المال، وللقضاء علاقة بحراسة بيت المال وإدارته.

٣ - أموال اليتامى والأوقاف.

٤ - الصدقة لفقراء أهل الذمة.

ثانيا - الوظائف المالية

١ - بنك الدولة فهو بمنزلة «البنك المركزي».

٢ - التسليف الزراعي والتجاري.

٣ - المعاملات المالية، حيث ازدهرت حركة الجهبذة منذ حوالي القرن الرابع الهجري؛ بسبب توسع التجارة، بالإضافة إلى ازدهار الصيرفة.

المنشاوي الورداني
باحث في التراث
مصر

أمجاد العرب المسلمين في صقلية

إن الوجود العربي الإسلامي في صقلية، الذي دام ٢٧٢ عاما، يمثل صفحة مشرقة في تاريخ العرب والإسلام، صفحة عامرة بالبطولة والتضحية والاستماتة في سبيل المبدأ والعقيدة، وإن لم تخل من نكسات حالت دون مواصلة المسلمين تقدمهم في أوروبا، وكانت من الأسباب الرئيسية في انحسار الإسلام عن وسط أوروبا. كما كان الفتح العربي الإسلامي لصقلية تحولا حضاريا كبيرا إذا ما قورن بالسنوات العجاف التي شهدتها صقلية تحت حكم الدولة البيزنطية مدة ثلاثة قرون، حيث سادها الفقر الفكري والجهل وجمود الأذهان؛ الأمر الذي أدى إلى الثورة على حاكم الجزيرة والاستعانة بالأغالبة، وظهرت في التمهيد لهذا الفتح الإسلامي الوشيك لتلك الجزيرة المحصنة بطولات القاضي المالكي والمحارب الشجاع أسد بن الفرات.

ولعل تاريخ الفتوح الإسلامية لم يعرف فتحا أعنف وأقسى وأشق من فتح صقلية التي لم يسيطر المسلمون عليها سيطرة كاملة إلا بعد مرور ثلاثة أرباع القرن على نزول أسد بن الفرات ورجاله إلى مرسى مزارا في جنوب غرب صقلية يوم الثلاثاء ١٨ ربيع الأول سنة ٢١٢هـ الموافق ١٧ يونيو ٨٢٧م. وتعود الصعوبات التي واجهها المسلمون خلال فتحهم لصقلية إلى وعورة طبيعة الجزيرة الجبلية، وقربها من أراضي الإمبراطورية البيزنطية والدول المسيحية الأوروبية، التي لم تتوان عن تغذية المقاومة ضد العرب ومهاجمة الثغور العربية لإدراكها مدى خطورة اتخاذ العرب لصقلية كقاعدة للتوسع والانتشار في أوروبا. يضاف إلى ذلك ما كانت تتعرض له الجزيرة من خلافات وثورات وحروب أهلية أثرت في صراع العرب مع بيزنطة.

وقد أنهى الفتح العربي الإسلامي لصقلية سيطرة بيزنطة على البحر المتوسط الذي أصبح بحيرة تحت السيادة الإسلامية الكاملة، وأصبحت صقلية قاعدة تنطلق منها الحملات الإسلامية التي شملت جميع أنحاء إيطاليا من البندقية وجنوا إلى روما وباري وعلى طول ساحل البحر الأدرياتيكي والتيرين. وأقام المسلمون إمارات في جنوب إيطاليا من بينها إمارة باري التي حكموها من عام ٨٤٧ إلى ٨٧١م، وقاريليانو إلى الشمال من نابولي من عام ٨٨٣ إلى ٩١٥م، وريجو وبرنديسي وتارانتو وغيرها من مدن الجنوب والوسط الإيطالي والتي ظلت عمليا في نطاق النفوذ والهيمنة العربية حتى زوال الدولة العربية من صقلية.

وكانت بالرمو عاصمة مزدهرة تغص بمختلف الأجناس، وازدهرت فيها الحياة الاقتصادية والزراعية والتجارية، كما كانت صقلية من أهم مراكز التجارة في العالم الإسلامي. وقد أدخل العرب إلى صقلية نباتات لم تكن معروفة، وحسنوا أساليب الزراعة، وحفروا القنوات والترع، وأصلحوا الأراضي غير المزروعة، ونموا الصناعة والحرف اليدوية، وقضوا على الإقطاع عن طريق تجزئة ملكية الأراضي. وكانت الجزيرة في فترة الحكم العربي مظهرا رائعا للحضارة والتقدم في أوروبا الوسطى كما جلب انتعاشها الاقتصادي الخير والرخاء للوطن العربي في إفريقيا.

وعرفت أوروبا الطب والفلسفة والعلوم والفن المعماري الجيد والحرير المطرز والتحف والنفائس عن طريق صقلية التي ظلت تأثيراتها وآثارها بادية في متاحف إيطاليا وكنائسها وقصورها، وظل التراث العربي قائما حتى يومنا هذا في اللغة الإيطالية وفي العائلات الصقلية التي لاتزال تحمل أسماء عربية مثل علي ومصطفى وسعيد (Saetta) ومظفر (Modafferi) ومرابط (Morabito) وفائز (Lofaso) والطيبي (Taibi) وغيرها.

وأكد المؤرخون الأوروبيون أن حياة الطبقة المسيحية المغلوبة في صقلية في ظل المسلمين كانت خيرا من حياة الإيطاليين المسيحيين الآخرين الذين كانوا يعيشون في ظل حكم بيزنطة والفرنجة، وأشاروا إلى أن معاملة مسلمي صقلية للمسيحيين واليهود كان طابعها التسامح، حيث كانوا أحرارا في ممارسة عقيدتهم، وأحرارا في تجارتهم وأملاكهم، وكانوا يتبعون قوانينهم فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية والدينية، وكانت علاقات بعضهم جيدة بالسلطات الإسلامية، ولم يظهر وجود لأي شكل من أشكال عدم التسامح أو التعصب بين المسلمين وغيرهم.

لقد دخل النورمانديون صقلية فأدهشهم ما نقله المسلمون إليها من رقي وحضارة، لقد بذلوا جهدا في ترقيتها في كل جوانب الحياة حتى بدا الفرق بينها وبين الدول التابعة لبيزنطة بعيدا جدا.. شيدوا مباني عظيمة، ونشطوا وسائل التجارة، وعملوا على استصلاح الأراضي وزرعها، وأدخلوا أنواعا من النباتات ومن الحيوانات لم يكن للأوروبيين بها عهد ولا علم، إلى جانب ذلك كله وجدوا فنونا راقية وأدبا عاليا، وعديدا من المساجد بها حلقات التعليم، تبدأ بتعليم الكتابة العربية والقرآن الكريم، وتنتهي بدراسات عليا في علوم كثيرة دينية. ولقد أكد الباحثون أنه لكثرة المساجد وسعة التعليم لم يكن في صقلية شخص أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يحفظ حظا من القرآن، وهذا سر ما نجده من كثرة العلماء وما نقرأه من أسماء من ينتسبون إلى صقلية. ولم يكن ثمة عائق للحركة العلمية واستمرار الآداب والفنون في ازدهارها، ولم ينقطع تشجيع العلماء، ولم يملوا الإقامة في صقلية إلا في الأيام الأخيرة، وقبيل الغزو النورماندي. إن الفرق واسع جدا بين ما وجد العرب صقلية عليه بعد خروج البيزنطيين، وبين ما وجدها عليه النورمانديون بعد خروج المسلمين!

كان النورمانديون على حظ من الذكاء، وقد عرفوا به من قبل، لهذا لم يفعلوا بآثار المسلمين ما فعل بها غيرهم، ولهذا رأوا الإبقاء والمحافظة على حضارة العرب، وحاكوهم واستفادوا من كل ما تركوا إلا الدين الإسلامي، فكانت الصورة التي قرت في أذهانهم عنه مما يصعب محوها، ولكن حضارة صقلية ظلت في تقدم لمدة طويلة بعد ذلك، وظلت مظاهر الحضارة العربية بادية عليها، ولو تقبل النورمانديون الإسلام لكان عهد هذا الازدهار الحضاري أطول زمنا وأبقى.

ورث النورمانديون هذه الحضارة فلم يسعهم إلا الخضوع لها والاقتباس منها، وبرز بين الحكام أنصار الثقافة العربية (روجر الأول) فاتح الجزيرة، وابنه (روجر الثاني)، وسماها ابن خلدون في تاريخه باسم «روجار» والملك (فريدريك الثاني ووليم الثاني). لم يكن روجر الأول مثقفا ولكنه كان ذا تسامح، ورأى أن يستفيد من المسلمين في كل شيء وجده، فكان في جيشه عدد من المسلمين يكوِّن غالبيته، وكان حوله من المسلمين فلاسفة وأطباء، وكان بلاطه بلاط ملك شرقي، وكان من كبار موظفيه مسلمون، وكان روجر الثاني يلبس ملابس المسلمين، ويطرز رداءه بحروف عربية، وكانت هذه ظاهرة شائعة، ولكن خصومه وصفوه بأنه نصف وثني، يعنون نصف مسلم، وجرى حفيده وليم الثاني على نهج أسلافه، ولكن أسمى ازدهار للحضارة العربية كان أثناء حكم روجر الثاني.

كان الإدريسي، صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، يعيش في بلاطه ويحظى برعايته وتشجيعه، وقد سمى كتابه هذا باسم «الروجري»، والإدريسي من مشهوري الجغرافيين والرسامين للخرائط، ولا ينافسه أحد في هذا الميدان خلال العصور الوسطى كلها، وقد صنع لروجر كرة سماوية وخريطة للدنيا على شكل كرة، وكلاهما من الفضة.

ولم يكن عجيبا بعد هذا أن يفد رواد الدراسة الاستشراقية من أوروبا إلى صقلية، وأن تتبوأ هذه الجزيرة زعامة البحر الأبيض، وكل ذلك بفضل العرب فلاسفة، وعلماء، وعمالا.. ومهما يكن من أمر صقلية فإنها أسهمت بحظ كبير في نقل العلوم الشرقية إلى الغرب وكانت مركز ترجمة نشيطة، وبحكم موقعها وتاريخها كانت ملتقى أجناس ولغات، وسادت فيها اللغات الحية الواسعة الانتشار إذ ذاك: اليونانية واللاتينية والعربية وبذلك أسهمت صقلية، هذه الجزيرة الصغيرة، في نقل حضارة العرب إلى الغرب، وأن يكون لها نصيب غير خفي في إيقاظ أوروبا من سباتها العميق في العصور الوسطى.

محمد إسماعيلي علوي
جامعة السلطان المولى سليمان - بني ملال
المغرب

المفتش الجهوي لمادة اللغة العربية يفتح قلبه لـ «الوعي الإسلامي»

الأعشير: صمتنا عما يحاك للعربية الفصحى إثم

يسعدني أن ألتقي بالأستاذ المقتدر عبدالله أيت الأعشير، الكاتب الألمعي، ويشرفني أن أفتح الحوار معه في قضايا كثيرة تخص واقع اللغة العربية الفصحى ببلادنا خاصة، وبباقي البلدان العربية عامة، رغبة في تسليط بعض الأضواء على المشكلات التي تواجه الفصحى في مؤسساتنا التربوية باعتبارها المحضن الرئيس الذي يجب أن يعتنى به، سماعا ونطقا وكتابة وتواصلا، ناهيك عن رؤيته إلى مشروعات الإصلاح اللغوي في العالم العربي، فإذا استوفينا الكلام في هذه الناحية التي لا يرام خباؤها، عرَّجنا على بعض القضايا التي لا تبعد عن مجال تخصصه، مثل طريقته الفنية الخلابة في الكتابة، فإلى الحوار:

نريد في التوطئة لهذا الحوار، أن نسألكم عن واقع اللغة العربية في البلاد العربية، بين أهلها، كيف يمكن توصيف وضعها الحالي؟

- في بداءة هذا اللقاء الذي أرجو أن أنازع فيه القراء الكرام قضب الريحان، وأن أيسر لقولي مهر فعله، أؤكد أن من الحكمة ألا يقول المرء كل ما يعرف، ولذلك أثبت بما لا يدع رسيسا من الريب؛ أنني سأكتفي في هذا التقديم بالإشارة إلى الذيل، وعلى القارئ الكريم بالتكملة، ولاسيما أن هناك مفارقة بين الذي يكتب ليصل فينتهي، وبين الذي يقرأ ليبدأ الرحلة التي تمنحه المتعة في الاكتشاف، لهذا أعلن أنني أرجو من هذا الحوار أن أتمكن من توسيع رؤية المتلقي للحياة من حولنا؛ إذا لم تتمكن أدواتي المعرفية من الدعوة إلى تغيير تلك الرؤية نحو الأفضل. وتأسيسا على عبارة «إنشتاين»: «إذا كنت بصدد وصف الحقيقة فاترك مسألة الأناقة للخياط» فإنني سأجهد نفسي لعرض بعض الحقائق على الشكل الآتي:

من الحقائق العلمية الثابتة أن اللغة مزيج من العناصر والتجارب والرؤى المادية والمعنوية والروحية، التي تشارك الأمم في مراحل حياتها؛ تحيا بحياتها، وتتجدد بتجددها، وتنضر بنشاطها، وتهزل ثم تضعف فيكون أمرها في انكماش وتراجع بضحالة الإبداع لدى مستعمليها، ولهذا يقال: إن اللغة تعكس في ألفاظها وعباراتها رؤية الشعب التي يتكلم بها، وهي رؤية تختلف قليلا أو كثيرا عن الشعوب الأخر التي تتكلم لغات أخرى، بحسب الشجرة التي تنتمي إليها كل لغة على حدة، إنها الأم الرؤوم التي تغذي أبناءها بلبانها، وبتوصيف أجلى يمكن القول: إن اللغة مثل ضغث من الأزاهير، إذا أهملت ولم يقدم لها ما يلزم للحفاظ على نضارتها، تذبل ويقتلها الظمأ، فيطوى الكشح عنها، ثم يغدو أمرها في إدبار. هل استوعبنا نحن العرب هذا الدرس البليغ؟ الواقع أن العربية الفصحى التي كان لها سلطان قوي في الأيام الخوالي، تشهد اليوم انكماشا وتراجعا؛ فعلى الرغم من صيحات بعض الغيورين التي تسمع هنا وهناك في أرجاء الوطن العربي، فإن الشوط ما زال بطينا لإدراك دور اللغة في صناعة الفكر، وأهميتها في الحفاظ على مقومات الإنسية العربية، ناهيك عن دورها في تعزيز أواصر القرابة بين شعوب الدول العربية والإسلامية، هذا الدور المحوري للغة، الذي أدركته الأمم القوية هو الذي دفعها إلى نشر لغاتها بالقوة تارة، وتارة أخرى بالقلم،

رغبة في التأثير على الأمم الأخرى، ولقد تعاظم أمر اللغة، فأضحت كل أمة تنشد للغتها السيادة والهيمنة على لغات الآخرين، لأجل حل مشكلات الاتصال والتواصل بين الأمم؛ لأن الذي يملك الكلمة، يحوز القوة والنفوذ والسيادة للأفكار التي يسعى الآخرون لاستعارتها، فهل بذلنا الوسع والطاقة، في صيانة لغتنا الفصحى باعتبارها مخ العروبة؟ هذا سؤال صريح يجد جوابه البليغ في ما وطأت به الحديث، ناهيك عما نشاهده في أثناء ندواتنا ومؤتمراتنا من الهروب من الفصحى لصالح شوب من الكلام العامي الغث، الذي يظهر أن اللغة العربية السهلة لا تطوع بها ألسنتنا، فنضطر إلى الهرب منها لصالح اللغات الأجنبية وشوب من الألفاظ العامية التي نتوكأ عليها لإنقاذنا من السقوط في معايب تنزل من قدرنا.

- في نظركم، ما هي الأسباب التي يعزى إليها هذا الوضع؟ وكيف يمكن تجاوز المشكلات والمعيقات التي تحد من انتشار اللغة العربية الفصحى؟

إن الصمت تجاه ما يحاك - في السر والعلن - للعربية الفصحى جريرة، يقصد منها إضعاف العربية الفصحى وإنهاكها لتخرج من معترك اللغات الأجنبية، واللهجات - المفرقة والمفرقة - بأكبر خسارة، بحيث تهيمن الفرنسية والإنجليزية ثم العامية على النفوس، وتتدفق عباراتها الخداج على الألسنة، فتسلس لدى الشداة، ومن ثمة نرتكب إثما بالغ الضرر في حق الفصحى، لأن الهدف ليس مجرد إضافة درس لساني إلى الذخيرة اللغوية للعربي، بقدر ما هو هدف تدليسي لإشاعة الفرقة، وإلقاء عصا الشتات بين أبناء الوطن

تعدد اللهجات أدعى لانتشار الفوضى والتناحر المجاني

الواحد، والإقليم الواحد، ومن ثمة تهديد السلم اللغوي والاجتماعي الذي ننعم به، ومن الدروس البليغة التي نتعلمها من رحلة العالم المغربي «أبي القاسم الزياني» إلى أفغانستان، أنه أدرك بحذقه ولوذعيته أن الناس في العاصمة «كابول» كثيروا الشجار والصياح بأصوات ملهوجة غير مفهومة، وعندما بحث في أمر هذه الخصومات تبين له أن السبب يرجع إلى كثرة اللهجات التي يتحدثون بها، فاقترح عليهم أن يتركوا لهجاتهم لشؤونهم الخاصة، وأن يستعملوا الفصحى في شؤونهم العامة، وبعد مرور بضعة أشهر لاحظ أن الخلافات والاضطرابات بدأت تخف وتخبو، فتنبه إلى أنه كلما تعددت اللهجات التي يستعملها الناس، كان ذلك أدعى لانتشار الفوضى وسوء الفهم والتناحر المجاني.

لأجل ذلك فإن قضية اللغة الفصحى هي معركة المصير التي يجب أن يستأنف القول فيها، لتبديد كثير من الأوهام التي تحاك ضد الفصحى، لأجل اختراق كثير من الأقوال الكسولة المستصعبة للفصحى من دون إقامة الحجة المخرسة على ذلك، مع الحرص الدؤوب على تنمية روح الاعتزاز بالعربية و العروبة، وتزويد الفصحى بالغدد المقوية لمناعة الخلايا المضرة، وتقوية الدلالة الانتمائية للغة القرآن الكريم، الذي أوجد ألفاظ العربية خالدة أبد الدهر، وقبل أن تنكسر الإرادة، وتخور العزيمة، ويهد الكيان، لابد من التذكير بأن أي تأجيل للحسم في تقوية دور العربية الفصحى في محاضنها الرئيسية المتمثلة في الروضة وفي المؤسسة التربوية ثم في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، فإن ألسنة شداتنا ستصبح - لا محالة - مثل المظاهر الاجتماعية والعمرانية والفنية التي يتبدى عليها الاستلاب من كل جانب، فإذا كانت العربية الفصحى اليوم محتاجة إلى إبداع أساليب مبتكرة لتحبيبها لشداتنا، فإنها اليوم بحاجة إلى قرارات سياسية صدوقة، ناهيك عن ضرورة اتباع السبيل اللاحبة الآتية في أثناء التعليم:

١- لابد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي الفصيح، إذ على قدر جودة المحفوظ، تكون جودة الملكة؛ انظر نصائح العلماء البصراء أمثال: ابن قتيبة، وابن طباطبا، وابن وهب، وابن رشيق، والآمدي، والجاحظ، وابن أبي الإصبع، والجرجانيين، وأبي هلال العسكري، ومن لف لفهم.

٢- رواية الشعر، وقد قيل: رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم.

٣- انتهاج الطرائق الشائقة الماتعة في أثناء حلقات الدروس، بالاستفادة من الوسائل التكنولوجية، التي تشعل وقود الشداة.

٤- التشجيع على القراءة المفيدة، فبالقراءة يستطيع المرء أن يعيش حياته، وحياة الآخرين، فتصبح فكرته الواحدة أفكارا عميقة بعد أن تلاقت مع أفكار الآخرين.

٥- اعتماد طرائق النحو الضمني، الذي يجعل الشادي يتعلم القاعدة من خلال توظيف مقتضياتها في الجملة، وبعد التثبت من حسن الاستعمال والتوظيف، تتم الإشارة إلى القاعدة النحوية أو الصرفية أو البلاغية، من دون إثقال كاهل المتعلم بالجزئيات والفرعيات.

٦- الحرص على السلامة اللغوية؛ إذ كلما كان الفكر غنيا بالألفاظ والعبارات السليمة، كان ذلك أدعى لتوسيع سلطانه، ولهذا يجب في أثناء إعداد الكتب المدرسية الاستعانة بجهود المحككين المصححين اللغويين حتى نضمن الصفاء للغة العربية الفصحى في الكتاب المدرسي.

٧- إعطاء القدوة الحسنة للشداة، وذلك بالاعتياد على التحدث بالفصحى داخل الفصل الدراسي وخارجه.

٨- دعوة وسائل الإعلام إلى محاربة النفاق اللغوي، من خلال إلزام المتحدثين بالعربية الفصحى الميسرة، وعدم السماح برتق اللغة العربية بألفاظ أجنبية، ليس لنا بها حاجة، سوى أنها تنزل من قدر المتحدث، وتسقط من هيبته، وتضعف صلته بأمته، وتخلق له وضعا مزيفا لا إلى هؤلاء، ولا إلى أولئك، وتغري الشداة إلى محاكاتهم.

- لنفصل أكثر في علاقة اللغة العربية الفصحى بالتعليم، كيف يمكن للتعليم أن يسهم في ازدهارها، ويشجع على إتقانها وضبطها والتواصل بها، وأكثر من ذلك كيف يجعلها لغة إبداع وابتكار؟

ليس يخفى على من شدا المعرفة باللغات، والانتصاب لتدريسها، أن تسليط صافي الذهن على الطرائق الماتعة والوسائل التقنية التي تنزع عن الشداة الأغلال التي تحد من اشتعال وقودهم، والتحليق بأجنحة البحث نحو كل الآفاق الممكنة لإدراك الزوايا والخبايا، هو الحل الأمثل الذي يعد بمثابة الرحم الذي تخلق فيه الأجنة، وتنشأ فيه المواهب والمهارات، وتبنى فيه الأفكار والمعارف، التي يسعى كل مجتمع إلى نقلها وترسيخها لدى أبنائه، رغبة منه في تجاوز الأفكار الخاوية التي لم تعد له بها حاجة، ناهيك عن استغلال المجالات المعطلة التي لم تمتد إليها عقول نابهة الأمة، وإذ أؤكد أن استيفاء مشروعات الإصلاح اللغوي على الكمال الذي يعز أن يعثر فيه على شائنة؛ أمر بلا ريب يقتضي أن يجمع له الباحث جراميزه المعرفية واللقانية والتربوية، لكي لا يؤخذ مشروع الإصلاح على غره، فيضيع غوره؛ فإن الأسلوب الأمثل لعرض تفصيلاته يجب أن يهتدي بالتشريعات التربوية التي سطرها الخبراء، الذين عجموا عود إعداد الخطط اللقانية، التي تضع قطار تعليم الفصحى على سكة الإصلاح المنشود. ولاشك أن أي تعليم لا ينهض على قاعدة السماع، يعد تعليما أجوف، إذ السماع أبو الملكات اللغوية، لذا يجب أن نعرض شداتنا للسماع، وأن نطيل تسميعهم للنصوص البليغة، وأن نسمح لهم بأن يرتعوا في رياض القرآن الكريم الذفرة، وفي عيون الشعر العربي البليغ، ونصوص المفنين البلغاء، والخطباء المصاقعة، حتى يمزجوا أنفسهم بالفصحى مزجا، فتفيض ألسنتهم بما عقلوه وانطبع في أذهانهم ومخيلاتهم من كلام عال، ولاسيما أن الوسائل التكنولوجية المنتشرة عن الأيمان والشمائل تتيح لنا إنماء هذه المهارة السماعية التي تكون لدى الشداة نوعا من النحو الضمني الذي يساعدهم على الانشراح والالتذاذ بما يسمعون، فتشيع أجواء الحبور في أثناء تعلم الفصحى، تلك هي البدايات التي يجب الانطلاق منها لإدراك الكمالات، أما الذي يطلب الغايات والاختلافات الجزئية بين المذاهب النحوية، قبل تحصيل البدايات المتبرعمة المتجلية في ترسيخ ملكة النحو الضمني، فإنه لا يعدو أن يكون مثل الذي يريد أن يرى في الدالية عنبا قبل أن يبصر فيها حصرما، لذلك أحرص في هذا الحوار على الدعوة إلى اعتماد استراتيجية النقل الديداكتيكي (اللقاني) في أثناء بناء البرامج والمناهج، الذي يفرض تجاوز المعرفة العلمية التي يتعاطاها المختصون لصالح معرفة محورة قابلة للتعلم، وبذلك نتجاوز كثيرا من المشكلات التي تنفِّر الشداة من دروس اللغة العربية، ولاسيما دروس النحو والصرف والبلاغة، التي يكابدون في أثناء تعلمها عرق القربة، خصوصا إذا كانت تنطلق من أمثلة مسكوكة منتزعة انتزاعا من أصولها التي لا يستقيم ترسيخها من دون تلك النصوص، لأن الشادي الذي يكون فؤاده فارغا من النصوص المبينة؛ قرآنا، وسنة، وشعرا، ونثرا بليغا، فإن فرسه في حلبة الفصاحة مفسكلة عاجزة عن التعبير عن المراد بألفاظ لا تتجاوز المطلوب ولا تقصر عنه، أما إذا كان ممتلئا ضليعا من تلك النصوص البليغة، فإن ملكة الفصحى تترسخ لديه بفعل التكرار الذي ينتقل بها من الصفة إلى الحال ثم إلى الملكة، كما يؤكد ابن خلدون في أثناء حديثه في المقدمة عن كيفية امتلاك الملكة اللغوية.

- لقد راكمتم تجربة طويلة في مجال التربية والتعليم والتأطير والإشراف والتفتيش والتوجيه باعتباركم أستاذا للغة العربية في التعليم الثانوي التأهيلي، ومفتشا منسقا جهويا لها؛ لماذا أصبح حال أساتيذ اللغة العربية على ما هو عليه من لحن وكثرة

أخطاء؟ وكيف يمكن تجاوز ذلك؟

معلوم أن قضية اللحن إذا لم يتم التصدي لها في دروس العربية، ومن لدن مدرسيها، فإن الخرق سيتسع على الراقع، ولاسيما إذا تنبهنا أن ما قد يسعى مدرس اللغة العربية لبنائه في أحيان كثيرة يهدمه أساتيذ المواد الأخر الذين لا تستقيم اللغة الفصحى على أفواههم، ومن ثمة يضطرون إلى الاستعانة بشوب من الألفاظ الأجنبية والكلمات العامية، وتعد تجربة «مدرسة النجاح» التي تقدمها القناة الثقافية المغربية شاهدا يثبت أن جميع الأساتيذ يتدون كلامهم باللهجات، وبشوب من الألفاظ الأجنبية إلا أستاذ مادة الإنجليزية، فإنه يلتزم مبدأ تدريس اللغة باللغة، ولذلك لا يغادر الإنجليزية في أثناء حواره مع شداته.

تأسيسا على ما سبق لا ينبغي للقارئ أن يفهم أنني أبحث عن الذرائع والمسوغات التي تجعلنا نقبل اللحن، ولاسيما إذا كان من مدرس اللغة العربية، لأن اللاحن ليس له حرمة بدليل أن الخليفة عبدالملك بن مروان كان يلعب مع جلاسه الشطرنج فاستأذن رجل من ملأ وعلية أهل الشام بالدخول عليه، فأمر عبدالملك غلامه أن يغطي رقعة الشطرنج، وعندما دخل الرجل وتكلم فلحن في كلامه، قال عبدالملك للغلام: اكشف عنها يا غلام، فليس للذي يلحن حرمة.

إذا ثبت لدينا أن اللغة لا تعلم إلا باللغة، فإن النصب واللغوب الذي جثم على المشهد اللغوي العربي في مؤسساتنا التعليمية منشؤه عدم الإلف بالفصحى، إذ لو صادفت الفصحى من متكلميها قلبا خاليا من العامية وأمشاج اللغات الأجنبية؛ لاستوت على الألسنة وغلبت على الطباع، وعلى العموم فإن مدرس اللغة العربية الذي أظهرت تقارير المجلس الأعلى للتعليم أن فرسه مفسكلة في حلبة الفصحى، يجب أن يكون ضليعا من الفصحى، وبطرائق تعليمها على هذه الشاكلة:

١- يجب أن يكون مدرس اللغة العربية قهرمانا عارفا ضليعا من العربية الفصحى، وأن يكون قارئا نهما، على اطلاع واسع بأسرار الفصحى وخصائصها ودلائل إعجازها، متوفرا على ذخيرة لغوية لا يغيض معينها، حافظا لأشعار المفلقين وكلام البلغاء الفصحاء، مدركا لضرورة التمييز بين المعرفة العلمية التي يتعاطاها العلماء فيما بينهم، وبين المعرفة التي يجب نخلها حتى تلائم قدرات المتعلمين ومستوياتهم العمرية.

٢- كما يجب اصطفاء مدرس العربية اعتمادا على معيار إعلان الولاء والحب للعربية وما تدل عليها كلماتها، رجاء أن ينقل ذلك الحب إلى المتعلمين، من خلال الحرص على الأداء السليم لأصوات الكلمة العربية وإيقاع ألفاظها وتناغم جملها.

٣- أن يكون ملما بالأدوات التكنولوجية الحديثة، قادرا على اشتيار عسلها، وعلى تركيب سيناريوهات لقانية (بيداغوجية) تساعد الشداة على دوام أثر التعلم، لإشاعة أجواء الحبور داخل الفصول الدراسية، الأمر الذي يقوي دافعيتهم للتعلم.

- ما سر هذه الخلابة التي تنتشر أظلالها في ما تكتبون، ثم ألا تخشون أن تقع كتاباتكم في أيدي من لا يقدرها حق قدرها فينصرف عنها مكرها؟

ليس من وكدي ومن سدمي أن أكتب على شرط قبول كل العرب لما أطرس، وأن يتلقاه الجمهور بالإطراء والتقريظ، هذا ليس من بغيتي، ولكنني أكتب إرضاء لذائقتي أولا، ولثلة من القراء الذين يقدرون تأدية المعاني بأحسن الألفاظ وأجود العبارات، التي تبلغ فيها اللغة ذروة فصاحتها لتصطاد بيض أنوقها، ألم يقل الشاعر أبو تمام:

يسر لقولك مهر فعلك إنه
ينوي افتضاض صنيعة عذراء

ثم ألم تقل العرب: «البيت لقائله كالابن لناجله»؟ إن الكتابة بهذا المعنى إضافة أسلوبية، ونفث روح الإثارة التي تخلب الأذهان وتأسر العواطف، اعتمادا على الكلمات العذراء التي لم يفتق الآخرون كمها، لتوليد الحبور، أما العلاقة بيني وبين طريقة كتابتي، فهي علاقة إيجاد وصنع لمواد مبددة كانت موجودة لكن الكسل الثقافي حال بيننا وبينها كأنها غير موجودة، لهذا قرعت ظنبوب الاجتهاد لإظهارها في أبهى حالاتها رغبة في أن يشربها القارئ النهم المهووس، كما يشرب الماء النمير، هذا هو ديدني في الكتابة التي أنتقر لها ألفاظها وأعرضها على القراء كما يعرض بائع الجواهر درره المستفرهة في أبهى زينتها، رغبة في تحقيق انتصارات صغيرة، لكنها حقيقية تتعامل مع الفصحى تعامل الخليل مع خليلته، وبما أن الأفكار تتعرض كما البشر للشيخوخة، فإنني أسعى إلى إضفاء بعض التوابل على العبارات المعبرة عن تلك الأفكار لأضمن لها التلقي الحسن من لدن القراء الذين أتواصل معهم، من دون أن يشغلني أن يقع هذا المنجز البياني في أيدي من لا يقدره خير قدره، لهذا أكتب وأنا أدرك أن لا جديد لمن لم يلبس القديم

على شاكلة الشاعر أبي المنهال:

البس جديدك إني لابس خلقي
فلا جديد لمن لم يلبس الخلقا

لأن الكتابة التي تطوي الكشح عن القديم، يضيع منها الجديد الذي ليس سوى نمو للنبتة التي تولدها البذرة، وعلى الجملة فإن الجمال والفن هو كل ما تبقى لهذا الإنسان المعاصر الذي تتقاذفه أمواج العولمة في كل اتجاه مادي ينزع منه إنسانيته؛ لأجل هذا أحرص أن أغمس يراعي في ألوان قوس الله، ولا أقول قوس قزح المتداولة بين القراء؛ لأن قزح هو الشيطان، فتبدو العبارة متغنجة متزينة بأبهى زينتها لصنع المتعة والجمال الذي يحيي فينا الروح، بعد أن كادت العولمة أن تقتلها فينا وفي ما نطرس من كلام تتعرى فيه اللغة من جمالها كما تتعرى العجوز الفانية من زينتها.

- في نهاية هذا الحوار نود أن نعرف رأيكم بالنسبة إلى مستقبل اللغة العربية الفصحى في علاقتها باللهجات، وما هي الإجراءات الناجعة للاستفادة من هذه الازدواجية اللغوية، وهل تمكنت المؤتمرات الجهوية والوطنية والدولية التي شاركتم فيها من اقتراح الحلول المناسبة لهذه الازدواجية؟

اللغة العربية الفصحى اليوم تحيط بها كثير من المخاطر إحاطة السوار بالمعصم، فهي من جهة تعاني من طوفان العولمة الماحق لأجل إلباسها أثوابا ما سمعنا بها في آبائنا الأولين؛ من خلال هذه الأنماط الكتابية المارقة التي تخلط الأحرف اللاتينية بالعربية والأرقام، وتختزل العبارات في الرموز، حيث تصبح عبارة: «من أجلك» هكذا: «4u»، وعبارة: «مات من الضحك» هكذا: «mdr»، وعلامة التأنيث التي أصبح يرمز لها بحرف «الياء» في آخر الكلمة مثل: «أنتي» بديلا عن ضمير الفصل: «أنت»، وهلم جرا وسحبا من استبدال الأرقام بالحروف التي يصعب نطقها باللغات الأجنبية، ومن ناحية أخرى تعاني الفصحى عقدة الصغار من أبناء جلدتها الذين بدت البغضاء في أفواههم فازوروا عنها ونعتوها بالتقصير وعدم القدرة على الإيفاء بمطالب العصر، متناسين أن قوة اللغة من قوة أهلها. فماذا عن علاقة الفصحى بالعاميات؟ لا ريب أن اللهجات العامية تعد من الأبناء غير البررة بأمها الفصحى، حيث إنها تفرعت عنها استجابة لأقل مجهود، ناهيك عن الخروج عن القواعد المنطقية المحددة للصحة والسلامة اللغويتين، ومعلوم أن العلاقة بين النمطين اللغويين كان يطبعها الوئام في العصور الزاهية عندما كان الفكر العربي خلاقا، حيث استمرت الفصحى في أداء دورها العلمي والفكري والديني والأدبي والسياسي والإعلامي، بينما اللهجات كانت تقتصر على بعض الوظائف الاتصالية لقضاء بعض الحاجات اليومية المعتادة مثل التسوق والأهازيج والتواصل الحميمي بين المرء وأفراد أسرته، أما اليوم فإن سلطان العاميات بدأ يتسع ويكبر حتى كادت أن تبتلع الفصحى، إذ لولا القرآن الكريم الذي ضمن لها البقاء من فوق سبع سماوات، ناهيك عن أشعار الشعراء المفلقين، وخطب البلغاء؛ لوقع للفصحى ما شهدته اللاتينية التي خرجت من معطفها لهجات، فتولدت عنها اللغات الأوربية التي نعرفها الآن، مثل: الفرنسية، والإنجليزية، والإسبانية، والإيطالية، والألمانية، وغيرها.

لكي أسلط صافي الذهن على الجانب الآخر من سؤالكم أؤكد أن هذه الازدواجية اللغوية التي لاريب فيها، يجب أن نستفيد منها نحن العرب من خلال تليين مجموعة من الألفاظ التي يتداولها الحرفيون لسد النقص التي تظهرها الفصحى في توصيف المخترعات التقنية الجديدة التي لا قبل لنا بها، هذا هو الرأي القارح الذي يجعلنا نستفيد من ألفاظ بعض اللهجات، وهي خطة ناجعة اعتمدها القرآن الكريم مع اللغات واللهجات التي كانت سائدة وقت نزوله، ومن ذلك أسماء الرياحين التي اجتلبها من الفارسية وغيرها من ألفاظ الأمم الأخر مثل: الصراط، وجهنم، والفردوس، وضيزى، والكوثر، والسلسبيل، والتخوف، وغيرها مما يرهق تتبعه ويتعب، أما بالنسبة للمؤتمرات اللغوية التي شاركت فيها محليا وجهويا ودوليا، فإن أغلبها يخلص إلى مجموعة من التوصيات التي تسندها الرؤية العلمية، غير أنها تبقى مجرد صيحات في واد عميق لا يبلغ مداها إلى أسماع رجال السياسة الذين يسندونها بقرار سياسي صادق غير متهيب.

هذه بعض الآراء الفطيرة، أدليت بها ليقوم الخبراء بإمدادها بالخميرة اللازمة التي تحولها إلى خبز عربي ينتفع به، وما أنا سوى فرع من أيكة البزلاء النحارير الذين مخضوا عباب يم العربية الفصحى الذي لا ينكش، أرجو أن أفلح في تقديم صبابة من المعرفة بالفصحى، وبطرائق المحافظة عليها صافية في أثناء استعمالها في معاهدنا، ومؤسساتنا، ومعتملاتنا، ومكاتبنا، وأن أكون قد وفيت، إن لم أكن قد استكفيت، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى الذي لم يستسغ سماع اللحن من معاصريه، فقال عندما لحن في حضرته أحدهم: «أرشدوا أخاكم فقد ضل».

مصطفى القلاوي
كاتب وباحث إعلامي

وأد الأخلاق جناية لا تغتفر

إن قضية الأخلاق وما أصابها من وهن وانزواء أمر ليس بالهين، فلا يتصور بناء إنسان جاد يفرج هموما متكالبة، ويصلح فسادا واقعا، وينشر خيرا نافعا، دون وجود دعائم أخلاقية مكينة وأعمدة متينة من الخلال الحسنة.

ووجود الخلق الأصيل في حياة المرء ضمان وثيق لرفعة شأنه وعلو منزلته، إذ به تسود الأمم، وبتجويده تنتصر الرسالات وأصحابها، وأمامه تنهار الطواغيت وعبادها.

فكل أمة منزوعة الأخلاق والفضائل لا بقاء لها وإن ارتفعت شاراتها أياما وسنوات، مثلها كمثل الجسد كامل الخلقة، مُنِحَه إنسان مهمل منعه الغذاء والدواء، حتى تعطلت أجهزته عن العمل، وتوقفت غدده عن الإفراز، فصار هيكلا معتلا لا قيمة له، سرعان ما انهار وارتضخت قامته وتهشمت.

والمتعارف عليه أن المجتمع الذي تمسي فيه الرذيلة مكونا رئيسا من كيانه لا خير فيه، وإن تشدق رعاياه بالتدين، فلوك الألسنة بلا أفعال ودلائل لا مفهوم له ولا معنى.

فالأخلاق قرينة الدين ووليدته، فإذا صح إيمان المرء وانتظمت عبادته؛ ازدهرت الفضيلة وهيمنت المكارم الحسنة، وتوارت عند ذلك الرذائل، كما أن انهيار الأخلاق وضعفها يعود إلى غياب الإيمان أو ضعفه، إذا رفع أحدهما رفع الآخر كما قال النبي ﷺ.

إن الرذائل التي يقترفها بعض العجزة بسوء أخلاقهم، لا يقف وبالها على ذواتهم الضعيفة؛ إنما يتطاير شررها إلى آماد بعيدة، لذلك حذر الإسلام من تفشي مثل هذه الأوبئة، حتى لا يدمر المجتمع وتفتت لحمته، إذ إن اقتراف كل خلق سيئ يأتي بالويلات على الشعوب، فكان العقاب الرادع لمثل هؤلاء تجريدهم وعزلهم عن جماعة المسلمين لسوء أخلاقهم، يقول النبي ﷺ: «ومن غشنا فليس منا» (رواه مسلم وغيره). ويقول ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية» (رواه البخاري ومسلم وغيرهما)، ويقول ﷺ: «ومن ادعى ما ليس له فليس منا» (رواه مسلم)، ويقول ﷺ: «ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبدا على سيده» (صحيح، رواه أبوداود)، ويقول ﷺ: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا» (صحيح، رواه أحمد). فكل من يغش الناس أو يحرش بينهم، أو يتخلق بسيئ الصفات، أو يهدر أقدار الكبار، أو يجحد حقوق الأماجد العظام؛ لا نصيب له في ميراث النبوة، وإن ادعاه.

إن أصالة الأخلاق لا تكمن في النفوس بإقرار الألسنة، ولا يكتسبها المرء بالقراءة والمطالعة وحدها، ولا يتلقنها المجتمع بالخطابة والدعاية فقط، إنما تتحصل بالمعاناة الطويلة، وتكمن في النفوس بمثابرة النفس على تلقيها، ويتناقلها المجتمع بالمعاملات الحسنة،

ومن خلال الآداب الحميدة.

ربما تختلف العادات والتقاليد بين الشعوب، لكن دستور الأخلاق الذي تتحاكم إليه البشرية واحد لا يتغير، ومتعارف عليه لا ينكره أحد ولا يخرج عليه متزن، فهو لغة أصيلة تتفاهم بها المجتمعات، وتتقبلها الفطر السوية، وترتكز عليها العقول السليمة في إقرار الحسن ورفض كل قبيح ماجن.

وبما أن الأخلاق صاحبة سلطان على المرء، ولا يكون لها هذا إلا إذا تمكن الإيمان من الفؤاد، وعندئذ تسود الأخلاق وتنتصر الفضائل على ما سواها.

والغاية من الرسالة المحمدية هي إتمام الأخلاق الفاضلة وإرساء قواعدها في النفوس، يقول النبي ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (صحيح، رواه أحمد).

وما انتاب الأمة من هبوط وتحدر، وما تخللها من تناحر وتشرذم، إلا نتيجة ما أصاب أخلاقهم من علل وأسقام، وما فرطت فيه من آداب وتعاليم.

والعبادات والشعائر التي فرضت ليست أعمالا غامضة لا معنى لها، وليست طقوسا جافة لا جدوى من تطبيقها، كلا! إنما يؤديها المسلم كي تعوده أن يحيا بالأخلاق الحميدة التي لا غنى له عنها، مهما تغيرت أمامه الحياة وواجهته العقبات. يقول تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٥).

إنك حين تتأمل العبادات المفروضة تجد إشراقات ونفحات ربانية، تغرس المشاعر النبيلة والأخلاق الحسنة في نفوس المؤمنين جميعا، إن التزموا بها.

فالصلاة تغرس في النفس مشاعر التذلل لله سبحانه، والتواضع للناس أجمعين، ومراقبة الله في كل كثير وقليل..

والزكاة التي فرضها الله ليست جباية تؤخذ من الجيوب للقهر، إنما هي غرس لمشاعر التراحم والتآلف بين المؤمنين، وتوطيد لعلاقات التآخي والتعاطف بينهم، تزكي نفوسهم الطاهرة، وتعمق مشاعرهم الصادقة، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣).

كذلك الصيام لم يشرع لتجويع الأكباد وحرمانها صنوف الطعام والشراب فترة من الوقت، فإذا انقضت نهمت من الحلال والحرام، ويترك للمرء بعد ذلك أن يقول ما يشاء وأن يفعل ما يريد، إنما فرض لقمع طغيان الهوى ولكبح جماح شهوات النفس وحرمانها من النزوات المحظورة، يقول النبي ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد، وجهل عليك فقل: إني صائم» (صحيح، رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم). ويقول ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (رواه البخاري).

كذلك شرع الصيام لتقوى الله التي تتجلى صورها في الشعور بالفقير الجائع والإحساس بالمحروم الضائع.

والحج إلى البقاع المقدسة الذي فرض على المستطيع ليس رحلة عديمة الروح فقيرة الأخلاق، بل هو رحلة، من مقاصدها: توطيد الأخلاق الطيبة، وتوطين المعاملات الحسنة، وترسيخ المبادئ القويمة، وتقويم اعوجاج النفس، وتهذيب تبذل السلوك، يقول تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧).

وكما يحرم على المؤمن في حرم الله أن يعضد شوكه، أو ينفر صيده، أو يلتقط لقطته، فمن الأولى ألا يفسد في أرض الله، فلا يقطع شجرة دون نفع، ولا ينفر آمنا من الخلق، ولا يسرق لقطة بإخفائها عن صاحبها دون تعريف وإظهار.. كل هذه أخلاق يتعلمها المؤمن من الحج.

فالخلق لا يولد في النفس كبيرا، كما أنه لا يوجد فيها فجأة، إنما ينمو على مراحل عدة، لذلك كان سر ارتباط نمائه وتطوره بإدامة العبادات وتكرارها.

إن الأخلاق معارج للكمال، ومبادئ كريمة تربط الناس بميثاق رحيم، وتحوط المجتمع بسياج المودة والرأفة، وتحيي بداخله روح الألفة والتناصر، ولا حظ لمن حرم.

إن قيام الخلق الحسن في النفس وملازمته لها، يعصم من الزلل ويقي من الانحراف، وذهابه عنها يعود على المرء بخسارة لا يعقبها فلاح، وهلاك لا نجاة منه، فإن رجلا ذكر امرأة للنبي ﷺ وعدد من عبادتها وصفاتها، بيد أنها سيئة الخلق، فقال عنها النبي ﷺ: «لا خير فيها، هي في النار» (صحيح، رواه أحمد واللفظ للحاكم).

إن الفَلَس الحقيقي هو فلس الأخلاق، الذي يجرد صاحبه من كل خير ويعري سوءته، يسأل النبي ﷺ أصحابه يوما: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضيَ ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار» (رواه مسلم).

والأخلاق في النفس شيء أصيل، وليست مواد ترف أو أمورا هامشية دخيلة يمكن الاستغناء عنها، فقد سئل النبي ﷺ عن أكمل المؤمنين إيمانا؟ قال: «أحسنهم خلقا» (صحيح، رواه أحمد وغيره)، وقال ﷺ: «ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن» (صحيح، رواه أحمد).

إن الاشتغال بالإصلاح الخلقي يعود

على صاحبه بالخير الكثير، ويرفعه أعلى المقامات، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن ليدرك بخلقه درجة الصائم القائم» (صحيح، رواه ابن حبان).

وتحقيق الأخلاق يتطلب تعهدا مستمرا لغراسها، ولا يتأتى هذا إلا بالتربية الطويلة والمتابعة الدقيقة، التي تؤتي ثمارها بالاعتماد على الأسوة الحسنة واقتباس الآثار الطيبة، المتجلية بالأفعال الكريمة والشيم الحسنة، يقول أنس رضي الله عنه: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت» (رواه البخاري).

وعنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قبل الصوت، فاستقبلهم النبي ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: «لن تراعوا لن تراعوا» وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: «لقد وجدته بحرا. أو: إنه لبحر» (رواه البخاري).

لقد كان الصحابة يسمعون من النبي ﷺ بأعينهم قبل آذانهم، ويتأسون بجميع أفعاله إلا ما خص به، هنيئا لهم فقد وردوا نهرا زاخرا نهلوا منه حتى بدا أثر الري يخرج في أظفارهم.

ولما كانت النفس البشرية موضوع عمل الرسالات السماوية ومحور نشاطها، كرس الإسلام جهودا هائلة لتهذيبها، وغرس مبادئه في أعماقها، حتى صار هذا التهذيب وتلك المبادئ قوة تصلح بها النفس مما اعتراها من خلل، ودواء ناجعا تعالج به مما أصابها من علل، وضمانا أكيدا لخلود حضارة الإسلام المجيدة، إذ بالخلق القويم يستطيع المرء أن يواجه انحراف الفطر المشوهة، وانجراف الطباع السيئة، وإكمال نقص النفوس المفرطة.

وكما يحث الإسلام على إيجاد الأخلاق الحميدة، كذلك يسعى لتوفير البيئة الصالحة التي تحتضن هذه الأخلاق وترعاها وتعمل على تنميتها، فقد روى النبي ﷺ حكاية القاتل الذي يبحث عن توبة تغسله من خطاياه، فدُل على عالم يجيبه عما خالج صدره، وينتشله من براثن الضياع، فنصحه العالم بقوله: «انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء» (رواه مسلم)، فملاحظة البيئة الصالحة أمر لازم لا غنى عنه، وضمان فعال لبقاء مجتمع نقي آمن.

إن بقاء الأخلاق ضمان لبقاء الحضارة وازدهارها، فإذا سقطت الأخلاق في أمة، أوشكت الأمة على الانهيار، وقد أحسن شوقي حين قال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال أيضا:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم
فأقم عليهم مأتما وعويلا

فلا بقاء لأمة إلا بمقدار ما تتمسك به من صفات حميدة، وما تبقيه من أخلاق كريمة، وعلى قدر صلة الأمة بالأخلاق، تكون صلتها بالله ومكانتها بين الأمم، فإذا انسلخت الأخلاق من النفس أذنت بانسلاخ المرء من دينه، فيصير عريانا لا يستره شيء، يتفشى ضرره ويتفاقم خطره.

يجب على المجتمع أن ينظر إلى الأخلاق نظرة اهتمام وتقدير، إذ إنها وليدة العقائد والشرائع وثمرتها، كما أنها عنصر رئيس يهيمن على كل شؤون الحياة وتصرفاتها، لذا وجب الاهتمام بها، والعمل على إيجادها، ونشر فضائلها بالدعوة والإرشاد، إذ في غيابها انحلال للقيم، وإطلاق لعنان الشهوات، بما يحدث اضطرابا يفتك بالمجتمع كله، ويسوقه إلى فوضوية جارفة لا تبقي ولا تذر.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

الشباب.. محور تقدم الأمم

إذا أردت أن تتعرف على أمة وتعرف مدى تقدمها أو تخلفها عن ركاب الحضارات فانظر إلى شبابها، لأنهم المرآة التي تنعكس على وجهها المصقول قيم وثقافة وإنجازات هذه الأمة على أرض الواقع، فهؤلاء الشباب هم مقياس التقدم والثروة الحقيقية لهذه الأمة، فإن أحسنت استغلالها بالشكل الأمثل ستصبح أمة ناجحة، وإن رأيت شبابا ضائعا، تائها، تتجاذبه مغريات الحياة الظاهرية، ويلهث وراء اللهو واللعب تاركا العمل والإنجاز فهذا يعني أننا أمام أمة تجهل مكامن قوتها وتبعثر ثروتها الحقيقية في مهب الرياح.

ما لا يخفى على أحد أن مرحلة الشباب تعتبر مرحلة فاصلة في حياة الإنسان؛ فإما أن تأخذه إلى مراتب عالية من النضوج الفكري والتطور وتفتح له آفاقا ممتدة من الإنجاز والعمل والبناء، أو تأخذه إلى مراتب دونية فكريا وماديا ومعنويا! ليصبح لا شيء في حياته وحياة من حوله.

«الشباب» هي مرحلة الخروج من الاعتمادية على الأسرة، إلى الاعتماد على الذات والانطلاق نحو الاستقلالية التامة، ومن ثم الأخذ بزمام القيادة، ودفع عجلة المجتمع إما إلى الأمام أو إلى الخلف.

إلا أن مرحلة الشباب تتشكل وفقا للمراحل التي تسبقها «الطفولة والمراهقة» فإن كانت الطفولة والمراهقة زاخرتين بالتربية والتوجيه الصحيحين، وبالتعليم المثمر الذي يفجر ينابيع الإبداع الكامنة، لا مجرد الحشو والحفظ، فلابد أن تتمخض عملية الانتقال هذه عن قوة دافعة وعقول مفكرة تكفل للمجتمع المنافسة على المراكز المتقدمة في ركاب الحضارات والتقدم، فيغدو الشباب مصدرا لكل جديد لا مستوردا له، يجيد الابتكار والتصنيع وليس فقط الاستخدام.

وعليه فإن الشباب باختصار هم نتاج المجتمع الذي تربى بين جنباته، وتشرب قيمه. فالمجتمع بكل مكوناته وأطيافه يشارك بتشكيل شخصية وعقلية الشاب، ابتداء من البيت ومرورا بالمدرسة والمراكز الاجتماعية والثقافية والرياضية، وأخيرا الجامعة، وبعدها يغادر الشاب مقاعد الدراسة والاستماع ليأخذ مكانه في مقاعد البناء والعطاء والبذل، فإن نجحت المرحلة السابقة بتشكيل شخصية إيجابية فسيصبح لدينا قادة ومفكرين ومبدعين، وإن كانت مرحلة التعليم والتربية سلبية فلن يحصل المجتمع إلا على هم إضافي، أفراد لا يتقنون شيئا سوى التلقي ويتهربون من المسؤولية كلما أمكن ذلك.

الأسرة

تلعب الأسرة (الوالدان) دورا أساسيا وجوهريا في تشكيل شخصية الشاب، فأن تنجب أطفالا شيء وأن تربي جيلا جديدا على قدر عال من المسؤولية والإبداع شيء آخر، فحين تربي الطفل على القيم العالية والمبادئ الدينية الصحيحة منذ نعومة أظافره، سيكبر ليكون شابا يحترم ذاته ويحترم الجميع حوله، واحترام الذات يعني أن يقدرها ويعززها بسلاح العلم ليخرج أفضل ما فيها، ليحيا ويساعد من حوله ليعيشوا حياة كريمة.

أن يتعلم الاعتماد على نفسه منذ الصغر وفي الأمور الصغيرة، في المأكل والمشرب والملبس، فتلغى عبارة «لايزال صغيرا» من قائمة العبارات، فالصغير سيكبر غدا، ومن شب على شيء شاب عليه، فإن تعود الطفل على الاعتماد على نفسه في مشاكله الصغيرة، سيغدو شابا يعتمد عليه ولا يعتمد على الآخرين، سينبري ليحل المشاكل التي تطرأ في حياته، ولن يستجدي العون ممن هم أكبر منه، سيتعلم تحمل المسؤولية ولن يخشى استلام دفة القيادة، سيمسك بها ويقود السفينة إلى بر الأمان.

المدرسة

يغادر الطفل البيت صغيرا ويلحق بركاب التعليم، المدرسة هي القلم الثاني الذي يبدأ بخط وتشكيل ما سيكون عليه الشاب غدا.

ما لا يخفى على أحد أن نظام التعليم في مجتمعاتنا العربية يعاني بشدة، فالمدارس بنظامها الحالي تعلم ولا تنمي، يقتل الإبداع لدى الطفل بمجرد أن يلتحق بالمدرسة، فعقله الذي كان يفكر دون قيود، أصبح عليه أن يحفظ دون حاجة للفهم أحيانا.

أسلوب التلقين والحشو لا يجدي نفعا إلا للحصول على شهادة.

والشباب لا يحتاجون شهادات بقدر ما هم بحاجة لمن يحفز نقاط القوة فيهم، ليبدعوا؛ كل في المجال الذي يحبه، لا المجال المفروض عليه.
ينبغي أن نتعلم من تجارب المجتمعات المتقدمة في مجال التعليم، فتقدمهم أساسه المدرسة، لأنها هي من زودت المجتمعات بتلك العقول النيرة، أخرجت مبدعين لا متعلمين، فاعلين لا متفاعلين، ومبتكرين لا مقلدين، لذا أصبحت أمما متقدمة تنافس في كل المجالات.

الحكومة

إلى جانب المنزل والمدرسة تلعب الحكومات دورا أساسيا بتوجيه واستثمار طاقات الشباب، فالمدارس والجامعات لوحدها لا تكفي، ماذا عن الأوقات التي يتم تمضيتها خارج المدرسة، ماذا عن الإجازات الصيفية؟!
شهور وأيام وساعات كثيرة تهدر ومعها تهدر فرص ثمينة من شأنها أن تضيف شيئا ذا قيمة إلى عقول الشباب؛ على الحكومات أن تسهم باستثمار هذه الأوقات من خلال إنشاء مؤسسات تسير جنبا إلى جنب بجانب المدارس؛ نواد ثقافية ورياضية، مراكز صيفية إبداعية، مخيمات شبابية تسير وفق خطط مدروسة.
بالطبع هذه المؤسسات موجودة في أغلب مجتمعاتنا، لكنها ليست بالحضور المطلوب، جهود فردية مشتتة، تستهدف فئات محدودة، ونشاطاتها محدودة.
على الحكومات أن تهتم بالمؤسسات الموجودة وتنشئ المزيد، تتابع الأنشطة وتزودها بالخبرات والكفاءات المطلوبة.
كما يفترض أن يتم التنسيق بين هذه المؤسسات والمدارس بحيث تكون العملية التعليمية بالشراكة بينهما، فتسير العملية التعليمية والإبداعية بخطوط متوازية وتكميلية، بحيث يجد الجميع فرصتهم للتعلم والتطور.
لا ينتهي دور الحكومة عند هذا الحد فما إن يكمل الشباب مرحلة التعليم، ليلتحق بركاب العمل، حتى يكون متقدا بالحماسة والرغبة لتنفيذ كل الأحلام والطموحات التي راودت عقله منذ سنوات طويلة، يرغب بتحقيقها على أرض الواقع!!
بالطبع لابد أن يعمل، إن لم يجد فرصة للعمل في المجال الذي يحبه ويبدع فيه، فستضيع كل الجهود التي بذلها الجميع لأجله، والسنوات التي قضاها هو بالتعلم والاكتساب.
فلابد أن تعمل الحكومة على استيعاب كل الطاقات المتقدة، لا بفرص عمل فقط وإنما بخلق فرص للإبداع والابتكار، مجالات عمل متنوعة، تمويل مشاريع خاصة، تنويع سوق العمل أمام الخريجين، تشجيع المشاريع الصغيرة... الخ.
أخيرا، إن تكاتف الجميع وتحملوا مسؤولياتهم المشتركة تجاه الشباب فلابد أن تثمر الجهود مع الشباب ليردوا الجميل إلى أسرهم ومدارسهم وأمتهم بالعمل الجاد والإنجاز المتميز والهمة العالية التي ترفع قدر الأمة وتعلي شأنها بين الأمم.

د. مجدي محمد حسن
خطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

الكويت عاصمة للشباب العربي (٢٠١٧م)

لم يفاجئني الخبر عندما طالعته في الجرائد من أنه تم اختيار دولة الكويت لتكون عاصمة للشباب العربي؛ فالكويت دائما لها الريادة في مضمار السباق في أعمال الخير، فاختيار سمو الأمير قائدا للعمل الإنساني، واختيار دولة الكويت مركزا للعمل الإنساني ليس ببعيد، وفي الثقافة، كانت حاملة للواء الثقافة العام الماضي، وفي الرياضة كذلك، مجالات كثيرة تنطلق فيها دولة الكويت لتحقيق الذات، وسد الفراغ، وأداء الأمانة.

مما يعطي انطباعا وتصورا للعالم أن دولة الكويت ليست دولة صغيرة الحجم الجغرافي، بل هي قارة بكثرة مشاركاتها الدولية، وتواجدها في بؤرة الأحداث على اختلافها وتنوعها في كل مكان، إنها إنجازات لفتت أنظار العالم، وجذبت انتباههم، وفرضت احترام العالم لهم.

ويحرص سمو أمير البلاد وفقه الله وحفظه ورعاه على الاهتمام والرعاية بطوائف الشعب على اختلاف توجهاتهم، لا سيما الشباب منهم.

فولايته للجميع، ومن حقهم عليه أن يرعاهم، ويتولاهم، وينصحهم، ويوجههم إلى المصلحة العامة، وينأى بهم جميعا عن أي شيء يضرهم ويفرقهم، فهو الوالد الكريم الحاني على أبناء بلده ورعيته.

وصور الرعاية والاهتمام بالشباب جوانبها كثيرة، منها:

- الرعاية الصحية

بتوفير المستشفيات، والمستوصفات، وسائر الخدمات الصحية، حتى داخل المدارس هناك رعاية طبية تؤدي دورها قبل المؤسسات الطبية الكبرى، إلى جانب وجود إلزام بالكشف الطبي قبل عقد الزواج؛ حفاظا على الزوجين، وبراعم الشباب الآتية في الغد إن شاء الله.

- الرعاية العلمية والثقافية

ومن أكبر صور الاهتمام بالشباب إعطاء الفرصة للتعليم في سائر التخصصات العلمية، فمدارس التربية، والمعاهد التطبيقية، والجامعات تفتح أبوابها لاستقبال الشباب، وتنمية مواهبهم، والارتقاء بقدراتهم حتى درجات البحث العلمي العليا ولو كان خارج البلاد، فتخرج البعثات العلمية، مع إفساح المجال للمبدعين والمبتكرين من خلال انتقائهم ورعايتهم للمشاركة في النادي العلمي، والمسابقات العلمية الدولية، وقد كان نظام ثانوية المقررات يراعي النبوغ والتوجهات المختلفة عند الشباب، وتتاح الفرص لإكمال مسيرة العلم فيما يحب ويهوى من العلوم والتخصصات، هذا إلى جانب إنشاء دور القرآن؛ لنشر الفكر الإسلامي الوسطي، وإنشاء حلقات تحفيظ القرآن، والمراكز المختلفة لخدمة علوم القرآن الكريم وقراءاته وعلومه.

وقد كان لإنشاء هيئة الشباب دور كبير في ترسيخ هذه الرعاية والعناية بالشباب، وذلك بإنشاء مراكز الشباب، والأندية الصيفية المدعمة بالمربين الفضلاء، فظهر لذلك أثر عظيم في توجيه الشباب، واستثمار أوقاتهم، وحمايتهم من الفكر المتطرف، وهاوية الانحراف طيلة عدة عقود.

يعملون في صمت، يبنون ويؤسسون، ويدفعون بأجيال تملأ جنبات المجتمع، وتكمل المسيرة، تربية، وتعليما، وإصلاحا، وتوجيها، ورعاية، واهتماما؛ للارتقاء بهم ليكونوا رجال الغد.

وبكثرة إنجازاتها أصبحت اليوم وزارة للشباب، وذلك لضرورة دورها وأهميته في المجتمع، فهي تستثمر الوقت لينتفع به الشباب أعظم انتفاع، ولا تترك هذا الشباب يقع فريسة للفراغ، وما يتلو ذلك من دمار فكري وخلقي.

إن الفراغ والشباب والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

فلا بد من الاستثمار والاغتنام والظفر

للحظات الحياة الجميلة والتي نبه عليها النبي ﷺ بقوله: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (رواه البيهقي).

- الرعاية الاقتصادية

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فإن الكويت حريصة كل الحرص على توفير فرص العمل للشباب، والوقوف إلى جواره ومساعدته لإقامة المشاريع المختلفة من خلال الصندوق الوطني لرعاية وتنمية المشاريع الصغيرة.

وكانت الكويت سبَّاقة في فكرها الاقتصادي بحرصها على جعل نصيب مفروض للأجيال القادمة، إنه تناسق فكري يمتد حول الشباب ليؤهلهم للمستقبل الواعد المنتظر، وينتظم الحياة بكل جوانبها.

إن الشباب أمانة، ورعايتهم داخل سياج آمن يحفظهم من النزق الفكري، والتطرف الديني، أو الانحلال الأخلاقي واجبٌ وعمل جليل، نجني ثماره في القريب العاجل، فلتحمل وزارة الشباب بدولة الكويت راية الشباب العربي في عامها هذا؛ تكليلا لجهودها، وإكليلا يتوج رأسها، وقلادة تزين عنقها وجيدها.

وللشباب أقول:

ارتموا في أحضان بلادكم وانعموا في ربوعها، وتنعموا بخيراتها، وانتهزوا الفرصة لتنالوا القسط الكافي من الرعاية الأميرية السامية في كل مجالات الحياة، واستعدوا للغد لتكونوا رجاله وقادته ومفكريه.

إن الكويت شباب دائم متجدد بقراراتها السياسية الصائبة، ونصرتها لقضايا الحق والعدل، وعطفها وحنوها على أصحاب الحاجات والمنكوبين في كافة أصقاع الأرض.

الكويت شباب متجدد بعطفها على المنكوبين في أصقاع الأرض

شباب دائم في تطوير البلاد، وإصلاحها وتجديدها، والرُّقي بها في كل مجال.

شباب دائم في تفاعلها مع قضايا العالم.

شباب دائم في مشاركتها الدولية في المنظمات الدولية، والمؤتمرات العلمية، والدورات الأولمبية، والبارالمبية، والآسيوية، والعالمية.

من هنا كان اختيار الوزراء العرب لدولة الكويت عاصمة للشباب في هذا العام (٢٠١٧م).

ودائما نجد صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد كثير الاهتمام والرعاية بالشباب والحرص عليهم، فهم أبناء اليوم، ورجال الغد، وقادة المستقبل، وهذا الاهتمام السامي والرعاية الكريمة للأخذ بأيديهم إلى معترك الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والرياضية، ووضعهم في بؤرة الأحداث، وهكذا تصنع القادة، ويؤهل الشباب للدور القيادي، فهم الفئة الأكبر تواجدا بين الفئات العمرية المختلفة، وهو الأكثر عطاء، وإنتاجا، وإبداعا بإذن الله.

الإسلام والشباب

إن دولة الكويت استلهمت أهمية الشباب وضرورة رعايتهم من القرآن الكريم، وهدي النبي ﷺ، فالقرآن الكريم يبين لنا أن الأنبياء، والدعاة، والمصلحين، هم من فئة الشباب،

النبي ﷺ كان يستشير الشباب في القرارات المصيرية

قال تعالى: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ۝٦٠﴾ (الأنبياء:٥٩-٦٠).

وقال تعالى: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدًى ۝١٣﴾ (الكهف:١٣).

وقدم لنا نماذج من رعاية الشباب، والاهتمام بهم، يظهر ذلك جليا في وصايا لقمان لابنه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣).

وتوجيهات النبي ﷺ للشباب لا تحصى، منها حديث: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج» (رواه ابن حبان).

ومنها حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «يا بني، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك» (صحيح البخاري).

وجعل النبي ﷺ الشباب يتشاركون معه الرأي في القرارات المصيرية، واستشارهم في معركة أحد، أينتظر القوم في المدينة أم يخرج إليهم؟ فاختاروا الخروج خارج المدينة.

كذلك كان من أخريات أعمال النبي ﷺ أنه أمَّر أسامة بن زيد رضي الله عنه على الجيش، وكان عمره حينئذ ستة عشر عاما، فلما توفي النبي ﷺ جاء خليفته أبو بكر الصديق، فأنفذ جيش أسامة، فكأنه إجماع تلقته الأمة بالقبول، فلابد من الاهتمام بالشباب ورعايتهم، وإفساح الفرص لهم للمشاركة في القضايا المصيرية للأمة، وجعلهم على أهبة الاستعداد لقيادة الأمة، ورفع أركان المجتمع، فليكن الشباب هو ما يشغل قلوبنا وعقولنا، وليكونوا في بؤرة العين، وسويداء القلب، ومهجة النفس، فهم يستحقون ذلك.

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية تربوية

الشباب ثروة مهدرة

إن مرحلة الشباب أهم مرحلة في حياة الإنسان، وقد اختلف في تحديد متى بدايتها ومتى تنتهي، ولكنها بلاشك هي المرحلة التي تقع بين الطفولة والشيخوخة، فالصغير يتطلع إلى بلوغ الشباب ليحقق ما يتمنى، والشاب يحس بذاته في هذه المرحلة، ويشعر أنه اكتمل نضجا، واحتل موقعا في المجتمع، والكهل أو الشيخ ينظر إلى شبابه نظرة تقدير على أنها ماض وضيء، وأحيانا كماض يتحسر على ما مضى فيه ولم ينجز ليعتز بما أنجز.

والشباب لغة هو: أول النهار، ويتضمن معنى التفتح والاستبشار بالحياة، ونقول رجل مشبوب: أي ذكي الفؤاد، ذو القلب المتوقد بالحيوية والحركة. ومعنى الشاب: هو الفرس القوي الذي يشب على قدميه، ومن هنا أُخذت كلمة الشباب، حيث يتصفون بالقوة والمغامرة ومواجهة الصعاب. وفي القاموس المحيط، للفيروز آبادي: فإن كلمة «شب» تدل على: الفتوة، والقوة والنشاط، والحركة، والحسن، والارتفاع، والزيادة في النماء، وشب الصبي: أي أدرك

طور الشباب.

ويتميز الشاب في تلك المرحلة (مرحلة الشباب) بالنضج العقلي والقوة الجسدية وسرعة كبيرة في تخزين المعلومات، ويتميز بالنشاط والحيوية والديناميكية والحركة الفاعلة، وبالقوة والحماس للعمل والاندفاع في الحياة، وعلو الهمة والطموحات، وحب الاكتشاف والتحدي، وروح المجازفة، والقدرة على المواجهة، والمثابرة والعزم والإصرار، والتطلع للمستقبل، والقدرة على الإنتاج والاختراع والابتكار للجديد.

والشاب يرسم لنفسه آمالا كبيرة وأهدافا بعيدة المدى وطموحات راقية تحفزه لبذل الجهد والعمل، فهو يسعى لإنشاء أسرة، ولتطوير ذاته، ولبناء قدراته ومهاراته، ويسعى لاكتساب مكان مرموق في المجتمع، والحصول على وظيفة أو مهنة تناسب قدراته وطموحاته، فهي مرحلة الوعي والإدراك والجد والاجتهاد والطموحات، وهي المرحلة التي إن ضاعت من حياة الإنسان دون تحقيق الآمال فلا أمل يذكر بعدها!

ولذا كان الشباب في كل أمة عمادها وثروتها الحقيقية ومعقد آمالها، والدرع الواقي الذي تعتمد عليه في الدفاع عن كيانها، التي إن تم إهمالها أو التفريط بها يخسر المجتمع خسارة كبيرة تجعله يتراجع للخلف عقودا ودهورا وتجعله يتخلف في ركب الحضارة ورقي الأمم. ولذا فهم ثروة عظيمة وطاقة لابد من استثمارها بما يفيد المجتمعات.

القرآن الكريم والفئة الشابة

روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: «ما بعث الله نبيا إلا شابا، ولا أوتي العلم عالم إلا شابا»، ثم تلا هذه الآية: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (الأنبياء:٦٠). فأبو الأنبياء بدأ دعوته لله تعالى شابا صغيرا يافعا في السن يقدر على مواجهة الصعاب وتحمل الأذى.

وقد امتدح الله تعالى يحيى بن زكريا أنه أوتي الحكم والنبوة وهو صبي قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مريم:١٢). وقال تعالى في سورة الكهف واصفا الفئة المؤمنة مادحا إياهم وأنهم بمرحلة الفتوة والقوة ومرحلة الهداية والإصرار على الحق وقوة التحدي في المواجهة والتي تصعب أن تحقق في مرحلة الطفولة أو الشيخوخة: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ (الكهف:١٣-١٤)، وقال تعالى في سورة القصص واصفا قوة سيدنا موسى عليه السلام في مرحلة الشباب: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ (القصص:١٤-١٧).

فلما أصبح رجلا قويا آتاه الله العلم والحكم والقوة والاصطفاء للنبوة، لدرجة أنه حينما وكز رجلا بضربة خفيفة أرداه قتيلا، ولم يقصد ذلك فاستغفر الله تعالى ووعد أن لن يساعد أحدا من الظالمين، فلن يستخدم قوته في عنفوان شبابه في نصرة الظالم أو معونة أحد في الباطل، ولكن هذه القوة وعنفوان الشباب سيحتاجها في مواجهة الطاغية فرعون وجنده.

سيدنا يوسف مثال لتمالك النفس في مرحلة الشباب

وكذا مدح الله تعالى سيدنا يوسف، عليه السلام، في سورة يوسف عندما بلغ مرحلة الشباب، وآتاه الله العلم والحكم والنبوة والقدرة على تأويل الأحلام والصبر وتمالك النفس عند الشهوات، ما جعله قدوة لكل شاب في كل عصر ومكان، فقال عزوجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (يوسف:٢٢-٢٣). وهذه بعض

الأمثلة من القرآن الكريم لأهمية مرحلة الشباب وأنها مرحلة تحقيق الإنجازات وتغيير المجتمعات والتأثير فيها.

رسول الله ومرحلة الشباب

شجع رسول الله ﷺ على استغلال طاقات الشباب وأوقاتهم وعلى العمل الدؤوب لما فيه مصلحة الدنيا والآخرة وعمارة الأرض وتحقيق مصلحة البلاد والعباد، فقال ﷺ حاثا على اغتنام فترة الشباب حيث لا تعود: «اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (صححه الألباني). وأرشد رسول الله ﷺ الشباب بقوله: « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربِّه حتى يُسألَ عن خمس: عن عمُره فيما أفناهُ، وعن شبابه فيما أبلاهُ، وعن ماله من أين اكتسَبه وفيما أنفقه، وماذا عمِل فيما علِم» (سنن الترمذي)، فهو سيسأل عن عمره عامة وعن شبابه خاصة لما لهذه الفترة من أهمية وطاقة وقدرة للإنجاز.

وأكد ﷺ على مكانة الشاب الصالح عند الله تعالى وجزائه العظيم يوم القيامة: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في طاعة الله...»(متفق عليه).

ومن جانب آخر، كان رسول الله ﷺ يدني منه الشباب، ويطلق عليهم الألقاب الجميلة التي تحفز هممهم وتغرس فيهم حب العمل والعطاء، وكان يوسع صدره لهفواتهم، ويتجاوز عن أخطائهم. وكان يحترم رأيهم كما فعل يوم أخذ بمشورة سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة المنورة قبيل غزوة الأحزاب.

فالشباب حول رسول الله ﷺ كان لهم دور مهم في التاريخ الإسلامي، فهم أول الداخلين في الإسلام، حيث رفض كبار قريش الدخول فيه واعتبروا أنفسهم السادة وذوي الكلمة العليا، أما الشباب فكانوا اليد المعينة لدعم النبوة ونشر الرسالة السماوية مع رسول الله، فهم الشعلة المنيرة وهم العمود الفقري في حمل راية الإسلام في حياة رسول الله ﷺ وبعد مماته، فعلى عاتقهم انتشر الإسلام وأرسلت الجيوش وفتحت بلاد الشام والعراق والمغرب والسند والهند وأوروبا... فكانوا مشاعل النور لنشر الرسالة السماوية مع رسول الله ﷺ.

فأسامة بن زيد بن الحارثة قاد جيش المسلمين إلى بلاد الشام لملاقاة الروم وهو في الثامنة عشرة من عمره، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه عينه رسول الله ﷺ قاضيا على اليمن وهو في ريعان شبابه، ومصعب بن عمير أرسله رسول الله ﷺ قبل الهجرة سفيرا إلى يثرب (المدينة المنورة) وكان في العشرين من عمره، والزبير بن العوام رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة، دخل الإسلام وعمره خمسة عشر عاما، وطلحة ابن عبيدالله من العشرة المبشرين بالجنة وقد أسلم وعمره ستة عشر عاما، وسعد بن أبي وقاص أسلم وعمره سبعة عشر عاما.

والأرقم ابن أبي الأرقم أسلم وفتح بيته لاستقبال المسلمين في مكة وعمره ستة عشر عاما، وانظر إلى عقبة بن نافع يفتح بلاد المغرب وشمال إفريقيا وهو ابن الثامنة عشرة، والإمام الشافعي حفظ الموطأ وهو في العاشرة من عمره، وجلس على كرسي الفتيا وهو في الثانية عشرة من عمره، فانتشر مذهبه وذاع صيته، وانظر إلى سيف الدين قطز ذلك الشاب الذي قهر التتار الذين كانوا قوة لا تقهر وتوفي وهو في الثلاثينات من عمره، وقام زيد بن ثابت رضي الله عنه وعمره عشرين عاما بمهمة عظيمة ثقيلة لا يقدر عليها إلا الأشداء، وهي جمع القرآن الكريم في خلافة أبي بكر الصديق، والأمثلة لا تنتهي من عظمة الرعيل الأول من الشباب.

الاختراعات العلمية في العصر الحديث على أيدي الشباب

وحتى الاختراعات العلمية والتكنولوجية والاتصالات في العصر الحديث كلها تمت على أيدي فئة شباب متحمس للعمل والإنجاز والابتكار والتغيير في الحياة.

مشكلات الشباب في هذا العصر

الناظر إلى شبابنا العربي في هذا العصر يجد أنهم يعانون من عدة مشكلات، فيعاني الواحد منهم من واحدة أو أكثر من هذه المشكلات والتي منها:

عدم وضوح الأهداف من الحياة، وماذا يفعل بحياته وما هي خياراته، وكيف يحقق طموحاته وأحلامه، وما سبب وجوده في هذه الحياة، غافلين عن قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون:١١٥). فظهر جيل شاب اليوم يتصف بالميوعة والترف والتفاهة والتيه، واتباع

الشهوات والسخافات وملذات الحياة، وتقليد الغرب والأجانب والاقتناع بأفكارهم والإعجاب بها، ويا ليتهم اتخذوا علماءهم قدوة لهم! وقد قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم». (رواه أبوداود) جيل يضيعون الصلوات ويتبعون الشهوات ولا يفقهون من كتاب الله وسنة نبيه شيئًا يذكر، قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ (مريم:٥٩)

وبعض الشباب اليوم يعاني من مشاكل نفسية تولدها ضغوط الحياة وكثرة الفراغ، ما يولد لديهم حالات القلق والانفعال الزائد والإهمال البيتي والمشاكل الزوجية والطلاق، أو تجعلهم يميلون لتعاطي المخدرات أو المسكرات، أو تجعلهم يهربون إلى المقاهي من أجل تفريغ طاقاتهم في تلك المقاهي وإضاعة الوقت والمال بلا فائدة لهم ولمجتمعاتهم، أو ينفقون أوقاتهم بالجلوس ساعات خلف الهاتف النقال الذي أصبح داء يعاني منه الصغير والكبير، فلا إنتاج ولا تغيير ولا عبادة لله، والتي لأجلها خلق الإنسان: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ (الذاريات:٥٦).

كما ويعاني شبابنا الفقر والبطالة نتيجة قلة الفرص أو قلة التعليم المدرسي والجامعي، أو كثرة الخريجين الجامعيين مع محدودية الوظائف الحكومية والخاصة، فأصبح العرض أكثر من الطلب، وقلة الاهتمام بالتعليم المهني، وتركيز الاهتمام على التعليم الجامعي، وفي بعض الدول العربية مازال شبابها يعاني من الأمية والتجهيل والتهميش.

هناك ضرورة لإشراك الشباب في الخطط التنموية

وإن من أصعب المشكلات التي يعانيها شبابنا اليوم هو التهميش؛ التهميش في الفرص وفي قبول آرائهم وأفكارهم والحوار معهم، وفي تشجيعهم على الإبداع والاختراع والإنجاز، وتوفير الفرص لذلك، والتهميش في الاستماع لأفكارهم وحاجاتهم ورغباتهم مما ولد الكبت أو الغليان لدى تلك الفئة التي هي كنز حقيقي لو قدمت لهم الفرص اللازمة، وإهمال تلك الفئة هو سبب تخلفنا وتراجعنا وهو ما أراده أعداؤنا.

حلول مقترحة لتوظيف طاقات الشباب

- إعطاء مساحة للشباب في البرامج الحوارية في المدارس والجامعات والأسر ووسائل الإعلام في التعبير عن آرائهم وأفكارهم وحاجاتهم ورغباتهم، ومحاولة الأخذ بها وتطبيقها.
- توفير قنوات فضائية تتفهم حاجات الشباب المسلم ومشكلاتهم، وتسمع لهم وتنقل حاجاتهم.
- توفير برامج اجتماعية وفضائية تنمي طاقات الشباب بشكل إيجابي وتشجع العلم والاختراع والإبداع، واستغلال الطاقات والتنافس في ذلك ومكافأة إنجازاتهم.
- توفير فرص عمل من قبل الحكومات للشباب قدر المستطاع، ذات دخل مناسب لتلك الوظائف، لأن الفراغ مفسدة وكذا الفقر الشديد.
- توفير فرص كافية للتعليم المدرسي والجامعي أو المهني.
- تشجيع تدريس المهن الحرفية واليدوية وليس فقط التعليم الجامعي، لتوفير فرص عمل مستقبلية متنوعة.
- توفير الأندية الثقافية والعلمية والرياضية والاجتماعية للشباب بكل الأحياء.
- التربية للأبناء على طاعة الله وتعاليم الإسلام والصلاة منذ الصغر، وهنا دور الأسرة خاصة.
- تنبيه المجتمعات لخطورة التهميش لفئات الشباب وقلة توفير الفرص لهم للعمل والزواج والإنتاج.
- توفير المختبرات لفئة الشباب من أجل تشجيع التجريب والاكتشاف والإبداع، فالإبداعات تحتاج المعامل والتجريب.
- إشراك الشباب في الخطط الاقتصادية والسياسية والتنموية للمجتمعات في البلاد العربية.
- تشجيع الزواج المبكر للشباب، وتسهيل فرصه وتقليل متطلباته.
- تعليم الأبناء والشباب المفاهيم التالية: أهمية القراءة واستغلال الوقت بما يفيد، وأهمية الإنتاج وتنمية المجتمعات، والاهتمام بحل المشكلات المجتمعية، والاهتمام بالمصلحة العامة وجعلها المفضلة على الخاصة.. وزرع تلك المفاهيم في الأبناء منذ طفولتهم.
- الحرص على تعليم الأبناء منذ الصغر سير العظماء والعلماء وقادة الأمة وشبابها المسلم الذين نتمنى الاقتداء بهم، فهم القدوة التي نريد وهم التاريخ الذي نعتز به ونتمنى العودة له.

د. صلاح فضل توقة
باحث أكاديمي

الشباب هموم وطموح

تعتبر الثروة البشرية هي المكون الأهم بين الثروات التي تمتلكها الأمم، بل إن حالة المجتمعات هي انعكاس لحال أفراد المجتمع تقدما أو تخلفا، ودون تهوين أو تقليل من شأن وأهمية مختلف المراحل العمرية، يعتبر الشباب هم الشريحة الأهم بين مختلف شرائح المجتمع، نظرا لما يتمتعون به من خصائص تجعلهم محط آمال الأمم والشعوب، وقادة ورجالات المستقبل، وحلقة الوصل بين حاضرهم ومستقبلهم القريب.

الشباب مرآة المجتمع

الشباب هم مرآة المجتمع وانعكاس لحالته، فحركة تطور المجتمعات وتقدمها صعودا على مدارج الحضارة، أو هبوطا في دركات التخلف، ترتبط بالحالة التي عليها الشباب، فالشباب هم عماد أي مشروع حضاري، فعندما تنظر في الحال التي يكون عليها شباب أي مجتمع من المجتمعات عقديا وقيميا وفكريا وعلميا، تستطيع أن تتوقع مستقبل هذا المجتمع، في القريب المنظور.

وبالنسبة لشباب المسلمين، فإن حالة الغالبية منهم لا تنبئ بخير! وهذا ليس من قبيل اليأس والقنوط، فهذا ليس من خلق المسلم ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ (يوسف:٨٧)، ولكنه من قبيل التبصير بأحوال شبابنا واستشعارا لما عليه الكثيرون منهم من خطر، ومحاولة لتصحيح الأوضاع وإعادتهم إلى جادة الصواب، فما يعانيه الكثير منهم اليوم من اضطراب فكري، وتفلت أخلاقي ناجم في المقام الأول عن غربتهم عن دينهم واتباع سنن الأمم الأخرى والاقتداء بهم، في المعتقدات والقيم والمظهر، قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ (التوبة:٦٩).

وجاء في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال ومن الناس إلا أولئك» (البخاري).

ومن منطلق أن الشباب مرآة المجتمع، فإن المجتمع الإسلامي في عهد النبوة، وما تلاه من عصور الخلافة الراشدة، ثم دول الإسلام العظيمة الزاهرة، نجد أن شباب المسلمين في هذه العصور كانوا خير شباب علما وعملا، فما كان لدولة الإسلام أن تقوم ويشتد ساعدها، وما كان للإسلام أن ينتشر ويسود خلال هذه العصور لولا جهود هذه العصبة المؤمنة من شباب المسلمين، والتي

كانت نسيج وحدها، وعلما مميزا بذواتهم.
وقد حفظت لنا كتب السير والتاريخ، إسهامات جيل الصحابة رضوان الله عليهم في خدمة الإسلام والمسلمين في حياة النبي وبعد وفاته ﷺ، والمقام يضيق عن ذكرهم جميعا ويعجز عن حصر مواقفهم.

الإسلام حاضنة الشباب

يعتمد الكثير من المتخصصين في العلوم الإنسانية، في دراسة مرحلة الشباب وما يمرون به من تغيرات، على مجموعة من النظريات التي تصور لنا بأن هناك صراعا يعانيه الشباب مع الأنظمة الاجتماعية القائمة في المجتمع، ومع الأسرة، والوالدين، وكل ما يمثل بالنسبة لهم سلطة بصفة عامة، نتيجة لاختلاف الاتجاهات ووجهات النظر بين جيل الشباب وجيل الآباء، مما ينتج عن هذه الحالة من الصراع اضطراب العلاقات وتفككها، وشيوع مشاعر عدم الرضا المتبادل بين أبناء الجيلين، ومن ثم فهم يؤصلون لتمرد الشباب ويغذونه في نفوسهم كحق فطري، فيعيش الشباب حالة صراع قد يطول أمده مخلفا أمراضا اجتماعية ونفسية، تؤثر بالقطع على حالة المجتمع ككل، إن لم يحسن التعامل معه واستيعابه.
وبالنسبة للإسلام فإن نظرته للشباب تختلف عن نظرة العلوم الإنسانية، فالإسلام بتشريعاته وتعاليمه أوجد البيئة الربانية، الحاضنة والمربية لشباب المسلمين، من خلال إحاطتهم بمجموعة من القواعد الهادية والمرشدة لكيفية إعداد وتربية الشباب وتوظيف طاقاتهم وقدراتهم لخدمة الإسلام والمسلمين، ونهضة أمتهم وتقدمها.

حقوق الأولاد مكفولة من الآباء

أولا: المسؤولية

المسؤولية عن الشباب في المقام الأول، تقع على عاتق من يلي أمرهم من الآباء، والمربين، وأولياء الأمور من الحكام والمسؤولين.. وقد جاء في الحديث: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، -قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسؤول عن رعيته- وكلكم راع ومسؤول عن رعيته» (متفق عليه).
ولأهمية المسؤولية عن الأبناء فإنها قائمة وممتدة مع الآباء حتى في لحظات النزع الأخير وقبل أن تبلغ الروح الحلقوم، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء:٩). وقد ذكر ابن كثير، رحمه الله، في تفسيره قول ابن عباس، رضي الله عنهما، هذا في الرجل يحضره الموت، فيسمعه الرجل يوصي بوصية تضر بورثته، فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله، ويوفقه ويسدده للصواب، ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة.
ويقع في نطاق المسؤولية عن الشباب، حث الآباء على الاستقامة والصلاح، لأن أثرهما يتعدى صاحبهما إلى أبنائه من بعده، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف:٨٢).

ثانيا: تهيئة البيئة الصالحة لتنشئة الشباب تنشئة صالحة

تساعد البيئة الصالحة على توفير الظروف والأسباب اللازمة لتربية وتنشئة الشباب تنشئة إسلامية سليمة، والبيئة الصالحة يتطلب وجودها عددا من الشروط، منها:
أ - اختيار الأم الصالحة، ذات الدين، ففي الحديث، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» (مسلم).
وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» (ابن ماجه).
فالأم الصالحة مدرسة تربوية تساعد في تخريج أجيال صالحين نافعين لأنفسهم ولدينهم ولأمتهم.
وكذلك يجب الحرص من جانب البنت وولي أمرها على اختيار الزوج الصالح، والذي سيكون أبا لأبنائها، ففي الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب

إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» (الترمذي).

ب - تحصين الذرية من الشيطان وذلك بالاستعاذة عند الجماع، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبدا» (متفق عليه).

جـ - اختيار الاسم الحسن: فهو الذي ينادى به في الدنيا وفي الآخرة، وقد حض الإسلام على ذلك ففي الحديث: عن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحب أسمائكم إلى الله، عبدالله وعبدالرحمن» (مسلم).

وقد ورد عني النبي ﷺ أنه كان يأمر بتغيير الأسماء غير الحسنة، فقد صح عنه أنه غير أسم أم المؤمنين زينب بنت جحش، رضي الله عنها، وكان اسمها قبل أن تسلم «برة» فغيره إلى زينب.

د - تعليمهم أمور الدين: وأولها العقيدة السليمة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣) وتعليمهم القرآن الكريم، وعلوم السنة، جاء في الحديث: عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (البخاري)، ثم حضه على اكتساب ما يحسن من علوم دنيوية أو أعمال وحرف تساعده مواهبه على النجاح فيها.

هـ - تعهدهم بالنصح والإرشاد: بلين ورفق يحببهم في الاستماع للنصيحة وتقبلها وتنفيذها أمرا أو نهيا، ففي الحديث: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: يا معاذ؟ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، قلت يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا» (متفق عليه).

وعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: كنت خلف رسول الله يوما فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (الترمذي).

ثالثا: تعظيم أمر الشباب

إذا كانت هناك مسؤولية تقع على عاتق الأفراد والجماعات تجاه الشباب، فإن الشباب أيضا مسؤولون عن أنفسهم أمام الله، ففي الحديث عن ابن مسعود: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما عمل» (الترمذي وصححه الألباني).

ومسؤولية الشباب عن شبابهم يجب أن تدفعهم إلى الإيجابية في استثمارها بكل ما فيه النفع والصلاح في الدين والدنيا، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» (الحاكم).

رابعا: احتواء الشباب وتفهم مشكلاتهم

تتميز مرحلة الشباب بمجموعة من الخصائص التي تطبع سلوكاتهم بطابع خاص قد يغلب عليه الحدة أو الاندفاع، مما يجعل التعامل معهم ومع مشكلاتهم يتطلب معاملة خاصة، تساعد على احتوائهم وتقبلهم وغمرهم بمشاعر الحب والرحمة، وتفهم ما يمرون به من تغيرات.

ومن أمثلة هذه المشكلات:

أ- الغلو والتشدد

حماسة الشباب وحرصهم على الطاعة والالتزام دون علم شرعي قد تؤدي بهم إلى الفهم المغلوط لحقائق الدين والتشدد في التطبيق الذي يبطل عبادتهم، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» (متفق عليه).

فحماسة هؤلاء دفعتهم إلى أن يبتدعوا في دين الله ما ليس فيه وأن يخالفوا هدي النبي ﷺ، وإن كان الأمر في ظاهره الاجتهاد في العبادة، وهي أمور لم يقرهم عليها النبي ﷺ وإنما بين ووضح لهم المفهوم الصحيح للعبادة وأنها تكون

موافقة لما جاء به ﷺ، وما خالفه لا يعد دينا «فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ب- الانحرافات الجنسية

يتعرض الشباب لمجموعة من التغيرات الجنسية الشديدة والمتلاحقة، والتي قد تؤدي لمشكلات نفسية واجتماعية في حالة انحرافها عن مسارها الذي خلقت من أجله، ونظرة الإسلام للغريزة الجنسية نظرة معتدلة بلا إفراط أو تفريط، فالغريزة الجنسية غريزة فطرية فطر الله الإنسان عليها، وقد حدد الإسلام مسارا شرعيا لإشباعها وهو الزواج الشرعي، وفي حالة عدم استطاعة الزواج فعلى الشباب غض البصر والإكثار من الصيام إخمادا لشهوة الجنس وحماية من آثارها السيئة.

وتحصينا للمسلم من الوقوع في ذنب الزنا فإن الله سبحانه وتعالى نهانا عن مخالطة واقتراف الأسباب الموصلة للوقوع في الزنا ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢).

وجاء الأمر بغض البصر باعتباره إحدى الطرق الموصلة للزنا، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور:٣٠).

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ (النور:٣١).

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٣)، قال العلامة السعدي، رحمه الله، في تفسيره: هذا حكم العاجز عن النكاح، أمره الله أن يستعفف، أن يكف عن المحرم، ويفعل الأسباب التي تكفه عنه، من صرف دواعي قلبه بالأفكار التي تخطر بإيقاعه فيه.

وقد جاء شاب إلى النبي ﷺ استحكمت فيه شهوة الجنس وملكت عليه أمره، طالبا منه الرخصة والتصريح بالزنا، وقد غضب الصحابة من طلب الشاب ومجاهرته بالفاحشة، ولكن النبي ﷺ بين لنا منهج التعامل مع مثل هذه الحالات بمراعاة الضغوط النفسية والجسدية التي تحدث نتيجة لإثارة الحاجات الجنسية عند الشباب، والتي لا يجدي معها التعامل العنيف والازدراء والتوبيخ، فراعى النبي ﷺ حالته وتعامل معه برفق ولين، وبعد أن أجلسه حاوره وبين له حرمة هذا الفعل، ثم دعا له مبديا له حرصه عليه ورغبته في هدايته واستقامته، وهكذا يجب أن يكون التعامل مع الشباب في مثل هذه المواقف.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: ادنه، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد يلتفت إلى شيء» (أحمد).

ج - البطالة

البطالة من المشكلات المزمنة التي يعاني منها الشباب، ويترتب عليها آثار خطيرة، ولذلك عمل الإسلام على وضع الحلول لها، فشجع الشباب على العمل وحببهم فيه، وبغضهم في المسألة والتسول، كما حثهم أيضا على توظيف ما لديهم من طاقات وما يمتلكونه من إمكانات حتى ولو كانت قليلة، من أجل إيجاد فرصة عمل، تساعدهم على نفع أنفسهم وذويهم ومجتمعهم.

ففي الحديث عن المقدام بن معدي كرب، عن النبي ﷺ، قال: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده»، قال: «وكان داود لا يأكل إلا من عمل يده» (البخاري).

خامسا: تمكينهم من المشاركة في إدارة شؤون بلدانهم

ما أكثر الحديث اليوم، بحق يراد به حق، أو بحق يراد به باطل!، عن تمكين الشباب والاستعانة بهم في إدارة شؤون بلادهم، وقد سبق الإسلام في تمكين الشباب وإشراكهم في إدارة أمور البلاد، هذا في الوقت الذي كان يحكم فيه العالم بحكم ظالم مستبد يمتلك البلاد ويستعبد العباد.

سبق الإسلام في تمكين الشباب وإشراكهم في إدارة الدولة

فعلى عهد النبوة كان للشباب نصيب وافر في إدارة شؤون الدولة الإسلامية على كافة الأصعدة الدعوية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وبالفعل كانوا على قدر المسؤولية، وأنجزوا ما كلفهم به النبي ﷺ، وليكونوا هم قادة الأمة

ورجالها بعد وفاته ﷺ.
فهاهو الصحابي الشاب مصعب بن عمير رضي الله عنه يكلفه النبي ﷺ بأمر الدعوة ونشر الإسلام وتعليمه لأهل يثرب قبل أن يهاجر إليها، وهو أمر في غاية الأهمية من ناحية نشر الإسلام وكون يثرب ستكون دار الهجرة ومقر القيادة النبوية ونواة الدولة الإسلامية التي سيهاجر إليها النبي ﷺ.
ويرسل الصحابي الشاب معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن معلما وقاضيا ومفتيا ويكلف الصحابي الشاب علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ليبيت في فراشه ليلة الهجرة ويعهد إليه برد الأمانات إلى أهلها من كفار مكة، وهو لاشك تكليف عظيم في موقف عصيب.
وليس أدل على تمكين الإسلام للشباب من تأمير النبي ﷺ الصحابي الشاب أسامة بن زيد، رضي الله عنهما، على الجيش الغازي لقتال الروم، هذا الجيش فيه قادة الإسلام العظام وخير رجال الأمة بعد رسول الله، أبوبكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم من رجالات الإسلام وفرسانه، رضي الله عنهم أجمعين.
وعلى هذا النهج سار الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ، فسير أبوبكر الصديق خليفة المسلمين بعث أسامة وأبقاه قائدا للجيش كما عينه النبي ﷺ، كما كان للشباب حضور دائم في تقرير شؤون الخلافة الإسلامية، قال ابن عباس، رضي الله عنهما: «وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاوراته، كهولا كانوا أو شبانا» (البخاري).
ولم يقتصر تمكين الشباب على الرجال منهم فقط، وإنما مكن الإسلام أيضا للفتيات وأتاح لهن الفرصة للمشاركة في بناء الدولة، بحسب فطرتهن وطبقا للضوابط الشرعية المتعلقة بالنساء.
فقد شاركت أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، في حادثة الهجرة بنقل الطعام إلى النبي ﷺ وإلى أبيها في الغار، ويشهد التاريخ لأم المؤمنين السيدة عائشة، رضي الله عنها، في حفظ السنة وتعليمها والإفتاء فيما يهم المسلمين، ومواقفها المشهودة في حفظ عقيدة الأمة، وغيرها من الأمثلة الكثير.

سادسا: الشباب ساحة صراع فكري

الشباب ساحة خصبة ومجال مفتوح لحرب العقائد والأفكار، بهدف تغيير الوعي واحتلال العقول مما يجعله تحديا كبيرا قد يفوق التحديات العسكرية، حيث أصبح الغزو الفكري بكل تبعاته، في كثير من الأحيان السلاح البديل لغزو الآخر وسحقه في عقر داره.
والأمة الإسلامية مستهدفة في عقيدتها، وذلك منذ بعثة النبي ﷺ وجهره بالدعوة إلى الإسلام، حيث بدأ الصراع العقائدي بين الحق والباطل، فأخذ الكفار في إثارة الشبهات في وجه المسلمين حول شخص النبي ﷺ، ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ (الذاريات:٥٢)، وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال:٣١)، وفي عقيدة التوحيد: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٌ﴾ (ص:٥)، مع تنويع الشبهات وزيادتها بانتشار الإسلام واتساع رقعته، حتى خرج على حياة النبي ﷺ من يدعي النبوة.
والصراع الفكري صراع ممتد وهو الآن على أشده، والأمة الإسلامية مستهدفة بقوة في شبابها لتضييع الفرصة عليها في استعادة سيادتها وريادتها للأمم، فأعداء الأمة يعملون جاهدين على استقطاب شباب المسلمين وترويج أفكار وفلسفات، تصطدم مع عقيدة التوحيد وتنافيها، بهدف القضاء على الإسلام، حتى وجد بيننا من يفاخر بعلمانيته أو ليبراليته، أو يجاهر بإلحاده.
ونلاحظ أن الصراع الفكري وإن تعددت وسائله وتنوعت أدواته ولغة خطابه، ودعاته فإنه لا يخرج عن هدف واحد وهو هدم الإسلام وفض الناس عنه بالتشكيك في العقيدة وثوابتها، والطعن في السنة، والطعن في الصحابة، رضي الله عنهم، بل والطعن في شخص النبي ﷺ.
وبكل أسف فإن الصراع الفكري في غالبية عالمنا الإسلامي يحاك ويدار عبر مناهجنا التعليمية، ووسائل الإعلام الرسمية، ووزارات الثقافة، والعديد من منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية.
وعلى أية حال فإن ما نرجوه من خير وصلاح لشبابنا، وما نؤمله عليهم مستقبلا لن يكون إلا بمواجهة ما يعانيه الشباب من مشكلات في الحاضر، وليس من قبيل المبالغة القول بأن الشباب في وقتنا الراهن يمثلون همًا وحملا ثقيلا على الأمة، ولاسيما في ظل ثورة التقدم التكنولوجي التي أسقطت الحواجز وتخطت عامل المكان والزمان . همًا في تربيته هما في تعليمه، همًا في توجيهه، وهذا يتطلب العمل الجاد لوضع خطط وبرامج فعلية لإعداد أجيال من شبابنا معتزة بدينها ومتخلقة بأخلاقه، فالشباب هو الدرع الواقي للأمة.. في قوته قوة لها وفي ضعفه ضعف لها، وهم أمانة في أعناقنا يجب أن نؤديها بحقها لأن الله سائلنا عنهم.

جميلة مرابط
باحثة مغربية

الخوف حاجز أمام المبادرة

الخوف هو شعور عام في الكيان الإنساني. وغالبا ما نجد الفرد يميل إلى حياة الركود الخالية من المخاطر؛ لأن أي حركة نحو تحقيق إنجازات هي خطوة مخيفة نوعا ما؛ ذلك أن أعظم عقبة قد نواجهها لكي نخطو للأمام هي الخوف.

الخوف من الفشل أو احتمال تكرار فشل، أفكار تصبح عبارة عن نبوءة تحقق نفسها بنفسها، مما يؤدي إلى تثبيط همم، ويصبح الانتظار هو الملجأ الذي يوصلنا إلى مستنقع الركود وتقبل الأمر الواقع، لتبدأ سلسلة كبيرة من الإحباطات ومشاعر الاكتئاب وانعدام الهدف، ويكون بداخلنا أسوار ثقافية وذهنية تكبل الفرد من عدم النهوض والمبادرة.

لذلك نتساءل عن سبيل لإحياء روح العزيمة وصدع أغلال الخوف التي تكبل وتشل سيرورة حياتنا، خصوصا أن من أمهات الأخلاق في الإسلام التحلي بقوة الإقدام وبذل الجهد، بعد الاستعانة بالله، مصداقا لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان». وبالتالي نتساءل: إلى أي مدى يشكل هذا الحديث وغيره من الأحاديث والوصايا تأشيرة للعبور من عالم الخوف إلى عالم المبادرة؟

التحرير
تصوير
هدايت الله نثار

رئيس التحرير د. النهام يسلم المدير العام لسمرقند يعقوب الأرچن درعًا تذكاريًا

الوعي الإسلامي وسمرقند الإعلامية يتبادلان الخبرات

في تعزيز ملموس لأُطر التعاون في المجالَين الثقافي والإعلامي؛ تأتي زيارة وفد مؤسسة سمرقند التركية برئاسة مديرها العام الأستاذ يعقوب الأرچن، حيث التقى رئيس تحرير مجلة «الوعي الإسلامي»، وثُلة من مسؤولي المجلة والعاملين فيها، وتم خلال هذا اللقاء – الذي كان بمثابة اجتماع عمل- تبادل الأفكار والخبرات التي ساهمت في تميز كلٍّ من المؤسستين الإعلاميتين.

هذا وتعتبر مؤسسة سمرقند – التي تأسست سنة: (١٩٩٧م) – مؤسسة ذات طابع وقفي، وينصبُّ اهتمامها الأول على نشر الثقافة الإسلامية، وذلك عبر امتلاك وسائل النشر المختلفة، منها:

١. إذاعة سمرقند (راديو أونبش)؛ حيث تأسست سنة: (٢٠٠٣م)، وحصلت على جائزة (المستمع الخاص) في مسابقة نجوم الإذاعة، بعد سنة واحدة فقط على انطلاقتها، ثم تتابع تميزها حتى حصلت على العديد من جوائز التميز على مستوى الجمهورية التركية.

٢. تلفزيون سمرقند، حيث تأسس في عام: (٢٠١٠م)، وبدأ البث التلفزيوني لقناة «سمرقند»، في نفس العام.

٣. المجلات المختلفة التي بلغت ست مجلات في علوم وفنون مختلفة، تتناول شؤون المجتمع والمرأة والطفل.

٤. دور النشر التي تُعنى بنشر

زيارة د. النهام لمقر سمرقند الإعلامية بتركيا

الكتب الإسلامية، حيث يبلغ عدد الممثلين للشركة الآن في تركيا وحدها: (١٧٤) ممثلاً موزعين على كافة المدن التركية، ويوجد للشركة ممثلون في جميع الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأميريكية.

هذا وتفخر شركة سمرقند التركية بأنَّ عدد الشركات التابعة لها وصل إلى: (١٨) شركة، وعملها موزع في مجالات متعددة.

وتأتي زيارة وفد مؤسسة سمرقند إلى مجلة «الوعي الإسلامي» لبلورة الأفكار التي تمت خلال الزيارة السابقة لوفد مجلة «الوعي الإسلامي» إلى مقرِّ المؤسسة في إسطنبول بتاريخ: (١٠/٥/٢٠١٧م) برئاسة رئيس تحريرها الدكتور صالح سالم النهام، حيث تعرف على رحلة انطلاق «سمرقند» من إصدار مجلة واحدة حتى أصبح لهم ست مجلات شهرية، تتناول شؤون الطفل والمرأة والأسرة، وقد قام رئيس التحرير خلال هذه الزيارة بجولة في مقر المؤسسة بصحبة مديرها العام ليطلع على معالمها؛ فزار «الاستوديو» وتعرف على آلية العمل لديهم، كما زار مقر الإذاعة والتلفزيون الخاص بالشركة، واطلع على العديد من البرامج الجماهيرية الخاصة بهم.

هذا وقد أثمرت المباحثات العامة بين الجانبين؛ فأسفرت عن «بروتوكول» يُعد بمثابة اتفاق على سبيل تبادل الخبرات في مجالات الإعلام الإسلامي، ويتم حاليا دراسة تبادل إعلاني بين المؤسستين، واتفق على فتح نقاط توزيع لـ «الوعي الإسلامي» في تركيا لتصل أعدادها إلى هناك بشكل شهري ومنتظم. في حين يستمر التواصل بين الطرفين للوصول إلى نقاط تعاون مشترك حرصا على الريادة في تنمية المجتمعات الإسلامية.

هذا وقد تم خلال هذا اللقاء المثمر تبادل الحديث عن إصدارات كل من مجلة «الوعي الإسلامي»، ومؤسسة سمرقند، فأوضح رئيس التحرير بأنَّ إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي» قد بلغت (١٤١) إصدارا، تنوعت بين الثقافي والعلمي والتخصصي والتاريخي، وأبدى وفد المؤسسة إعجابهم بما

مباحثات الوعي الإسلامي مع وفد سمرقند

حوته هذه الإصدارات من ثراء معرفي، وتنوع في طريقة العرض والطرح.

كما أوضح مدير عام مؤسسة سمرقند بأن إصداراتهم الثقافية من اختصاص الرافد العلمي للمؤسسة، والمتمثل بمنارتها الثقافية، وهي المكتبة الهاشمية للطباعة والنشر والتوزيع، والتي أُسست في مدينة إسطنبول عام: (٢٠١٠م)، متخذة من شعار «نحافظ على تراثنا» منهجا في العمل، وهذه المكتبة تقوم على تحقيق الكتب الإسلامية والعربية، وتصحيحها ومراجعتها بإشراف لجنة علمية متخصصة، ولذا فالكتب التي تطبعها تكاد تكون خالية من الأخطاء الطباعية والعلمية، وهي مع قرب عهدها تتناول في مطبوعاتها أنواعا وموضوعات شتى، في دلالة قاطعة على سلامة توجهها.

لقد تبنت «الهاشمية» مشروع الحفاظ على كتب السلف الصالح، وإخراجها بصورة فنية معاصرة، خالية قدر الإمكان من الأخطاء الفنية، معتمدة في ذلك على نسخ خطية أو مطبوعة صحيحة بإشراف لجنة علمية مختصة بمختلف العلوم الإسلامية.

هذا وإن «الهاشمية» تزود المدارس الإسلامية بكتب النحو والصرف والعقيدة والبلاغة والسيرة.. مما تحتاجه هذه المدارس في تركيا أو خارجها، وذلك بعد مراجعتها من قبل لجان علمية كرست وقتها لهذا الهدف النبيل.

وتهتم المكتبة الهاشمية بخدمة الكتب الإسلامية وطباعتها، بدءًا بالكتب المقررة في مدارسها، وانتهاء بالكتب الإسلامية عامة (المتون والشروح والحواشي) وذلك باللغات العربية والفارسية والعثمانية والكردية، تلبية لدعوة (نحافظ على تراثنا).

وقد حصلت «الوعي الإسلامي» على نسخة من هذه الإصدارات، وتتميز مطبوعاتهم بالأغلفة الجميلة والتصميمات الفاخرة.

وتضم المكتبة كتبا في مجالات شتى، منها:

١. في مجال العلوم العربية، كالنحو والصرف والوضع والبلاغة.
٢. في مجال المنطق والحكمة.
٣. في مجال العقيدة الإسلامية.
٤. في مجال آداب البحث والمناظرة.
٥. في مجال التفسير والحديث.
٦. في مجال الفقه وأصوله.
٧. في مجال الأخلاق والرقائق.

هذا ويستمر التبادل الإعلامي والثقافي بين الجانبين مؤكدا على متانة العلاقات الثقافية التي يبذلها كل من الطرفين في مجال خدمة قضايا الأمة الإسلامية من خلال نشر الثقافة الوسطية في مختلف بلدان العالم.

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضَّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، ويبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلًا.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.

البريد الإلكتروني:
info@alwaei.com

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.
- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.
- للمجلة حق الاختصار والتعديل بما يتوافق مع المساحة المتاحة.

السيد محمد المسيري
خبير اقتصادي مصري

الإسلام أصلح النظم الاقتصادية

الإسلام هو أعظم الشرائع السماوية؛ لكونه كلام الله تبارك وتعالى، ويشمل جميع ميادين الحياة المختلفة التي تهم أمر المجتمع الإنساني لإسعادهم جميعا، فتعاليمه وأصوله هي في جوهرها تدعو إلى الإبداع، وإلى العلم الذي يلبي متطلبات الفرد والجماعة الإنسانية. ومن ثم وضع الإسلام نُظُمًا راسخة من شأنها إقرارها للملكية الفردية، وحمايتها حتى تذلل أمام الفرد كل طرق التملك، والحصول على المال، والتشجيع على العمل، وإفساح المجال أمام المنافسة «competition»، والرغبة في تكافؤ الفرص بين الناس في شتى المجالات.

فالإسلام إذن هو أصلح النظم الاقتصادية التي تسود العالم، والتي يقوم عليها المجتمع الإنساني «The humanitarian Community» وذلك للأسباب التالية:

١- أنه يقيم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم قوية مثل: التكافل، والتعاون، والتآخي بالبر والعدل. ويعمل على استقرار التوازن الاقتصادي «The economic balance» بين الطبقات حتى لا يحدث تضخم للثروات.

٢- أنه نظام وسطي بين «النظام الرأسمالي Capitalism system» و«النظام الشيوعي Communist system» حيث يضع في اعتباره مصلحة الفرد، ومصلحة الجماعة في وقت واحد، فهو يحترم الملكية

الفردية «Individual property» ويقرها؛ لأنها تتوافق مع الفطرة الإنسانية، ولا يقرها مطلقة من كل قيودها، فجعلها مقيدة بقيود تكفل عدم الإضرار بحقوق الآخرين، وبالصالح العام. ويمكن أن ترد حقيقة هذه الملكية إلى أن المال هو مال الله، والناس مستخلفون فيه تصديقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد:٧).

٣- أنه حرّم استغلال النفوذ والسلطان للحصول على المال، كما حرّم أيضا جميع المعاملات التي تقوم على أكل أموال الناس بالباطل؛ امتثالا لقوله عز شأنه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ (البقرة:١٨٨). وفي هذا تذكير لهم برحمة الله بهم. وإذا لم يُفِد التذكير فهناك التحذير، وبشأن ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ (النساء:٣٠).

٤- أنه حرّم الغش، ونهى عنه؛ لكونه دليلًا على نقص الإيمان، ولكونه أيضا يمحق الرزق، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: مرّ في السوق على صُبرة طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللًا، فقال ﷺ: «ما هذا يا صاحب الطعام؟ فقال: يا رسول الله أصابته

الإسلام يشمل جميع ميادين حياة المجتمع الإنساني

السماء. قال: ألا جعلته فوق الطعام حتي يراه الناس، من غشّنا فليس منا» (صحيح ابن حبان).

٥- أنه حرّم الرّبا، وجعله من أكبر أسباب الفقر، والدمار، وأقوى عوامل الذل والهوان للأمم والشعوب، وتوعّد مرتكبيه بالحرب، وحرّم ما ينجم عنه، وبخصوص ذلك يقول الله جل في علاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ (البقرة:٢٧٨-٢٧٩).

وقد «لعن رسول الله ﷺ: آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال هم سواء». فالرّبا المقصود هنا هو: ربا النسيئة الذي يسود المجتمعات الرأسمالية.

الإسلام حرّم استغلال النفوذ وجميع المعاملات التي تقوم على أكل أموال الناس بالباطل

٦- أنه حرّم احتكار ضرورات الناس للتحكم في أسعارها، فقد قال رسول الله ﷺ: «من احتكر فهو خاطئ» (رواه مسلم). وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون». والجالب: هو الذي يجلب السلع، ويبيعها بربح يسير. ويقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج:٢٥).

وبالتالي فتحريم الإسلام للاحتكار فيه تنظيم للسوق، ودعوة للمنافسة الخيِّرة، وتحديد للثمن العادل الذي لا يجحف بالبائع ولا بالمشتري.

٧- أنه يقسّم الربح بين العمل والمال؛ لأنهما أهم عناصر الإنتاج في المضاربة، ويهتم أيضا بأمر الدين والدنيا؛ لارتباطه الوثيق بالناحية العقائدية والخُلُقية؛ لقيام هذا الجانب الاقتصادي على ركيزتَي الإيمان بالله واليوم الآخر.

وهكذا ينبغي علينا كمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن نتمسك بإسلامنا؛ لأنه كنز كبير لا يفنى، وبتطبيقنا له في كل ما تقدم تبيانه يعمُّ التقدم عالمنا العربي والإسلامي.

مراد النشاط
دكتوراه في العلوم الإنسانية

لاتساع رقعته بعد انقطاع الوحي:

الاختلاف الفقهي.. فائدة دراسته

إن الاختلاف في الفقه سمة بارزة، وخاصية ظاهرة لكل من له إلمام بالفقه الإسلامي وتصوّر عنه، وقد كان ظهوره مبكرًا جدًا حيث تحفظ لنا بعض الآثار نماذج لاختلاف الصحابة في مسائل فقهية في عهد النبي ﷺ، ومن أشهر ذلك، اختلاف الصحابة حول صلاة العصر وهم في طريقهم إلى بني قريظة. غير أن رقعة الاختلاف الفقهي اتسعت أكثر بعد انقطاع الوحي، وتفرُّق الصحابة في الأمصار، وتجدد المسائل، وكثرة النوازل، ودخول الشعوب في دين الإسلام أفواجا، الأمر الذي جعل من الاختلاف الفقهي في استنباط الأحكام، أو في تنزيلها واقعا طبيعيا اقتضته طبيعة الحياة الجديدة من جهة، وطبيعة نصوص الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية، باعتبار أنهما بلُغة عربية من خصائصها الاشتراك اللغوي، ووجود الحقيقة والمجاز في تراكيبها...إلخ. وتوافر هذه الأسباب العلمية والبيئية في وقوع الاختلاف وحصوله يجعل منه حقلا معرفيّا غنيّا ومُهِمًّا يُكسب دارسه والمطلع عليه مجموعة من الفوائد العلمية والمهارات العملية، يمكن أن أذكر بعضها على الشكل التالي:

أولا: التعرف على مناهج العلماء في استنباط الأحكام الشرعية، وطرائقهم في الفتوى، ومآخذ الفقهاء في استدلالهم بالأدلة وبناء الأحكام عليها، وهذا لا يتأتى إلا لمن سَبَرَ غور المذاهب الفقهية، ولم يكتف في بناء شخصيته العلمية بمدرسة أو مذهب واحد. عن عطاء رحمه الله قال: «لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالما باختلاف الناس؛ فإنه إن لم يكن كذلك رَدَّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يده» (١)، وعن يحيى بن سلام أنه قال: «لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول هذا أحب إلي» (٢).

ثانيا: السلامة من التعصب المذموم للآراء والمذاهب والرجال؛ لأن الاطلاع على ما عند المخالف، والوقوف على منزعه فيما ذهب إليه واعتقده صوابا يوسّع الأفق، ويربي الدارس للخلاف الفقهي على التسامح والاعتذار لغيره، ومعرفة قدر مخالفه، ويجنبه التنقيص منه، بل يحترمه ويحفظ حبل الود معه. ولهذا قالوا: إن الاختلاف لا يفسد للود قضية.

ثالثا: التمرن على طرائق الاجتهاد وتكوين ملكته، من خلال إدمان النظر في ترجيحات الفقهاء، ودفاعهم عن مذاهبهم وأقوالهم الفقهية، تضعيفا لهذا الدليل وتقوية لذاك، وقبولا لهذا القول وردّا للآخر، الأمر الذي يثمر فقيها متمرّسا، ويُخرّج عالِما متبصرا، ذا علم ناضج وفقه واع، وليس فقط حافظا للفروع والمسائل. فعن سعيد ابن أبي عروبة رحمه الله قال: «مَنْ لم يسمع الاختلاف فلا تَعُدُوه عالما» (٣)، وعن قبيصة بن عقبة قال: «لا يُفلِح مَنْ لا يعرف اختلاف الناس». (٤)

رابعا: التمييز بين الأقوال الفقهية المختلفة، والتفريق بين ما هو اختلاف فقهي قوي حقه الاعتبار، وما هو اختلاف فقهي ضعيف حقه الإهمال وعدم الالتفات إليه؛ لضعف مأخذه، وبُعد قائله عن الصواب بسبب مخالفته دليلا قطعيا، أو ما أشبه من العلل والأسباب.

وما أحسن قول القائل:

فليس كل خلاف جاء معتبرًا

إلّا خلاف له حظ من النظر

وهكذا يتدرب الباحث المتفقه على ذلك حتى يصبح قادرا على التمييز بين الخلاف اللفظي الصوري الذي مآله إلى اتفاق الفقهاء المختلفين في الظاهر، وبين الاختلاف الفقهي الحقيقي الذي يجب فيه تتبع الحق وبذل الجهد في معرفة الصواب من أقوال المختلفين.

خامسا: التأدب بآداب العلم ومعرفة حق العلم، وخطورة الفتوى، والقول على الله تعالى والتوقيع عنه سبحانه بغير علم. فعن أيوب السختياني وابن عيينة قالا: «أجسر الناس على الفتيا أَقلهم علمًا باختلاف العلماء، وأمسكُ الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء». (٥)

سادسا: الدفاع عن الفقه الإسلامي والرد على الشبه المزعومة حوله، من خلال التدليل على أصالته وقوة استمداده المؤسَّس أولًا وقبل كل شيء على نصوص الوحيين: القرآن الكريم، والسنة النبوية، خلافا لما قد يتوهمه البعض من أنّ أصله التعاليم اليهودية، أو النصرانية، أو غيرهما من الشرائع السماوية المحرفة، فضلا عن الشرائع الوضعية، كالقانون الروماني مثلا أو غيره. أو أنه ليس إلا أفكار وآراء الرجال التي أَمْلتها عليهم ظروفهم وتجاربهم الشخصية التي لا تلزم غيرهم في زمانهم، بله من جاء بعدهم.

سابعا: تعميق الصلة بين الأجيال المسلمة وتوريث محبة الخلف منهم للسلف، بعد اطلاع الأجيال اللاحقة على المجهودات الكبيرة التي بذلها السابقون من خلال الوقوف على سعة علمهم، وكثرة معارفهم الأمر الذي يفرض علينا احترامهم، وإجلالهم، والدعاء لهم بالرحمة والرضوان، بدءًا بفقهاء الصحابة رضي الله عنهم، ومرورًا بفقهاء المذاهب الفقهية عامة والأربعة منهم على وجه الخصوص، وانتهاءً بفقهاء الإسلام في كل جيل وعصر، لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠).

ثامنا: الإفادة من الخدمة التي قدمها العلماء والفقهاء إلى المسلمين عبر العصور، وما خلّفوه لهم من ثروة علمية عظيمة لا توجد عند غيرهم البتة، ثروة علمية أحوج ما تكون إلى نفض الغبار عنها، وتقريب الدارسين والباحثين المسلمين إليها؛ للاستفادة منها كلٌّ من زاوية تخصصه واشتغاله، ليس فقط في مجال الدراسات الإسلامية، بل وأيضا في غيرها من المجالات العلمية الأخرى، فهي تعطي - مثلا- للباحث في علوم الاجتماع تصورا واضحا عن طبيعة العمران قبلُ، وطرائق عيش المسلمين سابقا، كما تقرب دارس الاقتصاد من المعاملات المالية المتعارف عليها قديما، ونوع الحِرَف والصناعات المعتمدة حينئذ...إلخ. والمعرفة بقيمة هذه الثروة من الكتب والمخطوطات هو الذي يفسر للمسلم السّرّ من وجود آلاف المخطوطات والكتب الإسلامية في مكتبات الغرب العامة والخاصة على حد سواء.

فهذه إذن بعض الفوائد التي يحصلها الباحث في الاختلاف الفقهي والدارس له، أحببت أن أتشاركها مع رواد العلم والمعرفة عسى الله تعالى أن يعلمنا، ويزيدنا علمًا، وينفعنا بما علمنا.

الهوامش

(١)، (٢)، (٣)، (٤)، (٥) انظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق أبي الأشبال الزهيري (٢/٨١٥-٨٢٠).

د. سعيد عبيدي
باحث دراسات إسلامية

الآثار الجانبية لغرف الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي

لقد شكل ظهور الإنترنت ثورة هائلة في عالم الاتصالات، فبعد أن كان الاتصال بين الناس يتسم بالصعوبة في أحيان كثيرة جاءت هذه التقنية لتختصر المسافات وتقرب البعيد وتجعله في متناول اليد، وبهذه السهولة أصبح ما يعرف بالشبكة العنكبوتية فضاء واسعا يحتوي على ملايين الصفحات والمواقع الإلكترونية وغرف الدردشة التي يضعها مبتكروها بين يدي كل من يريد الولوج إليها، وذلك بغرض زيادة التواصل والاتصال بين الناس على اختلاف أصنافهم وأماكنهم وأوقاتهم، وزادت هذه الأهمية للشبكة العنكبوتية بعد أن تطورت وازدهرت شبكات التواصل الاجتماعي بكافة أنواعها.. لكن في السنوات الأخيرة رصد بعض الباحثين آثارا سلبية لهذه الغرف، مما دفعهم إلى التحذير من دخولها المتكرر، موضحين الكثير من مخاطرها النفسية والجسدية والاجتماعية، ومؤكدين على أن استعمالها الدائم يولد نوعا من الأسر والإدمان.

وشبكة الإنترنت أو الشبكة الدولية للمعلومات، أو الشبكة العنكبوتية «هي إحدى التطورات التقنية الكبرى والتي تجمع بين الحاسبات الآلية والاتصالات، وهي شبكة عالمية تربط عددا من الشبكات والحواسيب المختلفة الأنواع في العالم، ولها تسميات متعددة، فهي تسمى اختصارا بالشبكة، ومن الناحية التقنية تسمى شبكة واسعة النطاق، كما تسمى شبكة طريق المعلومات السريع لأنها تربط ملايين المستخدمين وتوفر لهم إمكانية تبادل الأفكار والرسائل والملفات» (١).

ولأجل هذا الغرض الأخير المتمثل في

تبادل المعلومات والخبرات وغيرها ظهر ما أصبح يعرف بـ «غرف الدردشة» أو «غرف المحادثة» أو «شبكات التواصل الاجتماعي»، والتي أصبحت توفر إمكانية الالتقاء والمقابلة على الإنترنت على هيئة مؤتمرات متزامنة؛ أي التحدث والمناقشة في نفس الوقت، أو تكون أحيانا غير متزامنة كما في المنتديات (٢).

ولقد سهل ولوج هذه الغرف ظهور ما يعرف بـ «مقاهي الإنترنت» والتي عرفت «أول مرة في المملكة المتحدة عام ١٩٩٥م، ثم انتشرت في باقي دول العالم، ومن بينها الدول العربية بطبيعة الحال، وكان دافع أصحاب مقاهي الإنترنت من وراء افتتاحها تحقيق هامش ربحي وخوض مجال عمل جديد، في المقابل وجد فيها الشباب وسيلة جديدة لملء أوقات فراغهم والتسلية، ووسيلة للبحث والحصول على المعلومات، فازداد بذلك عدد مستخدمي الإنترنت في الدول العربية خلال السنوات الأخيرة بشكل كبير ليصل في عام ٢٠٠١م وفقا لإحصاءات غلوبال ريسيرش إلى حوالي ٤,١ مليون مستخدم» (٣).

لقد أصبحت غرف الدردشة أو المحادثة وشبكات التواصل الاجتماعي في وقتنا الراهن أشبه بالدوائر الرسمية أو المؤتمرات أو الندوات الاجتماعية؛ ففيها أصبح عامة الناس صغيرهم وكبيرهم يتبادلون وجهات النظر والرأي في شتى أمور الحياة الخاص منها والعام، حيث أتاحت هذه الغرف إمكانية المراسلات الفورية وخلق طرق للتعارف بين مختلف الناس، حيث أصبح من الممكن إجراء محادثة فورية بين ملايين من البشر على شبكة الإنترنت في وقت وجيز، وأصبحت المراسلات الفورية الطريقة المفضلة للاتصال عبر الإنترنت لعدد كبير من الناس، خصوصا الأجيال الناشئة.

إدمان غرف الدردشة ومواقع التواصل يؤدي إلى التشنج تجاه الآخرين

إلى حدود الآن يبدو الأمر جيدا، لكن الدراسات المتأخرة والتي تناولت غرف الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي أو الإنترنت بصفة عامة أكدت على أن الولوج المتكرر لهذه الغرف وهذه الشبكات أو الاستخدام المستمر للإنترنت لفترات طويلة يؤدي حتما إلى نوع من الأسر أو الإدمان، وهو ما أكدته دراسة أجريت على ٤٠٠ شخص من مرتادي مقاهي الإنترنت، والتي رصدت مجموعة من السلوكات لا يمكن وصف أصحابها إلا بـ «العبيد» أو «المدمنين»، من بين هذه السلوكات: الانشغال بالتفكير الشديد في الإنترنت أثناء إغلاق الخط، الشعور بالحاجة إلى استخدام الإنترنت في فترات أطول من أجل الشعور بالرضا، عدم القدرة على السيطرة في الرغبة في استخدام الإنترنت، حيث ذكر أن بعض الأشخاص يستيقظون منتصف الليل لإلقاء نظرة عليه. وقد خلصت هذه الدراسة في الأخير إلى اعتبار مدمني الإنترنت من المرضى النفسيين، وأن هذا الإدمان يمكن أن يعطل حياتهم الدراسية والاجتماعية والوظيفية (٤).

إن ارتياد المرء المتكرر لمقاهي الإنترنت بصفة عامة أو غرف الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي بصفة خاصة مرده في المقام الأول حسب دراسة أجراها الدكتور شبير إلى «سوء توافق الفرد مع نفسه ومع بيئته، وذلك لفشله في تحقيق أهدافه وإرضاء حاجاته النفسية والجسمية والاجتماعية، وأهم الاضطرابات التي يمكن أن يتعرض لها مدمن هذه الغرف تتمثل في القلق، والتوتر النفسي، فقدان الثقة بالنفس، الخوف من المستقبل وبعض المواقف في الحياة، التردد والتخاذل والانطواء، الانسحاب والسلبية، اللامبالاة واليأس والتشاؤم، الاكتئاب والسأم، التبلد العاطفي وسرحان الذهن، الوساوس والشعور بالذنب والغيرة والحساسية والكراهية الزائدة» (٥).

وغرف الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي تحفز «الفرد على التواصل مع الآخر بدرجة كبيرة، وتتيح له إمكانية البوح بأشياء لا يمكنه التصريح بها في وضعيات التواصل الطبيعي؛ إذ نراه أكثر جرأة على التعبير عن مكنوناته ومشاعره، وأكثر إفصاحا عن ذاته، ففي غرف الدردشة الرقمية ينزع الفرد إلى الانكشاف أمام الآخرين، والتعبير عن وجهات نظره والتصريح بمواقفه الشخصية دونما أدنى تحفظ أو قلق أو توتر، من هنا يمكن وسم تلك الغرف بكونها وضعيات مفيدة لعملية الترويح عن النفس، وتفريغ المعاناة الداخلية، فالوضعية التواصلية بين الأنا والآخر في غرف الدردشة تجعل عملية قراءة أذهان وعواطف الآخرين أكثر فعالية وعفوية وذلك بالمقارنة مع وضعية التواصل في العالم الواقعي الذي يتحتم فيه على الفرد التواصل مع الآخر وجها لوجه» (٦).

هذا وقد أشار بعض الباحثين إلى أن غرف الدردشة أو شبكات التواصل الاجتماعي قد تولد عند الإنسان المدمن على ارتيادها نوعا من التوتر والتشنج تجاه الآخرين؛ حيث «تؤدي أحيانا بأشخاص ما إلى تجريح الآخرين وشتمهم والتصريح بالعبارات

النابية في حقهم، وقذفهم بكلام خارج عن منطق الأخلاق، فهذه الفئة من الأشخاص عاجزة عن القيام بهذا التصرف في الواقع الطبيعي، ولخلو غرف الدردشة أو شبكات التواصل الاجتماعي من أي رقابة زجرية فهذا يشجعها على تفريغ مكبوتاتها الدفينة والقيام بنوع من التصفية السلبية للذات، والتي وإن كانت تحقق نوعا من الراحة النفسية المؤقتة لصاحبها، ففي المقابل ستعمل على تقويض أية علاقات إنسانية إيجابية بين أعضاء المجتمع» (٧).

إن مقاهي الإنترنت بصفة عامة، وغرف الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي بصفة خاصة، تؤثر على مستخدميها الدائمين، أو بعبارة أدق مدمنيها، حيث «إن البعض قد يقع في خيوط وشباك لا نهاية لها، وبذلك يسيء استخدام هذه التقنية ويفْرط فيها ويعتمد في جل حياته عليها اعتمادا شبه تام، ويشعر بالاشتياق الدائم لها، ويحاول تصفية كل التزاماته قبل أن يلج هذا العالم الافتراضي، ويصبح شغله الشاغل هو كيف يعود مرة أخرى إلى هذه المقاهي، وبهذا يفقد استقلاليته ويصبح عبدا بل وأسيرا له، لأن هذه المواقع أصبحت تتحكم في كل أنشطته الحياتية» (٨).

ويرى الدكتور ديوران، وهو أحد أعلام الاتجاه السيكودينامي المفسر لحالات أسر وإدمان الإنترنت، «أن مجهولية التعاملات الإلكترونية أو التعاملات غير معروفة الاسم مع الآخرين والتي نجدها في غرف الدردشة أو مواقع التواصل الاجتماعي تعد عاملا يبرز إدمان الإنترنت ويقدم محيطا افتراضيا ويغرس التهرب الذاتي من الصعوبات الانفعالية أو المواقف المشكلة والصعوبات الشخصية، وحينئذ يستخدم الشخص المدمن ميكانيزم الهروب، ويعزز هذا السلوك في المستقبل، وتوضح الحالات الحديثة أن مثل هذه التعاملات المجهولة تستخدم لتشجيع الانحراف والغش والخداع والإجرام» (٩).

ولفك قيد هذا الأسر يقترح الباحثون أنواعا مختلفة من العلاج تؤكد جلها على ضرورة إشعار المأسور أو المدمن بالأمن والأمان والانتماء إلى المحيط، وتقديره وإشعاره بالكفاءة في كل ما يقوم به حتى لا يلجأ إلى العالم الافتراضي، ومحاولة إحساسه بمودة الآخرين.. الشيء الذي سيزيد من تقديره لنفسه واحترامه لها، ويخلق لديه نوعا من السعادة والرضا، كما تضع هذه الأبحاث في أولوياتها لعلاج المدمن حتمية إشباعه لدوافعه وحاجاته الداخلية؛ الفطرية والعضوية والفسيولوجية والمكتسبة في الإطار الذي تسمح به تقاليد وخصوصيات كل مجتمع، حتى يكون في مأمن من خطر أسر وعبودية هذه الغرف والمواقع (١٠).

الهوامش

١- السيد مصطفى، دليلك الشامل إلى شبكة الإنترنت، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٠م، ص ٢.

2-https://ar.wikipedia.org/iki/%D8%BA%D8%B1%D9

٣- برهان محمد نور، استخدام الحاسبات الإلكترونية في الإدارة العامة في الدول العربية: نظرة تحليلية مستقبلية، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، عمان، ١٩٨٥م، ص ٢٥.

٤- اللحيدان فهد، الإنترنت شبكة المعلومات العالمية، دار العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص ١٦٦.

٥- شبير وليد شلاش، مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ص ٦٦.

٦- هشام خباش، عبدالرحمن نيكولا برغزاي، الصحة النفسية بين غرف الدردشة وشبكات التواصل الاجتماعي، مجلة نقد وتنوير، العدد الخامس، الفصل الثاني، السنة الثانية، نيسان-أيار-حزيران، ٢٠١٦م، ص ١٤٢.

7- Barak, A., Boniel-Nissim, M., & Suler,J ;Fostering empowerment in online support group ;Computers in Human Behavior; 2008; P: 1867.

٨- أرنوط بشرى إسماعيل، إدمان الإنترنت وعلاقته بكل من أبعاد الشخصية والاضطرابات النفسية لدى المراهقين، مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، العدد ٥٥، ٢٠٠٧م، ص ٩١.

٩- انظر: سلطان عائض مفرح العصيمي، إدمان الإنترنت وعلاقته بالتوافق النفسي الاجتماعي لدى طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٠م، ص ٤١.

١٠- انظر: الحفني عبدالمنعم، موسوعة الطب النفسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٢م، ج١، ص ٤٢٥.

د. إبراهيم نويري
باحث أكاديمي

وحدة الأمة في المدونة الإسلامية المعاصرة

شدد القرآن الكريم في مختلف مراحل التنزيل الشريف، التي استغرقت ثلاثا وعشرين سنة، على موضوع وحدة الأمة المسلمة، وعلى مركزيته في أمر العبودية لله تعالى، كما نقرأ في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٩٢). ودعا إلى ضرورة الاعتصام والتآلف والتآخي، حيث قال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ (آل عمران:١٠٣). كما شدد أيضا في السياق نفسه على أهمية وحدة الصف ودور تماسك قوى الأمة الداخلية في تحقيق نصر الأمة وعزتها، وبين أن التنازع والتناحر أخطر مقوض لمنعة الأمة كما في قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (الأنفال:٤٦).

وكذلك فعلت السنة المطهرة، كما نقرأ في أحاديث كثيرة، منها قول رسول الله ﷺ: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» (أخرجه البخاري في الصحيح: ٢/٨٤٩).. ونظرا لهذه الخلفية الشرعية الراسخة والتوصيات الإيمانية اليقينية بإزاء مسألة وحدة الأمة، نجد أن الفكر الإسلامي المعاصر، بشتى تياراته ومدارسه وأعلامه، اهتم بهذا الموضوع وأنتج فيه العديد من الأبحاث والدراسات، وسعى إلى معالجة أبرز مضامين ومكونات هذه الوحدة وسبل تحقيقها وشحذ فعاليتها بالوسائل الممكنة. وفي هذا المقال نحاول تسليط قليل من الضوء على أشهر تلك الدراسات والمؤلفات، وهي كالآتي:

• كتاب «العروة الوثقى» لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده رحمهما الله

إن الذي تتاح له فرصة الاطلاع على هذا الكتاب سيجد أنه في أصله

عبارة عن جملة المقالات التي دبجها يراع الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ونشرت في جريدة «العروة الوثقى» التي تربص بها الاستعمار والقوى الراصدة المتربصة بأي محاولة لإيقاظ المسلمين ونهضتهم الفكرية والحضارية؛ ولعل أهمية هذا الكتاب تكمن في نشر الوعي السياسي خلال المرحلة التي ظهر فيها وإقناع العالم الإسلامي بقوته الذاتية، وأن بإمكانه أن يكون قطبا عالميا مؤثرا في أحداث العالم والعلاقات الدولية، وعليه ينبغي أن يحقق المسلمون جميعا استقلالهم الوطني بالتغلب على الاستعمار الأجنبي، ليتمهد السبيل بعد ذلك أمام العالم الإسلامي، كي يحقق وحدته المنبثقة عن حقيقة مشروعية «وحدة الأمة» بالصورة التي حث عليها الشرع الحنيف.

جدير بالتذكير أن أهمية هذا الكتاب تكمن، في المقام الأول، في تشريح أوضاع العالم الإسلامي الداخلية والوقوف على أسباب ضعف المسلمين، لأن وصف الدواء يقتضي تشخيص الداء بدقة متناهية ومناصحة الأمة بصدق؛ ومن ثمة فإن مضامين هذا الكتاب يمكن تصنيفها ضمن سياق ومحتويات المعرفة الإسلامية الوحدوية التي تدعو إلى ضرورة الوعي بخطر التفرق والتشرذم والتشتت، خصوصا عندما تكون الأمة تعيش حالة الوهن أمام قوة وغطرسة الأعداء.

وقد خلا الكتاب من المقترحات والخطط الواقعية المؤهلة أو القابلة للتجسيد الفعلي في مجالات الوحدة المتعددة، أي المجال الفكري والثقافي والتربوي والسياسي والاقتصادي.. إلخ، الأمر الذي جعل منه كتابا أو مدونة تستهدف إيقاظ الهمم في المجال السياسي، خصوصا أن المرحلة التي ظهر فيها كانت مرحلة تتطلع للتخلص من آثار وأغلال الاستعمار العسكري الذي ربض طويلا على كيان أقطار العالم الإسلامي.

• كتاب الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله

شغلت مسألة الوحدة الإسلامية تفكير الشيخ محمد رشيد رضا، كما يتضح في مؤلفاته وتفسيره الشهير «تفسير المنار»، حتى إنه عندما انتقل إلى القاهرة بادر إلى تأسيس كلية الدعوة والإرشاد سنة ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، من أجل التصدي لمشكلة التعصب المذهبي، ونشر ثقافة الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية. وكان يعبر عن هذا المطلب بضرورة الاتفاق والاتحاد الإسلامي ونبذ الخلافات والعداوات الدينية والسياسية، التي تسببت في تمزيق شمل المسلمين وأضعفتهم أمام أعدائهم. ولعل اهتمام محمد رشيد رضا بهذه المسألة والتركيز عليها وإفرادها بكتاب ضخم، كان بسبب تأثره بمقالات «العروة الوثقى» وما بث فيها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، من أفكار وآراء تدعو إلى وحدة الأمة وتفعيل عناصر القوة في كيانها كي تتمكن من استعادة عافيتها مرة أخرى.

بيد أن الناظر إلى فصول هذا الكتاب سوف يلاحظ، دون صعوبة في الاستنتاج، أن المؤلف قد غلبت عليه المعالجة الفقهية للمسائل التي عرض لها في كتابه، مثل «مضار تعصب المذاهب»، «التقليد والوحدة في السياسة والقضاء»، «التفرق بعصبية المذاهب معصية بالإجماع»، «الاجتهاد والوحدة الإسلامية»، «الوحدة الإسلامية والاستفادة من جميع المذاهب».. إلخ. لذلك فإن هذا الكتاب على أهميته لا يعد بنظري من الكتب التأسيسية في مسألة الوحدة الإسلامية بأبعادها وآفاقها الشاملة، بقدر ما يعد لبنة مهمة في التقريب بين المذاهب الإسلامية ومسائل الاجتهاد على أسس علمية أصولية، أي إن معالجات هذا الكتاب انصبت على صعيد واحد من قضايا وحدة الأمة، وهو صعيد التعصب المذهبي، والدعوة إلى التقريب والاطلاع على كل الآراء في مذاهب الفقه الإسلامي والإفادة منها، لأنها نابعة من مشكاة واحدة، هي تفاعل العقل المسلم مع النصوص المعصومة لديننا الحنيف وشريعتنا الغراء.

• كتاب الوحدة الإسلامية للشيخ «محمد أبوزهرة» رحمه الله

إن أصل هذا الكتاب رسالة مختصرة كتبها الشيخ محمد أبوزهرة لسلسلة «الثقافة الإسلامية» التي كان يشرف عليها محمد عبدالله السمان رحمه الله، ونشرت ضمن هذه السلسلة التثقيفية التوعوية شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨م. بيد أن المؤلف فيما يبدو آثر التوسع في فصولها، حيث أضاف إليها الكثير من الأبواب، حتى أصبحت كتابا كبيرا وبحثا موسعا في مجالات وأطر الوحدة الإسلامية الواسعة المتنوعة.

طرق الشيخ محمد أبوزهرة وعالج الكثير من القضايا التي تعد من السبل المؤدية إلى تفعيل وحدة الأمة الإسلامية في الواقع الماثل، وذكر رحمه الله بالأسس التي ارتكزت عليها هذه الوحدة في العهد النبوي وخلال عهود الخلافة الراشدة وبعض مراحل ومنعطفات التاريخ الإسلامي. وتحدث عن الوحدة الإسلامية في المجال الثقافي والفكري، وعن الوحدة الاقتصادية والعسكرية، والوحدة في مجال السياسة الخارجية والعلاقات الدولية، كما قدم العديد

من المقترحات التي من شأنها تذليل العقبات والتغلب على التحديات التي تحول دون عودة الوحدة بين المسلمين على الأسس الأصيلة نفسها التي انطلقت منها خلال العهود الإسلامية الأولى المشهود لها بالخيرية.

لاشك أن أبا زهرة في كتابه هذا تجاوز عتبة بث الحماس السياسي في النفوس في سبيل العودة إلى وحدة الأمة المسلمة، وهي المسألة أو القضية الجوهرية التي غلبت على فصول كتاب «العروة الوثقى» للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

كما تجاوز أيضا القضايا التي غلبت على كتاب الشيخ محمد رشيد رضا، لاسيما مسألة الخلاف بين المذاهب الإسلامية، وأهمية الاجتهاد في هذا المجال بواسطة السعي إلى تقريب وجهات النظر، وتحرير مواطن الخلاف وفق منهج علمي مؤسس على آلية الاستثمار في هذا الحقل في سبيل تحقيق أرضية سليمة للوفاق والانسجام، وذلك بإدراك مشروعية تباين الفهوم والآراء التابعة لتعدد طرق الاستنباط.

فقد نجح أبوزهرة في تجاوز هذه المسائل ذات الصبغة الفقهية والأصولية، التي استغرقت معظم فصول كتاب محمد رشيد رضا آنف الذكر، حتى جعلت منه كتابا فقهيا أكثر منه كتابا فكريا مبسوطا لمعالجة قضايا الوحدة الإسلامية.

كما أنه تجاوز أيضا الأدبيات الأخلاقية لوحدة الأمة، التي تعد من أبجديات الثوابت الدينية في المعرفة الإسلامية، مثل مسألة الأخوة والتضامن في الإسلام، وهي أيضا مسألة حظيت باهتمام ظاهر في كتاب محمد رشيد رضا، إلى درجة أنه عمد إلى إبرازها في عنوان كتابه «الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية».

كتاب «محمد أبوزهرة» هو الكتاب التأسيسي

وبناء على هذا التحليل الوصفي والمقارن، فإننا نعد كتاب «الوحدة الإسلامية» للإمام «محمد أبوزهرة»، رحمه الله، هو الكتاب التأسيسي المنهجي في العطاء الفكري للخطاب الإسلامي المعاصر في معالجة ومقاربة قضايا الوحدة الإسلامية، خصوصا فيما قدمه من مقترحات ورؤى في التقارب والتعاون والوحدة في مجالات مختلفة متنوعة، كالمجال الثقافي والتربوي والسياسي والاقتصادي... إلخ.

ولعل ما يؤكد وجهة نظرنا هذه أن هذا الكتاب مهد الطريق أمام الفكر الوحدوي الإسلامي، بعد أن كاد الفكر القومي العربي يستأثر بقضايا الوحدة والتقارب، حيث أخذت المؤلفات الإسلامية النوعية تظهر تباعا، فصدر كتاب المفكر مالك بن نبي «فكرة كومنولث إسلامي»، وكتاب الشيخ حسن حبنكة الميداني «الأمة الربانية الواحدة»، وكتاب الشيخ محمد الغزالي «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين»، وكتاب الدكتور عبدالمجيد النجار «دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين»، وكتاب الدكتور إسماعيل شلبي «وحدة الأمة الإسلامية واجب شرعي يجب تحقيقه في ظل العولمة»، وكتاب الباحثين: عمر يوسف حمزة وأحمد عبدالرحيم السايح «معالم الوحدة في طريق الوحدة الإسلامية»، وكتاب الشيخ محمد عبدالعليم العدوي «الوحدة الإسلامية أمام التحديات المعاصرة»، وكتاب الشيخ محمد المجذوب «الطريق السوي إلى وحدة المسلمين»، وكتاب الدكتور محمد عمارة «الجامعة الإسلامية والفكرة القومية»، وكتاب الدكتور محمد حمدي زقزوق «الوحدة الإسلامية ما لها وما عليها».. وما إلى ذلك من مؤلفات وبحوث ودراسات نوعية ذات عمق، أثرت إلى حد معتبر المدونة الإسلامية المعاصرة في قضايا ومسائل الوحدة بين المسلمين، وبينت مدى ضرورة الوحدة والتعاون والتكامل بين أقطار العالم الإسلامي، لاسيما خلال هذه المرحلة الحساسة من التاريخ، التي أخذت فيها الكيانات القوية تندمج وتتقارب وتتوحد على الأصعدة كافة، لأن التشرذم والتباعد والتحاسد ليس سبيلا لحماية المصالح وتحصين الأمم وإسعاد الأفراد والمجتمعات.

د. إدريس سلطان صالح
أستاذ جامعي - مصر

الأندلس.. دروس وعبر الماضي

الاسم وأصوله

الأندلس ذلك الاسم الذي أطلق على شبه الجزيرة الأيبيرية، والتي تضم دولتي إسبانيا والبرتغال للدلالة على إسبانيا الإسلامية التي ظهرت في بداية القرن السابع الميلادي، واستمرت حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي.

وتتنوع الروايات التاريخية حول تفسير أصل كلمة الأندلس، حيث تناول مؤرخو الغرب ثلاثة أصول من الممكن أن يرجع إليها الاسم، ورغم اتفاق تلك الأصول الثلاثة على أن اسم الأندلس ظهر بعد انهيار حكم الرومان لشبه جزيرة أيبيريا، فإن البعض يعارض ذلك التفسير، ويطرح تصور أن الاسم سابق على عهد الرومان، مدعما ذلك ببعض الأدلة المستقاة من علماء اللغة، والمهتمين بدراسة الأماكن ومسمياتها.

وتشير بعض الروايات إلى أن أصلها من كلمة «فندلس»، وهي كلمة اشتقها العرب من اسم قبائل «الوندال» الجرمانية التي استقرت جنوب إسبانيا في القرن الخامس الميلادي، فقد جاء في معجم المعاني الجامع أن الأندلس هي بلاد جنوب إسبانيا، وهو الاسم الذي أطلقه العرب عليها حين فتحوها سنة (٦٧١م-٩٢هـ)، واستقروا فيها حتى سنة (١٤٩٢م-٨٩٧هـ)، وأهم مدنها: غرناطة، وإشبيلية، وقرطبة.

وبعد سقوط مملكة غرناطة، آخر معقل للإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية، أطلق الإسبان اسم «أندلوسيا» وتنطق بالإسبانية «أندالوثيا» «Andalucía» على الأقاليم الجنوبية الإسبانية.

فتح الأندلس وازدهارها

امتدت رحلة الوجود الإسلامي في الأندلس لنحو (٨٠٠) عام تقريبا، منذ عام (٧١١م)، عندما طلب يوليان المساعدة من موسى بن نصير حاكم شمال إفريقيا، للتخلص من ظلم واضطهاد رذريق حاكم القوط لأهل الأندلس المسيحيين، فأرسل له قائده طريف، ثم تبعه القائد طارق بن زياد بجيش قوامه سبعة آلاف من المسلمين أكثرهم البربر، والموالي، وأقلهم العرب، واستطاع هزيمة أمراء الممالك والمدن الأندلسية، لتبدأ رحلة الانتشار والازدهار الإسلامي في الأندلس، التي عاشت فترة من أزهى فترات التقدم والرقي في تاريخها.

الأندلس.. رؤى متباينة بين الغزو والفتح

عند تناول دخول المسلمين للأندلس، نجد طرح بعض المفكرين لوجهات نظر متباينة، ما بين كونه احتلالا وغزوا لها، أو فتحا لنشر دين وحضارة في بلاد تعاني الظلم والاضطهاد والتخلف، فهناك من يرى أن استخدام مصطلح «الفتح» يختلف كليا عن استخدام الغرب لكلمة «غزو»، فالغزو دائما مرتبط بالقهر، وفرض الإرادة والمعتقد على من يتم غزوه، في حين أن الفتح مرتبط بالدعوة للدين، ونشره بالحسنى والموعظة، دون فرض أو إجبار، وذلك تمشيا مع تعاليم الدين الإسلامي. ولذلك لم يكن دخول المسلمين للأندلس لقتل أهلها، أو نهب ثرواتهم، أو فرض الدِّين عليهم، وإنما كان لمساعدتهم على التخلص من اضطهاد القوطيين المستعمرين للبلاد.

ويدعم وجهة النظر هذه ما ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: «ولما ركب طارق البحر غلبته عينه فرأى النبي ﷺ ومعه المهاجرين

والأنصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي، فقال له النبي ﷺ: «يا طارق تقدم لشأنك، وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد»، وكذلك ما يتضح في المعاهدة التي حفظت نصوصها كثير من المصادر التاريخية، والتي تعهد فيها عبد العزيز بن موسى بن نصير لأمير أندلسي، بأن «لا يمسه أو أحد من أصحابه بسوء، وأن لا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم، ولا يُقتلون، ولا تُحرق كنائسهم، ولا يُكرهون على دينهم».

وهناك وجهة نظر يتبناها بعض مفكري الغرب، بأن فتح المسلمين للأندلس بمثابة غزو عسكري هدفه أسلمة البلاد، وإبادة المسيحيين، ونهب أراضيهم، وتدمير مظاهرهم الدينية، لتبرير الهجمات الصليبية اللاحقة على العالم الإسلامي، والتي استمرت قرونا طويلة بزعم أنها حروب مقدسة باسم المسيح والمسيحية.

ولعل ما طرحته «كارينا دي فيا» في مقالتها بمجلة «فاونتاين»، وعبرت فيه عن استنتاجاتها من قراءات تاريخية متنوعة، قد يحمل وجهة نظر أخرى، تقترب من وجهة النظر الأولى، وتقر بأن الغزو العربي للأندلس ليس إلا مجرد أسطورة خيالية بعيدة عن الواقع، حيث كانت الأندلس في غالبيتها من السكان الأصليين لشبه الجزيرة الأيبيرية، وليس العرب، وكانت الحضارة التي امتدت عبر ثمانية قرون نموذجا فريدا من احترام الثقافات والديانات الأخرى، وهو النموذج الذي يمكننا أن نتعلم منه الكثير في عصرنا اليوم.

ورغم تباين وجهات النظر بيننا وبين الغرب حول دخول المسلمين للأندلس ما بين كونه غزوا، أو فتحا لنشر الدِّين والحضارة في أرضها، إلا أن الثابت تاريخيا، ولا يستطيع أحد نكرانه، أن فترة الوجود الإسلامي في الأندلس شهدت إنجازات حضارية ما زالت تأثيراتها واضحة في إسبانيا والبرتغال، بل وأوروبا عامة، حيث يطلق على تلك الفترة اسم العصر الذهبي؛ لما شهدته من تطور للعلوم، وبناء للمدارس والمكتبات، وازدهار الأدب والشعر والعمارة.

الأندلس ودرس السقوط

تضافرت الأسباب لسقوط الأندلس، ويمكن ذكر بعضها فيما يلي:

- الفشل: فشل الأمير أبو عبدالملك الصغير، ثم فشل بفشله جنده ومن معه.
- التنازع في الأمر: تنازع ملوك الطوائف على السلطة والإمارة، فقسموا الأندلس قطعا.
- العصيان: عصيان أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ الذي أمر بالوحدة والاعتصام بحبله، والجهاد لحماية ثغور الأمة، والشورى.
- حب الدنيا: أصل البلاء ومناطه، وسبب كل خطيئة، فقد كان هَمُّ أمراء الأندلس الحفاظ على كراسيهم وسلطتهم، ولو قدموا أعناق شعبهم وأراضيهم ثمنا لذلك.
- إسناد الأمر إلى غير أهله: وكان ذلك واضحا في ولاية هشام بن الحكم، وولاية الناصر بعد أبيه يعقوب المنصور الموحدي، وأيضا ولاية جميع أبناء الأحمر حتى آخر ملك منهم، أبوعبدالملك الصغير.

ومن ثم نجد أن الحديث عن الأندلس ورحلتها التاريخية بكل ما تحمله من تباين فترات المجد والسقوط، يتطلب منا الاستفادة من تنوع رؤيتنا لرحلتها، ودراسة أسباب سقوطها؛ لنستلهم منها روحا جديدة تستفيد من عبر ودروس الماضي، خاصة وأن كثيرا منها نعانيها اليوم في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وأصبحنا نتنازع فيما بيننا، وسيطر علينا حب الدنيا، وأسندنا كثيرا من أمورنا إلى غير أهلها، ولذلك وجب علينا أن نعالج الأخطاء، ونستفيد من الماضي وإنجازاته وعثراته، في سبيل حاضر يتطلب المراجعة والتطوير، ومن أجل مستقبل أفضل.

د. خالد برادة
كاتب وباحث أكاديمي

من الانبهار بالعالم الغربي:

الاستغراب.. مفتاح التحرر

ليس من اللائق بالمفكر المسلم أن ينزوي بعيدا عن معرفة الآخر (الذي ما فتئ يدرس حالة الشرق، ويكتشف تفكير رجاله) لتجلية حقيقة الفكر الغربي، ولتبصير أمته به؛ حتى لا تبقى هدفا للاستشراق. ومن هنا انبرى كثير من الباحثين إلى الدعوة لإقامة علم معادل له، ألا وهو الاستغراب (١)، ومن ثم فإننا نعد علم الاستغراب معادلا موضوعيا للاستشراق، حيث يسعى إلى أن يجعل الغرب موضوعا للعلم، كما جعل الاستشراق من الشرق موضوعا له؛ وإن كان الاستشراق لا يدرس الشرق بشكل موضوعي، حيث إنه يدرسه دراسة ذاتية، بعيدا عن الحياد العلمي؛ ولئن كنا قد ذكرنا هاهنا أن الاستشراق معادل للاستغراب، فلسنا نعني بذلك أن نعامل الغرب بمثل ما يعاملنا به، بل تنبغي مراعاة العدل الذي أمرنا به الله تبارك وتعالى، فهو القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ (المائدة:٨)، فكان توجيه القرآن الكريم المسلمين إلى التعامل مع الآخر المخالف توجيها إلهيا عادلا، موجها إلى العدل؛ ومن ثمّ فقد بلغ القرآن الكريم ذروته من العدالة والبلاغة؛ وقد فطن أبوالحسن الرماني (ت٣٨٤هـ) إلى أن من الكلام الحسن ما هو دون بلاغة القرآن، لأنه لا يؤذن بالعدل، كما آذنت بلاغة القرآن الكريم (٢)؛ وذلك عندما وازن بين قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤) وبين قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

حيث إن هذا البيت الشعري قد أزرى بصاحبه؛ فضلا عن أنه لم يرتق إلى ذروة بلاغة القرآن الكريم وعدالته.

ولقد تنبّه بعض المثقفين العرب، الذين دعوا إلى دراسة الغرب (٣)، إلى الحياد العلمي في المنهج الإسلامي القرآني، فدعوا إلى عدم التعامل مع الغرب بمثل ما يعاملنا به، وذلك من باب الصدع بالأمر الإلهي الوارد في الآية الآنف ذكرها من سورة المائدة.

إن من شأن الاستغراب الصادر عن المسلمين أن يكون صورة مثلى عما ينضح به دينهم الداعي إلى التعامل مع الآخر بالحسنى، حيث لا نريد

للاستغراب أن يتعامل بنفس منطق الاستشراق، بل ينبغي أن يكون أرقى منه، ومتميزا عنه، لأن لدينا حصانة أخلاقية، تمنعنا من ردود الأفعال، هذه الأخلاق التي من شأنها أن «تبعدنا بمسافة كبيرة عن تشويه الآخر والاعتداء عليه أو استعماره، كما حدث من الجهة الأخرى في الماضي القريب» (٤)؛ فليس إذن للاستغراب مطامع مثلما كان للاستشراق، وليس له إلا هدف دراسة الغرب دراسة موضوعية، بعيدة عن التحيّز والأهواء الدنيّة.

إن عقيدة المثقف المسلم تمنعه من أن يتعامل بالهوى وردود الأفعال التي لا تثمر إلا علقما، ولكن ينبغي ألا نغفل عن بعض القضايا التي انطلق منها الاستشراق لدراستنا، حيث إن آلياته التي اتخذها، هي التي مكنته من الاشتغال بأريحية، ومن ذلك أن المستشرق كان يتخصص في إحدى لغات الشرق وآدابه؛ فكذلك ينبغي للمستغرب أن يفعل، ومرد ذلك أن الغرب ليس غربا واحدا، فهناك الغرب الأدنى، والغرب الأوسط، والغرب الأقصى؛ فضلا عن أن موقف الغرب ليس واحدا من الإسلام، وكذلك ينبغي أن يكون موقفنا تجاه الغرب، حيث إن منهم منصفون معترفون للإسلام بعظمته، منافحون عنه وعن المسلمين، وهؤلاء هم الذين يمثلون، بتعبير الأستاذ أنور الجندي، غزوة جديدة للفكر الإنساني (٥)؛ وقد تعالت أصوات الكثير منهم بالحق، منصفة للمسلمين، ومن ذلك الكتاب الصادر حديثا بعنوان: «من أجل المسلمين» (٦).

ولعل أهم ما ركز عليه الاستشراق هو البعد الديني، فلا غضاضة أن يركز الاستغراب على ذلك أيضا، من منطلق اهتمامه بالدين الذي يعتنقه القوم الذين سيوليهم بالدراسة؛ لأننا نريد بالاستغراب أن نتمكن من فهم الغرب عن قرب، وعن كثب، سعيا منا إلى فهمه، وعدم النظر إليه نظرة إكبار أو احتقار؛ بل أن نعتبر الاستغراب، كما ذهب إلى ذلك الدكتور حسن حنفي، هو «الوجه الآخر والمقابل، بل والنقيض من الاستشراق، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق)، من خلال الآخر (الغرب)، يهدف علم الاستغراب إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا، ومركب العظمة عند الآخر» (٧).

إن الاستغراب يتيح لنا أن ننطلق من الذات المسلمة، وإعادة الاعتبار لها، لتنفض عن نفسها النظرة الدونية التي تكرست لديها، نظرا لعوامل متعددة، أبرزها الاستلاب الحضاري، والاستتباع الثقافي. ولعل علم الاستغراب هو الآلة الناجعة للتحرر من امتداد السيطرة الغربية، التي تطوقت بها الأعناق العربية ردحا من الزمن؛ فالاستغراب هو مفتاح التحرر من الانبهار بالغرب، لإعادة الثقة بالذات المسلمة، التي عانت من نير الجمود الفكري، والاستلاب الثقافي الذي مُنيت به؛ فلقد آن الأوان ليصير الغرب مدروسا، بدل أن يبقى دارسا ومسيطرا على العرب والمسلمين؛ وأملي أن يسعى الباحثون في الفكر الإسلامي إلى الالتفات لعلم الاستغراب، وإيفائه نصيبا وافرا من الاهتمام.

الهوامش

١- يلفت انتباهنا أن مصطلح «الاستغراب» لم ينل ما يستحقه من العناية اللازمة بتعريفه. ومرد ذلك إلى اهتمام كثير من المفكرين بالاستشراق، الذي أفردوا له الوجهة، وإن لم يتفقوا حول تعريف لهذا الأخير كذلك؛ غافلين عن أن يهتموا بالغرب لتتسنى لهم معرفة بنية تفكيره، ونقد مركزيته وهيمنته، وليس للانبهار به. ومن التعاريف الاصطلاحية للاستغراب، التي جاد بها بعض المهتمين به، نجد تعريف الدكتور أحمد سمايلوفتش، الذي يرى أن كلمة استغراب «مشتقة من كلمة «غرب»، وكلمة غرب تعني أصلا غروب الشمس، وبناء على هذا يكون الاستغراب هو علم الغرب». انظر: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، د. أحمد سمايلوفتش، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص ٣٧.

٢- انظر: النكت في إعجاز القرآن، أبوالحسن علي بن عيسى الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، سلسلة ذخائر العرب، (١٦)، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٧٦م، ص١٠٠.

٣- دونك مثلا: الدكتور أحمد الشيخ في: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٢م، ص٢٨٨؛ والدكتور علي إبراهيم النملة، في كتابه: الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب، كتاب المجلة العربية، (٢٢٣)، العدد٤٦٢، رجب ١٤٣٦هـ/مايو ٢٠١٥م، ص ١٩ و٢٠.

٤- انظر: كلمة أحمد الشيخ في ندوة المركز العربي للدراسات الغربية عن آفاق الاستغراب المنشورة في: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: المثقفون العرب والغرب، أحمد الشيخ، المركز العربي للدراسات الغربية، القاهرة، ط ١، يناير٢٠٠٠م، ص٢٨٨.

٥- لقد أشاد أنور الجندي بأعلام من الغرب أنصفوا الإسلام وحضارته، واعترفوا له بما يجب الاعتراف به، واعتبرهم ممن جهر بكلمة الحق (انظر كتابه: الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، ص١٠٥)؛ وقد أوضحت اهتمامه، رحمه الله، بشهادات الغربيين حول الإسلام، وتنويههم به، واعترافهم له بما يجب الاعتراف به؛ وذلك في معرض مقالي عن هذا المفكر المقتدر، الذي وسمته بعنوان: الحضارة الغربية في رؤية الأستاذ أنور الجندي، المنشور في شبكة الألوكة، على الرابط:

http://www.alukah.net/culture/090397//

٦- هو من تأليف الصحفي الفرنسي إيدوي بلينيل، وقد لاقى الكتاب صدى واسعا في فرنسا، لأهمية الموضوع الذي دبجه صاحبه؛ وقد ترجمه إلى العربية عبداللطيف القرشي، وتفضلت مجلة الدوحة بإهدائه إلى قرائها ضمن كتاب الدوحة، رقم ٤٩، العدد ٩٢، يونيو ٢٠١٥م.

٧- مقدمة في علم الاستغراب، حسن حنفي، الدار الفنية، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢٩.

سهير أبوبكر عبدالوهاب
كاتبة صحفية - مصر

«اقرأ».. أمر بالقراءة في أرحب ميادينها

القراءة في الإسلام ليست هواية

من المعلوم أن الأمر الإلهي «اقرأ» في قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ (العلق:١)، هو أصل العلم في كل حضارة، والأول الذي نزل على رسولنا الكريم محمد ﷺ.

فمنذ أن انبثقت ينابيع الحكمة ثرة فياضة، مع أول آيات تعطرت بها أنفاس الكون، يحمل أريجها الطيب سفير السماء جبريل، عليه السلام، ليسكبه شذى فواح العبير على من اختاره ربه للرسالة وأكرمه بالنبوة رسول الله عليه أزكى الصلوات وأتم التسليمات، ثم يصيح به في صوت مأنوس، وفي عبارات عذبة لها إشراقة الشمس، ليصب في سمعه هذا الهتاف الندي ويقول له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ (العلق:١-٥).

و«اقرأ» تحمل الأمر بالقراءة في أرحب ميادينها، وأوسع آفاقها، والقراءة أداة العلم. وذكر العلم ومشتقاته في القرآن الكريم نحو ثمانمئة وخمسين موضعا؛ تكريما له، وتعظيما لشأنه. والإسلام يجعل العلم أساسا للمفاضلة بين الناس: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ (الزمر:٩).

و«اقرأ» مفردة واحدة يمكن بفهمها

إدراك غاية الوجود الإنساني، فهي أولى كلمات التنزيل القرآني، وبداية لآيات عدة في أناجيل عدة، وبعبارة أشمل فإن هذه الكلمة كانت البدء، واختتمت بها السماء مع آخر عهدها ببني البشر فكانت «اقرأ».

والقراءة تعد، منذ القدم، من أهم وسائل التعليم الإنساني التي من خلالها يكتسب الإنسان العديد من المعارف والعلوم والأفكار، فهي التي تؤدي إلى تطوير الإنسان، وتفتح أمامه آفاقا جديدة كانت بعيدة عن متناوله، حيث إن القراءة من أكثر مصادر العلم والمعرفة وأوسعها، حيث حرصت الأمم المتيقظة على نشر العلم وتسهيل أسبابه، وجعلت مفتاح ذلك كله من خلال تشجيع القراءة والعمل على نشرها بين جميع فئات المجتمع.

والقراءة كانت ولا تزال من أهم وسائل نقل ثمرات العقل البشري وآدابه وفنونه ومنجزاته ومخترعاته، وهي الصفة التي تميز الشعوب المتقدمة التي تسعى دوما إلى الرقي والصدارة.

فقد دخلت القراءة في أنشطة الحياة اليومية لكل مواطن، فالقراءة هي السبيل الوحيد للإبداع وتكوين المبدعين والمخترعين والأدباء والمفكرين، والأمم القارئة هي الأمم القائدة.

إن عقولنا لا تدرك الأشياء على نحو مباشر، بل عبر وسيط معرفي مكون من مبادئ علمية وعقلية وخبرات حياتية. وعلى مقدار ما نقرأ يتحسن ذلك الوسيط، وبتحسنه يتحسن فهمنا للوجود، وتتحسن معه نوعية حياتنا، ولذلك فمن لم يكن قارئا فقد عطل وسائط تفكيره وإدراكه وسبل حياته.

تعرف القراءة في اصطلاح التربويين باعتبارها «وسيلة للتواصل أو الفهم عن طريق استرجاع المعلومات المسجلة في المخ من قبل».

والقراءة ابن شرعي لكل المعرفة الإنسانية، فـ «الكلمة» و«اقرأ» تسلمان إلى مفردة ثالثة هي «القراءة»، فكل كلمة لابد أن تقرأ، وإلا فلم كتبت؟ وكل «اقرأ» لابد لها من مقروء هو الكلمة، وإلا فما الحاجة للأمر ذاته؟

والقراءة كانت حتى أوائل القرن العشرين من تاريخ البشرية هي الوسيلة الأولى للإعلام والتعليم والمعرفة.

القراءة فرض وليست هواية

هناك خطأ شائع اكتسب قوة الحقيقة وهو ادعاء البعض أن القراءة هواية، ورسخ هذا الخطأ الشائع في الأذهان عدم التصدي لتصحيحه، خصوصا من جانب وسائل الثقافة والإعلام الحديثة، فهي خلافا لما هو مطلوب منها أسهمت في تأكيد هذا الخطأ وتعميق جذوره في الأذهان، على الرغم مما حفلت به الكتب السماوية والثقافات العالمية من أفكار وأوامر تحث الناس على القراءة، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق:١)، وقال الرسول ﷺ: «قيدوا العلم بالكتاب».

والقول العربي المأثور: «القراءة سبيل الرقي، ومن يقرأ بتذوق، يكتب بتفوق».

أما أن ترتبط القراءة في أذهان الناس بالهواية، التي هي عند معظم الناس ملء أوقات الفراغ بأي شيء يحبه الإنسان بغض النظر عن النتيجة، فهذا هو جانب الخطورة في الأمر؛ لأنه من المفروض أن تكون الهواية شيئا مفيدا للإنسان يعود عليه وعلى مجتمعه بالخير، الخطير في هذا المفهوم (أن القراءة هواية) هو آثاره على الأجيال الصاعدة عندما تعتبر القراءة هواية، وتكتفي بما يصل إليها من فتات الثقافة الفسيفسائية الضحلة بطريق المصادفة من هنا وهناك.

ولو فرضنا جدلا واعتبرنا القراءة هواية، فكيف يكون شكل العالم؟! لأنه من المستحيل تصور عالم فيه القراءة هواية، أي: أن يكون العلم والمعرفة هواية! ذلك أن حركة الحياة تقوم على العلم والمعرفة، ومن لا يقرأ لن يعلم أو يعرف. وبهذا نخالف أمر النبي ﷺ بطلب العلم في قوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم». وفي رواية أخرى: «كل مسلم ومسلمة» (رواه ابن ماجه وغيره).

وإذا كان القصد بالهواية القراءة في أوقات الفراغ، فالمصيبة أعظم؛ لأن من المفروض ألا يكون عند الإنسان وقت فراغ، أعني به الوقت الضائع، لأن الوقت هو الحياة ولا أعتقد أن إنسانا يحب أو يقبل أن تضيع حياته هباء.

وإطلاق صفة الهواية على القراءة تعبير بعيد عن الدقة، فالقراءة ألوان، تبدأ من مطالعة الصحيفة اليومية ولا تنتهي في دراسة البحث العميقة الجذور. ولئن استطاع الإنسان أن يستغني عن هواية من هواياته، بغض النظر عن لونها وشكلها، فإنه لا يستطيع الاستغناء عن القراءة، لأنه بذلك يغلق على نفسه منافذ العلم والنور.

والحقيقة أن المفهوم القائل بأن القراءة هواية مفهوم مقتصر على المجتمعات النامية فحسب، أما المجتمعات المتقدمة فالقراءة عندها ضرورة حياتية لكل إنسان، ففي

المجتمعات المتقدمة يلتصق الإنسان بالكتاب الذي ينطلق إليه، فهو يقرأ في المنزل والسيارة والقطار والطائرة والباخرة والحديقة، كما يعتبر الكتاب هدية قيمة في كل المناسبات. هذا على الرغم من أنهم ليس لهم تاريخ أو تراث يحثهم على العلم والقراءة، وهذا ما وصل بهم إلى الحوار الموصول مع الفكر عبر العصور، فجاءت ثمرات القراءة اختراعات وحضارة حديثة وتطور في مناحي الحياة، لهذا اشترى أحد الأدباء الألمان كتابا في علم الفيزياء، فقال له مرافقه: اشتريت ما ليس من علمك! فقال: اشتريت ما ليس من علمي ليصير من علمي.

لماذا نقرأ؟

القراءة غذاء للعقل، وصقل للنفس، وتوجيه قويم للسلوك، وآفاق جديدة للمعرفة. ويمكن إيجاز فوائد القراءة ومنافعها في ما يلي:

- تنشط القراءة خلايا العقل وتزيد قدرته على الاستيعاب وتجويد الذهن والتركيز، وتقوي الذاكرة، وتوسع المدارك، وقد بينت الأبحاث الطبية أن القراء هم الأقل عرضة للإصابة بمرض الزهايمر.
- تعلم القراءة القارئ مفردات جديدة وصياغة جمل صحيحة، وتفتق اللسان وتدربه على حسن الكلام.
- تفتح القراءة أمام القارئ صفحات التاريخ، وتعرفه بحضارات الأمم السالفة وفكرها، وتتيح له إمكانية المقارنة والاستنتاج.
- القراءة مصدر للمعلومات، يتعرف القارئ من خلالها على خصائص واستعمالات المخترعات العلمية الحديثة، وكيفية الإفادة منها في شتى مناحي الحياة.
- تعزز القراءة الثقة بالنفس، وتطرد الوسواس والهم وتقتل الملل، وتحول دون وقوع القارئ في أخطاء الآخرين.

وختاما

ليس بخاف على أحد السر في أن أول آية تنزل من السماء كانت تأمر الإنسان بالقراءة بقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾، أي: إن فريضة القراءة سبقت الصلاة والزكاة والصوم.

فنحن أمة اقرأ، وإضافة إلى أن «اقرأ» كانت ولله الحمد أول ما نزل من القرآن الكريم، فإنها فعل أمر، أي إنها قبل أن تكون مدخلا لأبواب العلم والمعرفة فهي فرض، ولهذا لم يكن عجيبا أن جعل الرسول الكريم ﷺ فداء أسرى بدر تعليم كل أسير عشرة من المسلمين القراءة والكتابة.

ونحن على إيمان ويقين بأن قراءة الإنسان للقرآن الكريم والأدعية الشريفة من شأنها أن تعمل على تطهير نفسه من الأدران والشوائب وتجعلها طاهرة شفافة. وقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الإسراء:٨٢). وتفسير الآية الكريمة كما جاء في بعض كتب التفسير: «ننزل إليك أمرا يشفي أمراض القلوب ويزيلها ويعيد إليها حالة الصحة والاستقامة فتتمتع من نعمة السعادة والكرامة». والأصل والقاعدة في الكتاب أن يكون مصدر نور وهداية لقارئه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة:٢).

وقال ﷺ: «تعلموا العلم؛ فإن تعلمه لله خشية، ودراسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وطلبه عبادة، وتعليمه صدقة، وبذله لأهله قربى».

بقي أن نذكر أن المقصود بالقراءة هنا هو القراءة المتعمقة التي تؤصل لفهم واع، ولا يكون الأمر كما قال عمر بن عبدالعزيز حين قال له أحدهم إن فلانا حفظ المصحف، فقال: «زادت نسخة في المدينة».

- وفي السنة المطهرة طالعنا ووعينا كلمة الرسول ﷺ الراقية التي يقول فيها: «اقرأ وارق» (سنن الترمذي، كتاب فضائل القرآن، رقم الحديث ٢٨٨٣٩). والرقي الذي عناه الرسول الكريم يتجاوز مسألة الرقي بمستوى الإنسان الذي يشكو من مرض معين يرتبط بأمور النفس مثلا، بل هو رقي بالإنسانية في مختلف المجالات وذلك فيما يرتبط بأمور الدنيا والآخرة.

المراجع

١- هانم عباس، القراءة مفتاح الكنز، حولية اقرأ، إدارة الثقافة والإعلام الشارقة، العدد:١١، ٢٠١٢م.

٢- د. سهير الدفراوي المصري، القراءة والمخ، مجلة العربي، العدد ٦٢٢، شوال ١٤٣١هـ/ سبتمبر ٢٠١٠م.

٣- أ. د. محمود عبدالقادر، بيولوجية الإيمان، مكتبة الإيمان، ١٩٩٢م.

٤- محمد رجب السامرائي، رحلة الكتاب في الحضارة الإنسانية، كتاب المجلة العربية، العدد٣٩١، شعبان ١٤٣٠هـ/أغسطس ٢٠٠٩م.

٥- د. عادل سالم العبدالجادر، الكتابة عند العرب، مجلة العربي، العدد ٦٧٣، ديسمبر ٢٠١٤م.

٦- السيد نجم، ملامح الحضارة الإسلامية في كتب التراث، كتاب الرافد، العدد ٣٨، يناير ٢٠١٣م.

٧- د. الريح حمد الليث، المكتبات في التاريخ الإسلامي، شغف المعرفة، مجلة الكويت، العدد ٣٩٠، أبريل ٢٠١٦م.

شعر: محمد عبد القادر
شاعر وباحث اعلامي

عتاب زوجة

رفيق العمر عمري قد وهبت ... لكم طوعا ولا يوما ضننت

نسجت لكم من التحنان بُردا ... وقلت إذا همو سعدوا سعدت

رأيت جواركم عزي وكنزي ... ولا يوما به الدنيا عدلت

دفعت بكم إلى العلياء دفعا ... ونفسي ما لها يوما طلبت

تعانقني السعادة حين تأتي ... وفي عينيك بشرا قد قرأت

وإن تمسسك لأواء وضر ... أبيت الليل دمعي ما كففت

وإن ينزل بساح القلب كرب ... لغير الله يوما ما شكوت

تقول هرمتِ؟! حقا قد هرمت ... ربيعَ العمر عن طيب بذلت

وحسبي من شباب الروح أني ... إذا قلتم حياتي ما بخلت

لكم عندي أياد يا رفيقي ... فإن زل اللسان فقد عفوت

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

سلسلة الأعلام المتشابهة (٨)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، خصوصا طلاب العلم، وترجمت لهم ترجمة موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «السيوطي»:

١- السيوطي (ت: ٨٥٥هـ) (الأب):

هو أبوبكر بن محمد بن أبي بكر الخضيري السيوطي، وهو والد الإمام جلال الدين السيوطي، فاضل مصري، له علم بالعربية وفقه الشافعية.

ولد في «أسيوط» سنة: (٨٠٤هـ)، وعرض عليه قضاء مكة فأبى، واسقر بالقاهرة وتوفي فيها.

له مصنفات، منها: «حاشية على أدب القضاء للغزي»، وكتاب في «التصريف»، و«حاشية على شرح الألفية لابن المصنف» لم يتمها (١).

٢- صلاح الدين السيوطي (ت: ٨٥٦هـ) (الأديب):

هو صلاح الدين محمد بن أبي بكر ابن علي الحسني السيوطي أديب مصري، من أهل أسيوط.

ولد بالقاهرة سنة (٧٨٣هـ)، كان يقتات من نسخ الكتب.

له مصنفات، منها: «رياض الألباب ومحاسن الآداب» و«المرج النضر والأرج العطر» أدب، و«مطلب الأريب»، و«أرجوزة في الخيل» خمس مئة بيت.

توفي بالقاهرة (٢).

٣- جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) (الابن):

هو جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب.

ولد سنة: (٨٤٩هـ)، ونشأ في القاهرة يتيما، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها.

له مصنفات كثيرة، من أهمها: «الإتقان في علوم القرآن» و«إتمام الدراية لقراء النقاية»، و«تدريب الراوي شرح تقريب النواوي»، و«تفسير الجلالين» و«تنوير الحوالك في شرح موطأ الإمام مالك» و«الجامع الصغير» في الحديث، و«الحاوي للفتاوي» و«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، وغيرها من المصنفات.

توفي بالقاهرة (٣).

٤- مصطفى السيوطي (ت: ١٢٤٣هـ):

هو مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيباني الدمشقي الحنبلي، كان مفتي الحنابلة بدمشق، فقيه فرضي،

ولد في قرية الرحيبة سنة: (١١٦٤هـ)، ورحل إلى دمشق، وتفقه واشتهر، وولي فتوى الحنابلة ونظارة الجامع الأموي.

له مؤلفات، منها: «مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى» في فقه الحنابلة، و«تحفة العباد فيما في اليوم والليلة من الأوراد» جمعه من الأصول الستة، و«تحريرات وفتاوى لم تجمع»، توفي بدمشق رحمه الله تعالى (٤).

المتفق والمفترق في اسم «البلقيني»:

١- سراج الدين البلقيني (ت: ٨٠٥هـ) (الأب):

هو سراج الدين أبوحفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني الكناني، العسقلاني المصري الشافعي، مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين.

ولد في بلقينة من غربية مصر سنة: (٧٢٤هـ)، ونشأ وتعلم بالقاهرة، وقدم الشام وولي قضاءها.

من مصنفاته: «التدريب في فقه الشافعية»، لم يتمه، و«تصحيح المنهاج»، و«الملمات برد المهمات»، و«محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح»، و«الأجوبة المرضية عن المسائل المكية»، و«مناسبات أبواب تراجم البخاري».

توفي في شهر ذي القعدة بالقاهرة (٥).

٢- جلال الدين البلقيني (ت: ٨٢٤هـ) (الابن):

هو جلال الدين أبوالفضل عبدالرحمن بن عمر بن رسلان البلقيني الكناني العسقلاني المصري، من علماء الحديث بمصر، انتهت إليه رياسة الفتوى بعد وفاة أبيه.

ولد سنة: (٧٦٣هـ)، وولي القضاء بالديار المصرية مرارا، إلى أن توفي وهو على القضاء.

من مصنفاته: «الإفهام لما في صحيح البخاري من الإبهام»، و«رسالة في بيان الكبائر والصغائر»، و«حواش على الروضة» في فروع الشافعية، و«نكت على الحاوي الصغير».

توفي في شهر شوال القاهرة (٦).

٣- علم الدين البلقيني (ت: ٨٦٨هـ) (الابن):

هو علم الدين أبوالبقاء صالح بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي المصري، قاض، من العلماء بالحديث والفقه.

ولد بالقاهرة سنة: (٧٩١هـ)، وتفقه بأخيه عبدالرحمن، وناب عنه في الحكم، ثم تصدر للإفتاء والتدريس بعد موته وولي قضاء الديار المصرية، وعزل وأعيد ست مرات، وتوفي وهو على القضاء.

من مصنفاته: «الغيث الجاري على صحيح البخاري»، و«الجوهر الفرد فيما يخالف فيه الحر العبد»، و«التجرد والاهتمام بجمع فتاوي الوالد شيخ الإسلام»، و«القول المقبول فيما يدعى فيه بالمجهول»، و«ديوان خطب»، و«ترجمة والده»، و«ترجمة أخيه».

توفي بالقاهرة (٧).

٤- شهاب الدين البلقيني (ت: ٨٤٤هـ):

هو شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ابن رسلان بن نصير البلقيني المحلي، عالم، فقيه.

ولد ببلقينة سنة: (٧٦٧هـ)، وتولى قضاء المحلة وتوفي بها، صنف في الفرائض كتابا سماه «الروضة الأريضة في قسم الفريضة» (٨).

الهوامش

١- ينظر: الضوء اللامع (٧٢/١١) والأعلام للزركلي (٢/ ٦٩).
٢- ينظر: الضوء اللامع (١٧٨/٧) والأعلام (٥٧/٦).
٣- ينظر: الضوء اللامع (٦٥/٤) وشذرات الذهب (٥١/٤) والأعلام للزركلي (٣٠٠/٣).
٤- ينظر: الأعلام (٢٣٤/٧) ومعجم المؤلفين (٢٥٤/١٢).
٥- ينظر: الضوء اللامع (٨٥/٦) وشذرات الذهب (٥١/٧) والأعلام (٦٤/٥).
٦- ينظر: شذرات الذهب (١٦٦/٧) ومعجم المؤلفين (٢٠٤/٥) والأعلام للزركلي (٣٢٠/٣).
٧- ينظر: الضوء اللامع (٣١٢/٣) والأعلام للزركلي (١٩٤/٣).
٨- ينظر: الضوء اللامع (٢٥٣/١) ومعجم المؤلفين (١٧٦/١).

عبدالرحيم شراك
قاص مغربي

المواجهة الأخيرة

كان ماهر يقف عند نافذة غرفته وهو يتطلع بهدوء إلى شروق شمس هذا اليوم، كان مبتسما رغم علامات القلق الواضحة على ملامحه. لم يكن اليوم عاديا بالنسبة إليه، فهو ربما من أهم أيام حياته. فقد تمنى كثيرا أن يصل إلى هذه المرحلة. الحدث المنتظر مهم جدا، لكن إنجازه أهم! الأمر أشبه بمعركة كبيرة، لكن العدو خطير ولا يعرف الرحمة. صحيح أن حجمه أصغر من إصبع اليد، لكنه قتل الآلاف من الناس ولا يزال يفعل ذلك. أسر الملايين منهم في سجنه ودمر حياتهم وحياة عائلاتهم!

بدأت هذه المعركة منذ مدة، لكنها ازدادت شراسة في هذا الأسبوع! لم يكن سلاح ماهر سوى العزيمة والإرادة مقابل كل الوسائل والأسلحة التي يستخدمها عدوه. ساحة المعركة كانت في كل مكان وزمان، بل وحتى في عالم الأحلام!

أمسك ماهر بجريدة الأمس رغبة في إكمال قراءتها، فقد كان يريد فعل أي شيء إلا التفكير في عدوه فهذا فشل وهزيمة! كان ذلك صعبا جدا في بادئ الأمر، إلا أن ماهر أصبح بعد ذلك يجد لذة غريبة في المقاومة! كانت تغمره السعادة كلما أبعد عنه التفكير في ذلك العدو اللئيم وكأنه يقترب أكثر من الفوز والانتصار.

تطلع ماهر إلى الصفحة التاسعة من الجريدة مندهشا: «يا للهول صورة لعدوي وبالحجم الكبير!»، فألقى بها فورا على الأرض، ثم ما لبث أن أمسك بها وحولها في ثوان إلى قطع صغيرة من الورق قائلا: «هذا العدو اللعين يطاردني في كل مكان». فتنفس ماهر الصعداء بعد القيام بذلك! لكنه بدا خائفا أكثر من أي وقت مضى، وكان الرعب مسيطرا على الجزء الأكبر من ملامح وجهه.

نظر ماهر طويلا إلى الجريدة المتلفة والملقاة على الأرض ثم قال في تحد: «لن أدخن بعد الآن! مهما حاولت يا عدوي! لن تنجح صور السجائر ولا أي شيء في إغرائي! لقد عزمت على تغيير نفسي هذه المرة. صحيح أنني كنت مدخنا منذ أكثر من سنة، لكنني حاولت هذا الشهر الابتعاد عن التدخين! بدأت بيوم واحد ثم يومين وسأصل إلى أكثر من ذلك، رغم صعوبة الأمر في البداية! اليوم أصبح المستحيل حقيقة، وقد مضت ستة أيام ولم أدخن وسأكمل اليوم السابع بنجاح إن شاء الله! وسأستمر بعد ذلك وأفوز!». لم تكن معركة ماهر سهلة البتة، لكن عزيمته كانت قوية جدا. كلما كان يشعر برغبة في التدخين كان ينظر إلى تلك الورقة التي ألصقها على الجدار: «إذا صمدت يوما من دون تدخين فأنا قادر على الصمود لمدة أسبوع فالأسبوع سبعة أيام، وإذا صمدت أسبوعا فأنا قادر على الصمود لمدة شهر، وإذا صمدت شهرا فأنا قادر على الصمود لمدة سنة!». أخذ يتأمل في تلك الكلمات وهو يتخيل نفسه في المستقبل وقد ترك التدخين نهائيا؛ حياة طبيعية وهادئة وصحية! سمع فجأة صوت رنين هاتفه النقال وابتسم عندما قرأ اسم صاحب الاتصال على الشاشة:

- السلام عليكم، كيف حالك يا ماهر؟
- وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، أنا بخير والحمد لله، كيف أحوالك يا سامي؟
- الحمد لله، أخبرني يا ماهر، هل مازلت صامدا؟ حاول بكل قوة يا صديقي العزيز، أنا واثق من فوزك.
- شكرا لك يا سامي على تشجيعك لي وثقتك بي، حتى أفراد عائلتي لم أخبرهم بالأمر، أنت الشخص الوحيد الذي يعرف هذا الموضوع الحساس.
- أشكرك على ثقتك بي يا ماهر، سيأتي اليوم الذي يعرف فيه كل البشر أنك أقلعت عن التدخين نهائيا، سيكون ذلك قريبا إن شاء الله.
- إن شاء الله، أنت رائع يا سامي! أحمد الله أن لي صديقا مثلك.
- أخجلتني يا رجل! وأنا أحمد الله أيضا أن لي صديقا مثلك! نسيت أن أخبرك شيئا مهما، إذا أحسست أن عدوك يطاردك في كل مكان فاعلم أنك قريب جدا من الفوز. المهم أن تقاوم بكل قوتك.

انقطع اتصال سامي ولم ينقطع صوته ولا كلماته عن بال ماهر. كان يشعر أنه محتاج جدا إلى هذا التشجيع والدعم من شخص قريب جدا.

قرر ماهر أن يخرج قليلا للتنزه، كان يتمنى منذ مدة الذهاب إلى الحديقة الكبيرة وها قد حانت الفرصة الملائمة. صحيح أنه يحتاج إلى نصف ساعة من الزمن للوصول إليها مشيا، إلا أنه كان مصرا على الذهاب، خصوصا أن التدخين ممنوع داخلها. سيكون التجول هناك رائعا مع استنشاق الهواء النقي.

قبل الخروج، قبل ماهر يد أمه وطلب منها الدعاء له ثم تذكر والده وقال بصوت منخفض: «رحمك الله يا أبي، كم كنت أتمنى أن تكون معي في هذه اللحظات، لكنه قضاء الله وقدره».

انطلق ماهر بكل حماس نحو الخارج، لم يكن الأمر بالنسبة إليه مجرد ذهاب إلى الحديقة، فهي لم تكن مثل باقي الحدائق، الأمر أشبه بحلم اقترب كثيرا من تحقيقه.

كان الطريق مزدحما فالناس يذهبون في كل اتجاه، سيارات ودراجات في كل مكان. أشجار قليلة هنا وهناك! حتى الهواء لم يسلم من الازدحام فكل أصناف الأدخنة منتشرة فيه! كانت خطوات ماهر منتظمة وسريعة فقد شعر أن الأشجار

العالية البارزة من الحديقة تلوح له من بعيد، لكنه أحس بشعور غريب عندما رأى بعض المدخنين في الطريق. حاول عدم النظر إليهم في البداية لكنه لم يستطع! تغيرت ملامحه بعد أن رآهم يتلذذون بالتدخين وهم يضحكون مع سعال بين الضحكة والأخرى! ازدادت نبضات قلبه وأحس بالخوف. حاول الإسراع أكثر فإذا به يتوقف عندما وجد عدة علب من السجائر القديمة ملقاة على الأرض فأخذ ينظر إليها في دهشة. وما لبث أن انحنى وأمسك إحداها دون إرادته. فشعر أن هناك شيئا ما تغير في داخله في تلك اللحظة! لم يستطع هذه المرة إلا أن يتجه بنظره نحو أقرب دكان للسجائر.

قال وهو يتكلم مع نفسه بألم: «ما الذي يحصل لي؟ لماذا أشعر فجأة برغبة بالتدخين؟»، حاول ماهر الابتعاد أكثر لكن خطواته كانت بطيئة؛ صوت بداخله يلح عليه لشراء علبة سجائر كهدية له لأنه صبر لمدة ستة أيام وصوت آخر يطالبه بالذهاب فورا والاستمرار في الطريق نحو الحديقة! كان يشعر أن هناك حربا ضروسا في داخله بين مبادئه وعزيمته من جهة وبين رغبته في التدخين من جهة أخرى. حاول النظر لأشجار الحديقة البعيدة لكنها لم تعد تظهر له! كل ما كان يستطيع النظر إليه هو علبة السجائر في الدكان والتي بدت وكأنها تناديه، اقترب منها واحتضنتها يده بقوة بعد أن أعطى النقود للبائع.

خرج ماهر من الدكان بسرعة، فلم يعد يريد فعل أي شيء إلا التدخين! كان الألم يعتصر قلبه لأنه اقترب من الهزيمة واشترى العلبة. تحسس جيبه عدة مرات ليتأكد أنه اشتراها بالفعل! قال وهو يكلم نفسه بصوت خافت: «لم أعد أستطيع الاحتمال أكثر! أنا مضطر للتدخين!»، ثم أضاف وهو ينظر إلى الناس: «لن أدخن هنا حتى لا أؤذي الناس. من حقهم استنشاق هواء نقي. سأدخن في غرفتي. سامحني يا إلهي فقد انهزمت، أنا ضعيف جدا!». أسرع ماهر نحو البيت وعاد من الطريق نفسه! كان يحس بالأسى لأنه يرجع إلى الوراء! كل المشاهد التي رآها عندما كان قادما من بيته تظهر حزينة وهو عائد إليه بخفي حنين، كان الألم يعتصر قلبه، أدرك أنه ضعيف جدا، وأن عدوه انتصر في هذه المعركة. لكن المفاجأة التي كانت تنتظره لم تكن في الحسبان أبدا، فقد لمح من بعيد شخصا يلوح له قرب باب المنزل! «ماذا؟ إنه سامي»! صاح ماهر وهو ينظر بدهشة لما رآه.

كان سامي مبتهجا وسعيدا، لا يعرف أن هناك علبة سجائر في جيب صديقه، وعلى عكسه بدا ماهر شاحبا وكان الاضطراب واضحا على ملامحه! لم ينطق هذا الأخير بأي كلمة، أما سامي فقد قال مبتسما: «مازلت صامدا أليس كذلك؟ رائع! أنا واثق منك يا صديقي»! شعر ماهر بالألم أكثر وأكثر، لم يدر ماذا يقول. نظر إلى الأرض ثم قال في يأس: «شكرا لك يا سامي، أنا أشعر بالتعب قليلا». رد سامي وهو يربت على كتف ماهر: «لا عليك أيها الصديق العزيز، هل تذهب معي إلى الحديقة الكبيرة؟ ستشعر بالتحسن فور رؤيتك لتلك المناظر الخلابة الموجودة هناك؟!». فوجئ ماهر باقتراح صديقه، فهو لا يعرف أنه كان ذاهبا إليها لكنه عاد بسبب ضعفه أمام عدوه القذر، كان في حالة يرثى لها، أحس بالضعف والفشل والهزيمة، أراد الذهاب لعله ينقذ نفسه في اللحظات الأخيرة لكن رغبته في التدخين كانت أقوى وردت بلسانه: «آسف يا سامي، أريد الرجوع للمنزل والبقاء في غرفتي».

لم يغضب سامي من صديقه بل اتجه نحو طريقه إلى الحديقة بهدوء، أما ماهر فقد بقي واقفا وهو يراقبه بتحسر. فجأة رن هاتفه النقال فأخرجه من جيبه بسرعة وسقطت علبة السجائر على الأرض! نظر سامي خلفه فإذا به يرى ذلك المشهد وهو مندهش من هول ما رآه. لم يستطع ماهر مواجهة نظرات صديقه ولا التقاط العلبة، شعر أنه إنسان ضعيف جدا ومن دون قيمة! أحس أنه قد انهزم هزيمة أقوى من كل مرة! كانت هذه اللحظات عصيبة عليه. وضع يديه على الأرض وهو يبكي بحرقة، ومع كل دمعة تسقط كان سامي يقترب منه أكثر! أمسك ماهر بالعلبة بقوة، كان يشعر أنه يكرهها أكثر من أي وقت مضى فهي التي تسببت دائما في جعل حياته حزينة وكئيبة، وتجعله يشعر أنه ضعيف جدا أمامها. كانت هي الأقوى في كل مواجهة بينهما، لكن ذلك تغير الآن. انقلب كل ذلك الضعف الذي كان يشعر به إلى قوة وأصبحت الكرة في ملعب ماهر. لم يعد يفكر إلا في حياته الجديدة بعيدا عنها ، تخيل كم ستكون فرحة أمه كبيرة عندما تعلم بالخبر السعيد! وكم سيكون شجاعا وقويا لأنه استطاع هزيمة عدوه الأول في الحياة. تخيل أن حياته المستقبلية ستكون أفضل وأجمل بكثير بعد كل تلك المعاناة. بينما كان سامي يراقب المشهد بهدوء ولم يرد التدخل ولا النطق بكلمة. استجمع ماهر كل قوته فرمى بالعلبة على الأرض وداس عليها بكل قوة، كان واثقا أنها المواجهة الأخيرة بينهما. ثم نظر إلى سامي وقال له مبتسما: «هيا بنا يا صديقي إلى الحديقة».

د. إبراهيم سند الشيخ
أستاذ مساعد بقسم النحو
كلية دار العلوم جامعة المنيا
مصر

نظرية «تضافر القرائن» قراءة نقدية

لم تكن نظرية تضافر القرائن – التي أرسى الدكتور تمام حسان مبادئها النظرية في كتابه: «اللغة العربية معناها ومبناها» والتطبيقية في كتابه: «البيان في روائع القرآن» – غريبة عن الدرس النحوي التراثي، فقد أقام تمام حسان نظريته اللغوية على فكرة «التعليق النحوي» المعروفة سلفا عند عبدالقاهر الجرجاني في نظرية النظم، والتعليق هو أساس التحليل النحوي عند اللغويين، وهو ما يسميه الدكتور تمام حسان بـ «القرائن

المعنوية أو العلاقات السياقية Syntagmatic Relations إضافة إلى القرائن اللفظية».

ويرى تمام حسان أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي؛ لأنه يحدد معاني الأبواب في السياق، وهو بذلك يتابع أستاذه فيرث Farth الذي أقام نظريته اللغوية على فكرة السياق Context التي أصبحت أساس المدرسة اللغوية الاجتماعية؛ فقد تبنى تمام حسان وجهة النظر الوصفية لنقد التراث النحوي؛ فأعاد قراءة التراث في ضوء النظرية السياقية عند فيرث؛ لما فيها من اهتمام بالسياق اللغوي وسياق الحال في دراسة معنى الكلام المنطوق، وقد تأثر بهذه النظرية تأثرا واضحا من خلال تصوره للمعنى وأساليب الوصول إليه، فحرص على دراسة الجملة انطلاقا من المعنى لا من المبنى.

وتنقسم القرائن إلى نوعين، هما: القرائن اللفظية (القرائن المنطوقة)، وتتمثل في: «العلامة الإعرابية، والرتبة، والصيغة، والمطابقة، والربط، والتضام، والأداء، والنغمة»، والقرائن المعنوية: وهي العلاقات السياقية التي تفيد في تحديد المعنى النحوي، وتتمثل في: «الإسناد، والتخصيص، والنسبة، والتبعية، والمخالفة»، ولكل منها معنى تدل عليه، وقد نادى تمام حسان بتضافر القرائن المعنوية واللفظية مع بعضها لإيضاح المعنى المراد من التركيب اللغوي؛ لأن تضافر القرائن هو الذي يحدد المعاني الوظيفية في الكلام.

والتحليل النحوي عند تمام حسان شبكة من العلاقات السياقية أو التركيبية Structural relations تبدأ بالوحدة الأولى للكلام (الصوت)، وتنتهي بالتراكيب اللغوية مرورا بالأبنية الصرفية، ثم يكتمل المعنى بالسياق الاجتماعي Context of situation الذي حددته نظرية السياق عند فيرث.

وقد كان الهدف الرئيس من نظرية «تضافر القرائن» أن تكون أساسا للتحليل النحوي؛ لذلك جاء كتاب اللغة العربية معناها ومبناها شاملا للأنظمة اللغوية (الصوت، الصرف، النحو، المعجم)، وقد استطاع تمام حسان - من خلال هذه النظرية اللغوية - أن يربط بين نظرية السياق عند فيرث والتعليق النحوي عند عبدالقاهر الجرجاني من خلال المنهج الوصفي الذي تبناه في معظم مؤلفاته، وبنى عليه فكرته اللغوية في تضافر القرائن من خلال تفسير العلاقات التركيبية بين الكلمات في الجملة؛ للوصول إلى المعنى الدلالي مؤكدا أنه لا يمكن تحديد المعنى بالاعتماد على قرينة واحدة؛ بل لابد من تضافر القرائن، فالقرائن جميعها مسؤولة عن أمن اللبس ووضوح المعنى في التركيب، ولا تستعمل قرينة واحدة بمفردها للدلالة على المعنى، وإنما تجتمع القرائن متضافرة لتدل على المعنى النحوي.

ولم يهمل النحاة القدامى مراعاة القرائن عند تحديدهم المعاني النحوية، فقد اعتمد عليها كثير من النحويين - أمثال ابن السراج وابن يعيش وابن هشام ورضي الدين الاستراباذي... وغيرهم - في الأحكام النحوية؛ مما يوضح أنهم كانوا على دراية تامة بهذه القرائن النحوية، ودورها البارز في تحديد المعنى الوظيفي، ولاشك أن هذه النظرية قد أفادت الدرس اللغوي الحديث، فهي تمثل إضافة حقيقية للدرس النحوي.

د. أحمد إسماعيل عبدالكريم
باحث دراسات إسلامية

القصدية في الدرس اللغوي

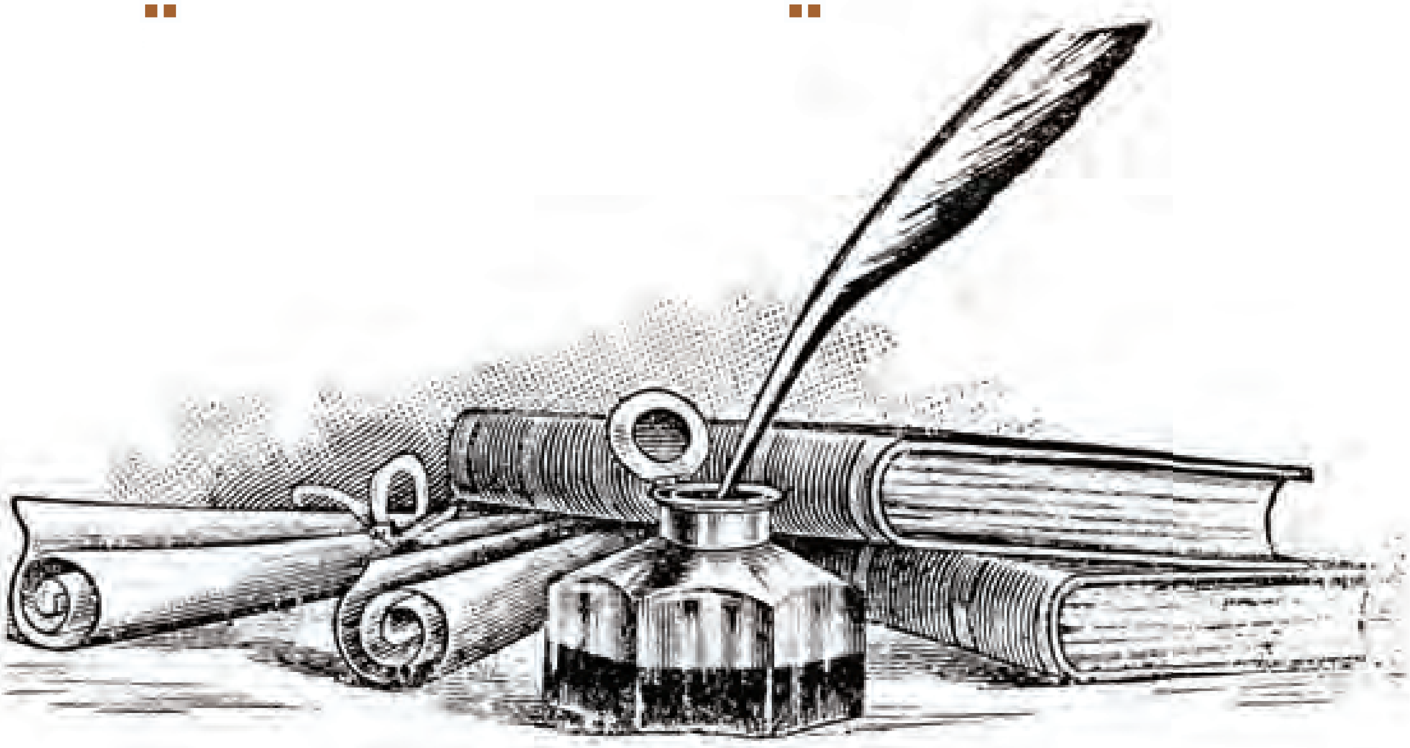

اللغة وسيلة اتصال وتخاطب، ووعاء فكر، وليس هي غاية في حد ذاتها يتغياها الناس.. وإن هذا لا يتحقق إلا من خلال ألفاظ لها دلالات معينة يفهمها المتلقي كما يريد المرسل من دون لبس أو غموض، ويؤكد ذلك عبدالقاهر الجرجاني بقوله: «إن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا؛ ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده» (١).

فالقصدية - إذن - في تصور نحاتنا القدامى، هي الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه، وعليه تكون «مراعاة الغرض من الكلام» في عرف غالب النحاة، قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة.. قال حازم القرطاجني في تحصيل القصد ووجوهه: «الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها، بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضا على تحصيل المنافع، وإزاحة المضار وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها، وجب أن يكون المتكلم يبتغي إما إفادة المخاطب، أو الاستفادة منه. إما بأن يلقي إليه لفظا يدل المخاطب إما على تأدية شيء من المتكلم إليه بالفعل، أو تأدية معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول، وإما بأن يلقي إليه لفظا يدله على اقتضاء شيء منه إلى المتكلم بالفعل أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول» (٢). وعليه فإن مصطلح القصدية يهتم بالقصد، إذ إنه الحافز الرئيس في عملية الكلام، ومن ثم يتشكل الملفوظ تبعا له فـ«مقصد المنتج هو متابعة هدف ما من خلال النص... وبالمعنى الأكثر مباشرة يعد إنتاج النص هدفا فرعيا في السبيل المؤدي إلى الهدف، وهو القصد» (٣). فالقصد إذن هو الهدف الأساس الذي يقوم عليه الكلام.

القصدية وأثرها

أشار علماؤنا الأوائل إلى أهمية القصد اللغوي في الكلام، وتشكيل الملفوظ بشكل يدعو للإعجاب، فعلى سبيل المثال ابن هشام يعرف الكلام بقوله: «القول المفيد بالقصد» (٤). وقد اعتمد النحاة العرب، على مبدأ «مراعاة غرض المتكلم من كلامه» بوصفه قرينة تداولية قوية في الدراسة اللغوية،

فالقصد هنا غاية المتكلم، باعتباره المرجعية، وليس ما يفهمه المتلقي، قال ابن رشد الفقيه: إن دلالات الألفاظ «إنما تحمل على ما يعلم من قصد المتكلم بها» (٥). وأطلق الفقهاء عليه مصطلح «المقاصد» والمراد بالمقاصد اللغوية الأهداف الدلالية القائمة على الأصول السماعية والقياسية القاضية بتوحيد المعاني اللفظية والتركيبية وفق ما جرى به العمل عند العرب في عرف لسانها وطرق تصريف أساليبها (٦).

وقد كان الجرجاني يعتمد هذا المبدأ ويوظفه ويدافع عنه في فهم الجمل والتراكيب اللغوية، ولاسيما آيات القرآن الكريم، بل وجدناه يوظفه أحيانا في بيان خطأ أولئك الذين يخطئون في فهم الخطاب بسبب إهمال «الغرض»، فلاغرو أن المقصدية أو الغرض له دور بارز في فهم الرسالة، أو توجيهها التوجيه الصحيح، يقول عبدالقاهر: «لا يخفى على من له أدنى تمييز أن الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد.

ولو كان الذي يكون غرض المتكلم يعلم من اللفظ، ما كان لقولهم: «ضرب كذا مثلا لكذا»، معنى، فما اللفظ «يضرب مثلا» ولكن المعنى. فإذا قلنا في قول النبي: «إياكم وخضراء الدمن» (٧)، إنه ضرب عليه السلام «خضراء الدمن» مثلا للمرأة الحسناء في منبت السوء، لم يكن المعنى أنه ضرب لفظ «خضراء الدمن» مثلا لها. هذا ما لا يظنه من به مس، فضلا عن العاقل» (٨).

أسس إدراك مقاصد اللغة

إن الوظيفة الأساس للغة هي إقامة التواصل بين متكلميها، بل إن هذه الحقيقة من الأمور البدهية التي لا يختلف فيها اثنان، يقول عبدالقاهر: «الدلالة على الشيء هي لا محالة إعلامك السامع إياه، وليس بدليل ما أنت لا تعلم به مدلولا عليه. وإذا كان كذلك، وكان مما يعلم ببدائه المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده، فينبغي أن ينظر إلى مقصود المخبر من خبره» (٩). فالوظيفة اللغوية المقصودة هنا تشمل المعنى المراد تبليغه، وكل ما له تعلق به يقول: «إن الألفاظ؛ إذ كانت أوعية للمعاني، فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق. فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها، فباطل من الظن» (١٠).

ووجه التحقق من جماع تلك المعاني وتفرقها استحضار أعراف الخطاب ومقاصده، «فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه» (١١)، ولا سبيل إلى درك مقاصد اللغة إلا بمعرفة الظواهر اللغوية، والسياق الواردة فيه والقرائن المقالية والمقامية ومساعدات الكلام، لأن «معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال» (١٢)، حيث تبنى عملية الكلام أساسا

على متكلم وقصده ومراعاته للسياق وحال السامع، فإن نجاحها يتوقف على فهم المخاطب مقصود المتكلم، ومن ثم فالمخاطب حاضر في عملية الكلام من جانبين:

الأول: مراعاة السامع له عند التعبير عن قصده وهذا ينبني - لاشك - على إدراك المتكلم للمفاهيم المشتركة بينه وبين المخاطب.

الثاني: فهم المخاطب لمقصود المتكلم، وتحقيق الفائدة وتفاعله مع الملفوظ، تأثرا به أو إنجازا لمدلوله في الواقع.. وهو ما يعبر عن فهمه لمقصود المتكلم، فالمخاطب شريك للمتكلم في نجاح التواصل، حيث إن «دلالة الملفوظ تستلزم بالضرورة معرفة المتقبل بمقصد الباث التواصلي» (١٣)، وهذا - لا محالة - يفضي إلى الوقوف على المقاصد العامة للخطاب، وربط العلماء بين اللغة واستعمالها في الواقع، واشترطوا على المفسرين والمجتهدين معرفة علاقة النص بعالمه الخارجي للوقوف على مقاصده (١٤).

وتنقسم القصدية إلى قصدية عقلية: تمثل توجه العقل نحو العالم، وقصدية لغوية: تمثل نية الإنسان التي قصدها من الملفوظ، والقصدية اللغوية جزء من القصدية العقلية، فهي الصورة المعلنة للقصدية العقلية (١٥). ويرتبط القصد بالغرض الذي يبتغيه المتكلم وبالتعبير الخاص به، فاختلاف المقاصد يترتب عليه اختلاف الأساليب والسياقات، وهو ما غفل عنه اللغويون في المدارس اللغوية الحديثة، يقول حازم القرطاجني: «يكون المقصدان غير منصرفين إلى محل واحد أو غير منبعثين من محل واحد، فلكل واحد منهما هدف معين لا يتحقق إلا في إطاره، ولا يمكن تحققه في إطار غيره» (١٦). وقد تناول علماء اللغة والمفسرون مقاصد الاستعمال في ضوء القرائن السياقية، ما تقتضيه قرائن الأحوال، وما يترتب على هذا من معنى سياقي يغاير المعنى الظاهر، فقد تتغير دلالة الأسلوب بتغير طريقة الإلقاء ونبرة الصوت، والنغمة التي قيل بها، فقد يتغير المقصد من أسلوب الأمر، فيراد به غير ظاهر اللفظ، فلا تقتصر على الوجوب «افعل في عرف اللسان تدل على معاني أخرى كالإباحة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ (المائدة:٢)، والدعاء في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:٦)، والتهديد في قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (فصلت:٤٠)، والتكوين في قوله تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة:٦٥) (١٧). وهكذا تختلف الأساليب باختلاف القرائن الحالية والظروف المحيطة، وكذا حالة المتلقي، وظروفه وعلاقته بالحدث والسياق الذي ورد فيه الحديث.

من هذا يتضح أن موافقة قصد المتكلم ووصوله إلى السامع أساس قبول الملفوظ، وأنه يمكن القول إن اللغة ليست منظومة من القواعد المجردة من المعنى والدلالة المقترنين بما في نفس المتكلم، وإنما اللغة: لفظ معين يؤديه «متكلم معين» في «سياق ومقام معينين» وموجه إلى «مخاطب معين» لأداء «غرض تواصلي معين».

الهوامش

١- دلائل الإعجاز، لعبدالقاهر الجرجاني، تح: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ص ٣٥٧.
٢- منهاج البلغاء حازم القرطاجني، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤م، ص ٣٤٧.
٣- مدخل إلى علم لغة النص، ص ٦٤.
٤- مغني اللبيب، ص ٣٦٣.
٥- المقدمات الممهدات، للحافظ أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، مكتبة زاد المعاد، ٢/ ٤٣٠.
٦- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، بشرح الشيخ عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ٣/ ٣١.
٧- ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢٧٢/١)، وقال: رواه الدارقطني في الأفراد، والعسكري في الأمثال، وابن عدي في الكامل.
٨- دلائل الإعجاز، ص ٢٨٠.
٩- السابق، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.
١٠- السابق، ص ٤٤.
١١- الموافقات، للشاطبي، ٢/ ٨٢.
١٢- الموافقات، للشاطبي، ٣/ ٣٤٧.
١٣- التداولية والحجاج، ص ٨٣، ومن المفاهيم التداولية في كتاب سيبويه، د. محمد البدري عبدالعظيم، ص ١٠٨٨.
١٤- إعلام الموقعين، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣/ ٢١٩.
١٥- كيف يعمل العقل: القصدية، ص ٣٧٦ عن «الدرس اللغوي عند عبدالقاهر الجرجاني في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ورقة بحثية، للباحث، قدمت في المؤتمر الدولي السابع «وسطية الفكر في الدراسات العربية والإسلامية، بكلية دار العلوم جامعة المنيا، في الفترة ٢٠-٢٢ مارس ٢٠١٦م، مج ٢/ ٤٩٣.
١٦- منهاج البلغاء، ص ٣٥٠.
١٧- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، د.ت، ١٠/ ١٥٤.

أ. د/ أمان محمد قحيف
مفكر وباحث مصري

الإعلام الغربي وتشويه الوعي الديني

تمدنا القراءة المتأنية للأساليب التي تتناول بها بعض المؤسسات الإعلامية والثقافية في الغرب قضية الدين، خاصة الإسلام، بما يفيد عدم وعي القائمين عليها بطبيعة الإسلام وبجوهر تعاليمه؛ إذ ينتهي المتابع الصحيفة لما يتم تداوله عن الإسلام عبر تلك المؤسسات إلى أن ما يسمى بـ «بالإسلاموفوبيا» قد تولدت نتيجة لتعالي أصوات تلك المؤسسات، مرددة أن الإسلام هو السبب الرئيس للنكوص العلمي والتراجع الحضاري الذي تعاني منه المجتمعات العربية والإسلامية، زاعمين:

أولا: أن التشريع الإسلامي لا يتوافق من حيث المعنى والمبنى مع التفكير المنطقي السليم، وأنه يناهض ويناقض العقل والعقلانية، ويتضاد مع التفكير الحر المستنير.

ثانيا: الزعم والترويج لمغالطة أن الإسلام ضد العلم، ويكره الروح العلمية، وأنه لا يحبذ دراسة الطبيعة والوجود إلا في إطار ما يخدم الفرائض والعبادات. وبالتالي توهموا أن الإسلام والعلم نقيضان لا يجتمعان.

من هنا تزعم هذه المؤسسات دوما أن الإسلام صبغ الثقافة، والفكر، والعقل، في العالم العربي والإسلامي بصبغة الجمود والتقليد بما يشيعه من أجواء تناقض، وتعادي التجديد والاجتهاد والتطوير في الفهم والاستيعاب لقضايا الكون والوجود، لينتهي زعمهم الباطل إلى أن العقل والشرع لا يتفقان في الإسلام شأنهما في أية ديانة أحرى.

والحق أن وسائل الإعلام هذه تقول بذلك انسياقا خلف بعض المستشرقين الذين كتبوا عن الإسلام وفق هواهم، وأشاعوا عنه ما يخدم أغراضهم ويحقق آمالهم ومصالح السياسات الاستعمارية القديمة، مبتعدين بذلك عن الموضوعية وعن دراسة الإسلام دراسة علمية منهجية، على النحو الذي فعله بعض المنصفين منهم، أمثال:

١ - «فرانز روزنتال» الذي تحدث عن عظمة الإسلام كعقيدة وثقافة وحضارة، و«توماس كارلايل» صاحب كتاب «الأبطال» الذي زكى شخصية النبي محمد ﷺ، وأشاد بأخلاقياته وقيمه وشجاعته، وروعة المبادئ الإسلامية التي نشرها بين المسلمين.

٢ - «زيجريد هونكه» التي بذلت جهودا كبيرة في الرد على مفتريات المغرضين، فكتبت كتابين، أحدهما اسمه «شمس العرب تسطع على الغرب»، وجاء الثاني بعنوان: «الله ليس كذلك»، ووجهت سهام نقدها في الكتابين صوب أولئك النفر من المستشرقين المتحاملين الذين عملوا على تشويه الوعي الديني لدى المسلمين عن طريق غض الطرف عن المزايا العديدة والمتعددة في التشريع الإسلامي، وعن طريق إشاعة عن الإسلام ما ليس فيه، معتمدين في ذلك على بعض الآراء الشاذة التي رفضها

ونفر منها الوجدان الإسلامي، ولفظها عموم المسلمين، فماتت وخرجت من التاريخ.

٣ - «روجيه جارودي» الذي كان زعيما للفكر الاشتراكي، ودرس بقية الديانات السماوية والوضعية - اليهودية، والمسيحية، والبوذية، والهندوسية - فوجد أن الإسلام هو الأرقى والأسمى والأكثر اتفاقا مع العقل المفكر، فاهتدى بنور الله وأعلن إسلامه، ودخل في الدين الحنيف، ليوجه بذلك صفعة لأصحاب الهوى وعشاق المصالح من المستشرقين المتطعين وتلامذتهم الناسجين على منوالهم من أبناء جلدتنا.

ومر بنفس تجربته الكاتب والفيلسوف المفكر «مراد هوفمان» الذي كان سفيرا لألمانيا بالجزائر، ودرس الإسلام فآمن واهتدى، وأصبح من كبار الدعاة إلى الله المنتقدين للحضارة المادية التي آمنت بالمادة ولا شيء سواها.

ولا نشك في أن المنصفين من المستشرقين كثر وفوق العد، غير أننا نرى أن المتعصبين منهم ليس لديهم الوعي الكافي، لا بجوهر الإسلام، ولا بكنه بنيته العقائدية، ولا بتاريخ ومحتوى الفكر الديني والحضاري فيه، لأن حديثهم المشوه حول طبيعة العلاقة بين الإسلام من جهة، والعقل والعلم من جهة أخرى، يؤكد ذلك ويبرهن عليه، ولو كانوا أولو علم حقيقي ومعرفة راسخة لأدركوا أن علماء الإسلام ومفكريه قد أكدوا - منذ أزمنة بعيدة - وجود صلة قوية وعلاقة حميمة بين الوحي والعقل في الإسلام، وكشفوا عن عمق وأصالة الاتفاق والتوافق بين العقل والنقل في دين الله، وأشاروا إلى عظمة ووجاهة موقف الإسلام الحنيف من العلم والمعرفة.

فالمعلوم أن مفكري الإسلام ودعاته وفلاسفته قد عالجوا هذه القضية تحت عنوان ما سمي في مؤلفاتهم ودراساتهم بـ «التوفيق بين الفلسفة والدين» أو «الاتصال بين الحكمة والشريعة» أو

مفكرو الإسلام عالجوا التوفيق بين الفلسفة والدين

«درء تعارض العقل والنقل» أو «اتفاق صريح المعقول مع صحيح المنقول»، ووردت معالجات متنوعة لتلك القضية عند الكندي (٢٥٦ هـ/ ٨٧٣ م)، والفارابي (٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م)، وابن سينا (٣٧٠ هـ/ ١٠٣٦ م)، وابن تيمية (٧٢٨هـ/ ١٣٢٨ م)، وابن القيم (٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م)، وتناولها غيرهم كثير من علماء أصول الفقه والفقهاء وعلماء العقيدة والتوحيد شرحا وتفصيلا.

وقد كان الفيلسوف الفقيه ابن رشد الحفيد (٥٩٥ هـ/ ١١٩٨ م) قد خصص كتابا مهما لمعالجة هذه القضية سماه «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال»، وكان حجة الإسلام أبوحامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١ م) قد سبقه إلى بيان أهمية بل ضرورة المزاوجة بين العقل والنقل لفهم التجربة الدينية، وللوصول إلى اليقين في القضية الإيمانية، قال الغزالي في هذا المعنى: «وأنى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر؟! أولا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر، وبرهان العقل هو الذي عرف صدقه فيما أخبر؟!... كيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟، فمثال العقل البصر السليم عن الآفات والأدواء، ومثال القرآن الشمس المنتشرة الضياء، فأخلق بأن يكون طالب الاهتداء، المستغني بأحدهما عن الآخر في غمار الأغبياء، فالمعرض عن العقل اكتفاء بنور القرآن مثاله: المتعرض لنور الشمس، مغمضا للأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان؛ فالعقل مع الشرع نور على نور» (١).

الشاهد هنا أن دور العقل حاضر في العقيدة والحضارة والثقافة الإسلامية؛ فالمسلم عرف الله تعالى بالعقل، وعلم صدق النبي ﷺ بالعقل، وفهم الشرع بالعقل، وبنى حضارته وعمر دنياه بالعقل.. بالتالي لم يقف الشرع من العقل موقفا سلبيا، ولم يتخذه خصما ولا عدوا، ولم يجعله نقيضا ولا ضدا كما يزعم بعضهم! وكيف يتأتى ذلك والعقل والشرع في ملة المسلمين وتراثهم نور على نور، كما قال أبو حامد الغزالي يرحمه الله؟!.

ونظرا لأصالة هذه الرؤية ومطابقتها لروح التشريع الإسلامي، ظلت تنتقل من جيل إلى جيل من حملة الأقلام وصناع الثقافة في عالمنا العربي والإسلامي، بالتالي فهي حاضرة دوما في الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل، بل إنها تعد إحدى القضايا الأساسية التي اتفق عليها الفكر الإسلامي بتفريعاته وتنويعاته، فباتت ظاهرة الوضوح في فكر الفلاسفة والمتكلمين والأصوليين والفقهاء القدامى، وهي ظاهرة الوضوح أيضا في كتابات مفكري العرب والمسلمين الذين أنجبتهم الأمة في العصور الحديثة، ومنهم الطهطاوي، والأفغاني، ومحمد إقبال، ووحيد الدين خان، ومحمد عبده الذي ألف كتابا سماه «الإسلام دين العلم والمدنية» للرد على المستشرق الفرنسي «هانوتو»، حيث اتهم «هانوتو» الإسلام - ظلما وبهتانا - بأنه ضد العلم والعقل والتمدن، فانبرى الإمام محمد عبده للرد عليه بهذا الكتاب المذكور، ونجح في إبطال مزاعمه وتكميم أفواه مدرسته الفكرية التي كانت تروج لتلك الترهات والخرافات.

وفي القرن العشرين انبرى العقاد يبين الموقف الناصع للإسلام من عملية البحث العلمي والتفكر والتدبر، فخرج علينا بكتاب ذاع صيته، وانتشر ذكره، وتعددت طبعاته، ألا وهو كتاب «التفكير فريضة إسلامية»، الذي برهن فيه العقاد أن القرآن الكريم لم يقف أبدا حجر عثرة في طريق إعمال العقل، بل

طالب الإنسان بالتفكر والتدبر والتأمل، وحضه على ذلك ودفعه إليه وطلب منه عدم تعطيل عقله خوفا من أي سلطة كانت، دينية أو دنيوية.

وانطلاقا من هذا الفهم ظل الاجتهاد والتجديد سنة من سنن المسلمين الحضارية والثقافية عبر التاريخ، ولم تفلح كل الدعوات التي ظهرت في بعض جنبات العالم الإسلامي ونادت بغلق باب الاجتهاد بحجة أن السابقين لم يتركوا للمحدثين شيئا إلا درسوه ولا رأيا إلا قالوه.

من هنا توالى ظهور المجددين والمجتهدين في أرجاء الأمة عبر تاريخها الطويل «ويتبين من تاريخ العالم الإسلامي في جملته أنه لم يستمع طويلا لآراء القائلين بمنع الاجتهاد في آية صورة من صوره، فإذا غلب التقليد في بلد من بلاده لم يخل سائر البلدان من أئمة يقولون بالاجتهاد ويعملون به في كل باب من أبوابه، وهي كثيرة تدل كثرتها على كثرة البحث فيها وكثرة العاملين بها» (٢).

من ثم فقد كثر عدد المجددين لدين الأمة وفقا لحديث النبي ﷺ المحفز على التجديد والإبداع الذي قال فيه: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» (٣).

ونشير هنا إلى أن دعم الإسلام للتفكر والتدبر والاجتهاد والتجديد هو ما جعل المجدد في العالم الإسلامي لا يتعرض لأشكال المعاناة التي تعرض لها نظراؤه من أتباع الملل والديانات والحضارات الأخرى، بل إن الإسلام امتدح المفكرين المجددين أولي العقول ورفع قدرهم وأعلى من شأنهم باعتبارهم الأقدر على فهم آيات الله تعالى وإدراك مراميها، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٣).

من هنا يتبين لمن يدرس التاريخ العام للبشرية أن الحضارة الإسلامية كانت أكثر من غيرها صونا لحق المبدعين في الإبداع ولحق المفكرين في التفكر والتدبر، ويحدثنا تاريخ حضارتنا بأن علماء الوسطية الإسلامية لم ينزعجوا من بعض الآراء الفكرية الشاذة التي كانت تصدر من هنا، وهناك في بعض الأوقات -لإيمانهم بحرية الرأي وحرية التفكير- وكل ما فعلوه أنهم تناولوها بالنقد والتحليل والمناقشة والتفنيد عبر حوارات اتسمت بالعقلانية والهدوء، فأثبتوا تهافتها وتهافت العقول القائلة بها أو المرددة لها، وهو موقف دفاع لا موقف هجوم، ومصدر ذلك - كما قلنا - أن الإسلام من أشد الأديان نصرة للتجديد ونعيا على الذين يسرفون في نصرة القديم أو التعصب له، «وكثيرة جدا في القرآن الكريم هذه الآيات التي تسخر من المشركين الذين عاصروا النبي ﷺ - أو لم يعاصروه - لأنهم أبوا الإجابة إلى دين الله حرصا على القديم، وكراهة أن يعبدوا ما لم يكن يعبد آباؤهم» (٤).

موقف الإسلام من العلم هو من الإيجابية بحيث لا يستطيع أحد إنكاره

ويهمنا أن نلفت الأنظار إلى نقطة مهمة وهي أن النذر القليل من الاضطهاد الذي وقع لقلة قليلة من أصحاب الرأي من المسلمين - كأحمد بن حنبل وابن رشد الحفيد - لم يحدث إلا في عصور متأخرة ولأسباب غير دينية بالمرة؛ فالتاريخ لم يحدثنا - حتى ولو عن طريق خصوم الإسلام - عن وجود أي نوع من أنواع الاضطهاد لأهل الرأي والفكر في عصر النبوة وزمن الوحي ولا في عصر الخلفاء الراشدين، وكذا في زمن تابعيهم من الخلفاء الصالحين؛ وذلك لحرص الإسلام على التجديد المتواصل في الفكر والدين.

ومن هذا المنطلق نفهم سبب حرص فقهاء الإسلام وعلماؤه على حض الناس على عدم متابعتهم متابعة النعل بالنعل، وكانوا يستحثونهم على التفكير في أقوالهم وتدارس مواقفهم قبل اتباعهم فيها وتصديقهم عليها.

فقد جاء عند الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ) «حكى ابن القيم عن أبي حنيفة وأبي يوسف أنهما قالا: لا يحل لأحد أن يقول بقولنا حتى يعلم من أين قلنا. وهذا هو تصريح يمنع التقليد لأن من علم بالدليل فهو مجتهد مطالب بالحجة، لا مقلد يقبل القول، ولا يطالب بحجة.

وحكى ابن عبد البر أيضا عن معن ابن عيسى بإسناد متصل به قال: سمعت مالكا يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي: فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

ولا يخفى عليك أن هذا تصريح منه بالمنع من تقليده، لأن العمل بما وافق الكتاب والسنة من كلامه هو عمل بالكتاب والسنة، وليس بكلام منسوب إليه، وقد أمر أتباعه بترك ما كان من رأيه غير موافق للكتاب والسنة.

وقال بسند بن عنان المالكي في شرحه على مدونة سحنون المعروفة بـ «الأم» ما لفظه: «أما مجرد الاقتصار على محض التقليد فلا يرضى به رجل رشيد» (٥).

وتجدر الإشارة إلى أن موقف الإسلام من العلم هو من الإيجابية بحيث لا يستطيع أحد إنكاره أو تجاهله، الأمر الذي سهل على المسلمين - في زمنهم الأول - بناء حضارة راقية أبهرت الآخرين وساهمت بشكل فاعل في تطور العلم وتقدم البشرية.

الهوامش

١- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد. القاهرة، مكتبة الجامعة الأزهرية، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، (١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م)، (١/١١- ١٢).

٢- العقاد، التفكير فريضة إسلامية. القاهرة. دار الهلال، من دون تاريخ، (ص١٠٥ -١٠٦).

٣- رواه أبو داود، رقم (٤٢٩١)، وصححه البخاري في «المقاصد الحسنة» (١٤٩)، والألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٥٩٩).

٤- المرجع نفسه. الشركة العربية للطباعة والنشر، ط٢، القاهرة، (ص٢٢٠ - ٢٢١) بتصرف.

٥- الشوكاني، القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد. نشرها قصي محب الدين الخطيب، القاهرة، (١٣٩٩هـ)، (ص٢٤- ٢٥).

جميلة محمد المحمد
كاتبة مغربية

أدب الأطفال الإسلامي... أهدافه وخصائصه

يشكل «أدب الأطفال» باختلاف أشكاله، وأدواته، ووسائله، أداة تأثيرية هامة في تربية الأطفال، ودعامة رئيسية في مواجهة التطورات أثناء مسيرة نموهم، وتكوين شخصياتهم على المستوى العقلي، والوجداني، والاجتماعي، واللغوي، حيث يُنمّي تفكيرهم، ومعارفهم، وميولهم الفطرية إلى الاستكشاف والمغامرة. كما يوسع مداركهم وأخيلتهم، ويضبط انفعالاتهم، ومشاعرهم، ويثري حياتهم الثقافية، ونظرتهم إلى الحياة، ولا يختلف هذا النوع الأدبي كمصطلح عن أدب الكبار، إلا في كونه يتخصص في التوجه إلى فئة معينة هي فئة الأطفال، لذلك يتوجب عند الكتابة لهم الأخذ بعين الاعتبار خصوصية كل مرحلة نمائية من مراحل الطفولة، وخصائصها، وقدراتها، واحتياجاتها النفسية، والعقلية، والانفعالية، واللغوية.

وعلى الرغم من أصالة الاهتمام بأدب الأطفال عالميا، إلا أنه لم يتبلور في الوطن العربي إلا في زمن متأخر نسبيا، وقد شهد منذ أوائل القرن العشرين نهضة جيدة، حيث بدأ الاقتباس والترجمة عن آداب الأمم الأخرى. ثم انتشر التوظيف من التراث الشعبي لصالح الأطفال قبل أن يتبلور مصطلح الكتابة لهم، ويتخذ طابعا حديثا في مرحلة التأليف والإبداع.

مفهوم أدب الأطفال الإسلامي

أدب الأطفال الإسلامي هو فرع من فروع الأدب الإسلامي، ورافد من روافده الحديثة، له ملامحه الواضحة، وغاياته، وأهدافه المحددة، ويستمد فكره، ومقوماته، ومبادئه من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والفكر والتراث الإسلامي، ويهدف عموما إلى تعزيز العقيدة الإسلامية السليمة، ونشر قيمه وفضائله بين الأطفال، والتصدي للثقافات الوافدة من بيئات لا تتلاءم قيمها مع القيم والأخلاق الإسلامية، ناهيك عن تربيتهم على الآداب العامة والسلوكات الاجتماعية الإيجابية، وهو يشمتل على الأنواع المختلفة لأدب الأطفال، كالقصة، والمسرحية، والقصيدة، أو النشيد.

يعرِّف الدكتور نجيب الكيلاني أدب الأطفال الإسلامي وأهدافه بقوله: «هو التعبير الأدبي الجميل المؤثر الصادق في إيحاءاته ودلالاته، والذي يستلهم قيم الإسلام، ومبادئه، وعقيدته، ويجعل منها أساسا لبناء كيان الطفل، عقليا، ونفسيا، ووجدانيا، وسلوكيا، وبدنيا، ويساهم في تنمية مداركه وإطلاق مواهبه الفطرية، وقدراته المختلفة وفق الأصول التربوية الإسلامية، وبذلك ينمو ويتدرج الطفل بصورة صحيحة تؤهله لأداء الرسالة المنوطة به في الأرض».

يستمد أدب الأطفال الإسلامي

موضوعاته من المصادر الأساسية التالية:

القرآن الكريم وقصصه، السيرة النبوية الشريفة، وما ورد فيهما من العلوم، والحيوانات، والنباتات، وحياة الخلفاء الراشدين، وسِيَر الصحابة، والدعاة، وأعلام المسلمين رضوان الله عليهم، إلى جانب كتب التراث الإسلامي، والبطولات والمعارك الإسلامية الخالدة، والإرث العلمي للمسلمين.

كما أن أدب الأطفال الإسلامي لا يقصي كتب الأطفال الحديثة والمترجمة وصحفهم والبرامج الخاصة بهم في وسائل الإعلام المختلفة، بشرط أن تتفق مع قواعد الإسلام المبدئية، ولا تتعارض مع عقيدته ومبادئه الأساسية.

يقول الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (يوسف:٣).

أهداف أدب الأطفال الإسلامي

١- ترسيخ العقيدة الإسلامية وتقويتها، وغرس الفضائل والقيم الإنسانية الخيّرة في نفوس الأطفال وحثهم عليها.

٢- تعزيز انتمائهم الى الأمة الإسلامية، ودعوتهم إلى التمسك بالمنهج الإسلامي ومبادئه السمحاء.

٣- تعريفهم بالشخصيات التاريخية الإسلامية، عبر قصص بطولاتهم وفتوحاتهم، وتربيتهم على خصائل الشجاعة والجرأة والأخلاق الحميدة.

٤- إتاحة فرص النمو الاجتماعي السليم، وتعليمهم القيم الاجتماعية المستحبة، وتأهيلهم؛ ليكونوا أعضاء صالحين في مجتمعاتهم.

٥- إشباع فضولهم للمعرفة، وتنمية

خيالهم وقدراتهم العقلية، والتعبير المبدع والخلّاق لديهم.

خصائص أدب الأطفال الإسلامي

أولًا: من حيث المضمون

- الالتزام بالموضوعات الهادفة، والمستقاة من حقيقة الإسلام الحنيف، والتي تدور في فلك عقيدته، وما يدعو إليه من الأخلاق القويمة.
- العبرة أو القيمة الإنسانية الإيجابية، التي تؤكد بانتصار الخير والعدل على الشر والظلم.
- مراعاة خصوصية الطفولة وأحلامها، وإرضاء ميولها للتحري، والاستطلاع، والاستكشاف.
- تشجيع ميول الأطفال الإبداعية الخلّاقة، وتنمية مهارات التذوق الأدبي لديهم، وتقديم الإجابات عن أسئلتهم، واستفساراتهم.

ثانيا: من حيث الأسلوب

- أن يكون الأسلوب في المادة المقدّمة واضحا، وبسيطا، وجميلا في الوقت نفسه، وأن يتميز بالحركة والحيوية.
- أن تكون المفردات واضحة، والجُمَل سهلة مفهومة، والتراكيب اللغوية مترابطة.
- أن تكون المادة غنية بالصورة الموحية، ومحتوية على أسلوب المفاجأة وعنصر التشويق، بما يناسب قدرات الطفل العقلية والوجدانية.
- أن تكون العناوين مناسبة لإدراكات الجمهور المستهدف.

ثالثا: من حيث الشكل

- أن يكون الغلاف للمادة المطبوعة ملوّنا بألوان زاهية، تثير الإحساس بالجمال وتنمّيه.
- أن تكون حروف الطباعة مقبولة، ونوع الورق جيدا.
- أن تشتمل على الصور، والرسومات المناسبة.

سبل الارتقاء بأدب الأطفال الإسلامي

يتوجب على الأطراف المعنية بتربية الأطفال الاهتمام الجاد بهذا النوع الأدبي، بدءا من الاهتمام الأسري، وانتهاء بالاهتمام المجتمعي عموما، من خلال:

١- تشجيع نشر كتب الأطفال القيّمة، التي تسهم في ترسيخ العقيدة الإسلامية.

٢- استغلال الأشكال الثقافية المختلفة، كالصحافة، والمسرح، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية في تقديم مواقف سلوكيّة إيجابيّة، وغرس القيم الخُلُقيّة الأصيلة في نفوس الأطفال.

٣- الإفادة من إمكانيات وسائل الإعلام المختلفة في عرض نتاجات «أدب الأطفال الإسلامي»، ونشر أهدافه وغاياته.

٤- تفعيل وتحديث وسائل وأدوات نقل النتاج الموجه للأطفال، والمحافظة على صلاتهم مع أحدث الوسائل المبتكرة في هذا المجال، مثلًا: تحويل القصص التراثية الإسلامية الورقية إلى الصيغ الإلكترونية.

٥- استثمار التراث الإسلامي جيدا، والعمل المثمر؛ لتقديم مادة تراثية مناسبة وغنيّة ومشوّقة معًا.

التحرير

قبسات من كتاب (فن التعامل مع الناس)

اعرف ما الذي يحبه الناس وما يكرهونه فيك

كي تعم الفائدة، ويستنير كل من يبحث عن صداقة دائمة، اختارت «الوعي الإسلامي» مقتطفات من كتيب «فن التعامل مع الناس»، والذي صدر ضمن سلسلة كتاب المنتدى الإسلامي في لندن للكاتب د. عبدالله الخاطر، وهي مقتطفات تركز على قضايا محددة تخص ما يحبه وما يكرهه الناس في من يصادقونهم. من هذه القضايا النصيحة في العلن، فكما يقول د. الخاطر: «لا يختلف اثنان في أن النصيحة في العلن يكرهها الناس، لأن كل الناس يكرهون أن تبرز عيوبهم أمام غيرهم.. كل الناس، مسلمهم وكافرهم، لا يحبون أن ينصحوا في العلن، ولكن إذا أُخذ الرجل جانبا ونصح على انفراد، فإن ذلك أدعى للقبول، وأدعى لفهم المسألة، ولأحبك الرجل؛ لأنك قدمت إليه معونة، وأسديت إليه خدمة بأن نصحته وصححت خطأه». وكذلك يكره الناس الأسلوب المباشر في النقد، فالناس، كل الناس، لا يحبون أن تقال لهم الأوامر مباشرة: افعل كذا، لا تفعل كذا. فطبيعة البشر تأبى ذلك. نعم، قد ينفذ الشخص الأمر الموجه، لكن لو قدم له هذا الأمر بطريقة ألطف فإن ذلك أدعى للقبول، حتى ولو كان الأمر من رئيس إلى مرؤوسيه.

وعلى الرغم من أن أفعال الرسول ﷺ وأقواله كان منها أوامر مباشرة، إلا أن الرسول ﷺ كان يستخدم أساليب أخرى، مثل أسلوب الخبر: يقدم الخبر فيفهم الناس ماذا يراد.

والصيغة لها دور في المطلب، فهناك فرق بين أن يقول أحد المسؤولين: أنا أرى أن «أ» أفضل من «ب»، فيستجيب الموظفون ويطبقون «أ». وبين أن يقول: «أ» أفضل فطبقوها. وهناك مثال قد يكون أكثر إيضاحا: مدرس يريد أن ينقل طاولته، ويريد من الطلبة أن ينقلوها معه، فهناك فرق بين أن يقول: ما رأيكم لو نقلنا الطاولة هذه إلى مكان كذا، وبين أن يقول: انقلوا معي الطاولة إلى مكان كذا. فطريقة السؤال أدعى للقبول، وإن كانت النتيجة قد تتساوى في الحالتين.

والقضية الأخرى هي أن تشعر الإنسان بمحبة الأمر حين تعطيه إياه، وكان ذلك هو دأب الرسول ﷺ، فكان يشوق الناس لما سوف يأمرهم به، فلما أراد أن يسيّر جيشا، قال ﷺ: «لأعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله»، فصار كل فرد يتمنى أن يكون ذلك الرجل. وكما نصح ﷺ أحد أصحابه بقوله: «إني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين». فهو يُضمّن الأمر نقاطا تجعل المأمور يحب الأمر.

وكذلك فإن قول رئيس لمن يأمره: كلي ثقة بأنك قادر على التنفيذ، أدعى للتنفيذ من قوله: افعل كذا وكذا. فالمأمور يريد أن يكون عند الثقة التي أولاها له رئيسه، فلا يكون داعية طيبا، ولا زوجا طيبا إلا إذا كان أسلوبه طيبا.

ويلفت المؤلف النظر إلى أن الناس يكرهون من يركز على السلبيات دون الحسنات.. الناس يكرهون الإنسان الذي ينظر إلى عيوبهم ويترك الحسنات، بل وأحيانا ينساها.

فيقول: خذ مثلا علاقة المرأة المسلمة بزوجها المسلم والتي يمكن أن يعمم مغزاها في كل قضايا التعامل. يقول ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضي منها آخر» (صحيح مسلم). فما أحد يسلم من العيوب، فلا توجد زوجة بلا عيوب، ولا صديق بلا عيوب، ولا رئيس ولا مرؤوس بلا عيوب. يقول سعيد بن المسيب: «ليس

من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا فيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن نذكر عيوبه». فمن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله. ولا تذكر عيوب أهل الفضل تقديرا لهم.

يقول الشاعر:

لا يزهدنك في أخ لك

أن تـــراه زل زلـــــه

ما من أخ لك لا يعاب

ولو حرصت الحرص كله

وقد نكره أشياء في بعض الناس، ولكن عندما نفتقدهم ونخالط من هم أسوأ منهم ندرك الخير الذي كان فيهم ولم نعبأ به.

يقول الشاعر:

بكيت من عمرو فلما تركته

وجربت أقواما بكيت على عمرو

ويركز د. الخاطر على أن الناس يكرهون من لا ينسى الزلات ولا يزال يذكّر بها ويمن على من عفا عنه، فالناس يكرهون ذلك الإنسان الذي يُذكّر الناس بأخطائهم، ويعيدها عليهم مرة بعد مرة، ويقول الله: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ (آل عمران:١٣٤). إنه سبحانه يمتدح الذين يعفون عن الناس وينسون أخطاءهم، والعافي عن الناس يستر من يعفو عنه.

ويقول الرسول ﷺ: «من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة» (حديث صحيح).

الناس يكرهون من يعاملهم باستعلاء

الناس يكرهون من يعاملهم باحتقار واستعلاء مهما كان هذا الإنسان، حتى لو كان من كان، داعية، عالما، معلما؛ لأنهم لا يحبون من ينظر إليهم نظرة استعلاء. ولذلك، كان هناك حث على أن يكون الإنسان متواضعا، وإن كان في مقام التعليم أو الرئاسة.

روى هارون بن عبدالله الجمال، فقال: «جاءني أحمد بن حنبل بالليل (انظروا كيف يكون التصرف، يريد أن يصحح خطأ)، فدق علي الباب، فقلت: من هذا؟

فقال: أنا أحمد (لم يقل الشيخ أحمد).

فبادرت، وخرجت إليه، فمساني ومسيته.

فقلت: حاجة أبي عبدالله؟ (أي: ما حاجتك؟).

قال: شغلت اليوم قلبي.

فقلت: بماذا يا أبا عبدالله؟

قال: جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء (الظل) والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس».

انظر كيف كانت النصيحة (والذي روى الحادثة ليس الإمام أحمد، وإنما ذلك الشخص الذي تأثر بالنصيحة) انظروا إلى هذا السلوك الطيب: يزوره بالليل، ثم يبدي مشاعره وحرصه عليه (شغلت قلبي) لم يقل: أسأت للناس.

كما أن الناس يكرهون من يتسرع في التوبيخ والتأنيب، الناس يكرهون من يؤنب ويوبخ في غير محل التأنيب، ومن غير تأن ومن دون السؤال والاستفسار، وقد يكتشف بعد السؤال والاستفسار أن هناك اجتهادا صحيحا. وهناك ظاهرة اجتماعية غير حسنة، وهي أن أحدهم يظن الصواب في أن يقابل من يعده مقصرا باللوم الشديد بقوله: لماذا لا نراك؟ طالت المدة! سنتان لا نراك!

وإذا اعتذر الشخص المعاتب فإن صاحبنا يستمر في اللوم والتأنيب، وينسى أن اللوم يمكن أن يوجه إليه أيضا، وهذا يتأتى من شخص قد تدرب على مثل هذه الطريقة.

وهذا الرجل يفعل ذلك وهو يظن أن ذلك من حسن العلاقة، على الرغم من أن هذه القضية ليست صحيحة في نفسها، فمن طبيعة البشر أنهم يجتمعون ويتفرقون، والود ليس بالضرورة مقصورا على من تكثر رؤيته، وقد يضيق الإنسان بتكرار رؤية الذي لا يحبه؛ فقد تتكرر الرؤية لمن لا نحب:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدوا له ما من صداقته بد

كذلك يقول المؤلف إن الناس يكرهون الذي إن أخطأ تمادى في الخطأ، والذي لا يعترف بخطئه برغم وضوح الخطأ. والشخص الذي لا يعترف بالخطأ ولا يبادر إلى الرجوع عنه بسرعة، ليس شجاعا. وكلما ارتقى الشخص في تربيته وفي علمه اعترف بالخطأ وانسحب بسرعة، فلا يطيل الذيل في الحديث بغية التسويغ. ومن الملاحظ أن كبار العلماء، كالشيخ ابن باز، لا يتحرج من قول: «سأنظر، سأبحث المسألة»، ولا يحط ذلك من قدره، وقد يتسرع من هو دونه بالفتيا والحديث. وليس من العيب أن يقال: «لا أدري». أو يقال: «أخطأت».

والناس لا يحبون من ينسب الفضل لنفسه، وإذا حدث إخفاق أو خطأ ألقى بالتبعة على الآخرين، وإذا حدث نجاح نسبه إلى نفسه؛ فكل الناس يبغضون ذلك الإنسان ويكون منبوذا، يكون زوجا منبوذا، رئيسا منبوذا، صديقا منبوذا.

وعلى العكس من ذلك، الناس يحبون من يظهر الاهتمام بهم، ويهتم بماذا يفكرون، وما الذي يشغل بالهم، وحينما يتحدثون ينصت إلى حديثهم وينظر إليهم، يلخص ما يقولون ويناقشهم فيه، وتلك وسائل دعوية قوية جدا إذا طبقت تطبيقا حسنا.

وكذلك من يقضي حاجة الناس ويقدم إليهم الهدايا، فتلك كلها من وسائل الاهتمام. وفي الحديث: «تهادوا تحابوا».

الناس في حاجة إلى من يعرف ما الذي يشغل بالهم؟ وما هي اهتماماتهم؟ وليسوا في حاجة إلى أن تقول لهم: «يجب عليكم أن تعرفوا كذا وكذا». هذا الإلقاء ليس هو المهم، ولكن المهم أن تدفعه إلى محبة ذلك الأمر، وهو سوف يسعى إلى تعلمه.

يقول الرسول ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله عزوجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا،» (رواه الطبراني).

ولو أن الموظفين يدركون أن إنهاء معاملات الجمهور هو مشي في حاجات الناس لأنهوا المعاملات في أوقاتها. ولو أن الناس فقهوا الإسلام وعملوا به لوجدت المجتمع مجتمعا مثاليا، وهذا الذي نطلبه.

ويوضح المؤلف د. الخاطر أن الإنسان بطبعه يحب من يحبه ويحترمه ويقدره، فإن لم ير تقديرا ولا احتراما، فلا يقدر ولا يحترم بغض النظر عن المستويات، فالصغير يقدر الكبير إذا قدره الكبير. ولذلك، فمن المهم البحث عن الكوامن الطيبة في الإنسان وإثارتها وتشجيعها، وعدم احتقاره، بل تقديره واحترامه ومشاورته حتى إن لم يستفد برأيه، فيكفي أن يستشار ويدلي برأيه في المسألة. ولذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران:١٥٩)، قد تشاورهم وقد ترى رأيا آخر غير الذي يرون، فإذا عزمت عليه فتوكل على الله.

ويلفت إلى أن الناس يحبون من يفتح لهم المجال لتحقيق ذواتهم، فيقول: «من المهم أن تفتح المجال للذي تتعامل معه لتحقيق ذاته ليكون شخصا مهما. فالإنسان لا يقبل أن تكون لديه مزايا مهملة. فإذا شعر بأن لديه صفات مهملة وأن مكانته موضع شك فإنه يثور على رؤسائه ولا يطيعهم. وبعض الرؤساء يقومون بكل أمر بأنفسهم شاكين من أن من تحتهم لا يستطيعون العمل. وهنا يفقد من تحته الثقة بنفسه، ويكون ذلك الرئيس مسؤولا عن إهدار طاقة من تحته، لأنه أخفق في تدريبهم واستغلال طاقاتهم، وذلك مؤسس على ظن خاطئ منه، وهو أن العمل لن ينجح إذا لم يتصدر هو شخصيا».

والناس يحبون الشكر والتشجيع، ويحبون من يشكرهم، وإن كان الأصل في المسلم أنه يعمل العمل ابتغاء رضا الله، ولا ينتظر شكر الناس، ولكن ذلك طبع في البشر، وذلك لا بأس منه شرعا. فقد روى أحمد والترمذي: «من لم يشكر الناس، لم يشكر الله». وأيضا قول الرسول ﷺ في غزوة الخندق: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة» (صحيح مسلم).

والناس يحبون أيضا الذي يصحح أخطاءهم من دون جرح مشاعرهم، ويُضرب مثل في ذلك في أحد الكتب أن شخصا ألقى محاضرة في عدد كبير، ولكنها كانت طويلة وفيها تفصيل، فمل الناس، ولما عاد المحاضر إلى منزله سأل زوجته، فقال: ما رأيك بالمحاضرة؟ قالت: هذا الموضوع يصلح مقالة رصينة في مجلة علمية متخصصة. وقد فهم المحاضر من كلام زوجته أن الموضوع لا يصلح للمحاضرة. وهذا أسلوب طيب يبرز جوانب إيجابية يقدم بها لمسألة النقد.

والناس أخيرا يحبون أن ينادوا بأحب الأسماء إليهم: يا محمد، يا فلان. وكان الرسول ﷺ ينادي أصحابه بأحب الأسماء إليهم، حتى الأطفال الصغار كان يكنيهم أحيانا. يقول ﷺ: «يا أبا عمير، ماذا فعل النغير؟». وأبوعمير هذا طفل صغير (صححه الألباني).

حسن علي حسن
كاتب صحفي مصري

مكانة الأم ودورها في الأسرة والمجتمع

إن الأم كلمة صغيرة، حروفها قليلة، لكنها تحتوي على أكبر معاني الحب والعطاء، وهي أنهار لا تنضب ولا تجف ولا تتعب، متدفقة دائما بالكثير من العطف الذي لا ينتهي، وهي الصدر الحنون الذي تلقي عليه رأسك وتشكو إليه همومك ومتاعبك، وهي بما تملكه من خصائص وخصال أودعها الخالق سبحانه وتعالى فيها حجر الأساس لكل أسرة ولكل بيت، وهي أيضا المدرسة الربانية التي يتعلم فيها الأبناء أول دروسهم في الحياة، وقد يكون الأب مشتركا في بعض المهام مع الأم في تربية الأبناء وتحمل المسؤولية إلا أن دور الأم يكون بمنزلة اللبنة الأولى التي توضع لبناء الطفل، فهي الحب والحنان، وهي المشاعر الصادقة، فلا يوجد أصدق من الأم في الحب والعطاء والتضحية. وقد جاء ذكر الأم في آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ (لقمان:١٤).

كما قال أيضا: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف:١٥)، وفي الآيتين يبين الله عزوجل ما تحملته الأم من معاناة في حمل الأبناء وتربيتهم والسهر على راحتهم، وفي الآيتين أيضا توصية من الله للأبناء بحسن رعاية الوالدين والعمل على راحتهما في الكبر كما سهرا على راحة الأبناء في الصغر، فيقول عز من قائل: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء:٢٤)، وقال أيضا على لسان عيسى ابن مريم: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ (مريم:٣٢).

وفي السنة النبوية أخبرنا النبي ﷺ بعظيم أجر بر الأم في أحاديث كثيرة، منها عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال ﷺ: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أمك». قال: ثم من؟ قال: «أبوك» (متفق عليه). وهنا أكد الرسول الكريم في معنى الحديث أن الأم هي أولى بالصحبة من أي أحد للأبن، وقد كررها الرسول الكريم ليثبت ذلك للصحابي وللأمة جميعها مكانة الأم ومنزلتها العظيمة وما تستحقه من عناية كبيرة، فهي التي ربت، وهي التي قاست وكابدت الآلام وتحملت من الصعاب في سبيل رعاية أبنائها، فقد قاست في الحمل، وعند الولادة، وفي الرضاعة ما لا يطيقه الرجال الشداد، ثم كم عانت وهي ترعى أطفالها حتى يكبروا وتميط الأذى عنهم وهي راضية وتصبر سنين طويلة من دون كلل أو ملل، فكانت هي أولى الناس ببر أبنائها وحسن صحبتها، ولقد كان لنا في سلفنا الصالح القدوة الحسنة، فقد ضربوا لنا أروع الأمثلة في بر الوالدين، «فعن أبي حازم ابن أبي مرة (مولى أم هانئ بنت أبي طالب) أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتاه. تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. يقول: رحمك الله ربيتني صغيرا. فتقول: يا بني وأنت فجزاك الله خيرا ورضي عنك كما بررتني كبيرا» (رواه البخاري في الأدب المفرد، وقيل حسن الإسناد). وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله، فاستفتيت رسول الله قلت: قدمت على أمي وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: «نعم، صلي أمك» (متفق عليه). إن دور الأم في المجتمع هو حجر الأساس الذي يوضع لتأسيس مجتمع مربى على الفضائل والأخلاق الحسنة لتنهض الأمة وتستقيم، كما أن رسالة المرأة في المجتمع تتعدى مهمة التربية إلى مهمة إعداد جيل من الأبناء يحسن التعامل مع مجتمعه ويحسن العطاء، وكلما كانت الأم متعلمة ومثقفة فهي هنا تحارب الجهل والتخلف وتقوم بإعداد وتنوير وتثقيف جيل من الأبناء نافع للمجتمع، وقد قال أمير الشعراء أحمد شوقي عن الأم ودورها في المجتمع:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

من هنا نرى قيمة الأم وفضلها برغم ما تلاقيه من متاعب على يد الأبناء لكنها أبدا لا ترضى فيهم مكروها، بل تدعو الله على الدوام أن تستقيم حياتهم. فعلى الأبناء أن يدركوا قيمة وجود الأم في حياتهم.

د. ناجي عبدالله الخرس
باحث دراسات إسلامية

معالم أصول التربية (وصايا لقمان لابنه) (٥)

إقامة الصلاة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الصبر على الأذى

المقدمة

وجه تخصيص هذه الطاعات أنها أمهات العبادات، وعماد الخير كله، والإشارة بقوله: «إن ذلك» إلى الطاعات المذكورة، وخبر «إن» قوله: ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (الشوكاني، ج٤، ص٢٣٦)، أي مما عزمه الله في الأمور، أي قطعه قطع إيجاب وإلزام، أي أمر به أمرا حتما، وهذا دليل على أن هذه الطاعات كان مأمورا بها في سائر الأمم (النسفي، ج٣، ص٤٠٨).

أولا - إقامة الصلاة

لما منع لقمان - عليه السلام - ابنه من الشرك وخوفه بعلم الله وقدرته، أمره بما يلزمه عن التوحيد وهو الصلاة، وبهذا يعلم أن الصلاة كانت في سائر الملل غير أن هيئتها اختلفت (١).

ولقمان عليه السلام لما أمر ابنه بالصلاة، التي هي أكمل العبادات، تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد (٢). ﴿يَـٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، أي بحدودها وفروضها وأوقاتها.

روى الأمام أحمد وأبو داود والحاكم أن النبي ﷺ قال: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع» (رواه أبوداود)، ومعناه أنك إذا عودته على الصلاة بالأمر (٥٤٠٠) مرة، فإن لم يصل فإنه يستحق الضرب، وهذا الضرب للتأديب والتدريب، وضرب غير مبرح.

الصلاة وصية الرسول ﷺ لأمته وهو يغرغر

كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» (رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك، رقم الحديث ١٣٣٠). وتحدث أم المؤمنين أم سلمة، رضي الله عنها، أنه عليه الصلاة والسلام استمر في محاولة إعادة وصيته هذه حتى لم يبق لسانه المطهر قادرا على تبيينها.

فقد روى الإمام ابن ماجه عن أم سلمة، رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول في مرضه الذي توفي فيه: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» «فمازال يقولها حتى ما يفيض بها لسانه» (صحيح ابن ماجه للألباني ١٣١٧)، ما يفيض بها لسانه: أي ما يبين.

ثانيا - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثم أمر ابنه فقال: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ (لقمان:١٧)

أي إذا كملت أنت في نفسك بعبادة الله، فكمل غيرك بالنصح لهم؛ أي أصلح نفسك وادع غيرك، لأن من علامات الصلاح أن تحب لغيرك ما تحب لنفسك.

فائدة: إذا نظرنا في وصية لقمان لابنه في الأمر والنهي، فإننا نلاحظ أنه جعلها متوسطة بين أمرين آخرين، حيث سبقها الأمر بإقامة الصلاة، وتبعها الأمر بالصبر، وهذا أمر مقصود: إن الصلاة هي الباعث على الأمر والنهي، وإن الصبر هو الشرط لاستمرار القيام به (٣).

الدين النصيحة

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (مسلم). وهذا الحديث أصل عظيم عليه مدار الإسلام.

البيعة على النصح

عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: «بايعت رسول الله على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم» (متفق عليه).

محبة الخير للآخرين

عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (متفق عليه). فقه الحديث: شرط الإيمان الكامل أن يحصل للمسلمين من الخير ما يرغب فيه.

المسلمون هم خير الأمم

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠)، ولذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ هذه الآية ويقول: من سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله فيها.

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (مسلم). هذا الحديث قيل إنه الإسلام كله، لأن الإسلام إما معروف يجب الأمر به، أو منكر يجب النهي عنه.

وفي الحديث بيان مراتب تغيير المنكر وهي:

أ- الإنكار باليد واللسان، فإنما يجب بحسب القدرة والطاقة.

ب- الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال.

ثالثا - ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ (لقمان:١٧)

هذه الآية تقتضي حضا على تغيير المنكر، وإن نالك ضرر فهو إشعار بأن المغير يؤدي أحيانا.

وقيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأمراض وغيرها، وألا يخرج من الجزع إلى معصية الله عزوجل، وهذا قول حسن لأنه يعم (٤).

هذه الآية صارت بيانا لهذه الأمة وإذنا لهم؛ أن من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ينبغي أن يصبر على ما يصيبه في ذلك، إذا كان أمره ونهيه لوجه الله تعالى، لأنه قد أصاب ذلك ذات الله تعالى (٥).

وعن أنس: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء (متفق عليه).

برد: كساء أسود مربع.

نجراني: منسوب إلى نجران، وهي بلدة توجد اليوم في المملكة السعودية.

غليظ الحاشية: خشن الجانب.

جبذه: جذبه.

عاتق: ما بين العنق والكتف.

صفحة: جانب.

الدعاء للمقصرين

عن أبي عبدالرحمن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون (متفق عليه).

الشديد من يملك نفسه عند الغضب

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» (متفق عليه).

كظم الغيظ

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء» (أبو داود، والترمذي وقال حديث حسن).

رابعا - ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى كل ما ذكر: من إقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على ما أصابك. وهذه الأمور فيها إشعار ببعد منزلتها في الفضل.

﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾، أي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الأمور لمزيد عزيتها (٦).

وحتما إن ذلك من مكارم الأخلاق وعزائم أهل العزم (٧).

• فائدة: عقبت الآية على الأوامر العبادية بعبارة ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾، والعزم هو عقد القلب على إمضاء الأمر، أي إن إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى أمور تحتاج إلى عزم القلب وعزيمته وهمته وجهده، إنها تكاليف شاقة، لا يطيقها كل الناس، ولذلك سيتخلى كثير عنها، ولا ينهض بها إلا ذوو عزم وعزيمة ولا يقدر عليها إلا أصحاب العزائم (٨).

الخلاصة

الآية الكريمة: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ (لقمان:١٧)

وهذا هو طريق العقيدة المرسوم: توحيد الله، والشعور برقابته، والتطلع إلى ما عنده، والثقة في عدله، والخشية من عقابه، ثم الانتقال إلى دعوة الناس وإصلاح حالهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، والتزود قبل ذلك كله للمعركة مع الشر، بالزاد الأصيل؛ زاد العبادة لله والتوجه إليه بالصلاة، ثم الصبر على ما يصيب الداعية إلى الله، عن التواء النفوس وعنادها، وانحراف القلوب وإعراضها، ومن الأذى تمتد به الألسنة وتمتد به الأيدي.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾، وعزم الأمور: قطع الطريق على التردد فيها بعد العزم والتصميم.

الهوامش

١- الرازي، ج٢٥، ص١٢٣.
٢- أبوالسعود، ج٧، ص٦٨.
٣- مع قصص السابقين في القرآن، ج٣، ص١٦٨.
٤- جامع الأحكام، ج٧، ص٣٨٨؛ والثعالبي، ج٢، ص٥٥١.
٥- السمرقندي، ج٣، ص٢٠.
٦- أبوالسعود، ج٧، ص٦٨.
٧- الثعالبي، ج٣، ص٥٥١.
٨- مع قصص السابقين في القرآن، ج٣، ص١٧٨.

عبد الله الناصري
أستاذ التعليم الابتدائي - المغرب

اللعب عند الأطفال

إن المعلمين قد تقبلوا بشكل متزايد فكرة أن التربية يجب أن تأخذ في اعتبارها ميول الطفل الطبيعية ومرحلة نموه.

ولقد بلغ هذا الاتجاه ذروته في تأكيد فروبل على أهمية اللعب في التعليم (١).

لقد أكدت البحوث التربوية أن الأطفال كثيرا ما يخبروننا بما يفكرون فيه وما يشعرون به من خلال لعبهم التمثيلي الحر. والألعاب التعليمية متى أحسن تخطيطها وتنظيمها والإشراف عليها تؤدي دورا فعالا في التعلم.

أسلوب التعلم باللعب

يعرف اللعب بأنه نشاط موجه يقوم به الأطفال لتنمية سلوكهم وقدراتهم العقلية والجسمية والوجدانية، ويحقق في نفس الوقت المتعة والتسلية إلى جانب أنه أسلوب في تقريب مبادئ العلم عند الأطفال.

أهمية اللعب في التعلم

١- إن اللعب أداة تربوية تساعد في إحداث تفاعل الفرد مع عناصر البيئة لغرض التعلم.

٢- يمثل اللعب وسيلة تعليمية تقرب المفاهيم وتساعد في إدراك معاني الأشياء.

٣- يعتبر أداة فعالة في مواجهة الفروق الفردية وتعليم الأطفال وفقا لإمكاناتهم وقدراتهم.

٤- يعتبر طريقة علاجية يلجأ إليها المربون لمساعدتهم في حل بعض المشكلات التي يعاني منها بعض الأطفال.

٥- يشكل اللعب أداة تعبير وتواصل لدى الأطفال.

٦- تعمل الألعاب على تنشيط القدرات العقلية وتحسين الموهبة الإبداعية لدى الأطفال.

فوائد أسلوب التعلم باللعب

١- يؤكد الطفل ذاته من خلال التفوق على الآخرين فرديا وجماعيا.

٢- يتعلم التعاون واحترام حقوق الآخرين.

٣- يتعلم احترام القوانين ويلتزم بها.

٤- يعزز انتماءه الجماعي.

٥- مساعدة الطفل في نمو الذاكرة والتفكير والإدراك والتخيل.

٦- يكسب الطفل الثقة بالنفس والاعتماد على الآخرين.

أنواع الألعاب عند الأطفال

١- الدمى: مثل العرايس، السيارات، القطارات، الحيوانات، الآلات، أدوات

الزينة...

٢- الألعاب الحركية: ألعاب الرمي والقذف، التركيب، السباق، القفز، المصارعة، التوازن، الجري، ألعاب الكرة.

٣- ألعاب الذكاء: الألغاز، حل المشكلات، الكلمات المتقاطعة...

٤. الألعاب التمثيلية: التمثيل المسرحي، لعب الأدوار.

٥- ألعاب الغناء والرقص: الغناء التمثيلي، الأناشيد، الرقص الشعبي، تقليد الأغاني...

٦- ألعاب الحظ: وألعاب التخمين.

٧- الألعاب الثقافية: المسابقات الشعرية، والثقافية...

٨- الألعاب الشعبية: وهي ألعاب ترتبط بالبيئة.

٩- الألعاب الورقية: وهي ألعاب تتم من خلال استخدام الورق في ابتكار وعمل ألعاب فنية مختلفة من الورق مثل الحروف، الحيوانات، المجسمات...

أنواع اللعب عند الأطفال

١- الألعاب التلقائية

هي شكل أولي من أشكال اللعب عند الطفل، حيث يلعب الطفل حرا وبصورة تلقائية بعيدا عن القواعد المنظمة للعب، وغالبا ما يكون هذا النوع من اللعب فرديا وعند نهاية العام الثاني من عمر الطفل.

٢- الألعاب التمثيلية

سميت بهذا الاسم لأن الطفل يبدأ في تقمص شخصيات الكبار مقلدا سلوكهم وأساليب حياتهم التي يراها وينفعل معها، وغالبا ما يعمل الخيال عمله هنا.

٣- الألعاب التركيبية

غالبا ما يظهر هذا الشكل من اللعب في سن الخامسة أو السادسة من عمر الطفل، حيث يبدأ الطفل في وضع الأشياء بعضها بجانب بعض دون تخطيط مسبق فيكتشف مصادفة أنها تمثل شكلا ما يعرفه؛ فيفرح بذلك. وقد اهتمت وسائل التكنولوجيا الحديثة بإنتاج العديد من الألعاب التركيبية التي تناسب مراحل نمو الطفل.

٤- الألعاب الفنية

تدخل في نطاق الألعاب التركيبية وتتميز بأنها نشاط تعبيري فني ينبع من الوجدان والتذوق الجمالي. ومن ضمن هذه الألعاب الفنية رسوم الأطفال التي تعبر عن الفن الإبداعي عند الأطفال، وتظهر الفروق بين الجنسين في رسوم الأطفال منذ وقت مبكر ما بين ميول الفتيات وميول الفتيان، حيث تختلف ميول الإناث عن الذكور في هذه السن المبكرة.

٥- الألعاب الترويحية

الألعاب الترويحية والرياضية لا تبعث على البهجة في نفس الطفل فحسب، بل إنها ذات قيمة كبيرة في التنشئة الاجتماعية، فمن خلالها يتعلم الطفل الانسجام مع الآخرين وكيفية التعاون معهم في الأنشطة المختلفة. وتبدأ هذه الألعاب مع الوالدين أولا، ثم مع الجيران ما قبل التمدرس، حيث يقلد الأطفال بعضهم بعضا دون تخطيط أو منافسة، حيث يحاول الطفل إبراز بعض مهاراته.

وحينما لا يمارس بعض الناس مثل هذه الألعاب في صباهم، فإنهم غالبا لا يتمتعون بالروح الرياضية عند كبرهم، ويميلون إلى إثارة الشغب ويثيرون المتاعب لمجتمعهم، ولا يقبلون الهزيمة وروح التنافس، كما أنهم لا يتمتعون بالاتزان.

٦- الألعاب الثقافية

هي أساليب فعالة في تثقيف الطفل، حيث يكتسب من خلالها معلومات وخبرات. ومن الألعاب الثقافية: القراءة والبرامج الموجهة للأطفال عبر الإذاعة والتليفزيون والسينما ومسرح الأطفال.

ويمكن التركيز هنا على القراءة لما لها من دور فعال في تنمية الحس العلمي عند الطفل. والواقع أن حب الكتاب والقراءة تمثل إحدى المقومات الأساسية التي تقوم عليها فاعلية النشاط العقلي. لذا يتطلب ذلك تكوين عادات قرائية منذ الطفولة وأن تتأصل عند الأطفال مع انتقالهم من مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى.

دور الأستاذ في أسلوب التعلم باللعب (٢)

١- ضرورة إجراء دراسة للألعاب والوسائل المتوفرة في بيئة الطفل لتطبيق اللعبة.

٢- التخطيط السليم لاستغلال الألعاب في تحقيق أهداف تربوية.

٣- توضيح قوانين اللعبة.

٤- تحديد الأدوار.

٥- تقديم المساعدة والتدخل في الوقت المناسب.

٦- تقويم فعالية اللعبة في تحقيق الأهداف.

شروط تطبيق اللعبة

١- ضرورة اختيار ألعاب لها أهداف محددة.

٢- أن تكون قواعد اللعبة سهلة وواضحة.

٣- أن تكون اللعبة مناسبة لسن الطفل وقدراته الجسمية والعقلية.

٤- أن يكون دور الطفل محددا وواضحا.

٥- أن تكون اللعبة قريبة من بيئة الطفل.

٦- أن يشعر الطفل بالمتعة والحرية والاستقلالية أثناء ممارسته للعبة.

الهوامش

١- سيكولوجية اللعب، مجلة عالم المعرفة، العدد ١٢٠، ص ١٢.

٢- الدليل البيداغوجي، من إنتاج وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني المملكة المغربية.

محمد عباس عرابي
باحث تربوي - مصر

دور الوسائط التربوية في غرس العمل التطوعي لدى الأطفال

تعمل الوسائط التربوية على تنظيم حياة الأطفال، وتنشئتهم تنشئة سليمة، كما تعمل على بناء شخصيتهم، وتنمية كيانهم الاجتماعي، ولهذه الوسائط (الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام) دور في غرس العمل التطوعي لدى الأطفال، وفيما يلي بيان ذلك:

دور الأسرة في غرس روح العمل التطوعي لدى الأطفال

تعمل الأسرة على تشكيل الطفل وتكوين شخصيته، وتحديد مسارات سلوكه، وتنمية قيمه وعاداته، وذلك من خلال ما توفره له من مناخ، وما تحيط به من مؤثرات خارجية.

ويمكن للأسرة التي تتميز بالاستقرار والترابط الأسري القيام بدورها في غرس روح العمل التطوعي لدى الأطفال من خلال تربيتهم على الشعور بالمسؤولية تجاه مجتمعهم، وتدريبهم على القيام بالواجبات، والمشاركة الفعالة في غير الواجبات.

ومن الوسائل التي يجب على الأسرة أن تستخدمها في غرس روح العمل التطوعي لدى الأطفال ما يلي:

- القدوة:

فالقدوة لها أثر كبير في حياة الطفل، فهي تعد أسلوبا تربويًا ناجحا، تعمل على تنشئة الطفل تنشئة سليمة؛ لأن كثيرا من القيم لا يتعلمها الطفل إلا عن طريق القدوة؛ لذلك يجب على الوالدين أن يقدموا لأطفالهم النموذج الأمثل في الإقبال على العمل التطوعي، كتقديم المساعدة للمحتاجين من كبار السن وغيرهم، وزيارة المرضى، والإصلاح بين الناس، وغير ذلك، فالطفل الذي يرى من والديه هذا العمل باستمرار فإنه يعتاده، ويصبح جزءًا من حياته، وبالتالي يسهل عليه الإقبال على أي عمل خيري مهما كانت الصعوبات.

- الترغيب والترهيب:

فعن طريق الترغيب والترهيب يمكن للأسرة أن تعمل على حب العمل التطوعي في نفوس أبنائها؛ وذلك بالإكثار من ذكر عظيم الأجر والثواب لمن قام بهذا العمل الجليل، ومن خلال ذكر الجنة، والسبل المؤدية إليها، كأعمال البرِّ والإحسان، والحثّ عليها، وتشجيع أطفالها إن قاموا بمثل هذه الأعمال والأعمال الإيجابية.

دور المدرسة في غرس روح العمل التطوعي لدى الأطفال

تعد المدرسة مكانا مناسبا لتنوع الخبرات والأنشطة التي تظهر فيها الأعمال الخيرية، ولاسيَّما العمل التطوعي، وعليه فإن من أهم أهداف المدرسة أن تُعنى بعملية ترسيخ قيمة التطوع لدى الأطفال، وذلك من خلال المعلم، والكتاب المدرسي، والأنشطة.

فدور المعلم في إعداد الأطفال للعمل التطوعي يتجلى بأساليب شتى، وفي مواقف مختلفة، فهي تظهر بارزة في التدريس؛ حيث يُلقى على عاتق المعلم أن يوضح للأطفال أهمية العمل التطوعي، وأن يبينها بأسلوب سهل؛ كي يستوعبوها، ومن ثم يطبقوها على أرض الواقع، ومن خلال قيام المعلم نفسه بأعمال خيرية أمام الأطفال لكي يقبلوا على العمل التطوعي، ومن خلال تشجيع المعلم للأطفال على القيام بالأعمال التطوعية.

أما الكتاب المدرسي فهو الطريق الواضح الذي من خلاله يستطيع المعلم أن يبين قيمة العمل التطوعي في الإسلام؛ وذلك عن طريق ذكر الأدلة عليه من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وذكر سيرة السلف الصالح التي كانت مليئة بالأعمال الخيرية، ومن خلال وضع النصوص التي تحتوي على مواقف تطوعية؛ ليكون للأطفال من سيرة السلف الصالح القدوة الحسنة.

وللأنشطة التربوية أهمية كبيرة ودور بارز في غرس قيمة التطوع لدى الأطفال عن طريق خدمة البيئة المحليّة، والنظافة العامة، وإشراك الأطفال في الأعمال التطوعية، كتوعيتهم وتعريفهم بأعمال الدفاع المدني، وتعميق الإحساس لدى الأطفال بمجتمع الفقراء، وتقديم العون لهم، وعن طريق القيام برحلة لدُور المسنِّين، والأيتام.

دور وسائل الإعلام في غرس روح العمل التطوعي لدى الأطفال

لوسائل الإعلام من خلال برامجها الثقافية دَورٌ في بيان أهمية قيمة العمل التطوعي، ويمكن لوسائل الإعلام من خلال الأناشيد، والتمثيليات الإسلامية، تنمية حب العمل التطوعي لدى الأطفال.

وخلاصة القول: إن الوسائط التربوية لها الدور الكبير في غرس العمل التطوعي لدى الأطفال؛ لأنها تعمل على تشكيلهم وتنمية اتجاهاتهم وسلوكاتهم.

د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك
جامعة المدينة العالمية

فاستقم كما أمرت

التزام المسلم تجاه دينه يأخذ مسارين؛ أولهما: مسار التصور، والثاني هو مسار السلوك، لا ينتفع المرء بإيمان لا يقوم على تصور صحيح، كما لا ينفعه تصور يبدو كفكرة كامنة في نفسه وضميره، لا يقوم بتفعيلها سلوكا في حياته، ولا تجد آثارها في أفعاله وتصرفاته.

يعبر عن هذا الالتزام بالاستقامة، وهي أمر الله لعباده قاطبة، بل هي أمره تعالى لسيدهم خاتم النبيين محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ (هود: ١١٢)، وهي من أشد ما نزل عليه ﷺ، قال ابن عادل في تفسيره: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولذلك قال: «شيبتني هود وأخواتها»، وكذا قال البغوي، وغير واحد من المفسرين.

والاستقامة المأمور بها في الآية فسرها البيضاوي بقوله: «اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان»، وهذا هو الجانب الأول في الاستقامة وهو جانب التصور، وهو التسليم لحكم الشرع ووفق توجيهاته المعصومة، وألا تحرف النصوص عما وضعت له، أو يضم لها غير المعصوم مما يراه الناس مما لا يقع تحت مقدورهم العلم به أو معرفته أو القول فيه بالتخرص.

ولقد أمر الله رسوله ﷺ بلزوم ما أنزله عليه من الوحي المعصوم، وألا يسير خلف أهواء الجاهلين، فإن أهواءهم لا تقف عند حد، وليس لها سقف، ثم هي ناقصة متغيرة، فقال لرسوله ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨﴾ (الجاثية: ١٨).

وهذه الشريعة التي جعل الله رسوله عليها، وشرعها له تراعي مصالح الفرد في الدارين، وما خفي من مصالح الدارين لا ينبغي طلبه أو إدراكه إلا منها، كما قال العز ابن عبدالسلام: «أما مصالح الدارين وأسبابها ومفاسدها فلا تعرف إلا بالشرع، فإن خفي منها شيء طلب من أدلة الشرع، وهي الكتاب والسنة والإجماع والقياس المعتبر والاستدلال الصحيح».

والذين لهم حق طلب هذا هم ورثة النبوة من العلماء المجتهدين، وهؤلاء ضبط الفقه الإسلامي تناولهم للدليل والاجتهاد فيه والفتوى من خلاله، ولم يترك الأمر لمجرد النظر ليتكلم صاحبه في دين الله بما يراه وفق هواه، قال الشافعي رحمه الله فيما نقله عنه الخطيب البغدادي: «لا يحل لأحد يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه، وبمحكمه وتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل، ثم يكون بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف من الحديث مثل ما عرف من القرآن، ويكون بصيرا باللغة، بصيرا بالشعر، وما يحتاج إليه للعلم والقرآن، ويستعمل مع هذا الإنصاف، وقلة الكلام، ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الأمصار، ويكون له قريحة بعد هذا، فإذا كان هذا هكذا فله أن يتكلم ويفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم في العلم، ولا يفتي».

كما أن خواطر المرء وما يجول في نفسه من إرادة الخير أو تصوره، لابد فيه أيضا من اتباع الأثر، نقل الغزالي عن أبي سليمان الداراني قوله: «لا ينبغي لمن ألهم شيئا من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الأثر، فيحمد الله تعالى إذا وافق ما في نفسه».

بهذا ضبط الإسلام الجانب الأول وهو التصور، حيث جعله قائما على الصحة والاستقامة والرسوخ في العلم لا الرضوخ للهوى وخلجات النفس، مهما كان خيرا.

التحول بتعاليم الشريعة إلى واقع حي

أما الجانب الثاني وهو السلوك وتطبيق الشريعة في واقع المسلم، واستصحابها معه في حله وترحاله، فهو التحول بتعاليم الشريعة من تعاليم وتوجيهات إلى واقع حي، وإلى معاملة يكون فيها صاحبها مراقبا لله في كل بادرة، فليس لتدينه قيمة إذا كان فكرة كامنة في نفسه، يتمنى عودة الناس للدين وهيمنة أخلاق الشريعة على واقعهم، وهو من أبعد الناس عن هذه الأماني، خاصة إذا خلا بنفسه، وكان في مأمن من عيون الناس واطلاعهم على مكنون فعله، فإنه لو انحرف فقد ثمرة الإيمان بالغيب، الذي جعله الله من صفات المتقين في مفتتح كتابه إذ قال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ (البقرة: ٢- ٣) فقد قيل في بعض وجوه تفسيره: إن المراد به أنهم يؤمنون إذا غابوا، وليسوا كالمنافقين، ويؤيده قوله تعالى: ﴿مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ (ق:٣٣) قال ابن كثير: «أي: من خاف الله في سره حيث لا يراه أحد إلا الله».

وفي حديث جبريل المشهور في الصحيح، أنه قال لرسول الله ﷺ: «ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والإحسان هذا الذي هو سلوك فعل الخير في الغيب يجمع كل منازل السير إلى الله، كما عبر عن ذلك ابن القيم.

الاستقامة: اتباع النصوص من غير تصرف ولا انحراف

فاستقامة المرء على دين الله هو جمعه بين الحق الصحيح والتدين به، وجعله واقعا حيا وسلوكا في معاملة الخلق والنفس، وهذا ما كان عليه خير القرون المتبعين لأقوم هدي، فمن سار سيرتهم فقد حاز مكارمهم، ولو خالف بين سلوكه وتصوره؛ فليتذكر ما شيب خاتم النبيين من أمر الله له بالاستقامة.

عمرو محمد الكمار
باحث دراسات إسلامية

كيف نحمي أولادنا من التطرف

إن من أجل نعم الله عزوجل على الإنسان نعمة الذرية، فهي منة جليلة عظيمة من الله عزوجل، فالذرية قرة العيون في الحياة، والذخر للمؤمن بعد الممات، ففي الحديث الشريف يقول النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» (رواه مسلم) فعمل المسلم ينقطع أجره بموته، إلا في أمور، منها هذه الأشياء الثلاثة المذكورة في الحديث، لكونه كان سببها في حياته. وقيد الولد بـ (الصالح) لأن الأجر لا يحصل من غيره، وكأن المعنى: أيها المسلم ارع ولدك واعتن به حتى يخرج فينا صالحا فتنتفع به، ولو خرج غير صالح بأن كان فاسدا أو مجرما فلن تنتفع به في دنيا ولا أخرى.

إن المتأمل في حال الناس يرى أن الدافع الأول لسعي الرجل في الحياة بجد واجتهاد، والأخذ بسبل المعايش على اختلافها وتنوعها هو الولد والذرية، فالرجل العقيم لا يقاتل كغيره على الدنيا، بل يسعى في الأرض هونا، فحري به أن يعتني بمن كان سببا في خروجه وسعيه، ومن تمام نجاح الإنسان في حياته هو نجاحُه في تربية أولاده، فلو بلغ الأب أعلى المناصب، وجمع في الدنيا أكبر الثروات، ثم لم يكن ابنه كما يتمنى فهو من أشقى الناس.

ولا شك أن من نجاحه في تربيته لأولاده أن يقيهم الانحراف بكل أنواعه، ومنه الانحراف الفكري، الذي يأخذ بصاحبه إلى متاهات

خطيرة ومدارك سيئة، فصاحبه لا يتوب منه بل يدعو إليه غيره، بخلاف الانحراف السلوكي، فصاحبه يتوب إن صحا ضميره وتفتحت بصيرته، قال سفيان الثوري رحمه الله: (إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها).

إن مرحلة الطفولة والمراهقة تعد الأرض الخصبة التي ينشط فيها أصحاب الضلال الفكري والمنحى المتطرف، فيسعون جهدهم لاستمالة من هم في هذه المرحلة العمرية، ولو ألقينا نظرة سريعة على معنى التطرف في اللغة العربية لوجدنا أن كلمة التطرف من الطرف وهو حد الشيء وحرفه، ويدور معنى التطرف حول الانحياز إلى طرفي الأمر والابتعاد عن الوسطية، ومجاوزة حد الاعتدال، سواء كان في العقيدة، أو في الفكر، أو في السلوك، والخروج عن المألوف، ذلك لأن من أخذ بطرف الشيء لم يدرك حقيقة معظمه، وخالف العامة في فهمهم لهذا الشيء.

والتطرف الفكري هو أمر مكتسب يكتسبه الإنسان من خلال الأسرة أو الأقران أو التعليم أو الإعلام، وغير ذلك من المؤثرات التي تساهم في بناء الثقافة والشخصية، أما الفطرة السليمة فهي الدين الحق الذي لا يخالطه باطل، وهو الذي يولد عليه الإنسان. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ (الأعراف:١٧٢)، ويقول ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (رواه البخاري)،وما يطرأ على الإنسان بخلاف الحق فهو مكتسب، فإذا أردنا أن نحمي أولادنا من التطرف وجب علينا أن نحميهم من كل المصادر الضارة التي قد تؤثر سلبا في بناء شخصية الطفل.

فيأتي دور الأسرة التي وكل بها ربنا عزوجل التربية السليمة والتنشئة الصحيحة للطفل، فقد أمر ربنا عزوجل أن يبذل رب الأسرة الوسع والطاقة في التربية والتوجيه بما يحقق للطفل الاستقامة التي يترتب عليها السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم:٦)، ووجه نبينا ﷺ أن التربية والتوجيه والكفالة من واجبات الآباء نحو الأبناء، قال ﷺ: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته» (متفق عليه)، وتوعد ﷺ من تقاعس أو قصر في التربية أو التوجيه أو النفقة بأنه صاحب إثم عظيم، فلو لم يكن له من الإثم إلا أنه قصر في عنايته بأسرته لكفاه هذا الإثم وذاك الذنب، يقول ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول»

وقاية الأبناء من التطرف واجب الآباء ودور العلم

(رواه الحاكم) وفي لفظ عند أحمد في المسند (من يقوت)، وتضييع رب الأسرة لولده أعم من أن يكون تضييعا ماديا، بل يشمل كل تقصير ترتب عليه ضياع الولد، ومنه التقصير في التربية الفكرية، فالله عزوجل أوجب على رب الأسرة أن يقي أولاده شر الانحراف الفكري والتطرف العقدي عن طريق التربية الإسلامية الصحيحة المبنية على الفهم الصحيح للكتاب والسنة.

ومن الجوانب المهمة في دور الأسرة دور المراقبة للأطفال من حيث تتبع أحوالهم مع أصدقائهم ومع من يجتمعون، وإلى أي فكر ينحازون.

ومن المحاور الضرورية التي يجب أن تشارك في مهمة الحماية الفكرية من التطرف للأطفال هو تفعيل دور المسجد بكل صوره، فنعود الأطفال منذ الصغر على التردد على المساجد بيوت الله عزوجل، يستمعون فيها إلى إمام المسجد يعلمهم ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم في الدروس الدينية وخطب الجمعة، بهدف أن يكتسب الأطفال العلم الصحيح منذ الصغر، الذي يحصنهم ضد أفكار المتطرفين.

كذا لمنظومة التعليم دور مهم في وقاية وتحصين أولادنا ضد الفكر المتطرف منذ نعومة أظافرهم في المراحل الأولى من التعليم وحتى الجامعة، فيجب أن تعود التربية الإسلامية بكل قوة كي تعلم أبناءنا وتزيل عنهم الشبه التي قد يتعلل بها المفسدون، فتعليم الدين للأطفال في المدارس أصبح ضرورة ولم يعد ترفا من نوافل العلوم.

نجلاء محفوظ
كاتبة ونائبة رئيس تحرير
الأهرام المصرية

اكتشف (٢٥) تصرفا تؤذي بها نفسك

نسعى دومًا لحياة أجمل نستحقها، ونحرص على منع إيذاء الآخرين لنا، ونتناسى أننا نؤذي أنفسنا أحيانًا دون أن ندري؛ ولأننا لا ندرك ذلك، فإننا نواصل هذه التصرفات المؤذية فتصبح عادات يومية.

نقدم (٢٥) تصرفًا تسبب الخسارة، وتعرقل النجاح، وتسرق فرص السعادة والتمتع بالصحة النفسية والجسدية.

١- لا يرتاح، ويواصل العمل، والحركة، والكلام حتى يتمكن منه التعب، فنوصي باستراحات خلال اليوم؛ بالاستمتاع بالصمت لدقائق، وإغماض العينين مع التنفس بهدوء؛ لتجديد الطاقات ولمنع الإجهاد.

٢- يتهرب من مواجهة ما يؤلمه، ويتناسى أنّ ما لا نواجهه بشجاعة وبأمانة لا يختفي، بل يستقر داخل نفوسنا رغما عنّا، ويرشحنا للهزائم المتلاحقة.

٣- يقلل من شأنه، ويبالغ في التوقف عند عيوبه، ويقبل استهانة البعض به، فيترسخ بداخله الإحساس بعدم الجدارة (ولو بعد حين) مما يحرمه من حسن تقدير نفسه، والرضا عن مميزاته، وهما «أوكسجين» الصحة النفسية.

٤- يفرط في حقوقه المادية، والمعنوية بدعوى التسامح والاستغناء، وله نهمس بوُدٍّ واحترام: إذا كنت مستغنيا ماديًا؛ فخذ حقوقك وتصدق بها، فتكرار التخاذل في منع الاعتداء على الحقوق يولّد الإحساس بقلة الحيلة وكفى بها إيذاءً للنفس.

ولا شيء يبرر التفريط في الحقوق المعنوية الذي يؤدي لتناقص احترام الإنسان لنفسه، وتحريض الآخرين على النيل منه.

٥- إهدار الوقت على الإنترنت، وأمام الفضائيات، فيضيع عمره (وهو ثروته الحقيقية) ولاشك أننا نعترف بأهمية متابعة الأحداث، والتواصل عبر الإنترنت بشرط تحديد وقت لا يتم تجاوزه.

٦- يُكثر من الكلام فيما يعرف، وما

لا يعرف مما يوقعه في أخطاء كثيرة ويفقده تقدير الكثيرين، ويدفعه للجدال من أجل الدفاع عن نفسه، فيفقد من يُحِبُّه، والذي ينبغي تقليل الكلام، والامتناع تمامًا عن الحديث عمّا نجهله، فلا أحد يعرف كل شيء ومن يدّعي ذلك يخسر وحده.

٧- عندما يضايقه أحد يجلس وحده؛ ليجتَرَّ الضيق، ويستسلم للألم، ويزرع الكراهية بعقله وقلبه.

والحلّ هو حسم الأمور بالاتصال الهاتفي به؛ لفهم أسباب سوء تصرفه، أو إنهاء التعامل معه، أو رفض أسلوبه، وإخباره بذلك دون عدوانية، أو وضعه على الهامش بحياته، ويستغرق بعدها فيما يفيده ويسعده، ويطرد التفكير فيه، وإن تذكره يقل في نفسه: لا أهتم به، فإني لدي الأهم ليشغلني.

٨- كثرة الأكل، مما يورث الخمول، والبدانة، وتوابعهما السيئة؛ من ضياع فرص النجاح، والإضرار بالصحة الجسدية والنفسية.

٩- القبول بقدر من النجاح، والتوقف عن السعي لزيادته، والمؤكد أن النجاح إن لم يزد سينقص، وإذا لم تتقدم سيسبقك الآخرون وتتراجع.

١٠- الجدّية الزائدة، وحرمان النفس من الترفيه المباح، وخيرُ الأمور الوسط، فالترفيه ضرورة لتجديد الطاقات وإزالة الإجهاد، واستعادة الحيوية. كما أن المبالغة في الترفيه تفقده الجدوى والمتعة، ويصبح عادةً يفعلها بلا سُرور.

١١- يتعامل بعصبية، ولا يطيق أي انتقاد، ويعتبره عدوانا آثما يجب الاستنفار لصده، والأفضل التعامل بهدوء يوضح ثقته بنفسه، ويستمع بصبر، فقد يرى ما يفيده، أو يوضح خطأ من ينتقده بلطف، ودون حدّة.

١٢- الإصرار على الخطأ، وكأن التراجع سيفقده كرامته، ويتناسى أننا جميعا نخطئ، وأن من يرى عمره غاليا؛ يسرع ويسعد بالتراجع عن الخطأ.

الجدل أسرع وسيلة للتباعد بين الناس

١٣- يتعالى ويتعامل بعنف مع الناس، أو يقبل سخافات الناس حتى يقبلوه ويستمر في علاقته بهم، والصواب ألا نحتد ولا نسمح بأي تطاول.

١٤- الجدال وصناعة كراهية الآخرين لنا، فالجدال أسرع وسيلة لزرع الضغائن بنفوس الآخرين وما يتبعه من استهتار بهم وبأفكارهم، والصحيح هو قولُ ما نريد بلطف وبأقل كلمات، وترك كل إنسان لقناعاته.

١٥- الاستسلام للحزن لأتفه الأمور، والتوقف عند صغائر مَن نتعامل معهم مما قد يدفعهم للابتعاد عنّا.

وعندما يفعلون ما يستحق محاسبتهم عليه لا يهتمون؛ لاعتيادهم على تبرُّمنا الدائم، فنتسبب بخسائرنا وإهدار العمر الغالي في أمور لا تستحق، والأفضل استغلاله بما يفيدنا ويسعدنا.

١٦- يبالغ بمزايا الآخرين ولا يرى عيوبهم، فيزرع في داخله الشعور بالنقص، ويقلل ثقته بنفسه، وهي من أهم مفاتيح النجاح بكل تفاصيل الحياة.

١٧- يمنح للهزيمة العابرة الفرص بتلوين حياته، ويسمح للإحباط بالسيطرة عليه بدلا من استغلاله كبداية لانطلاقات أوسع؛ ليحصد نجاحات يستحقها.

١٨- يضيع وقته في التحسر على نفسه وعلى ما فاته، بدلا من المسارعة بتحسين حياته ولو بأي فعل بسيط، فسيمنحه قدرًا جميلا من الرضا يحتاجه بشدة، وسيوسع حياته وينمّي رغبته في صنع الأفضل ويدعم ثقته بنفسه.

١٩- يغرق في التفاؤل دون قراءة جيدة للواقع، فيجلب لنفسه الفشل.

٢٠- يوقف حياته وأعماله إلى أن يحدث له ما يتمنى، والأفضل هو أن يعيش يومه بلا شروط، ويستمتع بما لديه بالفعل، وأن يستفيد مما يمتلك قبل طلب الأكثر، وتبديد العمر في انتظار ما لم يأت بعد.

٢١- يتتبع عيوب غيره؛ ليحس بانتصار زائف، وقد يقتنع به فلا يحقق انتصارات حقيقية تنير حياته، ويتجاهل أن هذا التتبع أسوأ عيب يؤذي به نفسه، فعندما نرى عيوب غيرنا ينبغي أن نتعلم تجنبها، ونتذكر عيوبنا، ونسعى لتقليصها ما استطعنا.

٢٢- يؤجل مذاكرته، أو عمله، والتأجيل أسوأ عدو، فما نؤجله يصبح عبئًا نفسيا، وقد يتسبب بجلد الذات، أو بإحساس عدم الجدارة، أو يصبح عادة؛ فنتراجع ونخسر كثيرا.

٢٣- يتهرب من تحسين قدراته ولا يطور نفسه، ويفاجأ بتراجعه، أو يتشبث بالعناد، ويرفض مواجهة الواقع.

٢٤- يدخن (ولن نتكلم عن المخدرات فهي انتحار بطيء) والكثيرون يدخنون؛ لطرد التوتر، والذي ينبغي استبداله بالسَّير ولو في نفس المكان، ومسح الوجه بهدوء، وتدليك اليدين بلطف، وشرب الماء ببطء شديد، والابتسام؛ ليفرز الجسم هرمونا يهدئ صاحبه، ويقلل التوتر كثيرا بلا آثار جانبية.

٢٥- يَحرِمُ نفسه من البراح النفسي، وجوهره حبُّ الرحمن، والتسليم المطمئن لحكمته عزوجل، والرضا المتنامي بعد السعي بمثابرة، والتوكل بصدق يزيد ولا ينقص.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

كنوز مكتبة مجلة الوعي الإسلامي (٢)

سلسلة الذخائر

مجلة المحاماة الشرعية

نقابة المحاماة الشرعية

المحاماة الشرعية

مجلة قضائية شهرية

تصدرها نقابة المحامين الشرعيين

السنة الأولى

١٣٤٨ هـ

١٩٢٩ م

رئيس التحرير

محمد فهمي

نقيب المحامين الشرعيين

ادارة المجلة وتحريرها

بنقابة المحاماة الشرعية – بمحكمة مصر الابتدائية الشرعية

بشارع نور الظلام بالمنيرة بمصر (مكتب بريد القلعة)

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة المحاماة الشرعية» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة المحاماة الشرعية: هي مجلة قضائية شهرية تصدر عن نقابة المحاماة الشرعية بمحكمة مصر الابتدائية الشرعية، صدر أول عدد في جمادى الأولى سنة ١٣٤٨هـ الموافق لـ أكتوبر سنة ١٩٢٩م. وكان رئيس تحريرها السيد محرم فهيم، نقيب المحامين الشرعيين.

تاريخ النشأة

في سنة (١٣١٨هـ) الموافق لـ (١٩٠٠م) أصدرت وزارة الحقانية المصرية؛ «المجموعة الرسمية» لنشر أحكام المحاكم الأهلية ذات المبادئ القانونية، وفي سنة (١٣٣٩هــ) الموافق لـ (١٩٢٠م) أنشأت نقابة المحاماة الأهلية مجلة «المحاماة» فكان لها من الأثر ما للمجموعة الرسمية.

وفي سنة (١٣٤٧هـ) الموافق لـ(١٩٢٨م) عزمت وزارة الحقانية على إصدار مجموعة رسمية للمحاكم الشرعية أسوة بالمحاكم الأهلية، فأرسلت كتابا دوريا إلى المحاكم الشرعية يوم (١٨ يناير سنة ١٩٢٨م) تقول فيه: «ترغب الوزارة في نشر بعض الأحكام الشرعية في مجموعة خاصة على طريقة المحاكم الأهلية، وترجو أن ترسل إليهم المحاكم الأحكام المشتملة على مبادئ هامة يرى في نشرها فائدة».

وفي سنة (١٣٤٨هـ) الموافق لـ (١٩٢٩م) حذت نقابة المحامين الشرعية حذو وزارة الحقانية ونقابة المحامين الأهلية، فأنشأت مجلة المحاماة الشرعية.

الغرض من المجلة

أنشئت هذه المجلة لنفس الغرض الذي أنشئت من أجله المجموعة الرسمية ومجلة المحماة الأهلية، إلا أن مجلتنا هذه (المحاماة الشرعية) اختصت بالجانب الشرعي وما يتصل به من المسائل القانونية، خدمة للشريعة الغراء، والمحاماة والقضاء والنهوض والسمو بهما إلى المثل الأعلى اللائق بشريعة الله سبحانه وتعالى.

أبرز أبواب وموضوعات هذه المجلة

- أبحاث ومقالات: في الفقه المقارن، والسياسة الشرعية، وتاريخ القضاء والقضاة، والنظام القضائي في الإسلام، وإصلاح المحاماة، والمحاكم الشرعية، والمجالس الحسبية، ومقارنات وموازنات بين النظم الإسلامية وبين غيرها من القوانين والنظم الحديثة.
- شرح لائحة المحاكم الشرعية شرحا حديثا، مبنيا على ما دل عليه الاختبار والتطبيق، مؤيدا بمنشورات الحقانية وأحكام المحاكم، مع بيان المواد الموافقة للنصوص الفقهية، ومقارنة هذه اللائحة بالقوانين الأهلية والمختلطة.
- أحكام المحاكم الشرعية ذات المبادئ.
- قرارات المجالس الحسبية.
- الفتاوى الشرعية.
- أحكام المحاكم الأهلية والمختلطة التي تبحث مسائل شرعية، أو نظامية لها علاقة بالمحاكم الشرعية.
- القوانين والقرارات والأوامر والمنشورات الخاصة بالمحاكم الشرعية.
- أخبار المحاماة والقضاء.
- شذورات ومتفرقات قضائية.

بقيت هذه المجلة صرحا عاليا طيلة (٢٦) سنة إلى أن صدر آخر عدد منها (١٩٥٥م)، وذلك بعد صدور قانون رقم (٤٦٢) لسنة (١٩٥٥م) القاضي بإلغاء المحاكم الشرعية والمحاكم الملية.

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة «الوعي الإسلامي» على نسخة كاملة من هذه الدرة الفقهية والقضائية، والتي تتكون من ٢٥ مجلدا.

وهي في متناول الزوار والباحثين ومن هو بحاجة إليها.

المصادر:

مجلة المحاماة الشرعية.

سلامة عبدالقادر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

دار الحديث الناصرية البرانية (الرباط الناصري)

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.
ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

وكانت أول مدرسة أنشئت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها، وسطع عندما تولى الملك، الصالح، الناصر، صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاث مئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ست مئة مدرس، وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء، والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم.

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها، إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟
ديار لسلمى عافيات بذي خال
ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات، فمنها:

دار الحديث الناصرية البرانية (الرباط الناصري)

مكانها

تقع بمحلة الفواخير في سفح جبل قاسيون، قبلي الجامع الأفرم، الذي أنشئ سنة (٧٠٦هـ) على نهر يزيد، والجامع الأفرم الآن خراب بلقع، لا يوجد منه سوى حفرة تدل على أنه كان هناك بحيرة في الجامع، وما بقي من حجارته وحجارة أمثاله أخذ لبناء البيوت التي جددت حوله، وسميت فيما بعد بـ «حارة المهاجرين»، وقبلي الجامع المذكور حاكورة، يفصل بينها وبينه الطريق، وجدارها الشمالي

أساس به أحجار تدل على أنه كانت هنا المدرسة الناصرية، قال صاحب المنادمة: «وأخبرني بعض الأصحاب أنه شاهد حجرات قائمة الجدران بلا سقف، ثم أخنى عليها الزمان، ومحراب الجامع الأفرم نقلت حجارته إلى مسجد دار الحديث الأشرفية بطريقة الشراء».

وكذلك أخذ منها أعمدة غلاظ من أجل بناء أحد القصور في المهاجرين، ولعله قصر أسعد باشا العظم.

وأدخلت أحجارها في رصف نهر يزيد، بعد أن احتاج إلى عمارة وتجديد، وكان فيها جسر جميل البناء ومعقود ثم انتقض.

وصفها ابن طولون بقوله: «وهذه الدار من أحاسن دمشق، ولكنها خربت لخراب محلتها، وهي مركبة على نهر يزيد، ينزل إليها في عدة درج، ولها شبابيك مطلة على صحن بركة النهر المذكور، وفي غربيه مدار للماء يمشي في ساقية إلى جرن على باب الدار المذكورة، وخلف هذا الجرن تربة، وغربي هذه الدار الرباط المذكور، وله باب إلى الزقاق بين ثلاثة شبابيك وأعلاه مئذنة، وواجهة هذا الباب متصلة بواجهة تلك الدار والجرن، وجميعها من حجر أبيض وأصفر يعجز أبناء هذا العصر عن بناء مثله لإتقانه، فإن الإبرة لا يمكن أن تدخل بين حجرين».

بانيها وواقفها

بناها وأوقفها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي فاتح بيت المقدس (وفي بعض المصادر: الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن الملك العزيز محمد ابن الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب)، ولد في قلعة حلب في رمضان سنة (٦٢٧هـ) وبويع له في حلب سنة (٦٣٤هـ) بعد موت أبيه وكان عمره حينئذ سبع سنين، وكان الأمر كله عن رأي جدته أم أبيه صفية خاتون ابنة الملك العادل أبي بكر بن أيوب؛ ولهذا سكت عنها الملك الكامل؛ لأنها أخته، فلما توفيت سنة أربعين اشتد الناصر واشتغل عنه الكامل بعمه الصالح، ثم فتح حمص سنة (٦٤٦هـ) فوليها عشر سنين، ثم استولى على دمشق سنة (٦٤٨هـ)، وكان كثير البر والإحسان والصدقات، محببا إلى الرعية، حسن الأخلاق، موطأ الأكناف، وكان شابا مليحا أبيض حسن الشكل في عينيه، محببا لأهل العلم والفضل والأدب، وكان سوق الشعر نافقا في أيامه، وله نظم حسن، وكان مجلسه مجلس ندماء وأدباء، ثم خدع وعمل فيه حتى وقع في قبضة التتار، فذهبوا به إلى هولاكو فأكرمه أولا، ثم قتله في سنة (٦٥٨هـ) أو (٦٥٩هـ)، ودفن بالشرق، وقد كان أعد له تربة في رباطه بالناصرية، لكنه لم يقدر له أن يدفن فيه، وبعده أصبحت الشام تابعة للمماليك، وهو آخر سلاطين وملوك بني أيوب بدمشق، رحمه الله تعالى.

وكان رحمه الله قد أمر ببناء الناصرية سنة (٦٥٤هـ)، وذلك بعد أن انتهى من عمارة الناصرية الجوانية داخل دمشق، ورتب لها مرتبات وافرة.

شيوخها

١- جمال الدين محمد بن أحمد الشريشي المالكي المتوفى سنة (٦٥٨هـ).

٢- كمال الدين أحمد بن محمد الشريشي المتوفى سنة (٧١٨هـ).

٣- جمال الدين محمد بن أحمد بن الشريشي المتوفى سنة (٧٦٩هـ).

٤- حسام الدين القرمي المتوفى سنة (٧٤٦هـ).

٥- نور الدين محمد بن أبي بكر بن محمد ابن قوام المتوفى سنة (٧٦٥هـ).

٦- ابن المحب، محمد بن عبدالله ابن أحمد المقدسي المتوفى سنة (٧٨٩هـ).

٧- شهاب الدين أحمد بن أحمد الطيبي المتوفى سنة (٧٩٧هـ).

٨- منلا أسعد بن معين الدين الشيرازي المتوفى سنة (٩٩٨هـ).

٩- محمد بن أبي بكر بن داود الحموي المتوفى سنة (١٠١٦هـ).

١٠- محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر داود الحموي ثم الدمشقي المتوفى سنة (١٠٤٧هـ).

١١- صلاح الدين أبوسعيد خليل بن كيكلدي بن عبدالله العلائي، وهي أول مدرسة درس فيها العلائي، وباشر نشر علومه منها، وكان عمره آنذاك (٢٣) سنة، وكان توليه للتدريس فيها سنة (٧١٨هـ)، وكانت وفاته سنة (٧٦١هـ).

وغيرهم من الأئمة والأعلام، رحم الله الجميع.

بعض السماعات في الناصرية

١- سماعات على الإمام أحمد ابن سلامة الحداد الحنبلي، مثل: مجلس البطاقة للكتاني، والأربعون للنيسابوري، والجزآن الثاني والخامس من الوحشيات، سنة (٦٦٩هـ).

٢- جزء فيه أحاديث عن النبي ﷺ رواية ابن كليب، سنة (٦٧٠هـ) و(٦٧٦هـ).

وغيرها من السماعات لكثير من الكتب والأجزاء على عدد من العلماء والمشايخ (١).

الهوامش

١- للاستزادة حول دار الحديث الناصرية، انظر:

- منادمة الأطلال، لابن بدران الدمشقي.
- دور الحديث الشريف بدمشق، للدكتور محمد مطيع الحافظ.
- الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي.

فكرة مفيدة

د. حسانين فهمي: هذه خلاصة تجربتي في طلب العلم من الصين

حوار - محمد عبد العزيز يونس

أكد د. حسانين فهمي حسين الأستاذ المساعد بقسم اللغة الصينية كلية الألسن جامعة عين شمس، الأستاذ المشارك بكلية اللغات والترجمة جامعة الملك سعود، على عمق العلاقة بين الثقافتين العربية والصينية، موضحا أن جذورها تعود إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ.. وفيما يلي نص الحوار:

من خلال تجربتكم مع اللغة الصينية تعلما وتعليما وأدبا.. ما هي الخطوات أو الاشتراطات التي ينبغي أن يسلكها طالب العلم ليحقق النجاح في أي مجال مهما بلغت صعوبته؟

لاشك أن اللغة الصينية باتت اليوم واحدة من أهم اللغات التي تشهد إقبالا كبيرا من الدارسين حول العالم، وتشير الإحصاءات الصينية الرسمية إلى أن عدد دارسي اللغة الصينية حول العالم حتى نهاية عام (٢٠١٦م) قد تخطى حاجز الـ (١٠٠) مليون دارس ودارسة، مع الاهتمام الكبير الذي توليه الحكومة الصينية لتشجيع تعليم اللغة الصينية ونشر الثقافة الصينية حول العالم، من خلال معاهد وفصول كونفوشيوس التي يعود تاريخ تأسيسها إلى عام (٢٠٠٤م). وعليه فإنني أنصح من يفكر في دراسة هذه اللغة المهمة بأن يبدأ في أحد الأقسام العلمية المتخصصة بقدر الإمكان، أو في معاهد وفصول كونفوشيوس، وأن يتحلى بالصبر في بداية علاقته بالصينية؛ نظرا لخصوصيتها واختلافها عن غيرها من اللغات، ومنها العربية، سواء في الصوتيات أو الكتابة، وكذلك عدم الاستعجال في تحقيق تقدم في المستوى لأنه يأتي على حساب الإتقان الجيد لأساسيات اللغة. وهو ما ينطبق على أي تخصص يرغب الإنسان في إحراز تقدم فيه.

كيف ترى الاستفادة من تخصصكم في اللغة الصينية، لاسيما فيما يخص قضايا المسلمين هناك؟

وصل الإسلام إلى الصين في منتصف القرن السابع الميلادي في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وفي عصر أسرة تانغ الصينية التي حكمت خلال الفترة (٦١٨-٩٠٧م) عن طريق التجار العرب المسلمين الذين زاروا الصين آنذاك للتجارة عن طريق البحر، ثم إقامة عدد كبير منهم بمدينة تشيوان جوو بجنوب الصين تماشيا مع ازدهار حركة التبادلات التجارية بين الصين وبلاد العرب خلال عصر أسرتي سونغ (٩٦٠-١٢٧٩م) ويوان (١٢٦٠-١٣٦٨م)، وقام التجار المسلمون بتأسيس المساجد التي حظيت بدعم حكام الصين آنذاك، والتي لاتزال قائمة حتى اليوم كخير شاهد على العلاقات الطيبة التي كانت ومازال تربط بين الصين والعالم العربي. والصين بها الآن عشر أقليات تدين بالدين الإسلامي، هي أقليات: هوي، الويغور، الكازاك، دونغ شيانغ، القرغيز، السلار، الطاجيك، الأوزبك، باو آن وأقلية التتار.

وقد اجتهد العلماء المسلمون الصينيون منذ وقت مبكر من دخول الإسلام إلى الصين في ترجمة معاني القرآن الكريم، والحديث الشريف والكثير من كتب التراث الإسلامي والمؤلفات التي تعرف المسلمين الصينين بأمور دينهم.

في حين أنه لاتزال هناك الكثير من المؤلفات التي يحتاج إليها المسلمون الصينيون لتعريفهم بأمور دينهم، والعمل على تقديم الصورة الصحيحة للدين الإسلامي الحنيف في الصين، وهذه مسؤولية تقع على عاتق كل مسلم والمتخصصين في اللغة الصينية على وجه التحديد. وهذا ما نسعى إليه نحن وجميع الزملاء العاملين في حقل الترجمة بين الصينية والعربية سائلين التوفيق من الله تعالى. فعلى المستوى الشخصي شاركت في أكثر من مؤتمر حول الأديان وثقافة الحوار في الصين، متحدثا عن قيمة الحوار في الإسلام، وصورة الآخر من منظور الدين الإسلامي الحنيف، كما شاركت في مراجعة الترجمة الصينية لعدد من الكتب المترجمة في مجال العبادات وسيرة الرسول الكريم ﷺ.

● كيف ترى أهمية القدوة الحسنة من خلال تجربتكم الحياتية والعلمية؟

القدوة الحسنة عنصر مهم في صلاح الأمم والمجتمعات، وجودها صمام أمان أمام الكثير من الفتن، خاصة في عصرنا الحالي، وقد اشتدت حاجتنا إلى القدوة الحسنة التي تأخذ بأيدينا إلى النجاة في ظل ما يحيط بنا من فتن وشبهات كثيرة. والقدوة الحسنة موجودة في كل زمان ومكان. ولم تخل تجربتي الشخصية من اختيار الكثير من النماذج الناجحة في البيئات المحيطة بي للاقتداء بهم في الحياة والعمل، فعلى الإنسان أن يتحرى في الشخص الذي يقتدي به عددا من الصفات، على رأسها الصلاح وحسن الخلق والتواضع والإخلاص في العمل، وغيرها من الصفات الحميدة.

عصير الكتب

فهرس «الحديث وعلومه» أحدث إصدارات مركز مخطوطات مكتبة الإسكندرية

القاهرة – الوعي الشبابي:

أقام مركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية، حفل إصدار «فهرس الحديث وعلومه/ الطبعة الثانية» إعداد الباحث المحقق محمد البرسيجي، وبحضور الدكتور محمد نصر اللبان أستاذ علوم الحديث بكلية الدراسات العليا بجامعة الأزهر، ويقع الفهرس في (٥٤٠) صفحة.

وأكد د. مدحت عيسى مدير مركز المخطوطات، في بيان صادر من مكتبة الإسكندرية، أن أعمال الفهرسة والتكشيف من الأعمال التي تنفي جهلنا بتراثنا العربي، هذا التراث الذي مازال مجهولا في معظمه حتى الآن، بسبب عدم الانتهاء من فهرسة جميع الخزانات الخطية المحفوظة في كبرى المكتبات العالمية، بالإضافة إلى عدد كبير من المخطوطات المملوكة للأفراد التي لا نعرف عن كنهها شيئا!

وأشار عيسى إلى أن مفهرس هذه الطبعة لم يأل جهدا في تتبع وتقصي الدقة المطلوبة لإنجاز الفهرس صحيحا، قدر طاقته، خاليا من أخطاء النسبة والتوثيق، وهو في غير موضع يتحرى المعلومات الواردة في المخطوط أو تلك المذكورة في كتب الببليوجرافيا، ليتثبت ويتحقق.

وأضاف عيسى أن الهدف من إصدار الفهارس هو الكشف عن نوادر مخطوطات مجموعتنا الأصلية التي يزيد رصيدها عاما بعد عام بما يهدَى إلينا من نسخ نادرة مملوكة لأفراد أو لجمعيات أهلية، ونعمل دوما على دراسة نوادر هذه المجموعة، من حيث نوادر الموضوعات، ونوادر النسخ الخزائنية، ونوادر المخطوطات العلمية، ونوادر المخطوطات التي كتبت بخطوط مؤلفيها.

طور نفسك

جوانب إيجابية في شخصية صعب المراس

الكويت - الوعي الشبابي:

امتلاك المرء شخصية صعبة المراس لا يعد أمرا سلبيا دائما، بل إن هناك الكثير من الجوانب الإيجابية التي تستحق تسليط الضوء عليها:

– أن تمتلك شخصية صعبة المراس يعني أنك ترى الأمور من منظور مختلف نوعا ما: ولتوضيح الأمر فإنه يمكننا القول إن الشخص العادي يرى أن تواصله مع الآخرين هو المركز لأي حديث، ومن هذا المنطلق تكون آراؤه حول ما يقوم بمناقشته. بينما على الجانب الآخر نجد أن الشخص صعب المراس لا يرى نفسه مركز الحديث، مما يساعده على تكوين وجهة نظر مختلفة قد يراها البعض متوافقة معهم أكثر من غيرها.

– يميل من يحمل شخصية صعبة المراس إلى أن يتحدث باستفاضة ويقدم حلولا متقنة حول المواضيع التي يجدها مهمة والتي تكون علمية غالبا.

– يتصف من يمتلك شخصية صعبة المراس بالشغف الشديد للمعرفة. كما أنه يمتلك من الإصرار ما يجعله يتقن أي شيء يريد تعلمه، فهو على استعداد لإنفاق العديد من ساعات يومه من أجل الوصول لما يريد.

وهنا يبرز السؤال: هل الأفضل تقوية العلاقات الاجتماعية للمرء صعب المراس أم تحمل شخصيته ونيل مكتسباتها؟ ينصح الطبيب النفسي تاي تاشيرو المرء صعب المراس بمحاولة تقوية علاقاته الاجتماعية حتى وإن تطلب الأمر بعض الوقت. ويتم هذا من خلال تقسيم العلاقات الاجتماعية لأجزاء صغيرة يستطيع التعامل معها كُلًّا على حدة. مثل السلوك مع الآخرين، مجاملتهم، توقعاته بشأن تصرفاتهم، وما إلى ذلك من أشياء تُسهل عليه أن يكون أكثر مرونة معهم.

المقايسة الببليوجرافية

المقايسات في اصطلاحات المؤلفين تعني:
المقايسة النصية: وهي مقارنة نص لاحق بنص سابق، لقياس مدى النقل والاحتواء أو السطو.
المقايسة الأدبية: وهي الدراسة المقارنة بين استخدامات الأدباء للتشبيهات والاستعارات، لتحديد مدى احتواء الصيغ والأفكار، وخاصة في الشعر، كما نجد في التنقيب عن السرقات الأدبية.
المقايسة المرجعية: وهي تعني مقارنة مصادر كتاب معين بمصادر كتاب آخر، لمؤلف واحد أو لمؤلفين مختلفين، كما حدث في المقارنة بين مصادر كل من المخصص والمحكم، وكلاهما لابن سيده.

(عبقرية التأليف، ص ٤٩٣).

من درر الوصايا

قال رجل لأُبي بن كعب رضي الله عنه: أوصني يا أبا المنذر، فقال: لا تعرضنَّ فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحترز من صديقك، ولا تغبطن حيا بشيء إلا بما تغبطه به ميتا، ولا تطلب حاجة إلى من لا يبالي أن لا يقضيها لك.
وقال له آخر: أوصني، فقال: اتخذ كتاب الله إماما، وارض به قاضيا وحكما، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيع مطاع وشاهد عليكم. فيه ذكركم، وذكر مَن قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم.

(**الحلية**، ١/٢٥٣).

القرآن نور الليل المظلم

قال جندب بن عبدالله رضي الله عنه: اتقوا الله، واقرأوا القرآن، فإنه نور الليل المظلم، وبهاء النهار على ما كان من جهد وفاقة، فإذا نزل البلاء فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، فإذا أنزل البلاء فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أن الخائب من خاب دينه، والهالك من هلك دينه، ألا لا فقر بعد الجنة، ولا غنى بعد النار، لأن النار لا يفك أسيرها، ولا يبرأ حديرها، ولا يطفأ حريقها، وإنه ليحال بين الجنة وبين المسلم، بملء كف دم أصابه من أخيه المسلم، كلما ذهب ليدخل من باب من أبوابها وجدها يرد عنها؛ واعلموا أن الآدمي إذا مات ودفن لا ينتن أول من بطنه، فلا تجعلوا مع النتن خبثا، واتقوا الله في أموالكم، والدماء فاجتنبوها.

(**كنز العمال**، ١٦/٢١٤).

وكفى بالإعراض حاجبا

كتب الأصمعي إلى بعض أصحابه وقد رأى منه إعراضا:
وكفى بالإعراض حاجبا، وبالانقباض طاردا، ومَن مطلك ولو ساعة فقد حرمك، ومَن كتم سره عنك فقد اتهمك، ومن صافى عدوك فقد عاداك، ومن عادى عدوك فقد صادقك ووالاك، ومن أقبل بحديثه على غيرك فقد طردك، ومن شكا لك سوءا فقد سألك، ومن سكت عند ذم الناس لك فقد ذمك، ومن بلَّغك شتمك فقد شتمك، ومَن نقل لك فقد نقل عنك، ومَن شهد لك فقد شهد عليك، ومن تجرأ لك فقد تجرأ عليك.

(**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، ٧/٣٣١).

الرضا

اشتكى ابن أخي الأحنف إلى الأحنف بن قيس رحمه الله وجع ضرسه، فقال له الأحنف: لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

(**صفة الصفوة**، ٣/١٤٠).

أيهما أفضل

قال رجل لابن الجوزي رحمه الله: أيهما أفضل: أن أُسبِّح أو أستغفر؟ فقال له: الثَّوب الوسخ أحوج إلى الصَّابون من البخور.

(**سير أعلام النبلاء**، ٢١/٣٧١).

جنود الطاعة، وجنود المعصية

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ولايزال العبد يعاني الطاعة ويألفها ويحبها ويؤثرها؛ حتى يرسل الله سبحانه برحمته عليه الملائكة تأزّه إليها أزّا، وتحرضه عليها، وتزعجه عن فراشه ومجلسه إليها.

ولايزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها، حتى يرسل الله إليه الشياطين فتأزّه إليها أزّا.

فالأول: قوَّى جند الطاعة بالمدد؛ فكانوا أكثر من أعوانه.

وهذا: قوَّى جند المعصية بالمدد؛ فكانوا أعوانا عليه.

(الداء والدواء، ص ١٤٠).

لا تعرض بما لا يعنيك

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل من رعيته: لا تعرض بما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين ليس شيء من القوم يعدله، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فيحملك على الفجور، ولا تُفش إليه سرك، وشاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى.

(رواه **ابن المبارك في الزهد والرقائق، برقم**: ١٣٩٩).

علم السِّيَر والتواريخ

قال العلامة ابن الجوزي رحمه الله: واعلم أن في ذكر السير والتواريخ فوائد كثيرة؛ أهمها:... أنه إذا ذُكرت سيرةُ حازم، ووُصفت عاقبةُ حاله؛ أفادت حسنَ التدبير واستعمال الحزم، أو إن ذُكرت سيرةُ مفرّط، ووصفت عاقبته؛ أفادت الخوف من التفريط، فيتأدب المتسلط، ويعتبر المتذكر، ويتضمن ذلك شحذ صوارم المعقول، ويكون روضة للمتنزه في المنقول.

(**المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، ١/١١٧).

من لطائف المكاتبات

قال العلامة ابن فضل الله العمري: من لطائف المكاتبات أن لا يوسع الكاتب بين السطور، ولا يُكبرها، ولا يطول الألفاظ؛ فإنه كلما كثر اللفظ في المكاتبة، أو اتسعت سطورها، أو غلظ القلم؛ كان ذلك نقصا في حق المكتوب إليه، ويغتفر ذلك لمن لا يعرف القاعدة، وللأصحاب الذين سقطت الكلفة من بينهم.

(**النبذة الكافية في معرفة أوضاع الكتابة والقافية**، ص ٥).

انضباط في العمل

قال معاذ بن معاذ لابنه في يوم مطير: أي بني، امض بنا نجلس للناس. فقال ابنه: يا أبت هذا يوم مطير لا يجيء فيه الناس. فقال: يا بني، امض بنا، فبم نستحل أن نأخذ كل يوم كذا وكذا درهما؟ وخرج وجلس.

(**أخبار القضاة لوكيع ابن خلف بن حيان**، ٢/١٣٨).

السريرة

قال ذو النون رحمه الله: كان العلماء يتواعظون بثلاث، ويكتب بعضهم إلى بعض: مَنْ أحسن سريرته؛ أحسن الله علانيته. ومَنْ أصلح ما بينه وبين الله؛ أصلح الله ما بينه وبين الناس. ومَنْ أصلح أمر آخرته؛ أصلح الله له أمر دنياه.

(**سير أعلام النبلاء**، ١٩/١٤١).

أحمد علي صالح
باحث دراسات إسلامية

الإمام ابن الإمام أبو الإمام

محمد العروسي..

ولد الإمام الشيخ محمد بن الإمام أحمد بن موسى بن دواد العروسي رحمه الله، بالقاهرة حيث يقيم والده شيخ الأزهر السابق وليس في «منية عروس» مولد والده لأنه قد فارقها منذ زمن بعيد.

تلقى العلم على يد أبيه الشيخ أحمد العروسي الشافعي، الذي درس التفسير والعلوم العقلية «الرياضيات والجبر والمقابلة»، بالإضافة إلى التصوف الذي أخذه عن السيد مصطفى البكري وحذقه علوم اللغة والفقه والحديث.

وكان حلم حياة الأب أن يدخل ابنه الأزهر، ويجعله أحد علمائه الأفذاذ، الذين تُشدُ إليهم الركاب، ويجتمع على حلقاتهم الطلاب، وقد تحقق له ما أراد فانتسب ولده للأزهر، ودرس على علمائه الكبار، وتنقل بين حلقاتهم وفيها حلقته التي كان يحضرها في حياته.

منهجه في الدعوة وصفاته

عندما درس بالأزهر ظهرت نجابته، فلما توفي والده حل محله في التدريس لطلاب العلم بالأزهر الشريف، وكان منهجه يعتمد على إلقائه الدروس من الصباح إلى المساء مما جعله ينشغل عن التأليف على عكس والده الذي ألف عدة كتب من أهمها: شرح على نظم التنوير في إسقاط التدبير (في التصوف) وحاشية على الملوي على السمرقندية (في البلاغة)، وكان العروسي الابن محبوبا من الجميع، وامتاز بالمرونة واللباقة.

ولقد اشتغل بتدريس العلم لطلابه، لدرجة أنه كان يقضي وقته من بعد صلاة الفجر حتى المساء في التدريس لا يقوم إلا للصلاة، وهذا ما صرفه عن التأليف الذي يحتاج إلى وقت، ولكنه ترك رجالا تأثروا به ونهجوا نهجه.

وكان الشيخ العروسي حسن الإلقاء، غواصا وراء المعاني؛ ولهذا كان الطلبة يهرعون إليه من ساحات الأزهر والمدارس التابعة للأزهر لينهلوا من معارفه العذبة وعلومه المتنوعة، كما اتسم بالتقوى والورع، وتبوأ مكانة سامية بعلمه، وصلاحه، وتقواه، وتسامحه، وانتصاره للحق،

فمضى في طريق الإصلاح، وتحقق على يديه الكثير من الإنجازات التي تدل على حكمته، وبُعد بصره، وصدق بصيرته.

توليه مشيخة الأزهر الشريف

تولّى الإمام الشيخ محمد العروسي رحمه الله، مشيخة الأزهر الشريف عام (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م) لكنها لم تشغله عن دروسه، ولم تصرفه عن أداء ما كان يُؤديه نحو تلاميذه على الرغم من أن جلوسه على كرسي المشيخة استمر اثنتي عشرة سنة.

وهو أول شيخ للأزهر وُلي أبوه الإمام الشيخ أحمد العروسي المشيخة من قبله (عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م)، أي قبله بستة وأربعين عاما، لدرجة أنه يفصله عن مشيخة أبيه شيخان فقط هما: الشيخ عبدالله الشرقاوي، والشيخ محمد الشنواني.

بالإضافة إلى أن ابنه الإمام الشيخ مصطفى العروسي تولّى مشيخة الأزهر أيضا عام (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)، أي بعده بأربعة وستين عاما، وألف الحفيد الإمام الشيخ مصطفى العروسي كُتبا أثرت المكتبة الإسلامية من أهمها: شرح على الرسالة القشيرية، و«كشف الغُمة وتقييد معاني أدعية سيد الأمة»، و«العقود الفرائد في بيان معنى العقائد».

وكان الإمام الشيخ محمد العروسي من المزاحمين للشيخ الشنواني في ولاية المشيخة، لولا أن محمد علي باشا آثر عليه الشيخ الشنواني، لما عرف عنه من تواضعه وانصرافه عن مظاهر السلطة، وكان محمد علي باشا قد ضاق بتدخل الشيخ الشرقاوي والزعيم عمر مكرم في شؤون الحكم دفاعا عن حقوق الشعب.

ولما مات الشيخ الشنواني انعقد الإجماع على إمامة الشيخ محمد بن أحمد العروسي، لأنه لم يكن له مُنافس في التطلع إلى مشيخة الأزهر، فتقلدها من غير منازع وبإجماع أهل الوقت.

آثاره العلمية

لم يترك الشيخ محمد العروسي وراءه غير مصنف واحد أجاز به تلميذه علي بن عوض البرديسي الجرجاوي عام (١٣٨٠هـ)، وهي مخطوطة في دار الكتب المصرية حملت الرقم (٥١١) في «مصطلح الحديث».

يقول في أولها بعد البسملة: «حمدا لمن تفضل علينا بالإنعام، وبعدُ: فإن دراسة العلم من أسمى المطالب؛ فلذا لما طلب مني علي الجرجاوي أن أخبره بجميع مروياتي، وبما يجوزُ لي وعني روايته من تفسير وحديث وغيرهما من منقول ومعقول، فأجزتُه لذلك».

وكتب في آخر الإجازة: «رزقني الله وإياه الهداية والحفظ والرعاية، إنه سميع قريب»، والرسالة بخط الشيخ الإمام مذيلة بخاتمه.

والإمام الشيخ محمد العروسي لم يُؤلف إلا هذا المصنف، وله عُذره؛ لأن الأعباء المُلقاة على كاهله ومنها عبءُ المشيخة أكبر من أن يتحمله رجل واحد إلا بعون من الله، وله مكانة ومزايا عديدة كثيرة انفرد بها وحده، منها:

١- أنه الإمام ابن الإمام.

٢- أنه نال ثقة الوالي والشعب والعلماء، وأجمعوا كلهم على تقديره وتوقيره.

٣- أن شُهرته لم تكن تابعة لشهرة والده، وإنما كانت من جِده وكسبه.

ومهما أثنينا على الإمام الشيخ محمد العروسي وأكثرنا من الإطراء عليه، فلن نُوفيه حقه.

وفاته

توفي الإمام الشيخ محمد العروسي بعد أن قضى هذا العمر الجميل في خدمة الأزهر الشريف، حياة حافلة بالعلم النافع، الذي ورثه العلماء البررة من أبنائه طلاب العلم بالأزهر، والذين تلقوا العلم الغزير عن شيخنا الجليل محمد العروسي رحمه الله، وهكذا موت الأمة في موت علمائها.

ولبى الإمام العروسي نداء ربه راضيا مرضيا في عام (١٤٢٥هـ - ١٨٢٩م)، وكانت جنازته مهيبة، شارك فيها الناس كافة، الخاصة والعامة.

بريد القراء

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

الكتاب الورقي صمام الأمان

لا أحد يمكن أن ينكر التأثير القوي الذي أصبحت تلعبه الثقافة الإلكترونية، كما لا يمكن لأحد أيضا أن ينكر ما تركه الأجداد من السلف إلى الخلف من البناء الثقافي مُخَزَّن في الكتاب الورقي، الذي يتميز بالامتداد التاريخي بمجموعة من العناصر أو السمات الثقافية المترابطة التي استمرت في البناء عبر فترة زمنية طويلة.

والمسألة المثارة عن سيطرة الثقافة الإلكترونية (الكتاب الإلكتروني)، وعن مدى استفادتنا من هذا المنتج في زمن يعرف بعصر السرعة، تحمل في طياتها أبعادا لها ارتباط بثقافة الجيل القادم وباستمرارية وتقدم حضارتنا الإسلامية، وعن مدى امتداد إشعاع قيمها كما هي موروثة من الجيل السابق.. نحن فعلا أمام إشكالات يصعب على المرء الخروج منها بحلول آنية، لذلك تلزمنا دراسات تحليلية عمودية لمجتمعاتنا.. دراسة تكشف النقاب عن الجذور السرطانية التي أدت إلى إساءة استخدام الوسائط الحديثة، ولتعيد من جديد ذلك السحر الذي يتميز به الكتاب الورقي.

إننا نعيش في عالم دائم التغير، وبقاؤنا يتوقف على فهم هذا التغير.. والثقافة الإلكترونية وإن كانت جزءا من هذا التغير فهي أيضا معرضة للتغير والاستبدال، وما نرجوه فعلا أن يكون هذا التغير لصالح الكتاب الورقي الذي له القدرة على أن يمدنا بالثبات والاستمرارية.

جميلة مرابط

عاش في روح وقلب

لطفك اللهم ربي
بي وأحبابي وصحبي
راعنا في كل خطو
نجنا من كل كرب
نقنا من كل داء
عاث في صدر وجنب
واكتبن خير نجاة
إن بشرق أو بغرب
يا إله الناس واحفظ
دين إسلام وحب
دين إيثار جميل
عاش في روح وقلب
دين خير وسلام
إن ببعد أو بقرب
دين يسر قد تجلى
للمحب المشرئب

الشاعر والروائي/ محسن عبد المعطي عبد ربه

تدني المستوى الثقافي العربي

لاشك أن تدني المستوى الثقافي العربي في آخر عشر سنوات له عدة أسباب ومسببات، ونحن لم نخصص دولة عربية، بل هذا يشمل الكل، وكما نعلم أن مواقع التواصل الاجتماعي أسهمت بدرجة كبيرة في تدني هذا المستوى، إضافة إلى ما يعاني منه الوطن العربي من انقسامات وحروب وإرهاب، كما أسهمت دور النشر التي تهتم بالربح المادي دون جودة العمل بتراجع المستوى الثقافي، أما شبكة الإنترنت أدخلت علينا مسميات جديدة مثل شعر الهايكو والقصة الومضة، ناهيك عن استخدام العامية المبتذلة لدرجة الانحطاط للغة الشوارع، وأهل هذه الفنون محتجون بأننا بعصر السرعة، والحداثة، ولم يعد القراء لهم ذلك النفس الطويل للقراءة.

أما وسائل الإعلام فحدث ولا حرج، فحتى كتاب الزوايا فقد عفا عليهم الزمن، وهناك كتاب الواسطات حيث الأخطاء الإملائية والنحوية والتعبيرية، وكل هذا تحت مسمى باحث أو ناقد أو قاص...

ربما يقول قائل، ولكن أدباءنا قد نالوا جوائز أدبية دولية

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

إتقان مهارات الإملاء ضرورة!

كنت جالسا ذات يوم بمكتب الجوزات لإتمام معاملة خاصة بي، وإذ بالمسؤول ينادي «حمد محمد» واتضح أن الاسم الصحيح للشخص المراد «حامد محمود» فكتابة الكلمتين بدون المد غير معناهما، وأوقع هذا الشخص في حرج، ودهشت حينما علمت أنه حاصل على شهادة المتوسطة!!

وحدث ولا حرج عن الأخطاء في كتابة همزة القطع وألف الوصل، والتاء المربوطة والهاء في الكتب والصحف، ومعظم اللافتات على المحلات التجارية وغيرها دائما همزاتها قطع دائم حيث نرى «الإستقدام، إنتصار، الإقتصادي...» مع أنها في الصواب همزتها ألف وصل.

وكثيرا ما يغير الخطأ المعنى المراد فمثلا «وإن» تكتب «وان» وكذلك الأمر في جعل التاء المربوطة هاء فنجد: معلمة «معلمه» ونجد المكتبة «المكتبه»، وهكذا.

وكثيرا ما نجد أن كلمة يدعو مثلا تكتب «يدعوا» ويبدو تكتب «يبدوا».

إن إتقان مهارات الإملاء ضرورة لكل من يتصدى للكتابة من خطاطين، وكتاب ومحررين؛ منعا للأخطاء الإملائية، وضمانا لسلامة المعنى، وحفاظا على لغتنا الخالدة لغة القرآن الكريم؛ اللغة العربية؛ لذا فإني أقترح إعطاء دورات تدريبية في الإملاء للخطاطين، والكتاب وطلاب الدراسات العليا في الجامعات ضمانا للكتابة الصحيحة للاّفتات والرسائل العلمية وغيرها.

● محمد عباس عرابي

العصفور المهاجر

(يحكى أن شجرة أحبت عصفورا بنى لنفسه عشا فوقها، لكن العصفور قرر فجأة أن يترك موطنه ويرحل.. بكت الشجرة حزنا على عصفورها ....)

كيف يا عصفور ترحلُ للبعيد؟!
تترك الأصحابَ والوطن السعيد
كيف تنسى عشّكَ الهادي الحبيب؟!
وتعيشُ في بــلادٍ كالغريـب
لا تهاجر
كلُ أغصاني تريدُك
كلُ أوراقي يهدهدها نشيدُك
كيف تنسى حينما كَبُرَ الجناح؟!
ورأيناك تحلقُ في الصباح
كان يوم حافلا بالقبلات
حينها فرحت جميعُ الكائنات
هل ستنسى يوم أن طرت برفق؟!
وصنعت عشّـك الميمونَ فوقي
وملأت العشَ أحلاما سعيدة
وغناء من أغانيك الفريدة
كيف تنسى وردةَ الصبح الحبيب؟!
عندما تهديكَ كوباً من حليب
كيف تنسى كلَ شيءٍ يا صديقي؟!
وتعيشُ دون أهلٍ أو رفيق
لا تهاجر في السماوات شريدا
كيف يا خلي إذا طرتَ وحيدا؟!
لا تهاجر إنه وطنُ الجميع
لو تركناه سنفنى ونضيع

شعر/ أحمد قرني محمد

في العام كذا وكذا. هذا شيء مفروغ منه فمادام هناك مسابقة فلابد من فائزين، لكن غاب عن ناظرهم أنه حتى المسابقات من الممكن أن تسيس أو تعنصر، وبالتالي ليست مقياسا للجودة الفنية أو العلمية، وهناك نقطة أخرى هي كم من مبدع لم يستطع إظهار إبداعه؟ وكم من روائي محترف لم يلق التشجيع والاهتمام في موطنه؟ نحن أمام قضية ثرية للنقاش والتمحيص والتفنيد والتأييد، أرجو سماع رأيكم.

شكرا لكم لطرحكم مثل هذه الزوايا التي نفتقدها في مجلاتنا وإعلامنا المقروء والمسموع والمرئي.

تحياتي لكم، وبالتوفيق والنجاح في هذه الخطوة المباركة.

● أيمن دراوشة

مِسْكُ الختام

الإنترنت.. مخاوف ومخاطر

باتت شبكة الإنترنت وما تحويه في طياتها من مواقع غير ملائمة لمجتمع مسلم محافظ، تشكل خطرا كبيرا على جميع فئاته لاسيما فئة الشباب التي تمثل الشريحة العريضة في لبناته، وبالتالي لا نستطيع تجاوزها أو التغافل عنها، بعد أن أصبحنا الآن في مجتمع مُعْرِض عن مصادر التلقي والتثقيف، ومتجه نحو الشبكة العنكبوتية للبحث والاطلاع على منتديات وهمية قد لا تكون مكانا للثقافة الإيجابية التي تنمي الوعي الفكري المستقيم والقيم الإسلامية النبيلة، مما أدى إلى وجود تأثير ملحوظ للإنترنت على عادة القراءة لدى الشباب، حتى أمست شبكة الإنترنت المصدر الرئيسي لتحصيل المعلومات وترسيخ المبادئ والمعايير، والذي نتج عنها الوقوع في أوحال الأمراض النفسية المتشعبة.

فالإنترنت أصبح واقعا مفروضا ليس من الصواب تجاهله أو التغافل عنه. إننا أصبحنا الآن أمام شبكة نجوب عبرها الأرض طولا وعرضا، ونشاهد من خلالها ونقرأ ونتحدث مع من نعرفه ومن لا نعرفه.

فهل نحسن استعمال هذه الوسيلة العلمية بما يخدم الإسلام ويرفع من القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم بما يواكب العصر؟

لقد تأثر شبابنا بمواقع التواصل الاجتماعي، إذ نجد أغلب الشباب يجلسون على هواتفهم النقالة الساعات الطوال؛ لا يشعرون بمرور الوقت الضائع من يومهم، وبعضهم لا ينتبه لأداء الواجبات الملقاة على عاتقه من تكاليف وأعمال دينية ودنيوية.

لقد أضحى شباب اليوم مولعا بالإنترنت مفتونا به دون كلل أو ملل، بما يوجب علينا إمعان النظر في أمرهم، والالتفات لتلك الفاجعة التي يمكنها بكل سهولة زعزعة العقائد وإهدار الأخلاق.

لذا وجب على أصحاب الهمم العالية والأفكار الوضاءة التحفيز على نشر المواقع الهادفة إلى توعية الشباب، وذلك من خلال نشر الوعي الفكرى الناضج، بالإضافة إلى توضيح مزايا وعيوب استخدام تلك الشبكات، وما تتركه من أثر سلبي على عقيدتنا وقيمنا، وتوضيح كيفية التعامل الأمثل مع هذه التكنولوجيا، حتى لا تذوب عقائدنا وتتلاشى قيمنا وعاداتنا الأصيلة.

فيجب قيام كلٍ لله بدوره المنوط به، عن طريق كشف سلبيات وخفايا تلك المواقع الهدامة، والرد عليها ردا علميا مصحوبا بالأدلة المقنعة، لتفادي خطرها أو للابتعاد عنها كلية، مع إيجاد البديل الأمثل المغني النافع.

شيرين مراد - كاتبة مصرية

جديدنا

الطبعة الثانية

مقالات العلامة الشيخ ابن باز

الكتاب مجموعة مقالات قيمة ونادرة، خص بها الشيخ ابن باز رحمه الله مجلة «الوعي الإسلامي» ما بين عامي: (١٣٨٩- ١٤٠٣ هـ)، حيث تحدث فيها الشيخ رحمه الله عن فضل شهر رمضان ومحاربة الغزو الثقافي الغربي والشرقي، كما ذكر فيها العديد من المواضيع المهمة في حياة المسلمين.

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

AL-Waei AL-islami

العدد (٦٢٨) ذوالحجة ١٤٣٨ هـ - أغسطس - سبتمبر - ٢٠١٧ م

مجانا مع العدد: «براعم الإيمان»

لبيك اللهم لبيك

- الحج يوثق وحدة المسلمين
- في رحاب الأشهر الحرم
- المسجد الأقصى.. تاريخ من الانتهاكات

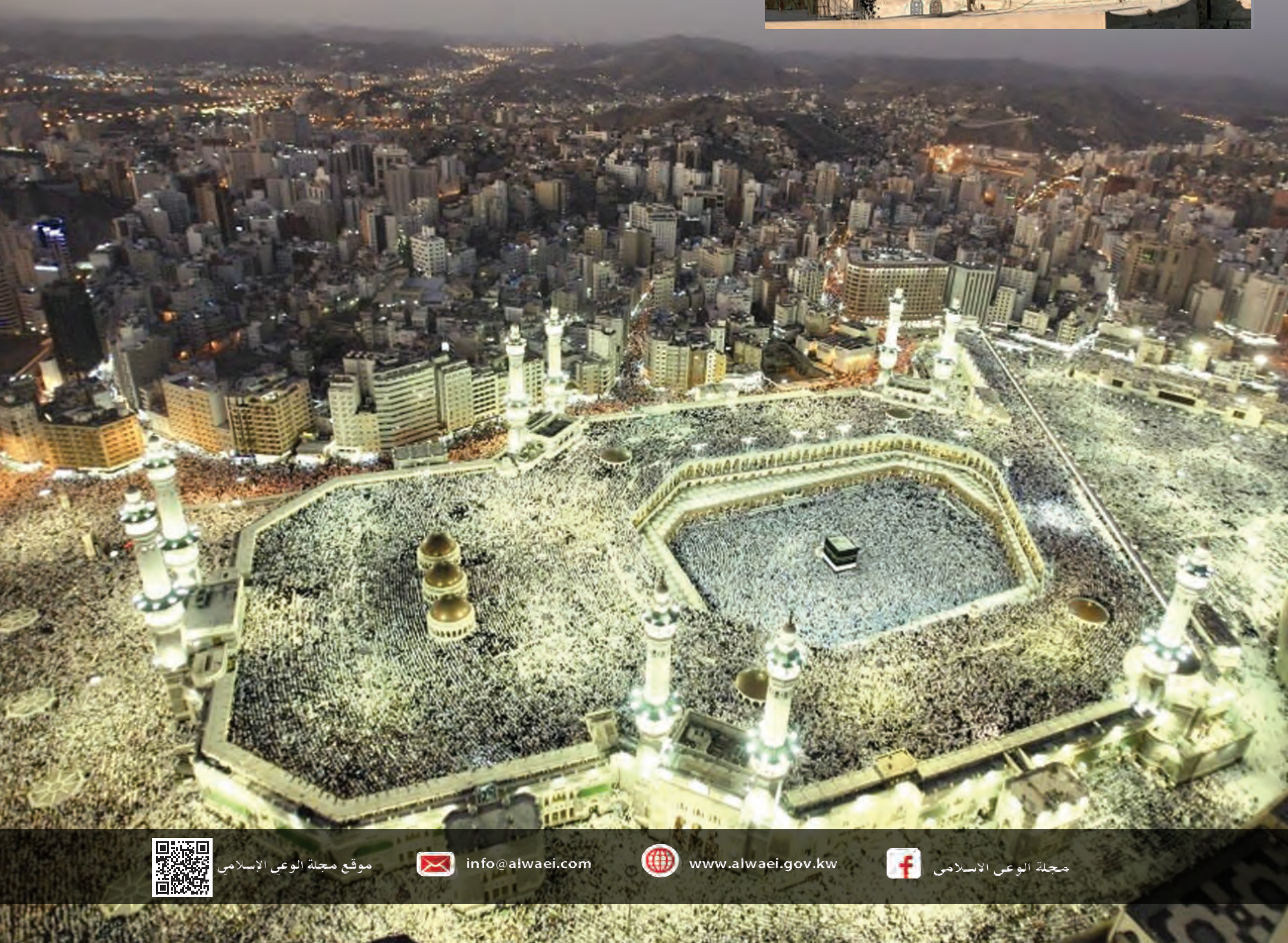

مجلة الوعي الاسلامي | www.alwaei.gov.kw | info@alwaei.com | موقع مجلة الوعي الاسلامي

أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٤ م
الوعي الإسلامي
AL-Waei AL-islami
مجلة كويتية شهرية جامعة

جديدنا

المذهب عند الحنفية - المالكية - الشافعية - الحنابلة

الحلة الجديدة لكتاب «المذهب» الذي لاقى قبولا في الوسط العلمي حيث يعد من أهم الكتب التي تمثل مدخلاً للمذاهب الفقهية: (الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة) ويتناول الكتاب تكوين هذه المذاهب منذ النشأة، مرورًا بالمراحل والأطوار، وصولاً إلى النضوج والاستقرار.

الافتتاحية

ليشهدوا منافع لهم

الحمد لله المقصود بيته من كل فج على اختلاف المقاصد، ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ (الحج:٢٨).. ولكل امرئ ما هو قاصد، أحمده سبحانه وأشكره وأسأله اللطف عند الشدائد، وأصلي وأسلم على نبينا محمد ذروة سنام المجد وإكليله الماجد، صلاة وسلاما ما نجم في السماء باد وما ورد على البيت وارد.

أما بعد؛ ففي هذه الأيام المباركة، تشرئب الأعناق وترنو الأبصار، وتنجذب القلوب، وتتجه الأنظار، وتهوي الأفئدة، وتطّلع النفوس المسلمة إلى البقاع الشريفة، التي هيأها الله لعباده، واختارها لتكون محلا لأداء المناسك، فهذه قوافل الحجيج تتوافد.. أتوا عبر القارات والبحار، وقطعوا الفيافي والأجواء والقفار، يدفعهم الإيمان وتقودهم الرغبة، ويحدوهم الشوق، ويحفزهم الأمل فيما عند الله الرحيم الغفار؛ استجابة لنداء خليله عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج:٢٧)، ومصداقا لقول المصطفى ﷺ: «من حج لله، فلم يرفث، ولم يفسق؛ رجع كيوم ولدته أمه» (متفق عليه).

فالحج عبادة من أعظم العبادات، له من المقاصد والمنافع والحكم والآداب ما ينبغي لكل مسلم أن يستشعرها؛ فأهم المقاصد والغايات، وأعظم الحكم والواجبات: أن يكون الحج منطلقا لإعلان التوحيد الخالص لله، فلا أنداد ولا شركاء، ولا شفعاء ولا نظراء، وأن يكون مرتكزا لتجديد الدعوة للحنيفية السمحة.

وإن الأمة الإسلامية -وهي على أبواب هذا الموسم العظيم- عليها أن تعمل بجد وصدق للخروج من المحن والمصائب التي ابتليت بها، فقد آن الأوان للمسلمين أن يأخذوا من هذا التجمع الإسلامي العظيم الدروس والعبر في الوحدة والتضامن، والبعد عن الفرقة والتشاحن، وهو يجمع المسلمين وإن بعدت الديار، ونأت الأقطار، وتباينت الألسن واللغات، واختلفت الألوان والجهات، يجمعهم على دين واحد، ومنهج واحد، في مكان واحد هو أول بيت وضع للناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (آل عمران:٩٦-٩٧).

فمكة عبق الذكريات الخالدة، وشذا البطولات الماجدة، هي مركز العالم، وقطب الرحى في كيان هذه الأمة؛ اسألوا عن ذلك التاريخ من آدم عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام، حيث بناء البيت، وحيث المقام والحطيم وزمزم وهاجر وإسماعيل، إلى نبينا محمد ﷺ يصدع بدعوة الحق في تلك البقاع إلى أن يعود إليها فاتحا مظفرا، إلى الصحابة الكرام والفاتحين العظام، وبذلك تتحقق أكبر منافع الحج بإذن الله.

وطيبة الطيبة، قد فضلها الله بجعلها البلد الذي ينجمع إليه الإيمان إذا ضعف في نفوس أهله؛ فقال ﷺ «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها» (البخاري:١٨٧٦). وقال ﷺ أيضا: «إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها، وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم عليه السلام لمكة» (البخاري:٢١٢٩). ورحم الله من قال في فضلهما:

أرض بها البيت المحرم قبلة	للعالمين له المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها	والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها	وإلى فضيلتها البرية ترحل
فضل المدينة بيِّن ولأهلها	فضل قديم نوره يتهلل

رئيس التحرير
الدكتور صالح سالم النهام

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
في دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٦٢٨ | ذو الحجة ١٤٣٨ هـ
العام الرابع والخمسون
أغسطس - سبتمبر ٢٠١٧م

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com
الموقع الإلكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣
شارع دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول
العربية - المهندسين - الدور الأول - مكتب
١٠٤ تليفاكس: ٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

في هذا العدد

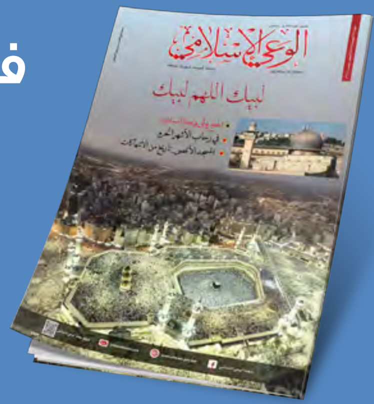

المحتويات

كلمة العدد

انتصار الإرادة

المسجد الأقصى قضية حية في وجدان كل مسلم غيور على دينه.. هذه حقيقة لا يمكن للشرق أو الغرب تجاهلها، ومع ذلك تستمر الانتهاكات من سلطات الاحتلال يوما بعد يوم، وعلى الرغم من ذلك فإن الآلة الإعلامية العربية تقصر في التعامل مع الحدث، خاصة مع عدم وجود أي ضغط أممي على سلطات العدوان إلا ما ندر.. لكن

تبقى منابر المساجد في الكويت وغيرها من بلاد المسلمين هي المحرك الوجداني والضمير الإنساني، وهي التذكير الذي يزيل عن عيون الغافلين وسن النسيان. نشد على هذا التوجه الصادق لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وندعو إلى المزيد حتى تظل قضية القدس حاضرة في حياة الأمة وحديثا يوميا في بيوتنا ومدارسنا ودواويننا، وهذا أضعف الإيمان.

وإنه ليفترض أن كل رب أسرة يجمع أفراد عائلته ويسألهم عن معلوماتهم عن الأقصى أولى القبلتين وثالث المساجد التي لا تشد الرحال إلا إليها ومسرى النبي الكريم ﷺ، لتظل قضية فلسطين والمسجد الأقصى حاضرة في وعي الأجيال الجديدة محفورة في وجدان الأمة حتى يقضي الله بانتصار إرادة المقدسيين كما حدث أخيرًا بعد ١٤ يومًا من الصمود.

مدير التحرير
فهد الخزي

الاشتراكات

● داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا ● الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
● دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها). ● للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

د. محمد أحمد عزب
أستاذ العقيدة المشارك – جامعة المدينة العالمية

العيد والتكبير

مما استقر في الشريعة أن التكليف بالعبادة لازم للإنسان لا يمكن الانفكاك عنه، إذ هو غاية وجود الإنسان، فقد قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ (القيامة:٣٦). قال الشافعي رحمه الله: «مهملا لا يؤمر ولا ينهى» (١)، ولو ترك الإنسان بلا تكليف لكان خلقه عبثا، يستوي في خلقه بالدواب التي سخرت له، وهو أمر لا يقع أبدا، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ (المؤمنون:١١٥). قال القرطبي: «مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب عليها» (٢).

والتكليف اللازم للإنسان قد يقع أحيانا بما يشق فعله، لكنه لا يكون أبدا بما لا يطاق البتة، قال ابن القيم: «لم يثبت بحمد الله تعالى أمر اتفق المسلمون على أنه لا يطاق، وقالوا: إنه يكلف به العبد. ولا اتفق المسلمون على فعل كلف به العبد، وأطلقوا القول عليه بأنه لا يطاق» (٣). وأوامر الله تعالى ونواهيه منها ما يقع العمل به على البدن، ومنها ما يكون في المال، وبعضها في النفس، وربما اجتمع البدن والمال والنفس في عبادة من العبادات، والتكليف عموما وإن كان في بعضه مشقة؛ إلا أن مشقته مما يعود على المكلفين في الآجل أو العاجل، فإما تتهذب به نفوسهم، وإما تتطهر قلوبهم، وإما يحوزون شرف الاستقامة على الأمر والنهي الإلهي.

العبادات وطول العهد

يعتري الملل النفوس أحيانا بممارسة العبادات التي تطول، وتصبح في حاجة لما يجدد نشاطها، فإن طول العهد ربما أورث مللا في النفس، والنفس لا تلام فيما يعتريها من ملل، فهذه طبيعتها التي لا تنفك عنها، قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة. فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى أن يطول عليك الزمان وأن تمل» (٤). وقال علي بن أبي طالب: أجموا (٥) هذه القلوب، فإنها تمل، كما تمل الأبدان (٦). فالملل طبيعة في البشر، حذر الراسخون أن يدخله المعلمون على مريديهم، قال ابن عباس لعكرمة: «لا تمل الناس هذا القرآن» (البخاري: ٥٩٧٨). وليس يلام المرء في حصول الملل له، إنما يكون الذم حين يورث الملل جفاء أو يولد فتورا أو انقطاعا، ومن أجل هذا تنوعت العبادات، وتنوعت أحكام العبادة الواحدة بين الفرضية أحيانا والحرمة أخرى.

العيد والتجديد

الصيام والحج عبادات تطول فيهما الشعائر، وتقبل النفوس عادة فيهما على

العبادة، واهتبال الوقت وعدم تضييعه، ولاشك أن طول العبادة أو تزاحم شعائرها كما في الحج؛ يحوج النفس إلى بعض الراحة، ولقد جعل الله العيد بعد الصيام والحج، بسطة منه على عباده الصائمين والطائفين، وجعلت الشريعة الصوم في العيدين وفي أيام التشريق محرما، وجاء البيان النبوي أن أيام العيد والتشريق أيام توسعة وبسطة في العيش، ففي الصحيح: «أيام التشريق أيام أكل وشرب» (مسلم:١١٤١). كما شرع فيه التبسط بأنواع المباحات التي لا تكون في غيرهما، كالغناء المشروع بضوابط الشرع.

فالنفس دائما تريد التنقل مما ألفت، خاصة مما كلفت به وصار فرضا عليها، وفي الاستجمام بالمشروع عون لها على مواصلة السير في طريق العبادة، قال أبوالدرداء: إني أستجم ببعض الباطل، ليكون أنشط لي في الحق (٧). والباطل الذي يعنيه كالشعر، وفي الحديث أيضا: «يا حنظلة ساعة وساعة» ثلاث مرات (مسلم: ٧١٤٢).

العيد وجموع المكبرين

قد أمر الله تعالى المؤمنين بالتكبير فقال: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ (المدثر:٣) وقال: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء:١١١). وقال أيضا: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ (البقرة:٢٠٣). قال عكرمة: يعني التكبير أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات (٨). والتكبير شعيرة جعلها الله تعالى ختاما لمن مَنّ عليهم بنعمة الصوم فقال: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة:١٨٥). وجعلها ترتبط بشعيرة الأضحية التي تعد أعظم ما يتقرب به المتقربون في يوم العيد، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ (الحج:٣٧).

وقد ارتبط العيد ويومه بالتكبير ارتباطا وثيقا، وما يسمع المسلمون تكبيرا يجتمعون عليه بصوت يملأ الآفاق على مر عصورهم أكثر مما يسمعون في الأعياد التي شرعها الله لهم. اللهم إلا أن يكون فتحا لمدينة عظيمة، أو إزالة لعدوان محتل، فإن التكبير هو عون العبد لبلوغ النصر، إذ فيه ابتهال إلى الله بعظمته، وانكسار بالذل بين يديه تعالى، قال شيخ الإسلام: «التكبير مشروع في المواضع الكبار لكثرة الجمع أو لعظمة الفعل أو لقوة الحال أو نحو ذلك من الأمور الكبيرة، ليبين أن الله أكبر وتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء تلك الأمور الكبار، فيكون الدين كله لله، ويكون العباد له مكبرون، فيحصل لهم مقصودان: مقصود العبادة، بتكبير قلوبهم لله، ومقصود الاستعانة، بانقياد سائر المطالب لكبريائه؛ ولهذا شرع التكبير على الهداية والرزق والنصر؛ لأن هذه الثلاث أكبر ما يطلبه العبد، وهي جماع مصالحه» (٩).

الهداية والتوحيد

ليس التكبير خاصا بالأمور العظيمة التي تلهب الخواطر، أو الأهوال العظيمة التي تحيق بالمرء، وإن بوب البخاري في صحيحه بأن التكبير للتعجب فقال: «باب التكبير والتسبيح عند التعجب» (صحيح البخاري: ٨/٦٠). ، فليس المراد التخصيص به، بل تأكده فقط في هذا الموطن، فالتكبير حال يقصد منه أن يكون الله في نفس المكبر أعظم من كل ما سواه، قال شيخ الإسلام: «التكبير مشروع عند كل أمر كبير من مكان وزمان وحال ورجال، فتبين أن الله أكبر لتستولي كبرياؤه في القلوب على كبرياء ما سواه، ويكون له الشرف على كل شرف» (١٠). والتكبير مأخوذ من اسم الله الكبير، فالله تعالى هو الكبير المتعال، وهو واهب النعم، أمر عباده بتكبيره فيما أنعم عليهم، وكلما عظمت النعم استوجبت المزيد من التكبير، ومن أعظم نعم الله على عباده الموحدين أن هداهم لتوحيده ومعرفة أنه فرد صمد، لم يكن له والدة ولم يتخذ ولدا، ولم يشركه في ملكه أحد قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ فلما كان هذا من أجل النعم وصله بقوله سبحانه: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء:١١١). والتكبير فعله ﷺ حين يستبشر بحصول النعم والنصر، فحين دخل خيبر قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (متفق عليه، البخاري: ٣٦٤، ومسلم: ١٣٦٥). وحين اعترضت صخرة بالخندق سلمان رضي الله عنه، وجاء النبي آخذا المعول فضربها إذ بالبشارة التي قال فيها النبي ﷺ: «الله أكبر قصور الشام ورب الكعبة، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال: الله أكبر، قصور فارس ورب الكعبة» (١١).

لقد شرع التكبير في مواضع كثيرة من العبادات، كالأذان والإقامة والصلاة بأنواعها، الراتبة والجنازة، والسعي واستلام الحجر، والعيدين... وشرع التكبير في الهبوط وترقي المنازل، وعند حصول الفتح وهبوب الريح، ومواطنه كثيرة، وهو مأمور به في الذكر الراتب، ثم صار ملازما للأعياد مزينا لها، ليجمع المكبر بين الشعور بالنعمة العظيمة، والانكسار بين يدي واهبها سبحانه وتعالى.

الهوامش

١- بدائع الفوائد، لابن القيم (٩٧٢/٤).
٢- تفسير القرطبي (١٥٦/١٢).
٣- بدائع الفوائد (٩٨١/٤).
٤- ابن ماجه، برقم (١٣٤٦) وصححه الألباني.
٥- أي: أريحوها. لسان العرب، مادة «جمم».
٦- شرح السنة، للبغوي (١٨٤/١٣).
٧- شرح السنة، للبغوي (١٨٤/١٣).
٨- تفسير ابن كثير، دار طيبة (٥٦٠/١).
٩- مجموع الفتاوى (٢٣٠/٢٤).
١٠- مجموع الفتاوى، مرجع سابق، نفس الموضع.
١١- البداية والنهاية (١١٥/٤).

التحرير

المسجد الأقصى.. تاريخ من الانتهاكات

المسجد الأقصى هو ثاني مسجد بني على الأرض، وقد عاش في أكنافه معظم الأنبياء والمرسلين، وعلى رأسهم الخليل إبراهيم عليه السلام، كما عاش فيه إسحاق ويعقوب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان.. وأسري بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليهم أجمعين وسلم.. وإليه وإلى أكنافه كان إنزال معظم الرسالات السماوية.

وقد كان قبلة المسلمين الأولى لما يقرب من سبعة عشر شهرا، وإليه تشد الرحال، والصلاة فيه بخمس مئة صلاة في غيره من المساجد إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

وقد تعرض المسجد الأقصى منذ احتلاله في العاشر من يونيو عام ١٩٦٧م لسلسلة طويلة من الانتهاكات، وكان آخر هذه الانتهاكات إغلاق المسجد، ومنع الصلاة فيه يومي الجمعة والسبت ١٤ و١٥ يوليو ٢٠١٧م.

ويستعرض هذا التقرير أهم هذه الانتهاكات وفق ما ورد في تقارير صحافية وحقوقية وثقتها مؤسسة القدس الدولية.

- عقب احتلال القدس ومن ضمنها المسجد الأقصى عام ١٩٦٧م، استولت سلطات الاحتلال على مفاتيح باب المغاربة، وهو أحد الأبواب العشرة المفتوحة في المسجد، ويخصص هذا الباب اليوم لدخول السياح إلى المسجد الأقصى وكذلك لاقتحامات المستوطنين له.
- وفي ٢١ أغسطس ١٩٦٩م، قام الصهيوني الأسترالي دينس روهن بإشعال النيران في الجامع القبلي أحد مصليات المسجد الأقصى، وأتى الحريق حينها على منبر صلاح الدين الأيوبي، ومحراب زكريا، ومسجد عمر، وتضررت ثلاث من أروقة الجامع وسقف الجهة الشرقية.
- وشهد المسجد الأقصى خلال الثمانينيات محاولات عديدة من مجموعات استيطانية لتنفيذ مجازر فيه أو تفجير قبة الصخرة.
- وفي ١٩٨٢م حاولت إحدى المجموعات السرية اليهودية تفجير مصلى قبة الصخرة، ولكن هذه الخطة أفشلت بسبب اكتشاف المتفجرات قبل انفجارها، وفي العام نفسه نجح أحد المتطرفين اليهود في اقتحام مصلى قبة الصخرة، وأطلق النار على الموجودين، فقتل فلسطينيين اثنين.
- وفي ١٩٨٤م أعلن عن كشف خلية سرية كانت تخطط لقصف المسجد الأقصى من الجو.
- وشهدت فترة التسعينيات تصعيدا آخر ضد الوجود العربي والإسلامي في الأقصى، ففي أكتوبر ١٩٩٠م أعلن المستوطنون عن نيتهم وضع حجر الأساس لبناء الهيكل الثالث داخل المسجد، وتصدى لهم الفلسطينيون وفتحت الشرطة نيرانها بكثافة، فقتلت حينها ٢١ فلسطينيا، وعرفت هذه الجريمة بـ «مذبحة الأقصى الأولى».
- أما مذبحة الأقصى الثانية فقد اندلعت في ٢٥ سبتمبر ١٩٩٦م عندما أعلن عن فتح نفق في محيط المسجد الأقصى، وقد اندلعت على إثر ذلك

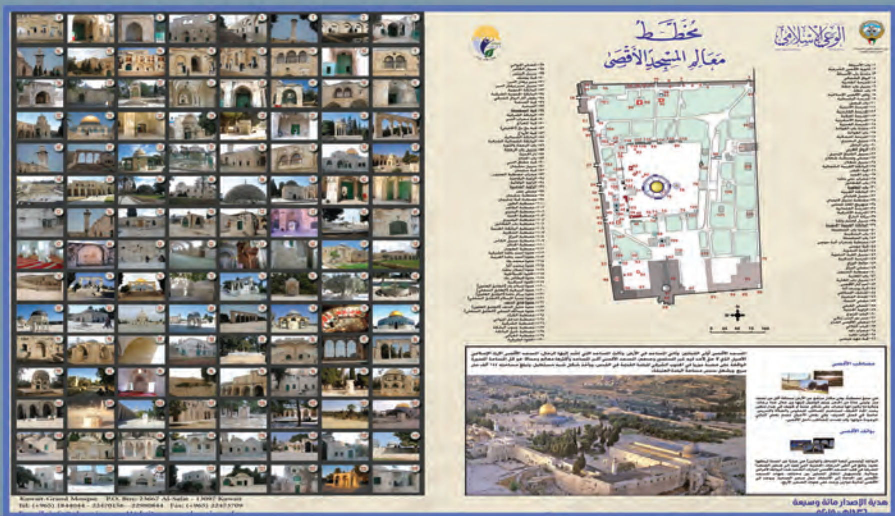

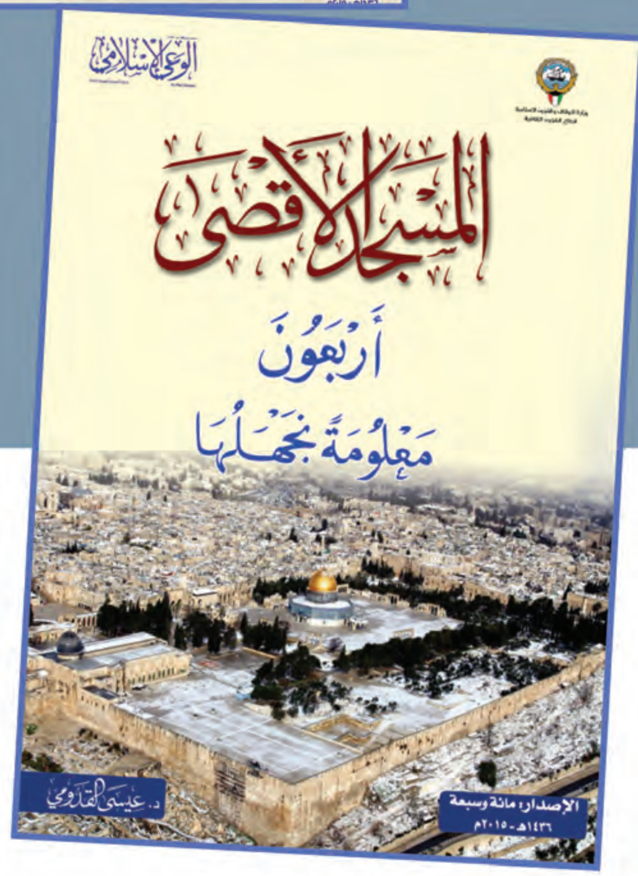

«هبة النفق» وقتل فيها ٦٣ فلسطينيا.

● أما في عام ٢٠٠٠م فقد اندلعت شرارة الانتفاضة الفلسطينية الثانية من قلب المسجد الأقصى، عندما اقتحمه أرئيل شارون.

● وافتتح في العام ٢٠١٠م «كنيس الخراب»، وهو أكبر كنيس في البلدة القديمة، ولا يبعد سوى أمتار قليلة عن المسجد.

● ويعتبر عام ٢٠١٥م منعطفا خطيرا آخر فيما يتعلق بالاعتداء على المسجد الأقصى، باعتباره العام الذي شهد أشرس محاولة صهيونية لفرض مخطط التقسيم الزماني والمكاني على المسجد.

● واستمرت اقتحامات المستوطنين للمسجد الأقصى منذ عام ١٩٦٧م، ولكنها شهدت تصعيدا غير مسبوق في ٢٠١٦م، إذ وصل عدد المستوطنين الذين اقتحموا المسجد الأقصى ما يقارب ١٤ ألف مستوطن؛ بزيادة تقرب من ١٥٠٪ عن عام ٢٠٠٩م.

● ووصل عدد الحفريات في محيط الأقصى إلى ٦٣ حفرية موزعة على الجهات الأربع في محيط المسجد.

● وأخيرا، وفي سابقة هي الأولى من نوعها، أغلق المسجد، ومنعت الصلاة فيه يومي الجمعة والسبت ١٤ و١٥ يوليو ٢٠١٧م، بذريعة وقوع عملية إطلاق نار، نفذها ثلاثة فلسطينيين، وأسفرت عن مقتلهم ومقتل جنديين من قوات الاحتلال الصهيوني.

وأعقب ذلك قرار بتركيب بوابات فحص إلكترونية على مداخل المسجد، في محاولة لفرض خطوة جديدة لتهويد المسجد الأقصى، لكن القيادات الدينية في المدينة رفضتها، ودعت المواطنين إلى عدم المرور عبرها، وأداء الصلوات في الشوارع المحيطة بالمسجد لحين إزالتها.

وبالفعل رضخت قوات الاحتلال لمطالب الحشود التي تداعت للدفاع عن حرمة المسجد الأقصى ومنع تهويده وأزالت البوابات الالكترونية من مداخله، ولكن هذا لا يعني الاطمئنان لتصرفات قوات الاحتلال فهي لا تذعن إلا بالضغط وحين يخف تعاود ممارستها القبيحة.

غادة حلايقة
باحثة دراسات إسلامية
الأردن

صلاح الدين الأيوبي

فخر للعرب والمسلمين

القائد صلاح الدين هو الملك الناصر أبوالمظفر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني التكريتي، مؤسس الدولة الأيوبية، من أعظم قادة وفرسان المسلمين من أصول كردية.

ولد في مدينة تكريت عام (٥٣٢هـ-١١٣٨م)، غادر والده في ليلة ميلاده قلعة تكريت التي كان واليا عليها.

كان صلاح الدين رحمه الله مسلما، واشتهر صلاح الدين بمعاملته الإنسانية وتسامحه حتى مع أعدائه، وقد حظي باحترام عظيم قل نظيره في العالمين الشرقي والمسيحي الأوروبي، وقد كتب المؤرخون الأوروبيون كثيرا عن بسالة وشجاعة الملك الناصر، ووقفوا طويلا أمام موقفه في حصار قلعة الكرك التي حظي بعدها صلاح الدين باحترام وتقدير حتى من ألد خصومه، كملك إنجلترا (قلب الأسد) ريتشارد الأول؛ حيث أصبح صلاح الدين بعدها رمزا من رموز الشجاعة والفروسية، يرد ذكره في العديد من الروايات والكتب الإنجليزية.

ميلاده ونشأته

يعود الأيوبيون في نسبهم إلى «أيوب ابن شاذي بن مروان» من مدينة دوين من أرمينيا، علما أن بعضهم ينازع في هذا الرأي ويرى إنهم عرب. نزل الأيوبيون عند الأكراد وتزوجوا منهم، واختلفوا في أصول نسبهم؛ فمنهم من قال إنهم يعودون إلى بني أمية في النسب، وقال البعض الآخر إن أصولهم تعود إلى بطون غطفان.

في نفس الليلة التي ولد فيها صلاح الدين من عام خمس مئة واثنين وثلاثين للهجرة في العراق، غادر أبوه قلعة تكريت متوجها إلى بعلبك التي أصبح واليا عليها لمدة سبعة أعوام، ثم غادرها وانتقل إلى مدينة دمشق حيث قضى صلاح الدين طفولته وفترة شبابه، وتحديدا في بلاط الملك نور الدين زنكي أمير دمشق، وكانت لدمشق مكانة كبيرة في قلب صلاح الدين، حيث نشأ وكبر وتلقى جميع علومه وبرع فيها، وخاصة الرياضيات، والهندسة الإقليدية وعلوم الشريعة الإسلامية، وكان شغوفا بالعلوم العسكرية وعلوم الفقه خلال فترة دراسته، وكان لديه إلمام بعلم الأنساب وتاريخ العرب والسير الذاتية والشعر، حتى إنه حفظ ديوان أبي تمام (الحماسة) عن ظهر قلب، وكان مولعا بالخيول المطهمة؛ حيث اقتنى أنقى السلالات دما.

سطوع نجمه

بعد تفكك الدولة العباسية وتحولها

إلى عدد من الدويلات الصغيرة، كان الفاطميون يحكمون مصر في تلك الفترة وتحديدا في أواسط القرن الثاني عشر للميلاد، وكان الصليبيون قد فرضوا سيطرتهم على الشاطئ الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من شبه جزيرة سيناء وصولا إلى آسيا الصغرى، أما الأتابكة فكانوا يسيطرون على الداخل السوري وشمال العراق.

في تلك الفترة بزغ نجم صلاح الدين الأيوبي في ساحات المعارك والقيادة العسكرية للجيوش، وخاصة في المعركة التي جرت في صحراء الجيزة ضد الصليبيين والتي أبلى فيها صلاح الدين بلاء حسنا، وتمكن من أسر صاحب قيسارية وهو أحد القادة الصليبيين.

بعد وفاة أسد الدين شيركوه أسندت الوزارة في مصر إلى صلاح الدين الأيوبي، لكنه وبعد فترة زمنية قصيرة لم تتجاوز البضعة أشهر من توليه الوزارة، تعرض لمحاولة اغتيال من قبل بعض الأمراء الفاطميين بالتعاون مع عدد من الجنود، وكان المدبر لهذه العملية هو الخليفة الفاطمي المؤتمن، حيث كان يتطلع إلى تولي الحكم في قصر العاضد لدين الله، لكن تم القبض عليه وإعدامه.

تم تدبير مؤامرة أخرى للإطاحة بصلاح الدين واغتياله عن طريق شحن نفوس خمسين ألفا من الجنود بالكره والحقد، وأدى هذا الأمر إلى ثورتهم على صلاح الدين لكنه تمكن من قمعهم والتغلب عليهم، وكانت تلك هي المحاولة الأخيرة للإطاحة بصلاح الدين.

كانت نهاية الدولة الفاطمية في مصر، وأصبح بعد ذلك صلاح الدين هو الحاكم الفعلي صاحب القرار والكلمة الأولى في مصر، وهكذا كان زوال الدولة الفاطمية بعد فترة حكم امتدت لأكثر من قرنين ونصف من الزمان.

بعد وفاة نور الدين زنكي، تزايد خوف صلاح الدين من تهديدات الصليبيين وامتدادهم في البلاد، خاصة بعد أن خلف زنكيَّ ابنُه على الحكم وكان لا يتجاوز من العمر أحد عشر عاما، فاختلفت الأحوال في الشام نتيجة لهذا، مما اضطر صلاح الدين إلى التوجه وفتح دمشق، واستتاب أخاه سيف الإسلام طغتكين على دمشق قبل انطلاقه في سبيل ضم باقي مدن الشام، وبعدها انطلق لمواجهة الامتداد الصليبي في بلاد الشرق والذي تكلل بالنجاح وتم تطهير تلك الأراضي من الصليبيين، وتوجت تلك الفتوحات بتحرير بيت المقدس من بين أيديهم.

وفاته

أصيب صلاح الدين في العشرين من شباط من عام ألف ومئة وثلاث وتسعين بالحمى الصفراوية، والتي أدت إلى إصابته بالأرق الذي منعه من النوم ليلا إلا للحظات قصيرة، فأخذ المرض يشتد عليه حتى إن طبيبه الخاص قد قال بعد أن رأى تدهور حالته الصحية بأن أجل السلطان قد أصبح قاب قوسين أو أدنى.

توفي صلاح الدين يوم الرابع من آذار من العام نفسه، وكان يبلغ من العمر خمسة وخمسين عاما، وقد فجع خبر موته البلاد وبكاه المسلمون، حتى إن أعداءه أسفوا لخبر وفاته لما كان يتحلى به من صفات البطولة والصدق والوفاء في شتى أمور حياته ومعاملاته مع الآخرين.

دفن صلاح الدين في دمشق وتحديدا في المدرسة العزيزية الواقعة إلى القرب من المسجد الأموي إلى جوار نور الدين زنكي، وقد قيل إنه عند فتح خزانته الشخصية لم يعثر فيها على ما يكفي من المال لتغطية نفقات جنازته، لأنها ذهبت جميعها في الصدقات.

رضا أحمد خليل
باحثة دراسات إسلامية

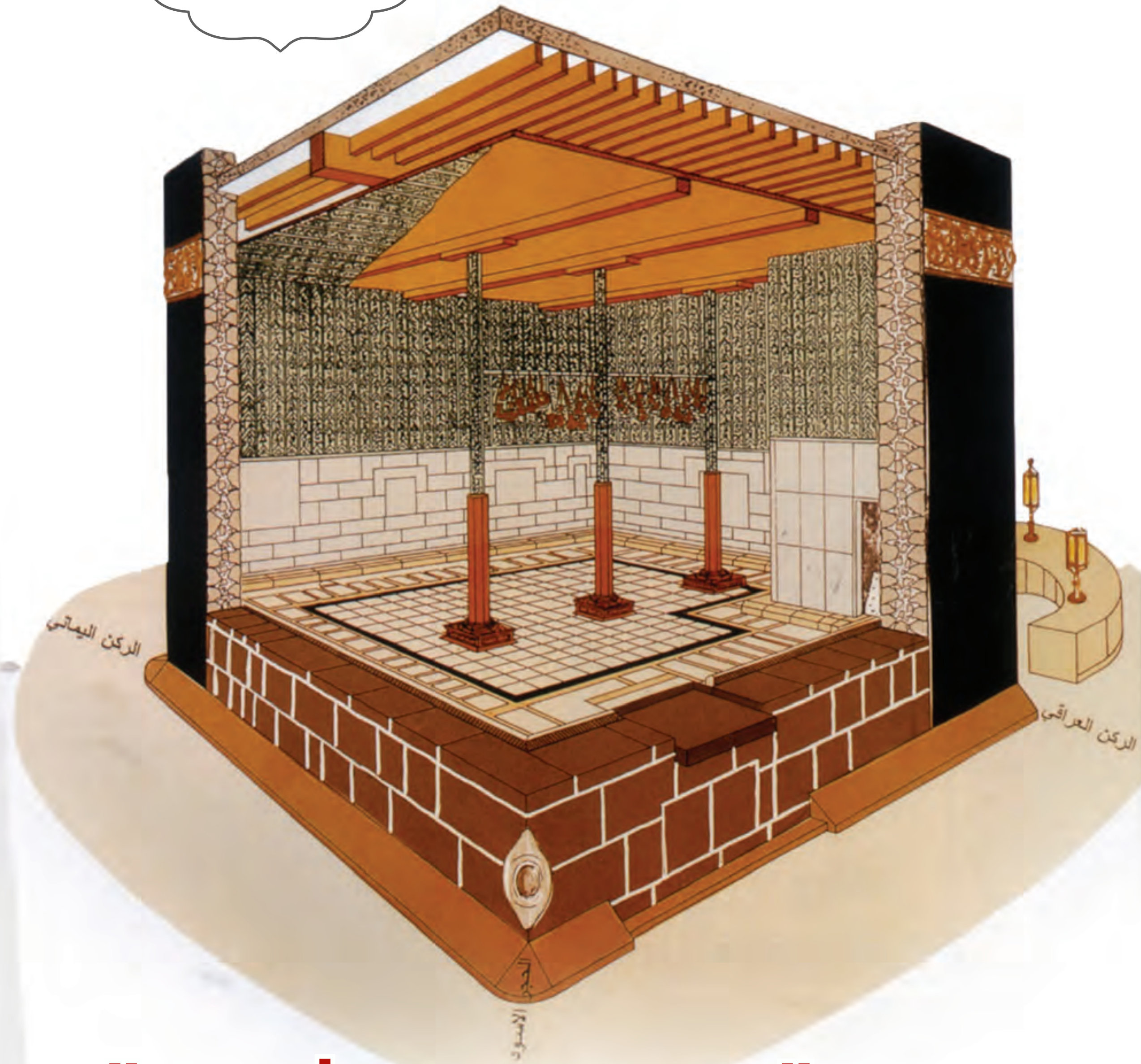

هندسة الكسوة الشريفة

يرتبط تاريخ المسلمين بكسوة الكعبة المشرفة، وصناعتها التي برع فيها أكبر فناني العالم الإسلامي ومبدعيه، وقد تسابقوا لهذا الشرف العظيم، والحكمة من كسوة الكعبة أن الأخيرة من شعائر الله التي أذن بتعظيمها، وقد قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢)، تلك الشعائر التي تعز الإسلام وأهله، وليس ذلك إحراما للكعبة، فإن الكعبة جماد لا تحرم ولا تؤدي نسكا، وإنما يكسوها المسلمون تعبدا لله عز وجل، وشكرا له على منّته أن جعلها قبلة يستقبلونها، وألّف بها بين قلوبهم على اختلاف الديار، وتنائي الأقطار، وما يفعل في موسم الحج من رفع كساء الكعبة المبطّن بالقماش الأبيض؛ إنما يفعل بهدف المحافظة والصيانة.

كسوة الكعبة لا ريب تتصل بعواطف ومشاعر الملايين، وهي إن كانت بدأت كتغطية لمبنى ارتبط بالله في الأرض، فإنها صارت آية من آيات الجمال وجزءا أصيلا من تاريخ العرب. لقد ارتبط البيت الحرام بأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم، وهو قبلة المسلمين، ولقد أخبرنا الله في كتابه الكريم أنه أول بيت وضع للناس: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٦)، ويحكي التاريخ أن أول من كسا البيت الحرام كسوة كاملة قد يكون إسماعيل عليه الصلاة والسلام، أو قد يكون تُبّع بن أبي كرب أسعد ملك حمير اليمنية

وذلك عام (٢٢٠) قبل الهجرة (حوالي ٤٠٠م)، أو قد يكون عدنان جد سيدنا محمد ﷺ.
والمقصود بالكسوة: تغطية بهدف الحماية، سواء كانت التغطية لجسم جماد، أو كائن حي. وهنا نقصد بالكسوة «الكسوة الشريفة» وهي قماش تمت حياكته بحجم بيت الله الحرام، تكسى به الكعبة كل عام؛ لحمايته من أيدي الزوار، وأيضا من العوامل الجوية التي تحيط به.
مع الفتوحات العربية تنوعت الكسوة بين اليمن، والعراق، ومصر، والشام، واستقرت الآن بالسعودية، لكن الفترة الكبيرة في تجهيز كسوة الحرم كانت في مصر.
فقد بدأت كسوة الكعبة بعد فتح مكة من أيام الرسول ﷺ من بيت مال المسلمين، وذلك إبان حجة الوداع، وكانت من النسيج اليمني، أما في عهد الخلفاء الراشدين فقد كساها سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه، بأثواب بيضاء رقيقة كانت تصنع في مصر بمدينة الفيوم، وفي عهد الأمويين كسا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الكعبة بكسوتين من دمشق، كسوة في يوم عاشوراء، وكسوة في آخر شهر رمضان، وحينما جاء الخليفة المأمون كساها ثلاث مرات؛ في العام الأول من «القباطي المصرية» أول شهر رجب، والثانية، من «الديباج الأبيض» في عيد الفطر، ثم من «الديباج الأحمر» في يوم التروية.
كان لليمن قديما دورها البارز في صناعة المنسوجات، فقد أنشأ ملوك اليمن دُورا للنسيج في العديد من المدن والقرى اليمنية، حيث اختصت بعضها بإنتاج أنواع معينة صارت من أهم منتجاتها، والتصق اسمها باسم المدينة التي تنتجها، وكانت هذه المناسج تقوم بنسج الأقمشة الخاصة بالخليفة وحاشيته، بالإضافة إلى ما تحتاج إليه الدولة من خلع، وأعلام، وأقمشة للهدايا، وكسوة للكعبة؛ حيث اختصت (سَحول) بإنتاج البرود الموشاة، و(شرعب) بإنتاج البرود الشرعبية، فضلا عن (يريم)، و(وصاب)، اللتين كانتا تنتجان البز اليريمي والوصابي.
ذكر التقي الفاسي في «شفاء الغرام» أنه كسا الكعبة حسين الأفطس العلوي كسوتين من قز رقيق، إحداهما صفراء، والأخرى بيضاء. أمر بعملهما أبو السرايا، صُنعا في مدينة الكوفة بالعراق، مكتوب عليهما: «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار أمر أبو السرايا الأصفر بن الأصفر داعية آل محمد ﷺ بعمل هذه الكسوة لبيت الله الحرام».
وفي العصر الحديث أمر الشريف الحسين بصنع كسوة الكعبة من «القيلان» حيث نسجت في العراق سنة (١٣٤٢هـ).
اشتهرت مدينة خراسان بالديباج، وقد كسيت الكعبة بالديباج الخراساني لمرات، وذكرت ذلك العديد من المراجع، ومن المعروف شهرة بلاد فارس في المنسوجات.
يحكي التاريخ أن يزيد بن معاوية أمر بكسوة الكعبة بالديباج الخراساني، فلما كان ابن الزبير، اتبع أثره، فكان يبعث إلى مصعب بن الزبير بالكسوة كل سنة، فكانت تكسى يوم عاشوراء. وهذه الرواية تدل على أن يزيد بن معاوية، وعبدالله بن الزبير كانا يكسوان الكعبة بالديباج المصنوع في خراسان.
وقد فاقت شهرة المنسوجات المصرية الأزمان لتعيش طوال العهد الروماني، والإسلامي في المقدمة، وكان أشهرها على الإطلاق منسوجات الكتان، والتي تصنع بطريقة القباطي. ويذكر أنه كان ضمن هدايا المقوقس حاكم مصر لسيدنا محمد ﷺ قطع من المنسوجات المصرية، فعرفها الخلفاء من بعده واهتموا بإحضار الكسوة من مصر، لتستمر وتتطور مع العصر الحديث، باستثناء بعض الفترات التي تأثرت بظروف الحرب في المنطقة، وكان الحرير التنيسي المصنوع في مصر - تنيس بلدة في الدلتا المصرية، موقع مدينة بورسعيد الآن - أو حرير شطا، وتونة - قرب محافظة دمياط بدلتا مصر - أشهر ما تم جلبه من تلك المنتجات النسيجية المصرية إبان العهد الإسلامي.
كانت كسوة الكعبة السعودية عام (١٣٤٥هـ) من الجوخ الأسود الفاخر مبطنة بالقلع القوي، وحزام مطرز بآلة التطريز وكتبت الآيات عليه بالقصب الفضي المموه بالذهب مع ستارة الباب «البرقع»، وتلك أول كسوة سعودية على الإطلاق.
ارتبط تشكيل الكسوة ببناء الكعبة الهندسي، وهو بناء مر بمراحل عديدة، ويعتمد تشكيل الكسوة هندسيا على المقاسات الحقيقية للجسم المغطى، وهو أيضا يرتبط بالعديد من العوامل المرتبطة بتجميع المنتج النسيجي.
عند شرح مراحل تصنيع الكسوة، نجد أنه بالنسبة لخامة الكسوة كان قماشها من الحرير الإيطالي الطبيعي، وخيوطه تسمى «سرسين»، والذي يعد أفخر أنواع الحرير، ثم تجري صباغتها، وتعد الصباغة من المراحل الهامة في المنسوجات؛ لأهمية تجريب اللون واختباره، فعوامل التعرية والطقس تؤثر على اللون، واللون الأسود يعتبر الأكثر مقاومة لعوامل الطبيعة الموجودة في محيط الحرم، ثم يأتي من بعدُ الطباعة فكانت الطريقة القديمة التي تستعمل هي نثر البودرة والجير بفردها على الثقوب المفتوحة التي تحدد الكتابات، فتمر من خلال ذلك، ويتم طبعها ومن ثم تحديدها بالطباشير على القماش ليتم بعدها التطريز.
ويتم تطريز كسوة الكعبة بالأسلاك

الفضية والذهبية، بوضع الخيوط القطنية بكثافات مختلفة فوق الخطوط والزخارف. كما يطرز الحزام بتطريز بارز مغطى بسلك فضي مطلي بالذهب، ويحيط الحزام بالكسوة كلها ويبلغ طوله (٤٧ مترا)، كما يوجد تحت الحزام على الأركان سورة الإخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من الزخارف الإسلامية، وعلى الارتفاع نفسه وتحت الحزام أيضا، توجد (٦) آيات من القرآن الكريم، يفصل بينها شكل قنديل كتب عليه «يا حي يا قيوم» أو «يا رحمن يا رحيم» أو «الحمد لله رب العالمين»، أما ما تحت الحزام، فمكتوب جميعه بخط الثلث المركب، ومطرز تطريزا بارزا، ومغطى بأسلاك الفضة المطلية بالذهب.

في الخياطة والتجميع: تم إنتاج قماش الكسوة من مكنة الجاكارد على هيئة قطع كبيرة - طاقة - كل قطعة بعرض (١٠ سم) وبطول (١٤ مترا)، (١٥ تكرارا)، ثم يتم تفصيل كل جنب من جوانب الكعبة على حدة حسب عرض الجنب، وذلك بتوصيل القطع بعضها مع بعض مع المحافظة على التصميم الموجود عليها، ثم تبطن بقماش القطن (القلع المركب)، وعند التوصيلات تتم خياطتها بمكائن الخياطة الآلية، وبها مكنة تمتاز بكبر حجمها في الطول إذ تبلغ حوالي (١٦ مترا) وبطاولة خياطة (١٤مترا).

وأما في القياسات: فيبلغ ارتفاع الكسوة (١٤مترا)، ويوجد في الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض (٩٥سم) كتبت عليه آيات قرآنية مختلفة.

وفي وزن الحرير: يزن الحرير نحو (٦٧٠كج) من الحرير الطبيعي.

وبالنسبة لوزن الذهب والفضة: يزن سلك الذهب والفضة حوالي (١٥٠كج).

هذا وتتكون الكسوة من خمس قطع تغطي كل واحدة منها وجها من أوجه الكعبة، والقطعة الخامسة هي الستارة التي توضع على الباب.

أما ستارة باب الكعبة، فإنها يطلق عليها «البرقع»، وتلك مصنوعة من نفس قماش الحرير الأسود، وارتفاعها ستة أمتار ونصف، وعرضها ثلاثة أمتار ونصف، ومكتوب عليها آيات قرآنية وزخارف إسلامية، وقد استحدثت الستارة المنقوشة التي توضع على واجهة باب الكعبة، وهي المسماة «البرقع» في عام (٨١٠هـ)، ثم انقطعت مابين سنتي (٨١٦هـ) و (٨١٨هـ)، واستؤنفت عام (٨١٩هـ) وحتى الآن.

وأما الكتابة على الكسوة: فقد بدأت منذ العصر العباسي، ويعتبر شريط الطراز وثيقة تاريخية. وكان شريط الطراز يبدأ بالبسملة، أو الدعاء، أو بهما معا، ثم ذكر اسم الخليفة وولي عهده، أو وزيره، ثم تاريخ الصناعة، ثم اسم مركز الصناعة، وأحيانا اسم ناظر الطراز، أو الذي قام بالصناعة، أو التطريز، وفي الكسوة كتبت العبارات التالية: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» «سبحان الله وبحمده» «سبحان الله العظيم» «يا حنان يا منان» «يا الله»، وتكرر هذه العبارات على قطع قماش الكسوة جميعها، وتنفذ بخط الثلث المركب، أومطرزة حروفها بأسلاك الفضة المطلية بالذهب، والآيات القرآنية المكتوبة على الكسوة السعودية هي نفسها الآيات القرآنية التي كانت تكتب على الكسوة المصرية في جميع الجهات مع تعديل بسيط بالزيادة أو النقصان، واستحداث بعض القطع المكتوبة ووضعها تحت قطع الحزام في الجهات الأربع.

تستبدل الكعبة كسوتها مرة واحدة كل عام وذلك أثناء فريضة الحج وبعد أن يتوجه الحجاج إلى صعيد عرفة، يتوافد أهل مكة إلى المسجد الحرام للطواف، والصلاة، ومتابعة تولي سدنة البيت الحرام تغيير كسوة الكعبة المشرفة القديمة استعدادا لاستقبال الحجاج في صباح اليوم التالي الذي يوافق عيد الأضحى. وقبل هذا الوقت وفي منتصف شهر ذي القعدة تقريبا يتسلم كبير السدنة في حفل سنوي الثوب الجديد من الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بقاعة المناسبات الرئيسية في مصنع كسوة الكعبة المشرفة بضاحية أم الجود بمكة، وبعد إحضار الثوب الجديد تبدأ عقب صلاة العصر مراسم تغيير الكسوة حيث يقوم المشاركون في عملية استبدال الكسوة عبر سلم كهربائي بتثبيت قطع الثوب الجديد على واجهات الكعبة الأربعة على التوالي فوق الثوب القديم، وتثبت القطع في عرى معدنية خاصة (٤٧عروة) مثبتة في سطح الكعبة، ثم يتم فك حبال الثوب القديم ليقع تحت الثوب الجديد؛ لكراهية ترك واجهات الكعبة مكشوفة بلا ساتر. ويتولى الفنيون في مصنع الكسوة عملية تشبيك قطع الثوب ببعضها، إضافة إلى تثبيت قطع الحزام فوق الكسوة (١٦) قطعة جميع أطوالها نحو (٢٧ مترا) و (٦) قطع تحت الحزام، وقطعة مكتوب عليها عبارات تؤرخ إهداء خادم الحرمين الشريفين لثوب الكعبة وسنة الصنع، ومن ثم تثبت (٤) قطع صمدية «قل هو الله أحد الله الصمد» توضع على الأركان، و(١١) قطعة على شكل قناديل مكتوب عليها آيات قرآنية توضع بين أضلاع الكعبة الأربعة.

فيما يتم غسل الكعبة مرتين سنويا: الأولى في شهر شعبان، والثانية في شهر ذي الحجة، ويستخدم في غسلها ماء زمزم، ودهن العود، وماء الورد، ويتم غسل الأرضية والجدران الأربعة من الداخل بارتفاع متر ونصف المتر، ثم تجفف وتعطر بدهن العود الثمين.

د. آندي حجازي
كاتبة أردنية

فوائد وعبر من الحج

في كل عام يتجدد اللقاء السنوي بين المسلمين في لقاء عظيم مهيب، لقاء تكون فيه النفوس خاشعة والأرواح تتطلع إلى رحمة ربها، ترنو ببصرها نحو السماء، تقصد منزلة عالية، إنه اجتماع سنوي يخص أمة المسلمين فقط من شتى بقاع الأرض، لا يجاريه أي تجمع بشري على وجه المعمورة في سمو أهدافه، وتوحد غاياته، وروعة مشاهده، ودقة تنظيمه وخطواته، فمنذ أن حج رسول الله ﷺ وهذا المشهد الرهيب الجليل يتكرر كل عام، لون أبيض وقلوب بيضاء ونفوس لم تجتمع لأهداف دنيوية، بل علت وارتقت وسمت وتفرغت من أجل عبادة خالقها، من أجل رضا ربها، في رحلة إيمانية تهذب النفوس وترفع درجتها.

الحج مناسبة تحمل في طياتها معان عظيمة، فمن أراد السمو أو علو الهمة أو صفاء النية أو الوحدة والتعاون والتآلف والتعارف والاجتماع مع الآخر فإن الحج يتضمن كل تلك المعاني.

تذكر الآخرة

الحج يتضمن أفعالا حركية كثيرة وتنقلات بين المشاعر، وهنا يشعر الحاج برهبة المكان والزمان، ويشعر بالتفرغ للعبادة وأن وقته لله تعالى ويبدأ يشعر بالهدف من الحياة وأن الإنسان خلق للعبادة ويستشعر وهو يمر في تلك المشاعر والازدحام مشاهد الآخرة والوقوف للحساب بين يدي الله تعالى ويوم المحشر، فتفرغه في تلك الأيام المعدودات لطاعة الله يقربه من الله تعالى ومن تذكر الآخرة، وتلك من الأهداف السامية للحج؛ لأن مشاغل الإنسان في حياته الدنيا تأخذه بعيدا في أغلب الأحيان عن التفرغ للعبادة والطاعة لله الخالق.

روعة المساواة

ومن المعاني العظيمة في الحج التي يشعر بها الحاج هي المساواة، حيث يشعر أن الجميع مهما بلغ من الثراء قد تجرد من ملابسه الفخمة وارتدى ملابس بسيطة موحدة، فالكل سواسية، وهنا يلمع في ذهنه أنه كغيره من الناس إن كان فقيرا أو غنيا، فسيرتدي نفس الملابس وسوف يقوم بنفس الشعائر، فمهما كان حجه مميزا فإنه لابد وأن يبيت في منى في مكان ضيق متواضع وبين الكثير من الأشخاص فلا حج فردي، ولابد وأن يقف في عرفات كغيره ويجلس بها مخلصا لله بالدعاء كما يفعل الجميع، وأنه سيبيت بالمزدلفة كما يبيت الملايين، والتي لا أثاث فيها ولا نزهة بل هي تجرد كامل من مظاهر

الدنيا البراقة، وأنه سيطوف بالبيت ويسعى كما يسعى كل الحجاج، وسيذهب كما يذهب الجميع ليرمي الجمرات في رحلة تتطلب الصبر والثبات، وتعبر عن روح المساواة.

الصبر وضبط الانفعالات

إن من الدروس العظيمة التي يتعلمها المسلم في تلك الرحلة الفريدة الصبر في الحج، فإن السفر غالبا ما يسفر عن الأخلاق، وإن كنت تذهب في سفر من أجل التنزه والرفاهية فإنك ستختار أفضل الفنادق وأفضل المدن وستحاول أن تجعل رحلتك مريحة ممتعة قدر المستطاع وستحاول أن تحافظ على توازنك وأن تضبط انفعالاتك حتى لا يتعكر جو الرحلة والتي تحتاج إلى الصبر في بعض الأحيان والتعاون من الجميع، ولكن لابد من المنغصات أحيانا، وكذا الحال في رحلة الحج تحتاج إلى الصبر، ومعرفة أن هذه الرحلة لا تتضمن أجمل الفنادق ولا تتضمن الرفاهية ولن تجد من الخدمات مهما بلغت ما يروق لك؛ لأن الله تعالى أراد منها أن تكون رحلة إيمانية تقشفية ليس الهدف منها الاستجمام بل التذكر لغاية الحياة ومظاهر الآخرة.

فالحج رحلة تعلم الصبر الحقيقي، الصبر على أفعال الناس وما يصدر منها، والصبر على الزحام وكثرة الأعداد، والصبر على نقص الخدمات أو الطعام أحيانا، والصبر على النوم مع أعداد من الأشخاص الذين لا تربطك بهم صلة، والصبر على المرافقين لك ومطالبهم، والصبر على بعض السلوكات والانفعالات من الناس واعتراضاتهم، والصبر على أداء المناسك كما يجب وفي ترتيبها الزمني المحدد، فهي رحلة تعلم الصبر بكل معانيه وهو شرط لكون الحج مبرورا، قال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧)، ولكن إن

الحج ضبط للسان والقلب والجوارح

اجتاز الإنسان امتحان الصبر بنجاح فإنه سيشعر بأنه ملك الدنيا وأنه عاد كيوم ولدته أمه بلا ذنوب، فأصبح خفيفا محلقا في أجواء الروحانيات.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور» (رواه البخاري).

ضبط الجوارح

ومن المعاني الجليلة في الحج تعلم ضبط اللسان والقلب والجوارح عن كل ما يحرم، فلا رفث ولا فسوق ولا جدال، فالحج لا يتطلب مناقشات باهته لا فائدة منها، ولا يحتاج إلى الغيبة والنميمة فإنها تفسده كله وتجعل الحاج يعود كما ذهب، بل هو وقت للتفرغ لذكر الله والإكثار منه، فبدلا من قضاء الوقت بالغيبة، أو المجادلة أو التحدث في مواضيع لا فائدة منها، فإنه يشتغل بكثرة ذكر الله تعالى،

قال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ (البقرة:٢٠٣)، وهي أجمل اللحظات حينما تجلس متفرغا لذكر الله وطاعته وتجلس بين يدي الله لتذكره وتعبده.

التعاون وحل المشكلات

إن ضبط اللسان في الحج لا يعني عدم التحدث مع الآخرين، وإنما من الغايات الجليلة للحج أن يتلاقى المسلمون في الحج وأن يتعارفوا وأن يتبادلوا الآراء والأفكار والثقافات، والحج يعتبر فرصة كبيرة لتلاقي المسلمين وتبادل آرائهم وحل مشكلاتهم ووضع الخطط والاستراتيجيات، وانظر إلى خطبة الوداع التي خطبها رسول الله ﷺ، فإنها كانت مليئة بالوصايا والقواعد ووضع النقاط على الحروف في الكثير من القضايا التي تهم المسلمين ككيفية تعامل الرجل مع المرأة، وكحرمة دم المسلم، وحرمة الاعتداء على ماله، وأهمية التمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه والسنة النبوية، وهكذا فقد كان الحج وخطبة عرفات فرصة للتوصل إلى تلخيصات وأفكار تهم المسلمين وتضع الخطوط المستقيمة لهم للسير على هداها.

فالحج فرصة لتعاون المسلمين فيما بينهم؛ كأن يتفقوا معا على التبادل التجاري والتبادل الثقافي والتبادل الحضاري والفكري، فانظر كم دولة إسلامية في العالم، والمسلمون يأتون من كل تلك الدول، فكم ستكون فرصة كبيرة لهم للتعاون والتآلف والاتحاد فيما بينهم والاتفاق على التطوير والتحسين والعمل الجاد من أجل تطوير بلدانهم والاستفادة من خبراتهم المشتركة ومن تجاربهم ومن خيرات وثروات كل بلد من تلك البلاد الإسلامية.

الحجيج يتدربون على الصبر وقوة الإرادة

فالإسلام يعطي المسلمين فرصة كبيرة لا تعوض في كل عام من أجل الاجتماع في الحج والتعارف والتآلف وحل القضايا العالقة وتبادل المقترحات من أجل الحلول للمشكلات التي تعاني منها العديد من البلاد الإسلامية، ولكن المسلمين في العصر الحالي وللأسف لم يعودوا يكترثوا لهذه الفرصة السانحة لهم للتبادل الفكري والثقافي والعلمي والتجاري وللتعاون والاتحاد وحل المشكلات وإكمال دور بعضهم البعض، وقد قال تعالى: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ (الحج:٢٨)، فالله تعالى لم يمنع من بعض الفوائد الجانبية التي تكون على هامش الحج كالمنافع التجارية، كما تكون وُرش العمل على هامش المؤتمرات العلمية والثقافية.

فوائد صحية ونفسية

وللحج فوائد صحية ونفسية، فهو فرصة كبيرة للحركة والمشي والنشاط والحيوية، فالحركة والمشي لهما فوائد كبيرة على صحة الإنسان خاصة في زمن كثرة الانشغال وقلة الحركة، ومن الناحية النفسية يتدرب الحاج على الصبر وضبط الانفعالات وتهذيب النفس وقوة الإرادة لإتمام المطلوب، وبه برمجة عقلية لما هو مخطط له، وبه تدريب على تنظيم الوقت واستغلاله بما يفيد، وبناء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين والتي من الممكن أن تستمر فيما بعد الحج.

وبه تدريب على التأمل والتفكر والذي هو أحد أنواع العلاج النفسي، كما وأن به تصفية للذهن من هموم الحياة ومشاغلها، مع إشباع الحنين الفطري للبيت العتيق ولعبادة الخالق الواحد، وشحن النفس بالمشاعر الإيمانية والطاقة الإيجابية.

تذكر الأنبياء

في الحج تذكر لبعض مواقف من حياة الأنبياء، فحينما تصل مكة المكرمة وترى الكعبة فإنك تتذكر قصة سيدنا إبراهيم مع إسماعيل عليهما الصلاة والسلام في بناء الكعبة ورفع القواعد للبيت، وحينما تسعى بين الصفا والمروة تتذكر قصة السيدة هاجر مع رضيعها إسماعيل عليه الصلاة والسلام وتتذكر كيف أكرمها الله بصبرها ورضاها لما أراد الله وقدر وجعل كل من يأتي للعمرة أو الحج يسعى سبعة أشواط كما سعت ويتذكر تلك المرأة العظيمة المطيعة لله تعالى، وحينما تقف في عرفات لتسأل الله تعالى فإنك تتذكر رسول الله محمد ﷺ حينما أدى الحج مع المسلمين في حجة الوداع وخطب بهم خطبته العظيمة الشاملة، وحينما ترمي الجمرات فإنك تتذكر قصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبي الأنبياء مع إبليس حينما اعترض طريقه في طاعة الله تعالى وظهر له وحاول منعه من إجابة أمر الله تعالى، ولكن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام رماه بالجمرات ثلاث مرات سبع حصيات في كل مرة كان يعترضه.

وإن من الفوائد العظيمة للحج غفران الذنوب، وقد قال ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري)، وقال ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه البخاري) فالحج عبادة لا تجاريها عبادة في فضلها وثوابها ومتعها.

صلاح حسن رشيد
باحث دراسات إسلامية
القاهرة

حجة الإسلام الغزالي..
على عرفات!

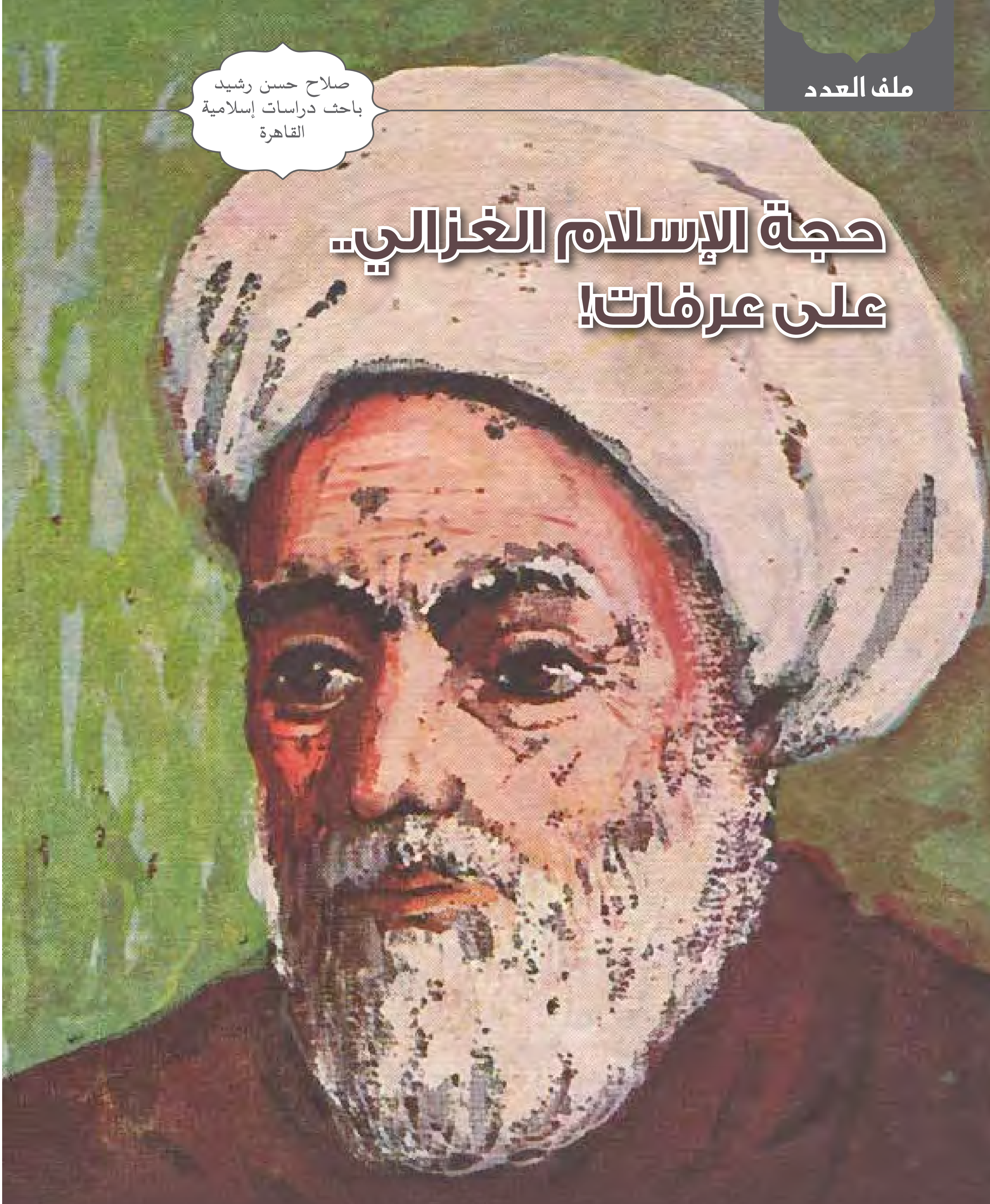

يتجلى إيمان المرء الحقيقي، ويتعاظم إحساسه الروحاني العميق، فيسمو فوق نفسه عندما يجد جبل عرفات أمام ناظريه، فلا يملك سوى البكاء الحار، والدعاء الخالص، والتزلف إلى مولاه العظيم، بمواجيده، وتقصيره، وشعوره بالنقص، والصغار! لكنه في حضرة الغفور الرحيم، غافر الذنب، وقابل التوب، فيغسل نفسه من جديد بالإقرار، والتضرع، والتذلل، رجاء كله أمل في العود نقيا كما وضعته أمه بلا آثام، ولا معاص!

وممن غسلوا أنفسهم فوق جبل الرحمة والرضوان الإمام أبوحامد الغزالي، فهفت روحه إلى بارئها العظيم، فجادت بأرق الدعاء، وأعذب الرجاء، وأحر البوح، وأخلص الاعتراف! ففي هذا الموقف الصعب لا يعرف المرء المداهنة، ولا المخاتلة، ولا التصنع، ولا الالتواء! بل الصدق شعاره، والحقيقة ديدنه!

يقول حجة الإسلام في كتابه «أسرار الحج»، وهو من تحقيق وتعليق موسى علي محمد، وصادر عن دار التراث العربي بالقاهرة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا، وفي لساني نورا. إلهي، ضجت إليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن لا تنساني في دار البلاء، إذا نسيني أهل الدنيا! اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق المعترف بذنبه! أسألك مسألة المساكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء من خضعت لك رقبته، وفاضت لك عبرته، وذل لك جسده، ورغم لك أنفه، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا، وكن رب رؤوفا رحيما يا خير المسؤولين، وأكرم المعطين».

ويمضي الغزالي في سرد كتاب ضعفه، وذله، فيقول مقرا بما اقترفه من الذنوب: «إلهي، من مدح لك نفسه، فإني لائم نفسي! إلهي أخرست المعاصي لساني، فما لي وسيلة من عمل! ولا شفيع سوى الأمل. إلهي، إني أعلم أن ذنوبي لم تبق لي عندك جاها، ولا للاعتذار وجها، ولكنك أكرم الأكرمين. إلهي، إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك أهل أن تبلغني، ورحمتك وسعت كل شيء، وأنا شيء! إلهي، إن ذنوبي، وإن كانت عظاما، ولكنها صغار في جنب عفوك، فاغفرها لي يا كريم. إلهي، أنت أنت، وأنا أنا.. أنا العواد إلى الذنوب، وأنت العواد إلى المغفرة. إلهي، إن كنت لا ترحم إلا أهل طاعتك، فإلى من يفزع المذنبون؟! إلهي، تجنبت عن طاعتك عمدا، وتوجهت إلى معصيتك قصدا، سبحانك ما أعظم حجتك علي، وأكرم عفوك عني، فبوجوب حجتك علي، وانقطاع حجتي عنك، وفقري إليك، وغناك عني، إلا غفرت لي، يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، أتوسل إليك، فاغفر لي جميع ذنوبي، واصرفني من موقفي هذا مقضي الحوائج، وهب لي ما سألت، وحقق رجائي فيما تمنيت. إلهي، دعوتك بالدعاء الذي علمتنيه، فلا تحرمني الرجاء الذي عرفتنيه».

وتنسكب على جبل الرحمات عبرات الغزالي ومواجعه، فيأخذ في الإلحاح على مولاه الكريم في طلب الصفح والغفران، فيقول بلسان المعترف بجرمه: «اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى، ونحن أضيافك، فاجعل قرانا منك الجنة. اللهم، إن لكل وفد جائزة، ولكل زائر كرامة، ولكل سائل عطية، ولكل راج ثوابا، ولكل ملتمس لما عندك جزاء، ولكل مسترحم عندك رحمة، ولكل راغب إليك زلفى، ولكل مسيء إليك عفوا، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام، ووقفنا بهذه المشاعر العظام، وشهدنا هذه المشاهد الكرام، رجاء لما عندك، فلا تخيب رجاءنا.. إلهنا، إنك قلت في كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ (الأنفال:٣٨) فأرضاك عنهم الإقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود! وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين، ولمحمد بالرسالة مخلصين، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإحراج! ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل في الإسلام. إلهنا، إنك أحببت التقرب إليك بعتق ما ملكت أيماننا، ونحن عبيدك، وأنت أولى بالتفضل، فاعتقنا، وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا، ونحن فقراؤك، وأنت أحق بالتطول، فتصدق علينا. ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا، وأنت أحق بالكرم، فاعف عنا. ربنا اغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

ويوصي أبوحامد حجاج بيت الله الحرام بالإكثار من هذا الدعاء: «يا من لا يشغله شأن عن شأن، ولا سمع عن سمع، ولا تشتبه عليه الأصوات، يا من لا تغلطه المسائل، ولا تختلف عليه اللغات، يا من لا يبرمه إلحاح الملحين، ولا تضجره مسألة السائلين.. أذقنا برد عفوك، وحلاوة مناجاتك يا كريم».

عرفة يوم الإلحاح على الله في الدعاء

القاهرة - عبدالله شريف
دار الإعلام العربية

الحج يوثق وحدة المسلمين:

لبيك اللهم لبيك

هنا تذوب الفوارق، وتتلاشى الحواجز، ويجتمع المسلمون في مشهد جليل، يبعث على السرور، ويسعد النفوس، ويبهج الأرواح.. هنا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر.. هنا يجتمع ضيوف الرحمن في رحلة إيمانية، تكتمل بها أركان الإسلام.. الجميع هنا لبوا نداء الحق للخليل إبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ (الحج:٢٧).. إنه «الحج» الذي يجسد وحدة الأمة الإسلامية في أروع صورها.. «الوعي الإسلامي» ناقشت عددا من العلماء عن كيفية تمتين هذه الوحدة من خلال الحج.. إلى التفاصيل:

د. منصور: للحج طاقة روحية تزيل الحواجز وتمحو العنصرية والفرقة

نبدأ مع أستاذ الفقه المقارن ووكيل كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر د. عبدالحليم منصور، الذي يؤكد أن الحج يشتمل على حكم جليلة وكثيرة تمتد في ثنايا حياة المؤمن الروحية، وفيه منافع للمسلمين في دينهم ودنياهم، من أهمها إقامة شريعة الله؛ باعتباره الركن الأخير من أركان الإسلام، تلبية لنداء نبي الله إبراهيم، عليه السلام، وأيضا إظهارا لوحدة المسلمين في لباس واحد وقد ذابت بينهم الفوارق، وانتشر بينهم

التعاون والحب والسلام، إضافة إلى تطهير النفس من الذنوب، وكل هذه المظاهر كفيلة بإحياء روح الإسلام والفطرة الطاهرة، التي تحث على الخير والتعاون في كل معروف.

طاقة روحية

وأضاف د. عبدالحليم منصور: «نستطيع أن نقول إن للحج طاقة روحية تفتح الطريق لإزالة الحواجز بين البلدان وتمحو مظاهر العنصرية والتفرقة، فنستطيع الوصول إلى الوحدة المنشودة، وهذا يستلزم تصحيح العقيدة وإخلاصها لله،

د. غنايم: من أعظم دروس الحج أن أمتنا قادرة على التوحد متى تجردت لله

فكما أن الإسلام في بداية ظهوره أخرج الناس من عبادة الأوثان ومن الانتصار للقبلية، فالمسلمون اليوم مطالبون أيضا بإذابة الفوارق والخلافات بينهم، والانتصار للقيم العليا للإسلام، والمتفق عليه من أصول العقيدة لتصحيح المسار والعودة إلى الصراط المستقيم بعيدا عن التمذهب الفكري أو العرقي. وعلينا في هذا الصدد أن نمتثل إلى الهدي النبوي الشريف في الحديث الذي يرويه عبدالله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا، وخط عن يمينه خطا، وخط عن يساره خطا، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطا فقال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ﴾ (الأنعام:١٥٣)».

وتابع: «العيد أيضا فرصة لتماسك الأسرة من خلال التزاور، وصلة الأرحام التي يمثل قطعها جريمة إفساد في الأرض لقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ (محمد:٢٢)».

د. رياض: على الإعلام أن يتخذ من هذا الحدث فرصة لتعريف العالم بالإسلام

في السياق ذاته، قال المفكر الإسلامي د. محمد نبيل غنايم إن فقدان الأمة الإسلامية لمفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب انتكاساتها، مضيفا بأن الحج فرصة ليستعيد المسلمون تعاونهم فيما بينهم على كل خير، ونبذ كل شقاق وفتن، فنحن نراهم جميعا وقد أتوا من شتى أرجاء المعمورة بألوان مختلفة وألسنة مختلفة، بينما لباسهم واحد، وربهم واحد، ورسولهم واحد، وعقيدتهم واحدة، ونداؤهم واحد.. كلهم يرجون رحمة ربهم ويخافون عذابه.. في هذا المشهد العظيم الجميع سواسية كأسنان المشط، أتوا متجردين من مناصبهم وأملاكهم ووقفوا في صعيد واحد؛ طمعا في أن يعودوا إلى بلدانهم كيوم ولدتهم أمهاتهم مصداقا لهدي النبي ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» (صحيح البخاري).

وأضاف غنايم أن الحج فرصة حقيقية للتعاون في تعزيز مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى الحكومات والوزارات والمؤسسات، فتختفي مظاهر الكذب والانحلال والغش والاحتيال، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (آل عمران:١١٠).

وتابع: «نستفيد من الحج أيضا في تعزيز مفهوم المساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات والعدل والصبر، وعلى ولاة الأمر اكتساب تلك المفاهيم وزرعها في الشعوب من خلال وسائل الإعلام، وتبني مشاريع حقيقية على أرض

الواقع تحقق ترابط الأمة وتماسك أبنائها، فأعظم الدروس التي يمكن أن نستخلصها من الحج أن النهوض والاتحاد والتجمع بعد الفرقة يمكن أن تحدث في أي لحظة إذا تجردنا لله وحده، وطهرنا نفوسنا من الذنوب والأحقاد، وتخلينا عن العنصرية المقيتة، واجتمعنا على موقف واحد وكلمة سواء نابعة من قيم ديننا الحنيف».

تعريف العالم بالإسلام

بدوره، قال أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة أوترخت الهولندية د. عمرو رياض: «إذا نظرنا إلى تاريخ الحج لوجدنا أن فيه من التعاون الكثير، وإن غاب شكلا في الفترة الأخيرة إلا أنه حبل لا يمكن قطعه».

وأضاف أن الحج شعيرة متكاملة، تضم جوانب اجتماعية وسياسية واقتصادية وروحية، وكل هذه مجالات يمكن فيها تحقيق التعاون، موضحا أن التعاون الإقليمي بين الدول العربية والإسلامية قد يحقق مكاسب سياسية واقتصادية من خلال هذه الشعيرة الدينية البحتة، فهي على المستوى الاقتصادي مثلا يمكن أن تحقق فرصا كبرى للتعاون من خلال تفعيل السياحة الدينية بين الدول العربية والإسلامية، أيضا من أهم المجالات التي يمكن التعاون فيها المجال الإعلامي، في بعض الأزمنة كانت الصحافة تصور الحج ومكة على أنه مصدر الأمراض أو بوابة تلوث، في ذلك العصر، بعد انتشار الطاعون والكوليرا، الآن التعاون بين الدول فرصة لدحض مثل هذه الإشاعات، وبداية لإظهار حقائق الدين وتعاليمه السمحة ليس للداخل فقط، بل وللخارج أيضا، فالحج من المناسبات العظيمة التي تتوجه فيها

د. السمالوطي: فرصة لبناء شراكات قائمة على التعاون والتواصل والتراحم

أنظار العالم كله إلى هذا المشهد الإيماني الذي لا يوجد نظير له في أي ديانة أخرى، ومن ثم ينبغي على الإعلام أن يتخذ من هذا الحدث السنوي الفريد فرصة للتعريف بالإسلام وكيف أن أبناءه من جميع العرقيات والأجناس واللغات يقفون جميعا في صعيد واحد بلا حواجز أو طبقية.

ثقافة مشتركة

أما أستاذ علم الاجتماع د. نبيل السمالوطي، فقال: «إن مشهد اجتماع المسلمين في المشاعر المقدسة مهيب؛ مجتمع صغير للدولة الإسلامية الحقيقية، ذابت الفوارق وأهم ما تسعى إليه الحكومات المنضبطة، فضلا عن غياب العنصرية، وكل دول العالم حاربت وناضلت من أجل إنهائها، سواء بين الأبيض والأسود أو الغني والفقير أو الطوائف المختلفة في اليابان والصين وتايلند، وبين دول عربية وإسلامية».

وأضاف: «أرى أن الحج فرصة للتعاون في تنظيم المجتمعات وبناء شراكات قائمة على هذه الصورة من التعاون والتواصل والتراحم، واستلهام الفكرة في توحيد المسلمين وإيجاد ثقافة مشتركة هي الأخلاق والرحمة والتعاون».

واقترح إقامة حملات اجتماعية عبر وسائل الإعلام تتناول دروسا

د. جمال: دراسة سلبيات كل بعثة حج ومعالجتها تمهدان طريق التوحد والتعاون

من الحج نستطيع تطبيقها بين الناس والحكومات، ويمكن أن تكون من خلال أكثر من جنسية ولهجة وهناك شركات كبيرة قادرة على تنفيذها.

وتابع: «مشكلة الأمة العربية في التباعد والتفكك حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، والحج يقرب الجميع ويعلمهم الصبر وضبط النفس والتحكم في اندفاعاتها، وقد تكون الحملات مفيدة في تقريب وجهات النظر وتوضيح الحكمة من الحج في رسائل تصل إلى الجميع».

نقطة التقاء

وأخيرا، يوضح أستاذ الطب النفسي بجامعة عين شمس د. جمال شفيق، أن مجتمع الحج عينة عشوائية كبرى يمكن الاستفادة منها في اجراء بحوث نفسية وطبية مشتركة بين الدول، يمكن من خلالها معرفة أبرز الأمراض النفسية والجسدية التي تنتشر في ماليزيا مثلا، وكذلك بحوث اجتماعية موسعة عن أبرز عادات وتقاليد كل دولة شاركت في الحج.. لذلك نستطيع القول إنه يمكن من خلال الحج توسيع الأفق وأسس التواصل بين المسلمين من خلال إجراء بحوث على مستوى عال من الدقة.

وأضاف أن هذه البحوث تساعد في إذابة الخلافات وإيجاد نقطة للالتقاء والتواصل ومعرفة كيف يفكر المسلم البعيد الذي لا يمكن أن أراه إلا في الحج.. ويمكن تنفيذ جلسات لتعزيز مفاهيم الثقة في النفس والإيمان الخاص وتوجيه حملات دعوية قائمة على دراسة ومعالجة أبرز السلبيات القائمة في المجتمع، وهذا من أبرز الأسباب التي تمهد طريق التوحد والتعاون.

مصطفى القلاوي
باحث دراسات إسلامية
مصر

مدرسة الحج الكبرى

الحج رحلة يتجرد فيها العبد المسلم من علائق الدنيا وما يتصل بها، حتى إنه يتجرد من اللباس الذي اعتاد عليه، ومن كل ما يشغله عن ربه، ويثور على عاداته ومألوفاته التي لازمته منذ ولادته حتى ساعة بدء هذه الرحلة المباركة، مفارقا أحب الناس إلى قلبه من الولد والزوج وسائر الأهل، وتاركا من خلفه كرائم الأموال وصنوف الزينة والترف، متوجها إلى الله تعالى، لا يخطر على قلبه ولا يشغل عقله، إلا الرغبة الخالصة في التوبة الصادقة والإنابة إلى بارئه من غير تذبذب، فترى لسانه لا يلهج إلا بالذكر والدعاء والقنوت والرجاء.

والحج عبادة تهيمن على قلب المؤمن وعلى بدنه وماله، فهي بذلك تجمع بين الروح والبدن، ولا تكون هذه الهيمنة لغيرها من سائر العبادات التي يؤديها المؤمن، فالصلاة والصيام عبادتان تتعلقان بالبدن، والزكاة عبادة تتعلق بالمال، أما الحج فهو يجمع كل هذا.

يقول أبو الشعثاء: نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تجهد البدن دون المال والصيام كذلك، والحج يجهدهما فرأيته أفضل.

والحاج وهو يقصد بيت ربه يمتلئ قلبه رضا بموعود الله له، فيرجع من رحلته مغفور الذنب ومطهرا من الدنس -كما يرجو- فينشرح لذلك صدره، وتقوى عزيمته، مما يجعل نياط قلبه تتعلق بحج البيت مرات ومرات، ما استطاع العبد إلى ذلك سبيلا.

ويعد الحج مدرسة كبرى تتربى فيها النفس المؤمنة على ضبط شهواتها وكبح جنوحها، وتفجير ينابيع البر والخير في كل تصرفاتها، وإذْنٌ للخيرات الكامنة بداخلها والخاملة بين جنباتها أن تنطلق وتسود.

وفي أعمال الحج تدريب على الصبر الجميل الذي لا يصاحبه صخب ولا تضجر، وتعويد للنفس على عدم إطلاق عنانها وانفلاتها في الشهوات والرغبات، وكل هذا يفضي إلى تزكية الأخلاق وسموها.

كما يتدرب المؤمن في الحج على الابتعاد عن بعض ما أحل الله (محظورات الإحرام) ليتهيأ نفسيا للامتناع عما نهى الله من شبهات ومحرمات، وليتمكن من السيطرة الكاملة على كل أفعاله وتصرفاته.. إذ به تقوى في النفس قوة الإرادة، ويصبح عقل المؤمن وقلبه المشبعان بالقرآن والسنة هما الموجهان لكل حركاته وسكناته ومشاعره وأحاسيسه، وليست الأهواء المنفلتة أو المشاعر التالفة.

والحج - إن قصد به وجه الله- يحيي في القلب أسمى معاني الامتثال لأمر الله عزوجل، إذ به يحوز القلب السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.. فترى الحاج يتعبد لله تعالى بما أمره الله به، حتى دون أن يعرف الحِكم والأسرار المستورة خلف هذه الشعائر، وهذا قمة التسليم والامتثال لأمر الله جل شأنه، فتراه يطوف حول بيت من الحجارة -معظما بتعظيم الله له- تحية لرب البيت.

وتجده يقبل حجرا اقتداء بفعل نبينا محمد ﷺ، ومعلنا الاتباع في كل ما ورد دون تردد، وملتمسا لكل ما يقرب فعله من الله ورسوله.

ثم يسعى العبد بين جبلين من الأحجار مبتدأ بجبل الصفا ليصفو قلبه من كل ما يعكر علاقته بالله عزوجل، ويحول بينه وبين مولاه تبارك وتعالى، مختتما بجبل المروة الذي ملأ قلبه ريا بعد أن كان أجدب قحطا، طالبا المغفرة وطامعا في العفو والصفح الجميل.

ثم الوقوف على جبل مؤلف من الحجارة، متضرعا بصدق، ومتجردا من الحول والقوة، يحمل بين أضلعه قلبا ممتلئا بالخشية، ويرفع أيديا مملوءة بالرجاء، ويطلق لسانه بالضراعة والذكر وإعلاء كلمة التوحيد وطلب الإحسان.

ثم يرجع فيرجم حجرا بحجر -ولو كان رمزا تصويريا- يعلن به المؤمن عزمه الأكيد على ترك نوازع النفس السيئة، وعدم اتباع الهوى المضل المهلك، ومخالفة عدوه اللدود الذي يصده عن ربه بوسوسته القبيحة، فيزين له الباطل ويخوفه العواقب.

ويعد هذا التناغم مع الكون وسائر المخلوقات، والانتقال الروحي من ملكوت الأرض إلى ملكوت السموات، تحقيقا للعبودية والإخلاص لله عزوجل، والإخبات التام والخضوع الكامل والاستجابة السريعة لنداء الحق جلت قدرته، والإقرار بوحدانيته وأحديته في الملك والسلطان، والاعتراف بكل ما جاد به من الفضل والإنعام، والتفويض المطلق له في التدبير والتصرف على التفصيل والإجمال.

والحج -وحده- كفيل لأن يهدي إلى سبيل الهدى والرشاد، والتوفيق لما فيه الخير للعباد، فلقد حث القرآن

الكريم المؤمنين على ما يضمن لهم من تلك الرحلة الربانية هذا الهدف السامي، إذ يحتوي الحج على جانبي إصلاح النفس وتزكيتها، جانب تطهيرها عما يدنسها، وهو التخلية، وجانب تزكيتها بما يقربها من ربها، وهو التحلية.

ففي جانب التخلية والتطهير عن كل ما يدنس النفس المؤمنة، ويحاول إحباط عملها وإفساد عبادتها، تجد الإشارة القرآنية من الله تعالى إلى اجتناب ذلك، يقول الله تعالى ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧)، وبهذا النهي عن كل فعل مرفوض ينتهي المؤمن عن كل ما يتنافى مع تجرده لله وإقباله عليه سبحانه.

أما عن جانب التحلي بالفضائل التي تزكي النفوس وتخلص الأفئدة وتقربها من الخالق جل وعلا، فيقول تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ (البقرة:١٩٧). والتزود بالتقوى هو زاد القلوب والأرواح، به تتقوى وتشرق، وعليه تعتمد في الوصول إلى حضرة علام الغيوب.

وترى ارتباطا عجيبا بين أفعال الحج ومناسكه، وبين ما بدأت به سورة الحج، إذ إن أول أعمال الحج بعد النية الصادقة هو الإحرام، الذي هو عبارة عن التجرد من لبس كل ما هو مخيط، فهو لباس أشبه بالكفن الذي يخرج به الإنسان من الدنيا مرتحلا إلى الآخرة، إذ إن رحلة الحج تذكر برحلة الآخرة، كأنه بذلك يخلع الدنيا وراءه ويقبل على بارئه وفاطره.

كذلك تجد مطلع السورة العنيف ينوه على هذا الإقبال المخيف، فيقول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج:١-٢).

وبدء السورة بالأمر بتقوى الله يتناسب تناسبا كاملا مع موضوع واسم السورة، فخير زاد يتزود به المؤمن لرحلته إلى الدار الآخرة هو زاد التقوى، كذلك أنفع ما يتزود به الحاج عند إقباله على الله في رحلته المباركة هو تقوى الله عزوجل، بل وأفضل ما يدعى به للحاج عند توديعه الدعاء بتقوى الله، فقد روى الترمذي بسند حسن أن النبي ﷺ ودع غلاما للحج فقال له «زودك الله التقوى».

ويقول أبوالدرداء:

يريد المرء أن يؤتى مناه
ويأبى الله إلا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي
وتقوى الله أفضل ما استفادا

وهذه الزلزلة وذلك الذهول يكون يوم الإقبال على الله للحساب في

الآخرة، فيرجو فيه المؤمن الصادق نوال الرحمة والمغفرة، وكذلك الحاج المخلص يرجو العود من رحلة الحج بالمغفرة ودخول الجنة، روى الإمام أحمد ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»، كما أخرج البخاري ومسلم وغيرهما أن النبي ﷺ قال: «من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

كما أن ترك التطيب والادهان، وعدم إزالة الشعر وتقليم الأظافر وستر الرأس وغير ذلك، ليشعرك بالحال الذي يخرج به العبد من قبره يوم القيامة ويقبل به على الملك ساعة الحساب. فيتهيأ العبد للقاء ربه في كل وقت ويعد لذلك اليوم إعدادا خاصا.

ثم يأتي ختام السورة الكريمة، فتجد ارتباطا وثيقا بين آخر آية ختمت بها السورة وبين أعمال الحج ومقاصده وأهدافه. فالله يقول في آخر السورة: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ (الحج:٧٨)، والأمر بالجهاد في الله حق جهاده هو أن يطاع فلا يعصى كما قال السدي. أو أن يجتهدوا في العمل كما ذكر مقاتل، بإتقانه والإخلاص فيه وعدم الغش. أو هو مجاهدة النفس والهوى كما قال عبدالله بن المبارك، أو أن يحمل هذا على المحافظة على كل التكاليف التي فرضها الله، إذ المحافظة عليها جهاد، وإشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه، ورد هوى النفس، ومجاهدة وسوسة الشيطان، كما صرح بذلك كله أهل التفسير في تعقيبهم على الآية الكريمة. روى ابن أبي الدنيا مرسلا عن النبي ﷺ أنه قال: «ما يصنع من يؤم هذا البيت إذا لم يكن فيه خصال ثلاثة: ورع يحجزه عما حرم الله، وحلم يضبط به جهله، وحسن صحابة لمن يصحب، وإلا فلا حاجة لله بحجه».

والحج جهاد لا قتال فيه كما ورد ذلك في كتب السنة عن النبي ﷺ، يقول: «المجاهد من جاهد نفسه في الله» (أخرجه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح).

قال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو: ابدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فجاهدها، وجاء في مصنف عبدالرزاق ومعجم الطبراني بسند صحيح، أن رجلا سأل النبي ﷺ عن الجهاد، فقال: «ألا أدلك على جهاد لا شوكة فيه؟ الحج»، وجاء في المصنف أيضا وذكره البخاري في صحيحه معلقا أن عمر قال: «إذا وضعتم السروج (يعني من سفر الجهاد) فشدوا الرحال إلى الحج والعمرة، فإنه أحد الجهادين».

فالحج بمثابة عقد مبرم بين العبد وبين ربه، أن يطاع الله ولا يعصى، وأن يشكر ولا يكفر، كما أن الحج مجاهدة لطباع النفس السيئة ولوساوس الشيطان المضلة، ومحاربة للهوى، والمحافظة على أوامر الله من فعل ونهي، والامتثال لكل ما أوجب، من فعل الخير ونفع الغير، كل على قدر طاقته.

أسامة الزقزوق
عضو اتحاد كتاب
مصر

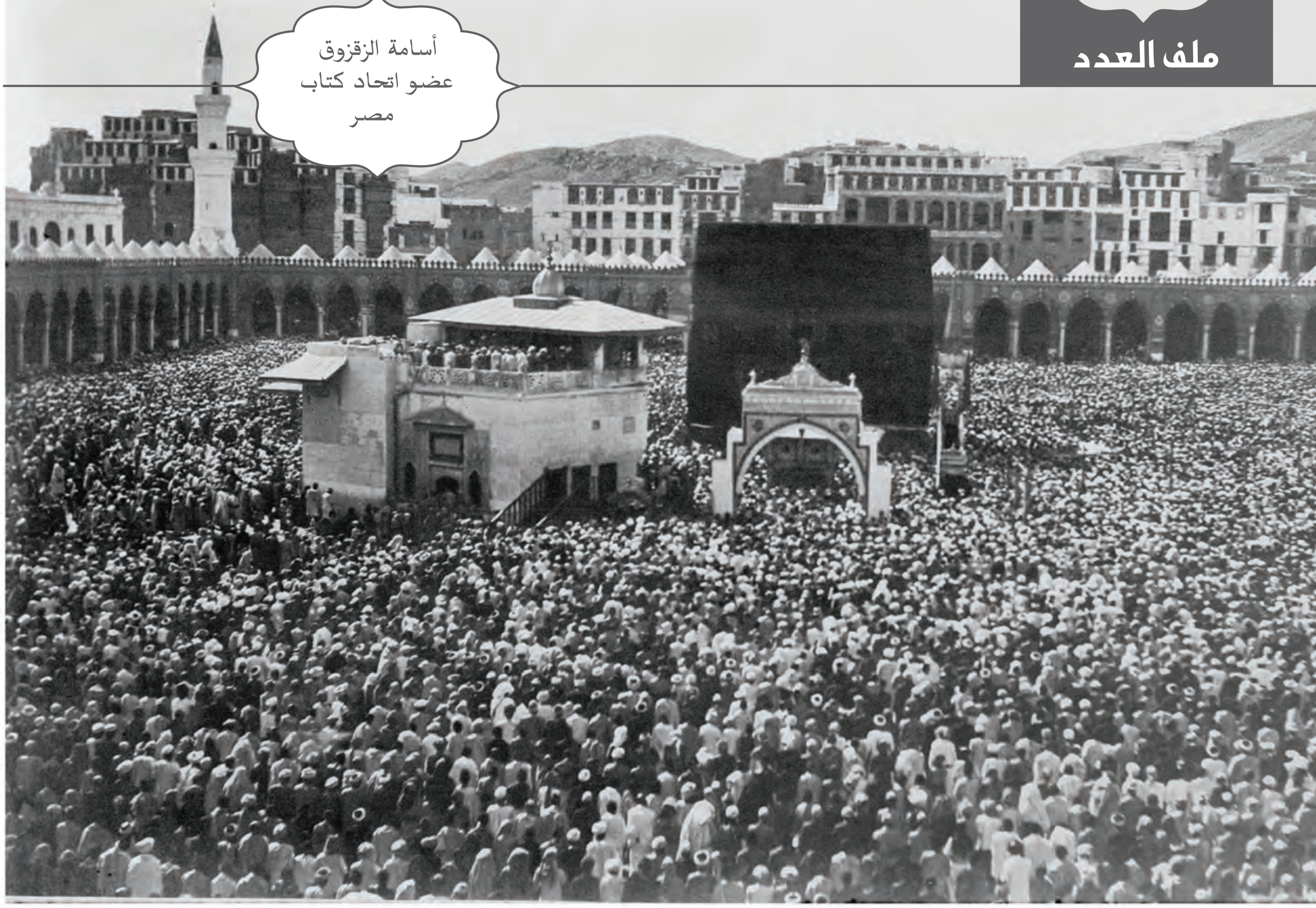

الفرزدق في موسم الحج

هناك ثنائيات خلقها الله في كونه لها طابع خاص وروحانيات خاصة ودلالات خاصة، حتى أنها صارت مثل الصدر والعجز، فلا تنفك إحداها عن الأخرى، لتدعونا إلى إعمال العقل والتفكير في عظمته وقدرته سبحانه وتعالى، مثل: الليل والنهار والشمس والقمر والحج والعمرة، والأخيرين لهما مدلولات في النفس وإشراقة في الروح، فمجرد جريان ذكرهما على اللسان تسبح الروح في خمائل التسبيح والذكر والتلبية، حيث الكل هناك ألسنة تتوحد وتلهث بالدعاء والرجاء، وحيث العيون والقلوب ملأى بالحسرات والزفرات ترجو خالق السموات، تنتظر مطر الرحمات المتنزل من صاحب الملكوت على عباده الذين جاءوا من كل فج عميق، جاءوا شعثا غبرا يرجون رحمته ويخافون عذابه، وحيث الشيطان يحسد بني آدم على تباهي ربهم بهم أمام ملائكته الركع السجد، يقودهم صدى التلبية ووضوؤهم ويحرسهم دعاء سيدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ (البقرة:١٢٦). ومع هذه الأجواء الروحانية النورانية تذوب كل الفوارق المادية والعرقية والعنصرية واللونية والشرفية، فالكل يرتدي زيا واحدا ولباسا واحدا، الموقف كله يذكر الناس بيوم الحشر حين يحشرون في صعيد واحد أمام خالقهم جل وعلا حفاة عراة غرلا، في هذه الأجواء الروحانية النورانية قدم هشام بن عبدالملك في موكب مهيب يليق بملوك الدنيا، يحيطه الحرس والإماء والعبيد من كل جانب، لأداء فريضة الحج عام١١٠هـ، والوقوف بين يدي الله ليخلع لباس الملك عند بيت الملك جل وعلا، عند بيت الله

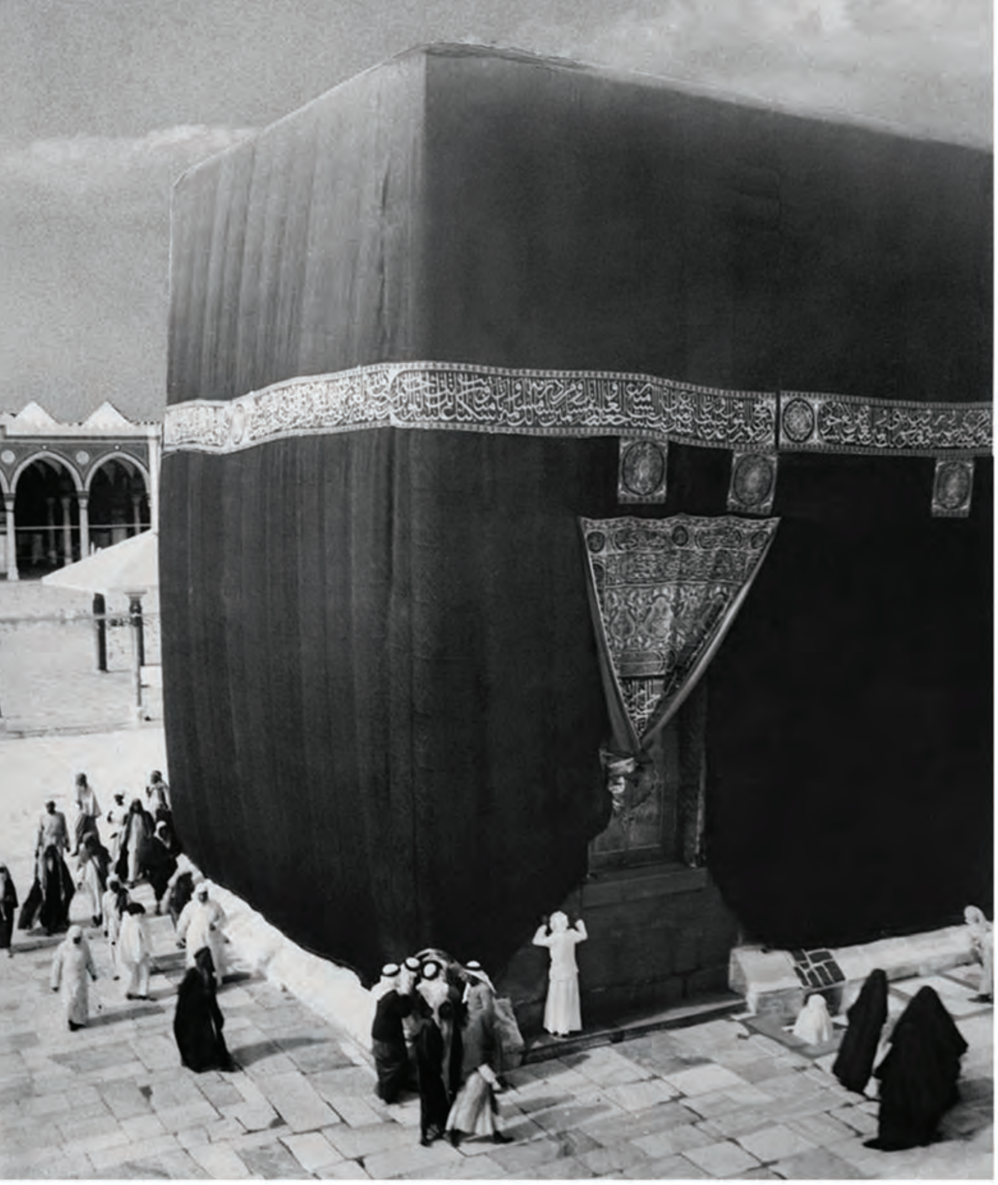

الحرام وينال شرف ذل العبودية لله رب العالمين كما قال الشافعي رحمة الله عليه:

ومما زادني شرفا وتيها
وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي
وأن صيرت أحمد لي نبيا (١)

حاول هشام بن عبدالملك أن ينخرط في روحانيات الحج، وأن ينزع الدنيا التي تربعت فوق سويداء قلبه، فليس هناك موقف أجل ولا أعظم من هذا الموقف ليعرف الإنسان حقيقة نفسه وضآلة حجمه أمام بيت خالق الملك والملكوت، وحاول أن يطوف بالبيت، وكلما أراد أن يتسلم الحجر الأسود ليقبله لم يستطع، ولم يجد أحدا يفسح له الطريق، فظهر الضيق والضجر على وجهه، فنادى حراسه على الناس بصوت مرتفع لكي يفسحوا له الطريق إلى الحجر الأسود فهو هشام بن عبدالملك، لكن صوتهم ذاب في هدير أمواج التلبية وفي دوامات المد والجزر حمدا وثناء وشكرا لخالقهم جلا وعلا، فما كان من حراسه إلا أن بنوا له منبرا عاليا يجلس فوقه، إذ ربما ينتبه إليه الناس فيفسحون له الطريق، لكن بلا جدوى. وبينما هم على هذا النحو من الحيرة، إذ ظهر رجل عليه إزار ورداء، منير الوجه، بلحية لونها إلى السواد أقرب، أحاطت بوجهه إحاطة الهالة بالبدر، فلما رأوه الناس أفسحوا له الطريق حتى يتسلم الحجر الأسود، وراح الناس يلتفون حوله يلتمسون منه الدعاء والبركة، فهال هذا الموقف العظيم هشام بن عبدالملك وتساءل من يكون هذا الفتى الذي التف حوله الناس، كما تلتف النجوم الساطعات بالبدر المنير، فإذا الإجابة تأتي مسرعة من الفرزدق (شاعر العرب الكبير) إنه علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب، الملقب بزين العابدين، إمام الزاهدين، ثم انشد رائعته التي يقول فيها (٢):

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقي النقي الطاهر العلم
ينشق ثوب الدجى عن نور غرته
كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
الله فضله قدما وشرفه
جرى بذاك له في لوحه القلم
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم

وهنا انفجر غضب هشام بن عبدالملك وأمر بحبس الفرزدق، فحبس بعسفان بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك زين العابدين فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وقال أعذرنا أبا فراس لو كان عندنا أكثر منها لوصلناك بها، فردها الفرزدق وقال: يا سبط رسول الله ما قلت الذي قلت إلا غضبة لله ولرسوله، لكن زين العابدين أعادها إليه وأقسم عليه إلا قبلها، فقبلها وشكر صنيعه.

الهوامش

١- من ديوان الشافعي.

٢- من كتاب شذرات الذهب لابن العمدة.

محمود أحمد حسانين
باحث وروائي - مصر

لماذا الحج عرفة؟

رحلة النقاء

إن كان في مقدور الإنسان العادي الانفلات بذاته إلى عوالم أخرى، فقد تسوقه قريحته إلى عوالم الروحانية والصفاء الذهني، ولا يأتي ذلك له إلا في حضرة العقيدة الإسلامية، والحضرة في بيت الله والعلو بالروح إلى السكينة الربانية. نجد المؤمن يطوف بالبيت، تنقى نفسه مما علق بها من دنيا الأوهام، فتنساب الطمأنينة إلى نفسه وتسلبه حياة البذخ ليقف أمام خالقه كما جاء إلى الحياة من دون زينة ولا ثراء؛ الجميع سواسية. وكأن الحج رحلة دنياوية ليصفي بها المؤمن نفسه من الضغائن ومنغصات الحياة، حتى يصل إلى آخر أركان الحج ويقف بعرفة، ذلك المشهد الذي يزيل به المؤمن من نفسه كل آثار الحياة، ويقف يلهج لسانه بالدعاء والتضرع. إنها الرحلة التي لا يوجد مسلم على وجه البسيطة لا يتمناها؛ رحلة الاشتياق الإلهي، قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ (البقرة:١٩٨).

يذكر أن الحج وعرفة قد جمعت فيهما أهم ركائز الإسلام وأركانه، فنجد التوحيد والصوم والصلاة وإنفاق المال والفداء والوقوف سواسية تتساوى القامات والنفوس وتخضع لله رب العالمين. ويعتبر جبل عرفات أبعد المشاعر المقدسة عن مكة، وعلى الرغم من ذلك فهو منسك الحاج المرتبط به الحج كما قال رسولنا الكريم: «الحج عرفة». وقال الترمذي: والعمل على حديث عبدالرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم، أنه من لم يقف بعرفات قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج، ولا يجزئ عنه إن جاء بعد طلوع الفجر، ويجعلها عمرة وعليه الحج من قابل. وعن وكيع قال: «هذا الحديث أم المناسك». كما جعل ارتباط الحج بالوقوف على جبل عرفات هو ارتباط باستحضار التطلع إلى الصفاء ورسوخ العقيدة، فلقد كان عرفات موقع التعارف لأبينا آدم بأمنا حواء، وجعل التآلف والترابط بينهما هو من أسس العلاقة الإنسانية، فجمعكم بيوم عرفة هو للترابط والتآلف بين عامة المسلمين. ولا يمكن لبشر أن يتخل تجمع البشر بهذا العدد الهائل بخشوع وطمأنينة ورغبة واحدة تتمثل في التضرع والدعاء والقبول من عند رب العالمين.

تسمية عرفة

اختلف في سبب تسمية عرفة وعرفات على أقوال منها: أنه من العرف، بمعنى الرائحة الذكية، وذلك لأن منى تصبح رائحتها لكثرة الذبح متغيرة. أما عرفات فلا يصيبه ذلك، أو لأنه مطيبة بالتقديس، فهو واد مقدس معظم، لأنه من شعائر الله. وقيل: لأن الناس يجتمعون فيه فيتعارفون.

وقيل: لأن العباد يتعرفون إلى ربهم بالطاعات والعبادات.

وقيل: من الصبر، لأن العارف والعروف هو الصبور.

وقيل: لأن الله بعث جبريل، عليه السلام، إلى إبراهيم، فحج به، حتى إذا أتى عرفة، قال: عرفت؟ (وكان قد أتاه مرة قبل ذلك). قال له: عرفت.

وقيل: لأن آدم وحواء تعارفا بعد الهبوط إلى الأرض.

وسميت عرفة بهذا الاسم، لأنها المكان الذي تعارف فيه آدم وأمنا حواء بعد هبوطهما إلى الأرض.

وهذا المكان محدد بحدود شرعية، لا يجوز الوقوف خارجها، ومن أهم هذه الحدود حد طبيعي هو وادي عرفة. وهو وادي جاف يقع غرب عرفة، وهو الحد الأساسي لها. ثم إن باقي المكان يتخذ شكل قوس واسع محدد بالجبال من جميع الجهات، بينما تتميز أرضه بالانبساط.

القسم بعرفة

يوم عرفة من الأيام الفاضلة، تجاب فيه الدعوات، وتقال العثرات، ويباهي الله فيه الملائكة بأهل عرفات. وهو يوم عظم الله أمره، ورفع على الأيام قدره. وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة. ويوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران. إنه يوم أقسم الله به، والعظيم لا يقسم إلا بعظيم، فهو اليوم المشهود في قول القرآن:

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ (البروج:٣)، فعن أبي هريرة أن النبي قال: «اليوم الموعود يوم القيامة، واليوم المشهود يوم عرفة، والشاهد يوم الجمعة» (رواه الترمذي وحسنه الألباني).
وهو الوتر الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾﴾ (الفجر:٣).
قال ابن عباس: الشفع يوم الأضحى، والوتر يوم عرفة، وهو قول عكرمة والضحاك، هذا من جلال اليوم وعظيم قدره عند رب العرش العظيم.

يوم الميثاق

فعن ابن عباس قال: قال رسول الله: «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان (يعني عرفة) وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ (الأعراف:١٧٢-١٧٣)» (رواه أحمد وصححه الألباني).

يوم عتق ومغفرة

إنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف، ففي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟».
قال ابن عبدالبر: وهذا يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا إلا بعد التوبة والغفران والله أعلم.
وعن ابن عمر أن النبي قال: «إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثا غبرا» (رواه أحمد وصححه الألباني).
وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: فقال: «الشعث: هو اغبرار الرأس. والغبر: هو التراب، والغبرة: لونه».
فعلى المسلم أن يحرص على العمل الصالح، لاسيما في هذا اليوم العظيم، من ذكر ودعاء وقراءة وصلاة وصدقة، لعله يحظى من الله بالمغفرة والعتق من النار.
وذكر ابن القيم: «إنه في يوم عرفة يدنو الرب تبارك وتعالى عشية من أهل الموقف، ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: «ما أراد هؤلاء؟ أشهدكم أني قد غفرت لهم». وتحصل مع دنوه منهم ساعة الإجابة التي لا يرد فيها سائل يسأل خيرا، فيقربون منه بدعائه والتضرع إليه في تلك الساعة، ويقرب منهم الله نوعين من القرب: أحدهما: قرب الإجابة المحققة في تلك الساعة، والثاني: قربه الخاص من أهل عرفة، ومباهاته بهم ملائكته، فتستشعر قلوب أهل الإيمان بهذه الأمور، فتزداد قوة إلى قوتها، وفرحا وسرورا وابتهاجا ورجاء لفضل ربها وكرمه، فبهذه الوجوه وغيرها فضلت وقفة يوم الجمعة على غيرها». وذكر السعدي في تفسيره للآية الكريمة: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾﴾ (الفجر:٢) فقال: «في أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة، لأن يقسم الله بها. قال الله تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ (الحج:٢٨)».
قال ابن عباس والشافعي والجمهور: هي أيام العشر. وقال النووي: «واعلم أنه يستحب الإكثار من الأذكار في هذا العشر زيادة على غيره، ويستحب من ذلك في يوم عرفة أكثر من باقي العشر». أما من لم يتيسر له الحج فهو كما قال أحد السلف: «من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذي عرفه، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة، فليبيت عزمه على طاعة الله وقد قربه وأزلفه، ومن لم يقدر على نحر هديه بمنى فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنى، من لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد».

إلى عرفات الله

باختصار، فإن شعائر هذا اليوم تبدأ بعد أن يصلي الحجاج صلاة الفجر في منى فينتظرون إلى شروق الشمس، ثم يسلكون بعده طريقهم إلى عرفة وهم يرددون التلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، ويقضون فيها النهار كله حتى غروب الشمس، حيث يدعون الله ويذكرونه ويبتهلون إليه كثيرا، مقتدين في ذلك بفعل النبي ﷺ. وتتخلل اليوم خطبة يلقيها إمام الحجاج (كتب الفقه تفترض أن هذا الإمام هو خليفة المسلمين أو من ينوب عنه)، ويستمعون إليها عند زوال الشمس (الوقت الذي قبل صلاة الظهر بخمس دقائق - وهو وقت انعدام الظلال)، ثم يصلون خلفه الظهر والعصر جمعا وقصرا بأذان واحد وإقامتين.. هذا اليوم يمثل أهم أركان الحج في الإسلام، حتى وصفه النبي ﷺ بقوله: «الحج عرفة» (رواه الترمذي وأبو داود). وهذا أسلوب قصر وحصر وتخصيص للدلالة على أهمية هذا الركن.

المصادر

- صيد الفوائد.
- «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ج١.
- «الأذكار».

عبدالعزيز بن صالح العسكر
عضو الجمعية السعودية
للغة العربية

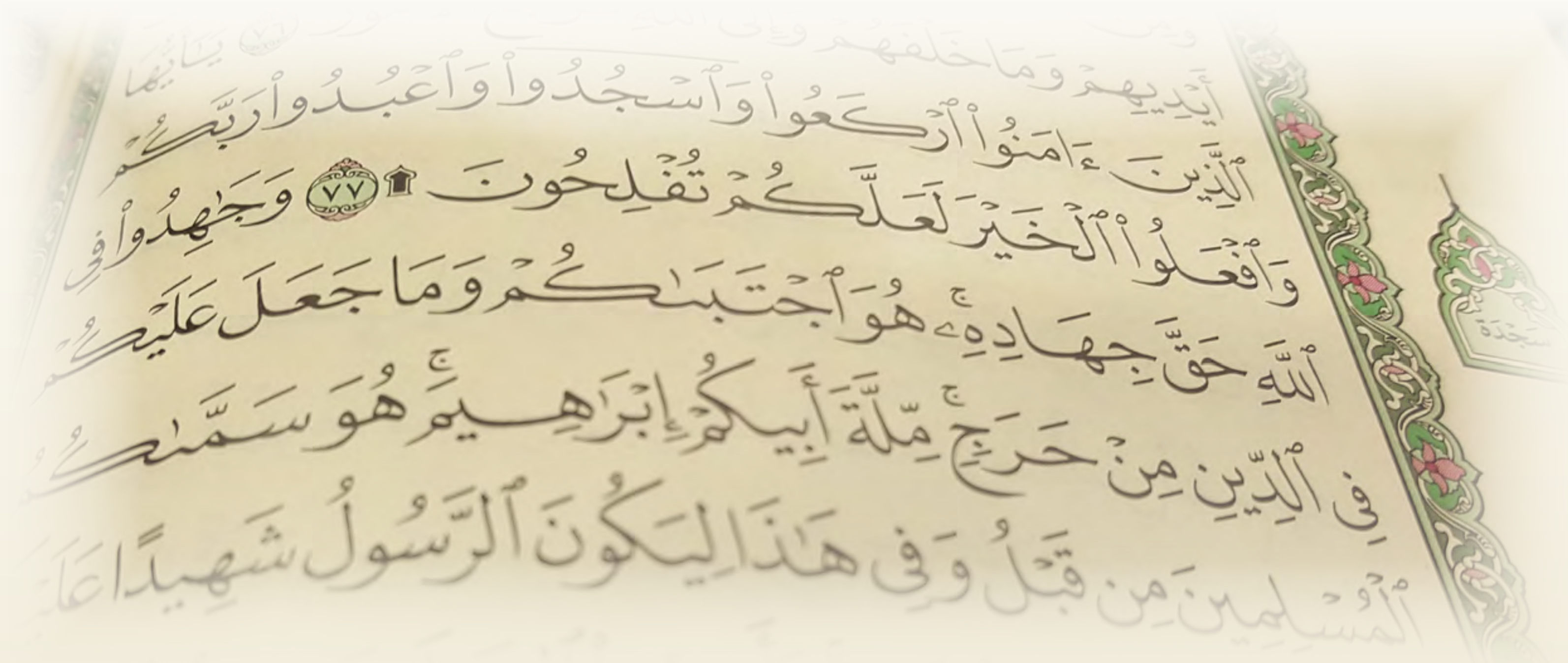

معالم وتوجيهات

الآية الأخيرة من سورة الحج

آية واحدة في كتاب الله تعالى أوضحت طريقا ورسمت منهجا وبينت معالم؛ تلك هي قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ (الحج:٧٨).

وكم نحتاج إلى الإلمام بما ورد في الآية من توجيهات وأحكام صفحات ووقفات؛ ولكننا نكتفي بوقفات يسيرة لعل فيها ما يعين على تدبر القرآن والتأثر بمواعظه وتوجيهاته.

الوقفة الأولى مع قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾؛ قال المفسرون: عنى به جهاد الكفار. وقيل: هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه؛ أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظلمة في رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم.

قال الشيخ السعدي: «والجهاد بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب. فالجهاد في الله حق جهاده هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ وغير ذلك» (تيسير الكريم الرحمن، ص٥٤٧).

وما ذهب إليه الشيخ السعدي يرجحه أكثر المفسرين، وهو العموم لمفهوم ﴿وَجَٰهِدُواْ﴾، ولا يرد ذلك ما أشار إليه بعض المفسرين من أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ (التغابن:١٦)، لأن هذا الأمر في سورة الحج ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ أصلا ما ارتفع عنه الحرج، والله تعالى لا يأمر أصلا بما لا يطاق. والله تعالى أعلم.

الوقفة الثانية في قوله: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾؛ أي: اختاركم وخصكم، وهذا تكريم من الله ونعمة كبرى؛ إذ إن من خلق الله تعالى كفارا، ومنهم مسلمون منحرفون عن الصراط المستقيم، ومنهم كسالى خاملون أقعدهم ضعف النفس وربما ضعف اليقين عن الأعمال الصالحة أو سقطوا عند مرورهم ببعض العقبات في طريق

الاستقامة والصلاح والإصلاح.
هو سبحانه اجتباكم فتذكروا هذه النعمة وأدوا شكرها واستقيموا على منهج الله، وليكن يوم أحدكم خيرا من أمسه وغده خيرا من يومه.

الوقفة الثالثة مع قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، معنى: حرج: ضيق. وللعلماء في الحرج الذي رفع أقوال: أولها: ما رواه عكرمة (الإمام التابعي): «هو ما أحل من النساء مثنى وثلاث ورباع وما ملكت يمينك».
الثاني: أن المقصود في رفع الحرج: قصر الصلاة والإفطار للمسافر وصلاة الإيماء لمن لا يقدر على غيره، وحط الجهاد عن الأعمى والأعرج والمريض والعديم الذي لا يجد ما ينفق في غزوه، والغريم ومن له ولدان.
الثالث: ما رواه ابن عباس والحسن البصري: أن هذا في تقديم الأهلة وتأخيرها في الفطر والأضحى والصوم؛ فإذا أخطأت الجماعة هلال ذي الحجة فوقفوا قبل يوم عرفة بيوم أو وقفوا يوم النحر أجزأهم، وكذلك الفطر والأضحى لما رواه حماد بن زيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فطركم يوم تفطرون وأضحاكم يوم تضحون». قال الإمام القرطبي: «باجتهادكم من غير حرج يلحقكم».
الرابع: ما ورد في أعمال يوم النحر؛ فقد روى أئمة الفقه والحديث أن النبي ﷺ سئل يوم النحر عن أشياء؛ فما يسأل عن أمر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم الأمور بعضها قبل بعض وأشباهها إلا قال: «افعل ولا حرج».
وليس بين هذه الأمور تعارض، فقد رفع الله الحرج والضيق عن أمة محمد ﷺ في تلك الأمور كلها، ويسر عليهم أداء عباداتهم ومناسكهم وما فيه عفافهم وتحصين فروجهم وحفظ محارمهم، والله تعالى أعلم.
ومما أكد عليه العلماء في هذا الموضوع ونبه إليه المفسرون من الذي رفع عنه الحرج، وهل هي عامة أو يخصصها شيء؟
وممن نبه إلى ذلك الإمام القرطبي، رحمه الله، فقد قال: «قال العلماء: رفع الحرج إنما هو لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السلابة والسراق وأصحاب الحدود فعليهم الحرج، وهم جاعلوه على أنفسهم بمفارقتهم الدين» (الجامع لأحكام القرآن، ج١٢، ص٦٧).
ومما يعجب له المرء في زماننا أن نرى من يستشهد بآيات القرآن الكريم في غير مواضعها، ومن ذلك: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦)، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۞﴾ (الشرح:٦)، وقول الرسول ﷺ: «الدين يسر».
وفي ذلك جهل ومغالطة وتمييع لشرائع الدين، والواجب أن يؤخذ تفسير الآيات من علماء التفسير وأئمة الفقه في الدين، وويل لمن فسر آيات القرآن الكريم وفقا لمزاجه وهواه.. ثم إن أحكام الإسلام وضحت وبينت ولم يبق فيها مجال للاجتهاد والرأي.
والتيسير لا يجعل الحرام حلالا ولا الواجب سنة إلا وفق ما بينه علماء الفقه من أئمة الصحابة والتابعين.
وحينما يصلي مسلم جالسا من غير عذر فإنه يأثم، وحينما لا يخرج زكاة ماله كاملة يأثم، وحينما يؤخر الصلاة عن وقتها لغير عذر يأثم.. وهكذا كل مخالفة لشرع الله في حلال أو حرام، وكسل النفوس وضعفها وتحكم الشهوات وتسلط الشبهات توقع الناس في ضلالات لا حد لها، ولا عذر لمعتذر أو مفرط بأن الدين يسر.
وقد قال نبينا محمد ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني». وليس اليسر -كما أسلفنا- فيما يخالف شرع الله وينشر البدع والخرافات وتمييع شرائع الدين.
وكم سقط وندم كثير من المفرطين حينما استجابوا لهوى نفوسهم وفرطوا في أداء الصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها بدعوى اليسر وتتبع الرخص - فيما يزعمون - والله تعالى المستعان.
قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية «أي: ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا». ثم ذكر قصر الصلاة في السفر والخوف واستقبال القبلة والرخصة فيه، ثم قال: «إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات» (تفسير القرآن العظيم، م٣، ص١٩٢٢-١٩٢٣).

الوقفة الرابعة مع قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾، قال مجاهد: «الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر». وروى النسائي، رحمه الله، في تفسير هذه الآية، قال رسول الله ﷺ: «من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم. قال رجل: يا رسول الله، وإن صام وصلى؟ قال: نعم، وإن صام وصلى فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله» (ذكره ابن كثير، م٣، ص١٩٢٣).
ومن هذا يتضح أن اسم الإسلام اسم شرف لهذه الأمة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران:١٩)، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران:٨٥)، سمى الله هذه الأمة بهذا الاسم: المسلمون. ولا نشرف بغيره ولا ننتمي لسواه؛ فهو يجمعنا ويوحدنا وبه نلقى الله تعالى.

الوقفة الخامسة مع قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾، وكما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ (البقرة:١٤٣). قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان»: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا عدولا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها. ويكون رسولي محمد ﷺ شهيدا عليكم بإيمانكم به، وبما جاءكم به من عندي». وقال ابن كثير: «إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا عدولا خيارا مشهودا بعدالتكم عند جميع الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس، لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها، فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه قد بلغها ذلك» ص١٩٢٣. قلت: والله إننا نشهد اليوم اعتراف الأمم بالمسلمين وعدالتهم ووسطيتهم، والناس اليوم يدخلون في دين الله أفواجا. ورأينا ولله الحمد صور صلاتهم عيد الفطر في عواصم قارتي أوروبا وآسيا يملأون الساحات والطرقات، إذ فرغت لهم في مشاهد يهتز لها الجنان ويزداد يقينا بسمو هذا الدين وانتصاره وعزته.

وهنا ملمح مهم تجب الإشارة إليه؛ فإن من شبهات المفرطين والمتعالين ما يثيرونه حول قول الله تعالى ﴿أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾، فيفهمون أن الوسطية توسط بين الحق والباطل، وتفريط في شيء من الحق للتقارب مع الباطل وأهله على اختلاف أديانهم ومذاهبهم.. وهذا مما ينبغي الحذر منه؛ فليس بين الحق والباطل تقارب، سواء كان الباطل دينا سابقا أو مذهبا باطلا أو تنظيما ضالا.. والوسطية في ديننا الاعتدال بين الإفراط والتفريط، بين التشدد والتميع والتساهل.. وكل ذلك في حدود ما شرعه الله وفصلته سنة رسوله ﷺ.

الوقفة السادسة مع قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، الصلاة عبادة بدنية قلبية، هي عمود الدين وقوامه. والقرآن الكريم يورد الصلاة مرتبطة بلفظ واحد فقط «الإقامة»: «أقيموا، أقم، يقيمون». فهل الإقامة هي الأداء؟ وما الفرق بينهما؟ الأداء: أفعال وحركات تؤدى بأي حال كانت، لا يلزم فيها حضور قلب ولا خشوع ولا نية، فهل هذا هو مقصود الصلاة؟ وهل هي الشعيرة التي أمر الله بها؟

نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تنفي ذلك وتحذر منه، فالقرآن الكريم يأمرنا بلفظ «أقيموا» و«يقيمون»، كما ذكرنا أعلاه، فما الإقامة؟ قال الشيخ أبو السعود: «إقامتها عبارة عن تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ. من إقامة العود، إذا قومه وعدله. وقيل عن التشمر لأدائها عن غير فتور ولا توان، من قوله قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه واجتهد، وقيل عن أدائها عبر عنه بالإقامة لاشتماله على القيام، (تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، للقاضي أبي السعود محمد بن محمد العمادي الحنفي، ج١، ص٤٥).

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها». وكان يقول: «إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها» (أخرجه أحمد بإسناد صحيح. وروى نحوه أبوداود والنسائي وابن حبان).

إذن الصلاة التي تنهى عن الفحشاء، الصلاة التي تحيي القلوب، الصلاة التي هي علامة الإيمان وصدق اليقين.. هي الصلاة المقامة وليست المؤداة؛ فالمؤداة لا تزيد على كونها حركات بلا معنى ولا أثر ولا تكتب لصاحبها «ارجع فصل فإنك لم تصل» (كما ورد في حديث المسيء في صلاته). وقرينة الصلاة الزكاة، وهي عبادة تؤدى من المال وفق نصابها وشروطها، وهي طهرة للمال ونماء له.. وتركها وعدم إخراجها مؤذن بضياع المال في الدنيا وتحويله في الآخرة إلى صفائح من نار تكوى بها أجسام البخلاء الأشحاء الذين منعوها.

الوقفة السابعة مع قوله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾. التجئوا إلى الله وتمسكوا بشرعه ووحدوا صفوفكم على دينه وتوحيده، فأنتم الفقراء إلى الله مهما بلغت قوتكم، وإنكم بلا عونه وتأييده تعالى ضعاف متفرقون منهزمون.

اعتصموا بالله في الرخاء والشدة، في العسر واليسر، في المنشط والمكره، واحذروا الفرقة والشتات، احذروا الوحدة على غير دينه، سواء كانت عصبية لعرق أو لمذهب أو لجنس أو غيرها. اعتصموا بالله وأنتم موقنون بنصره وتأييده مهما تكالبت عليكم الأعداء، وادلهمت الكروب، واشتدت عواصف الفتن؛ لأنه تعالى ﴿هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ ولا مولى لكم غيره؛ هو تعالى من نصر نبيكم ﷺ على أعدائه، وأعز أمتكم فيما مضى من عهودها وعصورها.. ولن يصلح حال هذه الأمة إلا بمثل ما صلح به أولها.

إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

نفعنا الله بالقرآن الكريم، وجعله نور قلوبنا وربيعها، وحفظنا به من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ووقانا به من البدع والخرافات والزيغ والضلال إنه جواد كريم.

مياسة النخلاني
كاتبة يمنية

كمثل الجسد الواحد

علينا ألا نغفل عن حقيقة أننا أمة مميزة عن سائر الأمم، فنحن لسنا مجرد أمة بل جسد واحد، كما وصفنا نبينا وشفيعنا عليه أفضل الصلاة والسلام، فخلال ساعات معينة من الليل أو النهار نتجه جميعا باختلاف أعراقنا وألسنتنا وألواننا وأعمارنا باتجاه قبلة واحدة، بتناغم واحد تنحني أجسادنا، وتلامس جباهنا الأرض الصلبة؛ لتردد ألسنتنا نفس الكلمات تضرعا لله تعالى، و خلال أيام معدودات من السنة نرتحل جميعا دون استثناء لنقف بين يدي ربنا وخالقنا في أطهر بقاع الأرض، من يملك منا القدرة يرتحل بجسده وروحه، ومن لا يستطيع تحلق روحه لتتعلق بجدران الكعبة الشريفة وتقضي ساعات النهار على صعيد عرفه تدعو وتدعو دون توقف، نراقب الحُجّاج المتوشحين الثياب البيضاء من خلف ملايين الشاشات، لكن أرواحنا جميعا معهم، تشاركهم كل لحظة وكل ثانية عاشوها بين جنبات مكة المكرمة والمدينة المنورة، لنختم هذه الشعائر بصلاة العيد، نصطف لنصلي متجهين للقبلة في حين لا تزال أرواحنا هناك تحلق في رحاب الكعبة، جسدا واحدا، وروحا واحدة، وقلبا واحدا، فنكون كما قال عليه الصلاة والسلام فينا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (متفق عليه) .

فهكذا وصفنا عليه أفضل الصلاة والسلام، وهكذا ينبغي أن نكون دائما وأبدا، جسدا واحدا، نشعر ببعضنا البعض، نتراحم فيما بيننا البعض، نساعد بعضنا، لا نجعل مشاغل الحياة ومتاعبنا تنسينا واجبنا نحو إخوة لنا بالدم أو الدين؛ لأن تألم فرد من أفراد هذه الأمة سيرهق بقية الأفراد، تماما كالجسد الواحد، إن تألم عضو انتشر الألم في بقية الأعضاء التي تُعبِّر عن شعورها بالحمى والتوجع.

عام (٢٠١٤م) خرج الممثل الأمريكي ريتشارد جير إلى شوارع نيويورك كمتشرد، وعاش حياة المتشردين ليوم كامل، أكل من القمامة وتسول الناس؛ وذلك ليكون قادرا على تقمُّص شخصية المتشرد في الفيلم الذي ينوي تمثيله، عقب هذه التجربة قال: «عندما تنكَّرت كمشرد في مدينة نيويورك لم ينتبه إلى وجودي أحد، شعرت حينها ماذا يعنى أن تكون مشردا، فكان الناس يمرون أمامي وبجانبي وينظرون نحوي باحتقار، فقط سيدة واحدة كانت لطيفة قدمت لي بعض الطعام، وهي تجربة لن أنساها أبدا، في كثير من الأوقات ننسى النعمة التي نحن فيها، وكأنها لن تزول، إن كنا نستطيع مساعدة محتاج فلنفعل ذلك».

تجربة أخرى عاشها الممثل ليوناردو دي كابريو في إفريقيا قال بعدها: «قضيت عدة شهور في جنوب إفريقيا لتصوير فلم (blood diamond)، رأيت هناك الكثير من الأشياء ، فعندما عدت لأمريكا شعرت بمدى تفاهة الاستماع لمشاكل أصدقائي».

ببساطة هم اضطروا لخوض تجارب مريرة، واختبار مشاعر أكثر مرارة ليدركوا المعاناة التي يعيشها الكثيرون في المجتمعات الرأسمالية، أو الأشد فقرا في إفريقيا، حيث لا اهتمام بالجانب الإنساني في أجنداتهم، ولا تعاون، ولا تعاضد، لا رحمة ولا تراحم، لا اهتمام بالقلوب التي خلف الصدور، وإنما بالمكانة الاجتماعية والجيوب الممتلئة.

بالنسبة لنا كمسلمين فنحن لسنا بحاجة للنزول للشارع ومد أيدينا للناس، أو نأكل من القمامة، أو نعيش حياة التشرد ولو ساعة واحدة لندرك المعاناة التي يعيشها المحتاجون، لسنا بحاجة لأن نذهب لإفريقيا أو غيرها لنختبر شعور الجائعين والفقراء.

يكفينا فقط أن نتمعن قليلا في آيات القرآن الكريم الذي يُفترض بنا أن نقرأ فيه كل يوم، والأحاديث النبوية التي درسناها منذ الصغر والتي علمتنا قيمة الرحمة والتعاون والشعور بالآخرين وضرورة مساعدتهم دون حتى أن يطلبوا منا ذلك.

يكفينا أن ندرك المغزى الظاهري والخفي من شعائرنا التي نؤديها بشكل دائم، كالصلاة، والصوم، والحج فهي بحد ذاتها مدرسة ربانية تربينا على الصبر وتعودنا على احتمال المشقة، والتعاون والشعور بمن حولنا، خلال تأديتنا لها تتهذب أرواحنا وتشعر بشكل لا إرادي بالآخرين فتأتي تصرفاتنا وأفعالنا ترجمة تلقائية لهذا الشعور، كما أننا ندرك يقينا أننا لا نقدم إحسانا أو صدقة أو فضلا لأحد، بل هو واجب علينا، فإن قمنا بواجبنا على أكمل وجه حينها لن يعاني أحد أو يذوق مرارة الشعور بأنه نكرة لا قيمة له بهذه الحياة، لن يوجد جائع أو فقير، وكما قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما، ستره الله يوم القيامة» (متفق عليه).

سيد عبدالله
باحث دراسات إسلامية
الهند

مع الحجاج ساعة

اجتماع ثلاثة ملايين نسمة تقريبا مع اختلاف الجنسيات واللغات والألوان في ساعة واحدة في ساحة واحدة في بلد واحد في زي واحد تحت إمامة واحدة؛ تعجز المؤتمرات أن تخلق مثلها في مثل هذا القرن الذي يتناحر فيه الناس باسم لغاتهم وألوانهم وقبائلهم وجنسياتهم.

الحج أولا بكل معنى الكلمة يمثل غاية الدين كما هو شأن العبادات كلها، إنه وضع لتحقيق المعنى الرباني الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلون، ألا وهو التزكية، تزكية النفوس أولا من العقائد التي بنيت على أساس الشرك الذي لا يأمن فاعله ولا يهتدي سالكه. وقد جعل الله الحج في أطهر بقاع الأرض لا شرك فيه وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ﴾ (التوبة:٢٨) فبداية الحج ونهايته مناسك وطاعات وقربات كلها وضعت في دائرة مصفاة لا يمسها مشرك ولا كافر وهو من أطهر البلاد في الوجود حتى يجعل الحاج كيوم ولدته أمه قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» وبهذا وذاك يتحقق كمال التزكية التي أرادها الله تعالى.

الحج دعوة إلى الوحدة ونبذ الفرقة والتشرذم

والحج ثانيا يحارب التعصب

للجنسية والقومية الضيقة والوطنية العمياء والفخر بالألوان والأنساب بحيث جعل الله هذا المؤتمر للعرب والعجم وللأسود والأبيض وللذكر والأنثى وهو بهذا المعنى أول ملتقى عالمي في تاريخ البشرية للسيد والمسود وللضعيف والقوي وللأسود والأبيض وللذكر والأنثى يقومون جنبا إلى جنب يبنون عالما يسود فيه الأخوة والمحبة اللتان هما من سمات الأمة المثقفة، وهو الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلون وهذه المناسك تزكية من كل أدناس يشوبها مساس من تعالٍ وأخلاق جاهلية تجعل الإنسانَ مكبلا ومقيدا خارجا عن مسار إخوته عبدا لشهوته حتى يجعل العاقل الحازم أعمى أصم.

والحج يجعل الحاج يذوب في الملايين بحيث يكون هو المثل الأعلى للأخوة الإسلامية التي هي جزء لا يتجزأ من الأمة، يسير معهم حيث ساروا ويصعد معهم إذا صعدوا ويقف معهم حيث وقفوا ويبكي معهم، ولا يكون كالشاة المنفردة معتزلا عن الجماعة إذ يقول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ (البقرة:١٩٩)

يقول الإمام ابن كثير عند تفسير هذه الآية: «وأمره أن يكون وقوفه مع جمهور الناس بعرفات كما كان جمهور الناس يصنعون، يقفون بها إلا قريشا فإنهم لم يكونوا يخرجون من الحرم فيقفون في طرف الحرم عند أدنى الحل، ويقولون: نحن أهل الله في بلدته، وقُطَّانُ بيته».

والحاج مع الجماعة والجماعة معه وتتجلى هذه من نقطة الإحرام حتى يودع بيت الله ثم تراهم رحماء بينهم في حياتهم بما اتعظوا من الحج من دروس في الأخوة والمحبة، ويلحق بالحجاج كل من تهفو نفسه إلى ذلك المكان بصومهم في ذلك اليوم؛ يوم عرفة يوم يقف الحجاج فيه، يقول الرسول ﷺ مخاطبا غير الحجاج من أمته: «صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده».

والحج ثالثا ذكريات للنبي الكريم إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام، حين يجتمعون لأجل الله ذاكرين أبا الأنبياء الذي ضحى بحياته كلها وقد علمه الله أن يقول ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام:١٦٢) عجبا لأمر ضيوف الرحمن إذ تركوا أرائكهم، وقصورهم، وأموالهم وأولادهم، خرجوا لا ليكتسبوا مالا، بل بذلوا أموالا طائلة لخروجهم، وهذه الأيام سوف ترتج الأراضي المقدسة – إن شاء الله – بتلبية ضيوف الرحمن كما ترتج أجواء العالم الإسلامي جميعا بالتكبير، يذكرون إمامهم الذي سماه ربه خليلا في كتابه، إذ يقول ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء:١٢٥) دالا على كثرة محبته له، كان – والله – كذلك أمة قانتا لله منيبا أواها حنيفا مسلما، فكان كما وصفه ربه.

والحج يذكرنا بمكة وماء زمزم والكعبة والمطاف ومقام إبراهيم ومنى والمروة والصفا والسعي بينهما وعرفات والجمرات، وهذه كلها تذكرنا الدعوة الخالدة التي ظهرت ببابل قبل أربعة آلاف من السنين، دعوة زكت النفوس من الشرك ففتحت النفوس وخاطبت العقول، دعوة كانت من الله ولله وإلى الله وانطلقت من العراق وشملت فلسطين وفاحت ريحها إلى أم القرى وجعلتها أفضل وأكبر مدينة لا ينقطع عنها ضيوفها. وصاحب تلك الدعوة هو خليل الله إمام الحجاج والمعتمرين، فليكن كل حاج متبعا ملته مقتديا به كما ينبغي لكل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها التأسي به عندما يكبر في مصلى عيده:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الحجاج على درب أبي الأنبياء

علاء الدين حسن
باحث دراسات إسلامية

خامس الأركان.. رمزية الزمان والمكان

الكعبة هي أول بيت وضعه الله للناس لأداء مناسك الحج، وهي قبلة المسلمين، يتجهون إليها بقلوبهم ووجوههم أينما كانوا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (آل عمران:٩٦-٩٧).

بيت بنته يد التقوى وشيده
أبو النبيين للأجيال يرفعه
وكعبة الروح بالتوحيد شاهدة
كالشمس تسطع نورا وهي منبعه

إنه بيت الله الحرام.. إليه حج الأنبياء، وإليه صلى إمام الحنفاء.. من مكة شع نور الهدى، وانطلقت رسالة التوحيد، حتى عمت أرجاء الأرض، وغيرت العالم، وأرست أجمل وأعظم حضارة عرفها التاريخ.. مكة مركز العالم، ورمز وحدة المسلمين، ومصدر النور للعالمين.. أفضل البقاع عند الله، وأحب البقاع عند رسول الله ﷺ.

مكة المكرمة (أم القرى)، بها ميلاد أشرف الورى.. على رباها نشأ وترعرع، وفي أرجائها مشى وما تضعضع.. نصف قرن من الزمان شهدت حياة النبي ﷺ في مكة؛ فأي شرف يقارب هذا الشرف!

هنيئا لمن زار بيت التقى
وحط عن النفس أوزارها
فإن السعادة مضمونة
لمن جاء مكة أو زارها

في تلكم البقاع، نزل جبريل، عليه السلام، بالوحي، وصدع النبي ﷺ بالتوحيد من «جبل الصفا».

لو حدثتكم الكعبة، أو حكى زمزم والمقام؛ لقالوا: كان هنا أبوبكر وعمر، وكان عثمان وعلي.. وغيرهم من الصحب الكرام، رضوان الله عليهم، الذين أضاءوا الدنيا، وقرروا مبادئ الدين، ورسموا نهج الإنسانية الأرقى.

ولقد تولى إبراهيم، عليه السلام، مع ولده إسماعيل، عليه السلام، رفع قواعد هذا البيت.

وحدث في بعض السنين أن تهدمت جدران الكعبة، ولما أرادت قريش إعادة بنائها، تنازعوا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود.

قال أحدهم: نحكم بيننا أول من يدخل إلينا. ولأمر قدره الله، دخل محمد ﷺ؛ فبسط رداءه، ووضع الحجر في وسطه؛ فلما قاربوا مكان الحجر من البيت، تناوله النبي الكريم بيده الشريفة، وحسم الخلاف.

● ولقد قال لي بعض الذين لا يعلمون الحكمة البالغة: إن الإسلام مازال متأثرا ببقية وثنية، عبر الطواف واستلام الحجر وما يحيط به من معاني التكريم.

فقلت: إن هذا الزعم بعيد عن الصواب، فالمسلم الذي يطوف بالكعبة أو يستلم الحجر، يعتقد اعتقادا جازما أنها جميعا لا تضر ولا تنفع، ولكنه يقتدي في ذلك برسول الله ﷺ امتثالا لأمر الله.. لأن من كمال إيمان المسلم أن يكون حب الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

الحج شرع لآداب إنسانية ومعان روحية سامية

وإذا كان المسلم في حاجة إلى غذاء للقلب والعاطفة؛ فإن البيت العتيق وما حوله من شعائر، والحج وما فيه من مناسك، خير ما يحقق به الإنسان عاطفته، فالشوق إلى لقاء الله يدفع إلى الشوق لأسباب اللقاء..

وإذا كان البيت مضافا إلى الله، فمن الطبيعي أن يشتاق إليه المحب لمجرد هذه الإضافة، فضلا عن طلب الأجر والثواب.

وحتى لو لم يكن الحج ركنا من أركان الإسلام، لحتم شوق القلب على المؤمن أن يرحل إلى بيت الله؛ ليشهد، على الأقل، مهابط الوحي الأمين، وأنوار خاتم الأنبياء والمرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وإذا كانت المساجد بيوت الله في الأرض؛ فكيف بأجر التقرب في بيت أوصله الله بالسماء؟.. وبهذا يكون الحجر الأسود ذا قداسة؛ لأنه رمز نسك فقد جاء الأمر بتعظيمه، فلا شأن إذن لذاتية الحجر، وإنما الشأن كله لما يعرض له.

● والمسلم يحتاج إلى أن يشهد موسم الحج الذي يعد ملتقى المخلصين، ومهوى أفئدة الهائمين، وأبلغ أثر في تمام الإذعان لله رب العالمين.

والحج، بمناسكه وأركانه، كله طاعة وانقياد، فالحاج يتقلب بين مكة ومنى، وعرفات والمزدلفة، ثم هو يسعى بين الصفا والمروة، ويقصم بالحصى ظهر الشيطان، ويحقق غاية الأمل المنشود.

وتبقى نسبة البيت إلى الله قائمة على مر الزمن.. أما قال عبدالمطلب لأبرهة: أما الإبل فهي لي، وأما البيت فله رب يحميه!.

آداب ومعان

ولقد شرع الحج لآداب إنسانية، ومعان روحية، وذلك حين يبذل المؤمن ماله ويفارق أهله؛ لتكتحل عيناه برؤية مكة وآثارها الخالدة، وبروعة المدينة وأنوارها المتلألئة.

وحتى يعود المسلم بعد أداء هذه الفريضة كيوم ولدته أمه، لابد له من توبة إلى الله صادقة، ورد الحقوق والأمانات إلى أهلها.

وفي الحج يلتقي المسلمون على تباعد ديارهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم، يتعارفون ويتآلفون؛ فتتأكد الروابط الأخوية بين أبناء الأمة الإسلامية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الحجاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم، وإن استغفروه غفر لهم) (سنن ابن ماجه).

● وقد يسأل سائل: مادام «الحج أشهر معلومات».. وهي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، فلماذا لا يتكرر الحج في هذه الأشهر عدة مرات؟ والجواب: إن الحج عبادة فرضها الله ونفذها رسوله ﷺ، وعلمها للمسلمين، فتواترت أعمال الحج عمليا، ونقلته أجيال الأمة جيلا بعد آخر.. والعبادات لا مجال

فيها للابتداع بحيث نغير زمانها أو مكانها أو كيفيتها؛ فالأصل فيها الاتباع والتسليم؛ ولأن الحج مرتبط بزمان محدد ومكان معين، فلا يجوز نقله من مكانه الخاص، كما لا يجوز نقله من زمانه المعلوم.. ومن أحدث في الإسلام ما ليس منه فهو مرفوض ورد عليه.

● والحج مبني على التيسير، وما سئل النبي ﷺ عن شيء قدم أو أخر إلا وقال: «افعل ولا حرج» (متفق عليه).

والحج ينطوي على: التقرب إلى الله في الفكر والعمل، واجتناب الطاغوت بالروح والجسد، وهذان العنصران هما مادة الإسلام: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل:٣٦).

والآيات التي تتحدث عن الحج، تتجه على الدوام نحو هذين العنصرين. والتقرب إلى الله يتطلب ذكرا وصلاة وإحراما، واجتنابُ الطاغوت يستلزم تنقية القلب من الأهواء؛ ليتزود الحاج بالتقوى، وبالتقوى تزداد حصانة الأمة الإسلامية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» (متفق عليه). وقال عليه الصلاة والسلام: «الحج المبرور؛ ليس له جزاء إلا الجنة» (رواه البخاري).

مساواة لا سابقة لها

وفي الحج، يتساوى المسلمون بلباسهم ومواقفهم، ينسبون إلى دين واحد، ويهتفون بدعاء واحد، لرب واحد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».. كلمات تنساب عذوبة ورقة، وتعبر عن أسمى معاني الخضوع لله رب العالمين.

في يوم عرفة أكمل الله للأمة دينها

والضمانات التي نلمحها في الحج، لا يمكن أن تتوافر في المؤتمرات التي هي من إعداد البشر، فمؤتمر الحج الذي يقام كل عام، ما هو في بعض مقاصده إلا تذكير للإنسان بأخيه الإنسان، على أنه لا مفاضلة بين الناس إلا بالتقوى والعمل الصالح، وبذلك يتلقى الإنسان درسا لا تبلغه أقوى العبارات.

● والحج عبادة شاملة، فصلاة في المسجد الحرام تعدل مئة ألف صلاة فيما سواه، والنفقة في الحج نفقة في سبيل الله، وفي الحج صوم عن الزينة، وفيه توحيد ينزه الله عن كل ادعاءات المشركين.

وفي الحج تأدب مع الجماد في تقبيل الحجر الأسود، وتأدب مع النبات في النهي عن قطعه، وفيه تأدب مع الحيوان في تحريم صيده، ومع الإنسان في عدم مجادلته.

مناسك وغايات

ومناسك الحج إرشاد للمسلم في سائر أحواله.. فالإحرام الأبيض رمز لما يجب أن يكون عليه قلب المؤمن من حب ونقاء، والطواف دعوة لجمع كلمة الأمة، وعرفات ترفع عن المغريات..

من نال من عرفات نظرة ساعة
نال السرور ونال كل مراد
تالله ما أحلى المبيت على منى
في ليل عيد أبرك الأعياد

عرفة: اعتراف بالتقصير من العبد تجاه ربه عزوجل، واغتراف من الحب والعرفان، تعترف بالتقصير لتقول: يا رب! إني مقصر، وتغترف من العرفان؛ لأن عرفة من المعرفة، ومن لم يعرف ربه في عرفة، لن يكون واقفا في عرفة..

ويوم حج النبي ﷺ مع أمته، نزل قوله تعالى في يوم عرفة:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:٣).

في ذلك اليوم، يوم عرفة من العام العاشر من هجرة المصطفى ﷺ، أكمل الله لهذه الأمة دينها، وأتم عليهم النعمة، ورضي لهم الإسلام دينا، وهذه منة عظيمة من الله على عباده، وكلما وقف المسلمون على عرفة تذكروا هذا الفضل، وشكروا الله على جزيل إنعامه؛ حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم، على يد خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي بعثه إلى الإنس والجن، فأحل الحلال، وحرم الحرام، وأحق الحق، وعمق الصدق.

أما الرمي، فهو تجسيد لصدق العزيمة، واحتقار لعوامل الشر.

وفي السعي بين الصفا والمروة، يتذكر الحاج قصة السيدة هاجر مع ولدها إسماعيل، عليهما السلام، يوم تركهما إبراهيم عليه السلام، بوحي من الله.. فامتثلت هاجر وصبرت، وبكى الطفل يطلب الماء والطعام.. في ذلك الموقف، يستعيد الحاج في

ذهنه حيرة الأم تجاه ولدها وهي تضرع إلى الله، تمد بصرها في كل اتجاه، علها تجد من يعين ولدها.. واستجاب الله دعاء هاجر وإبراهيم، وتفجرت الأرض نبع ماء في واد غير ذي زرع، وازدحم المكان بالناس يوما بعد آخر.. ذكريات ما أجلها، ندرك معها أن الله تعالى لا يتخلى عن عباده المؤمنين الصادقين.

وإن هذه المناسك لتشهد أنه ﷺ أدى أمانة هذا الدين: شريعة بيضاء نقية، ظاهرها كباطنها، لا يحيد عنها إلا فاجر.. شريعة تثبت صدق رسالة محمد ﷺ، وتثبت صدق تضحيات الصحابة من أجل هذا الدين العظيم؛ فتستيقظ المشاعر لكل مَعْلَمة من معالم الفتح الإسلامي.. هذه مكة بواد غير ذي زرع، منها انطلقت إلى العالم حضارة جمعت بين المادة والروح، ووازنت بين الدنيا والآخرة. وتلك هي البطحاء، تحت شمسها كان يتحرق جسد بلال بن رباح الحبشي؛ ليكفر بالله الواحد الأحد، وبمحمد رسول الله، فما كان ليفتر عن أنشودته التي رددها معه السهل والجبل: أحد، أحد،.. لقد ارتفع لواء هذا النشيد فوق ذرى الأرض، وانحسر الطغيان أمام مد العمل الخالص لوجه الله.

● وما إن تأتي أشهر الحج، حتى نرى المسلمين يتوافدون على بيت الله من كل طريق بعيد، فالحج فرض عين على كل مسلم ومسلمة مرة واحدة في العمر إن استطاع إليه سبيلا، ومن استطاع ولم يحج فهو آثم. والمقصود بالاستطاعة: أن يكون الطريق آمنا، وأن يتوافر الزاد وواسطة السفر، وأن يكون ذلك زائدا عن الدَّين ومؤنة الأسرة مدة الذهاب والإياب.

وللبيت العتيق مكانته ومآثره، فمن دخله كان آمنا: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج:٢٥).

ولعله من الطبيعي إذا أدى المسلم حجه أن يتوق إلى مهجر خاتم المرسلين، فيصلي في المسجد الذي تعدل ركعة فيه ألف ركعة فيما سواه، ويقف في مواقف الشهداء والصديقين، فيستمد منها الصدق والإيمان، ويسلم على رسول الله ﷺ، الذي أخرج الله به العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

● وإذا كان الحج أعظم تجمع عبادي عرفته الحياة، فإنه ينبغي على المسلم أن يكون صورة صادقة للنظام الأخلاقي في ظل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ (الحجرات:١١).

و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» (رواه البخاري)، و«الكلمة الطيبة صدقة» (رواه البخاري).. كما يجب على المسلم في الحج أن يكون مراقبا لله في سلوكه ومعاملته، وأن يتواضع لإخوانه المؤمنين، وأن يتحلى بالحلم والأناة، وأن يتجنب الغضب والخصام.

في يوم الحج لا نسب إلا الإسلام ولا حسب إلا الإيمان

● ومن مقاصد الحج الرئيسية: تجديد الصلة بمؤسس الملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ومن ثم تجديد الصلة بمحمد ﷺ الذي أصبح الحج في ظل رسالته مركزا للهداية والأمان، يلتقي فيه الحكماء والزعماء، والرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، مؤكدين أنهم بوحدتهم أقوياء، وأن هذا اللقاء هو سبيل البناء والعطاء، فالحج مؤتمر عالمي، دعا إليه رب واحد، وحدد دوراته في زمن واحد، ورسم منهجه في كتاب واحد، واستجاب له المؤمنون بزي واحد، تزيدهم غبرتهم جمالا، وتزيدهم شعثتهم وقارا، مع الزحام في سلام، نشيدهم: لبيك وسعديك، ضجيجهم ضراعة، وأملهم قبول طاعة، سيماهم في خشوع، ودعواهم في خضوع، وفي جلال وحدتهم ذابت الألوان واللغات، والفروق والطبقات، فلا نسب إلا الإسلام، ولا حسب إلا الإيمان، تتعاون الطاقات، وتتكامل الإمكانات، وتتجدد الذكريات:

شعثا أتوك حداهم الإيمان
والشوق والتسليم والإذعان
جاءوك يا رب الأنام لعلهم
إذ يرجعون يظلهم غفران

والأمة مازالت متمسكة بالإيمان، ومازالت ترى هذا الركن منطلقا إلى حياة راشدة، وعزة شامخة.

إن يختلف ماء الوصال فماؤنا
عذب تحدر من غمام واحد
أو يفترق نسب، يؤلف بيننا
دين أقمناه مقام الوالد

نرجو الله عزوجل أن يمن علينا بحج بيته الكريم، وأن لا يحرمنا من هذا الفضل العميم.

الحج بين الابتداع والإبداع

لقد خلق الله تعالى الكائنات لعبادته، وكلف الثقلين بذلك، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات:٥٦)، والعبادات في الإسلام مدارها على الاتباع والتوقيف والنص، لذلك ظلت سائر العبادات تؤدى كما أداها النبي ﷺ، الذي أكد على هذا الأمر من المتابعة والتأسي به في العبادات وغيرها.

فقال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقال: «لتأخذوا عني مناسككم».

عقود مضت وقرون خلت وأعداد المسلمين ملأت أرجاء الأرض، واتسعت رقعة وطن الإسلام، وهيئات وكيفيات العبادات كما هي لم تتغير ولم تتبدل، فهي بمثابة الثوابت، والمعلوم من الدين بالضرورة، وكانت ولا تزال بمنأى عن الابتداع، والنبي ﷺ يقول: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد». أي مردود عليه.

الحفاظ على العبادات

في الحج والعمرة تكاد تكون مظاهر الابتداع منعدمة تماما، وذلك لحرص الناس على هدي النبي ﷺ في أداء المناسك، وللدور التوعوي المتمثل في دروس العلم الشرعية والمحاضرات في قاعات الدرس والمساجد، وعبر وسائل الاعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئية، هذا إلى جانب الاصدارات المختلفة.

حتى إذا حطوا رحالهم في بلاد الحرمين ضيوفا في حمى الرحمن، كان الدور التوعوي الكبير لوزارة الحج السعودية ببث العلماء والموجهين، وإقامة الندوات والمحاضرات، ونشر المطويات والكتيبات التي تعلم وتفهم أداء المناسك بكثير من اللغات، لضمان وصول المعلومات إلى الحجاج بما يفهمون من لغات، ويدركون من مفردات لغوية.

الحج والابداع

فرق العلماء وأولوا الأمر بين الابتداع فنحوه جانبا، وبين الابداع الذي جعلوه سببا معينا على أداء العبادات والمناسك، والابداع من قبيل الاجتهاد، والقاسم المشترك بينهما: إعمال العقل.

الاجتهاد: إعمال العقل لإنشاء حكم لأمر نزل بالمسلمين، أما الإبداع: فهو إعمال العقل لتطوير وترقية أساليب الحياة وأدواتها، وسائر الصناعات، واستغلال أدوات العصر والتقدم الصناعي في إقامة دين الله وشعائره.

وبالرغم من حرص العلماء والحكومة السعودية على التمسك بهدي النبي ﷺ إلا أن هذا لم يمنعهم من الابداع في المكان، والاستفادة من التكنولوجيا وآلياتها، والانتفاع بثمراتها ونتاجها، وإطلاق الفكر في تطوير المكان وتطوير ديناميكية أداء المناسك بما ييسر أداءها على ضيوف الرحمن، وبما لا يتعارض أو يتخالف مع الكتاب والسنة والأحكام الشرعية وأقوال الفقهاء.

فكانت التوسعات المتتالية للمسجد الحرام أفقيا ورأسيا، وتوسعة أداء المناسك من الطواف والسعي بزيادة عدد الطوابق ليتمكن الحاج من أداء الطواف والسعي بيسر وسهولة، ومع شدة ارتفاع هذه الطوابق أنشئت

السلالم الكهربائية لمواجهة الأعداد المتدفقة وسرعة نقلهم، والعمل على راحتهم.
ومع هذه التوسعات أتيحت الفرصة لاستخدام العربات الكهربائية وغيرها، لأداء المناسك بعد ما كانت تؤدى بالحمل على الأكتاف.
أما الرخام الذي تم تمهيد المطاف والمسعى به، فهو لا يمتص حرارة الشمس بل يمتص الرطوبة ليلا عبر مساماته الدقيقة، وفي النهار يقوم بضخ هذه الرطوبة.
وتم الاستعانة بالتكنولوجيا في التعامل مع بئر زمزم، فبعدما كان رفع الماء بالطرق البدائية أصبح رفع الماء منها الآن يتم عبر الآلات والأنابيب الصحية لرفعها ونقلها وتوزيعها حتى إنك لتشرب ماء زمزم في الحرم النبوي الشريف، وقد أمكن تصوير أعماق البئر واستخراج ما فيه من آثار.
وقد حرصت حكومة المملكة العربية السعودية على إنشاء الطرق والأنفاق التي أحاطت بالمسجد الحرام من كل جانب، وبالرغم من عظم الجبال وضخامتها، وصعوبة إزالتها فتيسرت بذلك حركة المواصلات وتم إنشاء المواضئ والحمامات لاستيعاب تلك الأعداد المتدفقة، لا سيما في ساعات الذروة من شهر رمضان والحج الأكبر.
إن الاستعانة بالتكنولوجيا وأدواتها وثمراتها في أداء المناسك والعبادات، ليس المراد منها الترف والتنعم المفرط، بل المراد حفظ الأرواح ورعاية الأنفس وأداء المناسك بيسر وسهولة، ورعاية الفئات العمرية المختلفة للمسلمين، لاسيما أصحاب الأعذار والضعفاء والمرضى وكبار السن.
إن الاستعانة بأدوات العصر الحديثة في أداء المناسك ليس من قبيل الاستمتاع المحض أو الترف الزائد، بل استخدامها والاستعانة بها للقيام بأوامر الله وأداء المناسك والعبادات، تماما كالذي ينام ليتقوى بالنوم على القيام بواجباته الدينية والدنيوية، وكمن يأكل طعام السحور ليتقوى به على الصيام.
أما خيام منى فقد تم اختيار صناعتها من مواد لها مقاومة عالية للاشتعال وللعوامل المناخية كالعواصف والرياح، وعدم انبعاث الغازات السامة منها، وذلك حفاظا على ضيوف الرحمن.
وحفاظا على مواكب الحجيج وتدفقها في أثناء رمي الجمرات أنشئ جسر الجمرات المكون من خمسة طوابق: تشتمل على كاميرات مراقبة لمنع تدفق الحشود، وحفظ النظام، وتعزيز سبل الأمن والسلامة، وحفظ الأرواح وانتظام سير هذه المواكب لأداء المناسك، كما أنها تحتوي على نظام تكييف معزز برشاشات مياه تساعد على تبريد الجو، وتلطيف درجة الحرارة.
وهناك في منى تلمح في الأفق عقدا يتلألأ، ألا وهو قطار المناسك الذي يربط مكة بالمشاعر المقدسة - منى وعرفة والمزدلفة - كانت ولادة فكرة هذا القطار بعد معاناة الحجيج ومن الزحام الشديد طيلة ما يقرب من قرن من الزمان، لقد جهز خط سير القطار على جسور ترتفع بمقدار عشرة أمتار عن الأرض، وقد أغنى هذا القطار عن استخدام ١٢٠٠٠٠ سيارة لنقل الحجيج، ويعمل المختصون على زيادة القدرة الاستيعابية للحجاج حتى تصل إلى كامل طاقته ٧٢٠٠٠ راكب بالاتجاه الواحد كل ساعة.
لقد كان من الشبهات التي أثيرت وقت تنفيذ هذا المشروع حول العمال والمهندسين أنهم من غير المسلمين، ويحرم عليهم دخول مكة، ومن المعلوم أن الاستعانة بهم كانت للضرورة القصوى، والضرورات تبيح المحظورات.
ومن العجيب أنه بعد أربعة وعشرون ساعة من اعطائهم الكتب المترجمة عن الاسلام، شرح الله صدورهم واعتنق كثير منهم الإسلام.
كذلك أنشئ مشروع حفظ الأضاحي والهدايا والنسك، بالذبح المنظم والاشراف الطبي والتبريد والشحن للدول المحتاجة، وذلك بعدما اجتهدوا فيما يقدم من هدي بالغ الكعبة، هل يجوز اخراجه من مكة إلى أي مكان في العالم الإسلامي حفاظا على نعم الله وشعائره؟ أم أنه لا يجوز اخراجها من الحرم التزاما بقوله تعالى: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ (المائدة:٩٥)؟ فاتفقت كلمتهم على جواز اخراج هذه اللحوم من مكة إلى المحتاجين والفقراء والمساكين في أصقاع الأرض المختلفة، فالمصلحة تقتضي ذلك، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله.

المملكة

إن وصول المملكة العربية السعودية إلى هذا الابداع الملموس لم يكن مصادفة أو كيفما اتفق، بل سبق ذلك دراسات وأبحاث علمية وجوائز وحوافز تشجيعية، كجائزة مكة للتميز الذي فاز بها مشروع جسر الجمرات بجائزة أفضل مشروع في خدمة الحجاج عام ٢٠٠٨م.
وغير ذلك من الجوائز والحوافز على سبيل التحفيز والتشجيع والتكريم للباحثين المبدعين.
إن الابداع الماثل أمامنا في الحرمين الشريفين يحفه الاتقان والاحسان من كل جانب، لأنه يراعي ما قدمته التكنولوجيا، والأخذ منها بما يتناسب مع الزيادة العددية المتنامية للحجيج والزوار والمعتمرين ومحدودية المكان، مع الحفاظ التام على هيئات وكيفيات المناسك وشعائر الله.

مصطفى طه عبدالغني
باحث دراسات إسلامية

للحج فضائل وفوائد

لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن طغيان الشهوات، والخروج عن غفلة اللذات، والتجرد لله سبحانه في الحركات والسكنات، فقد بنى رب العالمين الإسلام على خمس قواعد أساسية وهي الأعمدة الرئيسية التي بني عليها الإسلام، وسنستعرض الركن الخامس منها وهو «الحج».

لقد فرض الله، سبحانه وتعالى، الحج في الإسلام في السنة التاسعة للهجرة الشريفة، وأدى الرسول ﷺ فريضة الحج في السنة التي تلتها أي في السنة العاشرة، وهي حجة الرسول الوحيدة وسميت بحجة الوداع؛ لأنه ودع فيها المسلمين وأوصاهم واستشعر فيها المسلمون دنو أجل الرسول ﷺ.

وفرضه الحق سبحانه على كل مسلم مرة واحدة في حياته لمن استطاع إليه سبيلا؛ حتى لا يشق على الناس، فهو الرؤوف الرحيم،

فقد قال جلاوعلا في كتابه ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ (آل عمران:٩٧).

وقد عرفه العلماء لغة على أنه: القدوم والقصد.

واصطلاحا: التوجه إلى بيت الله الحرام لأداء المناسك الخاصة بهذا النسك.

وشروطه: «الإسلام - العقل - البلوغ - الحرية - المواقيت (الزمانية - المكانية)».

وأركانه: «الإحرام - الطواف - السعي - الوقوف بعرفه».

والناظر إلى أعمال هذا الركن العظيم يدرك ما فيه من تعب ومشقة، ولكنه سبحانه ما فرض أمرا إلا وفيه الخير للبلاد والعباد وكان إلزام الناس به سببا في إصلاح الناس ومنفعة لهم في كافة الجوانب (الاقتصادية - والاجتماعية - والسياسية - التجارية).

فقد قال المولى عزوجل في كتابه الكريم: ﴿لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ (الحج:٢٨).

فمشروعية الحج لعدة أسباب نذكر منها:

١- تقوية وحدة المؤمنين وجعلهم كإخوة متآخين ومتحابين في الله ومتضامنين معا كالجسد الواحد.

فعن النبي ﷺ أنه قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». (أخرجه البخاري ومسلم عن النعمان ابن بشير).

الحج تربية للمسلم على تحمل الصعوبات والمشاق

٢- التقاء المسلمين من كافة أقطار الأرض كل عام في مهبط الوحي ومهد الإسلام.

٣- تقوية الإيمان والإعانة على الطاعة.

٤- إظهار العبودية والشكر على النعمة.

٥- فتح باب الأمل لأهل المعاصي وإعانتهم على تركها.

فيمكن وصف الحج في هيئته على أنه مؤتمر إسلامي انعقد بدعوة من رب العالمين والتقى فيه وفود من كل الدول الإسلامية إلى أطهر بقاع الأرض ليرسموا ويخططوا معا خطة مضمونها تعاونهم وتوحدهم وتكاتفهم، وذلك بتوحد دعائهم لله رب العالمين مع اختلاف أجناسهم ولغاتهم وأفكارهم.

والحج له فوائد متجددة، وعوائد متعددة، ومن فضائله ما جاء مسطرا في كلامه ﷺ.

عن عبدالله بن مسعود أنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب دون الجنة» (صحيح ابن حبان).

- ما ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور».

- ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضا أنه قال: سمعت رسول الله يقول: «من حج، فلم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه».

- ما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أن النبي ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

فهنيئا لمن كتب الله له الحج وزيارة بيت الله الحرام فقد غنم وفاز، فعلينا أن نسعى للأجر، مهما شق علينا، نظرا لما فيه من الأجر والثواب عند الخالق، سبحانه وتعالى.

أما فوائده وعوائده؛ فهي كثيرة، منها أنه:

١- سبب في مغفرة الذنوب.

٢- رغبة لمرضاة الله.

٣- شوق في دخولك الجنة.

٤- رهبة في تعظيم شعائر الله.

٥- تربية المسلم على تحمل الصعاب والمشقة طمعا في الفوز بجنة الكريم المنان.

فالحج ليس مجرد فريضة عادية يؤديها المسلمون، بل إن فيه مجموعة عظيمة من الدروس والعبر التي يستفيد منها المسلم، ويتعلمها في أمور دنياه، مثل الصبر على أداء الطاعات، وتوحيد القلوب والأرواح بين الناس، فيجتمع الأمير مع الخادم، والغني مع الفقير، والسيد مع المأمور، والأبيض مع الأسود، ويلبسون لباسا واحدا، ليس فيه تمييز بين عبد وآخر، ليعلمنا الله سبحانه وتعالى أن الناس عنده سواسية، لا تفريق بينهم.

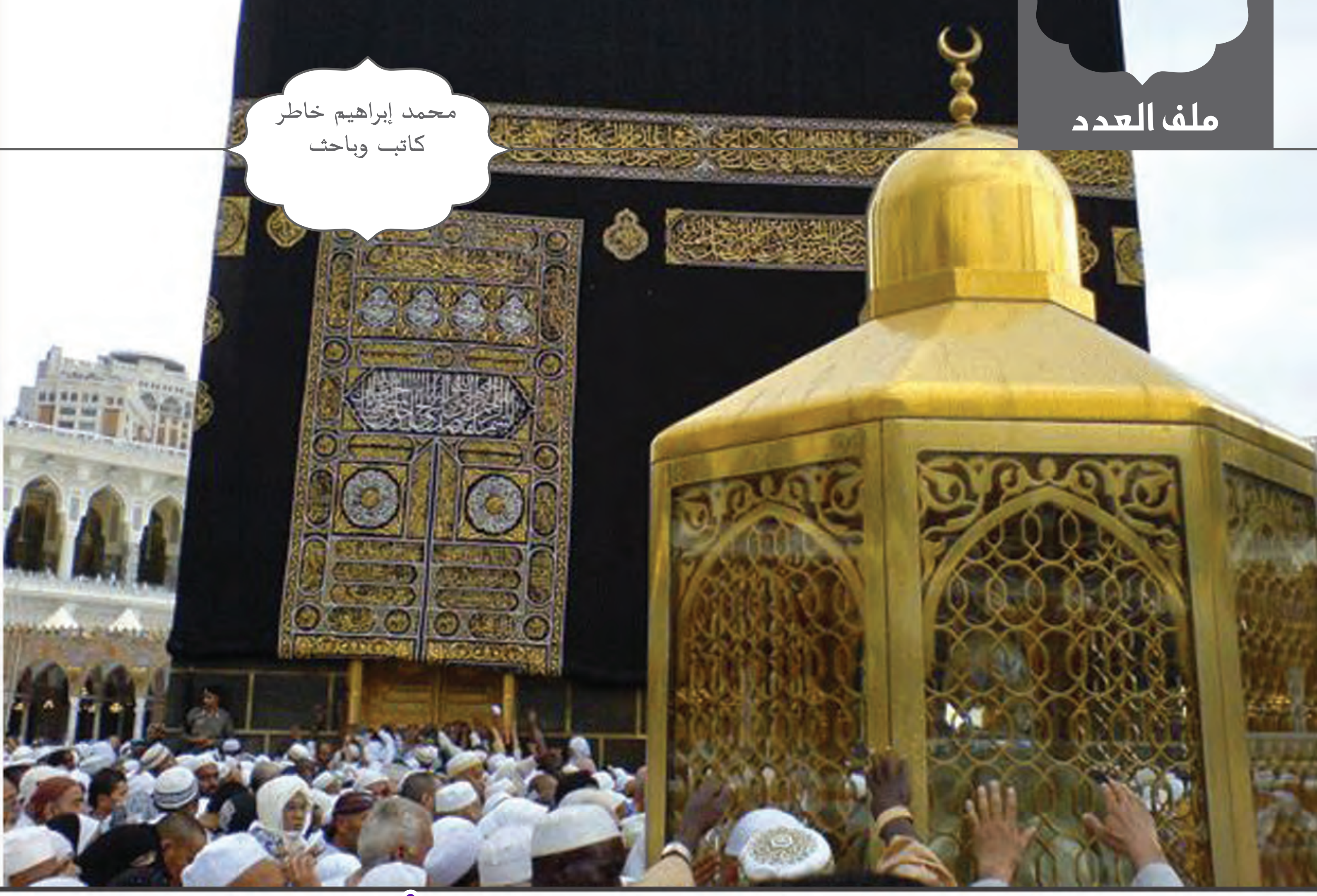

محمد إبراهيم خاطر
كاتب وباحث

إبراهيم عليه السلام وأهل بيته

المتأمل في مناسك الحج والعمرة يجد أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالخليل إبراهيم عليه السلام وأهل بيته، وفي ذلك إشارة إلى الانقياد والاستسلام والتضحيات التي قدموها من أجل الإسلام وإعلاء كلمة التوحيد، وفي هذه المناسك الكثير من العبر والمواقف التي ينبغي أن يستفيد منها المسلمون في حياتهم.

وأول ما يستوقفنا في سيرة الخليل عليه السلام الصفات التي وصفه الله عزوجل بها في القرآن الكريم، فقد وصفه بالحنيف وهو المائل عن جميع طرق الضلال إلى طريق الهدى، يقول الله عزوجل: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء:١٢٥).

ووصفه الله عزوجل بأنه كان أمة في إيمانه وعطائه، ووصفه بالقانت والحنيف والشاكر، يقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ (النحل:١٢٠-١٢١).

وعن عطاء الخليل إبراهيم عليه السلام في جميع الأمور وإتمام ما أمر به وزيادة، يقول الله عزوجل: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (النجم:٣٧).

ومما يلفت انتباهنا في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام مواجهته للجميع من أجل إعلاء كلمة التوحيد، فقد واجه أباه ودار بينهما حوار يبين لنا مدى الرحمة والرقي في التعامل مع أبيه، يقول الله عزوجل: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ (مريم:٤١-٤٧).

وواجه الخليل عليه السلام قومه،

يقول الله عزوجل: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (الأنعام:٨٠).

وواجه كذلك الملك الطاغية الملقب بالنمرود، يقول الله عزوجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨).

وبناء البيت كان امتثالا لأمر الله عزوجل، وقد وفى الخليل عليه السلام في عملية البناء، فلم يكتف ببناء جدران الكعبة وإنما رفعها بالحيلة، فقد وقف على حجر لكي يرفع ويتم البناء قدر وسعه وطاقته، ثم سأل الله سبحانه القبول، يقول الله عزوجل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (البقرة:١٢٧).

والوقوف بعرفة من الأركان التي يقتدي فيها المسلم بالخليل عليه السلام، وهو من النسك التي علمها جبريل عليه السلام للخليل، فقد ذكر ابن كثير في تفسيره رواية عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «بعث الله جبريل، عليه السلام، إلى إبراهيم، عليه السلام، فحج به، حتى إذا أتى عرفة قال: عرفت، وكان قد أتاها مرة قبل ذلك، فلذلك سميت عرفة، وروي عن عطاء، قال: إنما سميت عرفة، أن جبريل كان يري إبراهيم المناسك، فيقول: عرفت عرفت، فسمي «عرفات».

ورمي الجمار فيه تذكير بما وقع للخليل عليه السلام عندما أمره الله عزوجل بذبح ولده، فعندما سعى لتنفيذ ذلك الأمر اعترضه الشيطان ووسوس له بأن لا يذبح ولده الذي جاءه على كبر، فرماه الخليل بسبع حصيات، ثم انطلق فاعترضه مرة أخرى فرماه بسبع، ثم انطلق فاعترضه ثالثة فرماه، وعزم على تنفيذ ما أمر به، والمسلم مطالب بأن يجاهد شيطانه ويجاهد هواه ابتغاء مرضاة الله سبحانه.

والعطاء والتضحية لم يقتصرا على الخليل إبراهيم عليه السلام بل امتدا ليشملا زوجته هاجر وولده إسماعيل، ومن المواقف التي تدل على ذلك: الحوار الذي دار بين الخليل إبراهيم عليه السلام والسيدة هاجر عليها السلام عندما تركها ورضيعها في مكان قفر لا زرع فيه ولا ماء، فعندما سألته آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لا يضيعنا، وكان جزاء ذلك التسليم لأمر الله عزوجل والتضحية من أجل رضيعها.. وتخليد ذلك الموقف بركن السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة، وماء زمزم الذي انتفع به الناس من زمن إبراهيم عليه السلام وحتى الآن، وسينتفعون به إلى ما شاء الله عزوجل.

ونبي الله إسماعيل عليه السلام نشأ وربي على العطاء والتضحية، ولذلك عندما أخبره الخليل عليه السلام بأنه رأى في المنام أنه يذبحه كان جوابه كما حكى القرآن الكريم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات:١٠٢).

وجزاء الاستسلام لأمر الله عزوجل كان ذبحا عظيما وشعيرة يؤديها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهي الأضحية، يقول الله عزوجل: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (الصافات:١٠٣-١٠٧).

والرضا بما قسمه الله عزوجل من الرزق نجده في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام مع زوجتي ابنه إسماعيل عندما أمره بطلاق الزوجة التي اشتكت حالها وحال زوجها بقوله لها: «إذا جاء زوجك، فقولي له غير عتبة بابك»، وأمره بإمساك الزوجة التي أظهرت الرضا والشكر بقوله لها: «إذا جاء زوجك فقولي له ثبت عتبة بابك».

وقصة الخليل إبراهيم عليه السلام وأهل بيته وما فيها من دروس وعبر، ومناسك الحج والعمرة المرتبطة بهذه القصة تدور كلها حول الاستسلام والانقياد لله تعالى واتباع أوامره واجتناب نواهيه والجهاد في سبيله، يقول الله عزوجل في ختام سورة الحج: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ (الحج:٧٨).

والإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله عزوجل للناس، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ (آل عمران:١٩).

ويقول تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران:٨٥).

والإسلام الحق يتحقق بإخلاص العبودية لله وحده والتجرد من الأهواء، والتخلص من العبودية لغير الله بكل أنواعها، والرضا والتسليم بقضاء الله عزوجل، والاقتداء بالأنبياء والصالحين.

إيمان نايل عبيد - سورية
باحثة دراسات إسلامية

جهود العرب في علم الفلك

يعرف علم الفلك بأنه الدراسة العلمية للأجرام السماوية، أي دراسة الأجسام والمواد الموجودة خارج الغلاف الجوي مثل «النجوم والكواكب والمذنبات والمجرات»، ودراسة خصائصها الفيزيائية والكيميائية.

وعلم الفلك من العلوم القليلة التي ساهم الهواة بدور هام فيها، فكان بعضهم من خلال متابعته الشخصية، يرصد أو يكتشف بعض الظواهر العابرة.

وقد تطورت أساليب البحث وتقنيات الرصد، ففتحت الآفاق واسعة من الأرض إلى الفضاء، وبما أن علم الفلك يتكئ على العلوم الأخرى ويتداخل معها، لذلك وجب على الباحث فيه إتقان الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والإلكترون والحاسوب وغيرها من العلوم التي يحتاجها لأبحاثه.

وحتى القرن العشرين كان علم الفلك شاملا، وبعدها تم الفصل بين علم الفلك الرصدي وعلم الفلك النظري، فكان الأول يدرس المراصد، سواء الموجودة على الأرض، أو التي أرسلت إلى الفضاء، ويتم فيه جمع المعلومات والصور وتحليل البيانات عبر أنواع التلسكوبات منها: «تلسكوب الأشعة تحت الحمراء، وتلسكوب أشعة غاما، وتلسكوب الأشعة السينية»، ومن نتائج هذه الدراسات ينشأ علم الفلك النظري الذي يهتم بصياغة النظريات، وتطوير نماذج العمليات الفيزيائية الحاصلة في النجوم والمجرات وسائر الأجرام السماوية، وبهذا يتم تفسير الظواهر الفلكية وعلاقتها بالأرض وساكنيها وتأثيرها عليهم. فيمكن من خلال دراسة نشوء وحياة وموت النجوم، وضع نتائج محتملة لما يمكن أن يحدث لشمسنا في المستقبل.

أهم فروع علم الفلك الحديث

١- قياس مواقع النجوم: فقياس مواقع النجوم في السماء بدقة، كفيل برصد تحركاتها فيما بعد.

٢- الميكانيكا السماوية: ويختص هذا الفرع برصد حركة الكواكب والأقمار في مجموعتنا الشمسية، ووفق قانون الجاذبية، يمكن التنبؤ بتلك الحركات قبل عشرات السنين من حدوثها، مثال ذلك حساب وتحديد زمن خسوف القمر.

٣- الفيزياء الفلكية: وهي دراسة طبيعة الكواكب وفيزياء النجوم، ودراسة محيط ما بين النجوم.

٤- فيزياء الكون: وهي دراسة الكون ومكوناته بمجملها، وما يمكن أن يحدث في مستقبله.

جهود العلماء العرب في علم الفلك

في العصر الجاهلي بقي الاهتمام بعلم الفلك في حدود الفطرة والفراسة، لحاجتهم للاعتماد على النجوم كدليل في صحرائهم المترامية الأطراف، وكانوا يشركون معه علم التنجيم بما لديهم من خرافات وشعوذة.

بعد أن ثبتت الدولة الإسلامية أركانها، اهتم العلماء فيها بعلم الفلك، فجمعوا وترجموا ما كان منه عند اليونانيين والفرس والهنود والصينيين والكلدانيين والسريان، وأول ما ترجم من الكتب كتاب «مفاتيح النجوم» المنسوب إلى هرمس الحكيم من اليونانية إلى العربية أواخر عصر الدولة الأموية، ويعد كتاب المجسطي لبطليموس المترجم عن اليونانية أيضا في العصر العباسي من أهم الكتب المختصة في هذا العلم.

ويعود الفضل للحضارة العربية الإسلامية بالنسبة لعلم الفلك، بحفظ علم من سبقها من أمم وحضارات وتصحيح ما كان فيه من مغالطات.

كما كان لعلماء المسلمين الفضل في التفريق بين علم الفلك و«التنجيم» إذ اعتبروا أن علم الفلك علم يقينا والتنجيم تخمينا، فالتنجيم نظام يعتقد أن هناك علاقة بين الشؤون الإنسانية ومواضع الأجسام السماوية، ويشترك مع علم الفلك باستخدام التقويم الفلكي، وقد انحرف به الكثيرون إلى الدجل والشعوذة.

بعد مرحلة الترجمة والتصحيح، بدأت مرحلة الإبداع والابتكار، فقد بنى بعض علماء الدولة الإسلامية مراصد خاصة بهم، كانوا يتابعون بواسطتها حركة الكواكب والنجوم، ويسجلون مشاهداتهم بدقة علمية جعلتهم فيما بعد مراجع لعلماء أوروبا والغرب، حيث اعتمد علماء أوروبا في عصر النهضة وما بعده على البحوث الفلكية التي قامت بها المراصد الفلكية العربية والإسلامية بدقة قريبة جدا من الاكتشافات الحديثة.

أشهر المراصد الفلكية العربية والإسلامية

- مرصد جبل قاسيون في دمشق، الذي أمر بإنشائه الخليفة المأمون.
- مرصد باب الشماسية في أعلى ضاحية من بغداد، أيضا أنشئ في عهد الخليفة المأمون.
- مرصد ابن الشاطر في الشام.
- مرصد الدينوري في أصفهان.
- مرصد أولغ بك في سمرقند.
- المرصد الذي أقامه أبناء موسى بن شاكر في بغداد، وفيه استخرجوا حساب العرض الأكبر.
- مرصد نصير الدين الطوسي في مراغة في بلاد فارس، الذي يعد من

أشهر المراصد وأكبرها، فقد اشتهر بدقة آلاته وتفوق المشتغلين فيه على غيرهم.

وهنالك ما يزيد عن مئة وخمسين اسما ومصطلحا أطلقها العلماء العرب على نجوم وكواكب كثيرة، مازالت معروفة حتى عصرنا الحالي بالأسماء العربية القديمة ذاتها، منها:

العنقاء: Anka

بيت الجوزاء: Bet – Elgeuse

الدبران: Aldebran

المقنطرة: Al – Mucantar

السموت: Azimuth

الطائر: Altair

فم الحوت: Familheut

الذنب: Deneb

العلماء العرب وجهودهم في علم الفلك

يعتبر عبدالرحمن بن عمر بن محمد ابن سهل الصوفي الرازي (ت ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) ثالث ثلاثة من العلماء العظماء الذين كتبوا في الكواكب الثابتة. فمنزلته بين بطليموس وأرغلندر، ولم يكتف في كتابه «الكواكب الثابتة» من متابعة بطليموس في كتابه «المجسطي» لكنه قام برصد النجوم نجما نجما وبدقة شُهد له بها فيما بعد، فقد عين أقدار النجوم وأماكنها، ووضح بالرسوم الملونة للأبراج والأجسام السماوية – على شكل أناس وحيوانات – ما كان قد ذكره في كتابه، وسماها بأسماء عربية مازالت مستعملة حتى الآن، منها: الحوت، العقرب، الدب الأكبر، الدب الأصغر.

ولمحمد بن الحسن بن الهيثم (ت ٤٣٢هـ/ ١٠٤١م) مؤلف «مقالة في علم الهيئة» الذي يعد النسخة الأصلية لنظرية بويرباخ النمساوي التي أخذ عنها تلميذه رِجيومونتان ومن بعده كوبرنيكوس. ولقد أُطلق عليه بطليموس الثاني لما أبدعه في علم الهيئة من مقالات؛ وصل منها سبع عشرة مقالة، كتب فيها عن أحجام وأبعاد الأجرام السماوية وكيفية رؤيتها، وعن ارتفاع القطب والرصد النجومي...إلخ. وهو من اخترع أول كاميرا في التاريخ وسماها «الخزانة المظلمة ذات الثقب»، وقد استعملها علماء الفلك العرب في مراصدهم، مما ساعدهم على معرفة نسب النجوم والكواكب وأحجامها، وعلى اكتشاف نجوم جديدة نتيجة متابعتهم واهتمامهم بهذا العلم.

أما أبوالريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، فقد كان يجيد إضافة للغة العربية الفارسية واليونانية والسنسكريتية والسريانية، لذلك فقد اطلع على المراجع الفلكية من مصادرها وليس من ترجماتها. ومن أهم كتبه في علم الفلك الكتاب الذي ألفه للسلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين في الهيئة والنجوم والجغرافيا، بعنوان «كتاب القانون المسعودي»، وتعود أهمية هذا الكتاب للجهد الذي بذله مؤلفه في ذكر ما توصل إليه علماء الفلك في الحضارات السابقة والمعاصرين له، إذ لم يكتف بما قرأه عنهم، بل كان يتحقق من ذلك، سواء بقيامه بإعادة الحسابات بنفسه، أو بالرصد من جديد ولأكثر من مرة. وكان أول من استحدث المنهج التجريبي في علم الفلك، فقاد أبحاثا تجريبية متعلقة بظواهر فلكية، واكتشف أن مجرة درب التبانة هي عبارة عن مجموعة نجوم سديمية، كما اكتشف أن التجاذب يحدث بين الأجرام والفلكات السماوية منتقدا بذلك أرسطو الذي يعتبر أن تلك الأجرام لا تملك خفة أو جاذبية.

ومحمد بن جابر بن سنان البتاني (ت ٩٢٩هـ)، ألف جداول لمدارات الشمس والقمر، أكد فيها أن ما ذكره بطليموس عن منحى شذوذ الشمس متغير وليس ثابتا، كما عمل على حساب وقت أول ظهور للهلال بعد القمر الجديد، وقياس طول السنة الشمسية والسنة الفلكية، وتوقع زمن الخسوف.

اخترع علماء الفلك العرب آلات ومعدات لم تعرف من قبلهم، استعانوا فيها في مراصدهم، منها آلة الربع المجيب، الربع المقنطر، ذات الشعبتين، ذات السمت والارتفاع، الحلقة الاعتدالية، مزاول لقياس الوقت. وطوروا الأسطرلاب اليوناني بما يتفق مع اكتشافاتهم الفلكية، فصنعوا الأسطرلاب الكروي والأسطرلاب الزورقي.

أتقنوا صناعة الجداول الرياضية العددية (الأزياج) لأنها من أهم مستلزمات الرصد الفلكي، فبواسطتها تحدد مواقع الكواكب وأوضاعها من حيث الارتفاع والانخفاض والميول والحركات في أفلاكها.

رصد العالم الفلكي المصري علي بن رضوان في عام ١٠٠٦م، أكثر المستعرات العظمى سطوعا في التاريخ، ووصف بدقة النجم المؤقت، فقال أنه أكبر بمرتين أو ثلاث من قرص الزهرة، أما سطوعه فيعادل ربع سطوع القمر.

وهكذا نرى أن للعرب فضلا في تطوير وتصحيح مفاهيم علم الفلك.

السنوسي محمد السنوسي
باحث وصحافي
مصر

الحج.. تزكية وفاعلية وتعارف

الحج هو ركن الإسلام الأكبر؛ تنضوي تحته بقية أركان الإسلام!

ففي الحج الركن الأول، كلمة التوحيد، فهو لا يقبل ابتداء إلا من المسلم، ولابد أن يتوجه به المسلم إلى الله وحده؛ لا يقصد من ورائه مباهاة ولا مفاخرة؛ وإلا حبط عمله وكان في الآخرة من الخاسرين. ولذا قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧)، وفي البخاري من حديث أبي هريرة أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «من حج لله؛ فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه». فالحج لا يكون إلا لله، بقصد طاعته ونيل ثوابه.

وحين يطوف الحاج بالبيت الحرام، وهو بناء من الحجارة، إنما يطوف امتثالا لأمر الله، وتعظيما لما أمر الله بتعظيمه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢).

كما أن في الحج صلاة؛ فـ«كل طواف يشرع بعده ركعتان خلف المقام؛ لأن النبي ﷺ كان إذا طاف صلى ركعتين. والنبي ﷺ لما طاف طواف الوداع في حجته، صلى ركعتين ثم سافر عليه الصلاة والسلام للمدينة. ومن لم يتيسر له أن يصلي خلف المقام صلى في أي مكان في المسجد» (١).

وفي الحج أيضا شيء من معنى ركن الزكاة؛ فهو عبادة مالية ذات تكلفة عالية، يتطلب نفقات في السفر والإقامة؛ وليس كل مسلم بمستطيع أن يؤديه لهذا السبب؛ ولذا فرضه الله على من يملك الزاد والراحلة.

بجانب ذلك، فإن في الحج صياما يشبه الصيام المفروض في رمضان؛ حيث يمتنع الحاج عن شهوة الفرج، وعن اللغو والرفث والصخب وإيذاء الآخرين؛ وهو صيام لا يفترق عن صيام رمضان إلا في الامتناع عن شهوة البطن من طلوع الفجر حتى مغيب الشمس.

وهكذا نرى الحج عبادة تشتمل على أركان الإسلام الأربعة؛ فلا عجب أن يكون الحج ركن الإسلام الأكبر، وعبادته الجامعة، وشعيرته ذات المكانة والأهمية.

خمس لمحات

ومن هنا، فإن رحلة الحج تفيض بالمعاني الروحية، وباللمحات الحضارية؛ وهي معان ولمحات جدير بنا أن ننتبه إليها، وأن نتوقف عندها بالتدبر والتفكر.

أولى تلك اللمحات: أن الحج تذكير بالنسب العريق الممتد لرسالة محمد ﷺ الخاتمة.. فلم يكن محمد عليه الصلاة والسلام بدعا من الرسل، وما كانت رسالته انقطاعا عن رسالات السماء.

إنه دين واحد.. وأنبياء هم إخوة أو أولاد علات، كما في الحديث الصحيح (٢)، أي كأنهم من أب واحد وأمهات شتى؛ ومعنى الحديث أن «أصل إيمانهم واحد، وشرائعهم

مختلفة؛ فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف» (٣).

ففي المناسك يتذكر الحاج أبا الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن، الأواه، الحليم، الأمة، ويسترجع تفصيلا قصته البليغة مع ابنه نبي الله إسماعيل؛ أبي العرب، الحليم، الصابر، الصادق الوعد.

وأما اللمحة الثانية: فهي أن بالإنسان يبدأ البناء، وعليه تقوم الحضارة.. فقد ترك إبراهيم عليه السلام زوجه وولده في مكان غير ذي زرع؛ مكان خال من أي مقومات حضارية، لكنه عامر بعنصر واحد منها فحسب، إنه العنصر الأهم: الإنسان.. الذي تمثل حينئذ في السيدة هاجر؛ المؤمنة الواثقة المتوكلة.

وحين وجد هذا الإنسان؛ المؤمن بربه، الواثق به، المتوكل عليه، والآخذ بما تيسر له من أسباب مادية، مهما كانت قليلة.. أخذت معالم الحياة والحضارة تكثر في المكان القفر شيئا فشيئا؛ حتى صار الناس يفدون إلى البيت العتيق من كل فج عميق، وحتى صار هذا البيت يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا وتفضلا من صاحب النعم سبحانه!

وهكذا ينبغي أن يهتم الدعاة ببناء الإنسان أولا، بناء روحيا ونفسيا وعقليا؛ حتى يمكن أن يتفاعل بعد ذلك مع الأسباب المادية تفاعلا صحيا؛ يتعاطى معها ولا يقف عندها، يفعلها ولا ينغمس فيها، يسخرها ولا يعبدها.. فإذا توافر هذا الإنسان، كان من السهل إيجاد بقية العوامل الأخرى؛ التي تستلزمها معادلة البناء الحضاري.

وأما اللمحة الثالثة: فهي تبرز لنا عند تأمل المفردات التي جعلها الإسلام عنوانا على شعائر الحج، مثل: الطواف، الوقوف، السعي، بالإضافة إلى مفردة: الإحرام، حيث نجد أن المفردات الأول الثلاث تدل على أن الحج عبادة فياضة بالحركة والهمة والفاعلية؛ ولذا فهي تتطلب قدرا معقولا من الصحة البدينة، حتى لا تتحول المناسك لعبء يرهق الحاج، ويشغله عن تأمل ما في تلك الشعائر من حكم وفوائد.

أما مفردة الإحرام (وهو في اللغة الامتناع، خصوصا عن السيئ من القول) فهي عنوان على تزكية النفس وارتقاء الروح!

فالحج فيه من التزكية والرقي والصفاء بمثل ما فيه من الفاعلية والحركة.. وعبادات الإسلام على هذا المنوال؛ فهي لا تدعو للانعزال أو السكون أو الجمود؛ بل للسعي، والحركة، والبذل، والدعوة على بصيرة.

ثم يأتي «التعارف» في الحج ليمثل اللمحة الرابعة، وهو تعارف يخترق الزمان والمكان!

يخترق الزمان؛ فيصل الحجيج بأبيهم إبراهيم عليه السلام ويذكرهم بسيرته الأسوة، ويصلهم أيضا بنبيهم الخاتم ﷺ وبموقفه في المناسك.

ويخترق المكان؛ فيجمع أشتاتا من الناس في صعيد واحد، مزيلا ما بينهم من مسافات وحواجز.. لتتأكد في الحج عالمية الإسلام، إذ يجتمع فيه طيف واسع متعدد؛ من الألوان، والألسن، والطبقات.

لقد حرص الإسلام بشعيرة الحج على تأكيد أنه دين غير محصور أو مخصوص بزمان ولا مكان؛ ولا تزال الوفود التي تفد إلى البيت الحرام في موسم الحج، من أقطار شتى؛ تعكس هذا الانفتاح على الزمان والمكان.

وإذا كان المسجد يجمع المسلمين من الحي الواقع فيه، أو الأحياء القريبة منه؛ فإن المسجد الأكبر (البيت الحرام) يجمع حوله المسلمين من أقطار الدنيا.. في مشهد يفاخر به الإسلام الإنسانية، باعثا لها برسالة مفادها أنه دين يتخطى ما يصطنعه البعض من فوارق اللغة واللون والمكان.

وكما جعل الإسلام «التعارف» مقصدا لخلق الناس أمما وقبائل شتى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ (الحجرات:١٣)، فإن الإسلام جعل «التعارف» أيضا مقصدا من فريضة الحج، التي يأتي إليها المسلمون من دول شتى.

وينبغي أن يتطور هذا «التعارف» في موسم الحج من التعارف الشخصي إلى العام، ومن العمل الفردي إلى الجماعي المرتب؛ بحيث يتبادل المسلمون المشكلات والحلول فيما بينهم، وتتراكم الخبرات مع مواسم الحج؛ فالحج ليس مناسبة لتجديد الروح فحسب، بل عبادة لها أبعاد على مستوى المجتمع والأمة.

وأما اللمحة الخامسة: فهي من يوم العيد، وهو يوم الختام لهذه العشر المباركات؛ حيث نجد أن مواسم الأعياد والأفراح تجدد النشاط في حياة الأفراد والمجتمعات.. ولذا، فهي ضرورة إنسانية رعاها الشرع وأفسح لها مكانا وآدابا.

وما أجمل الأعياد حين تجيء بعد العبادات، وحين نكون فيها ملتزمين بآداب الإسلام!

وقد شرع الإسلام في الأعياد صلة الأرحام، والتوسعة على الأهل، وحث على إشاعة البهجة والسرور؛ تجديدا للنفس الإنسانية، وعرفانا بإتمام نعمة الله، وتوطيدا للصلات بين المؤمنين، وتقوية لنسيج المجتمع.

فيتصل يوم العيد، بمعانيه العظيمة تلك، بأيام الحج؛ التي هي عنوان على وحدة المسلمين، واجتماع كلمتهم، وترابط صفوفهم، وفاعلية حركتهم.. أو: هذا ما ينبغي أن يكون!

الهوامش

١- مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، نقلا عن الموسوعة الشاملة.

٢- رواه مسلم بلفظ: «الأنبياء أولاد علات»، وأحمد وأبو داود بلفظ: «الأنبياء إخوة لعلات».

٣- شرح النووي على صحيح مسلم، نقلا عن «المكتبة الإسلامية» على موقع «إسلام ويب».

يوسف بنشرفي
كاتب مغربي

إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن

لم نعد نتذكر الدافع الذي جعلنا نخوض غمار البحث في الحجاج، على الرغم من قصر المدة التي بدأنا بها الاشتغال على موضوع هذا البحث، وبين كتابة هذه الأسطر؛ إذ كل ما نتذكره أننا ما إن استهللنا الاشتغال على هذا الموضوع، حتى استيقنا أنا نبحث في موضوع يتوافق و تركيبتنا النفسية، فزادنا ذلك يقينا بأن اختيارنا للموضوع – عن وعي أو بدون وعي – لم يكن هباء منثورا .

لقد أحدث القرآن في حياة العرب والمسلمين، بوصفه نظاما مفهوميا جديدا أعاد صياغة المفاهيم السابقة، وأضاف إليها مفاهيم جديدة، أحدث إصلاحا في سيرورة التاريخ، ولم يكن ليحدث هذا الأمر لو لم يكن الحجة البالغة ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ (الأنعام:١٤٩).

إن هذه الحجة البالغة لم تتشكل عشوائيا، وإنما تشكلت عبر مجموع القصص القرآني الذي حاج به الله تعالى ورسوله ﷺ المشركين وأهل الكتاب، وكذلك عبر دعوة القرآن الإنسان إلى إعمال العقل والتدبر، ولا يكون إعمال العقل إلا بالاستدلال ومعلوم أن عملية الاستدلال هي من صميم فعل الحجاج، وعليه يكون القرآن العظيم قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة.

من هذا المنطلق، سيكون هذا البحث منصبا على دراسة إبراهيم في القرآن، وقد اخترنا هذا التعبير – وليس الحجاج في القرآن أو غيره من التعابير –؛ لأننا ندرس خطابا خاصا ضمن خطاب عام، ونقصد بالخطاب الخاص: خطاب إبراهيم عليه السلام، بينما نقصد بالخطاب العام: النص القرآني بشموليته، كما أننا نسلم بأن القرآن كله حجاج؛ كونه حجة، وليس الحجاج فيه جزءًا وإنما هو فيه نسق كلي.

تتجه الدراسة أساسا نحو الكشف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في القرآن، الذي نجد حاله وأحواله معروضة في القرآن ضمن ما سمي لدى المفسرين بالقصص القرآني، وهو ينقسم إلى قسمين:

١- قصص نزل به القرآن؛ لتثبيت فؤاد النبي ﷺ، يقول تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ (يوسف:٣)، وهي كذلك لإعجاز العالمين إنبائيا، وتاريخيا، فالإعجاز الإنبائي: «هو الإخبار بالعديد من الأحداث والحقائق الغيبية غيبة مطلقة، ومن الوقائع التي تمت فيما قبل التاريخ – أي: عشرة آلاف سنة – كما يشمل الإنباء بأحداث قبل وقوعها، وجاء وقوعها مطابقا لإنباء القرآن الكريم بها، أو لم تقع بعد ولا زلنا ننتظر وقوعها»، في حين أن الإعجاز التاريخي الذي يندرج ضمنه قصص إبراهيم عليه السلام هو:

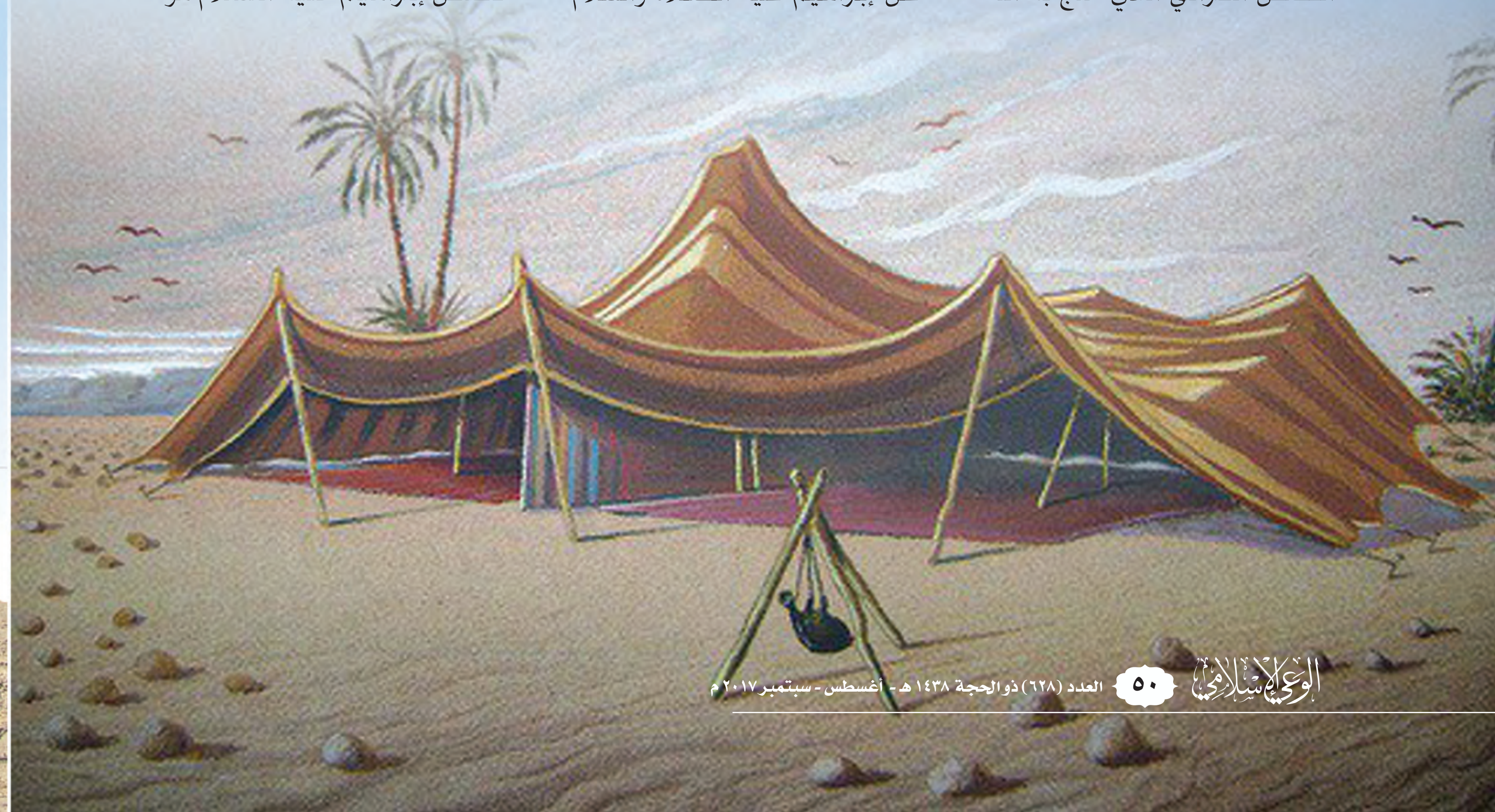

«استعراض عدد من المواقف التاريخية الهامة في سير عدد من أنبياء الله ورسله، وفي تفاعل أممهم معهم سلبا وإيجابا، وسير عدد من الصالحين، وعدد من الطالحين من بني آدم – رجالا ونساء –.

ويتضح وجه الإعجاز هنا بمقارنة القصص القرآني مع ما جاء في التراث الإنساني الموجود بأيدي الناس اليوم، ومع ما أثبتته الكشوف الأثرية والتاريخية المتعددة».

٢- قصص نزل من أجله القرآن: وهي الأحداث والوقائع التي جاء القرآن الكريم ليعطي فيها العبرة، ويكشف سر أصحابها من براءة، أو خيانة، أو صدق، أو كذب.

فواضح إذن من التقسيم أن قصة إبراهيم عليه السلام مندرجة ضمن النوع الأول، وهو القصص الذي نزل به القرآن، ويصنف بعض العلماء قصة إبراهيم عليه السلام ضمن الإعجاز التاريخي، لا الإنبائي، على اعتبار أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في حدود التاريخ المدوّن، والمحدد بعشرة آلاف سنة مضت.

وقد يتخيل بعض الناس أن شيئا من التكرار قد وقع عند إيراد القصة الواحدة، أو الموقف الواحد منها، في أكثر من موضع من كتاب الله، ولكن الحقيقة البينة أنه ما أعيدت الإشارة إلى القصة إلى إحدى حلقاتها إلا وكان هناك رسالة جديدة تؤديها، ومن هنا تنتفي شبهة التكرار في القرآن الكريم.

وانطلاقا من ذلك فإن المناسبة الموضوعية للسور القرآنية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع من كتاب الله، كما تحدد طريقة العرض، وأسلوب الأداء وخصائصه.

وقد ظهرت على إبراهيم استقامة الفطرة، مع الذكاء والنبوغ منذ صغره، فاستنكر عبادة قومه للأصنام والأوثان، أو للشمس، أو القمر، أو النجوم، أو الكواكب، كما استنكر خضوعهم الذليل للنمرود. وانطلاقا من ذلك بدأ إبراهيم متأملا في ذاته، وفي الكون من حوله، حتى تعرّف على خالقه بالفطرة السوية التي وهبه الله تعالى إياها، والتي أكدها ربنا تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَـٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء:٥١). ومما جاء في تفسير آية ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأنعام:٧٥): «كنا نريه المرة بعد المرة ملكوت السماوات والأرض على هذه الطريقة التي يعرف بها الحق»، وهو ما يتوافق مع الرشد الذي أوتيه إبراهيم، «فهي رؤية بصرية، تتبعها رؤية البصيرة العقلية، وإنما قال: ﴿نُرِىٓ﴾ دون أريناه؛ لاستحضار صورة الحال الماضية التي كانت تتجدد وتتكرر بتجدد رؤية آياته تعالى في ذلك الملكوت»، ما يؤكد أن إبراهيم كان دائم التدبر والاستدلال، وهو نفس ما ذهب إليه صاحب الكشاف في تفسير الآية السابقة حين قال: «ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال».

وقال صاحب تفسير المنار في تعليل بصيرة إبراهيم العقلية في قوله تعالى: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ «واليقين في اللغة: الاعتقاد الجازم المبني على الأمارات، والدلائل، والاستنباط ...، وأما ما يترتب على ذلك من الاهتداء إلى وجه الحجة والاستدلال...، فرأى كوكبا عظيما ممتازا على سائر الكواكب بإشراقه وجذب النظر إليه...، فماذا قال لما رآه؟ قال: هذا ربي، أي: مولاي ومدبر أمري، قيل: إنه قال ذلك في مقام النظر والاستدلال لنفسه، وقيل: في مقام المناظرة والحجاج لقومه».

وإذا كان الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي، أو إبطاله، والمحاجة طريقة التقديم والإفادة منها، فإن إبراهيم عليه السلام قد أصاب الحجاج، بحيث جمع الحجج في استدلاله كما أخبر عنه القرآن، لما كان ناظرا، وقدم الحجج التي جمعها، وأفاد منها ليثبت معتقدا، ويبطل آخر لما كان مناظرا.

وقد أخبر القرآن حكاية عن إبراهيم عليه السلام أنه قارعهم بالحجة والدليل: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (الأنبياء:٦٣-٦٧)، ولما لم يجدوا ردا على حجة إبراهيم المنطقية لجؤوا إلى محاولة البطش والتنكيل به، ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ﴾ (الأنبياء:٦٨)، وهذه إشارة تؤكد ما ذهب إليه الدكتور عبد الله صولة في كون الحجاج هو البديل عن العنف، فعدم استطاعة قوم إبراهيم عليه السلام رد حجته بحجة أخرى، جعلهم يحصرون الحل في العنف الذي كان هو إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار.

لقد سجل القرآن الكريم لإبراهيم عليه السلام عددا من المواقف الكبرى سنذكر منها ما له علاقة مباشرة مع موضوع البحث، وهو الحجاج والتي يمكن إيجازها فيما يلي:

١- استنكار إبراهيم عليه السلام لعبادة أبيه وقومه الأصنام، وقيامه بتحطيم

تلك الأصنام، ومحاكمته على ذلك، والحكم عليه بالحرق حيًا، وتنجية الله تعالى له من النيران (الأنبياء:٥١-٧٣)، (الشعراء:٦٩-٨٩)، (الصافات:٨٣-١١٣)، (العنكبوت:١٦-٢٦).

٢- واقعة تعرف إبراهيم على خالقه من خلال التأمل في الكون (الأنعام:٧٤-٩٠).

٣- واقعة الحوار بين إبراهيم عليه السلام وأبيه (الأنعام:٧٤-٨٧)، (مريم:٤١-٥٠)، (الأنبياء:٥١-٧٣)، (الشعراء:٦٩-٨٩).

٤- إيتاء إبراهيم النبوة، واستغفاره عليه السلام لأبيه (البقرة:١٢٤-١٣٠)، (آل عمران:٣٣)، (مريم:٤١-٤٨)، ثم تبرؤه منه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ (التوبة:١١٤).

٥- حوار إبراهيم عليه السلام مع الملك الكافر مدعي الربوبية (البقرة:٢٥٨).

٦- طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى (البقرة:٢٦٠).

أشار المفسرون إلى استدلال إبراهيم من خلال ما قص عنه القرآن الكريم ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ (الأنعام:٧٦-٧٩)، إذ منهم من قال: «إن كلامه ذلك كان نظرا واستدلالا في نفسه؛ لقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾، فإنه يشعر بأنه يطلب هداية بصيغة الاستقبال، أي لأجل أداة الشرط، وليس هذا بمتعين؛ لأنه قد يقوله لتنبيه قومه إلى أن لهم ربا بيده الهداية، فيكون كلامه مستعملا في التعريض».

على أنه قد يكون أيضا مرادا به الدوام على الهداية، والزيادة فيها، وقد يكون أراد الهداية إلى إقامة الحجة حتى لا يتغلب عليه قومه.

وجاء بالآفلين بصيغة جمع الذكور العقلاء المختص بالعقلاء بناء على اعتقاد قومه أن الكواكب عاقلة متصرفة في الأكوان، ولا يكون الموجود معبودا إلا وهو عالم. ووجه الاستدلال بالأقوال على عدم استحقاق الإلهية أن الأفول مغيب وابتعاد عن الناس، وشأن الإله أن يكون دائم المراقبة لتدبير عباده، فلما أفل النجم كان في حالة أفوله محجوبا عن الاطلاع على الناس، وقد بنى هذا الاستدلال على ما هو شائع عند القوم من كون أفول النجم مغيبا عن هذا العالم، يعني أن ما يغيب لا يستحق أن يتخذ إلها؛ لأنه لا يغني عن عباده فيما يحتاجونه حين مغيبه.

وليس الاستدلال منظورا فيه إلى التغير؛ لأن قومه لم يكونوا يعلمون الملازمة بين التغير وانتفاء صفة الإلهية، ولأن الأفول ليس بتغير في ذات الكوكب، بل هو عرض للأبصار المشاهدة له، أما الكوكب فهو باق في فلكه ونظامه يغيب ويعود إلى الظهور، وقوم إبراهيم يعلمون ذلك فلا يكون ذلك مقنعا لهم.

ولأجل ذلك احتج بحالة الأفول دون حالة البزوغ، فإن البزوغ وإن كان طرأ بعد أفول لكن الأفول السابق غير مشاهد لهم، فكان الأفول أخصر في الاحتجاج من أن يقول: إن هذا البازغ كان من قبل آفلا.

يتضح من أقوال المفسرين أن الخطاب القرآني صوّر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأنه دائم الحجاج في دعوته، والاستدلال مع نفسه، ومتفكرا في ملكوت ربه، معملا للعقل في كل حاله وأحواله، يقرأ الحجج والأدلة من حوله ويعرف الإفادة منها، حتى إنه عليه الصلاة والسلام بعد الفراغ من معرفة المبدأ اشتغل بمعرفة المعاد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ (البقرة:٢٦٠)، ثم لما فرغ من التعلم اشتغل بالتعليم والمحاجة، تارة مع أبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ (مريم:٤٢)، وتارة مع قومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ (الأنبياء:٥٢)، وأخرى مع ملك زمانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ (البقرة:٢٥٨).

وصفوة القول: إن المتدبر في نماذج الدعاة -وهم الأنبياء- يلاحظ أن هناك منطقا في الدعوة إلى الله، ومنطقا في اختيار الألفاظ واستعمال اللغة بشكل يوافق طبيعة المخاطب، ومَرَدُّ هذه الإشارة، لكوننا ننظر للقصص القرآني على اعتبار أنه مجرد خبر من الغيب للاستئناس، أو في أقصى الحالات، نتجه لتفسير هذا القصص، لكننا لا ننظر ونتدبر في منطق الخطاب، خطاب الآيات، وبالتبع، خطاب الدعاة - الأنبياء - فيها، ولعل الحاجة اليوم، أشد ما تكون إلى استفادة الأمة من الكيفية التي كان عليها الأنبياء في الدعوة، تمثلا للدين، واستدلالا، وحجاجا مع أقوامهم، لعل المتبصر في ذلك ينطبق عليه قول الله: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (الأنعام:١٠٤).

أ. د. أمان محمد قحيف
أستاذ الفكر الإسلامي المعاصر

الحج وإعادة البناء الروحي

لا يرتقي التأثير الروحي والوجداني لأية رحلة يقوم بها الإنسان في حياته إلى مستوى التأثير الروحي، والوجداني، والنفسي الذي تحدثه رحلة المرء منا إلى الأراضي المقدسة حيث تأدية فريضة الحج من طواف، وسعي، ووقوف بعرفة، ويلحق بهذا زيارة مسجد رسول الله ﷺ. ويرجع هذا التأثير إلى أن الرحلة المباركة تؤدي إلى إعادة بناء الناحية الروحية والإيمانية لدى الإنسان المسلم الذي يقوم بتأدية ما فرضه الله تعالى وسنَّه النبي ﷺ من مناسك الحج، هذا الركن الذي يأتي ضمن الأركان الخمسة التي بني عليها الإسلام الحنيف.

وإذا ما تساءل بعض الناس عن السبب أو العلة في كون الحج يؤدي إلى إعادة البناء الروحي والإيماني للإنسان المسلم، ويجعله يشعر بحالة من الارتقاء الإيماني والسمو الروحي، فنشير إلى أن سلوكيات الحاج وتحركاته تحتوي على مجموعة من الأمور التي لها تأثيرها البارز والواضح على روحانياته وإيمانياته، فكل نسك من مناسك الحج له دلالاته الإيمانية ومضامينه الروحانية الخالصة، ويمكننا توضيح ذلك على النحو التالي:

أولا: التلبية وقضية التوحيد

إن النداء أو الشعار الذي يرفعه الحاج ويكرره إبان تحركه وسكونه أو خلال حله وترحاله في فترة الحج يتمثل في قوله: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» ويفيدنا التأمل الهادئ في هذا الكلام الطيب ما يلي:

أ- أن الحاج ما تحرك من دياره، وما ترك أمواله، وما غادر أوطانه إلا تلبية واستجابة لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاًۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ (آل عمران:٩٧)، فالحاج يعلن أنه خرج لتأدية ما عليه لله عزوجل وحده لا شريك له، فالله تعالى جعل الحج حقًا له سبحانه وتعالى على من تتوفر له أسبابه؛ وذلك في قوله ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾.

ب- أن تكرار قول الحاج: «لبيك لا شريك لك لبيك» يؤكد معنى التوحيد ويعزز حضوره في روح، وقلب، ونفس، وضمير الحاج، ويشير إلى إقراره بتفرد الله تعالى بالألوهية، فلا شريك له عزوجل في هذا الإطار، ولا نظير له في هذا المضمار، فالألوهية لله تعالى خالصة نقية لا يزاحمه فيها أحد ولا ينافسه فيها شريك «لبيك لا شريك لك لبيك».

ج- أن قول الحاج في تلبيته «إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك

لك» يأتي دليلا قاطعا يؤكد أن المسلم يؤمن إيمانا راسخا بأن الله تعالى وحده هو من يسر له فرصة تأدية فريضة الحج، وأن إتاحة هذه الفرصة له بمثابة نعمة كبرى من الله تعالى عليه، ومن ثَم وجب حمد الله وشكره عليها؛ لأن الملك له سبحانه وتعالى وحده، وهو المتفرد بالملك وهو المحمود على النعم؛ لذلك يكرر الحاج دائما «إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، وهذا تعبير واضح عن الإيمان بأحديَّة الله تعالى وبقدرته المطلقة التي لا تحدها حدود ولا تحتويها أطر.

ثانيا: يؤدي طواف الحاج حول البيت الحرام وصلاته فيه إلى تحقيق العديد من الارتقاءات الإيمانية التي تتمثل فيما يلي:

أ- يؤدي الطواف حول الكعبة إلى ربط الحاج روحيا ومعنويا بمهبط الوحي؛ فالمؤمن يستحضر عند طوافه أنه يطوف بالكعبة التي طاف بها رسول الله ﷺ، ويتذكر أنه يتحرك في أماكن نزل فيها الوحي أكثر من مرة على قلب النبي ﷺ سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعد الفتح.

من هنا يرتبط قلب المؤمن بتلك الأماكن المقدسة ارتباطا عاطفيا ووجدانيا كما ارتبط بها قلب النبي ﷺ، ويتعلق بها روحيا كما تعلقت بها روح النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله تعالى عنهم جميعا.

ب- يستحضر الحاج عند وجوده بالمسجد الحرام وعند طوافه بالكعبة المشرفة أنه يسير على خطى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي كلفه ربه بالنداء في الناس بالحج، فقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ (الحج:٢٧).

ويؤدي وعي الحاج الدائم خلال حجه بأنه يلبي نداء أبي الأنبياء إلى تنمية روح الانتماء عنده للدين الوسطي الحنيف الذي جاءت به كل الشرائع السماوية والرسالات الإلهية منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا إلى بعثة محمد ﷺ.

ج- تؤدي صلاة الحاج بالمسجد الحرام إلى الانتفاع بخيره والنيل من بركته التي وضعها الله تعالى فيه حيث إن الصلاة فيه تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه، ولا شك أن هذه مسألة تؤدي إلى الارتقاء الإيماني والسمو الروحي لما فيها من خير وفير وجزاء عميم.

ثالثا: يعد ارتداء ملابس الإحرام تعبيرا غير مباشر عن قبول التجرد من زينة الدنيا وزخرفها؛ حيث إن قضاء بعض الوقت بالإزار والرداء ينقل الحاج إلى حالة نفسية ووجدانية تتسم بالنزوع نحو التجرد من المظاهر الدنيوية المتمثلة في الملابس الفاخرة والمراكز الاجتماعية المرتفعة والممتلكات المادية الزائلة.

ولا شك أن خلع المسلم لملابسه المعتادة فيه إشارة إلى قبوله الانخلاع من الدنيا برمتها، وفيه إشارة أيضا إلى الاستعداد للتوجه إلى الله تعالى بالكلية خاصة وأنه يشرع للحاج أن يظل على حالة من التهليل والحمد والتكبير والدعاء المتواصل طوال ارتدائه لملابس الإحرام، خاصة في يوم عرفة، حيث التسبيح المتواصل، والتكبير المتوالي، والحمد المستمر، والدعاء الذي لا ينقطع، ومن ثَم تحن القلوب إلى خالقها، وتلهج الألسن بشكر رازقها، وتشرئب الأعناق إلى الحي القيوم، وترتفع الأكف، وتتطلع العيون إلى عنان السماء، وتتعالى صيحات الجميع بالدعاء، وتسيل أنهار الدموع من المآقي تسأل غافر الذنب وقابل التوب أن يغفر ذنوب الجميع ويتقبل توبة الحجيج، وعندها يكون الدعاء إلى الله تضرعا وخيفة، ويبتغي الجميع فضلا من الله ورضوانا، وفي ذلك الوقت يباهي الله تعالى بهم ملائكته، فقد جاؤوا شعثا غبرا لا يرجون مطالب الدنيا ولا يتعلقون بحطامها لا في قليل ولا كثير، بل كل ما يعنيهم هو العودة إلى ديارهم مجبورين، وجبرهم يعني قبول حجهم المصحوب بمغفرة ذنوبهم وتكفير سيئاتهم.

ولا تسل وقتئذ عن الارتقاءات الإيمانية التي تتحقق لهم ولا الفيوضات الإلهية التي تغمرهم، فهم في رحاب ربهم، تغمرهم سحائب رحمته، وتهل عليهم فيوضات غفرانه، إنهم أناس تطهروا من الخطايا، فزادهم ربهم طهرا على طهرهم ونقاء على نقائهم.

رابعا: تؤدي زيارة مسجد الرسول ﷺ والصلاة فيه إلى إحداث نوع من الارتقاء الإيماني لدى المؤمن؛ حيث يشعر الحاج وهو في المدينة المنورة أنه يتحرك فوق أرض عاش عليها رسول الله ﷺ، ويدرك أن هذه الدروب قد مر بها الرسول وتنعم بأجوائها، فيتنسم المؤمن عبير النبوة وروحانيات الوحي والرسالة، ويتخيل أوقات نزول جبريل عليه السلام بالقرآن تترا ليبلغ أهل الأرض أوامر ونواهي رب الملك والملكوت، فيعيش الحاج حالة وجدانية سامية تتداخل فيها المشاعر، وتتنامى فيها أسهم الإيمان، وتصطبغ فيها القلوب بصبغة الهدوء والراحة والسكينة، فيتمثل المرء أخلاقيات النبوة، ويقلد

سلوكات الصحابة وتصرفاتهم ومختلف أحوالهم رضي الله عنهم وعنا جميعا.

كما ينهل الحاج وهو بالمدينة من خير مسجد الرسول ﷺ، ويستقي من بركته التي وضعها الله تبارك وتعالى فيه حين جعل الصلاة الواحدة فيه تعدل أجر ألف صلاة، فما يكون من المؤمن إلا الحرص على الصلاة في مسجد الرسول ﷺ وروضته التي هي من رياض الجنة، فترى الحجيج هناك ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا.

إن الصلاة في الروضة المباركة التي تقع بين بيت الرسول ﷺ ومنبره تمثل لحظة لا تنسى، وتعد منحة كبرى من الله تعالى للحاج؛ لما فيها من نعم مسبوغة وعطاءات غير محدودة،

بعدها يمر الحاج على قبر الرسول ﷺ للتسليم عليه وعلى صاحبيه، صدِّيق هذه الأمة من جهة وفاروقها من جهة أخرى.

وهنا نذكر بأن للعلماء في زيارة مسجد الرسول والسلام عليه ﷺ في قبره كلام طيب يستحب الأخذ به والانتفاع بمنافعه، ولا نستسيغ التغافل عن زيارة مسجد الرسول والصلاة فيه بحجة الانشغال وضيق الوقت، نعم إنه ليس شعيرة من شعائر الحج ولكنه سلوك إيماني صرف نعبر من خلاله عن تقديرنا لمسجد ميز الله تعالى الصلاة فيه عن الصلاة في بقية مساجد الأرض عدا المسجد الحرام، من ثم ننوه إلى أنه ما كان لمؤمن ولا مؤمنة أن يحج بيت الله الحرام ثم يتغافل عن زيارة مسجد رسول الله ﷺ والصلاة فيه.

خامسا: دلالات الأضحية

إن من عوامل إعادة البناء الروحي في الحج أن المسلم ينفق من ماله للأضحية التي شرع الله تعالى للحاج أن يأكل منها، ويطعم البائس الفقير، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ (الحج:٢٨)، ويطعم القانع والمعتر، قال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الحج:٣٦)، ويشعر المسلم حال تأديته لهذا النسك أنه يقوم بإحياء سنة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهي من السنن التي أوصى بها القرآن الكريم، وفعلها النبي ﷺ وحض المؤمنين على ممارستها وإتيانها في مناسبتها، ونظرا لقيمتها وأهميتها فقد سمى الرسول ﷺ العيد باسمها فهو «عيد الأضحى».

ولعل تضحية الحاج بجزء من المال الذي يشكل مع الأبناء ثاني اثنين من زينة الحياة الدنيا؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف:٤٦) تعد عملية من شأنها تعميق إيمانياته وتعزيز روحانياته، وهي فعل كاشف وسلوك معبر عن استعداد الحاج للتضحية بأعز وأغلى ما يملك من الدنيا إذا كان في ذلك ما يقربه إلى الله تعالى زلفى ويتيح له الوصول إلى رضوانه عز وجل وإدراك مغفرته.

سادسا: التآخي والمساواة

الحق أن الإسلام حريص على تأكيد الأخوة والتآخي بين المسلمين في كل عبادة وشعيرة، فالصفوف تتراص في الصلاة من دون تفرقة بين الجميع، وإذا كانت المهمة الأساسية للزكاة هي تطهير المال وتزكية النفوس فإنها تهدف أيضا إلى توحيد صف المسلمين وزرع المحبة بين جميع طوائف المجتمع وتأكيد التآخي بينهم، وكذلك الصوم يجمع بين المسلمين رجالا ونساء عدا أصحاب الأعذار والظروف الاستثنائية، غير أن الملاحظ أن التآخي يبلغ أقصاه والمساواة تبلغ ذروتها هناك في الأراضي المقدسة، حيث يخلع الجميع ملابس الدنيا وزينتها ويتخلون عن زخارفها، وحيث يرتدي الرجال ملابس الإحرام، وحيث تصطف الصفوف للصلاة في الحرمين أو في مسجد نمرة من دون تفرقة بين قوي وضعيف، أو غني وفقير، أو بعيد وقريب.

وإنك لتدرك في الحج بشكل عملي وواقعي مدى تحقق قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات:١٣)، وهناك أيضا تشاهد بأم عينك التحقق التام لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:١٠).

الخلاصة

ننتهي مما سبق إلى أن كل تحركات الحاج وسكناته، وكل أدعيته وصلواته، وكل همساته وتأملاته تقربه إلى الله تعالى زلفى وترتقي بإيمانياته وروحانياته، ومن ثم فلا غرو ولا غرابة إن قلنا بعد ذلك: إن الحج يعمل على إعادة البناء الروحي للمسلم ويؤدي إلى صياغة علاقته بالله تعالى صياغة جديدة عمادها التقوى وأساسها الرجوع والإنابة.

عبدالسلام حسن
ماجستير في الشريعة الإسلامية
سورية

حضارة الحج في الفكر الإسلامي

إن العبادات جميعها وإن اختلفت صورها، وتنوعت أشكالها، تلتقي عند غاية واحدة، ألا وهي تحقيق العبودية لله تعالى، بأداء ما افترض، وبالإخلاص له في جميع الطاعات، والتوجه إليه في جميع الأحوال. يقول الله عزوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ (الذاريات:٥٦).

وعبادة الحج رحلة مقدسة يقوم بأدائها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها مرة واحدة في العمر على سبيل الفرض، وهو سفر يقصد المؤمنون من خلاله الكعبة المشرفة في مكة المكرمة تلبية لنداء الله عزوجل، وامتثالا لأوامره سبحانه وتعالى، وتعظيما لشعائره: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ (الحج:٣٢).

كما يأتي الحج استكمالا لقصة إبراهيم، عليه السلام، الذي ما إن أنهى بناء الكعبة مع ولده إسماعيل، عليه السلام، حتى جاءه الأمر الإلهي بالأذان في الناس والإعلام، ودعوتهم للحج، وحثهم على زيارة بيت الله الحرام، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧﴾ (الحج:٢٧).

وقد فرض الحج على المسلمين في أواخر السنة التاسعة للهجرة، بحسب الراجح من أقوال العلماء.

إن الانطلاق في طريق تأدية فريضة الحج يعتبر في واقعه رحلة فكرية وروحية قبل أن تكون رحلة مادية جسمية، وبذلك يتحقق الهدف المنشود من تشريعها، وهو تحليق النفس البشرية بكلا جناحيها المادي والمعنوي في سماء الفضيلة والكمال؛ لوضوح أن هذا التحليق والصعود إلى سماء الرفعة والسمو لا يكون بجناح المادة وحده، كما أن الطير لا يتمكن من الطيران بجناح واحد.

والحج عبادة متميزة؛ لأنها عبادة بدنية ومالية.. الصلاة والصيام عبادتان بدنيتان، والزكاة عبادة مالية، أما الحج، فهو عبادة تجمع بين البدنية والمالية؛ لأن الإنسان يبذل فيه جهدا ببدنه، ويبذل فيه ماله؛ لأنه يسافر ويرحل فيحتاج إلى نفقات، لذلك فإن الحج هو الفريضة التي ذكر الله تعالى فيها من استطاع إليه سبيلا: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران:٩٧).

والله، سبحانه وتعالى، لا يريد أن يكلف عباده شططا، ولا أن يرهقهم من أمرهم عسرا، يريد الله بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليهم في الدين من حرج، فالتكليف في الإسلام بحسب الوسع ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(البقرة:٢٨٦).

ولذلك عندما قال النبي ﷺ: «أيها الناس! إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا». قال قائل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت ﷺ، وأعاد السائل السؤال، والنبي ﷺ يسكت، حتى قال ﷺ: «لو قلت نعم؛ لوجبت، ولما استطعتم».

فلا يستطيع الإنسان أن يؤدي الحج في كل عام، فأراده الله، سبحانه وتعالى، مرة في العمر، وهذا تخفيف من ربنا، ورحمة منه عزوجل.

ورسول الله ﷺ لم يؤد هذه الفريضة إلا مرة واحدة، وذلك في العام العاشر للهجرة، وقد سميت بحجة الوداع؛ لأنه ﷺ ودع الناس فيه، والتحق بالرفيق الأعلى.

معنى الاستطاعة

ومعنى استطاعة السبيل كما جاء في بعض الأحاديث التي يقوي بعضها بعضا، أن يملك المؤمن الزاد والراحلة، زاد الطريق والراحلة التي يركبها، وبلغة عصرنا يملك نفقات السفر للبيت الحرام، ونفقات الإقامة هناك على ما يليق بحاله، مع الشروط الأخرى، مثل: صحة البدن، وألا يكون هناك حائل معين، أي أن يكون الطريق آمنا.

وفي هذه الأيام أضيف شرط جديد، وهو أن يخرج إلى الحج بالقرعة، وذلك مطبق في معظم البلدان؛ لأن الآن لا يسمح فيه إلا بعدد معين لكل بلد، لأن الحج فيه زحمة شديدة، ولو فتح الباب على مصراعيه لتوافد الملايين.

ومن مقاصد الحج: أن الله تعالى جعله وسيلة لتكفير السيئات، وسببا في محو الذنوب، وطريقا لرفعة الدرجات، وقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «من حج هذا البيت؛ فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه».

ومن مقاصد الحج: تذكر حال الأنبياء والمؤمنين، وما كانوا عليه من قوة الإيمان واليقين، فيتذكر المؤمن توحيد إبراهيم، عليه السلام، وهجرته إلى ربه عزوجل، واستسلامه للخطب الجسيم،

في امتحان ذبح ابنه وبكره وفلذة كبده إسماعيل؛ امتثالا لأمر الله تعالى، وكيف أنه صبر للبلاء المبين، ففداه الله تعالى بذبح عظيم، حينما علم صدق تسليمه، وامتثاله لرب العالمين، فقدم مراد ربه على مراد نفسه.

ذكريات خالدة

ويتذكر الحاج ما كان من أمر أمنا هاجر، عليها السلام، حينما سعت بين الصفا والمروة بحثا عن ماء تشربه؛ لتدر اللبن على وليدها إسماعيل، عليه السلام، وقد أصبح ذلك السعي طريقة باقية إلى يوم الدين، وركنا من أركان الحج.

والحج هو عبادة العمر، وختام الأمر، وتمام الإسلام، وكمال الدين، وإنما كان بهذه المكانة؛ لأن الله سبحانه أنزل على نبيه ﷺ في حجة الوداع آية الإتمام والرضا والإكمال في قوله عز من قائل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة:٣).

وهذه المكانة قد غرسها الله تعالى في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فإنك تجد المسلم مهما تباعدت به الديار، ونأى به المزار، يتحرق شوقا إلى زيارة البيت الحرام، وتظل أطياف هذه الزيارة تداعب خياله، ويملأ الحنين إلى البيت قلبه؛ حتى يأذن الله له بتحقيق هذه الأمنية، التي يعتبرها كل مسلم تتويجا لرحلة العمر، وبابا للفوز برضوان الله، وهذا الشوق الذي يختلج في قلب كل مسلم إلى بيت الله الحرام، إنما هو تحقيق لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم، عليه السلام، حينما أسكن ابنه إسماعيل، عليه السلام، وأمه هاجر في رحاب البيت وتركهما، ثم اتجه إلى ربه يناجيه ويتضرع إليه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (إبراهيم:٣٧).

وهذا الحنين إلى البيت، الذي تفيض به قلوب المسلمين في شتى بقاع الأرض؛ إنما هو استجابة لهذه الدعوات التي فاض بها قلب أبي الأنبياء إبراهيم.

وهذه الأرزاق التي تملأ جوانب الأرض المقدسة قادمة من كل صوب وحدب من جنبات الأرض المعمورة؛ إنما كانت ببركة هذه الدعوات أيضا.

الفضل العظيم

والمسلم في هذه الأرض المقدسة يرى ثمرات الشرق والغرب تصب فيها، فالحمد لله على نعمائه، ونسأله دوامها، والمزيد منها، وأن يلهمنا شكرها: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (النمل:٤٠).

وفضل الحج عظيم، وحسبنا لندرك عظمة هذا الركن أن نعلم أن ثوابه الجنة؛ فقد قال النبي ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». قيل: وما بره؟ قال: «إطعام الطعام، وطيب الكلام».

(رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن، والحاكم بسند صحيح، راجع «الترغيب والترهيب» ٢/١٦٥).

وسئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال، فقال: «إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم حج مبرور» (متفق عليه).

وقد تحقق هذا الفضل لعبادة الحج؛ لأن الله سبحانه أمر خليله إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، وأخبر في كتابه الكريم أن الاستجابة لهذا الأذان ستكون عامة؛ وشاملة، يلبيها المسلمون من أقاصي البلاد، كما يلبونها من أدانيها، فالله سبحانه يقول: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (الحج:٢٧-٢٨).

وهؤلاء الحجيج الذين يأتون من كل حدب وصوب، يرفعون أصواتهم بالتلبية قائلين: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». بهذه التلبية يعلنون عن استجابتهم لأمر الله؛ لما أمر نبيه إبراهيم، عليه السلام، أن يؤذن في الناس بالحج، فمعنى لبيك: استجابة لك بعد استجابة.

والحج فرصة للمسلم كي يتدرب على عفة اللسان، والبعد عن الجارح من الكلام، المسيء للمشاعر والأحاسيس، ذلك النهج من الحديث الذي يدعو الإسلام المسلم أن يترفع عنه، فالحج فرصة للتدريب العملي على صيانة اللسان، والتحلي بمكارم الأخلاق، وأخذ النفس بالسلوك السوي؛ حتى يعتاد المسلم ذلك في كل أمور حياته، ويكون نموذجا فذا للإنسانية الراقية السلوك، المهذبة الأخلاق، الطيبة الحديث، الهادية إلى الصراط القويم: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ (الحج:٢٤).

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ (البقرة:١٩٧).

د. نفيسة الزكي
باحثة من المغرب

في رحاب الأشهر الحرم

لقد اصطفى الله سبحانه وتعالى أشياء على أشياء، وأقوالا على أقوال، وأماكن على أماكن...؛ فقد فضل عزوجل القرآن الكريم على ما سواه من الكلام، وفضل من الذكر والدعاء والاستغفار بعضه على بعض، وفضل بعض الأشخاص على بعض، حتى الأنبياء فاضل بينهم، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ (البقرة:٢٥٣)، وفضل من الليالي ليلة القدر، ومن الأيام في الأسبوع يوم الجمعة، وفضل البقاع بعضها على بعض، وفضل من الأشهر الأشهر الحرم، التي ذكرها عزوجل في كتابه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٣٦).

والأشهر الحرم بينها رسول الله ﷺ في خطبة حجة الوداع بقوله: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان» (صحيح البخاري)، فهي إذن ثلاثة متتابعة وواحد فرد، وإنما قال ﷺ: ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان؛ «لأن قبيلة ربيعة كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبا، وكانت مضر تحرم رجبا نفسه، ولهذا قال النبي ﷺ:

«الذي بين جمادى وشعبان» تأكيدا وبيانا، وليرفع ما وقع في اسمه من الاختلال، ليبين صحة قول هذه القبيلة في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما تظن قبيلة ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم، فبين ﷺ أنه رجب مضر لا رجب ربيعة» (١).

وقد سميت هذه الأشهر حرما لأمرين؛ الأول: لأن الله تعالى حرم فيها القتال بين الناس، فلهذا قيل لها حرم جمع حرام، يقول الله جل وعلا: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ (البقرة:٢١٧)، فدل ذلك على أنه محرم فيها القتال، وذلك من رحمة الله تعالى بعباده حتى يسافروا فيها ويحجوا ويعتمروا. والثاني: لتعظيم انتهاك المحارم فيها بأشد من تعظيمه في غيرها، وتعظيم الطاعات فيها أيضا (٢).

الحكمة من الأشهر الحرم

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو: لماذا كانت الأشهر المحرمة ثلاثة متوالية وواحدا فردا؟

ذكر ابن كثير الحكمة من ذلك في تفسيره بقوله: «وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة في أمن وأمان، فحرم قبل شهر الحج شهر، وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال، فيذهبون إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج وهم آمنون، وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك وهم آمنون، وحرم بعده شهر آخر، وهو المحرم؛ ليرجعوا فيه إلى نائي أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول، لأجل زيارة البيت والاعتمار به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا» (٣).

وهذه الأشهر ورثت العرب «حرمتها وتعظيمها، فكانت تعظمها فتحرم فيها القتال، وهو مما ورثته من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، غير أن العرب كانت تقوم معيشتهم على الحروب والثارات والغارات، فكانت تضطر إلى الحرب، فكانت تحتال على هذه الأشهر الحرم، فتؤخر تحريم هذا الشهر إلى آخر، وهو النسيء الوارد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ (التوبة:٣٧)، وربما حرمت العرب شهرا حلالا وأحلت شهرا محرما، وقد تجد نفسها جعلت السنة ثلاثة عشر شهرا، خلافا لما خلق الله تعالى عليه السنة، ولذلك جاء في الآية: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ (التوبة:٣٦)، فهي منذ خلق الله تعالى السموات والأرض جعلها اثني عشر شهرا، لا ثلاثة عشر شهرا، ثم بين أن: منها أربعة حرم، وهي التي ذكرناها» (٤).

لقد كان العرب قبل الإسلام يعظمون الأشهر الحرم «فيما يظهر للناس، ولكنهم يتلاعبون بها وفق أهوائهم، فإذا أرادوا قتالا أو إغارة على قبيلة من القبائل أحلوا أحدها عاما وحرموه عاما، وسبب ذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها، وقالوا: لئن توالت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن، وزعموا أن التحليل والتحريم إليهم، فابتدعوا من ذاتهم اتباعا لشهواتهم، فأحلوا ما حرم الله، وهم يرون بذلك عملهم حسنا، ولكنه تزيين لهم من الشيطان في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم سبحانه وتعالى. وفي هذا إشارة بليغة إلى أن الله عزوجل ينبغي أن يعبد كيفما شرع هو سبحانه وتعالى لا كما يهوى الناس، فالأمر في العبادات توقيفي على الشريعة الغراء التي أنزلها الله على نبيه ﷺ، وهذا هو المقياس الحقيقي للطاعات والعبادات؛ أن تكون تبعا لما جاء به محمد ﷺ، لا كما يبتغي الناس ويهوون، ولا كما تسيرهم شهواتهم ورغباتهم ونزواتهم، ولا كما يزين لهم الشيطان» (٥).

الجزاء والثواب في الأشهر الحرم

من حرمة هذه الأشهر أن الأعمال فيها «مضاعفة الجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، لذلك أكد النهي عن الظلم فيها؛ فقال: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ (التوبة:٣٦)، والظلم هنا يشمل المعاصي كلها؛ كبيرها وصغيرها، بترك الواجبات وفعل المحرمات، مما يتعلق بحقوق الخالق والمخلوق، وكلها ظلم للنفس، لأنها هي التي تعاقب بما كسبت، ولا يضر الله شيئا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (يونس:٤٤)، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟

﴿أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ (البقرة:٥٧).
والظلم والمعاصي محرمة في سائر الشهور والأيام، ولكن خصت هذه الأربعة بزيادة التحريم وتأكيده، وتشديدا للنهي عما وقعت فيه الكفار من انتهاك حرمتها، لأجل ذلك كانت مضاعفة الجزاء (٦)؛ يقول القرطبي: «لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب، لأن الله سبحانه إذا عظم شيئا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح، فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال» (٧)، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «تحفظوا على أنفسكم فيها واجتنبوا الخطايا، فإن الحسنات فيها تضاعف والسيئات فيها تضاعف» (٨)، وقال قتادة: «إن العمل الصالح والأجر أعظم في الأشهر الحرم، والذنب والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل» (٩).

الحكمة من مضاعفة الأجر والثواب في الأشهر الحرم

تتجلى الحكمة في مضاعفة الأجر والثواب في الأشهر الحرم في «رحمة الله تعالى بالمؤمنين، وحسن تربيته لعباده، والأخذ بأيديهم برحمة وحكمة، فلو أنه سبحانه ضاعف الوزر كامل السنة لربما هلك الصالحون بمضاعفة ما قد يأتون من معصيتهم وظلمهم لأنفسهم؛ إذ أنهم ليسوا بمعصومين، فكان أن جعل الله تعالى الحرمة والمضاعفة خاصة بأربعة أشهر فقط، ليستطيع المسلم شد إزاره والاجتهاد فيها أكثر ما يستطيع، ثم ليكون ذلك دربة له في باقي الأشهر المخففة، وهكذا إذا اتّقى الله تعالى وجاهد نفسه؛ وجد نفسه في سائر الشهور متقيا محترسا متيقظا، قد صار له ذلك عادة وسجية» (١٠). قال الماوردي: «ليكون كفُّهم فيها عن المعاصي ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها؛ توطئة للنفس على فراقها مصلحة منه في عباده ولطفا بهم» (١١).
وفي نفس السياق ذكر الجصاص أن الله تعالى شرع ذلك «لما فيه من المصلحة في ترك الظلم فيها لعظم منزلتها في حكم الله، والمبادرة إلى الطاعات، فيكون ترك الظلم والقبائح في هذه الشهور داعيا إلى تركها في غيرها، ويصير فعل الطاعات والمواظبة عليها في هذه الشهور داعيا إلى فعل أمثالها في غيرها، للمرور والاستمرار، وما يصحب الله العبد من توفيقه عند إقباله إلى طاعته، وما يلحق العبد من الخذلان عند انكبابه على المعاصي وأنسه بها، فكان تعظيم بعض الشهور، وبعض الأماكن، أعظم المصالح في الاستدعاء إلى الطاعات، وترك القبائح، ولأن الأشياء تجر إلى أشكالها، وتباعد من أضدادها، فالاستكثار من الطاعة يدعو إلى أمثالها، والاستكثار من المعصية يدعو إلى أمثالها» (١٢).

من صور تعظيم الأشهر الحرم

إذا كانت الحسنات والسيئات مما يضاعف في الأشهر الحرم فإن المؤمن ملزم باتخاذ مجموعة من الإجراءات والاحتياطات حتى لا يكون ممن ظلموا أنفسهم في هذه الفترة من السنة، ومن ذلك (١٣):
- الإكثار من الصيام في هذه الأشهر الحرم مصداقا لقوله ﷺ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» (صحيح مسلم).
- تحري فعل الخيرات في هذه الأشهر لاشتمالها على فضائل وعبادات ليست في غيرها؛ فهي تشمل الحج، إذ إن أفعاله كلها تقع في ذي الحجة، والحج شعيرة من أعظم شعائر الدين، والتي تحتوي على جميع أنواع العبادات البدنية والمالية والقلبية والقولية، كما تشتمل هذه الأشهر على الليالي العشر التي أقسم الله بها، وتسمى عشر ذي الحجة، كما تشتمل هذه الأشهر على يوم عرفة، وهو أفضل أيام العشر، كما تشتمل على عيد الأضحى.
- عقد العزم الصادق بالتوبة والإنابة إلى الله والهمة العالية على تعمير هذه الأشهر بالأعمال الصالحة.
- الابتعاد عن الظلم بجميع أنواعه في هذه الأشهر لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ (التوبة:٣٦).
- التنبيه على أن انتهاك الحرمات وخاصة في هذه الأشهر زوال للحسنات ولو كانت عظيمة، يقول ﷺ: «لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة

بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا فيجعلها الله عزوجل هباء منثورا»، قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها» (رواه ابن ماجه وصححه الألباني).

في ختام هذه الدراسة يتبين لنا أن الله تعالى خص الأشهر الحرم دون سائر الأشهر بعبادات عظيمة كالحج والوقوف بعرفة ويوم النحر وغيرها، كما خصها سبحانه وتعالى بمضاعفة الأجر والثواب، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، داعيا فيها عزوجل إلى تجنب الظلم كيفما كان نوعه رحمة بعباده، لذلك كان من واجب المؤمن تقديس هذه الأشهر والعمل فيها على طاعة الله تعالى واجتناب محارمه؛ حتى ينال خير الدنيا والآخرة.

الهوامش

١- انظر: خالد بدير، واجبنا نحو الأشهر الحرم، نقلا عن مصطفى حكماوي، الأصفياء، دار الأئمة للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ١١٢.

٢- انظر: أحمد بن علي أبوبكر الرازي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ج ٤، ص ٣٠٨.

٣- أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٤٦٥.

٤- عبدالعزيز بودين، الكتاب المسطور، دار الأفكار للنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م، ص ١٢.

٥- انظر: عبدالله بن عمارة، شريعتنا وشريعتهم، الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م، ص ٧٨.

٦- أبوأحمد عبدالله، الأشهر الحرم وقدسيتها في الإسلام، الأمان للنشر والتوزيع، قسنطينة، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص ٤٥.

٧- أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، ج ٤، ص ٢٣٤.

٨- أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ج ٢، ص ٤٩٤٤.

٩- أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ١٤٨.

١٠ - أبومحمد بن عبدالله، الأشهر الحرم أحكام وحكم، موقع طريق الإسلام، بتاريخ: ٢٠١٤/٠٩/٠٤م.

١١ - أبوالحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تفسير الماوردي، تحقيق: ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج ٢، ص ٣٦٠.

١٢ - الجصاص، أحكام القرآن، ج ٤، ص ٣٠٨.

١٣ - انظر: خالد بدير، واجبنا نحو الأشهر الحرم، ص ١١٤.

أ.د. عبد الله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة
اللغة العربية - المغرب

ما القراءة؟(1)

من ألزم الأقوال في هذه البداءة، التأكيد أن طوق نجاتنا نحن العرب في هذه الحياة الدنيا، يبدو في الإمساك بمفتاح القراءة الذي ضاع عن أبواب دولنا العربية، رغم أنه كان أول صيد أمرنا أن نريغه ونطلبه للخروج من حالات التيه والضياع والغثائية التي رانت على مجتمعاتنا أمدا طويلا، فعلى الرغم من صيحات الإنذار التي تعلو في بعض المؤتمرات والندوات لابتكار حلول محصدة لتهييج المواكب العربية التي طوت كشحها عن القراءة؛ على طريقة المثل العربي: «العاشية تهيج الآبية»، إلا أن الشوط ما زال بطينا للعثور على هذا المفتاح السحري القادر على إشعال أضواء المعرفة التي انطفأت عن ساحاتنا العربية، فتشتعل مهج وأفئدة شيبنا وشبابنا وأطفالنا للإقدام على فعل القراءة، ووضع صوى ومنارات في سبيلها المهيع اللحوب لاصطناع المعارف المنتقرة المجتباة؛ التي تنزع عنا إصرنا والأغلال التي كانت علينا طوال السنين الخوالي؛ حتى أوهت عزائمنا وأصابت أبصارنا بالعشا والعمش، اللذين حالا بيننا وبين إدراك زائنات القراءة ومزياتها، التي تفتح للشعوب أبواب الأمل فتلمع نجومها بعد خفوت، وتسطع شموس معارفها بعد كسوف، وتشتعل أنوارها بعد انطفاء، فهل أدركنا نحن العرب هذه الحقيقة الغراء التي تصرخ في وجوهنا بكرة وعشيا؟

سؤال جوابه البليغ ينجلي في العدد الهيضل من التقارير العربية والدولية التي تشير بما لا يدع رسيسا من الريب إلى اقتعاد العرب ذنب البعير في ممارسة فعل القراءة بشتى أشكالها وأنواعها وأغراضها، وآية ذلك: التقارير الدولية الموسومة بـ: (Pirls وTimss) التي أظهرت ضعف مستوى شداة العالم العربي في التحكم في مهارات القراءة والكتابة واللغات والحساب؛ مقارنة مع خمسين دولة مشاركة في الروائز، كما بينت تلك التقارير بالإحصاءات التي لا مطعن فيها أن زهاء عشرين فردا عربيا (٢٠ فردا) يقتصرون على قراءة كتاب واحد في العام؛ في الوقت الذي يقرأ فيه كل مواطن بريطاني سبعة كتب في العام (٧ كتب)، بل إن بعض إحصاءات منظمة اليونسكو لعام (٢٠٠٣م) قد أثبتت أن الطفل العربي لا يقرأ أكثر من ست دقائق في اليوم خارج المدرسة، بينما يقضي أطول أوقاته في الاستمتاع، والحبور، واللعب بالأجهزة الإلكترونية، والأفلام الكرتونية المنتشرة عن أيماننا وعن شمائلنا من دون رقيب ولاحسيب، وهلم جرا وسحبا من التقارير طويلة الذيل قليلة النيل، التي تسعى إلى تغيير المواقف والاتجاهات التي

تنظر إلى الحياة من حيث تحسين المسكن والمركب والمأكل، من دون الالتفات إلى حاجات العقل والفكر، التي تحتاج إلى خطة بزلاء تمزج الإثارة بالإنارة لأجل تغيير عاداتنا، كما تغير الأشجار أوراقها الميتة، ومن ثمة تصبح متعة القراءة بكافة أنواعها وأغراضها، وصناعة المعارف التي تنتقل بنا كما ينتقل النضج في الفاكهة، أعز ما يطلب.

فما هي البدائل التي تشفي مجتمعاتنا من كثير من الأوضار والمعارف الخاوية مثل مومات النحل، وكيف السبيل لزرع بذرة النجاعة والفعالية في أرضنا العربية العذبة، وما هي الإجـراءات التي تضمن نمو تلك البـذرة، واستـواءهـا على ساقها حتى تخرج شطأها، وتنضج أثمارها فتكون بلسما شافيا لأوضاعنا التعليمية والثقافية، التي أخلدت فيها المعرفة للسبات الشتوي العميق جراء العزوف عن القراءة والاقتراء؟

على الرغم من تأكيد «غـانـدي» على أفضلية قـراءة كتاب الحياة على الكتاب الورقي، إلا أن مشاهد الحياة المعاصرة اليوم، لا تذكرنا بسوى صور القتل البشع، والسطو الجائر، والاعـتـقـالات التعسفية، والمقابر الجماعية، حتى أضحى الـدم البشري مهدورا في كل ناحية من أنحاء هـذا العالم المجنون، لذا فإن المجرسين الأثبات الذين أوتوا حظا عظيما من الانتجاث والاعتيام والاصطفاء، يدركون في خضم هذه الحملات المسعورة أن أغلب مشكلاتنا التي يميزها العنف، والعنف المضاد، وسوء التوزيع في الموارد والأدوار، ترجع في الغالب الأعم إلى صعوبات أسلوبية تنكبت الطريق المهيع لإيجاد الحلول الناجعة لتلك المشكلات؛ الأمر الذي يظهر بلا امتراء دور القراءة في إبداع حلول منصفة تدبر الخلاف بين الثقافات، وتطور الـذوات، وتنمي الأفكار والمعارف، ولذلك كان «أرسطو» دقيقا عندما قال: إذا أردت أن تحكم على إنسان، اسأله كم كتابٍ قرأ، وماذا قرأ؛ لأن المادة المقروءة هي التي تهب لنا لذة الحياة، وهي التي تضيء لنا الأظلام المركومة عن أيماننا وعن شمائلنا، بل إن القراءة كما يؤكد «عباس محمود العقاد» هي التي تمكننا من أن نعيش حياتات الآخرين وأفكارهم، ومن ثمة تصبح فكرة القارئ التي كانت فطيرة قبل الـقـراءة؛ فكرة ناضجة بعد أن أمدتها جعافر وأسـريـة وثغاب وجـداول الكتاب الآخرين بمئات الأفكار؛ حيث يقول: «لست أهوى القراءة لأكتب، ولا لأزداد عمرا في تقدير الحساب، إنما أهوى القراءة لأن لي في هذه الحياة الدنيا حياة واحدة، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة. القراءة وحدها هي التي تعطي الإنسان الواحد أكثر من حياة واحدة، لأنها تزيد هذه الحياة عمقا، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب؛ فكرتك أنت فكرة واحـدة، شعورك أنـت شعور واحـد، خيالك أنت خيال فرد واحد إذا قصرته عليك، ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى، ولاقيت بشعورك شعورا آخر، ولاقيت بخيالك خيال غيرك، فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، وأن الشعور يصبح شعورين، وأن الخيال يصبح خيالين.. كلا وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر في القوة والعمق والامتداد (١). فماهي القراءة إذن؟

مفهوم القراءة

ليست القراءة مجرد مرور البصر على أشكال الحروف والكلمات لأجل التعرف عليها والنطق السليم بها، إنها عند التحقيق عملية عضوية وعقلية ثم نفسية تتفاعل فيها العناصر الآتية تفاعلا كيميائيا: (القارئ والشيء المقروء ثم السياق الذي يتم فيه فعل القراءة) بهذا المعنى يتخذ الفعل القرائي شكل سلوك اتصالي تشتغل فيه إواليات الإدراك والفهم والتخزين» (٢)، التي لا تكتفي بتلقي الخطاب والعثور على معناه النهائي الذي أودعـه فيه الكاتب، وإنما ترتكز على القدرة والكفاءة التي يبديها القارئ الذي يلم بالحد الأدنى من المعارف والمعلومات، لأجل التعرف البصري على الرموز المطبوعة وعلى حجمها وشكلها، لإدراك الفرق بينها وبين غيرها، أملا في تحويلها إلـى عناصر دالـة، انطلاقا من تفعيل الجهـازين البصري والدماغي، لأجل التفاعل مع النص، بواسطة الفهم والتحليل والربط ثم الاستنتاج المفضي إلى حل المشكلات؛ اعتمادا على الخبرة القرائية العامة للقارئ، وعلى المعرفة المحصلة لديه من النصوص المشابهة أو المخالفة للنص المقروء، ناهيك عن عاداته الذوقية والثقافية والفنية. لذا فإن قراءة أي نص لا يمكن أن تبلغ المـراد «إلا بوجود قـارئ يمتلك كفايات نصية وموقفية ملائمة تسعفه في تعيين البنيات النصية وتأويلها، وتساعده في التعرف على مقاصد الكتابة» (٣)

القراءة إذن نظر على شكل جولة في مساحة النص الرحبة، واستبصـار خـلاق ذو طبيعة تأويلية غايته مـلء الثغرات، وتقريب الرموز، وعزل المتجاور، وإبراز الحيل الأسلوبية التي تمثل موضع اللذة والمؤانسة في أي نص. إنها تجربة جمالية، وسفر ماتع يقوم على الذهاب والإياب والكر والفر بين السابق واللاحق اعتمادا على المعرفة والإحاطة بالأنظمة اللغوية التي تثري التجارب الشخصية للقارئ لأجل تفكيك بنيات النص التي يتداخل فيها الاستباق والتحليل والتركيب ثم التأويل. «لا أحد يعرف شيئا عن المعنى الذي تمنحه القراءة للأثر الأدبي، ولا عن المدلول، وذلك ربما لأن هذا المعنى اعتبارا لكونه شهوة ينتصب فيما وراء سنن اللغة».

القراءة وحدها تعشق الأثر الأدبي، وتقيم معه علاقة شهوة. فأن نقرأ معناه أن نشتهي الأثر، ونرغب في أن نكونه... (٤) لأن النص والقارئ طرفان متكافئان متفاعلان في الفهم وفي

بناء المعنى؛ النص يمنح للقارئ فرص الاقتراب منه انطلاقا من بعض الأماكن البارزة فيه مثل: العنوان، والجملة المنطلق، والكلمة المفتاح لتنشيط معارف القارئ، بينما القارئ يوجد التصاميم، ويولد الفرضيات، ويشكل البنيات الكبرى من خلال عمليات التعميم والإدماج والحذف والملء لأجل استخلاص المغزى الذي ينهض عليه الخطاب. وهذا هو السر في أن النصوص بحاجة على الدوام إلى قراء ماهرين لوذعيين حاذقين عارفين بأسرار تشكلها التي تنهض على الاختزال والحذف والإخفاء (المسكوت عنه) تاركة للوذعية القارئ استكمال وملء تلك الفجوات، اعتمادا على أحد الموقفين: موقف مشارك متعاون، حيث يتم التركيز على عناصر على حساب عناصر أخرى رغبة في الوصول إلى مضمون النص، وإلى عوالمه الممكنة ودلالاته العميقة التي تخفيها العبارات الفنية؛ وموقف تأملي ينزع نحو إقصاء بعض ما يقدمه النص من الأفكار والمعارف لصالح تخيلات وتأويلات القارئ رغبة منه في الوصول إلى لحظة السعادة وهي لحظة: «التأويل والاشتهاء» الذي يظهر أن النص يتوخى معنى محددا، والقارئ يؤول ويولد مغزى لا قبل لصاحب النص به.

تأسيسا على هذا التعريف، تنهض القراءة على المداخل والعناصر والعمليات العقلية الآتية:

أ – النظر والاستبصار، أي: الرؤية بالعين التي يصاحبها الفهم والتدبر والتوقع والحكم.

ب – تفاعل بين ثلاثة مكونات هي: القارئ، والمادة المقروءة، ثم السياق الذي تمارس فيه القراءة.

ج – استحضار المعارف الضرورية لإدراك المعنى ابتداء بالمستويات القاعدية، وصولا إلى الدروب والمسالك التي تهدي إلى عوالم النص الظاهرة والباطنة.

د – تفسيرها وتحليلها اعتمادا على القرائن اللفظية والمعنوية ثم المقامية، التي تتمظهر في المستويات التركيبية والدلالية والتداولية التي تنظر إلى النص باعتباره بنية تتفاعل فيه عناصر نصية، وأخرى خارج نصية، تدعو القارئ إلى إعمال استراتيجيات مختلفة، تبدأ بتحليل البنيات اللغوية المعتمدة في النص، ثم يتجاوزها بإدماج عناصر أخرى من خلال تشغيل موسوعيته القرائية المسعفة على إدراك مغزى النص.

هـ – مهارة تقوم على مداخل محددة منها:

– النص المحيط وهو الكلمات التمهيدية والتنبيهات المختلفة التي توجه القراءة مثل العنوان والجملة المنطلق والفقرات، حيث إن الجملة البداية من النص توجه التقبل بصفة حاسمة، وهكذا تنهض العبارة الشهيرة: (كان يا ما كان) في الحكايات بدور (واصلة التخيل) إذ تلفت الانتباه إلى ولوج القارئ في العالم السحري (٥) كما أن عبارة (زعموا) التي تتصدر بها بعض القصص الخرافية والحكايات الشعبية لا ينبغي فهمها فقط بأنها مطية للكذب، ولكن باعتبارها تظاهرة لشيء آخر يومئ إليه النص.

– إضافة إلى تحديد جنس النص يجب على كل قارئ استخراج شبكات دلالية تبني القراءة. وقد تكون الوحدات التي تشكلها مرتبطة بعلاقات تشابه (كلمات عدة تحيل إلى الغرض ذاته)، أو تعارض (حيث ينتظم المعنى حول نقيضه)، أو تعاقب (سلسلات أفعال يتشكل منها كل متماسك) (٦).

– تعرف الأسلوب والصور البلاغية والنبرات الموسيقية والإيقاعية التي تسهل على القارئ العثور على مكامن زينة النصوص التي أخفتها قوانين تركيبها وقواعد لعبتها.

واستنتاج المغزى المبرر اعتمادا على البحث والنقد والموازنة، الذي ينهض على الخبرات القرائية الراسخة لدى القارئ، وعلى الذخيرة اللغوية والأدبية والثقافية والفنية ثم العلمية التي بحوزة القارئ، وعلى فطنته وحذاقته في الانتقال من استخراج المعنى، إلى بناء المغزى، وهذا هو السر في تعدد القراءة.

تأزير

هذه رحلة من دون وصول، وومضة تهز العقول والعواطف وتهيئ للأمة خميرة حضارية تجعلها تستأنف تهذيب عادة طي الكشح عن القراءة، التي جثمت على كيان الأمة العربية أمدا طويلا، لأجل إقامة عمارة فكرية متصالحة مع الكتاب، الذي يعد بحق الصحن المفضل الضامن لمتعة الغذاء الذهني والارتواء المعرفي، الذي يضمن التفكير الجاد القادر على ترميم الذاكرة لأجل بناء الكمال العربي المتجلي في صناعة المعارف العربية القائمة على العلم والمعرفة التي تضمن لنا أن نقتعد مكانة مشرفة تليق بنا نحن أمة اقرأ بدل الخضوع لمتع الهضم والأكل التي جعلتنا نقتعد ذنب البعير في قائمة القراءة بالنسبة إلى باقي الأمم.

الهوامش

١– القراءة أولا. محمد عدنان سالم. (ص:٣٨و٣٩). إعادة الطبعة الثانية. دار الفكر. دمشق. دار الفكر المعاصر. بيروت. (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).

٢– نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات. انظر مقال د. ميلود حبيبي (ص:١٦٩). منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. سلسلة ندوات ومناظرات رقم:(٢٤). جامعة محمد الخامس. مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء.

٣– المرجع نفسه. (ص:١٧٢).

٤– النقد والحقيقة. رولان بارت. ترجمة وتقديم إبراهيم الخطيب. مراجعة محمد برادة. (ص:٨٦). الطبعة الأولى. (١٤٠٥هـ/ ١٩٩٥م) الشركة المغربية للناشرين المتحدين.

٥– القراءة. فنسان جوف. ترجمة سعاد التريكي. مراجعة جلال الغربي ومحمود الهميسي. (ص:٨٧). دار سيناترا. المركز الوطني للترجمة. تونس (٢٠١٥م).

٦– المرجع نفسه. (ص:٨٩).

ضوابط النشر

الوعي الإسلامي

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على نشر الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة، فقد رأت المجلة أن تذكّر بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يأتي:

أولًا: ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته.
- أن يرسل الكاتب صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تُرسل المشاركات باسم رئيس التحرير، على البريد الإلكتروني الموضّح أدناه.
- أن يُذكر العنوان كاملاً، مع رقم الهاتف، والفاكس، و البريد الإلكتروني.
- أن يُذكر مسمى الكاتب المهني ليقترن بمشاركته عند النشر.

ثانيًا: ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- يُكتب المقال بلغة قوية رصينة، ويكون مطبوعًا إلكترونيًا ومدققًا لغويًا.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تذكر المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- أن يتم الالتزام التام بالأمانة العلمية عند الاقتباس أو الاستعانة بمصادر ومراجع.
- يجب ألا تقل المقالة عن ٥٠٠ كلمة ولا تزيد على ٢٠٠٠ كلمة.
- أن تقرن الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال قد سبق نشره في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.
- في حال تأخر النشر، يفيدنا الكاتب برغبته في نشر مقالته بمكان آخر حتى يتم استبعادها من خطة النشر مستقبلاً.
- يمكن نشر مادة مختصرة تصلح لباب بريد القراء.
- يحق للمجلة حذف أو تعديل أو إضافة أي فقرة من المقال تماشيا مع سياسة المجلة في النشر.
- الخرائط التي تنشر بالمجلة مجرد خرائط توضيحيةولا تعتبر مرجعا للحدود الدولية.

ملاحظة:

- المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

- المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

- المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة ويتحمل الكاتب جميع الحقوق الفكرية المترتبة للغير.

البريد الإلكتروني:
alwaeiq8@gmail.com

أيمن عبد السميع حسن
باحث تربوي
مصر

القدس.. في القلب

تشغل الأمكنة والمدن حيزا كبيرا من قرائح الشعراء، فهي ليست مجرد حجارة صماء، وبيوت وأسواق، بل كثيرا ما تعامل الشعراء معها على أنها كائن حي تحمل في طينتها وأسمنتها نبض الناس الذين شيدوها، فكما ذكر في كتاب «المدينة في الشعر العربي المعاصر» (١)، أن بعض المدن استهوت الشعراء الذين ولدوا فيها وعاشوا فيها فقط، بينما هناك مدن أخرى كان لها البعد الأوسع، فألهمت شعراء من بلاد أخرى ربما لم يزوروها لأنها اكتسبت حضورها بكل معانيه في قلوبهم..

والقدس من أمهات المدن التي سرى عليها هذا الاستثناء.. فلم تكن القدس موضعا جغرافيا جرت عليه أحداث سجلها التاريخ فحسب، ولم تكن موطنا يتغنى به سكانه المقيمون به أو المغتربون عنه، بل هي قيمة رمزية تحتل مكانة خاصة في كل قلب مؤمن ينشأ حبها في قلبه مع رؤيتها، والأنس بشوارعها، والعبق بنسائمها.

بادئ بدء، فكلمة «القدس» في اللغة العربية تعني البركة، كما عرفها «ابن منظور في لسانه (٢)، والأرض المقدسة بيت المقدس، والقدس تعني الطهارة، والمقدس من لا ذنب له، فهو مطهر منها، وفي التنزيل: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة:٣٠)، والقدوس اسم من أسماء الله تعالى، فالله صاحب القداسة، فحصول بيت المقدس على هذا التقديس، اشتقاقا من اسم الله القدوس، فتلك الأرض مطهرة خصها الرحمن بهذه التسمية، فباتت منارا مباركا، ومزارا كريما، وبلدا مقدسا.. فالقدس -كما هو معلوم- تحتل عبر التاريخ مكانة عظيمة، باعتبارها أرضا مقدسة، فهي محور الحديث، وشغل السياسة الشاغل، فمن أين حصلت على هذا التقدير؟ وما جعلها بهذه المكانة، وبم تميزت عن باقي المدن؟ تلك المدن التي تزهو بعمارتها الرائعة، وأبراجها الشاهقة، وحدائقها الغناء، ثم من أين جاءت للقدس أهميتها؟ وما سر قدسيتها ومباركتها؟ وللإجابة عن تلك التساؤلات، لابد لنا أن نغوص في أعماق تلك المدينة المباركة، ولكن من مسلك آخر، غير آثارها وعراقتها وموقعها الاستراتيجي

والصراعات الحضارية المتعاقبة عليها.. ضف إلى ذلك فمدينة القدس تشغل مكانة دينية في الأديان السماوية الثلاثة، وما تتعرض له من تهويد وتغيير لملامحها بفعل السلطة المحتلة للأرض والإنسان الفلسطيني، لذا، سنقف في عجالات لا تغطي إلا جزءا من القصائد التي وقفت على التوظيف التاريخي والأسطوري والديني لمدينة القدس، وإذا فتحنا الباب فسنجد أكواما بل جبالا من الشعر.. فالمنطق الشعري -بالإجماع- عن القدس تأكيدا على عروبتها وكنعانيتها وإسلامها في مواجهة التهويد وسرقة المدينة، ولهذا أتت القصائد موجهة تحمل رسالة المقاوم، وترسم لوحات تشكيلية فيها ملاذ للروح، وعبق من جماليات الحياة.. حيث نجد أن القدس من المدن العربية التي كان لها الحضور الوافر في مخيلة الشعراء، تتجدد في ذاكرتهم دائما، ويحسبون حسابها في أنشطتهم الثقافية، فالقدس هي ريحانة الضمير العربي والإسلامي بما تحمل من عمق روحاني ديني أبرز محطاته رحلة «الإسراء والمعراج»، ولها منحى تاريخي أيضا؛ لقدمها الواقع في دروب الماضي وتعاقب الحضارات عليها، ثم العصر الحديث أصبحت ذات طابع سياسي نتيجة الصراع الحاصل عليها.. لقد حظيت مدينة القدس بأكثر شعر المدائن قاطبة؛ فهذا الشاعر الفلسطيني الراحل «محمود درويش» يقول عن القدس:

في القدس، أعني داخل السور القديم
أسير من زمن إلى زمن بلا ذكرى
تصوبني. فإن الأنبياء هناك يقتسمون
تاريخ المقدس.. يصعدون إلى السماء
ويرجعون أقل إحباطا وحزنا، فالمحبة
والسلام مقدسان وقادمان إلى المدينة.

أما الشاعر الفلسطيني «المتوكل طه» فقال، يصف مدينة القدس أيضا:

أم المدائن
زاهرة الأرض
قنديل دولتنا
أمنا، عرضنا، أرضنا
خبزنا، درسنا
والصلاة التي تبقى
قدسنا
عرشك الخيل عاصمة

وبنفس الروح وفي إشارات مماثلة يقول «عمر أبوريشة» (١٩١٠-١٩٩١):

يا روابي القدس يا مجلى السنا
يا رؤى عيسى على جفن النبي

وتلك رائعة الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي، حيث يقول:

في القدس بائع خضرة من جورجيا بَرِم بزوجته
يفكر في قضاء إجازة أو في طلاء البيت
في القدس توراة وكهل جاء من منهاتن العليا
يفقه فتية البولون في أحكامها
في القدس شرطي من الأحباش يغلق شارعا في السوق
رشاش على مستوطن لم يبلغ العشرين
قبعة تحيي حائط المبكى

وحينما زارها الشاعر الفلسطيني «راشد حسين» (بعد غياب طويل) تجول في شوارعها وأزقتها وأذرف الدمع قائلا:

أمدينة الزيتون! زيتون الهوى أثمر
لما بسطت على فؤادي زندك الأخضر
وعصبته بلظى محبة فارس أسمر
وزرعت في قلبي عينين للحب.

وهذا الشاعر «أديب رفيق محمود» يتحدث عن القدس فيسميها بـ «مدينة السلام» فيقول:

أواه يا مدينة السلام
أين روعة الصهيل، كبوة الخيول
تعبر الأبواب في وضح النهار
هذا صلاح الدين؟
أين سيفه؟ أمغمد؟
يا ليتني أستله للحظة.

ولم تكن المشاعر لدى الشعراء العرب بأقل من نظيرتها لدى الشعراء الفلسطينيين، فقد جاءت قصيدة الشاعرة العراقية «نازك الملائكة» والتي عنونتها بـ «سوسنة اسمها القدس»، وكأن الشاعرة تأتي بمزيج من الكون كالأزهار والمياه والجبال والوديان والكواكب والعناقيد والشواطئ وغيرها من مفردات الطبيعة، وكأنها تخبرنا بأن القدس هي مدينة مزيج من كل هذا الكون، بل هي كل تلك الطبيعة الخلابة، كما تؤكد في بقية مفردات القصيدة التصاق الطبيعة التصاقا وثيقا، فهي لا تنفصل عن رقرقة الماء، وليس بمنأى عن بهاء الكواكب التي تزين السماء، ولا أقل لذة من عناقيد الكروم، فتقول:

سيسألنا الله يوما فماذا نقول؟
نعم! لقد منحنا الذرى والسواقي
ومجد التلول
وهدب النجوم، وشعر الحقول
ولكننا لم نصنها
ولم ندفع الريح والموت عنها
فبانت كزئبقة في هدير السيول
نعم ودفعنا بأقمارها للأفول

الهوامش

١- ينظر، كتاب «المدينة في الشعر العربي المعاصر»، د. مختار أبوغالي، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٦، سنة ١٩٩٥م.
٢- ابن منظور، لسان العرب مادة «قدس»، ج ٦، بيروت، دار صادر، ص ١٦٨-١٦٩.

محمد السعيد الشيخ
قاص وشاعر

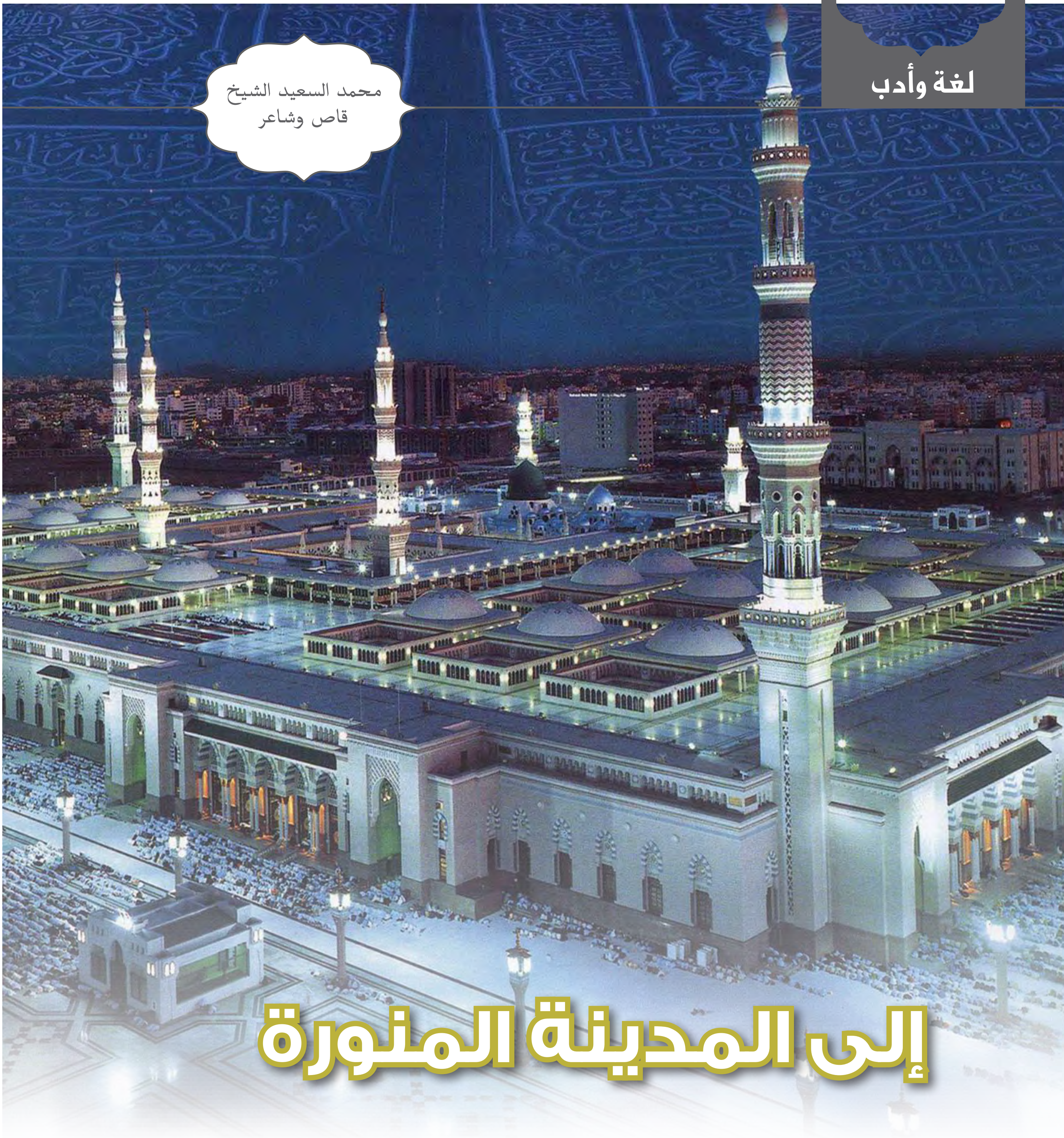

إلى المدينة المنورة

أخضر القلب، ثر الحنان، وصول لرحمه، يعتني بشؤون ذوي قرباه وشجونهم، يخدم الجميع بإنكار وإيثار.. ففي يقين سليمان أن جبر خواطر العباد من أعظم القربات إلى رب العباد.

في حميمية وبإيمان الملتزم، يعد إخوته الأربعة وخالتيه بإهداء كل منهم أنفس هدية وأبهاها لو وفقه الله بالعمل في السعودية. وسبحان الله! يحقق الله أمله بالإعارة مدرسا بها؛ يهفو بترحال الخيال إلى مدينة الحبيب المنورة، فجذوة حب الله وحب رسوله متقدة بكيانه. يجيء محل عمله بعيدا عنها، فتدفعه فطرته الدينية المتوثبة لزيارتها أسبوعيا، وكانت الإجازة يومي الخميس والجمعة، فيزيد عليهما يوم السبت.

يحذره رئيسه من الغياب في هذا اليوم الدراسي، ولكن، وآه من لكن هذه، إن عشقه لها أبعد من الثريا، لا تناله رغبة ولا رهبة.. تتعذر عليه مغادرة المدينة بعد يومين فقط. كان يحادث رئيسه في هذا الشأن بكلمات فاتحة مضيئة، فعشقه هذا صار قدره، والقدر هو ما يقدره الله تعالى.. ومن لم يؤمن بالقدر فقد كفر.

لقد وضع رئيسه في موقف يثير الحيرة، مع هذا الذي يحمل تلك الرغبة الملحاح. لقد وجد سليمان في أول زيارة مدينة حبيبه عليه الصلاة والسلام، فتحا إيمانيا مباركا، وكلما زارها زاد استشعاره وهجا عجيبا.. كل ذرة في كيانه تهتف بالصلاة على رسول الله ﷺ.

لقد أدرك رئيسه من تقاطر حديثه في بيان ساحر وإيجاز باهر، ما تتوهج به مشاعره من إشراقات إيمانية، وكأنه ممن نعتهم الرسول عليه الصلاة والسلام بأنهم «من أهل الله وخاصته». فله من المدد الرباني ما ليس للآخرين. ويعجب رئيسه من حب التلاميذ له، حيث يمارس التدريس في أبهى صيغة وأحسن تقويم، يجمع بين الإمتاع والإفادة، بأساليب تربوية أكثر إشراقا وألقا؛ وكأنما نفح في روح رئيسه نفحا من شذاه، فاستحوذ على كيانه، فكيف يمنعه من زيادة يوم أسبوعي لدى الحبيب، ويحرمه مزيدا من إشراقاته التي هي زاده، وأنعم بها من زاد! وتطوف بخواطره أن رسولنا قد نال في كتاب الله أعظم ذكر وأغلى قدر ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح:٤). تتلى إلى يوم الدين، وجعل ذكره مقرونا بذكره في كل أذان. وقول شاعر الرسول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد

وكم كان يردد من الكلام المعطر بذكر خير البشر. قول الكاتب البريطاني المعروف توماس كارلايل في كتابه «الأبطال»: «إن الرسالة التي دعا إليها النبي محمد ظلت سراجا منيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثيرة من الناس».

وكأنما روح سليمان تهتف صادحة: دعوني أتنسم عبير مدينة الحبيب.. تلك التي حوت بأرجائها حبيب القلوب.. كيف أصف وأعبر؟! فلو امتلك محب أروع ريشة لأمهر فنان، وإن تملكه سحر البيان، لعجز عن وصف أرجاء مكان قامت على أرضه العاطرة أسمى كيان العبادة، ملهمة المواجيد، هي وحي الروح. وصدق من قال: «إن من قتله الحب أحياه القرب، فالحب يوجب شوقا، والشوق يوجب أنسا؛ ومن أوصاف المحب الهيام القلبي الدائم، لا تأخذه في ذلك لومة لائم».

وسبحان الله..! يزور ملك البلاد مدرسته، ويطلعه رئيسه على حال سليمان، فيأمر بنقله إلى المدينة المنورة. وكم كانت هبة باسقة الجلال، فقد أفاض الله عليه من آلاء نعمائه:

ما كان يوم من الأيام يبعدني
عن مهبط الوحي عن آلاء مغناها

أخذه السير، ودلف داخلها يجوس أرجاءها المقدسة. لقد انتوى الإقامة الدائمة بها، والزواج منها مستشيرا أحد زملائه الذي ارتبط معه في إخاء وثيق، وفي الاستشارة إنارة. ويشاء الله أن يكون لهذا الصديق أخت في سن الزواج، تحفظ القرآن الكريم وتعشق الثقافة كضرورة حياتية، فيبدي رغبته في خطبتها، وتلاقيا على بساط الرضا والاستحسان، واتفقا على عقد القران.

يعود في الإجازة السنوية إلى موطنه ويقدم استقالته، بعد أن ضمن التعاقد بالعمل في السعودية، وبدأ في تجهيز المهر. وكان قد حول كل ما ادخره لأخيه للتجارة فيه والاحتفاظ برأس المال كمهر حين ينوي الزواج.. لكن، وأسفاه! وجد آماله على جرف هار، فانتابه دهش مباغت، فقد خدعه بوعود كالورود، وتحول إلى بيع قطعة أرض كانت ميراثه فامتنع أخوه أيضا، والذي يزرعها مستحوذا على إنتاجها؛ وطمعا في استغلالها بعد أن علم بعزمه على الإقامة بالسعودية.. وعلى قدر ما كان سلوكه معه عاطفيا حميما جاء رده كارثيا جحيما:

يخادعني الغريب فلا أبالي
وأصعق حين يخدعني القريب

ولأن سليمان لم يعتد أن يخوض في خضم التعادي فقد سامحه متعوذا بالحلم، امتثالا لقول الرحمن: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ (الشورى:٤٣).

يعود سليمان إلى السعودية محتشدا بالأحزان والأشجان، بعد أن كانت أحلامه مجنحة بأطايب المسرات، يحكي لوالد العروس ما حدث، فطمأنه بأنه سيعاونه لرضاه عنه كل الرضا، معقبا بحديث الرسول ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير».

يطفر دمع الفرح من عينيه مدرارا
دموع من قرار القلب تنبثق!

د. عبدالواحد عبدالله
الخميسي
الأستاذ بجامعة الإيمان
اليمن

«الخلق» وبلاغة القرآن الكريم

إن أجمع عبارة في وصف الفصاحة والبلاغة، هي قولهم: «إن الكلام إذا أشرقت شمس لفظه، انكشف لبس معناه».

فقولهم: «إذا أشرقت شمس لفظه» يشيرون به إلى الفصاحة؛ لما في الإشراق من الانكشاف والظهور. وقولهم: «انكشف لبس معناه» يشيرون به إلى ما تضمنه من البلاغة؛ لاشتمالها على إظهار المعاني.

وقد أكثر الناس من الدلالة على شرف الفصاحة وعظم قدر البيان والبلاغة، ونبهوا بطرق كثيرة وألفاظ مختلفة. وقد قال عز اسمه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ (الرحمن:١-٤). ولم يكن تعالى ليذكر البيان ها هنا إلا وهو من عظيم النعم على عبيده، لا جرم وقد قرن ذلك بذكر خلقهم، فجعله مضافا إلى المنة بخروجهم من العدم إلى الوجود.

والفصاحة والبلاغة كما يردان في المنظوم يردان في المنثور، وأحسن مواقعهما ما ورد في المنثور؛ ولهذا لم يكن المعجز إلا نثرا، وما ورد عن الله تعالى في كتابه العزيز أكثر من أن يعد ويحصى، ومن شواهد ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (الأعراف:٥٤).

هذه الآية الكريمة اشتملت على العذوبة في ألفاظها المفردة، والأسلوب البديع، حتى لا تكاد لفظة واحدة تخلو من مواقع الفصاحة، ولا من ملاحظة البلاغة، واحتوت على التنبيه على أسرار عظيمة، ومعان فخمة على أسهل انتظام وأيسره، وأتم بيان وأكمله. فلنقف مع الآية وقفات يسيرة؛ ومن خلال المحطات

التالية:

المحطة الأولى - قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ ومن لفتاتها البلاغية الأمور الآتية:

١ - أكدت الجملة الاسمية «ربكم الله» بـ «إن»؛ للدلالة على تحققها في مبدأ الأمر ومطلعه.
٢ - قيل: «ربكم»؛ للإشارة بذلك إلى الإبداع، والحدوث فيهم، وأنهم مخلوقون، وأن لهم ربا، ومالكا لأمورهم وتصاريف أحوالهم، لا يملكها أحد غيره، ولا يقدر عليها سواه.
٣ - جيء بـ «ربكم» مبتدأ، و«الله» خبره؛ للإشارة إلى أن كل من كان موصوفا بالربوبية، فإنه مستحق للإلهية لا محالة؛ لأن استحقاقه للإلهية إنما يكون إذا كان منعما بأصول النعم، والرب هو المالك، ومن كان مالكا للشيء فله التصرف فيه، ومن ملك الشيء كان مستحقا لإعطائه؛ ولذلك قال: «إن ربكم الله»، ولم يقل: «إن الله ربكم»؛ ملاحظة لما ذكر، وإشارة إلى أن الإلهية أعم من الربوبية، والربوبية أخص منها؛ جريا على قانون القياس في العربية: من أن الخبر لابد أن يكون أعم من المبتدأ؛ ولهذا جاز أن يقال: الإنسان حيوان، ولا يقال: الحيوان إنسان.
٤ - في إضافة الرب إلى ضمير المخاطبين: ما يدل على نهاية الملاطفة لهم؛ حيث أضاف ذاته إلى ذواتهم بقوله: «ربكم الله»؛ وذلك لما لهم من الاختصاص به حيث كان مالكا لأمورهم ومدبرا لأحوالهم، وكذلك ما له من الاختصاص بهم، حيث كان منعما بالخلق والإيجاد والتكوين والرحمة واللطف؛ فلهذا حصلت الإضافة منبهة على هذا المعنى، ودالة عليه.

جاءت «خلق» على صيغة الماضي للتنبيه على استقرار الخلق

المحطة الثانية: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ومن لفتاتها البلاغية الأمور الآتية:

١ - خصت السموات والأرض بالذكر؛ لما فيهما من باهر القدرة، وعظم الملكوت؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ (غافر:٥٧).
٢- جيء بقوله: «وما بينهما» للإشارة إلى مهاب الريح، وتصاريفها من أجل إصلاح الزروع، وتحريك السفن، وجري السحاب لإرسال الأمطار، ويشير به أيضا إلى طلوع الشمس والقمر من أجل الإضاءة والإنارة للعالمين، والنجوم للاهتداء في ظلمات البر والبحر.
٣ - أوردت هذه المخلوقات عقب قوله: «إن ربكم الله» على جهة التعليل لاستحقاقه للربوبية والإلهية، فكأنه قال: وإنما كان ربا لكم، وإلها ومستحقا لهاتين الصفتين من أجل أنه خالق السموات والأرض وما بينهما، فإن من هذه حاله فإنه مستحق لأن يكون ربا وإلها.
٤ - ليس الغرض من قوله: «في ستة أيام» ذكر أدنى العدد، ولا الإشارة إلى أكثره، فمن عرف باهر القدرة علم قطعا أن خلق هذه المكونات ممكن في لحظة واحدة كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (يس:٨٢)، ولكن الغرض بالتقدير: الإشارة إلى سر ومصلحة استأثر الله بعلمها.

المحطة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ (الأعراف:٥٤) ومن لفتاتها البلاغية الأمور الآتية:

١ - الاستواء في قوله: «ثم استوى على العرش»، هو استواء يليق بجلاله تعالى؛ من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل. وأتى هنا بـ «ثم» دون الفاء؛ ليدل بها على التراخي؛ ولأن نظام الآية معها يكون أسلس وأسهل، والسبك بها أتم وأعجب.
٢ - ظاهر قوله: «يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا» يدل على أن الغاشي هو الليل؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾﴾ (الليل:١). ويحتمل أن يكون الغاشي هو النهار، وصح وصف النهار بالغشيان لظلمة الليل؛ لأنه يطلع بالإنارة، فيغشى الليل بإذهابه. ووصف النهار بكونه غاشيا استعارة حسنة؛ إذ الغشاء هو الغطاء فنزله في إذهابه لظلام الليل منزلة الغشاء الذي يغطي الشيء ويستره؛ لأنه يذهب ظلمته ويزيلها بطلوعه، ويمحوها بإنارته؛ ولهذا فإنك ترى نور الفجر عند طلوعه في غاية الامتزاج والاختلاط بظلام الليل، فلا يزال النهار في قوة وغلبة وظهور، حتى يستولي عليه بالإنارة، فيمحوه ويزيله.
٣ - جيء بقوله: «خلق» على صيغة الماضي؛ للتنبيه على استقرار الخلق وثبوته بالمضي، وجيء بقوله: «يغشي» و«يطلبه» على صيغة المضارع؛ للإشعار بالتجدد والحدوث؛ لأن

الغشيان والطلب يتجددان بحسب الأوقات.

٤ – قال: «بأمره» ولم يقل: بقدرته، مع تحقق الحاجة إلى القدرة أكثر من الحاجة إلى الأمر؛ لأنه لما ذكر التسخير وفيه معنى الطاعة والانقياد، عقبه بذكر الأمر؛ لأن الطاعة من لوازم الأمر وأحكامه.

المحطة الرابعة: قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾ (الأعراف:٥٤) ومن لفتاتها البلاغية الأمور الآتية:

١ – لما ذكر هذه المخلوقات العظيمة، عقبها بحرف التنبيه «ألا»؛ إيقاظا وحثا على النظر، وإعلاما بأنها ملك له يتصرف فيها كيف شاء: من الحل والعقد، والزيادة والنقصان، وغير ذلك من سائر التصرفات والتغيرات.

٢ – في «أل» في الخلق والأمر وجهان:

أ – أن تكون للعهد، فالخلق إشارة إلى ما سبق من أنواع المخلوقات كلها؛ والأمر، إشارة إلى قوله مسخرات بأمره، فكأنه قال: يملك جميع ما سبق من هذه الأشياء كلها.

ب – أن تكون للاستغراق، والمعنى: أنه يملك جميع المخلوقات والأوامر كلها، فكأنه قال: يملك القول والفعل؛ أي: أنه لا تصرف لأحد سواه، ولا حكم لغيره بحال. فلما عدد أصناف المخلوقات كلها وأنها جارية على نعت التذليل ومنهاج التسخير المطابقين لقانون المصلحة ومقتضى الحكمة، عقبها بخطاب دال على الإشادة والاشتهار بأن من هذه حاله فهو المستحق لأن يكون له الخلق والأمر؛ مبالغة في الأمر وتأكيدا فيه.

٣ – ختم تعالى هذه الآية بما يدل على الإعظام والمدح بعظم الآلاء، فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤﴾، فقد صدر الله تعالى هذه الآية بذكر الربوبية، ثم ختمها بذكرها؛ إعظاما لصفة الربوبية واهتماما بأمرها، فذكرها في أولها على جهة الخصوص بقوله: «ربكم» يعني: الثقلين، وذكرها في آخرها على وجه العموم بقوله: «الله رب العالمين» يريد جميع العوالم كلها من صامت، وناطق، وجماد، وحيوان. وهذا ما يسمى في البلاغة بحسن المطلع وحسن المختم.

أشار التدرج في الأطوار السبعة إلى عجيب القدرة

المثال الثاني

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ (الحج:٥-٧).

فلنتأمل ما أودع في هذه الآية من المحاسن الرائقة والمعاني الفائقة؛ مع اختصاصها بالترتيب الفائق، وتنزيلها على النظام المعجب الرائق الذي يسحر الألباب رقة ولطافة، ويدهش الأفهام عذوبة وسلاسة. ومن لفتاتها البلاغية الأمور الآتية:

١ – صدرت الآية بالنداء والتنبيه من أجل الإيقاظ، وجيء بصيغة الشرط على جهة الملاطفة في الخطاب، وحقق اعتراض الريب والشك في الأفئدة ليدفعه بالبرهان الواضح الجلي، وضمنها برهانين:

٢ – وردت بعجيب خلقة الإنسان وتنقلها في هذه الأطوار السبعة، ترابا، ثم نطفة في الرحم، ثم علقة، ثم مضغة، ثم طفولة، ثم كهولة، ثم شيخوخة وهرما، فقد أشار بهذا التدريج إلى عجيب القدرة، وإلى دقيق الحكمة على اختلاف هذه الأطوار، وتباين هذه المراتب في الخلقة، وأن من قدر على إحداث هذه الأمور وإبداعها من غير شيء فهو قادر على إعادتها؛ لأن الإعادة مثل الإيجاد، ومن قدر على الشيء قدر على مثله لا محالة.

٣ – تضمنت ذكر حال الأرض حال كونها صعيدا جرزا، ثم إنزال الماء عليها، ثم حصول هذه الأزواج النباتية المختلفة واهتزازها بالأزهار الغضة والأكمام المنفتحة، بحيث لا يمكن حصرها ولا يتناهى عدها.

٤ – لما فرغ عزوجل من ذكر نظام تلك المخلوقات العجيب، عقبه بذكر ثمرتها وتقرير مدلولها وإنتاج فائدتها، فقال: «ذلك» يشير به إلى ما سبق من تقدير الأدلة وانتظامها: «بأن الله هو الحق»، يعني: الموجود الثابت، يشير به إلى أنه موجد المكونات كلها، المحصل لحقائقها وصفاتها نحو خلقة الإنسان وأحوال الأرض.

٥ – قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ يشير

به إلى حقيقتين:

أ - إحياء النفوس بعد أن كانت ترابا ونطفا، وعلقا ومضغا في هذه الأطوار.

ب - إحياء الأرض بعد أن كانت هامدة، يطير ترابها، فصارت مخضرة، وهي استعارة تمثيلية بديعة، شبهت فيها الأرض حال اخضرارها بعد أن كانت يبسا بالأناسي المحيين بعد الموت.

٦ - قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾، أي: على جميع الممكنات، فلا يشذ عن قدرته شيء من كلياتها، ولا شيء من جزئياتها. وقدم ما حقه أن يؤخر وهو الجار والمجرور «على كل شيء»؛ للحصر والقصر؛ إذ التقدير: ما قدير على كل شيء إلا هو تعالى. أو يكون ذلك التقديم والتأخير لمراعاة الفواصل. ولا مانع أن يكون المراد الوجهين؛ إذ لا تعارض بينهما.

٧ - قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ يشير به إلى أحوال البعث، والحشر، والنشر، وأمور القيامة.

ومن عجيب سياق هذه وحلاوة طعمها ومذاقها اشتمالها على المجازات المفردة، والمركبة:

* فأما المجازات المركبة فهي في أربعة مواضع:

- في الأرض منها ثلاثة هي: قوله: ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ﴾، حيث أسند الاهتزاز والربو والإنبات إلى الأرض، وإسناد هذه الأشياء إلى الأرض إنما كان على جهة المجاز العقلي، والفاعل لها هو الله تعالى.

- وفي وصف الساعة منها مجاز عقلي واحد في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ﴾، حيث أسند الإتيان إلى الساعة، والآتي بها في الحقيقة هو الله تعالى.

*** وأما المجازات المفردة فأكثر سياق الآية مشتمل عليها، ومن ذلك:**

- قوله تعالى: ﴿خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ فإنه ليس على حقيقة العموم؛ لأن المخلوق من تراب، إنما هو آدم لا غير.

- وقوله: ﴿ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ ليس على عمومه أيضا، فعيسى عليه السلام وحواء ليسا مخلوقين من نطفة. وهكذا سائر ألفاظ الآية، فإنها غير خالية من استعمال المجازات؛ ومن أجل هذا رق مشربها، وساغ مستعذبها.

المثال الثالث

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤﴾ (الشورى:٣٢-٣٤). ومن لطائفها البلاغية الأمور الآتية:

١ - قدم الخبر في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ﴾؛ للقصر والاختصاص، ولو أخر لذهبت تلك الحلاوة، وبطل ما فيه من الرونق.

٢ - حذف الموصوف وهو «الفلك» وجيء بالوصف «الجواري»؛ للإيجاز والاختصار. وجمعه على «فواعل» وهي صيغة جمع متناه؛ للدلالة على الكثرة، ولم يجمعه على فاعلات كجاريات؛ لأن الجمع على «فاعلات» للقلة، ولو فعل شيء من ذلك لنقصت بلاغته، ونزلت فصاحته.

٣ - قال: ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾، ولم يقل: في العباب، ولا في الباحة، ولا في الطمطام، وهي من أسماء البحر؛ لما في لفظة البحر من الرقة واللطافة.

٤ - قوله: ﴿كَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ جمع علم وهو الجبل أو الراية، وكل واحد منهما صالح للتشبيه هنا؛ لأن المقصود هو الظهور والبيان. وإنما جيء به كذلك من باب تشبيه المحسوس بالمحسوس، كقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ (الصافات:٤٩).

٥ - جيء بجملة: ﴿إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ دون عاطف؛ لأن الغرض اتصال هذه الجملة بما قبلها كأنهما أفرغا في قالب واحد وسبكا معا، ولو جيء بحرف العطف لأبطل هذا السبك، وحصلت المغايرة بين الجملتين.

٦ - زيدت الفاء في ﴿فَيَظۡلَلۡنَ﴾؛ للدلالة على حصول الركود عقب الإسكان مباشرة، فهي حرف عطف وسبب وترتيب وتعقيب.

٧ - جيء بـ «أو» في قوله: ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾؛ للدلالة على التخيير؛ لأن المعنى: إن نشأ نبتل المسافرين بإحدى بليتين: إما ركود السفن على ظهر الماء لأجل سكون الريح، وإما باشتداد العصف في الريح، فيحصل الإهلاك لهن.

٨ - أتي بالواو في «ويعف» دون «أو»؛ للدلالة على سعة الرحمة بالعفو عن كثير من الذنوب. فما أحسن موقع «أو» في ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾! وما أعجب موقع الواو هنا!

في لفظة البحر رقة ولطافة

د. رياض العيسى
دكتوراه في الحديث

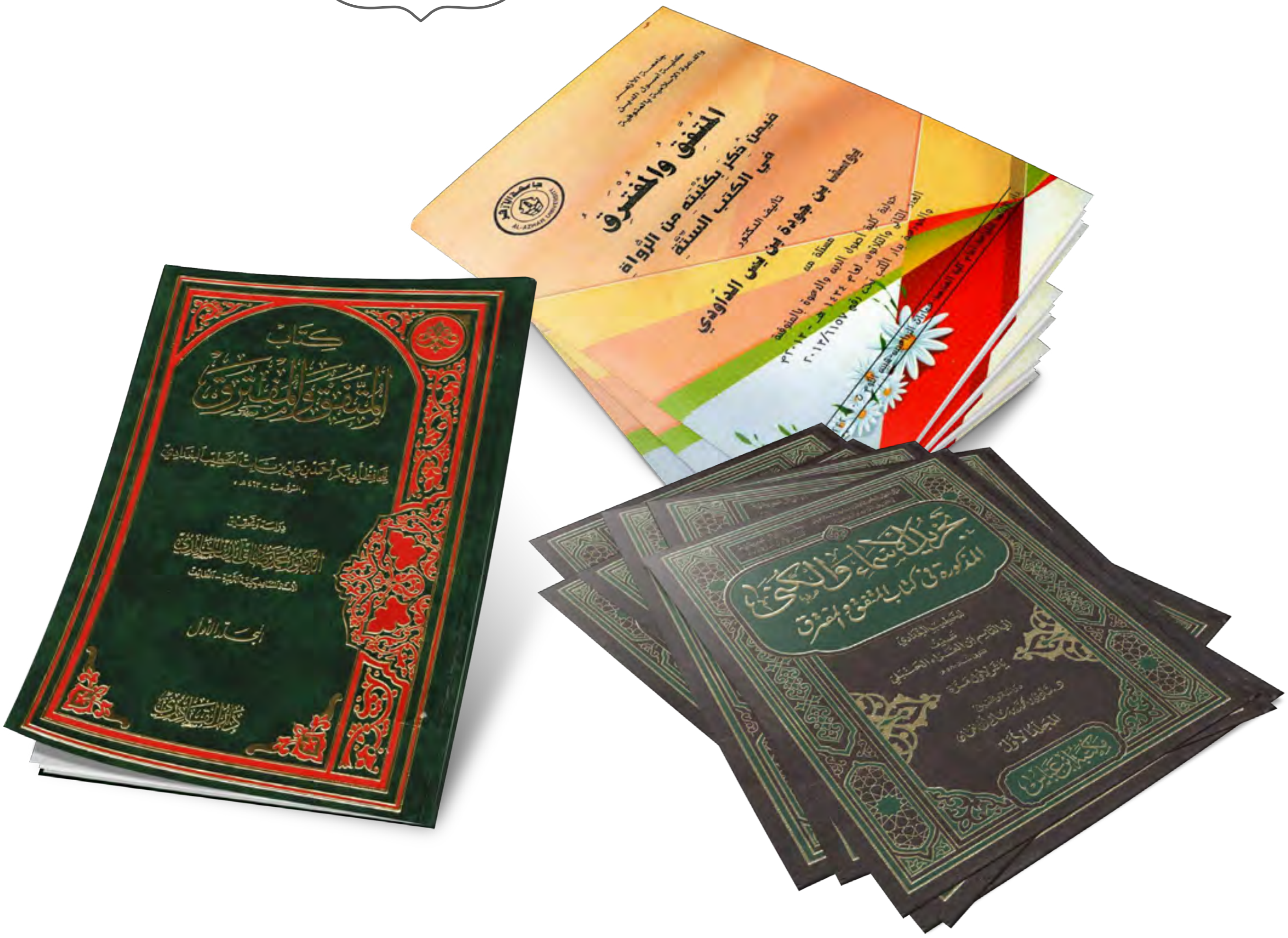

سلسلة الأعلام المتشابهة (١٠)

المتفق والمفترق في الأسماء والأنساب والكنى

الحمد لله رب العالمين.
وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
فهذه بعض الأعلام المتشابهة التي تلتبس على الناس، وخاصة طلاب العلم، وترجمتُ لهم ترجمةً موجزة حتى يزول اللبس والاشتباه.

المتفق والمفترق في اسم «ابن رشد»

١- ابن رشد (ت: ٥٢٠هـ) (الجد):

هو أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد المالكي، قاضي الجماعة بقرطبة، وهو جد ابن رشد الفيلسوف.

ولد بقرطبة سنة: (٤٥٠هـ).

من مصنفاته: (المقدمات الممهدات) في الأحكام الشرعية، و(البيان والتحصيل)، و(مختصر شرح معاني الآثار للطحاوي)، و(اختصار المبسوطة)، و(الفتاوى) وغيرها من المصنفات.

توفي في شهر ذي القعدة بقرطبة (١).

٢- ابن رشد (ت: ٥٩٥هـ) (الحفيد):

هو أبوالوليد محمد بن أحمد ابن محمد ابن رشد الأندلسي، من أهل قرطبة، فقيه وفيلسوف وطبيب.

ولد سنة (٥٢٠هـ)، وكان دمث الأخلاق، حسن الرأي، ولي قضاء قرطبة.

وصنف نحو خمسين كتابا، منها: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال)، و(تهافت التهافت) في الرد على الغزالي، و(بداية المجتهد ونهاية المقتصد) في الفقه، و(الكليات) في الطب، و(تلخيص كتاب النفس)، و(المنطق) وغيرها من المصنفات.

توفي في شهر صفر بمراكش بعد أن نفي إليها، ودفن بقرطبة (٢).

المتفق والمفترق في اسم (الترمذي)

١- أبو عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ):

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي السلمي، أحد أئمة علماء الحديث وحفاظه.

ولد في ترمذ (على نهر جيحون) سنة: (٢٠٩هـ)، وتتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه، وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز، وكان يضرب به المثل في الحفظ.

من تصانيفه: (جامع الترمذي) المشهور بسنن الترمذي، في الحديث، و(الشمائل المحمدية) و(التاريخ)، و(العلل) في الحديث، وغيرها من المصنفات.

عمي في آخر عمره، وتوفي بترمذ (٣).

٢- الحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠هـ):

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، باحث صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين.

من أهل ترمذ، نفي منها بسبب تصنيفه كتابا خالف فيه ما عليه أهلها، فشهدوا عليه بالكفر، وقيل غير ذلك. وقال السبكي: فجاء إلى بلخ - أي بعد إخراجه من ترمذ - فقبلوه لموافقته إياهم على المذهب، وكان عمره نحو تسعين سنة.

من مصنفاته: (نوادر الاصول في أحاديث الرسول)، و(الفروق) يفرق فيه بين المداراة والمداهنة، والمحاجة والمجادلة، والمناظرة والمغالبة، والانتصار والانتقام، وهو فريد في بابه، و(غرس الموحدين)، و(الرياضة وأدب النفس)، و(المناهي)، و(الصلاة ومقاصدها)، و(بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب) (٤).

٣- أبو جعفر الترمذي (ت: ٢٩٥هـ):

هو أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر الترمذي الشافعي، من شيوخ الشافعية بالعراق.

من مصنفاته: (اختلاف أهل الصلاة في الأصول) (٥).

٤- أبو بكر الترمذي (ت: ٢٨٠هـ):

هو أبو بكر محمد بن عمر الترمذي البلخي الشافعي.

من آثاره: (العالم والمتعلم) (٦).

الهوامش

(١) ينظر سير أعلام النبلاء (١٩/٥٠٢) والأعلام للزركلي (٥/٣١٦)

(٢) ينظر سير أعلام النبلاء (١٣/٧٠) ومعجم المؤلفين (٨/٣١٣) والأعلام (٥/٣١٨).

(٣) ينظر سير أعلام النبلاء (٩/٦١) ومعجم المؤلفين (١١/١٠٥) والأعلام (٦/٣٢٢).

(٤) ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/٢٠) ومعجم المؤلفين (١٠/٣١٥) والأعلام للزركلي (٦/٢٧٢).

(٥) ينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١/٢٨٨) ومعجم المؤلفين (٩/٢٥).

(٦) ينظر معجم المؤلفين (١١/٧٨).

د. سعد عبد الله الجدعان
باحث أكاديمي

سلسلة الذوق والآداب (١)

اللباقة في التعامل مع الوالدين

إن الوالدين بالنسبة لأي إنسان في هذا الوجود هما أعظم وأجل منزلة عن أي شخص آخر مهما كان، أو مهما علا قدره وجل شأنه، لأن الله فضلهما وجعل مكانتهما من أشرف وأعظم الأماكن على الإطلاق، لذلك وجب على كل مسلم أن يكون لبقًا مع الوالدين يعاملهما معاملة خاصة ومميزة وجديرة بكل احترام وتقدير، وذلك بالإحسان إليهما والعطف والشفقة في التعامل معهما، دلت على ذلك نصوص كثيرة من القرآن والسنة وأقوال السلف الصالح.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ (لقمان:١٤-١٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أمك. قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك» (١).

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في الإحسان إلى الوالدين والعطف عليهما، ومن هذا المنطلق هناك بعض النقاط التي ينبغي الإشارة إليها عند التعامل مع الوالدين:

١- أن يسمع كلامهما ولا يعص لهما أمرا فيمتثل لأمرهما ويلبي دعوتهما.

٢- يقوم لقيامهما ولا يمشي أمامهما.

٣- يخفض لهما جناح الذل من الرحمة ويحرص على مرضاتهما.

٤- لا يرفع صوته فوق صوتهما.

٥- لا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما.

٦- لا ينظر إليهما شزرا ولا يقطب الجبين في وجهيهما.

ولأهمية موضوع بر الوالدين فقد خصص ابن الجوزي لهذا الموضوع كتابا أسماه «بر الوالدين».

وذكر فيه أدب تعامل الابن مع والديه ومن تلك الآداب على سبيل المثال لا الحصر:

١- احترام الأبناء للآباء والتحدث معهم بلطف وأسلوب حسن، فقد

جعل الله تعالى بعد عبادته مباشرة الإحسان والبر بالوالدين، مما يدل على عظيم قدرهما ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ (الإسراء:٢٣-٢٤).

٢- يجب ألا تمشي بين يدي الأب ولكن خلفه أو عن يمينه.

٣- طاعة الوالدين فيما يأمران به مالم يكن محظورا وتقديم أمرهما على فعل النافلة.

٤- استعمال الأدب والهيبة لهما فلا يرفع صوته ولا يحدق فيهما.

٥- الإنفاق عليهما.

٦- المبالغة في خدمتهما.

٧- لا يدعوهما باسمهما تبجيلا واحتراما لهما إلى غير ذلك من الأمور التي حث عليها الشرع الحنيف عند التعامل مع الوالدين كما أنه لا يخفى على العاقل أن الإسلام خص الأم بمزيد من العناية والرعاية والعطف وذلك لضعفها وتحملها المشاق الصعبة من حمل ثم ولادة ثم رضاعة ثم تربية وسهر، ولذا أوصى بها النبي ﷺ ثلاثا، وذلك لعظيم حقها ومهما فعل الإنسان لأمه من صنائع المعروف فإنه لا يوفيها حقها ولا بزفرة واحدة عند الولادة، فقد قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن لي أما بلغ منها الكبر أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية فهل أديت حقها؟ قال: لا لأنها كانت تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاءك وأنت تصنعه وتتمنى فراقها».

وكان محمد بن سيرين التابعي الجليل يعظم أمه عند حديثه معها فقيل أنه كان يكلم أمه كما يكلم الأمير الذي ينتصف منه.

من صور بر الوالدين بعد موتهما

تشير الأحاديث النبوية المتعددة في هذا الشأن إلى أنه من الضروري:

١- أن يدعو الابن لوالديه بعد موتهما، فقد أمر رسول الله ﷺ بالدعاء لهما والاستغفار لهما بعد موتهما وهذا من البر والإحسان.

٢- إنفاذ عهدهما.

٣- إكرام صديقهما، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي» (٢).

٤- جواز الحج لهما بعد موتهما.

ومما لا شك فيه أن عقوق الوالدين لا يجزئ عنه فضائل الأعمال فصاحبه على خطر عظيم إن لم يتب والجزاء من جنس العمل.

من ثواب بر الوالدين في الدنيا

١- يزيد العمر: قال وهب بن منبه إن البر بالوالد يزيد في العمر والبر بالوالدة يثبت الأجل.

٢- زيادة الرزق والبركة فيه.

ومن المعروف أن بر الوالدين لا يقل عن منزلة الجهاد في سبيل الله، بل إن رسول الله ﷺ منع رجالا من الجهاد وأمرهم ببر والديهم، ومن تلك الروايات عن معاوية بن جاهمة السلمي عن أبيه رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ أستشيره في الجهاد فقال النبي ﷺ: «ألك والدان؟ قال: نعم قال الزمهما فإن الجنة تحت أقدامهما» (٣).

التحذير من العقوق

عد الإسلام عقوق الوالدين كبيرة من أكبر الكبائر وجعل له صور فمن صور العقوق؛ هجرهما وحرمانهما من ضرورات الحياة ومتعها المباحة.

ذكر الإمام أحمد عن عمار بن ياسر قال: قلت للحسن: يا أبا معبد ما البر؟ قال: البذل واللطف قلت: فما العقوق؟ قال: أن تحرمهما وتهجرهما قال: أما علمت أن نظرك في وجه والديك أو والدتك عبادة. (٤)

ومن أقبح مظاهر العقوق أن يتبرأ الولد من أبويه حين يرتفع مستواه الاجتماعي عنهما كأن يكونا من طبقة ذات مستوى معيشي متدن وهو يصل إلى بعض الوظائف الكبيرة، فيخجل من وجودهما وهذا بلا ريب دليل على حطة نفس، وصغر عقل، وحقارة شأن، والنفس العظيمة تعتز بمنبتها وأصلها، وتفخر بأبيها وأمها مهما كانت حياتهما وبيئتهما، وحسبك أن القرآن مع تشديده على الشرك والمشركين أوصى الولد بأن يعاشر والديه المشركين بالمعروف. (٥)

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ (لقمان:١٥).

الهوامش

١- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والأدب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به. حديث رقم: (٦٦٦٤).

٢- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآدب، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما. حديث رقم: (٦٦٧٩).

٣- صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، (٣٢٧/٢). والمعجم الكبير للطبراني (٤١٨/٢).

٤- كتاب الزهد (ص:٣٢٢)

٥- د. مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر.

ياسين محمد كتاني
باحث شرعي

سلسلة الذخائر

مجلة نور الإسلام

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم

نور الإسلام

مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية

تصدرها مشيخة الأزهر الشريف

تظهر غرة كل شهر عربي

العدد ١ | المحرم سنة ١٣٥٠ | المجلد الثاني

مدير إدارة المجلة
عبد العزيز محمد بك
المستشار بمحكمة الاستئناف } سابقا
ومن أعضاء مجلس الازهر الأعلى

رئيس التحرير
السيد
محمد الخضر حسين
من علماء الازهر

الادارة
شارع محمد مظلوم باشا رقم ١
تليفون : بستان ٣٥٠٧
الرسائل تكون باسم مدير المجلة

الاشتراك
داخل القطر المصرى ... ... ٤٠ ص
للعلماء غير المدرسين وطلبة المعاهد والمدارس ٢٠
خارج القطر المصرى ٥٠
لطلبة المعاهد والمدارس ٣٠

يعامل أئمة المساجد والمأذونون ومعلمو المدارس الأولية والعمال معاملة الطلاب

وثمن الجزء الواحد ٣ ص صاغ داخل القطر و ٤ ص خارجه

مطبعة المعاهد الدينية الاسلامية
١٣٥٠ هـ — ١٩٣١ م

تعد مكتبة «الوعي الإسلامي» من أهم أركان المجلة، وترجع بداية تكوينها إلى زمن تأسيس المطبوعة عام ١٩٦٥م، ثم تعمق الاهتمام بها لترتقي إلى مرحلة جديدة من التوجه، وذلك بجمع واقتناء النادر من الكتب التراثية العربية والأجنبية، والدوريات العربية والعالمية، ثم تبلور ذلك التوجه بإنشاء مكتبة تعنى بنتاج الفكر الإنساني المتصل بالتراث العربي والإسلامي والاجتماعي؛ فهي تحتوي الآن على مجموعات نادرة من كتب ومصنفات وخرائط ومجلات قديمة ودوريات نفيسة، تشكل كنزا من كنوز المعرفة الإنسانية، وتقدم للباحث في شتى المجالات -خصوصا في مجال التراث العربي والإسلامي- فكرة عن عمق الحضارة العربية والإسلامية وتراثها، لاسيما الكتب القديمة في مجال العلوم الطبيعية والطب، والتراث الإنساني.

وتأتي «مجلة نور الإسلام - الأزهر» لتشكل لبنة من مقتنياتها النفيسة.

التعريف بالمجلة

مجلة نور الإسلام - الأزهر: مجلة دينية علمية خلقية تاريخية حكمية، تصدر عن مشيخة الأزهر الشريف أول كل شهر عربي، وقد صدر أول عدد منها في شهر محرم سنة ١٣٤٩هـ الموافق لسنة ١٩٣١م.
كان اسمها عند صدورها: «مجلة نور الإسلام» إلى سنة ١٩٣٥م، حيث تغير اسمها وصارت تسمى: «مجلة الأزهر».

أهداف المجلة

١- التصدي للهجمات المسعورة التي شنها أعداء الإسلام على الإسلام في الصحف والمجلات.
٢- الدفاع عن حمى الشريعة الإسلامية، وإظهار حقائق الدين على وجهها الصحيح، ومواجهة الفكر التغريبي في مصر.
٣- العمل على هداية الناس وإرشادهم إلى الحق.
٤- نشر الآداب الإسلامية وإظهارها نقية من كل لبس.
٥- محاربة ما نسب إلى الدين من محدثات وبدع.
٦- الرد على الشبه التي كانت تنسب إلى أصول الشريعة الإسلامية.
٧- العناية بسير العظماء من رجال الإسلام.
٨- نشر المباحث القيمة في العلوم والآداب.
٩- الدفاع عن اللغة العربية وثوابتها.
إضافة إلى هذا فقد كان من سياسة المجلة ألا تتعرض للشؤون السياسية، أو مهاجمة الأديان، أو الطعن في رجال الدين والتعريض بهم. كما كانت تبتعد عن إثارة الفتن بين أبناء الوطن الواحد.

محتوى المجلة في طابعه العام

مجلة نور الإسلام مجلة دينية بالدرجة الأولى، ولهذا كان للمواضيع الدينية الحظ الأوفر من هذه المجلة الغراء، فقد احتوت على:
العقيدة وأصول الدين، القرآن الكريم وتفسيره، السيرة النبوية، السنة النبوية وشروحها، الفقه الإسلامي وأصوله، شخصيات إسلامية، علم الأخلاق، طرائف وملح، العلوم والآداب، الجغرافيا...
أبرز الموضوعات التي نشرت في العدد الأول من هذه المجلة:
العقيدة وعلم التوحيد: وهذا هو الأساس الذي قامت عليه المجلة، فكان أول مواضيعها يحمل عنوان «أصول الدين: الإيمان بالله»، وبعده «الإسلام دين الفطرة».
السنة النبوية وشرحها: كيف لا، وهي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، فكان للسنة النبوية مكانتها على صفحات هذه المجلة، وقد احتوى على شرح حديثين من أحاديث المصطفى ﷺ.
إضافة إلى هذا فقد نشرت المجلة الكثير من الأبحاث العلمية في العلوم الشرعية، نذكر منها:
أصول الفقه: حيث تعرض إلى مسألة صلاح الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، والاجتهاد في أحكام الشريعة، ذكر فيه الشروط التي يجب أن تتوفر في المجتهد.
السيرة النبوية: فبدأ هذا الموضوع بالحديث عن نبوته ﷺ، ثم أعقبه بموضوع الهجرة النبوية، كما ترجم في هذه المجلة لفصول من كتب السيرة غير العربية، فترجمت فصول من كتاب السيرة النبوية للسيدين: أدينيه وسليمان بن إبراهيم الجزائري، وبداية الترجمة كانت من الفصل العاشر من الكتاب المذكور.
وفي الصفحات الأخيرة من هذه الدرة النفيسة؛ حليت بمواضيع مختلفة في علوم شتى: (العلوم والآداب، والجغرافيا، وعلم الأخلاق).
وهذه المواضيع خصصت لها أبواب دائمة على صفحات هذه المجلة، وذلك لأهميتها الكبيرة في حياة الأمة الإسلامية.
كذلك اعتنت بنشر مقالات لكبار الفكر الإسلامي مثل سلسلة مقالات عن أثر الثقافة الإسلامية في تطور النهضة الفكرية للشيخ «محمد صادق عرجون».

أبرز من كتبوا في المجلة

لقد سطرت أحرف هذه المجلة بأقلام نخبة من الكتاب البارعين مثل: الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ محمد عرفة، والشيخ محمد البهي، والشيخ محمود شلتوت، ومحمد أحمد الغمراوي، ومحمد بخيت المطيعي، وعبدالعزيز الثعالبي، وأمين الخولي، وزكي مبارك...

نسخة مجلة الوعي

تحتوي رفوف مكتبة مجلة الوعي الإسلامي على نسخة من أول عدد منذ صدورها سنة ١٣٤٩هـ إلى عدد ذي الحجة سنة ١٤٣١هـ الموافق لـ ٢٠١٠م، موزعة على ٨٣ مجلدا، وهي متاحة لقرائها الكرام.

المصادر

- مجلة نور الإسلام - الأزهر.
- الموقع الإلكتروني للأزهر الشريف.
- موقع شبكة الألوكة.
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

أسماء جامعة مختصرة

قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة:١٩٧).

الرفث: اسم جامع لكل لغو، وخنى، وفجر من الكلام، ومغازلة النساء، ومداعبتهن، والتحدث في شأن الجماع.

الفسوق: جمع فسق، وهو اسم جامع لكل خروج من طاعة، ولكل تعدي حد من حدود الله تعالى.

الجدال: وصف مبالغ للخصومة، والمراء فيما يورث الضغائن وفيما لا نفع فيه.

فهذه ثلاثة أسماء جامعة مختصرة لهذه المعاني المثبتة أمر الله تعالى بتنزيه شعائره ومناسكه منها؛ لأنها مشتملة على الآثام، وهن أصول الخطايا والإجرام.

(انظر: الوعظ المطلوب من قوت القلوب للقاسمي، ص:٢٣١)

الحجر الأسود

عن ابن عباس مرفوعا: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن، فسودته خطايا بني آدم» (رواه الترمذي).

وعنه مرفوعا: «إن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهدان لمن استلمه يوم القيامة بحق» (رواه ابن خزيمة).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «مسح الحجر والركن اليماني يحط الخطايا حطا» (رواه أحمد).

وذكر صاحب تحفة الراكع والساجد (ص:٨٧): أن أبا طاهر القرمطي لما وافى مكة اقتلع الحجر من مكانه وحمله إلى الكوفة، وهلك تحته في الطريق إليها أربعون جملا، ثم حمل الحجر إلى «هجر» سنة ٣١٧هـ، وبقي الحجر عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة إلا شهرا، ثم رد إلى مكانه في ذي الحجة سنة ٣٣٩هـ.

المحورية والتمركز في التأليف النصي

إن أهم خاصية في التأليف النصي هي تمحور مؤلفات على نص أصلي، وهي في أول أمرها تدور في مدارات النص الأصلي، وإن كان بعضها لا يلبث أن يصبح مركزا تدور حوله مؤلفات جديدة في مستويات متعددة من التفارغ. وليست ظاهرة التأليف النصي والتمركز حول نص أصلي شيئا جديدا يحتاج إلى من يكتشفه، ولكن الجديد وصفها وتعريفها وتصنيفها، ثم هو محاولة طرح تفسيرات لها.

(انظر: عبقرية التأليف العربي، ص:٥٤٢)

أول فضائل الحج

أول فضائل الحج: حقيقة الإخلاص به لوجه الله تعالى، وأن تكون النفقة حلالا، ويكون الهم مجردا، والقلب ساكنا مطمئنا، مملوءا بالذكر، فارغا من الهوى. وصحة القصد بحسن الصدق، ثم طيب النفس بالبذل والإنفاق، والتوسع بالنفقة والزاد، وبذل ذلك؛ لأن النفقة في الحج بمنزلة النفقة في سبيل الله. وقال ابن عمر رضي الله عنه: من كرم الرجل؛ طيب زاده في سفره.

(انظر: الوعظ المطلوب من قوت القلوب للقاسمي، ص:٢٣٢).

المقصود من الحج

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المقصود من الحج عبادة الله وحده في البقاع التي أمر الله بعبادته فيها، ولهذا كان الحج شعار الحنيفية، حتى قال طائفة من السلف: (حنفاء لله)، أي: حجاجا، فإن اليهود والنصارى لا يحجون».

(انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٤٤٩)

تعلق القلوب ببيت الله

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «أخبر تعالى أنه جعل البيت مثابة للناس يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطرا، فالقلوب عاكفة على محبته، دائمة الاشتياق إليه، متوجهة إليه حيث كانت».

(انظر: بدائع الفوائد: ٤/٢٣٣)

الاتعاظ من أعمال الحج

يقول الإمام موفق الدين ابن قدامة رحمه الله: إن في كل فعل من أفعال الحج تذكرة وعظة للمعتبرين، فمن ذلك:

- أنه يتذكر بتحصيل الزاد للسفر؛ التزود من الأعمال الصالحة لسفر الآخرة.
- فإذا فارق وطنه فليتذكر ميقات يوم معلوم، وهو يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظام.
- وعند تجرده من المخيط والثياب إذا لبس المحرم رداءه؛ فليتذكر لبس كفنه بعد وفاته.
- وإذا رأى البيت الحرام استحضر عظمته في قلبه، وشكر الله على تبليغه رتبة الوافدين إليه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ (مريم:٨٥).
- وليستشعر عظمة الطواف فإنه صلاة.
- يعتقد عند استلام الحجر الأسود بأنه يبايع الله على طاعته.
- وإذا سعى بين الصفا والمروة فينبغي أن يمثلها بكفتي الميزان وتردده بينهما بالتردد في عرصات يوم القيامة.
- أما الوقوف بعرفة وبجمع والاجتماع في منى؛ فإنه يتذكر فيها الاجتماع الأكبر، الذي يجمع الله فيه الخلق الأولين والآخرين، وازدحامهم وارتفاع أصواتهم، واختلاف لغاتهم في موقف القيامة.

(انظر: كشكول ابن عقيل، ص٢٦٧)

إمام أهل السنة

- ثلاثة تنفع في الدنيا مع ثوابها في الآخرة: الحج ينفي الفقر، والصدقة ترد البلاء، والبر يزيد في العمر.
- ثلاثة من كن فيه فقد أصاب البر: سخاء النفس، والصبر على الأذى، وطيب الكلام.
- ثلاث خلال من برئ منهن نال ثلاثة: من برئ من الشهرة نال العز، ومن برئ من البخل نال الشرف، ومن برئ من الكبر نال الكرامة.
- ثلاث من لم يرغب فيهن بلي بست: من لم يرغب في الإخوان بلي بالعداوة والامتحان، ومن لم يرغب في السلامة بلي بالشدائد والامتهان، ومن لم يرغب في المعروف بلي بالندامة والخسران.

(انظر: إحياء التراث في ما جاء في السبع والثلاث لابن عقيل النجدي، ص:٣٧)

إمام أهل السنة

قال العلامة ابن الجوزي عن الإمام أحمد رحمهما الله: «نظر الله تعالى إلى حسن قصده فنقلت ألفاظه وحفظت، فقل أن تقع مسألة إلا وله فيها نص من الفروع والأصول، وربما عدمت في تلك المسألة نصوص الفقهاء الذين صنفوا وجمعوا».

(انظر: مناقب الإمام أحمد، ص:١٩١)

وقال العلامة ابن القيم عن قدر هذه المسائل: «كتب من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفرا، ومن الله سبحانه علينا بأكثرها، فلم يفتنا منها إلا القليل، وجمع الخلال نصوصه في الجامع الكبير فبلغ نحو عشرين سفرا أو أكثر، ورويت فتاويه ومسائله وحدث بها قرنا بعد قرن؛ فصارت إماما وقدوة لأهل السنة على اختلاف طبقاتهم».

(انظر: إعلام الموقعين: ٢٨/١)

أتبخلون علي بالثواب

عن عمار بن عمرو البجلي، رحمه الله، قال: خرجنا مع محمد ابن النضر الحارثي، رحمه الله، إلى مكة، فما كنا نستيقظ ساعة من الليل إلا وهو على بعيره قاعد يقرأ. قال: فكنا نرى أنه لم ينم حتى دخل مكة. قال: وكان إذا نزل فإنما هو في خدمة أصحابه. فقيل له: يا أبا عبدالرحمن نحن نكفيك هذا، فيأتي عليهم ويقول: أتبخلون علي بالثواب؟!

(انظر: موسوعة ابن أبي الدنيا: ٢٧٤/١)

قبول العمل

قال علي بن أبي طالب: «كونوا لقبول العمل أشد هما منكم بالعمل، ألستم تسمعون قول الله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة:٢٧)».

(انظر: حياة السلف بين القول والعمل: ١٩٤/١)

إعداد : د. محمود محمد الكبش
عضو هيئة تدريس
جامعة أم القرى - مكة المكرمة

لعظيم شأن الفتوى في النوازل المعاصرة، وتقريبا للعلم والاستفادة منه؛ استحدثت هذه الصفحة المباركة - في كل عدد - من أجل عرض نازلة معينة، بالوقوف على مصادرها، ومظانها المختلفة، وتجلية صورها، وبيان أحكامها، وأدلتها.

الملاكمة والمصارعة، والتحريش بين الحيوانات

الخلاصة الحكميّة

- يرى مجلس المجمع بالإجماع أن الملاكمة التي أصبحت تمارس فعلا في حلبات الرياضة والمسابقة في بلادنا اليوم هي ممارسة محرمة في الشريعة الإسلامية؛ لأنها تقوم على أساس استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر. ومثلها: المصارعة الحرة.

- مصارعة الثيران المعتادة في بعض بلاد العالم، والتي تؤدي إلى قتل الثور ببراعة استخدام الإنسان المدرب للسلاح؛ فهي أيضا محرمة شرعا في حكم الإسلام؛ لأنها تؤدي إلى قتل الحيوان تعذيبا بما يغرس في جسمه من سهام.

- يحرم التحريش بين الحيوانات وتهييج بعضها على بعض وهو ما يسمى «مصارعة الكلاب، أو الديكة، أو الطيور، أو الكباش، أو الثيران»؛ لأنه يؤدي إلى حصول الأذى للحيوان والتعذيب له.

- يجوز الاشتراك في سباق الخيل إن خلا عن القمار، ولا تضر المقامرة الحاصلة دون أمر صاحب الخيل، أو إذن صريح منه بذلك؛ لأنه لا قدرة له على منع المقامرة.

القرارات، والتّوصيات، والبحوث الصادرة من المجامع واللجان الفقهية، والهيئات الشرعية بخصوص هذا الموضوع

أولا: مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت (٢٤صفر١٤٠٨هـ) الموافق (١٧أكتوبر١٩٨٧م) إلى يوم الأربعاء (٢٨صفر١٤٠٨هـ) الموافق (٢١أكتوبر١٩٨٧م)

قد نظر في موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة من حيث عدهما رياضة بدنية جائزة، وكذا في مصارعة الثيران المعتادة في بعض البلاد الأجنبية، هل تجوز في حكم الإسلام أو لا تجوز. وبعد المداولة في هذا الشأن من مختلف جوانبه والنتائج التي تسفر عنها هذه الأنواع التي نسبت إلى الرياضة وأصبحت تعرضها برامج البث المرئي في البلاد الإسلامية وغيرها.

وبعد الاطلاع على الدراسات التي قدمت في هذا الشأن بتكليف من مجلس المجمع في دورته السابقة من قبل الأطباء ذوي الاختصاص، وبعد الاطلاع على الإحصائيات التي قدمها بعضهم عما حدث فعلا في العالم نتيجة لممارسة الملاكمة وما يشاهد عبر قنوات البث من بعض مآسي المصارعة الحرة، قرر مجلس المجمع ما يلي:

أولا: الملاكمة:

يرى مجلس المجمع بالإجماع أن الملاكمة المذكورة التي أصبحت تمارس فعلا في حلبات الرياضة والمسابقة في بلادنا اليوم هي ممارسة محرمة في الشريعة الإسلامية؛ لأنها تقوم على أساس استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر إيذاء بالغا في جسمه قد يصل به إلى العمى أو التلف الحاد أو المزمن في المخ، أو إلى الكسور البليغة، أو إلى الموت، دون مسؤولية على الضارب، مع فرح الجمهور المؤيد للمنتصر، والابتهاج بما حصل للآخر من الأذى، وهو عمل محرم مرفوض كليا وجزئيا في حكم الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة:١٩٥)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (النساء:٢٩)، وقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» (رواه البيهقي). بناء على ذلك فقد نص فقهاء الشريعة على أن من أباح دمه لآخر فقال له: اقتلني أنه لا يجوز له قتله، ولو فعل كان مسؤولا ومستحقا للعقاب. وبناء على ذلك يقرر المجمع أن هذه الملاكمة لا يجوز أن تسمى رياضة بدنية، ولا تجوز ممارستها؛ لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر، ويجب أن تحذف من برامج الرياضة المحلية ومن المشاركات فيها في المباريات العالمية، كما يقرر المجلس عدم جواز عرضها في البث المرئي؛ كي لا تتعلم الناشئة هذا العمل السيئ وتحاول تقليده.

ثانيا: المصارعة الحرة

وأما المصارعة الحرة التي يستبيح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به؛ فإن المجلس يرى فيها عملا مشابها تمام المشابهة للملاكمة

المذكورة وإن اختلفت الصورة، لأن جميع المحاذير الشرعية التي أشير إليها في الملاكمة موجودة في المصارعة الحرة التي تجري على طريقة المبارزة وتأخذ حكمها في التحريم، وأما الأنواع الأخرى من المصارعة التي تمارس لمحض الرياضة البدنية ولا يستباح فيها الإيذاء؛ فإنها جائزة شرعا ولا يرى المجلس مانعا منها.

ثالثا: مصارعة الثيران

وأما مصارعة الثيران المعتادة في بعض بلاد العالم، والتي تؤدي إلى قتل الثور ببراعة استخدام الإنسان المدرب للسلاح؛ فهي أيضا محرمة شرعا في حكم الإسلام؛ لأنها تؤدي إلى قتل الحيوان تعذيبا بما يغرس في جسمه من سهام، وكثيرا ما تؤدي هذه المصارعة إلى أن يقتل الثور مصارعه وهذه المصارعة عمل وحشي يأباه الشرع الإسلامي الذي يقول رسوله المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح: «عذبت مرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (رواه مسلم). فإذا كان هذا الحبس للهرة يوجب دخول النار يوم القيامة فكيف بحال من يعذب الثور بالسلاح حتى الموت؟.

رابعا: التحريش بين الحيوانات

ويقرر المجمع أيضا تحريم ما يقع في بعض البلاد من التحريش بين الحيوانات كالجمال، والكباش، والديكة، وغيرها، حتى يقتل، أو يؤذي بعضها بعضا. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين.

انتهى القرار.

ثانيا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج/٧ص/١٥٣ف/٢٠٨٧)؛ في موضوع «المراهنة في التحريش بين البهائم» ونصُّه: «نفيدكم بأن جريدة ما قد نشرت في ملحق لها، تحقيقًا عن مصارعة الكلاب، والتي يتم تنظيمها في بعض الأماكن خارج مدينة الكويت، هذا بالإضافة إلى تنظيم المصارعة بين بعض الحيوانات الأخرى مثل الطيور وغيرها، ويترتب عليها إصابة الحيوانات ببعض الجروح والإصابات حيث إن تلك المصارعة تكون أمام الجمهور الذي يقوم بدفع مبالغ نقدية على سبيل الرهان.

لذا يرجى التكرم بالإيعاز للجهة المختصة لديكم بإبداء الرأي حول هذا الأمر وموقف ديننا الحنيف منه.

أجابت اللجنة بما يلي:

يحرم التحريش بين الحيوانات وتهييج بعضها على بعض وهو ما يسمى «مصارعة الكلاب، أو الديكة، أو الطيور، أو الكباش، أو الثيران»؛ لأنه يؤدي إلى حصول الأذى للحيوان والتعذيب له، وربما أدى إلى إتلافه لغير مصلحة معتبرة شرعا، وقد «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم» (أخرجه أبو داود والترمذي، وقال: حسن صحيح)، وهذا يخالف ما دعت إليه الشريعة من الرفق بالحيوانات وعدم تعريضها للتلف في غير الوجوه التي سخر الله تعالى فيها الحيوانات لمصلحة الإنسان، وأمر بالإحسان في ذبحها إذا احتيج لذبحها للأكل، أو لقتلها تخلصا من شرها.

وعليه، فإن تنظيم المصارعة بين الحيوانات على الصورة المعروفة حرام، كما تحرم المراهنات بين أصحاب الحيوانات المتصارعة وبين الجمهور، وكذا بين الجمهور بعضهم مع بعض؛ لأن ذلك من قبيل القمار المحرم. وعلى الجهات المسؤولة منع ذلك كله، ومعاقبة من لا يمتنع، والله أعلم.

انتهت الفتوى.

ثالثا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج/١٠ص/٣٨٢ف/٣١١٢)؛ في موضوع «ممارسة رياضة الملاكمة» ونصه: «ما حكم ممارسة رياضة الملاكمة؟

أجابت اللجنة بما يلي:

الحكم على ممارسة رياضة الملاكمة مبني على ما يترتب على ممارستها من ضرر أو عدمه، فإذا كان الضرر غالبًا حُرّمت ممارستها، وإلا فهي من المباح، ويشترط لإباحة ممارستها عند انتفاء الضرر الغالب ألاّ يشوب تنظيمها قمار يحرِّمها، وألا تشغل عن واجب ديني كالصلاة، أو دنيوي كالسعي لكسب النفقة الواجبة، وأن يكون لبس الملاكم ساترًا لعورته، والله أعلم.

انتهت الفتوى.

رابعا: عرض على لجنة الفتوى الكويتية (ج/١٠ص/١٤١ف/٦٩٨٦)؛ في موضوع «سباق الخيل» ونصه: «هل يجوز الاشتراك في سباق للخيل إذا علمت بأن هناك رهانًا على الحصان الذي أملكه، علمًا بأن هذه الرهانات تتم بغير إذن مالك الحصان.

أجابت اللجنة بما يلي:

يجوز الاشتراك في سباق الخيل إن خلا عن القمار، ولا تضر المقامرة الحاصلة دون أمر صاحب الخيل أو إذن صريح منه بذلك؛ لأنه لا قدرة له على منع المقامرة، ولا يؤاخذ الإنسان بخطأ غيره، وقد لا يخلو الأمر من نوع كراهة إذا كان صاحب الحصان يعلم بتلك المراهنات، والله أعلم.

انتهت الفتوى.

سلامة المحاميد
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف- الكويت

دار الحديث الشقيشقية أو الشقشقية

لم يكد يسطع نجم القرن الثاني في سماء الإسلام، حتى تألق نور العلم والأدب، وامتدت أشعة ذلك النور إلى الصين شرقا، وأقاصي بلاد الأندلس غربا، ونهر اللوار شمالا، وسواحل المحيط الهندي جنوبا، فاتسعت في ذلك العهد الزاهر دوحات العلم، وبزغ هلال الحضارة على المدن الإسلامية الكبيرة: كالقاهرة، وبغداد، وصنعاء، ومكة، والمدينة، ودمشق.
ولم يعرف العالم الإسلامي نظام المدرسة قبل القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي.

وكانت أول مدرسة أنشئت في نيسابور، ثم ببغداد، ثم أخذت بالانتشار في حواضر العالم الإسلامي، فبرز نجمها، وسطع عندما تولى الملك، الصالح، الناصر، صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، فقام ببناء المدارس بشكل واسع مقتديا بالملك العادل من قبله نور الدين زنكي رحمه الله، الذي بنى المدارس في بلاد الشام، ثم تأسى بصلاح الدين في إقامة المدارس في مصر والشام، أقرباؤه، وأمراؤه، والأغنياء من الفقهاء، وغيرهم، وقد جعلت هذه المدارس من عهد صلاح الدين عهدا مشرقا، سواء في مصر، أو بلاد الشام، إذ أصبحتا محور استقطاب العلماء من جميع البلدان الإسلامية؛ لما كان يلاقيه الفقهاء من كريم العناية، والرعاية، ولما كان يغدقه صلاح الدين عليهم من أعطيات، ومنح كثيرة، وكان للعاصمة الأموية دمشق من ذلك أوفر الحظ والنصيب، فكان فيها مئات المدارس، وبلغت مرتبات الفقهاء، والمدرسين فيها في عهده حوالي: ثلاث مئة ألف دينار، وكان عددهم حوالي: ست مئة مدرس، وفقيه، ولكي يضمن صلاح الدين دخلا ثابتا للمدارس التي ينشئها، كان يوقف عليها أوقافا تكفي للإنفاق على الفقهاء، والدارسين، وهيئت لهذه المدارس كل أسباب الراحة، ووسائل العيش؛ ليتفرغ الدارسون، والمدرسون تفرغا كاملا للعلم.

ولقد أتى على دمشق زمان لا تكاد تمر بدرب فيها، إلا وفيه مدرسة للعلم، أو دار للقرآن، أو دار للحديث، أو وقف على أحدها، ثم توالت الأيام، وتصرفت الصروف، فاندرست المدارس، ودار الزمان على تلك الدور والمحابس، فلم يبق إلا ذكرها، ولبعضها رسمها، ذكرى تستدر كوامن الجفون، وتستنزف قطرات القلوب، وكأن امرأ القيس كان واقفا أمام ما تبقى من رسومها، ويرثيها عندما أنشأ قائلا:

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي
وهل يعمن من كان في العصر الخالي؟
ديار لسلمى عافيات بذي خال
ألح عليها كل أسحم هطال

وإذا كان هذا هو الحال، وما آل إليه من مآل، فلا أقل من أن نستذكر بعضا من تاريخ تلك المدارس، والدور، ونقف على شيء من بقايا تلك المنارات،

فمنها: (دار الحديث الشقيشقية، أو الشقشقية)

مكانها

تقع في درب البانياسي، داخل سور دمشق، في ظاهر المدينة.

قال ابن بدران: «لم أدر ما درب البانياسي، ولا في أية ناحية هو، ولم أجد من يخبرني عنه، وذلك عذري في ترك التحقيق عن موضعها».

قال محمد كرد علي في خطط الشام: «وهي من الدوارس».

وكانت في الأصل دارا للسكنى للشيخ المحدث نجيب الدين الصفار، ثم أوقفها دارا للحديث، وكان يسكنها الإمام الحافظ المزي قبل أن ينتقل إلى دار الحديث الأشرفية الجوانية. وكانت هذه الدار قد تهدمت، إلا أن بعض ذوي الثروة أوصى لها بمال؛ فبنيت به.

واقفها

المحدث نجيب الدين أبوالفتح، نصر الله بن أبي العز، مظفر بن عقيل الشيباني، الدمشقي الصفار الشاهد، المعروف بـ «ابن الشقيشقية»، كان أديبا، ظريفا، مليح البزة، واعتنى بالحديث، ولد بعد الثمانين وخمس مئة، وتوفي سنة ست وستين وست مئة، وقيل إنه توفي في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وست مئة.

قال الذهبي في تاريخه: «وسمع من حنبل، وابن طبرزد، وخلق كثير، وروى مسند أحمد».

وقال أبوالطيب المكي الحسني في ذيل التقييد: «سمع على قاضي دمشق أبي القاسم عبدالصمد بن محمد الحرستاني كتاب الترغيب والترهيب للتيمي عنه إجازة، وسمع عليه أحمد ابن علي الجزري من قوله فيه: باب فضل الجمعة والترغيب في العمل يوم الجمعة إلى آخر الكتاب».

قال في منادمة الأطلال: «قال أبو شامة: هو مشهور بالكذب، ورقة الدين، وغير ذلك، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم، ولم يكن بحال أن يؤخذ عنه، وقد أجلسه أحمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بـ «الصدر ابن سني» في حال ولايته الدولة؛ أقضى القضاة بدمشق؛ فأنشد فيه بعض الشعراء:

جلس الشقيشقة الشقي ليشهدا
بأبيكما ماذا عدا فيما بدا
هل زلزل الزلزال أم قد أخرج الدجال
أم عدم الرجال ذوو الهدى
عجبا لمحلول العقيدة جاهلا
بالشرع قد أذنوا له أن يقعدا».

شيوخها

لم يذكر النعيمي أحدا ممن ولي مشيختها، ولكن قد وقعت الإشارة إلى بعض من ولي التدريس فيها، كما أشار السخاوي لذلك في ترجمة أبي سليمان داود بن إبراهيم بن داود الدمشقي الشافعي ابن العطار، بقوله: «كان شيخا فاضلا، حسن الخط والذات، ولي دار الحديث القليجية، والشقيشقية، توفي في جمادى الثانية سنة (٧٥٢هـ)».

وأشار أيضا ابن قاضي شهبة في حوادث سنة (٧٨٦هــ)، إلى أن أبا محمد عبدالله بن إبراهيم بن خليل البعلي ابن الشرائحي الدمشقي المتوفى سنة (٨٢٠هـ) بدمشق؛ قد ولي التدريس في دار الحديث النجيبية الشقيشقية.

من أسمع الحديث فيها

١- أبوسليمان داود بن إبراهيم ابن العطار الدمشقي الشافعي، المتوفى سنة (٧٥٢هـ).

٢- الشيخ رسلان بن أحمد بن إسماعيل الذهبي الصالحي، المتوفى سنة (٧٩٦هـ).

٣- عمر بن محمد بن أحمد بن عمر ابن سلمان زين الدين البالسي الملقن، المتوفى سنة (٨٠٣هـ).

٤- فاطمة بنت محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجي التنوخية أم الحسن، المتوفاة سنة (٨٠٣هـ).

مسموعاتها

١- جميع مشيخة أبي طاهر بن أبي الصقر الأنباري، على ابن العطار، في ذي القعدة سنة (٧٤٧هـ).

٢- هواتف الجنان، للخرائطي، على الشيخ رسلان الصالحي، في شعبان سنة (٧٩١هـ).

٣- أمالي طراد الزيني، على ابن البالسي، في العشر الأواخر من رمضان سنة (٧٩٧هـ).

٤- كتاب فضائل القرآن، للحافظ الضياء، على الشيخة التنوخية، في ذي الحجة سنة (٨٠٢هـ).

٥- سنن ابن ماجه، على الحافظين جمال الدين المزي، وأبي محمد القاسم بن مظفر ابن عساكر الطبيب، بقراءة الحافظ صلاح الدين العلائي عليهما (١).

١- للاستزادة حول هذه الدار، انظر:
- منادمة الأطلال، لابن بدران.
- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، للسخاوي.
- تاريخ ابن قاضي شهبة.
- تاريخ الإسلام، للذهبي.
- الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي.
- ذيل التقييد في رواة السنن والمسانيد، لأبي الطيب الفاسي.
- خطط الشام لمحمد كرد علي.
- دور الحديث الشريف بدمشق، لمحمد مطيع الحافظ.
- مقدمة سنن ابن ماجه، بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط.

إعداد : خالد خلاوي

مشكلة وحل

تأخر سن زواج الشباب.. الأسباب والحلول

القاهرة - أمينة عادل

يتحدث كتاب «تأخر سن الزواج لدى الشباب» لمؤلفته د. إيمان عبدالحكم البطران، والصادر في ١٨٨ صفحة من القطع المتوسط عن أسباب هذه المشكلة وحلولها، مؤكدة في صدارته أن تأخر سن الزواج هو تعطيل لمراحل النمو الطبيعية للإنسان، ما يؤثر على مراحل حياته التالية، ويتسبب بالتالي في حدوث انحرافات أخلاقية ونفسية واجتماعية وثقافية وأخطار تهدد كيان المجتمع وتحدث خللا في سلوكاته.

يتكون الكتاب من (٥) فصول، الأول بعنوان «الزواج» تستهله الكاتبة بالإشارة إلى معنى الزواج كمفهوم، وأنه قد تناوله عديد من الباحثين في مختلف حقول المعرفة، فيعرَّف في المعجم الوجيز بأنه مشتق من لفظ زوج، والمزاوجة، أي قرن الأشياء ببعضها، فالزواج اقتران الزوج والزوجة أو الذكر والأنثى، وكل شيئين اقترن أحدهما بالآخر فهما زوجان.

وتعرف المؤلفة الزواج بأنه نظام اجتماعي شرعه الله تعالى لكل من الرجل والمرأة، عن طريقه تتحقق سلامة الفرد والمجتمع، ويسهم بقدر كبير في تحقيق التوافق النفسي لكل من الرجل والمرأة، وذلك لما يحققه من إشباع للحاجات النفسية والاجتماعية والبيولوجية، يتبعه نوع من الارتياح النفسي لخفض التوترات النفسية للفرد، وتحقيق مستوى أفضل للصحة النفسية.

فيما تشير الكاتبة في الفصل ذاته إلى أهمية الزواج، حيث إن الله سبحانه وتعالى شرع الزواج إعفافا للنفس، وصيانة للعرض، وحفظا للأنساب، وإعمارا للكون، واستمرارا للحياة، وإشباعا للحاجات الجسدية والنفسية والاجتماعية.

أما الفصل الثاني والذي جاء تحت عنوان «تأخر سن الزواج ومشكلاته» فتشير المؤلفة إلى أن نسبة العنوسة في بعض البلاد العربية متباينة، ففي الكويت بلغت نسبة العنوسة (١٣٪) وفي لبنان بلغ متوسط سن الزواج عند الذكور (٣٢) عاما بعد أن كان (٢٨)، ومن (٢٣) إلى (٢٩,٥) سنة

للإناث، وفي السعودية تشير آخر الإحصاءات إلى أن عدد من تجاوزن سن الزواج بلغ نحو مليون ونصف المليون فتاة من بين نحو أربعة ملايين فتاة، وفي قطر والبحرين والإمارات بلغت نسبة العنوسة (٣٥٪) وفي اليمن وليبيا تصل إلى (٣٠٪) في حين بلغت النسبة (٢٠٪) في كل من السودان والصومال، (١٠٪) في سلطنة عمان والمغرب.

أما الفصل الرابع وهو بعنوان «تأخر سن الزواج لدى الشباب من الجنسين وعلاقته ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية» فهو عبارة عن دراسة ميدانية قامت بها المؤلفة، وحددت بها جوانب المشكلة وأهميتها والمنهج الذي نهجته، أما العينة التي أجريت عليها الدراسة الحالية فقد أجريت على عينه قوامها (١٦٠) فردا من الذكور والإناث ومن غير المتزوجين ولم يسبق لهم الزواج، ومن الحاصلين على مؤهلات عليا فيما فوق ماجستير ودكتوراه، ويعملون بمصالح حكومية مختلفة وكذا بالقطاع الخاص، وشملت عينة الدراسة جميع التخصصات في المهن المختلفة (طب، هندسة، صيدلة، تجارة، تربية وحقوق) ومن مستوى اجتماعي واقتصادي واحد تقريبا، تراوحت أعمارهم بين (٢٨) حتى (٤٥) سنة، وذلك باعتبار أن هذه الفئة هي المستهدفة من الدراسة الحالية.

وقد راعت المؤلفة في اختيار عينة الدراسة الشروط التالية، أن تشمل العينة أفرادا من الذكور والإناث، وأن يكون أعمار الفئة في العينة بين (٢٨) إلى (٤٥) عاما، وأن يكون جميع أفراد العينة من مستوى اجتماعي واقتصادي واحد تقريبا، على أن يكونوا حاصلين على مؤهلات عليا.

فيما خصصت المؤلفة الفصل الخامس والأخير للدراسات التي تناولت أسباب تأخر الزواج والصحة النفسية لغير المتزوجين، وخلصت المؤلفة إلى القول بأن للزواج دورا كبيرا في تحقيق التوافق النفسي للجنسين، بما يحققه لكليهما من إشباع لبعض الحاجات النفسية والاجتماعية والبيولوجية التي يصعب إشباعها بدونه.. وهذا الإشباع لابد أن يتبعه نوع من الارتياح النفسي ويصحبه تخفيض لحدة بعض التوترات النفسية للفرد، وتحقيق مستوى أفضل من الصحة النفسية له.

طور نفسك

٧ تمارين رياضية يمكنك القيام بها الآن في مكتبك

الكويت - الوعي الشبابي

تعد ممارسة التمارين البسيطة عند المكتب من أفضل الطرق للتغلب على هذه المشكلة، إذ ستعمل هذه التمارين على تعزيز تركيزك وطاقتك والحفاظ على صحتك، وفيما يلي ٧ تمارين رياضية يمكنك القيام بها الآن عند مكتبك

١- تمرين لشد عضلة الساق:

قف وراء مقعدك وأمسك به، وارفع كعب قدميك عن الأرض إلى أن تقف على أصابعك، ومن ثم أنزلهما ببطء إلى الأرض. يمكنك القيام بهذا التمرين ثلاث مرات، كل مرة ١٠ تمارين.

٢- تمرين لشد جانب الجسم:

اجلس بشكل معتدل على مقعدك وارفع ذراعيك نحو الأعلى، وامسك معصم يدك اليسرى بيدك اليمنى واسحبها باتجاه اليمين، ابق على هذه الوضعية لمدة ١٠ ثوان، ومن ثم افعل الأمر نفسه ولكن بيدك الأخرى.

٣- تمرين لشد عضلة البطن

خذ نفسا عميقا وشد عضلات بطنك تجاه عمودك الفقري أثناء الزفير؛ ابق على هذا الوضع لمدة ٥-١٠ ثوان، ومن ثم استرخ. أعد هذا التمرين ١٢-١٥ مرة.

ناجحون

أكاديمي كويتي يحصد جائزة المشروع الأفضل عالميا للتعليم الإلكتروني

الكويت - الوعي الشبابي

فاز صلاح الناجم، أستاذ علم اللغة الحاسوبي في جامعة الكويت، بجائزة «القمة العالمية لمجتمع المعلومات»، لأفضل مشروع في مجال التعليم الإلكتروني لهذا العام.

والناجم هو مؤسس ورئيس مركز «إنفورميشن إيج» لاستشارات تقنية المعلومات، وقد تسلم الجائزة، على هامش أعمال «القمة العالمية لمجتمع المعلومات»، الذي أقيم في مدينة جنيف السويسرية.

وقالت لجنة تحكيم الجائزة إن مشروع الناجم هو «الأفضل عالميا» في مجال التعليم الإلكتروني؛ لأنه تمكن من ابتكار آلية متميزة لإدارة التعليم الإلكتروني المدمج مع تقنية الفصل الدراسي الافتراضي، مع نظام متقدم للبث الحي المرئي والشراكة الإلكترونية بين المتلقين.

وتسمح تقنية الفصل الدراسي الافتراضي التي ابتكرها الناجم للطلبة بالمشاركة والتفاعل الحي عبر الإنترنت في محاضرات الناجم بجامعة الكويت، وذلك باستخدام أي جهاز حاسوب مكتبي أو حاسوب لوحي أو هاتف ذكي.

وتوفر التقنية للطلبة إمكانية مشاهدة كل ما يكتب ويعرض على السبورة التفاعلية الافتراضية خلال المحاضرة، وهي سبورة إلكترونية تعمل على جهاز حاسوب لوحي محمول يعمل باللمس وباستخدام القلم الإلكتروني.

ويُمَكن هذا النظام الطلبة من التسجيل المرئي للمحاضرات؛ بحيث يمكن مشاهدتها لاحقا، ويحوي التسجيل كل ما تم عرضه وكتابته على السبورة الافتراضية. وتعد جائزة القمة العالمية لمجتمع المعلومات تقديرا عالميا فريدا للمشاريع التي تدعم وتتوافق مع خطة عمل القمة العالمية لمجتمع المعلومات، المعروفة بخطة عمل جنيف، والتي أقرتها هيئة الأمم المتحدة منذ العام ٢٠٠٣م لتحقيق التنمية المستدامة عالميا.

وهذه الجائزة هي المنصة العالمية الوحيدة لتحديد وعرض قصص النجاح العالمية التي تنفذ خطة عمل قمة مجتمع المعلومات، وتحقق أهداف التنمية المستدامة.

ويقام منتدى القمة العالمية لمجتمع المعلومات بمعرفة الاتحاد الدولي للاتصالات بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، ومؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأونكتاد)، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، بمقر الاتحاد في جنيف بسويسرا.

٤- تمرين وضعية الكرسي:

هذا تمرين آخر فعال، قف موجها ظهرك للحائط ومن ثم انزل للأسفل واجلس بوضعية الكرسي؛ ابق على هذه الوضعية لمدة ١٠-٣٠ ثانية.

٥- تمرين لشد الساق

ارفع ساقك إلى الأمام وأبقها على هذا الوضع لمدة ٢٠ ثانية، ومن ثم كرر الأمر نفسه مع قدمك الأخرى.

٦- تمرين لشد الأوتار:

أبعد مقعدك عن مكتبك وضع قدميك على المكتب، ومن ثم قم بثني قدمك وانحن إلى الأمام مع إبقاء ظهرك مستقيما؛ ابق على هذه الوضعية لمدة ١٠ ثوان، وكررها مع قدمك الأخرى.

٧- تمرين لشد ثلاث عضلات:

يمكن القيام بهذا التمرين في أي مكان حتى في حجرة صغيرة. اجلس على حافة كرسي غير متحرك وضع يديك على جانبيك مع الإمساك بحافة الكرسي. اجعل قدميك تلامس الأرض وأبعدهما خطوة أو خطوتين عن الكرسي، وارفع يديك نحو الأعلى مع بقائهما ملامستان لحافة الكرسي لرفع جسمك؛ قم بعدها بثني يديك لرسم زاوية ٩٠ درجة بحيث ينخفض جسمك إلى أسفل ويعود إلى استقامته، مع إبقاء جسمك مرتفعا عن الكرسي؛ افعل الأمر نفسه ٨ إلى ١٠ مرات.

دينا صلاح
باحثة دراسات إسلامية
مصر

من رحاب الجامع الأزهر:

العالم الإسلامي يودع الشيخ محمد الراوي

«لقد كان لي مع القرآن رحلة عمر، عرفت بها نفسي، وأدركت حكمة خلقي، ورجوت رحمة ربي»، بهذه الكلمات التي كتبها بخط يده على مصحفه الذي كان يقرأ فيه؛ لخص الشيخ محمد الراوي علاقته بالقرآن الكريم، وهي العلاقة التي توطدت بمرور السنوات، فكان صوته مألوفا لدى الملايين من مسلمي الأمة الذين كانوا يتابعون بشغف أحاديثه الإذاعية وحلقاته التلفزيونية، حتى جاء اليوم الموعود الذي ظل الشيخ ينتظره، ففي يوم الجمعة ٧ رمضان ١٤٣٨هـ الموافق ٢ يونيو ٢٠١٧م كان الأزهر على موعد مع جنازة مهيبة لعلم من أعلام الدعوة والفكر الإسلامي الذي اتخذ من الوسطية منهجا له.

إنه العالم العامل الداعية المفسر الشيخ الراحل محمد عبدالرحمن الراوي الذي نعاه الأزهر بقوله: «إن التاريخ سيظل يذكر فقيد الأزهر والأمة بعلمه وفكره الوسطي في بيان سماحة الإسلام، وجهوده الدعوية على كافة المستويات، ومصنفاته ومحاضراته التي أفاد منها طلاب العلم».

مولده ونشأته

في صعيد مصر، وفي بيت أصيل من بيوتات قرية «ريفا» الهادئة بمحافظة أسيوط، وهي القرية التي وصفها الشيخ رحمه الله بأنها كانت تنام وتصحو على القرآن الكريم، كان مولد الشيخ محمد عبدالرحمن الراوي في أول فبراير سنة ١٩٢٨م لأب كان يحفظ القرآن الكريم ولم يلبث أن وافاه أجله ولم يتم صغيره عامه الثاني، فتعلم في الكتاب كغيره من الأطفال؛ وأتم حفظ القرآن الكريم صغيرا على يد الشيخ محمود فراج ليلتحق بمعهد أسيوط الديني، وهو أحد أكبر المعاهد الدينية آنذاك؛ فأظهر نجابة شديدة فاق بها أقرانه وجعلته محط اهتمام أساتذته وزملائه على حد سواء، ورأوا فيه مشروع عالم ثَبْت سيكون له شأنه ومقامه الرفيع.

ومن عجيب ما ذكر الشيخ الراوي أنه كان صغيرا يلعب مع بعض الصبية في قريته بحوض يعرف بحوض «الزنار» فإذا بفيضان النيل يرتفع (كان ذلك قبل أن يقام السد العالي) فأدركهم الموج فغرقوا، ولمح أحد جيرانه من النصارى واسمه «لبيب بخيت» جلبابا يعوم فوق الماء؛ فانتشله فإذا بداخله طفل صغير هو محمد الراوي، فكان الشيخ يكرم هذا الرجل حتى مات.

أتم الشيخ محمد دراسته بمعهد أسيوط واتجه صوب القاهرة فالتحق بكلية أصول الدين بالقاهرة ليتتلمذ على يد مجموعة كبيرة من رموز العلم والدعوة الإسلامية كالشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق، وظل يلتمس العلم طيلة سني الدراسة حتى تسنى له الحصول على الإجازة سنة ١٩٥٤م، ثم درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٦م.

حياته العملية

بدأ الشيخ حياته إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف، وربطته علاقة تلمذة بالشيخ محمد الغزالي الذي وجهه إلى أحد المساجد الكبرى بالزمالك، وكان يقرأ فيه وقتها الشيخ محمد صديق المنشاوي رحمه الله فربطتهما علاقة وطيدة، وقال الشيخ الراوي: كنت أشحن بطاريتي بقراءة الشيخ المنشاوي قبل الخطبة.

ثم عمل الشيخ مفتشا عاما في مراقبة الشؤون الدينية بوزارة الأوقاف المصرية بعد مسابقة عامة عقدتها الوزارة، فكان ترتيبه الأول بين الناجحين، ثم نقل الشيخ بعدها إلى مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر حيث عمل بالمكتب الفني.

كانت أول تجارب الشيخ في الدعوة خارج مصر رحلته إلى نيجيريا برفقة الشيخ محمد سيد طنطاوي، شيخ الأزهر السابق، والشيخ حسن عيسى عبدالظاهر لمدة خمس سنوات، فوقف على أهم المشكلات التي تعانيها

إفريقيا وأولها حملات التبشير المنظمة، ولذلك كانت أول محاضرة ألقاها الشيخ في جامعة محمد بن سعود الإسلامية حول الإسلام في إفريقيا، وقد أطلق عندها صيحة جاء فيها: «فهل من غيور على الإسلام يسمع الناس جميعا صوت القرآن؟!»، وبلغت الصيحة الملك فيصل، رحمه الله، فأمر بإنشاء إذاعة القرآن الكريم في مكة المكرمة.

عمل الشيخ الراوي في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض منذ عام ١٣٩٠-١٣٩١هـ الموافق ١٩٧٠-١٩٧١م في قسم التفسير وعلوم القرآن، وظل فيها خمسة وعشرين عاما تعلم على يديه عدد كبير من الطلاب الذين تصدروا مشهد الدعوة والوظائف المرموقة فيما بعد، وأشرف على عدة رسائل علمية للماجستير والدكتوراه في تخصصات مختلفة.

وقد عمل في عدة كليات منها: كلية اللغة العربية، كلية العلوم الاجتماعية، وأسهم في تأسيس كلية أصول الدين وعمل بها أستاذا للقرآن وعلومه ورئيسا لقسم القرآن لأكثر من ثلاثة عشر عاما، كما أسهم أيضا في إنشاء المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالسعودية.

عاد الشيخ محمد الراوي إلى مصر واختير عضوا بمجمع البحوث الإسلامية، وعضوا بهيئة كبار العلماء، وعرف بمواقفه الصلبة مع الحق، وسجل تفسيرا للقرآن الكريم فيما يقرب من ٤٠٠ حلقة إذاعية تذاع بشكل دوري.

كتبه المنشورة

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية - كلمة الحق في القرآن الكريم: موردها ودلالتها - حديث القرآن عن القرآن - القرآن الكريم والحضارة المعاصرة - القرآن والإنسان - الرسول في القرآن الكريم - الرضا.

من محاضراته العلمية

مكانة الأمة الإسلامية في تحقيق السلام العالمي - قضية السلام في ميزان الإسلام - المسلمون بين ثبات القرآن وثبات المدنية - وحدة المسلمين في مواجهة الأخطار: سبيلها وغايتها - القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق.

كتبه التي لم تنشر

منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله - كان خلقه القرآن - المرأة في القرآن الكريم.

محمد علي الخطيب
باحث دراسات إسلامية

رحيل الشيخ محمد أديب صالح ثلمة لا تسد

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء:٣٥)، وإنما «نحن بنو الموتى» كما قال المتنبي، أو كما قال المعري:

رب لحد قد صار لحدا مرارا
ضاحك من تزاحم الأضداد

ترجل الفارس عن صهوة جواده، بعد حياة حافلة بالجهاد بكل ألوانه، العلمي، والتربوي، والدعوي، والفكري، والسياسي. ولو أدرك منه الجهاد اليوم الشباب، لأبلى فيه بلاء حسنا ولكان هو المقدم إذا ما التحم الصفان وتقابل الزحفان، وما أحسبه والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدا، إلا من البكائين الذين حبسهم العذر.

فقيدنا، طيب الله ثراه، هو الشيخ العلامة الدمشقي الأصولي المفكر المفسر المحدث المربي الدكتور محمد أديب صالح، شغل منصب أستاذ ورئيس قسم القرآن والسنة بجامعة دمشق، وأستاذ أصول الفقه بكلية الحقوق فيها، ثم أستاذ ورئيس قسم السنة وعلومها بجامعة الإمام محمد ابن سعود في الرياض، ورئيس تحرير مجلة «حضارة الإسلام». تخرج على يديه الطلبة الجامعيين، وكثير منهم أصبحوا أساتذة جامعات، في سورية، والأردن، والسعودية.

عرفه القرطاس والقلم كاتبا أديبا بليغا، والبث الإذاعي محدثا بارعا ولسانا فصيحا، ومسجد جامعة دمشق، يوم

كان لها مسجد، خطيبا مفوها، متصرفا في ضروب القول وفنون الكلام.
هو أحد شيوخ الدعوة الأوائل ورجال التربية الكبار في الديار الشامية، في القرن العشرين، ومن الرعيل الأول الذي لا يكاد يعوض وفقدهم ثلمة لا تسد.
انتقل إلى رحمة الله في دار هجرته في الرياض، مع أذان ظهر يوم الأحد ٨ من شهر شوال ١٤٣٨هـ، الموافق ٢ يوليو ٢٠١٧م، عن عمر تجاوز التسعين عاما، قضى ما يقارب أربعين سنة منها في مهجره، وكان قد قدم إليها معارا من دمشق، في أواخر عام ١٩٧٨م.
هو ابن مدينة قطنا، وهي مدينة ريفية وادعة تقع جنوب غرب دمشق وتبعد عنها ما يقارب أربعة وعشرين كيلومترا، ومن خواص تلاميذ شيخها وإمامها ومفتيها العلامة المربي إبراهيم الغلاييني، وهو صهره أيضا.
وأنا كاتب هذه الترجمة من قرية صغيرة تتبع لها، ومازلت أذكر بعض زيارات الشيخ الدورية لقريتنا، بهدف نشر الدعوة وتعليم الناس أمر دينهم، وقد يمكث ومن معه أسبوعا بأكمله أو أزيد، حيث تدب الحياة في أوصالها وتسري الروح العلمية والفكرية فيها وكأنها في مهرجان ثقافي، حيث تلقى الدروس والمحاضرات والزيارات وتعقد المجالس العلمية والتربوية ، وكانت هذه سنة للشيخ ماضية، إذ كانت سورية حينذاك تتمتع بشيء غير قليل من الحرية والطلاقة.
ولد الشيخ في عام ١٩٢٦م، وقد شاء الله أن يتذوق مرارة اليتم بوفاة والده، وهو في الشهر السادس من عمره، لكن والدته الدمشقية الصالحة السيدة نظمية أحمد الطحان، رغم صغر سنها آنذاك، قد عوضته عن عناية الوالد بانقطاعها لرعايته والاهتمام بشأنه صابرة على لأواء الطريق - أجزل الله مثوبتها - فكان الشيخ من ثمار غرسها، مثل أمهات الشافعي والبخاري والسلطان محمد الفاتح وغيرهن من الأمهات العظيمات في تاريخنا الإسلامي. واعترافا من الدكتور بحقها خصها وشيخه بإهداء رسالته للدكتوراه: «تفسير النصوص في الفقه الإسلامي»، وكتب هناك: «إلى الرائدة الأمينة على درب اليتم الطويل، والتي مازالت تتابع الطريق عطاء ووفاء ترجو بهما الله واليوم الآخر «أمي»، يرحمها الله ويعلي مقامها في الآخرين».
بدأ الشيخ تعليمه الابتدائي في إحدى مدارس قطنا، ثم انتسب إلى مدرسة التجهيز الأولى في دمشق، لكنه انقطع عنها لعارض صحي، كان له فيه خير كثير وتوفيق من الله، إذ لزم الشيخ إبراهيم الغلاييني، سنة ١٩٣٨م، حوالي خمس سنوات متواصلات، انقطع فيها لتلقي العلم والسلوك على يديه، وصحبه في حله وترحاله، وقرأ عليه على الطريقة القديمة، فحفظ المتون، ودرس قدرا وافرا من العلوم الشرعية والعربية، وفي مقدمتها الفقه والتجويد والسلوك، مما مكن له من التعامل مع أمهات الكتب في الشريعة واللغة العربية، وحبب إليه اختياره طريق العلم الشرعي، والحرص عليه.
وكان شيخه الغلاييني يدربه على الخطابة، والدعوة، والتدريس في مساجد قطنا، ويعلمه بالقدوة والموقف والكلمة، وشهد له مواقف كثيرة يصدع فيها بالحق ويواجه الباطل والفساد.
ثم توثقت الصلة بينهما بعد ذلك عن طريق المصاهرة، إذ تزوج إحدى بناته أم محمد إقبال، التي أنجبت له أربعا من البنات، وثلاثة من البنين، وكانت نعم الزوج والمعين.
في سنة ١٩٤٤م نزل إلى دمشق، وانتسب إلى الكلية الشرعية التي أسسها الشيخ كامل القصاب، وكانت بمنزلة جامعة رفيعة المستوى حينذاك.
ومن أبرز شيوخه فيها: هاشم الخطيب، وياسين قطب، وحسن حبنكة، وعزالدين التنوخي، وأنور العطار، والشيخ محمود ياسين، والشيخ حسن الشطي، والأستاذ سليم الجندي، والشيخ أبو بكر القواس، والشيخ عبدالحميد قنواتي، والشيخ بهجت البيطار، والشيخ علي الطنطاوي الذي كان يدرسه مادة الثقافة الإسلامية وتوثقت الصلة بينهما.
وممن درسه أيضا: الشيخ المربي المصلح محمود ياسين مؤسس جمعية الهداية الإسلامية بدمشق، ممن اهتم مبكرا بضوابط الكتاب والسنة، وتأصيل علوم الحديث الشريف، والجرح والتعديل، متأثرا بمدرسة الشيخ محمد عبده، وقد سبق من اشتهروا بذلك بعده بشهادة تلميذه الشيخ أديب له. هذا، وقد ترك هذا الشيخ المربي المصلح أثره الكبير والمبكر في اتجاه الشيخ الصالح إلى العناية بالسنة. ومن الطرائف التي رواها عن شيخه أنه حفظهم حديث «اللهم رب هذه الدعوة التامة....»، يقول الشيخ أديب: «وأنا أحفظه منذ صغري بزيادة: «والدرجة الرفيعة»، فقال: قم فاقرأ الحديث، وكان قد كتبه لنا في المقرر، فقرأته من ذاكرتي، وذكرت: «اللهم رب هذه الدعوة التامة.. آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة»، قال يا بني: أنا اخترت هذا الحديث، وكتبته لكم لكي لا تقولوا: «والدرجة الرفيعة» فهذه الزيادة لم تصح بهذا اللفظ». يقول الشيخ أديب: «فعملت هذه الكلمة عملها في نفسه بالنسبة لقضية التوثيق، ومعرفة الحديث الصحيح من الضعيف، وتنمية حب السنة المطهرة والعناية بعلومها».
واستدامت الصلة بين الشيخ محمود ياسين وتلميذه، وتوثقت العلاقة بينهما، وكان الشيخ محمود دائم الانهماك في العلم والكتابة، فكان يملي على تلميذه الأثير مقالاته التي ينشرها في مجلة «الهداية الإسلامية»، ولعل هذه بذرة

نبوغه الصحفي الذي برز فيما بعد في مجلة حضارة الإسلام الشهيرة.
وهناك أسماء أخرى كثيرة من العلماء المخلصين الغيورين، من خارج نطاق التعليم الرسمي، كان لها الأثر البالغ في تكوين المترجم العلمي والدعوي، منهم: الشيخ خالد الجباوي، والشيخ نايف العباس، وأحمد البصروي، والشيخ ملا رمضان، وأبوالخير الميداني، والشيخ عبدالكريم الرفاعي وغيرهم كثير.
وعود على بدء: نرجع إلى رحلة الشيخ التعليمية فقد حصل على الثانوية الشرعية، ومعها الثانوية العامة، في عام ١٩٤٦م، ليسجل في كلية الحقوق بجامعة دمشق. أما الباحث الحثيث له على اختياره فقد ذكره الشيخ بأنه للذب عن الشريعة الغراء وإظهار محاسنها وتفوقها على القوانين الأرضية القاصرة. ثم في العام نفسه ابتعثته وزارة المعارف إلى الأزهر للدراسة في كلية أصول الدين، فجمع بين الكليتين، وظفر بإجازتين جامعيتين، قارنا بين الأصول والحقوق معا: الأولى من الجامعة الأزهرية عام ١٩٤٩م، والأخرى إجازة الحقوق من جامعة دمشق عام ١٩٥٠م.
وبعد العودة من القاهرة سنة ١٩٥٠م، اشتغل مدرسا للتربية الإسلامية في ثانويات ودور المعلمين بدمشق وحلب، ثم عين معيدا في كلية الشريعة في جامعة دمشق عام ١٩٥٦-١٩٥٧م، درس أثناءها مادة أحاديث الأحكام. وفي العام التالي ١٩٥٨م، أوفد إلى كلية الحقوق في جامعة القاهرة؛ ليحصل على دكتوراه في الحقوق (الشريعة الإسلامية) بمرتبة الشرف الأولى، مع تبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية، والتوصية بطباعتها. أما موضوع الرسالة فهو: «تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، في أصول الفقه المقارن - دراسة مقارنة لمناهج العلماء في استنباط الأحكام من نصوص الكتاب والسنة». ومن أبرز الشخصيات التي التقى بها في مصر في تلك الفترة، وكان لها أبلغ الأثر في توجيهه وتأصيله: العلامة الإمام محمد أبوزهرة، والشيخ علي الخفيف، والشيخ مصطفى عبدالخالق الذي أفاد منه كثيرا في مجال أصول الفقه خاصة، والشيخ فرج السنهوري، وغيرهم.
ثم عاد إلى دمشق للتدريس في كلية الشريعة بجامعة دمشق، إضافة إلى تدريس مادة أصول الفقه في كلية الحقوق، ومادة البلاغة النبوية في كلية الآداب.
ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الشيخ اشتغل بالتدريس في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية في أول عام افتتحت فيه ورئيسا لقسم أصول الدين، ودام ذلك مدة أربع سنوات (١٩٧٠-١٩٧٤م)، ثنتين منها متنقلا بين دمشق وعمان، كما شارك في وضع مناهج الكلية وتأليف بعض كتب التربية الإسلامية.
واكب مسيرة الشيخ التعليمية اشتغاله الدؤوب بالدعوة والتربية، وكان من أبرز منابره رئاسة تحرير مجلة «حضارة الإسلام»، ثم خطبة الجمعة في مسجد جامعة دمشق، وهما محطتان في حياة الفقيد تستحقان الوقوف. فقد ارتبط اسم الشيخ الراحل بالدكتور العالم المجاهد مصطفى السباعي، رحمه الله، صاحبه وخليفته من بعده في إدارة مجلته الرائدة العريقة «حضارة الإسلام» التي أسسها السباعي نفسه، حيث تولى الدكتور محمد أديب صالح رئاسة تحريرها سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، واستمر رئيسا لتحريرها حتى أغلقت سنة ١٩٨٢م، ولكنها باقية كما كان الشيخ يقول وصدق، فقد كانت مدرسة رسمت معالم الطريق، وأسهمت في صناعة الصحوة الإسلامية في أوساط الشباب خاصة. وقد تحدث رحمه الله عن المجلة في تلك المرحلة، فقال: «إن مجلة حضارة الإسلام من الناحية الفكرية والثقافية قد ورثت ما نسميه أو يسميه الباحثون بالمرحلة العقلانية التي يمثلها الشيخ محمد عبده، موضحا أن طبيعة المرحلة في ذلك الوقت كانت تتمثل بأن الإسلام أشبه بالمتهم، وكان لابد من إعمال العقول في الدفاع عنه، مؤكدا بأن مجلة حضارة الإسلام قد تجاوزت هذه المرحلة التي ورثتها زمنيا، حيث كانت تمثل الأصالة والذاتية بعد تجاوز المرحلة السابقة. وقال: كان بين المجلة وقرائها من المحبة والود ما يجعلنا نشعر أن هناك هيئتين للتحرير، إحداهما، وهي الكبرى، الجمهور». انتهى نقلا عن الشيخ محمد المجذوب.
وقد حباني الله أن كنت من جمهورها الذي أولع بها وحرص على اقتنائها، وكنا نترقب صدورها ونستقبلها - ولا أبالغ - استقبال الأرض العطشى للمطر، فنقرأ كل كلمة من المجلة (من الجلدة إلى الجلدة)، ولا غرو فقد كانت الرافد الأوحد للشباب السوري المسلم في تلك الحقبة، وتسري فيها روح الشيخ محمد أديب صالح وثلة من كبار العلماء والمفكرين والباحثين والشعراء والأدباء، لا يتسع المجال لسرد أسمائهم. وقد استودعها الشيخ عددا وافرا من الافتتاحيات والبحوث والمقالات يربو عدد صفحاتها على خمسمئة وألف، ضمنها عصارة فكره وعميق رؤيته لأحوال العالم الإسلامي ومشكلاته. وجدد طبعها، بعنوان «معالم في الغاية والمنهج» و«على الطريق».
ثم لنا وقفة عند مسجد جامعة دمشق الشهير، وهو مسجد صغير الحجم جدا لكنه ذو شأن برسالته المكملة للعمل الجامعي في كليتي الشريعة والحقوق، وكانت تشرف عليه كلية الشريعة، وتؤمه جموع غفيرة من طلاب

الجامعة من مختلف التخصصات وأساتذتهم وسواهم من كبار المثقفين، يضيق بهم المسجد فتمتلئ الساحات التي تحيط به من جميع جوانبه ما بين كلية الطب وكليتي الشريعة والحقوق.
وقد تعاقب على منبره أعلام الصلاح والإصلاح والدعوة، ومن أبرز خطبائه الشيخ عصام العطار، وطالما هزت خطبه المدوية التي كان يلقيها من على منبره القلوب وحركت الجماهير، ثم فقيد الأمة الشيخ محمد أديب صالح، حيث تولى إلقاء خطبة الجمعة فيه بضع سنين من عام (١٩٦٤-١٩٦٩م).
أما المحطة الأخيرة في حياة الفقيد، طيب الله ثراه، ففي المملكة العربية السعودية التي احتضنته لأربعة عقود حتى وافته المنية فيها، وفيها تفجرت طاقاته الفكرية والعلمية، في مناخ الجامعات والبحوث العلمية والدراسات العليا والاشتغال برسائل الماجستير والدكتوراه، إشرافا ومناقشة، وكذلك التحكيم في البحوث المرشحة للنشر في المجلات المحكمة، والمشاركة في مختلف الأنشطة العلمية والدعوية من مؤتمرات ومحاضرات وندوات. ومما أفاده في هذه الحقبة هو التخصص، إذ حصر اهتمامه بالسنة وعلومها لمدة عشر سنوات كاملات كما صرح في مقابلته مع المشوح في قناة المجد.
هذا وقد تتلمذ على يديه في هذه الحقبة عدد جم من النوابغ المتفردين في شتى العلوم الشرعية.
وقد أجرى الله على يديه في السعودية خيرا كثيرا، حيث أسس «قسم السنة وعلومها» في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ووضع مناهجه، وكان رئيسا له مدة تسع سنوات، درس خلالها مادة الحديث وعلومه، ثم تحول بعد العام العاشر إلى جامعة الملك سعود، حيث درس طلبة الدراسات العليا في قسم الثقافة الإسلامية من كلية التربية، وكان رئيسا للجنة القرآن والحديث فيه.
أما إنتاج الشيخ العلمي فإنه وافر الإنتاج زاخر العطاء، ويتميز بالدقة والموضوعية، عكف من قديم على التأليف والتحقيق، فقد حقق «تخريج الفروع على الأصول للزنجاني»، سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، وهو باكورة إنتاجه العلمي.
وهو في إنتاجه المكتوب والمسموع ذو أسلوب أدبي مشرق، وثقافة إسلامية راسخة وموسوعية، يذكرك وأنت تسمعه أو تقرأ له بشيوخ العربية الأوائل، في إشراق ديباجته، وجزالة ألفاظه، وحسن منطقه، وقوة استدلاله، واتساق تراكيبه، وعذوبة عباراته، ودقة معانيه، وعمق فكره، وفي امتلائه وثروته.
ترك الشيخ عشرات الكتب، تحقيقا وتأليفا، ذكرت بعضها في ثنايا الترجمة، ومما لم يرد ذكره منها: مصادر التشريع الإسلامي ومناهج الاستنباط، لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية، مع «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، دراسة تحليلية، وله أيضا: الربانيون قدوة وعمل، هكذا يعلم الربانيون، سير الصالحين، و«علم أصول الفقه» للشيخ عبدالوهاب خلاف (تحقيق وتخريج وتعليق)، وغيرها كثير.
وأحاديثه المسموعة في الإذاعات، هي وجه آخر من نشاط المترجم العلمي والفكري، والتي تحولت فيما بعد إلى كتب، ومن أبرزها برنامجه المعروف باسم «معالم قرآنية في البناء والتنمية»، وقد ناهزت حلقاته الألف حلقة، و«السنة ومكانتها التشريعية في الإسلام» و«القيامة: عظاتها ومشاهدها في الحديث النبوي»، و«التقوى في الكتاب والسنة»، وأدعياء الهيكل (اليهود في القرآن والسنة)، وغيره.
بعد توقف العمل الجامعي للتقاعد لم يتوقف الشيخ، فقد استمر عطاؤه دون كلل ولا ملل، ولم ينقطع عن التحقيق والتنقيح والاستدراك والنظر والبحث والتصنيف والتحكيم والتقويم والتواصل مع الجامعات ومراكز البحث، كما استمرت لقاءاته بطلبة العلم في حلقات علمية خاصة في أصول الفقه والحديث النبوي في مصادره وشروحه.
وفي الختام، نتوجه بأصدق مشاعر العزاء والمواساة إلى أسرة الفقيد وأنجاله الكرام خاصة وإلى إخوانه وأهل مودته والمسلمين كافة، داعين المولى عزوجل أن يربط على قلوبهم، وأن يلهمهم الصبر والسلوان، وأن يعوض الأمة من يقوم مقامه ويسد الثغر الذي كان يرابط فيه.
رحم الله تعالى أستاذنا أبا محمد إقبال، وأسكنه فسيح جنانه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فقد أعطى بلا حدود، وخدم العلم من المهد إلى اللحد، وترك إرثا علميا متميزا لا ينقطع أجره ولا يفنى أثره بإذن الله.

مراجع الترجمة

١- لقاء إذاعي مع الشيخ محمد أديب الصالح، من إعداد وتقديم محمد بن عبدالله المشوح، برنامج في موكب الدعوة - قناة المجد.
٢- كتب الشيخ محمد أديب صالح ومجلة حضارة الإسلام.
٣- مقابلة الأستاذ الشيخ مجد مكي الشيخ الدكتور محمد أديب الصالح - نشر موقع «رابطة العلماء السوريين».
٤- من ذكريات الشيخ محمد المجذوب مع الشيخ الدكتور محمد أديب الصالح - نشر موقع «رابطة أدباء الشام».
٥- «مجلة حضارة الإسلام، معالم وذكريات»، محاضرة الشيخ محمد أديب الصالح في مقر «جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي»، في عمان ٢٢ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ.

في إطلالة جديدة من بريد القراء.. يقدم أساتذة متخصصون مساهمات نوعية تسلط الضوء على قضايا جوهرية بشكل مكثف يوجز للقارئ أبعاد القضايا التي يتناولونها، في مسعى من المجلة لجعل القضايا الكبرى موجزة في صور كلية مصغرة.

إعداد: التحرير

قبل السفر للحج... ماذا نقول لأطفالنا؟

الأطفال هم نصف الحاضر وكل المستقبل، وهم عدة المجتمع وأداته للنمو والتقدم، ومستقبل أي مجتمع يتوقف إلى حد كبير على مدى اهتمامه بالأطفال ورعايتهم وتهيئة الإمكانات التي تتيح لهم حياة سعيدة ونموا سليما يصل بهم إلى مرحلة النضج السوي؛ لذلك يبذل المسؤولون في مختلف المجتمعات قصارى جهدهم في توفير كل ما من شأنه تحقيق الرعاية الجسمية والنفسية والاجتماعية والتربوية لهؤلاء الأطفال.

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى لحج بيته الحرام الذي جعل أفئدة من عباده تهوي إليه، ميقاتا معلوما من السنة يؤدى فيه، فكان بذلك موسما مشهودا تلتقي فيه وفود القادمين إلى البيت الحرام ببطن الوادي من أم القرى، من مختلف الأقطار والأمصار، وفي لقائهم هذا يحصل خير كثير يرجونه، ومنافع يشهدونها، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ﴾ (الحج:٢٧-٢٨).

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ (آل عمران:٩٧).

وقال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (رواه البخاري ومسلم).

قبل السفر إلى الحج... ماذا نقول لأطفالنا؟

عندما يستيقظ الطفل من نومه ويسأل أين أبي...أين أمي؟ ستكون الإجابة أنهما سافرا لأداء فريضة الحج، وقبل سفر الآباء لأداء فريضة الحج ماذا يجب على الآباء فعله تجاه أطفالهم؟

نعلم جميعا أن الخوف شعور طبيعي وانفعال يتضمن حالة من حالات التوتر التي تدفع الشخص الخائف إلى الهرب من الموقف الذي أدى إلى استثارة خوفه حتى يزول التوتر، وهو بذلك يتضمن حالة من التوجس تدور حول خطر معين له وجود واقعي، والخوف إذا ما اقترن بالحذر والترقب فإنه في هذه الحالة يؤدي وظيفة وقائية قد تؤدى بالفرد الخائف إلى الهرب من الخطر، ولكن إذا تجاوز الخوف لدى الإنسان هذه الحدود وهذه الوظيفة التوافقية فإنه يعني أمرا مختلفا، ومن أهم أسباب الخوف عند الطفل:

- الخوف من الغرباء: حيث يبدأ الطفل في اكتشاف أنه يوجد أشخاص قريبون منه وآخرون ليسوا كذلك وهذه هي بداية ما يسمى بالخوف من الغرباء، يميز الطفل بين الأشخاص الذين يعيش معهم أو يقومون برعايته ويعتبرهم

القراء الأعزاء : نستقبل اقتراحاتكم و مساهماتكم التي من شأنها إشاعة الخير بين ربوع الأمة على البريد الإلكتروني :

alwaeiq8@gmail.com

أشخاصا آمنين أما غيرهم فيعتبرهم أشخاصا غير آمنين.

– الخوف من الانفصال: الخوف من الغرباء يتحول بعد ذلك إلى الخوف من الانفصال، وهو خوف الطفل من الانفصال عن أمه أو عن الشخص الذي يرعاه وكذلك الخوف من بيئة جديدة لم يعتد عليها، والخوف من الانفصال يكون طبيعيا حتى سن السادسة.

وقبل السفر للحج وترك الأطفال دون تراكمات نفسية ومخاوف يجب فعل ما يلي:

١- يجب إخطار الطفل بالسفر للحج وعدم الاختفاء فجأة من أمامه، وأن نشرح له حسب المرحلة العمرية التي يمر بها – وكذلك مراعاة عدم الاستهانة بصغر سن الطفل – أن الحج فريضة على كل مسلم بالغ عاقل لديه الاستطاعة.

٢- يجب توديع الطفل يوم السفر وتهدئته، وتقبُّل بكاءه مع مراعاة طمأنة الطفل بالعودة بأمر الله.

٣- يجب على الأسرة إيجاد المكان المناسب لترك أطفالها سواء عند الأقارب أو الجيران أو من هم محببون وقريبون للأطفال، أو اختيار الأشخاص المقبولين والمحببين للأطفال وأن يتواجدوا في منزل الطفل فهذا سيكون أفضل من ترك الطفل لمنزله.

٤- على الآباء تعويد الطفل الاعتماد على نفسه وخاصة قبل السفر في بعض الأمور البسيطة مثل ارتداء الملابس وخلعها وارتداء الحذاء بنفسه حتى لا يشعر بالحرج فترة غياب الأسرة عنه.

٥- الاتصال هاتفيا بالطفل مفيد جدا حيث يشعر الطفل بالأمان والاطمئنان ولا نكتفي بالتواصل مع الأقارب أو من هم متواجدون مع الطفل.

٦- التعرف على احتياجات الطفل من الهدايا والمستلزمات الخاصة به والعمل على تلبية احتياجاته بشرط أن لا يكون مُبالغا فيها.

إن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة وهو الذي لا يعقبه معصية لله، وهو من أفضل الأعمال، والحج كالجهاد في أجره، والحاج كالمجاهد في المنزلة، وإن للحاج كرامة عند الله بها يستجاب دعاؤه ويغفر ذنبه، وذنب من استغفر له بإذن الله.

د. محمد محمود العطار

أعيادنا الإسلامية الخالدة

في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ دخل عليه رجل يوم العيد فوجده يأكل خبزا خشنا فقال: يا أمير المؤمنين يوم العيد تأكل خبزا خشنا؟ فقال: اليوم عيد من قُبِل صومُه وشُكِر سعيُه وغُفِر ذنبُه، ثم قال: اليوم لنا عيد وغدا لنا عيد وكل يوم لا نعصي الله تعالى فيه فهولنا عيد.

قال النويري: والأعياد الإسلامية التي وردت بها الشريعة اثنان عيد الفطر، وعيد الأضحى والسبب في اتخاذهما ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قدم المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومان؟ فقالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل قد أبدلكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى» فأول ما بدئ به من العيدين عيد الفطر، وذلك في السنة الثانية من الهجرة وفيها كان عيد الأضحى.

سماء محمد محمد السحرتي

شكر وتقدير

تحية عطرة مني إلى كل العاملين في هذه المجلة.. مصادفة وقعت عيني على المجلة فقرأتها.. وأعجبني مضمونها كثيرا، لذلك أردت أن أشكركم من خلال هذه الرسالة البسيطة.. وجدت عنوانكم الإلكتروني في أسفل الهدية المصاحبة للمجلة «الوعي الإسلامي» التي سررت بها كثيرا لما تحتويه من معلومات قيمة عن مفاتيح تدبر السنة.. فألف شكر لكم وتمنياتي لكم بالتوفيق، ومزيد من التألق، إن شاء الله.

نجلاء الرويم

المحرر:

جزاكم الله خيرا، المجلة تقوم بدورها في نشر الوعي الإسلامي ونسعد دوما بمساهماتكم.

بريد القراء

من سيفوز بقرعة «الحج»

قليلة هي الأيام، بل إنما هي سويعات معدودات ويبدأ ضيوف الرحمن بالتلبية؛ إيذانا ببداية موسم الحج إلى بيت الله الحرام، حيث يجتمع أكثر من مليوني حاج من جميع بقاع العالم ليشهدوا منافع لهم في المؤتمر السنوي العالمي للمسلمين كافة، متوجهين بقلوبهم، قبل أجسادهم ورحالهم، إلى البلد الأمين.

وما ذلك إلا استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم الخليل، حيث رفعها إلى رب العزة، تبارك وتعالى، في قوله الخالد إلى يوم الدين: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ (إبراهيم:٣٧).

لذا كانت نفوس المؤمنين تتشوق إلى الحج لما فطر الله قلوب المؤمنين من الحنين إلى بيت الله الحرام الذي تهواه الأفئدة، وتتوق إليه الأنفس، ولما كان كثير من الناس يعجزون عن بلوغ هذا المراد، خصوصا هذه الأيام، ترصد وسائل الإعلام حزن المسلمين ودموعهم، ذكورا وإناثا، شيبا وشبابا، من الذين لم تصبهم قرعة الحج، وهم يعبرون بدموعهم عن مدى الحسرة التي أصيبوا بها راجين من الله أن يعوضهم.

ميلود عبدالرحمن بنعتيك

يبوح المسجد الأقصى لقلبي

حنيني زاد للأقصى ومسرى
رسول الله إصباحا وعصرا

يجافيني الكرى فأزيد شوقا
ويوجعني الفؤاد لخير ذكرى

يبوح المسجد الأقصى لقلبي
صلاتهما حوت سرا وجهرا

صلاح الدين ذكرك يحتويني
وأنت تكابد الأشواق حرى

تحرر ساحة الأقصى وتمضي
إلى العلياء عشت العمر حرا

فأين المجد يا قومي بدرب
عشقنا شوكه لو كان جمرا

وكيف خلاص أمتنا بيوم
نؤمله ولو نقتات مرا

محسن عبد المعطي محمد

ركن الحج الأعظم

إنه يوم عرفة هو أفضل يوم عند الله تعالى، رفع سبحانه على الأيام قدره وعظم أجره فهو أهم أركان الحج في الإسلام، بل هو ركن الحج الأعظم، حيث ورد عن الرسول ﷺ أنه قال فيه: «الحج عرفة» (رواه الترمذي، وأبوداود)، وهو أسلوب قصر، وحصر، وتخصيص بأن الحج الصحيح حج من أدرك الوقوف يوم عرفه داخل حدود موقف عرفة، فمن فاته هذا الركن بطل حجه؛ للدلالة على أهميته كركن أعظم، فهو يوم إكمال الدين، وإتمام النعمة، يباهي الله تعالى فيه الملائكة بأهل عرفات، ففيه تجاب الدعوات، وتقال العثرات، وهو يوم الرحمة، ومغفرة الذنوب، والعتق من النيران.

فعن جابر رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام عند الله أفضلُ من عشر ذي الحجة، قال: فقال رجل يا رسول الله هن أفضلُ أم عدتهن جهادًا في سبيل الله؟ قال: هن أفضلُ من عدتهن جهادًا في سبيل الله، وما من يوم أفضلُ عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهلَ السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا ضاحين جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم ير يوم أكثر عتيقا من النارِ من يوم عرفة».

محمد محمود محفوظ

البر والطاعة

الحديث عن البر والطاعة يقتضي التعرض لقصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ففيها كل معاني الطاعة لربه، وامتثاله لأوامره رغم ما يبدو فيها - ظاهرا وبمقياس البشر- من قسوة وشدة، فرؤيا سيدنا إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل، وهو الابن الذي ظل ينتظره عمرا طويلا، حتى وهبه المولى له، وعند بلوغ هذا الابن سن الصبا وتعلق قلب أبيه به، وحبه له، يجد نفسه مأمورا بذبحه، وذبح الابن يعد خلافا لسنن الفطرة، ويجافي الطبائع البشرية، ولكن بالنظر للمأمور وهو نبي الله إبراهيم وقد تلقى الأمر من رب رحيم، فلا مجال لأي مجادلة أو تحوير أو

تأويل في الرؤيا، فما كان منه إلا أن يقول سمعا وطاعة. وهنا يأتي دور الابن في تلقي أمر ذبحه بيد أبيه، فكان قبوله بنفس راضية طاعة لأمر ربه، واستجابة لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ قمة التسليم والإذعان، إجابة موجزة ومنجزة في كلمتين اثنتين بخطاب رقيق ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، بل أكدها مبديًا رضاه التام بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: إنه لن يجزع من الذبح أو يتبرم به، حتى لا يفجع أباه أو يرقق قلبه فيمتنع عن تنفيذ أمر الله، وهذا قمة البر والطاعة من الابن لأبيه.

محمود علي

بناء الأسرة

لقد حث الإسلام على بناء الأسرة باعتبارها اللبنة الأولى للمجتمع، ورغب الشباب في الزواج بمجرد الاستطاعة، قال ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج» كما رغبهم بوعد من أقدم على بناء أسرته بمعونة الله وإغنائه له، قال ﷺ: «ثلاثة حق على الله عونهم: (وذكر) الناكح الذى يريد العفاف» ، وقال سبحانه: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٢).

لا يخفى على أحد ما للزواج من مقاصد وأهداف؛ فإضافة إلى تحصين الفرج، ومحاربة الفواحش، والحفاظ على استمرار النسب، والحفاظ على النوع البشري، والبحث عن السكينة والراحة النفسية.. فإن للزواج دورا مهما في تدوير عجلة الاقتصاد والتنمية، بجعل الرجل يشمر عن ساعد الجد للبحث عن عمل لتلبية حاجات أسرته.

ولرفع دعائم هذا البناء الأسري جعل الشرع الحنيف أسسا لاختيار كل من الزوج والزوجة لشريكه، فخاطب النبي ﷺ الشباب قائلا: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (صحيح البخاري)، فأساس الدين مهم لنجاح أي علاقة زوجية. ومن جانب آخر، خاطب ﷺ الآباء وأمرهم بقبول من أتاهم خاطبا وقد توافر فيه شرطا الدين والخلق، فقال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد» .

لنا أن نتساءل هنا: ما محل الدين في أولويات من يريد أن يقترن بشريك حياته؟ أهو الأساس الأول الذي ينظر إليه الرجل قبل أن يقدم على الزواج؟ هل يعتبر هذا الأساس كالغنيمة التي يجب أن يظفر بها؟ وفي المقابل، هل ينظر الأب أو الولي أو المعنية بالزواج إلى أساس الدين والخلق قبل الموافقة أو الرفض؟ أهم على وعي أن إغفال هذا الأساس ربما يكون سببا في الفتنة والفساد؟

إن الملاحظ في مجتمعاتنا التي سادت فيها الحسابات الدنيوية على الدينية بروز عدة ظواهر، أساسها عدم جعل أساس الدين أولوية الأولويات في بناء الأسرة، كظاهرة عزوف الشباب عن الزواج، والعنوسة، وغلاء المهور، والزواج العرفي، والشقاق بين الزوجين، والنشوز، والطلاق.. وغيرها من الظواهر التي لا تخفى على أحد، فهل لنا أن نولي هذا الأساس اعتباره الذي يستحق؟

عبدالحكيم خلفي
باحث في الدراسات الإسلامية - المغرب

جديدنا

مقالات

كتابٌ فريدٌ في بابه، مفيد لقرَّائه، يحتوي على مقالات علميَّة وثقافيةوإيمانية فريدة ومتنوِّعة، هي نتَاجٌ علميٌّ لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد السيد الدسوقي كتبها لمجلة الوعي الإسلامي ما بين عامي: (١٣٨٥-١٤٢٦ هـ)

موقع الوعي الإسلامي

www.alwaei.gov.kw

مجلتكم تقترب منكم أكثر ...

- سهولة أكثر في تصفح المجلة عبر الفضاء الإلكتروني .
- أرشيف جميع أعداد وإصدارات المجلة عبر خمسين عاما من عمرها .
- تابعوا أحدث الإصدارات .

alwaeiq8@gmail.com

@Alwaei_Alislami

مجلة الوعي الإسلامي

موقع مجلة الوعي الإسلامي